سلسلة
إحياء التراث الإسلامي
(١١)
هذا العمل بدعم خيري

مجموع مؤلفات ورسائل
العلامة حمود التويجري رحمه الله

المجموعة الأولى

يحتوي على أربعة عشر مؤلفا

للعلامة المجاهد حمود بن عبد الله التويجري
ت: ١٤١٣هـ

اعتنى به
القسم العلمي بمؤسسة منار التوحيد والسنة

دار الإمام البخاري
الدوحة - قطر

سِلسِلَة
إحياءِ التُّراثِ الإسلامي
(١١)
هذا العمل بدعم خيري

مجموع مؤلفات ورسائل
العلامة حمود التويجري رحمه الله

المجموعة الأولى

يحتوي على أربعة عشر مؤلفاً



الطبعة الأولى

رقم الإيداع:



الدوحة – قطر – طريق سلوى – بجوار إشارة الغانم الجديد

ص.ب ٢٩٩٩٩ – هاتف: ٠٠٩٧٤٤٤٦٨٤٨٤٨ – فاكس ٠٠٩٧٤٤٤٦٨٥٥٨٨

albukharibooks@gmail.com



المجموعة الأولى

يحتوي على أربعة عشر مؤلفاً

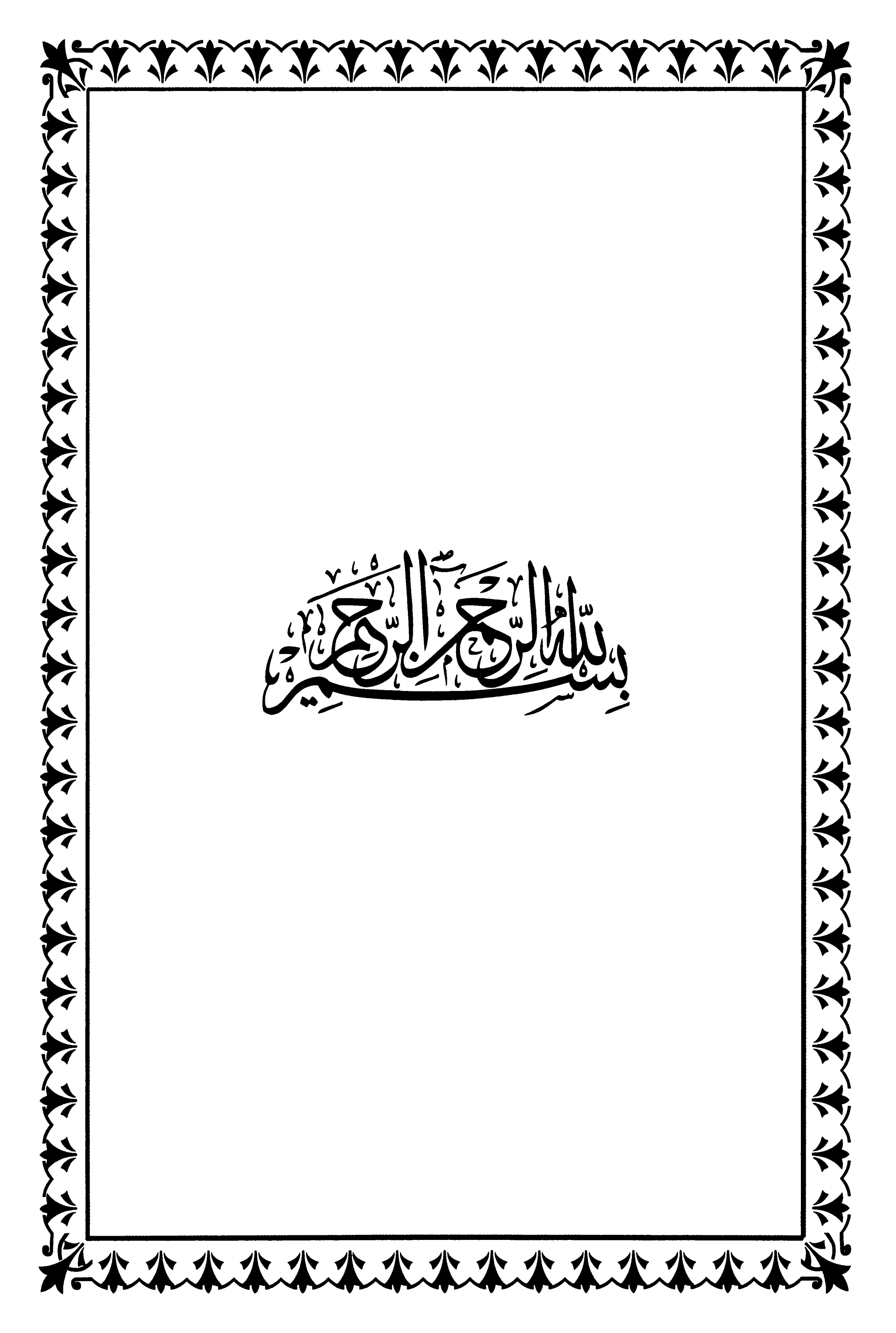
العلَّامة المجاهد حمّود بن عبد الله التُّويجري

ت: ١٤١٣هـ

اعتنى به

القسم العلمي بمؤسسة منار التوحيد والسُّنَّة




بسم الله الرحمن الرحيم



مقدمة الناشر

إنَّ الحمدَ للهِ نَحمَدُه، ونَستعينُهُ ونَستَغفرُهُ، ونَعُوذُ بِاللهِ مِن شُرورِ أَنفُسِنا ومِن سَيِّئَاتِ أَعمَالِنا، مَن يَهدِهِ اللهُ فَلا مُضلَّ لَهُ، ومَن يُضلِل فَلَا هَادِيَ لَهُ، وأَشهدُ أَن لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ، وأَشهَدُ أَنَّ مُحمَّدًا عَبدُهُ ورَسُولُه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أَمَّا بعدُ: فَإِنَّ أَصدَقَ الحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وخَيرَ الهَدي هَديُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وشَرَّ الأُمُورِ مُحدَثَاتُهَا، وكُلَّ مُحدَثَةٍ بِدعَةٌ، وكُلَّ بِدعَةٍ ضَلَالَةٌ، وكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

□ أمّا بعد:

فإنَّ الذَّبَّ عن دينِ الله جَلَّ وَعَلَا بالحُجَّة والبيانِ مِن أعظمِ الجهادِ في سبيلِ الله، بل هو أعظمُ من الجهادِ بالسَّيف والسِّنان، إذ قِوامُ الدِّين بالكتابِ الهَادي والسَّيفِ النَّاصر، والكتابُ هو الأصلُ.

قال شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأعداءُ الدِّين نوعانِ: الكُفَّار، والمُنافقون. وقد أمرَ اللهُ نبيَّه بجهادِ الطَّائفتَين في قولِه: ﴿جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ٧٣] في آيتَين من القُرآن. فإذا كان أقوامٌ منافقونَ يَبتدعون بِدَعًا تُخالفُ الكتابَ ويلْبِسُونَها على النَّاس ولم تُبيَّن للنَّاس: فسَد أمرُ الكتابِ وبُدِّل الدِّينُ؛ كما فسَد دينُ أهل الكتاب قبلَنا بما وقَع فيه من التَّبديل الذي لم يُنكر علىٰ أهلِه. وإذا كان أقوامٌ ليسوا مُنافقين لكنَّهم سمَّاعون للمُنافقين: قد الْتَبس عليهم أمرُهم حتىٰ ظنُّوا قولَهم حقًّا؛ وهو مُخالِفٌ للكِتاب، وصاروا دعاةً إلىٰ بدع المنافقين -كما قال تعالىٰ: ﴿لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٧]- فلابدَّ أيضًا من بيان حالِ هؤلاء؛ بل الفتنةُ بحال هؤلاء أعظمُ، فإن فيهم إيمانًا يوجبُ مُوالاتهم، وقد دخَلوا في بدعٍ مِن بِدَع المنافقين التي تُفسِد الدِّينَ، فلابد من التَّحذير من تلك البدع وإنِ اقتَضىٰ ذلك ذكرَهم وتَعيينَهم؛ بل ولو لم يكن قد تَلقَّوا تلك البِدعةَ عن مُنافق؛ لكن قالُوها ظانِّين أنها هُدًىٰ وأنها خيرٌ وأنها دِينٌ؛ ولم تكن كذلك لَوَجب بيانُ حالِها» اهـ(١).

وقال أيضًا رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومِثْل أئمَّة البِدَع مِن أهل المَقالات المُخالفة للكِتاب والسُّنَّة، أو العِبادات المُخالفة للكِتاب والسُّنَّة؛ فإنَّ بيانَ حالِهم وتحذيرَ الأُمَّة منهم واجبٌ باتِّفاق المُسلمين، حتىٰ قيل لأحمدَ بن حَنبل: الرَّجُل يَصومُ ويُصلِّي ويَعتكفُ أحبُّ إليكَ أو يتكلَّم في أهل البدع؟ فقال: إذا قام وصلَّىٰ واعتكَف؛ فإنما هو لنَفسِه، وإذا تكلَّم في أهل البِدَع؛ فإنما هو للمُسلمين، هذا أفضَلُ. فبيَّن أن نفْعَ هذا عامٌّ

---

(١) «مجموع الفتاوىٰ» (٢٨/ ٢٣٢- ٢٣٣).

للمُسلمين في دينهم مِن جِنْس الجِهادِ في سبيل الله؛ إذ تَطهيرُ سَبيل الله ودِينه ومِنْهاجه وشِرعته ودَفْع بَغْي هؤلاء وعُدوانهم علىٰ ذلك واجبٌ علىٰ الكِفاية باتِّفاق المُسلمين، ولَولا مَن يُقيمُه اللهُ لدَفْع ضَرَرِ هؤلاء لفسَد الدِّين، وكان فسَادُه أَعظَمَ مِن فسادِ استيلاءِ العَدو من أهلِ الحَرْب؛ فإن هؤلاء إذا استَوْلَوا لم يُفسدوا القُلوبَ وما فيها من الدِّين إلا تبعًا، وأما أولئك فهم يُفسِدون القُلوبَ ابتداءً» اهـ[١].

فالرَّدُّ علىٰ المُخالفين أصْلٌ مِن أُصول أَهْلِ السُّنَّة والجَماعَة، لا يُنكِرُه إلَّا جَاهلٌ أو مُبتَدعٌ، وقد اتَّفق علىٰ هذا الأصْل أهلُ العِلْم سَلفًا وخلَفًا، مِن عَصْر الصَّحابة إلىٰ عَصْرنا هذا، وهذه مُؤلَّفات أهلِ السُّنَّة تَشهدُ بذلك، وهي كثيرةٌ جدًّا، منها علىٰ سبيلِ المِثال لا الحَصْر: «الرَّدُّ علىٰ الجَهميَّة والزَّنادِقَة» للإمام أحمَد، و«الإمامَةُ والرُّدُّ علىٰ الرَّافِضَة» لأبي نُعَيم الأَصْبهاني، و«الرَّدُّ علىٰ مَن أَنْكر الحَرفَ والصَّوتَ» للسِّجْزِي، و«الرَّدُّ علىٰ البَكْري»، و«الرَّدُّ علىٰ الأخْنائِي»، و«الرَّدُّ علىٰ ابنِ العَرَبي» ثَلاثتها لشَيخ الإسلام ابنِ تَيميَّة، و«الصَّارمُ المُنْكي في الرَّدِّ علىٰ السُّبْكي» لابن عبد الهادي، و«الصَّواعق المُرسَلَة في الرَّدِّ علىٰ الجَهميَّة والمُعطِّلة» للإمام ابنِ القَيِّم، و«الرَّدُّ علىٰ الرَّافِضَة» لشَيخ الإسلام مُحمَّد بن عَبد الوهَّاب، وغيرها من مُؤلَّفات أَهل السُّنَّة قَديمًا وحديثًا في تَقرير هذا الأَصْل.

وممَّن اشْتُهر في هذا العَصْر بالرَّدِّ علىٰ المُخالفين: فَضيلةُ الشَّيخ العلَّامَة حِمُودُ بن عَبْد الله التويجري رَحِمَهُ اللهُ، فقَد تَميَّزت مُؤَلَّفاتُه بكثْرةِ الرُّدود علىٰ مَن خَالف الكِتاب والسُّنَّة، وخَلَّف رَحِمَهُ اللهُ عَددًا كَبيرًا مِن المُؤلَّفات التي تَذْخَرُ بالرَّدِّ علىٰ من

---

(١) «مجموع الفتاوىٰ» (٢٨/ ٢٣١- ٢٣٢).

خَالف أصلًا مِن أُصول الدِّين، أو مَسألةً من مَسائلِ الشَّريعة، وبيانِ الحَقِّ فيها.

وقد رَأَتْ دارُ الإمامِ البُخاري بقَطَر - أن تَقومَ بخِدمةِ مُؤلَّفات الشَّيخ التويجري رحمه الله، وجَمْعِها في سِفْرٍ؛ ليَسْهُلَ الوُقوفُ عليها، وتَكونَ أكثَرَ نَفعًا لقارئيها عامَّةً، ولطَلَبَة العِلْم خاصَّة.

فقُمْنا في هذا السِّفْر الذي بين أيدينا بجَمْع عَدَد من الرَّسائل، **والتي هي عبارة عن المجموعة الأولىٰ من أعمال الشَّيخ التي خلَّفها**، رحِمه اللهُ تَعالىٰ رحمةً واسعة، وأَثابَه الفِرْدَوسَ علىٰ ما قدَّم وخلَّف مِن علم يُنتفَع الناسُ به.

وقد احتَوىٰ هذا المَجموعُ علىٰ أربَع عَشرة رِسَالةً، مُرَتَّبَةً علَىٰ النَّحو التَّالي:

١- عَقيدةُ أهلِ الإيمانِ في خلْق آدمَ علىٰ صُورةِ الرَّحمَن.

٢- تُحفةُ الإخوانِ بما جاء في المُوالاة والمُعاداة والحُبِّ والبُغْض والهجْرَان.

٣- إقامةُ البُرهان في الرَّدِّ علىٰ مَن أنكر خروجَ المَهديِّ والدَّجَّال ونُزولَ المَسيح في آخِر الزَّمان.

٤- صَحيحُ المَقال في مسألةِ شَدِّ الرِّحَال.

٥- تَنزيهُ الأصحابِ عن تَنقُّصِ أبي تُراب.

٦- تَبرئةُ الخَليفة العادلِ والرَّدُّ علىٰ المُجادل بالباطل.

٧- الإجابةُ الجَليَّة علىٰ الأسئلةِ الكُويتيَّة.

٨- تَحذيرُ الأمَّة الإسلاميَّةِ من المُحدثات التي دعَت إليها نَدوةُ الأَهِلَّةِ الكُوَيتِيَّة.

٩- إعلانُ النَّكيرِ علىٰ المَفتُونين بالتَّصوير.

١٠- إقامةُ الدَّليل علىٰ المَنْع من الأنَاشِيد المُلحَّنة والتَّمثيل.

١١- الرِّسَالَة البَدِيعَة في الرَّدِّ علىٰ أهلِ المَجلَّة الخَليعَة.

١٢- الرَّدُّ الجَمِيل علىٰ أخطاءِ ابن عقيل.

١٣- إنكارُ التَّكبير الجمَاعِي وغيره.

١٤- كتابُ الرُّؤْيَا.

هَذا، وقَدْ كان العَملُ في هذا المَجمُوع علىٰ النَّحو التَّالي:

أولًا: اعتمادُ نُسخَةٍ مَطبوعَةٍ لكُلِّ رِسالةٍ مما سبَق ذِكرُه، والمُقابَلَةُ عَلَيها بعدَ صَفِّها.

ثانيًا: مُراجَعةُ كلِّ رِسالَة مُراجعةً لُغويَّة مع ضَبْط الكَلِمات.

ثالثًا: إثباتُ الآياتِ القُرآنيَّة بالرَّسْم العُثمانيِّ، وعَزوها إلىٰ مَواضِعها في المُصحف الشَّريف.

رابعًا: تَخريجُ الأَحاديث والآثَار المَذكورة بكلِّ رِسالَة، مع ذِكْر حُكمِ الحَديث إن كان في غير «الصَّحيحين»، وقد اعْتَمَدْنا أحكامَ العلَّامة الألبانِي رَحِمَهُ اللهُ علىٰ الحَديث إن كان له حُكمٌ عَليه، وإلَّا ذَكَرْنا حُكمَ غيرِه مِن أهلِ العِلْم بالحَديث.

خامسًا: عَزْو النُّقولات وأقْوالِ العُلماءِ إلىٰ مَصادرِها.

سادسًا: بَيانُ مَعاني بعضِ المُفْردات وغَريب الكَلِمات.

سَابعًا: عَمَل تَرجَمة للشَّيخ العلَّامَة حِمُود التويجري رَحِمَهُ اللَّهُ.

ثامنًا: عَمَل فَهارس مَوضُوعات لكُلِّ رِسالَةٍ داخِلَ هذا المَجْمُوع.

*** نُبْذةٌ وَجِيزةٌ في التَّعريف بما اشتَملت عليه كلُّ رسالَة في هذا المَجمُوع:**

١- عَقيدةُ أهلِ الإيمانِ في خلْق آدمَ علىٰ صُورةِ الرَّحمَن:

وهو كِتابٌ تكلَّم فيه المُؤلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ عن حَديثِ الصُّورة، وبيَّن فيه عقيدةَ أهلِ السُّنَّة والجَماعَة في تَفْسِيره، وهُو أنَّ الضَّميرَ في قولِ النَّبيِّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**عَلَىٰ صُورتِه**» يَعودُ إلىٰ اللهِ عَزَّوَجَلَّ مِن غَير تكييفٍ ولَا تَمثيلٍ، وأَبْطل كلامَ المُخالِفين لاعتقادِ أَهْل السُّنة في مَعنىٰ هذا الحَديث بالأدِلَّة مِن الكِتاب والسُّنَّة وأَقوالِ أَهْلِ العِلْم.

٢- تُحفةُ الإخْوانِ بما جاء في المُوالاة والمُعاداة والحُبِّ والبُغْض والهجْرَان:

تكلَّم فيه المُؤلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ عن أَصْل عَظيمٍ مِن أصُول الدِّين، ألَا وهُو الوَلاء والبَراء، وبيَّن ما يَجِبُ علىٰ المُسْلم فِعلُه لتَحقِيق هذا الأصْل الكَبير، مِن تَحريم مُوالاةِ أعدَاء اللهِ مِن المُرتدِّين، والمُنَافقين، واليَهود، والنَّصَارىٰ، والمَجوس، وغَيرهم من أصنَاف المُشركين، والتَّحذير من موادَّتهم وتَعظيمهم، وَبدَاءتهم بالسَّلام، وتَقديمهم في المَجَالس، وغَير ذَلكَ ممَّا فيه تعظيمٌ لأعداء الإسْلامِ بالقَول أَو بالفعل.

٣- إقامةُ البُرهان في الرَّدِّ علىٰ مَن أنكر خُروجَ المَهديِّ والدَّجَّال ونُزولَ المَسيح في آخِر الزَّمان:

رَدَّ فيه المؤلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ علىٰ مَن أنْكَر ما أَخْبرَ بِهِ النَّبيُّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من ظُهُور المهديِّ في آخر الزَّمَان، ومَا أَخْبر به من خُرُوج الدَّجَّال، ونُزُول عيسىٰ ابْن مَرْيم عليه

والسَّلام، وبيَّن ما يَعتقدُه أهلُ السُّنَّة في ذلك.

٤- صَحيحُ المَقال في مسألةِ شَدِّ الرِّحَال:

وهي رسَالةٌ صَغيرة رَدَّ فيها المؤلِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ علىٰ مقال لأحد الكُتَّاب المُعاصِرين بعُنوان: «مَسجد الخَندَق بالمَدينة المُنوَّرة»، وأَبْطل ما وقَع في مَقالِ هذا الكاتِبِ مِن المُغالطات بشَأن بعضِ المَساجد التي بنيَت بالمَدينَة.

٥- تَنزيهُ الأصحابِ عن تَنقُّصِ أبي تُراب:

رَدَّ فيه المؤلِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ علىٰ مَقالٍ لأحدِ السُّفهاء يُدعَىٰ أبا تُراب الظَّاهري، والذي قد تعرَّض في مقالِه هذا للغضِّ من الصَّحابة عامَّة، ومن أَبي بَكْرٍ وعمرَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا خاصَّة، ومَعلُوم أن التَّعرُّضَ للصَّحابةِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ بالكَلَام الَّذي يَقْتضي التَّنقُّصَ لهم، والغضَّ منهم لا يَصْدر إلَّا من جاهلٍ، أوْ مبغضٍ للصَّحَابة.

٦- تَبرئةُ الخَليفة العادلِ والرَّدُّ علىٰ المُجادل بالباطل:

وهو دِفاعٌ عَن أميرِ المُؤمنين عُمرَ بن عَبد العَزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ، رَدَّ فيه علىٰ أحدِ الجُهَّال المُفتَرين عليه، وأبْطَل كَذِبَه في ادِّعائِه أنَّ عمرَ بن عَبْد العَزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ كَانَ يُغنِّي قَبْل الخلَافَة، ويَصْنع الأَلْحانَ في الغنَاء، مُعتَمِدًا فِي ذَلكَ عَلَىٰ ما نَقَله أبو الفَرَج الأَصْبَهاني في كتَابِ «الأَغَانِي» من الأَكَاذيب والأباطِيل.

٧- الإجابةُ الجَليَّة علىٰ الأسئلةِ الكُويتيَّة:

وهو عِبارةٌ عن جَوابٍ لكِتَاب أَرْسَله أحدُ سُكَّان الكُوَيت، ذكَرَ فيه أقوالًا باطلةً، وأفعالًا سيئةً صَدَرت من رُؤسَاء جَمَاعة يَزْعُمُون أَنَّهم عَلَىٰ عَقيدَةٍ سَليمَةٍ صَحيحَةٍ

مُوافقةٍ للكِتَابِ والسُّنَّة، ويَطلُب السَّائلُ في هذا الكتابِ تَبيينَ حالِ هَؤلاء المُخالِفين.

٨- تَحذيرُ الأمَّة الإسلاميَّةِ من المُحدَثات التي دعَت إليها نَدوةُ الأَهِلَّةِ الكُويتيَّة:

وهو رَدٌّ علىٰ مَن خَالف النُّصوصَ الصَّحيحةَ الصَّريحةَ في رُؤْية الهِلَال، وكَيفيَّة ثُبوتِه، واعتمَد علىٰ الحسابِ الفَلَكي، فبيَّن المُؤلِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنَّ الاعتمادَ علىٰ الحِسَاب في الأَهِلَّة، والعَمَلَ به مُخالفٌ للشَّريعة المُحمَّدية، ومُعارِضٌ لها، ويَلزَمُ عليه إلغاءُ ما شَرعَه رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأُمَّتِه في الأَهِلَّة.

٩- إعلانُ النَّكيرِ علىٰ المَفتُونين بالتَّصوير:

وهي رِسَالةٌ قيِّمةٌ في بيانِ حُكْم تَصْوير ذَوَات الأَرْوَاح، وَمَا وَرَد في ذَلكَ مِن النُّصُوص الصَّحيحَة عَنْ رَسُول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمن كَلَام أَهْل العِلْمِ في مَعْناها، وشَرْح مُقْتضَاها، وكَشْف الشُّبَه الَّتي قَدْ يَتعلَّق بها المُعَارِضُ، وَإيضَاح كَثيرٍ من الحِكَمِ والأَسْرَار الَّتي من أَجْلها حَرَّم اللهُ التَّصويرَ، وحَذَّر منه رسولُهُ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأَنْوَاع التَّحْذير.

١٠- إقامةُ الدَّليل علىٰ المَنْع من الأَنَاشِيد المُلحَّنة والتَّمثيل:

وهي رِسَالةٌ بيَّن فيها المُؤلِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ حُكْمَ الأَنَاشِيد المُلحَّنة التي تُسمَّىٰ بالأَنَاشِيد الإِسْلامية، وحُكْمَ التَّمْثيل الذي قد كثُر فِعلُه في هذا الزَّمان، ويُسمُّونه بالتَّمْثيل الإِسْلامِيِّ، وبيَّن تحريمَ ذلك بالأدلَّة من الكتابِ والسُّنَّة وأقوالِ سَلفِ الأُمَّة، وأبْطَل كلامَ المُخالفين في هذا الأَمْر.

١١- الرِّسَالَة البَدِيعَة في الرَّدِّ علىٰ أهلِ المَجلَّة الخَليعَة:

وهِي رِسالةٌ في الرَّدِّ علىٰ جوابٍ مِن أَحَد المُتصدِّرين للفُتْيا بغَيْر عِلْم أَفْتَىٰ فيه

بتَحلِيل الغِناء، والمُوسيقىٰ، والسِّينما، والتِّلفزيون، وقد نشَرَتْه إحدىٰ المجَلَّات في عدَدٍ لها تحتَ عُنوان: (الغِناء والمُوسيقىٰ والسِّينما والتِّلفزيون لا يقولُ بتَحريمِها إلَّا الجَهَلةُ والمُتزَمِّتُون)، فأبْطَل المُؤلِّفُ رحمه الله ما أدلَىٰ به مُفتي المجَلَّة من الشُّبهات، وموَّه به من الجَهالات، واحِدةً واحدة، بما لا مَزيدَ عليه مما لا يُبقِي لمُبطل أيَّ شُبهة.

١٢- الرَّدُّ الجَمِيل علىٰ أخطاءِ ابن عقيل:

وهو رَدٌّ علىٰ مَقالٍ لأحدِ المُتعصِّبين لابنِ حَزْم الظَّاهريِّ رحمه الله، زعَم فيه كاتِبُه أنَّه لا يعرف مَن قَدح في دِين أبي مُحمَّد وعَدالتِه سِوىٰ اثْنين مِن المُتأخِّرين: أَحدُهما: يُدعىٰ مُولُوس فضل رسُول البدايوني، وثانيهما: أَحَدُ المُعاصرين، يَعني صَاحبَ هذا الرَّد، فأجابَ المُؤلِّفُ رحمه الله بما فيه دَحْضٌ لِزَعْم هذا المُتَعَصِّب.

١٣- إنكارُ التَّكبير الجمَاعِي وغَيْره:

وهي رسَالةٌ في إنكارِ ما يَفعلُه كَثيرٌ من النَّاس في أيَّام العِيدِ مِن التَّكْبير الجَمَاعيِّ بصَوْتٍ رَفِيعٍ، ونَغَمةٍ خَاصَّةٍ، ولا شَكَّ أن هذه طَريقةٌ بِدعِيَّة مُخالِفَة للسُّنَّة، وقد بيَّن المُؤلِّفُ رحمه الله بالأَدلَّة الصَّحيحةِ السُّنَّةَ في ذلِك، وأنَّ التَّكبيرَ لا يَكونُ علىٰ وَتيرَةٍ وَاحِدة، بل يُكبِّر كلٌّ علىٰ حِدَةٍ.

١٤- كتابُ الرُّؤْيا:

وهَذا الكتابُ جَمَع فيه المُؤلِّفُ رحمه الله ما يَتعلَّقُ بالرُّؤْيَا التي يَراها الإنسانُ في مَنامِهِ، وبيَّن أنواعَ الرُّؤْيا وأنَّها علىٰ ثَلاثَة أَقْسَام، وذكَرَ تَفصيلَ كلِّ قِسْمٍ منها، وما يَنبغي أن يَفعلَه مَن رَأىٰ شيئًا منها، وبَيَّن الآدابَ الَّتي تتعلَّق بتَأويلِ الرُّؤْيَا، وغَيْر ذلك ممَّا لَا يَستَغنِي المُسلِمُ عَن مَعرِفَتِه بشَأْن الرُّؤَىٰ وتَفسِيرِها.

وهذا مَا تَيسَّرَ جَمعُه مِن مُؤلَّفات الشَّيخ التويجري رَحِمَهُ اللَّهُ في هذا السِّفْر النَّافع، والجَمْع اليَافِع، ونَسأَلُ اللهَ عَزَّوَجَلَّ أنْ يَعُمَّ نَفعُه، وأنْ يَغفِرَ لمُؤلِّفه، وأن يَرحَمَه رحمةً وَاسِعَة.

وصلَّىٰ اللهُ علىٰ نبيِّنا مُحمَّد وعَلىٰ آلِه وأصْحابِه أَجمَعِين

قسم التحقيق والبحث العلمي





❑ اسمُه ونَسبُه:

هو الشَّيْخ العلَّامَة المُجاهد حِمُود بن عبدِ الله بن حِمُود بن عَبد الرَّحمَن بن عَبد اللهِ بن مقحمِ بن عبد الله التويجري مِن آل جبَّارَة -بتشديد الباء الموحدة التحتية- بَطْن كَبير من قبيلة عنزة القَبيلة الوَائلية الربعيَّة العَدنانيَّة.

❑ مولِدُه ونَشأتُه:

وُلد الشَّيْخُ بمَدينة المجمعة في يوم الجُمعة الخَامس عَشر من شَهر ذي الحجَّة سنةَ أربعٍ وثلَاثين وثَلاثمائة وأَلف (١٣٣٤هـ).

❑ طَلبُه للعِلْم:

ابْتَدأ الشَّيْخُ رحمه الله القِراءةَ في صِباه علىٰ يدِ الشَّيْخ أحمَد الصَّانع عام ١٣٤٢هـ، وذلك قبلَ وفاةِ والدِه رحمه الله بأيام قَلائلَ، وكان عُمُر الشَّيْخ إذ ذاك ثَمانِيَ سَنوات، فتعلَّم علىٰ يديهِ مَبادئَ القِراءة والكتابةِ، ثم حَفِظ القُرآنَ الكَريم، وهو لم يَتجاوَز الحاديةَ عَشرة مِن عُمره.

كمَا قرَأ في هذه السِّنِّ المُبكِّرة مُختصراتِ الكُتب العِلمية في التَّوحيد والحَديثِ والفِقه والفَرائض والنَّحو.

ومما قَرأ علىٰ الشَّيْخ أحمَد الصَّانِع «الأصُول الثَّلاثة» للشَّيخ الإمامِ المُجدِّد مُحمَّد بن عَبد الوَهَّاب رَحِمَهُ اللَّهُ.

□ شُيوخُه:

لمَّا بَلَغ رَحِمَهُ اللَّهُ سِنَّ الشَّبابِ لازَمَ حلقةَ الفَقيه قاضي بلدان سدير الشَّيْخ عَبد الله بن عبد العزيز العنقري، واستمرَّ في القراءة عليه رُبعَ قَرْن، قرأ عليه فيها شتَّىٰ العلومِ والفُنون من التَّوحيد والتَّفسير والحديثِ والفِقه وأصولِها والفَرائض والنَّحو وكُتب السِّيرة والتَّاريخ والأدَب وغيرها.

ومِن الكُتب التي قرَأها عليه:

١- «فَتْح البَاري» للحَافِظ ابن حجَر.

٢- «المُغني» لابن قُدامَة المَقْدسي

٣- «مِنْهاج السُّنَّة النَّبويَّة» لشيخ الإسلام ابن تيميَّة.

٤- «دَرْء تَعارُض العَقل والنَّقل» لشيخ الإسلام ابن تيميَّةَ.

٥- «الفَتاوىٰ المصريَّة الكبرىٰ» لشَيخ الإسلامِ ابنِ تَيميَّة.

٦- «زاد المَعاد» لابن القيِّم.

وطائفَة مِن كُتب شيخ الإسلام ابن تيميَّة وابن القيِّم وأئمَّة الدَّعوة، وغَيرها كَثير.

كما حَفِظ أثناءَ هذه القِراءة عَددًا مِن مُتون العِلْم، فأدرَك عليه إدراكًا تامًّا في كلِّ ما قرَأ، وذلك لمُثابَرته علىٰ الدَّرس، وحِرْصه عليه، ولِمَا لديهِ مِن مَوهِبَة الحِفْظ والفَهْم.

وقد أجَازَه شَيخُه عبدُ الله العنقريُّ إجازةً مُطوَّلة بالرِّواية عنه: كُتب الصِّحاح

والمَسانيد والسُّنن، وكتب شَيخ الإسلام ابنِ تيميَّة وابن القيِّم، والفِقْه الحَنبلي عامَّة، وجَميع مرويَّاته لكُتب الأَثبات، وقبل ذلك حدَّثه بحديثِ الرَّحمة المُسلسَل بالأَوليَّة.

ولمَّا تعيَّن الشَّيْخ عَبدُ الله بن مُحمَّد بن حميد قاضيًا للمجمعة وسدير شَرع في القِراءة عليه، فقرأ عليه في الفِقه والفَرائض واللُّغة.

وقرأ أيضًا علىٰ الشَّيْخ الفقيه العلَّامة محمَّد بن عبد المُحسن الخيال قاضي المَدينة سابقًا، في النَّحو والفرائض.

وقرأ أيضًا علىٰ الشَّيْخ سُليمان بن حمدَان أحدِ قضاة مكَّة المُكرَّمة، وروىٰ عنه مُسلسل الحنابلة بالأَوليَّة، وهو حديث: «**الرَّاحِمُون يَرحَمُهم الرَّحمنُ، ارْحَموا مَن في الأَرْض يَرحَمكُم مَن في السَّماءِ**»[1]. وأجازه أيضًا بجَميع مَرويَّاته للصِّحاح والسُّنن والمَسانيد والأَثْبات، وقد ذكَر ذلك كله الشَّيْخُ حِمُودٌ رحمه الله في ثَبتِه المُسمَّىٰ «إتْحاف النُّبلاء بالرِّواية عَن الأعْلَام الفُضَلاء».

ولمَّا تَضلَّع الشَّيْخ حِمودٌ رحمه الله مِن عُلوم الشَّريعة واللُّغة علىٰ يدِ هؤلاء العُلماء الأَعْلام، وبعَون الله تعالىٰ ثم بِهمَّته وإقبالِه علىٰ تحصيلِ العِلْم - أُلزم بقَضاء بلدة (رحيمة) بالمنطقَة الشَّرقية، وذلك في عام ١٣٦٨هـ، وبعد نحو نِصف سنة نُقل إلىٰ قضاء بَلدة الزلفىٰ، وبَقي قاضيًا فيها حتىٰ عام ١٣٧٢هـ، ثم طلب الإعفاءَ مِن القَضاء فأُعفِي.

❑ مؤلفاته:

كانت للشَّيخ حِمُودٍ رحمه الله هِمَّةٌ عالية بالعِلْم والبَحْث فيه، ولذا فرَّغ وقْتَه له،

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٩٤١)، والترمذي (١٩٢٤) وغيرهما، من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٩٢٥).

فصار يؤلِّف الكُتبَ الكِبار والصِّغار، وصار فيها فائدةٌ ونفعٌ كبير، ذلك أنه تصدىٰ للتأليف في مسائل قد وقع الناسُ فيها، أو يؤلِّف في أُمور أُحدثت في المُجتمع، فتصدَّىٰ لمِثل هذه الأمور وبيَّنها وأَوضَحها بالأدلَّة القَوية والحُجَج الوَاضحة، فصار لها القبولُ، وصارت فيها الفَائدة.

وكان نَهارُه يُخصِّصُه للعِلم بحثًا وكتابةً، منذ بُزوغ الشَّمس إلىٰ غُروبها، إلىٰ صلاة العشاء، وربَّما جلَس بعد صلاةِ العشاء قليلًا بمَكتبتِه يكمل ما ابتدأه بالنَّهار، وذلك في آخرِ حياته. وأما ليلُه فيَقضي جزءًا كبيرًا منه في التَّهجُّد والصَّلاة، حضرًا كان أو سفرًا.

وقد بلغت مؤلفات الشَّيْخ رَحِمَهُ اللهُ أكثرَ من خمسين كتابًا ورسالَة، طُبع منها نحو أربعين، ومن تلك المؤلفات:

١- إتحاف الجَماعة بما جاء في الفِتن والمَلاحم وأشراط السَّاعة.

٢- الاحْتِجاج بالأثَر علىٰ مَن أنكر المَهدي المُنتظر.

٣- إثبات عُلوِّ الله ومبايَنته لخَلقه والرَّدُّ علىٰ مَن زعَم أن معيَّةَ الله للخَلْق ذاتيَّة.

٤- تُحفةُ الإخوان بما جاء في المُوالاة والمُعاداة والحُبِّ والبُغْض والهجْران.

٥- القَول المُحرَّر في الأمرِ بالمَعروف والنَّهي عن المُنْكر.

٦- الرَّدُّ علىٰ مَن أباح الرِّبَا الجاري في بعضِ البُنوك.

٧- تَغليظُ المَلام علىٰ المُتسرِّعين في الفُتيا وتَغييرِ الأَحْكام.

٨- الإيضَاح والتَّبيين لِمَا وقَع فيه الأكثَرون مِن مُشابهة المُشركين.

٩- قَصَص العُقوبات والعِبَر والمَواعظ.

١٠- إيضَاح المَحجَّة في الرَّدِّ علىٰ صاحِب طنْجَة.

١١- الرَّدُّ القَوي علىٰ الرِّفاعي والمَجهول وابنِ علوِي وبيان أخطائهم في المَوْلد النبوي.

١٢- الانْتِصار علىٰ مَن أَزرىٰ بالمُهاجرين والأنصار.

١٣- السِّراج الوَهَّاج لمَحو أباطيل أحمَد شَلبي عن الإسراءِ والمِعراج

١٤- إنكار التَّكبير الجَماعي وغَيره، وهو أول كتاب طُبع له.

١٥- إتْحاف النُّبلاء بالرِّواية عن الأعلام الفُضلاء.

١٦- الإجَابة الجَلية عن الأسْئِلة الكُويتِيَّة.

١٧- إعْلان النَّكير علىٰ المَفتونين بالتَّصوير.

١٨- إقَامةُ البُرهان في الرَّدِّ علىٰ مَن أنكَر خُروج المَهدي والدَّجَّال ونُزول المَسيح في آخِر الزَّمَان.

١٩- تَحذير الأُمَّة الإسلاميَّة مِن المُحدثات التي دَعَت إليها نَدوةُ الأَهِلَّة الكُويتِيَّة.

٢٠- تَحريمُ الصُّور والرَّدُّ علىٰ مَن أَباحَه.

٢١- تَنبيه الإخْوان علىٰ الأَخْطاء في مَسألة خَلْق القُرآن.

٢٢- الدَّلائل الوَاضحات علىٰ تَحريم المُسْكرات والمُفتِّرات.

٢٣- ذَيْل الصَّواعِق لمَحْو الأَباطِيل والمَخارق.

٢٤- الرَّدُّ الجَميلُ علىٰ أخطاءِ ابنِ عقيل.

٢٥- الرَّدُّ علىٰ الكاتِب المَفتون.

٢٦- الرَّدُّ علىٰ مَن أجاز تَهْذيب اللِّحْيَة.

٢٧- الرَّدُّ القَويم علىٰ المُجْرم الأثِيم.

٢٨- كِتاب الرُّؤْيا.

٢٩- الصَّارم البتَّار للإجهَاز علىٰ مَن خالف الكتابَ والسُّنةَ والإجماعَ والآثار.

٣٠- الصَّارم المَشهور علىٰ أهل التَّبرُّج والسُّفور.

٣١- الصَّواعق الشَّديدة علىٰ أتباع الهَيئة الجَديدة.

٣٢- عَقيدة أهل الإيمانِ في خلق آدمَ علىٰ صُورة الرَّحْمن.

٣٣- فَتْح المَعبود في الرَّدِّ علىٰ ابنِ مَحمُود.

٣٤- فَصْل الخِطَاب في الرَّدِّ علىٰ أبي تُراب.

٣٥- القَول البَليغ في التَّحذير مِن جَماعة التَّبليغ.

٣٦- التَّنبيهات علىٰ رسالةِ الألباني في الصَّلاة.

٣٧- إقامةُ الدَّليل علىٰ المَنْع من الأناشيدِ المُلحَّنَة والتَّمْثيل.

٣٨- الشُّهُب المَرميَّة لمَحْق المَعازفِ والمَزامير وسائرِ المَلاهي بالأدلَّة النَّقلية والعَقلية.

٣٩- دَلائل الأثَر علىٰ تحريم التَّمثيل بالشِّعر.

٤٠- تَبْرئة الخَليفة العادِل والرَّدُّ علىٰ المُجادل بالباطِل.

٤١- الرِّسالة البَديعة في الرَّد علىٰ أهل المجلَّة الخَليعة.

وقد قدم الشَّيْخ العلَّامة عبدُ العزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ عددًا من هذه الكُتب.

وقد تصدَّىٰ الشَّيخُ حِمودٌ رَحِمَهُ اللَّهُ لكُلِّ مَن حادَ عَن سبيلِ الله مِن الكُتَّاب المُعاصرين، وجعل يرُدُّ عَليهم بقَلَمِه، مُنافحًا عن السُّنَّة، مُدافعًا عن العَقيدةِ الصَّحيحة؛ عَقيدة أهْل السُّنَّة والجَماعَة، ورُبَّما نشر ذلك في كِتابات ومَقالات في بَعض الصُّحف المَحلية والخارجيَّة.

وكان يَعرض بعضَ ما يَكتُبه من الرُّدود علىٰ سماحة الشَّيْخ الإمام مُحمَّد بن إبراهيم رَحِمَهُ اللَّهُ، مما جعل سَماحة الشَّيْخ مُحمَّد يُقدِّر له هذا المَجهود في الرَّدِّ علىٰ المُخالفين، وكان سماحتُه يُكِنُّ للشَّيخ حِمودٍ مَحبَّةً عَظيمَة، فقد ذَكر بعضُ تَلاميذ سماحة الشَّيْخ الإمام مُحمَّد بن إبراهيم رَحِمَهُ اللَّهُ أنه كان يُحبُّ الشَّيْخ حِمُود التويجري رَحِمَهُ اللَّهُ، حتىٰ إنه ذاتَ مرَّةٍ رأىٰ الشَّيْخ حِمُود يقرأ علىٰ الشَّيْخ مُحمَّد أحد رُدودِه التي أَلَّفها ضِدَّ بعضِ المُبتدعة، فلما نَهَض الشَّيْخ حِمُود وانْصرَف قال الشَّيْخ مُحمَّد: «الشَّيْخ حِمُود مُجاهِد جزاه اللهُ خيرًا».

كما أنَّ للشَّيخ حِمُود رَحِمَهُ اللَّهُ تَعليقات وتَعقيبات وتَصويبات علىٰ ما يَقرأ، مِن ذلك تَعليقات كثيرة علىٰ نُسخة «مُسند الإمام أحمد بن حنبل» المَطبوعة بتحقيق أحمد شاكر، وتَعليقات علىٰ «فتح الباري»، وتَعقيبات علىٰ «مُستدرك الحاكم» دوَّنَها بهَامِشه.

□ تَلاميذُه:

شَغَل الشَّيْخ حِمُودٌ رَحِمَهُ اللَّهُ نَفسَه بالتَّأليف والبَحث عن الجُلوس لطُلَّاب العِلْم، وهذا ما جَعل الآخذين عنه قِلَّة، منهم علىٰ سَبيل المِثال لا الحَصْر:

- عَبدُ الله الرُّومِي.

- عَبْد الله بن مُحمَّد بن حِمُود.

- أبناؤه: الدُّكتور عَبد الله، ومُحمَّد، وعَبد العَزيز، وعَبْد الكَريم، وصَالِح، وإبراهيم، وخالِد.

□ أخلَاقُه:

كان الشَّيخُ رَحِمَهُ اللَّهُ يَتَّسِم بخُلُق جَمٍّ، وأَدبٍ رَفِيع، وكان وقَّافًا عند حُدود الله.

وقال مرَّةً بمُناسبة صُدور جائزةِ المَلك فَيْصل العالميَّة : «إنَّ الشَّيْخ ناصِر مِن أحَقِّ مَن يُعطاها لخِدمَتِه للسُّنَّة». ولقد دعاه الشَّيْخُ إلىٰ مَنزله حين زارَ الألبانِيُّ الرِّياضَ في عَام ١٤١٠هـ.

وقد وصَفَه عارِفُوه بالتُّقىٰ والصَّلاح والإقْبالِ علىٰ الله تعالىٰ بأنْواع العبادات، فهو مِن التَّالين لكتابِ الله، ومِن أصحابِ التَّهجُّد والصَّلوات، ومِن المُعرِضين عمَّا لا يُفيد ولا يَنفَع، ولذا فإنَّك لا تَجدُه إلا مُتعبِّدًا أو باحِثًا، هذا مع بُعده عن الظُّهور وجَلْب الأَتْباع، وإنما عليه السَّكينة والوَقار مع تَواضُع وحُسْن عِشْرَة.

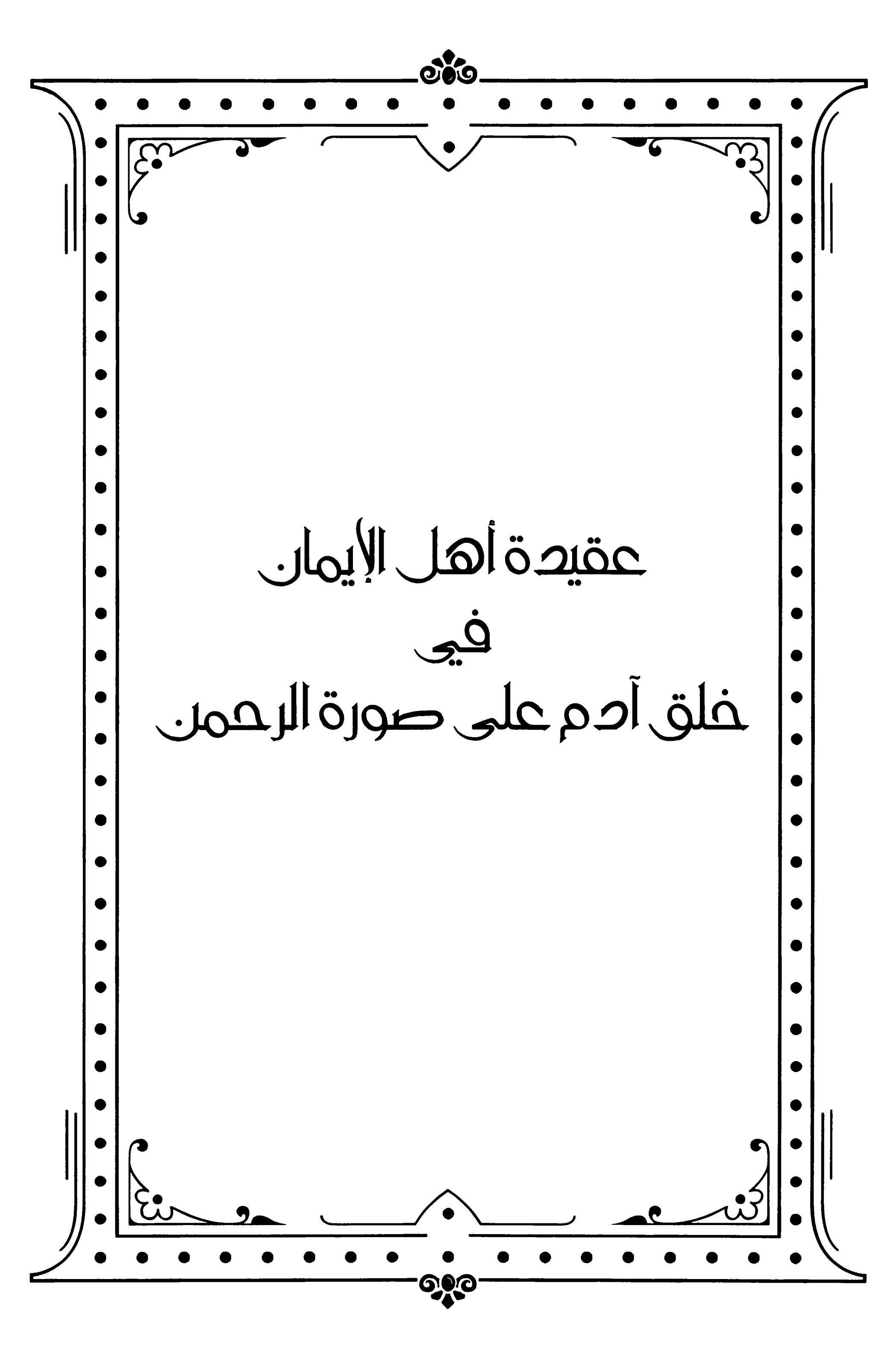
وللشَّيخ حِمُودٍ هِمَّةٌ عَجيبة، ولا يُحبُّ الاعتمادَ علىٰ الغَيْر، وإن كان مِن أَقربِ النَّاس إليه، يقول أبناؤه: ما كان الشَّيْخُ يَطلُب من أحدٍ شيئًا البَتَّةَ، وحتىٰ بعد أن ضَعُفَت صِحَّتُه، فكان يَقومُ بإعدادِ الشَّاي والقَهْوة بنفْسِه، مع إلحاحِ أبنائه عليه بعَدَم

فِعْل ذلك راحةً لجَسدِه، بل إن الشَّيخَ رَحِمَهُ اللَّهُ كان خادِمَ رفْقَتِه في السَّفَر، حتىٰ وقد تَقدَّمت به السِّنُّ، مع حظْوَتِه وتَقديرِ الرفْقةِ العَظيمِ لَه، وقد يقومُ بإعدادِ الطَّعام، ومِن ذلك أنه كان يقومُ اللَّيلَ الآخِر كعادَته، ثم يَضطَجِعُ اضْطِجاعةً خَفيفةً حتىٰ يَحينُ وَقتُ الصُّبح، فيُسخِّنُ الماءَ لرفْقتِه مِن أجل الوُضُوء.

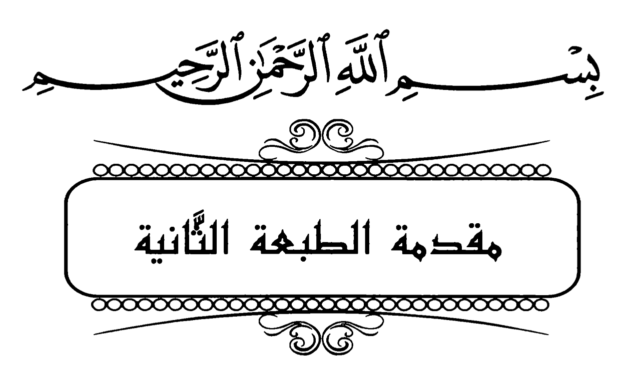
وقد اكْتَفىٰ ببعضِ التِّجارات التي لم يَكُن يَليها بنفسِه، فكان زاهدًا في الدُّنيا، وقَبْل وفاتِه أعطىٰ أكبَرَ أبنائه جَميعَ ما يَملِك -ولم يَكن شيئًا كبيرًا- ليَتصَدَّقَ به كُلِّه، فلم يُخلِّف رَحِمَهُ اللَّهُ وراءه عقارًا أو مالًا، سوىٰ البَيت الذي يَعيشُ فيه مع أبنائه.

□ وَفاتُه:

تُوفِّيَ رَحِمَهُ اللَّهُ في مَدينةِ الرِّياض آخرَ سَاعةٍ مِن يومِ الثُّلاثاءِ المُوافق ٥/ ٧/ ١٤١٣هـ، عَن عُمر يُناهز ٧٨ عامًا وسِتَّة أشهر وعِشرين يومًا، وصُلي عليه في مَسْجد الرَّاجِحِي، وقد أَمَّ المُصلِّين سَماحةُ الشَّيْخ ابن بَازٍ رحمه الله تَعالىٰ، ودُفِن في مَقبرةِ النسيم، وشَهِد جنَازَتَه جَمْعٌ كَبير مِن النَّاس فِيهم العُلماء وطُلَّاب العِلْم، فرحِمهُ اللهُ تَعالىٰ رَحمةً واسِعَة، وأَسكَنَه الفِردَوسَ الأَعْلَىٰ مِن الجَنَّة.



عقيدة أهل الإيمان
في
خلق آدم على صورة الرحمن



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مقدمة الطبعة الثَّانية

الحمدُ لله ربِّ العالَمين، وصلَّىٰ اللهُ وسلَّم علىٰ نبيِّنا مُحمَّد، وعلىٰ آلِه وأصحابِه أجمعين، ومَن تبِعهم بإحسانٍ إلىٰ يوم الدِّين.

أمَّا بَعدُ: فإنَّ هذه هي الطَّبعة الثَّانية لكتاب «عقيدة أهل الإيمان في خلق آدم علىٰ صورة الرحمن»، وهي تمتازُ عَن الطَّبعةِ الأُولىٰ بأربعة أشياء:

أولها: تصديرُ الكتاب بتقريظ صاحب الفضيلة الشَّيخ عبد العَزيز بن عبد الله بن باز.

الثَّاني: تصحيحُ كثيرٍ من الإشْكالات الواقعة في كلام شيخ الإسْلَام أبي العباس ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ، علىٰ نسخةٍ أخرىٰ خَطِّيَّة، قد كُتبت في القَرن الثَّامن من الهجرة بعد وفاة شيخ الإسْلَام ابن تيمية بأربعٍ وأربعين سنة. وقد جاء في آخر هذه النُّسخة ما نصُّه: «فَرغ منها كاتبُها أبو بكر المقدسي بتاريخ العِشرين من شهر جُمادىٰ الأولىٰ سنة اثنتين وسَبعين وسبعِمائة، في القَاهرة المُعِزِّيَّة».

الثَّالث: تَذييل الكِتَاب بجواب العلَّامة الشَّيخ عَبد الله بن عَبْد الرَّحْمن أبا بَطِين رَحِمَهُ اللَّهُ عَن حَدِيث الصُّورة. وهو مع اختصارِه مفيدٌ جدًّا، ومُطابقٌ لجَواب شيخ الإسْلَام ابن تَيميَّة عَن حَدِيث الصُّورة، فليُراجع.

الرَّابع: ما ذُكر في التَّعليق علىٰ جواب الشَّيخ عَبْد الله بن عَبْد الرَّحْمن أبا بَطِين رَحِمَهُ ٱللَّهُ، أنه قد طُبع مرَّتين ضِمن الأجوبة النَّجدية، بأمْر المَلِك عَبْد العزيز بن عَبْد الرَّحْمن آل سُعود رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وعلىٰ نَفقته. وأن دارَ الإفتاء في المَملكة العربيَّة السُّعودية طبعته مرَّتَين؛ أُولاهما بأمْر المَلِك فَيصل بن عَبْد العزيز آل سُعود رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وكانت دار الإفتاءِ حينذاك تحت رئاسَة العلَّامة الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيمَ آل الشَّيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ. وفي التَّعْليق أيضًا ذِكْر مَن قرَّظ الأجوبةَ النَّجدية مِن أكابر العلماء في القَرن الرَّابع عشْر من الهجرة. فليُراجع التَّعْليق المُشار إليه، فإنَّه مُهِمٌّ جدًّا، واللهُ المُوفِّق.

المؤلِّف

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المَملكة العربيَّة السُّعودية... الرَّقم (٣٨٠/خ).

رِئاسة إدارَات البُحوث العلميَّة والإفتاءِ والدَّعوة والإرشَاد... التَّاريخ: ٣٠/٣/١٤٠٨هـ.

مكتب الرئيس... المرفقات:..........

الموضوع:..............

الحمدُ لله وحده، والصَّلاة والسَّلامُ علىٰ مَن لا نبِيَّ بَعده، وعلىٰ آلِه وأصحابِه، ومَن اهتدىٰ بهداه، أما بعدُ:

فقد اطَّلعتُ علىٰ ما كتبَه صاحبُ الفضيلة الشَّيخ حِمُود بن عَبْد الله التويجري -وفَّقه اللهُ وبارَك في أعماله- فيما وَرد مِن الأحَادِيث في خَلْق آدمَ علىٰ صُورَة الرَّحْمن، وسمَّىٰ مُؤلَّفه في ذلك «عَقيدة أهلِ الإيمانِ في خلْق آدمَ عَلَىٰ صُورَة الرَّحْمن»، فأَلفَيْتُه كتابًا قيِّمًا، كثيرَ الفائدةِ، قد ذَكر فيه الأحَادِيثَ الصَّحِيحة الوَاردةَ في خَلْق آدمَ عَلَىٰ صُورَة الرَّحْمن، وفيما يتعلَّق بمَجيء الرَّحْمن يوم القِيامَة عَلَىٰ صُورته، وقد أجادَ وأفادَ، وأوضَح ما هو الحقُّ في هذه المَسْألة.

وهُو أنَّ الضَّميرَ في الحَدِيث الصَّحِيح في خَلْق آدمَ عَلَىٰ صُورتِه يَعود إلىٰ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، وهو مُوافق لما جاء في حَدِيث ابن عُمر: «أنَّ اللهَ خَلَق آدمَ عَلَىٰ صُورَة الرَّحْمن»، وقد صححَّه الإمَام أحْمَد، وإسْحاقُ بن رَاهويه، والآجُرِّيُّ، وشَيخ الإسْلَام ابنُ تيميَّة، وآخَرون مِن الأئمَّةِ رَحمةُ الله عليهم جميعًا، وقد بيَّن كثيرٌ مِن الأئمَّة خَطأَ الإمَام ابن خُزيمَةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في إنْكار عَود الضَّمير إلىٰ اللهِ سُبحانه في حَدِيث ابن عُمر.

والصَّواب ما قاله الأئمَّةُ المَذكورون وغيرُهم في عَود الضَّمير إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ بلا

كَيْف، ولا تَمثيل، بَل صُورَة الله سُبْحانَه تَليقُ به وتُناسبُه كسائر صِفَاته، ولا يُشابِهُه فيها شيءٌ مِن خَلْقه سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، كما قالَ عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ۝٣ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ۝٤﴾ [الإخلاص: ١ - ٤]، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ۝١١﴾ [الشورى: ١١]، وقال سُبْحانَه: ﴿هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ۝٦٥﴾ [مريم: ٦٥]، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَلَا تَضۡرِبُواْ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡثَالَۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ۝٧٤﴾ [النحل: ٧٤].

والآياتُ في هذا المَعْنىٰ كَثِيرة، والواجِبُ عَلَىٰ أَهْل العِلْم والإيمانِ إمرارُ آيات الصِّفَات، وأحَادِيثها الصَّحِيحة كما جاءت، وعَدم التَّأويل لها بما يُخالف ظاهرَها، كما درَج عَلَىٰ ذلك سلفُ الأُمَّة وأئمَّتُها، مع الإيمَان بأنَّ الله سُبْحانَه ليس كمِثْله شيءٌ في صُورته، ولا وَجهِه، ولا يَده، ولا سائر صِفَاته، بَل هو سُبْحانَه له الكَمَال المُطلق مِن جَميع الوُجوه في جَمِيع صِفَاته، لا شَبيهَ له، ولا مِثْلَ له، ولا تُكيَّفُ صِفَاتُه بصِفات خلقِه، كَمَا نصَّ عَلَىٰ ذلك سلفُ الأُمَّة وأئمَّتُها من أصحابِ النَّبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأتباعِهم بإحسانٍ رحمهم الله جَمِيعًا، وجعلَنا مِن أتباعهم بإحسان.

ومَن تأمَّل ما كتبه أخونَا العلَّامة الشَّيخ حِمُود التويجري في هذا الكِتَاب، وما نقَلَه عَن الأئمَّة اتَّضح له ما ذكرنَا، فجزاه الله خيرًا، وزاده من العِلم والإيمَان، وجعلَنا وإيَّاه وسائرَ إخواننا مِن أنصار السُّنَّة والقُرآن، إنَّه وَلِيُّ ذلك والقَادرُ عليه.

وصلىٰ الله وسلَّم وبارَك عَلَىٰ عبدِه ورسُولِه نبيِّنا مُحمَّد، وآلِه وأصحابِه، ومَن استقام عَلَىٰ نَهْجه إلىٰ يومِ الدِّين.

عَبد العَزيز بن عَبْد الله بن بَاز

الرَّئيس العام

لإدارات البُحوث العِلمية والإفتاء والدَّعوة والإرشَاد

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحَمدُ للهِ الَّذي خَلق آدمَ بيَديْه، وخلَقه عَلَىٰ صُورَته، ونَفخ فيه مِن رُوحه، وعلَّمه الأسماءَ كلَّها، وأمرَ المَلائكةَ أن يَسجدوا له، وفضَّله بهذه المَزايا عَلَىٰ سائر المَخلوقات، واللهُ ذو الفَضْل العَظيم. وأشهدُ أن لا إلهَ إلَّا اللهُ وحده لا شريكَ له، وأشهدُ أن مُحمَّدًا عبدُه ورسولُه، وخِيرتُه مِن خَلْقه، صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلِه وأصْحابه، ومَن تَبِعهم بإحسَان إلىٰ يومِ الدِّين، وسلَّم تسليمًا كثيرًا.

أما بَعدُ: فقد ثَبَت عَن النَّبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِن طُرقٍ كَثِيرةٍ أنَّه قال: «**إنَّ اللهَ تَعالَىٰ خَلَق آدمَ عَلَىٰ صُورَته**»(١)، وقد قال شَيخُ الإسْلَام أبو العبَّاس ابنُ تَيميَّة -رحمه الله تَعالَىٰ- في رَدِّه عَلَىٰ الرَّازي: إن هذا الحَدِيث مُستفيضٌ مِن طُرق مُتعدِّدة، عَن عدَد من الصَّحابَة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، وأنَّه لم يكن بين السَّلف مِن القُرون الثَّلاثة نِزَاعٌ في أن الضَّميرَ عائدٌ إلىٰ الله تَعالَىٰ، وأن سياقَ الأحَادِيث كلِّها تدلُّ عَلَىٰ ذلك.

وقال أيضًا: إن الأُمَّة اتَّفقت عَلَىٰ تبليغِه وتَصديقه، ولكن لمَّا انتشرتِ الجَهْمِيَّة في المِائة الثَّالثة جعل طَائفةٌ الضَّميرَ فيه عائدًا إلىٰ غير الله تَعالَىٰ، وسيأتي كلامُه في الرَّدِّ عَلَىٰ هذه الطَّائفة مُستوفًىٰ إن شاء الله تَعالَىٰ.

والقولُ بأن الضَّمير فيه عائدٌ إلىٰ غير الله تَعالَىٰ هو قول الجَهْمِيَّة ومَن تَبِعهم عَلَىٰ قولهم البَاطل مِن عُلماء أهْل السُّنَّة في المِائة الثَّالثة فمَا بَعْدها. وقد ذهَب إليه كثيرٌ مِن الأكَابر المَشهورين، وأصْحاب المُصنَّفات الكَثيرة في أنواعِ العُلوم. وقَانا اللهُ

(١) أخرجه البخاري (٦٢٢٧)، ومسلم (٢٨٤١) من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

وسائرَ المُسْلِمين مِنَ اتِّباع زلَّاتِهم.

ولا يَزالُ القَول بمَذْهب الجَهْمِيَّة مُستمِرًّا إلىٰ زمانِنا، وقد رأيتُ ذلك في بعض مؤلَّفات المعاصرين، وتَعليقاتِهمُ الخاطِئةِ. وذُكر لي عَن بعض المُنتسبين إلىٰ العِلْم أنَّه أَلقىٰ ذلك عَلَىٰ الطَّلبة في بعض المَعاهد الكبار في مدينة الرِّياض. ولمَّا ذَكر له بعضُ الطلبة قولَ أهْل السُّنَّة أعرضَ عنه، وأصرَّ عَلَىٰ قول الجَهْمِيَّة. عافانا اللهُ وسائرَ المُسْلِمين مما ابتلاه به.

وقد استعنتُ بالله تَعالَىٰ، وابتدأتُ في الكِتَابة فيما يتعلَّق بحديث الصُّورة. وسأذكر -إن شاءَ اللهُ تَعالَىٰ- قولَ أهْل السُّنَّة فيه، وأَذكر أيضًا ما خالفَه مِن أقوال أهل الكَلام البَاطل، واللهُ المَسئُول أنْ يُرِيَني وإخواني المُسْلِمين الحقَّ حقًّا ويَرزقنا اتِّباعَه، ويُرينا البَاطلَ باطلًا ويَرزقنا اجتنابَه، ولا يَجعله مُلتبسًا علينا فنَضِلَّ. واللهُ المُستعان، وهو حَسبُنا ونِعْم الوَكيل.

فصل

قال عَبْد الرَّزاق في «مُصنَّفِه»[١]: أخْبَرَنا مَعمَر، عَن همَّام بن مُنبِّه، عَن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**خَلقَ اللهُ آدمَ عَلَىٰ صُورَته طُولُه ستُّون ذِراعًا، فلمَّا خَلقَه قال: اذْهبْ فسَلِّم عَلَىٰ أولئك النَّفَر -وهم نفرٌ من المَلائكة جلوسٌ- فاسْتَمِع إلىٰ ما يُجيبونك، فإنَّها تَحيَّتُك، وتَحِيَّة ذُرِّيَّتك، قال: فذَهب فقال: السَّلامُ عَليكم، فقالوا: السَّلامُ عَليكَ ورَحمةُ اللهِ، فزادُوه: ورَحمَةَ اللهِ، قالَ: فكُلُّ مَن**

(١) (١٠/ ٣٨٤) (١٩٤٣٥) ط: المكتب الإسلامي - بيروت.

يَدخل الجنَّةَ عَلَىٰ صُورَة آدمَ طُولُه ستُّون ذراعًا، فلم يَزل الخَلْق يَنقصُ حتَّىٰ الآنَ»، وقد رَواهُ الإمَام أحْمَد، والبُخَارِي، ومُسْلم، وابنُ خُزَيْمَةَ في كتَاب «التَّوْحيد»، كلُّهم مِن طَريق عَبْد الرَّزَّاق(١).

وقال الإمَام أحْمَدُ: حَدَّثنا أبو عامِر -يَعْنِي عَبْدَ المَلِك بن عَمرو العَقدي-، عَن المُغيرة بن عَبْد الرَّحْمن، عَن أبي الزِّناد، عَن موسىٰ بن أبي عُثمان، عَن أبيه، عَن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ خلَق آدمَ عَلَىٰ صُورَته، وطُولُه ستُّون ذِراعًا**»(٢)، إسنادُه لا بأسَ به. وقد رَواهُ ابن خُزَيْمَةَ في كتاب «التَّوْحيد»(٣)، والدَّارَقُطْنِي في كِتَاب «الصِّفَات»(٤) مِن طَريق أبي عامر.

وقال عَبْد الله ابنُ الإمَام أحْمَد في كِتَاب «السُّنَّة»(٥): حَدَّثنا أبي، عَن عَبْد الرَّحْمن بن إسحاقَ، عَن أبي الزِّناد، عَن الأعْرَج، عَن أبي هُرَيرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَال: قال رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**خَلَق اللهُ آدمَ عَلَىٰ صُورَته، وطُولُه ستُّون ذِراعًا**». قال ابنُ حَجر في «تَهْذيب التَّهذيب»(٦): قال المَرُّوذِي، عَن أحْمَد أنَّه قال في عَبْد الرَّحْمن بن إسحاقَ: أمَّا ما كتَبْنا من حَدِيثه فصَحِيح.

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٣١٥) (٨١٥٦)، والبخاري (٦٢٢٧)، ومسلم (٢٨٤١)، وابن خزيمة في «التوحيد» (١/ ٩٣) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ٣١٥) (٨١٥٦)، وصححه الألباني بمجموع طرقه في «الصحيحة» (١٠٧٧).

(٣) (١/ ٩٢).

(٤) (١/ ٦٤).

(٥) (٢/ ٤٧٩).

(٦) (٦/ ١٣٩).

قلتُ: وعلىٰ هذا فهذا الحَدِيث صَحِيح. ويَشهد له، وللحَديث الَّذي قبله ما تقدَّم من حَدِيث همَّام بن مُنبِّه، عَن أبي هُرَيرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وقال الإمَام أحْمَد: حَدَّثنا سُليمانُ بن داودَ -يَعْنِي أبا داودَ الطَّيالسِي- أخْبَرنا المُثنَّىٰ- وهو ابنُ سَعيد الضبعي- عَن قتادةَ، عَن أبي أيوبَ -وهُو يَحيىٰ بن مالكٍ المَراغي- عَن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ أنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إذا قاتَلَ أحدُكم فلْيَتَّقِ الوَجهَ، فإنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ خلَقَ آدمَ علَىٰ صُورَته**»(١)، إسْناده صَحِيح علَىٰ شَرط مُسْلم.

ورَواه أحْمَدُ أيضًا، عَن عَبْد الرَّحْمن بن مَهدي قال: حَدَّثنا المُثنَّىٰ بن سعيد، وبَهْزٌ، قَالَا: حدَّثنا همَّام، عَن قتادة، عَن أبي أيوبَ، عَن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إذا قاتلَ أحدُكم فليَجتَنِبِ الوَجهَ -قال ابنُ مَهْدي- فإنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ خلَقَ آدمَ علَىٰ صُورَته**»(٢)، إسْناده صَحِيح علَىٰ شرط البُخَارِي، ومُسْلم. وقد رَواهُ مُسْلم(٣)، وابنُ خُزَيْمَةَ في كِتَاب «التَّوْحيد»(٤)، عَن نصر بن علي الجَهْضَمي، عَن أبيه، عَن المُثنَّىٰ بن سعيد، عَن قَتادَة، عَن أبي أيُّوبَ، عَن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ورواه مُسْلم أيضًا، عَن مُحمَّد بن حاتِم، عَن عَبْد الرَّحْمن بن مهدي، عَن المثنىٰ بن سعيد، عَن قتادة، عَن أبي أيُّوب، عَن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إذا

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٥١٩) (١٠٧٤٣).

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ٤٦٣) (٩٩٦٣).

(٣) (٢٦١٢).

(٤) (١/ ٨٤).

قاتَلَ أحدُكُم أخَاه فليَجتَنِبِ الوَجهَ، فإنَّ اللهَ خَلقَ آدَمَ عَلَىٰ صُورَته»(١).

وقَال الإمَام أحْمَدُ: حَدَّثنا سُفيانُ، عَن أبي الزِّنَاد، عَن الأعْرَج، عَن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَن النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إذا ضَربَ أحدُكم فليَجتَنبِ الوَجهَ، فإنَّ اللهَ خَلقَ آدَمَ عَلَىٰ صُورَته**»(٢)، ورَوَاهُ الحُميدي، عَن سفيانَ بمِثله(٣)، وقد رَواهُ مُسْلم مِن طَريق سُفْيان بن عُيَيْنة، عَن أبي الزِّنَاد، ولم يَذْكُرْ مِن لَفظِه سِوىٰ قولِه: «**إذا ضَربَ أحدُكُم**»(٤)، ورَوَاهُ أبو بَكر الآجُرِّي في كِتَاب «الشَّريعة»(٥) مِن طَريق سُفْيان، عَن أبي الزِّنَاد، عَن الأَعْرج، عَن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَن النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بمِثل رِوَايَة أحْمَد. وفي رِوَايَة له بهذا الإسْنَاد: أنَّ رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لا تُقَبِّحُوا الوَجْهَ، فإنَّ اللهَ تَعالَىٰ خَلقَ آدَمَ عَلَىٰ صُورَته**»(٦).

وقَال الإمَامُ أحْمَدُ: حَدَّثنا يَحيىٰ بن سَعيدٍ، قال: حَدَّثنا ابن عَجْلانَ، قال: حدَّثني سَعيدٌ -يَعْنِي المَقْبُرِيَّ-، عَن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إذا ضَربَ أحدُكم فَلْيَجْتَنِب الوَجْهَ، ولا يَقُل: قبَّح اللهُ وَجهَك، ووَجْهَ مَن أَشبَه وَجهَك، فإنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ خَلَقَ آدمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَىٰ صُورَته**»(٧)، رجالُه رجال الصَّحِيح

(١) أخرجه مسلم (٢٦١٢).

(٢) «مسند أحمد» (٢/ ٢٤٤) (٧٣١٩)، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح علىٰ شرط الشيخين.

(٣) «مسند الحميدي» (٢/ ٢٧١) (١١٥٤).

(٤) أخرجه مسلم (٢٦١٢).

(٥) (٣/ ١١٤٧) (٧٢١).

(٦) «الشريعة» للآجري (٣/ ١١٥١) (٧٢٢).

(٧) «مسند أحمد» (٧٤١٤)، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده قوي.

سِوىٰ ابن عَجْلان، وقد روىٰ له مُسْلم في المُتابعات، ووثَّقه ابن عُيَينة، وأحْمَد، وابنُ مَعِين، وأبو زُرْعَة، وأبو حاتِم، والنَّسَائِي، والعِجْلي. ولِحديثِه هذا شَواهدُ مما تقدَّم، وبهذا يَرتَقي إلىٰ درجةِ الصَّحِيح.

وقد رَواهُ ابنُ أبي عاصِم، وعبد الله ابن الإمَامِ أحْمَد في كتابي «السُّنَّة» لَهما(١)، وابن خُزَيْمَةَ في كِتَاب «التَّوْحيد»(٢)، والدَّارَقُطْنِي في كِتَاب «الصِّفَات»(٣)، وأبو بكر الآجُرِّي في كِتَاب «الشَّريعة»(٤)، والبَيهقِيُّ في كِتَاب «الأسماء والصِّفَات»(٥) كلُّهم مِن طَرِيق يحيىٰ بن سعيد، عَن ابن عجلان. ورَوَاهُ ابن أبي عاصم(٦)، وابن خُزَيْمَةَ(٧) أيضًا مِن طَريق اللَّيث، عَن ابن عجلان.

وقد رُوي بإسْنَاد ضَعيف، عَن الإمَام مالكٍ، أنَّه أنْكَر هذا الحَدِيث مع اشتِهاره، وكثْرَةِ مَن رَواهُ من التَّابعين، عَن أبي هُرَيرةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، ومن رَواهُ مِن أتباع التَّابعين، ومَن بعدهم مِن الأئمَّة.

قال أبو جعفر العُقيلي في كِتَاب «الضُّعفاء الكبير»(٨): حَدَّثنا مِقدامُ بن داوُدَ(٩)،

(١) «السنة» لابن أبي عاصم (١/ ٢٢٩) (٥١٩)، و«السنة» لعبد الله بن أحمد (٢/ ٤٧٠) (١٠٦٨).

(٢) (١/ ٨١).

(٣) (١/ ٥٦).

(٤) (٣/ ١١٥٢).

(٥) (٢/ ٦٣) (٦٣٩).

(٦) (١/ ٢٢٩) (٥١٩).

(٧) (١/ ٨١).

(٨) (٢/ ٢٥١) (٨٠٦).

(٩) مِقدامُ بن داوُدَ بن عيسىٰ بن تليد الرعيني، أبو عمرو المصري، تكلَّم فِيه بَعضُ الأئمَّة، =

قال: حَدَّثنا أبو زَيد أحْمَد بن أبي الغَمْر، والحارثُ بن مِسكين قالا: حَدَّثنا عَبْد الرَّحْمن بن القَاسم، قال: سألتُ مَالكًا عمَّن يُحدِّث بالحَدِيث الَّذي قالوا: «**إنَّ اللهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَىٰ صُورَته**». فأنْكر ذلك مالكٌ إنكارًا شديدًا، ونَهىٰ أن يَتحدَّث به أحدٌ، فقيل له: إن ناسًا مِن أهْل العِلْمِ يَتحدَّثون به، فقال: مَن هُم؟ فقِيل: مُحمَّد بن عَجْلان، عَن أبي الزِّنَاد. فقال: لم يَكُن يَعرف ابنُ عَجلان هذه الأشياءَ، ولم يَكن عالمًا. وذكر أبا الزِّنَاد فقال: إنه لم يَزل عاملًا لهؤلاء حتىٰ مات، وكان صاحب عُمَّال يتبعهم[١].

قال العُقيلي: وكان مالكُ بن أنس لا يَرضىٰ أبا الزِّنَاد.

قال الذَّهَبِي في «المِيزان»[٢] في تَرجَمَة أبي الزِّنَاد بَعد إيرادِه لِمَا ذَكرَه العُقيليُّ عَن مالكٍ مِن إنكاره لحَديث: «**إنَّ اللهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَىٰ صُورَته**»، وكلامه في أبي الزِّنَاد، وابن عَجْلان، قلتُ: «الحَدِيث في «**أن اللهَ خلَقَ آدم عَلَىٰ صُورَته**» لم يَنفَرد به ابن عَجْلانَ، فقد رَواهُ همَّام، عَن قتادة، عَن أبي أيُّوبَ، عن أبي هُرَيرةَ. ورَوَاهُ شعيبٌ، وابن عُيَيْنَةَ، عَن أبي الزِّنَاد، عَن الأَعْرَجِ، عَن أبي هُرَيرةَ. ورَوَاهُ مَعمَر، عَن همَّام، عَن أبي هُرَيرةَ، ورَوَاهُ جماعَة كاللَّيث بن سعد، وغيره، عَن ابن عجْلان، عَن المَقبُري، عَن أبي هُرَيرةَ.

ورَوَاهُ شعيبٌ أيضًا، وغيرُه، عَن أبي الزِّنَاد، عَن موسىٰ بن أبي عثمان، عَن أبي هُرَيرةَ، ورَوَاهُ جماعة، عَن ابن لَهِيعَةَ، عَن الأعْرج، وأبي يُونُسَ، عَن أبي هُرَيرةَ، ورَوَاهُ

=

وضعفه الدَّارَقُطْنِيُّ في «غرائب مالك». انظر: «لسان الميزان» (٦/ ٨٤).

(١) «الضعفاء الكبير» للعقيلي (٢/ ٢٥١).

(٢) (٢/ ٤١٩).

جَرِيرٌ، عَن الأَعْمَش، عَن حَبِيبِ بن أبي ثابت، عَن ابن عُمَر، عَن النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وله طُرق أخر. وهو مُخرَّج في الصِّحاح. وأبو الزِّنَاد فعُمدَةٌ في الدِّين، وابن عَجْلان صَدوق من عُلماء المَدينة، وأجِلَّائهم، ومُفتيهم. وغيرُه أَحفَظُ مِنه.

أما مَعْنىٰ حَدِيث الصُّورة فنَرُدُّ عِلمَه إلىٰ الله ورَسُولِه، ونسكُت كَمَا سكَتَ السَّلفُ مع الجَزْم بأنَّ الله ليس كمِثله شَيء» انْتَهىٰ.

وذكر الذَّهَبِي أيضًا في تَرجمة مُحمَّد بن عجْلَان قَولَ مَالك: لم يَكن ابنُ عَجلان يَعرف هذه الأشياءَ، ولم يكن عالمًا، وذلك لمَّا بلَغه أن ابنَ عجلانَ حدَّث بحديث «**خَلق اللهُ آدَمَ عَلَىٰ صُورَته**»، قال الذَّهَبِي: «ولِابن عجْلانَ فيه مُتابِعُون، وخُرِّج في الصَّحِيح» انتهىٰ[1].

ومِن المُستَبْعَدِ أن يكون مالكٌ لا يَرضىٰ أبا الزِّنَاد، وهو قد أكثرَ الرِّوَايَة عنه في «المُوطَّأ». وأمَّا ما رُوي عنه من إنْكار الحَدِيث الَّذي فيه: «**إنَّ اللهَ خَلَق آدَمَ عَلَىٰ صُورَته**»، ونَهْيه عَن التَّحديث به فعَلىٰ تقديرِ ثُبوت ذلك عنه فهُو مَحمولٌ عَلَىٰ ما قيل عنه: إنَّه كان يَكره التَّحديث بأحَادِيث الصِّفَات، ذكر ذلك الحافظُ ابنُ حَجَر في البَاب التَّاسع والأربعين من «كتاب العِلْم» من «فتْح البَاري».

وأيضًا؛ فلعَلَّ مالكًا -رَحِمَه اللهُ تَعالَىٰ- كان يَخشىٰ أن يكونَ في التَّحديث بحَديث الصُّورة فتنةٌ لبعض الناس، فيُشبِّهون اللهَ بخَلقه، أو يتأوَّلون الحَدِيثَ بما يُوافقُ أقوالَ الجَهْمِيَّة، وذلك من التَّحريف لكلام رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والإلحادِ فيه، وقد روىٰ مُسْلم في مُقدِّمة «صَحِيحه»، عَن عَبْد الله بن مَسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنَّه قال: «ما أنت بمُحدِّثٍ

---

(١) «ميزان الاعتدال» (٣/ ٦٤٤).

قومًا حَدِيثًا لا تَبلُغه عقولُهم إلا كان لبَعضهم فِتنةً»(١)، ومِن أعظَم الفِتن صَرْف النُّصوص الوَاردة في الصِّفَات عَن ظَاهِرها، وحَمْلها عَلَىٰ ما يُوافق أقوال المعطلة.

وقد وقَع في هذا البَاب كثيرٌ من الأكابر المَرمُوقين، وأهل المُصنَّفات الكبار، وهو مَعدود مِن زلَّاتهمُ التي كان النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخاف منها عَلَىٰ أُمَّته، والتي قال فيها أميرُ المُؤمنين عمرُ بن الخطَّاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: إنها تَهْدمُ الإسْلَامَ، وقد جاء في ذلك أحَادِيث كَثِيرة:

منها: ما رَواهُ الطَّبَرَاني في «الكبير»، عَن أبي الدَّرداء رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أن رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«أخافُ عَلَىٰ أُمَّتِي ثلاثًا: زَلَّة عَالِم، وجِدَال مُنافِق بالقُرآن، والتَّكْذيب بالقَدَر»**(٢).

ومنها: ما رَواهُ أبو نُعيم في «الحِلْيَة»، عَن عَمرو بن عوفٍ المُزَنِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: سمعتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: **«إني أخافُ عَلَىٰ أُمَّتي مِن بَعدي ثَلاثة أعمَال، قالوا: وما هي يا رَسُول اللهِ؟ قال: زلَّة عالِم، وحُكمٌ جائرٌ، وهوًىٰ مُتَّبع»**(٣).

ومنها: ما رَواهُ البيهقيُّ، عَن ابن عُمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَال: قال رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«إن أشدَّ ما أتخوَّفُ عَلَىٰ أمَّتي ثلاث: زلَّة عالِم، وجِدال مُنافق بالقُرآن،**

---

(١) مقدمة «صحيح مسلم» (١/ ١١).

(٢) أخرجه الطبراني كما في «مجمع الزوائد» (٧/ ٢٠٣)، قال الهيثمي: فيه معاوية بن يحيىٰ الصدفي، وهو ضعيف. وضعفه الألباني في «ضعيف الجامع» (٢٢٠). ومن غريب الحديث: «زلة عالم»: سقطته، وعمله بما يخالف علمه. «جدال منافق بالقرآن»: مناظرته به، ومقابلته الحجة بالشُّبهة لطلب المغالبة بالباطل.

(٣) «حلية الأولياء» (٢/ ١٠)، وفيه كثير بن عبد الله المزني، وهو متروك الحديث.

ودُنْيَا تَقطَع أعناقَكُم»(١).

ومنها: ما رَواهُ الطَّبَرَانِي في «الصَّغير»، عَن مُعاذ بن جَبَل رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قَال: قال رَسُول اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**إني أخافُ عليكم ثلاثًا، وهي كائِنات: زلَّة عَالِم، وجِدَال مُنافِق بالقُرآن، ودُنيا تُفتَحُ عَليكُم**»(٢).

ومنها: ما رَواهُ الإمَام أحْمَد في «الزُّهد»، عَن أبي الدَّرداء رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: «إنما أَخشَىٰ عليكم زلَّة عالِم، وجِدال المُنافق بالقُرآن»(٣).

ومنها: ما رَواهُ الدَّارِمي في «سُنَنه»، وأبو نُعيم في «الحِليَة»، عَن زياد بن حُدير قال: قال لي عُمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: هل تَعرف ما يَهدم الإسْلَامَ؟ قال: قلتُ: لا. قال: «يَهدمُه زلَّةُ عَالِم، وجِدال المُنافق بالكِتَاب، وحُكمُ الأئمَّة المُضلِّين»(٤).

وهذه الأحَادِيث يشدُّ بعضُها بعضًا، وفيها أبلغُ تَحذير من الاغترار بزلَّات العلماء، والأخذِ بها.

وإذا عُلم هذا، فليُعلم أيضًا أنَّه لا يجوز كتمانُ ما جاء به الرَّسُول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، بَل لابُدَّ مِن تَبلِيغه، ولا يُلتفت إلىٰ نَهْي مَن نَهىٰ عَن ذلك وأنْكَرَه.

---

(١) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (١٢/ ٥٢٤) (٩٨٢٩)، وفيه يزيد ابن أبي زياد الهاشمي، وهو ضعيف الحديث.

(٢) أخرجه الطبراني (٢٠/ ١٣٨) (٢٨٢)، وقال الهيثمي (١/ ١٨٦): فيه عبد الحكيم بن منصور، وهو متروك.

(٣) «الزهد» للإمام أحمد (١/ ١١٨) (٧٧٢).

(٤) رواه الدارمي (١/ ٨٢) (٢١٤)، وأبو نعيم (٤/ ١٩٦)، وصححه الألباني في «المشكاة» (٢٦٩).

فصل

وقد اختُلف في الضَّمير في قوله: «**خَلقَ اللهُ آدَمَ عَلَىٰ صُورَتِه**» عَلَىٰ مَن يَعود الضَّمير؟

وقد ذَكر الحافظُ ابن حجَر في «فتح البَاري» ثَلاثةَ أقوالٍ في ذلك:

أحدُها: وهو قَولُ الأكثر: أنَّه يَعود عَلَىٰ المَضرُوب، لِما تقدَّم من الأمْر بإكرام وَجهه.

قلتُ: وإلىٰ هذا ذهب ابنُ خُزَيْمَةَ، فقال في «كتاب التَّوْحيد» بعد إيراده لحديث أبي هُرَيرةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ في ذلك من عدة طرق: قال أبو بكر: «توهَّم بعضُ مَن لم يتحَرَّ العِلم أن قوله: «علىٰ صُورَته» يريد صُورَة الرَّحْمن عزَّ ربُّنا وَجلَّ عَن أن يَكون هذا مَعْنىٰ الخَبَر. بَل مَعْنىٰ قوله: «**خَلقَ اللهُ آدَمَ عَلَىٰ صُورَته**» الهاء في هذا المَوضع كنايَة عَن اسْم المَضروب والمَشتوم، أراد صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أن الله خلقَ آدمَ عَلَىٰ صُورَة هذا المَضروب الَّذي أمر الضَّارب باجتناب وَجهه بالضَّرب، والَّذي قبَّح وَجهه، فزَجر صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أن يقول: «**ووجه من أشبه وَجهك**»(١)؛ لأن وَجه آدمَ شَبيهُ وَجهِ بنيه، فإذا قال الشَّاتمُ لبعض بني آدمَ: قبَّح اللهُ وَجهَك، ووجهَ مَن أشبَه وَجهَك، كان مُقبِّحًا وَجهَ آدمَ صلوات الله وسلامه عليه، الَّذي وُجوه بنيه شَبيهة بوَجه أبيهم. فتفَهَّموا -رَحِمَكم الله- مَعْنىٰ الخَبَر، لا تَغلطوا، ولا تُغالطوا فتَضلُّوا عَن سواء السَّبيل، وتَحملوا عَلَىٰ القول بالتَّشبيه الَّذي هو ضَلال»(٢).

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٢٥١) (٧٤١٤) من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٢) «التوحيد» لابن خزيمة (١/ ٨٤).

هذا نَصُّ كلام ابن خُزَيْمَةَ عَلَىٰ حَدِيث أبي هُرَيرةَ رَضِيَٱللَّهُعَنهُ في الصُّورة، وهو معدودٌ مِن زلَّاته؛ لأنه قد ذهب إلىٰ قول الجَهْمِيَّة في تَفسيره لمَعْنىٰ قول النَّبِي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**إنَّ اللهَ خَلَق آدَمَ عَلَىٰ صُورَته**».

وقد نقل شيخُ الإسْلَام أبو العبَّاس ابن تَيميَّة -رَحِمَه اللهُ تَعالَىٰ- في كتابه المُسمَّىٰ «نَقْض أسَاس التَّقديس»، عَن الشَّيخ أبي الحَسن مُحمَّد بن عَبْد المَلك الكَرَجِي[1] الشَّافعي، أنَّه قال في كتابه الَّذي سمَّاه «الفُصول في الأصُول عَن الأئمَّة الفُحول إلزامًا لذَوِي البِدَع والفُضول»: فأما تأويلُ مَن لم يُتابعه عليه الأئمَّة فغَير مَقبول، وإن صدَر ذلك التَّأويل عَن إمامٍ مَعروف غير مَجهول، نحو ما يُنسب إلىٰ أبي بكر مُحمَّد بن إسحاق بن خُزَيْمَةَ تأويل الحَدِيث: «**خَلق آدمَ عَلَىٰ صُورَته**»، فإنَّه يُفسِّر ذلك بذلك التَّأويل، ولم يُتابِعْه عليه مَن قَبله مِن أئمة الحَدِيث، لما رُوِّينا عَن أحْمَد رحمه الله تَعالَىٰ. ولم يُتابعه أيضًا مَن بَعده، حتىٰ رأيتُ في «كتاب الفُقهاء» للعبَّادي الفقيه أنَّه ذكر الفُقهاء، وذكر عَن كلِّ واحِد مِنهم مَسْألة تَفرَّد بها، فذكر الإمَامَ ابنَ خُزَيْمَةَ، وأنَّه تفرَّد بتأويل هذا الحَدِيث «**خلقَ آدمَ عَلَىٰ صُورَته**»، عَلَىٰ أنِّي سمعتُ عدَّةً مِن المَشايخ رَوَوا أن ذلك التَّأويل مُزَوَّر مَربُوط عَلَىٰ ابن خُزَيْمَةَ، وإفْكٌ مُفترَىٰ عليه. فهذا وأمثال ذلك من التَّأويل لا نَقبلُه، ولا نَلتفتُ إليه، بَل نُوافقُ ونتابعُ ما اتَّفق الجمهورُ عليه.

قال شَيخُ الإسْلَام أبو العبَّاس: وقد ذكر الحافظُ أبو موسىٰ المَديني فيما جمعه

---

(١) الكَرَجِي بفتح الكاف والراء وبالجيم نسبة إلىٰ الكرج، وهي بلدة من بلاد الجبلين أصبهان وهمذان.

من مناقب الإمَام المُلقَّب بقَوَّام السُّنَّة أبي القَاسم إسماعيل بن مُحمَّد التَّيمي صاحب «كتاب التَّرغيب والتَّرهيب» قال: سمعتُه يقول: أخطأ مُحمَّد بن إسحاقَ بن خُزَيْمَةَ في حَدِيث الصُّورة. ولا يُطعن عليه بذلك، بَل لا يُؤخذ عنه هذا فحَسْبُ. قال أبو موسىٰ: أشار بذلك إلىٰ أنَّه قلَّ مِن إمامٍ إلَّا ولَه زَلَّة، فإذا تُرك ذلك الإمَام لأجلِ زلَّته تُرك كثيرٌ من الأئمَّة، وهذا لا يَنبغي أن يُفعل. انتهىٰ.

وقال الذَّهَبِي في كتابه «سِيَر أعلام النُّبلاء»[1] **في تَرجمة ابن خُزَيْمَةَ:** «وكتابه في «التَّوْحيد» مُجلَّد كَبير، وقد تأوَّل في ذلك حَدِيث الصُّورة. فليُعذر مَن تأوَّل بعض الصِّفَات. وأما السَّلف فما خاضُوا في التَّأويل. بَل آمنوا وكفُّوا، وفوَّضوا علمَ ذلك إلىٰ الله ورسوله، ولو أن كلَّ مَن أخطأ في اجتهاده -مع صِحَّة إيمَانه، وتوخِّيه لاتباعِ الحقِّ- أَهْدَرْنَاه، وبَدَّعْنَاه، لقَلَّ مَن يَسلَم من الأئمَّة مَعَنا. رحم اللهُ الجَميع بمَنِّه وكرَمِه».

وقد ذكر ابنُ قُتيبة في كتابه المسمىٰ «تأويل مُختَلف الحَدِيث»[2] عدَّةَ أقوال من أقوال أهل الكلام في تأويلِ قول النَّبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إنَّ اللهَ خَلَق آدَمَ عَلَىٰ صُورَته**»، ومنها: **أن المُراد أنَّ الله جل وعز خلقَ آدمَ عَلَىٰ صُورَة الوَجْه**، قال ابن قتيبة: وهذا لا فائدةَ فيه، والناسُ يعلمون أن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ خلَق آدمَ عَلَىٰ خَلْق وَلَدِه، ووَجهَه علىٰ وُجُوهِهم، وزاد قومٌ في الحَدِيث: أنَّه عَلَيْهِ السَّلَامُ مَرَّ برَجُل يَضربُ وَجه رجُل آخَرَ فقال: «**لا تَضربْه، فإنَّ اللهَ تَعالَىٰ خلقَ آدمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَىٰ صُورَته**» أي: صُورَة المَضروب، وفي هذا القول مِن الخَلل ما في الأول. انتهىٰ.

---

(١) (١٤/ ٣٧٤).

(٢) (١/ ٣١٩).

وسَيأتِي ذِكْرُ ما أشار إليه مِن الخَلَل في القول الأوَّل إن شاء الله تَعالَىٰ، والزِّيادة التي ذكرها ابنُ قُتيبة في حَدِيث الصُّورة لا أصلَ لها، ولم أرَها في شيء من الرِّوايات الصَّحِيحة. وقد ذكر شيخُ الإسْلَام أبو العبَّاس ابن تَيميَّة أنَّه لا أصل لذلك، ولا يُعرف في شيء من كتب الحَدِيث.

وقد رد الإمَام أحْمَد -رَحِمَه اللهُ تَعالَىٰ- عَلَىٰ من قال: إن الضَّمير في قول النَّبِي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**خَلقَ اللهُ آدَمَ عَلَىٰ صُورَته**» يعود عَلَىٰ المَضروب، ونصَّ عَلَىٰ أن هذا قول الجَهْمِيَّة.

قال الطَّبَرَاني في «كتاب السُّنَّة»: حَدَّثنا عَبْدُ الله بن أحْمَد بن حَنبل، قَال: قال رجل لأبي: إن رجلًا قال: خَلقَ اللهُ آدَمَ عَلَىٰ صُورَته، أي: صُورَةِ الرَّجُل، فقال: «كذَب، هذا قول الجَهْمِيَّة، وأيُّ فائدة في هذا؟!».

وقد نقل الحافظ الذَّهَبِي هذه الرِّوَايَة في «المِيزان»[1] في تَرجمة حمدان بن الهَيثم، ونقلها الحافظ ابنُ حَجر في آخر كتابِ العِتْق مِن «فَتْح البَاري»[2].

القَول الثَّاني: أن الضَّميرَ يَعود عَلَىٰ آدمَ، قال الحَافِظ ابن حَجَر في «فتْحِ البَاري»[3]: زعَم بعضُهم أن الضَّمير يعود عَلَىٰ آدم، أي: عَلَىٰ صفتِه، أي: خَلقَه مَوصوفًا بالعِلم الَّذي فضَّل به الحيوان. قال الحافظ: وهذا مُحتمل. قلتُ: ما أبعدَه من الاحتمال! وإنَّما هو قول باطلٌ مَردود بالنَّص عَلَىٰ «**أن اللهَ خلق آدمَ عَلَىٰ صُورَة**

---

(١)(١/ ٦٠٢).

(٢)(٥/ ١٨٣).

(٣)(٥/ ١٨٣).

الرَّحْمن»(١). وسيأتي ذكر هذا النَّص قريبًا إن شاء الله تعالَىٰ.

والقول بأن الضَّمير يعود عَلَىٰ آدم، وأن الله تَعالَىٰ خلق آدمَ عَلَىٰ صُورَته، أي: عَلَىٰ صُورَة آدمَ، مَروِيٌّ عَن أبي ثَوْر إبراهيمَ بن خالد الكَلْبي. وبه يقول بعضُ أكابر العلماء بعد القرون الثَّلاثة المُفضَّلة، وهو معدودٌ من زلَّاتهم، وقد ذكر ابنُ قُتيبة هذا القَول عَن أهل الكَلام، والمُراد بأهل الكلام عند أهْل السُّنَّة أهل الكلام البَاطل الَّذي ذَمَّه السَّلف، وحذَّروا منه - قال في كتابه الَّذي سماه «تأويل مُختلف الحَدِيث»: وقد اضطرب الناسُ في تأويل قول رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إنَّه خلَق آدمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَىٰ صُورَته**»، فقال قوم من أصحاب الكلام: أراد خَلَق آدمَ عَلَىٰ صُورَة آدمَ، لم يزد عَلَىٰ ذلك. قال ابن قُتيبة: ولو كان المرادُ هذا ما كان في الكلام فائدة، ومَن يشك في أن الله تَعالَىٰ خلق الإنسانَ عَلَىٰ صُورَته، والسِّباع عَلَىٰ صُوَرها، والأنعامَ عَلَىٰ صُورِها؟! قال: وقال قوم: إنَّ اللهَ تَعالَىٰ خلق آدمَ عَلَىٰ صُورَةٍ عنده، وهذا لا يَجوز؛ لأنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ لا يَخلُق شيئًا مِن خَلقه عَلَىٰ مِثَال.

قلتُ: وهذا القولُ يَرجع إلىٰ قول مَن قال: إنَّ اللهَ خَلَق آدَمَ عَلَىٰ صُورَة آدمَ.

قال ابن قُتيبةَ(٢): ولما وَقعت هذه التَّأويلات المُستكرَهة، وكثُر التنازعُ حَمَل قومًا اللجَاجُ عَلَىٰ أن زادوا في الحَدِيث فقالوا: رَوىٰ ابنُ عُمر، عَن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّه قال: «**إنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ خلَق آدمَ عَلَىٰ صُورَة الرَّحْمن**»(٣)، يُريدون أن

---

(١) أخرجه عبد الله بن أحمد في «السنة» (١/ ٢٦٨) (٤٩٨)، وقال عنه الألباني في «الضعيفة» (١١٧٥و١١٧٦): منكر.

(٢) في «تأويل مختلف الحديث» (١/ ٣١٩، وما بعدها).

(٣) سبق.

تكون الهاء في «صُورَته» لله جل وعز، وأن ذلك يتبيَّن بأن يجعلوا الرَّحْمن مكان الهاء. ثمَّ تكلَّم ابنُ قُتيبَة في ردِّ الحَديث بما لا حاصِل تَحته... إلىٰ أن قال: فإنْ صحَّت رِوَايَة ابنِ عُمر، عَن النَّبيِّ صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فلا تأويلَ، ولا تَنازُع فيه.

قلتُ: قد صحَّت الرِّوَايَة بذلك عَن ابن عُمَرَ رَضِيَاللَّهُعَنْهُمَا، وصحَّحها أَحْمَدُ، وإسحاقُ بن راهويه، وسيأتي بيانُ صحَّة الحَدِيث إن شاء الله تَعالَىٰ.

قال ابن قُتَيبَة: ولم أرَ في التَّأويلاتِ شيئًا أقرب من الاطراد، ولا أبعدَ من الاستكراه من تأويل بعض أهل النَّظر، فإنَّه قال فيه: أراد أن الله تَعالَىٰ خلَق آدمَ في الجنَّة عَلَىٰ صُورَته في الأرض. كأن قومًا قالوا: كان مِن طُولِه في الجنَّة كذا، ومِن حِليته كذا، ومِن نوره كذا، ومن طِيبِ رائحته كذا؛ لمُخالفة ما يكون في الجنَّة ما يكون في الدنيا، فقال النَّبي صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**إنَّ الله خلَق آدمَ**» يُريد في الجنَّةِ «**علىٰ صُورَته**» يَعني في الدُّنيا.

قلتُ: وهذا القولُ يَرجع إلىٰ قول من قال: إنَّ اللهَ خَلَق آدَمَ عَلَىٰ صُورَة آدم. قال ابن قُتَيبَة: ولسْتُ أُحتِّم بهذا التَّأويل عَلَىٰ هذا الحَدِيث، ولا أَقضي بأنه مراد رَسُول اللهِ صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فيه؛ لأني قرأتُ في التوراة: «أن الله -جلَّ وعزَّ- لمَّا خلَق السَّماءَ والأرضَ قال: نَخلُق بَشرًا بصُورتنا، فخَلق آدمَ مِن أدمة الأرض، ونَفخ في وَجهه نَسمة الحياة»، وهذا لا يَصلح له ذلك التَّأويل، وكذلك حَدِيث ابن عبَّاس رَضِيَاللَّهُعَنْهُمَا، أن موسىٰ صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ضَرب الحَجر لبني إسرائيلَ فتفجَّر، وقال: «اشْرَبوا يا حَميرُ» فأوحىٰ اللهُ تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ إليه: «عَمدتَ إلىٰ خَلقٍ مِن خَلْقي خلقتُهم عَلَىٰ صُورتي فشبَّهتَهم بالحَمير» فما بَرح حتىٰ عُوتب، هذا مَعْنىٰ الحَدِيث[1].

(١) ذكر نحو هذا السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٣٤٢).

قال أبو مُحمَّد بن قُتَيبَة: والَّذي عندي -والله تَعالَىٰ أعلم- أن الصُّورة ليست بأعجب من اليَدَين، والأصابع، والعَين، وإنما وقع الإلفُ لتلك لمجيئها في القرآن، ووقعت الوَحشةُ من هذه لأنها لم تأت في القرآن، ونحن نؤمن بالجميع، ولا نقول في شيء منه بكيفية، ولا حد. انتهىٰ كلام ابن قُتَيبَة[١].

وقد رد الإمَام أحْمَد -رَحِمَه اللهُ تَعالَىٰ- عَلَىٰ من قال: إن الضَّمير في قول النَّبِي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**خَلقَ اللهُ آدَمَ عَلَىٰ صُورَته**» أي: عَلَىٰ صُورَة آدم، ونصَّ عَلَىٰ أنَّه من أقوال الجَهْمِيَّة. ذكر ذلك القَاضي أبو الحسين في «طبقات الحنابلة»[٢]، عَن أبي جعفر مُحمَّد بن علي الجُرجاني المعروف بحمدان، قال: سألت أبا ثَور، عَن قول النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إنَّ اللهَ خَلَق آدَمَ عَلَىٰ صُورَته**» فقال: عَلَىٰ صُورَة آدم، وكان هذا بعد ضَرب أحْمَد بن حنبل والمِحنَةِ، فقلتُ لأبي طالب: قل لأبي عَبْد الله، فقال أبو طالب: قال لي أحْمَد بن حنبل: صح الأمرُ عَلَىٰ أبي ثور. من قال: إنَّ اللهَ خَلَق آدَمَ عَلَىٰ صُورَة آدم؛ فهو جَهمِيٌّ. وأي: صُورَة كان لآدم قبل أن يخلقه؟!

وروىٰ الخلّال، عَن أبي طَالب من وَجهين، قال: سمعتُ أبا عَبْد الله -يعني أحْمَد بن حنبل- يقول: من قال: إنَّ اللهَ خَلَق آدَمَ عَلَىٰ صُورَة آدم؛ فهو جَهْمِيٌّ.. وأيُّ صُورَة كانت لآدم قبل أن يخلُقَه؟!

وروىٰ الخلَّال أيضًا، عَن المَرُّوذِي أنَّه قال: أظن أني ذكرتُ لأبي عَبْد الله، عَن بعض المُحدِّثين بالبصرة أنَّه قال: قولُ النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**خَلقَ اللهُ آدَمَ عَلَىٰ**

---

(١) «تأويل مختلف الحديث» (١/ ٣٢٢).

(٢) (١/ ٣٠٩).

صُورَته»، قال: صُورَة الطين، قال: هذا جهمي. وقال: نُسلِّم الخبر كَمَا جاء.

قال شَيخُ الإِسْلَام أبو العبَّاس ابن تَيميَّة -رَحِمَه اللهُ تَعالَىٰ- في ردِّه عَلَىٰ الرَّازي: «فأخبر أَحْمَد أن هذا جهمي، كَمَا أن من قال: عَلَىٰ صُورَة الأرحام؛ فهو جهمي؛ لأنَّ الجَهْمِيَّة هم الَّذين ينكرون الصِّفَات، ويتأولون ما وَرد في ذلك من الأخبار والآيات»(١) انتهىٰ.

وقال القَاضي أبو الحسين في «طبقات الحنابلة»(٢) في ترجمة عَبْد الوهاب بن عَبْد الحكم الورَّاق -وهُو من أصحاب الإمَام أَحْمَد-: قال مُحمَّد بن جعفر: سألت عَبْد الوهاب، عَن أبي ثور فقال: أَتَدين فيه بما حدَّثني به أبو طالب، عَن أبي عَبْد الله أنَّه سأله عنه فقال: يَجفىٰ، ويجفىٰ من أفتىٰ برأيه. وقال زكريا بن الفرج سألت عَبْد الوهاب غير مرة، عَن أبي ثور فأخبرني أن أبا ثور جَهْمي، وذلك أنَّه قطع بقول أبي يعقوب الشَّعراني، حكىٰ أنَّه سأل أبا ثور، عَن خلق آدم فقال: إنما هو عَلَىٰ صُورَة آدم، ليس هو عَلَىٰ صُورَة الرَّحْمن.

قال زكريا: فقلت ذلك لعبد الوهاب: ما تقول في أبي ثور؟ فقال: ما أَدين فيه إلا بقول أَحْمَد بن حنبل، يُهجر أبو ثور، ومَن قال بقوله، قال زكريا: وقلت لعبد الوهاب مرة أخرىٰ، وقد تكلم في هذه المَسْألة: «**خَلَقَ اللهُ آدَمَ عَلَىٰ صُورَته**» فقال: من لم يقل: إنَّ اللهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَىٰ صُورَة الرَّحْمن؛ فهو جَهمي.

---

(١) «بيان تلبيس الجهمية» (٦/ ٤٦٩).

(٢) (١/ ٢١١).

وذكر الذَّهَبِي في «المِيزان»[١] في ترجمة حمدان بن الهيثم أنَّه يروي عَن أبي مسعود أحْمَد بن الفرات، وعنه أبو الشَّيخ، ووثَّقه، قال الذَّهَبِي: لكنه أتىٰ بشيء مُنكر عَن أحْمَد -يعني ابن الفُرات-، عَن أحْمَد بن حنبل في مَعْنىٰ قوله عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: «**إنَّ الله خَلَق آدَمَ عَلَىٰ صُورَته**» زعم أنَّه قال: صوَّر اللهُ صُورَةَ آدمَ قبل خَلقِه، ثمَّ خلقه عَلَىٰ تلك الصُّورة. فأما أن يكون خَلقَ اللهُ آدَمَ عَلَىٰ صُورَته فلا، فقد قال تَعالَىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورىٰ: ١١].

قال يحيىٰ بن مَنده في «مناقب أحْمَد»: قال المُظفَّر بن أحْمَد الخياط في كِتَاب «السنة»، وحمدان بن الهيثم يزعم أن أحْمَد قال: صوَّر الله صُورَة آدم قبل خلقه، وأبو الشَّيخ فوثَّقه في «كتاب الطبقات»، ويدل عَلَىٰ بُطلان روايته ما رَواهُ حمدان بن علي الورَّاق الَّذي هو أشهر من حمدان بن الهيثم وأقدم، أنَّه سمع أحْمَد بن حنبل، وسأله رجل عَن حَدِيث: خَلق آدم عَلَىٰ صُورَته عَلَىٰ صُورَة آدم، فقال أحْمَد: فأين الَّذي يُروىٰ عَن النَّبِيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**أن الله خلق آدم عَلَىٰ صُورَة الرَّحمن**»؟! ثمَّ قال أحْمَد: وأي صُورَة لآدم قبل أن يُخلق؟! ثمَّ ذكر الذَّهَبِي ما رَواهُ الطَّبَرانِي، عَن عَبْد الله بن أحْمَد، عَن أبيه، وتقدم ذكره في آخر الكلام في ردِّ القول الأول.

قال الذَّهَبِي: وقيل: إن أبا عُمر بن عَبْد الوهاب هَجر أبا الشَّيخ لمَكانِ حكاية حمدان، وقال: إن أردتَ أن أُسلِّم عليكَ فأخرج من كتابك حكاية حمدان بن الهيثم[٢].

---

(١) (١/ ٦٠٢).

(٢) «ميزان الاعتدال» (١/ ٦٠٣).

قلت: هذا القول الَّذي ذكره حمدان بن الهيثم، عَن أحْمَد، لا شكَّ أنَّه مُفترَىٰ عَلَىٰ أحْمَد بن حنبل، وجَميع الرِّوايات التي تقدَّم ذِكْرُها عَن أحْمَد -رَحِمَه اللهُ تعالَىٰ- في الرَّدِّ عَلَىٰ من أعاد الضَّمير في حَدِيث الصُّورة عَلَىٰ المضروب، وعلىٰ من أعاده عَلَىٰ آدم، كلُّها صَريحة في الرد عَلَىٰ من افترىٰ عَلَىٰ الإمَام أحْمَد، ونسَب إليه القولَ الَّذي قد نصَّ عَلَىٰ أنَّه من أقوال الجَهْمِيَّة.

القول الثَّالث: أن الضَّمير يعود عَلَىٰ الله تَعالَىٰ. قال الحَافِظ ابن حَجَر في: «فتح البَاري»[1]: قال القرطبي: أعاد بعضهم الضَّمير عَلَىٰ الله تَعالَىٰ متمسكًا بما وَرد في بعض طرقه: «**أنَّ اللهَ خَلَق آدمَ عَلَىٰ صُورَة الرَّحْمن**».

قلتُ: هذا هو قول أهْل السُّنَّة والجماعَة، وسيأتي النَّصُّ عَلَىٰ ذلك في حَدِيثي ابن عمر، وأبي هُرَيرةَ رَضِيَالله عَنْهُمَا، وقد ذكر الإمَام أحْمَد هذا القول فيما أملاه عَلَىٰ بعض أصحابه من أقوال أهْل السُّنَّة والجَمَاعَة، قال القَاضي أبو الحُسين في: «طَبقات الحَنابلة»[2] في تَرجمة أبي جَعفر مُحمَّد بن عَوف بن سُفْيان الطَّائي الحِمصي: نقلتُ من خطِّ أحْمَد الشنجي بإسْنَاده قال: سمعت مُحمَّد بن عوف يقول: أملىٰ عليَّ أحْمَد بن حنبل... فذَكر جُملةً من المسائل التي أملاها عليه مما يعتقده أهْل السُّنَّة والجَمَاعَة، ومنها: وأن آدمَ -صلىٰ الله عليه- خُلق عَلَىٰ صُورَة الرَّحْمن، كَمَا جاء الخبر عَن رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، رَواهُ ابن عمر، عَن رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

---

(١) (٥/ ١٨٣).

(٢) (١/ ٣١١).

قلت: هذا الحَدِيث رَواهُ عَبْد الله ابن الإمَامِ أحْمَد في كِتَاب «السنة»[١] قال: حدَّثني أبو معمر، حَدَّثنا جَرِيرٌ، عَن الأعْمَش، عَن حَبيب بن أبي ثابت، عَن عطاء، عَن ابن عُمَرَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، قَال: قال رَسُول اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**لا تُقبِّحوا الوَجْه، فإنَّ اللهَ خَلَق آدَمَ عَلَىٰ صُورَة الرَّحْمن**»، رجاله رجال الصَّحِيح، وأبو مَعمر اسمه إسماعيل بن إبراهيمَ بن مَعمر الهُذَلي، وجرير هو ابن عَبْد الحميد الضَّبي، والأعمش اسمه سُليمان بن مِهران، وعطاء هو ابن أبي رباح.

وقد رَواهُ ابن أبي عاصم في كِتَاب «السنة»[٢]، وابن خُزَيْمَةَ في «كتاب التَّوْحيد»[٣]، عَن يوسف بن موسىٰ -وهو القطَّان-، عَن جرير بن عَبْد الحميد، عَن الأعمش، عَن حبيب بن أبي ثابت، عَن عطاء، عَن ابن عُمَرَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، قَال: قال رَسُول اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**لا تُقبِّحوا الوُجُوه، فإنَّ ابنَ آدمَ خُلق عَلَىٰ صُورَة الرَّحْمن**». هذا لفظه عند ابن أبي عاصم، ولفظه عند ابن خُزَيْمَةَ: «**لا تُقبِّحوا الوَجْهَ، فإن ابن آدمَ خُلق عَلَىٰ صُورَة الرَّحْمن**»، ورَوَاهُ البيهقي في كتاب «الأسماء والصِّفَات»[٤] مِن طَريق عثمان بن أبي شيبة، عَن جَرير... فذكره بمثل رِوَايَة عَبْد الله بن أحْمَد.

ورَوَاهُ أبو بكر الآجُرِّي في كِتَاب «الشريعة»[٥]، عَن أبي مُحمَّد عَبْد الله بن صالح البُخَارِي قال: حَدَّثنا إسحاق بن إبراهيم المَرْوزي قال: حَدَّثنا جرير بن عَبْد

(١) (١/ ٢٦٨) (٤٩٨).

(٢) (١/ ٢٢٩) (٥١٨).

(٣) (١/ ٨٥).

(٤) (٢/ ٦٤) (٦٤٠).

(٥) (٣/ ١١٥٢) (٧٢٥).

الحميد... فذكره بمثل رِوَايَة ابن خُزَيْمَةَ، ورواته كلهم ثقات. أبو مُحمَّد عَبْد الله بن صالح البُخَارِي قال فيه أبو علي الحافظ: ثقة مأمون، وقال أبو بكر الإسماعيلي: ثقة ثَبت، وقال أبو الحسين ابن المنادي: هو أحد الثقات، وأهل الصَّلاح والفَهم لما يحدِّث به، وبقية رجاله رجال الصَّحِيح.

ورَوَاهُ الدَّارَقُطْنِي في «كتاب الصِّفَات»[١] مِن طَرِيق هارون بن معروف، عَن جرير... فذكره بمِثل رِوَايَة عَبْد الله بن أحْمَد، وقد رَوَاهُ ابن خُزَيْمَةَ في «كتاب التَّوْحيد»[٢]، عَن عَطاء مُرْسلًا، فقال: حَدَّثنا أبو موسىٰ مُحمَّد بن المُثنَّىٰ قال: حَدَّثنا عَبْد الرَّحْمن بن مهدي قال: حَدَّثنا سُفْيان، عَن حبيب بن أبي ثابت، عَن عطاء، قال رَسُول اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا يُقبِّح الوَجْهُ، فإن ابنَ آدمَ خُلق عَلَىٰ صُورَة الرَّحْمن**». أبو موسىٰ هو المعروف بالزَّمِن، وهو ثقة ثبت احتج سائرُ الأئمَّة بحديثه.

وقد ادَّعىٰ الألباني في «تعليقه عَلَىٰ كتاب السنة لابن أبي عاصم»[٣]، أن هذا المُرسل أصحُّ من الموصول، وهذه دعوىٰ لا دليل عليها، فلا تُقبل، وكما أن الأعمش قد روىٰ الموصول بالعنعنة، عَن حبيب بن أبي ثابت، فكذلك الثوري قد روىٰ المرسلَ بالعنعنة، عَن حبيب بن أبي ثابت، وكل من الأعمش، والثوري مدلِّس، وكل منهما من المرتبة الثَّانية من المُدلِّسين، فلا مزية إذًا لإسْنَاد المُرسل عَلَىٰ إسْنَاد الموصول، وقد قال الحَافِظ ابن حَجَر في تَعريف المرتبة الثَّانية من المُدلِّسين: «إنَّه مَن احتَمل الأئمَّةُ تَدليسَه، وأخرجوا له في «الصَّحِيح» لإمامته، وقلَّة تدليسه في جَنْب ما

---

(١) (١/ ٦٤).

(٢) (١/ ٨٦) (٨).

(٣) «ظلال الجنة» (١/ ٢٢٨، ٢٢٩).

روىٰ كالثَّوري»[١]، وذكر أيضًا الأعمشَ في هذه المرتبة.

وعلىٰ هذا؛ فيَنبغي أن يُساوىٰ بين الأعمش والثوري في الرِّوَايَة، عَن حبيب بن أبي ثابت؛ إذ لا فرق بينهما في مرتبة التَّدليس.

وقد أعلَّ ابن خُزَيْمَةَ الحَدِيثَ الموصولَ، عَن ابن عُمَرَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا بثلاث عللٍ:

إحداهُنَّ: أن الثوري قد خالف الأعمش في إسْنَاده، فأرسل الثوري، ولم يقل: عَن ابن عمر.

والثَّانية: أن الأعمشَ مُدلِّسٌ، لم يَذكر أنَّه سمعه من حبيب بن أبي ثابت.

والثَّالثة: أن حبيبَ بن أبي ثابت أيضًا مُدلِّس، لم يُعلم أنَّه سمعه من عطاء، وقد تَبعه الألباني عَلَىٰ تعليل الحَدِيث بهذه العلل الثَّلاث.

والجواب عَن هذا التعليل من وجوه:

أحدها: أن يقال: إن العللَ التي ذكرها ابن خُزَيْمَةَ، والألبانِيُّ، واهيةٌ جدًّا، فأما مُخالفة الثوري للأعمش، فإنَّها لا تُؤثِّر في رِوَايَة الأعمش؛ لأنَّ كلًّا منهما حافظ إمام، وشيخ من شيوخ الإسْلَام، وقد قال ابن عُيَيْنَةَ: كان الأعمش أقرأهم لكتاب الله، وأحفظَهم للحديث، وأعلمَهم بالفرائض، وقال عمرو بن علي الفَلَّاس: كان الأعمش يسمىٰ المُصحفَ مِن صِدقه، وقال يحيىٰ القطان: الأعمش علَّامة الإسْلَام، وقال شعبة: ما شفاني أحدٌ في الحَدِيث ما شفاني الأعمشُ، وقال عَبْد الله بن داود الخريبي: كان شعبة إذا ذكر الأعمش قال: المصحف المصحف، وقال ابن عمار:

---

(١) انظر: «نزهة النظر شرح نخبة الفكر».

ليس في المحدِّثين أثبت من الأعمش، وقال يحيىٰ بن معين: كان جرير إذا حدث عَن الأعمش قال: هذا الدِّيباج الخسرواني، وقال ابنُ المَديني: حَفظ العلمَ عَلَىٰ أمَّة مُحمَّد صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ستَّة: عمرو بن دينار بمكة، والزُّهري بالمدينة، وأبو إسحاق السَّبيعي، والأعمش بالكوفة، وقتادة، ويحيىٰ بن أبي كثير بالبصرة، وفضائل الأعمش كَثِيرة جدًّا، وهو من شيوخ الثوري، ومن كان بهذه المثابة من الفضائل فروايته لا تعلَّل بمخالفة الثوري له؛ لأنَّه قد حَفِظ ما لم يَحفظْه الثَّوريُّ.

وأما عنعنةُ الأعمش في روايته، عَن حبيب بن أبي ثابت، فإنَّها لا تؤثر في صحَّة الإسْنَاد؛ لأنَّ الأعمش معدود من المرتبة الثَّانية من المدلِّسين، ذكر ذلك الحَافِظ ابن حَجَر في كتابه الَّذي سماه «تعريف أهل التَّقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس»(١)، وذكر أن أهل هذه المرتبة قد احتمل الأئمَّةُ تدليسَهم، وأخرجوا لهم في «الصَّحِيح» لإمامتهم، وقلَّة تدليسهم في جنب ما رووا.

وأيضًا؛ فإن موافقة الثوري للأعمش في رِوَايَة الحَدِيث، عَن حبيب بن أبي ثابت تدل عَلَىٰ أن الأعمش لم يُدلِّس في روايته عنه.

وأما عنعنة حبيب بن أبي ثابت في روايته عَن عطاء، فإنَّها لا تؤثر في صحة الإسْنَاد؛ لأنَّ الظاهر أنَّه لم يدلس في هذه الرِّوَايَة، ويدل عَلَىٰ ذلك أنَّه كان يروي، عَن ابن عُمَرَ رَضِيَاللَّهُعَنْهُمَا مباشرة، فلو كان قد دلَّس في هذا الحَدِيث لكان جديرًا أن يرويه عَن ابن عُمَرَ رَضِيَاللَّهُعَنْهُمَا بدون واسطة بينه وبينه؛ ليحصل له علو الإسْنَاد، ولكن لما رواه عَن عطاء، عَن ابن عُمَرَ رَضِيَاللَّهُعَنْهُمَا دلَّ ذلك عَلَىٰ أنَّه لم يدلس في روايته، وقد قال

(١) (ص٩).

ابن أبي مريم، عَن ابن معين أنَّه قال في حبيب بن أبي ثابت: ثقة حُجَّة، قيل له: ثبت؟ قال: نعم، إنما روىٰ حَدِيثين، قال: أظن يحيىٰ يريد مُنكَرَيْن، حَدِيث: «**المُستحاضَة تُصلي وإن قَطر الدَّم عَلَىٰ الحَصير**»[1]. وحديث: «**القُبلَة للصَّائم**»[2].

وقال ابن عَدي: هو ثقة حُجَّة، كَمَا قال ابن مَعين، ويؤخذ من قول ابن معين، وابن عدي أن رِوَايَة حبيب عَن عطاء لا تُؤثِّر فيها العنْعنَةُ.

الوَجْه الثَّاني: أن يُقالَ: إن الإمَام أحْمَدَ، وإسحاقَ بن راهويه قد صحَّحا حَدِيثَ ابن عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا الَّذي فيه: «**إنَّ اللهَ خَلَق آدَمَ عَلَىٰ صُورَة الرَّحْمن**»[3]، وقد قال قُتَيبَة بن سعيد: أحْمَد بن حنبل، وإسحاقُ بن راهويه إمامَا الدُّنيا. رَواهُ الخطيب في «تاريخه»[4]. وقد تقدَّم ما ذكره القَاضي أبو الحسين في «طبقات الحنابلة»[5] مما أملاه الإمَام أحْمَد عَلَىٰ مُحمَّد بن عوف الطَّائي من عقيدة أهْل السُّنَّة والجَمَاعَة، ومنه: وأن آدم -صلىٰ الله عليه- خُلق عَلَىٰ صُورَة الرَّحْمن، كَمَا جاء عَن رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، رَواهُ ابن عمر، عَن رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتقدم أيضًا ما ذكرَه الحافظ الذَّهَبِي في «الميزان»[6]، عَن حمدان بن علي الوراق، أنه سمع أحْمَد، وسأله

---

(١) أخرجه أحمد (٦/ ١٣٧) (٢٥١٠٣) من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وقال شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح.

(٢) أخرجه البخاري (١٩٢٧)، ومسلم (١١٠٦) من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) «تاريخ بغداد» (٤/ ٤١٧).

(٥) (١/ ٣١٣).

(٦) (١/ ٦٠٣).

رجلٌ عَن حَدِيث: «**خلق آدمَ عَلَىٰ صُورَته**» عَلَىٰ صُورَة آدم، فقال أحْمَد: فأين الَّذي يُرویٰ عَن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إنَّ اللهَ خَلَق آدَمَ عَلَىٰ صُورَة الرَّحْمن**»؟!

وقال الخلّال: أخبَرَنا أبو بكر المَرُّوذِي قال: قلتُ لأبي عَبْد الله: كيف تقول في حَدِيث النَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**خَلقَ اللهُ آدَمَ عَلَىٰ صُورَته**»؟ قال: الأعمش يقول: عَن حبيب بن أبي ثابت، عَن عطاء، عَن ابن عمر، قال: وقد رَواهُ أبو الزِّنَاد، عَن الأعرج، عَن أبي هُرَيرةَ، عَن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**علىٰ صُورَته**»، فنقول كَمَا جاء الحَدِيث.

وقال الخلال أيضًا: أخبرني حربُ بن إسماعيل الكرْماني قال: سمعتُ إسحاق -يعني ابن راهويه- يقول: قد صح عَن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّه نطق به، قال إسحاق: حَدَّثنا جرير، عَن الأعمش، عَن حبيب بن أبي ثابت، عَن عطاء، عَن ابن عمر، عَن رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لا تُقَبِّحوا الوَجْه، فإنَّ اللهَ خَلَق آدَمَ عَلَىٰ صُورَة الرَّحْمن**»(١)، وقد نقل شيخ الإسْلَام أبو العبَّاس ابن تَيميَّة في كتابه الَّذي سماه «نقض أساس التقديس» ما رَواهُ الخلال، عَن إسحاق بن راهويه، ثمَّ قال: فقد صحح إسحاقُ حَدِيثَ ابن عُمَرَ مسندًا خلاف ما ذكره ابن خُزَيْمَةَ.

وقال الحافظ الذَّهَبِي في: «الميزان»(٢) في ترجمة أبي الزِّنَاد، قال حربٌ: سمعتُ إسحاقَ بن رَاهويه يقول: صح عَن رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أنَّ اللهَ خَلَق آدمَ عَلَىٰ صُورَة الرَّحْمن**»، وقال الكَوْسج: سمعت أحْمَد بن حنبل يقول: هذا الحَدِيث صَحِيح، قال الذَّهَبِي: قلتُ: وهو مُخرَّج في الصِّحاح. انتهىٰ.

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) (٢/ ٤٢٠).

وقال **الحَافِظ ابن حَجَر في آخر كِتَاب العتق من «فتح البَاري»**[١]: قال حرب الكرماني في «كتاب السنة»: سمعت إسحاق بن راهويه يقول: صحَّ «**إنَّ اللهَ خَلَق آدَمَ عَلَىٰ صُورَة الرَّحْمن**»، وقال إسحاق الكَوسج: سمعت أحْمَد يقول: هو حَدِيث صَحِيح. انتهىٰ.

وذكر الخَلَّالُ في «كتاب السنة» ما ذكره إسحاق بن منصور الكوسج في «مسائله» المشهورة عَن أحْمَد وإسحاق أنَّه قال لأحْمَد: «**لا تُقبِّحوا الوَجْه، فإنَّ اللهَ خَلَق آدَمَ عَلَىٰ صُورَته**» قال أحْمَد: صَحِيح، وقال إسحاق: صَحِيح، ولا يدعه إلا مبتدع أو ضعيف الرأي.

وذكر الخلال أيضًا، عَن يعقوب بن بختان، أن أبا عَبْد الله أحْمَد بن حنبل سُئل عَن حَدِيث النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**خَلقَ اللهُ آدَمَ عَلَىٰ صُورَته**» فقال: لا نُفسِّره. ما لنا أن نُفسِّره؟! كَمَا جاء الحَدِيث.

وقد ذكر الذَّهَبِي في «سِير أعلام النبلاء»[٢] في ترجمة أبي الزِّنَاد: بعضَ طرق حَدِيث أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ الَّذي جاء فيه: «**إنَّ اللهَ خَلَق آدَمَ عَلَىٰ صُورَته**»، ثمَّ قال: وصح أيضًا من حَدِيث ابن عمر، وقد قال إسحاقُ بن راهويه عالم خُراسان: صح هذا عَن رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال الذَّهَبِي: فهذا الصَّحِيح مُخرَّج في كتابي البُخَارِي، ومُسْلم، فنؤمن به، ونُفوِّض، ونُسلِّم، ولا نَخوضُ فيما لا يَعنينا، مع علمنا بأن الله ليس كمثله شيء، وهو السميع البصير. انتهىٰ كلامه.

---

(١) (٥/ ١٨٣).

(٢) (٥/ ٤٥٠).

وقوله: (ونُفوِّض) معناه إمرارُ الحَدِيث كَمَا جاء، وهو موافقٌ لما تقدَّم عَن الإمَام أحْمَد أنَّه قال: لا نُفسِّره، ما لنا أن نفسره؟! كَمَا جاء الحَدِيث.

وإذا عُلم أن الإمَام أحْمَد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه قد صحَّحا حَدِيث ابن عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا الَّذي جاء فيه: «**إنَّ اللهَ خَلَق آدَمَ عَلَىٰ صُورَة الرَّحْمن**» فلا ينبغي أن يُلتفت إلىٰ تضعيف ابن خُزَيْمَةَ له، فضلًا عَن تضعيف الألباني له؛ تقليدًا لابن خُزَيْمَةَ، وذلك لأنَّ أحْمَد، وإسحاقَ أعلم بالأسانيد والعلل ممَّن أقدم عَلَىٰ تضعيف الحَدِيث بغير مُستَنَد صَحِيح.

وأيضًا؛ فإن عَبْد الله بن أحْمَد بن حنبل، وابن أبي عاصم، والدَّارَقُطْنِي، والآجُرِّي قد رَوَوا حَدِيث ابن عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وأمَرُّوه كَمَا جاء، ولم يتعرَّضوا لتضعيفه، ولو كان في إسْنَاده علَّة قادحة لما سكتوا عَن بيانها، وخصوصًا الدَّارَقُطْنِي، فإنَّه من أئمة الجَرح والتعديل، وأهْل العِلْمِ بعِلل الأحَادِيث، وهو أعلم بالأسانيد وعلل الأحَادِيث من كثير من الَّذين كانوا قبل زمانه، ومع هذا فلم يتكلم في إسْنَاد حَدِيث ابن عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بشيء. فدل ذلك عَلَىٰ صحته عنده، وفي إمرار هؤلاء الأئمَّة لحديث ابن عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا كَمَا جاء أبلغ رَدٍّ عَلَىٰ مَن تكلَّم في إسْنَاده بمُجرَّد التعليلات الواهية.

وكما أن في تصحيح أحْمَد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه لحديث ابن عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ردًّا عَلَىٰ مَن ضعفه من المتقدمين والمتأخرين، فكذلك يرد عليهم بتصحيح من صحَّحه من أكابر الحُفَّاظ المتأخرين، وهما شيخ الإسْلَام أبو العبَّاس ابن تَيميَّة، والحافظ الذَّهَبِي.

وكفىٰ بهؤلاء الخمسة قدوة في تصحيح الحَدِيث، والرد عَلَىٰ مَن تكلَّف في تعليله.

الوَجْه الثَّالث: أن يقال: إن اللفظ الَّذي جاء في حَدِيث ابن عُمَرَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قد جاء نحوه فيما رَواهُ أبو يونس سُليم بن جُبير الدَّوسي مولىٰ أبي هُرَيرةَ، عَن أبي هُرَيرةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وفيما رَواهُ أبو رافع نُفيع بن رافع الصائغ، عَن أبي هُرَيرةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

فأما حَدِيث أبي يونس: فقد رَواهُ عَبْد الله ابن الإمَامِ أحْمَد في «كتاب السنة»[1]، عَن أبي بكر الصَّاغاني: حَدَّثنا أبو الأسود -وهو النضر بن عَبْد الجبار- حَدَّثنا ابن لَهيعة، عَن أبي يونس، عَن أبي هُرَيرةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، عَن رَسُول اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**إذا قاتَل أحدُكم فَلْيَجْتَنِب الوَجْهَ، فإنما صُورَة الإنسان علىٰ وَجه الرَّحْمن**»، رجاله كلهم ثقات سوىٰ ابن لَهيعة؛ فهو صدوق خلَّط بعد احتراق كُتُبه.

وقد رَواهُ ابن أبي عاصم في «كتاب السنة»[2]، عَن عمر بن الخطاب السجستاني: حَدَّثنا ابن أبي مريم -يعني سعيد بن الحكم المصري- حَدَّثنا بن لَهيعة، عَن أبي يونس سليم بن جبير، عَن أبي هُرَيرةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قَال: قال رَسُول اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**مَن قاتل فَلْيَجْتَنِب الوَجْه، فإنَّ صُورَة وَجه الإنسان عَلَىٰ صُورَة وَجه الرَّحْمن**»، عمر بن الخطاب السجستاني ذكره ابن حبان في «الثقات»، وقال: مستقيم الحَدِيث، وقال الحَافِظ ابن حَجَر في «التقريب»: صدوق، وأما ابن أبي مريم؛ فهو ثقة ثبت فقيه، وأما ابن لَهيعة فقد ضعَّفه بعض الأئمَّة، ووثَّقه أحْمَد بن صالح، ووثقه

---

(١) (٢/ ٥٣٦) (١٢٤٣).

(٢) (١/ ٢٣٠) (٥٢١).

أيضًا أحْمَد مُحمَّد شاكر، وجعل روايته من قَبيل الصَّحِيح. وقال الحَافِظ ابن حَجَر في «التقريب»: صدوق خلَّط بعد احتراق كتبه. وحسَّن ابنُ عدي، وابنُ كثير، والهيثمي حَدِيثَه، وقد روىٰ له مُسْلم، وابن خُزَيْمَةَ مقرونًا بغَيره، وروىٰ له البُخَارِي في عدة مواضع من «صَحِيحه» مَقرونًا بغيره، ولكنه لم يُسمِّه. قال ابن حجر في «تَهْذيب التهذيب»: وهو ابن لَهيعة لا شك فيه. وعلىٰ هذا فأوسط الأقوال في حَدِيثه أن يكون من قَبيل الحسَن.

وأما حَدِيث أبي رافع: فقد رَواهُ ابن أبي عاصم في «كتاب السنة»(١)، عَن مُحمَّد بن ثعلبة بن سواء، حدَّثني عمي مُحمَّد بن سواء، عَن سعيد بن أبي عروبة، عَن قتادة، عَن أبي رافع، عَن أبي هُرَيرةَ، قَال: قال رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إذا قاتَل أحدُكم فَلْيَجْتَنِب الوَجْه، فإنَّ اللهَ تَعالَىٰ خلَق آدمَ عَلَىٰ صُورَة وَجهِه**»، إسْنَاده حسَن، رجاله رجال الصَّحِيح، غير مُحمَّد بن ثعلبة بن سواء، وقد قال فيه الحَافِظ ابن حَجَر في «التقريب»: صدوق. وفي كل من هذا الحَدِيث وحديث أبي يونس شاهد قوي لحديث ابن عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا الَّذي تقدم ذكره.

وقد صحح الألباني إسْنَادَ حَدِيث أبي رافع، عَن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في «تعليقه عَلَىٰ كتاب السُّنَّة لابن أبي عاصم»(٢)، قال: ولكنه في شكٍّ من ثبوت قوله: «علىٰ صُورَة وَجهه»، فإنَّ المحفوظ في الطُّرق الصَّحِيحة: «علىٰ صُورَته». قال: ثمَّ إن سعيد بن أبي عروبة قد خُولف في إسْنَاده أيضًا عَن قتادة، فقال المثنىٰ بن سعيد: عَن

---

(١) (١/ ٢٢٧) (٥١٦).

(٢) «ظلال الجنة» (٥١٦).

قتادة، عَن أبي أيُّوب، عَن أبي هُرَيرةَ مرفوعًا بلفظ: «علىٰ صُورَته» أخرجه مُسْلم، وأحْمَد، وابن خُزَيْمَةَ، والبيهقي في «الأسماء والصِّفَات»، وتابعه همام، حَدَّثنا قتادة به سندًا ولفظًا، أخرجه مُسْلم، وأحْمَد، فهذا هو المحفوظ عَن قتادة إسْنَادًا ومتنًا.

والجواب عَن هذا من وجوه:

أحدها: أن يقالَ: ما وقع للألباني من الشك في ثبوت قوله: «**علىٰ صُورَة وَجهه**»؛ فهو مردود بتصحيحه لإسْنَاد الحَدِيث. وإذا كان الإسْنَاد صَحِيحًا فلا وَجه للشك في متنه. وقد قال عَبْد الله بن المبارك: بيننا وبين القوم القوائم -يعني الإسْنَاد- ، رَواهُ مُسْلم في مقدمة «صَحِيحه»[1]، وقال عَبْد الله أيضًا: الإسْنَادُ من الدِّين، ولولا الإسْنَاد لقال مَن شاء ما شاء، رَواهُ مُسْلم في مقدمة «صَحِيحه»[2]، ويؤخذ من قول عَبْد الله بن المبارك أن مُتون الأحَادِيث تُعتبر بأسانيدها في الأخذ والرد، فما صح إسْنَاده فمتنه مقبول، وما لم يصح إسْنَاده فمتنه مردود. وقد صح إسْنَاد حَدِيث أبي رافع، عَن أبي هُرَيرةَ، فيجب قبول متنه، ولا يجوز رَدُّه.

الوَجْه الثَّاني: أن يقال: إذا كان الحَدِيث صَحِيحَ الإسْنَاد، وهو من أحَادِيث الصِّفَات، فالواجب أن يُقابَلَ بالقبول والتسليم، وأن يُمَرَّ كَمَا جاء بلا تفسير؛ فهذه طريقة أهْل السُّنَّة والجَمَاعَة في أحَادِيث الصِّفَات. وقد تقدم ما رَواهُ يعقوب بن بختان، عَن الإمَام أحْمَد في ذلك، فأما النُّفرة من بعض النصوص الثَّابتة عَن النَّبيِّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الصِّفَات، ومقابلتها بالشكِّ والتشكيك فيها، ومحاولة ردِّها بالعِلل

(١) (١/ ١٥).

(٢) (١/ ١٥).

الواهية، فهي طريقة غير مَرضية؛ لمخالفتها لطريقة أهْل السُّنَّة والجَماعَة.

الوَجْه الثَّالث: أن يقال: إن الألباني قد حاول تعليلَ حَدِيث أبي رافع، عَن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بمُخالفة المُثنَّىٰ بن سعيد لسعيد بن أبي عروبة في الإسْنَاد، حيث إن المثنىٰ رواه عَن قتادة، عَن أبي أيُّوب، عَن أبي هُرَيرةَ. ورَوَاهُ سعيد بن أبي عَروبة عَن قتادة، عَن أبي رافع، عَن أبي هُرَيرةَ. وهذه المحاولة مردودة بتصحيح الألباني لإسْنَاد حَدِيث أبي رافع، عَن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ومردودة أيضًا بثناء أئمة الجرح والتعديل عَلَىٰ سعيد بن أبي عروبة دون المثنىٰ بن سعيد.

قال ابن أبي حاتم: أخْبَرَنا علي بن الحسين بن الجُنيد، أخْبَرَنا المُعلَّىٰ بن مهدي، قَال: قال لي أبو عوانة: ما كان عندنا في ذلك الزمان أحدٌ أحفظ من سعيد بن أبي عروبة. وروىٰ ابن أبي حاتم أيضًا، عَن أبي داود -يعني الطيالسي- قال: كان سعيد بن أبي عروبة أحفظَ أصحاب قتادة، وروىٰ أيضًا، عَن ابن أبي خيثمة قال: سمعت يحيىٰ بن مَعين يقول: أثبت الناس في قتادة ابن أبي عروبة، وهشام الدستوائي، وشعبة، فمن حدثك من هؤلاء الثَّلاثة الحَدِيث فلا تبال أن لا تسمعه من غيره.

وقال أيضًا: سمعت أبي يقول: سعيد بن أبي عروبة قبل أن يختلط ثقة، وكان أعلم الناس بحديث قتادة، وقال أيضًا: سئل أبو زُرعة عَن سعيد بن أبي عروبة فقال: ثقة مأمون، وقال أيضًا: قلت لأبي زُرعة: سعيد بن أبي عروبة أحفظ أو أبان العطار؟ فقال: سعيد أحفظ، وأثبت أصحاب قتادة: هشام، وسعيد، وروىٰ أيضًا، عَن يحيىٰ بن معين أنَّه قال: سعيد بن أبي عَروبة ثقة.

وقال ابن عدي: سعيد بن أبي عروبة من ثقات الناس، وله أصناف كَثِيرة، وقد حدَّث عنه الأئمَّة، ومَن سَمِع منه قبل الاختلاط، فإنَّ ذلك صَحِيحٌ حجَّة، ومن سمع بعد الاختلاط فذلك ما لا يُعتمد عليه، وهو مقدَّم في أصحاب قتادة، ومن أثبت الناس رِوَايَة عنه، وثبتًا عَن كل من روىٰ عنه إلا من دلَّس عنهم. انتهىٰ.

وإذا كان سعيد بن أبي عروبة بهذه المنزلة العالية عند الأئمَّة فروايته عَن قتادة مقدمة عَلَىٰ رِوَايَة المثنىٰ بن سعيد، عَن قتادة؛ لأنَّ المثنىٰ، وإن كان من الثقات فقد قال فيه ابن حبان: إنه يخطئ، ومن كان موصوفًا بالخطأ، فليست روايته عَن قتادة مساوية لرواية من قيل فيه: إنه أحفظ أصحاب قتادة، وأنَّه أثبت الناس فيه، وأنَّه أعلمهم بحديثه، وأنَّه مقدم في أصحابه، وأنَّه من أثبت الناس رِوَايَة عنه، وأن السماع منه قبل الاختلاط صَحِيح حجة، فضلًا عَن تقديم رِوَايَة الموصوف بالخطأ عَلَىٰ رِوَايَة الموصوف بالصِّفَات الحميدة.

وبما ذكرتُه يتبين لطالب العلم أن تعليل رِوَايَة ابن أبي عروبة، عَن قتادة بمُخالَفَةِ المثنىٰ بن سعيد له في الإسْنَاد، عَن قتادة؛ لا وَجهَ له، وإنما هو من التَّكلُّف.

الوَجْه الرَّابع: أن يقال: إن رِوَايَة سعيد بن أبي عروبة، عَن قتادة قد تأيَّدت بما رَواهُ ابن لَهيعة، عَن أبي يونس، عَن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وإسْنَاد هذه المتابعة حسن، كَمَا تقدم تقريره، وتأيدت أيضًا بحديث ابن عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا الَّذي تقدم ذكره، وذكر من صححه من الأئمَّة؛ فهو شاهد قوي لرواية سعيد بن أبي عروبة، عَن قتادة.

وبما ذكرته في الأوجه الأربعة يُعلم أن حَدِيث سعيد بن أبي عروبة، عَن قتادة صَحِيح محفوظ إسْنَادًا ومتنًا، وأنَّه لا وَجه لتعليله بمخالفة المثنىٰ بن سعيد لابن أبي

عروبة في الإسْنَاد، عَن قتادة.

الوَجْه الخامس: أن يقال: إنه لا منافاة بين المتن الَّذي جاء في رِوَايَة سعيد بن أبي عروبة عَن قتادة، وبين المتن الَّذي جاء في رِوَايَة المثنىٰ بن سعيد عَن قتادة. بَل كل منهما مطابق للآخر في الدلالة عَلَىٰ أن الله تَعالَىٰ خلَق آدمَ عَلَىٰ صُورَته، وما جاء مضمرًا في رِوَايَة المثنىٰ، وغيرها من الروايات التي تقدم ذكرها في أول الكِتَاب، فإنَّ النص الصريح في حَدِيث ابن عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وفيما رَواهُ أبو يونس الدوسي، وأبو رافع الصائغ، عَن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يفسره، ويَردُّ ما قيل فيه من التَّأويلات المستكرهة.

الوَجْه الرَّابع من وجوه الجواب عَن تعليل ابن خُزَيْمَةَ والألباني لحديث ابن عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا الَّذي تقدم ذكره: أن يقال: قد تقدم قريبًا ما ذكَره ابن قُتَيبَة في كتابه الَّذي سماه «تأويل مختلف الحَدِيث»[1] أنَّه قرأ في التوراة: «أن الله -جلَّ وعزَّ- لما خلَق السماءَ والأرض قال: نخلق بشرًا بصورتنا، فخلق آدم من أدمة الأرض، ونفخ في وَجهه نسمة الحياة»، وذكَر أيضًا هذا النص من التوراة في أول كتابه الَّذي سماه «المعارف»[2]، وهذا النص من التوراة مطابق للنص الَّذي جاء في حَدِيث ابن عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وفيما رَواهُ أبو يونس الدوسي، وأبو رافع الصائغ، عَن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَن النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّه قال: «**إنَّ اللهَ تعالَىٰ خلق آدم عَلَىٰ صُورَة الرَّحْمن**»، وفي حَدِيث أبي رافع: «**علىٰ صُورَة وَجهه**» والَّذي أَنزل التوراة عَلَىٰ موسىٰ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ هو الَّذي

---

(١) (١/ ٣٢١).

(٢) (ص١١).

أنزل الكِتَاب والحِكمةَ عَلَىٰ مُحمَّد صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وأمره أن يبين للناس ما نُزِّل إليهم.

قال الله تعالَىٰ: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ﴾ [النساء: ١١٣]، وقال تعالَىٰ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥﴾ [لنجم: ٣]، وقال تعالَىٰ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤]، وقال تعالَىٰ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾ [المائدة: ٤٤].

قال ابن قُتَيبَة: وكذلك حَدِيث ابن عباس رَضِيَاللَّهُعَنْهُمَا: أن موسىٰ صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ضَرب الحَجَرَ لبني إسرائيل فتفجَّر، وقال: «اشربوا يا حَمير» فأوحىٰ الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ إليه: «عمدتَ إلىٰ خلق مِن خلقي خلقتُهم عَلَىٰ صورتي فشبَّهتَهم بالحمير»[1]. فهذا موافق لما تقدم في حَدِيثي ابن عمر، وأبي هُرَيرةَ رَضِيَاللَّهُعَنْهُمَا، وفيما ذكرته من نص التوراة أبلغُ ردٍّ عَلَىٰ من تأوَّل حَدِيثي ابن عمر، وأبي هُرَيرةَ رَضِيَاللَّهُعَنْهُمَا بالتَّأويلات المستكرهة، وعلىٰ من علَّلهما بالتعليلات الواهية.

وقد استشهد شيخ الإسْلَام أبو العبَّاس ابن تَيميَّة رَحِمَهُاللَّهُ بقول ابن عباس رَضِيَاللَّهُعَنْهُمَا الَّذي ذكره ابن قُتَيبَة في ردِّه عَلَىٰ من علَّل حَدِيث ابن عُمَرَ رَضِيَاللَّهُعَنْهُمَا الَّذي تقدم ذكره. وقرر أن ابن عباس رَضِيَاللَّهُعَنْهُمَا إنما قاله توقيفًا من النَّبي صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ. وسيأتي كلامه عَلَىٰ هذا الأثر في ضمن كلامه المنقول من كتابه المسمىٰ «نقض أساس التقديس» إن شاء الله تَعالَىٰ.

الوَجْه الخامس: أن أقول: قد ذكرتُ في الوَجْه الثَّاني أن الإمَام أحْمَد، وإسحاق بن راهويه قد صحَّحا حَدِيثَ ابن عُمَرَ رَضِيَاللَّهُعَنْهُمَا الَّذي جاء فيه: «**أنَّ اللهَ خَلَقَ**

---

(١) انظر «تأويل مختلف الحديث» لابن قتيبة (١/ ٣٢١).

آدمَ عَلَىٰ صُورَة الرَّحْمن»، وذكرتُ أيضًا عَن شيخ الإسْلَام ابن تَيميَّة، والذَّهَبي أنهما صحَّحاه. وقال ابن حجر في «فتح البَاري»: أخرجه ابن أبي عاصم، والطَّبَرَانِي بإسْنَاد رجاله ثقات. وعلىٰ هذا، فإنَّه يجب أن يقابل بالقبول والتسليم، وأن يُمَرَّ كَمَا جاء بلا تفسير، وقد تقدم قول الإمَام أحْمَد: لا نفسره، ما لنا أن نفسره؟! كَمَا جاء الحَدِيث.

وروىٰ الخلال في «كتاب السنة»، عَن الأوزاعي قال: سئل مكحول، والزهري، عَن تفسير الأحَادِيث فقالا: أمروها كَمَا جاءت. وروىٰ أيضًا، عَن الوليد بن مُسْلم قال: سألت مالكَ بن أنس، وسُفْيان الثوري، والليثَ بن سعد، والأوزاعيَّ، عَن الأخبار التي جاءت في الصِّفَات فقالوا: أمروها كَمَا جاءت بلا كيف. وقد رَواهُ الآجُرِّي في كِتَاب «الشريعة»[١] بإسْنَاده، عَن الوليد بن مُسْلم قال: سألت الأوزاعي، والثوري، ومالك بن أنس، والليثَ بن سعد، عَن الأحَادِيث التي فيها الصِّفَات فكلُّهم قالوا: أمروها كَمَا جاءت بلا تَفسير.

وقال ابن عَبْد البر في كتابه: «جامع بيان العلم وفضله»[٢]: ليس في الاعتقاد كله في صِفَات الله وأسمائه إلا ما جاء منصوصًا في كِتَاب الله، أو صحَّ عَن رَسُول اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أو أجمعت عليه الأُمَّة، وما جاء من أخبار الآحاد في ذلك كله، أو نحوه يُسلَّم له، ولا يُناظَر فيه. ثمَّ روىٰ بإسْنَاده، عَن الأوزاعي قال: كان مكحول، والزهري يقولان: أَمِرُّوا هذه الأحَادِيثَ كَمَا جاءت، قال: وقد رُوِّينا عَن مالك بن أنس، والأوزاعي، وسُفْيان بن سعيد، وسُفْيان بن عُيَيْنَةَ، ومَعْمَرِ بن راشد في

(١) (٣/ ١١٤٦) (٧٢٠).

(٢) (٢/ ٩٤٢) (١٨٠٠).

الأحَادِيث في الصِّفَات أنهم كلهم قالوا: أمروها كَمَا جاءت، نحو حَدِيث النُّزول، وحديث: «أَنَّ اللهَ خَلَقَ آدمَ عَلَىٰ صُورَته»، وأَنَّه يدخل قَدمه في جهنم، وما كان مثل هذه الأحَادِيث.

قال أبو عمر بن عَبْد البر: رواها السَّلف وسكتوا عنها، وهم كانوا أعمق الناس علمًا، وأوسعهم فَهمًا، وأقلَّهم تكلفًا، ولم يكن سكوتهم عَن عِيٍّ[1]، فمن لم يَسعه ما وسعهم فقد خاب وخسر. انتهىٰ.

وقد ذكر شيخ الإسْلَام أبو العبَّاس ابن تَيميَّة -رَحِمَه اللهُ تَعالَىٰ- في «الفتوىٰ الحَمَويَّة الكبرىٰ»[2] ما رَواهُ الخلال، عَن الأوزاعي، والوليد بن مُسْلم، مما ذكراه عَن الأئمَّة الَّذين تقدَّم ذِكرُهم، وأنهم قالوا في أحَادِيث الصِّفَات: أمروها كَمَا جاءت بلا كيف، ثمَّ قال: فقولهم رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ: «أمِرُّوها كَمَا جاءت»: رد عَلَىٰ المُعطِّلة، وقولهم: «بلا كيف»: ردٌّ عَلَىٰ المُمثِّلة.

والزهري، ومكحول هما أعلم التَّابعين في زمانهم. والأربعة البَاقون أئمة الدنيا في عصر تابعي التَّابعين، ومن طبقتهم: حماد بن زيد، وحماد بن سلمة، وأمثالهما...

إلىٰ أن قال في قولهم: أَمِرُّوها كَمَا جاءت بلا كيف، إنما نفوا علم الكيفية، ولم ينفوا حقيقةَ الصِّفة. ولو كان القوم قد آمنوا باللَّفظ المُجرَّد من غير فَهمٍ لمعناه عَلَىٰ ما يليق بالله؛ لَمَا قالوا: أَمِرُّوها كَمَا جاءت بلا كيف، فإنَّه لا يُحتاج إلىٰ نفي علم الكيفية إذا لم يُفهم عَن اللفظ مَعنىٰ. وإنما يُحتاج إلىٰ نفي علم الكيفية إذا أُثبتت الصِّفَات.

---

(١) العِيُّ: خلافُ البيانِ، إما لجهل، وإما لعدم القدرة علىٰ الإفصاح بما يريد.

(٢) (١/ ٣٠٦).

وأيضًا، فإنَّ مَن ينفي الصِّفَات الخبرية، أو الصِّفَات مُطلقًا لا يَحتاج أن يقول: بلا كيف. فمن قال: إنَّ اللهَ ليس عَلَىٰ العرش، لا يحتاج أن يقول: بلا كيف. فلو كان مَذْهب السَّلف نفيَ الصِّفَات في نفس الأمر لما قالوا: بلا كيف.

وأيضًا، فقولهم: أَمِرُّوها بلا كيفٍ كَمَا جاءت، يقتضي إبقاءَ دلالتها عَلَىٰ ما هي عليه، فإنَّها جاءت ألفاظ دالة عَلَىٰ معانٍ. فلو كانت دلالتها مُنتفية لكان الواجب أن يقال: أَمِرُّوا لفظَها مع اعتقاد أن المفهومَ منها غيرُ مراد. أو: أمروا لفظَها مع اعتقاد أن الله لا يُوصف بما دلَّت عليه حقيقة. وحينئذ فلا تكون قد أُمِرَّتْ كَمَا جاءت، ولا يُقال حينئذ: بلا كيف، إذ نفي الكيف عما ليس بثابت لغوٌ من القول. انتهىٰ.

وذكر شيخ الإسْلَام أيضًا ما رَواهُ أبو القَاسم اللالكائي في كتابه المشهور في «أصول السنة»(١) بإسْنَاده، عَن مُحمَّد بن الحسن صاحب أبي حنيفة أنَّه قال: اتفق الفقهاء كلُّهم من المَشرقِ إلىٰ المغرب عَلَىٰ الإيمَان بالقرآن والأحَادِيثِ التي جاء بها الثقاتُ عَن رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في صِفَة الرَّبِّ عَزَّ وَجَلَّ من غير تَفسير، ولا وَصْف، ولا تَشبيه، فمَن فسَّر اليوم شيئًا منها فقد خرج مما كان عليه النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وفارق الجَمَاعَةَ، فإنَّهم لم يَصفوا، ولم يُفسِّروا، ولكن أفتوا بما في الكِتَاب والسنة، ثمَّ سكتوا، فمن قال بقول جَهْمٍ فقد فارقَ الجَمَاعَة؛ لأنَّه قد وَصَفَه بصِفة لا شيء.

قال شَيخُ الإسْلَام أبو العبَّاس ابن تَيميَّة: مُحمَّد بن الحسَن أخذَ عَن أبي حنيفة، ومالك، وطبقتهما من العلماء، وقد حكىٰ هذا الإجماعَ، وأخبر أن الجَهْمِيَّة تصفه بالأمور السَّلبية غالبًا أو دائمًا، وقوله: مِن غير تفسير. أراد به تفسيرَ الجَهْمِيَّة المُعطِّلَة،

---

(١) «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (٣/ ٤٨٠) (٧٤٠).

الَّذين ابتدعوا تفسيرَ الصِّفَات بخلاف ما كان عليه الصَّحابَة والتَّابعون من الإثبات.

وذكر الشَّيخ أيضًا ما رَواهُ البيهقي وغيرُه بإسْنَاد صَحِيح، عَن أبي عُبيد القَاسم بن سَلَّام أنَّه قال في أحَادِيث الصِّفَات: هي عندنا حقٌّ، حمَلها الثِّقاتُ بعضُهم عَن بعض، غيرَ أنَّا إذا سُئلنا عَن تفسيرها لا نفسِّرها، وما أدركنا أحدًا يفسرها.

قال شَيخُ الإسْلَام: وأبو عُبيد أحَد الأئمَّة الأربعة الَّذين هم الشَّافعي، وأحْمَد، وإسحاق، وأبو عبيد، وله من المَعرفة بالفقه واللغة والتَّأويل ما هو أشهر من أن يوصف. وقد كان في الزمان الَّذي ظهرت فيه الفتن والأهواء، وقد أخبر أنَّه ما أدرك أحدًا من العلماء يفسِّرها، أيْ: تفسيرَ الجَهْمِيَّة. انتهىٰ كلام شيخ الإسْلَام ابن تَيميَّة رحمه الله تَعالَىٰ.

وما ذكره مُحمَّد بن الحَسن عَن الفقهاء من الإيمَان بالصِّفَات من غير تَفسير، ولا وصف، ولا تشبيه، وقوله أيضًا: إنهم لم يصفوا، فالمُراد به أنهم لم يُكيِّفوا الصفة. بَل أَمَرُّوا ما جاء في الآياتِ والأحَادِيث كَمَا جاء، وهذا هو مَعْنىٰ ما رَواهُ الخَلَّال بإسْنَاده، عَن سُفْيان بن عُيَيْنَة قال: سئل رَبيعة بن أبي عَبْد الرَّحمن، عَن قوله: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥]، كيف استوىٰ؟ قال: الاستواء غير مَجهول، والكيفُ غير معقول، ومِن اللهِ الرِّسالة، وعلىٰ الرَّسُول البلاغ المُبين، وعلينا التَّصديق.

وروىٰ البيهقي وغيره، عَن يحيىٰ بن يحيىٰ قال: كنا عند مالك بن أنس فجاء رجل فقال: يا أبا عَبْد الله، ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥]، كيف استوىٰ؟ فأطرق مالكٌ برأسِه حتىٰ عَلاه الرُّحضاء، ثمَّ قال: الاستواء غير مجهول، والكَيف غير

معقول، والإيمَانُ به واجب، والسُّؤال عنه بدعة، وما أراك إلا مبتدعًا، ثمَّ أمر به أن يخرج[(١)].

قال شَيخُ الإسْلَام أبو العبَّاس ابن تَيميَّة رحمه الله تَعالَىٰ: فقَوْل رَبيعة، ومَالك: الاستواء غير مَجهول، والكيف غير معقول، والإيمَان به واجب، مُوافق لقَول البَاقين: أَمِرُّوها كَمَا جاءت بلا كيف، فإنما نَفَوا علمَ الكيفية، ولم ينفوا حقيقةَ الصِّفة، ولو كان القوم قد آمنوا باللفظ المجرَّد من غير فَهم لمعناه عَلَىٰ ما يليق بالله لما قالوا: الاستواء غيرُ مَجهول، والكيفُ غير معقول، ولما قالوا: أَمِرُّوها كَمَا جاءت بلا كيف، فإنَّ الاستواء حينئذ لا يكون مَعلومًا، بَل مجهولًا بمنزلة حروف المُعجم. انتهىٰ.

وقال أبو بكر الآجُرِّي في كِتَاب «الشريعة»[(٢)]: باب «الإيمَان بأن الله عَزَّوَجَلَّ خَلَق آدمَ عَلَىٰ صُورَته بلا كَيْف»، ثمَّ روىٰ في البَاب عدة أحَادِيث، منها حَدِيث سُفْيان، عَن أبي الزِّنَاد، عَن الأعرج، عَن أبي هُرَيرةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قَال: قال رَسُول اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: **«إذا ضَرب أحدُكم فَلْيَجْتَنِب الوَجْه، فإنَّ اللهَ تَعالَىٰ خلَق آدمَ عَلَىٰ صُورَته»**.

ومنها حَدِيث سُفْيان، عَن أبي الزِّنَاد، عَن الأعرج، عَن أبي هُرَيرةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قَال: قال رَسُول اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: **«لا تُقبِّحوا الوَجْه، فإنَّ اللهَ تَعالَىٰ خلَق آدمَ عَلَىٰ صُورَته»**.

ومنها حَدِيث ابن عَجلان، عَن سعيد -يَعْنِي المَقْبُري-، عَن أبي هُرَيرةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ

---

(١) «الأسماء والصفات» للبيهقي (٢/ ٣٠٥) (٨٦٧).

(٢) (٣/ ١١٤٧).

قال: «**لا تَقُل: قبَّح اللهُ وَجهَك، ولا وَجه مَن أَشبَه وَجهك، فإنَّ الله عَزَّوَجَلَّ خلق آدمَ عَلَىٰ صُورَته**»، ورَوَاهُ أيضًا، عَن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إذا ضَرب أحدُكم فَلْيَجْتَنِب الوَجْه، فإنَّ الله عَزَّوَجَلَّ خلَق آدمَ عَلَىٰ صُورَته**».

ومنها حَدِيث الأعمش، عَن حبيب بن أبي ثابت، عَن عطاء، عَن ابن عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَال: قال رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا تُقَبِّحوا الوَجْه، فإنَّ ابن آدم خُلق عَلَىٰ صُورَة الرَّحْمن عَزَّوَجَلَّ**».

قال الآجُرِّي: هذه من السُّنن التي يجب عَلَىٰ المُسْلِمين الإيمَانُ بها، ولا يُقالُ فيها: كيف؟ ولِمَ؟ بَل تُستقبل بالتَّسليم والتَّصديق، وتركِ النَّظر، كَمَا قال مَن تقدَّم مِن أئمة المُسْلِمين. حَدَّثنا أبو نصر مُحمَّد بن كُردي قال: حَدَّثنا أبو بكر المَرُّوذِي قال: سألت أبا عَبْد الله أحْمَد بن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ عَن الأحَادِيث التي تَرُدُّها الجَهْمِيَّة في الصِّفَات، والأَسْماء، والرُّؤية، وقصَّة العَرش، فصَحَّحَها وقال: تَلقَّتْها العلماءُ بالقَبول، تُسلَّم الأخبارُ كَمَا جاءت.

وقال أبو بكر المَرُّوذِي: وأُرسل أبو بكر وعثمانُ ابنا أبي شيبة إلىٰ أبي عَبْد الله يستأذنانه في أن يُحدِّثَنا بهذه الأحَادِيث التي تَرُدُّها الجَهْمِيَّةُ، فقال أبو عَبْد الله: حَدِّثوا بها، فقد تَلقَّتها العلماءُ بالقبول. وقال أبو عَبْد الله: تُسلَّم الأخبار كَمَا جاءت.

قال الآجُرِّي: سمعتُ أبا عَبْد الله الزُّبيري، وقد سئل عَن مَعْنىٰ هذا الحَدِيث، فذكر مثلَ ما قيل فيه، ثمَّ قال أبو عَبْد الله: نؤمن بهذه الأخبار التي جاءت كَمَا جاءت، ونؤمن بها إيمَانًا، ولا نقول: كيف؟ ولكن نَنتهي في ذلك إلىٰ حيث انتُهي بنا، فنقول في ذلك ما جاءت به الأخبار كَمَا جاءت. انتهىٰ كلام الآجُرِّي رحمه الله تَعالَىٰ.

وقد ذكرتُ في هذا الوَجْه من أقوال أكابر العلماء المتقدِّمين ما ينبغي العملُ به في آيات الصِّفَات، وأحَادِيث الصِّفَات، وهو الإيمَان بها من غير تَحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل. وفيما ذكرتُه عنهم كفاية لمن كان حريصًا عَلَىٰ اتباع السَّلف الصالح، والأخذِ بما كانوا عليه في باب الأسماء والصِّفَات.

فصل

ومِن زَلَّات ابن خُزَيْمَةَ أيضًا: نُفرَتُه من إثبات خَلْق آدمَ عَلَىٰ صُورَة الرَّحْمن، وتأويله لحديث الأعمش، عَن حبيب بن أبي ثابت، عَن عطاء، عَن ابن عُمَرَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قال: قال رَسُول اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**لا تقبِّحوا الوَجْه، فإنَّ ابن آدمَ خُلق عَلَىٰ صُورَة الرَّحْمن**»(١).

قال ابن خُزَيْمَةَ: وقد افتتنَ بهذه اللفظة التي في خبر عطاء عالمٌ ممن لم يَتحرَّ العِلْم، وتَوهَّموا أن إضافة الصُّورة إلىٰ الرَّحْمن في هذا الخبر من إضافة صِفَات الذات، فغَلِطوا في هذا غَلطًا بيِّنًا، وقالوا مقالةً شَنيعة مُضاهيةً لقول المُشبِّهة، أعاذنا اللهُ وكلَّ المُسْلِمين مِن قَولهم.

قال: والَّذي عندي في تأويل هذا الخبر؛ إن صحَّ من جهة النَّقل موصولًا، فإنَّ في الخبر عِلَلًا ثلاثًا... ثمَّ ذكر العِلَل، وقد تقدم ذكرُها والجوابُ عنها، فليُراجع(٢) - قال: فإنْ صحَّ هذا الخبَر مسنَدًا؛ بأن يكون الأعمشُ قد سمعه من حبيب بن أبي ثابت، وحبيبٌ قد سمعه من عطاء بن أبي رباح، وصح أنه عَن ابن عُمَرَ عَلَىٰ ما رَواهُ

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) (ص٤٨).

الأعمش، فمَعْنىٰ هذا الخبر عندنا: أن إضافة الصُّورة إلىٰ الرَّحْمن في هذا الخبر إنما هو من إضافة الخَلْق إليه؛ لأنَّ الخَلْق يُضاف إلىٰ الرَّحْمن، إذ اللهُ خَلقَه. وكذلك الصُّورة تُضاف إلىٰ الرَّحْمن؛ لأنَّ اللهَ صَوَّرها، ألم تسْمعْ قولَ الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾ [لقمان: ١١]؟!

فأضاف اللهُ الخَلقَ إلىٰ نفسه، إذ الله تَولَّىٰ خلقَه، وكذلك قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً﴾ [هود: ٦٤]، فأضاف الله الناقة إلىٰ نفسِه، وقال: ﴿تَأْكُلْ فِيٓ أَرْضِ ٱللَّهِ﴾ [هود: ٦٤]، وقال: ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا﴾ [النساء: ٩٧]، وقال: ﴿إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ [الأعراف: ١٢٨]، فأضافَ اللهُ الأرض إلىٰ نفسِه، إذ الله تولىٰ خلقَها وبسْطَها، وقال: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم: ٣٠]، فأضافَ الفِطرة إلىٰ نفسِه، إذ اللهُ فَطَر النَّاسَ عليها.

فما أضاف اللهُ إلىٰ نفسه عَلَىٰ مُضافَين:

إحداهما: إضافة الذَّات.

والأُخْرىٰ: إضافَةُ الخَلْق.

فتَفَهَّمُوا هذين المَعنيَين، لا تُغالطوا.

قال: فمَعْنىٰ الخَبَر -إن صحَّ مِن طَريق النَّقل مُسنَدًا- فإنَّ ابنَ آدمَ خُلق عَلَىٰ الصُّورة التي خَلقها الرَّحْمن حين صَوَّر آدم، ثمَّ نَفخ فيه الرُّوح، قال الله جَلَّوَعَلَا: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ﴾ [الأعراف: ١١]، والدليل عَلَىٰ صحة هذا التَّأويل: أن أبا موسىٰ مُحمَّد بن المثنىٰ قال: حَدَّثنا أبو عامر عَبْد الملك بن عمرو قال: حَدَّثنا المُغيرة -وهو ابن عَبْد الرَّحْمن-، عَن أبي الزِّنَاد، عَن موسىٰ بن أبي عُثمان، عَن أبيه،

عَن أبي هُرَيرةَ، عَن النَّبيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**خَلقَ اللهُ آدمَ عَلَىٰ صُورَته، وطُولُه ستُّون ذِراعًا**»(١).

حَدَّثنا عَبْد الرَّحمن بن بِشر بن الحكم قال: حَدَّثنا عَبْد الرزاق قال: حَدَّثنا همام بن مُنبِّه قال: هذا ما حَدَّثنا به أبو هُرَيرةَ، عَن مُحمَّد رَسُول اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ... فذكر أحَادِيث، وقال: قال رَسُول اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**خَلقَ اللهُ آدمَ عَلَىٰ صُورَته، وطُولُه ستُّون ذِراعًا، فلما خلَقه، قال: اذهب فسَلِّم عَلَىٰ أولئك النَّفر - وهم نفرٌ من الملائكة جُلوس- فاسْمع ما يُجيبونك، فإنَّها تَحيَّتُك وتَحيَّة ذُرِّيَّتك، قال: فذَهب فقال: السَّلام عليكم، فقالوا: السَّلامُ عليكَ ورحمةُ الله، فزادوه: ورحمة الله، قال: فكلُّ مَن يدخل الجنَّةَ عَلَىٰ صُورَة آدَمَ، طُولُه ستُّون ذِراعًا، فلم يزل الخَلقُ يَنقص حتىٰ الآن**»(٢).

قال ابن خُزَيْمَةَ: فصُورَة آدمَ هي ستُّون ذِراعًا التي أخبر النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن آدمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ خُلق عليها، لا عَلَىٰ ما توهَّم بعضُ مَن لم يتحرَّ العِلْم فظَنَّ أن قوله: «**عَلَىٰ صُورَته**» صُورَة الرَّحمن صِفة من صِفَات ذاته جَلَّ وَعَلَا عَن أن يُوصف بالموتان والأبشار، قد نزَّه نفسَه وقدَّس عَن صِفَات المَخلوقين، فقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾، وهو كما وصفَ نفسَه في كتابه عَلَىٰ لسان نبيه، لا كصفات المخلوقين من الحيوان، ولا من الموتان، كَمَا شبَّه الجَهْمِيَّةُ معبودَهم بالموتان، ولا كَمَا شبَّه الغاليةُ من الروافض معبودَهم ببني آدم، قبَّح اللهُ هذَين القَولين وقائلَهُما.

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

والجوابُ عَن هذا من وجوه:

أحدها: أن يقال: أما حَدِيث الأعمش، عَن حبيب بن أبي ثابت، عَن عطاء، عَن ابن عُمَرَ رَضِيَٓاللَّهُعَنهُمَا، عَن النَّبِيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيهِوَسَلَّمَ؛ فهو صَحِيحٌ ثابت، وقد صحَّحه الإمَام أحْمَد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه، وكفىٰ بهذين الإمَامين قُدوة في تصحيح الحَدِيث والحُكمِ بثبوته عَن النَّبِيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيهِوَسَلَّمَ، وقد صحَّحه أيضًا شيخُ الإسْلَام أبو العبَّاس ابن تَيميَّة، والحافظ الذَّهَبِي. وقال ابن حجَر: رجاله ثقات. وكفىٰ بهؤلاء الحُفَّاظ قدوةً في تصحيح الحَدِيث، وفي تصحيح هؤلاء الأئمَّة النُّقَّاد له أبلغُ رَدٍّ عَلَىٰ من علَّله بالعِلَل الواهية.

الوَجْه الثَّاني: أن يقال: إن خلْق آدم عَلَىٰ صُورَة الرَّحْمن ثابتٌ عَن النَّبِيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيهِوَسَلَّمَ في أربعة أحَادِيث، تقدم ذكرُها في أول الكِتَاب:

أولها: حَدِيث أبي هُرَيرةَ رَضِيَٱللَّهُعَنهُ؛ أن رَسُول اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيهِوَسَلَّمَ قال: «**خلقَ اللهُ آدَمَ عَلَىٰ صُورَته**»، وقد روي هذا الحَدِيث من طرق كَثِيرة عَن أبي هُرَيرةَ رَضِيَٱللَّهُعَنهُ، والضَّمير في قوله: «**علىٰ صُورَته**» عائد إلىٰ الله تَعالَىٰ، كَمَا هو مقرر عند أهْل السُّنَّة والجَمَاعَة.

وثانيها: حَدِيث ابن عُمَرَ رَضِيَٱللَّهُعَنهُمَا؛ أنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيهِوَسَلَّمَ قال: «**لا تُقبِّحوا الوَجْه، فإنَّ اللهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَىٰ صُورَة الرَّحْمن**»(١)، وهذا نصٌّ صَريح في أن الله تَعالَىٰ خَلق آدمَ عَلَىٰ صُورَته. وهذا النَّصُّ لا يحتمل التَّأويل، ومَن تأوَّله فقد أبعد النجْعَة، وتكلَّف غايةَ التَّكلُّف.

---

(١) سبق تخريجه.

وثالثها: حَدِيث أبي يونس الدَّوسي، عَن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ؛ أنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إذا قاتل أحدكم فَلْيَجْتَنِب الوَجْه، فإنما صُورَة الإنسان عَلَىٰ صُورَة وَجه الرَّحْمن**»(١)، وهذا نص صريح في أن الله تَعالَىٰ خلق الإنسان عَلَىٰ صُورَة وَجهه الَّذي هو صفة من صِفَات ذاته. وهذا النص لا يحتمل التَّأويل، وفيه أبلغ رد عَلَىٰ ابن خُزَيْمَةَ، وعلىٰ كل من تأول الحَدِيث بتأويلات الجَهْمِيَّة المعطلة.

ورابعها: حَدِيث أبي رافع الصَّائغ، عَن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ؛ أنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إذا قاتل أحدُكم فَلْيَجْتَنِب الوَجْه، فإنَّ اللهَ تَعالَىٰ خلق آدم عَلَىٰ صُورَة وَجْهه**»(٢)، وهذا نص صَريح في خَلْقِ آدَمَ عَلَىٰ صُورَة وَجه الله تَعالَىٰ، وهذا النص لا يحتمل التَّأويل، وفي هذه الأحَادِيث الأربعة أبلغ رد عَلَىٰ من تأول حَدِيث ابن عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عَلَىٰ غير تأويله، ونفىٰ إضافة الصُّورة إلىٰ الرَّحْمن، وزعم أنها من إضافة الخلق والتصوير إلىٰ الله تَعالَىٰ.

الوَجْه الثَّالث: أن أقولَ: قد ذكرتُ قريبًا قولَ أهْل السُّنَّة والجَماعَة في أحَادِيث الصِّفَات أنَّه يجبُ أن تُقابلَ بالقَبول والتَّسليم، وأنْ تُمرَّ كَمَا جاءت من غير تفسير، مع اعتقاد أن الله ليس كمثله شيء، ولا يجوز ردُّ شيء من الأحَادِيث الثَّابتة عَن النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الصِّفَات، وفي غير الصِّفَات، ولا النُّفرة مما هو ثابتٌ عَن النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِن نُصوص الصِّفَات التي يَستوحِش منها بعضُ الناس، ولا تَقبلُها نُفوس الجَهْمِيَّة المُعطِّلَة.

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

الوَجْه الرَّابع: أن يُقالَ: إنَّ الَّذين قالوا: إن إضافةَ الصُّورة إلىٰ الرَّحْمن في حَدِيث ابن عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا إنما هو من إضافة صِفَات الذات؛ لم يَغلطوا، ولم يُضاهوا المُشبِّهة، وإنما أثبتوا ما ثَبَت عَن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأَمَرُّوه كَمَا جاء مِن غير تَفسير؛ عملًا بقول الله تَعالَىٰ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ [الحشر: ٧]، وتصديقًا لقول الله تَعالَىٰ في صفة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥﴾ [النجم: ٣ - ٥]، ولا شك أن الغالط في الحَقيقة مَن يُغلِّط الَّذين يَتمسَّكون بالنُّصوص الثَّابتة عَن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويُنزِّهُونها عَن أقوال الجَهْمِيَّة المُعطِّلة، وعن تَأويلات الَّذين يَزعمون أن ظاهرَها غير مراد.

الوَجْه الخامِس: أن يقالَ: مَن زعم أن إضافة الصُّورة إلىٰ الرَّحْمن في حَدِيث ابن عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا إنما هو من إضافة الخلق والتَّصوير إلىٰ الله تَعالَىٰ، فقد صرف الحَدِيث عَن ظاهره، وأفسد معناه، وعلىٰ هذا التَّأويل المُستكرَه لا يكون لآدمَ مزية عَلَىٰ غيره من المخلوقات، ولا يكون بينه وبينها فرْق مُؤثِّر؛ لأنَّ الله تعالَىٰ هو الَّذي خلق المخلوقات كلَّها، وصوَّرها، ولكنَّه قد خصَّ آدمَ من بينها بخصائصَ عظيمة، امتاز بها عَلَىٰ سائر المخلوقات؛ منها أنَّه خلقه بيديه، ومنها أنَّه خلقه عَلَىٰ صُورَته، ومنها أنَّه نفخ فيه من روحه، ومنها أنَّه علمه الأسماء كلَّها، ومنها أنَّه أمر الملائكة بالسجود له، فمن أنكر شيئًا من هذه الخصائص فقد بَخس آدمَ حقَّه، وجحد الفضيلةَ العظيمة التي خصَّه الله بها، وفضَّله بها عَلَىٰ سائر المخلوقات، وهذا من أعظم العُقوق لآدم.

الوَجْه السادس: أن يُقالَ: لا يَشكُّ أحدٌ من العقلاء أن بني آدمَ قد خُلقوا عَلَىٰ صُورَة أبيهم آدم، ولم يُخلَقوا عَلَىٰ صُورَة غيره من المَخلوقات، ولو كان المرادُ من حَدِيث ابن عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا الإخبارَ بأن ابن آدم خُلق عَلَىٰ الصُّورة التي خَلقها الرَّحْمن

حين صوَّر آدم، ثمَّ نفَخ فيه الرُّوح؛ لما كان في الحَدِيث فائدة، ولا كان فيه فضيلة خاصَّة لآدم وذُرِّيَّتِه، وإنما يكون ذلك مِن تَحصيل الحاصل.

الوَجْه السابع: أن يُقالَ: إن ابن خُزَيْمَةَ قد قرَّر في آخر كلامه قولَ مَن أعاد الضَّمير في حَدِيث الصُّورة عَلَىٰ آدم، وذلك واضح في قوله: فصُورَة آدم هي ستُّون ذِراعًا التي أخبر النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن آدم خُلق عليها، وقد تقدَّم قولُ الإمَام أحْمَد أن هذا قول الجَهْمِيَّة.

فصل

وقد دلَّت نصوص الأحَادِيث التي تقدم ذكرُها في أول الكِتَاب عَلَىٰ إثبات الصُّورة لله تَعالَىٰ، والرَّد عَلَىٰ أهل الكلام البَاطل الَّذين ينفون هذه الصِّفَة عَن اللهِ تَعالَىٰ، ويَتأوَّلُونها بالتَّأويلات المُستكرَهة، ولا شك أن نَفيَ هذه الصِّفَة عَن الرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يُنافي الإيمَانَ بالأحَادِيث الوَاردة في ذلك، وقد تقدَّم عَن أبي مُحمَّد بن قُتَيبَة أنَّه قال: والَّذي عندي أن الصُّورة ليست بأعجبَ من اليدين، والأصابع، والعين، وإنما وقع الإلفُ لتلك؛ لمجيئها في القرآن، ووقعت الوَحشةُ من هذه؛ لأنَّها لم تأت في القرآن، ونَحن نؤمن بالجميع، ولا نقول في شيء منه: بكيفيَّة، ولا حَدٍّ. انتهىٰ.

وقد جاء في إثبات الصُّورة لله تَعالَىٰ أحَادِيث صَحِيحةٌ سوىٰ ما تقدَّم.

منها ما في «الصَّحِيحين»[١]، وغيرهما من حَدِيث الزُّهري، عَن عطاء بن يزيد الليثي؛ أن أبا هُريرةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أخبره؛ أنَّ ناسًا قالوا لرَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يا رَسُول

---

(١) أخرجه البخاري (٧٤٣٧)، ومسلم (١٨٢).

اللهِ، هل نرىٰ ربَّنا يوم القِيامَة؟ فقال رَسُول اللهِ صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**هل تُضارُّون في رؤية القمر ليلةَ البدر ليس دونه سَحاب؟**» قالوا: لا يا رَسُول اللهِ، قال: «**هل تُضارُّون في الشَّمس ليس دونها سحَاب؟**» قالوا: لا يا رَسُول اللهِ، قال: «**فإنَّكم تَرونَه يوم القِيامَة كذلك، يَجمَع اللهُ الناسَ فيقول: مَن كان يَعبُد شيئًا فليَتبعه، فيَتبع مَن كان يعبد الشَّمسَ الشَّمسَ، ويَتبع مَن كان يَعبدُ القمرَ القمرَ، ويتبع مَن كان يعبد الطَّواغيتَ الطَّواغيتَ، وتَبقىٰ هذه الأُمَّة فيها مُنافقوها، فيأتيهم اللهُ في صُورَة غير صُورَته التي يَعرفون، فيقول: أنا ربُّكم، فيقولون: نعُوذ بالله مِنك، هذا مَكَاننا حتىٰ يأتِيَنا ربُّنا، فإذا جاء ربُّنا عرفناه، فيأتيهم اللهُ تَعالَىٰ في صُورَته التي يعرفون، فيقول: أنا ربُّكم، فيقولون: أنت ربُّنا، فيَتبعونه...**» الحَدِيثَ.

وفي آخره ذكر آخر أهل الجنَّة دخولًا، وأنَّه إذا دخلها «**قال الله له: تَمنَّه، فيَسأل ربَّه ويتمنَّىٰ، حتىٰ إنَّ اللهَ ليُذكِّره مِن كذا وكذا، حتىٰ إذا انقطعت به الأماني قال الله تَعالَىٰ: ذلك لكَ، ومِثله مَعه**» قال عطاء بن يزيد: وأبو سعيد الخُدري مع أبي هُرَيرةَ لا يَردُّ عليه من حَدِيثه شيئًا، حتىٰ إذا حدَّث أبو هُرَيرةَ أن اللهَ قال لذلك الرَّجل: «**ومثله معه**» قال أبو سعيد: وعَشرة أمثاله معه يا أبا هُرَيرةَ، قال أبو هُرَيرةَ: ما حَفظتُ إلا قوله: «**ذلك لك، ومثله معه**» قال أبو سعيد: أشهد أني حفظتُ من رَسُول اللهِ صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قوله: «**ذلك لك، وعشرة أمثاله**».

ومنها ما في «الصَّحِيحين»[١]، وغيرهما، عَن أبي سعيد الخدري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، عَن النَّبِيِّ صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، نحوَ حَدِيث أبي هُرَيرةَ الَّذي تقدَّم ذكره، وفيه: «**وتبقىٰ هذه الأُمَّة**

---

(١) أخرجه البخاري (٧٤٣٩)، ومسلم (١٨٣).

فيها منافقوها، فيأتيهم اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في صُورَة غير صُورَته التي يعرفون، فيقول: أنا ربُّكم، فيقولون: نَعوذ بالله منكَ، هذا مكاننا حتىٰ يأتينا ربُّنا، فإذا جاء ربُّنا عرفناه، فيأتيهم الله تَعالَىٰ في صُورَته التي يعرفون، فيقول: أنا ربُّكم، فيقولون: أنت ربنا، فيتبعونه...» الحَدِيث.

وفي رِوَايَة للبُخاري في (كتاب التَّوْحيد) قال: «**فيأتيهم الجبَّارُ في صُورَة غير صُورَته التي رَأوه فيها أوَّل مرَّة، فيقول: أنا ربُّكم، فيقولون: أنت ربُّنا**»(١).

ومنها ما رَواهُ الإمَام أحْمَد، والتِّرْمِذِي، عَن مُعاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: احتبس علينا رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذات غَداة، عَن صلاة الصُّبح - فذكر حَدِيث المنام بطُولُه، وفيه: أنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إني قُمتُ مِن اللَّيل فتوضَّأتُ، وصَلَّيتُ ما قُدِّر لي، فنَعست في صَلاتي حتىٰ استثقلتُ، فإذا أنا بربي تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في أحسَن صُورَة...**»(٢) الحَدِيث. قال التِّرمِذِي: هذا حَدِيث حسن صَحِيح، سألتُ مُحمَّدَ بن إسماعيل -يَعْنِي البُخَارِيَّ- عَن هذا الحَدِيث فقال: هذا حَدِيث حسن صَحِيح.

ومنها ما رَواهُ الإمَام أحْمَد، والتِّرْمِذِي أيضًا، عَن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**أتاني ربي اللَّيلةَ في أحسن صُورَة**»(٣) قال: أحسبه في

---

(١) أخرجه البخاري (٧٤٣٩).

(٢) أخرجه أحمد (٥/ ٢٤٣) (٢٢١٦٢)، والترمذي (٣٢٣٥)، وصححه الألباني في «المشكاة» (٧٤٨).

(٣) أخرجه أحمد (١/ ٣٦٨) (٣٤٨٤) والترمذي (٣٢٣٣)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٩).

المنام... الحَدِيثَ، قال التِّرْمِذِي: هذا حَدِيث حسن غريب.

ومنها ما رَواهُ ابن أبي عاصم في كتاب «السُّنة»[(١)]، عَن جابر بن سَمُرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، قَال: قال رَسُول اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**إنَّ اللهَ تَعالَىٰ تجلَّىٰ لي في أحسن صُورَة...**» الحَدِيث. وهو طرف من حَدِيث المنام الطويل، ورجال هذا الحَدِيث رجال الصَّحِيح.

ومنها ما رَواهُ ابن أبي عاصم أيضًا في كِتَاب «السُّنَّة»[(٢)]، عَن أبي أُمامَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، عَن النَّبِيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**تَراءىٰ لي ربِّي في أحسَن الصُّورة...**» الحَدِيثَ، وإسْنَاده حسَن.

ومنها ما رَواهُ ابن أبي عاصم أيضًا في كِتَاب «السُّنَّة»[(٣)]، عَن ثوبانَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال، قال رَسُول اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**إن ربِّي أتاني الليلةَ في أحسن صُورَة**».

ومنها ما رَواهُ ابن أبي عاصم أيضًا في كِتَاب «السُّنة»[(٤)]، عَن أم الطُّفُيل امرأة أُبي بن كعب، قالت: سمعتُ رَسُول اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يقول: «**رأيتُ ربي في المنام في أحسن صُورَة**»، وهذا الحَدِيث والَّذي قبله يشهد لهما ما تقدَّم من حَدِيث مُعاذ، وابن عباس، وجابر بن سمرة، وأبي أُمامة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ. وقد قال أبو عَبْد الله ابن مَنده في «الرَّد علىٰ الجَهْمِيَّة»[(٥)]: رُوي هذا الحَدِيث عَن عشرة من أصحاب النَّبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ،

---

(١) (١/ ٢٠٣) (٤٦٥)، وحسنه الألباني في «ظلال الجنة» (٤٦٥).

(٢) (١/ ٢٠٣) (٤٦٥)، وقال الألباني في «ظلال الجنة» (٤٦٦): صحيح لغيره.

(٣) (١/ ٢٠٤) (٤٧٠)، وقال الألباني في «ظلال الجنة» (٤٧٠): صحيح بشواهده.

(٤) (١/ ٢٠٥) (٤٧١)، وقال الألباني في «ظلال الجنة» (٤٧١): صحيح لغيره.

(٥) (١/ ٤٨) (٢٩).

ونقلها عنهم أئمةُ البلاد من أهل الشرق والغرب. انتهىٰ.

وإذا عُلم هذا فقد روىٰ ابن أبي حاتم، عَن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قال: قال رَسُول اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**رُؤيا الأنبياء في المَنام وحي**»[١]، وروىٰ ابن جرير في «تفسيره»[٢]، وابن أبي عاصم في كِتَاب «السُّنَّة»[٣]، عَن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قال: «كانت رُؤيا الأنبياء وَحيًا»، وروىٰ البُخَارِي في «صَحِيحه»[٤]، عَن عُبيد بن عُمير قال: «إن رؤيا الأنبياءِ وَحْي»، ثمَّ قرأ: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ﴾ [الصَّافات: ١٠٢]، وروىٰ الإمَام أحْمَد في «مسنده»[٥]، وابن أبي عاصِم في كِتَاب «السنة»[٦] بأسانيد صَحِيحة، عَن معاذ بن جبل رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ؛ موقوفًا: «أن رَسُول اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ كان ما رأىٰ في يَقظته أو نَومِهِ؛ فهو حقٌّ»، وفي رِوَايَة لأحْمَد قال: «رُؤيا النَّبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ حقٌّ»[٧].

وإذا عُلم أن رؤيا النَّبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في المنام وَحْي وحَقٌّ، وعُلم أيضًا ما تقدَّم ذكره في الأحَادِيث الصَّحِيحة من إثبات الصُّورة لله تَعالَىٰ، فليُعلم أنَّه يجب الإيمَان بهذه الصِّفَة، وإمرارُها كَمَا جاءت من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا

---

(١) «تفيسر ابن أبي حاتم» (١٠/ ٣٢٢١) (١٨٢٢٩).

(٢) (١٣/ ٩).

(٣) (١/ ٢٠٢) (٤٦٣).

(٤) (٨٥٩).

(٥) (٥/ ٢٤٥) (٢٢١٧٣).

(٦) (١/ ٢٠٢) (٤٦٤).

(٧) أخرجه أحمد (٥/ ٢٣٣) (٢٢٠٨٨)، وقال شعيب الأرنؤوط: صحيح لغيره، وهذا إسناد رجاله ثقات رجال الشيخين غير أنه منقطع.

تمثيل. وقد تلقَّاها الصَّحابَةُ عَن النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقَابلوها بالقبول والتسليم، وأَمَرُّوها كَمَا جاءت، ثمَّ تلقَّاها التَّابعون عَن الصَّحابَة وقابَلوها بالقبول والتسليم، وأَمَرُّوها كَمَا جاءت، ثمَّ تلقاها أتباعُ التَّابعين ومَن بعدهم من أكابر العلماء، وقابلوها بالقَبول والتسليم، وأَمَرُّوها كَمَا جاءت، وخرَّجها أكابر المحدِّثين في الصِّحاح، وكتب السُّنة، وقابلوها بالقَبول والتَّسليم، وأَمَرُّوها كَمَا جاءت.

ثمَّ خَلف مِن بعدهم خلفٌ سَلكوا مسلكَ أهل الكلام البَاطل الَّذي ذمَّه السَّلف، وحذَّروا منه، فخاضوا في تأويلها وصرفِها عَن ظاهرها بما سنح لهم من الاحتمالات، والتَّأويلات المُستكرهة، وقد تقدَّم قولُ ابن عَبْد البر أن السَّلف رَووا أَحَادِيث الصِّفَات وسكتوا عنها، وهم كانوا أعمقَ الناس علمًا، وأوسعَهم فَهمًا، وأقلَّهم تكلُّفًا. ولم يكن سكوتهم عَلَىٰ عيٍّ، فمن لم يسعه ما وسعهم فقد خاب وخسر. انتهىٰ.

ولقد أحسنَ الرَّاجز حيث يقول:

وكُلُّ خَيرٍ في اتِّبَاعِ مَن سَلَف ... وكُلُّ شَرٍّ في ابتداعِ مَن خَلَف

فصل

وقد دلَّت الأَحَادِيث التي تقدَّم ذكْرُها عَلَىٰ أن الله تَعالَىٰ خلق آدمَ عَلَىٰ أحسن صُورَة، وفي هذا أبلغ ردٍّ عَلَىٰ المقالة الخبيثة التي تُنسب إلىٰ دَارْوِين، وتُسمَّىٰ نَظرية النُّشوء والتَّطوُّر والارتِقَاء. فقد جاء في هذه المقالة الخبيثة أن الإنسانَ أصله قِرْد، وأنَّه بعد النُّشوء والتطور والارتقاء صار إلىٰ هذه الصُّورة الموجودة عليها بنو آدم اليوم. وهذا كفر صريحٌ؛ لما فيه من التكذيب بما أخبر الله به في كتابه، وما أخبر به رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

في الأحَادِيث الثَّابتة عنه، فقد جاء في آيات كَثِيرة من القرآن أن الله تَعالَىٰ خلق آدم من طين، وأنَّه خلقه بيديه، ونفخ فيه من روحه، وعلَّمه الأسماءَ كلها، وأمر الملائكةَ بالسجود له. وهذه فضائل عظيمة خص اللهُ بها آدمَ دون سائر المخلوقات. وقد أخبر النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الأحَادِيث التي تقدم ذكرها: «**أنَّ اللهَ خَلَق آدمَ عَلَىٰ صُورَته**»، وفي بعض الرِّوايات: «**علىٰ صُورَة وَجهه**»[1]، وفي بعضها: «**علىٰ صُورَة الرَّحْمن**»[2]، وهذه فضيلة عظيمة جدًّا خصَّ اللهُ بها آدم دون سائر المخلوقات.

وقد تضمَّنت المقالة الدَّارونية نفيَ هذه الفضيلة العظيمة عَن آدم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ونفي الفضائل المذكورة قبلَها عنه، وهذا من أعظم المُحادَّة لله تَعالَىٰ، ولرسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومن أعظم العُقوق لآدمَ، حيث قد جعله الدَّارْوِنيُّون[3] منفصلًا من القِرَدة التي هي من أخبث الحيوانات طبعًا، وأشدها قبحًا، وتشويهًا في الخِلْقة، فقاتَل اللهُ مَن قال بهذه المقالة الخبيثة، ومن تلقَّاها بالقبول، وقدَّمها عَلَىٰ ما أخبر الله به ورسولُه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَن ابتداءِ خَلْق آدم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

وقد روىٰ الإمَام أحْمَد، وأبو داودَ، والتِّرمذي، وابن حِبَّان في «صَحِيحه»، والحاكم في «مُسْتَدرَكِه»، عَن أبي موسىٰ الأشعري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عَن النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

---

(١) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٨/ ٢٥) (٧٨٥٠)، وعبد الله بن أحمد في «السنة» (٢/ ٥٣٦) (١٢٤٣)، وابن أبي عاصم في «السنة» (١/ ٢٢٨) (٥١٦) من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وصححه الألباني في «ظلال الجنة» (٥١٦).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) أتباع (دارون) اليهودي الملحد صاحب القول بنظرية التطور، وأن أصل الإنسان في بعض أطواره كان قردًا.

قال: «**إِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ خلق آدمَ مِن قَبضة قبضَها من جَمِيع الأرض، فجاء بنو آدمَ عَلَىٰ قَدْر الأرض، جاء منهم الأبيض، والأحمر، والأسود، وبين ذلك، والخبيث والطَّيب، والسَّهل والحَزن، وبين ذلك**»(١) قال التِّرْمِذِي: هذا حَدِيث حسن صَحِيح، وصححه أيضًا الحاكم، والذَّهَبِي، وفي هذا الحَدِيث أبلغ ردٍّ عَلَىٰ من قال بالنُّشوء والتطور والارتقاء في بني آدم.

فصل

وقد عقَد الرَّازي في كتابه الَّذي سماه «أَسَاس التَّقديس» فصلًا في إثبات الصُّورة لله تَعالَىٰ، وأورد فيه حَدِيث أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الَّذي جاء فيه: «**أَنَّ اللهَ خَلَق آدمَ عَلَىٰ صُورَته**»، وحديث ابن عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا الَّذي جاء فيه: «**أَنَّ اللهَ خَلَق آدمَ عَلَىٰ صُورَة الرَّحْمن**»، وتأول الحَدِيثين عَلَىٰ طريقة أهل الكلام البَاطل المذموم عند السَّلف، واستشهد في كلامه بتأويل ابن خُزَيْمَةَ للحديثين، وقد ردَّ عليه وعلىٰ ابن خُزَيْمَةَ بَحرُ العلوم وسَيفُ الله المَسلول عَلَىٰ أهل البدع: شيخُ الإِسْلَام أبو العبَّاس ابن تَيميَّة قدَّس الله رُوحَه، ونَوَّر ضَريحه، في كِتَابه الَّذي سماه «نَقْض أساس التَّقديس»(٢) بكلامٍ مُفصَّل مَبسوط واضِح بيِّن، لا يوجد مثله في كلام غيره من العلماء.

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٤٠٦) (١٩٦٥٩)، وأبو داود (٤٦٩٣)، والترمذي (٢٩٥٥)، والحاكم (٢/ ٢٨٨) (٣٠٣٧)، والبيهقي (٩/ ٣) (١٧٤٨٦)، وابن حبان (١٤/ ٢٩) (٦١٦٠)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٦٣٠). ومن غريب الحديث: «السهل»: الذي فيه رفق ولين. و«الحزن»: الذي فيه عنف وغلظة.

(٢) يعني كتاب «بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية» لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ، وانظر (٦/ ٣٥٥).

ولعِظَم فائدته رأيتُ أن أذكر مُلخَّصَه في هذه النُّبذة، لعل اللهَ تعالَىٰ أن ينفع به من قرأه، ومَن سمعه، ويكون سببًا لاطِّراح أقوال أهل الكلام البَاطل، وتأويلاتهم المستكرهة في حَدِيث الصُّورة.

قال الرَّازي: الفصل الأوَّل في إثبات الصُّورة: اعلم أن هذه اللَّفظة ما وَردت في القرآن، لكنها واردة في الأخبار، فالخبر الأول: ما رُوي عَن النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّه قال: «**إنَّ اللهَ خَلَق آدَمَ عَلَىٰ صُورَته**»، وروىٰ ابن خُزَيْمَةَ، عَن أبي هُرَيرةَ، عَن النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّه قال: «**لا يَقولنَّ أحدُكم لعبده: قبَّح اللهُ وَجهَك، ووجهَ من أشبَهَ وَجهَك، فإنَّ اللهَ خَلَق آدَمَ عَلَىٰ صُورَته**»[1].

والجواب[2]: اعلم أن الهاء في قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**علىٰ صُورَته**» يحتمل أن تكون عائدة عَلَىٰ شيء غير صُورَة آدم، وغير الله، ويحتمل أن يكون عائدًا إلىٰ آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ويحتمل أن يكونَ عائدًا إلىٰ الله، فهذه طُرق ثلاثة.

الطريق الأول: أن يكونَ هذا الضَّمير عائدًا إلىٰ غير آدم، وإلىٰ غير الله تَعالَىٰ. وعلىٰ هذا التقدير ففي تأويل الخبر وَجهان:

الأول: هو أن من قال للإنسان: قبح الله وَجهك، ووجهَ من أشبه وَجهك، فهذا يكون شتمًا لآدم، فإنَّه لما كان صُورَة هذا الإنسان مساوية لصُورَة آدم كان قوله: قبَّح الله وَجهك، ووجه من أشبه وَجهك، شتمًا لآدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ولجميع الأنبياء، وذلك غير جائز، فلا جَرمَ نهىٰ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَن ذلك. وإنما خص آدم بالذِّكر؛ لأنَّه

---

(١) رواه ابن خزيمة في «التوحيد» (١/ ٨٢).

(٢) هذا الجواب للرازي.

هو الَّذي ابتُدِئَت خِلقتُه عَلَىٰ هذه الصُّورة.

الثَّاني: أن المراد منه إبطال قول من يقول: إن آدم كان عَلَىٰ صُورَة أخرىٰ، مثل ما يقال: إنَّه كان عظيم الجثة، طويلَ القَامة بحيث يكون رأسه قريبًا من السماء، فالنَّبِي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ أشار إلىٰ إنسان مُعيَّن، وقال: إنَّ اللهَ تَعالَىٰ خلق آدم عَلَىٰ صُورَته، أي: كان شكل آدم مثل شكل هذا الإنسان من غير تفاوت البتة، فأبطل بهذا البيان وهمَ من توهم أن آدم كان عَلَىٰ صُورَة أخرىٰ غير هذه الصُّورة.

الطريق الثَّاني: أن يكون الضَّمير عائدًا إلىٰ آدم عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ، وهذا أولىٰ الوجوه الثَّلاثة؛ لأنَّ عود الضَّمير إلىٰ أقرب مذكور واجب. وفي هذا الحَدِيث أقرب الأشياء المذكورة هو آدم عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ، فكان عود الضَّمير إليه أولىٰ، ثمَّ عَلَىٰ هذا الطريق ففي تأويل الخبر وجوه:

الأول: أنَّه تَعالَىٰ لمَّا عظَّم أمرَ آدمَ فجَعله مسجودَ الملائكة، ثمَّ إنه أتىٰ بتلك الزلَّة، فاللهُ لم يعاقبْهُ بمِثل ما عاقب به غيرَه، فإنَّه نقل أن الله أخرجه من الجنة، وأخرج معه الحية، والطَّاووس، وغيَّر خلقهما(١)، مع أنَّه لم يغيِّر خلقة آدم، بَل تركه عَلَىٰ الخِلقة الأُولىٰ إكرامًا له، وصَونًا له من عذاب المَسخ.

فقوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «إنَّ اللهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَىٰ صُورَته» معناه: خلق آدم عَلَىٰ هذه

---

(١) روىٰ ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٨٩) (٣٩٨) قال: أَخْبَرَنَا يُونُسُ بن عَبْدِ الأَعْلَىٰ قِرَاءَةً؛ أَخْبَرَنِي ابْنُ وهب، حدثني عبد الرحمن بن مَهْدِيٍّ، عَنْ إِسْرَائِيلَ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ السُّدِّيِّ، حَدَّثَنِي مَنْ سَمِعَ ابْنَ عَبَّاسٍ يَقُولُ: ﴿ٱهۡبِطُواْ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞ﴾ قَالَ: «آدَمُ وَحَوَّاءُ وَإِبْلِيسُ وَالحَيَّةُ». وهذا الإسناد فيه جهالة من حدث عن ابن عباس. وأما ذكر الطاووس فلم أجد له أصلًا. وانظر: «تفسير القرطبي» (١/ ٢١٨)، و«روح المعاني» (١/ ٢٣٥ - ٢٣٦).

الصُّورة التي هي الآن باقية من غير وقوع المبدل فيها. والفرق بين هذا الجواب وبين الَّذي قبله: أن المقصود من هذا بيان أنَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان مَصونًا عَن المَسْخ، والجواب الأول ليس فيه إلا بيان أن هذه الصُّورة الموجودة ليس هي إلا التي كانت موجودة قبلُ مِن غير تعرُّض لبيان أنَّه جُعل مَصونًا عَن المسخ بسبب زلَّته، مع أن غيره صار ممسوخًا.

الثَّاني: المراد منه إبطال قول الدهرية الَّذين يقولون: إن الإنسان لا يتولَّد إلا بواسطة النُّطفة، ودم الطَّمث، فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إنَّ اللهَ خَلَق آدَمَ عَلَىٰ صُورَته**» ابتداء من غير تقدم نطفة، وعلقة، ومضغة.

الثَّالث: أن الإنسان لا يكون إلا في مدة طويلة، وزمان مَديد، وبواسطة الأفلاك والعناصر، فقَال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إنَّ اللهَ خَلَق آدَمَ عَلَىٰ صُورَته**» أي: مِن غير هذه الوسائط، والمقصود منه الرَّدُّ عَلَىٰ الفلاسفة.

الرَّابع: المقصود منه بيان أن هذه الصُّورة الإنسانية إنما حصلت بتخليق الله تَعالَىٰ، وإيجاده، لا بتخليق القوة المُصَوِّرَة والمُولِّدة عَلَىٰ ما يَذكره الأطباء والفلاسفة، ولهذا قال الله تَعالَىٰ: ﴿ **هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ** ﴾ [الحشر: ٢٤]، فهو الخالق: أي هو العالِمُ بأحوال المُمكنات والمُحدَثات. والبَارئ: أي هو المُحدِث للأجسام والذَّوات بعد عَدمها. والمُصوِّر: أي هو الَّذي ركَّب تلك الذوات عَلَىٰ صُوَرها المخصوصة، وتركيباتها المَخصوصة.

الخامس: قد تُذكر الصُّورةُ ويُرادُ بها الصِّفَةُ، يقال: شَرحت له صُورَة هذه الواقعة، وذكرتُ له صُورَة هذه المَسْألة. والمراد من الصُّورة في كل هذه المواضع

الصِّفَة. فقوله: «إِنَّ اللهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَىٰ صُورَتِه» أي: عَلَىٰ جملة صِفَاته وأحواله. وذلك لأنَّ الإنسان حين يحدث يكون في غاية الجهل والعجز، ثمَّ لا يزال يزداد علمُه وقدرته إلىٰ أن يصل إلىٰ حدِّ الكَمَال. فبين النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن آدم خُلق من أول الأمر كاملًا تامًّا في عِلمه وقُدرته. وقوله: «خَلَقَ اللهُ آدَمَ عَلَىٰ صُورَتِه» معناه أنَّه خلقه في أول الأمر عَلَىٰ صفته التي كانت حاصلة له في آخر الأمر.

وأيضًا فلا يَبعُد أن يدخلَ في لفظ الصُّورة كونه سعيدًا أو شقيًّا، كَمَا قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «السَّعيد مَن سَعد في بطن أمِّه، والشَّقيُّ مَن شَقِي في بطن أمه»(١). فقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَىٰ صُورَتِه» أي: عَلَىٰ جَمِيع صِفَاته من كونه سعيدًا، أو عارفًا، أو تائبًا، أو مقبولًا من عند الله.

الطريق الثَّالث: أن يكون ذلك الضَّمير عائدًا إلىٰ الله تَعالَىٰ، وفيه وجوه:

الأول: المراد منه الصِّفَة؛ لما بيَّناه، فيكون المَعْنىٰ أن آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ امتاز عَن سائر الأشخاص والأجسام بكونه عالمًا بالمعقولات، قادرًا عَلَىٰ استنباط الحِرَف والصِّناعات، وهذه صِفَات شريفة مناسبة لصفات الله من بعض الوجوه، فصح قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَىٰ صُورَتِه» بناءً عَلَىٰ هذا التَّأويل.

فإن قيل: المشاركة في صِفَات كَمَال تقتضي المشاركة في الإلهية، قلنا: المشاركة في بعض اللَّوازم البعيدة مع حصول المخالفة في الأمور الكثيرة لا تقتضي المساواةَ في الإلهية، ولهذا المَعْنىٰ قال الله تَعالَىٰ: ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [الروم: ٢٧]،

---

(١) أخرجه اللالكائي (٤/ ٦٥٨) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، بلفظ: «الشَّقِيُّ مِنْ شَقِيَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ، وَالسَّعِيدُ مِنْ سَعِدَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ»، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٦٨٥).

وقال ﷺ «تَخلَّقوا بأخلَاق الله»(١).

الثَّاني: أنه كَمَا يصح إضافة الصِّفَة إلىٰ الموصوف فقد يَصحُّ إضافتُها إلىٰ الخالق والمَوجود، فيكون الغرض من هذه الإضافة الدَّلالة عَلَىٰ أن هذه الصُّورة ممتازة عَن سائر الصور بمزيد الكرامة والجلالة.

الثَّالث: قال الشَّيخ الغزالي: ليس الإنسان عبارة عَن هذه البنية، بَل هو موجود ليس بجسم ولا جسماني، ولا تعلق به بهذا البدن إلا عَلَىٰ سبيل التدبير أو التصرف، فقوله ﷺ: «**إنَّ اللهَ خَلَق آدمَ عَلَىٰ صُورَته**» أي: نسبة ذات آدم إلىٰ هذا البدن كنسبة البَاري إلىٰ العالَم من حيث إن كل واحِد منهما غير حالٍّ في هذا الجسم، وإن كان مؤثرًا فيه بالتصرف والتدبير.

قال: الخبر الثَّاني ما رَواهُ ابن خُزَيْمَةَ في كتابه الَّذي سماه «التَّوْحيد» بإسْنَاده، عَن ابن عمر، عَن النَّبِيِّ ﷺ أنَّه قال: «**لا تقبِّحوا الوَجْه، فإنَّ اللهَ خَلَق آدمَ عَلَىٰ صُورَة الرَّحْمن**»(٢)، قال: واعلم أن ابن خُزَيْمَةَ ضعَّف هذه الرِّوَايَة، ويقول: إنْ صحَّت هذه الرِّوَايَة فلها تأويلان:

الأول: أن يكون المراد من الصُّورة الصِّفَةَ عَلَىٰ ما بيَّناه.

الثَّاني: أن يكون المرادُ من هذه الإضافة بيانَ شرف هذه الصُّورة، كَمَا في قوله: بيت الله، وناقة الله.

---

(١) قال الألباني في «الضعيفة» (٢٨٢٢): لا أصل له.

(٢) سبق تخريجه.

قلت[١]: هذا الحَدِيث أخرجوه في «الصَّحِيحين» من وجوه:

ففي «الصَّحِيحين»، عَن همام بن مُنبِّه، عَن أبي هُرَيرةَ، عَن النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**خَلقَ اللهُ آدَمَ عَلَىٰ صُورَته، وطُولُه ستُّون ذِراعًا، ثمَّ قال: اذهب فسَلِّم عَلَىٰ أولئك الملائكة، فاسمع ما يجيبونك به، فإنَّها تحيتك وتحية ذريتك، فقَال: السلام عليكم، فقَالوا: السلام عليك ورحمة الله، فزادوه: ورحمة الله، فكل من يدخل الجنة عَلَىٰ صُورَة آدم**»[٢] قال في رِوَايَة جعفر[٣]، ومُحمَّد بن رافع: «**علىٰ صُورَته**»[٤].

وروىٰ البُخَارِي من حَدِيث أبي سعيد المقبري، ويحيىٰ بن[٥] همَّام أيضًا، عَن أبي هُرَيرةَ، عَن النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إذا قاتل أحدُكم فَلْيَجْتَنِب الوَجْه**»[٦]، ورَوَاهُ مُسْلم من حَدِيث المُغيرة بن عَبْد الرَّحْمن، عَن أبي الزِّنَاد، عَن الأعرج، عَن أبي هُرَيرةَ، عَن النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إذا قاتل أحدُكم فَلْيَجْتَنِب الوَجْه**»[٧]، ومن حَدِيث سُفْيان بن عُيَيْنَةَ، عَن أبي الزِّنَاد بهذا الإسْنَاد، وقال: «**إذا ضَرب أحدُكم**»[٨]، ومن حَدِيث سهيل بن أبي صالح، عَن أبيه، عَن أبي هُرَيرةَ، عَن النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

---

(١) هذا أول كلام شيخ الإسلام ابن تيمية في رده علىٰ الرازي.

(٢) أخرجه البخاري (٣٣٢٦)، ومسلم (٢٨٤١).

(٣) كذا، والصواب: «يحيىٰ بن جعفر»، كما عند البخاري.

(٤) أخرجه البخاري (٦٢٢٧)، ومسلم (٢٨٤١).

(٥) كذا، والصواب: «معمر عن همام»،كما في «صحيح البخاري».

(٦) أخرجه البخاري (٢٥٥٩).

(٧) أخرجه مسلم (٢٦١٢)، ولفظه: «**إِذَا قَاتَلَ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيَجْتَنِبِ الوَجْهَ**».

(٨) أخرجه مسلم (٢٦١٢).

قال: «**إذا قاتل أحدُكم فليتَّقِ الوَجْهَ**»(١)، ومن حَدِيث أبي أيُّوب يحيىٰ بن مالك الخُزاعي(٢)، عَن أبي هُرَيرةَ، قَال: قال رَسُول اللهِ ﷺ: «**إذا قاتل أحدكم أخاه فلا يلطمنَّ الوَجْه**»(٣)، وفي رِوَايَة مُحمَّد بن حاتم فيه قال: «**إذا قاتل أحدُكم فَلْيَجْتَنِب الوَجْه، فإنَّ اللهَ خَلَق آدَمَ عَلَىٰ صُورَته**»(٤)، وليسِ ليحيىٰ بن مالك، عَن أبي هُرَيرةَ في «الصَّحِيحين» غيره.

والكلام عَلَىٰ ذلك أن يُقالَ: هذا الحَدِيث لم يَكنْ بين السَّلف من القرون الثَّلاثة نزاعٌ في أن الضَّمير عائدٌ إلىٰ الله، فإنَّه مُستفيضٌ من طُرقٍ متعددِّة، عَن عدد من الصَّحابَة، وسياق الأحَادِيث كلها تدلُّ عَلَىٰ ذلك، وهو أيضًا مذكورٌ فيما عند أهل الكِتَابَين من الكتب كالتَّوراة، وغيرها، ولكن كان من العلماء في القرن الثَّالث مَن يكره روايته، ويَروي بعضَه، كَمَا يكره رِوَايَة بعض الأحَادِيث لمَن يخاف أن يلمَّ بنفسه، ويفسد عقله، أو دينُه، كَمَا قال عَبْد الله بن مسعود: «ما مِن رَجُل يُحدِّث قومًا حَدِيثًا لا تَبلُغه عقولُهم إلا كان فتنةً لبَعضهم»(٥).

وفي البُخَارِي، عَن علي بن أبي طالب أنَّه قال: «حَدِّثوا الناسَ بما يَعرفون، ودعوا ما يُنكِرون، أتُحبُّون أن يُكذَّبَ اللهُ ورسُولُه؟!»(٦)، وإن كان مع ذلك لا

(١) أخرجه مسلم (٢٦١٢)، ولفظه: «**إِذَا قَاتَلَ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ، فَلْيَتَّقِ الوَجْهَ**».

(٢) كذا، والصواب: «المراغي»، كما عند مسلم.

(٣) أخرجه مسلم (٢٦١٢).

(٤) أخرجه مسلم (٢٦١٢)، ولفظه: «**إِذَا قَاتَلَ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ، فَلْيَجْتَنِبِ الوَجْهَ، فَإِنَّ اللهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَىٰ صُورَتِهِ**».

(٥) سبق تخريجه.

(٦) أخرجه البخاري (١٢٧) دون قوله: «**ودعوا ما يُنكِرون**».

يَرْوْن كتمانَ ما جاء به الرَّسُولُ مُطلقًا، بَل لابُدَّ أن يُبلِّغوه حيث يَصلُح ذلك. ولهذا اتَّفقت الأُمَّة عَلَىٰ تبليغِه وتَصديقِه، وإنما دخلَت الشُّبهةُ في الحَدِيث لتفريق ألفاظه، فإنَّ من ألفاظه المشهورة: «**إذا قاتَل أحدُكم فلْيتَّقِ الوَجْهَ، فإنَّ اللهَ خَلَق آدَمَ عَلَىٰ صُورَته**»، «**ولا يَقُل أحدُكم: قبَّح اللهُ وَجهَك، ووجهَ مَن أشبَهَ وَجهَك، فإنَّ اللهَ خَلَق آدَمَ عَلَىٰ صُورَته**»، وهذا فيه حكمٌ عَملي يحتاج إليه الفقهاء، وفيه الجملة الثَّانية الخبرية المتعلقة بلا.

فكثيرٌ من الفقهاء روىٰ الجملة الأولىٰ فقط، وهي قوله: «**فإذا قاتَل أحدُكم فَلْيَجْتَنِب الوَجْه**»، ولم يذكر الثَّانية، وعامة أهل الأصُول والكلام إنما يَرْوُون الجملةَ الثَّانية، وهي قوله: «**خَلقَ اللهُ آدَمَ عَلَىٰ صُورَته**»، ولا يذكرون الجُملةَ الطَّلبيَّة، فصار الحَدِيث متواترًا بين الطَّائفتين، وصاروا متَّفقين عَلَىٰ تصديقه؛ لكن مع تفريق بعضه عَن بعض، وإن كان هو محفوظًا عند آخرين من علماء الحَدِيث وغيرهم، وقد ذكره النَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ابتداءً في إخباره بخَلْق آدمَ في ضمن حَدِيث طويل[(١)]، إذا ذكر علىٰ وَجهه زال كثيرٌ من الأمور المُحتَمَلة، ولكن ظهر لما انتشرت الجَهْمِيَّة في المائةِ الثَّالثة جعل طائفة الضَّمير فيه عائدًا إلىٰ غير الله تَعالَىٰ، حتىٰ نُقل ذلك عَن طائفة من العلماء المَعرُوفين بالعِلْم والسُّنَّة في عامَّة أُمُورهم؛ كأبي ثَوْر، وابن خُزَيْمَةَ، وأبي الشَّيخ الأصْبَهاني، وغيرهم، ولذلك أنكَر عليهم أئمَّةُ الدِّين، وغيرهم مِن عُلماء السُّنة.

وذلك مثل ما ذكر أبو بكر ابن خُزَيْمَةَ في كتاب «التَّوحيد»، فإنَّه ذكَر الاحتمالات الثَّلاثَةَ، ذَكَر عَوْدَ الضَّمير إلىٰ المَضروب، وذكَر عودَه إلىٰ آدم،

---

(١) أخرجه البخاري (٦٢٢٧)، ومسلم(٢٨٤١).

وتأوَّل عودَه إلىٰ الله عَلَىٰ إضافة الخَلْق، فقَال: باب ذِكْر أخبار رُويت عَن النَّبِيِّ صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ تأوَّلها بعضُ مَن لم يَتحرَّ العِلْمَ عَلَىٰ غير تأويلها، ففَتَن عالمًا من أهل الجَهْل والعِناد حمَلهم الجهل بمَعْنىٰ الخَبر عَلَىٰ القول بالتشبيه، جلَّ وعَزَّ عَن أن يكون وَجه خَلْقٍ مِن خَلقِه مثل وَجهه، والَّذي وصفه بالجَلال والإكرام، ونفىٰ الهلاكَ عنه:

حَدَّثنا الرَّبيع بن سُليمان المُراديُّ قال: حَدَّثنا شعيبٌ -يعني ابنَ اللَّيث- حَدَّثنا الليث، عَن مُحمَّد بن عَجلان، عَن سعيد بن أبي سعيد المَقبُري، عَن أبي هُريرةَ، عَن رَسُول اللهِ صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أنَّه قال: «**لا يَقولَنَّ أحدُكم لأحدٍ: قبَّح اللهُ وَجهَك، ووَجهًا أشبَه وَجهَك، فإنَّ اللهَ خَلَق آدَمَ عَلَىٰ صُورَته**»(١).

حَدَّثنا أبو مُوسىٰ مُحمَّد بن المُثنَّىٰ، حَدَّثنا يحيىٰ بن سَعيد، عَن ابن عَجلانَ، عَن سعيد، عَن أبي هُرَيرةَ، عَن النَّبِيِّ صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**إذا ضَرب أحدُكم فَلْيَجْتَنِب الوَجْهَ، ولا يَقُل: قبَّح اللهُ وَجهَكَ، ووَجهَ مَن أشبَه وَجهَك، فإنَّ اللهَ خَلَق آدَمَ عَلَىٰ صُورَته**»(٢).

وحدَّثنا بندارٌ، حَدَّثنا يحيىٰ بن سَعيد، حدَّثني ابنُ عَجلانَ قال: حدَّثني سعيدُ بن أبي سعيد، عَن أبي هُرَيرةَ، قَال: قال رَسُول اللهِ صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**إذا ضَرب أحدُكم فَلْيَجْتَنِبِ الوَجْهَ**»(٣).

---

(١) رواه ابن خزيمة في «التوحيد» (١/ ٨١).

(٢) رواه ابن خزيمة في «التوحيد» (١/ ٨٢).

(٣) سبق تخريجه.

قال أبو بكر ابنُ خُزَيْمَةَ: ليس في خَبَر ابن عجلانَ أكثر من هذا. ومَعْنىٰ هذا أن يحيىٰ بن سعيد القطَّان الإمَام رواه عَن ابن عَجلان، عَن المَقبُري، كَمَا رَواهُ الليث، وغيره. ورَوَاهُ أيضًا عنه، عَن أبيه، عَن أبي هُرَيرةَ، لكن يَذكر إحدىٰ الجملتين فقط، وكان عند ابن عجلان الحَدِيث، عَن المقبري، وعن أبيه.

وقد رَواهُ البُخَارِي في «صَحِيحه»[1] مِن طَرِيق مالكٍ عنه مختصرًا، فقَال البُخَارِي: (باب إذا ضَرب العبد فَلْيَجْتَنِبِ الوَجْهَ): حَدَّثنا مُحمَّد بن عبد الله قال: حَدَّثنا ابنُ وَهبٍ، حدَّثني مالكُ بن أنس قال: وأخْبَرني ابن فلان، عَن سَعيد المَقبُري، عَن أبيه، عَن أبي هُرَيرةَ، عَن النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال البُخَارِي: وحدثني مُحمَّد[2] قال: حَدَّثنا عَبْد الرَّزَّاق، أخْبَرَنا معمَرٌ، عَن همَّام، عَن أبي هُرَيرةَ، عَن النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إذا قاتَل أحدُكم فَلْيَجْتَنِب الوَجْه**».

وقد روىٰ البُخَارِي، ومُسْلمٌ الحَدِيثَ في خَلْقِ آدَمَ بطُولُه[3].

ثم قال ابنُ خُزَيْمَةَ: توَهَّم بعضُ مَن لم يتحرَّ العِلم أنَّ قولَه: «**عَلَىٰ صُورَته**» يُريد صُورَةَ الرَّحمن عَزَّوَجَلَّ عَن أن يكون هذا مَعْنىٰ الخبر، بَل مَعْنىٰ قوله: «**خلق آدم عَلَىٰ صُورَته**» الهاء في هذا المَوضع كناية عَن اسم المَضروب والمَشتوم، أراد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّ اللهَ خَلَق آدمَ عَلَىٰ صُورَة هذا المَضروب الَّذي أمر الضارب باجتناب وَجهه بالضَّرب، والَّذي قبَّح وَجهَه، فزجَر صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يقول: ووَجه

---

(١) (٢٥٥٩).

(٢) كذا، والصواب: عبد الله بن محمد.

(٣) سبق تخريجه.

مَن أشبه وَجهك؛ لأنَّ وَجهَ آدم شبيهٌ وجوهَ بنيه، فإذا قال الشَّاتم لبعض بني آدم: قبح الله وَجهك، ووجه من أشبه وَجهك، كان مُقبِّحًا وَجهَ آدم صلوات الله عليه، الَّذي وجوه بنيه شَبيهة بوَجْه أبيهم، فتفهَّموا -رحمكمُ الله تَعالَىٰ- مَعْنىٰ الخَبَر، لا تَغلطوا، ولا تُغلِّطوا فتصدوا عَن سواء السَّبيل، وتحملوا القولَ بالتشبيه الَّذي هو ضَلال.

قال: وقد رويت في نحو هذا لفظة أغمض من اللَّفظة التي ذكرناها في خبر أبي هُرَيرَة، وهو ما حَدَّثنا يوسفُ بن موسىٰ، حَدَّثنا جرير، عَن الأعمش، عَن حبيب بن أبي ثابت، عَن عطاء بن أبي رباح، عَن ابن عمر، قَال: قال رَسُول اللهِ ﷺ: «**لا تُقبِّحوا الوَجْه، فإنَّ ابن آدمَ خُلق عَلَىٰ صُورَة الرَّحْمن**»(١)، قال: ورَوىٰ الثَّوريُّ هذا الخبَرَ مُرسَلًا غيرَ مُسند، حَدَّثنا أبو موسىٰ مُحمَّد بن المثنىٰ قال: حَدَّثنا عَبْد الرَّحْمن بن مهدي قال: حَدَّثنا سُفْيان، عَن حبيب بن أبي ثابت، عَن عطاء، قَال: قال رَسُول اللهِ ﷺ: «**لا يقبح الوَجْه، فإنَّ ابن آدم خلق عَلَىٰ صُورَة الرَّحْمن**»(٢).

قال أبو بكر: وقد افتُتن بهذه اللَّفظة التي في خبر عطاء عالمٌ ممَّن لم يَتحَرَّ العِلْمَ، وتوَهَّموا أن إضافة الصُّورة إلىٰ الرَّحْمن في هذا الخبر من إضافة صِفَات الذات، فغلطوا في ذلك غلطًا بيِّنًا، وقالوا مقالةً شنيعة مضاهية لقول المشبِّهة، أعاذنا اللهُ وكلَّ المُسْلِمين من قولهم.

قال: والَّذي عندي في تأويل هذا الخبر؛ إن صحَّ مِن جهة النقل موصولًا، فإنَّ للخَبر عللًا ثلاثًا:

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

إحداهن: أن الثوري قد خالف الأعمش في إسْنَاده، فأرسل الثوري، ولم يقل: عَن ابن عمر.

والثَّانية: أن الأعمش مُدلِّس، لم يذكر أنَّه سمعه من حبيب بن أبي ثابت.

والثَّالثة: أن حبيب بن أبي ثابت أيضًا مُدلِّس، لم يُعلم أنَّه سمعه من عطاء، سمعت إسحاق بن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد يقول: حَدَّثنا أبو بكر بن عياش، عَن الأعمش، قَال: قال حبيب بن أبي ثابت: لو حدَّثني رجل عنك بحديثٍ لم أبالِ أن أَرويه عنك: يُريد لم أبالِ أن أُدلِّسَه.

قال أبو بكر: ومثل هذا الخبر لا يكاد يَثبُت عند أهل الأثر، لاسيما إن كان الخبر في مثل هذا الجنس فيما يُوجب العلمَ لو ثبت، لا فيما يوجب العَمل بما قد يستدل عَلَىٰ صحته وثبوته بدلائل من نظر، وتشبيه، وتمثيل بغيره من سنن النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِن طَريق الأحكام والفقه.

قال: فإنْ صح هذا الخبر مسندًا بأن يكون الأعمشُ قد سمعه من حبيب بن أبي ثابت، وحبيبُ بن أبي ثابت قد سمعه من عطاء بن أبي رباح، وصحَّ أنه عَن ابن عُمَرَ عَلَىٰ ما رَواهُ الأعمش، فمَعْنىٰ هذا الخبر عندنا: أن إضافة الصُّورة إلىٰ الرَّحْمن في هذا الخبر إنما هو من إضافة الخَلْق إليه؛ لأنَّ الخَلق مضاف إلىٰ الرَّحْمن، إذ الله خلقه، وكذلك الصُّورة تضاف إلىٰ الرَّحْمن؛ لأنَّ الله صوَّرها، ألم تسمع قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ﴾ [لقمان: ١١]؟!

فأضاف اللهُ الخلقَ إلىٰ نفسه، إذ الله تولىٰ خلقه، وكذلك قوله تَعالَىٰ: ﴿هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً﴾ [هود: ٦٤]، فأضاف الله الناقة إلىٰ نفسه، وقال: ﴿تَأْكُلْ فِىٓ

أَرْضِ ٱللَّهِ﴾ [هود: ٦٤]، وقال: ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا﴾ [النساء: ٩٧]، وقال: ﴿إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ [الأعراف: ١٢٨]، فأضاف الأرضَ إلىٰ نفسه، إذ الله تولىٰ خلْقها، وبسطها، وقال: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم: ٣٠].

فما أضاف اللهُ إلىٰ نفسه عَلَىٰ مَعنيين:

أحدهما: إضافة الذات.

والآخر: إضافة الخلق.

فتفهَّموا هذَين المعنيين، لا تُغالطوا.

قال: فمَعْنىٰ الخبر إن صح مِن طَريق النقل مسندًا، فإنَّ ابن آدم خُلق عَلَىٰ الصُّورة التي خلقها الرَّحْمن حين صوَّر آدم، ثمَّ نفخ فيه الرُّوح، قال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ﴾ [الأعراف: ١١].

والدليل عَلَىٰ صحة هذا التَّأويل: أن أبا موسىٰ مُحمَّد بن المثنىٰ قال: حَدَّثنا أبو عامر عَبْد الملك بن عمرو قال: حَدَّثنا المغيرة بن عَبْد الرَّحْمن، عَن أبي الزِّنَاد، عَن موسىٰ بن أبي عثمان، عَن أبيه، عَن أبي هُرَيرةَ، عَن النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**خلقَ اللهُ آدمَ عَلَىٰ صُورَته، وطُولُه ستُّون ذِراعًا**»(١).

حَدَّثنا عَبْد الرَّحْمن بن بشر بن الحكم، حَدَّثنا عَبْد الرزاق، أَخْبَرَنا معمر، عَن همام بن منبه قال: هذا ما أنبأنا به أبو هُرَيرةَ، عَن مُحمَّد رَسُول اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ...

---

(١) سبق تخريجه.

فذكر أحَادِيث، وقال: قال رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**خَلقَ اللهُ آدَمَ عَلَىٰ صُورَته، طُولُه ستُّون ذِراعًا، فلما خلقه قال له: اذهب فسلم عَلَىٰ أولئك النفر -وهم نفر من الملائكة جلوس- فاستمع ما يجيبونك، فإنَّها تحيتك وتحية ذريتك، قال: فذهب، فقَال: السلام عليكم، فقَالوا: السلام عليك، ورحمة الله، فزادوه: ورحمة الله، قال: فكل من يدخل الجنة عَلَىٰ صُورَة آدم طُولُه ستُّون ذِراعًا، فلم يزل الخلق ينقص حتىٰ الآن**»(١).

قال أبو بكر: فصُورَة آدم هي ستُّون ذِراعًا التي أخبر النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن آدم خُلق عليها، لا عَلَىٰ ما توَهَّم بعضُ من لم يتحر العلمَ، فظَنَّ أن قوله: «عَلَىٰ صُورَته» عَلَىٰ صُورَة الرَّحْمن، صفة من صِفَات ذاته، عَزَّوَجَلَّ عَن أن يوصف بالذرْعَان والأشْبَار، قد نزَّه اللهُ نفسَه، عَن صِفَات المَخلوقين، فقَال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١﴾، وهو كما وصف نفسه في كتابه عَلَىٰ لسان نبيه، لا كصفات المخلوقين من الحيوان، ولا من الموتان، كَمَا شبه الجَهْمِيَّة معبودَهم بالموتان، ولا كَمَا شبه الغالية من الرَّافضة معبودَهم ببني آدم، قبَّح الله هذين القولين وقائلَهما.

حَدَّثنا أحْمَد بن منيع، ومحمود بن خداش قالا: أخْبَرَنا أبو سعد الصَّاغاني قال: حَدَّثنا أبو جعفر الرَّازي، عَن الربيع بن أنس، عَن أبي العالية، عَن أُبي بن كعب؛ أن المشركين قالوا لرَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: انسبْ لنا ربَّك، فأنزل الله تعالَىٰ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الإخلاص]، قال: ولم يكن له شَبيه، ولا عدلٌ، وليس كمثله شيء.

---

(١) سبق تخريجه.

وقال ابن خداش في حَدِيثه: «فالصَّمد الَّذي لم يَلد، ولم يُولد؛ لأنَّه ليس شيء يولد إلا يَموت، وليس شيء يَموت إلا سَيورث، وإنَّ اللهَ لا يَموت، ولا يُورث»، والبَاقي مثل لفظ ابن مَنيع.

هذا مجموع ما ذكره ابن خُزَيْمَةَ.

قال الشَّيخ أبو الحسن مُحمَّد بن عَبْد الملك الكرجي الشَّافعي في كتابه الَّذي سماه: «الفصول في الأصول عَن الأئمَّة الفحول إلزامًا لذوي البدع والفضول»: فأما تأويل مَن لم يتابعه عليه الأئمَّة فغير مَقبول، وإن صدر ذلك التَّأويل عَن إمام معروف غير مجهول، نحو ما يُنسب إلىٰ أبي بكر مُحمَّد بن إسحاق بن خُزَيْمَةَ تأويل الحَدِيث: «**خلق آدم عَلَىٰ صُورَته**»، فإنَّه يفسِّر ذلك بذلك التَّأويل، ولم يتابعه عليه من قبله من أئمَّة الحَدِيث؛ لما روينا عَن أحْمَد رحمه الله تَعالَىٰ. ولم يتابعه أيضًا من بعده، حتىٰ رأيت في «كتاب الفقهاء» للعبادي الفقيه، أنَّه ذكر الفقهاء، وذكر عَن كل واحِد منهم مَسْألة تفرَّد بها، فذكر الإمَام ابن خُزَيْمَةَ، وأنَّه تفرد بتأويل هذا الحَدِيث: «**خلق آدم عَلَىٰ صُورَته**»، عَلَىٰ أني سمعتُ عدة من المشايخ رَوَوا أن ذلك التَّأويل مُزوَّر مربوط عَلَىٰ ابن خُزَيْمَةَ، وإفك مُفترىٰ عليه.

فهذا وأمثال ذلك من التَّأويل لا نَقبَلُه، ولا نَلتفِتُ إليه، بَل نُوافِقُ ونُتابعُ ما اتَّفق الجُمهورُ عليه(١).

قال شَيخُ الإسْلَام أبو العبَّاس(٢): وقد ذكر الحافِظُ أبو موسىٰ المَديني فيما

(١) «بيان تلبيس الجهمية» لشيخ الإسلام ابن تيمية (٦/ ٤٠٥).

(٢) في «بيان تلبيس الجهمية» (٦/ ٤٠٩).

جمعه من مناقب الإمَام الملقب بقَوَّام السُّنَّة أبي القَاسم إسماعيل بن مُحمَّد التيمي، صاحب كتاب «الترغيب والترهيب»، قال: سمعته يقول: أخطأ مُحمَّد بن إسحاق بن خُزَيْمَةَ في حَدِيث الصُّورة، ولا يُطعَن عليه بذلك، بَل لا يؤخذ عنه هذا فحسب. قال أبو موسىٰ: أشار بذلك إلىٰ أنَّه قَلَّ مِن إمام إلا وله زَلَّة، فإذا تُرك ذلك الإمَام لأجل زلَّته تُرِك كثير من الأئمَّة، وهذا لا ينبغي أن يفعل.

قال شَيخُ الإسْلَام أبو العبَّاس: وقد ذكر أبو بكر الخَلَّال في «كِتَاب السُّنَّة» ما ذكره إسحاق بن منصور الكوسج في «مسائله» المشهورة عَن أحْمَد وإسحاق، أنَّه قال لأحْمَد: «**لا تُقبِّحوا الوَجْه، فإنَّ اللهَ خَلَق آدَمَ عَلَىٰ صُورَته**»، أليس تقول بهذه الأحَادِيث؟ قال أحْمَد: صَحِيح، وقال إسحاق: صَحِيح، ولا يدعه إلا مبتدع، أو ضعيف الرأي، وذكر أيضًا عَن يعقوب بن بختان، أن أبا عبد الله أحْمَد بن حنبل سُئِل عَن حَدِيث النَّبي صَلَّىٰللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**خَلقَ اللهُ آدَمَ عَلَىٰ صُورَته**»، فقَال: لا نُفسِّرُه، ما لنا أن نفسره؟! كَمَا جاء الحَدِيث.

قال الخلال: وأخبَرَنا أبو بكر المَرُّوذِي قال: قلتُ لأبي عَبْد الله: كيف تقول في حَدِيث النَّبِي صَلَّىٰللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**خَلقَ اللهُ آدَمَ عَلَىٰ صُورَته**»؟ قال: الأعمش يقول: عَن حبيب بن أبي ثابت، عَن عطاء، عَن ابن عمر... قال: وقد رَواهُ أبو الزِّنَاد، عَن الأعرج، عَن أبي هُرَيرةَ، عَن النَّبِيِّ صَلَّىٰللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ «**عَلَىٰ صُورَته**»، فنقول كَمَا جاء الحَدِيث.

قال: وسمعت أبا عَبْد الله يقول: لقد سمعتُ الحُميدي بحضرة سُفْيان بن عُيَيْنَةَ فذكر هذا الحَدِيث: «**خَلقَ اللهُ آدَمَ عَلَىٰ صُورَته**»، فقَال: مَن لا يقول بهذا؛ فهو كذا وكذا. يعني مِن الشَّتم، وسُفْيان ساكتٌ لا يَردُّ عليه شيئًا.

قال المَرُّوذِي: أظنُّ أني ذكرتُ لأبي عَبْد الله، عَن بعض المُحدِّثين بالبصرة، أنَّه قال: قول النَّبي ﷺ: «**خَلقَ اللهُ آدَمَ عَلَىٰ صُورَته**» قال: صُورَة الطين، قال: هذا جهمي، وقال: نُسلِّم الخبَرَ كَمَا جاء.

وروىٰ الخلال، عَن أبي طالب من وَجهين، قال: سمعت أبا عَبْد الله -يعني أحْمَد بن حنبل- يقول: من قال: إنَّ اللهَ خَلَق آدَمَ عَلَىٰ صُورَة آدم؛ فهو جَهْمي، وأي صُورَة كانت لآدم قبل أن يخلقه؟!

قال الخلال: وأخْبَرَنا أبو بكر المَرُّوذِي قال: سمعت أبا عَبْد الله قيل له: أي شيء أنكر عَلَىٰ بشر بن السري؟ وأي شيء كانت قصته بمكة؟ قال: تكلم بشيء من كلام الجَهْمِيَّة، فقَال: إن قومًا يحدُّون، قيل له: التشبيه؟ فأومأ برأسه: نعم. قال: فقام به مؤمل حتىٰ جلس، فتكلم ابن عُيَيْنَةَ في أمره حتىٰ أخرج، وأراه كان صاحب كلام.

وقال الخلال: أخبرني حرب بن إسماعيل الكرماني قال: سمعت إسحاق -يعني بن راهويه- يقول: قد صح عَن النَّبيِّ ﷺ أنَّه نطق به. قال إسحاق: حَدَّثنا جرير، عَن الأعمش، عَن حبيب بن أبي ثابت، عَن عطاء، عَن ابن عمر، عَن رَسُول اللهِ ﷺ قال: «**لا تُقَبِّحوا الوَجْه، فإنَّ اللهَ خَلَق آدَمَ عَلَىٰ صُورَة الرَّحْمن**»، فقد صحَّح إسحاق حَدِيث ابن عُمَرَ مسندًا خلاف ما ذكره ابن خُزَيْمَةَ.

وقال الخلال: أخْبَرَنا يعقوب بن سُفْيان الفارسي قال: حَدَّثنا مُحمَّد بن حميد، حَدَّثنا الفرات بن خالد، عَن سُفْيان الثوري، عَن أبي الزِّنَاد، عَن موسىٰ بن أبي عثمان، عَن أبيه، عَن أبي هُرَيرةَ؛ أنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال: «**إنَّ اللهَ خَلَق آدَمَ عَلَىٰ صُورَته**».

وقال **الخلال**: أخْبَرَنا علي بن حرب الطَّائي، حَدَّثنا زيد بن أبي الزرقاء، عَن ابن لَهيعة، عَن أبي يونس، والأعرج، عَن أبي هُرَيرة، عَن النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إذا ضرب أحدكم فَلْيَجْتَنِب الوَجْه، فإنَّ صُورَة الإنسان عَلَىٰ صُورَة الرَّحْمن عَزَّ وَجَلَّ**»(١).

وما كان من العلم الموروثِ عَن نبينا مُحمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فلنا أن نستشهد عليه بما عند أهل الكِتَاب، كَمَا قال تَعالَىٰ: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٤٣﴾﴾ [الرعد: ٤٣]، وقال تَعالَىٰ: ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٩٥﴾﴾ [يونس: ٩٤، ٩٥]، وقال تَعالَىٰ: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ﴾ [الأحقاف: ١٠].

وقال تَعالَىٰ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٩٧﴾﴾ [الشعراء: ١٩٦، ١٩٧]، وقال تَعالَىٰ: ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾﴾ [الأنعام: ١١٤]، وقال تَعالَىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ ۘ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الأنعام: ٢٠]، وقال تَعالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ ۖ وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ﴾ [الرعد: ٣٦].

---

(١) وأخرجه الدارقطني في «الصفات» (١/ ٣٧) (٤٩).

بَل قد ثبت في «الصَّحِيح»؛ أنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما أخبره تميمٌ بخبر الدَّجال والجَسَّاسة فَرِح بذلك، وقال: «**حدَّثني حَدِيثًا يُوافقُ ما كنتُ حَدَّثتُكُمُوه**»[١].

إذا عُرف ذلك فيُقال: أما عَود الضَّمير إلىٰ غير الله؛ فهذا باطل من وجوه:

أحدها: أن في «الصَّحِيحين» ابتداء: «**أَنَّ اللهَ خَلَق آدمَ عَلَىٰ صُورَته، طُولُه ستُّون ذِراعًا**»[٢]، وفي أحَادِيث أُخَر: «**إنَّ اللهَ خَلَق آدَمَ عَلَىٰ صُورَته**»، ولم يتقدم ذِكرُ أحد يعود الضَّمير إليه، وما ذكر بعضهم من أنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رأىٰ رجلًا يضرب رجلًا، ويقول: قبَّح الله وَجهك، ووجهَ من أشبه وَجهك، فقَال: «**خَلقَ اللهُ آدَمَ عَلَىٰ صُورَته**»، أي: عَلَىٰ صُورَة هذا المضروب، فهذا شيء لا أصل له، ولا يُعرف في شيء من كتب الحَدِيث.

الثَّاني: أن الحَدِيث الآخر لفظه: «**إذا قاتل أحدكم فَلْيَجْتَنِب الوَجْه، فإنَّ اللهَ خَلَق آدَمَ عَلَىٰ صُورَته**»[٣]، وليس في هذا ذكر أحد يعود الضَّمير إليه.

الثَّالث: أن اللفظ الَّذي ذكره ابن خُزَيْمَةَ وتَأوَّله، وهو قوله: «**لا يقولنَّ أحدُكم: قبَّح الله وَجهك، ووجهًا أشبه وَجهك، فإنَّ اللهَ خلق آدم علىٰ صُورَته**»[٤]، ليس فيه ذِكْرُ أحدٍ يَصلح عود الضَّمير إليه، وقوله في التَّأويل: أراد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّ اللهَ خَلَق آدمَ عَلَىٰ صُورَة هذا المضروب الَّذي أمَر الضاربَ باجتناب وَجهه بالضَّرب، والَّذي

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٤٢)، ولفظه: «وَحَدَّثَنِي حَدِيثًا وَافَقَ الَّذِي كُنْتُ أُحَدِّثُكُمْ».

(٢) سبق تخريجه.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) سبق تخريجه.

قبَّح وَجهَه، فزجر صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يقول: ووجه من أشبه وَجهك.

فيقال له: لَم يتقدم ذكر مضروب فيما رويته عَن النَّبِيِّ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا في لفظه ذكر ذلك، بَل قال: «**إذا قاتل أحدكم فَلْيَجْتَنِب الوَجْه، فإنَّ اللهَ خَلَق آدَمَ عَلَىٰ صُورَته**»، ولم يقل: إذا قاتل أحدكم أحدًا، وإذا ضرب أحدًا، والحَدِيث الآخر ذكرته من رِوَايَة الليث بن سعد، ولفظه: «**ولا يقل أحدكم: قبَّح الله وَجهك، ووجهًا أشبه وَجهك، فإنَّ اللهَ خَلَق آدَمَ عَلَىٰ صُورَته**»، وليس في هذا ذكرٌ مرَّ حتىٰ يصلح عود الضَّمير إليه.

فإن قيل: قد يعود الضَّمير إلىٰ ما دل عليه الكلامُ، وإن لم يكن مذكورًا، قيل: إنما يكون فيما لا لَبْس فيه، حيث لم يتقدم ما يصلح لعود الضَّمير إليه إلا ما دل عليه الخِطاب، فيكون العِلمُ بأنه لابُدَّ للظاهر من مضمر يدل عَلَىٰ ذلك، أما إذا تقدَّم اسم صريح قريب إلىٰ الضَّمير فلا يصلح أن يترك عوده إليه، ويعود إلىٰ شيء متقدم لا ذِكرَ له في الخطاب، وهذا مما يُعلم بالضرورة فسادُه في اللُّغات.

الرَّابع: أنَّه في مثل هذا لا يصلح إفراد الضَّمير، فإنَّ اللهَ خَلَق آدَمَ عَلَىٰ صُورَته بنيه كلهم، فتخصيص واحِد لم يتقدم له ذكر بأنَّ اللهَ خَلَق آدمَ عَلَىٰ صُورَته، في غاية البعد، لاسيما وقوله: وإذا قاتل أحدُكم، وإذا ضرب أحدكم، عام في كل مضروب، والله خلق آدم عَلَىٰ صورهم جَمِيعهم، فلا مَعْنىٰ لإفراد الضَّمير، وكذلك قوله: «**لا يقولن أحدُكم: قبَّح الله وَجهك، ووجهَ من أشبه وَجهك**» عام في كل مخاطب، والله قد خلقهم كلهم عَلَىٰ صُورَة آدم.

الخامس: أن ذرية آدم خلقوا عَلَىٰ صُورَة آدم، لم يخلق آدم عَلَىٰ صورهم، فإنَّ

مثل هذا الخطاب إنما يقال فيه: خلق الثَّاني المتأخر في الوجود عَلَىٰ صُورَة الأول المتقدم وجوده، لا يقال: إنه خلق الأول عَلَىٰ صُورَة الثَّاني المتأخر في الوجود، كَمَا يقال: خلق الخلق عَلَىٰ غير مثال، أو نسَج هذا عَلَىٰ منوال هذا، ونحو ذلك، فإنَّه في جَمِيع هذا إنما يكون المصنوع المَقيس متأخرًا في الذِّكر عَن المَقيس عليه.

وإذا قيل: خلق الولد عَلَىٰ صُورَة أبيه، أو عَلَىٰ خَلْق أبيه؛ كان كلامًا سديدًا، وإذا قيل: خلق الوالد عَلَىٰ صُورَة ولده، أو عَلَىٰ خلقه؛ كان كلامًا فاسدًا، بخلاف ما إذا ذكر التشبيه بغير لفظ الخلق، وما يقوم مقامه، مثل أن يُقالَ: الوالد يشبه ولدَه، فإنَّ هذا سائغ؛ لأنَّ قوله: «خلق»؛ إخبار عَن تكوينه وإبداعه عَلَىٰ مثال غيره، ومن الممتنع أن الأول يكون عَلَىٰ مثال ما لم يكن بعد، وإنما يكون عَلَىٰ مثال ما قد كان.

السادس: أنَّه إذا كان المقصود أن هذا المضروبَ والمشتوم يشبه آدمَ فمِن المعلوم أن هذا من الأمور الظاهرة المعلومة للخاصِّ والعام، فلو أريد التعليل بذلك لقيل: فإنَّ هذا يدخل فيه الأنبياء، إذ كان هذا يدخل فيه آدم، ونحو ذلك من العبارات التي تبين قُبحَ كلامه، وهو اشتمال لفظه عَلَىٰ ما يعلم هو وجوده. أما مجرد إخباره بما يعلم وجوده كل أحد فلا يستعمل في مثل هذا الخطاب.

السابع: أنَّه إذا أريد مجرَّدُ المشابهة لآدم وذريته لم يَحتجْ إلىٰ لفظ: خلق عَلَىٰ كذا، فإنَّ هذه العبارة إنما تستعمل فيما فُطر عَلَىٰ مثال غيره، بَل يقال: إن وَجهه يشبه وَجه آدم، أو: فإنَّ صُورَته تشبه صُورَة آدم.

الثَّامن: أن يُقالَ: مثل هذه العلة تصلح لقوله: «**لا يقولن أحدكم: قبح الله وَجهك، ووجه من أشبه وَجهك**» فكيف يصلح لقوله: «**إذا قاتل أحدكم فَلْيَجْتَنِب**

الوَجْه»؟ ومعلوم أن كون صُورَته تشبه صُورَة آدم لا توجب سقوط العقوبة عنه، فإنَّ الإنسان لو كان يشبه نبيًّا من الأنبياء أعظم من مشابهة الذرية لأبيهم في مطلق الصُّورة والوَجْه، ثم وجبت عَلَىٰ ذلك الشبيه بالنَّبِي عقوبة، لم تسقط عقوبته لهذا الشَّبَه باتفاق المُسْلِمين، فكيف يجوز تعليل تحريم العقوبة بمجرد المشابهة المطلقة لآدم؟!

التَّاسع: أن في ذرية آدم مَن هو أفضل من آدم، وتناوُل اللفظ لجميعهم واحِد، فلو كان المقصود بالخطاب ليس به ما يختص آدم من ابتداء خلقه عَلَىٰ صُورَة، بَل المقصود مجرد مشابهة المضروب المشتوم له؛ لكان ذكر سائر الأنبياء والمرسلين بالعموم هو الوَجْه، وكان تخصيص غير آدم بالذِّكر أولىٰ؛ كإبراهيم، وموسىٰ، وعيسىٰ، وإن كان آدم أباهم، فليس هذا المقام مقامًا له به اختصاص عَلَىٰ زعم هؤلاء.

العاشر -وهو قاطع أيضًا-: أن يُقالَ: كون الوَجْه يشبه وَجه آدم هو مثل كون سائر الأعضاء تشبه أعضاء آدم، فإنَّ رأس الإنسان يشبه رأس آدم، ويده تشبه يده، ورجله، وبطنه، وظهره، وفخذه، وساقه؛ يشبه ظهره، وبطنه، وفخذه، وساقه. فليس للوجه بمشابهة آدم اختصاص، بَل جَمِيع أعضاء البدن بمنزلته في ذلك، فلو صح أن يكون هذا علة لمنع الضرب لوجب أن لا يجوز ضرب شيء من أعضاء بني آدم؛ لأنَّ ذلك جَمِيعه عَلَىٰ صُورَة أبيهم آدم، وفي إجماع المُسْلِمين علىٰ وجوب ضرب هذه الأعضاء في الجهاد للكفار والمنافقين، وإقامة الحدود، مع كونها مشابهة لأعضاء آدم وسائر النَّبِيين؛ دليل عَلَىٰ أنَّه لا يجوز المنع من ضرب الوَجْه ولا غيره لأجل هذه المشابهة.

الوَجْه الحادي عشر: أنَّه لو كان علة النهي عَن شتم الوَجْه وتقبيحه أنَّه يشبه وَجه آدم؛ لنُهي أيضًا عَن الشتم والتقبيح لسائر الأعضاء، لا يقولن أحدكم: قطع الله يدَك، ويدَ مَن أشبهَ يدَك.

الوَجْه الثَّاني عشر: أن ما ذكره من تأويل ذلك بأنه إبطال لقول من يقول: إن آدم كان عَلَىٰ صُورَة أخرىٰ، مثل ما يقال: إنه كان عظيم الجثة، طويلَ القَامة، وأن النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أشار إلىٰ إنسان مُعيَّن، وقال: «**إنَّ اللهَ خَلَق آدَمَ عَلَىٰ صُورَته**»، أي كان شكل آدم مثل شكل هذا الإنسان من غير تفاوت البتة.

يقال لهم: الحَدِيث المتفق عليه في «الصَّحِيحين» مناقض لهذا التَّأويل، مصرح فيه بأن خلق آدم أعظم من صور بنيه بشيء كثير، وأنَّه لم يكن عَلَىٰ شكل أحد من أبناء الزمان، كَمَا في «الصَّحِيحين»، عَن همام بن منبه، عَن أبي هُرَيرةَ، عَن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**خَلَقَ اللهُ آدَمَ عَلَىٰ صُورَته، طُولُه ستُّون ذِراعًا، ثمَّ قال: اذهب فسلم عَلَىٰ أولئك الملائكة، فاستمع ما يجيبونك، فإنَّها تحيتك وتحية ذريتك، فقَال: السلام عليكم، فقَالوا: السلام عليك ورحمة الله، فزادوه: ورحمة الله، فكل مَن يدخل الجنة عَلَىٰ صُورَة آدم. قال: فلم يزل الخلق ينقص حتىٰ الآن**»[(١)]. قال في رِوَايَة يحيىٰ بن جعفر، ومُحمَّد بن رافع: «**علىٰ صُورَته**»[(٢)].

فهذا الحَدِيث الَّذي هو أشهر الأحَادِيث التي فيها: أنَّ اللهَ خَلَق آدمَ عَلَىٰ صُورَته، ذكر فيه أن طُولَه ستُّون ذِراعًا، وأن الخلق لم يزل ينقص حتىٰ الآن، وأن أهل الجنة يدخلون الجنة عَلَىٰ صُورَة آدم، ولم يقل: إن آدم عَلَىٰ صُورَتهم، بَل قال: هم عَلَىٰ صُورَة آدم. وقد روي أن عرض أحدهم سبعة أذرع. فهل في تبديل كلام الله ورسوله أبلغ من هذا أن يجعل ما أثبته النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأخبر به، وأوجب

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

التصديق به؛ قد نفاه وأبطله، وأوجب تكذيبه وإبطاله؟!

الوَجْه الثَّالث عشر: أنَّه قد رُوي من غير وَجه: «**علىٰ صُورَة الرَّحْمن**».

فصل

وأما قول من قال: الضَّمير عائد إلىٰ آدم، كَمَا ذكر الإمَام أحْمَد عَن بعض مُحدِّثي البصرة، ويُذكر ذلك عَن أبي ثَور؛ فهو كَمَا قال الإمَام أحْمَد: هذا تأويل الجَهْمِيَّة، وأيُّ صُورَة كانت لآدم قبل أن يخلقه؟! وقد زعم المُؤسِّس(١) أنَّه أولىٰ الوجوه الثَّلاثة. وليس كَمَا ذكره، بَل هو أفسد الوجوه الثَّلاثة، ولهذا لم يُعوِّل عليه ابنُ خُزَيْمَةَ إلا عند الضَّرورة لرواية من روىٰ: «**علىٰ صُورَة الرَّحْمن**»، ولقوله ابتداء: «**إنَّ اللهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَىٰ صُورَته**»، فأما حيث ظن أن التَّأويل الأول ممكن فلم يَقلْ هذا.

وبيان فساده من وجوه:

أحدها: أنَّه إذا قيل: إذا قاتل أحدكم فَلْيَجْتَنِب الوَجْه، فإنَّ اللهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَىٰ صُورَة آدم، أو لا تُقبِّحوا الوَجْه، ولا يقل أحدكم: قبح الله وَجهك، ووجه من أشبه وَجهك، فإنَّ اللهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَىٰ صُورَة آدم. كان هذا من أفسد الكلام، فإنَّه لا يكون بين العلَّة والحكم مناسبة أصلًا، فإنَّ كون آدم مخلوقًا عَلَىٰ صُورَة آدم فأيُّ تفسير فسر به؟ فليس في ذلك مناسبة للنهي عَن ضرب وجوه بنيه، ولا عَن تقبيحها وتقبيحِ ما يشبهها، وإنما دخل التلبيس بهذا التَّأويل حيث فُرِّق الحَدِيث، فرُوي قوله: «**إذا قاتل**

---

(١) يقصد بالمؤسس الرازي، لأجل كتابه الذي أسس فيه أصول الجهمية، وسماه «تأسيس التقديس».

أحدكم فليتَّق الوَجْه» مفردًا، وروي قوله: «**إِنَّ اللهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَىٰ صُورَته**» مفردًا، أما مع أداء الحَدِيث علىٰ وَجهه، فإنَّ عود الضَّمير إلىٰ آدم يمتنع فيه، وذلك أن خلق آدم عَلَىٰ صُورَة آدم سواء كان فيه تشريف لآدم، أو كان فيه إخبار مُجرد بالواقع فلا يناسب هذا الحكم.

الوَجْه الثَّاني: أن الله خلق سائر أعضاء آدم عَلَىٰ صُورَة آدم، فلا فرق بين الوَجْه، وسائر الأعضاء في هذا الحكم. فلو كان خلق آدم عَلَىٰ صُورَة آدم مانعًا من ضرب الوَجْه أو تقبيحِه لوجب أن يكون مانعًا من ضرب سائر الوجوه، وتقبيح سائر الصور، وهذا معلوم الفساد في العقل والدين. وتعليل الحكم الخاص بالعلة المشتركة من أقبح الكلام، وإضافة ذلك إلىٰ النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يصدر إلا عَن جهل عظيم، أو نفاق شديد، إذ لا خلاف في علمه، وحكمته، وحسن كلامه وبيانه.

كَمَا يُذكر أن بعض الزَّنادقة سَمِع قارئًا يقرأ: ﴿فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ﴾، فقَال: وهل يذاق اللباس؟! فقَالت له امرأة: هبك تشكُّ في بداية العقول، أو يعلل حكم المحل بعلة لا تعلُّقَ لها به، فإنَّ هذا مثل أن يقال: لا تضربوا وجوه بني آدم، فإنَّ أباهم له صِفَات يختص هو بها دونهم، مثل كونه خُلق من غير أبوين، أو يقال: لا تضربوا وجوه بني آدم، فإنَّ أباهم خُلق من غير أبوين.

الوَجْه الثَّالث: أن هذا تعليل للحكم بما يوجب نفيه. وهذا من أعظم التناقض، وذلك أنهم تأولوا الحَدِيث عَلَىٰ أن آدم لم يخلق من نطفة، وعلقة، ومضغة. وعلىٰ أنَّه لم يتكون في مدة طويلة بواسطة العناصر. وبنوه قد خلقوا من نطفة، ثمَّ من علقة، ثمَّ من مضغة، وخلقوا في مدة من عناصر الأرض. فإنْ كانت العلة المانعة من ضرب الوَجْه وتقبيحه كونَه خُلق عَلَىٰ ذلك الوَجْه، وهذه العلة منتفية في بنيه؛ فينبغي أن

يجوز ضرب وجوه بنيه وتقبيحها؛ لانتفاء العلة فيها أن آدم هو الَّذي خُلق عَلَىٰ صُورَته دونهم، إذ هم لم يخلقوا كَمَا خلق آدم عَلَىٰ صورهم التي هم عليها، بَل نقلوا من نطفة إلىٰ علقة إلىٰ مضغة.

الوَجْه الرَّابع: ما أَبطل به الإمَام أحْمَد هذا التَّأويلَ، حيث قال: من قال: إنَّ اللهَ خَلَق آدَمَ عَلَىٰ صُورَة آدم؛ فهو جهمي، وأي صُورَة كانت لآدم قبل أن يخلقه؟! وهذا الوَجْه الَّذي ذكره الإمَام أحْمَد يعمُّ الأحَادِيث، يعم قولَه ابتداء: «**إنَّ اللهَ خَلَق آدَمَ عَلَىٰ صُورَته، طُولُه ستُّون ذِراعًا**»، ويعم قوله: «**لا تُقبِّحوا الوَجْه**»، «**وإذا ضرب أحدكم فَلْيَجْتَنِب الوَجْه، فإنَّ اللهَ خَلَق آدَمَ عَلَىٰ صُورَته**»، وذلك أن قوله: «**خلق آدم عَلَىٰ صُورَته**» يقتضي أنَّه كان له صُورَة قبل الخلق خَلَقه عليها، فإنَّ هذه العبارة لا تُستعمل إلا في مثل ذلك.

وبمثل هذا أبطلنا قول من يقول: إن الضَّمير عائد إلىٰ المضروب. فإنَّ المضروب متأخر عَن آدم، ولا يجوز في مثل هذا الكلام أن تكون الصُّورة التي خُلق عليها آدم متأخرة عَن حين خلقه، سواء كانت هي صُورَته، أو صُورَة غيره.

فإذا قيل: عملت هذا عَلَىٰ صُورَة هذا، أو عَلَىٰ مثال هذا. أو لم يعمل هذا عَلَىٰ صُورَة غيره، أو لم يعمل عَلَىٰ مثال، أو لم ينسج عَلَىٰ مِنوال غيره، كَمَا يُقال في تَحمِيد الله تَعالَىٰ: خلق العالَم عَلَىٰ غير مثال، والإبداعُ خَلقُ الشيء عَلَىٰ غير مثال، ونحو ذلك من العبارات، كان معناها المعلوم بالاضطرار من اللغة عند العامَّة والخاصَّة أن ذلك عَلَىٰ صُورَة ومثالٍ متقدم عليه، أو لم يعمل عَلَىٰ صُورَة ومثال متقدم عليه.

وذلك أن هذا اللفظ تضمن مَعْنىٰ القياس، فقوله: خلق، أو عمل، أو صنع عَلَىٰ

صُورَة كذا، أو مثاله، أو منواله؛ تضمن مَعْنًىٰ قِيس عليه، وقُدِّر عليه، وإذا كان كذلك فجميع ما يُذكر من التَّأويلات مضمونه أن صُورَته تأخَّرت عنه، فتكون باطلة.

وأيضًا؛ فمن المعلوم بالضرورة أنَّه لم تكن لآدم صُورَة خُلق عليها قبل صُورَته التي خلقها الله.

الوَجْه الخامس: أن جَمِيع ما يذكر من التَّأويل؛ كقول القَائل: خلق آدم عَلَىٰ صُورَة آدم، موجود نظيره في جَمِيع المخلوقات، فإنَّه إن أُريد بذلك عَلَىٰ صُورَتها الثَّابتة في القدر في علم الله وكتابه، أي عَلَىٰ صفتها التي هي علمه، أو غير ذلك، فهذا موجود نظيره في سائر المخلوقات من السموات والأرض وما بينهما من الملائكة، والجن، والبهائم، بل وذرية آدم كذلك، فإنَّهم خلقوا عَلَىٰ صورهم، كَمَا يذكرونه في مَعْنىٰ قولهم: خَلقَ اللهُ آدَمَ عَلَىٰ صُورَة آدم، فإنَّ كون آدم عَلَىٰ صُورَته يعني شبح موجود في صور هذه الأمور.

وأما كونه خُلق عَلَىٰ هذه الصُّورة ابتداء، أو في غير مدَّة، فإنَّه لم يخلق إلا من حال إلىٰ حالٍ: من التراب، ثمَّ من الطين، ثمَّ من الصلصال، كَمَا خُلق بنوه من النطفة، ثمَّ العلقة، ثمَّ المضغة، فلا منافاة في الحقيقة بين الأمرين. فإذا جاز أن يُقالَ في أحدهما: إنه خلق عَلَىٰ صُورَته مع تنقله في هذه الأطوار؛ جاز أن يُقالَ في الآخر: خلق عَلَىٰ صُورَته مع تنقله في هذه الأطوار.

وإذا كان كذلك، ومن المعلوم بالاتفاق أن قوله: «**خلق آدم عَلَىٰ صُورَته**» هي من خصائص آدم، وإن كان بنوه تبعًا له في ذلك، كَمَا خلقه الله بيديه، وأسجد له ملائكته؛ عُلم بطلان ما يوجب الاشتراك، ويزيل الاختصاص.

الوَجْه السادس: أن المَعْنىٰ الَّذي تدل عليه هذه العبارة التي ذكروها هي من الأمور المعلومة ببديهة العقل التي لا يحسن بيانها والخطاب بها لتعريفها، بَل لأمر آخر، فإنَّ قول القَائل: إن الشيء الفُلاني خُلق عَلَىٰ صُورَة نفسه، لا يدل لفظه عَلَىٰ غير ما هو معلوم بالعقل أن كل مخلوق فإنَّه خلق عَلَىٰ الصُّورة التي خُلق عليها. وهذا المَعْنىٰ مثل أن يُقالَ: أوجد اللهُ الشيءَ كَمَا أوجده، وخلق اللهُ الأشياء عَلَىٰ ما هي عليه، وعلىٰ الصُّورة التي هي عليها، ونحو ذلك مما هو معلوم ببديهة العقل، ومعلوم أن بيان هذا وإيضاحه قبيح جدًّا.

الوَجْه السابع: أن دلالة قول القَائل: خلق آدم عَلَىٰ صُورَة آدم، بَل ما يدعونه من معانٍ أخر؛ مثل كونه غير مخلوق من نطفة، ثمَّ من علقة، ثمَّ من مضغة، أو كونه لم يخلق في مدة، ومن مادة، أو لم يخلق بواسطة القوىٰ والعناصر، مما لا دليل عليه بحالٍ، فإنَّ هذا اللفظ لا يفهم منه هذه المعاني بوجه من الوجوه، فلابد أن يبين وَجه دلالة اللفظ عَلَىٰ المَعْنىٰ من جهة اللغة، ويذكر له نظير في الاستعمال.

الوَجْه الثَّامن: أن رِوَايَة الحَدِيث من وجوه، فسائر الألفاظ تُبطل عودَ الضَّمير إلىٰ آدم، مثل قوله: «**لا تُقَبِّحوا الوَجْه، فإنَّ اللهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَىٰ صُورَة الرَّحْمن**»، وقوله في الطريق الآخر من حَدِيث أبي هُرَيرةَ: «**إذا ضرب أحدكم فَلْيَجْتَنِب الوَجْه، فإنَّ صُورَة الإنسان عَلَىٰ صُورَة الرَّحْمن**»، وقول ابن عباس فيما ذكره عَن الله تَعالَىٰ: «تعمد إلىٰ خَلْق من خَلْقي خلقتُهم عَلَىٰ صورتي فتَقول لهم: اشربوا يا حمير».

فأما قوله: إن حَدِيث ابن عُمَرَ قد ضعَّفه ابن خُزَيْمَةَ، فإنَّ الثوري أرسله، فخالف فيه الأعمش، وأن الأعمش وحبيبًا مدلسان.

فيقال: قد صححه إسحاق بن راهويه، وأحْمَد بن حنبل، وهما أَجلُّ من ابن خُزَيْمَةَ باتِّفاق الناس.

وأيضًا؛ فمن المعلوم أن عطاء بن أبي رباح إذا أرسل هذا الحَدِيث عَن النَّبِيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فلابد أن يكون قد سمعه من أحد. وإذا كان في إحدىٰ الطريقين قد بيَّن أنَّه أخذه عَن ابن عُمَرَ كان هذا بيانًا وتفسيرًا لما تركه وحَذَفه من الطريق الأخرىٰ، ولم يكن هذا اختلافًا أصلًا.

وأيضًا؛ فلو قُدِّر أن عطاء لم يذكره إلا مرسلًا عَن النَّبِيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فمن المعلوم أن عطاء من أجلِّ التَّابعين قدرًا، فإنَّه هو وسعيد بن المُسيِّب، وإبراهيم النخعي، والحسن البصري أئمة التَّابعين في زمانهم، وقد ذكر المصنف لهذا الحَدِيث -كابن خُزَيْمَةَ- أن الأخبار في مثل هذا الجنس التي توجب العلم هي أعظم من الأخبار التي توجب العمل، ومعلوم أن مثل عطاء لو أفتىٰ في مَسْألة فقه بموجب خبر أرسله لكان ذلك يقتضي ثبوته عنده، ولهذا يجعل الفقهاء احتجاج المرسِل بالخبر الَّذي أرسله دليلًا عَلَىٰ ثبوته عنده، فإذا كان عطاء قد جزم بهذا الخبر العلمي عَن النَّبِيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في مثل هذا البَاب العظيم، يستجيز[1] ذلك من غير أن يكون ثابتًا عنده أن يكون[2] قد سمعه من مجهول لا يعرف، أو كذاب، أو سيئ الحفظ.

وأيضًا؛ فاتفاق السَّلف عَلَىٰ رِوَايَة هذا الخبر ونحوه مثل عطاء بن أبي رباح، وحبيب بن أبي ثابت، والأعمش، والثوري، وأصحابهم من غير نكير سُمع من أحد

---

(١) كذا، ولعله: فهو لا يستجيز.

(٢) كذا، ولعله: لا أن يكون.

لمثل ذلك في ذلك العصر، مع أن هذه الروايات المتنوعة في مظنة الاشتهار، ودليل عَلَىٰ أن علماء الأُمَّة لم تنكر إطلاقَ القول بأنَّ اللهَ خَلَقَ آدمَ عَلَىٰ صُورَة الرَّحْمن، بَل كانوا متفقين عَلَىٰ إطلاق مثل هذا. وكراهة بعضهم لرواية ذلك في بعض الأوقات له نظائر، فإنَّ الشيء قد يمنع سماعه لبعض الجهال، وإن كان متفقًا عليه بين علماء المُسْلِمين.

وأيضًا؛ فإنَّ اللهَ قد وصف هذه الأُمَّة بأنها خير أمة أخرجت للناس، وأنها تأمر بالمعروف وتنهىٰ عَن المنكر، فمِن الممتنع أن يكون في عصر التَّابعين يتكلم أئمة ذلك العصر بما هو كفر وضلال، ولا يُنكِر عليهم أحد، فلو كان قوله: «**خلق آدم عَلَىٰ صُورَة الرَّحْمن**» باطلًا لكانوا كذلك.

وأيضًا؛ فقد روي بهذا اللفظ مِن طَريق أبي هُرَيرةَ. والحَدِيث المروي مِن طَريقين مختلفين لم يتواطأ رواتهما، يؤيد أحدهما الآخر، ويشهد له، ويعتبر به، بَل قد يفيد ذلك العلم؛ إذ الخوف في الرِّوَايَة من تَعمُّد الكذب، أو من سوء الحفظ. فإذا كان الرُّواة ممن يُعلم أنهم لا يتعمدون الكذب، أو كان الحَدِيث ممن لا يتواطأ في العادة عَلَىٰ اتفاق الكذب عَلَىٰ لفظه لم يبق إلا سوء الحفظ، فإذا كان قد حفظ كل منهما مثل ما حفظ الآخر كان ذلك دليلًا عَلَىٰ أنَّه محفوظ. ولهذا يَحتَجُّ مَن مَنع المرسلَ به إذا روي من وَجه آخر، ولهذا يجعل التِّرْمِذِي وغيره الحَدِيثَ الحسن ما رُوي من وَجهين، ولم يكن في طريقه متَّهم بالكذب، ولا كان مخالفًا للأخبار المشهورة. وأدنىٰ أحوال هذا اللفظ أن يكون بهذه المنزلة.

وأيضًا؛ فقد ثَبَت عَن الصَّحابَة أنهم تكلموا بمعناه، كَمَا في قول ابن عباس: «تَعْمَد إلىٰ خلق من خلقي عَلَىٰ صورتي»، والمرسل إذا اعتضد به قول الصَّاحب

احتج به من لا يحتج بالمُرسل؛ كالشَّافعي، وغيره.

وأيضًا؛ فثبت بقول الصَّحابَة ذلك، ورواية التَّابعين كذلك عنهم: أن هذا كان مطلقًا بين الأئمَّة، ولم يكن منكرًا بينهم.

وأيضًا؛ فعِلْم ذلك لا يؤخذ بالرأي، وإنما يقال توقيفًا. ولا يجوز أن يكون مستند ابن عباس إخبارَ أهل الكِتَاب الَّذي هو أحد الناهين لنا عَن سؤالهم، ومع نهي النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَن تصديقهم أو تكذيبهم، فعُلم أن ابن عباس إنما قاله توقيفًا من النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. ففي «صَحِيح البُخَارِي»[1]، عَن ابن شهاب، عَن عبيد الله بن عَبْد الله، أن ابن عباس قال: «كيف تسألون أهل الكِتَاب عَن شيء، وكتابُكم الَّذي أُنزل عَلَىٰ رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أحدث، تقرءونه محضًا لم يَشُبْ، وقد حدَّثكم أن أهل الكِتَاب بدَّلوا كِتَابَ الله وغيَّروه، وكتبوا بأيديهم الكِتَابَ، وقالوا: هو من عند الله؛ ليشتروا به ثمنًا قليلًا؟! ألا ينهاكم ما جاءكم من العلم عَن مَسْألتهم؟ لا والله ما رأينا منهم رجلًا يسألكم عَن الَّذي أُنزل عليكم».

وفي «صَحِيح البُخَارِي»[2]، عَن أبي هُرَيرةَ قال: كان أهل الكِتَاب يقرءون التَّوراةَ بالعبرانيَّة، ويفسرونها بالعربيَّة لأهل الإسْلَام، فقَال رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«لا تُصدِّقوا أهلَ الكِتَاب ولا تُكذِّبُوهم، وقولوا: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا﴾** [البقرة: ١٣٦] **الآية»**.

فمعلوم مع هذا أن ابن عباس لا يكون مستنِدًا فيما يذكره من صِفَات الرَّبِّ أنَّه

---

(١) (٧٣٦٣).

(٢) (٤٤٨٥).

يأخذ ذلك عَن أهل الكِتَاب، فلم يبق إلا أن يكون أخذه من الصَّحابَة الَّذين أخذوه من النَّبِي صَلَّاَللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ.

وهذه الوجوه كلها مع أنها مُبطلة لقول من يُعيد الضَّميرَ في قوله إلىٰ آدم، فهي أدلة مستقلة في الإخبار بأنَّ اللهَ خَلَقَ آدمَ عَلَىٰ صُورَة نفسه، وبهذا حصل الجواب عما يذكر من كون الأعمش مدلسًا، حيث يقدم عَلَىٰ رِوَايَة مثل هذا الحَدِيث، ويتلقاه عنه العلماء، ويوافقه الثوري والعلماء عَلَىٰ روايته عَن ذلك الشَّيخ بعينه، وكذلك قوله: حبيب مدلس، فقد أخذه عَن هؤلاء الأئمَّة.

وأيضًا؛ فهذا المَعْنىٰ عند أهل الكِتَاب من الكُتُب المأثورة عَن الأنبياء؛ كالتوراة، فإنَّ في السِّفْر الأول منها: (سنخلق بشرًا عَلَىٰ صورتنا يشبهها)، وقد قدمنا أنَّه يجوز الاستشهاد بما عند أهل الكِتَاب إذا وافق ما يُؤثَر عَن نبينا، بخلاف ما لم نعلمه إلا من جهتهم، فإنَّ هذا لا نصدقهم فيه ولا نكذبهم، ثمَّ إن هذا مما لا غرض لأهل الكِتَاب في افترائه عَلَىٰ الأنبياء، بَل المعروف من حالهم كراهة وجود ذلك في كتبهم، وتأويله، وكتمانه، كَمَا قد رأيت ذلك مما شاء الله من علمائهم، ومع هذا الحال يمتنع أن يكذبوا كلامًا يثبتونه في ضمن التوراة وغيرها، وهم يكرهون وجوده عندهم.

وإن قيل: إنكارُه لذلك غير الكاتب له، فيُقال: هو موجود في جَمِيع النُّسَخ الموجودة في الزمان القديم في جَمِيع الأعصار والأمصار من عهد النَّبِي صَلَّاَللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ.

وأيضًا؛ فمن المعلوم أن هذه النُّسَخ الموجودة اليوم بالتوراة ونحوها، قد كانت موجودة عَلَىٰ عهد النَّبِي صَلَّاَللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، فلو كان ما فيها من الصِّفَات كذبًا وافتراءً،

ووصفًا لله بما يجب تنزيهه عنه؛ كالشركاء، والأولاد، لكان إنكار ذلك عليهم موجودًا في كلام النَّبِي صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، أو الصَّحابَة، أو التَّابعين، كَمَا أنكروا عليهم ما دون ذلك، وقد عابهم الله في القرآن بما هو دون ذلك، فلو كان هذا عيبًا لكان عيبُ اللهِ لهم به أعظم، وذَمُّهم عليه أشد.

الوَجْه التَّاسع: إبطال أعيان التَّأويلات التي ذكَرها:

فأما قوله في الوَجْه الأول: إنه لم يغير خلقة آدم، ولم يمسخها كَمَا مسخ غيره؛ كالحية، والطَّاووس.

فيقال له: العبارة المعروفة عَن هذا المَعْنىٰ أن يُقالَ: أبقىٰ آدم عَلَىٰ صُورَته، أو تركه عَلَىٰ صُورَته، أو لم يغير صُورَة آدم، لا يقال: خلقه عَلَىٰ صُورَة نفسه، فإنَّ هذا اللفظ لا يستعمل في مثل ذلك المَعْنىٰ، ألا ترىٰ أن الله لما مسخ بعض بني إسرائيل كالَّذين قال لهم: ﴿كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ۝٦٥﴾ [البقرة: ٦٥]، كَمَا قال: ﴿وَجَعَلَ مِنۡهُمُ ٱلۡقِرَدَةَ وَٱلۡخَنَازِيرَ﴾ [المائدة: ٦٠]، وأنجىٰ الَّذين كانوا ينهون عَن المنكر، فإنَّه لا يقال: خلق هؤلاء عَلَىٰ صورهم، بَل يقال: أبقاهم عَلَىٰ صورهم، وأبقىٰ صورهم، أو لم يمسخهم، وهذا لما تقدم من أن هذا اللفظ لا يقال إلا فيما تقدمت الصُّورة عَلَىٰ خلقه، لا فيما تأخرت.

وأيضًا؛ فهذا من الأمر المعروف الظاهر لكل أحد أن مَضْمُونَه أن صُورَة آدم كانت كهذه لم تمسخ، وما من الناس إلا من يعرف هذا، كَمَا يعرف آدم، فقول القَائل لهذا كقوله: إن آدم كان له وَجه، وعينان، وأُذُنان، ويدان، وساقان، وهذا من الكلام السمج.

وأيضًا؛ فالإخبار بما ذكره من مسخ غيرِ آدم غير معلوم ولا مذكور.

وأيضًا؛ فإنَّ اللهَ تَعالَىٰ قد أخبر أنَّه تاب عَلَىٰ آدم واجتباه وهو في الجنة قبل إهباطه إلىٰ الأرض، فزال عنه العقاب قبل هبوطه.

وأما التَّأويل الثَّاني: وقوله: إن فيه إنكار قول الدهرية الَّذين يقولون: إن الإنسان لا يتولد إلا من نطفة ودم الطَّمْث.

فيقال له: قد أخبر الله في كتابه أنَّه خلق آدم من الماء والتراب، ومن الطين، ومن الحمأ المَسنون، فهذه نصوص ظاهرات متواترات يسمعها العام والخاص، تبين أنَّه لم يُخلَق من نطفة ودم طمث، وتُبطل هذا القول إبطالًا بيِّنًا معلومًا بالاضطرار.

فأما قول القَائل: إن آدم خُلق عَلَىٰ صُورَة آدم، فليس في هذا القول دلالة عَلَىٰ نفي كونه مخلوقًا من غيره أصلًا، وقوله: خلق آدم عَلَىٰ صُورَته ابتداء من غير تقدم نطفة، ثمَّ علقة، ثمَّ مضغة، يقال له: خُلِقَ بعد تقدم تراب، وطين، وصلصال، ودلالة اللفظ عَلَىٰ نفي هذا المتقدم كدلالته عَلَىٰ نفي ذلك المتقدم، فإن كان قوله: خلق آدم عَلَىٰ صُورَة آدم، يقتضي خلقه ابتداء من غير تنقُّل أحوال؛ فهو ينفي الأمرين، وإلا فهو لا ينفي لا هذا ولا هذا، وهذا التخطيط إنما وقع لكون الصُّورة التي خلق عليها جعَلوها متأخِّرة عَن الخلق، وهو خلاف مدلول اللفظ.

وأما التَّأويل الثَّالث: وقوله: إن الإنسان لا يتكون إلا في مدة طويلة، وزمان مديد، وبواسطة الأفلاك والعناصر، فقوله: خلق آدم عَلَىٰ صُورَة آدم، أي: من غير هذه الوسائط، والمقصود منه الرد عَلَىٰ الفلاسفة.

فيقال: هذا أظهرُ بطلانًا من الأول، فإنَّ آدم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ لم يتكون إلا في مدة

أطول من مدد بنيه، ومن مادة أعظم من مواد بنيه، فإنَّ اللهَ خلقه من التراب والماء، وجعله صلصالًا، وهذه هي العناصر.

وأيضًا، فإنَّه بقي أربعين عامًا قبل نفخ الرُّوح فيه، وولده إنما يبقون أربعة أشهر، قال تَعالَىٰ: ﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا ١﴾ [الإنسان: ١].

وأيضًا؛ فاللفظ لا يدل عَلَىٰ نفي ذلك بوجه من الوجوه لا حقيقةً ولا مجازًا، بَل هذه الدلالة من جنس ما تدَّعيه غالية الرَّافضة ونحوهم من جهَّال الزَّنَادقة، أن قوله: ﴿إِمَامٖ مُّبِينٖ﴾ هو علي بن أبي طالب، بَل ربما هذا أقوىٰ، فإنَّ لفظ الإمَام فيه اشتراك، وإلا فكون الشيء خلق عَلَىٰ صُورَة نفسه المتقدمة والمتأخرة، أيُّ شيء فيه مما ينفي كونه في مدة، وخلق من مادة؟!

ثم إن هذا المُؤسِّسَ مع كونه يحمل كلام النَّبِي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ عَلَىٰ رفع تأثير الأفلاك والعناصر ردًّا عَلَىٰ الفلاسفة، يقرر في كتب له أخرىٰ دلالة القرآن عَلَىٰ تأثير الأفلاك والكواكب؛ تارة عملًا بما يأمر به المُنجِّمون من الأخبار، وتارةً أمرًا بما يأمر به السَّحرة المشركون من عبادتها، فقد جعل كلام الله ورسوله متناقضًا، حيث أثبت ذلك ونفاه، ثمَّ إنه في جانب الإثبات يغلو حتىٰ يأمر بما هو محرَّم، بَل كُفرٌ بإجماع المُسْلِمين، وفي جانب النفي يغلو حتىٰ يمنع كونها أسبابًا كسائر الأسباب، وهذا من أعظم التناقض فيما جاء به الرَّسُول، ومن جهة المعقول.

وأما التَّأويل الرَّابع: فقوله: المقصود منه بيان أن هذه الصُّورة الإنسانية إنما حصلت بتخليق الله، لا بتأثير القوة المصورَة.

يقال له: إن كان اللفظ دالًّا عَلَىٰ ذلك فإنما يدل عليه قوله: خَلَقَ اللهُ آدَمَ، كَمَا

ذكر ذلك في القرآن في غير موضع، إذ قوله: «**علىٰ صُورَته**» لا يتعرَّض لذلك، وإن لم يكن دالًّا عليه؛ فهو باطل، وعلىٰ التقديرين فدعوىٰ قوله: «**علىٰ صُورَته**» بغير القوىٰ الطبيعية دعوىٰ باطلة.

ويقال له ثانيًا: إخبار الله تَعالَىٰ بأنه خلق آدم، وهو الخالق أظهر وأشهر في القرآن، وعند العامة والخاصة من أن يكون المستفاد منه يحتاج إلىٰ قوله: «**علىٰ صُورَته**».

ويقال له ثالثًا: أيُّ شيء في قوله: «**علىٰ صُورَته**» ما يمنع هذه القوىٰ؟

ويقال له رابعًا: ومَن الَّذي يمنع وجود هذه القوىٰ والطبائع، وأن الله هو خلقها وخلق بها، كَمَا أخبر في غير موضع من كتابه أَنَّه يُحدِث الأشياء بعضها ببعض، كَمَا في قوله تَعالَىٰ: ﴿فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ [الأعراف: ٥٧]؟ ومن أعظم الضلال جحود ما يوجد في المخلوقات، وما أخبر الله به في كتابه، وجعل ذلك تأويل الأحَادِيث مع دعوىٰ المدعي أَنَّه يَرُدُّ بذلك عَلَىٰ الدَّهرية، والفلاسفة، والأطباء، والمشبهة، وهو قد أضحك العقلاء عَلَىٰ عقله بما جحده من الحسِّيَّات والمعقولات، وألحد في آيات الله بما افتراه من التَّأويلات، وأخبر عَن الرَّسُول أَنَّه أخبر بجحد الموجودات، مع أن لفظه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أبعد شيء عَن هذه التُّرهات.

وأما التَّأويل الخامس: فقوله: إن الصُّورة تُذكَر ويراد بها الصِّفَة، يقال: شَرحت له صُورَة هذه الواقعة، وذكرت له صُورَة هذه المَسْألة، والمراد أن الله تَعالَىٰ خلق آدم من أول الأمر كاملًا تامًّا في علمه وقدرته، أو كونه سعيدًا عارفًا تائبًا.

فيقال له: الصُّورة هي الصُّورة الموجودة في الخارج، ولفظ «صَوَّر» يدل عَلَىٰ

ذلك، وما من موجود من الموجودات إلا له صُورَة في الخارج، وما يكون من الوقائع يشتمل عَلَىٰ أمور كَثِيرة لها صُورَة موجودة، وكذلك المسئول عنه من الحوادث وغيرها له صُورَة موجودة في الخارج، ثمَّ تلك الصُّورة الموجودة ترتسم في النفس صُورَة ذهنية.

فقوله: شرحت له صُورَة الواقعة، وأخبرني بصُورَة المَسْألة، إما أن يكون المراد به الصُّورة الخارجية، أو الصُّورة الذهنية، وأما الصِّفَة فهي في الأصل مصدر (وصفت الشيء أصِفُه وصفًا وصِفةً)، ثمَّ يسمون المفعول باسم المصدر سُنَّة جارية لهم، فيقولون لما يوصف به من المعاني: صفة، ثمَّ قد يغلب أحد اللفظين في بعض الاصطلاحات، كَمَا اصطلح طائفة من الناس عَلَىٰ أن جعلوا الوصفَ اسمًا للقول، والصِّفَةَ اسمًا للمَعْنىٰ، كَمَا أن طائفة أخرىٰ جعلوا الجميع اسمًا للقول، والتحقيق أن كلًّا منهما يدل عَلَىٰ هذا، والواصف للشيء لا يصفه حتىٰ يعلمه فيرتسم مثاله في نفسه، ومن هنا يقام الدليل مقام الصِّفَة، كَمَا قد قيل في قوله تعالَىٰ: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [الرعد: ٣٥]، قال بعضهم: أي صفة الجنة التي وعد المتقون.

وإذا كان ما في النَّفْس من العِلم بالشيء يسمىٰ مثلًا له وصفةً، فالصُّورة الذهنية هي المَثل الَّذي يسمىٰ أيضًا صفة ومثلًا، ولهذا يقال: تصورت الشيء، وتمثَّلت الشيء، وتخيَّلته، إذا صار في نفسك صُورَته، ومثاله، وخياله، كَمَا يسمىٰ مثاله الخارج صُورَة، كَمَا قال النَّبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لعَن اللهُ المُصوِّرين**»(١)، وقال: «**مَن صَوَّر**

(١) أخرج البخاري (٥٣٤٧) من حديث أَبِي جُحَيْفَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «لَعَنَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الوَاشِمَةَ وَالمُسْتَوْشِمَةَ، وَآكِلَ الرِّبَا وَمُوكِلَهُ، وَنَهَىٰ عَنْ ثَمَنِ الكَلْبِ، وَكَسْبِ البَغِيِّ، وَلَعَنَ المُصَوِّرِينَ».

صُورَة كُلِّف أن ينفُخَ فيها الرُّوح، وليس بنافِخ»(١)، وقال: «**لا تدخل الملائكةُ بيتًا فيه صُورَة**»(٢)، كَمَا يسمىٰ ذلك تمثالًا في مثل قول عليٍّ: «**بَعثني رَسُول الله** صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **فأمَرني أن لا أدَعَ تِمثالًا إلا طَمستُه، ولا قَبْرًا مُشرفًا إلا سَوَّيْته**»(٣).

وقال العلماء؛ كابن عباس، وعكرمة، وأحْمَد، وغيرهم: الصُّورة هي الرأس، فإذا قُطع الرأس لم تبق صُورَة. ولهذا قال ابن عباس لمن استفتاه: «إن كنتَ مُصورًّا فصوِّر الشَّجر، وما لا رُوح فيه»(٤)، وسيأتي في «الصَّحِيحين» من حَدِيث القِيامَة قال فيه: «**ويُحرِّم اللهُ صُوَرَهم عَلَىٰ النار**»(٥)، هذا في حَدِيث أبي سَعيد، وفي حَدِيث أبي هُرَيرةَ: «**حرَّم الله عَلَىٰ النار أن تأكل أثَر السجود**»(٦)، وقال تَعالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ﴾ [الأعراف: ١١]، وقال تَعالَىٰ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ [غافر: ٦٤]، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝٦ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ۝٨﴾ [الانفطار: ٦ - ٨].

وقوله: لفظ «الصُّورة» يُذكَر ويُرادُ به الصِّفَة، إن أراد به أن الصُّورة توصف بالقول، وأن لفظ الصُّورة يراد به ما يوصف بالقول من الصُّورة الخارجية، أو ما

---

(١) أخرجه البخاري (٥٩٦٣)، ومسلم (٢١١٠) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) أخرجه البخاري (٣٢٢٦)، ومسلم (٢١٠٦) من حديث أبي طلحة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه مسلم (٩٦٩).

(٤) أخرجه مسلم (٢١١٠) بلفظ: «إِنْ كُنْتَ لَابُدَّ فَاعِلًا، فَاصْنَعِ الشَّجَرَ وَمَا لَا نَفْسَ لَهُ».

(٥) أخرجه البخاري (٧٤٣٩)، ومسلم (١٨٣) من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٦) أخرجه البخاري (٨٠٦)، ومسلم (١٨٢).

يطابقه من الصُّورة الذهنية، فهذا قريب، ولكن هذا يوجب أن لفظ الصُّورة لابُدَّ له من صُورَة خارجية، وأنْ تطابقها الصُّورة الذهنية، وإنْ أراد به لفظ الصِّفَة فقد لا يُراد به إلا ما يقوم بالأعيان؛ كالعِلم، والقدرة، فهذا باطلٌ لا يوجد في الكلام أن قول القَائل: صُورَة فلان، يُراد بها مجرد الصِّفَات القَائمة من العلم، والقدرة، ونحو ذلك، بَل هذا من البهتان عَلَىٰ اللغة وأهلها.

وأيضًا؛ فقول القَائل: خلق آدم عَلَىٰ صُورَة آدم، بمَعْنَىٰ: عَلَىٰ صفة آدم، لا يدل عَلَىٰ أنَّه خلق عَلَىٰ صِفَات الكَمَال ابتداء، ولو أريد بالصُّورة ما يتأخر عن وجوده، فإنَّ المخلوق عَلَىٰ صفة من الصِّفَات يخلق عليها في مدة، وفي غير مدة، يبين ذلك أنَّه جعل أحد المَحْمَلَيْن كونه خلق عارفًا تائبًا مقبولًا عند الله، ومعلوم أن هذه الصِّفَة تأخر وجودها عَن ابتداء خلقه، فإنَّ التوبة كانت بعد الذنب، فإذا كان لا ينافي كونه مخلوقًا عليها فكذلك لا ينافي كونه مخلوقًا عَلَىٰ صفة العلم، والقدرة، وإن تأخر ذلك عن وجوده، وإذا كان كذلك فلا فرق بينه وبين غيره.

وأيضًا؛ فهذا الَّذي ذكره من مَعْنَىٰ الخبر باطل، فإنَّ آدم لم يُجعل ابتداءً عَلَىٰ صفة الكَمَال، بَل بعد أن خلقه الله تَعالَىٰ علَّمه الأسماء التي لم يكن بها عالمًا، كَمَا علَّم بنيه البيانَ بعد أن خلقهم، فهذه التَّأويلات التي هي ذكر دلالة اللفظ عَلَىٰ مَعْنَىٰ من المَعاني، تارة يكون المَعْنَىٰ باطلًا، وتارة يكون اللفظ غير دالٍّ عليه، وتارة يكون اللفظ دالًّا عَلَىٰ نقيضه وضده، وتارة يجتمع من ذلك ما يجتمع، وهذا شأن أهل التحريف والإلحاد، نعوذ بالله من الغي والزيغ، ونسأله الهدىٰ والسداد.

وهذه التَّأويلات وإن كان المُؤسِّسُ مسبوقًا بها، وهو إن كان قد نقل منها ما نقله من كِتَاب أبي بكر ابن فُورك، ونحوه، وهم أيضًا مسبوقون بأمثالها، فقد كان مَن

هو أقدم منهم يذكر من التَّأويلات ما هو أمثل من ذلك، إذ كلَّما تقدَّم الزمان كان الناس أقرب إلىٰ السداد في الثبوتات، والقياسات الشرعيات، والعقليات، وكان قدماء الجَهْمِيَّة أعلم بما جاء به الرَّسُول، وأحسن تأويلًا من هؤلاء، كَمَا تقدم فيما ذكره المَرُّوذِي عَن أحْمَد أنَّه ذكر له عَن بعض المُحدِّثين بالبصرة أنَّه قال: قول النَّبِي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**خلق آدم عَلَىٰ صُورَته**» قال: صُورَة الطين، قال: هذا جهمي، وقال: نُسلِّم الخبرَ كَمَا جاء.

فأخبر أحْمَد أن هذا جهمي، كَمَا أن من قال: عَلَىٰ صُورَة الأرحام؛ فهو جهمي؛ لأنَّ الجَهْمِيَّة هم الَّذين ينكرون الصِّفَات، ويتأولون ما وَرد في ذلك من الأخبار والآيات، وهذا التَّأويل أجود مما تقدم، فإنَّ قوله: عَلَىٰ صُورَة آدم، يقتضي أن يكون لآدم صُورَة خلق عليها، وتلك هي صُورَة الطين، فإنَّ اللهَ صوَّر آدم طينًا حتىٰ يبس فصار صلصالًا، ثمَّ نفخ فيه الروح، ومراد هؤلاء أنَّه خلقه عَلَىٰ تلك الصُّورة المصنوعة من الطين، لكن هذا أيضًا فاسد، فإنَّ قول القَائل: خلق عَلَىٰ تلك الصُّورة، يقتضي أن تكون له صُورَة أخرىٰ خلقت عَلَىٰ تلك الصُّورة. وآدم بعينه تلك الصُّورة التي خلق فيها الروح، بَل تصويره هو خلقه من تراب، ثمَّ من طين، كَمَا قال تَعالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ﴾ [الأعراف: ١١]، فقدَّم الخلق عَلَىٰ التصوير، فكيف تكون الصُّورة لآدم سابقة عَلَىٰ الخلق حتىٰ يقال: خلق آدم عَلَىٰ تلك الصُّورة؟!

وأيضًا؛ لو أريد أنَّه خُلق من صُورَة الطين بعينها لا من أبوين، ولا يجوز ذلك؛ لقيل كَمَا قال الله: ﴿مِن تُرَابٍ﴾ [آل عمران: ٥٩]، وقال: ﴿إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ۝٧١﴾ [ص: ٧١]، وقال: ﴿إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ۝٢٨﴾ [الحجر: ٢٨].

وكذلك إذا تأوَّله متأول عَلَىٰ الصُّورة المقدَّرة له، وهي ما سبق له في علم الله،

وكلامه، وكتابه، أي: خلق آدم عَلَىٰ الصُّورة التي قدَّرها له، فإنَّ اللهَ، وإن كان خلق كل شيء عَلَىٰ ما سبق من تقديره، فلا يصح تأويل الحَدِيث عَلَىٰ هذا؛ لأنَّ جَمِيع الأشياء خلقها الله تَعالَىٰ عَلَىٰ ما قدَّره، فلا اختصاص لآدم بذلك.

وأيضًا؛ فإنَّه لا يصلح أن يقول: لا تُقَبِّحوا الوَجْه، ولا يقولن أحدكم: قبح الله وَجهك، ووجه من أشبه وَجهك، فإنَّ اللهَ خَلَق آدَمَ عَلَىٰ ما قدره، فإنَّ الوَجْه وسائر الأعضاء بل وسائر المخلوقات خلقها عَلَىٰ ذلك، فينبغي أن لا يصلح تقبيحُ شيء من الأشياء البتَّةَ؛ لعموم العِلَّة.

وأيضًا؛ فإنَّ قوله: «ووجه من أشبه وَجهك» يمنع أن يكون المراد التقدير.

وأيضًا؛ فإنَّ هذه العلة لا تصلح أن تكون مانعةً من التقبيح.

وأيضًا؛ فإنَّ قوله: «إذا قاتل أحدكم فَلْيَجْتَنِب الوَجْه، فإنَّ اللهَ خَلَق آدَمَ عَلَىٰ صُورَته» يمنع أن يكون المراد التقدير، فإنَّ ذلك لا يختص بالوَجْه، ولا بآدم، ولا يصلح أن يعلل به منع ضرب الوَجْه، ولو علل به وجب أن لا يضرب شيء من الأشياء.

وأيضًا؛ فقوله: «خلق آدم عَلَىٰ صُورَته، طُولُه ستُّون ذِراعًا -إلىٰ قوله-: فكل من يدخل الجنة يدخلها عَلَىٰ صُورَة آدم» صريح في أنَّه أراد صُورَة آدم المخلوقة، لا المقدرة.

وأيضًا؛ فتسمية ما قُدِّر صُورَة ليس له أصل في كلام الله، وكلام رسوله، فليس في هذا الخطاب أن صور الأشياء ثابتة في علم الله، أو تقديره، وإن كان من المتأخرين من يقول: لفلان عند فلان صُورَة عظيمة، وهذا الأمر مصور في نفسي، لكن مثل هذا

الخطاب لا يجوز أن يُحمل عليه كلام الرَّسُول صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ إلا أن يكون ذلك من لغته التي يخاطب بها أمتَه.

فصل

وأما التَّأويلات الثَّلاثة التي ذكرها في الطريق الثَّالث، فالكلام في إبطالها فقط؛ إذ لفظ الحَدِيث مع سائر الأحَادِيث موافقة لهذا الطريق كَمَا جاء: عَلَىٰ صُورَة الرَّحْمن، وعلىٰ صُورَته.

أما التَّأويل الأول: وهو قوله: المراد من الصُّورة الصِّفَة، كَمَا بيَّنَّاه، فيكون المَعْنىٰ أن آدم امتاز عَن سائر الأشخاص والأجسام بكونه عالمًا بالمعقولات، قادرًا عَلَىٰ استنباط الحِرَف والصناعات، وهذه صِفَات شريفة مناسبة لصفات الله من بعض الوجوه، فصح قوله: «**إنَّ اللهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَىٰ صُورَته**» عَلَىٰ هذا التَّأويل.

فالكلام عليه من وجوه:

أحدها: أنَّه تقدم أن لفظ الصِّفَة سواء عني به القول الَّذي يوصف به الشيء، وما يدخل في ذلك من المثال العلمي الذِّهني، أو أريد به المعاني القَائمة بالموصوف، فإنَّ لفظ الصُّورة لا يجوز أن يقتصر به عَلَىٰ ذلك، بَل لا يكون لفظ الصُّورة إلا لصُورَة موجودة في الخارج، أو لما يطابقها من العلم والقول، وذلك المطابق يسمىٰ صفة، ويسمىٰ صُورَة، وأما الحقيقة الخارجية فلا تسمىٰ صفة، كَمَا أن المعاني القَائمة بالموصوف لا تسمىٰ وحدها صُورَة. وإذا كان كذلك فقوله: «**علىٰ صُورَته**» فلابد أن يدُل عَلَىٰ الصُّورة الموجودة في الخارج القَائمة بنفسها التي ليست مجرَّد المعاني

القَائمة بها من العلم والقدرة، وإن كان لتلك صُورَة وصِفَة ذهنيَّة؛ إذ وجود هذه الصُّورة الذهنية مستلزم لوجود تلك، وإلا كان جهلًا لا علمًا، فسواء عنىٰ بالصُّورة الصُّورة الخارجية أو العِلمية لا يجوز أن يراد به مجرد المَعْنىٰ القَائم بالذات والمثال العلمي المطابق لذلك.

الوَجْه الثَّاني: أن قولَه: أن آدم امتاز عَن سائر الأشخاص والأجسام بالعلم والقدرة، إن أراد به امتيازه عَن بنيه، فليس كذلك، وإن أراد به امتيازه عَن الملائكة والجن؛ فهو لم يتميز بنفس العلم والقدرة، فإنَّ الملائكة قد تعلم ما لا يعلمه آدم، كَمَا أنها تقدر عَلَىٰ ما لا يقدر عليه، وإن كان هو أيضًا علَّمه الله ما لم تكن الملائكة تعلمه، لاسيما عند جُمهور الجَهْمِيَّة من المعتزلة، والمتفلسفة، ونحوهم، الَّذين يزعمون أن الملائكة أفضل من الأنبياء، وهو أحد أقوال المؤسس، وسواء كان الأنبياء أفضل أو الملائكة، فلا ريب أنَّه لم يتميز أحدهما عَن الآخر بجنس العلم والقدرة، لكن بعلمٍ خاصٍّ، وقُدرَةٍ خاصَّة.

وأيضًا؛ فأهْل السُّنَّة الَّذين يقولون: الأنبياء والأولياء أفضل من الملائكة، لا يقولون: إنهم خلقوا عَلَىٰ صفة الكَمَال التي هم بها أفضل من الملائكة، بَل يقولون: إنَّ اللهَ يَنقلهم من حال إلىٰ حالٍ حتىٰ يكونوا في نهايتهم أفضل من الملائكة في نهايتهم، فقد ثبت باتِّفاق الطوائف أن آدم لم يُخلق عَلَىٰ صفة من العلم والقدرة، وامتاز بها عَن سائر الأشخاص والأجسام، بَل في الأشخاص والأجسام من كان امتيازه عَن آدم بالعلم والقدرة أكثر.

الوَجْه الثَّالث: أن يُقالَ: المشاركة في بعض الصِّفَات واللوازم البعيدة، إما أن

تُصحِّحَ(١) قولَ القَائل: إنَّ اللهَ خلق ذلك الموصوف عَلَىٰ صُورَة الله، أو لا تصحح ذلك، فإنْ لم تصحح ذلك بطل قولك: إنَّ خلق آدم عَلَىٰ هذه الصِّفَات التي جعلتها بعض اللوازم يصحح قوله: «**إنَّ اللهَ خَلَق آدَمَ عَلَىٰ صُورَة الرَّحْمن**»، وإن كانت تلك المشاركة تصحح هذا الإطلاق صح أن يُقالَ: إنَّ اللهَ خلق كل ملَك من الملائكة عَلَىٰ صُورَته. بَل خلق كل حيٍّ عَلَىٰ صُورَته، بَل ما من شيء من الأشياء إلا وهو يشاركه في بعض اللوازم البعيدة، ولو أنَّه بالقيام بالنفس، وحمل الصِّفَات، فيصح في كل جسم وجوهر أن الله خلقه عَلَىٰ صُورَته عَلَىٰ هذا التقدير.

الوَجْه الرَّابع: أن لفظ الحَدِيث: «**إذا قاتل أحدكم، أو ضَرب أحدُكم فلْيَجْتَنِب الوَجْه، فإنَّ اللهَ خَلَق آدَمَ عَلَىٰ صُورَته**» فنهىٰ عَن ضرب الوَجْه؛ لأنَّ الله خلق آدم عَلَىٰ صُورَته، فلو كان المراد مجرد خلقه عالمًا قادرًا، ونحو ذلك لم يكن للوجه بذلك اختصاص، بَل لابُدَّ أن يريد الصُّورة التي يدخل فيها الوَجْه.

الوَجْه الخامس: الحَدِيث الآخر: «**لا يَقُولَنَّ أحدُكم: قبَّح الله وَجْهَك، ووَجه من أشْبَه وَجْهَك، فإنَّ اللهَ خَلَق آدَمَ عَلَىٰ صُورَته**» فنهىٰ عَن تقبيح الوَجْه المُشَبَّه لوجه آدم؛ لأنَّ الله خلق آدم عَلَىٰ صُورَته. وهذا يقتضي أنَّه نهىٰ عَن ذلك لتناوله لله، وأنَّه أدخل وَجه ابن آدم فيما خلقه الله عَلَىٰ صُورَته.

فإن قيل: هذا تصريح بأن وَجه الله يشبه وَجه الإنسان، كَمَا وَرد «**صُورَة الإنسان عَلَىٰ صُورَة الرَّحْمن**»(٢).

---

(١) في المطبوع: (يصح)، والتصويب من «بيان تلبيس الجهمية» (٦/ ٤٧٥).

(٢) سبق تخريجه.

فالجواب: أن هذا أيضًا لازم للمنازع، ولهذا أورده وأجاب عنه، فقَال: فإن قيل: المشاركة في صِفَات الكَمَال تقتضي المشاركة في الإلهية.

قلنا: المشاركة في بعض اللوازم البعيدة مع حصول المخالفة في الأمور الكثيرة لا تَقتَضي المشاركة في الإلهية، قال: ولهذا المَعْنىٰ قال الله تَعالَىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾، وقال: صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَخلَّقوا بأخْلاق الله»[(١)].

ومن المعلوم أن المشابهة والمشاركة في صِفَات الكَمَال -التي هي العلم، والقدرة- أعظم من المشابهة والمشاركة في مجرد مسمىٰ الوَجْه -إلىٰ أن قال-: ومعلوم أن هذا الَّذي جاءت به السنة من ثبوت هذا الشَّبه من بعض الوجوه، والله هو الَّذي خلق آدم عَلَىٰ صُورَته، هو خير مما ذكره المؤسس فاستشهد عليه بما ذكره عَن النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو قوله: «تخلَّقوا بأخلاق الله»، فإنَّ هذا من جنس ما يقوله المتفلسفة الصَّابئون، ومَن سلك مسلكهم من الإسْلَاميين من قولهم: إن الفلسفة هي التَّشبُّه بحسب الطَّاقة، فيثبتون أن العبد يَصير شبيهًا بالله تَعالَىٰ بفعل نفسه، ويحتج مَن اتَّبعهم عَلَىٰ ذلك -كأبي حامد، وغيره- بقوله: تخلَّقوا بأخلاق الله، وهذا اللفظ لا يُعرف عَن النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في شيء من كتب الحَدِيث، ولا هو معروف عَن أحد من أهْل العِلْمِ، بَل هو من باب الموضوعات عندهم، وإن كان قد يُفسَّر بمَعْنىٰ صَحِيح يُوافق الكِتَاب والسُّنة، فإنَّ الشَّارع قد ذَكر أنَّه يُحبُّ اتِّصاف العبد بمعاني أسماء الله تَعالَىٰ، كقول النَّبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إنَّ اللهَ جميلٌ يُحبُّ الجَمالَ**»[(٢)]، «**إنَّه**

---

(١) لا أصل له.

(٢) أخرجه مسلم (٩١) من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

وِتْرٌ يُحبُّ الوِتْرَ»(١)، **«إنَّه طَيِّبٌ لا يَقبَلُ إلا طَيِّبًا»**(٢)، **«الرَّاحمون يَرحَمهم الرَّحْمن»**(٣)، **«إنك عفوٌ تُحبُّ العفوَ فاعْفُ عَنِّي»**(٤)، **«إنَّ اللهَ نظيفٌ يُحبُّ النَّظافة»**(٥).

لكن المَقصود أن هؤلاء مع كونهم أظهر الناس تبرُّؤًا مِن التَّشبيه يَزعمون أن كَمَال الفلسفة عندهم أن يفعل الإنسانُ ما يصير به مشابهًا لله في الجُملة، وقد وافقهم عليه بعض المتكلمين، وإن كان كثير من المتكلمين يخالفونهم في ذلك، ويقول أَخبَرُهُم -كالمازري-: ليس لله خُلق يتخلَّق به العبد، فلأن يكون الله هو القَادر عَلَىٰ أن يَخلق ما يشبهه من بعض الوجوه أولىٰ وأحرىٰ، فيكون هذا ثابتًا بخلق الله تعالَىٰ. وأما الأخلاق والأفعال المناسبة المشابهة لمعاني أسمائه التي يحبها، فهي مما أَمَر به، وهو سُبْحانَه له الخَلْق والأمر.

الوَجْه السادسُ: أن يُقالَ: المَحذور الَّذي فرُّوا منه لتأويل الحَدِيث عَلَىٰ أن الصُّورة بمَعْنىٰ الصِّفَة، أو الصُّورة المعنوية، أو الروحانية، ونحو ذلك، يلزمهم فيما أثبتوه نظير ما فرُّوا منه، وإذا كان مثل هذا لازمًا عَلَىٰ التقديرين لم يجُزْ ترك مقتضىٰ

(١) أخرجه البخاري (٦٤١٠)، ومسلم (٢٦٧٧) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه مسلم (١٠١٥) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه أبو داود (٤٩٤١)، والترمذي (١٩٢٤) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٩٢٥).

(٤) أخرجه الترمذي (٣٥١٣)، وابن ماجه (٣٨٥٠) من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٣٣٣٧).

(٥) أخرجه الترمذي (٢٧٩٩) من حديث سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وضعفه الألباني في «ضعيف الجامع» (١٦١٦).

الحَدِيث ومفهومه لأجله، ولم يكن أيضًا محذورًا بالاتفاق، وذلك أن كون الإنسان عَلَىٰ صُورَة الله التي هي صفته، أو صُورَته المعنوية، أو الروحانية، فيه نوع من المشابهة. كَمَا أَنَّه إذا أقرَّ الحَدِيث كَمَا جاء فيه نوع من المشابهة، غايته أن يُقالَ: المشابهة هنا أكثر، لكن مسمىٰ نوع من التشبيه لازم عَلَىٰ التقديرين، والتشبيه المنفي بالنص، والإجماع، والأدلة العقلية الصَّحِيحة مُنتَفٍ عَلَىٰ التقديرين.

الوَجْه السابع: أن يقال: إذا كان مخلوقًا عَلَىٰ صُورَة الله تَعالَىٰ المعنوية، فلا يخلو إما أن يكون ذلك مقتضيًا لكون صِفَات العبد المعنوية من جنس صِفَات الله بحيث تكون حقيقتها من جنس حقيقتها، أو لا يقتضي ذلك، بَل يقتضي المشابهة فيها مع تباين الحقيقتين، فإن كان مقتضىٰ الحَدِيث الأول؛ فهو تصريح بأن الله له مثل، وهذا باطل، وأيضًا فإنَّه ممتنع في العقل، فإنَّ المتماثلين في الحقيقة يجوز عَلَىٰ أحدهما ما يجوز عَلَىٰ الآخر، ويجب له ما يجب له، ويمتنع عليه ما يمتنع عليه، والمخلوق يجب أن يكون معدومًا محدثًا مفتقرًا ممكنًا، والخالق يجب أن يكون قديمًا واجبَ الوجود غنيًّا، فيجب أن يكون الشيء الواحد واجبًا ممكنًا، غنيًّا فقيرًا، موجودًا معدومًا، وهذا جمع بين النَّقيضَين، فثبت أن الحَدِيث لا يجوز حمْلُه عَلَىٰ هذا.

وأيضًا؛ فإنَّه عَلَىٰ هذا التقدير لا يكون في حمله عَلَىٰ الصُّورة الظاهرة محذور، وإن لم يكن ذلك مقتضيًا لكون صِفَات العبد من صِفَات الربِّ بحيث تكون الحقيقة من جنس الحقيقة مع كون هذا عالِمًا وهذا عالمًا، وهذا حيًّا وهذا حيًّا، وهذا قادرًا وهذا قادرًا، وهذا سميعًا بصيرًا وهذا سميعًا بصيرًا، بَل هذا موجودًا وهذا موجودًا، مع كون الحقيقتين والعِلم والقدرة متشابهات، وكذلك لا يجب إذا كان لهذا وَجه وصُورَة، ولهذا وَجه

وصُورَة أن تكون الحقيقة من جنس الحقيقة مع تشابه الحقيقتين.

يوضح ذلك: أنَّه عَلَىٰ التقديرين لابُدَّ أن يكون بين الذات والذات مشابهة إذا كان عَلَىٰ الصِّفَة المعنوية، فإنَّ كون هذا عالمًا قادرًا وهذا عالمًا قادرًا، وهذا موجودًا وهذا موجودًا، وهذا ذاتًا وهذا ذاتًا، وهذا ذاتًا لها صِفَات وهذا ذاتًا لها صِفَات، لابُدَّ أن يثبت التشابه، كَمَا تقدم.

الوَجْه الثَّامن: أن الأدلة الشرعية والعقلية التي يثبت بها تلك الصِّفَات يثبت بنظيرها هذه الصُّورة، فإن وجود ذات ليس لها صِفَات ممتنع في العقل. وثبوت الصِّفَات الكَمَالية معلوم بالشرع والعقل. كذلك ثبوت ذات لا تشبه الموجودات بوجه من الوجوه ممتنع في العقل. وثبوت المشابهة من بعض الوجوه في الأمور الكَمَالية معلوم بالشرع والعقل، وكما أنَّه لابُدَّ لكل موجود من صِفَات تقوم به فلابد لكل موجود قائم بنفسه من صُورَة يكون عليها، ويمتنع أن يكون في الوجود قائم بنفسه ليس له صُورَة يقوم عليها.

الوَجْه التَّاسع: أن هذا المَعْنىٰ الَّذي ذكروه، وإن كان ثابتًا في نفسه، ويمكن أن يكون الحَدِيث دالًّا عليه باللزوم والتضمن، لكن قَصْر الحَدِيث عليه باطل قطعًا، كَمَا تقدم.

الوَجْه العاشر: ثبوت الوَجْه والصُّورة لله قد جاء في نصوص كَثِيرة من الكِتَاب، والسنة المتواترة، واتَّفق عَلَىٰ ذلك سلف الأُمَّة. وسيأتي -إن شاء الله- طائفة من النصوص التي فيها إثبات صُورَة الله تَعالَىٰ؛ كقوله: «**فيَأتِيهُم اللهُ في صُورَته التي**

يَعْرِفُون»[(١)]، ونحو ذلك مما هو من الأحَادِيث التي اتفق العلماء عَلَىٰ صحتها وثبوتها، فأما لفظ الوَجْه فلا يمكن استقصاء النصوص المُثبِتَة له.

فإن قيل: قوله صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**خَلقَ اللهُ آدَمَ عَلَىٰ صُورَته، طُولُه ستُّون ذِراعًا، فلما خلقه قال له: اذهب إلىٰ أولئك النَّفر من الملائكة فسَلِّم عليهم، واستمع ما يُجِيبونَك، فإنَّها تَحيَّتك وتَحيَّة ذُريَّتَك، قال: فَذَهَبَ، فقَال: السَّلامُ عَليكُم، فقَالوا: السَّلامُ عَليكَ ورَحمَةُ الله، فَزادُوه: ورَحمَةُ الله، قال: فكُل مَن يَدخُل الجنَّةَ عَلَىٰ صُورَة آدم طُولُه ستُّون ذِراعًا، فلم يَزل الخَلقُ يَنقُص حتىٰ الآن**»[(٢)]، وهذا الحَدِيث إذا حُمل عَلَىٰ صُورَة الله تَعالَىٰ كان ظاهره أن الله طُولُه ستُّون ذِراعًا، والله تَعالَىٰ -كَمَا قال ابن خُزَيْمَةَ- جَلَّ أن يُوصف بالذرعان والأشبار، ومعلوم أن هذا التقدير في حق الله باطل عَلَىٰ قول من يثبت له حدًّا ومقدارًا من أهل الإثبات، وعلىٰ قول نفاة ذلك. أما النفاة فظاهر.

وأما المثبتة فعندهم قَدْر الله تَعالَىٰ أعظَم، وحدُّه لا يعلمه إلا هو، وكرسِيُّه قد وسع السموات والأرض، والكرسي في العرش كحلقة مُلقاة بأرض فَلَاة، والعرش لا يَقدر قدرَه إلا الله تَعالَىٰ، وقد قال تَعالَىٰ: ﴿**وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ**﴾ [الزمر: ٦٧]، وقد تواترت النصوص عَن النَّبِيِّ صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ من حَدِيث أبي هُرَيرةَ، وابن عمر، وابن مسعود، وابن عباس، «**أن الله يَقبض السموات والأرض بيديه**»[(٣)].

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) منها ما رواه مسلم (٢٧٨٨) عَنْ عُبَيْدِ اللهِ بن مِقْسَمٍ، أَنَّهُ نَظَرَ إِلَىٰ عَبْدِ اللهِ بن عُمَرَ كَيْفَ يَحْكِي رَسُولَ اللهِ صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قَالَ: «يَأْخُذُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ سَمَاوَاتِهِ وَأَرَضِيهِ بِيَدَيْهِ، فَيَقُولُ: أَنَا اللهُ - =

قال ابن عباس: «ما السموات السبع، والأرضون السبع، وما بينهما، وما فيهما في يد الرَّحْمن إلا كخردلة في يد أحدكم»(١).

وإذا كان الأمر كذلك كان أكبر وأعظم من أن يقدر بهذا القدر. وهذا من المعلوم بالضرورة من العقل والدين.

قيل: ليس ظاهر الحَدِيث أنَّ الله طُولُه ستُّون ذِراعًا، ومَن زعم أن هذا ظاهره أو حمَله عليه؛ فهو مفترٍ كذَّاب مُلحد، فإنَّ فساد هذا معلوم بالضرورة من العقل والدين، كَمَا تقدم. ومعلوم أيضًا عدم ظهوره من الحَدِيث، فإنَّ الضَّمير في قوله: «**طُولُه**» عائد إلىٰ آدم الَّذي قيل فيه: «**خلق آدم عَلَىٰ صُورَته**»، ثمَّ قال: «**طول آدم ستُّون ذِراعًا، فلما خلقه قال له: اذهب إلىٰ أولئك النفر من الملائكة**»، فهذه الضمائر كلها عائدة إلىٰ آدم، وهذا منها أيضًا. فلفظ الطُّول وقدره ليس داخلًا في مسمىٰ الصُّورة حتىٰ يقال: إذا قيل: «**خَلقَ اللهُ آدَمَ عَلَىٰ صُورَته**»، وجب أن يكون عَلَىٰ قدره وطُوله، بَل مِن المَعلوم

=

وَيَقْبِضُ أَصَابِعَهُ وَيَبْسُطُهَا - أَنَا المَلِكُ» حَتَّىٰ نَظَرْتُ إِلَىٰ المِنْبَرِ يَتَحَرَّكُ مِنْ أَسْفَلِ شَيْءٍ مِنْهُ، حَتَّىٰ إِنِّي لَأَقُولُ: أَسَاقِطٌ هُوَ بِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟.

ومنها ما رواه البخاري (٤٨١١)، ومسلم (٢٧٨٦) عَنْ عَبْدِ اللهِ بن مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: جَاءَ حَبْرٌ مِنَ الأَحْبَارِ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنَّا نَجِدُ: أَنَّ اللهَ يَجْعَلُ السَّمَوَاتِ عَلَىٰ إِصْبَعٍ، وَالأَرَضِينَ عَلَىٰ إِصْبَعٍ، وَالشَّجَرَ عَلَىٰ إِصْبَعٍ، وَالمَاءَ وَالثَّرَىٰ عَلَىٰ إِصْبَعٍ، وَسَائِرَ الخَلَائِقِ عَلَىٰ إِصْبَعٍ، فَيَقُولُ: أَنَا المَلِكُ، فَضَحِكَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّىٰ بَدَتْ نَوَاجِذُهُ تَصْدِيقًا لِقَوْلِ الحَبْرِ، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزُّمَر: ٦٧].

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٢٤٦) بنحوه، بإسناد حسن ظاهره الاتصال.

أن الشيئين المخلوقين قد يكون أحدهما عَلَىٰ صُورَة الآخر مع التفاوت العظيم في جنس ذواتهما، وقدر ذواتهما، وقد تظهر السموات والقمر في صُورَة ماء، أو مرآة في غاية الصغر، ويقال: هذه صُورَتها، مع العلم بأن حقيقة السموات والأرض أعظم من ذلك بما لا نسبة لأحدهما إلىٰ الآخر.

وكذلك المُصوِّر الَّذي يُصوِّر صُورَة السَّموات، والكواكب، والشمس، والقمر، والجبال، والبحار بصُورَة ذلك، مع أن الَّذي يصوره وإن شابه ذلك، فإنَّه أبعد شيء عَن حقيقته، وعن قدره، والإضافة تتنوع دلالتها بحسب المضاف إليه، فلما قال في آخر الحَدِيث: «**فكلُّ مَن يدخل الجنةَ عَلَىٰ صُورَة آدم طُولُه ستُّون ذِراعًا**» هذا يقتضي مشابهة الجنس في القدر؛ لأنَّ صُورَة المضاف من جنس صُورَة المضاف إليه، وحقيقتهما واحِدة.

وأما قوله: «خلق آدم عَلَىٰ صُورَته»، فإنَّها تقتضي نوعًا من المشابهة فقط، لا تقتضي تماثلًا لا في حقيقةٍ، ولا قَدْرٍ، وأما الَّذين ظنوا أن الضَّمير في قوله: «**طُولُه ستُّون ذِراعًا**» لمَّا كان عائدًا إلىٰ آدم لم تكن له صُورَة قبل ذلك يخلق عليها، وذكرنا الوجوه المتعددة الدالة عَلَىٰ فساد ذلك، ولهذا كان بعض المُحدِّثين الَّذين يريدون أن لا يُحدِّثوا بعضَ الناس بهذا المَعْنىٰ يقولون: خلق آدم طُولُه ستُّون ذِراعًا، فإن كان هذا في بيان مقدار صُورَة آدم خلقه الله عليها لا يقال في مثل ذلك: خلق آدم عَلَىٰ صُورَة آدم.

بل قد يقال: خلق عَلَىٰ هذه الصُّورة عَلَىٰ هذه الصِّفَة، فإنَّ هذا في اللفظ ليس فيه إضافة تقتضي تقدم الصُّورة التي خلق عليها، بَل فيه تخصيص وبيان للصُّورَة التي كان عليها بعد الخلق، مع أن هذا لا يصلح أن يُقالَ في هذا اللفظ؛ لأنَّ قول القَائل: خلق آدم عَلَىٰ صُورَة آدم، أو عَلَىٰ الصُّورة التي كانت لآدم، إذا أراد به التقدير، وهو

كونها ستين ذراعًا، فإنَّه يقتضي كون المخاطبين يعرفون ذلك بأقل من هذا الخطاب، فإنَّ الخطاب المعرَّف باللام أو الإضافة يقتضي تقدم معرفة المخاطبين بذلك المعرَّف، ومعلوم أن المخاطبين لم يكونوا يعلمون طول آدم. وهذا لا يصلح أن يُقالَ في القدر ما ذكر في صُورَة آدم من كونه لم يمسخ، أو كونه خلق ابتداء، ونحو ذلك؛ إذ هذا معلوم، بخلاف القَدْر، فعُلم أن الحَدِيث أخبر فيه بجملتين: أنَّه خلق آدم عَلَىٰ صُورَته، وأن طُولَه ستُّون ذِراعًا، ليس هذا التقدير هو تقدير الصُّورة التي خلق عليها حتىٰ يقال: هي صُورَة آدم.

وأما التَّأويل الثَّاني -وهو تأويل ابن خُزَيْمَةَ-: أنَّه إضافة خَلْق، كَمَا في ناقةِ الله، وبيت الله، وأرض الله، وفطرة الله، فالكلام عليه من وجوه:

أحدها: أنَّه لم يكن قبل خلق آدم صُورَة مخلوقة خلق آدم عليها، فقول القَائل: عَلَىٰ صُورَة مخلوقة لله، وليس هناك إلا صُورَة آدم، بمنزلة قوله: عَلَىٰ صُورَة آدم، وقد تقدم إبطال هذا من وجوه كَثِيرة.

الثَّاني: أن إضافة المخلوق جاءت في الأعيان القَائمة بنفسها؛ كالناقة، والبيت، والأرض، والفطرة التي هي المَفطورة، فأما الصِّفَات القَائمة بغيرها مثل العِلْم، والقدرة، والكلام، والمشيئة، إذا أُضيفت كانت إضافة صفة إلىٰ موصوف، وهذا هو الفرق بين البَابين، وإلا التبَسَت الإضافة التي هي إضافة صفة إلىٰ موصوف، والتي هي إضافة مَمْلُوك ومَخْلُوق إلىٰ المَالك والخَالق، وذلك هو ظاهر الخطاب في الموضعين؛ لأنَّ الأعيان القَائمة بنفسها قد عَلِم المخاطبون أنها لا تكون قائمة بذات الله، فيعلمون أنها ليست إضافة صفة، وأما الصِّفَات القَائمة بغيرها فيعلمون أنَّه لابُدَّ لها من موصوف تقوم به، وتضاف إليه، فإذا أضيفت عُلِم أنها أضيفت إلىٰ الموصوف

التي هي قائمة به، وإذا كان كذلك فالصُّورة قائمة بالشيء المصور، فصُورَة الله لوجه الله، ويد الله، وعلم الله، وقدرة الله، ومشيئة الله، وكلام الله، ويمتنع أن تقوم بغيره.

الوَجْه الثَّالث: أن الأعيان المضافة إلىٰ الله لا تضاف إليه لعموم كونها مخلوقة ومملوكة له؛ إذ ذلك يوجب إضافة جَمِيع الأعيان إلىٰ الله تَعالَىٰ؛ لاشتراكها في الخَلْق والمِلْك، فلو كان قوله في ناقة صالح: ﴿نَاقَةَ ٱللَّهِ﴾ بمَعْنىٰ أن الله خلقها وهي ملكُه، لوجب أن تضاف سائر النُّوق إلىٰ الله بهذا المَعْنىٰ، فلا يكون حينئذ لها اختصاص بالإضافة، وكذلك قوله: ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ﴾ لو كان المراد به خَلْقي وملكي، لوجب إضافة سائر البيوت إلىٰ الله لمشاركتها في هذا المَعْنىٰ.

فلابد أن يكون في العين المضافة مَعْنىٰ يختص بها يستحق بها الإضافة، فبَيتُ الله هو الَّذي اتخذ لذكر الله تَعالَىٰ، وعبادته، وهذه إضافة من جهة كونه معبودًا فيه؛ فهو إضافة إلىٰ إلهيته لا إلىٰ عموم ربوبيته وخلقه، كَمَا في لفظ العبد، فإنَّ قوله: ﴿لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ﴾ [الجن: ١٩]، ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا﴾ [الفرقان: ٦٣]، هو إضافة إليهم[(١)] لأنَّهم عبدوه، لا لعموم كونه عبَّدهم بخلقه لهم، فإنَّ هذا يَشركُهم فيه جَمِيعُ الناس، وهو قد خصَّهم بقوله: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾ [الحجر: ٤٢]، وقوله: ﴿يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ﴾ [الإنسان: ٦]، ونحو ذلك.

كذلك الناقة فيها اختصاص بكون الله جعلها آية، ففيها مَعْنىٰ الإضافة إلىٰ إلهيته، وأما قوله: ﴿يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰىَ فَٱعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [العنكبوت: ٥٦]، وقوله: ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا﴾ [النساء: ٩٧]، ففي

---

(١) كذا، والصواب: إليه.

الإضافة تخصيص للأرض التي هي باقية عَلَىٰ ما خلقها الله تَعالَىٰ، فلم يستول عليها الكفار والفجار من عباده، ومنعوا باستيلائهم عليها من عبادة الله عليها، ولهذا لم تدخل أرض الحرب في هذا العموم، وقد يقال: الإضافة لعموم الخلق؛ لأنَّ الأرض واحِدة، لم تتعدد الأرض كَمَا تعددت النوق، والبيوت، والعبيد.

وقوله: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم: ٣٠]، تضاف إلىٰ الله من الوَجْهين: من جهة أن الله خلقها، فتكون إضافة إلىٰ جهة ربوبيته. ومن جهة أنَّه فطرها عَلَىٰ الإسْلَام الَّذي هو عبادة الله، فيكون في الإضافة مَعْنىٰ الإضافة إلىٰ إلوهيته، وإذا كان كذلك فالصُّورة المخلوقة هي مشاركة لجميع الصور في كون الله خلقها من جَمِيع الوجوه، فما الموجب لتخصيصها بالإضافة إلىٰ الله؟!

وأيضًا؛ فسائر الأعضاء مشاركة للصُّورَة -التي هي الوَجْه- في كون الله خلق ذلك جَمِيعه، فينبغي أن تضاف سائر الأعضاء إلىٰ الله بهذا الاعتبار، حتىٰ يقال: يد الله، ووجه الله، وقدمه، ونحو ذلك، لكون أن الله خلقه.

الوَجْه الرَّابع: أن قوله: «**إذا قاتل أحدكم فَلْيَجْتَنِب الوَجْه، فإنَّ اللهَ خَلَق آدَمَ عَلَىٰ صُورَته**» لو كانت الإضافة إضافة خلق وملك لوجب أن لا يضرب شيء من الأعضاء؛ لأنَّ إضافته إلىٰ خلق الله وملكه كإضافة الوَجْه سواء.

الوَجْه الخامس: أن هذا الوَجْه المضروب هو في كونه مخلوقًا مملوكًا لله بمنزلة الصُّورة المملوكة لله، فلو كان قد نهي عَن ضرب هذا لكونه ذاك لكان هذا التشبيه من باب العيب؛ لأنَّ العلة في المشبه به مثل من يقول لأحد ابنيه: إنما أكرمتُكَ لأنك مثل ابني الآخر في مَعْنىٰ البنوة، أو يقول لعبده: إنما أعطيتك لأنك مثل عبدي الآخر في

مَعْنىٰ العبودية، وهما مشتركان في هذا.

الوَجْه السادس: أنَّه من المعلوم أن جَمِيع ما يضرب من الموجودات ويُشتم هو من مخلوق الله مملوك، وهذا يوجب أن لا يضرب مخلوق، ولا يشتم مخلوق.

الوَجْه السابع: أن قوله: «**لا يقولن أحدكم: قبح الله وَجهك، ووجه من أشبه وَجهك، فإنَّ اللهَ خَلق آدَمَ عَلَىٰ صُورَته**» يدل عَلَىٰ أن المانع هو مشابهة وَجهه لصُورَة الله، فلو أريد صُورَة يخلقها الله لكان كونه هو في نفسه مخلوقًا لله أبلغ من كونه مشبهًا لما خلقه الله، فيكون عدولًا عَن التعليل بالعلَّة الكاملة إلىٰ ما يشبهها.

الوَجْه الثَّامن: أنَّه لو قال: لا تضرب وَجه هذا، فإنَّ اللهَ خلقه عَلَىٰ صُورَته، كان قد يقال: فإنَّ اللهَ خلق هذا عَلَىٰ صُورَة مشرَّفة مُكرَّمة. بَل قال: «**إذا قاتل أحدكم فليتق الوَجْه، فإنَّ اللهَ خَلَق آدَمَ عَلَىٰ صُورَته**»، «**ولا يقولن أحدكم: قبح الله وَجهك، ووجه من أشبه وَجهك، فإنَّ اللهَ خَلَق آدَمَ عَلَىٰ صُورَته**» فخلق المخلوق عَلَىٰ صُورَته هو آدم، وهذا من بنيه، فمعلوم أن صُورَته كصُورَة آدم، فذكر ثلاثة أشياء: الصُّورة المضروبة المشتومة المنهي عَن ضربها وشتمها، وهي وجوه الآدميين. وآدم الَّذي خلقه الله. والصُّورة التي خلق عليها آدم، فلابد من إثبات هذه الثَّلاثة.

ولو أريد الصُّورة المخلوقة لم يكن إلا صُورَة فقط هي الصُّورة المضروبة المشتومة، وصُورَة آدم فقط، فيقال: خلق هؤلاء، أو هذا، أو الذرية عَلَىٰ صُورَته.

الوَجْه التَّاسع: أن العلم بأنَّ اللهَ خَلَق آدمَ هو مِن أظهر العلوم عند العامة والخاصة، فإذا لم يكن في قوله: «**علىٰ صُورَته**» مَعْنىٰ إلا أنها الصُّورة التي خلقها وهي ملكه، لكان قوله: «**خَلَق آدَمَ**» كافيًا؛ إذ خَلَق آدمَ، وخَلَقَ آدمَ عَلَىٰ صُورَته؛ سواء عَلَىٰ

هذا التقدير. وإن ادعىٰ أن في الإضافة بمَعْنىٰ الخَلق تخصيصًا، فكذلك يكون في لفظ (خلق) لا فرق بين قول القَائل: هذا مخلوق الله، وبين قوله: «**إنَّ اللهَ هو الَّذي خلق آدم عَلَىٰ الصُّورة التي خلقها الله، أو خلق آدم عَلَىٰ الصُّورة التي خلقها الرَّحمن**»، ومثل هذا الكلام لا يضاف إلىٰ أدنىٰ الناس، فضلًا عَن أن يضاف إلىٰ النَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

الوَجْه العاشر: أن قوله: «**خلق آدم عَلَىٰ صُورَته**»، أو «**علىٰ صُورَة الرَّحْمن**» يقتضي أنه بَرَأه وصَوَّرَه عَلَىٰ تلك الصُّورة. فلو أريد الصُّورة المخلوقة المملوكة التي هي صُورَة آدم المضافة إليه تشريفًا، لكان يقال: صُورَة آدم صُورَة الله، أو صُورَة الإنسان صُورَة الله، ونحو ذلك من الألفاظ الدالة عَلَىٰ الإضافة المجردة، وإن كان في ذلك ما فيه، أما إذا قيل: خلقه عَلَىٰ صُورَته، ولم يرد إلا أن صُورَته المخلوقة هي الصُّورة المضافة إلىٰ الله لكونها مخلوقة له، فهذا تناقض ظاهر لا يحتمله اللفظ.

وأما التَّأويل الثَّالث المذكور عَن الغزالي من أن مَعْنىٰ قوله: «**خلق آدم عَلَىٰ صُورَته**» أن الإنسان ليس بجسم، ولا جسماني، ولا تعلق له بهذا البدن إلا عَلَىٰ سبيل التدبير والتصرف، ونسبة ذات آدم إلىٰ هذا البدن كنسبة البَاري إلىٰ العالَم من حيث أن كلًّا منهما غير حالٍّ في هذا الجسم، وإن كان مؤثِّرًا فيه بالتصرف والتدبير - فهذا يُشبِه ما ذكره الإمَامُ أحْمَدُ عَن الجَهم في مناظرته للمُشركين السُّمَنِيَّة. قال: وكان الجهم وشيعته كذلك دعوا الناس إلىٰ المتشابه من القرآن والحَدِيث، فضلُّوا وأضلوا بكلامهم بَشرًا كَثيرًا.

ثمَّ ذكر شيخ الإسْلَام ما ذكره الإمَام أحْمَد في «الرَّدِّ عَلَىٰ الجَهْمِيَّة» من مناظرة الجَهم بن صفوان للمشركين السُّمَنِيَّةِ، وأن الجَهمَ قال في مناظرته لهم: إنَّ اللهَ لا يُرىٰ له وَجه، ولا يُسمع له صوتٌ، ولا يُشمُّ له رائحة، وهو غائب عَن الأبصار، ولا يكون

في مكان دون مكان. قال شَيخُ الإسْلَام: فقد شبَّه الجهمُ اللهَ بالرُّوح التي في الإنسان من جهة أن كلاهما لا يشبه بشيء من الحواس الخمس، مع تدبيره لذلك الجسم. وهذا يشبه قول الصَّابئة المتفلسفة الَّذين اتبعهم أبو حامد، حيث ادعوا أن الروح هي كذلك ليست جسمًا، ولا يشار إليها، ولا تختص بمكان دون مكان، ولكنها مُدبِّرة للجسم، كَمَا أن الرَّبَّ مُدبِّرٌ للعالَم.

ثمَّ ذكر الشَّيخ أن المُعتزلة دخلوا في دين الجَهْمِيَّة، واتَّبعوا الصَّابئة الفلاسفة في مواضع كَثِيرة. وذكر أيضًا ما هم عليه في باب العلوم الإلهية من النفي والتعطيل. وذكر أيضًا مبدأ انتشارهم وظهورهم في أثناء المائة الثَّانية، ثمَّ بعد ذلك تغلَّظ ذلك. وذكر أيضًا أن بعض البدع المضلة تلوَّث بها كثير من المنتسبين في أكثر أحوالهم إلىٰ ما عليه أهْل السُّنَّة والجَمَاعَة؛ لظهور أصحابها وانتشارها. ثمَّ قال في الجواب عما نقله الرَّازي عَن أبي حامد الغزالي من التَّأويل الفاسد لحديث: «**إنَّ اللهَ خَلَق آدَمَ عَلَىٰ صُورَته**»:

والكلام عَلَىٰ هذا التَّأويل من وجوه:

أحدها: أن من ألفاظ الحَدِيث: «**إذا ضرب أحدكم فَلْيَجْتَنِب الوَجْه، فإنَّ اللهَ خَلَق آدَمَ عَلَىٰ صُورَته**» فنهىٰ عَن ضرب الوَجْه لكون آدم مخلوقًا، ولأنَّ اللهَ خَلَق آدمَ عَلَىٰ صُورَة الرَّحْمن. فلو كان المراد إبداع روحه مدبرًا لجسده من غير حلول فيه، كَمَا أن الله تَعالَىٰ مدبر للعالم من غير حلول فيه، لم يكن هذا متنًا، ولا للوجه، فإنَّ الوَجْه من الجسد الَّذي تدبره الرُّوحُ، فيكون مشابهًا لبعض العالم الَّذي يدبره الله تَعالَىٰ، ولا يكون داخلًا في الروح التي خلقها الله تَعالَىٰ عَلَىٰ صُورَته، وإذا كان كذلك لم يصلح أن يعلل النَّهي عَن ضربه بعلة لا تتناوله.

الوَجْه الثَّاني: أنَّه لو أريد هذا لقيل: لا تغموا الآدمي، أو لا تحزنوه، أو لا تضيقوا صدره، فإنَّ اللهَ خلقه عَلَىٰ صُورَته، فيكون النهي عَن تعذيب الروح المشابهة للرب من الوَجْه الَّذي ذكره إن كان ما قاله حقًّا.

الوَجْه الثَّالث: أن كون حقيقة الآدمي هي الروح، وأنها مخلوقة عَلَىٰ صُورَة الله أمر لا يختص الوَجْه، بَل يشترك فيه سائر البدن، فإنَّ الروح مدبرة لجميع البدن، فتخصيص الوَجْه بالنهي عَن ضربه وشتمه لأجل ذلك لا وَجهَ له، بَل يقال: إما أن يكون كون الروح مخلوقة عَلَىٰ صُورَة الله موجبًا للنهي عَن الضرب والتقبيح لما هي مدبرة له، أو لا يكون، فإن كان ذلك وجب أن ينهىٰ عَن ضرب جَمِيع أجزاء بدن الإنسان، حتىٰ لا يجوز الضرب والتقبيح لشيء من بدن الآدمي مطلقًا، وإن كان كافرًا أو فاسقًا، ومعلوم أن هذا في نهاية الفساد المعلوم بالاضطرار من العقل والدين. وإن لم يكن ذلك موجبًا للنهي لم ينه عَن ضرب الوَجْه، وهو خلاف النص والإجماع.

الوَجْه الرَّابع: أن الحَدِيث: «**لا يقولن أحدكم: قبح الله وَجهك، ووجه من أشبه وَجهك، فإنَّ اللهَ خَلَق آدَمَ عَلَىٰ صُورَته**» نهي عَن تقبيح الوَجْه، وتقبيح ما يشبهه؛ لأنَّ الله خلق آدم عَلَىٰ صُورَته، فلو كان المخلوق عَلَىٰ الصُّورة إنما هو الروح لم يصح هذا التشبيه، فإنَّ اللهَ لا يشبه وَجه الإنسان، وإنما يشبه رُوحه.

الوَجْه الخامس: أن هذا التقبيح المنهي عنه لا يصلح أن يكون للوجه؛ لعدم تناول العلة له.

الوَجْه السادس: أنَّه لو أريد ذلك لقيل: لا تُقَبِّحوا الروح، أو لا تسبوها، ونحو ذلك.

الوَجْه السابع: أنَّه لا اختصاصَ للوجه بالنهي عَن تقبيحه عَلَىٰ هذا التقدير، بَل كان الواجب أن ينهىٰ عَن تقبيح جَمِيع أعضاء البدن، أو لا ينهىٰ عَن تقبيح شيء منها؛ لأنَّ تعلق الرُّوح بذلك تعلُّق واحِد.

الوَجْه الثَّامن: أن قوله في الحَدِيث الآخر المتفق عليه: «**إنَّ اللهَ خَلَق آدَمَ عَلَىٰ صُورَته، طُولُه ستُّون ذِرَاعًا**» صريح في أن المخلوق عَلَىٰ صُورَته طُولُه ستُّون ذِراعًا. وهذا نص في البدن، فكيف يجوز أن يُقالَ: إن البدن ليس داخلًا في الحَدِيث، وإنما المراد الروح فقط؟!

الوَجْه التَّاسع: أن اسم آدم يتناول البدن كتناوله الروح، وهذا معلوم بالاضطرار من كلام الله وكلام رسوله والعلماء، كَمَا في قوله تَعالَىٰ: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ﴾ [البقرة: ٣٤]، وقوله: ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾ [البقرة: ٣٥]، وقوله: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ٣٧]، وقوله: ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ﴾ [الأعراف: ٢٧]، وأمثال ذلك، فمَن زعم أن آدم لا يتناول إلا الرُّوح فقط في مثل خلق آدم، ونحوه من الكلام، فإنَّ بطلان قوله معلوم بالاضطرار المُنزَّل بين العباد، وإنما يقال هذا في مثل قوله في حَدِيث المعراج: أنَّه رأىٰ في السماء آدم، وإبراهيم، وموسىٰ، ونحوهم، فإنَّه في مثله يقال: المذكور هي الأرواح؛ للعلم بأن أجسادهم في قبورهم.

الوَجْه العاشر: أنَّه لو قال قائل: لفظ «**خلق آدم**» إنما يتناول البدن، وأن الروح نفخت فيه بعد ذلك؛ لكان أقرب من هذا التبديل، فإنَّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قال: ﴿إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ۝٧١ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ۝٧٢﴾ [ص: ٧١ - ٧٢]، وقَال

إبليس: ﴿قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَـٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣٣﴾﴾ [الحجر: ٣٣]، وقال: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِن صَلْصَـٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ﴿١٤﴾ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴿١٥﴾﴾ [الرَّحمن: ١٥].

وقال النَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إنَّ اللهَ خَلَقَ آدمَ مِن قَبضَة قبَضَها من جَمِيع الأرض، فجاء بنوه عَلَىٰ قدر تلك القبضة، فيهم الأسود والأبيض، وبين ذلك، والخَبيث والطَّيِّب، وبين ذلك، والسَّهل والحَزن، وبين ذلك»(١).

وهذه النصوص وأمثالُها مُصرِّحَة بأنه خلق آدم من التراب ومن الطِّين، ومعلوم أن البدن هو المخلوق من ذلك، فكيف يدَّعي المدَّعي أن قوله: «**خلق آدم**» إنما يتناول الروح فقط؟!

الوَجْه الحادي عشر: أن أبا حامد يدَّعي في مواضع أن لفظ (الخلق) إنما يتناول بالروح مَسْألة التقدير والمساحة، وهو عندهم عالم الأجسام التي يسميها عالم الملك، فأما الأرواح المفارقة أو المدبرة التي يسميها عالم الجبروت والملكوت، فتلك عنده عالَم الأمر، ليست من عالم الخَلق، فإذا ادعىٰ مع ذلك أن لفظ الخلق، إنما يتناول ما هو من عالم الأمر دون عالم الخالق، كان هذا من أعظم التناقض، ودلَّ ذلك عَلَىٰ فساد كلامه في هذا البَاب.

الوَجْه الثَّاني عشر: أن هذا غايته أن يكون خلقه عَلَىٰ بعض صِفَاته، وهي صفة التدبير للخلق من غير حلول فيه، وهذا دون قول من يقول: عَلَىٰ صفة الحياة، والعلم، والقدرة. وقد تقدم بطلان قول من حمل لفظ الصُّورة عَلَىٰ هذه الصِّفَات بما

(١) سبق تخريجه.

فيه كفاية، وذلك كله دليل عَلَىٰ بطلان هذا بطريق الأَوْلىٰ، وهذه الوجوه المذكورة في الصِّفَة كلها.

الوَجْه الثَّالث عشر: أن إطلاق لفظ الصُّورة عَلَىٰ مجرد كونه مدبِّرًا للعالَم من غير حلول فيه، أمر لا يدل عليه اللفظ بوجه من الوجوه، بَل هو من جنس دعاوي القرامطة، والبَاطنية، ولا ريب أن كلام المتفلسفة في الروح مما يميل إليه القرامطة البَاطنية.

الوَجْه الرَّابع عشر: عند أبي حامد ومتبوعيه من المتفلسفة أن الملائكة بهذه المَثابة، وهي التي يسمونها العقول والنفوس، فإنَّها عندهم مدبِّرة لعالَم الأفلاك من غير حلول فيها، فلا اختصاص لآدم بكونه مخلوقًا عَلَىٰ صُورَة الله تَعالَىٰ عَلَىٰ هذا التقدير، بَل جَمِيع الملائكة، وما يسمونه العقول والنفوس مخلوق عَلَىٰ صُورَة الله تَعالَىٰ عَلَىٰ هذا التقدير، ومَن أثبت مِن هؤلاء ووافق عَلَىٰ أن لهم معادًا، فإنَّه يقول فيهم كذلك، فيكون إبليس أيضًا مخلوقًا عَلَىٰ صُورَة الله تَعالَىٰ عندهم، وينبني عَلَىٰ هذا أن ينهىٰ عَن تقبيح الجن والشياطين؛ لأنَّهم مخلوقون عَلَىٰ صُورَة الله تَعالَىٰ.

الوَجْه الخامس عشر: أن هذا الكلام خرَج مَخرجَ المَدح والتعظيم لآدم، والمدح إنما يكون بالصِّفَات الثبوتية، وبالسلبية التي تتضمن صِفَات ثبوتية، وليس فيما ذكروه إلا مجرد كونه مدبرًا للبدن، وكونه غير حالٍّ فيه، وهذه الصِّفَة الثَّانية صفة سلبية، ومجرد التدبير مشترك بين جَمِيع الحيوانات.

الوَجْه السادس عشر: أن يُقالَ: إن تشبيه الرَّبِّ بالعبد إما أن يكون سائغًا، أو لا يكون، فإنَّ لم يكن سائغًا بطل تشبيه الله بالروح المدبرة للبدن، وإن كان سائغًا فلا

حاجة إلىٰ تحريف الحَدِيث، والمقصود أنهم في تأويلهم مثبتون لنظير ما فروا منه، فإنَّهم فروا من التشبيه، ولم يتأولوه إلا عَلَىٰ التشبيه، وإن قالوا بثبوت التشبيه من وَجه دون وَجه كان كلام منازعيهم في النفي والإثبات أقوىٰ من كلامهم، كَمَا تقدم، لاسيما عَلَىٰ هذا القول.

الوَجْه السابع عشر: هذا التشبيه تشبيه باطل، فإنَّ الروح محتاجة إلىٰ البدن في تحصيل كَمَالاتها، كَمَا أن البدن محتاج إليها، كل منهما محتاج إلىٰ الآخر، وباتفاقهما كانت الأعمال، كَمَا رَواهُ الحافظ أبو عَبْد الله بن مَنْدَهْ في كتاب «النَّفس والروح»، وغيره، عَن ابن عباس قال: «لا تَزال الخصومة يوم القِيامَة حتىٰ يختصم الرُّوح والبدنُ، فتقول الروح: أنا لم أعمل شيئًا، وإنما أنتَ عملتَ، فأنت المستحق للعذاب، ويقول البدن: أنا لم أتحرك من تلقاء نفسي، ولكن أنت حركتني وأمرتني، فيبعث الله ملكًا يحكم بينهما، فيقول: مثلكما مثل مُقعَد وأعمىٰ دخلَا بستانًا، فرأىٰ المُقعَدُ فيه ثمرًا مُعلَّقًا، فقَال للأعمىٰ: إني أرىٰ ثمرًا، ولكن لا أستطيع المشي إليه، فقَال الأعمىٰ: أنا أستطيع المشي لكني لا أراه، فقَال: تعال احملني، فحمل الأعمىٰ المُقعدَ، وجعل يقول له: تَعالَىٰ إلىٰ هنا، تعال إلىٰ هنا، فيأمر المقعدُ الأعمىٰ، فيفعل، فعلىٰ من يكن العقاب؟ فقَال: عَلَىٰ الاثنين، فقَال المَلَكُ: فهذه حالُكُما»، أو نحو هذا المَعْنىٰ.

وهذا أمرٌ محسوس متَّفق عليه بين العقلاء، وهؤلاء الَّذين يسمونها النفس الناطقة متَّفقون عَلَىٰ أنها تعلقت بالبدن لتحصيل كَمَالاتها، وإذا كان كذلك فيلزم من هذا التشبيه أن يكون الله محتاجًا إلىٰ العالَم، كَمَا أن العالَمَ محتاجٌ إليه، وهذا من أقبح الكُفْر والتَّمثيل، فإنَّ التشبيه إذا ساغ إنما يسوغ في صِفَات الكَمَال، وهذا تشبيه لله بخلقه في صِفَات النَّقص.

وأيضا؛ فإنَّ الروح تفارق الدنيا ما شاء الله من الزمان، وعلىٰ زعم المتفلسفة مفارقتها له أكثر من مقارنتها، فإنَّها عندهم لا تقارنه بعد المفارقة أبدًا، فيلزم أن يكون تخلِّي الله عَن تدبير العالَم أعظمَ من تدبير العالَم أضعاف أضعاف تدبيره له، عَلَىٰ تقدير صحة التشبيه.

الوَجْه الثَّامن عشر: أن الله ربُّ العالَم كله؛ خالقه وبارئُه ومُصوِّرُه، وأما الروح والبدن فبمنزلة المتشاركين المتعاونين، فكيف يجوز أن يُقالَ: نسبة ذات آدم -التي هي روحه- إلىٰ هذا البدن كنسبة البَاري إلىٰ العالم، مع أن ذلك من أبعد الأمور عَن المشابهة؟! فإنَّ كون أحدهما غير حالٍّ فيه مع كونه مؤثرًا فيه بالتدبير والتصرف ينعكس في جانب الإنسان، فإنَّ البدن -عَلَىٰ رأيهم- ليس بمحل الرُّوح، وهو أيضًا مؤثر في الروح؛ إذ كل منهما يؤثر في الآخر، فما يحسُّه البدن ويباشره ببدنه يؤثر في الروح، كَمَا يذكره أبو حامد في غير موضع، وهو محسوس، فهل العالَم مؤثِّرٌ في الله كتأثير البدن في الرُّوح؟!

الوَجْه التَّاسع عشر: أن كون الإنسان ليس بجسم، ولا جسماني، أمر ليس من المعارف الظاهرة، ولا أخبر به الرَّسُولُ حتىٰ يصير معروفًا عندهم، بَل كون الله ليس بجسم هو أيضًا كذلك ليس من المعارف الظاهرة، ولا أخبر به الرَّسُول أمته، فقوله: «**خلق آدم عَلَىٰ صُورَته**» إذا أراد به أن كلًّا منهما ليس بجسم، ولا جسماني، بَل كل منهما غير حالٍّ فيما يدبره مع تأثيره فيه أمر لا يدل عليه اللفظ في اللغة التي خوطب بها، ولا كان عند المخاطبين من المعارف ما يبينهم ذلك، فيكون بيان هذا المَعْنىٰ بهذا اللفظ خارجًا عَن قانون الخطاب، ليس بحقيقة عندهم ولا مجاز؛ إذ من شرط المجاز ظهور القرائن المثبتة للمراد، وليس عند المخاطبين قرينة تبين ذلك.

الوَجْه العشرون: أن هذا المَعْنىٰ الَّذي ادعوه من كون الروح ليس بجسم، ولا جسماني، وأنها ليست في البدن، وأن تعلقها بالبدن إنما هو تعلق التدبير فقط، وأن البَاري ليس بجسم، وأن تعلقه بالعالم تعلق التدبير.

فيقال: لا يفهم إلا بعبارات مبسوطة، أما أن يكون مجرد قوله: «**خلق آدم عَلَىٰ صُورَته**» مُفهِمًا لهذه المعاني مُبيِّنًا لها من الرَّسُول الَّذي عليه البلاغ المبين، معلوم الفساد بالاضطرار.

الوَجْه الحادي والعشرون: أن دعواهم أن الروح ليست في البدن، خلاف ما نطقت به نصوص الكِتَاب والسنة، وهو خلاف المحسوس الَّذي يحسه بنو آدم، لاسيما حين الموت، إذا أحسوا بنزع الروح من جسد أحدهم، وأنها تخرج من كل عضو من أعضائه، وكذلك وصف النَّبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَمَا في حَدِيث البراء بن عازب الطويل المشهور، عَن النَّبيِّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**ثم يجيء مَلَكُ الموت حتىٰ يجلس عند رأسه، فيقول: أَيَّتها النَّفْس الطَّيِّبة، أخرُجي إلىٰ مغفرة من الله ورضوان، قال: فتخرج فتسيلُ كَمَا تسيل القَطرة مِن فِيِّ السِّقاء، فيأخذها، فإذا أخذها لم يَدعوها في يده طرفةَ عين حتىٰ يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن، وفي ذلك الحَنوط**» يعني الَّذي جاء مع الملائكة من الجنة إلىٰ آخر الحَدِيث كَمَا تقدم لفظه.

وقال في الكافر: «**يجيء ملكُ الموت حتىٰ يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس الخبيثة، اخرجي إلىٰ سَخَط من الله وغضب، قال: فتفرَّق في أعضائه كلها، فينزعها نزعَ السفود من الصُّوف المَبلول، فتتقطع بها العروق والعصب**»[1].

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٢٨٧) (١٨٥٥٧)، وأبو داود (٤٧٥٣) من حديث البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، =

وتمام الحَدِيث قد تقدم، وكل ما فيه صريح بدخول الروح، وخروجها، وصعودها، وهبوطها، وقبضها، وإرسالها، وما يشبه ذلك من الصِّفَات التي هي عندهم لا تكون إلا لما يسمونه في اصطلاحهم جِسمًا، فقول القَائل: ليست بجسم، وليست في البدن؛ مضادة لقول الرَّسُول، فكيف يجوز أن يحمل عليه ألفاظ الرَّسُول حتىٰ يجعل متشابه كلامه مناقضًا لمنصوصه ومُحكمه؟!

الوَجْه الثَّاني والعشرون: أن الله قال: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾ [ص: ٧٢]، في موضعين من القرآن، وقال: ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ﴾ [السجدة: ٧ - ٩]، فأخبر أنَّه نفخ فيه من روحه، فكيف يجوز أن يُقالَ: إن الروح ليست فيه؟!

فإن قيل: إنما قال ذلك؛ لأنَّها مدبرة له، كَمَا يقال: إنَّ اللهَ في السماء.

فيقال: فينبني عَلَىٰ قياس ذلك أن يُقالَ: إنَّ اللهَ في السماء والأرض وكل مكان؛ لأنَّه مدبر لذلك، لا يخص الإطلاق بأنه في السماء، ومعلوم أنَّه ليس في الكِتَاب والسنة إطلاق القول بأن الله تَعالَىٰ في الأرض، أو في الخلق، أو في كل مكان، كَمَا فيهما إطلاق أن الروح في البدن، فتمثيل أحدهما بالآخر من أعظم الفرية والكذب عَلَىٰ الله، وعلىٰ رسوله، وهي فرية جهم وأمثاله.

الوَجْه الثَّالث والعشرون: أن الله تَعالَىٰ قال: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِيٓ

=

وصححه الألباني في «المشكاة» (١٦٣٠).

﴿إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ﴿٢٩﴾ وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ [الفجر: ٢٧ - ٣٠]، فأمرها بالرجوع إلىٰ ربها الله، وفي ذلك إثبات حركتها، وإثبات الانتهاء إلىٰ الله، وكلاهما خلاف ما يزعمه هؤلاء فيهما، وكذلك قوله: ﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ﴿٢٩﴾ وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ أمرها بالدخول في عباده، ودخول الجنة، وهذا يناقض قولهم: إن النَّفسَ لا داخلة العالم ولا خارجة، ولا تكون في مكان، كَمَا يزعمون ذلك في البَاري تَعالَىٰ.

وقال تَعالَىٰ: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الزمر: ٤٢]، فأخبر أنَّه يتوفاها، وهو قبضها وأخذها واستيفاؤها، وأخبر أن ذلك التَّوفِّي يكون حال الموت، ويكون في المنام، وأن المتوفاة في المنام منها ما تمسك، وهي التي يقضىٰ عليها بالموت في المنام، ومنها ما يرسل، فالإمساك لها، والإرسال لها، وتوفيها كل ذلك يتضمن نقيض ما يذكرونه من عدم اتصافها بجنس هذه الصِّفَات.

الوَجْه الرَّابع والعشرون: أنَّ مَن جعل نِسبةَ الرُّوح -وهو آدم عنده- إلىٰ البَدن كنسبَةِ البَاري إلىٰ العالَم؛ لَزِمَه أن يجعل البَاري رُوحَ العالَم، كَمَا قال بعضُهم عَن الحقِّ تَعالَىٰ: أنا رُوح الأشياء أن تحلَّ منِّي، اتخذوها كدارسات الرسوم، وهذا وإن كان قد يقوله بعض الحُلولية والاتحادية، القَائلون بأنه في كل مكان، فهؤلاء المتفلسفة، وأبو حامد، ونحوه لا يقولون هذا، بَل عندهم قائل هذا مِن أكْفَر الناس، وهو في ذلك مُصيب مُوافق لجَمَاعَة المُسْلِمين.

وإن كان هذا القول هو شبيه بما ذكر عَن الجَهْمِيَّة أوَّلًا، حيث قالوا: إنه في كلِّ مكان، كَمَا تقدم ذكر ذلك عَن أحْمَد، فإنَّ فساد هذا القول من أظهر الأمور، وقد قدَّمنا من فساده ما فيه كفاية، وذلك يقتضي أن يكون الربُّ نفسه هو الروح التي في

الجن والشياطين، وفي جهنم، وغيرها التي في البدن، وأن يكون الرَّبُّ مُتنعِّمًا راضيًا ساخطًا، فرِحًا مُغتَمًّا، مَسرورًا حزينًا، بكل ما يوجد من ذلك في أجسام العالَم، كَمَا أن الروح تكون كذلك بكل ما يوجد في جسدها.

والاتحادية الَّذين يقولون: هو الوجود، يصفونه بذلك كله، ويقولون: هو موصوف بكل مدح، وكل ذم، وكل نعيم، وكل عذاب، كَمَا قد ذكرنا افتراءهم في غير هذا الموضع، ومعلوم ما في هذا القول من الكفر، والضلال، والسبِّ لله، والجحود له.

فصل

وللناس تأويلات أُخَر، وكلها باطلة، مثل تأويل ابن عقيل، ومن وافقه: أن المراد صُورَة المُلك والتدبير، بل ومن الاستيلاء عَلَىٰ جنس الحيوان، حتىٰ طائره وسابحه، ما يشبه به استيلاء الرب عَلَىٰ العالم بالتدبير والتصريف، بل وعلىٰ سائر الأجسام الجامدة، وهذا وإن كان ابن عقيل يذكره في موضع، فإنَّه في موضع آخر يتأوله عَلَىٰ الصُّورة المخلوقة، كَمَا تقدم ذلك، فإنَّ هؤلاء لا يَثبُت أحدُهم عَلَىٰ مَقام، بَل هم كثيرو الاضطراب، وما من شيء يقوله المُؤسِّس[1] وأمثاله إلا وقد يقوله ابن عقيل ونحوه في بعض الأوقات والمصنفات، وإن كان قد يرجع عَن ذلك كَمَا يرجع غيره، قال في «كفايته»:

«فصل» في إضافة الصُّورة إليه تجوُّزًا، وأنَّه مصوِّر لكل صُورَة، فأما ذاتًا فلا يطلق عليه إلا وتحتها مَعْنىٰ هو عين التخطيط والأشكال، ولعله يقتضيها الحال، مثل

---

(١) يعني الرازي، كما تقدم.

قولهم: حدَّثني صُورَة أمرك، يريد به حالك، والَّذي ينفي حقيقة الصُّورة عنه هو الَّذي نفاه المشبه عنه، كَمَا رُوي عَن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّه قال: «**خَلق آدم عَلَىٰ صُورَته**»، «**ورأيتُ ربِّي في أحسن صُورَة**»(١) لا ينطبق عَلَىٰ المثال والشَّكل؛ لنص الكِتَاب: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورىٰ: ١١].

فمتىٰ جاء خبر واحِد، أو تواتر يثبت له صُورَة تعارض الكِتَاب والسنة، وتناقض الدين -والله قد حماه عَن المناقضة، وحرسه عَن التقابل والتعارض والاختلاف- فلابد من الجمع بين قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ: ١١]، وبين قول النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**خلق آدم عَلَىٰ صُورَته**»، فيكون نفي المثال نافيًا للصُّورَة التي هي التَّخطيط والشَّكْل، وإضافة الصُّورة إلىٰ الله نفي شكل آدم إلىٰ الله عَلَىٰ سبيل الملك، كَمَا قال: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾ [الحِجر: ٢٩]، ولم يرد به روح الذات، وكانت الفائدة في ذلك تشريفها بالإضافة إليه كتشريف بنية الكعبة بتسميته بيتًا له، وإن كان لا يسكنه، كذلك تشريف صُورَة آدم بالإضافة إليه، وإن كانت لا تشبهه.

قال: وقوله: «**رأيت ربي في أحسن صُورَة**» يحتمل أن يكون رآه في أحسن صُورَة، ويحتمل أن يكون في أحسن حال من الإكرام والتبجيل. قال: وإنما دعانا إلىٰ ذلك أن إطلاق الصُّورة عليه سُبْحانَه تصريح بتكذيب القرآن، وكفىٰ بذلك محوِجًا إلىٰ التَّأويل، وليس هذا مما يُمكننا أن نقول فيه: صُورَة لا كالصُّوَر؛ لأنَّه عزاها إلىٰ صُورَة محسوسة، هي صُورَة آدم، فلو كان عَلَىٰ صُورَة الله في نفسه لكان كل آدمي

---

(١) سبق تخريجه.

عَلَىٰ صُورَة الله، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَلَىٰ صُورَته، وقد أكذَب اللهُ مَن قال ذلك وأطلقه عليه بقوله سُبْحانَه: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾ [الشورىٰ: ١١]، وآدم شيء، فلا يكون مِثْلًا لله تعالَىٰ.

هذا لفظ ابن عقيل، وهو مثل كلام المؤسس ونحوه من الجَهْمِيَّة، وقد تقدم الكلام عَلَىٰ هذا، وإنما المقصود هنا الكلام عَلَىٰ تأويله بصُورَة الملك والتدبير، وزاد عَلَىٰ هذا طائفة من الاتحادية وغيرهم، فقَالوا: هو خليفة الله، استخلفه بأن جعل فيه من أسمائه وصفاته ما ضاهىٰ به الحضرة الإلهية، وهؤلاء طائفتان: طائفة تُثبت الرَّبَّ ورَاء العالَم، وتجعل الإنسان خليفة الله، وطائفة أخرىٰ لا تُثبت للرَّبِّ وجودًا غير العالَم، بَل يجعلونه هو وجود العالم، ويجعلون الإنسان نسخة ذلك الوجود ومختصره؛ فهو الخليفة الجامع فيه، وهم في هذا يوافقون من يقول من الفلاسفة وغيرهم: أن الإنسان هو العالَم الصَّغير، كَمَا أن العالَم هو الإنسان الكبير، إذ الإنسان قد اجتمع فيه ما تفرق، وهذه المعاني لا يقصد النزاع فيها، ولكن المردود من ذلك قول أحدهم: إن قوله: «**خلق آدم عَلَىٰ صُورَته**» أي: عَلَىٰ صُورَة العالَم، فإنَّ الإنسان عَلَىٰ صُورَة العالَم، وهي صُورَة الله؛ إما الصُّورة المخلوقة المملوكة، كَمَا يقوله من يُقر بالرَّبِّ المتميز عَن العالَم، وإما أن يجعلوا نفسَ العالَم هو صُورَة الله، ووجوده لا حقيقة له وراء ذلك، كَمَا يزعمه الاتِّحاديَّة، مثل صاحب «الفُصُوص»(١) ومُتَّبعيه، فهذه ثلاث تأويلات:

إحداها: أن يكون مدبرًا مالكًا لجنسه وغير جنسه، كَمَا أن الرَّبَّ مدَّبِّر للعالَم؛ فهو عَلَىٰ صُورَة الملائكة.

---

(١) يعني ابن عربي صاحب كتاب «فصوص الحكم» القائل بوَحدة الوجود.

الثَّانية: أن يكون عَلَىٰ صُورَة العالَم؛ لأنَّه نُسختُه ومُختصَرُه. والعالم هو صُورَة الله المخلوقة أو المملوكة، أو هو صُورَته الذاتية النفسية، وقد قدَّمنَا في تأويل مَن حمل ذلك عَلَىٰ الصِّفَة والصُّورة المعنوية أننا لا ننازع في ثبوت المعاني الصَّحِيحة، مثل كون الإنسان له من الأسماء والصِّفَات والأفعال ما قد حملوا الحَدِيث عليه، وجعلوه بذلك فيه شبه لأسماء الحق وصفاته وأفعاله، ولا لنا حاجة في دلالة الحَدِيث إما بطريق التضمن، وإما بطريق الاستلزام بحيث يقال: إنه إذا ثبت أنَّه عَلَىٰ الصُّورة الذاتية؛ فهو عَلَىٰ الصُّورة الوصفية، والاسمية، والفعلية أولىٰ وأحرىٰ، أو يقال غير ذلك.

وإنما المقصود هنا إبطال كل تأويل فيه تحريف للكَلِم عَن مواضعه، وإلحاد فيه وَرد لما قصد بالنَّص، فيرد ما كذَّبوا به من الحق، لا ما صدَّقوا به من الحق، فإنَّ هذا شأن المحرِّفين لنصوص الصِّفَات إذا حملوا الحَدِيث عَلَىٰ ما هو ثابت في نفس الأمر، لم ننازع في ذلك المَعْنىٰ الصَّحِيح، ولا في دلالة الحَدِيث عليه إذا احتمل ذلك، وقد لا نكون في هذا المقام ناظرين في دلالة الحَدِيث عليه نفيًا وإثباتًا، ولكن ننازعهم في تحريف الكلم عَن مواضعه، والإلحاد في أسماء الله وآياته، وهو ما أبطلوه وعطَّلوه وكذبوا به من الحق. فإنَّ خطأ النُّظَّار فيما كذَّبوا به ونَفَوه أكبر من خطئهم فيما صدَّقوا به وعلموه.

أما التَّأويل الأول: وهو قولهم: «عَلَىٰ صُورَة الملك»؛ فهو وإن كان فيه نوع شُبهة من هذا الوَجْه فالكلامُ عليه من وجوه:

أحدها: أن قوله: «**إذا قاتل أحدكم فَلْيَجْتَنِب الوَجْه، فإنَّ اللهَ خَلَق آدَمَ عَلَىٰ صُورَته**»، لو أريد أنَّه جعله مَلِكًا مطاعًا مدَبِّرًا، كَمَا أن الله مَلِكٌ مُطاع مدبِّر، لم

يناسب هذا الأمر باجتناب الوَجْه؛ إذ لا اختصاص له. ولأن صفة الملك لا تنافي استحقاق العقوبة.

الوَجْه الثَّاني: قوله: «**لا يقولن أحدكم: قبح الله وَجهك، ووجهًا أشبه وَجهك، فإنَّ اللهَ خَلَق آدَمَ عَلَىٰ صُورَته**»، ذكر خلق آدم عَلَىٰ صُورَته لقوله: «**وَجهًا أشبه وَجهك**»، وليس في كونه ملكًا ما يقتضي ذلك، كَمَا لو قال: فإنَّ اللهَ جعل آدم ملكًا من الملوك.

الوَجْه الثَّالث: أنَّه لو أريد ذلك لم يكن فرْق بين الوَجْه وسائر الأعضاء في النهي عَن الضرب، والنهي عَن التقبيح؛ إذ كون آدم مخلوقًا عَلَىٰ صفة الملك التي يتميز بها لا يخص عضوًا دون عضو.

الوَجْه الرَّابع: أن كونه ملكًا لا يوجب رفع العقوبة عنه إذا أذنب؛ إذ لو جاز ذلك لكان ملوك بني آدم تُرفع عنهم عقوبة السيئات.

الوَجْه الخامس: أن كونه مخلوقًا عَلَىٰ صُورَة الملك ليس هذا عامًّا في جَمِيع بني آدم، إذ منهم من يصلح للمُلك، ومنهم من لا يصلح أن يكون إلا مملوكًا، بَل منهم من هو أضل من البهائم، كَمَا قال تَعالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩]، وإذا كان كذلك مع أن النهي عَن ضرب الوَجْه وتقبيحه عام في جَمِيع الآدميين، وصفة المُلك والسُّؤْدُد ليست عامة، عُلم أنها ليست هي المراد بقوله: «**علىٰ صُورَته**».

الوَجْه السادس: أن المُلك ليس مختَصًّا بالآدميين، بَل في أصناف البهائم

الرئيس المُطاع، والمَرءوس المُطيع، فما من طائفة من البهائم إلا كذلك.

الوَجْه السابع: أن المُلك صفة من صِفَات الله، وهو يعود إلىٰ القُدرة، أو القدرة والعِلم والحِكمة، فيكون ذلك داخلًا في تأويل من تأوله عَلَىٰ الصُّورة المعنوية، وهي صفة العلم والقدرة، وقد تقدمت الوجوه المتعددة في إبطال حمله عَلَىٰ ذلك، وتلك الوجوه كلها تبطل هذا بطريق الأولىٰ.

الوَجْه الثَّامن: أن تسمية مُلك الله صُورَة الله، أو تسمية تدبيره وقدرته صُورَته؛ مما لا يُعرف في اللغة أصلًا، فحمل الحَدِيث عليه تحريف وتبديل محض.

الوَجْه التَّاسع: أن قوله: «**خلق آدم عَلَىٰ صُورَته**» يقتضي أنَّه كان مخلوقًا عَلَىٰ صُورَته، ومعلوم أنَّه لم يخلق حينئذ مَلكًا، وإنما المُلك حادث بعد ذلك.

الوَجْه العاشر: أن آدم نفسه لم يكن بعد أن خلق مَلِكًا، ولا مطاعًا، وبعد أن حدثت له الذرية.

الوَجْه الحادي عشر: قوله: «**إنَّ اللهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَىٰ صُورَته، طُولُه ستُّون ذِراعًا**» إلىٰ قوله: «**فجميع من يدخل الجنة عَلَىٰ صُورَة آدم**» صريح في أنَّه أراد صُورَة جسمه، لا قدرته ومُلكه.

وأما قول القَائل: علىٰ صُورَته التي هي العَالَم، فإنَّ الإنسان مختصر العالَم، فلا حاجة إلىٰ المنازعة في كون الإنسان مختصر العالم، ونسخة العالم، ولا في كون هذا المَعْنىٰ قد يكون من لوازم خلقه عَلَىٰ صُورَة الرَّحْمن، كَمَا لا ينازع في كونه عالِمًا، وقادرًا، وحيًّا، ولكن هذا لا يجوز أن يكون هو مقصود الحَدِيث؛ لوجوه:

أحدها: أن قوله: «**إذا قاتل أحدكم فَلْيَجْتَنِب الوَجْه، فإنَّ اللهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَىٰ**

صُورَته» يقتضي أن خلقه عَلَىٰ صُورَة الرَّحْمن هو المانع من ضربه، وكونه عَلَىٰ صُورَة العالم لا يمنع ضربَه وقتالَه، فإنَّ العالَم بنفسه مشتمل عَلَىٰ النعيم والعذاب، وعلىٰ ما ينعم ويعذب، وعلىٰ البر والفاجر.

الثَّاني: أن قوله: «**لا يقل أحدكم: قبح الله وَجهك، ووجه من أشبه وَجهك، فإنَّ اللهَ خَلَق آدَمَ عَلَىٰ صُورَته**» يقتضي أن شبه الوَجْه بالصُّورة هو المانع من تقبيح مَن أشبه الوَجْه، ومعلوم أن العالم نفسه ليس فيه ما يشبه وَجه الآدمي مخصوصًا بمنع ذمه، وهو وَجه يشبه وَجهه.

الثَّالث: أن خلقه عَلَىٰ نسخة العالم ليس له اختصاص بالوَجْه، بَل هو شامل لروحه، وسائر أعضائه، كَمَا يبين ذلك من يقوله، وحينئذ فينبغي أن يكون النهي عَن الضرب لسائر أعضائه ونفسه، أو لا ينهىٰ عَن الضرب لشيء، وكلاها باطل.

الرَّابع: أنَّه عَلَىٰ هذا التقدير كان النهي عَن التقبيح يقتضي أن يكون شاملًا لجميع الأعضاء والنفس.

الخامس: أن تسمية العالَم صُورَة الله أمرٌ باطل، لا أصل له في اللغة، بَل العالَم مخلوق الله ومَملُوكه.

السادس: أن هذا الوَجْه يتضمن أن إضافة الصُّورة إليه إضافة خلق وملك، لا إضافة ذاتية، وقد تقدمت الوجوه المبطلة لهذا، فهي تبطل هذا التَّأويل.

السابع: أن كون الإنسان مشابهًا للعالم ليس بأعظم من مشابهة بعض الناس لبعض كمشابهة الرجل لأبيه، ومعلوم أن مشابهة بعض الآدميين لبعض ليس مقتضيًا لذَمٍّ ولا مَدْح، ولا مانعًا من العقاب، بَل هو سُبْحانَه يُخرج الحيَّ من

الميت، ويُخرج الميتَ من الحَيِّ.

الثَّامن: أن كون الإنسان مختصرًا من العالَم أن فيه المحمود والمذموم، كَمَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إنَّ اللهَ خَلَقَ آدَمَ من قبضة قبضها من جَمِيع الأرض، فجاء بنوه عَلَىٰ قدر تلك القبضة، منهم الخبيث والطيب، وبين ذلك، والسهل والحزن، وبين ذلك، والأسود والأبيض، وبين ذلك**»(١)، وإذا كان كذلك فكونه مختصرًا من العالَم، ومشبهًا له لا يوجب منع تقبيح شيء منه، ولا منع ضرب شيء منه.

التَّاسع: أن من المعلوم أن أرواح بني آدم أشرف من أجسادهم، ثمَّ إن هذه الأرواح التي يسمونها النفوس الناطقة تنقسم إلىٰ محمود، ومذموم، كَمَا يقول المَلَكُ للنفس المؤمنة: «**اخرجي أيتها النفس الطَّيِّبة كانت في الجسد الطَّيب، اخرجي راضية مرضية، فإذا خرجت صلىٰ عليها كلُّ مَلَك في السماء، وكل ملَكٍ في الأرض، وكلُّ مَلَك بين السماء والأرض**»، ويقول للكافرة: «**اخرجي أيتها النفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث، اخرجي ساخطة مسخوطًا عليك، وأبشري بحميم وغَسَّاق، وآخر من شكله أزواج، فإذا خرجت لعنَها كلُّ مَلَك في السماء، وكل ملَك في الأرض، وكل ملك بين السماء والأرض**»(٢).

وإذا كانت الروح قد تُقبَّح، وتُشتَم، وتُلعَن، وتُوصف بالخبث فالجسد أحقُّ بذلك. فلو كان مشابهة أشرف ما في العالم يمنع التقبيح لوجب أن لا تقبح النفس الناطقة قط، فلما جاز تقبيحها، ومنع الشَّارع من تقبيح الوَجْه؛ لأنَّ الله خلق آدم عَلَىٰ

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه. والحميم: الماء الحار، والغساق: البارد المنتن.

صُورَته، ولا فرق في ذلك بين وَجه البَر والفاجر، عُلم أن المانع ليس مشابهة العالَم.

العاشر: أن قوله: «**صُورَة الإنسان عَلَىٰ صُورَة الرَّحْمن**»(١) يخص الصُّورة، كَمَا يخص الوَجْه في تلك الأحَادِيث، وهذا يمنع أن يكون المراد جَمِيع أعضاء الإنسان وروحه.

وأما قول طائفة من هؤلاء وغيرهم: إن الآدمي خليفة الله استخلفه عَن نفسه، فجعله يخلفه في تدبير المملكة؛ فهو عَلَىٰ صُورَته من هذا الوَجْه، فهذا يدخل فيه مَعْنَىٰ المُلك، ومَعْنَىٰ كونه نسخة العالَم، لكن فيه من البَاطل ما يخصُّه، وهو زعمهم أن الإنسان خليفة عَن الله تَعالَىٰ، وهذا باطل، والله تَعالَىٰ لا يخلفه شيء أصلًا، وإنما مَعْنَىٰ كون آدم، وداود، والآدميين خلائف أنهم يخلفون غيرهم من المخلوقات، لا أنهم يخلفون الخالق، كَمَا قال تَعالَىٰ: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ﴾ [النور: ٥٥].

وقال تَعالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ ۙ وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ [يونس: ١٣ - ١٤]، وقال تَعالَىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ [الأنعام: ١٦٥]، وقال تَعالَىٰ في قصة نوح: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَعَلْنَٰهُمْ خَلَٰٓئِفَ﴾ [يونس: ٧٣]، وقال تَعالَىٰ: ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَنِىُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ

(١) سبق تخريجه.

بَعۡدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوۡمٍ ءَاخَرِينَ ﴾ [الأنعام: ١٣٣].

وقال تَعالَىٰ في خطاب هود لقومه: ﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ جَعَلَكُمۡ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعۡدِ قَوۡمِ نُوحٖ وَزَادَكُمۡ فِي ٱلۡخَلۡقِ بَصۜۡطَةٗۖ﴾ [الأعراف: ٦٩]، وفي خِطاب صالح قومَه: ﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ جَعَلَكُمۡ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعۡدِ عَادٖ وَبَوَّأَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورٗا وَتَنۡحِتُونَ ٱلۡجِبَالَ بُيُوتٗاۖ فَٱذۡكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ﴾ [الأعراف: ٧٤]، وقال في خطاب موسىٰ لقومه: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُهۡلِكَ عَدُوَّكُمۡ وَيَسۡتَخۡلِفَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٢٩].

وقال النَّبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «مَن جهَّز غازيًا فقد غزَا، ومن خلَفه في أهله بخير فقد غزَا»(١)، وقال: «أوَ كلَّما نفرنَا في سبيل الله خَلَفَ أحدُهم؟!»(٢).

وقال تعالَىٰ: ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٞ وَرِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾ [الأعراف: ١٦٩]، وقال تعالَىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمۡ خَلَٰٓئِفَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيۡهِ كُفۡرُهُۥۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلۡكَٰفِرِينَ كُفۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ إِلَّا مَقۡتٗاۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلۡكَٰفِرِينَ كُفۡرُهُمۡ إِلَّا خَسَارٗا﴾ [فاطر: ٣٩]، وقال تعالَىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسۡتَـٔۡذِنُونَكَ وَهُمۡ أَغۡنِيَآءُۚ رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلۡخَوَالِفِ﴾ [التوبة: ٩٣]، وقال: ﴿ فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٖ مِّنۡهُمۡ فَٱسۡتَـٔۡذَنُوكَ لِلۡخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخۡرُجُواْ مَعِيَ أَبَدٗا وَلَن تُقَٰتِلُواْ مَعِيَ عَدُوًّاۖ إِنَّكُمۡ رَضِيتُم بِٱلۡقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٖ فَٱقۡعُدُواْ مَعَ ٱلۡخَٰلِفِينَ ﴾ [التوبة: ٨٣].

---

(١) أخرجه البخاري (٢٨٤٣)، ومسلم (١٨٩٥) من حديث زيد بن خالد الجهني رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ.

(٢) أخرجه مسلم (١٦٩٢) من حديث جابر بن سمرة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ.

ولهذا قيل للصِّدِّيق: «يا خليفة الله، فقَال: لستُ بخليفة الله، ولكن خليفَة رَسُول اللهِ صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وحسبي ذاك»[(١)]، ولكن الله سُبْحانَه يوصف بأنه خليفة، وبأنه خَلَفٌ من غيره، كَمَا ثَبَت عَن النَّبِيِّ صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أنَّه كان يقول: «**أنت الصَّاحب في السَّفَر، وأنت الخَليفةُ في الأهل، اللهم اصْحَبْنا في سفرنا هذا خيرًا، واخْلُفنا في أهلنا**»[(٢)]، ويقال في الوداع: خليفتي عليك الله، وفي التعزية التي ذكر الشَّافعي في «مسنده»[(٣)] أن أهل بيت رَسُول اللهِ صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ سَمِعوا صوت مُعَزٍّ عزَّاهم بها: يا أهل بيت رَسُول اللهِ صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، إن في الله عَزاء من كل مصيبة، وخلفًا من كل هالك، ودركًا من كل فائت.

وذلك لأنَّ الخليفة لا يكون إلا مع مَغيب المستخلف، لا مع شهوده، والله شهيد عَلَىٰ عباده لا يغيب عنه شيء، مدبر للجميع، فلا يستخلف من يقوم مقامه في ذلك، كَمَا يستخلف المخلوق للمخلوق، بَل هو الخالق لكل شيء، المدبر لكل شيء، فالآدميون يموتون، ويغيبون، فيكون مَن يَخلُفُهم، واللهُ حَيٌّ قيُّوم لا يغيبُ، فلا يكون له من يَخلفه، بَل هو سُبْحانَه يَخلف مَن يَغيب، أو يَموت، كَمَا يكون خليفة المؤمن في أهله إذا سافر، ويكون خليفة له إذا مات، فيَكفي أولئك الَّذين كان المؤمن يكفيهم في هدايتهم، ورزقهم، ونصرهم.

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (٧/ ٤٣٣) (٣٧٠٤٨)، وأحمد (١/ ١٠) (٥٩)، قال الهيثمي (٥/ ١٩٨): رجاله رجال الصحيح إلا أن ابن أبي مليكة لم يدرك أبا بكر.

(٢) أخرجه الترمذي (٣٤٣٩) من حديث عبد الله بن سرجِس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وصححه الألباني في «صحيح الترمذي» (٢٧٣٥).

(٣) (٢/ ٩٥) (٦٠٣).

يبين ذلك أن الإنسان إذا آتاه مُلكًا، أو لم يُؤته، إما أن يكون عند الله عاملًا بطاعته وطاعة رسله، أو لا يكون، فإن كان من القسم الأول كان من عباد الله؛ كالنَّبيين، والصديقين، والشهداء، والصَّالحين، وهؤلاء هم الَّذين قال الله تَعالَىٰ فيهم: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾ [الحجر: ٤٢]، وقال إبليس: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [ص: ٨٢ - ٨٣]، ونحو ذلك.

والعبد العامل بأمر الله هو عابِدٌ لربِّه متوكِّل عليه، لم يخالف ربَّه في أمر من الأمور، كَمَا أن الملائكة الَّذين لا يستكبرون عَن عبادته ولا يستحسرون، يسبحون الليل والنهار لا يفترون، لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون، ليسوا مخالفين لله في أمر من الأمور، وإن كانوا عاملين بأمره عابدين له مطيعين، وهم المدبرات أمرًا، والمُقسِّمات أمرًا.

وإن كان الإنسان غير عامل بطاعة الله ورسوله، بَل عاص لله ورسوله، فهذا أبعد أن يكون عمله ذلك خلافة عَن ربه، وهو يعمل ما يبغضه الله ويكرهه وينهىٰ عنه، فقد ظهر أنَّه لا وَجه أن يجعل واحِد من هذين خليفة عَن الله، لا مَن يعبده ويطيعه، ولا مَن يُشرك به ويعصيه، هذا من جهة القضاء والقَدَر والأمْرِ الكوني.

فإنَّ اللهَ خالق كل شيء؛ فهو خالق كل حيٍّ من الملائكة، والإنس، والجن، والبهائم، وخالق قُدَرِهم، وإراداتهم، وأفعالهم، كَمَا أنَّه خالق غير الأجسام، وهو وإن كان يخلق الأشياء بعضها ببعض، كَمَا يخلق النبات بالمطر، ويخلق المطر بالسحاب، فليس شيء من ذلك خليفة؛ إذ هو الخالق له، ولِمَا يخلقه به؛ فهو ربُّ كل شيء ومليكُه، ولو جاز ذلك لكان كل مخلوق خليفة عَن الله، بَل جَمِيع ذلك مسخر بأمره، مُصرَّف بمشيئته، مُدبَّر بقدرته، مُنظَّم بحِكمته، واللهُ غَني عَن جَمِيع ذلك، وكل

ذلك فقير إليه، وليس الصَّغير أفقرَ إليه من الكبير، ولا المُسبَّب بأفقرَ إليه من السَّبب، بَل الجميع فقرَاء إليه، وهو ربُّ الجميع ومليكُه.

وهو سُبْحانَه ليس كمثله شيء في شيء من تدبيره، كَمَا قال سُبْحانَه: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۖ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِىُّ وَهُوَ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٩﴾ وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّى عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾ فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا ۖ يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ٩ - ١١].

يبين ذلك أنَّ كل مَن خَلف غيرَه في شيء، فإنَّه يكون مُعينًا له فيما يَعجز عنه المَخلوف، إما لعدم عِلمه به، وإما لعدم قدرته، فالخالف شريك المخلوف وكفؤ له، كالأمير الَّذي يستخلف في الأمصار خلفاء عنه، فهم كلهم فاعلون ما لا يقدر هو وحده أن يفعله، وهم مشاركون له مكافئون له، وهو وهم متعاونون عَلَىٰ جملة التدبير، وكل منهم ينتفع بما يعاونه الآخر عليه، والله تَعالَىٰ ليس كذلك، بَل الغني مطلقًا بنفسه عَن الخلق، وهو الخالق لكل شيء.

ثمَّ إن من رحمته أنَّه يأمر العبيد بما يصلحهم، وينهاهم عما يفسدهم، وهو الَّذي يعينهم عَلَىٰ فعل المأمور، وترك المحظور، ولا يقدرون عَلَىٰ فعل ذلك إلا بإعانته، بَل بخلق ذلك كله قال تَعالَىٰ: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ [سبأ: ٢٢ - ٢٣]، وقال تعالَىٰ: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا﴾ [الإسراء: ١١١].

وإنما يَتخيَّل أنَّه خليفة عَن الله، ونائب عنه بمنزلة ما يعهد عَن الخلفاء والنواب عَن المخلوقين منهم - مَن يكون جبَّارًا منازعًا لله في كبريائه وعظمته، كَمَا ثبت في «الصَّحِيح»[1]، عَن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّه قال: «**يقول الله تَعالَىٰ: العظمة إزاري، والكبرياء ردائي، فمَن نازعني واحِدًا منهما عذَّبْتُه**»، فيكون مُختالًا يتخيَّل في نفسه أنَّه عَظيمٌ كبير، وأن أمرَه ونهيَه وفِعلَه بالنسبة إلىٰ الله تَعالَىٰ من جنس أمر الخليفة النائب عَن غيره، ومن جنس نَهيه وفعله، وهذا شرك، وكذب، وضلال، وكبرياء، واختيال.

وذلك أن الخليفة عَن غيره يأمر وينهىٰ، ويفعل أمورًا لم يدر بها المستخلف، ولم يقدر عليها، ولا يكون أمر بها ونهىٰ، بَل يكون أمر هذا من جنس أمر الأول، كالوكيل مع موكله، وكالوصي مع الموصي، وهؤلاء بمنزلة أحد الشريكين مع الآخر، ولهذا جاءت الشريعة بذلك، فجعل الفقهاء الشَّركة في التَّصرف مَبنيَّة علىٰ الوكالة، وأن الشريك يتصرف لنفسه بحُكم الملك، ولشريكه بحكم الوكالة والنيابة، وأما الوصي؛ فهو أبلغ من هذا؛ لأنَّه يتصرف بعد انقطاع أمر الموصي بالموت، ولهذا يكون له من الاستقلال ما ليس للوكيل والشريك، حتىٰ تنازع الفقهاء في جواز توصيته، فأجاز ذلك مَن منع توكيل الوكيل، وحتىٰ

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٢٠) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ قَالَا: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**العِزُّ إِزَارُهُ، وَالكِبْرِيَاءُ رِدَاؤُهُ، فَمَنْ يُنَازِعُنِي عَذَّبْتُهُ**».

وأخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٥٥٢) عنهما، بلفظ: «**قال الله عَزَّوَجَلَّ: العز إزاري، والكبرياء ردائي، فمن نازعني بشيء منهما عذبته**»، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٥٤١).

وأخرجه أبو داود (٤٠٩٠) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بلفظ: «**الكِبْرِيَاءُ رِدَائِي، وَالعَظَمَةُ إِزَارِي، فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا، قَذَفْتُهُ فِي النَّارِ**»، وصححه الألباني.

أجازوا له من التصرفات ما لا يجوز للوكيل.

وهكذا خلفاءُ ولاة الأمور، مثل خليفة الإمَام الكبير ذي الإمَامة الكبرىٰ، وخليفة الحاكم، وخليفة إمام الصَّلاة، وغير ذلك، كلٌّ مِن هؤلاء يفعل من جنس ما يفعله مُستخلِفُه، وكل هذا في حقِّ الله مُمتنع، واعتقاد ذلك في حق أحد هو من أعظم الشرك، ومن باب اتخاذ البشر أربابًا، قال تَعالَىٰ: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾ [التوبة: ٣١]، وقال تعالَىٰ: ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤۡتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ عِبَادٗا لِّي مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ ۝٧٩ وَلَا يَأۡمُرَكُمۡ أَن تَتَّخِذُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرۡبَابًاۗ أَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡكُفۡرِ بَعۡدَ إِذۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ٧٩ - ٨٠].

يُبيِّن ذلك أن أعظم الخلق منزلةً عند الله هم رسله، والرُّسُل إنما هم مبلِّغون أمرَه ونهيَه، لا يأمرون إلا بما أمر.

ولهذا كان رأس الإسْلَام شهادة أن لا إله إلا الله، وأن مُحمَّدًا عبده ورسوله، وطاعتهم طاعة لله، كَمَا قال تَعالَىٰ: ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾ [النساء: ٨٠]، لأنَّهم تلقَّوا أمرَ الله إلىٰ عباده، فالمُطيع لهم مُطيع لأمر الله؛ لأنَّه فاعل ما أمرَه الله به، وأين الرَّسُول المُبلِّغ أمرَ غيره من النائب له الخليفة عنه الَّذي يتصرَّف كَمَا يتصرف المستخلف؟! بينهم فُرقانٌ عظيم، قال صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ فيما رَواهُ البُخارِي: «إني والله لا

أُعطي أحدًا، ولا أمنع أحدًا، وإنما أنا قاسمٌ أضع حيث أمرتُ»[١].

فأما من يتصرف في عباد الله بمشيئته وهواه، فيعطي مَن أحبَّ، ويَمنع من أحبَّ، ويوالي من أحب بغير الله، ولا إذنه، فهذا عدوٌّ لله، جبَّار مُختال، من جنس فرعون الَّذي علا في الأرض، واتَّخذ أهلَها شِيَعًا يستضعف طائفةً منهم يذبِّح أبناءهم، ويستحي نساءهم، إنه كان من المفسدين، فهل يكون هؤلاء نوَّابًا عَن الله، أو خلفاء عنه، وهم أعداؤه وعصاته كإبليس؟! وإن كان الله هو الخالقَ لكل شيء، فليس كل ما خلقه الله من الأعيان والأفعال يكون مُحبًّا له راضيًا به، وإن كان بمشيئته، فإنَّه سُبْحانَه خالق إبليس وذويه، وهو يُبغضهم ويعاقبهم.

ومن قال عَن نفسه أو غيره: إني نائب الله، أو خليفة عَن الله، ولم يكن آمرًا بما أمر اللهُ به عَلَىٰ لسان رسُلِه، فقد كذَب عَلَىٰ الله، واستكبر في الأرض بغير الحق، كَما يُذكر ذلك عَن طائفة من المُلوك الجاهلين الظالمين، بَل المنافقين المشركين، وإن كان إنما أمر بما أمر اللهُ به؛ فهو مصيبٌ في إيجاب طاعته إذا أمر بما أمر اللهُ به، ومصيبٌ في مُخالفة مَن عصىٰ الله، وإكرام من أطاعه.

وقوله: نائب، إن كان بمَعْنىٰ المُبَلِّغ، والرَّسُول، والمُنفِّذ؛ فصَحِيح، وإن كان بمَعْنىٰ أني أَنُوب عنه ما لا يَفعله هو، ولا يقدر عليه؛ فهو كذب، وهذا قد يقوله القَدَري الَّذي يظن أنَّه مستقل بفِعله، وأن الله لم يخلق فِعلَه، وهو مُبطل في ذلك، نعم لو قال: نائب رَسُول اللهِ، أو خليفة رَسُول اللهِ؛ لكان هذا صَحِيحًا، ولهذا لما قالوا

---

(١) أخرجه البخاري (٣١١٧) من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، ولفظه: **«مَا أُعْطِيكُمْ وَلَا أَمْنَعُكُمْ، إِنَّمَا أَنَا قَاسِمٌ أَضَعُ حَيْثُ أُمِرْتُ»**.

للصديق: يا خليفة الله، قال: «لستُ بخليفة الله، ولكن خليفة رَسُول اللهِ، وحسبي ذلك»(١).

فلا يُطلَق عَلَىٰ أحد أنَّه نائبٌ عَن الله، ولا خليفة عنه أصلًا، بخلاف الرَّسُول، فإنَّه قد رُوي في وصف خلفاء الرسل أنهم الَّذين يُحيون سنَّتَهم، ويُعلِّمُونها الناسَ، ولهذا تجبُ طاعتهم، كَمَا في «الصَّحِيحين»، عَن النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّه قال: «**مَن أطاعني فقد أطاع الله، ومَن أطاع أميري فقد أطاعني، ومن عصاني فقد عصىٰ الله، ومن عصىٰ أميري فقد عصاني**»(٢)، وذلك لأنَّه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يأمر إلا بما أمر اللهُ به، فالمطيع له مطيعٌ لله، وكذلك أميرُه الَّذي يستخلفه عَلَىٰ بعض أمَّته؛ كأمراء السَّرايا الَّذي أوجب طاعتَه، إنما أوجبها إذا كان يأمر بما أمر الرَّسُولُ به، كَمَا قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إنما الطَّاعة في المعروف**»(٣)، وكما قال: «**لا طاعةَ في مَعصية الله**»(٤).

فقوله: «**من أطاع أميري**» قد بيَّن أن معناه طاعة الطَّاعة، وهو ما كان من الأفعال التي يأمر الله ورسوله بها، فيكون هذا الأمر منفذًا لذلك الأمر، كَمَا كان عمر بن عَبْد العزيز يقول: أيها الناس، لا كِتَاب بعد كتابكم، ولا نبي بعد نبيِّكم، كتابكم آخِرُ الكُتب، ونبيُّكم آخِر الأنبياء، وإنما أنا متَّبِع، ولست بمُبتدع، وإنما أنا مُنفِّذ، ولست بقاض.

فقد بيَّن أن هذه الدعاوىٰ في الخلافة عَن الله ونحو ذلك إنما هي من دعاوىٰ

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه البخاري (٧١٣٧)، ومسلم (١٨٣٥) من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه البخاري (٧١٤٥)، ومسلم (١٨٤٠) من حديث علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٤) أخرجه البخاري (١٨٤٠)، ومسلم (١٨٤٠) من حديث علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

المتكبرين الجبارين المشركين الَّذين يريدون العلو في الأرض كفرعون، وهؤلاء الاتحادية الموافقين لفرعون المدَّعين أنهم مضاهون لله تعالَىٰ، وأنَّه يحتاج إلىٰ عباده، كَمَا يحتاج عباده إليه، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عما يقول الظالمون علوًّا كبيرًا.

يُبيِّن هذا أن إيتاء الله للعَبد المُلكَ، والسلطانَ، والمالَ لا يقتضي أن ذلك إكرامٌ منه له، ومحبَّةٌ، بَل هو ابتلاءٌ منه، وفتنةٌ له، وامتحانٌ، قال تَعالَىٰ: ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا﴾ [الفجر: ١٥ - ١٦]، وقال تعالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ [يونس: ١٣ - ١٤]، وقال تعالَىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌۢ﴾ [الأنعام: ١٦٥].

فبيَّن أنَّه جعلهم خلائفَ ورفع بعضَهم فوق بعض درجات، كَمَا يرفع درجة ذي المُلك والسُّلطان ليبلوهم فيما آتاهم، وإذا كان كذلك فمَن كان منهم عاملًا بطاعة الله غيرَ عامل بمعصيته كان من أولياء الله وعباده الصَّالحين، ومن كان منهم عاملًا بمعصية الله مريدًا للعلو في الأرض والفساد، متخيِّلًا متكبرًا جبارًا كان من أعداء الله، وممن سخط اللهُ عليه ولعنه.

قال بعض السَّلف -أظنه مجاهدًا- في قوله تَعالَىٰ: ﴿وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾ [الشعراء: ١٣٠]، قال: هو السَّوط، والسَّيف، والغَضب في غير طاعة الله[(١)].

---

(١) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٦/ ٣١٣).

فمن كان يَضرب ويَقتل لغير طاعة الله ورسله فإنما هو جبَّار من الجبارين، فإنَّ لم يَتُبْ، وإلا جاءه بأسُ الله الَّذي لا يُرَدُّ عَن القوم المُجرمين، سُنَّة الله، ولَن تَجِد لسُنَّة الله تبديلًا، فكيف يَستجيز المُسْلم أن يقول في مثل هذا: إنه خليفةٌ عَن الله، ونائب عنه؟! وهذا يقتضي أن فرعون، والنمرود، ونحوهما كانوا خلفاء عَن الله، نُوَّابًا عنه.

ثم إن هؤلاء يَجعلون هذا المَعْنىٰ ثابتًا لكل إنسان أنَّه خليفة عن الله؛ لأنَّه مِن الجنس المُسلطين عَلَىٰ غيرهم من أجناس الحيوان، وعلىٰ أنواع من التدبير، ولا يفرقون بين من أطاع الله، ومن عصاه، بَل يجعلون الَّذين آمنوا وعملوا الصَّالحات كالمفسدين في الأرض، ويجعلون المتقين كالفجار، وهذا كله من الإشراك، والجمع لما فرَّق اللهُ بينه، ولهذا شرع الاتحادية كل شرك في العالم.

ونظير هذا الإشراك الَّذي يجعل فيه العباد خلفاء عَن الله، ونوَّابًا عنه؛ تشبيهًا لذلك بالخِلافة والنيابة عَن الملوك، ما يوجد في كثير من الناس من تشبيههم لمَسْألة الله ودعائه وعبادته بمَسْألة المُلوك، وما يوجد في كثير من الناس أن أحدهم يقول: إذا أردتَ أن تأتي السلطان وتسألَه فابدأ بالوسائط التي بينك وبينه؛ كالحُجَّاب، والنُّوَّاب، والأعوان، فإنَّ قَصْدَكَ السُّلطانَ من البَاب قِلَّة معرفة، وقِلَّة تعظيم وإكرام، وذلك لا يصلح لك، فيأمرونه بالتواضع والإشراكِ بالمخلوقين، وهذا من الأسباب التي بها عُبدت الكواكب، والملائكة، والأنبياء، والصَّالحون، وقبورُهم، وهذا كله من أعظم الشرك والضلال، والقياس الفاسد، فإنَّ اللهَ بكل شيء عليم، وهو سميع بصير بكل شيء، ليس بمَنزلة المَلِك الَّذي لا يَعلم إلا ما أنهي إليه، ولا يسمع ولا يبصر أكثر أمور رعيته.

وأيضًا؛ فإنَّ اللهَ عَلَىٰ كل شيء قدير، ولا يحتاج أن يستعين بالأعوان عَلَىٰ إجابة

الداعي، كَمَا يحتاج المَلِكُ.

وأيضًا؛ فإنَّ اللهَ قريب إلىٰ عباده، كَمَا قال: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦]، وهو رحيم بعباده رءوف بهم، مع أنَّه هو الجبار المتكبر المتعالي بالحق، ليس كالملوك الجبارين المتكبرين بالبَاطل عَلَىٰ بني جنسهم ومَن هو مثلهم، حتىٰ لا يسمعوا كلامه، ولا يرحموه، وحتىٰ يردوا الضعيفَ والفقير، فهذا الإشراك في ربوبية الله وإلهيته، والاستكبار، والاختيال الموجود في العباد كلُّه مُنافٍ لِدين الإسْلَام الَّذي بَعث الله به رسلَه، وأنزل به كُتُبَه، وكِلَا النَّوعين يتضمن من تعظيم الخَلق، وجعلهم أندادًا لله، ومن التَّفريط في جنب الله، وتضييع حقوقِه لما هو من أعظم الجَهل والظلم.

وأصل هذه المقالات توجد في مقالات المشركين، ومن دخل في الشرك من الصَّابئين، وأهل الكِتَاب، وهو في الغالية من هذه الأُمَّة؛ كغالية الرَّافضة، وغالية المتصوفة، ونحو هؤلاء، وأما الدَّقيق منه؛ فهو كثير، كَمَا قال تَعالَىٰ: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٦]، لاسيما شرك العمل والحال، وإن لم يكن العبد مشركًا في مَقاله، وما يفترون بذلك من الخيلاء والكِبْر.

وأما قول مَن يقول: إن العالَم نفسه هو وجودُ الله، وأن الإنسان هو مَظهر ذات الله الأكمل، ففيما تقدَّم كفاية في بطلان قول من حمل الحَدِيث عَلَىٰ مجرد كون الإنسان مخلوقًا عَلَىٰ صُورَة الله التي هي العالَم، وبطلان كونه خليفة عَن الله.

وأما ما يختص به هؤلاء من الرَّدِّ عليهم، وبيان كفرهم وضلالهم؛ فهو مذكور في غير هذا الموضع، بَل عَلَىٰ أصلهم يمتنع أن يكون آدم مخلوقًا عَلَىٰ صُورَة الله، إذ

عَلَىٰ أصلهم ليس في الوجود شيئان أحدهما خالق، والآخر مخلوق، بَل الخالق هو المخلوق عندهم.

وأيضًا؛ فإنَّه قال: «**لا تُقَبِّحوا الوَجْه، فإنَّ اللهَ خَلَق آدَمَ عَلَىٰ صُورَته**»(١) فنهىٰ عَن تقبيح الوَجْه لكون آدم مخلوقًا عَلَىٰ صُورَة الله، وعندهم أن وجود كل موجود هو عين وجود الرب، وكل تقبيح ولعن وشتم وذَمٍّ في العالَم فهو واقع عَلَىٰ الرَّبِّ عندهم، كَمَا يقع عليه كلُّ مَدح ودعاء، وهو عندهم الدَّاعي والمدعو له، والمُصلِّي والمُصلَىٰ له، واللَّاعنُ والمَلعون، والشَّاتم والمشتوم، والقَاتل والمقتول، والناكح والمنكوح، فلا يتصور عندهم أن يختص شيء بعينه بالنهي عَن التقبيح لكونه عَلَىٰ صُورَة الله؛ إذ ليس في الوجود مقبح وغير مقبح إلا ما هو من صُورَة الله عندهم.

وكذلك قوله: «**لا يقل أحدكم: قبح الله وَجهك، ووجه من أشبه وَجهك، فإنَّ اللهَ خَلَق آدَمَ عَلَىٰ صُورَته**»(٢) جعل مجرد المُشابهة لوجه الله مانعًا، وعندهم أن كل ضرب في العالَم وقَتْل واقع عَلَىٰ نفس الرَّبِّ، وهو الضارب لنفسه بنفسه، وأن العالَم كلَّه هو صُورَة الله الذاتية، لا يعنون بها الصُّورة المخلوقة المملوكة، بَل عين وجود العالم هو عين وجود الحق.

ثم إن صاحب «الفصوص»(٣)، وهو مع كونه إمامهم؛ فهو أبعدهم عَن محض الإلحاد؛ لما يوجد في كلامه من لبس الحق بالبَاطل، يفرق بين الوجود والثبوت،

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) يعني ابن عربي، كما مر ذكره.

فيقول: إن الأشياء ثابتة بأعيانها في القِدَم، ونفس الوجود الفائض عليها هو وجود الحق، فيوافق من يقول: إن المعدوم شيء في الخارج، لكن يجعل وجود الكائنات عين وجود الحق، لا يجعل وجودًا متميزًا عَن المخلوقين، ولهذا يضطرب فيجعله هو هو من وَجه، وهو غيره من وَجه؛ لأنَّ الفرق بين الوجود والثبوت فرق باطل، فجاء بعده مِن أتباعه -مثل القَونوي، ونحوه- مَن لم يَسلك هذا المَسلَك، بَل فرَّق بين الوجود المُطلق والمُعيَّن، فجعل الحقَّ الوجود المطلق الساري في الموجودات، وأما المُعيَّن؛ فهو الخَلْق.

ومن المعلوم أنَّه ليس في الخارج وجود مُطلق سوىٰ المَوجود المعيَّن، فهو أراد أن يفرق بين الحق والخلق، فلم يفرق في الحقيقة، بَل اضطرب كَمَا اضطرب أستاذه، فجاء بعد هذا من أصحابه وغير أصحابه -كابن سبعين، وخادمهم التلمساني- فكمَّلوا فساد الفرق بين الرَّبِّ والعبد، فصرحوا بأنه هو الموجودات، وليس ثَمَّ غيرٌ، ولا سِوىٰ بوجهٍ من الوجوه، وحقيقة قولهم: هو قول فرعون الجاحد لرب العالمين، كما يقوله مَن يقولُ مِن طواغيتهم: إن قولنا: هو قول فِرعون، لكن فِرعون كان يُنكر وجودَ الحقِّ بالكُلِّيَّة، وهؤلاء أقروا به، قالوا: هو الوجود الَّذي اعترف به فرعون، وهو وجود المخلوقات، فخالفوا فرعون في اعتقادهم وقصدهم، حيث اعتقدوا أنهم مُقِرُّون بالله، عابدون له من بعض الوجوه، إن كان العابدُ والمَعبودُ والمُقرُّ بالله هو الله عندهم، لا غيره(١).

انتهىٰ المقصود من كلام شيخ الإِسْلَام أبي العبَّاس ابن تَيميَّة -رَحِمَه اللهُ

---

(١) «بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية» (٦/ ٣٥٥- ٦١٦) مختصرًا.

تَعالَىٰ- في ردِّه عَلَىٰ تأويلات المتأوِّلين لحديث: «**إنَّ اللهَ خَلَق آدَمَ عَلَىٰ صُورَته**»، وحديث: «**إنَّ اللهَ خَلَق آدَمَ عَلَىٰ صُورَة الرَّحْمن**».

وينبغي للذين وقع في قلوبهم شيء من شبهات أهل الكلام البَاطل، والتَّأويل المستكره، أن يَقرءوا كلام شيخ الإسْلَام، لعلَّ الله تَعالَىٰ أن يرزقهم البصيرةَ، ويزيلَ عَن قلوبهم ما عَلقَ بها من الشُّبه المُخالفة لطريقة أهْل السُّنَّة والجَمَاعَة الَّذين يؤمنون بما جاء عَن الله تَعالَىٰ، وما ثَبَت عَن رَسُول اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أسماء الله تَعالَىٰ وصفاته، ويمرُّونها كَمَا جاءت من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل.

فصل

وأختم الكِتَاب بذكر جوابٍ للعلَّامة الشَّيخ عَبْد الله بن عَبْد الرَّحْمن أبا بطين، أحد الأفذاذ من العلماء في البلاد النَّجدية في أثناء المائة الثَّالثة عشرة من الهجرة، وكانت وفاته في سابع جمادىٰ الأولىٰ من سنة اثنتين وثمانين ومائتين وألف، رحمه الله تَعالَىٰ. وهذا نص السُّؤال:

ما يقولُ العُلماء أئمة الدين -رضي الله عنهم أجمعين- في حَدِيث: «**خَلقَ اللهُ آدَمَ بيده عَلَىٰ صُورَته**»[1] هل الكناية في قوله: «**عَلَىٰ صُورَته**» راجعة إلىٰ آدم، وأن الله

---

(١) سبق تخريجه دون قوله: «بيده»، وقد وردت هذه اللفظة في حديث آخر أخرجه النسائي في «الكبرىٰ» (٩٩٧٧) بإسناد حسن، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**خَلَقَ اللهُ آدَمَ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ، وَأَمَرَ المَلَائِكَةَ فَسَجَدُوا لَهُ، فَجَلَسَ فَعَطَسَ، فَقَالَ: الحَمْدُ لِلَّهِ، فَقَالَ لَهُ رَبُّهُ: يَرْحَمُكَ رَبُّكَ، ائْتِ أُولَئِكَ المَلَائِكَةَ فَقُلِ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، فَأَتَاهُمْ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، فَقَالُوا لَهُ: وَعَلَيْكَ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللهِ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَىٰ رَبِّهِ تَعَالَىٰ فَقَالَ لَهُ: هَذِهِ تَحِيَّتُكَ وَتَحِيَّةُ ذُرِّيَّتِكَ بَيْنَهُمْ**».

خلقه عَلَىٰ الصُّورة التي خلقه عليها، أم لها مَعْنًىٰ وتأويلٌ غير ذلك؟ أجيبوا أدام الله النفع بعلومكم، وابسطوا الجوابَ أثابكم الله الجنةَ بمنِّه وكَرمه.

الجواب للشيخ عَبْد الله بن عَبْد الرَّحْمن (أبا بطين) -رَحِمَه اللهُ تَعالَىٰ- قال:

هذا الحَدِيث المَسئول عنه ثابت في «صَحِيحي البُخَارِي ومُسْلم»، عَن النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**خَلقَ اللهُ آدَمَ عَلَىٰ صُورَته، طُولُه ستُّون ذِراعًا**»(١).

وفي بعض ألفاظ الحَدِيث: «إذا قاتل أحدُكم فلْيَتَّقِ الوَجْهَ، فإنَّ اللهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَىٰ صُورَته»(٢).

قال النَّووي: هذا من أحَادِيث الصِّفَات، ومَذْهب السَّلف أنَّه لا يُتكلَّم في معناه، بَل يقولون: يجب علينا أن نؤمن بها، ونعتقد لها مَعْنىٰ يليق بجلال الله تَعالَىٰ، مع اعتقادنا أن ليس كمثله شيء. انتهىٰ.

وقال بعض أهل التَّأويل: الضَّمير في قوله: «**صُورَته**» راجع إلىٰ آدم، وقال بعضهم: الضَّمير راجع عَلَىٰ صُورَة الرجل المضروب، وَرَد هذا التَّأويل بأنه إذا كان الضَّمير عائدًا عَلَىٰ آدم فأيُّ فائدة في ذلك؟! إذ ليس يشكُّ أحد أن الله خالق كل شيء عَلَىٰ صُورَته، وأنَّه خلق الأنعام والسِّباع عَلَىٰ صُوَرِها، فأيُّ فائدة في الحَمْل عَلَىٰ ذلك؟!

ورَد تأويله بأن الضَّمير عائد عَلَىٰ ابن آدم المضروب بأنه لا فائدة فيه؛ إذ الخَلْق عالمون بأن آدم خُلق عَلَىٰ خَلْق ولده، وأن وَجهه كوجوههم.

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

ويرد هذا التَّأويل كله بالرِّوَايَة المشهورة: «**لا تقبِّحوا الوَجْه، فإنَّ ابن آدم خلق عَلَىٰ صُورَة الرَّحْمن**»، وقد نص الإمَام أحْمَد عَلَىٰ صحة الحَدِيث، وإبطال هذه التَّأويلات، فقَال في رِوَايَة إسحاق بن منصور: «**لا تُقبِّحوا الوَجْه، فإنَّ اللهَ خَلَق آدَمَ عَلَىٰ صُورَته**» صَحِيح.

وقال في رِوَايَة أبي طالب: من قال: إنَّ اللهَ خَلَق آدَمَ عَلَىٰ صُورَة آدم؛ فهو جهمي، وأي صُورَة كانت لآدم قبل أن يخلقه؟!

وعن عَبْد الله ابن الإمَام أحْمَد، قَال: قال رجل لأبي: إن فلانًا يقول في حَدِيث رَسُول اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إنَّ اللهَ خلَق آدَمَ عَلَىٰ صُورَته**»، فقَال: عَلَىٰ صُورَة الرَّجُل، فقَال أبي: كَذَب، هذا قول الجَهْمِيَّة، وأيُّ فائدة في هذا؟!

وقال أحْمَد في رِوَايَة أخرىٰ: فأين الَّذي يُروىٰ: «**إنَّ اللهَ خَلَق آدَمَ عَلَىٰ صُورَة الرَّحْمن**»، وقيل لأحْمَد عَن رجل: إنه يقول: (عَلَىٰ صُورَة الطين)، فقَال: هذا جهمي، وهذا كلام الجَهْمِيَّة.

واللفظ الَّذي فيه: «**عَلَىٰ صُورَة الرَّحْمن**»، رَواهُ الدَّارَقُطْنِي، والطَّبَرانِي، وغيرهما بإسْنَاد رجاله ثقات، قاله ابن حجر، عَن ابن عمر، عَن النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأخرجها ابن أبي عاصم، عَن أبي هُرَيرةَ مرفوعًا، قال: «**مَن قاتل فَلْيَجْتَنِب الوَجْهَ، فإنَّ صُورَة وَجه الإنسان عَلَىٰ صُورَة وَجه الرَّحْمن**»، وصحَّح إسحاق بن راهويه اللفظَ الَّذي فيه: «**عَلَىٰ صُورَة الرَّحْمن**»، وأما أحْمَد فذكر أن بعض الرُّواة وقَفَه عَلَىٰ ابن عمر، وكلاهما حُجَّة.

ورویٰ ابن مَنده، عَن ابن راهويه قال: قد صحَّ عَن رَسُول اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّه

قال: «**إِنَّ آدمَ خُلق عَلَىٰ صُورَة الرَّحْمن**»، وإنما علينا أن ننطق به، قال القَاضي أبو يعلىٰ: والوَجْه فيه أَنَّه ليس في حمله عَلَىٰ ظاهره ما يزيل صِفَاته، ولا يخرجها عما تستحقُّه؛ لأننا نطلق تَسمية الصُّورة عليه، لا كالصور، كَمَا أطلقنا تسمية ذات ونَفْس لا كالذوات والأنفس.

وقد نص أحْمَد في رواية يعقوب بن بختان قال: «**خلق آدم عَلَىٰ صُورَته**» لا نفسره، كَمَا جاء الحَدِيث.

وقال الحُمَيدي لمَّا حدَّث بحديث: «إِنَّ اللهَ خَلَق آدَمَ عَلَىٰ صُورَته»، قال: لا نقول غير هذا عَلَىٰ التسليم والرضىٰ بما جاء به القرآن والحَدِيث، ولا نستوحش أن نقول كَمَا قال القرآنُ والحَدِيث.

وقال ابن قُتَيبَة: الَّذي عندي -والله أعلم- أن الصُّورة ليست بأعجبَ مِن اليدين، والأصابع، والعين، وإنما وقع الإلْفُ لمجيئها في القرآن، ووقعت الوَحشةُ من هذه؛ لأنَّها لم تأت في القرآن، ونحن نؤمن بالجميع، هذا كلام ابن قُتَيبَة، وقد ثبت في «الصَّحِيحين» قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فيأتيهم اللهُ في صُورَة غير الصُّورة التي يعرفون، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: نعوذ بالله منكَ، هذا مكاننا حتىٰ يأتينا ربنا، فإذا أتانا ربُّنا عرفناه، فيأتيهم اللهُ في الصُّورة التي يعرفون -وفي لفظ آخر: صُورَته التي يعرفون- فيقول: أنا ربُّكم، فيقولون: أنت ربُّنا، فيعرفونه**» الحَدِيثَ[1].

فالَّذي ينبغي في هذا ونحوه إمرارُ الحَدِيث كَمَا جاء عَلَىٰ الرِّضا والتسليم مع اعتقاد أنَّه ليس كمثله شيء، وهو السميع البصير، والله سُبْحانَه أعلم.

---

(١) سبق تخريجه.

انتهىٰ جواب الشَّيخ عَبْد الله بن عَبْد الرَّحْمن أبا بطين رحمه الله تَعالَىٰ، وهو مع اختصاره مفيدٌ جدًّا.

فليتأمله الَّذين فُتنوا بتأويل حَدِيث الصُّورة، وعَلقَت بقلوبِهم شُبهات أهل الكلام البَاطل، وأقوالهم المنحرفة في تأويل الحَدِيث بما يوافق أقوال الجَهْمِيَّة. وكان الواجب عليهم أن يقابلوا الحَدِيث بالرِّضا والتَّسليم، وأن يمِرُّوه كَمَا جاء من غير تأويل، مع اعتقاد أن الله ليس كمثله شيء لا في ذاته، ولا في صِفَاته، ولا في أفعاله. فهذه طريقة السَّلف الصَّالح من الصَّحابَة، والتَّابعين، وتابعيهم بإحسانٍ في هذا الحَدِيث، وفي غيره من آيات الصِّفَات، وأحَادِيث الصِّفَات.

ولقد أحسَن الرَّاجز حيث يقول:

وكُلُّ خَيرٍ في اتِّبَاع مَنْ سَلَف وكُلُّ شَرٍّ في ابْتِدَاعِ مَن خَلَف

وهَذا آخر ما تيَسَّر إيرادُه، والحمدُ لله ربِّ العالمين، وصلىٰ اللهُ وسلَّم عَلَىٰ نبينا مُحمَّد، وعلىٰ آلِه وأصحابِه، ومَن تَبِعهم بإحسانٍ إلىٰ يوم الدين.

وقد كان الفراغُ من كتابة هذا الكِتَاب في يوم الخَميس المُوافق لليَوم الرَّابع عشر من شهر رَبيع الثَّاني سنة ١٤٠٦هـ، عَلَىٰ يد كاتبه الفقير إلىٰ الله تَعالَىٰ/ **حِمُود بن عَبْد الله بن حِمُود التويجري**؛ غفر الله له ولوالديه وللمؤمنين والمؤمنات.

والحَمدُ لله الَّذي بنعمَتِه تتمُّ الصَّالحات



تحفة الإخوان

بما جاء في الموالاة والمعاداة

والحب والبغض والهجران

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحَمد لله الَّذي مَنَّ عَلَىٰ أوليائه بالتَّأييد وَالإسعَاد، وقَضَىٰ عَلَىٰ أعدائه بالخِذلَان والإبعَاد، ونَهَىٰ عبادَه عن التَّقرُّب إلَيهم بالموَالاة والودَاد، وشدَّد في ذَلكَ، وأبدَىٰ فيه وأَعَاد، أحمده تَعَالىٰ عَلَىٰ نعمه الَّتي لا يحصىٰ لها تعدادٌ، وأَشكره وكلَّما شكرَ زادَ. وأشهَد أن لَا إلَهَ إلَّا الله وَحده لَا شريكَ لَه شَهادةً أَدَّخرها ليوم التَّناد.

وأشهَد أنَّ محمَّدًا عبده ورسوله صفوة العبَاد، أَرسله الله رحمةً للعَالَمين وحجَّةً عَلَىٰ أَهل الشِّقاق والعنَاد، فبلَّغ الرِّسَالة، وأدَّىٰ الأَمَانة، وَنَصح الأمَّة، وبَالَغ في البَيَان والإرشَاد، اللَّهمَّ صلِّ عَلَىٰ عبدكَ ورَسولك محمَّدٍ، وَعَلَىٰ آله وأصحابه البَرَرة الأَمجَاد، الَّذينَ جَاهَدوا في الله حقَّ الجهَاد، وَصَارَموا أعدَاء الله وَجَالَدوهم غَايَةَ الجلَاد، حَتَّىٰ مَلأَ الإسلَام مَشَارق الأَرض ومَغَاربها، ربَاها والوهَاد، وَعَلَىٰ مَن تبعهم بإحسانٍ من حاضرٍ وبادٍ، وَسلِّم تَسليمًا كثيرًا.

❑ **أمَّا بَعد:**

فهَذه نُبذةٌ وجيزةٌ في بَيَان تَحريم مَوالاة أعدَاء الله من المرتدِّين والمنَافقين، واليَهود والنَّصَارىٰ والمَجوس، وغَيرهم من أصنَاف المشركين، والتَّحذير من موادَّتهم وتَعظيمهم، وَبَدَاءتهم بالسَّلام، وتَقديمهم في المَجَالس، وغَير ذَلكَ ممَّا فيه تعظيمٌ لهـم، بالقَول أَو بالفعل.

دَعَاني إلَىٰ جمَعها ما وَقَع فيه كَثيرٌ من المسلمين في زَمَاننا من تَعظيم أعداء الله تَعَالىٰ، ومَوادَّتهم، واتِّباع سنَنهم حَذو النَّعل بالنَّعل، والمَقصود من ذَلكَ النَّصيحة للمسلمين، وتَحذيرهم من سوء عَاقبَة التَّذلُّل لأعدَاء الله تَعَالىٰ، وموَالاتهم، وموادَّتهم.

والله المَسئول أن يصلحَ حَالي وأحوَال المسلمين، وأن يوفِّقنا جميعًا لمَا يحبُّ ويَرضىٰ من الأقوَال والأَعمَال، وأن يجنِّبنا طريقَ أَهل الغيِّ والضَّلال، إنَّه قريبٌ مجيبٌ.

فصل

وقَد نَهَىٰ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَن موَالاة أعدائه في مَوَاضعَ كَثيرَةٍ من القرآن، وأخبر أنَّ موَالَاتِهم تنَافي الإيمانَ بالله، وكتبه، ورسله، واليَوم الآخر، وأنَّها سببٌ للفتنَة والفَسَاد في الأَرض، وأنَّ مَن وَالَاهم ووَادَّهم فليسَ من الله في شيءٍ، وأَنَّه من الظَّالمين الضَّالِّين عن سَوَاء السَّبيل، وأنَّه مستوجبٌ لسخط الله، وَأَليم عقابه في الآخرَة، وَالآيَات في هَذَا كثيرةٌ.

الأولَىٰ منهَا: قَول الله تَعالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ﴾ إلَىٰ قَوله تَعالَىٰ: ﴿تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ ۚ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ [الممتحنة: ١].

ثمَّ حثَّ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عبادَه المؤمنين عَلَىٰ متَابعة خليله إبرَاهيم، والتَّأَسِّي به وبمَن آمنَ مَعَه في مصَارَمتهم لأعدَاء الله تعَالَىٰ، والتَّبرِّي منهم وممَّا يَعبدون من دون الله تعَالَىٰ، وإظهَار العَدَاوة لهم، والبَغضاء، ما دَاموا عَلَىٰ الكفر بالله، فَقَالَ الله تعَالَىٰ: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة: ٤].

ومَن لَم يَتأسَّ بإبرَاهيمَ الخَليل عَلَيهِ الصَّلاةُ وَالسَّلَامُ في مصَارمة أعدَاء الله تَعالَىٰ، وإظهَار العَدَاوة والبَغضاء لهم، فلَه مِن سَفَهِ النَّفس بقَدر ما تركَ من ملَّة إبرَاهيم الخَليل، كَمَا قَالَ تَعالَىٰ: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾ [البقرة: ١٣٠].

الآية الثَّانية: قَوله تَعالَىٰ: ﴿إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَـٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ وَظَـٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾ [الممتحنة: ٩].

الآية الثَّالثَة: قَوله تَعالَىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا۟ مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلْقُبُورِ﴾ [الممتحنة: ١٣].

الآية الرَّابعة: قَوله تَعالَىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ [المائدة: ٥١].

ثم حَذَّر تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ من موَالَاتهم بأَبلَغ التَّحذير، وتَوعَّد عَلَىٰ ذَلكَ بأشدِّ الوَعيد، فَقَالَ تَعالَىٰ: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١]، قَالَ بَعض المفسِّرين: فيه زجرٌ شديدٌ عن إظهَار صورَة الموَالاة لهم، وإن لَم تكن موَالاة في الحَقيقَة.

قلت: وأَقلُّ الأَحوَال في هَذه الآية أَنَّها تَقضي تَحريم موَالَاة أَعدَاء الله تَعالَىٰ، وإن كَانَ ظَاهرهَا يَقتضي كفر مَن تولَّاهم، ولهَذَا روي عن حذَيفة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أَنَّه قَالَ: ليتَّق أَحدكم أن يَكونَ يَهوديًّا أو نصرانيًّا وهوَ لا يَشعر، وَتلَا هَذه الآية(١).

وَرَوَىٰ ابن أَبي حاتمٍ عَن محمَّد بن سيرينَ قَالَ: قَالَ عَبد الله بن عتبة: لَيتَّق أحدكم أن يَكون يهوديًّا أو نصرانيًّا وهو لا يَشعر(٢).

قَالَ: فَظنَّناه يريد هَذه الآيةَ.

(١) «الدر المنثور» (٣/ ١٠٠).

(٢) «تفسير ابن أبي حاتم» (٤/ ١١٥٦) (٦٥٠٨).

ورَوَىٰ الإمَام أَحمَد بإسنادٍ صحيحٍ عَن أَبي موسَىٰ الأشعريِّ رَضِيَٱللَّهُعَنهُ قَالَ: قلت لعمَرَ رَضِيَٱللَّهُعَنهُ: إنَّ لي كاتبًا نصرانيًّا، قَالَ: مَا لَكَ قَاتَلَك الله! أمَا سَمعتَ اللهَ يَقول: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ [المائدة: ٥١]، أَلَا اتَّخذتَ حنيفًا؟! قَالَ: قلت: يَا أَميرَ المؤمنينَ، لي كتابته، وَله دِينه. قَالَ: لا أُكرمهم إذ أَهَانَهم الله، وَلَا أعزِّهم إذ أَذلَّهم الله، وَلَا أُدنِيهم إذ أَقصَاهم الله[١].

وَوَرَد عَلَىٰ عمرَ رَضِيَٱللَّهُعَنهُ كتابُ معَاوِيةَ بن أَبي سفيان رَضِيَٱللَّهُعَنهُ: أمَّا بعد؛ يا أميرَ المؤمنين، فإنَّ في عَملي كاتبًا نصرانيًّا، لا يتمُّ أمر الخَرَاج إلَّا به، فكَرهتُ أن أقلِّدَه دون أَمْرِك. فكَتب إلَيه: عَافَانا الله وإيَّاك، قرأتُ كتَابَك في أَمر النَّصرانيِّ، أمَّا بَعد: فإنَّ النَّصرانيَّ قَد ماتَ، والسَّلام[٢]. يَعني يقدر مَوت هَذَا النَّصرانيِّ، فما كَانَ معَاوية صانعًا بَعد موته فَليَصنَعْه الآنَ، وهَذَا أمرٌ من عمرَ رَضِيَٱللَّهُعَنهُ لمعَاويةَ رَضِيَٱللَّهُعَنهُ بإبعَاد النَّصرانيِّ، وتَولية غَيره من المسلمين مَكَانه من غَير مرَاجعةٍ وإخبارٍ لَه بأَنَّ المسلمينَ في غنيةٍ عن أَعدَاء الله، ولَو كَانوا في الحِذْق والضَّبط ما كَانوا.

وَفي قَول عمرَ رَضِيَٱللَّهُعَنهُ دَليلٌ عَلَىٰ أَنَّه لا يَجوز للمسلمينَ أَن يولُّوا في أعمَالهم أحدًا من أَعدَاء الله تَعالَىٰ؛ لأنَّ في ذَلكَ إكرامًا لهم، وإعزازًا وإدنَاءً، وهوَ خلاف ما شَرَعه الله من إهَانَتهم، وإذلَالهم، وإقصَائهم.

---

(١) عزاه الإمام ابن القيم رَحِمَهُٱللَّهُ في «أحكام أهل الذمة» (١/ ٤٥٤) لعبد الله بن أحمد عن أبيه، ولم أقف عليه في «المسند»، ولكن أخرجه بنحوه البيهقي في «الكبرىٰ» (١٠/ ٢١٦) (٢٠٤٠٩)، وفي «شعب الإيمان» (١٢/ ١٧) (٨٩٣٩)، وصححه الألباني في «الإرواء» (٨/ ٣٧٨).

(٢) انظر: «أحكام أهل الذمة» لابن قيم (١/ ٤٥٥).

ثمَّ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ﴾ [المائدة: ٥٢].

قَالَ ابن كثيرٍ رحمه الله تَعالَىٰ: ﴿ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾، أي: شكٌّ، وريبٌ، ونفاقٌ ﴿يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ﴾، أي: يبادرون في موالاتهم ومودَّتهم في الباطن والظَّاهر ﴿يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ﴾، أي: يَتأوَّلونَ في مودَّتهم وموالاتهم أنَّهم يَخشَون أن يقعَ أمرٌ من ظَفَر الكفَّار بالمسلمين، فتكون لهم أيادٍ عندَ اليَهود والنَّصارىٰ، فينفعهم ذلكَ عندَ ذلكَ، قَالَ الله تَعالَىٰ: ﴿فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِيٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ ﴾ [المائدة: ٥٢].

الآيَة الخَامسَة: قَوله تَعالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [المائدة: ٥٧]، وهَذَا نهيٌ من الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عَن موَالَاة أعدائه من أَهل الكتَابَين، وغَيرهم من سَائر الكفَّار، وإخبارًا منه تَعالَىٰ بأَنَّ موَالَاتهم تنافي الإيمَانَ، ولهَذَا قَالَ تَعالَىٰ: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾.

قَالَ أَبو جَعفر بن جَرير في تَفسير هَذه الآيَة: لَا تَتَّخذوهم -أَيُّها المؤمنون- أنصارًا وإخوانًا وحلَفاء، فإنَّهم لَا يَألونكم خبالًا، وإن أَظهروا لكم مودَّةً وَصَداقةً. اهـ(١).

الآيَة السَّادسَة: قَوله تَعالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴾ [النساء: ١٤٤].

---

(١) «تفسير الطبري» (٨/ ٥٣٣).

قَالَ ابن كثيرٍ -رَحمَه الله تعَالَىٰ- في «تَفسيره»(١): يَنهىٰ الله تَعَالَىٰ عبادَه المؤمنين عن اتِّخاذ الكَافرينَ أَوليَاء من دون المؤمنين، يَعني مصَاحَبتهم، ومصَادقتهم، ومنَاصحَتهم، وإسرَار المَودَّة إلَيهم، وإفشَاء أحوَال المؤمنين البَاطنَة إلَيهم، وقَوله: ﴿أَتُرِيدُونَ أَن تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ عَلَيۡكُمۡ سُلۡطَٰنٗا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١٤٤]، أي: حجَّة عَليكم في عقوبته إيَّاكم. اهـ.

وَقَالَ أَبو جَعفر بن جَرير يَقول: لَا تَعرَّضوا لغَضَب الله بإيجَابكم الحجَّة عَلَىٰ أَنفسكم في تَقدُّمكم عَلَىٰ ما نَهَاكم ربُّكم من موَالَاة أعدائه، وأَهل الكفر به. اهـ(٢).

الآيَة السَّابعَة: قَوله تعَالَىٰ: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَلَيۡسَ مِنَ ٱللَّهِ فِي شَيۡءٍ﴾ [آل عمران: ٢٨]، وهَذَا زجرٌ بليغٌ، وتَهديدٌ شديدٌ عَن موَالَاة أَعدَاء الله تَعَالَىٰ ومَوادَّتهم، فيَنبغي للمسلم أن يحذَرَ أَشدَّ الحَذَر من أن يَكونَ من الَّذينَ يَحسبون أَنَّهم عَلَىٰ شيءٍ، وهوَ من الخَاسرينَ الَّذينَ لَيسوا من الله في شَيءٍ، عيَاذًا بالله من موجبَات غَضَبه، وَأَليم عقابه.

قَالَ المُنَاويُّ في «شَرح الجَامع الصَّغير»(٣): الإقبال عَلَىٰ عدوِّ الله وموَالاته توجب إعرَاضه عن الله، ومَن أعرَض عنه تَولَّاه الشَّيطان، ونَقَله إلَىٰ الكفر. اهـ.

قَالَ الزَّمَخشريُّ: وهَذَا أمرٌ معقولٌ، فإنَّ موَالَاة الوليِّ، وموَالَاة عدوِّه متنَافيَان. اهـ.

---

(١) (٢/ ٣٩٠).

(٢) «تفسير الطبري» (٧/ ٦١٨).

(٣) (٢/ ٤١٢).

ولقَد أحسنَ العَلَّامة ابن القيِّم -رَحمَه الله تَعَالَىٰ- حَيث في «الكَافية الشَّافية»(١) يَقول:

أتحبُّ أَعدَاءَ الحبيب وتَدَّعي ... حبًّا لـه ما ذَاكَ في إمكَان

وَكَذا تعَادي جَاهدًا أحبَابه ... أين المحبَّة يا أَخَا الشَّيطان

وقَالَ يزيد بن الحَكَم الثَّقفي:

تودُّ عَدوِّي ثمَّ تَزعم أنَّني ... صَديقك ليسَ الفعل منكَ بمستوي

وقَالَ غيره:

تودُّ عَدوِّي ثمَّ تزعم أنَّني ... صَديقك لَيسَ النُّوك(٢) عنكَ بعازب

ثمَّ قَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنۡهُمۡ تُقَىٰةٗ﴾ [آل عمران: ٢٨].

قَالَ البغويُّ -رَحمَه الله تَعَالَىٰ- في تَفسيره مَعنىٰ الآيَة: أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ نَهَىٰ المؤمنين عن موَالَاة الكفَّار، ومدَاهَنتهم ومبَاطنتهم، إلَّا أن يَكونَ الكفَّار غَالبين ظَاهرين، أو يَكون المؤمن في قَومٍ كفَّار يَخَافهم فيدَاريهم باللِّسان، وقَلبه مطمئنٌّ بالإيمَان، دَفعًا عن نَفسه من غير أن يَستحلَّ دمًا حرامًا، أو مالًا حرامًا، أو يظهر الكفَّارَ عَلَىٰ عَورة المسلمين.

والتَّقيَّة لا تكون إلَّا مع خَوف القَتل، وَسَلَامة النِّيَّة، قَالَ الله تَعَالَىٰ: ﴿إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ [النحل: ١٠٦]. ثمَّ هَذه رخصةٌ، فلَو صَبَر حَتَّىٰ قتل فلَه أجرٌ عظيمٌ. اهـ(٣).

---

(١) (١/ ٢٢١).

(٢) النوك: بضم النون وفتحها، وهو الحمق.

(٣) «تفسير البغوي» (٢/ ٢٦).

وَرَوَىٰ أبو نعيم في «الحليَة»(١) عَن عليِّ بن الحسَين زين العَابدين أَنَّه قيلَ لَه: ما التُّقاة؟ قَالَ: أن يخافَ جبَّارًا عنيدًا أن يفرطَ عَليه، أو أَن يَطغىٰ.

وقَالَ ابن القيِّم رحمه الله تَعالَىٰ: «مَعلومٌ أَنَّ التُّقاةَ لَيست بموَالَاةٍ، وَلَكن لمَّا نَهَاهم عَن موَالَاة الكفَّار، اقتضَىٰ ذَلكَ معَاداتهم، والبَرَاءة منهم، ومجَاهَرتهم بالعدوان في كلِّ حالٍ إلَّا إذا خَافوا من شَرِّهم، فأَبَاح لهم التَّقيَّة، ولَيسَت التَّقيَّة موَالَاةً لهم» اهـ(٢).

وقَوله: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ [آل عمران: ٢٨]، أي: يخوِّفكم الله عقوبته عَلَىٰ موَالَاة أعدائه، وَارتكَاب نَهيه، ومخَالَفة أَمره.

قَالَ أَبو جَعفر بن جَريرٍ: يَعني بذَلكَ مَتَىٰ صرتم إلَيه، وقَد خَالفتم ما أَمَركم به، وأَتيتم ما نَهَاكم عنه من اتِّخاذ الكَافرينَ أَوليَاء من دون المؤمنين، نَالكم من عقَاب ربِّكم ما لَا قبَلَ لكم به، يَقول: فَاتَّقوه وَاحذَروه أن يَنالكم ذَلكَ منه، فإنَّه شديد العقَاب. اهـ(٣).

الآيَة الثَّامنَة: قَوله تَعالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّواْ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَٰنِۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [التوبة: ٢٣].

وهَذَا أمرٌ من الله تَعَالَىٰ بمصَارمة أعدائه ولَو كانوا أقرَب قَريبٍ؛ كالآبَاء، والأبنَاء، والإخوَان، والعَشيرَة، وفي النَّصِّ عَلَىٰ الأَقَارب دليلٌ عَلَىٰ أَنَّ مصَارمةَ مَن

---

(١) (٣/ ١٤٠).

(٢) «بدائع الفوائد» (٣/ ٦٩).

(٣) «تفسير الطبري» (٥/ ٣٢٠).

سوَاهم من الكفَّار مَطلوبةٌ بطَريق الأَولىٰ والأَحرَىٰ.

الآيَة التَّاسعَة: قَوله تَعَالَىٰ: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة: ٢٢].

قَالَ البغويُّ رحمه الله تَعالَىٰ: أخبَر أنَّ إيمانَ المؤمنين يَفسد بموادَّة الكفَّار، وأنَّ مَن كَانَ مؤمنًا لا يوَالي مَن كفَر وإن كَانَ من عشيرته. اهـ[1].

وقَالَ شَيخ الإسلَام أبو العبَّاس ابن تَيمية رحمه الله تَعالَىٰ: أخبَر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أنَّه لا يوجَد مؤمنٌ يوادُّ كَافرًا، فمَن وادَّ الكفَّارَ، فليسَ بمؤمنٍ. اهـ[2].

ثمَّ أثنىٰ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ علَىٰ الَّذينَ يصَارمون أَعدَاءه، ويَتقرَّبون إليه ببغضهم، ومبَاينتهم، وأثبتَ لَهم الإيمانَ والتَّأييدَ منه، ووَعَدهم الثَّواب الجزيل في الدَّار الآخرَة مَع الرِّضا عَنهم، فقَالَ تَعالَىٰ: ﴿أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ ۚ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢].

وقَد أورَدَ ابن كثيرٍ عندَ تَفسير هَذه الآية ما رَواه نعَيم بن حَمَّاد، حَدَّثنا محمَّد بن ثورٍ، عَن يونس عن الحَسَن، قَالَ: قَالَ رَسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللَّهمَّ لا تَجعل لفاجرٍ، وَلَا لفاسقٍ عندي يدًا، وَلَا نعمة فيَودَّه قَلبي، فإنِّي وجدت فيما أوحيتَه إليَّ: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا

---

(١) «تفسير البغوي» (٨/ ٦٢).

(٢) «اقتضاء الصراط المستقيم» (١/ ٥٥١).

يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾»(١).

الآيَة العَاشرَة: قوله تعَالَىٰ: ﴿ تَرَىٰ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ يَتَوَلَّوۡنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ لَبِئۡسَ مَا قَدَّمَتۡ لَهُمۡ أَنفُسُهُمۡ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَفِي ٱلۡعَذَابِ هُمۡ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوۡ كَانُواْ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِيِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمۡ أَوۡلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ﴾ [المائدة: ٨٠، ٨١]:

وهَذَا إخبارٌ من الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ بأَنَّ موَالَاة الكفَّار تنَافي الإيمانَ بالله، ورَسوله، وكتابه، وتوجب سَخَط الله، وَأليمَ عقابه، وفي هَذَا أبلغ زَجرٍ وتَحذيرٍ من موَالاتهم وموادَّتهم.

قَالَ شَيخ الإسلَام أَبو العَبَّاس ابن تَيمية رحمه الله تَعالَىٰ: بَيَّن سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ أَنَّ الإيمَانَ بالله، والنَّبيِّ، وما أنزلَ إليه، مستلزمٌ لعَدَم ولَايتهم، فثبوت ولَايتهم يوجب عَدَم الإيمَان؛ لأنَّ عَدمَ اللَّازم يَقتضي عَدَم المَلزوم. اهـ(٢).

الآيَة الحَادية عَشرة: قَوله تَعالَىٰ: ﴿ بَشِّرِ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ أَيَبۡتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلۡعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلۡعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعٗا ﴾ [النساء: ١٣٨، ١٣٩].

وَرَوَىٰ عَبد الله ابن الإمَام أَحمد في زَوَائد «الزُّهد»(٣) عَن سَعيد بن المسيَّب، قَالَ: سَمعت عمَر بن الخطَّاب رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ يَقول: سَمعت رَسولَ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٨/ ٨٥).

(٢) «اقتضاء الصراط المستقيم» (١/ ٥٥٠).

(٣) (١/ ٣١٦) (٢٣٠٨).

يَقول: «مَن اعتَزَّ بالعَبد، أذلَّه الله».

الآيَة الثَّانية عَشرة: قَوله تَعَالَىٰ: ﴿وَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا۟ فَتَكُونُونَ سَوَآءً ۖ فَلَا تَتَّخِذُوا۟ مِنْهُمْ أَوْلِيَآءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ۖ وَلَا تَتَّخِذُوا۟ مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [النساء: ٨٩].

الآيَة الثَّالثة عَشرة: قَوله تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ [الأنفال: ٧٢]، إلَىٰ قَوله تعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ [الأنفال: ٧٣].

قَالَ البَغويُّ: قَالَ ابن إسحَاق: جَعَل الله المهَاجرينَ والأنصَار أَهل ولَاية في الدِّين دون مَن سوَاهم، وَجَعل الكَافرينَ بَعضهم أوليَاء بَعضٍ، ثم قَالَ: ﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ﴾، وهوَ أن يَتولَّىٰ المؤمن الكَافرَ دونَ المؤمن: ﴿تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾، فَالفتنة في الأَرض قوَّة الكفر، والفَسَاد الكَبير ضَعف الإسلَام. اهـ[(١)].

وَقَالَ ابن كثيرٍ: أي إن لَم تجَانبوا المشركينَ، وتوَالوا المؤمنين، وإلَّا وَقَعت فتنةٌ في النَّاس، وهوَ التبَاس الأَمر، وَاختلَاط المؤمنين بالكَافرين، فَيقَع بَين النَّاس فسادٌ منتشرٌ عريضٌ طويلٌ. اهـ[(٢)].

الآيَة الرَّابعَة عَشرة: قَوله تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ [هود: ١١٣]، وهَذَا نَهيٌ من الله تبَارَكَ وَتعَالَىٰ

---

(١) «تفسير البغوي» (٣/ ٣٨٠).

(٢) «تفسير ابن كثير» (٤/ ٨٧).

عَن الرُّكون إلَىٰ الظَّالمين من الكفَّار والمنافقين والفسَّاق والفجَّار، وإخبارٌ منه تَعَالَىٰ بأَنَّ الرُّكون إلَيهم موجبٌ للعَذَاب في الدَّار الآخرَة.

قَالَ الجَوهريُّ والهَرَويُّ وغَيرهما من أَهل اللُّغَة: الرُّكون السُّكون إلَىٰ الشَّيء، والمَيل إلَيه.

وقَالَ البَغَويُّ: هو المحبَّة والمَيل بالقَلب.

قَالَ ابن عبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: لا تَميلوا إلَىٰ الَّذينَ ظَلَموا.

وَعَنه: هوَ الرُّكون إلَىٰ الشِّرك.

وعَنه: لا تدَاهنوا.

وقَالَ السُّديُّ: لا تدَاهنوا الظَّلَمَة. وقَالَ أَبو العَاليَة: لا تَرضوا بأَعمَالهم. وعَن عكرمةَ: هوَ أَن تطيعوهم، أَو تَودُّوهم، أَو تَصطَنعوهم. قَالَ بَعض العلَماء: مَعنىٰ تَصطَنعوهم تَولُّوهم الأَعمَال كمَن يولِّي الفسَّاق والفجَّار.

وَقَالَ ابن الأَثير: الاصطناع افتعالٌ من الصَّنيعة، وَهي العطيَّة والكَرَامة والإحسَان. وقَالَ الزَّمخشريُّ: النَّهي متَناولٌ للانخرَاط في هَوَاهم، والانقطَاع إلَيهم، ومصَاحبتهم، والرِّضا بأَعمَالهم، والنِّسبة إليهم، والتَّزييِّ بزيِّهم. قَالَ بَعض العلَماء: وكذَلكَ مجَالستهم، وَزيَارَتهم، ومدَاهنتهم، ومدلِّين إلَىٰ زَهرتهم وذكرهم بما فيه تَعظيمٌ لهم.

الآيَة الخَامسَة عَشرة: قَوله تَعالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ﴾ [آل عمران: ١١٨]، قَالَ الجوهريُّ: بطانة الرَّجل وَليجته.

وقَالَ ابن الأثير: بطانة الرَّجل صاحب سرِّه، وَدَاخلة أمره الَّذي يشَاوره في أحواله.

وقَالَ البغويُّ في قَوله تَعَالَىٰ: ﴿لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ﴾: أي: أوليَاء وأصفيَاء من غير أَهل ملَّتكم، وبطَانَة الرَّجل خَاصَّته تشبيهًا ببطَانَة الثَّوب الَّتي تَلي بَطنه؛ لأنَّهم يَستبطنون أَمره، ويَطَّلعون منه عَلَىٰ ما لا يَطَّلع عليه غَيرهم، ثمَّ بَيَّن العلَّة في النَّهي عن مبَاطنتهم، فَقَالَ جلَّ ذكره: ﴿لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا﴾، أي: لا يقصِّرون، ولا يَتركون جهدهم فيما يورثكم الشَّرَّ والفسادَ. اهـ[١].

وقَالَ القرطبيُّ في «تَفسيره»[٢]: نَهَىٰ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ المؤمنين بهذه الآية أَن يَتَّخذوا من الكَافرينَ، واليَهود، وأَهل الأَهوَاء دخَلاء ووَلَائج يفَاوضونهم في الآرَاء، ويسندون إلَيهم أمورهم.

وَرَوَىٰ ابن أَبي حَاتمٍ عن أَبي الدُّهقَانة قَالَ: قيلَ لعمَر بن الخطَّاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إنَّ هَاهنا غلامًا من أَهل الحَيرة حافظًا كاتبًا، فَلَو اتَّخذته كاتبًا، فقَالَ: قَد اتَّخَذت -إذًا- بطانةً من دون المؤمنين[٣].

قَالَ ابن كثيرٍ رحمه الله تعالَىٰ: فَفي هَذَا الأثَر مَعَ هَذه الآية دَليلٌ عَلَىٰ أَنَّ أَهلَ الذِّمَّة لا يَجوز استعمَالهم في الكتَابة الَّتي فيها استطالَةٌ عَلَىٰ المسلمين، واطِّلاعٌ عَلَىٰ دَوَاخل أمورهم الَّتي يخشَىٰ أن يفشوها إلَىٰ الأَعدَاء من أَهل الحَرب[٤].

---

(١) «تفسير البغوي» (١/ ٩٥).

(٢) (٤/ ١٧٨).

(٣) «تفسير ابن أبي حاتم» (٣/ ٧٤٣).

(٤) «تفسير ابن كثير» (٢/ ٩٢).

الآيَة السَّادسَة عَشرة: قَوله تَعَالَىٰ: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا۟ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[التوبة: ١٦]:

قَالَ الجَوهريُّ وغَيره من أَهل اللُّغَة: وليجة الرَّجل خَاصَّته وبطانته. وقَالَ البغويُّ: وَليجةٌ: بطانةٌ وأَوليَاء يوَالونهم، ويفشون إليهم أسرَارهم، قَالَ: وقَالَ أَبو عبَيدة: كلُّ شيءٍ أدخلتَه في شيءٍ ليسَ منه، فهوَ وليجةٌ، والرَّجل يَكون في القَوم وليسَ منهم وليجةٌ، فَوَليجة الرَّجل مَن يختصُّ بدَخيلَة أَمره دون النَّاس، يقَال: هو وَليجَتي، وهم وَليجَتي للوَاحد والجَمع. وقَالَ الرَّاغب الأصفهانيُّ: الوَليجة كلُّ ما يَتَّخذه الإنسان معتمدًا عَلَيه، وليسَ من أهله، من قَولهم: فلانٌ وليجةٌ في القَوم إذَا لَحقَ بهم، وليسَ منهم، إنسانًا كَانَ أو غَيره. قَالَ: ﴿وَلَمْ يَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً﴾، وذَلكَ مثلَ قَوله: ﴿لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ﴾.

فصل

إذَا علمَ تَحريم موَالَاة أَعدَاء الله تَعَالَىٰ، ومواَدَّتهم، فَليعلم أيضًا أَنَّ الأسبابَ الجَالبَة لموَالاتهم وموادَّتهم كثيرةٌ جدًّا، ومن أقربها وَسيلةً مسَاكنتهم في الدِّيار، ولا سيَّما في ديَارهم الخَاصَّة بهم، ومخَالَطتهم في الأعمَال، ومجَالَستهم في المَجَالس، ومصَاحبتهم، وزيَارَتهم وَاستزَارَتهم، وتَولِّي أعمَالهم، وتَوليتهم في أعمَال المسلمينَ، والتَّزيِّي بزيِّهم، والتَّأَدُّب بآدَابهم، وتَعظيمهم بالقَول أَو بالفعل.

وكثيرٌ من المسلمين وَاقعونَ في بَعض هَذه الأفعَال الذَّميمَة، وبَعضهم وَاقعٌ في كَثيرٍ منها، فَلا حَولَ، وَلَا قوَّة إلَّا بالله العليِّ العَظيم.

وَكَمَا أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قَد كرَّر النَّهي لعباده المؤمنين عن موَالَاة أعدائه، وشَدَّد عَلَيهم في ذَلِكَ، وحَذَّرهم ممَّا يَترتَّب عَلَىٰ موَالاتهم من الفتنة والفَسَاد في الأَرض، وَسَخط الله، وَأَليم عقابه في الدَّار الآخرَة، فقَد أَمَر تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ مَعَ ذَلكَ بالغلظَة عَلَىٰ أعدائه، والشِّدَّة عَلَيهم، ومعَاملتهم بمَا فيه إذلالٌ لهم، وتَصغيرٌ وتَحقيرٌ لشَأنهم، وكلُّ ذَلكَ بضدِّ موَالاتهم وموادَّتهم، قَالَ الله تَعالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ٧٣].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا۟ فِيكُمْ غِلْظَةً﴾ [التوبة: ١٢٣].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾ [التوبة: ٢٩].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ إلَىٰ قَوله تعَالَىٰ: ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾ [الفتح: ٢٩].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [التوبة: ١٢٠].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤].

فصل

وقَد وَرَدت أحاديث كثيرةٌ بالنَّهي عمَّا فيه تعظيمٌ لأَعداء الله تَعَالَىٰ، ولَو بأَدنىٰ شيءٍ من التَّعظيم، والمَقصود من ذَلكَ -والله أعلَم- سدُّ الذَّريعَة إلَىٰ موَالاتهم ومَوادَّتهم، فَمن ذَلكَ بَدَاءتهم بالسَّلَام، ومصَافَحتهم، والتَّرحيب بهم، وَالقيَام لهم، وتَصديرهم في المَجَالس، والتَّوسيع لهم في الطَّريق؛ لمَا في الحَديث الصَّحيح عَن أَبي هرَيرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رَسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**لا تَبدءوا اليَهودَ والنَّصارىٰ بالسَّلام، فإذَا لَقيتم أَحَدَهم في طَرِيقٍ، فَاضطرُّوه إلَىٰ أضيَقه**»، رَوَاه الإمام أَحمَد، ومسلمٌ، وَأَبو دَاود، والتِّرمذيُّ، والبخاريُّ في «الأَدَب المفرد»[١]، وقَالَ التِّرمذيُّ: هَذَا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ، وَرَوَاه أبو دَاود الطَّيالسيُّ في «مسنده»[٢] بنحوه.

وفي روايةٍ للبخاريِّ في «الأَدَب المفرد»[٣]: «**إذَا لَقيتم المشركينَ في الطَّريق، فَلَا تَبدءوهم بالسَّلام، وَاضطرُّوهم إلَىٰ أضيَقها**»، وَرَوَاه الإمام أَحمد في «مسنده»[٤] بنحوه.

وفي «المسند» أيضًا عن عقبة بن عَامرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إنِّي راكبٌ غدًا إلَىٰ يَهود، فَلَا تَبدءوهم بالسَّلام، فإذَا سَلَّموا عَليكم،**

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٢٦٦) (٧٦٠٦)، ومسلم (٢١٦٧)، أبو داود (٥٢٠٥)، والترمذي (٢٧٠٠)، والبخاري في «الأدب المفرد» (١/ ٣٨٠) (١١١١).

(٢) (٤/ ١٧٢) (٢٥٤٦).

(٣) (١/ ٣٨٠) (١١١١).

(٤) (٢/ ٥٢٥) (١٠٨١٠)، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح علىٰ شرط مسلم رجاله ثقات رجال الشيخين غير سهيل بن أبي صالح فمن رجال مسلم.

فَقولوا: وَعَليكم»[١]، ورَوَاه ابن مَاجه في «سنَنه»[٢] عَن أَبي عَبد الرَّحمن الجهنيِّ رَضِيَٱللَّهُعَنهُ، عَن النَّبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيهِوَسَلَّمَ بمثله، وقَد قيلَ: إنَّ أبَا عَبد الرَّحمن هَذَا هو عقبة بن عامرٍ.

قَالَ الحافظ ابن حَجَرٍ: قرأتُ بخطِّ الحَافظ عمَاد الدِّين ابن كثيرٍ أَنَّه قيلَ: هوَ عقبة بن عامرٍ الصَّحابيُّ المَشهور.

وقد يَكون غَيره، فقَد ذَكَر ابن عَبد البَر في كنية عقبة بن عامرٍ ثَمَانية أقوَال، ولَم يَذكر فيها أبَا عَبد الرَّحمن. وَذكَر النَّوويُّ فيها تسعةَ أقوَالٍ، ولَم يَذكر فيها أبَا عَبد الرَّحمن، والله أَعلَم.

وَرَوَىٰ الإمام أَحمَد، والبخاريُّ في «الأَدَب المفرد»، والنَّسائيُّ، والحافظ الضِّياءُ في «المختارة»، عَن أَبي بَصرة الغفاريِّ رَضِيَٱللَّهُعَنهُ، عَن النَّبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيهِوَسَلَّمَ؛ مثل حَديث عقبة[٣].

وَرَوَىٰ أبو نعَيم في «الحليَة»[٤]، عَن عليٍّ رَضِيَٱللَّهُعَنهُ قَالَ: سَمعتُ رَسولَ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيهِوَسَلَّمَ يَقول: «**لا تسَاووهم في المَجلس، وألجئوهم إلَىٰ أضيَق الطُّرق، فإنْ سَبُّوكم فَاضربوهم، وإن ضَرَبوكم فَاقتلوهم**».

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ١٤٣) (١٧٣٣٤)، وقال شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح.

(٢) (٣٦٩٩)، وصححه الألباني.

(٣) أخرجه أحمد (٦/ ٣٩٨) (٢٧٢٧٩)، والبخاري في «الأدب المفرد» (١١٠٢)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٤٦٤).

(٤) (٤/ ١٣٩)، وفيه حكيم بن حزام الأزدي وهو متروك الحديث.

وفي روايةٍ قَالَ: سَمعت رَسولَ الله صَلَّٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ يقول: «صَغِّروا بهم كَمَا صَغَّرَ اللهُ بهم»(١).

قَالَ أَبو دَاود: قلت لأَبي عَبد الله (يَعني: أحمَد بن حَنبل): تَكره أن يقَالَ للرَّجل الذِّمِّي: كيفَ أَصبحتَ، أَو كيفَ حَالكَ، أو كَيف أنتَ، أَو نَحو هَذَا؟ قَالَ: نَعَم، هَذَا عندي أكثَر من السَّلام. وقَالَ أَبو عَبد الله: إذَا لقيتَه في الطَّريق، فَلا توسِّع له.

وقَالَ أَبو دَاود أيضًا: سَمعت أَحمَدَ سئلَ: أيبتدأ الذِّمِّي بالسَّلَام إذَا كَانَت له إلَيه حَاجةٌ؟ قَالَ: لا يعجبني. وَذَكر غَير أَبي دَاود أنَّ أَحمَد -رَحمَه الله تَعَالَىٰ- سئل عن مصَافحة أَهل الذِّمَّة، فكَرهه.

وَرَوَىٰ أبو نعَيم في «الحليَة»(٢) من طَريق إسحَاق ابن رَاهويه، حَدَّثنا بقيَّة، حَدَّثني محمَّد القشَيري، عن أبي الزُّبير، عن جابرٍ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ قَالَ: نَهَىٰ رَسول الله صَلَّٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ أن يصَافح المشركون، أو يكَنَّوا، أو يرحَّب بهم.

وممَّا يجب النَّهي عنه: ما يفعله كثيرٌ من الجهَّال في زَمَاننا إذَا لَقيَ أَحدَهم عدوَّ الله، سَلَّم عَلَيه، وَوَضع يدَه عَلَىٰ صَدره إشارةً إلَىٰ أَنَّه يحبُّه محبَّةً ثابتةً في قلبه، أو يشير بيده إلَىٰ رأسه إشارةً إلَىٰ أنَّ منزلتَه عنده عَلَىٰ الرَّأس. وهَذَا الفعل المحرَّم يُخشىٰ عَلَىٰ فاعله أن يَكون مرتدًّا عن الإسلَام؛ لأنَّ هَذَا من أبلَغ الموَالَاة والموادَّة والتَّعظيم لأَعدَاء الله تَعَالَىٰ، وقَد قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡ﴾ [المائدة: ٥١].

---

(١) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٤/ ١٤٠)، فيه انقطاع بين علي بن عبد الله الهمداني وشريح بن الحارث القاضي، وفيه علي بن عبد الله الهمداني وهو متهم بالوضع.

(٢) (٩/ ٢٣٦).

فصل

قَالَ ابن مفلح في «الفروع»[1]: وتَحرم العيادة، والتَّهنئة، والتَّعزيةُ لهم كالتَّصدير والقيَام والبَدَاءة بالسَّلَام، وكمبتدع يجب هجره.

وعَنه: يَجوز وفاقًا لأَبي حَنيفَة والشَّافعيِّ.

وعَنه: لمَصلحةٍ راجحةٍ كرَجَاء الإسلَام.. اختارَه شَيخنا. ومعناه قَول الآجري، وأَنَّه قَول العلَماء أَنَّه يعَاد، ويعرض عَلَيه الإسلَام، وقَد نقلَ عنه أَبو دَاود أَنَّه كَانَ يريد أن يَدعوه للإسلَام فنعَم. اهـ.

قلت: أمَّا عيَادَة المشرك والكتَابي لعَرض الإسلَام عَلَيه إذَا رَجَا إسلَامه، فالصَّحيح جَوَاز ذَلكَ، والدَّليل عَلَيه ما في «الصَّحيحَين»، وغَيرهما، عَن سَعيد بن المسيَّب، عَن أَبيه، قَالَ: لمَّا حَضَرت أبَا طَالبٍ الوَفَاة، جَاءَ رَسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، فَوَجد عندَه أبَا جَهل بن هشَام، وعَبد الله بن أَبي أميَّة، فقَالَ: **«يَا عمِّ، قل: لا إله إلَّا الله، كَلمَة أشهَد لكَ بها عندَ الله»**، فقَالَ أبو جَهل وعَبد الله بن أَبي أميَّة: يا أَبَا طَالب، أتَرغَب عن ملَّة عَبد المطَّلب، فلَم يَزل رَسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ يَعرضها عَليه، ويَعودَان بتلكَ المَقَالة. الحَديث[2].

وَفي «صَحيح البخَاريِّ»، وَ«سنَن أَبي دَاود»، و«النَّسَائيِّ»، عَن أنسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ قَالَ: كَانَ غلامٌ يهوديٌّ يخدم النَّبيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، فمرضَ، فأتاه النَّبيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ يَعوده،

---

(١) (١٠/ ٣٣٤).

(٢) أخرجه البخاري (١٣٦٠)، ومسلم (٢٤).

فَقَعد عند رأسه، فقَالَ له: «أسلم»، فَنظرَ إِلَىٰ أبيه وهوَ عندَه، فقَالَ لَه: أَطع أَبَا القَاسم، فأَسلَم، فَخَرج النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو يَقول: «**الحَمد لله الَّذي أنقَذه بي من النَّار**»(١).

وأَمَّا تَهنئتُهم وتَعزيتُهم، فالأصحُّ تَحريمُ ذَلكَ كَمَا جَزَم به كثيرٌ من العلَماء، وعَلَّلوا ذَلكَ بأَنَّه يَحصل الموَالَاة، ويثبت المودَّة، ولمَا فيه من تَعظيم أَعدَاء الله تَعالَىٰ، فيَحرم لذَلكَ كَمَا تَحرم بَدَاءتهم بالسَّلَام، والتَّوسيع لهم في الطَّريق.

وَممَّا لا رَيبَ فيه أَنَّه من موَالَاة أَعدَاء الله، وموَادَّتهم، ما يفعله بَعض النَّاس من الذَّهَاب إِلَىٰ أَعدَاء الله تَعَالَىٰ في أَيَّام عيدهم، فيَدخلون عَلَيهم في بيوتهم وكَنَائسهم، ويهنِّئونَهم بأعيَادهم البَاطلَة، وَمَا هم فيه من السُّرور بها، ولقَد ذكرَ لنَا أن هَذَا يفعله كثيرٌ من المنتسبين إِلَىٰ العلم فضلًا عن العامَّة.

وقَد قيلَ في تَفسير قَوله تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشۡهَدُونَ ٱلزُّورَ﴾ [الفرقان: ٧٢]: إنَّ المرادَ به أعيَاد المشركين.. حَكَاه البغويُّ عن مجَاهد(٢)، وَحَكاه ابن كثيرٍ عن أَبي العَاليَة، وَطَاوس، وَابن سيرينَ، والضَّحَّاك، والرَّبيع بن أنسٍ، وغَيرهم(٣).

وَرَوَىٰ أَبو الشَّيخ الأصبهانِيُّ بإسناده عَن عَطَاء بن يسارٍ قَالَ: قَالَ عمَر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِيَّاكم ورَطَانة الأَعَاجم، وأن تَدخلوا عَلَىٰ المشركين يومَ عيدهم في كَنَائسهم(٤).

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٥٦) دون لفظة: «بي»، وأبو داود (٣٠٩٥)، والنسائي في «الكبرىٰ» (٦٣٨٩).

(٢) «تفسير البغوي» (٦/ ٩٨).

(٣) «تفسير ابن كثير» (٦/ ١١٨).

(٤) انظر: «كنز العمال» (٣/ ٨٨٦)، رقم (٩٠٣٤).

وَرَوَىٰ البيهقيُّ بإسنادٍ صحيحٍ عن عَطَاء بن دينارٍ قَالَ: قَالَ عمَر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: لا تَعلَّموا رَطَانة الأَعَاجم، وَلَا تَدخلوا عَلَىٰ المشركينَ في كَنَائسهم يَوم عيدهم؛ فإنَّ السَّخطةَ تَنزل عَلَيهم[1].

وَرَوَىٰ أيضًا بإسناده عن البخاريِّ صَاحب «الصَّحيح» قَالَ: قَالَ لي ابن أَبي مَريم: أنبَأنا نافع بن يزيدَ، سمعَ سلَيمان بن أبي زَينب، وعَمرو بن الحَارث، سَمعَ سَعيد بن سَلَمة، سَمع أَبَاه، سَمع عمَر بن الخطَّاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: اجتَنبوا أَعدَاءَ الله في عيدهم[2].

قَالَ عَبد المَلك بن حَبيب: سئل ابن القَاسم عن الرُّكوب في السُّفن الَّتي تَركب فيها النَّصَارىٰ إلَىٰ أعيَادهم، فكَره ذَلكَ؛ مخافةَ نزول السَّخط عَلَيهم بشركهم الَّذي اجتَمَعوا عَلَيه.

قَالَ: وَكَره ابن القَاسم للمسلم أن يهدي للنَّصرانـيِّ شيئًا في عيدهم مكَافأةً له، وَرَآه من تَعظيم عيده، وعونًا له عَلَىٰ كفره، أَلَا تَرَىٰ أَنَّه لا يحلُّ للمسلمين أن يَبيعوا من النَّصَارىٰ شيئًا من مَصلحة عيدهم، لَا لحمًا، وَلَا إدامًا، وَلا ثوبًا، وَلَا يعَارون دابَّةً، وَلَا يعَاونون عَلَىٰ شيءٍ من عيدهم؛ لأنَّ ذَلكَ من تَعظيم شركهم، ومن عَونهم عَلَىٰ كفرهم، ويَنبغي للسَّلَاطين أن يَنهوا المسلمين عن ذَلكَ، وهو قَول مالكٍ وغَيره، لَم أعلَم اختلفَ فيه. وأَكل ذَبَائح أعيَادهم دَاخلٌ في هَذَا الَّذي اجتمعَ عَلَىٰ كراهته، بَل هو عندي أشدُّ.

---

(١) رواه البيهقي في «الكبرىٰ» (٩/ ٢٣٤) (١٨٦٤٠).

(٢) رواه البيهقي في «الكبرىٰ» (٩/ ٢٣٤) (١٨٦٤١).

هَذَا كلُّه كَلَام ابن حبيبٍ المالكي نَقَله عنه شَيخ الإسلَام أبو العبَّاس أَحمَد ابن تيمية -رَحمَه الله تَعَالَىٰ- في كتَاب «اقتضَاء الصِّراط المستقيم»[1]، وَنَقَل كلامًا كثيرًا لأئمَّة السَّلف في هَذَا المَعنىٰ، فَليَراجع، فإنَّه مهمٌّ مفيدٌ لكلِّ مَن كَانَ الحقُّ ضَالَّته.

وإِذَا كَانَ الخليفة الرَّاشد الَّذي أمرَ رَسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالاقتدَاء به قَد نَهَىٰ عن مجرَّد الدُّخول عَلَىٰ أَعدَاء الله تَعَالَىٰ في يَوم عيدهم، فكَيف يقَال في العصَاة الَّذينَ يَدخلون عَلَيهم، ويهنِّئونهم بأَعيَادهم البَاطلَة، ولَعلَّهم مع ذَلكَ يَتطلَّقون في وجوه أَعدَاء الله تَعَالَىٰ، ويظهرونَ الفرحَ والسُّرورَ بمَا فرحَ به أَعدَاء الله، وسرُّوا به من أعيَادهم البَاطلَة.

الجواب أن يقَالَ: لا يشكُّ مسلمٌ عاقلٌ شمَّ أدنىٰ رَائحَة من العلم أنَّ هَذَا من الموَالَاة والموادَّة لأَعدَاء الله تَعَالَىٰ، وَمنَ المحادَّة لله ولرَسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، واتِّباع غَير سَبيل المؤمنين، وقَد قَالَ الله تعَالَىٰ: **﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾** [النساء: ١١٥].

وَمن هَذَا البَاب مَا أحدَثه بَعض المنتسبين إِلَىٰ الإسلَام في زَمَاننا من الأَعيَاد البَاطلَة كعيد الثَّورة، وَعيد الجَلَاء، وَعيد الاستقلَال، وغَير ذَلكَ من أعيَادهم البَاطلَة، فَلَا يَجوز للمسلم حضور شيءٍ من هَذه الأعيَاد المبتدعة، وَلا التَّهنئة بها فضلًا عن السُّرور بها. وكذَلكَ عيد الجلوس الَّذي أحدَثه بعض المسلمين، فلا تَجوز التَّهنئة به، وَلَا السُّرور به.

---

(١) (٢/ ١٩).

وقَد قَالَ ابن القيِّم -رَحمَه الله تَعَالَىٰ- في «أحكَام أهل الذِّمَّة[(١)]»[(٢)]:

«(فَصلٌ في تَهنئتهم بزَوجةٍ، أو ولدٍ، أَو قدوم غائبٍ، أَو عافيةٍ، أَو سَلَامة من مكروهٍ، ونَحو ذَلكَ)، وَقَد اختلَفت الرِّواية في ذَلكَ عن أَحمَد، فأبَاحَها مرةً، وَمَنعها أخرىٰ، والكَلَام فيها كالكَلَام في التَّعزية والعيَادَة، ولا فرقَ بَينهما، ولكن ليَحذر الوقوع فيما يَقع فيه الجهَّال من الألفَاظ الَّتي تدلُّ عَلَىٰ رضَاه بدينه، كَمَا يَقول أَحدهم: مَتَّعك الله بدينكَ، أَو يَقول له: أعزَّك الله، أو أَكرَمك، إلَّا أن يَقول: أكرمكَ الله بالإسلَام، وأعزَّك به، ونَحو ذَلكَ، فهَذَا في التَّهنئة بالأقوَال المشتركة.

وأمَّا التَّهنئة بشَعَائر الكفر المختصَّة به، فحرامٌ بالاتِّفاق، مثلَ أن يهنِّئهم بأعيَادهم وصَومهم، فيَقول: عيدٌ مباركٌ عَلَيك، أو تهنَّ بهَذَا العيد ونَحوه، فهَذَا إن سَلمَ قائله من الكفر، فهوَ من المحرَّمات وهو بمَنزلة التَّهنئة بسجوده للصَّليب، بل ذَلكَ أعظَم إثمًا عند الله، وأشدُّ مقتًا من التَّهنئة بشرب الخَمر، وقَتل النَّفس، وارتكَاب الفَرج الحَرَام، ونَحوه، وكثيرٌ ممَّن لا قَدر للدِّين عنده يَقَع في ذَلكَ، ولا يدرك قبحَ ما فعلَ، فمَن هنَّأ عبدًا بمَعصيةٍ، أو بدعَةٍ، أو كفرٍ، فقَد تَعرَّض لمَقت الله، وسَخَطه.

وقَد كَانَ أهل الوَرَع من أهل العلم يَتجنَّبون تَهنئة الظَّلَمَة بالولَايَات، وتَهنئة الجهَّال بمَنصب القَضَاء والتَّدريس والإفتَاء تَجنُّبًا لمَقت الله، وسقوطهم من عينه». اهـ.

فَانظر إلَىٰ حكايته الاتِّفاقَ عَلَىٰ تَحريم تَهنئة أَعدَاء الله تَعَالَىٰ بأعيَادهم البَاطلَة، وَانظر إلَىٰ ما وَقَع فيه كثيرٌ من المسلمين في زَمَاننا لتَعرفَ غربة الدِّين، والله المستَعان.

---

(١) في المطبوع: «أحكام الذمة».

(٢) (١/ ٤٤١).

فصل

وممَّا وَرَد النَّهي عنه أيضًا: مصَاحبة أَعدَاء الله تَعَالَىٰ، ودَعوتهم إِلَىٰ طعامٍ كَمَا في حَديث أَبي سعيدٍ الخدريِّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، عن النَّبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قَالَ: «**لا تصَاحب إلَّا مؤمنًا، ولا يأكل طعَامك إلَّا تقيٌّ**»، رَوَاه الإمَام أَحمَد، وأَبو دَاود الطَّيالسيُّ، وأَبو دَاود السِّجستَاني، والتِّرمذيُّ، والدَّارميُّ، وابن حبَّان، وَالحَاكم، وقَالَ: صَحيح الإسنَاد، ولَم يخرِّجاه ووَافقَه الذَّهبيُّ في «تَلخيصه»(١).

قَالَ الخَطَّابيُّ: إِنَّما جاءَ هَذَا في طَعَام الدَّعوة دونَ طَعَام الحَاجَة، وذَلكَ أَنَّ الله سبحانه قَالَ: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ [الإنسان: ٨]، ومعلومٌ أنَّ أسرَاهم كَانوا كفَّارًا غَير مؤمنين، وَلَا أتقيَاء، وإِنَّما حَذَّر من صحبة مَن ليسَ بتقيٍّ، وَزجرَ عَن مخَالطته ومؤاكَلته؛ لأَنَّ المطَاعمةَ توقع الأُلفةَ والمودَّة في القلوب، يَقول: لا تؤالف مَن ليسَ من أهل التَّقوىٰ والوَرَع، وَلَا تَتَّخذه جليسًا تطَاعمه وتنَادمه. اهـ(٢).

وَرَوَىٰ الإمَام أَحمَد أيضًا، وأَبو دَاود الطَّيالسيُّ، وأَبو دَاود السِّجستاني، والتِّرمذيُّ، وَالحَاكم عَن أَبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أَنَّ النَّبيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قَالَ: «**الرَّجل**

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٣٨) (١١٣٥٥)، والطيالسي (ص٢٩٤) (٢٢١٣)، وأبو داود (٤٨٣٢)، والترمذي (٢٣٩٥)، والدارمي (٢/ ١٤٠) (٢٠٥٧)، وأبو يعلىٰ (٢/ ٤٨٤) (١٣١٥)، وابن حبان (٢/ ٣١٤) (٥٥٤)، والحاكم (٤/ ١٤٣) (٧١٦٩)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٧/ ٤٢) (٩٣٨٢)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٧٣٤١).

(٢) «معالم السنن» (٤/ ١١٥).

عَلَىٰ دين خليله، فَلينَظر أَحدكم مَن يخَالل»[١].

وفي روَايةٍ لأحمَد: «المَرء عَلَىٰ دين خليله، فَلينَظر أَحدكم مَن يخَالط»[٢].

قَالَ التِّرمذيُّ: هَذَا حَديثٌ حسنٌ غريبٌ. وقَالَ الحاكم: صَحيحٌ إن شَاءَ الله تعَالَىٰ، وَوَافقه الذَّهبيُّ في «تَلخيصه»، وصَحَّحه أيضًا النَّوويُّ.

فصل

وممَّا وَرَد النَّهي عنه أيضًا: مكَاتبة أَعدَاء الله تَعَالَىٰ، وتَكنيتهم بكنَىٰ المسلمين؛ كأَبي عَبد الله، وَأَبي القَاسم، وكذَلكَ تَلقيبهم بأَلقَاب المسلمين؛ كعزِّ الدِّين ونَحوه.

وقَد رَوَىٰ أبو الشَّيخ الأصبهانيُّ بإسناده أنَّ عمرَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ كَتَب: أَلَّا تكَاتبوا أَهل الذِّمَّة فتَجري بَينكم وبَينهم المَودَّة، وَلَا تكنُّوهم، وأَذلُّوهم، وَلَا تَظلموهم، وفي الشُّروط الَّتي التزَم بها أَهل الذِّمَّة، وأمضَاها عَلَيهم عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ فمَن بَعده: أَنَّهم لا يَكتنون بكنَىٰ المسلمين.

وقَد تقدَّم قريبًا حَديث جابرٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: نَهَىٰ رَسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أن يصَافح المشركون، أو يكنَّوا ويرحَّب بهم. رَوَاه أبو نعَيم في «الحليَة».

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٣٣٤) (٨٣٩٨)، والطيالسي (٤/ ٢٩٩) (٢٦٩٦)، وأبو داود (٤٨٣٣)، والترمذي (٢٣٧٨)، والحاكم (٤/ ١٨٨) (٧٣١٩)، وعبد بن حميد (ص ٤١٨) (١٤٣١)، وحسنه الألباني في «الصحيحة» (٩٢٧).

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ٣٠٣) (٨٠١٥)، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده جيد.

فصل

وَلَا يَجوز مَدح أَعدَاء الله تَعالَىٰ؛ لمَا رَوَاه ابن أبي الدُّنيا، وأَبو يَعلىٰ، والبيهقيُّ في «شعَب الإيمَان» عَن أنسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنهُ قَالَ: قَالَ رَسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيهِوَسَلَّمَ: «**إذَا مدحَ الفَاسق، غضبَ الرَّبُّ، واهتزَّ لذَلكَ العرش**»[1].

فصل

وَلَا يَجوز وَصف أَعدَاء الله تَعالَىٰ بصفَات الإجلَال والتَّعظيم؛ كالسَّيِّد، والعَبقري، والسَّامي، ونَحو ذَلكَ؛ لمَا رَوَاه أَبو دَاود، والنَّسائيُّ، والبخاريُّ في «الأَدَب المفرد» عَن برَيدة رَضِيَٱللَّهُعَنهُ قَالَ: قَالَ رَسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيهِوَسَلَّمَ: «**لا تَقولوا للمنَافق: سَيِّدنا، فإنَّه إن يكن سيِّدًا، فَقَد أسخَطتم ربَّكم** عَزَّوَجَلَّ»[2]، وَرَواه الحاكم في «مستَدركه»، وصَحَّحه، وَرَوَاه البيهقيُّ في «شعَب الإيمان» بنحوه.

ولَفظ الحَاكم: «**إذَا قَالَ الرَّجل للمنَافق: يَا سيِّد، فقَد أغضبَ ربَّه** تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ»[3].

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «ذم الغيبة» (ص ١٤٩) (٩١)، وأبو يعلىٰ في «معجمه» (١/ ١٥٦) (١٧١)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٤/ ٢٣٠) (٤٨٨٦)، وقال الألباني في «الضعيفة» (٥٩٥): منكر.

(٢) أخرجه أحمد (٥/ ٣٤٦) (٢٢٩٨٩)، وأبو داود (٤٩٧٧)، والنسائي (١٠٠٧٣)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٤/ ٢٣٠) (٤٨٨٣)، والبخاري في «الأدب المفرد» (١/ ٢٦٧) (٧٦٠)، والمحاملي (١/ ٣٥٣) (٣٩١)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٣٧١).

(٣) أخرجه الحاكم (٤/ ٣٤٧) (٧٨٦٥) وقال: صحيح الإسناد. وتعقبه الذهبي بقوله: عقبة بن الأصم ضعيف. وتعقبه الألباني في «الصحيحة» (٣٧١) بقوله: لكن تابعه قتادة كما سبق، =

ولَفظ البيهقيِّ: «**إِذَا قَالَ الرَّجـل للمنَافق: يَا سيِّد، فقَد بَاء بغَضَب ربِّه**»[(١)].

قَالَ الطِّيبيُّ: و«مَولانا» داخلٌ في هَذَا الوَعيد، بَل أشدُّ، وَكَذا قَوله: «أستَاذي»[(٢)]. اهـ.

وقَد قَلَّت المبَالاة بشَأن هَذَا الحَديث الشَّريف حَتَّىٰ صارَ إطلَاق اسم «السَّيِّد» ونَحوه عَلَىٰ كبَراء الكفَّار والمنَافقين مألوفًا عندَ كثيرٍ من المسلمين في هَذه الأزمَان، ومثل «السَّيِّد»: «المِسْتَر» باللُّغة الإفرنجيَّة. وأشدُّ النَّاس مخَالفةً لهَذَا الحَديث أهل الإذَاعَات؛ لأَنَّهم يَجعلون كلَّ مَن يَستمع إلَىٰ إذَاعَاتهم من أصنَاف الكفَّار والمنَافقين سادةً، وسَوَاء عندهم في ذَلكَ الكبير والصَّغير، والشَّريف والوضيع، والذَّكر والأنثىٰ، بَل الإنَاث هنَّ المقدَّمات عندهم في المخَاطبة بالسِّيَادة، وفي الكَثير من الأمور؛ خلافًا لمَا شَرَعه الله من تَأخيرهنَّ، وبَعض أهل الأمصَار يسمُّون جميعَ نسائهم سَيِّدات، وَسَواء عندهم في ذَلكَ المسلمة وَالكَافرة، والمنَافقَة، والصَّالحَة، والطَّالحة.

وَيَلي أَهل الإذَاعَات في شدَّة المخَالفة؛ لحَديث برَيدة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: أهل الجَرَائد والمجلَّات، وَمَا شَابَهها من الكتب العصريَّة؛ لأَنَّهم لا يَرَون بموَالَاة أَعدَاء الله، ومودَّتهم، وتَعظيمهم بأسًا، ولَا يَرَون للحبِّ في الله، والبغض في الله، والموَالَاة فيه، والمعَادَاة فيه، قدرًا وشأنًا.

=

فالحديث صحيح.

(١) «شعب الإيمان» (٤/ ٢٣٠) (٤٨٨٣).

(٢) انظر: «فيض القدير» (١/ ٤١١).

فصل

وقَد وَرَد النَّهي عن مجَامعة المشركينَ، ومسَاكنتهم في ديَارهم، والتَّغليظ في ذَلكَ؛ لأنَّ مجَامَعتَهم ومسَاكَنتَهم من أعظَم الأسبَاب الجَالبَة لموَالَاتهم ومَوادَّتهم، والأَحَاديث في ذَلكَ كَثيرَةٌ:

الحَديث الأوَّل: منهَا عَن سَمرَة بن جندب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أمَّا بَعد: قَالَ رَسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَن جَامَع المشرك، وَسَكن مَعَه، فإنَّه مثله**»[1]، رَوَاه أَبو دَاود، ورَوَاه التِّرمذيُّ معلَّقًا بصيغَة الجَزم، فَقَالَ: وَرَوَىٰ سمرة بن جندب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَن النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**لَا تسَاكنوا المشركينَ، وَلَا تجَامعوهم، فمَن سَاكَنهم أَو جَامَعَهم فهوَ مثلهم**»[2].

وَرَوَاه الحَاكم في «مستَدركه»[3] من حَديث الحَسَن عن سَمرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَن النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**لَا تسَاكنوا المشركينَ، وَلَا تجَامعوهم، فمَن سَاكَنهم أو جَامَعهم، فليسَ منَّا**»، قَالَ الحَاكم: صَحيحٌ عَلَىٰ شَرط البخاريِّ، ولَم يخرِّجاه.

وقَالَ الذَّهبيُّ في «تَلخيصه»: عَلَىٰ شَرط الشَّيخَين.

وَظَاهر هَذَا الحَديث العموم لكلِّ مَن جَامَع المشركينَ، وَسَاكَنهم اختيارًا منه لذَلكَ، لَا اضطرارًا وَعَجزًا. اهـ.

---

(١) أخرجه أبو داود (٢٧٨٧)، وحسنه الألباني في «الصحيحة» (٢٣٣٠).

(٢) أخرجه الترمذي (١٦٠٥).

(٣) (٢/ ١٥٤) (٢٦٢٧).

الحَديث الثَّاني: عَن جَرير بن عَبد الله رَضِيَٱللَّهُعَنهُ أنَّ رَسولَ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيهِوَسَلَّمَ قَالَ: «**أنَا بَريءٌ من كلِّ مسلمٍ يقيم بَين أظهر المشركينَ**». قَالوا: يا رَسول الله: لمَ؟ قَالَ: «**لَا تَرَاءَىٰ نَارَاهمَا**»، رَوَاه أَبو دَاود، والتِّرمذيُّ بهَذَا اللَّفظ(١).

ورَوَاه الطَّبرانيُّ في «الكَبير»، والبَيهقيُّ في «سنَنه»، ولَفظهما: «**مَن أقَامَ مَعَ المشركينَ، فقَد بَرأَت منه الذِّمَّة**»(٢).

قَالَ الفضل بن زيادٍ: سمعت أَحمَدَ -رَحمَه الله تَعالَىٰ- يُسأل عَن مَعنىٰ: «**لَا تَرَاءَىٰ نَارَاهمَا**»، فقَالَ: لا تَنزل من المُشركينَ في مَوضع إذَا أَوقَدت رَأَوا فيه نَارَك، وإذَا أَوقَدوا رأيتَ فيه نَارَهم، وَلَكن تَباعَد عَنهم(٣). اهـ.

وَقَالَ ابن الأَثير في «النِّهايَة»(٤): أَي: يَلزم المسلم، ويجب عَلَيه أن يُبَاعد مَنزله عن مَنزل المشرك، وَلَا يَنزل بالمَوضع الَّذي إذَا أوقدَت فيه نَاره، تَلوح وتَظهر لنَار المشرك إذَا أوقَدها في مَنزله، وَلَكنه ينزل مَعَ المسلمين في دَارهم، وإنَّما كرهَ مجَاورة المشركينَ لأنَّهم لَا عَهد لهم، وَلَا أمَان، وحثَّ المسلمين عَلَىٰ الهجرَة.

وإسنَاد التَّرائي إلَىٰ النَّارين مَجازٌ من قَولهم: دَاري تَنظر إلَىٰ دَار فلَان، أي: تقَابلها، يَقول: نَارَاهمَا مختلفَتان، هَذه تَدعو إلَىٰ الله، وهَذه تَدعو إلَىٰ الشَّيطان، فكَيفَ يَتَّفقان. اهـ.

---

(١) أخرجه أبو داود (٢٦٤٥)، والترمذي (١٦٠٤)، وصححه الألباني في «الإرواء» (١٢٠٧).

(٢) أخرجه الطبراني (٢/ ٣٠٣) (٢٢٦٤)، والبيهقي (٨/ ١٣١) (١٦٢٤٨).

(٣) انظر: «بدائع الفوائد» (٤/ ٦٩).

(٤) (٢/ ١٧٧).

وفي هَذَين الحَديثَين وعيدٌ شديدٌ لمَن جَامَع المشركينَ، وَسَاكَنهم اختيارًا، فَليَحذر المسلمون المقيمونَ بَين الوَثَنيِّين والمرتدِّين والنَّصَارىٰ والمَجوس وغَيرهم من أَعدَاء الله تَعالَىٰ أن يَلحَقهم هَذَا الوعيد الشَّديد.

الحَديث الثَّالث: عَن أنسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، عَن النَّبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أَنَّه قَالَ: «**لا تَستَضيئوا بنار المشركينَ**»[1]، رَوَاه الإمَام أَحمَد، والنَّسَائيُّ، والبخَاريُّ في «تاريخه»، وابن جَرير، وَأَبو يَعلىٰ.

قَالَ الحَافظ ابن كثيرٍ -رَحمَه الله تَعَالَىٰ- في «تَفسيره»[2]: مَعناه: لَا تقَاربوهم في المَنَازل بحَيث تكونون مَعَهم في بلَادهم، بَل تَباعَدوا منهم، وَهَاجروا من بلَادهم، وَاختارَ هَذَا القولَ العَلَّامة ابن القيِّم رحمه الله تعالَىٰ. اهـ.

قَالَ ابن الأثير: مَعناه: لا تَستشيروهم، وَلَا تَأخذوا بآرَائهم، جعلَ الضَّوء مثلًا للرَّأي عندَ الحيرَة. اهـ[3].

قلت: وهَذَا القَول مَرويٌّ عن الحَسَن البصريِّ، رَوَاه عَنه أبو يَعلىٰ، وابن جَريرٍ في تَفسير قَوله تَعالَىٰ: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا**﴾ [آل عمران: ١١٨].

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٩٩) (١١٩٧٢)، والنسائي (٥٢٠٩)، والطحاوي (٤/ ٢٦٣)، وابن جرير في «التفسير» (٤/ ٦٢)، والبيهقي (١٠/ ١٢٧) (٢٠١٩٥)، والضياء (٤/ ٣٧٩) (١٥٤٦)، والبخاري في «التاريخ الكبير» (١/ ٤٥٥)، وضعفه الألباني في «الضعيفة» (٤٧٨١).

(٢) (٢/ ٩٣).

(٣) «النهاية» (٣/ ١٠٥).

قَالَ الحَسَن: وأمَّا قَوله: «**وَلَا تَستَضيئوا بنار المشركينَ**»، فإنَّه يَقول: لَا تَستَشيروهم في شيءٍ من أموركم. قَالَ الحَسن: وتَصديق ذَلكَ في كتَاب الله، ثمَّ تَلَا هَذه الآيَة: ﴿ **يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ** ﴾.

قَالَ ابن كَثيرٍ: وهَذَا التَّفسير فيه نظرٌ.

قلت: والظَّاهر أَنَّ النَّهيَ شاملٌ للأَمرين كلَيهما، فَلَا يَجوز لمسلم مسَاكنة المشركينَ اختيارًا، وَلَا مشَاورَتهم، وأَخذ آرَائهم، والقَول الأوَّل أظهر، يدلُّ ذَلكَ قَوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا تَرَاءىٰ نَارَاهمَا**»، وقَوله في حَديث الزُّهريِّ الَّذي سَيَأتي ذكره قَريبًا: «**وأنَّك لا تَرَىٰ نَارَ مشركٍ إلَّا وأنتَ له حَربٌ**»، والله أَعلَم.

الحَديث الرَّابع: عَن بَهز بن حكيمٍ، عَن أَبيه، عَن جدِّه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رَسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**لا يَقبل الله من مشركٍ بَعدما يُسلم عملًا، أو يفَارق المشركينَ إلَىٰ المسلمين**»[١]، رَوَاه الإمَام أَحمَد، والنَّسَائيُّ، والحَاكم في «مستدركه»، وقَالَ: صَحيح الإسنَاد، ولَم يخرِّجاه. وَوَافقَه الذَّهبيُّ في «تَلخيصه».

الحَديث الخَامس: عَن يزيد بن الشِّخِّير قَالَ: بَينا أَنَا مع مطرِّف بالمربَد إذ دَخَل رجلٌ مَعَه قطعَة أدمٍ، قَالَ: كَتَب لي هَذه رَسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهَل أحدٌ منكم يَقرأ؟ قَالَ: قلت: أنا أقرأ، فإذَا فيهَا: «**من محمَّدٍ النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لبني زهَير بن أُقَيش أَنَّهم إن شَهدوا أن لَا إلَهَ إلَّا الله، وأنَّ محمَّدًا رَسول الله، وَفَارَقوا المشركينَ، وأَقرُّوا بالخمس في غَنَائمهم، وسَهم النَّبيِّ وصَفيِّه أَنَّهم آمنونَ بأَمَان الله**

---

(١) أخرجه النسائي (٢٥٦٨)، وابن ماجه (٢٥٣٦)، والحاكم (٤/ ٦٤٣) (٨٧٧٤)، وأحمد (٥/ ٤) (٢٠٠٤٩)، وحسنه الألباني في «الصحيحة» (٣٦٩).

ورَسوله»، رَوَاه النَّسَائيُّ[(١)].

الحَديث السَّادس: عَن جريرٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: بايعت رَسولَ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ عَلَىٰ إقَام الصَّلاة، وَإيتَاء الزَّكَاة، والنُّصح لكلِّ مسلمٍ، وَعَلَىٰ فرَاق المشركينَ. رَوَاه النَّسَائيُّ[(٢)].

وَفي روَايةٍ له قَالَ جَريرٌ: أتيت النَّبيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وهو يبَايع، فقلت: يا رَسولَ الله، ابسط يَدَك حَتَّىٰ أبَايعَك، واشتَرط عليَّ، فأَنتَ أعلم. قَالَ: **«أبَايعك عَلَىٰ أن تَعبدَ اللهَ، وتقيمَ الصَّلاة، وتؤدِّي الزَّكَاة، وتنَاصح المسلمينَ، وتفَارق المشركينَ»**[(٣)].

الحَديث السَّابع: عَن أَبي اليَسَر كَعب بن عمرٍو رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: أتينَا النَّبيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وهوَ يبَايع النَّاسَ، فقلت: يا رَسولَ الله، ابسط يَدَك حَتَّىٰ أبَايعَك، واشتَرط عليَّ، فأنتَ أعلَم بالشَّرط. قَالَ: **«أبَايعك عَلَىٰ أن تَعبد اللهَ، وتقيم الصَّلاة، وتؤتي الزَّكَاة، وتنَاصح المسلم، وتفَارق المشرك»**، رَوَاه الحَاكم في «مستدركه»[(٤)].

الحَديث الثَّامن: عَن الزُّهريِّ مرسلًا أَنَّ رَسولَ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أَخذ عَلَىٰ رجلٍ دَخَل في الإسلَام، فقَالَ: **«تقيم الصَّلاةَ، وتؤتي الزَّكَاةَ، وتحجُّ البيتَ، وتَصوم رَمَضان، وأَنَّك لا تَرَىٰ نارَ مشركٍ إلَّا وأنتَ له حربٌ»**، رَوَاه ابن جَرير[(٥)].

---

(١) (٤١٤٦)، وقال الألباني: صحيح الإسناد.

(٢) (٤١٧٥)، وصححه الألباني.

(٣) أخرجه النسائي (٤١٧٧)، وصححه الألباني.

(٤) (٣/ ٥٧٧) (٦١٣٧).

(٥) في «تفسيره» (١١/ ٢٩٤).

فَليتأمَّل المسلمون السَّاكنون مَعَ أعدَاء الله تَعَالَىٰ هَذه الأَحَاديث وَليُعْطُوهَا حَقَّها من العَمَل، فَقَد قَالَ الله تعَالَىٰ: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾ [الزمر: ١٧، ١٨].

فصل

وَالحبُّ في الله، والبغض في الله، والموَالَاة في الله، والمعَادَاة في الله، من أَهمِّ أمور الدِّين، وأَوثَق عُرَىٰ الإيمَان كَمَا قيلَ:

ومَا الدِّين إلَّا الحبُّ والبُغض والولَا ... كَذَاك البَرا مِن كلِّ غاوٍ ومعتد

وَرَوَىٰ الإمَام أَحمَد من حَديث البَراء بن عَازبٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قَالَ: كنَّا جلوسًا عند النَّبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فقَالَ: «**أيُّ عُرَىٰ الإسلام أوثَق؟**». قَالوا: الصَّلاة. قَالَ: «**حَسنةٌ، وَمَا هيَ بهَا؟**». قَالوا: صيَام رَمَضان. قَالَ: «**حَسنٌ، وَمَا هوَ به؟**». قَالوا: الجهَاد. قَالَ: «**حَسَنٌ، ومَا هوَ به؟**». قَالَ: «**إنَّ أَوثقَ عُرَىٰ الإيمَان أن تُحبَّ في الله، وتبغض في الله**»(١).

ورَوَاه أَبو دَاود الطَّيالسيُّ، وابن أَبي شَيبة، والبيهقيُّ في «شعَب الإيمَان» بنحوه(٢).

وَرَوَىٰ الطَّبرانيُّ في «الكَبير»(٣)، عَن ابن عَبَّاسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا أَنَّ رَسولَ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٢٨٦) (١٨٥٤٧)، وقال شعيب الأرنؤوط: حديث حسن بشواهده، وهذا إسناد ضعيف لضعف ليث.

(٢) أخرجه الطيالسي (ص ١٠١) (٧٤٧)، وابن أبي شيبة (٧/ ٨٠) (٣٤٣٣٨)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١/ ٤٥)، عقب رقم (١٣)، وقال الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣٠٣٠): حسن لغيره.

(٣) (١١/ ٢١٥) (١١٥٣٧)، وحسنه الألباني في «الصحيحة» (٩٩٨).

قَالَ: «**أَوثق عُرَىٰ الإيمَان: الموَالَاة في الله، والمعَادَاة في الله، والحبُّ في الله، والبغض في الله**».

وَرَوَىٰ أَبو دَاود الطَّيالسيُّ في «مسنده»، والطَّبرانيُّ في «الصَّغير»، وَالحَاكم في «مستدركه»، وأَبو نعَيم في «الحليَة»، عَن ابن مَسعودٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: دَخلت عَلَىٰ النَّبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فقَالَ: «**يابنَ مَسعودٍ، أيُّ عُرَىٰ الإيمَان أوثَق؟**». قلت: الله ورسوله أَعلم. قَالَ: «**أَوثق عُرَىٰ الإسلَام الولَايَة في الله، والحبُّ في الله، والبغض في الله**»(١).

وَرَوَىٰ الإمَام أَحمَد، وأَبو دَاود، عَن أَبي ذرٍّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**أفضَل الأعمَال: الحبُّ في الله، والبغض في الله**»(٢).

وَرَوَىٰ الإمَام أَحمَد، والطَّبرانيُّ في «الكَبير»، عَن معَاذ بن أَنسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أَنَّه سَأَل رَسولَ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ عَن أفضَل الإيمَان، قَالَ: «**أن تحبَّ لله، وتبغض لله، وتعمل لسَانَك في ذكر الله**». قَالَ: ومَاذَا يا رَسولَ الله؟ قَالَ: «**وأن تحبَّ للنَّاس ما تحبُّ لنَفسك، وتَكره لهم ما تَكره لنَفسك**»(٣).

---

(١) أخرجه الطبراني (١٠/ ١٧١) (١٠٣٥٧)، قال الهيثمي (٧/ ٢٦٠): «رواه الطبراني بإسنادين ورجال أحدهما رجال الصحيح، غير بكير بن معروف، وثقه أحمد وغيره، وفيه ضعف»، والحاكم (٢/ ٥٢٢) (٣٧٩٠) وقال: «صحيح الإسناد»، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٧/ ٦٩) (٩٥١٠).

(٢) أخرجه أحمد (٥/ ١٤٦) (٢١٣٤١)، وأبو داود (٤٥٩٩)، وضعفه الألباني في «الضعيفة» (١٣١٠).

(٣) أخرجه أحمد (٥/ ٢٤٧) (٢٢١٨٣)، والطبراني (٢٠/ ١٩١) (٤٢٥) قال الهيثمي (١/ ٦١): «في إسناد الطبراني ابن لهيعة». وأخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (١/ ٤١٦) (٥٧٩)، =

وَرَوَىٰ الإمَام أَحمَد، والطَّبرانـيُّ أيضًا، عَن عَمرو بن الجَموح رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أَنَّه سمعَ النَّبيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يقول: «**لا يَجد العَبد صَريحَ الإيمَان حَتَّىٰ يحبَّ لله، ويبغض لله، فَإذَا أحبَّ لله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ، وأبغضَ لله، فَقَد استحقَّ الولَايَة من الله**»(١).

وَرَوَىٰ أَبو دَاود في «سننه»، والبيهقيُّ في «شعَب الإيمَان»، وَالحَافظ الضِّياء المَقدسي، عن أَبي أمَامة البَاهليِّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، عَن رَسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أَنَّه قَالَ: «**مَن أحبَّ لله، وأبغَض لله، وأعطَىٰ لله، وَمَنَع لله، فَقَد استكمَل الإيمَان**»(٢).

وَرَوَىٰ الإمَام أَحمَد، والتِّرمذيُّ، وَالحَاكم، والبَيهقيُّ عن معَاذ بن أنسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أَنَّ النَّبيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قَالَ: «**مَن أعطَىٰ لله، وَمَنع لله، وأَحبَّ لله، وأبغَض لله، وأنكَح لله، فَقَد استكمَل الإيمَان**»(٣).

قَالَ الحَاكم: صَحيحٌ عَلَىٰ شَرط الشَّيخين، ولَم يخرِّجاه، وَوَافَقه الذَّهبيُّ في «تَلخيصه».

وَرَوَىٰ أَبو دَاود الطَّيالسيُّ، والنَّسَائيُّ، واللَّفظ لَه عن أَنَس بن مَالكٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ

=

وضعفه الألباني في «ضعيف الترغيب والترهيب» (١٧٨٤).

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٤٣٠) (١٥٥٨٨)، والطبراني كما في «مجمع الزوائد» (١/ ٨٩) قال الهيثمي: «فيه رشدين وهو ضعيف»، وضعفه الألباني في «ضعيف الترغيب والترهيب» (١٧٨٥).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٦٨١)، والبيهقي في «الشعب» (١/ ١٠٥) (١٥)، وحسنه الألباني في «الصحيحة» (٣٨٠).

(٣) أخرجه أحمد (٣/ ٤٤٠) (١٥٦٧٦)، والترمذي (٢٥٢١)، والحاكم (٢/ ١٧٨) (٢٦٩٤)، والبيهقي في «الشعب» (١/ ١٠٥) (١٥)، وحسنه الألباني في «الصحيحة» (٣٨٠).

قَالَ: قَالَ رَسول الله صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «ثَلاثٌ مَن كنَّ فيه، وَجَد بهنَّ حَلاوةَ الإيمَان وطَعمَه: أن يَكونَ الله عَزَّوَجَلَّ ورَسوله أحبَّ إلَيه ممَّا سوَاهمَا، وأن يُحبَّ في الله، وأن يُبغض في الله، وأن تُوقَدَ نارٌ عظيمةٌ فَيقَع فيها أَحَب إلَيه من أن يُشرك بالله شيئًا»(١).

وهَذَا الحديث مخرَّجٌ في «الصَّحيحَين»(٢)، وغَيرهما بغَير هَذَا اللَّفظ.

وَرَوَىٰ الحَاكم في «المستدرك»، وأَبو نعَيم في «الحليَة»، عَن عَائشَةَ رَضِيَاللَّهُعَنهَا مَرفوعًا: «الشِّرك أخفَىٰ من دَبيب النَّمل عَلَىٰ الصَّفا في اللَّيلة الظَّلماء، وأدنَاه أن تحبَّ عَلَىٰ شيءٍ من الجَور، أو تبغض عَلَىٰ شيءٍ من العَدل، وهَل الدِّين إلَّا الحبُّ في الله، والبغض في الله، قَالَ الله تَعالَىٰ: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١]»(٣).

وَرَوَىٰ أبو نعَيمٍ أيضًا من طُرقٍ عَن لَيث بن أبي سلَيم، عَن مجَاهدٍ، عَن ابن عمَر رَضِيَاللَّهُعَنهُمَا قَالَ: قَالَ لي النَّبيُّ صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «أحبَّ في الله، وأَبغضْ في الله، وَوَال في الله، وَعَاد في الله، فإنَّك لَن تنالَ ولاية الله إلَّا بذَلك، ولا يجد رجلٌ طَعمَ الإيمَان وإن كَثُرت صَلاتُه وصِيامُه حَتَّىٰ يَكونَ كذَلكَ، وَصَارت موَالاَة النَّاس في أَمر الدُّنيا، وأن ذَلكَ لا يجزئ عن أهله شيئًا»(٤).

وَرَوَىٰ ابن جريرٍ عَن ابن عَبَّاسٍ رَضِيَاللَّهُعَنهُمَا قَالَ: «مَن أحبَّ في الله، وأَبغَض في

(١) أخرجه النسائي (٤٩٨٧)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٣٤٢٣).

(٢) أخرجه البخاري (١٦)، ومسلم (٤٣).

(٣) أخرجه الحاكم (٢/ ٣١٩) (٣١٤٨)، وأبو نعيم (٨/ ٣٦٨)، وقال الألباني في «الضعيفة» (٣٧٥٥): ضعيف جدًّا.

(٤) أخرجه أبو نعيم (١/ ٣١٢)، وفيه الليث بن أبي سُليم، وهو ضعيف الحديث.

الله، وَوَال في الله، وَعَاد في الله، فإنَّما تُنَال ولاية الله بذَلكَ، ولَن يجدَ عبدٌ طَعمَ الإيمَان وإن كَثُرت صَلاتُه وصَومُه حَتَّىٰ يَكون كذَلكَ، وقَد صَارَت عَامَّة مُؤاخَاة النَّاس عَلَىٰ أَمر الدُّنيا، وذَلكَ لا يُجدي عَلَىٰ أهله شيئًا»(١).

قَالَ الشَّيخ عَبدُ الرَّحمن بن حَسَن ابن الشَّيخ محمَّد بن عبد الوَهَّاب رَحمَهم الله تَعالَىٰ: «فَإذَا كَانَت البَلوىٰ قَد عَمَّت بهَذَا في زَمَن ابن عباسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا خيرِ القرون، فَمَا زَادَ الأَمر بَعد ذَلكَ إلَّا شدَّة حَتَّىٰ وَقَعت الموَالَاة عَلَىٰ الشِّرك، والبدَع، والفسوق، والعصيَان»(٢) اهـ.

قلت: والأَمر بَعد زَمَن الشَّيخ عبد الرَّحمن أعظَم وأعظَم، ولاسيَّما في زَمَاننا هَذَا الَّذي قَد اشتدَّت فيه غُربةُ الدِّين، وَانعَكَست فيه الحَقَائق عندَ الأكثَرين حَتَّىٰ عادَ المَعروف عندهم منكرًا، والمنكر معروفًا، ومن ذَلكَ موَالَاة الكفَّار والمنَافقين، وموادَّتهم، ومصَاحَبتهم، ومجَالَستهم، ومواكَلتهم، ومشَارَبتهم، والأنس بهم، والانبسَاط مَعَهم، وكذَلكَ موادَّة أَهل البدَع والفسوق والعصيَان، ومصَاحَبتهم، ومجَالَستهم، ومواكَلَتهم، ومشَارَبَتهم، والأنس بهم، والانبسَاط مَعَهم، كلُّ ذَلكَ قَد صارَ من قَبيل المَعروف عندَ أَكثر النَّاس، بَل عندَ كثيرٍ ممَّن يَنتسب إلَىٰ العلم والدِّين.

وأمَّا الحبُّ في الله، والبغض في الله، والموَالَاة في الله، والمعَادَاة في الله، وهَجر أَهل المَعَاصي لله، والاكفهرَار(٣) في وجوههم من أَجل ما ارتكَبوه من المَعَاصي،

---

(١) لم أقف عليه في «تفسير ابن جرير»، لكنه في كتاب «الزهد» لابن المبارك (ص ١٢٠، ح ٣٥٣)، باب جليس الصدق وغير ذلك.

(٢) «فتح المجيد شرح كتاب التوحيد» (١/ ٣٤٢).

(٣) الاكفهرار: العبوس، والاستقبال بوجه كريه.

فكلُّ ذَلكَ قَد صَارَ عندَ كثيرٍ من النَّاس من قَبيل المنكرَات.

حَتَّىٰ إنَّ كثيرًا من المنتسبين إلَىٰ العلم قَد صَاروا يُدَندِنون حَول إنكَار هَذه الأعمَال الفَاضلَة المَحبوبَة إلَىٰ الله تَعَالَىٰ، ويعدُّونها من مَسَاوئ الأخلَاق، ويَعيبونَ عَلَىٰ مَن يَعمل بها، ويذمُّونهم ويعدُّونهم لذَلكَ أَهل تَجبرٍ، وتَكبُّرٍ، وتَعنُّتٍ، وشذوذٍ، وتَشديدٍ، وغلوٍّ في الدِّين، وقَد سَمعت هَذَا أو بَعضَه من بَعض الخطَباء والقصَّاص الثَّرثَارين المتَشدِّقين الَّذينَ يَقولون مَا لَا يَفعَلون، ويَفعَلون مَا لَا يؤمَرون، ويَأمرون النَّاس بالبرِّ ويَنسَون أنفسَهم، وهم يَتلون الكتابَ، أفَلَا يَعقلونَ.

وَسَمعت بَعضهم يصرِّح عَلَىٰ رءوس الأشهَاد بإنكَار الحبِّ في الله، والبغض في الله، وَسَمعتهم أيضًا يَحثُّون النَّاسَ في خطَبهم وقَصَصهم عَلَىٰ حسن السُّلوك مع النَّاس كلِّهم، وَاستجلَاب مَودَّتهم، ومَحبَّتهم، ويرغِّبونَهم في إظهَار البَشَاشَة لكلِّ أحدٍ، وَسَواء عَلَىٰ ظَاهر كَلَامهم الصَّالح والطَّالح من النَّاس، وربَّما صرَّح بَعضهم أنَّ هَذه الأفعالَ الذَّميمَة من حُسن الخُلق، وَمن مقتضَيات العَقل.

فيقَال لهَؤلاء الحَيَارىٰ المَغرورين:

العَقل في بَاب الحبِّ والبغض، والموَالَاة والمعَادَاة عَقلَان:

أَحدهما: عقلٌ مسدَّدٌ، موفَّقٌ، قاهرٌ للهَوَىٰ والنَّفس الأَمَّارة بالسُّوء، قَد استنَار بنور الإيمَان، وَصَار الحَاكم عَلَيه كتَاب الله، وسنَّة رسوله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ، فهَذَا العقل يَقتضي من أصحَابه ألَّا يقدِّموا عَلَىٰ طَاعَة الله تَعَالَىٰ، وَطَاعَة رَسوله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ شيئًا أبدًا، ويَقتضي من أصحابه أَن يحبُّوا في الله، ويبغضوا في الله، ويوَالوا في الله، ويعَادوا في الله، ويعطوا لله، ويَمنَعوا لله، ويسَارعوا إلَىٰ كلِّ ما يحبُّه الله

ويَرضاه من الأقوَال والأعمَال؛ سَوَاء رَضيَ النَّاس أو سَخطوا، لَا تَأخذهم في الله لَومة لائمٍ، وما أَقلَّ أَهلَ هَذَا العَقل في هَذه الأزمَان المظلمة.

والعَقل الآخر: عقلٌ مَعيشيٌّ نفاقيٌّ مَخذولٌ، قد قَهَرته النَّفس الأَمَّارة بالسُّوء، وَأَسَرته الحظوظ الدُّنيويَّة، والشَّهوات النَّفسيَّة، وَصَار الحَاكم عَلَيه الهَوَىٰ، فَمَحبَّته لهَوَاه، وبغضه لهَوَاه، وموَالَاته لهَوَاه، ومعَادَاته لهَوَاه، وبَذله لهَوَاه، ومَنعه لهَوَاه، فهَذَا العَقل يَقتضي من أربَابه أن يَتملَّقوا لسَائر أصنَاف النَّاس بأَلسَنتهم ويحسنوا السُّلوك مَعَ الصَّالح والطَّالح، وهَذَا العَقل هوَ الغَالب عَلَىٰ أكثَر النَّاس في زَمَاننا عَامَّتهم، وخَاصَّتهم ومَا أَكثَره في المنتَسبين إلَىٰ العلم، فَلَا حَولَ ولا قوَّة إلَّا بالله العليِّ العَظيم.

وقَد رَوَىٰ التِّرمذيُّ عَن أَبي هرَيرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«يَخرج في آخر الزَّمَان رجالٌ يَختلون الدُّنيا بالدِّين، يَلبسون للنَّاس جلودَ الضَّأن من اللِّين، أَلسنتهم أحلَىٰ من السُّكر، وقلوبهم قلوب الذِّئاب، يَقول الله: أَبي تَغترُّون، أم عليَّ تَجترؤون، فَبي حَلفت لأبعثنَّ عَلَىٰ أولَئك منهم فتنةً تَدع الحَليمَ منهم حَيرانَ»**(١).

وَرَوَىٰ التِّرمذيُّ أيضًا عَن ابن عمَر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَن النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«إنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ قَالَ: لقَد خَلَقت خلقًا أَلسنتهم أحلَىٰ من العَسَل، وقلوبهم أمرُّ من الصَّبر، فَبي حَلفت لأُتيحنَّهم(٢) فتنةً تَدع الحَليمَ منهم حَيرانًا، فَبي يَغترُّون، أم عليَّ**

(١) أخرجه الترمذي (٢٤٠٤)، وضعفه الألباني في «ضعيف الجامع» (٦٤١٩).

(٢) من الإتاحة بمعنىٰ التقدير، يقال: أتاح الله لفلان كذا: أي: قدَّره له وأنزله به. «النهاية في غريب الحديث».

يَجترئون؟!»[١]، قَالَ التِّرمذيُّ: هَذَا حَديثٌ حسنٌ غريبٌ.

وفي هَذَين الحَديثَين إشارةٌ إلَىٰ أَهل العَقل المَعيشيِّ النِّفاقيِّ، وما هم عَلَيه من المنَافَقة باللِّسَان والتَّكلُّف، والتَّصنُّع في الظَّاهر يَقولون بأَلسنتهم ما لَيسَ في قلوبهم.

قَالَ ابن القيِّم -رَحمَه الله تَعَالَىٰ- في وَصف أَهل هَذَا العَقل: «يظنُّ أربَابه أنَّهم عَلَىٰ شيءٍ أَلَا إنَّهم هم الكَاذبون، فإنَّهم يَرون العقلَ أن يرضوا النَّاسَ عَلَىٰ طبقَاتهم، ويسَالموهم، ويَستَجلبوا مَودَّتهم ومَحبَّتهم، وهَذَا مَعَ أَنَّه لا سبيلَ إلَيه، فهوَ إيثارٌ للرَّاحة والدَّعَة عَلَىٰ مؤنة الأذَىٰ في الله، والموَالَاة فيه، والمعَادَاة فيه، وهوَ وإن كَانَ أسلمَ عَاجلَةً، فهوَ الهلك في الآجلَة، فإنَّه ما ذاقَ طَعم الإيمَان مَن لَم يوَال في الله، ويعَاد فيه، فالعقل كلُّ العَقل ما أوصَل إلَىٰ رضَا الله ورَسوله، والله الموفِّق» اهـ[٢].

وَفي حَديثٍ مَرفوع ذَكَره ابن عَبد البرِّ وغيره: «أوحَىٰ الله إلَىٰ نبيٍّ من أنبيَاء بني إسرَائيل قل لفلَانٍ العَابد: أمَّا زهدك في الدُّنيا، فقَد تَعجَّلت به الرَّاحَة، وأمَّا انقطَاعك إليَّ، فقَد اكتسَبت به العزَّ، فَمَا عَملتَ فيمَا لي عَلَيك؟ قَالَ: وَمَا لكَ عليَّ؟ قَالَ: هَل وَالَيت فِيَّ وليًّا، أو عَادَيتَ في عَدوًّا».

قلت: وقَد رَوَاه أبو نعَيم في «الحليَة»[٣] من طَريق محمَّد بن محمَّد بن أَبي الوَرد قَالَ: حَدَّثني سَعيد بن مَنصورٍ، حَدَّثنا خَلَف بن خَليفَة، عَن حميد الأعرَج، عَن عَبد الله بن الحَارث، عَن عَبد الله بن مَسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.. فَذَكَره بنحوه.

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٤٠٥)، وضعفه الألباني في «ضعيف الجامع» (١٦٢).

(٢) «مفتاح دار السعادة» (١/ ١١٧).

(٣) (١٠/ ٣١٦)، وضعفه الألباني في «ضعيف الجامع» (٢١١٥).

وَذَكَرَ ابن عَبد البرِّ أيضًا: «أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ أوحَىٰ إِلَىٰ جبريلَ أَن اخسَف بقَرية كَذَا وكَذَا. قَالَ: يَا ربِّ، إنَّ فيهم فلانًا العَابد. قَالَ: به فَابدَأ، إنَّه لَم يَتمعَّر وَجهه فيَّ يَومًا قطُّ»، وقَد رَوَاه البيهقيُّ في «شعَب الإيمَان»[1] من حَديث جَابرٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، عَن النَّبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.. فَذَكَره بنحوه.

وَرَوَىٰ أَبو نعَيمٍ في «الحليَة» من حَديث مَكحول، عَن وَاثلَة بن الأَسقَع رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ مَرفوعًا، قَالَ: **«يؤتَىٰ بعبدٍ محسنٍ في نَفسه لا يَرَىٰ أَنَّ لَه ذنبًا، فيَقول لَه: هَل كنت توَالي أَوليائي؟ قَالَ: كنت من النَّاس سلمًا. قَالَ: فهَل كنت تعَادي أعدَائي؟ قَالَ: ربِّ، لَم يكن بَيني وبَين أحدٍ شيءٌ، فيَقول الله عَزَّوَجَلَّ: لا يَنال رَحمتي مَن لَم يوَال أوليَائي، ويعَاد أعدَائي»**[2].

إِذَا علمَ هَذَا، فأَهل العَقل المَعيشيِّ لا يَرَون بمدَاهنة البدَع، والفسوق، والعصيَان بأسًا، وَكَثيرٌ منهم لا يَرَون بمدَاهنة الكفَّار، والمنَافقين بأسًا. وبَعض أَهل الجَهل المركَّب منهم ينكرون عَلَىٰ مَن يَهجر أَهلَ البدَع، والفسوق، والعصيَان، ويكفهرُّ في وجوههم، ويَعدُّون ذَلكَ من الهَجر الَّذي نَهَىٰ عنه رَسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بقَوله: **«لا تَهَاجَروا»**[3]، وقَوله: **«لا يحلُّ لمسلمٍ أن يَهجر أَخَاه فَوق ثَلاثٍ»**[4].

---

(١) (١٠/ ٧٤) (٧١٨٩)، وقال الألباني في «الضعيفة» (١٩٠٤): ضعيف جدًّا.

(٢) أخرجه أبو نعيم (٥/ ١٨٦)، وفيه بشر بن عون القرشي وهو وضاع.

(٣) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٧/ ٩٥) من حديث أبي أيوب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وفي سنده إسحاق بن أحمد الفارسي وهو مجهول الحال. وأخرجه مسلم (٢٥٦٣) من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، بلفظ: **«لا تهجَّروا»**.

(٤) أخرجه البخاري (٦٠٧٦)، ومسلم (٢٥٥٨) من حديث أنس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

وقَد سَمعت هَذَا من بَعض الخطَباء والقصَّاص منهم، وَالحَامل لهم عَلَىٰ التَّسوية بَين الهَجر الدِّينيِّ، وهوَ ما كَانَ لله، وبَين الهَجر الدُّنيويِّ، وهوَ ما كَانَ لحظِّ النَّفس، لا يَخلو من أَحَد أَمرَين: إمَّا الجَهل بالفَرق بَين هَذَا وهَذَا، وإمَّا قَصد لَبس الحقِّ بالبَاطل عنادًا ومكَابرةً، وتَمويهًا عَلَىٰ الأغبيَاء الَّذينَ لا علمَ لهم بمَدَارك الأحكَام، وهَذَا الأخير هوَ الظَّاهر من حَال المتلبِّسين منهم ببَعض المَعَاصي ليَدفعوا عن أَنفسهم الشِّنعة، وَليوهموا الجهَّال أنَّ هَجرَهم إيَّاهم من أَجل المَعصيَة لَا يَجوز، وأَنَّ الَّذينَ يَهجرونهم من طَلَبة العلم وغَيرهم لَيسوا مصيبينَ.

فيقَال لهَؤلَاء المذَبذَبين المدلِّسين: إنَّ الَّذي جَاءَت الأَحَاديث بالنَّهي عَنه فيمَا زَادَ عَلَىٰ الثَّلاث هوَ التَّهاجر الدُّنيويُّ، كَمَا سيأتي بَيان ذَلكَ إن شَاءَ الله تَعَالَىٰ.

وقَد جَاءَت السُّنَّة بهَجر أَهل المَعَاصي حَتَّىٰ يَتوبوا: كَمَا هَجَر النَّبيُّ صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ كَعب بن مَالكٍ وَصَاحبيه خَمسينَ يومًا، ولَم يكلِّمهم حَتَّىٰ تابَ الله عَلَيهم[1]، وَهَجَر زَينب بنت جَحش رَضِيَاللَّهُعَنهَا قريبًا من شَهرين لمَّا قَالَت: أَنا أعطي تلكَ اليَهوديَّة؟![2] (تَعني صفيَّة)، وَهَجَر الَّذي بنىٰ فَوق الحَاجة حَتَّىٰ هدمَ بناءَه وسَوَّاه بالأَرض[3]، وَهَجر رجلًا رَآه متَخلِّقًا بزَعفران حَتَّىٰ غَسله وأَزال عَنه أثَره[4]،

(١) والقصة أخرجها البخاري (٤٤١٨)، ومسلم (٢٧٦٩) من حديث كعب بن مالك رَضِيَاللَّهُعَنهُ.

(٢) والحديث أخرجه أبو داود (٤٦٠٢) من حديث عائشة رَضِيَاللَّهُعَنهَا، وضعفه الألباني في «ضعيف أبي داود» (٩٩٩).

(٣) أخرجه أبو داود (٥٢٣٧) من حديث أنس رَضِيَاللَّهُعَنهُ، وقال الألباني في «الصحيحة» (٢٨٣٠): هذا إسناد جيد.

(٤) أخرجه الطيالسي (٢/ ٣٧) (٦٨١)، وأبو داود (٤١٧٦) من حديث عمار بن ياسر رَضِيَاللَّهُعَنهُمَا، =

وَهَجَر رجلًا رأىٰ عَلَيه جُبَّةً من حريرٍ حَتَّىٰ طَرَحها[1]، وَهَجَر رَجلًا رَأَىٰ في يده خَاتمًا من ذَهَبٍ حَتَّىٰ طَرَحه[2].

وَفي «سنَن أَبي دَاود»، وَ«جَامع التِّرمذيِّ»، و«مستَدرك الحَاكم»: أَنَّه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ هَجَر رجلًا رَأَىٰ عَلَيه ثَوبين أحمَرين[3]، وَكَان الصَّحَابة والتَّابعون لهم بإحسَانٍ يَهجرون مَن أظهَر المعصيةَ حَتَّىٰ يتوبَ، وتَظهَرَ توبته، وقَد قَالَ ابن عَبد القويِّ:

وهجران مَن أبدَىٰ المَعَاصي سنَّة ... وقيل إذَا يَردعه أوجَب وأَوْكَد

وقيلَ عَلَىٰ الإطلَاق ما دامَ معلنًا ... وَلاقه بوجهٍ مكفهرٍّ معَربد

فلَم يَذكر خلافًا في سنيَّة هَجر العَاصي المجَاهر بالمَعصية؛ سَوَاء ارتدَع بالهَجر، أَو لَم يَرتدع، وإنَّما الخلاف في الوجوب، هَل هو عَلَىٰ الإطلَاق، أم إذَا كَانَ العَاصي يَرتدع به، فأَينَ هَذَا ممَّا يَراه المتهوِّكون من إبطَال الهَجر الدِّينيِّ بالكليَّة، ومعَامَلة النَّاس كلِّهم؛ صَالحهم وَطَالحهم باللُّطف، واللِّين، والمودَّة.

قَالَ الحَافظ ابن حجرٍ في «فَتح البَاري»[4]: ذَهَب الجمهور إلَىٰ أَنَّه لا يُسلِّم

=

وحسنه الألباني.

(١) أخرجه النسائي (٥٢٠٦)، والبخاري في «الأدب المفرد» (١٠٢٢) من حديث أبي سعيد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وضعفه الألباني في «ضعيف الأدب المفرد» (١٦٠).

(٢) أخرجه مسلم (٢٠٩٠) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

(٣) أخرجه أبو داود (٤٠٦٩)، والترمذي (٢٨٠٧)، والحاكم (٤/ ٢١١) (٧٣٩٩) من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، وضعفه الألباني في «المشكاة» (٤٣٥٣).

(٤) (١١/ ٤٠).

عَلَىٰ الفَاسق، وَلَا المبتدع. قَالَ النَّوويُّ: فإن اضطرَّ إِلَىٰ السَّلَام بأَن خاف ترتُّب مَفسدةٍ في دينٍ أو دنيا إن لَم يسلِّم، سَلَّم. وكذا قَالَ ابن العربيِّ، وَزَاد: ويَنوي أَنَّ السَّلَامَ اسمٌ من أسمَاء الله تَعَالَىٰ، فكأَنَّه قَالَ: الله رَقيبٌ عَلَيكم.

وقَالَ المهَلَّب: تَرك السَّلَام عَلَىٰ أَهل المَعَاصي سنَّةٌ ماضيةٌ، وَبه قَالَ كثيرٌ من أَهل العلم في أَهل البدَع، وأَلحَق بَعض الحَنفيَّة بأَهل المَعَاصي مَن يَتعَاطىٰ خَوَارمَ المروءة؛ ككَثرة المزَاح، واللَّهو، وفحش القَول، والجلوس في الأسوَاق لرؤية مَن يمرُّ من النِّساء، ونحو ذَلكَ. اهـ.

وَحَكَىٰ ابن رشدٍ قَالَ: قَالَ مالكٌ: لا يُسلَّم عَلَىٰ أَهل الأهوَاء. قَالَ ابن دَقيق العيد: ويَكون ذَلكَ عَلَىٰ سَبيل التَّأديب لهم، والتَّبرِّي منهم(١).

وقَالَ البخاريُّ -رَحمَه الله تَعَالَىٰ- في «صَحيحه»(٢) (باب الهَجر)، وقَول صَلَّىٰللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**لا يَحلُّ لرَجلٍ أن يَهجرَ أخاه فَوق ثلاثٍ**»، ثمَّ سَاقَ في البَاب ثَلَاثة أَحَاديث في تَحريم الهَجر فَوق ثَلَاثٍ، ثمَّ قَالَ: (باب ما يَجوز من الهجرَان لمَن عَصَىٰ)، وقَالَ كعبٌ حينَ تَخلَّف عن النَّبيِّ صَلَّىٰللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: وَنَهىٰ النَّبيُّ صَلَّىٰللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ المسلمين عن كَلَامنا.. وَذَكَر خَمسينَ ليلةً.

ثمَّ قَالَ بعد ذَلكَ في كتَاب الاستئذَان: (بَاب مَن لَم يسلِّم عَلَىٰ مَن اقترف ذنبًا، ومَن لَم يردَّ سَلَامه حَتَّىٰ تَتبيَّن تَوبته، وإِلَىٰ مَتَىٰ تَتبيَّن تَوبة العَاصي)، وقَالَ عَبد الله بن عمرٍو رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: لا تسلِّموا عَلَىٰ شَرَبة الخَمر.

---

(١) انتهىٰ كلام ابن حجر من «فتح الباري» (١١/ ٤٠).

(٢) (٨/ ٢٠).

ثمَّ ذَكَر طرفًا من حَديث كَعب بن مالكٍ قَالَ: ونَهَىٰ رَسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن كَلَامنا، وآتي رَسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأسلِّم عَلَيه، فأَقول في نَفسي: هَل حَرَّك شَفَتيه برَدِّ السَّلَام أم لَا حَتَّىٰ كَملَت خَمسون ليلةً.

قَالَ الطَّبريُّ: قصَّة كَعب بن مالكٍ أَصلٌ في هجرَان أَهل المَعَاصي.

قلت: وقَد أَجَاد البخاريُّ -رَحمَه الله تَعَالَىٰ- وأفَاد فيمَا سَلكه من التَّفريق بَين الهَجر الدُّنيويِّ، والهَجر الدِّينيِّ، فإنَّه ذكرَ في التَّرجمة الأولَىٰ حكم الهَجر الدُّنيويِّ، وأَنَّه يَحرم فوقَ ثلاثٍ، ثمَّ ذَكَر في التَّرجمَة الثَّانيَة، والتَّرجمَة الثَّالثة حكمَ الهَجر الدِّينيِّ، وهو هَجر أَهل المَعَاصي لله، وأبَان أَنَّه لا حَدَّ له إلَّا بالتَّوبة الصَّادقَة.

وقَد سَلَك أَبو دَاود -رَحمَه الله تَعَالَىٰ- نَحو هَذَا المَسلك، فَقَالَ في كتَاب الأَدَب من «سنَنه»(١): (بَاب فيمَن يَهجر أَخَاه المسلم)، وَسَاق في البَاب عدَّة أَحَاديث في تَحريم الهَجر فَوق ثَلاثٍ، ثمَّ قَالَ في آخر البَاب: النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَجَر بَعض نسائه أربَعين يومًا. وابن عمَر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا هَجَر ابنًا له إلَىٰ أن ماتَ.

قَالَ أَبو دَاود: إذَا كانت الهجرَة لله، فلَيس من هَذَا بشيءٍ. وعمَر بن عَبد العَزيز غَطَّىٰ وَجهه عن رجلٍ.

وقَالَ الخَطَّابيُّ في الكَلَام عَلَىٰ حَديث كَعب بن مالكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: فيه من العلم أَنَّ تَحريم الهجرَة بَين المسلمين أكثَر من ثلاثٍ إنَّما هو فيمَا يَكون بَينهما من قبَل عتبٍ، أَو موجدَةٍ، أو لتَقصير يَقَع في حقوق العشرَة، ونَحوها دونَ ما كَانَ من ذَلكَ في حقِّ الدِّين، فإنَّ هجرَة أَهل الأَهوَاء والبدعَة دَائمةٌ عَلَىٰ مَرِّ الأَوقَات والأزمَان ما لم

(١) (٤/ ٢٧٨).

تَظهر منهم التَّوبة، والرُّجوع إلَىٰ الحقِّ. اهـ[١].

وقَد رَوَىٰ مسلمٌ في «صَحيحه»[٢]، عَن سَالم بن عَبد الله أنَّ عبدَ الله بن عمَر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: سَمعت رَسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقول: «**لَا تَمنَعوا نسَاءكم المَسَاجد إذَا استَأذنَّكم إلَيها**». قَالَ: فقَالَ بلال بن عَبد الله: والله لنَمنعهنَّ. قَالَ: فأَقبلَ عَليه عبد الله فسَبَّه سبًّا سَيِّئًا، ما سمعته سبَّه مثله قطُّ، وقَالَ: أُخبرك عن رَسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتَقول: والله لنَمنعهنَّ؟!

وفي روايةٍ له عن مجَاهدٍ: أَنَّه ضَرَب في صَدره.

وقَد رَوَىٰ البخاريُّ المَرفوع منه فَقَط، ورَوَاه الإمَام أَحمَد، وأَبو دَاود، والتِّرمذيُّ، وابن مَاجَه، والدَّارميُّ، وغَيرهم بنحو روايَة مسلمٍ[٣].

وَرَوَىٰ أَبو دَاود الطَّيالسيُّ[٤] روَاية مجَاهد، وقَالَ: فَرفَع يَدَه فلَطَمه، فقَالَ: أحدِّثك عَن رَسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتَقول هَذَا؟!

وفي روايةٍ لأَحمَد: «فَمَا كلَّمه عبد الله حَتَّىٰ ماتَ».

قَالَ النَّوويُّ: فيه تَعزير المعترض عَلَىٰ السُّنَّة، والمعَارض لها برأيه، وفيه تَعزير

---

(١) «معالم السنن» (٤/ ٢٩٦).

(٢) (٤٤٢).

(٣) أخرجه البخاري (٩٠٠)، وأحمد (٢/ ٧٦) (٥٤٦٨)، وأبو داود (٥٦٧)، وابن ماجه (١٦)، والدارمي (٢/ ٨١٢) (١٣١٥)، والطبراني (١٢/ ٣٢٨) (١٣٢٥٥)، والحاكم (١/ ٣٢٧) (٧٥٥)، والبيهقي (٣/ ١٣١) (٥١٤٢)، وابن خزيمة (٣/ ٩٢) (١٦٨٤).

(٤) (٣/ ٤١٠) (٢٠٠٦).

الوَالد وَلَده وإن كَانَ كَبيرًا. اهـ[١].

وفيه أيضًا جَواز التَّأديب بالهجرَان. قَالَه الحافظ ابن حَجَرٍ رحمه الله تَعالَىٰ[٢].

وفي «مستَدرك الحَاكم»[٣] عَن عَمرو بن مسلم قَالَ: خَذَف رجلٌ عندَ ابن عمَر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فقَالَ: لا تَخذف، فإنِّي سَمعت رَسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ينهىٰ عن الخَذف، ثمَّ رَآه ابن عمَر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بَعد ذَلكَ يَخذف، فقَالَ: أنبأتكَ أَنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَنهىٰ عن الخَذف، ثمَّ خَذَفت؟! والله لا أكلِّمك أبدًا.

قَالَ الإمَام أَحمَد -رَحمَه الله تَعَالَىٰ- في روَايَة محمَّد بن أبي موسَىٰ، وقَد سَأله رجلٌ خرَاسانيٌّ أنَّ عندنَا قومًا يَأمرون برَفع اليَدَين في الصَّلاة، وقومًا يَنهون عنه. قَالَ: لا يَنهاك إلَّا مبتدعٌ، فعَل ذَلكَ رَسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قَالَ ابن مفلح في «النُّكَت عَلَىٰ المحرَّر»: وهَل يهجر مَن تَركه مَعَ العلم؟

روي عن الإمَام أَحمَد فيمَن تَركه يخبر به، فإن لَم يَنته، يهجَر.. ذَكَره الخَلَّال.

وهَذَا الهَجر عَلَىٰ سَبيل الجَوَاز، وَالاستحبَاب لعَدَم وجوب المَتروك، ويَنبغي أن يَكونَ هَذَا النَّصُّ بالهَجر، والنَّصُّ بأَنَّه مبتدعٌ بناءً عَلَىٰ النَّصِّ بأَنَّه تَاركٌ للسُّنَّة. اهـ.

وفي «سنَن ابن مَاجه»[٤] أنَّ عبادة بن الصَّامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ غزَا مع معَاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أرضَ الرُّوم، فَنظَر إلَىٰ النَّاس وهم يَتبَايعونَ كسَرَ الذَّهب بالدَّنَانير، وكسَر

---

(١) «شرح صحيح مسلم» للنووي (٤/ ١٦٢).

(٢) «فتح الباري» (٢/ ٣٤٩).

(٣) (٤/ ٣١٥) (٧٧٦٠).

(٤) (١٨)، وصححه الألباني في «صحيح ابن ماجه» (١٨).

الفضَّة بالدَّراهم، فقَالَ: يأيُّها النَّاس، إنَّكم تأكلون الرِّبا، سَمعت رَسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**لا تبتاعوا الذَّهبَ بالذَّهب إلَّا مثلًا بمثلٍ، لا زيَادَة بينهما، وَلا نظرَة**»، فقَالَ له معَاوية: يا أبَا الوَليد، لَا أرَىٰ الرِّبا في هَذَا إلَّا ما كَانَ من نَظرَةٍ، فقَالَ عبَادة: أحدِّثك عن رَسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتحدِّثني عَن رَأيك، لَئن أخرَجني الله، لَا أسَاكنك بأرضٍ لَكَ عليَّ فيها إمرَة.

فلَمَّا قفلَ، لَحقَ بالمَدينَة، فقَالَ له عمَر بن الخطَّاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: ما أَقدَمك يا أبَا الوَليد.. فَقصَّ عَلَيه القصَّة، وما قَالَ من مسَاكنته، فقَالَ: ارجع يا أبَا الوَليد إلَىٰ أَرضكَ، فَقبَّح الله أرضًا لَستَ فيها وأمثَالك، وَكَتَب إلَىٰ معَاوية: لَا إمرَة لَكَ عَلَيه، وَاحمل النَّاسَ عَلَىٰ ما قَالَ، فإنَّه هو الأمر.

ورَوَاه الدَّارميُّ في «سننه»[١] مختصرًا، ولَفظه عند أبي المخَارق قَالَ: ذَكَر عبَادة بن الصَّامت رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**نَهَىٰ عَن درهَمين بدرهمٍ**»، فقَالَ فلانٌ: ما أَرَىٰ بهَذَا بأسًا يدًا بيَدٍ، فقَالَ عبَادة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَقول: قَالَ النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتَقول: لَا أرَىٰ به بأسًا، والله لا يظلُّني وإيَّاك سقفٌ أبدًا.

وفي هَذَا الحَديث جوَاز هجرَان مَن خَالفَ السُّنَّة وَعَارَضَها برَأيه.

وَرَوَىٰ مَالكٌ في «الموطَّإ»[٢]، والشَّافعيُّ في «مسنده»[٣] من طَريق مَالكٍ، عَن زَيد بن أسلَم، عَن عَطَاء بن يسارٍ أَنَّ معَاويةَ بن أَبي سفيان رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا بَاعَ سقايةً من

---

(١) (١/ ٤٠٩) (٤٥٧).

(٢) (١/ ٢٤٢) (١٢٠٢).

(٣) (٢/ ٦٣٤) (٣٣).

ذَهَبٍ أو وَرِقٍ بأكثرَ من وَزنها، فقَالَ أَبو الدَّرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: سَمعت رَسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَنهىٰ عن هَذَا إلَّا مثلًا بمثلٍ، فقَالَ له معَاوية: ما أرَىٰ بمثل هَذَا بأسًا، فقَالَ أَبو الدَّرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَن يَعذرني من معَاوية، أنَا أخبره عن رَسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويخبرني عَن رَأيه، لَا أسَاكنك بأرضٍ أنتَ بها. ثمَّ قدمَ أَبو الدَّرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ علَىٰ عمَر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فذَكَر ذَلكَ له، فكَتب عمَر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلَىٰ معَاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ألَّا تبيعَ ذَلكَ إلَّا مِثلًا بمِثلٍ، وزنًا بوزنٍ.

قَوله: فَقَالَ أَبو الدَّرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَن يَعذرني من معَاوية...إلَخ. قَالَ ابن عَبد البَر: كَانَ ذَلكَ منه أنفةً من أن يردَّ عَلَيه سنَّة عَلمهَا من سنَن رَسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ برَأيه. وصدور العلَماء تَضيق عَن مثل هَذَا، وهوَ عندهم عَظيمٌ ردُّ السُّنن بالرَّأي.

قَالَ: وَجائزٌ للمَرء أن يَهجرَ مَن لم يَسمع منه، ولَم يطعه، وليسَ هَذَا من الهجرَة المَكروهة، ألَا تَرَىٰ أنَّ رَسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمرَ النَّاس ألَّا يكلِّموا كعبَ بن مالكٍ حينَ تَخلَّف عن تَبوك. قَالَ: وهَذَا أصلٌ عندَ العلَماء في مجَانبة مَن ابتدَع، وهجرَته، وقَطع الكَلَام عنه، وقَد رَأىٰ ابن مَسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رجلًا يَضحَك في جنازةٍ، فقَالَ: والله، لا أكلِّمك أبدًا. انتهَىٰ كَلَام ابن عبد البَر رحمه الله تَعالَىٰ.

وهَذَا الأثر الَّذي ذَكره عَن ابن مَسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَد رَواه الإمَام أَحمَد في كتَاب الزُّهد، فقَالَ: حَدَّثنا سفيان، حَدَّثنا عَبد الرَّحمن بن حمَيد سَمعَه من شَيخٍ من بني عَبس: أبصَرَ عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رجلًا يَضحَك في جنَازَة، فقَالَ: تَضحَك في جنَازَةٍ، لا أكلِّمك أبدًا.

وَفي «الصَّحيحَين»، عَن عَبد الله بن برَيدة قَالَ: رَأَىٰ عبد الله بن المغفَّل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رجلًا من أصحابه يَخذف، فقَالَ لَه: لا تَخذف، فإنَّ رَسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

كَانَ يَكره -أَو قَالَ: يَنهىٰ عن- الخَذف، فإنَّه لا يصَاد به الصَّيد، وَلَا ينكأ به العدوُّ، وَلَكنه يَكسر السِّنَّ، ويَفقأ العينَ.

ثمَّ رَآه بَعد ذَلكَ يَخذف، فَقَالَ له: أخبرك أَنَّ الرَّسولَ ﷺ كَانَ يَكره أو يَنهىٰ عن الخَذف، ثمَّ أَرَاك تَخذف، لَا أكلِّمك كَلمةً كَذَا وَكَذا[١]. هَذَا لَفظ مسلم، وقَد رَوَاه الدَّارميُّ في «سننه»[٢] بنحوه، وقَالَ فيه: وَالله لَا أكلِّمك أبدًا. ورَوَاه الإمَام أَحمَد، وأَبو دَاود مختصرًا[٣].

ورَوَاه مسلمٌ أيضًا، وَابن مَاجَه من حَديث سَعيد بن جبَير أَنَّ قريبًا لعَبد الله بن المغفَّل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خذَف، قَالَ: فَنهَاه، وقَالَ: إنَّ رَسولَ الله ﷺ نَهىٰ عن الخَذف، وَقَالَ: «**إنَّها لا تَصيد صيدًا، ولا تَنكأ عدوًّا، وَلكنَّها تَكسر السِّنَّ، وتَفقأ العَين**»[٤].

قَالَ: فَعَاد، فَقَالَ: أحدِّثك أنَّ رَسولَ الله ﷺ نَهىٰ عنه، ثمَّ تَخذف، لا أكلِّمك أبدًا. هَذَا لَفظ مسلم.

وفي روَايَة ابن ماجه أنَّ عَبد الله بن المغفَّل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ جالسًا إلَىٰ جَنب ابن أخٍ لَه، فَخَذف، فَنهَاه. وذَكَر تمامَ الحَديث بنحو روَايَة مسلم، وفيه: لَا أكلِّمك أبدًا.

وَرَوَىٰ الدَّارميُّ في «سنَنه»[٥] عن خرَاش بن جبَير قَالَ: رأيت في المَسجد فتًىٰ

---

(١) أخرجه البخاري (٦٢٢٠)، ومسلم (١٩٥٤).

(٢) (١/ ٤٠٧) (٤٥٤).

(٣) أخرجه أحمد (٥/ ٥٥) (٢٠٥٧٠)، أبو داود (٥٢٧٠)، وصححه الألباني.

(٤) أخرجه مسلم (١٩٥٤)، وابن ماجه (٣٢٢٦).

(٥) (١/ ٤٠٥) (٤٥٢).

يَخذف، فقَالَ له شيخٌ: لا تَخذف، فإنِّي سمعت رَسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَنهىٰ عن الخَذف، فَغفل الفتَىٰ، فظنَّ أَنَّ الشَّيخَ لا يَفطن له، فَخذف، فقَالَ له الشَّيخ: أحدِّثك أنِّي سَمعت رَسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَنهىٰ عن الخَذف، ثمَّ تَخذف، والله لَا أَشهَد لَكَ جنازَةً، وَلَا أَعودك في مَرَضٍ، وَلَا أكلِّمك أبدًا.

وَرَوَىٰ الدَّارميُّ أيضًا عن أيُّوب، عَن سَعيد بن جبيرٍ، عَن عَبد الله بن مغفَّل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: نَهَىٰ رَسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الخَذف وقَالَ: «**إنَّهَا لَا تَصطَاد صيدًا، ولا تنكي عدوًّا، ولَكنَّها تَكسر السِّنَّ، وتَفقأ العينَ**»، فَرَفع رجلٌ بَينه وبَين سعيدٍ قَرابةٌ شيئًا من الأَرض، فَقَالَ: هَذه وَمَا تكون هَذه، فقَالَ سَعيدٌ: ألَا أراني أحدِّثك عَن رَسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثمَّ تَهَاون به، لَا أكلِّمك أبدًا(١).

وَرَوَىٰ الدَّارميُّ أيضًا عَن قَتادَة قَالَ: حَدَّث ابن سيرينَ رَجلًا بحَديثٍ عن النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ رجلٌ: قَالَ فلانٌ كَذَا وكَذَا، فقَالَ ابن سيرينَ: أحدِّثك عن النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتَقول: قَالَ فلانٌ وفلانٌ كَذَا وكَذَا، لا أكلِّمك أبدًا(٢).

قَالَ النَّوويُّ في الكَلَام عن حَديث عَبد الله بن مغفَّل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: فيه هجرَان أَهل البدَع، والفسوق، ومنَابذي السُّنَّة مَعَ العلم، وأَنَّه يَجوز هجرَانه دائمًا، وأَنَّ النَّهي عن الهجرَان فَوق ثَلَاثة أيَّامٍ إنَّما هو فيمَن هجرَ لحَظِّ نَفسه، وَمَعَايش الدُّنيا، وأمَّا أَهل البدَع ونَحوهم فهجرَانهم دَائمًا، وهَذَا الحَديث ممَّا يؤيِّده مَعَ نَظَائر له كحَديث كَعب بن مَالكٍ، وغَيره. اهـ(٣).

---

(١) أخرجه الدارمي (١/ ٤٠٦) (٤٥٣).

(٢) أخرجه الدارمي (١/ ٤٠٧) (٤٥٥).

(٣) «شرح صحيح مسلم» للنووي (١٣/ ١٠٦).

وَقَالَ الحَافظ ابن حَجَرٍ: «في الحَديث جواز هجرَان مَن خَالَف السُّنَّة، وَترك كَلَامه، وَلَا يَدخل ذَلكَ في النَّهي عن الهَجر فَوق ثَلَاثٍ، فإنَّه يَتعلَّق بمَن هَجَر لحظِّ نَفسه» اهـ[1].

وقَالَ شَيخ الإسلَام أَبو العبَّاس ابن تَيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «الهَجر الشَّرعيُّ نَوعان:

أَحَدهما: بمَعنىٰ التَّرك للمنكرات.

وَالثَّاني: بمَعنىٰ العقوبة عَلَيها.

فالنَّوع الأوَّل: هوَ المَذكور في قَوله تَعالَىٰ: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنعام: ٦٨].

وقَوله: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٠].

فهَذَا يرَاد به أَنَّه لَا يشهد المنكَرات لغَير حاجةٍ، مثلَ قَومٍ يَشرَبون الخمرَ لَا يَجلس عندهم، وقَوم دَعَوا إلَىٰ وَليمَةٍ فيها خمرٌ وزمرٌ لَا يُجيب دَعوَتهم، وأمثَال ذَلكَ، بخلَاف مَن حَضَر عندهم للإنكَار عَلَيهم، أو حَضَر بغَير اختيَاره، ولهَذَا يقَال: حاضر المنكر كفاعله.

وفي الحَديث: «مَن كَانَ يؤمن بالله واليَوم الآخر، فَلَا يَجلس عَلَىٰ مَائدَةٍ يَشرب عَلَيها الخَمر»[2]، وهَذَا الهَجر من جنس هَجر الإنسَان نَفسه عن فعل المنكَرات، كَمَا

---

(١) «فتح الباري» (٩/ ٦٠٨).

(٢) أخرجه الطبراني (١١/ ١٩١) (١١٤٨٦) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وصححه لغيره =

قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**المهَاجر مَن هَجَر ما نَهَىٰ الله عنه**»(١).

وَمن هَذَا البَاب الهجرَة من دَار الكفر إلَىٰ دَار الإسلَام وَالإيمَان، فإنَّه هَجرٌ للمَقَام بَين الكَافرين والمنَافقين الَّذينَ لا يمكِّنونه من فعل ما أَمرَ الله به، ومن هَذَا قَوله تَعالَىٰ: ﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾ [المدَّثر: ٥].

النَّوع الثَّاني: الهَجر عَلَىٰ وَجه التَّأديب، وهوَ هَجر مَن يُظهر المنكرات، يهجَر حَتَّىٰ يَتوبَ منها، كَمَا هَجَر النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الثَّلاثَة الَّذينَ خلِّفوا حَتَّىٰ أنزلَ الله تَوبتَهم، حينَ ظَهَر منهم تَرك الجهَاد المتعيَّن عَلَيهم بغَير عذرٍ. ولَم يهجَر مَن أَظهَرَ الخيرَ وإن كَانَ منافقًا، فهنَا الهجرَة بمَنزلة التَّعزير، والتَّعزير يَكون لمَن ظَهَر منه تَرك الوَاجبَات، وفعل المحرَّمات كترَك الصَّلَاة، والتَّظَاهر بالمَظَالم والفَوَاحش، والدَّاعي إلَىٰ البدَع المخَالفة للكتَاب والسُّنَّة، وإجمَاع سَلَف الأمَّة الَّتي ظَهَر أنَّها بدعٌ، وهَذَا حَقيقَة قَول مَن قَالَ من السَّلَف والأَئمَّة: إنَّ الدُّعَاة إلَىٰ البدَع لا تُقبل شَهَادتهم، ولا يصلَّىٰ خَلفهم، وَلَا يؤخَذ عَنهم العلم، وَلَا ينَاكَحون، فَهَذه عقوبةٌ لهم حَتَّىٰ يَنتهوا. ولهَذَا يفرِّقون بَين الدَّاعية وغَير الدَّاعية؛ لأَنَّ الدُّعاة أظهَروا المنكَرات، فَاستحقُّوا العقوبَةَ، بخلَاف الكَاتم، فإنَّه ليسَ شرًّا من المنَافقين الَّذينَ كَانَ النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقبل عَلَانيَتَهم، وَيَكل سَرَائرهم إلَىٰ الله عَزَّ وَجَلَّ مَعَ علمه بحَال كَثيرٍ منهم.

ولهَذَا، جَاءَ في الحَديث أَنَّ المَعصيةَ إذَا خَفيت لَم تضرَّ إلَّا صَاحبَها، وَلَكن إذَا أعلنَت فلَم تنكَر، ضَرَّت العامَّة، وذَلكَ لأَنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**إنَّ النَّاس إذَا**

=

الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (١٧٢).

(١) أخرجه البخاري (١٠)، ومسلم (٤٠) من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

رَأوا المنكرَ ولَم يغيِّروه، أَوشكَ أن يَعُمَّهم الله بعقابٍ منه»[(١)]، فإنَّ المنكَرات الظَّاهرة يجب إنكَارها بخلَاف البَاطنَة، فإنَّ عقوبَتها عَلَىٰ صَاحبها خَاصَّة.

وهَذَا الهَجر يَختلف باختلَاف الهَاجرينَ في قوَّتهم وضَعفهم، وقلَّتهم وكَثرتهم، فإنَّ المَقصودَ به زَجر المَهجور، وتأديبه، ورجوع العامَّة عن مثل حاله، فإن كَانَت المَصلحة في ذَلكَ رَاجحةً بحَيث يفضي هَجره إِلَىٰ ضَعف الشَّرِّ وخفيته، كَانَ مَشروعًا، وإن كَانَ المَهجور وغَيره لا يَرتدع بذَلكَ، بَل يزيد الشَّرُّ، والهاجر ضعيفٌ بحَيث تكون مَفسدة ذَلكَ راجحةً عَلَىٰ مَصلحته، لم يشرع الهَجر، بَل يَكون التَّأليف لبَعض النَّاس أنفَع من الهَجر، والهَجر لبَعض النَّاس أنفَع من التَّأليف.

ولهَذَا، كَانَ النَّبيُّ ﷺ يتألَّف قومًا، ويَهجر قومًا آخرينَ، وقَد تكون المؤلَّفة قلوبهم أشرَّ حَالًا في الدِّين من المَهجورين، كَمَا أَنَّ الثَّلاثَة الَّذينَ خلِّفوا كَانوا خيرًا من أكثَر المؤلَّفة قلوبهم، ولَكنَّ أولَئك كَانوا سَادةً مطَاعينَ في عَشَائرهم، فكَانت المَصلحة الدِّينيَّة في تَأليف قلوبهم. وهَؤلَاء كَانوا مؤمنينَ، والمؤمنونَ سوَاهم كَثيرٌ، فكَانَ في هَجرهم تَأييد الدِّين، وَتَطهيرهم من ذنوبهم، وهَذَا كَمَا أَنَّ المَشروع في العدوِّ القتَال تارةً، والمهَادَنة تارةً، وأَخذ الجزيَة تَارةً، كلُّ ذَلكَ بحَسَب الأحوَال والمَصَالح.

وَجَواب الأَئمَّة كأَحمَد وغَيره في هَذَا البَاب مبنيٌّ عَلَىٰ هَذَا الأَصل، ولهَذَا كَانَ يفرَّق بَين الأَمَاكن الَّتي كَثرَت فيها البدَع، وبَين ما لَيسَ كذَلكَ، ويفرَّق بَين الأئمَّة المطَاعين وغَيرهم، وإذَا عرفَ مَقصود الشَّريعَة، سلكَ في حصوله أوصَل الطُّرق إليه،

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٣٣٨)، والترمذي (٢٣٠٧) من حديث أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٥٦٤).

وإذَا عرفَ هَذَا، فَالهجرَة الشَّرعيَّة هي الأَعمَال الَّتي أَمَر الله بهَا ورَسوله صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فالطَّاعة لا بدَّ أن تكون خَالصَةً لله، وأَن تكون موَافقةً لأَمره، فتكون خَالصَة لله صَوَابًا، فمَن هَجَر لهَوَىٰ نَفسه، أو هَجَر هجرًا غَير مأمورٍ به، كَانَ خَارجًا عن هَذَا، وما أَكثَرَ ما تَفعل النُّفوس ما تَهواه ظانَّة أَنَّها تفعله طَاعةً لله.

والهَجر لأَجل حَظِّ الإنسَان لا يَجوز أكثَر من ثَلَاثٍ كَمَا جاءَ في «الصَّحيحَين» عن النَّبيِّ صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أَنَّه قَالَ: «**لا يحلُّ لمسلمٍ أن يَهجر أَخَاه فَوق ثَلَاثٍ، يَلتقيَان، يصدُّ هَذَا، ويصدُّ هَذَا، وخَيرهما الَّذي يبدأ بالسَّلَام**»(١).

فلَم يرخَّص في هَذَا الهَجر أكثَر من ثَلَاثٍ.

وفي الصَّحيح عَنه صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ **أَنَّه قَالَ: «تفتَح أبوَاب الجنَّة كلَّ اثنَين وَخَميس، فيغفَر لكلِّ عَبدٍ لا يشرك بالله شيئًا إلَّا رجلًا كَانَ بَينه وبَين أَخيه شَحناء فيقَال: أَنظِروا هَذَين حَتَّىٰ يَصطلحَا**»(٢)، فَهَذَا الهَجر لَحقِّ الإنسَان حَرامٌ، وإنَّما رخصَ في بَعضه، كَمَا رُخِّص للزَّوج أن يهجرَ امرأتَه في المَضجع إذَا نَشَزت، وكَما رخصَ في هَجر الثَّلاث، فيَنبغي أن يفرَّق بَين الهَجر لحَقِّ الله(٣)، وبَين الهَجر لحَقِّ نَفسه، فالأَوَّل مأمورٌ به، والثَّاني منهيٌّ عَنه؛ لأَنَّ المؤمنينَ إخوةٌ، وهَذَا لأَنَّ الهَجرَ من العقوبَات الشَّرعيَّة، فهوَ من جنس الجهَاد في سَبيل الله، وهَذَا يفعل لأن تكونَ كَلمَة الله هي العليا، ويَكون الدِّين كلُّه لله.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٢٣٧)، ومسلم (٢٥٦٠) من حديث أبي أيوب رَضِيَاللَّهُعَنْهُ.

(٢) أخرجه مسلم (٢٥٦٥) من حديث أبي هريرة رَضِيَاللَّهُعَنْهُ.

(٣) في المطبوع: «لحق لله».

والمؤمن عَلَيه أن يعَادي في الله، ويوَالي في الله، فإن كَانَ هنَاك مؤمنٌ، فعلَيه أن يوَاليه، وإن ظَلَمه، فإنَّ الظُّلمَ لا يَقطَع الموَالَاة الإيمانيَّة، قَالَ الله تَعَالَىٰ: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَـٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ٩، ١٠]، فَجَعَلهم إخوةً مَعَ وجود القتَال والبَغي، وأَمَر بالإصلَاح بَينهم.

فَليتدبَّر المؤمن الفَرقَ بَين هَذَين النَّوعين، فَمَا أكثَرَ ما يَلتَبس أَحَدهما بالآخَر، وَليعلم أَنَّ المؤمنَ تجب موَالاته وإن ظَلَمَك، واعتدَىٰ عَلَيك، وَالكَافر تَجب معَاداته وإن أعطَاكَ وأَحسَن إلَيك، فإنَّ اللهَ سبحَانه بَعَث الرُّسلَ، وأَنزلَ الكتبَ ليَكونَ الدِّين كلُّه لله، فيَكون الحبُّ لأَوليائه، والبُغض لأعدَائه، والإكرَام لأَوليائه، والإهَانَة لأعدَائه، والثَّوَاب لأَوليائه، والعقَاب لأعدَائه، وإذَا اجتمَعَ في الرَّجل الوَاحد خَيرٌ وَشرٌّ، وتقًىٰ وفجورٌ، وَطَاعةٌ ومَعصيةٌ، وسنَّةٌ وبدعةٌ، استَحقَّ من الموَالَاة والثَّواب بقَدر ما فيه من الخَير، واستحقَّ من المعَادَاة والعقَاب بقَدر ما فيه من الشَّرِّ، فيَجتَمع في الشَّخص الوَاحد موجبَات الإكرَام وَالإهَانَة، فيَجتَمع لَه من هَذَا وهَذَا كاللِّصِّ الفَقير تقطَع يده، ويعطَىٰ من بَيت المَال مَا يَكفيه لحَاجَته.

هَذَا هوَ الأَصل الَّذي اتَّفقَ عَلَيه أَهل السُّنَّة والجَماعَة. انتهىٰ كَلَامه -رَحمَه الله تَعَالَىٰ- ملخَّصًا[1]، وَفيه فَوَائد جَليلةٌ لَيسَت في كَلَام غيره منَ العلَماء الَّذينَ تَقدَّم ذكرهم، فَليتأَمَّل من أوَّله إلَىٰ آخره، فَمَا أحسَنَه وأنفَعَه في هَذَا البَاب!

---

(١) انظر: «مجموع الفتاوىٰ» (٢٨/ ٢٠٩).

فصل

وقد جاءَ في هَجر أَهل المَعَاصي أَحَاديث وَآثَار عَن الصَّحَابة، وَالتَّابعينَ، وأَئمَّة العلم والهدَىٰ من بَعدهم، وأَنَا أَذكر من ذَلكَ ما تَيسَّر -إن شَاءَ الله تَعالَىٰ، وَبه الثِّقة.

فأَمَّا الأَحَاديث عن النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

فَالأَوَّل منهَا: حَديث كَعب بن مَالكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في قصَّة تَخلُّفه عن النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في غزوة تَبوك، قَالَ: ونَهَىٰ رَسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المسلمينَ عَن كَلَامنا أَيُّها الثَّلَاثة من بَين مَن تخلَّف عَنه، فَاجتَنبَنا النَّاس، وتَغيَّروا لنا حَتَّىٰ تَنكَّرت لي في نَفسي الأَرض، فَمَا هي بالأَرض الَّتي كنت أَعرف، فَلَبثنا عَلَىٰ ذَلكَ خَمسينَ لَيلةً، فأَمَّا صَاحبَاي، فَاستكَانَا وَقَعَدا في بيوتهما يَبكيَان، وأَمَّا أَنَا فكنت أَشدَّ القَوم، وأَجلَدَهم، فكنت أَشهَد الصَّلَاة مع المسلمين، وأَطوف بالأَسوَاق، فَلَا يكلِّمني أَحدٌ، وَآتي رَسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهوَ في مَجلسه بَعد الصَّلَاة، فأسلِّم وأَقول في نَفسي: أَحرَّك شَفَتَيه برَدِّ السَّلَام عليَّ أَم لَا؟ ثمَّ أَصلِّي قَريبًا منه، وأُسَارقه النَّظَرَ، فإذَا أَقبلت عَلَىٰ صَلَاتي، نَظَر إلَيَّ، فَإذَا التفتُّ نَحوه، أَعرَض عنِّي حَتَّىٰ إذَا طَالَ عَليَّ ذَلكَ من هَجر المسلمين مَشَيت حَتَّىٰ تَسوَّرت حَائطَ أَبي قَتَادة، وهوَ ابن عمِّي، وأَحبُّ النَّاس إلَيَّ، فَسلَّمت عَلَيه، فَوَالله ما ردَّ عَليَّ السَّلَام، فقلت له: يا أَبَا قَتَادَة، أَنشدكَ اللهَ، هَل تَعلم أَنِّي أحبُّ اللهَ ورَسولَه؟ قَالَ: فَسَكت، فعدت له فَنشَدته، فَسَكت فَعدت له فنَشَدته، فقَالَ: الله ورَسوله أعلَم. قَالَ: فَفَاضت عَيناي.. وذَكَر تَمَامَ الحَديث، رَوَاه الإمَام أَحمَد، والشَّيخَان، وأَبو دَاود، والتِّرمذيُّ، والنَّسَائيُّ مطوَّلًا ومختصرًا[1].

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٤٥٦) (١٥٨٢٧)، والبخاري (٤٤١٨)، ومسلم (٢٧٦٩)، وأبو داود =

الحَديث الثَّاني: عَن عَائشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهَا أَنَّه اعتلَّ بَعيرٌ لصَفيَّة بنت حييٍّ رَضِيَ اللهُ عَنهَا، وعندَ زَينب فَضل ظَهرٍ، فَقَالَ رَسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ لزَينب: «**أعطيهَا بَعيرًا**»، فَقَالت: أَنَا أَعطي تلكَ اليَهوديَّة، فَغَضبَ رَسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ، فَهَجَرها ذَا الحجَّة، والمحرَّم، وبَعض صَفَرٍ. رَوَاه أَبو دَاود[1].

الحَديث الثَّالث: عَن أَنس بن مَالكٍ أَنَّ رَسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ، خَرَج فَرَأَىٰ قبَّةً مشرفةً، فَقَالَ: «**مَا هَذَا؟**». قَالَ لَه أَصحَابه: هَذه لفلَان رجلٍ من الأَنصَار. قَالَ: فَسَكتَ وَحَمَلها في نَفسه حَتَّىٰ إذَا جَاءَ صَاحبهَا رَسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ يسلِّم عَلَيه في النَّاس، أعرَض عَنه، صَنعَ ذَلكَ مرارًا حَتَّىٰ عَرَف الرَّجل الغَضبَ فيه، والإعرَاض عَنه، فَشَكا ذَلكَ إلَىٰ أصحَابه، فقَالَ: والله، إنِّي لأنكر رَسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ. قَالوا: خَرَج فَرَأىٰ قبَّتك. قَالَ: فَرَجع الرَّجل إلَىٰ قبَّته فَهَدَمها حَتَّىٰ سَوَّاها بالأَرض، فَخَرَج رَسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ ذاتَ يومٍ، فلَم يرَها. قَالَ: «**مَا فَعلت القبَّة؟**». قَالوا: شَكَا إلَينا صَاحبهَا إعرَاضَك عنه، فأَخبَرناه فَهَدَمها، فقَالَ: «**أَمَا إنَّ كلَّ بناءٍ وَبَالٌ عَلَىٰ صَاحبه إلَّا مَا لَا، إلَّا مَا لَا**»، يَعني مَا لَا بدَّ منه[2]. رَوَاه أَبو دَاود.

الحَديث الرَّابع: عَن عَمَّار بن ياسرٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ: قَدمت عَلَىٰ أَهلي ليلًا، وقَد تَشقَّقت يَدَاي، فَخلَّقوني بزَعفَران، فَغَدوت عَلَىٰ رَسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ، فَسلَّمت عَلَيه، فلَم يردَّ عليَّ، ولَم يرحِّب بي، فقَالَ: «**اذهَب فَاغسل هَذَا عَنك**»، فَذَهبت

=

(٢٢٠٢)، والترمذي (٣١٠٢)، والنسائي (٧٣١).

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٠٢)، وضعفه الألباني في «ضعيف أبي داود» (٩٩٩).

(٢) أخرجه أبو داود (٥٢٣٧)، وقال الألباني في «الصحيحة» (٢٨٣٠): هذا إسناد جيد.

فَغسلته، ثمَّ جئت، وقَد بَقِيَ عليَّ منه ردعٌ، فَسلَّمت، فلَم يردَّ عليَّ، ولَم يرحِّب بي، وقَالَ: «**اذهَب فَاغسل أثرَ هَذَا عَنك**»، فَذَهبت فَغَسلته، ثمَّ جئت، فَسلَّمت عَليه، فَردَّ عليَّ، وَرحَّب بي، وقَالَ: «**إنَّ المَلَائكةَ لَا تَحضر جنَازة الكَافر بخَيرٍ، ولَا المتَضمِّخ بالزَّعفَران، وَلَا الجنب**»، رَوَاه أَبو دَاود الطَّيالسيُّ، وأَبو دَاود السِّجستَاني، وهَذَا لفظه(١).

الحَديث الخَامس: عَن عليٍّ ابن أبي طَالبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: مرَّ النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَىٰ قومٍ فيهِم رَجلٌ متَخلِّقٌ بخَلوقٍ، فَنظَر إلَيهم، وَسَلَّم عَليهم، وأعرَض عَن الرَّجل، فَقَالَ الرَّجل: أعرَضتَ عنِّي! قَالَ: «**بين عَينيكَ جَمرةٌ**»، رَوَاه البخَاريُّ في «الأَدَب المفرد»(٢).

الحَديث السَّادس: عَن عَمرو بن شعَيب، عَن أَبيه، عَن جدِّه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رجلًا أتىٰ النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفي يَده خَاتمٌ من ذَهَبٍ، فأعرَض النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنه، فلمَّا رَأَىٰ الرَّجل كَرَاهيتَه، ذَهَب فألقَىٰ الخَاتمَ، وأَخَذ خَاتمًا من حَديدٍ، فَلَبسَه، وأَتَىٰ النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «**هَذَا شرٌّ، هَذَا حلية أَهل النَّار**»، فَرجَع فَطَرحَه، وَلَبسَ خَاتمًا من وَرقٍ، فَسَكَت عنه النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. رَوَاه الإمَام أَحمَد، والبخَاريُّ في «الأَدَب المفرد»(٣).

الحَديث السَّابع: عَن أَبي سَعيدٍ الخدريِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أقبلَ رجلٌ من البَحرين

---

(١) أخرجه الطيالسي (٢/ ٣٧) (٦٨١)، وأبو داود (٤١٧٦)، وحسنه الألباني.

(٢) (١/ ٣٥٢) (١٠٢٠)، وحسنه الألباني في «صحيح الأدب المفرد» (٧٨٢).

(٣) أخرجه أحمد (٣/ ١٤) (١١١٢٤)، والبخاري في «الأدب المفرد» (١/ ٣٥٢) (١٠٢١)، قال الألباني في «الصحيحة» (٨٢): إسناده جيد صحيح.

إلَىٰ النَّبيِّ صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فَسلَّم عَلَيه، فلَم يردَّ، وَفي يده خَاتمٌ من ذَهَبٍ، وعَلَيه جبَّة حَريرٍ، فَانطلَق الرَّجل مَحزونًا، فَشَكا إلَىٰ امرأته، فَقَالت: لعَلَّ برَسول الله صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ جبَّتك وَخَاتَمك، فألقهما ثمَّ عَادَ، فَفعَل، فردَّ السَّلَامَ، وقَالَ: جئتكَ آنفًا، فأَعرَضتَ عنِّي. قَالَ: «**كَانَ في يدكَ جَمرٌ من نَارٍ**»، رَوَاه النَّسَائيُّ، والبخَاريُّ في «الأَدَب المفرد»، وهَذَا لفظه[1].

وقَد تَرجمَ عَلَىٰ هَذَا الحَديث وَالحَديثين قَبله بقَوله: (باب مَن تَركَ السَّلَامَ عَلَىٰ المتخلِّق، وأَصحَاب المَعَاصي).

الحَديث الثَّامن: عَن عَبد الله بن عَمرو بن العَاص رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قَالَ: مرَّ عَلَىٰ النَّبيِّ صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ رجلٌ عَلَيه ثَوبان أحمَرَان، فَسلَّمَ، فلَم يردَّ النَّبيُّ صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ[2]. رَوَاه أَبو دَاود، والتِّرمذيُّ، والحَاكم، وقَالَ التِّرمذيُّ: هَذَا حَديثٌ حسنٌ غريبٌ. وقَالَ الحَاكم: صَحيح الإسنَاد، ولَم يخرِّجَاه، ووَافقَه الذَّهبيُّ في «تَلخيصه».

الحَديث التَّاسع: عَن أَبي سَعيدٍ الخدريِّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، عَن النَّبيِّ صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قَالَ: «**لا تصَاحب إلَّا مؤمنًا، ولا يَأكل طعَامَك إلَّا تقيٌّ**»، رَوَاه الإمَام أَحمَد، وأَبو دَاود الطَّيالسيُّ، وأَبو دَاود السِّجستَاني، والتِّرمذيُّ، والدَّارميُّ، وابن حبَّان، وَالحَاكم[3]،

---

(١) أخرجه النسائي (٥٢٠٦)، والبخاري في «الأدب المفرد» (١/ ٣٥٢) (١٠٢٢)، وضعفه الألباني في «ضعيف الأدب المفرد» (١٦٠).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٠٦٩)، والترمذي (٢٨٠٧)، والحاكم (٤/ ٢١١) (٧٣٩٩)، وضعفه الألباني في «المشكاة» (٤٣٥٣).

(٣) أخرجه أحمد (٣/ ٣٨) (١١٣٥٥)، والطيالسي (ص ٢٩٤) (٢٢١٣)، والدارمي (٢/ ١٤٠) (٢٠٥٧)، وأبو داود (٤٨٣٢)، والترمذي (٢٣٩٥)، وأبو يعلىٰ (٢/ ٤٨٤) (١٣١٥)، وابن

وقَالَ: صَحيح الإسنَاد، ولَم يخرِّجَاه، وَوَافقَه الذَّهبيُّ في «تلخيصه».

الحَديث العَاشر: عَن عمرَانَ بن حصَين رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: نَهَىٰ رَسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ عن إجَابَة طَعَام الفَاسقين.. رَوَاه الطَّبرانـيُّ في «الكَبير»، وَ«الأَوسَط»، وَالبَيهقيُّ في «شعَب الإيمَان»[١].

الحَديث الحَادي عَشَر: عَـن ابن مَسعودٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ مَرفوعًا: «**تَقرَّبوا إلَىٰ الله ببُغْض أَهل المَعَاصي، والقَوْهم بوجوهٍ مكفهرَّةٍ، وَالتَمسوا رضَا الله بسَخَطهم، وَتَقرَّبوا إلَىٰ الله بالبُعد منهم**»[٢]، رَوَاه ابن شَاهين، وَفي رَفعه نَظرٌ، والأَشبَه أَنَّه من قَول ابن مَسعودٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وقَد رويَ نَحو هَذَا من كَلَام عيسَىٰ ابن مَريم عَلَيهما الصَّلَاة والسَّلَام.

قَالَ الإمَام أَحمَد -رَحمَه الله تَعالَىٰ- في «الزُّهد»[٣]: حَدَّثنا سيَّار، حَدَّثنا جَعفر أَبو غَالبٍ، قَالَ: بَلَغنَا أنَّ هَذَا الكَلَامَ في وصيَّة عيسَىٰ ابن مَريم عَلَيۡهِمَاٱلسَّلَامُ: «يا مَعشَرَ الحَواريِّين، تَحبَّبوا إلَىٰ الله عَزَّوَجَلَّ ببغض أَهل المَعَاصي، وتَقرَّبوا إلَيه بالمَقت لهـم،

=

حبان (٢/ ٣١٤) (٥٥٤)، والحاكم (٤/ ١٤٣) (٧١٦٩)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٧/ ٤٢) (٩٣٨٢)، وحسنه الألباني في «المشكاة» (٥٠١٨).

(١) أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٨/ ١٦٨) (١٥٠٨٦)، و«الأوسط» (١/ ١٤٠) (٤٤١)، والبيهقي في «الشعب» (٧/ ٥٢٧) (٥٤٢٠)، وقال الألباني في «الضعيفة» (٥٢٢٩): ضعيف جدًّا.

(٢) أخرجه ابن شاهين في «الترغيب في فضائل الأعمال» (٢/ ٤٩) (٤٨٢)، وإسناده ضعيف، فيه علي بن الحسن الحراني وهو ضعيف، ويحيىٰ بن عبد الله البابلتي وهو ضعيف.

(٣) (١/ ٤٨) (٢٩٩).

وَالتَمسوا رِضَاه بسَخَطهم». قَالوا: يَا نَبيَّ الله، فمَن نجَالس؟ قَالَ: «جَالسوا مَن يزيد في أعمَالكم مَنطقه، ومَن تُذَكِّركم بالله رؤيته، ويُزهِّدكم في دنياكم عمله».

الحَديث الثَّاني عَشَر: عَن عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**للجهَاد أَربعة شعَبٍ: الأمر بالمَعروف، والنَّهي عن المنكر، والصِّدق في المَوَاطن، وَشَنَآن الفَاسقين**»، أي: بغضهم وَعَدَاوتهم. رَوَاه أَبو نعَيم في «الحليَة»[(١)]، وفي رَفعه نَظرٌ، والأَشبَه أَنَّه من قَول عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الحَديث الثَّالثَ عَشرَ: عَن أَبي هرَيرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**إذَا مَرَرتم بهَؤلَاء الَّذينَ يَلعَبون بهَذه الأزلَام (النَّرد، والشِّطرنج، وَمَا كَانَ من اللَّهو) فَلا تسلِّموا عَلَيهم**»، رَوَاه أَبو بكرٍ الآجري[(٢)]، وَفي رَفعه نَظرٌ.

فصل

وأَمَّا الآثار عَن الصَّحَابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ومَن بَعدهم، فقَد تَقدَّم طرفٌ منهَا، وهوَ ما رويَ عن ابن عمَر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّه هَجَر ابنَه لمَّا عَارَض السُّنَّة برَأيه.

وما رويَ عنه أيضا أَنَّه هَجَر الرَّجل الَّذي خَذَف بَعدما علمَ أَنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَنهىٰ عن الخذف.

وَمَا رويَ عن عبَادة بن الصَّامت، وَأَبي الدَّردَاء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا من هَجر معَاويَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لمَّا عَارَض السُّنَّة برَأيه، وَمَا رويَ عن ابن مَسعودٍ رضي الله تَعَالَىٰ عنه أَنَّه

(١) (١/ ٧٤)، وفيه إسحاق بن بشر البخاري، وهو متهم بالكذب.

(٢) في «النرد والشطرنج والملاهي» (١/ ١٤٨) (٣٠)، وإسناده شديد الضعف، فيه سليمان بن داود اليمامي وهو منكر الحديث.

هَجَر الرَّجلَ الَّذي ضَحكَ في الجنَازَة.

وَمَا رويَ عَن عَبد الله بن مغفَّل رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أَنَّه هَجَر الرَّجل الَّذي خَذَف بَعدما علمَ أَنَّ النَّبيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ كَانَ يَنهىٰ عَن الخَذف.

ومَا رَوَاه الدَّارميُّ عن خرَاش بن جبَير أنَّ شَيخًا من أصحَاب النَّبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ هَجَر الفتَىٰ الَّذي خَذَف بَعدما علمَ أَنَّ النَّبيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ كَانَ يَنهىٰ عن الخَذف.

وَمَا رَوَاه الدَّارميُّ أيضًا عَن سَعيد بن جبَير أَنَّه هَجَر الَّذي ظَهَر منه التَّهاون بحَديث رَسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

وَمَا رَوَاه الدَّارميُّ أيضًا عَن ابن سيرينَ أَنَّه هَجَر الرَّجلَ الَّذي عَارَض قَولَ النَّبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بقَول غيره.

وَمَا ذَكَره أَبو دَاود عَن عمرَ بن عَبد العَزيز -رَحمَه الله تَعَالَىٰ- أَنَّه غَطَّىٰ وَجهه عَن رجلٍ.

وَمَا ذَكَره ابن مفلح عن الإمَام أَحمَدَ -رَحمَه الله تَعَالَىٰ- فيمَن تَركَ السُّنَّة مَعَ العلم بهَا أَنَّه يهجَر.

وَرَوَىٰ البخَاريُّ في «الأَدَب المفرد»[1] عَن الحَسَن أَنَّه قَالَ: ليسَ بَينك وبَين الفَاسق حرمةٌ.

---

(١) (١/ ٣٥١) (١٠١٨)، وصححه الألباني في «صحيح الأدب المفرد» (٧٨١).

وقَالَ البخاريُّ أيضًا في «الأَدَب المفرد»[١]: (بَاب: لَا يسلَّم عَلَىٰ فاسقٍ)، وَسَاق عَن عَبد الله بن عَمرو بن العَاص رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قَالَ: «لا تسلِّموا عَلَىٰ شرَّاب الخَمر»[٢]. وقَد أورَد البخاريُّ -رَحمَه الله تَعَالَىٰ- هَذَا الأثرَ معلَّقًا بصيغَة الجَزم.

وَرَوَىٰ سَعيد بن مَنصور عَن ابن عمَر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا أَنَّه قَالَ: لَا تسلِّموا عَلَىٰ مَن شَربَ الخَمر، وَلَا تَعودوهم إذَا مَرضوا، وَلَا تصلُّوا عَلَيهم إذَا مَاتوا.

وقَالَ البخاريُّ في «الأَدَب المفرد»: (بَاب عيَادَة الفَاسق)، ثمَّ سَاقَ بإسناده إلَىٰ عَبد الله بن عَمرو بن العَاص رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا أَنَّه قَالَ: «لَا تَعودوا شُرَّاب الخَمر إذَا مَرضوا»[٣].

ويَدخل في شرَّاب الخَمر شرَّاب الدُّخَان الخَبيث المسمَّىٰ بـ«التُّتُن»[٤] و«الجراك»؛ لأَنَّه قَد ثَبتَ إسكاره وتَفتيره، فَلَا يسلَّم عَلَىٰ مَن يَشربه، ولَا يعَاد إذَا مَرِض. وقَد قَالَ المروذيُّ: قلت لأَبي عَبد الله (يَعني: أَحمَد بن حَنبل): رجلٌ لَه وَالدٌ بَين يَدَيه مسكرٌ، فيَدعو وَلَدَه، تَرَىٰ له أن يجيبَ؟ قَالَ: لَا يَدخل عَلَيه.

وقَالَ المروذيُّ أيضًا: سألت أبَا عَبد الله عَن الرَّجل يَكون لَه الأخ يَشرب المسكر ترسله والدته يَدعو لها من المَوضع الَّذي هوَ فيه، تَرَىٰ أن يذهبَ؟ قَالَ: نَعم، لا يَدَعه يتزيَّد، وَلَكن لا يَدخل، يَقوم خارجًا.

---

(١) (١/ ٣٥١).

(٢) (١/ ٣٥١) (١٠١٧)، وضعفه الألباني في «ضعيف الأدب المفرد» (١٥٨).

(٣) «الأدب المفرد» (١/ ١٨٧) (٥٢٩)، وضعفه الألباني في «ضعيف الأدب المفرد» (٥٢٩).

(٤) «التُّتُن» للتبغ بمعنىٰ الدخان.

وقَالَ البخاريُّ -رَحمَه الله تَعالَىٰ- في «الأَدَب المفرد»: (بَاب مَن لم يسلِّم عَلَىٰ أصحَاب النَّرد)، ثمَّ ساقَ عن الفضَيل بن مسلمٍ عَن أَبيه قَالَ: كَانَ عليٌّ رَضِيَ اللهُ عَنهُ إذَا خَرَج من بَاب القَصر، فَرَأىٰ أصحَاب النَّرد، انطَلق بهم، فَعَقَلهم من غَدوة إِلَىٰ اللَّيل، ومنهم مَن يَعقل إِلَىٰ نصف النَّهَار، قَالَ: وكان الَّذي يَعقل إِلَىٰ اللَّيل الَّذينَ يعَاملون بالوَرق، وَكَانَ الَّذي يَعقل إِلَىٰ نصف النَّهَار الَّذينَ يَلهون بها، وَكَانَ يَأمر أَلَّا يسلِّموا عَلَيهم[1].

وقَالَ أَبو دَاود في كتَاب «المَسَائل»[2]: قَالَ: حَدَّثنا أَبو بكر ابن أبي شَيبة قَالَ: حَدَّثنا جَريرٌ، عَن أَسلمَ المنقريِّ، قَالَ: كَانَ سَعيد بن جبَير إذَا مرَّ عَلَىٰ أصحَاب النَّردشير[3] لَم يسلِّم عَلَيهم.

وقَالَ أيضًا: حَدَّثنا أَبو بَكر ابن أَبي شَيبة قَالَ: حَدَّثنا محمَّد بن فضَيل، عَن يزيد بن أَبي زيَاد، عَن زيَاد بن حدَير أَنَّه مرَّ عَلَىٰ قومٍ يَلعَبون بالنَّرد، فَسلَّم عَلَيهم وهوَ لَا يَعلم، ثمَّ رَجَع، فَقَالَ: ردُّوا عليَّ سَلَامي.

وقَالَ أيضًا: حَدَّثنا وَهب بن بَيَان، قَالَ: حَدَّثنا ابن وَهبٍ، وَحدَّثنا ابن سَرح قَالَ: حَدَّثنا ابن وَهبٍ عَن عَبد الله بن المسيَّب عَن يَزيد بن يوسف أَنَّه سأَلَ يَزيدَ بن أبي حَبيب عن الشِّطرنج[4]، فَقَالَ: لَو مَررت عَلَىٰ قومٍ يَلعَبون بالشِّطرَنج ما سَلَّمت عَلَيهم.

---

(١) «الأدب المفرد» (١/ ٤٣٣) (١٢٦٨)، وضعفه الألباني في «الأدب المفرد» (٢٠٣).

(٢) (١/ ٣٧٣) (١٨٠٧).

(٣) شيء يُلعَب به، وهو النَّرد، فارسي معرَّب، وضَعَه أَرْدشيرُ بن بابَكَ، ولهذا يقالُ: النَّرْدَشيرُ.

(٤) لعبة معروفة.

قلت: ومثل اللَّاعبين بالنَّرد والشِّطرنج اللَّاعبونَ في زَمَاننا بالجنجفة وَالكيرم، وَمَا أشبَه ذَلكَ ممَّا يلهي ويصدُّ عن ذكر الله، وَعَن الصَّلَاة، فَلَا يسلِّم عَلَيهم، وَلَا يسلِّم أيضًا عَلَىٰ اللَّاعبين بالكرَة؛ لأنَّها من أعظَم ما يلهي ويصدُّ عن ذكر الله، وَعَن الصَّلَاة، وَفيهَا من المَفَاسد نَحو ما في النَّرد والشِّطرنج، أو أعظَم.

وَقَالَ أَبو دَاودَ أيضًا: قلت لأحمَد: أمرُّ بالقَوم يَتقَاذَفونَ، أسلِّم عَلَيهم؟ قَالَ: هَؤلَاء قَومٌ سفَهاء، والسَّلَام اسمٌ من أسمَاء الله تَعَالَىٰ.

وقَالَ أَبو دَاود أيضًا: قلت لأَحمَد: أسلِّم عَلَىٰ المخنَّث؟ قَالَ: لَا أَدري، السَّلَام اسمٌ من أسمَاء الله تَعَالَىٰ.

قلت: ظَاهر هَاتَين الرِّوَايَتَين كَرَاهة السَّلَام عَلَىٰ المخنَّث، وَعَلَىٰ الَّذينَ يَتقَاذَفون؛ لأنَّ تَركَ السَّلَام عَلَيهم فيه تَعظيمٌ لأَسمَاء الله تَعَالَىٰ، وَصيَانةٌ لَهَا عن الابتذَال، والمخنَّث هوَ المؤنَّث الَّذي يَتشبَّه بالنِّساء.

ومن هَذَا البَاب حَلق اللِّحىٰ، فمَن حَلقَ لحيتَه فهوَ من المخنَّثين؛ لأَنَّه قَد رَغبَ عن مشَابَهة الرِّجَال، وآثرَ مشَابَهة النِّسَاء في نعومة الخدود، وَعَدَم الشَّعَر في الوَجه، وَفَاعل ذَلكَ لا يَنبغي السَّلَام عَلَيه لمجَاهَرته بالمَعصيَة.

وقَد رَوَىٰ أَبو نعَيمٍ في «الحليَة»[1] بإسنادٍ جَيِّدٍ، عن زياد بن حدَير قَالَ: قَدمت عَلَىٰ عمَر بن الخَطَّاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وعليَّ طَيلسانٌ، وَشَاربي عافٌّ، فَسلَّمت عَلَيه، فَرفَع رأسَه، فَنظَر إليَّ ولَم يردَّ عليَّ السَّلَام، فَانصَرفت عَنه، فَأَتيت ابنَه عَاصمًا، فقلت له: لقَد رميت من أَمير المؤمنينَ في الرَّأس! فقَالَ: سأَكفيكَ ذَلكَ، فَلقيَ أبَاه، فقَالَ: يا أَميرَ

(١) (٤/ ١٩٧).

المؤمنينَ، أَخوكَ زيَاد بن حدَير يسلِّم عَليك، فلَم تردَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فقَالَ: إنِّي قَد رأيت عَليه طَيلسانًا، ورَأيت شَاربَه عافيًا. قَالَ: فَرجَعَ إليَّ، فأَخبَرني، فَانطَلقت فَقَصصت شَاربي، وكَانَ مَعي بردٌ شَققته فَجعلته إزارًا ورداءً، ثمَّ أقبَلت إلَىٰ عمَر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فسلَّمت عَليه، فقَالَ: وَعَليكَ السَّلام، هَذَا أَحسن ممَّا كنتَ فيه يا زيَاد.

وإذَا كَانَ عمَر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَد هَجَر زيادَ بن حدَير عَلَىٰ إعفَائه لشاربه، فكذَلكَ يَنبغي هَجر مَن حَلَق لحيتَه؛ لأنَّ كلًّا من الأَمرين مَعصيةٌ ظَاهرَةٌ؛ لمَا فيهما من مخالَفة أَمر رَسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بإحفَاء الشَّوَارب، وإعفَاء اللِّحَىٰ، ولمَا فيهما أيضًا من التَّشبُّه بالمَجوس، ومَن يَحذو حَذوهم من أصنَاف المشركينَ، وقَد ثَبتَ عن النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّه قَالَ: «**مَن تَشبَّه بقَوم، فَهوَ منهم**»، رَوَاه الإمَام أَحمَد، وَأَبو دَاود، وَغيرهما من حَديث ابن عمَر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا(١).

والهَجر عَلَىٰ حَلق اللِّحيَة أولَىٰ من الهَجر عَلَىٰ إعفَاء الشَّارب؛ لمَا في حَلق اللِّحية من مَزيد التَّشبُّه بالنِّسَاء، والدُّخول في عدَاد المخَنَّثين، وَقَد لَعَن رَسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المخَنَّثين من الرِّجَال. رَوَاه الإمَام أَحمَد، والبخَاريُّ، وأَبو دَاود، وغَيرهم من حَديث ابن عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا(٢).

وقَد قَالَ الإمَام أَحمَد -رَحمَه الله تَعالَىٰ- في روَايَة حَنبل: إذَا علمَ من رجلٍ أَنَّه مقيمٌ عَلَىٰ مَعصيةٍ، لَم يَأثَم إن هو جفَاه حَتَّىٰ يَرجعَ، وإلَّا كيفَ يَتبيَّن للرَّجل ما هوَ

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٥٠) (٥١١٥)، وأبو داود (٤٠٣١)، وحسنه الألباني في «المشكاة» (٤٣٤٧).

(٢) أخرجه أحمد (١/ ٢٥٤) (٢٢٩١) والبخاري (٥٨٨٦)، وأبو داود (٤٩٣٠).

عَلَيه إذَا لَم يرَ منكرًا عَلَيه، ولا جَفوةً من صديقٍ.

ونَقَل حنبلٌ أيضًا عن أَحمدَ بن حَنبل -رَحمَه الله تَعَالَىٰ- أَنَّه قَالَ: ليسَ لمَن قَارفَ شيئًا من الفَوَاحش حرمةٌ، وَلَا وصلةٌ إذَا كَانَ معلنًا.

وقَالَ الخَلَّال في كتَاب «المجَانبَة»: أَبو عَبد الله يَهجر أَهلَ المَعَاصي، ومَن قَارفَ الأعمَالَ الرَّديئَةَ، أو تَعدَّىٰ حَديثَ رَسول الله صَلَّاَللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، وأَمَّا مَن سَكر، أو شَربَ، أو فَعَل فعلًا من هَذه الأشيَاء المَحظورة، ثمَّ لَم يكَاشَف بها، ولَم يلق فيها جلبابَ الحَيَاء، فَالكفُّ عَن أعرَاضهم، وَعَن المسلمين، والإمسَاك عن أعرَاضهم، وَعَن المسلمين أسلَمُ.. نَقَله عنه ابن مفلح في «الآدَاب الشَّرعيَّة»(١).

وَرَوَىٰ عَبد الله ابن الإمَام أَحمَد في «زَوَائد الزُّهد»(٢)، عَن الحَسَن البَصري أَنَّه قَالَ: «ثَلَاثةٌ لَا غيبةَ لهم: الإمَام الخَائن، وَصَاحب الهَوَىٰ الَّذي يَدعو إلَىٰ هَوَاه، وَالفَاسق المعلن فسقَه».

قَالَ شَيخ الإسلَام أَبو العبَّاس ابن تَيمية -رَحمَه الله تَعَالَىٰ- في «الفَتَاوىٰ المصريَّة»: «مَن أظهَر المنكرَ، وَجَب الإنكار عَلَيه، وأن يهجرَ، ويذمَّ عَلَىٰ ذَلكَ، فهَذَا مَعنىٰ قَولهم: مَن أَلقَىٰ جلبابَ الحَيَاء، فَلَا غيبَةَ لَه، بخلَاف مَن كَانَ مستترًا بذَنبه، مستخفيًا، فإنَّ هَذَا يستَر عَلَيه، لَكن ينصح سرًّا، ويَهجره مَن عَرَف حَالَه حَتَّىٰ يَتوبَ، ويذكَر أَمره عَلَىٰ وَجه النَّصيحَة»(٣).

---

(١) (١/ ٢٣٣).

(٢) (١/ ٢٣٤) (١٦٦٦).

(٣) «مختصر الفتاوىٰ المصرية» (١/ ٥٠٣).

وقَالَ الشَّيخ أيضًا في مَوضعٍ آخَرَ: «مَن فَعلَ شيئًا من المنكرَات؛ كالفَوَاحش، والخَمر، والعدوَان، وغَير ذَلكَ، فَإنَّه يَجب الإنكَار عَلَيه بحَسَب القدرة، كَمَا قَالَ النَّبيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «مَن رَأىٰ منكم منكرًا، فَليغيِّره بيَده، فإن لَم يَستَطع فبلسَانه، فإن لَم يَستَطع فبقَلبه، وذَلكَ أضعَف الإيمَان»[1]، فإن كَانَ الرَّجل متَستِّرًا بذَلكَ، وليسَ معلنًا لَه، أنكرَ عَلَيه سرًّا، وسترَ عَلَيه، كَمَا قَالَ النَّبيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**مَن سَتَر عبدًا، سَتَره الله في الدُّنيا والآخرَة**»[2]، إلَّا أن يَتعدَّىٰ ضَرره، والمتَعدِّي لابدَّ من كفِّ عدوانه، وإذَا نَهَاه المرء سرًّا فلَم يَنته، فعلَ مَا ينكفُّ به من هَجرٍ وغَيره إذَا كَانَ ذَلكَ أنفعَ في الدِّين، وأمَّا إذَا أظهرَ الرَّجل المنكَرات، وَجَب الإنكار عَلَيه عَلَانيةً، ولَم يَبقَ لَه غيبةٌ، ووَجَب أن يعَاقبَ عَلَانيةً بمَا يَردعه عن ذَلكَ من هَجرٍ وغَيره، فَلَا يسلِّم عَلَيه، وَلَا يردُّ عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ إذَا كَانَ الفاعل لذَلكَ متمكِّنًا من ذَلكَ من غَير مَفسدةٍ رَاجحَةٍ.

ويَنبغي لأَهل الخَير والدِّين أن يَهجروه ميتًا كَمَا هَجَروه حيًّا إذَا كَانَ في ذَلكَ كفٌّ لأَمثاله من المجرمينَ، فيَتركونَ تَشييعَ جنازته كَمَا تركَ النَّبيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ الصَّلاةَ عَلَىٰ غَير وَاحدٍ من أَهل الجَرَائم، وكَمَا قيلَ لسَمُرَة بن جُندب رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ: إنَّ ابنكَ لَم يَنَم البَارحَةَ بَشْمًا[3]، فَقَالَ: لَو ماتَ، لَم أصلِّ عَلَيه؛ لأَنَّه أَعَان عَلَىٰ قَتل نَفسه، فيَكون كَقَاتل نَفسه.

---

(١) أخرجه مسلم (٤٩)، وأبو داود (١١٤٠)، والترمذي (٢١٧٢) من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ.

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٩٩)، وأبو داود (٤٩٤٦)، والترمذي (٢٩٤٥)، وابن ماجه (٢٢٥) من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ.

(٣) أي: شِبعًا.

وقَد تَركَ النَّبيُّ صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ الصَّلاةَ عَلَىٰ قَاتل نَفسه، وكذَلكَ هَجَر الصَّحابة الثَّلاثةَ الَّذينَ ظَهَر ذَنبهم في تَرك الجهَاد الوَاجب حَتَّىٰ تَابَ الله عَلَيهم، فإذَا أظهرَ التَّوبَة، أظهرَ لَه الخَير» اهـ.

وَحَديث سَمُرة الَّذي ذَكَره الشَّيخ -رَحمَه الله تَعَالَىٰ- رَوَاه الإمَام أَحمَد في «الزُّهد» من طَريق الحَسَن، قَالَ: قيلَ لسَمُرَة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ فَذَكَره.

فَإن قيلَ: فمَا الفَرق بَين المستَتر الَّذي لا يَجوز هَجره، وبَين المعلن الَّذي يسَنُّ هَجره؟

فَالجَواب ما قَالَه ابن عَبد القويِّ: «أَنَّ المستترَ بالمنكر هوَ مَن فَعَله بمَوضعٍ لا يَعلم به غالبًا غَير مَن حَضَره؛ إمَّا لبعده، أَو نَحوه، وأمَّا مَن فَعَله بمَوضعٍ يَعلم به جيرانه، ولَو في دَاره، فإنَّ هَذَا معلنٌ مجَاهرٌ، غَير مستَترٍ» اهـ.

وهَذَا تَفريقٌ حسنٌ يَنبغي اعتبَاره، وَعَلَىٰ هَذَا، فَإذَا كَانَت الدَّار يسمع منهَا الغنَاء، وأَصوات المَلَاهي، فَصَاحبهَا معلنٌ مجَاهرٌ، يسنُّ هَجره، أَو يجب، وكذَلكَ إذَا كَانَت آلات اللَّهو، أَو أَوَاني الخَمر، أَو أَوعيَة الدُّخَان الخَبيث، أَو آلَات شربه ترَىٰ في الدَّار لَا يخفيها صَاحب الدَّار عن الدَّاخلين، أو كَانَت رَائحة الدُّخَان الخَبيث، أَو غَيره من المسكرَات توجَد مِن في أَحَدٍ، أَو من بَيته، فَصَاحب ذَلكَ معلنٌ مجَاهرٌ يسَنُّ هَجره، أَو يجب، وَكذَلكَ إذَا كَانَ الرَّجل يسلِّم عَلَىٰ أَهل البدَع، أَو يمَاشيهم، أَو يجَالسهم، ويَأنس بهم، أَو يَدخل عَلَيهم في بيوتهم، أَو يَدخلون عَلَيه في بَيته، وهوَ عالمٌ بحَالهم، فإنَّه معلنٌ مجَاهرٌ بالمَعصية، يسَنُّ هَجره، أَو يجب.

قَالَ أَبو دَاود: قلت لأَبي عَبد الله أَحمَد بن حَنبل: أرَىٰ رَجلًا من أَهل السُّنَّة مع

رَجلٍ من أَهل البدَع، أَترك كَلَامه؟ قَالَ: لَا، أو تُعْلِمه أَنَّ الرَّجلَ الَّذي رأيته مَعَه صَاحب بدعَةٍ، فإن تَركَ كَلَامَه، وإلَّا فأَلحقه به.

وَقَالَ ابن مَسعودٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: المَرء بخَدَنه.

وقَالَ عَبد الله بن محمَّد بن الفَضل الصَّيداوي: قَالَ لي أَحمَد: إذَا سَلَّم الرَّجل عَلَىٰ المبتدع، فَهوَ يحبُّه، قَالَ النَّبيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**أَلَا أَدلُّكم عَلَىٰ مَا إذَا فَعَلتموه تَحاببتم: أَفشوا السَّلَامَ بَينكم**»(١).

فصل

في ذكر الأحاديث الواردة في هجر أهل البدع

قَالَ أَبو دَاود في «سننَه»: حَدَّثنا موسَىٰ بن إسمَاعيل، حَدَّثنا عَبد العَزيز بن أَبي حَازمٍ عَن أَبيه، عَن ابن عمَر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، عَن النَّبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قَالَ: «**القَدريَّة مَجوس هَذه الأمَّة، إن مَرضوا فَلَا تَعودوهم، وإن مَاتوا فَلَا تَشهدوهم**»(٢).

ورَوَاه الحَاكم في «مستَدركه»(٣) عَن أَبي بَكر أَحمَد بن سلَيمان بن الحَسَن الفَقيه، حَدَّثنا أَبو دَاود سلَيمان بن الأَشعَث.. فَذَكَره، ثمَّ قَالَ: هَذَا حَديثٌ صَحيحٌ

---

(١) أخرجه مسلم (٥٤)، وأبو داود (٥١٩٣) والترمذي (٢٦٨٨) من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٦٩١)، وحسنه الألباني في «المشكاة» (١٠٧). والقدرية: هم الذين يقولون: الخير من الله والشر من الإنسان، وإن الله لا يريد أفعال العصاة، وسموا بذلك لأنهم أثبتوا للعبد قدرة توجد الفعل بانفرادها واستقلالها دون الله تعالىٰ، ونفوا أن تكون الأشياء بقدر الله وقضائه.

(٣) (١/ ١٥٩) (٢٨٦).

عَلَىٰ شَرط الشَّيخَين إن صحَّ سَماع أَبي حَازم من ابن عمَر، ولَم يخرِّجه، وَوَافَقَه الذَّهبيُّ في «تَلخيصه»، وقَالَ المنذريُّ: «هَذَا منقطعٌ، أَبو حَازم سَلَمة بن دينارٍ لَم يَسمَع من ابن عمَر، وقَد رويَ هَذَا الحَديث من طرقٍ عن ابن عمَر ليسَ فيهَا شَيءٌ يَثبت». انتهَىٰ.

وقَد رَوَاه أَبو بَكر الآجري من طَريقَين عَن أَبي حَازم، عَن نَافع، عَن ابن عمَر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا(١)، وَلَكن قَالَ أَبو دَاود: أَنَّ الإمَامَ أَحمَدَ -رَحمَه الله تَعالَىٰ- أنكَره من حَديث أَبي حَازمٍ عَن نَافعٍ.

ورَوَاه الآجري أيضًا من طَريق الجعَيد بن عَبد الرَّحمن عَن نَافع، عَن ابن عمَر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«إنَّه يَكون في آخر الزَّمَان قَومٌ يكذِّبون بالقَدَر، أَلَا وأولَئك مَجوس هَذه الأمَّة، فإن مَرضوا فَلَا تَعودوهم، وإن مَاتوا فَلَا تَشهَدوهم»**(٢)، ورَوَاه الطَّبرانيُّ في «الصَّغير»(٣) من حَديث الجعَيد به.

وقَالَ أَبو دَاودَ: حَدَّثنا محمَّد بن كثيرٍ، أخبَرنا سفيان، عَن عَمرو بن محمَّد، عَن عمَر مَولىٰ غفرة، عَن رَجلٍ من الأنصَار، عَن حذَيفة بن اليَمَان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«لكلِّ أمَّةٍ مَجوسٌ، وَمَجوس هَذه الأمَّة الَّذينَ يَقولون: لَا قَدَرَ، مَن ماتَ منهم فَلَا تَشهَدوا جنَازَتَه، ومَن مَرضَ منهم فَلَا تَعودوهم، وهم شيعَة الدَّجَّال، وحقٌّ عَلَىٰ الله أَن يلحقَهم بالدَّجَّال»**(٤).

---

(١) «الشريعة» للآجري (٢/ ٨٠١) (٣٨١- ٣٨٢).

(٢) «الشريعة» للآجري (٢/ ٨٠٤) (٣٨٣).

(٣) (٢/ ٧١) (٨٠٠)، وفي إسناده الحكم بن سعيد الأموي وهو منكر الحديث.

(٤) أخرجه أبو داود (٤٦٩٢)، وضعفه الألباني في «الضعيفة» (٥٧١٤)، وشيعة الدجال: أي:

ورَوَاه أَبو دَاود الطَّيالسيُّ في «مسنده»[(١)]، فَقَالَ: حَدَّثنا أَبو عتبةَ قَالَ: حَدَّثنا عمَر مَولىٰ غَفرةَ من أَهل المَدينَة عَن رجلٍ منَ الأنصَار من بني عَبد الأَشهَل، عَن حذَيفة بن اليَمَان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**سَيَكون في آخر الزَّمَان قومٌ يَقولون: لَا قَدَرَ، فإن مَرضوا فَلَا تَعودوهم، وإن مَاتوا فَلَا تَشهدوهم، فإنَّهم شيعَة الدَّجَّال، وحقٌّ عَلَىٰ الله أَن يلحقَهم به**».

ورَوَاه عَبد الله ابن الإمَام أَحمَد في كتَاب «السُّنَّة»، عَن أَبيه، عَن مؤمِّل، عَن عمرَ مَولىٰ غَفرة بنحوه. قَالَ المنذريُّ: عمَر مَولىٰ غَفرة لَا يحتجُّ بحَديثه، ورَجلٌ من الأنصَار مَجهولٌ، وقَد رويَ من طَريقٍ آخَرَ عن حذَيفة، ولَا يَثبت. اهـ.

وقَالَ ابن مَاجَه في «سنَنه»[(٢)]: حَدَّثنا محمَّد بن المصفَّىٰ الحمصيُّ، حَدَّثنا بقيَّة بن الوَليد، عَن الأَوزاعيِّ، عن ابن جرَيج، عَن أَبي الزُّبير، عَن جَابر بن عَبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إنَّ مَجوسَ هَذه الأَمَّة المكذِّبونَ بأقدَار الله، إن مَرضوا فَلَا تَعودوهم، وإن مَاتوا فَلَا تَشهدوهم، وإن لَقيتموهم، فَلَا تسلِّموا عَلَيهم**».

ورَوَاه الطَّبرانيُّ في «الصَّغير»[(٣)]، عَن عَبد الله بن الصَّقر السُّكري، عَن

=

أولياؤه وأنصاره.

(١) (١/ ٣٤٧) (٤٣٥)، وإسناده ضعيف لجهالة الراوي عن حذيفة بن اليمان العبسي، وفيه عمر بن عبد الله المدني وهو ضعيف الحديث.

(٢) (٩٢)، وحسنه الألباني في «الظلال» (٣٢٨).

(٣) (١/ ٣٦٨) (٦١٥).

محمَّد بن المصفَّىٰ، ورَوَاه الآجري في كتَاب «الشَّريعَة»[١]، عَن الفريَابي، عَن محمَّد بن المصفَّىٰ، وقَد أعلَّ هَذَا الحَديث بأنَّ بقيَّة بن الوليد عَنعَنه مَعَ كَثرة تَدليسه.

وَرَوَىٰ الآجري من طَريقَين عَن مَكحول، عَن أَبي هرَيرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ نَحو حَديث جَابر، وابن عمَر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، وأعلَّ بالانقطَاع.

قَالَ ابن القيِّم رحمه الله تَعالَىٰ: لَم يَسمَع مَكحولٌ من أَبي هرَيرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قَالَ: وأجوَد ما في البَاب حَديث حَيوة بن شرَيح، أخبَرني أَبو صَخر، حَدَّثني نافعٌ أنَّ ابنَ عمَر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا جاءَه رجلٌ، فَقَالَ: إنَّ فلانًا يَقرأ عَليك السَّلَامَ، فقَالَ: إنَّه قَد بَلَغني أَنَّه قَد أَحدَثَ، فإن كَانَ قَد أحدثَ، فَلَا تقرئه منِّي السَّلَامَ، فإنِّي سَمعت رَسولَ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقول: «**يَكون في هَذه الأَمَّة -أَو في أَمَّتي- خَسفٌ، أَو مَسخٌ، أَو قَذفٌ في أَهل القَدَر**»[٢]، رَوَاه التِّرمذيُّ، وقَالَ: هَذَا حَديثٌ حَسنٌ صَحيحٌ غَريبٌ.

قلت: وقَد رَوَاه ابن مَاجَه في «سننَه»[٣] من حَديث حَيوة بن شرَيح، عَن أَبي صَخرٍ، وَعندَه بالوَاو في قَوله: «**مَسخٌ، وَخَسفٌ، وَقَذفٌ**»، فأَفَاد أنَّ «**أَو**» في رِوَايَة التِّرمذيِّ بمَعنىٰ «الوَاو»، ولَيست للشَّكِّ.

ورَوَاه الدَّارميُّ في «سننَه»[٤]، فَقَالَ: أَخبَرنا أَبو عَاصمٍ، أخبَرنا حَيوة بن شرَيح، حَدَّثني أَبو صَخر عَن نَافع، عَن ابن عمَرَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا أَنَّه جَاءَه رجلٌ، فَقَالَ: إنَّ فلانًا يَقرأ

---

(١) (٢/ ٨٠٥) (٣٨٤).

(٢) أخرجه الترمذي (٢١٥٢)، وابن ماجه (٤٠٦١)، وحسنه الألباني في «المشكاة» (١١٦).

(٣) (٤٠٦١).

(٤) (١/ ٣٨٨) (٤٠٧)، وإسناده صحيح.

عَلَيك السَّلَام. قَالَ: بَلَغني أَنَّه قَد أحدَث، فإن كَانَ أحدَث، فَلَا تَقرأ عَليْه السَّلَامَ.

ورَوَاه الإمَام أَحمَد في «مسنَده»(١)، فَقَالَ: حَدَّثنا هَارون بن مَعروف، أخبَرنا عَبد الله بن وَهب، أخبَرني أَبو صَخرٍ عَن نَافعٍ، قَالَ: بَينما نَحن عندَ عَبد الله بن عمَر رَضِيَ اللَّهُ عَنهُمَا قعودًا، إذ جاءَ رجلٌ، فَقَالَ: إنَّ فلانًا يَقرأ عَليك السَّلَام لرَجلٍ من أَهل الشَّام، فَقَالَ عَبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ: بَلَغني أَنَّه أحدَث حَدثًا، فَإن كَانَ كَذلكَ، فَلَا تَقرأَنَّ عَليه منِّي السَّلَام، سَمعت رَسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ يَقول: **«إنَّه سَيكون في أمَّتي مَسخٌ، وقَذفٌ، وهوَ في الزَّندقيَّة والقَدريَّة»**.

وقَالَ الإمَام أَحمَد أيضًا: حَدَّثنا أَبو عَبد الرَّحمن بن يزيدَ، حَدَّثنا سَعيدٌ (يَعني: ابنَ أَبي أيُّوب)، حَدَّثني أَبو صَخرٍ، عَن نَافعٍ، قَالَ: كَانَ لابن عمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُمَا صَديقٌ من أَهل الشَّام، فكَتَب إلَيه مَرَّةً عَبد الله بن عمَر رَضِيَ اللَّهُ عَنهُمَا أَنَّه بَلَغني أَنَّك تكلَّمتَ في شيءٍ من القَدَر، فإيَّاكَ أن تكتبَ إليَّ، فإنِّي سَمعت رَسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ يَقول: **«سيَكون في أمَّتي أقوامٌ يكذِّبونَ بالقَدَر»**(٢). ورَوَاه أَبو دَاود في «سننه»(٣)، وعَبد الله ابن الإمَام أَحمَد في كتَاب «السُّنَّة»(٤)، كلَاهمَا عَن أَبي عَبد الله أَحمَد بن حنبل رحمه الله تعالَىٰ.

ورَوَاه الحَاكم في «مستَدركه»(٥) من طَريق عَبد الله ابن الإمَام أَحمَد عَن أَبيه، ومن طَريق السريِّ بن خزَيمة، كلَاهمَا عَن عَبد الله بن يزيدَ المقري به، ثمَّ قَالَ

---

(١) (٢/ ١٣٦) (٦٢٠٨)، وقال شعيب الأرنؤوط: ضعيف.

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ٩٠) (٥٦٣٩)، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن.

(٣) (٤٦١٣)، وحسنه الألباني.

(٤) (٢/ ٤١٨) (٩١٧).

(٥) (١/ ١٥٨) (٢٨٥).

الحَاكم: صَحيحٌ عَلَىٰ شَرط مسلم، ولَم يخرِّجاه، وَوَافَقه الذَّهبيُّ في «تَلخيصه».

وَرَوَىٰ الإمَام أَحمَد، وَالبخَاريُّ في «التَّاريخ»، وأَبو دَاود، وعَبد الله ابن الإمَام أَحمَد، وَابن حبَّان في «صَحيحه»، وَالحَاكم في «مستَدركه»، عَن أَبي هرَيرة -رَضيَ الله تَعَالَىٰ عنه- عَن عمَر، قَالَ: سَمعت رَسولَ الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**لا تجَالسوا أَهلَ القَدَر، وَلا تُفَاتِحوهم**»(١).

وَرَوَىٰ ابن أَبي حَاتمٍ عَن عَطَاء بن أَبي رَبَاح، قَالَ: أَتيت ابنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا وهوَ يَنزع من زَمزمَ، وَقَد ابتلَّت أَسَافل ثيابه، فقلت له: قَد تكلِّم في القَدَر، فَقَالَ: أَوقَد فَعَلوها؟! قلت: نعَم. قَالَ: فَوَالله، ما نَزلَت هَذه الآية إلَّا فيهم: ﴿ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ ۝٤٨ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٨، ٤٩]، أولَئكَ شرَار هَذه الأمَّة، فَلَا تَعودوا مَرضَاهم، وَلَا تصلُّوا عَلَىٰ مَوتَاهم، إن رَأيت أَحدًا منهم، فَقَأت عَينيه بإصبعَي هَاتَين(٢).

وقَد كَانَ سَعيد بن جبَير، وإبرَاهيم النَّخعي، وغَيرهما من أَكَابر السَّلَف يَهجرون المرجئَةَ، ويجَانبوهم، رَوَىٰ ذَلكَ عَنهم الإمَام أَحمَد، وَابنه عَبد الله في كتَاب «السُّنَّة».

وقَالَ محمَّد بن إبرَاهيم البوشنجي: سَمعت أَحمَدَ -رَحمَه الله تَعَالَىٰ- يَقول: تَقَرَّبوا إلَىٰ الله ببغض أَهل الإرجَاء، فَإنَّه من أَوثَق الأعمَال عندنَا. وقَالَ الخَلَّال:

(١) أخرجه أحمد (١/ ٣٠) (٢٠٦)، والبخاري في «التاريخ الكبير» (١/ ١٥)، وأبو داود (٤٧١٠)، وأبو يعلىٰ (١/ ٢١٢) (٢٤٥)، وابن حبان (١/ ٢٨٠) (٧٩)، والحاكم (١/ ١٥٩) (٢٨٧)، والبيهقي (١٠/ ٢٠٤) (٢٠٦٦٢)، والضياء (١/ ٤٢٣) (٣٠١)، وابن أبي عاصم (١/ ١٤٥) (٣٣٠)، وضعفه الألباني في «ضعيف أبي داود» (١٠١٢).

(٢) أخرجه البيهقي (١٠/ ٢٠٥) (٢٠٦٦٩).

حَدَّثنا إسمَاعيل بن إسحَاق الثَّقفيُّ النَّيسابوريُّ أنَّ أبَا عَبد الله سئلَ عَن رَجلٍ لَه جارٌ رافضيٌّ يسلِّم عَلَيه. قَالَ: لَا، وإذَا سَلَّمَ عَلَيه، لَا يردُّ عَلَيه.

وقَالَ أَبو دَاودَ: رَأيت أَحمَدَ سَلَّم عَلَيه رجلٌ من أَهل بَغداد ممَّن وقفَ فيمَا بَلَغني، فقَالَ: اغرُب، لَا أَرينَّك تَجيء إلَىٰ بَابي.. في كَلَامٍ غَليظٍ، ولَم يردَّ عَلَيْهِ السَّلَام، وقَالَ لَه: مَا أحوَجَك أن يصنَع بكَ ما صَنعَ عمَر بصَبيغ.

وَقَالَ أَبو دَاود أيضًا: حَدَّثنا حَمزة بن سَعيدٍ المروزيُّ، قَالَ: قَالَ أَبو بَكر بن عيَّاش: مَن زَعَم لك أَنَّ القرآنَ مَخلوقٌ، فهوَ عندنَا كَافرٌ زنديقٌ، عَدوٌّ لله، لَا تجَالسه، وَلَا تكلِّمه.

وقَالَ أَبو بكر أَحمَد بن محمَّد بن عَبد الخَالق الوَرَّاق في كتَاب الوَرَع: سَألت عَبد الوَهَّاب (يَعني: الوَرَّاق): يجَالس مَن لَا يكفِّر الجَهميَّة. قَالَ: لَا يجَالَسون، وَلَا يكلَّمون، المَرء عَلَىٰ دين خليله.

وَرَوَىٰ أَبو نعَيم في «الحليَة»[1] عَن إسمَاعيلَ الطُّوسي قَالَ: قَالَ ابن المبَارك: إيَّاك أن تَجلسَ مَعَ صَاحب بدعَةٍ.

وَرَوَىٰ أَبو نعَيم أيضًا عَن عَبد الله بن عمَر السَّرخسيِّ، قَالَ: إنَّ الحَارثَ قَالَ: أَكَلت عندَ صَاحب بدعَةٍ أكلةً، فَبلَغ ذَلكَ ابنَ المبَارك، فقَالَ: لَا كَلَّمتكَ ثَلَاثينَ يومًا[2].

---

(١) (٨/ ١٦٨).

(٢) «الحلية» (٨/ ١٦٨).

وقَالَ الإمَام أَحمَد -رَحمَه الله تَعَالَىٰ- في رِوَايَة عَبدوس بن مَالك العَطَّار: أصول السُّنَّة عندَنَا التَّمسُّك بمَا كَانَ عَلَيه أَصحاب رَسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ، وَالاقتدَاء بهم، وتَرك البدَع، وكلُّ بدعَةٍ فَهيَ ضَلالَةٌ، وتَرك الخصومات، والجلوس مَعَ أصحَاب الأَهوَاء.. وَذَكَر تَمَام الرِّسَالة.

وقَالَ أَبو دَاودَ في «**سننه**»: (بَاب مجَانبة أَهل الأَهوَاء)، وَسَاقَ في البَاب ثَلَاثَةَ أَحَاديثَ:

الحَديث الأوَّل: حَديث عَائشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهَا قَالَت: قَرَأ رَسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ هَذه الآيَةَ: ﴿**هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ**﴾ إلَىٰ قَوله تَعَالَىٰ: ﴿**أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ**﴾ [آل عمران: ٧]، قَالَت: فقَالَ رَسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ: «**فَإذَا رأيتم الَّذينَ يَتَّبعونَ ما تَشَابه منه، فأولَئك الَّذينَ سَمَّىٰ الله فَاحذَروهم**»(١)، وقَد رَوَاه الإمَام أَحمَد، وأَبو دَاود الطَّيالسيُّ، والشَّيخَان، والتِّرمذيُّ، وَابن مَاجَه، وابن جَرير، وَابن حبَّان، وغَيرهم.

الحَديث الثَّاني: حَديث أَبي ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ: قَالَ رَسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ: «**أفضَل الأعمَال الحبُّ في الله، والبغض في الله**»(٢)، وقَد رَوَاه الإمَام أَحمَد، وتَقدَّم ذكره.

---

(١) أخرجه أحمد (٦/ ٤٨) (٢٤٢٥٦)، والبخاري (٤٢٧٣)، ومسلم (٢٦٦٥)، وأبو داود (٤٥٩٨)، والترمذي (٢٩٩٤)، وابن ماجه (٤٧).

(٢) أخرجه أحمد (٥/ ١٤٦) (٢١٣٤١)، وأبو داود (٤٥٩٩)، وضعفه الألباني في «الضعيفة» (١٣١٠).

الحَديث الثَّالث: طرفٌ من حَديث كَعب بن مالكٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ المخرَّج في «الصَّحيحَين»[١]، وغَيرهما في قصَّة تَخلُّفه عن النَّبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في غزوة تبوك، قَالَ: ونَهَىٰ رَسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ المسلمينَ عَن كَلَامنا أيُّها الثَّلَاثة.

ثمَّ قَالَ أَبو دَاود: (بَاب تَرك السَّلَام عَلَىٰ أَهل الأَهوَاء)، وَسَاق في البَاب حَديثَين:

الحَديث الأَوَّل: حَديث عَمَّار بن ياسرٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ في قصَّة الخَلوق بالزَّعفَران، وقَد تَقدَّم ذكره مَعَ الأَحَاديث في هَجر أَهل المَعَاصي[٢].

الحَديث الثَّاني: حَديث عَائشَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا في هَجر النَّبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لزَينب بنت جَحش رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا، وتَقدَّم أيضًا مَعَ الأَحَاديث في هَجر أَهل المَعَاصي[٣].

وَالاستدلَال بهَذين الحَديثَين عَلَىٰ تَرك السَّلَام عَلَىٰ أَهل الأَهوَاء، وَبحَديث كَعبٍ عَلَىٰ مجانَبتهم في غَايَة القوَّة والمنَاسَبة؛ لأَنَّ الجَميعَ مشتَركون في اسم المَعصية إلَّا أنَّ مَعصيةَ هَؤلَاء المَذكورينَ في هَذه الأَحَاديث خَفيفَةٌ بالنِّسبة لمَعصية أَهل الأَهوَاء.

وإذَا كَانَ النَّبيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قَد هَجَر كعبًا وَصَاحبَيه، وَجَانَبهم، وأَمَر أصحَابَه بهَجرهم ومجَانَبتهم من أَجل تَخلُّفهم عن الجهَاد الوَاجب عَلَيهم، وهَجر زَينب، وَجَانَبهَا من أَجل القَول الَّذي قَالَته في حقِّ صفيَّة.

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) سبق تخريجه.

ولَم يردَّ السَّلَامَ عَلَىٰ عَمَّار من أَجل الخَلوق الَّذي كَانَ في يَدَيه، فَهَجر أَهل البدَع ومجَانَبَتهم مَطلوبةٌ بطَريق الأَولَىٰ والأَحرَىٰ؛ لأَنَّ ضَرَرهم عَلَىٰ الإسلَام والمسلمين أعظَم من ضَرَر أَهل المَعَاصي، وَالله أعلَم.

وقَد رَوَىٰ أَبو بكرٍ الآجرِّي بإسناده عن ابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّه قَالَ: لَا تجَالس أَهلَ الأَهوَاء، فإنَّ مجَالَستَهم ممرضةٌ للقلوب[1].

وَرَوَىٰ أيضًا بإسناده عن أَبي قلابَة أَنَّه قَالَ: لَا تجَالسوا أَهلَ الأَهوَاء، وَلَا تجَادلوهم، فإنِّي لَا آمَن أن يَغمسوكم في الضَّلَالة، أو يلبِّسوا عَلَيكم في الدِّين بَعض ما لبِّسَ عَلَيهم[2]. وقَد رَوَاه الدَّارميُّ في «سنَنه»[3] بنحوه.

وَرَوَىٰ محمَّد بن وَضَّاح بإسناده عَن الحَسَن أَنَّه قَالَ: لا تجَالس صَاحبَ بدعةٍ، فإنَّه يمرض قَلبك[4].

وَرَوَىٰ الدَّارميُّ في «سنَنه»[5]، عن الحَسَن وابن سيرينَ أَنَّهما قَالَا: لَا تجَالسوا أصحَابَ الأَهوَاء، وَلَا تجَادلوهم، وَلَا تَسمَعوا منهم.

وَرَوَىٰ الدَّارميُّ أيضًا عَن أَبي جَعفر محمَّد بن عليٍّ، وقَالَ: لَا تجَالسوا أصحَابَ الخصومَات؛ فَإنَّهم الَّذينَ يَخوضون في آيَات الله[6].

---

(١) «الشريعة» (١/ ٤٥٢) (١٣٣).

(٢) «الشريعة» (١/ ٤٥٣) (١٤٣).

(٣) (١/ ٣٨٧) (٤٠٥).

(٤) «البدع» لابن وضاح (٢/ ٩٥) (١١٥).

(٥) (١/ ٣٩١) (٤١٥).

(٦) (١/ ٣٩٠) (٤١٤).

وَرَوَىٰ محمَّد بن وَضَّاح بإسناده عَن إبرَاهيم أَنَّه قَالَ: لَا تجَالسوا أصحَاب البدَع، وَلَا تكلِّموهم، فإنِّي أَخاف أن تَرتدَّ قلوبكم(١).

وَرَوَىٰ بإسنَاده أيضًا عَن سفيان الثَّوريِّ أَنَّه قَالَ: مَن جَالسَ صَاحبَ بدعَةٍ، لَم يَسلم من إحدَىٰ ثَلَاثٍ: إمَّا أن يَكون فتنةً لغَيره، وإمَّا أن يَقعَ في قَلبه شيءٌ، فَيَزلَّ به فيدخله الله النَّارَ، وإمَّا أن يَقول: والله مَا أبَالي مَا تكلَّموه، وإنِّي وَاثقٌ بنفسي، فمَن أَمنَ اللهَ عَلَىٰ دينه طَرفةَ عينٍ، سَلَبه إيَّاه(٢).

وَرَوَىٰ أَبو نعَيم في «الحليَة»(٣) من طَريق فرات بن سلَيمان، عَن مَيمون بن مهرَان، قَالَ: ثَلاثٌ لَا تَبلونَّ نَفسك بهنَّ: لَا تَدخل عَلَىٰ السُّلطان وإن قلتَ: آمره بطَاعَة الله، ولَا تَدخل عَلَىٰ امرَأةٍ وإن قلتَ: أُعَلِّمها كتَابَ الله، ولَا تصغينَّ بسَمعك لذي هوًىٰ، فإنَّك لا تَدري ما يَعلق بقَلبك منه.

وَرَوَىٰ محمَّد بن وَضَّاح بإسنَاده عن الأوزاعيِّ قَالَ: كَانَت أَسلافكم تَشتدُّ عَلَيهم أَلسنتهم، وتَشمئزُّ منهم قلوبهم، ويحذِّرون النَّاس بدعَتهم(٤).

وَرَوَىٰ أيضًا قَالَ: أَخبَرني غير وَاحدٍ أنَّ أسدَ بن موسَىٰ كَتَب إلَىٰ أَسَد بن الفرَات: إيَّاك أن يَكون لكَ من أَهل البدَع أخٌ، أَو جَليسٌ، أَو صَاحبٌ، فإنَّه جَاءَ الأثر: مَن جَالَسَ صَاحبَ بدعةٍ، نزعَت منه العصمَة، ووكلَ إلَىٰ نَفسه، ومَن مَشَىٰ إلَىٰ

---

(١) «البدع» لابن وضاح (٢/ ١٠٠) (١٢٤).

(٢) «البدع» لابن وضاح (٢/ ٩٥) (١١٦).

(٣) (٤/ ٨٤).

(٤) «البدع» لابن وضاح (١/ ٢٧) (٦).

صَاحب بدعَةٍ، فقَد مَشَىٰ في هَدم الإسلَام، وقَد وَقَعت اللَّعنة من رَسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَىٰ أهل البدَع، وأَنَّ اللهَ لَا يَقبل منهم صَرفًا، وَلَا عَدلًا، وَلَا فَريضةً، وَلَا تَطوُّعًا، وكلَّما زَادوا اجتهَادًا، وصَومًا، وَصَلاةً، ازدَادوا من الله بعدًا، فَارفض مَجَالسَهم، وأَذلَّهم، وأَبعدهم كَمَا أبعَدهم الله، وأَذلَّهم رَسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأَئمَّة الهدَىٰ بَعده(١).

وقَالَ الإمَام الحَسن بن عليٍّ بن خَلَف أَبو محمَّد البَربَهاري -رَحمَه الله تَعالَىٰ- في «شَرح السُّنَّة»(٢): قَالَ سفيان الثَّوريُّ: مَن أصغَىٰ بأُذنه إلَىٰ صَاحب بدعَةٍ، خَرَج من عصمَة الله تَعالَىٰ، ووكلَ إلَيها (يَعني: البدَعَ).

وقَالَ دَاود بن أَبي هند: أوحَىٰ الله إلَىٰ موسَىٰ بن عمرَان عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَلَّا تجَالسَ أَهلَ البدَع، فإن جَالَستهم، فَحَاكَ في صَدرك شيءٌ ممَّا يَقولون، لأَكبنَّك في نَار جَهنَّم.

وقَالَ الفضَيل بن عياضٍ: مَن جَلَس مَعَ صَاحب بدعةٍ، لَم يؤتَ الحكمةَ.

وقَالَ أيضًا: مَن عَظَّم صَاحبَ بدعةٍ، فقَد أعَانَ عَلَىٰ هَدم الإسلَام، ومَن تَبسَّم في وَجه مبتدعٍ، فَقَد استخفَّ بمَا أَنزلَ الله عَزَّوَجَلَّ عَلَىٰ محمَّدٍ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومَن زَوَّج كَريمتَه بمبتدعٍ، فقَد قَطعَ رَحمَهَا، ومَن تَبعَ جنازةَ مبتدعٍ، لَم يزل في سَخَط الله حَتَّىٰ يَرجعَ. انتهَىٰ ما ذَكَره البَربهاريُّ.

---

(١) «البدع» لابن وضاح (١/ ٢٨) (٧).

(٢) (١/ ١٣٥).

وَرَوَىٰ أَبو نعَيم في «الحلية»(١)، عَن عَبد الصَّمَد بن يزيدَ، قَالَ: سَمعت الفضَيل بن عياضٍ يَقول: مَن أحبَّ صَاحبَ بدعةٍ، أحبَط الله عَمَلَه، وأخرَج نورَ الإسلَام من قَلبه.

وَرَوَىٰ أيضًا عَن عَبد الصَّمد قَالَ: سَمعت الفضَيل يَقول: إذَا رأيتَ مبتدعًا في طريقٍ، فخذ في طريقٍ آخَرَ.

وَرَوَىٰ أيضًا عَن عَبد الصَّمد قَالَ: سَمعت الفضَيل بن عياضٍ يَقول: مَن أَعَان صَاحبَ بدعةٍ، فقَد أَعَان عَلَىٰ هَدم الإسلَام.

قَالَ: وَسَمعت رجلًا قَالَ للفضَيل: مَن زَوَّج كَريمتَه من فاسقٍ، فقَد قَطعَ رَحمَهَا.

قَالَ: سَمعت فضَيلًا يَقول: نَظر الرَّجل إلَىٰ صَاحب البدعة يورث العَمَىٰ.

قَالَ: سَمعت الفضَيل يَقول: مَن أتَاه رَجلٌ، فَشَاوره، فَقَصر علمه، فَدلَّه عَلَىٰ مبتدعٍ، فقَد غشَّ الإسلَامَ.

وَرَوَىٰ أَبو نعَيمٍ أيضًا عن عَبد الصَّمد، قَالَ: سَمعت الفضَيل يَقول: لئن آكلَ عندَ اليَهوديِّ والنَّصرانيِّ أحبُّ إليَّ من أن آكلَ عند صَاحب بدعةٍ؛ فإنِّي إذَا أكلت عندَهما لا يُقتدَىٰ بي، وإذَا أَكَلت عندَ صَاحب بدعةٍ، اقتدَىٰ بي النَّاس، أحبُّ أن يَكون بَيني وبَين صَاحب البدعة حصنٌ من حَديدٍ، وَعَملٌ قَليلٌ في سنَّةٍ خيرٌ من عَمَل صَاحب بدعَةٍ، ومَن جَلَس مَعَ صَاحب بدعةٍ، لَم يعط الحكمةَ، ومَن جَلَس إلَىٰ

(١) (٨/ ١٠٣).

صَاحب بدعةٍ فَاحذَره، وَصَاحب بدعةٍ لَا تَأمنه عَلَىٰ دينكَ، وَلَا تشَاوره في أَمرك، وَلَا تَجلس إلَيه، فمَن جَلَس إلَيه، وَرَّثه الله عَزَّوَجَلَّ العَمَىٰ، وإذَا علمَ من رَجلٍ أَنَّه مبغضٌ لصَاحب بدعةٍ، رَجَوت أن يَغفرَ الله له، وإن قَلَّ عَمله، فإنِّي أَرجو لَه؛ لأَنَّ صَاحبَ السُّنَّة يعرض كلَّ خَيرٍ، وَصَاحبَ البدعَة لا يَرتفع له إلَىٰ الله عَملٌ وإن كَثر عَمله.

قَالَ: وَسَمعت الفضَيلَ يَقول: إنَّ لله عَزَّوَجَلَّ مَلَائكةً يَطلبون حِلَقَ الذِّكر، فَانظر مَعَ مَن يَكون مَجلسك، لا يَكون مَعَ صَاحب بدعةٍ، فإنَّ اللهَ تَعَالَىٰ لا يَنظر إلَيهم، وَعَلامة النِّفَاق أن يَقومَ الرَّجل ويَقعدَ مَعَ صَاحب بدعةٍ، وأدرَكت خيارَ النَّاس كلَّهم أصحَاب سنَّةٍ، وهم يَنهَون عن أصحَاب البدعَة.

وَرَوَىٰ أَبو نعَيم أيضًا عَن عَبد الصَّمَد قَالَ: سَمعت الفضَيل يَقول: من عَلَامة البَلَاء أن يَكونَ الرَّجل صَاحبَ بدعةٍ.

وَرَوَىٰ أَبو الفَرَج ابن الجَوزي بإسناده إلَىٰ سفيان الثَّوريِّ أَنَّه قَالَ: مَن سَمعَ من مبتدعٍ، لَم يَنفعه الله بما سَمعَ، ومَن صَافَحَه، فقَد نَقَض الإسلَامَ عروةً عروةً.

وَرَوَىٰ أيضًا بإسناده إلَىٰ الفضَيل بن عياضٍ أَنَّه قَالَ: مَن جلَسَ إلَىٰ صَاحب بدعةٍ، فَاحذَره.

وَرَوَىٰ أيضًا بإسناده إلَىٰ الفضَيل أَنَّه قَالَ: مَن أحبَّ صَاحبَ بدعةٍ، أحبطَ الله عَمَلَه، وأخرجَ نورَ الإسلَام من قَلبه.

وَرَوَىٰ أيضًا بإسناده إلَىٰ الفضَيل أَنَّه قَالَ: إذَا رأيتَ مبتدعًا في طريقٍ، فخذ في طَريقٍ آخَرَ، وَلَا يَرتفع لصَاحب بدعةٍ إلَىٰ الله عَزَّوَجَلَّ عملٌ، ومَن أعَانَ صَاحبَ بدعةٍ، فقَد أعَانَ عَلَىٰ هَدم الإسلَام، ومَن زَوَّج كَريمتَه من مبتدعٍ، فقَد قَطَع رَحمَهَا، ومَن

جَلَس مَعَ صَاحب بدعةٍ، لَم يعط الحكمةَ، وإذَا علمَ الله عَزَّوَجَلَّ من رجلٍ أَنَّه مبغضٌ لصَاحب بدعةٍ، رَجَوت أن يغفرَ الله له سَيِّئاته.

قَالَ ابن الجوزيِّ رحمه الله تعالَىٰ: وقَد رويَ بَعض هَذَا الكَلَام مَرفوعًا.

قَالَ: وعَن عَائشةَ رَضِيَٱللَّهُعَنهَا قَالَت: قَالَ رَسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيهِوَسَلَّمَ: «**مَن وقَّر صَاحبَ بدعةٍ، فقَد أَعَانَ عَلَىٰ هَدم الإسلَام**»(١).

وقَالَ محمَّد بن النَّضر الحَارثيُّ: مَن أصغَىٰ بسَمعه إلَىٰ صَاحب بدعةٍ، نزعَت منه العصمَة، ووكلَ إلَىٰ نَفسه.

وَقَالَ يونس بن عَبد الأعلَىٰ: قَالَ اللَّيث بن سعدٍ: لَو رأيت صَاحبَ بدعةٍ يَمشي عَلَىٰ المَاء مَا قبلته. فقَالَ الشَّافعيُّ: إنَّه ما قصرَ، لَو رأيتهِ يَمشي عَلَىٰ الهَوَاء ما قبلته.

قَالَ ابن الجوزيِّ: وَحدِّثت عَن أبي بكرٍ الخَلَّال، عَن المروذيِّ، عَن محمَّد بن سَهل البخاريِّ، قَالَ: كنَّا عندَ الفريابيِّ، فَجَعل يذكر أَهلَ البدَع، فَقَالَ له رجلٌ: لَو حَدَّثنا، كَانَ أعجبَ إلَينا، فَغضبَ، وقَالَ: كَلَامي في أَهل البدَع أَحبُّ إليَّ من عبَادَة ستِّين سَنةً. انتهَىٰ ما ذَكَره ابن الجوزيِّ رحمه الله تَعالَىٰ.

وقَد جَمعَ الشَّيخ الإمَام إسمَاعيل بن عَبد الرَّحمن الصَّابوني نُبذةً حَسنةً في عَقيدَة أَهل السُّنَّة والجَمَاعة، قَالَ فيهَا: «ويجَانبونَ أَهلَ البدَع والضَّلَالات، ويعَادون أصحَابَ الأَهوَاء والجَهَالَات، ويبغضونَ أَهلَ البدَع الَّذينَ أحدَثوا في الدِّين ما لَيسَ منه، وَلَا

(١) أخرجه الآجري في «الشريعة» (٥/ ٢٥٤٣) (٢٠٤٠)، وضعفه الألباني في «الضعيفة» (١٨٦٢).

يحبُّونهم، وَلَا يَصحبونَهم، وَلَا يَسمَعون كَلَامهم، وَلَا يجَالسونَهم، وَلَا يجَادلونهم في الدِّين، وَلَا يناظرونَهم، ويَرَون صَونَ آذَانهم عَن سَمَاع أبَاطيلهم الَّتي إذَا مَرَّت بالآذَان، وَوَقَرت في القلوب، ضَرَّت، وَجرَّت إلَيها الوَسَاوسَ والخَطرَات الفَاسدة».

إلَىٰ أن قَالَ: «وَاتَّفقوا مَعَ ذَلكَ عَلَىٰ القَول بقَهر أَهل البدَع، وإذلَالهم، وإخزَائهم، وإبعَادهم، وإقصَائهم، والتَّباعد منهم ومن مصَاحَبتهم ومعَاشَرتهم، والتَّقرُّب إلَىٰ الله عَزَّوَجَلَّ بمجَانَبتهم، ومهَاجَرتهم» اهـ.

وكَلَام السَّلَف ومَن بَعدهم من أَئمَّة الخَلَف في هَجر أَهل البدَع، ومَن يَميل إلَيهم كَثيرٌ جدًّا، وَفيمَا ذَكرته هَهنا كفايةٌ إن شاءَ الله تَعالَىٰ، ومَعَ هَذَا فقَد أَبَىٰ أَهل العَقل المَعيشيِّ إلَّا أن يخَالفوا ما كَانَ عَلَيه سَلف الأمَّة وأَئمَّتها، فتَراهم يبَالغون في تَوقير أَهل البدَع، وتَعظيمهم، ويَحرصون عَلَىٰ مؤَاخَاتهم، ومصَاحَبتهم، ودَعوَتهم إلَىٰ مَنَازلهم، والدُّخول عَلَيهم في بيوتهم، ومؤَاكَلَتهم، ومشَارَبَتهم، والأنس بهم، وَالانبسَاط مَعَهم، وتَوليتهم في الأعمَال من تَعليمٍ وغَيره، لَا فَرق عندهم بَينهم وبَين أَهل السُّنَّة، نَعوذ بالله من الخذلَان، وعَمَىٰ البَصيرَة.

وقَد صارَ تَقريب أَهل البدَع، وتَوليتهم في وَظَائف التَّعليم، والوثوق بهم في ذَلكَ سببًا في إفسَاد عَقَائد كَثيرٍ من المتعَلِّمين، وأخلَاقهم، فَتَراهم لَا يبَالون بتَرك المَأمورَات، وَلَا بارتكَاب المَنهيَّات، فَلَا حَولَ وَلَا قوَّة إلَّا بالله العَليِّ العَظيم.

وقَد رَوَىٰ الطَّبرانـيُّ، وأَبو نعَيم، وغَيرهما بأَسَانيدَ فيها مَقَالٌ عَن عَبد الله بن بسرٍ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ مَرفوعًا: «**مَن وَقَّر صَاحبَ بدعةٍ، فقَد أَعانَ عَلَىٰ هَدم الإسلَام**»[١].

---

(١) أخرجه أبو نعيم (٥/ ٢١٨)، والطبراني في «الأوسط» (٧/ ٣٥) (٦٧٧٢)، وضعفه الألباني في

وَذَكَر ابن الجوزيِّ عن عَائشةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا مَرفوعًا مثلَه، وتَقدَّم ذكره قريبًا.

وَرَوَىٰ أَبو نعَيم عن سفيان الثَّوريِّ أَنَّه قَالَ لبَعض أصحَابه: إيَّاك ومجَالَسة أَهل الجَفَاء، وَلَا تَصحب إلَّا مؤمنًا، وألَّا يَأكلَ طَعَامَك إلَّا تقيٌّ، وَلَا تَصحَب الفَاجرَ، وَلَا تجَالسه، وَلَا تجَالس مَن يجَالسه، وَلَا تؤاكله، وَلَا تؤاكل مَن يؤاكله، ولا تحبَّ مَن يحبُّه، وَلَا تفش إليه سرَّك، وَلَا تبسَّم في وَجهه، وَلَا توسع لَه في مَجلسك، فإن فَعَلتَ شيئًا من ذَلكَ، فقَد قَطَعتَ عرَىٰ الإسلَام.

والله المَسئول أن يَهدينا وإخوَانَنا المسلمين صرَاطَه المستقيم، وأن يَجعلَنَا جَميعًا ممَّن يحبُّ في الله، ويبغض في الله، ويوَالي في الله، ويعَادي في الله، ويَهجر أَهلَ البدَع والفسوق والعصيَان لله، إنَّه عَلَىٰ كلِّ شيءٍ قديرٌ، وَبالإجَابَة جَديرٌ.

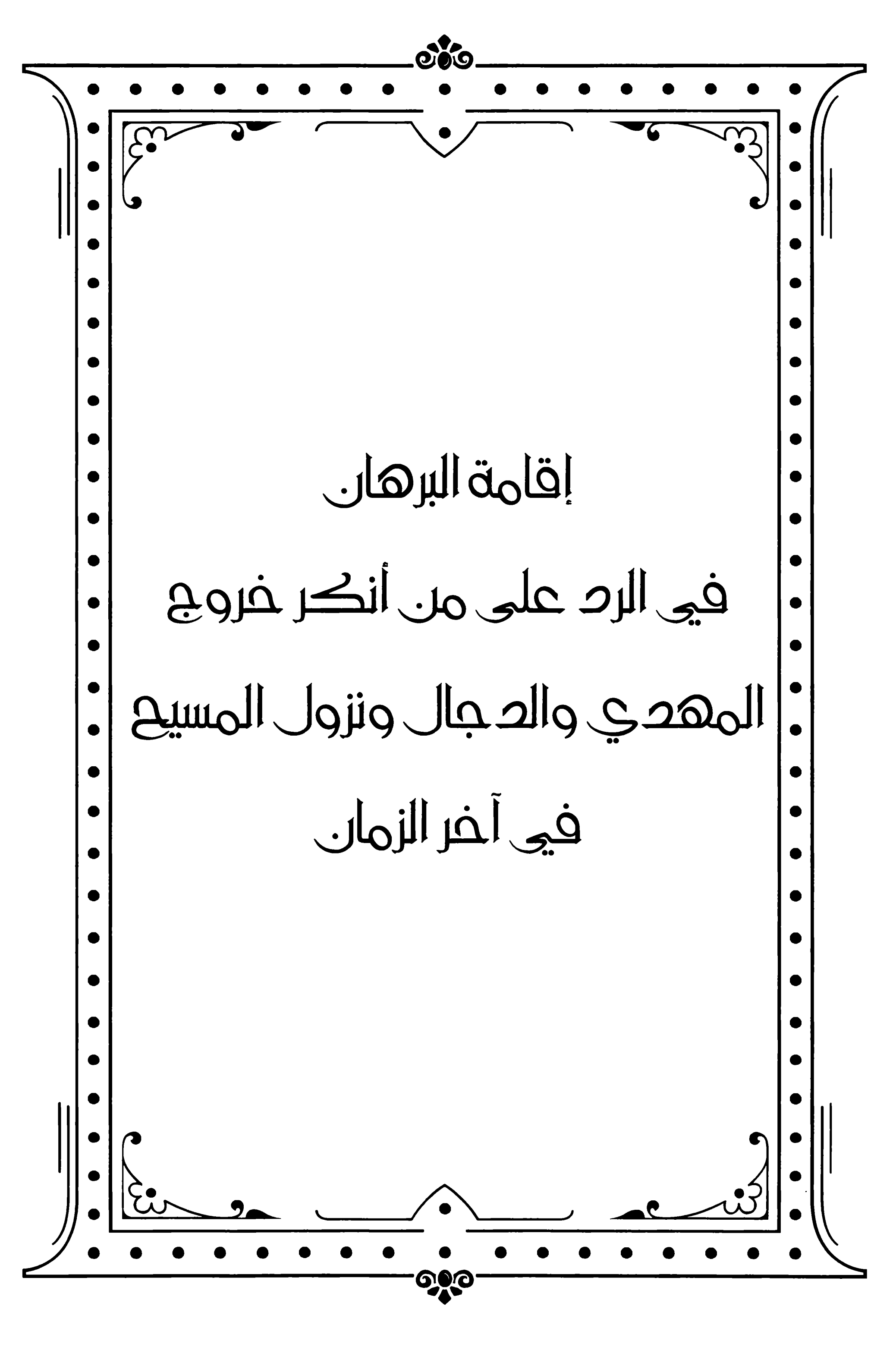
وهَذَا آخر ما تَيسَّر جمعه، والحَمد لله ربِّ العَالَمين، وصلَّىٰ اللَّهمَّ عَلَىٰ نَبيِّنا محمَّدٍ، وعَلَىٰ آله وأصحَابه ومَن تَبعهم بإحسَانٍ إلَىٰ يَوم الدِّين، وسلم تَسليمًا كثيرًا.

وقَد كَانَ الفراغ من تَسويد هَذه النُّبذة في يَوم السَّبت ثالثَ عشرَ شهر ربيعٍ الأَوَّل من سنة ١٣٨٣ هـ، ثمَّ كَانَ الفراغ من كتَابة هَذه النُّسخَة في يَوم الخَميس الخَامس والعشرينَ من الشَّهر المَذكور من السَّنَة المَذكورة، عَلَىٰ يَد جَامعها الفقير إلَىٰ الله تَعالَىٰ/ حِمُود بن عبد الله التويجري غَفَر الله له ولوَالدَيه.



=

«الضعيفة» (١٨٦٢).



إقامة البرهان

في الرد على من أنكر خروج

المهدي والدجال ونزول المسيح

في آخر الزمان

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحَمْدُ لله ربِّ العَالَمين، وصلَّىٰ الله وَسلَّم عَلَىٰ نَبيِّنا مُحمَّدٍ، وَعَلَىٰ آلِهِ وأصْحَابه ومَنْ تَبعهُمْ بِإحْسانٍ إِلَىٰ يَوْم الدِّين.

□ وبَعْد:

فقَدْ رَأيتُ فِي المجلَّة المُسمَّاة «المُسْلمون» مقالًا لعَبْد الكَريم الخَطيب[1]، أنْكَر فيه ما أَخْبرَ بِهِ رَسُولُ الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من ظُهُور المهديِّ في آخر الزَّمَان، ومَا أَخْبر به من خُرُوج الدَّجَّال، ونُزُول عيسىٰ ابْن مَرْيم عَلَيهما الصَّلاة والسَّلام، وهَذِهِ جَراءةٌ عَظيمةٌ وَخَطيرةٌ جدًّا؛ لأنَّ إنكارَ الأَحَاديث الثَّابتة عن النَّبيّ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومُقَابلتها بالرَّدِّ والاطِّراح، يدلُّ عَلَىٰ الاسْتخفَاف بأقْوَال رَسُول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويَسْتلزم مُشَاقته، واتِّباع غَيْر سَبيل المُؤْمنين، وقَدْ قَالَ اللهُ تَعالَىٰ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].

وَقَالَ تَعالَىٰ: ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [يونس: ٣٩].

---

(١) عبد الكريم محمود يونس الخطيب، ولد سنة ١٩١٠م (١٣٢٨هـ)، في قرية الصوامعة غرب، التابعة لمركز طهطا بمديرية جرجا، محافظة سوهاج من صعيد مصر، مفسر، وله مؤلفات، منها «المهدي المنتظر ومن ينتظرونه»، توفي في شهر صفر سنة ١٤٠٦م، الموافق عام ١٩٨٥م. انظر: «إتمام الأعلام» د: نزار أباظة ومحمد رياض المالح.

وليسَ إنْكَار الأَحَاديث الثَّابتة عن النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالأَمْر الهيِّن؛ لأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ يَقُول: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الحشر: ٧].

وَفِي «صَحيح مُسْلم»[(١)] عَنْ أَبي هُرَيرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**أُمرْتُ أنْ أُقَاتل النَّاس حَتَّىٰ يَشْهدوا أنْ لا إلَهَ إلَّا الله، ويُؤْمنوا بي وبمَا جئتُ بِهِ، فإذَا فَعَلوا ذَلكَ، عَصَموا منِّي دمَاءَهم وأمْوَالهم إلَّا بحقِّها وحسَابهم عَلَىٰ الله**».

وهَذَا يدلُّ عَلَىٰ وُجُوب الإيمَان بكُلِّ ما أخْبَر به رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ممَّا كَانَ في المَاضي، ومَا يَكُون في المُسْتَقبل، ويدلُّ أيضًا عَلَىٰ أنَّ عصمةَ الدَّم والمَال إنَّما تكُون لمَنْ آمنَ بالرَّسُول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبكُلِّ ما جَاءَ به، ومَنْ لَمْ يؤمن به، وَبما جَاءَ به، فليسَ بمَعْصوم الدَّم وَالمَال، وفِي هَذَا أبْلَغ تَشْديد عَلَىٰ مَنْ يردُّ الأَحَاديث الثَّابتة عن النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويُعَارضها برَأْيه أو برَأْي غَيْره.

وقَدْ قَالَ الإمامُ أحمدُ رَحِمهُ اللهُ تَعَالَىٰ: مَنْ ردَّ حديثَ رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهُوَ عَلَىٰ شَفا هَلَكة.

وقَالَ إسْحَاق بن رَاهويه: مَنْ بَلَغه عَنْ رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خبرٌ يقرُّ بصحَّته، ثمَّ ردَّه بغَيْر تقيَّة، فهو كافرٌ.

وقَالَ أَبو مُحمَّد البَرْبهاري في «شَرْح السُّنَّة»[(٢)]: إذَا سَمِعْتَ الرَّجل يَطْعن عَلَىٰ

---

(١) (٢١).

(٢) (١/ ٧٩).

الآثَار، وَلا يَقْبلها، أو يُنْكر شيئًا من أَخْبَار رَسُول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَاتَّهمه عَلَىٰ الإسْلَام، فإِنَّه رجلٌ رَديء المَذْهب والقَوْل، وإنَّما يَطْعن عَلَىٰ رَسُول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَىٰ أصْحَابه.

وقَالَ أيضًا: لا يَخرج أحدٌ من أَهْل القِبْلة عن الإسْلَام حَتَّىٰ يردَّ آيةً من كتَاب الله عَزَّوَجَلَّ، أو يردَّ شيئًا من آثَار رَسُول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أو يُصلِّي لغَيْر الله، أو يَذْبح لغَيْر الله، فقَدْ وَجَب عَلَيك أن تُخْرجه من الإسْلَام.

وقَالَ أيضًا: مَنْ ردَّ آيةً من كتَاب الله، فقَدْ ردَّ الكتابَ كلَّه، ومَنْ ردَّ حديثًا عن رَسُول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقَدْ ردَّ الأثرَ كلَّه، وهُوَ كافرٌ باللهِ العَظيم.

وقَالَ إبْراهيمُ بن أَحْمد بن شَاقلا: مَنْ خالفَ الأَخْبارَ الَّتي نَقَلها العدلُ عن العَدْل موصولةً بلا قطعٍ في سَنَدها، وَلَا جَرْح في نَاقِليها، وتجرَّأ عَلَىٰ ردِّها، فقَدْ تهجَّم عَلَىٰ ردِّ الإسْلَام.

وقَالَ ابْنُ حزمٍ في كتَاب «الأَحْكام»[1]: جَاءَ النَّصُّ، ثمَّ لَمْ يَخْتلف فيه مُسْلمان في أنَّ ما صحَّ عن رَسُول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّه قَالَه، ففرضٌ اتِّباعه، وأَنَّه تفسيرٌ لمُرَاد الله في القُرْآن، وَبَيان لمُجْمله. انتهىٰ.

وإذَا عُلِمَ ما ذَكَرته من الآيَات والحَديث، وأقْوَال أَهْل العِلْمِ في التَّشديد عَلَىٰ الَّذينَ يَردُّون الأَحَاديث الثَّابتة عن النَّبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فليُعْلم أيضًا أَنَّه قَدْ ثبتَ في ظُهُور المهديِّ في آخر الزَّمَان عَشْرة أَحَاديث، وقَدْ ذَكَرتها، وذَكَرت كَلَام العُلَماء في

---

(١) «الإحكام في أصول الأحكام» (١/ ١٠٤).

تَصْحيحها في أوَّل كتاب «الاحْتجَاج بالأثَر عَلَىٰ مَنْ أنْكَر المهديِّ المُنْتظر»(١)، فَلْتُراجَع هُنَاك.

وأمَّا خُرُوج الدَّجَّال، فقَدْ جَاء فِيهِ أكْثَر من مئةٍ وتِسْعِين حديثًا من الصِّحاح والحسَان، وقَدْ ذَكَرتها في الجزء الثَّانِي من «إتْحَاف الجَمَاعة بما جَاءَ في الفتن والمَلَاحم وأشْرَاط السَّاعة»(٢)، فَلْتُراجع هُنَاك.

وقَدْ تَواترت الأَحَاديثُ في خُرُوج الدَّجَّال من وُجُوهٍ متعددةٍ ذَكَرتها فِي «إتْحَاف الجَمَاعة»، ولَوْ لَمْ يكنْ منها سوىٰ الأَمْر بالاسْتعَاذة من فِتْنَة الدَّجَّال في كلِّ صلاةٍ، لَكَان ذَلكَ كَافيًا فِي إثْبَات خُرُوجه، والرَّد عَلَىٰ مَنْ أنْكَر ذَلكَ، وقَدْ رَوَىٰ عَبْد الرَّزَّاق بإسنادٍ حسنٍ، عَن ابْن عَبَّاسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قَالَ: سمعتُ عُمَر بن الخَطَّاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ يَقُول: إِنَّه سيَخْرج بَعْدكم قومٌ يُكذِّبون بالرَّجم، ويُكذِّبون بالدَّجَّال، ويُكذِّبون

(١) هو كتاب للشيخ حمود التويجري رَحِمَهُٱللَّهُ طبعته الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، رد فيه علىٰ رسالة لعبد الله بن زيد بن محمود رئيس المحاكم القطرية، والذي أنكر فيها خروج المهدي في آخر الزمان، وزعم أن القول بخروجه نظرية خرافية، وأن الأحاديث الواردة فيه كلها مختلقة ومكذوبة ومصنوعة وموضوعة ومزورة علىٰ رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وليست من كلامه، وأنها بمثابة حديث ألف ليلة وليلة، وأنه لا مهدي بعد الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وقد سمي ابن محمود رسالته بما نصه: «لا مهدي ينتظر بعد الرسول خير البشر».

(٢) وهو كتاب للشيخ حمود التويجري رَحِمَهُٱللَّهُ، جمع فيه الأحاديث الواردة عن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في الفتن والملاحم وأشراط الساعة وغير ذلك من الأمور التي أخبر النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أنها ستكون بعده إلىٰ قيام الساعة. طبعته دار الصميعي للنشر والتوزيع، الرياض.

بالحَوْض، ويُكذِّبون بعَذَاب القَبْر، ويُكذِّبون بقومٍ يَخْرجون من النَّار[١].

وهَذَا الأثرُ لَه حُكْم المَرْفوع؛ لأنَّ فيه إخبارًا عن أمرٍ غيبيٍّ، وذَلكَ لا يُقَال من قِبَلِ الرَّأي، وإنَّما يُقَال عن تَوْقيفٍ.

وقَدْ ظَهَر مِصْداقُ ما جَاءَ فيه من التَّكْذيب بالدَّجَّال وغَيْره، فأَنْكَرت طَوَائفُ كَثيرةٌ من الخَوَارج والجهميَّة، وبَعْض المُعْتزلة خُرُوج الدَّجَّال بالكُليَّة، ورَدُّوا الأَحَاديث الواردَة فِيهِ، ذَكَر ذَلكَ ابْنُ كثيرٍ في «النِّهاية»، قَالَ: وخَرَجوا بذَلكَ عن حيِّز العُلَماء لردِّهم ما تَوَاترت به الأَخْبارُ الصَّحيحة عن رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[٢].

وذَكَر النَّوويُّ في «شَرْح مسلمٍ»[٣] أنَّ مذهبَ أَهْل السُّنَّة وَجَميع المُحدِّثين والفُقَهاء والنُّظَّار إثْبَات خُرُوج الدَّجَّال خلافًا لمَنْ أنكرَهُ من الخَوَارج والجهميَّة، وبَعْض المُعْتزلة. انتهىٰ.

وقَدْ تبعَ الخَوَارجَ والجهميَّة والمُعْتزلة عَلَىٰ إنْكَار خُرُوج الدَّجَّال كثيرٌ من المُنْتَسبين إِلَىٰ العِلْمِ فِي زَمَاننا، وقَبْله بزمانٍ، وأَنْكَر بَعْضهم كثيرًا من أَشْرَاط السَّاعة ممَّا هو ثابتٌ عن النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبَعْضهم يتَأوَّلها عَلَىٰ ما يُوَافق عَقليَّته الفَاسدَة، وقَدْ ذَكَرت بَعْض أقْوَالهم في «إتْحَاف الجَمَاعة»، فَلْتُراجع هُنَاك. ولَوْ كَانَ الَّذينَ أَشَرنا إليهم أَهْل عِلْمٍ عَلَىٰ الحَقيقَة لمَا رَدُّوا شيئًا من الأَحَاديث الثَّابتة عن النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولَكَانوا يُقَابلونها بالرِّضَا، والقَبُول، والتَّسْليم.

---

(١) «المصنف» (٧/ ٣٣٠) (١٣٣٦٤).

(٢) «البداية والنهاية» (١٩/ ١٩٣).

(٣) (١٨/ ٥٨).

وأمَّا نُزُول عيسَىٰ ابْن مَرْيم -عَلَيهما الصَّلاة والسَّلام- في آخر الزَّمَان، فقَدْ جَاءَ فيه آياتٌ من القُرْآن، وتَوَاترت الأَحَاديثُ عن النَّبيِّ صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بالإخْبَار بنزُوله، وأَنَّه يقتل الدَّجَّالَ، وَيكون في هَذِهِ الأُمَّة حكمًا عدلًا، وإمامًا مقسطًا، وَجَاء في ذَلكَ آثارٌ كثيرةٌ عَن الصَّحَابة والتَّابعين، وَذكَر بَعْضهم الإجْمَاع عَلَىٰ نُزُوله، وأَنَّه لَمْ يُخَالف فيه أحدٌ من أَهْل الشَّريعة، وإنَّما أنْكَره الفَلَاسفة والمَلَاحدة ممَّن لَا يعتدُّ بخلَافِهِمْ، وقَدْ ذَكَرت ذَلكَ مستوفًىٰ فِي «إتْحَاف الجَمَاعة»، فليُرَاجع هُنَاك.

وأَمَّا ما جَاءَ في العُنْوان الأَوَّل عَنْ نُزُول عيسَىٰ في آخر الزَّمَان هو حَقيقَةٌ يُؤكِّدها القرآنُ، أَمْ مَسْأَلة تَتنَافَىٰ مَعَ الإِسْلَام؟

فَجَوابُهُ أَنْ يُقَال: بَلْ نُزُول عيسَىٰ عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ في آخر الزَّمَان حَقيقة يُؤكِّدها القُرْآن، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ في صِفَةِ رَسُوله صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣، ٤]، وقَدْ تَوَاترت عن النَّبيِّ صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أَنَّه أَخْبر بنزُول عيسَىٰ عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ في آخر الزَّمَان، فَيجب الإيمانُ بذَلكَ؛ لقَوْل الله تَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ [الحشر: ٧]، وقَدْ جَاء في ذَلكَ آيَتَان من القُرْآن:

إحْدَاهما: قَوْلُ الله تَعَالَىٰ: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ [النساء: ١٥٩].

قَالَ ابْن عبَّاسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: قَبْل مَوْت عيسَىٰ ابْن مَرْيم[١]. رَوَاه ابنُ جَرير بإسْنادٍ صحيحٍ.

(١) «تفسير الطبري» (٧/ ٦٦٤).

ورَوَىٰ الحاكمُ في «مُسْتدركه»[(١)] عَن ابْن عَبَّاسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا في هَذِهِ الآيَة قَالَ: خُرُوج عِيسَىٰ ابْن مَرْيم. قَالَ الحاكمُ: صَحيحٌ عَلَىٰ شَرْط الشَّيْخين. ووَافقَه الذَّهبيُّ في «تَلْخيصه».

ورَوَىٰ أَبو بكرٍ الآجُرِّي في كتَاب «الشَّريعة»[(٢)] عَن ابْن عبَّاس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا في هَذِهِ الآيَة قَالَ: يَعْني أَنَّه سيُدْركه أناسٌ من أَهْل الكتَاب حينَ يُبْعث عيسَىٰ فيُؤْمنون به.

ورَوَىٰ ابْنُ مَرْدويه عَنْ أَبي هُرَيرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أَنَّه قَالَ في هَذِهِ الآيَة نَحْو قَوْل ابْن عبَّاسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا.

وهَذَا القولُ هُوَ الصَّحيح في تَفْسير الآيَة، وقَد اخْتَاره ابْنُ جريرٍ، وَابْن كثيرٍ، وبِهِ يَقُول أبُو مالكٍ، والحَسَن، وَقَتَادة، وعَبْد الرَّحمن بن زيد بن أَسْلَم، وغَيْرهم. قَالَ الحَسنُ: واللهِ، إِنَّه لحيٌّ الآنَ عندَ الله، وَلَكن إِذَا نَزَل آمَنُوا به أَجْمَعون.. رَوَاه ابْنُ جَرِيرٍ[(٣)].

وأَمَّا قَوْل مَنْ قَالَ من المُفسِّرين: إِنَّ الضَّمير في قَوْله: ﴿قَبۡلَ مَوۡتِهِۦ﴾ يَعُود إِلَىٰ الكتابيِّ، فليسَ فيه مُعَارضةٌ لمَا تَقدَّم، فقَدْ يُؤْمن كلُّ كتابيٍّ عند احْتضَاره بأنَّ عيسَىٰ عبدُ الله ورسولُهُ، ولَكن لا يَنْفعه إيمانُهُ في هَذِهِ الحَالَة، وأمَّا الَّذينَ يُؤْمنون به بَعْد نُزُوله في آخر الزَّمان، فإِنَّ إِيمَانَهم به يَنْفعهم، واللهُ أعلمُ.

الآيةُ الثَّانية: قَوْله تَعَالَىٰ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلۡمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾ [الزُّخرُف: ٦١]، وَقرأ ابْنُ

(١) (٢/ ٣٣٨) (٣٢٠٧).

(٢) (٣/ ١٣٢٥) (٨٩٣).

(٣) في «التفسير» (٧/ ٦٦٥).

عبَّاس، وأَبو هُرَيرة، وَقَتَادة، والأعمشُ: (وإِنَّه لعَلَم للسَّاعة) بفَتْح العَيْن واللَّام، أَيْ: أَمارة وَعَلامة عَلَىٰ اقْتراب السَّاعة. قَالَ ابْن عبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في قَوْله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾، قَالَ: هو خُرُوج عيسَىٰ ابْن مَرْيم يَوْم القيَامة. رَوَاه الإمامُ أَحْمد، وَسَعيد بن مَنْصورٍ، وعَبْد بن حُمَيد، وَابْن أَبي حَاتم، والطَّبراني، وَالحَاكم في «مُسْتَدركه»[1]، وصَحَّحَه هُوَ والذَّهبيُّ. وقَدْ رَوَاه ابْنُ حبَّان في «صَحيحِهِ»، وَالحَاكم من حَدِيثِ ابْن عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عن النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾، قَالَ: «**نُزُول عيسَىٰ ابْن مَرْيم قبل يَوْم القيَامَة**»[2]، صَحَّحه الحاكمُ والذَّهبيُّ.

وقَدْ رُوي عَنْ أَبي هُرَيرة، ومُجَاهد، والحَسَن، وَقَتادة، وأبي العَاليَة، وَأبي مَالِكٍ، وعِكْرِمَة، والضَّحَّاك نَحْو قَوْل ابْن عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وممَّا جَاءَ في الآيَتَين والأَحَاديث الثَّابتة عَن النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في نُزُول عيسَىٰ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في آخر الزَّمَان، ومَا قَالَه ابْن عبَّاس، وأَبو هُرَيرة، وغَيْرهما من السَّلَف في تَفْسير الآيَتَين من سُورَة النِّساء، وسُورَة الزُّخْرف يعلم أَنَّ نُزُولَ عيسَىٰ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ حقٌّ، والحقُّ لا يَتنافَىٰ مَعَ الإِسْلَام، ومَنْ زَعَم أَنَّ نُزُوله يَتنافَىٰ مَع الإِسْلَام، فهُوَ ممَّن يشكُّ في إِسْلَامِهِ؛ لأَنَّه لَمْ يُحقِّق الشَّهادة بأَنَّ مُحمَّدًا رَسُول الله، إِذْ لابدَّ فِي تَحْقيقها من التَّصديق بكلِّ ما أَخْبر به رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أُمُور الغَيْب ممَّا كَانَ فيما مَضَىٰ، وما سَيكون في المُسْتقبل.

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٣١٧) (٢٩٢١) وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن. والحاكم (٢/ ٢٧٨) (٣٠٠٣)، والطبراني (١٢/ ١٥٣) (١٢٧٧١)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٣٢٠٨).

(٢) رواه ابن حبان (٦٨١٧)، والحاكم (٢/ ٢٧٨) (٣٠٠٣)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٣٢٠٨).

وأمَّا قَوْلُ بَعْض المُتخَرِّصين: إنَّ الأَحَاديثَ الواردةَ في نُزُول عيسَىٰ كلَّها مُزيَّفة، لَا يَقْبلها العقلُ.

فَجَوابُهُ أن يُقَال: هَذِهِ مُكَابرةٌ لَا تَصْدر من رجلٍ لَه أدْنَىٰ مُسْكة من عقلٍ ودينٍ، وإذا كَانَ عَقْلُ المَرْء فَاسدًا، فلا شكَّ أنَّه يتصوَّر الحق في صُورَة البَاطل، وقَدْ جاءَ في نُزُول عيسَىٰ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أكْثَر من خَمْسين حديثًا مَرْفوعًا أَكْثرها من الصِّحاح، والبَاقي غالبُهُ من الحسَان، فمَنْ زَعَم أنَّها كلَّها مزيفةٌ، فلا شكَّ أنَّه فاسدُ العَقْل والدِّين.

وأمَّا قَوْل المُتخرِّص: إنَّ نُزُول المَسيح لا يقرُّه المنطقُ.

فَجَوابُهُ أن يُقَال: أمَّا المنطقُ المستقيمُ، والعقلُ السَّليمُ الَّذي يَدُور مع الحقِّ حيثما دَارَ، فإنَّه لا يتوقَّف عن قَبُول ما جاء في كتَاب الله تَعَالَىٰ، ومَا تَوَاتر عن رَسُول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في نُزُول المَسيح في آخِر الزَّمَان، وأمَّا المنطقُ المُنْحرف، والعقلُ الفاسدُ، فإنَّه لا يتوقَّف عن ردِّ الحقِّ، وَعَدم قَبُوله، ولا عِبْرَة بالعُقُول الفَاسدَة، ولا بأَهْلها.

وأمَّا قَوْله: وهُوَ مستحيلٌ؛ لأنَّ مُحمَّدًا هو آخرُ الأنْبيَاء بنصِّ القُرْآن.

فَجَوابُهُ أنْ يُقَال: إنَّ عيسَىٰ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ إذا نَزَل في آخر الزَّمان لَا يَأْتي بشرعٍ جديدٍ، ولا يَحْكم بالإنْجيل، وإنَّما يَحْكم بكتَاب الله تَعَالَىٰ، وسُنَّة رَسُوله مُحمَّدٍ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويَكُون واحدًا من هَذِهِ الأُمَّة.

وقَدْ رَوَىٰ الإمامُ أحمدُ، والبخاريُّ، ومسلمٌ، عَنْ أَبي هُرَيرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كَيْف بكُم إذَا نَزلَ عيسَىٰ ابْن مَرْيم فيكُمْ وإمَامكم منكُمْ**»(١).

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٣٣٦) (٨٤١٢)، والبخاري (٣٤٤٩)، ومسلم (١٥٥).

وَفِي رِوَايَةٍ لمسلمٍ: «**كَيْف أَنْتم إذَا نَزلَ فيكُمْ ابْن مَرْيم فَأَمَّكم منكُمْ**»، قَالَ الوليدُ بن مسلمٍ: فقُلْت لابْن أَبي ذئبٍ: إنَّ الأوزاعيَّ حَدَّثنا عن الزُّهريِّ، عن نافعٍ، عن أَبي هُرَيرة: «**وإمَامكم منكُمْ**». قَالَ ابْن أَبي ذئبٍ: تَدْري ما أَمَّكم منكُمْ؟ قُلْت: تُخْبرني. قَالَ: فأَمَّكم بكِتَابِ ربِّكم تبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وسُنَّة نبيِّكم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[(١)].

وقَالَ أَبو ذرٍّ الهرويُّ: حَدَّثنا الجوزقيُّ عَنْ بَعْض المُتقدِّمين قَالَ: مَعْنَىٰ «**وإمَامكم منكُمْ**» أَنَّه يَحْكم بالقُرْآن لَا بالإِنْجيل. وقَالَ ابْنُ التين: مَعْنَىٰ قَوْله «**وإمَامكم منكُمْ**» أَنَّ الشَّريعةَ المُحمَّدية مُتَّصلةٌ إِلَىٰ يَوْم القيَامَة، وأَنَّ في كلِّ قرنٍ طائفةً من أَهْل العِلْمِ.

ورَوَىٰ الإمامُ أَحْمد بإسنادٍ صحيحٍ عَلَىٰ شَرْط الشَّيْخين، عن سَمُرة بن جُنْدب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ نبيَّ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُول: «**إنَّ الدَّجَّال خارجٌ** -فَذَكر الحَديثَ وَفِيهِ- **ثمَّ يَجيءُ عيسَىٰ ابْن مَرْيم** عَلَيْهِمَا السَّلَامُ **مصدقًا بمُحمَّدٍ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **وَعَلَىٰ ملَّته، فيَقْتل الدَّجَّال، ثمَّ إنَّما هو قيامُ السَّاعة**»[(٢)]، وقَدْ رَوَاه الطَّبرانيُّ، قَالَ الهيثميُّ: ورجالُهُ رجالُ الصَّحيح.

ورَوَىٰ الطَّبرانيُّ أيضًا في «الكَبير» وَ«الأَوْسَط»، عَنْ عَبْد الله بن مُغفَّل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَا أَهْبط اللهُ تَعَالَىٰ إِلَىٰ الأَرْض منذ خَلَق آدَم إِلَىٰ أنْ تَقُوم السَّاعةُ فتنةً أعظمَ من فِتْنَة الدَّجَّال** -فَذَكر الحَديثَ وَفِيهِ- **ثمَّ يَنْزل عيسَىٰ ابْن**

---

(١) أخرجه مسلم(١٥٥).

(٢) أخرجه أحمد (٥/ ١٣) (٢٠١٦٣) وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده ضعيف. والطبراني (٧/ ٢٢١) (٦٩١٩).

مَرْيم مصدقًا بمُحمَّدٍ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **عَلَىٰ ملَّته إمامًا مهديًّا، وحكمًا عدلًا، فيَقْتل الدَّجَّال»**(١).

قَالَ الهيثميُّ: رجالُهُ ثقاتٌ، وفِي بَعْضهم ضعفٌ لا يضرُّ. اهـ.

قُلْت: والحَديثُ قَبْله يَشْهد له، ويُقوِّيه.

وأمَّا قَوْله فِي أَحَد العَنَاوين: لَوْ كَانَ من أُصُول الإيمان الاعْتقَاد برَجْعة المَسيح، أو ظُهُور الدَّجَّال أو المهديِّ لَجَاءَ ذَلكَ في القُرْآن صريحًا محكمًا.

فَجَوابُهُ أن يُقَال: كلُّ ما ثَبتَ عن النَّبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّه أَخْبَر بوُقُوعه فالإيمانُ به وَاجبٌ، وذَلكَ من تَحْقيق الشَّهَادة بأنَّ مُحمَّدًا رَسُول الله، وتَحْقيقها من أُصُول الإيمَان، ولَا يَكُون المرءُ مؤمنًا مَعْصوم الدَّم والمَال حَتَّىٰ يحقِّق الشَّهادة بالرِّسَالة؛ لقَوْل النَّبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«أُمِرْتُ أن أُقَاتلَ النَّاس حَتَّىٰ يَشْهدوا أنْ لا إلَهَ إلَّا الله، ويُؤْمنوا بي وبمَا جئتُ بِهِ، فإذَا فَعَلوا ذَلكَ، عَصَموا منِّي دِمَاءَهم وأمْوَالهم إلَّا بحَقِّها، وَحسَابهم عَلَىٰ الله»**، رَوَاه مسلمٌ من حَديثِ أَبي هُرَيرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ(٢).

وقَدْ ثَبتَ عن النَّبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّه أَخْبَر بظُهُور المهديِّ في آخر الزَّمَان، وبخُرُوج الدَّجَّال، ونُزُول عيسَىٰ ابْن مَرْيم عَلَيهما الصَّلاة والسَّلام، فَوَجب الإيمانُ بذَلكَ تصديقًا لقَوْل اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣، ٤]، وَعَملًا بقَوْل اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ [الحشر: ٧]، وَبِمَا جَاء

---

(١) أخرجه الطبراني في «الكبير» كما في «مجمع الزوائد» (٧/ ٣٣٥)، وفي «الأوسط» (٥/ ٢٧) (٤٥٨٠).

(٢) سبق تخريجه.

في آياتٍ كثيرةٍ من الأَمْر بالإيمَان بالرَّسُول صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وَالإيمَانُ به لا يتمُّ إلَّا بامْتِثَال أَمْره، وَاجْتنَاب نَهْيه، وتَصْديق أَخْبَاره، والتَّمسُّك بسُنَّته، وَعملًا أيضًا بمَا جَاءَ في حَدِيثِ أَبي هُرَيرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ الَّذي تَقدَّم ذكرُهُ.

وأَمَّا قَوْله: ثمَّ كيفَ يَملأ المسيحُ الدُّنيا عدلًا بَعْد أنْ مُلئَتْ جورًا؟ وهَلْ هَذَا من سُنَّة الله تَعَالَىٰ في الحَيَاة الإنسانيَّة؟ وكيفَ يفيضُ المالُ عند رَجْعة المَسِيح فلا يَقْبله أحدٌ؟

فَجَوابُهُ أَنْ يُقَال: مَنْ علمَ أَنَّ الله عَلَىٰ كلِّ شيءٍ قديرٌ، وأَنَّه ما شَاءَ كَانَ، وَعَلم أيضًا أنَّ رَسُولَ الله صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لا يَقُول إلَّا الحقَّ، ولَا يُخْبر إلَّا بالصِّدق، لَمْ يشكَّ في شيءٍ ممَّا أَخْبَر به رَسُولُ الله صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فَيَجبُ عَلَىٰ المُسْلم أن يؤمنَ بكُلِّ ما جَاءَ عن اللهِ تَعَالَىٰ، وَمَا جَاءَ عَنْ رَسُول الله صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، ولا يَعْترض عَلَىٰ أَخْبَار الصَّادق المَصْدوق بـ«كَيْفَ» و«لِمَ»، وغَيْر ذَلكَ من أنْوَاع الاسْتفهَام الَّذي يدلُّ عَلَىٰ الشَّكِّ فيما أَخْبر به رَسُولُ الله صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وَعَدم الإيمَان به، وقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

وأَمَّا قَوْله: وَرَوىٰ البخاريُّ ومسلمٌ عَنْ أَبي هُرَيرة أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قَالَ: «والَّذي نَفْسي بيدِهِ، ليوشكنَّ أَنْ ينزلَ فيكم ابْن مَرْيم، فيَكْسر الصَّليب، ويَقْتل الخِنْزير، ويَضَع الحربَ».

فَجَوابُهُ أَنْ يُقَال: إنَّ الكاتبَ قَدْ صَحَّفَ في لَفْظ الحَدِيثِ حَيْث قَالَ فيه:

«وَيَضعُ الحرْب»، والَّذي في الحَدِيثِ: «**ويَضَع الجزيةَ**»[١]، ومَنْ تعمَّد التَّصحيف في أقْوَال رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهُوَ داخلٌ في عِدَادِ الكَاذِبين عَلَىٰ رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقَدْ تَوَاتر عنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّه قَالَ: «**مَنْ كَذَب عليَّ متعمدًا، فَلْيتبوَّأ مَقْعده من النَّار**»[٢]، ولعلَّ الكاتبَ لَمْ يَتعمَّد التَّصْحيف، وإنَّما وَقَع منه سهوًا، أوْ وَجَده في بَعْض الكُتُب الَّتي لم تُصحَّح من الأخْطَاء المطبعيَّة.

وأمَّا قَوْله: وبعْد، فإنَّ هَذِهِ المَرْويات من الأَحَاديث والأخْبَار فِي شَأْن رَجْعة المَسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ، أوْ فِي شَأْن ظُهُور الدَّجَّال أو المهديِّ لَا مُتعلَّق لها بالعَقيدَة، سَوَاء أصَحَّت أو لَمْ تصحَّ، وأَنَّ العقيدةَ الإسْلَاميَّة قائمةٌ عَلَىٰ الإيمَان بالله، وَمَلَائكته، ورُسُله، وكُتُبه، واليَوْم الآخر، وَالحسَاب، وَالجَزَاء، والجنَّة، والنَّار.

فَجَوابُهُ من وَجْهين:

أَحَدُهُما أن يُقَال: كلُّ ما أَخْبَر به رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فالإيمانُ به مُتعلقٌ بالعَقيدَة؛ لأَنَّه لا يتمُّ الإيمانُ بالرَّسُول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلَّا بالإيمَان بأخْبَاره، ومَنْ لَمْ يُؤْمن بأخْبَاره، فهُوَ فاسدُ العَقيدَة، وقَدْ تَقدَّم حَديثُ أَبي هُريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَفِيهِ أنَّ عصمةَ الدَّم والمَال إنَّما تكُون لمَنْ آمنَ بمَا جَاءَ به الرَّسُول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

الوَجْه الثَّانِي أنْ يُقَال: إنَّ أهلَ السُّنَّة والجَمَاعة قَدْ تَلقَّوا ما جَاءَ عن النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في ظُهُور المهديِّ، وخُرُوج الدَّجَّال، ونُزُول عيسَىٰ ابْن مَرْيم -عَلَيهما الصَّلاة والسَّلام- بالقَبُول، ودَوَّنوا ذَلكَ في كُتُب الصِّحاح والسُّنَن والمَسَانيد،

---

(١) أخرجه البخاري (٢٢٢٢)، ومسلم (١٥٥).

(٢) أخرجه البخاري (١١٠)، ومسلم (٣) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وَذَكَروا مَضْمونه في كُتُب العَقَائد.

قَالَ إمَامُ أَهْل السُّنَّة أَحْمَد بن محمد بن حنبلٍ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ- في عَقِيدَة أَهْل السُّنَّة والجَمَاعة الَّتي رَوَاها عَنْه عَبْدوس بن مالكٍ العطَّار: والإيمانُ أَنَّ المَسيحَ الدَّجَّال خارجٌ مَكْتوبٌ بَيْن عَيْنيه: كَافر، والأَحَاديثُ الَّتي جَاءَت فِيهِ، والإيمانُ بأنَّ ذَلكَ كلَّه كَائنٌ، وأنَّ عيسَىٰ ابْن مَرْيم يَنْزل فيَقْتله ببابِ لُدٍّ[(١)]. انْتهَىٰ.

وقَالَ أَبو مُحمَّد البَرْبهاري -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ- «في شَرْح السُّنَّة»[(٢)]: والإيمانُ بنزُول عيسَىٰ ابْن مَرْيم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَنْزل فيَقْتل الدَّجَّال، ويَتزوَّج ويُصلِّي خَلْف القَائم من آل مُحمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويَمُوت ويَدْفنه المُسْلمونَ. انْتهَىٰ.

والقَائمُ من آل مُحمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ المهديُّ كَمَا جَاءَ في حَدِيثِ جابرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**يَنْزِلُ عيسَىٰ ابْن مَرْيم، فيَقُول أَميرهُمْ المهديُّ: تَعَالْ صلِّ بنا، فيَقُول: لا، إنَّ بَعْضهم أميرُ بَعْض تَكْرمة الله لهَذِهِ الأُمَّة**»، رَوَاه الحارثُ بن أَبي أُسَامة في «مُسْنده» بإسنادٍ جيدٍ[(٣)]، وقَدْ ذَكره ابْنُ القيِّم في كتَاب «المَنَار المَنيف»[(٤)]، وقَال: إسنادُهُ جيدٌ.

وقَالَ الطَّحاويُّ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ- في العَقيدَة المَشْهورة: «ونُؤْمن بأَشْرَاط السَّاعة من خُرُوج الدَّجَّال، ونُزُول عيسَىٰ ابْن مَرْيم عَلَيْهِ السَّلَامُ من السَّماء»[(٥)]. انْتهَىٰ.

---

(١) «أصول السنة» للإمام أحمد (ص٣٣).

(٢) (١/ ٥١).

(٣) وصححه الألباني في «الصحيحة» (٢٢٣٦).

(٤) (١/ ١٤٨).

(٥) «شرح العقيدة الطحاوية» لابن أبي العز الحنفي (١/ ٣٣٤).

وقَالَ أَبو الحَسَن الأشعريُّ في كتابِهِ «مَقَالات الإِسْلَامِيِّين»[1]: «جُمْلَة ما عَلَيه أَهْل الحَدِيثِ والسُّنَّة الإِقْرَار باللهِ تَعَالَىٰ، وَمَلَائكته، وكُتُبه، ورُسُله، وَمَا جَاءَ من عند الله، وما رَوَاه الثِّقاتُ عَنْ رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يَردُّون من ذَلكَ شيئًا».

إِلَىٰ أنْ قَالَ: «ويُصدِّقون بخُرُوج الدَّجَّال، وأنَّ عيسَىٰ ابْن مَرْيم يَقْتله». انْتهَىٰ.

وهَذَا حكَايَة إجْمَاع من أَهْل الحَدِيثِ والسُّنَّة عَلَىٰ التَّصْديق بخُرُوج الدَّجَّال، ونُزُول عيسَىٰ ابْن مَرْيم عَلَيهما الصَّلاة والسَّلام، وقَتْله الدَّجَّال. والعِبْرَة بأَهْل الحَدِيثِ والسُّنَّة، ولا عِبْرَة بمَنْ خَالَفهم من أَهْل البدَع، والضَّلَالة، والجَهَالة.

وقَالَ أَبُو مُحمَّد عَبْد الله بن أَبي زَيْد القَيْروانِي المَالكي -رَحمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ- في «رسالتِهِ» المَشْهورة: «والإيمانُ بما ثَبتَ من خُرُوج الدَّجَّال، ونُزُول عيسَىٰ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ حكمًا عدلًا يَقْتل الدَّجَّال». انْتهَىٰ.

وقَالَ أَبو أَحْمَد بن الحُسَين الشَّافعي المَعْروف بابْن الحَدَّاد في «عَقيدَةٍ» له: «وأَنَّ الآياتِ الَّتي تَظْهر عند قُرْب السَّاعة من الدَّجَّال، ونُزُول عيسَىٰ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، والدُّخَان، والدَّابَّة، وطُلُوع الشَّمس من مَغْربها، وغَيْرها من الآياتِ الَّتي وَرَدت بها الأخبارُ الصِّحاحُ حقٌّ». انْتهَىٰ.

وقَالَ المُوفَّق أَبو مُحمَّد عَبْد الله بن أَحْمَد بن قُدَامة المقدسي فِي «عقيدتِهِ» المَشْهورة: «ويجبُ الإيمانُ بكلِّ ما أَخْبر به النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وصحَّ به النَّقلُ عنه فيما شَاهَدناه، أوْ غَابَ عنَّا، نَعْلم أَنَّه صدقٌ وحقٌّ».

إِلَىٰ أنْ قَالَ: «ومِنْ ذَلكَ أَشْرَاط السَّاعة، مثلَ: خُرُوج الدَّجَّال، ونُزُول عيسَىٰ

(١) (١/ ٢٢٦).

ابْن مَرْيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فيَقْتله، وخُرُوج يَأجوج ومَأْجُوج، وطُلُوع الشَّمس من مَغْربها، وخُرُوج الدَّابَّة، وأَشْباه ذَلكَ ممَّا صحَّ به النَّقلُ»[١]. انْتهَىٰ.

وَقَالَ شَيْخُ الإِسْلَام أَبو العَبَّاس ابْن تَيْمية رحمه الله تَعالَىٰ: «مَسْألة: عيسَىٰ ابْن مَرْيم صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حيٌّ، رَفعه اللهُ تَعالَىٰ إلَيْه بروحِهِ وبدَنه، وقَوْله تعالَىٰ: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ [آل عمران: ٥٥]، أَيْ: قَابضكَ، وكذَلكَ ثَبتَ أَنَّه يَنْزل عَلَىٰ المَنَارة البَيْضاء شَرْقي دمشق، فيَقْتل الدَّجَّال، ويَكْسر الصَّليب، ويَقْتل الخنزيرَ، وَيَضع الجزيةَ، حكمًا عدلًا مُقسطًا، ويُرَاد بالتَّوفِّي الاسْتيفَاء، ويُرَاد به المَوْت، ويُرَاد به النَّوم، ويدلُّ علىٰ كلِّ واحدٍ القَرينَة الَّتي مَعَه»[٢]. انْتهَىٰ.

وَقَالَ القَاضي عيَاض في «شَرْح مُسْلم»[٣]: «نُزُول عيسَىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وقَتْله الدَّجَّال حقٌّ صحيحٌ عندَ أَهْل السُّنَّة للأَحَاديث الصَّحيحَة في ذَلكَ، وليسَ في العَقْل، وَلَا في الشَّرْع ما يُبْطله، فَوجَب إثباتُهُ، وأَنْكرَ ذَلكَ بَعْض المُعْتزلة والجهميَّة، ومَنْ وَافقَهم، وَزَعموا أنَّ هَذِهِ الأَحَاديث مَرْدودة بقَوْله تَعالَىٰ: ﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، وبقَوْله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا نبيَّ بَعْدي**»[٤]، وبإِجْمَاع المُسْلمين أَنَّه لا نبيَّ بَعْد نَبيِّنا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأنَّ شريعتَهُ مؤبَّدة إِلَىٰ يَوْم القيَامَة لَا تنسخُ.

وهَذَا استدلالٌ فاسدٌ؛ لأَنَّه ليسَ المُرَاد بنزُول عيسَىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أَنَّه يَنْزل نبيًّا بشَرْع يَنْسخ شَرْعَنا، ولا فِي الأَحَاديث شيءٌ من هَذَا، بَلْ صَحَّت الأَحَاديث أَنَّه يَنْزل

(١) «لمعة الاعتقاد» (١/ ٢٨).

(٢) «مختصر الفتاوىٰ المصرية» (١/ ١٩٢).

(٣) «إكمال المعلم» (٨/ ٤٩٢).

(٤) أخرجه البخاري (٣٤٥٥)، ومسلم (١٨٤٢) من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

حكمًا مقسطًا يَحْكم بشَرْعنا، ويُحْيي من أُمُور شَرْعنا ما هَجَره النَّاس». انْتهَىٰ كلامُهُ، وقَدْ نَقلَه النَّوويُّ في «شَرْح مسلم»(١)، وأَقرَّه.

وقَالَ المُنَاويُّ في «شَرْح الجَامع الصَّغير»: «أَجْمَعوا عَلَىٰ نُزُول عيسَىٰ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ نبيًّا، لَكنَّه بشَريعَة نَبيِّنا صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ».

وقَالَ المُنَاويُّ أيضًا: «حَكَىٰ في المَطَامح إجْمَاع الأُمَّة عَلَىٰ نُزُوله، ولمْ يُخَالف أحدٌ من أَهْل الشَّريعة في ذَلكَ، وإنَّما أنكرَه الفَلَاسفة والمَلَاحدة» انْتهَىٰ.

وَقَالَ السَّفاريني في «شَرْح عقيدتِهِ»: «نُزُول المَسيح عيسَىٰ ابْن مَرْيم ثَابتٌ بالكتَاب والسُّنَّة، وإجْمَاع الأُمَّة، ولمْ يُخَالف فيه أحدٌ من أَهْل الشَّريعَة، وإنَّما أنكرَ ذَلكَ الفَلَاسفة والمَلَاحدة ممَّن لا يعتدُّ بخلافِهِ، وَقَد انْعقَدَ الإجماعُ عَلَىٰ أَنَّه يَنْزل ويَحْكم بهَذِهِ الشَّريعة المُحمَّديَّة» انْتهَىٰ.

هَذَا ما ذَكَره عُلَماء المُسْلمين في خُرُوج الدَّجَّال، ونُزُول عيسَىٰ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في آخِر الزَّمَان، وفِيهِ أبْلَغ ردٍّ عَلَىٰ قَوْل الخَطيب أَنَّ المرويَّات من الأَحَاديث والأَخْبَار في شَأْن رَجْعة المَسيح، أو فِي شَأْن ظُهُور الدَّجَّال لا مُتعلَّق لَهَا بالعَقيدَة.

وممَّا ذَكَرته عن أَهْل العِلْمِ يتَّضح أَنَّ الخطيبَ قَدْ خَالَف عقيدَةَ أَهْل السُّنَّة والجَمَاعة، وإجْمَاعَهم عَلَىٰ خُرُوج الدَّجَّال، ونُزُول عيسَىٰ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ووَافَق أعْدَاء الإِسْلَام والمُسْلمينَ من الفَلَاسفة والمَلَاحدة الَّذينَ أنْكَروا خُرُوج الدَّجَّال، ونُزُول عيسَىٰ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

وَأَمَّا قَوْله: ولَوْ كَانَ من أُصُول الإيمَان، الإيمَان برَجْعة المَسِيح، أَوْ ظُهُور

---

(١) (١٨/ ٧٦).

الدَّجَّال، أَو المَهْدي لَجَاء ذَلكَ في القُرْآن الكَرِيم صريحًا محكمًا.

فَجَوابُهُ أن يُقَال: كلُّ ما أَخْبَر به رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من المُغيَّبات ممَّا كَانَ فيما مَضَىٰ، وَمَا سَيَكون في المُسْتَقبل، فالإيمانُ بِهِ داخلٌ في ضِمْنِ الإيمَان بالرَّسُول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وذَلكَ من أعْظَم أُصُول الإيمَان، وقَدْ جاءَ الأمرُ بالإيمَان بالرَّسُول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في آياتٍ كثيرةٍ من القُرْآن، وكُلُّها محكماتٌ.

والإيمانُ بأَخْبَار الرَّسُول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ داخلٌ أيضًا في ضِمْنِ قَوْل الله تَعالَىٰ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ [الحشر: ٧]، وَداخلٌ أيضًا في ضِمْنِ قَوْله تَعالَىٰ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥]، وَداخلٌ أيضًا في ضِمْنِ قَوْله تَعالَىٰ: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣]، وهَذِهِ الآياتُ كُلُّها مُحْكماتٌ، وكلُّها تدلُّ عَلَىٰ أنَّ تَصْديقَ أخْبار النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أعْظَم أُصُول الإيمَان.

وقَدْ قَالَ الإمامُ أَحْمد -رَحمَهُ اللهُ تَعالَىٰ- **في قَوْله تَعالَىٰ:** ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، قَالَ: أتَدْري ما الفتنةُ؟ الفتنةُ الشِّركُ، لعلَّه إذا ردَّ بَعْض قَوْله أنْ يقعَ في قَلْبه شيءٌ من الزَّيْغ فيَهْلك، ثمَّ جَعَل يَتْلو هَذِهِ الآيَةَ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾.

وأمَّا قَوْله: إنَّ مثلَ هَذِهِ الأَخْبار تَفْتح عَلَىٰ النَّاس أبوابًا من الفِتَنِ حَيْث تَتطلَّع نفوسٌ كثيرةٌ إِلَىٰ ادِّعائها كَمَا حَدَث من ادِّعاء كَثيرين لأَنْفسهم بأنَّهم المهديُّ المنتظرُ،

فأَوْقَعوا الفُرْقةَ والقتالَ بَيْن المُسْلمين، وأَنَّه ليسَ ببعيدٍ أنْ يقومَ في النَّاس يومًا مَنْ يدَّعي أَنَّه المسيحُ المنتظرُ، فكَيْف تكُون الحالُ حينئذٍ؟!

فَجوابُهُ أنْ يُقَال: إنَّ الأخبارَ الثَّابتةَ عَن النَّبيِّ ﷺ لا تردُّ بمِثْلِ هَذِهِ الاحْتمَالات، والتَّعْليلات الخَاطئة، بَلْ تُصدَّق، وتُقَابل بالقَبُول والتَّسْليم، وَلَو افتتنَ بمَضْمونها مَن افتتنَ من النَّاس. وقَدْ قَالَ اللهُ تَعالَىٰ آمرًا رَسُوله ﷺ أن يَقُول للنَّاس: ﴿وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ﴾ [النمل: ٩٢]، وَهَكَذا يُقَال في الأَخْبَار الثَّابتة عن النَّبيِّ ﷺ: إنَّها تُقَابَل بالقَبُول والتَّصديق، ولا يُلتفتُ إِلَىٰ ما يَكُون من أَهْل الفتن الَّذينَ يَتأوَّلون الأَحَاديثَ عَلَىٰ غَيْر تَأْويلها، ويُطبِّقونها عَلَىٰ ما لا تَنْطبق عَلَيه.

ويُقَال أيضًا: إنَّ المهديَّ المُنْتظر إنَّما يَخرج في آخر الزَّمَان قُرْب خُرُوج الدَّجَّال، وعندَ انْتشَار الفَوْضىٰ والفتن، ثمَّ يَنْزل عيسَىٰ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فيُصلِّي خَلف المهديِّ أوَّل ما ينزلُ كَمَا جاءَ ذَلكَ في حَدِيثِ جَابر الَّذي تَقدَّم ذِكْرُهُ، ثمَّ يَذْهب إِلَىٰ الدَّجَّال فيَقْتله، وحينئذٍ يَكُون قيامُ السَّاعة قريبًا جدًّا، وَعَلَىٰ هَذَا فَمَن ادَّعىٰ من المَفْتونين أَنَّه المهديُّ المنتظرُ، ولَمْ يَخْرج الدَّجَّال في زمانِهِ، فإنَّه دَجَّالٌ كاذبٌ، وكذَلكَ مَن ادَّعىٰ أَنَّه المسيحُ ابْن مَرْيم، ولمْ يَكن الدَّجَّال قَدْ خَرَج قبله، فإنَّه دَجَّالٌ كاذبٌ.

وللمَسيح ابْن مَرْيم عَلَامتان لا تَكُونان لغَيْره من النَّاس:

إحْدَاهما: أَنَّه يَقْتل الدَّجَّالَ كَمَا تَوَاترت بذَلكَ الأَحَاديثُ.

والثَّانية: أَنَّه لا يحلُّ لكافرٍ يجد ريحَ نَفَسه إلَّا مات، ونَفَسه يَنْتهي حَيْث يَنْتهي طرفُهُ، كَمَا جَاء ذَلكَ في حَدِيثِ النَّوَّاس بن سمعان، الَّذي رَوَاه الإمامُ أحمدُ، ومسلمٌ،

والتِّرمذيُّ، وابنُ مَاجَه، وقَالَ التِّرمذيُّ: غَريبٌ حسنٌ صحيحٌ(١).

وفِي هَاتَين العَلَامتين قطعٌ لأَطْمَاع كلِّ دَجَّالٍ يدَّعي أَنَّه المسيحُ ابْن مريم.

وقَبْل الختَام أحبُّ أنْ أُنبِّه عَبْد الكريم الخَطيب عَلَىٰ خُطُورة الأَمْر في ردِّ الأَحَاديث الثَّابتة عن النَّبيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، سواءً كَانَت من أَحَاديث أشْرَاط السَّاعة مثلَ ظُهُور المهديِّ، وخُرُوج الدَّجَّال، ونُزُول عيسَىٰ ابْن مَرْيم عَلَيهما الصَّلاة والسَّلام، وغَيْر ذَلكَ مِنْ أشْرَاط السَّاعة، أوْ كَانَت من غَيْرها، فَإنَّ الَّذي يردُّ الأَحَاديثَ الثَّابتة عن النَّبيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إنَّما هُوَ في الحَقيقَة يردُّ عَلَىٰ النَّبيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا ينسَ الخطيبُ قَوْل الله تَعَالَىٰ: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣]، وقَوْل النَّبيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أُمِرْتُ أن أُقَاتلَ النَّاس حَتَّىٰ يَشْهدوا أنْ لَا إلَهَ إلَّا الله، ويُؤْمنوا بي وبمَا جئتُ بِهِ، فإذَا فَعَلوا ذَلكَ، عَصَموا منِّي دِمَاءَهم، وأَمْوَالهم إلَّا بحَقِّها، وَحِسَابُهُمْ عَلَىٰ الله**»(٢).

وَلعلَّ الخَطيبَ يُرَاجع الحقَّ، فإنَّ الحقَّ ضالَّة المُؤْمن، والرُّجُوعُ إِلَىٰ الحقِّ نبلٌ وفضيلةٌ، كَمَا أَنَّ التَّمادي في البَاطل نقصٌ ورذيلةٌ، واللهُ يَهْدي مَنْ يَشَاء إِلَىٰ صراطٍ مستقيمٍ.

وصلىٰ الله وسلم عَلَىٰ نبينا محمد وَعَلَىٰ آله وأصحابه ومَنْ تبعهم بإحسان إِلَىٰ يوم الدين.

حرر في ١٦ / ١١/ ١٤٠٢ هـ

حمود بن عبدالله التويجري

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٣٧) والترمذي (٢٢٤٠)، وابن ماجه (٤٠٧٥).

(٢) سبق تخريجه.



صَحيح المَقال

في

مسألةِ شدِّ الرِّحال

صَحيحُ المقَال
في مسألةِ شدِّ الرِّحَال

بقلم حِمُود بن عبدِ الله التُّويجري

اطَّلعتُ علىٰ مقالٍ لأبي هاشمٍ نُشر في الصَّفحة الخامسةِ مِن جَريدة (النَّدوة) الصَّادرةِ في يومِ السَّبت (١٤ مُحرَّم ١٣٩٧هـ) عُنوانُه: (مَسجد الخَندَق بالمَدينة المُنوَّرة).

قال الكاتبُ ما نَصُّه: «سُمِّي هذا المسجدُ بمَسجد الأحزابِ لأنَّ غزوةَ الأحزابِ وقَعت عنده، كما سُمِّي أيضًا باسْمِ مَسجِدِ الخَندق لأنَّ الخندقَ كان يَمرُّ بجانبِ المَسجد، وهو الخَندقُ الَّذي اقْتَرحه سَلمانُ الفارِسِيُّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ على الرَّسولِ عَلَيۡهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ، فكانَ أن حَفرَه المُسلمُون، ويَبدأُ مِن أَسفل جَبَل ذبَاب أو ذوباب، والَّذي أُطلق عليه بَعدَ ذلك جَبَل الرَّاية، لأنَّ رَايةَ الرَّسُول صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ نُصِبت عَلَيه.

ويُسمَّىٰ هذا المسجدُ أيضًا بمَسْجد الفتْحِ، وهو الاسمُ الخالدُ في كُتب السِّيرة والتَّاريخ الإسلامِي، لأنَّ الآيةَ الكريمةَ: ﴿ إِن تَسۡتَفۡتِحُواْ فَقَدۡ جَآءَكُمُ ٱلۡفَتۡحُ ﴾ [الأنفال: ١٩] نَزلَت علىٰ رسولِ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ وهو في مَوضِع عَليه.

ويَقعُ المَسجدُ علىٰ قِطعةٍ صَغيرةٍ مِن جَبَل سَلْع الكَبير، والذي كان يُسمَّىٰ مِن قَبلُ جَبَل ثَواب. وإلىٰ جانب المَسجد تقومُ خَمسةُ مَساجدَ أُخرىٰ: فالمَسجدُ الذي تَحتَه رَأسًا هو مسجدُ الصِّدِّيق، ومِن وَراء مَسجد الصِّدِّيق مَسجدُ الفَارُوق، وبجَانِبه

مِن جِهَة الغَرْب مَسجدُ عُثمان. ثمَّ مَسجد صَغير هو مَسجدُ عليٍّ بن أبي طالِب. ثم مَسجد سَلْمان الفَارسي.

والمَساجِد السِّتَّة هذه تَقعُ وَسَط وَادي بطْحَان الَّذي قال فيه الرَّسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إنَّه مِن أَودِيَة الجَنَّة، وهذه المَساجدُ هي مُصلَّىٰ الصَّحابَة الخَمْسة - أبُو بَكرٍ، وعُمَر، وعُثمانُ، وعَليٌّ، وسَلمانُ الفَارِسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ- باللَّيْل، حيثُ كانوا يَتهَجَّدون في مَواضِعها طُولَ اللَّيل». انْتهىٰ كلامُ الكَاتِب.

وأقولُ: لَم يَثبُت أنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أسَّس في المدينةِ مَسجدًا سوىٰ مَسجدِه ومَسجد قُبَاء. ومَن زَعَم أنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بنىٰ في المَدينة مَسجدًا غيرَ هَذَيْن المَسجِدَيْن فقَولُه بَعيدٌ مِن الصِّحَّة، وكَذلك لم يَثبُت عن أبي بَكر وعُمَر وعُثمان وعليٍّ وسَلمانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أنَّهم بنوا مَساجِدَ عند الخَنْدقِ، أو أنَّهم كانوا يَتهَجَّدُون في مَواضِعِها طُوالَ اللَّيل، ومَن زَعَم ذلك فقَولُه بَعيدٌ مِن الصِّحَّة.

والَّذي يَظهَرُ -واللهُ أَعلَمُ- أنَّ هذه المَساجدَ كانَت مِن إنشاءِ المَفتُونِين بالآثارِ ونَسَبَتْها إلىٰ الأكَابِر؛ لِيَكُون لذلكَ مَوقِعٌ عِند الجُهَّال.

وأمَّا قولُ الكَاتب: «ويُسمَّىٰ هذا المَسجِدُ مَسجدَ الفَتْح، وهو الاسمُ الخَالدُ في كُتُب السِّيرةِ والتَّاريخ الإسلامي، لأنَّ الآيةَ الكَريمة: ﴿إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ﴾ نَزلَت علىٰ رسولِ الله صلىٰ الله عليه وهو في مَوضِعٍ عَليه».

فجوابُه أنْ يُقالَ: إنَّ الفَتحَ المَذكور في الآيةِ مِن سُورة الأنفالِ لَم يَكُن بالمَدينة كما قد تَوَهَّم ذلك كاتِبُ المَقال. وإنَّما كان ببَدْرٍ حينَ الْتقىٰ الجمعانُ، كمَا ذَكر ذلك المُفسِّرون وأهلُ السِّيَر والأَخْبار.

قال مُحمَّد بن إسحاقَ: حدَّثني الزُّهريُّ، عن عَبدِ الله بن ثَعْلَبةَ؛ أنَّ أبا جَهلٍ قالَ يَومَ بَدرٍ: اللَّهمَّ أيُّنا كانَ أقطَعَ للرَّحِم وآتانَا بمَا لا يُعرَف فَأَحْنِه الغَداةَ، وكان استِفْتاحًا منه، فنزَلَت: ﴿ إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ﴾ إلى آخِر الآيَة[1].

وقد رَواهُ الإمامُ أَحمدُ والنَّسائِيُّ وابنُ جَريرٍ والحاكِمُ في «مُستدرَكِه» مِن طَريق مُحمَّد بن إسحاقَ[2]، وقال الحَاكمُ: صَحيحٌ على شَرْط الشَّيْخَين ولَم يُخرِّجَاه، ووَافَقَه الذَّهبِيُّ في «تَلخِيصِه».

وفي رِوايةٍ لابنِ جَريرٍ: عَن ابنِ شِهابٍ الزُّهْريِّ قالَ: أَخبرَني عبدُ الله بن ثَعلبةَ بن صُعَيْر العَدَوي حَلِيف بني زُهرَة؛ أنَّ المُستَفتِحَ يَومئذ أبُو جَهلٍ، وأنَّه قال حينَ الْتَقى القومُ: أَيُّنا أَقطَعُ للرَّحِم وآتانَا بمَا لَا يُعرف فَأَحْنِه الغَدوةَ، فكانَ ذلك استِفتاحَه، فأَنزَل اللهُ في ذَلك: ﴿ إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ﴾ الآيَةَ[3].

قالَ ابنُ كَثير: ورُوي نَحوُ هذا عنِ ابنِ عبَّاسٍ ومُجاهِدٍ والضَّحَّاكِ وقَتادةَ ويَزيدَ بن رُومانَ وغَيرِ وَاحدٍ[4].

---

(١) «سيرة ابن هشام» (١/ ٦٢٨).

(٢) أخرجه أحمد (٥/ ٤٣١) (٢٣٧١٠)، وقال شعيب الأرنؤوط: «صحيح، وهذا إسناد حسن من أجل ابن إسحاق، وقد توبع»، وابن أبي شيبة (١٤/ ٣٥٩-٣٦٠)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٦٣١)، والطبري في «تفسيره» (٩/ ٢٠٨)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٣٢٨)، والبيهقي في «الدلائل» (٣/ ٧٤)، والنسائي في «الكبرىٰ» (١١٢٠١).

قال السندي: قوله: «أقطعنا» اسم تفضيل للقطع، «وآتانا» اسم تفضيل من الإتيان، «فأَحْنِه» من أَحانَه اللهُ، أي: أهلَكَه ولم يوفِّقه للرشاد.

(٣) «تفسير الطبري» (١٣/ ٤٥٢) رقم (١٥٨٣٩) ط. الرسالة.

(٤) «تفسير ابن كثير» (٤/ ٣٣) ط. دار طيبة.

وأمَّا قولُ الكَاتِب: «إنَّ الرَّسولَ صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قَال في وَادي بُطْحَانَ: إنَّه مِن أَودِيَةِ الجنَّة».

فَجوابُه أنْ يُقالَ: هَذا الحديثُ لَا أصْلَ لَه، فلا يُغترَّ بِه. وقَد وَرَد في حَديثٍ ضَعيفٍ جدًّا: «أنَّ بُطْحَان عَلىٰ بِرْكةٍ مِن بِرَك الجنَّة»، رَواه البَزَّارُ مِن حديثِ عَائشةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا(١)، وفيه رَاوٍ لَمْ يُسَمَّ، وَما كَان كذلك فلا يُعتَمدُ عَليه ولَا يَثبُت به شَيء.

وصلَّىٰ اللهُ وسلَّمَ عَلىٰ نبيِّنا مُحمَّدٍ وعلىٰ آلِه وصَحْبِه.

حِمُود بن عَبد الله التُّويجري



(١) رواه البزار في «مسنده» (١٨/ ١٣٥) (٩٥) ط. مكتبة العلوم والحكم. والحديث كان قد حسنه الألباني رَحِمَهُٱللَّهُ في «الصحيحة» (٧٦٩)، ثم تبين له ضعفه بعد ذلك، فقال في «الضعيفة» (٥٧٣٠): «وقد كنت حسنته في «الصحيحة» (٧٦٩)، ثم تبين لي علة تقدح في ثبوته...» وذكر العلة، وضعف الحديث.



تنزيه الأصحاب

عن

تنقص أبي تراب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحَمْدُ لله، نَحْمَدُهُ، ونَسْتعينُهُ، ونَسْتغفره، ونَتُوب إلَيْه، ونَعُوذ بالله من شُرُور أَنْفسنا، وسَيِّئات أعْمَالنا، مَنْ يهدِهِ الله فلا مضلَّ له، ومَنْ يُضْلل فلا هاديَ له، وأَشْهد أنْ لا إلَه إلَّا الله وَحْده لا شريكَ له. وأَشْهد أنَّ محمدًا عبدُهُ ورسولُهُ، وخيرتُهُ من خَلْقه، صلَّىٰ الله عَلَيه وَعَلَىٰ آلِهِ وأصْحَابه خَيْر الأُمَّة وأتْقَاها، وأعْلَمها وأَهْداها، وَعَلَىٰ أتْبَاعهم الَّذينَ وَرثُوا عِلْمهم، وَسَاروا عَلَىٰ نَهْجهم القَويم، وَسلَّم تسليمًا كثيرًا.

❑ أمَّا بَعْد:

فقَدْ رَأيتُ مَقالًا لأبي تُرَاب الظَّاهري[1] تَعرَّض فيه للغضِّ من الصَّحابة عامَّة، ومن أَبي بَكْرٍ وعمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا خاصَّة، وهَذَا المَقَالُ السَّيئ مَنْشورٌ في جريدة عُكَاظ في عدد (٣١٦٣) - السَّبت: ١٣ محرم سنة ١٣٩٥هـ.

وَالتَّعرُّضُ للصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بالكَلَام الَّذي يَقْتضي التَّنقُّص لهم، والغضَّ منهم لا يَصْدر إلَّا من جاهلٍ، أوْ مبغضٍ للصَّحَابة.

وقَدْ وَرَد الوَعيدُ عَلَىٰ ذَلكَ، فَرَوَىٰ التِّرمذيُّ في «جامعِهِ»، عَنْ عبد الله بن مغفَّل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«اللهَ اللهَ فِي أصْحَابي، لا تَتَّخذوهم غَرَضًا بَعْدي، فَمَنْ أحبَّهم فبُحبِّي أَحبَّهم، ومَنْ أبْغَضهم فببُغْضي أُبْغضهم، ومَنْ آذَاهم**

---

(١) هو أبو محمد عبد الجميل بن عبد الحق بن عبد الواحد بن محمد بن الهاشم بن بلال الهاشمي، ويكنىٰ بأبي تراب الظاهري، ولد في «أحمد بور الشرقية» بالهند عام ١٩٢٣م - ١٣٤٣هـ، وتوفي صباح يوم السبت الموافق ٢١/ ٢/ ١٤٢٣هـ.

فقَدْ آذَانِي، ومَنْ آذَانِي فقَدْ آذىٰ اللهَ، ومَنْ آذَىٰ اللهَ، يوشك أن يأخذَهُ»[(١)].

وَرَوَىٰ أبو نُعيم في «الحِلْية»[(٢)] عَنْ عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**شرارُ أُمَّتي أَجْرؤهم عَلَىٰ صَحَابتي**».

ورَوَىٰ الطَّبرانيُّ عَنْ عبد الله بن مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِذَا ذُكِرَ أصْحَابي، فأَمْسكُوا**»[(٣)].

وقَالَ مُحمَّد بن سيرين: «مَا أظنُّ رجلًا ينتقصُ أبَا بكرٍ وعمرَ يحبُّ النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»[(٤)]، رَوَاه التِّرمذيُّ، وقَالَ: هَذَا حديثٌ غريبٌ حسنٌ.

ورَوَىٰ أَبو نُعَيم في «الحِلْيَة»[(٥)] من حَدِيثِ شُعْبة عن سَلَمة بن كهيلٍ عَنْ أَبي الزَّعراء، أَوْ عَنْ زَيْد بن وهبٍ أَنَّ سويدَ بن غفلةَ دَخل عَلَىٰ عليٍّ بن أَبي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في إمارتِهِ، فقَالَ: يَا أميرَ المُؤْمنين، إنِّي مررتُ بنفرٍ يَذْكرون أنَّ أبا بكرٍ وعمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بغيْر الَّذي هما أهلٌ له من الإسْلَام، فنَهَضَ إِلَىٰ المِنْبر وهُوَ قابضٌ عَلَىٰ يَدي، فقَالَ: والَّذي فَلَق الحبَّة، وَبرأ النَّسَمة، لا يحبُّهما إلَّا مؤمنٌ فاضلٌ، ولا يُبْغضهما ويُخَالفهما إلَّا شقيٌّ مارقٌ، فحُبُّهما قُرْبةٌ، وبُغْضهما مُرُوقٌ، ما بالُ أقْوَامٍ

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٨٦٢)، وضعفه الألباني في «الضعيفة» (٢٩٠١).

(٢) (٢/ ١٨٣)، وفي إسناده محمد بن الخطاب البلدي وهو مجهول الحال.

(٣) أخرجه الطبراني (١٠/ ١٩٨) (١٠٤٤٨) قال الهيثمي (٧/ ٢٠٢): «فيه مسهر بن عبد الملك، وثقه ابن حبان وغيره، وفيه خلاف، وبقية رجاله رجال الصحيح». وصححه الألباني في «الصحيحة» (٣٤).

(٤) أخرجه الترمذي (٣٦٨٥)، وقال الألباني: صحيح الإسناد مقطوع.

(٥) (٧/ ٢٠١).

يَذْكرون أَخوي رَسُول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَوَزيريه، وَصَاحبيه، وسَيِّدي قريشٍ، وَأَبوي المُسْلمينَ، فأَنَا بريءٌ ممَّن يَذْكرهما، وله معاقبٌ.

وإِذَا عُلِمَ ما في هَذِهِ الأَحَاديث من تَحْريم عَيْب الصَّحابة عامَّة، وأَبي بكرٍ وعُمَر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا خاصَّة، وتَحْريم أَذيَّتهم، والتَّعرُّض لمَا فيه تَنقُّصٌ لهُمْ، وغضٌّ من قَدْرهم، وعُلِمَ أيضًا أَنَّه لا يتجرَّأ عَلَىٰ الكَلَام في الصَّحَابة إِلَّا شرار هَذِهِ الأُمَّة، فَلْيعلم أيضًا أَنَّ الصَّحَابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أجلُّ قدرًا، وأكثرُ علمًا، وأقْوَىٰ إيمانًا ممَّن بَعْدهم إِلَىٰ آخر الدَّهر، فيَنْبغي إجْلَالهم، وتَوْقيرهم، واحْترامهم، وتَفْضيلهم عَلَىٰ مَنْ سواهم من سَائر هَذِهِ الأُمَّة.

قَالَ عَبْدُ الله بن عمرَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: «**مَنْ كَانَ مستنًّا فَلْيستنَّ بمَنْ قد مات، أُولَئك أصْحَاب مُحمَّدٍ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَانوا خيرَ هَذِهِ الأُمَّة، أَبرها قلوبًا، وأَعْمقها علمًا، وأَقلها تَكلُّفًا، قومٌ اخْتَارهم الله لصُحْبة نبيِّه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَنقل دينِهِ، فتَشبَّهوا بأَخْلَاقهم وَطَرَائقهم، فهُمْ أَصْحَاب مُحمَّدٍ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَانوا عَلَىٰ الهُدَىٰ المُسْتقيم، واللهِ ربِّ الكَعْبة**»، رَوَاه أبو نُعَيم في «الحِلْيَة»(١).

ورَوَىٰ رُزَين عَنْ عَبْد الله بن مسعودٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ نَحْوه، وإِذَا علمَ هَذَا، ففي كَلَامِ أبي تُرَاب خمسةُ مَوَاضع زلَّ فيها عن الحقِّ والصَّواب، وقدْ رأيتُ أنْ أنبِّه عَلَىٰ زلَّاته؛ لئلَّا يغترَّ بها مَنْ لم يعرف قَدْرَ الصَّحَابة وفَضْلهم عَلَىٰ سَائر الأُمَّة.

المَوْضع الأوَّل: زَعَم أبُو تُرَاب أَنَّ أُمَّهات المُؤْمنين أفْضَل من أمير المُؤْمنين عمرَ بن الخطَّاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

---

(١) (١/ ٣٠٥).

والجَوابُ أنْ يُقَالَ: هَذَا خطأٌ مخالفٌ للأَحَاديث الكَثيرَة عن النَّبيِّ صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، ومُخَالفٌ لإجْمَاع الصَّحَابة رَضِيَاللَّهُعَنْهُمْ عَلَىٰ تَفْضيل أَبي بكرٍ، ثمَّ عُمَر عَلَىٰ سَائر الأُمَّة.

فأمَّا الأَحَاديثُ، فالأوَّل مِنْهَا: ما رَوَاه الإمامُ أَحْمدُ، والطَّبرانيُّ عَن ابْن عُمَرَ رَضِيَاللَّهُعَنْهُمَا قَالَ: خَرَج علينا رَسُولُ الله صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ذاتَ غداةٍ بعد طُلُوع الشَّمس، فقَالَ: «**رأيتُ قُبيل الفَجْر كأَنِّي أعطيتُ المَقَاليد والمَوَازين، فأَمَّا المَقَاليدُ فهَذِهِ المَفَاتيح، وأَمَّا الموازينُ فهَذِهِ الَّتي يُوزَن بها، فَوضعت في كفَّة وَوضعت أُمَّتي في كفَّة، فَوَزنتْ بِهِم، فَرَجحتْ، ثمَّ جيء بأبي بكرٍ، فوزنَ بِهِم فرَجح بهم، ثمَّ جيء بعمرَ، فوزنَ بهم فرَجَح بهم، ثمَّ جيء بعثمانَ فوضعَ في كفَّة وَوضعتْ أُمَّتي في كفَّة، فَرَجح بهم، ثمَّ رفعت**»(١)، هَذَا لَفْظ الطَّبرانيِّ. قَالَ الهيثميُّ: ورجالُهُ ثقاتٌ.

ورَوَىٰ الإمَامُ أَحْمدُ والطَّبَرانيُّ أيضًا عن أَبي أُمَامة رَضِيَاللَّهُعَنْهُ، عن النَّبيِّ صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ نَحْوه. ورَوَىٰ الطَّبَرانيُّ أيضًا عن مُعَاذ بن جبلٍ، وعرفجة، وأُسَامة بن شريكٍ رَضِيَاللَّهُعَنْهُمْ، عن النَّبيِّ صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ نَحو ذَلكَ أيضًا، وفي هَذِهِ الأَحَاديث أَوْضَح دليلٍ عَلَىٰ أنَّ عمرَ رَضِيَاللَّهُعَنْهُ أفْضَل من أُمَّهات المُؤْمنين، وَمِنْ سَائر هَذِهِ الأُمَّة سوىٰ أَبي بَكْر رَضِيَاللَّهُعَنْهُ، فإنَّه أفْضَلُ من عمرَ رَضِيَاللَّهُعَنْهُ. وفِيهَا أبْلَغ ردٍّ عَلَىٰ أبي تُرَاب حَيْث فَضَّل أُمَّهات المُؤْمنين عَلَىٰ عمرَ رَضِيَاللَّهُعَنْهُ بغَيْر دليلٍ، بَلْ بمجرَّد الظَّنِّ المُخَالف للأَدلَّة الصَّحيحة.

وعَنْ عليٍّ بن أَبي طالبٍ رَضِيَاللَّهُعَنْهُ **قَالَ:** كُنْتُ مَعَ رَسُول الله صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، إذْ

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٧٦) (٥٤٦٩) وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده ضعيف.

طلعَ أَبو بكرٍ وعمرُ، فقالَ رَسُولُ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**هَذَان سَيِّدا كُهُول أَهْل الجنَّة من الأَوَّلين والآخرينَ إِلَّا النَّبيِّين والمُرْسلين، يا عَليُّ، لا تُخْبرهما**»(١)، رَواه التِّرمذيُّ، وَابْن مَاجَه، وعَبْد الله بن الإمَام أَحْمد في «زَوَائد المُسْند»(٢)، وإسنادُهُ حسنٌ، وهَذَا لَفْظ التِّرمذيِّ.

ولَفْظ عَبْد الله قَالَ: كنتُ عند النَّبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأَقْبَل أَبو بكرٍ وعُمَرُ، فَقَالَ: «**يا عليُّ، هَذَان سيِّدا كُهُول أَهْل الجنَّة وَشَبابها بعد النَّبيِّين والمُرْسلين**»، قَالَ التِّرمذيُّ: وفِي البَاب عن أنسٍ وَابْن عبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ.

وعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **قَالَ**: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأَبي بَكْرٍ وعُمَر: «**هَذَان سيِّدا كُهُول أَهْل الجنَّة من الأَوَّلين والآخِرينَ إِلَّا النَّبيِّين والمُرْسلين، لا تُخْبرهما يا عليُّ**»(٣)، رَواه التِّرمذيُّ، وقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ.

وعَنْ أَبي جُحَيفة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **قَالَ**: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَبو بَكْرٍ وعُمَر سيِّدا كُهُول أَهْل الجنَّة من الأَوَّلينَ وَالآخِرينَ إِلَّا النَّبيِّين والمُرْسلين**»، رَواه ابْنُ ماجه بإسنادٍ حَسَنٍ، وابْنُ حبَّان في «صَحِيحِهِ»(٤).

ورَوَىٰ البزَّارُ، والطَّبرانيُّ عن أَبي سعيدٍ الخدريِّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عن النَّبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٦٦٥)، وابن ماجه (٩٥)، وصححه بشواهده الألباني في «المشكاة» (٦٠٥٩).

(٢) (١/ ٨٠) (٦٠٢)، وقال شعيب الأرنؤوط: صحيح وهذا إسناد حسن.

(٣) أخرجه الترمذي (٣٦٦٤)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٧٠٠٥).

(٤) أخرجه ابن ماجه (١٠٠)، وابن حبان (١٥/ ٣٣٠) (٦٩٠٤)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٨٢٤).

نَحْوه[(١)]. ورَوَىٰ الطَّبَرانـيُّ أيضًا عن ابْن عُمَر[(٢)]، وَجَابر عن عَبْد الله[(٣)] رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، عن النَّبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ نَحْو ذَلكَ أيضًا.

وفي هَذِهِ الأَحَاديث أوْضَحُ دليلٍ عَلَىٰ أنَّ أفْضَل هَذِهِ الأُمَّة أبو بكرٍ وعُمَر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، وَفيهَا أبلغُ ردٍّ عَلَىٰ أَبي ترابٍ فيمَا شذَّ به من تَفْضيل أُمَّهات المُؤْمنينَ عَلَىٰ عُمَر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

وعَنْ عَبْد الله بن حنطب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ **قَالَ: كُنْت مَعَ رَسُول الله** صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فَنظَر إِلَىٰ أَبي بَكْرٍ وعمرَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، فقَالَ: «**هَذَان السَّمع والبَصَر**»، رَوَاه الحاكمُ في «مُسْتدركه»[(٤)]، وقَالَ: صَحيحُ الإسْنَاد.

وعَنْ أَبي سَعِيدٍ الخدريِّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ **قَالَ:** قَالَ رَسُولُ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**مَا من نبيٍّ إلَّا وَلَه وَزيرَان من أَهْل السَّماء، وَوَزيران من أَهْل الأَرْض، فأمَّا وَزيرَاي من أَهْل السَّماء فَجبريلُ وَمِيكَائيلُ، وأمَّا وَزيرَاي من أَهْل الأَرْض فأَبو بكرٍ وعُمَر**»، رَوَاه

---

(١) أخرجه البزار كما في «كشف الأستار» (٣/ ١٦٨) (٢٤٩٢)، والطبراني في «الأوسط» (٤/ ٣٥٩) (٤٤٣١)، قال الهيثمي (٩/ ٥٣): فيه علىٰ بن عابس، وهو ضعيف.

(٢) أخرجه ابن عساكر (٤٤/ ١٧٣)، والبزار كما في «كشف الأستار» (٣/ ١٦٨) (٢٤٩٢)، وقال الهيثمي (٩/ ٥٣): فيه عبد الرحمن بن مالك بن مغول متروك.

(٣) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٨/ ٣٤٠) (٨٨٠٨)، وابن عساكر (٤٤/ ١٧٣)، قال الهيثمي (٩/ ٥٣): فيه المقدام بن داود، وقد قال ابن دقيق العيد: إنه وثق، وضعفه النسائي وغيره، وبقية رجاله رجال الصحيح.

(٤) (٣/ ٧٣) (٤٤٣٢)، وأخرجه أيضًا الترمذي (٣٦٧١)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٨١٤).

التِّرْمذيُّ، وقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ(١).

وَعَن ابْن عُمَر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا **قَالَ:** قَالَ رَسُولُ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**أَنَا أَوَّلُ مَنْ تنشقُّ عَنْه الأرضُ، ثمَّ أبو بكرٍ، ثمَّ عُمَرُ، ثمَّ آتي أَهْلَ البَقيع فيُحْشرون معي، ثمَّ أَنْتَظر أَهْلَ مكَّة حتَّىٰ أُحْشَر بيْن الحَرَمين**»(٢)، رَوَاه التِّرمذيُّ، وَابْنُ حبَّان فِي «صحيحِهِ»، والحَاكمُ في «مُسْتَدركه»، مختصرًا، وقَالَ التِّرْمذيُّ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ، وقَالَ الحَاكمُ: صَحيحُ الإسْنَاد.

وفِي هَذَا الحَدِيثِ والحَديثَيْن قَبْله أَوْضحُ دليلٍ عَلَىٰ أَنَّ أَفْضَل هَذِهِ الأُمَّة أبو بكرٍ وعُمَر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا. وفيهَا أبْلَغُ ردٍّ عَلَىٰ أَبي تُرَاب فيما شذَّ به من تَفْضيل أُمَّهات المُؤْمنينَ عَلَىٰ عمرَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

وعَنْ عُقْبَةَ بن عَامِرٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ **قَالَ:** سمعتُ رَسُولَ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يَقُول: «**لَوْ كَانَ بَعْدي نبيٌّ، لكَانَ عُمَر بن الخطَّاب**»، رَوَاه الإمامُ أحمدُ، والتِّرمذيُّ، وَالحَاكمُ في «مُسْتدركه»، وقَالَ التِّرْمذيُّ: حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ، وقَالَ الحَاكمُ: صَحيحُ الإسْنَاد، ولَمْ يُخرِّجاه، وَوَافقه الذَّهبيُّ في «تَلْخيصِهِ»(٣).

وفِي هَذَا الحَدِيثِ فَضيلةٌ ظَاهرةٌ لعمرَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، والأَحَاديثُ فِي فَضْل عمرَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ كثيرةٌ جدًّا، وفيما ذكرتُهُ ههنا كفايةٌ في الرَّدِّ عَلَىٰ أَبي ترابٍ، وَبَيَان خطئِهِ

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٦٨٠)، وضعفه الألباني في «المشكاة» (٦٠٦٥).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٦٩٢)، وابن حبان (١٥/ ٣٢٤) (٦٨٩٩)، والحاكم (٢/ ٥٠٥) (٣٧٣٢)، وضعفه الألباني في «الضعيفة» (٢٩٤٩).

(٣) أخرجه أحمد (٤/ ١٥٤) (١٧٤٤١)، والترمذي (٣٦٨٦)، والطبراني (١٧/ ٢٩٨) (٨٢٢)، والحاكم (٣/ ٩٢) (٤٤٩٥)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٢٨٤).

وشُذُوذه حَيْث فَضَّل أُمَّهات المُؤْمنين عَلَىٰ عمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وأَمَّا إجْمَاعُ الصَّحَابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ عَلَىٰ تَفْضيل أَبي بَكْرٍ، ثمَّ عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَلَىٰ سَائر الأُمَّة، فرَوَاه البخاريُّ في «صَحيحِهِ»، وَأَبو دَاود، والتِّرْمذيُّ، وعَبْد الله ابْن الإمام أحْمَد في كتَاب «السُّنَّة»، عَنْ نافعٍ، عَن ابْن عمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: كنَّا نخيرُ بَيْن النَّاس في زَمَن النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَنخير أبَا بكرٍ، ثمَّ عُمَر بن الخطَّاب، ثمَّ عفَّان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.. هَذَا لَفْظ البخاريِّ في إحْدَىٰ الرِّوَايتين، وقَالَ التِّرْمذيُّ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صحيحٌ غَرِيبٌ(١).

وفِي الرِّوَاية الأُخْرىٰ عند البخاريِّ قَالَ: كنَّا في زمن النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا نَعْدل بأَبي بَكْرٍ أحدًا، ثمَّ عُمَر، ثمَّ عُثْمان، ثمَّ نَتْرك أَصْحَابَ النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا نُفَاضل بَيْنهم(٢). ورَوَاه أبو دَاود بِهَذِهِ الزِّيَادة.

وعندَ عَبْد الله بن الإمَام أَحْمد: ثمَّ لا نُفضِّل أحدًا عَلَىٰ أحدٍ(٣).

وفِي روايةٍ له: ويَبْلغ ذَلكَ النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَا يُنْكره عَلَينا(٤).

وفي روايةٍ لَه، ولأَبي دَاود عَنْ سالم بن عَبْد الله عَنْ أَبيه قَالَ: كنَّا نَقُول ورَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حيٌّ: أفْضَل أُمَّة النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أبو بكرٍ، ثمَّ عُمَر، ثمَّ عُثْمان(٥).

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٥٥)، وأبو داود (٤٦٢٧)، والترمذي (٣٧٠٧).

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٩٧)، وأبو داود (٤٦٢٧).

(٣) أخرجه عبد الله بن أحمد في «السنة» (٢/ ٥٧٧) (١٣٥٩).

(٤) «السنة» لعبد الله بن أحمد (٢/ ٥٧٦) (١٣٥٧).

(٥) «السنة» لعبد الله بن أحمد (٢/ ٥٧٥) (١٣٥٣)، وأبو داود (٤٦٢٨)، وصححه الألباني.

ورَوَىٰ الإمامُ أحمدُ في «مُسْنده»، وابنُهُ عَبْدُ الله في كتاب «السُّنَّة» من حَدِيثِ سُهَيل بن أبي صالحٍ، عَنْ أَبيه عَن ابْن عمرَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قَالَ: كنَّا نعدُّ ورَسُول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ حيٌّ وأَصْحَابُهُ مُتوافرون: أَبو بكرٍ، وعُمَر، وعُثْمان، ثمَّ نسكتُ(١).

ورَوَىٰ عَبْدُ الله أيضًا في كتاب «السُّنَّة»(٢) من حَدِيثِ عمر بن أسيد عن ابْن عُمَر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قَالَ: كنَّا نَقُول في زمن النَّبيِّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: رَسُولُ الله خيرُ النَّاس، ثمَّ أَبُو بكرٍ، ثمَّ عُمَر.

ورَوَىٰ عَبْدُ الله أيضًا في كتاب «السُّنَّة»(٣)، عَنْ أَبي هُرَيرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: كنَّا نعدُّ وأَصْحَابُ رَسُول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ مُتَوافرُونَ خَيْر هَذِهِ الأُمَّة بعد نَبيِّها أَبو بكرٍ، وعُمَر، ورَوَاه الحَارثُ بن أبي أُسَامة في «مُسْنده»(٤)، ولَفْظه قَالَ: كنَّا معشرَ أَصْحَاب رَسُول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ونَحْن مُتَوافرون نَقُول: أفْضَل هَذِهِ الأُمَّة بعد نَبيِّها أَبو بكرٍ، ثمَّ عُمَر، ثمَّ عُثْمَان، ثمَّ نَسْكت.

ورَوَىٰ البخاريُّ في «صحيحِهِ»، وأَبو دَاوُدَ في «سننِهِ»، وعَبْد الله ابْن الإِمَام أَحْمَد في كتَاب «السُّنَّة» عَنْ مُحمَّد بن الحنفيَّة قَالَ: قُلْتُ لأَبي: أيُّ النَّاس خيرٌ بَعْد رَسُول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ؟ قَالَ: أَبُو بَكْرٍ. قُلْت: ثمَّ من؟ قَالَ: ثمَّ عُمَر. وخشيتُ أَنْ يَقُول:

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ١٤) (٤٦٢٦) وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح علىٰ شرط مسلم. و«السنة» لعبد الله بن أحمد (٢/ ٥٧٤) (١٣٥٠).

(٢) (٢/ ٥٧٤) (١٣٥١).

(٣) (٢/ ٥٧٦) (١٣٥٦).

(٤) (٢/ ٨٨٨) (٩٥٩).

عُثْمان. قُلْت؟ ثمَّ أنتَ؟ قَالَ: ما أنا إلَّا رجلٌ من المُسْلمينَ[١].

ورَوَىٰ الإمَامُ أَحْمَدُ وابنُهُ عَبْدُ الله في «زَوَائد المُسْند»[٢]، وفِي كتاب «السُّنَّة»[٣] من طُرُقٍ كثيرةٍ، وَابْن ماجه، عن عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّه قَالَ: «خَيْرُ هَذِهِ الأُمَّة بعد نَبيِّها: أَبُو بَكْرٍ ثمَّ عُمَر »[٤].

وفِي بَعْض الرِّوَايات عند الإمَام أَحْمَد وابنِهِ عَبْد الله عن أبي جحيفة، وعَبْد خير عن عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّه قَالَ: «خَيْر هَذِهِ الأُمَّة بعد نبيِّها: أَبُو بَكْرٍ، وخَيْرها بعد أَبِي بَكْرٍ: عُمَر، ولَوْ شئتُ سَمَّيت الثَّالث».

ورَوَىٰ أبو نُعَيم في «الحِلْيَة»[٥] من حَدِيث أَبِي جُحَيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: خَطَبنا عليُّ بن أبي طالبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَىٰ مِنبَر الكُوفَة، فقَالَ: «أَلَا إِنَّ خيرَ النَّاس بعد رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ، ثمَّ عُمَرُ، ولو شئتُ أَنْ أُخبركم بالثَّالث لأَخْبرتُكمْ، ثمَّ نزلَ من المِنبَر وهُوَ يقُول: عُثْمان عُثْمان».

ورَوَىٰ أَبو نُعَيم أيضًا من حَدِيثِ سُوَيد مَوْلىٰ آل عُمَر، وَابْن حريث قَالَ: سَمعتُ عليَّ بن أَبي طالبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُول عَلَىٰ المِنْبَر: «إِنَّ أَفْضَل النَّاس بَعْد رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ، وعُمَر، وعُثْمان»[٦].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٧١)، وأبو داود (٤٦٢٩).

(٢) (١/ ١١٠) (٨٧٩) وقال شعيب الأرنؤوط: أسانيده صحاح.

(٣) (٢/ ٥٨٧) (١٣٩٠).

(٤) (٨/ ٣٥٩).

(٥) (٨/ ٣٥٩).

(٦) «الحلية» (٨/ ٣٥٨).

ورَوَىٰ الإمَامُ أَحْمَدُ في «مسندِهِ»(١)، وابنُهُ عَبْد الله في كتاب «السُّنَّة»(٢)، والحَاكمُ في «مُسْتَدركه»(٣)، عَنْ عليٍّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: سبقَ رَسُولُ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وصلَّىٰ أَبُو بَكْرٍ، وثلَّث عمرُ، ثمَّ خَبطتنا فتنةٌ، ويَعْفو اللهُ عمَّن يَشَاء. قَالَ الحَاكمُ: صَحيح الإسْنَاد، ولَمْ يُخرِّجاه، وَوَافقه الذَّهبيُّ في «تَلْخيصِهِ».

قَالَ الجَوْهريُّ: المُصلِّي تَالي السَّبق. قَالَ أَبو عُبَيد: وأَصْلُ هَذَا في الخَيْل، فالسَّبقُ الأوَّل، والمُصلي الثَّانِي. قيلَ له: مُصَل؛ لأَنَّه يَكُون عند صلا الأوَّل. وصِلَاه: جانِبَا ذَنَبِه عن يمينِهِ وشمالِهِ، ثمَّ يتلوه الثَّالث(٤). انْتهَىٰ.

وعَنْ عمَّار بن ياسرٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا **أَنَّه قَالَ**: مَنْ فَضَّل عَلَىٰ أَبي بَكْرٍ وعمرَ أحدًا من أَصْحَاب رَسُول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فقَدْ أَزْرَىٰ عَلَىٰ المُهَاجرين والأَنْصَار، وَاثْني عَشر ألفًا من أَصْحَاب مُحمَّدٍ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ. رَوَاه الطَّبَرانيُّ في «الأَوْسَط»(٥). قَالَ الهيثميُّ: وفِيهِ حازم بن جَبَلة، ولَمْ أَعْرفه، وَبقيَّةُ رجالِهِ ثقاتٌ.

وقَالَ عَبْدُ الله ابْن الإمَام أَحْمَد في كتاب «الزُّهْد»(٦): حَدَّثني أبو مَعْمر، حَدَّثنا ابْن أَبي حازمٍ قَالَ: جاءَ رجلٌ إِلَىٰ عليِّ بن الحُسَين فقَالَ: ما كَانَ مَنْزلة أَبي بَكْرٍ وعمر من رَسُول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ؟ قَالَ: كَمَنزلتهما منه السَّاعة. وقَدْ ذَكَره الهيثميُّ في

---

(١) (١/ ١٤٧) (١٢٥٨) وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن.

(٢) (٢/ ٥٨٤) (١٣٨١).

(٣) (٣/ ٧١) (٤٤٢٦).

(٤) انظر: «لسان العرب» لابن منظور (١٤/ ٤٦٦).

(٥) (١/ ٢٥٤) (٨٣٢).

(٦) (١/ ٩٢) (٥٧٧).

«مَجمع الزَّوائد»، وقَالَ: رَوَاه عبدُ الله، وَابْن أَبي حازمٍ لَمْ أَعْرفه، وشَيْخُ عَبْد الله ثقةٌ.

وقَالَ مَسْروقٌ: حبُّ أَبي بَكْرٍ وعمرَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، ومَعْرفة فَضْلهما من السُّنَّة.. ذَكَره ابْنُ عبد البرِّ في «الاسْتيعَاب».

وقَالَ القرطبيُّ في «المُفْهِم»: المَقْطوعُ به عند أَهْل السُّنَّة أفضليَّة أَبي بكرٍ، ثمَّ عُمَر.

وإِذَا علمَ ما ذَكَرنا من إجْمَاع الصَّحَابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ عَلَىٰ تَفْضيل أَبي بَكْرٍ، ثمَّ عُمَر، ثمَّ عُثْمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ عَلَىٰ سَائر الأُمَّة، وأنَّهم لَمْ يَسْتَثنوا في إجْمَاعهم خصلةً من خِصَالِ الفَضْل؛ لا العِلْم، وَلَا غَيْره.

وعلم أيضًا أَنَّ النَّبيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ كَانَ يبلغُهُ قولُ أَصْحَابه في تَفْضيل أَبي بَكْرٍ، ثمَّ عُمَر، ثمَّ عثمان، فَلَا يُنْكره.

وعلمَ أيضًا ما حَكَاه القرطبيُّ عن أَهْل السُّنَّة من تَفْضيل أَبي بَكْرٍ، ثمَّ عُمَر، فليعلم أيضًا أَنَّه لم يُخَالف إجْمَاع الصَّحَابة، وأَهْل السُّنَّة من بَعْدهم سوَىٰ الرَّوَافض الَّذينَ يُفضِّلون عليًّا، وأَهْل بَيْته عَلَىٰ أَبي بَكْرٍ وعمرَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، وقَدْ سَلَك أبو ترابٍ طَرِيقةً تُشْبه طريقةَ الرَّوَافض في تَفْضيله أُمَّهات المُؤْمنين عَلَىٰ عمرَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، فَخَالف السُّنَّةَ، والإجماعَ، وشذَّ عن طَرِيق أَهْل السُّنَّة والجَمَاعة، وقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿ **وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ** ﴾ [النساء: ١١٥] الآية.

وممَّن خَرَق الإجْمَاعَ أيضًا: أبو مُحمَّد بن حزم.

قَالَ الحافظُ الذَّهبيُّ في تَرْجمة أُمِّ المُؤْمنين عَائشَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا في كتابه «تَاريخ

الإسْلَام وطَبقَات المَشَاهير والأعْلَام»[1]: ومن عَجيب ما وَرَد أنَّ أبَا مُحمَّد بن حزمٍ مَعَ كَوْنه أعلمَ أَهْل زمانِه، ذَهَب إِلَىٰ أنَّ عائشةَ أَفْضل من أبيها، وهَذَا ممَّا خرقَ به الإجْمَاع. انْتهَىٰ.

المَوْضع الثَّانِي: زَعَم أبُو تُراب أنَّ أبَا هُرَيرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ غَلَب الصَّحَابة كلَّهم بعلمِهِ، وَغَزارة حفظِهِ لحَدِيث المُصْطفىٰ. قَالَ: وهَذَا مُعَاذ بن جبلٍ، وَابْن مَسْعودٍ، وَعليُّ بن أبي طالبٍ كَانُوا أفْقَه من عُمَر، وهُوَ نَفْسه يَشْهد بذَلكَ، وَلَكنهم لَمْ يَكُونوا أفْضَل منه.

والجَوابُ أنْ يُقَالَ: لا شكَّ أنَّ أبَا هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ من عُلَماء الصَّحَابة وحُفَّاظهم، وَقَدْ حفظَ عن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علمًا كثيرًا، وكذَلكَ عليُّ بن أبي طالبٍ، ومُعَاذ بن جبل، وَابْن مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وَلَكنَّهم مع ذَلكَ لم يَكُونوا مثل أَبي بَكْرٍ وعمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في العِلْمِ، فقَدْ كَانَا يَفُوقَان غَيْرهما من الصَّحَابة في العِلْمِ، وفِي جَميع الفَضَائل.

وسيأتِي ذِكْرُ ما لهما من المَزَايا في كَلَام شَيْخ الإسْلَام أبي العبَّاس ابْن تيمية إنْ شاءَ الله تَعَالىٰ.

وقَدْ شهدَ حَبْرُ الأُمَّة عَبْد الله بن مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بغَزارة العِلْمِ، وَشَهد له بذَلكَ أيضًا حُذَيفة بن اليَمَان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وَسَعيد ابْن المُسَيب، وعَمْرو بن مَيْمون، وإبْرَاهيم النَّخَعي. وَسَيأتي ذِكْرُ أَقْوَالهم إنْ شَاءَ اللهُ تَعَالىٰ.

وَقَد امْتازَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بخِصَالٍ لَمْ تكنْ لمَنْ بَعْده من الصَّحَابة فضلًا عن

(١) (٤/ ١٢٥).

غَيْرهم، وَهِيَ من أَوْضَح الأدلَّة عَلَىٰ غَزَارة علمِهِ، وأنَّ عليًّا، ومعاذًا، وابْن مَسْعودٍ، وَابْن عمرَ، وأبا هُرَيرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ لا يُقَاسون به في العلم فضلًا عَنْ أنْ يَكُونوا أعلمَ منه.

منها: أَنَّه وَافق ربَّه، أو وَافقه ربُّه في عدَّة مواضع مَذْكورة في الصِّحاح وغيرها، وَسَيأتِي حَدِيثُ ابْن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، وفِيهِ قَالَ ابْنُ عمرَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: «ما نَزَل بالنَّاس أمرٌ قطُّ، فَقَالوا فيه، وقَالَ فيه عمرُ، إلَّا نزلَ فيه القرآنُ عَلَىٰ نَحْو ما قَالَ عمرُ»(١).

ومِنْهَا: أَنَّه استنبطَ الأَمْر الَّذي أشكلَ عَلَىٰ أَصْحَاب النَّبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وَخفي عَليهم، وذَلكَ حينَ حلفَ رَسُولُ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ألَّا يدخلَ عَلَىٰ نسائِهِ شهرًا، فقَالَ النَّاسُ: طَلَّق رَسُولُ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ نساءَهُ، فَاسْتأذنَ عمرُ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عَلَىٰ رَسُول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وقَالَ لَه: أَطلَّقتَ نساءَكَ؟ فقَالَ: «لا»، فَقَام عمرُ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عَلَىٰ باب المَسْجد، وَنَادىٰ بأَعْلَىٰ صوتِهِ: لَمْ يُطلِّق رَسُولُ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ نساءَهُ، وَنَزلتْ هَذِهِ الآيةُ: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِۦ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ﴾ [النساء: ٨٣]، قَالَ عمرُ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: فكُنْت أنَا اسْتَنبطتُ ذَلكَ الأمرَ. والحَدِيثُ بذَلكَ في «صَحيح مُسْلم»(٢).

وفِي هَذِهِ القصَّة فضيلةٌ ظاهرةٌ لعمرَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، ودليلٌ عَلَىٰ أَنَّه من أَكْبَر أُولي الأَمْر الَّذينَ نَوَّه اللهُ بهم في هَذِهِ الآيَة الكَريمَة.

وَمِنْها: أَنَّ اللهَ تَعَالىٰ جَعَل الحقَّ عَلَىٰ لِسَانِ عمرَ وقلبِهِ، وقَدْ جاءَ في ذَلك عدَّةُ أَحَاديث:

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٦٨٢)، وصححه الألباني في «صحيح الترمذي» (٢٩٠٨).

(٢) (١٤٧٩).

الأَوَّل مِنْهَا: عَنْ نَافعٍ، عَن ابْن عمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ جَعَلَ الحقَّ عَلَىٰ لسَان عُمَر وقَلْبه**»(١)، قَالَ: وقَالَ ابْنُ عُمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ما نَزَل بالنَّاس أمرٌ قطُّ فقَالوا فيه، وقَالَ فيه عمرُ إلَّا نزلَ فِيهِ القُرْآن عَلَىٰ نَحْو ما قَالَ عمرُ.. رَوَاه الإمَامُ أَحْمَدُ، والتِّرمذيُّ، وابْن حبَّان في «صحيحِهِ»(٢)، وقَالَ التِّرْمذيُّ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صحيحٌ غَرِيبٌ.

قَالَ: وفِي البَاب عَن الفَضْل بن عبَّاس، وأَبي ذرٍّ، وأَبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

وفِي روايةٍ لابْن حبَّان: «**إِنَّ اللهَ جَعَلَ الحقَّ عَلَىٰ لسان عُمَر يَقُول به**»(٣).

الحَدِيثُ الثَّانِي: عن أَبي ذرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمعتُ رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُول: «**إِنَّ اللهَ وَضَع الحقَّ عَلَىٰ لسَان عُمَر يَقُول به**»، رَوَاه ابْنُ مَاجه(٤).

وقَدْ رَوَاه الحَاكمُ في «مُسْتدركه»(٥)، ولَفْظه قَالَ: سَمعتُ رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُول: «**إِنَّ اللهَ جَعَلَ الحقَّ عَلَىٰ لسَان عُمَر وقَلْبه**»، قَالَ الحاكمُ: صحيحٌ عَلَىٰ شَرْط

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٦٨٢)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٧٣٦).

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ٥٣) (٥١٤٥)، والترمذي (٣٦٨٢)، وابن حبان (١٥/ ٣١٨) (٦٨٩٥)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٧٣٦).

(٣) هذا اللفظ من رواية أبي نعيم في «الحلية» (٥/ ١٩١) من حديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٧٣٦). أما روايتا ابن حبان فبلفظ: «إِنَّ اللهَ جَعَلَ الحَقَّ عَلَىٰ لِسَانِ عُمَرَ وَقَلْبِهِ»، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح علىٰ شرط مسلم.

(٤) أخرجه أبو داود (٢٩٦٢)، وابن ماجه (١٠٨)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٧٣٦).

(٥) (٣/ ٩٣) (٤٥٠١).

الشَّيْخين، ولَمْ يُخرِّجاه. وقَالَ الذَّهبيُّ في «تَلْخيصه»: عَلَىٰ شرط مسلم.

الحَدِيثُ الثَّالث: عن أَبي هُريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إنَّ اللهَ جَعَلَ الحقَّ عَلَىٰ لسَان عُمَر وقَلْبه**»(١)، رَوَاه الإِمَامُ أَحْمَد، والبزَّار، والطَّبرانيُّ في «الأَوْسط». قَالَ الهيثميُّ: ورجالُ البزَّار رجالُ الصَّحيح غَيْر الجَهْم بن أبي الجَهْم، وهو ثقةٌ.

الحَدِيثُ الرَّابع: عن عُمَر بن الخطَّاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمعتُ رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُول: «**إنَّ اللهَ وَضَع الحقَّ عَلَىٰ لسَان عمرَ وقَلْبه يَقُول به**»، رَوَاه الطَّبرانيُّ في «الأَوْسط»(٢). قَالَ الهيثميُّ: وفيه عليُّ بن سعيدٍ العكامرين ولَمْ أَعْرفه، وبقيَّة رجالِه رجالُ الصَّحيح.

الحَدِيثُ الخَامس: عَنْ بلالٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إنَّ اللهَ جَعَلَ الحقَّ عَلَىٰ لسَان عمرَ وقَلْبه**»، رَوَاه الطَّبرانيُّ(٣).

الحَدِيث السَّادس: عَنْ مُعَاوية بن أَبي سُفْيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**إنَّ اللهَ جَعَلَ الحقَّ عَلَىٰ لسَان عمرَ وَقَلْبه**»، رَوَاه الطَّبرانيُّ(٤)، وهَذَا الحَدِيث والَّذي قَبْله ضَعيفَان، وَمَا قَبْلهما من الأَحَاديث يَشْهد لَهُما، ويُقوِّيهما.

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٤٠١) (٩٢٠٢)، وأبو يعلىٰ كما في «إتحاف الخيرة المهرة» (٩/ ٢١٩) (٨٨٦١)، وتمَّام (٢/ ٢٥٣) (١٦٦٤)، وابن حبان (١٥/ ٣١٢) (٦٨٨٩)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٤٢)، وصححه الألباني.

(٢) (٧/ ٧) (٦٦٩٢).

(٣) في «الكبير» (١/ ٣٥٤) (١٠٨١)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٧٣٦).

(٤) في «الكبير» (١٩/ ٣١٢) (١٦٣٧٧)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٧٣٦).

وَفِي هَذِهِ الأَحَاديث أَوْضَح دَليل عَلَىٰ أَنَّه لَمْ يكن في الصَّحَابة بَعْد أَبي بَكْر أَعْلَم من عمرَ؛ لأَنَّ اللهَ تَعَالىٰ جَعَل الحقَّ عَلَىٰ لسانِهِ وقلبِهِ يَقُول به، ومَنْ كَانَ كذلكَ، فلابدَّ أَنْ يَكُون أَعْلَم ممَّنْ لم يَجْعل الله الحقَّ عَلَىٰ لسانِهِ وقَلْبه، وَفيها أَبْلَغُ ردٍّ عَلَىٰ أَبي ترابٍ حَيْث زَعَم أَنَّ أبا هُرَيرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَدْ غلبَ الصَّحَابةَ كُلَّهم بعلمِهِ، ومِنهم عُمَر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأن عليًّا، ومعاذًا، وابْن مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كَانوا أَفْقَه من عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ومِنْهَا: ما في «صَحيح البخاريِّ»[1]، عَن أَبي هُرَيرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«لقَدْ كَانَ فيما قَبْلكم من الأُمَم مُحدَّثون، فإنْ يَكُ في أُمَّتي أحدٌ، فإنَّه عمرُ»**.

وفِي روايةٍ: **«لقَدْ كَانَ فيمن كَانَ قبلكم من بني إسْرَائيل رجالٌ يُكلَّمون من غير أن يَكُونوا أَنْبيَاء، فإنْ يكنْ من أُمَّتي منهم أحدٌ فعُمَرُ»**[2].

وَفِي «صَحيح مُسْلم»، وَ«جَامع التِّرْمذيِّ» عن عَائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عن النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّه كَانَ يَقُولُ: **«قَدْ كَانَ يَكُون في الأُمَم قَبْلكم مُحدَّثون، فإنْ يكنْ في أُمَّتي منهم أحدٌ، فإنَّ عُمرَ بن الخطَّاب منهم»**[3]، قَالَ التِّرْمذيُّ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صحيحٌ.

وقَالَ مسلمُ بن وهبٍ: تَفْسير «**مُحَدثون**»: مُلْهَمُون.

وقَالَ التِّرْمذيُّ: أَخْبَرني بعضُ أَصْحَاب ابْن عُيينة، عَنْ سُفْيان بن عُيينة قَالَ:

---

(١) (٣٦٨٩).

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٨٩).

(٣) أخرجه مسلم (٢٣٩٨)، والترمذي (٣٦٩٣).

مُحَدثون يَعْني مُفهَّمون. وقد رَوَاه الطَّبرَانـيُّ في «الأَوْسط»[(١)]، ولَفْظه قَالَ: «ما كَانَ نبيٌّ إلَّا في أُمَّته مُعلَّم أو مُعلَّمان، وإنْ يكنْ في أُمَّتي منهم أحدٌ، فهُوَ عمرُ بن الخطَّاب، إنَّ الحقَّ عَلَىٰ لسَان عُمَر وقَلْبه».

وعن عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّه قَالَ: «إذَا ذُكر الصَّالحون فَحَيَّ هَلا لعُمرَ ما كنَّا نبعد أَصْحَاب مُحمَّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ السَّكينة تنطقُ عَلَىٰ لسَان عُمَر»، رَوَاه الطَّبرَانـيُّ في «الأَوْسط»[(٢)]، قَالَ الهيثميُّ: وإسنادُهُ حسنٌ.

وقَدْ رَوَاه مسددٌ، وأَحْمَد بن منيع، عَن الشَّعبيِّ أنَّ عليًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «كنَّا أَصْحَاب مُحمَّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا نشكُّ أَنَّ السَّكينة تنطقُ عَلَىٰ لسَان عُمَر»[(٣)].

ورَوَىٰ عَبْدُ الله بن الإمَام أَحْمَد في كتَاب «السُّنَّة»[(٤)] من طَريق الشَّعبيِّ عن وَهْب السُّوائي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: خَطَبنا عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقَالَ: مَنْ خيرُ هَذِهِ الأُمَّة بَعْد نَبيِّها؟ فقُلْت: أنتَ يا أميرَ المُؤْمنين. قَالَ: لَا، خَيْرُ هَذِهِ الأُمَّة بعد نَبيِّها أَبُو بَكْرٍ، ثمَّ عُمَر، وما كنَّا نبعدُ أَنَّ السَّكينة تنطقُ عَلَىٰ لسَان عمر».

وعن ابْن مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «ما كنَّا نَبْعد أَنَّ السَّكينةَ تَنْطق عَلَىٰ لسَان عُمَر»، رَوَاه الطَّبرَانـيُّ[(٥)]. قَالَ الهيثميُّ: وإسنادُهُ حسنٌ.

---

(١) (٩/ ٦٦) (٩١٣٧).

(٢) (٥/ ٣٥٩) (٥٥٤٩).

(٣) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٤/ ٣٢٨)، والضياء (٢/ ١٧١) (٥٥٠).

(٤) (٢/ ٥٨٢) (١٣٧٤).

(٥) في «الكبير» (٩/ ١٦٧) (٨٨٤٦).

وعَنْ طارق ابْن شهابٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قَالَ**: كنَّا نَتحدَّث أَنَّ السَّكينةَ تَنْزل عَلَىٰ لسَان عُمَر. رَوَاه الطَّبَرانيُّ(١). قَالَ الهيثميُّ: ورجالُهُ ثقاتٌ.

وَفِي هَذِهِ الأَحَاديث دَليلٌ عَلَىٰ أَنَّه لَمْ يكنْ في الصَّحَابة بَعْد الصِّدِّيق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أعْلَم من عُمَر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وفيهَا أبْلَغ ردٍّ عَلَىٰ أَبي تُرَاب حَيْث فضَّل عليًّا، وأبا هُرَيرة، ومعاذًا، وابنَ مَسْعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ عَلَىٰ عمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالعِلْم والفِقْهِ..

ومنها أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمرَ بالاقتداءِ بأَبي بَكْرٍ وعمرَ خاصَّة كَمَا في الحَدِيثِ الَّذي رَوَاه الإمَامُ أَحْمَد في «مُسْنده»، وابنُهُ عبد الله في كتاب «السُّنَّة»، والتِّرْمذيُّ، وابنُ ماجه، وابنُ حبَّان في «صحيحِهِ»، والحاكمُ في «مُسْتدركه» عن حُذَيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كنَّا عند رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقَالَ: «**إنِّي لا أَرَىٰ مقامي فيكم إلَّا قليلًا، فَاقْتَدوا باللَّذين من بَعْدي؛ أَبي بَكْرٍ وعمرَ، واهْتَدوا بهَدْي عمَّارٍ، وما حَدَّثكم ابْنُ مَسْعودٍ فَاقْبَلوه**»(٢).

هَذَا لفظُ ابْن حبَّان، وَروَاية التِّرْمذيِّ، وَابْن مَاجَه مُخْتصرة، وقَالَ التِّرْمذيُّ: هَذَا حَدِيثٌ حسنٌ. قَالَ: وَفِي البَاب عن ابْن مسعودٍ. وفي رِوَاية الإمَام أَحْمَد: «**وَمَا حَدَّثكم ابْنُ مسعودٍ فَصدِّقوه**»(٣)، ورَوَاه الحاكمُ بنحْوه، وقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ مِن أَجَلِّ ما رُوِي في فَضَائل الشَّيْخين، وصَحَّح هَذَا الحَدِيثَ وَوَافقه الذَّهبيُّ عَلَىٰ

---

(١) في «الكبير» (٨/ ٣٢٠) (٨٢١٨).

(٢) أخرجه أحمد (٥/ ٣٨٢) (٢٣٢٩٣)، والترمذي (٣٦٦٢)، وابن ماجه (٩٧)، وأبو يعلىٰ كما في «إتحاف الخيرة» (٩/ ٢٠٨) (٨٨٣٤)، والحاكم (٣/ ٧٩) (٤٤٥٣) بنحوه، وابن عساكر (٣٣/ ١١٦)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١١٤٣).

(٣) أخرجه أحمد (٥/ ٣٨٥) (٢٣٣٢٤).

تَصْحيحه، ثمَّ رَوَىٰ الحَاكمُ حَدِيثَ ابْن مسعودٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ الَّذي أَشَار إليه التِّرْمذيُّ وصَحَّحه، وإسنادُهُ ضعيفٌ.

وحَدِيث حُذَيفة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ من أوْضَح الأدلَّة عَلَىٰ أَنَّه لَمْ يكنْ في الصَّحَابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ أعْلَم من أَبي بَكْرٍ وعُمَرَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا؛ لأَنَّ النَّبيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لَمْ يكنْ لِيأْمر عُلَماء الصَّحَابة بالاقْتَداء بمَنْ هو دُونَهم في العِلْم، وإنَّما يَأْمرُهُمْ بالاقْتداء بمَنْ هُوَ أعْلَم منهم. وَفِيهِ أبْلَغ ردٍّ عَلَىٰ أبي تُرَاب حَيْث فضَّل أبَا هُرَيرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عَلَىٰ أَبي بَكْرٍ وعمرَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا في العِلْمِ وفَضَّل عليًّا، ومعاذًا، وابْنَ مَسْعود، وابنَ عمرَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ عَلَىٰ عمرَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ في العِلْمِ والفِقْهِ.

ومنها أَنَّ النَّبيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أعْطَىٰ عمرَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ فَضْلَ اللَّبن الَّذي شربَ منه في منامِهِ، وأوَّلَ ذَلكَ بالعِلْمِ كما في الحَديثِ الَّذي رَوَاه الإمَام أَحْمَدُ والشَّيْخان والتِّرْمذيُّ عن عَبْد الله بن عُمرَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قَالَ: كَانَ رَسُولُ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يُحدِّث قَالَ: «**بَيْنا أنا نائمٌ رَأيتُني أتيتُ بقَدَح لبنٍ، فَشَربتُ منه حتَّىٰ أنِّي أرىٰ الرِّيَّ يَخْرج في أطْرَافِي** -وفِي روايةٍ: **من أظْفَاري**- **ثمَّ أعطيتُ فَضْلي عمرَ بن الخطَّاب**»، فَقَالوا: فما أَوَّلت ذَلكَ يا رَسُول الله؟ قَالَ: «**العِلْم**»(١).

قَالَ التِّرْمذيُّ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صحيحٌ غَرِيبٌ. وقَدْ رَوَاه الطَّبرانيُّ، ولفظُهُ: أنَّ رَسُول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قَالَ: «**رأيتُ في النَّوم أنِّي أعطيتُ عُسًّا**(٢) **مملوءًا لبنًا،**

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ١٣٠) (٦١٤٢)، والبخاري (٨٢)، ومسلم (٢٣٩١)، والترمذي (٢٢٨٤).

(٢) العُسُّ: القَدَح الكَبِيرُ، وجمعُه: عِسَاس وأَعْسَاس. «النهاية» لابن الأثير (٣/ ٢٣٦).

فَشَربتُ منه حتَّىٰ تَملأت حتَّىٰ رأيتُهُ يَجْري في عُرُوقي بَيْن الجِلْدِ واللَّحْم، فَفَضلتْ فضلةٌ، فأَعْطَيتها عمرَ بن الخطَّاب، فأَوِّلوها». قَالوا: يا نبيَّ الله، هَذَا علمٌ أَعْطَاكه اللهُ، فَمَلأك منه فَفَضلتْ فضلةٌ فأَعْطَيتها عمرَ بن الخطاب، فقَالَ: «أَصبتُمْ»(١).

قَالَ الهيثميُّ: ورجالُهُ رجالُ الصَّحيح، وقَدْ رَوَاه الحاكمُ في «مُسْتدركه» بنحْوه، وقَالَ: صحيحٌ عَلَىٰ شَرْط الشَّيخين، ولَمْ يُخرِّجاه، وَوَافقه الذَّهبيُّ في «تَلْخيصه».

وهَذَا الحَدِيثُ من أَوْضَح الأدلَّة عَلَىٰ غَزَارة علمِ عمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأَنَّه لَمْ يكنْ في الصَّحَابة بعد أَبي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أحدٌ يُمَاثل عمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في العِلْمِ، أو يُقَاربه. وفيهِ أَبْلَغ ردٍّ عَلَىٰ أبي ترابٍ فيما شذَّ به من تَفْضيل عليٍّ، وأَبي هُرَيرة، ومُعَاذ، وابْن مسعودٍ، وَابْن عمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ عَلَىٰ عُمَر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالعِلْمِ والفِقْهِ.

وقَدْ شهدَ حَبْر الأُمَّة عبدُ الله بن مَسْعود، وحُذَيفة بن اليَمَان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لعُمَر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بغَزَارة العِلْمِ، وهُمَا من أَعْلَم الصَّحَابة بمَرَاتب الصَّحَابة في العِلْمِ، وَشَهد له بذَلكَ أيضًا عَمْرو بن مَيْمون، وإِبْرَاهيم النَّخعي، وكلٌّ مِنْهما عالمٌ بمَرَاتب الصَّحَابة في العِلْمِ. قَالَ أَبو وَائل: قَالَ عَبْدُ الله (يَعْني: ابْنَ مَسْعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ): «لوْ أَنَّ علمَ عُمَر وُضع في كفَّة الميزان، ووُضع عِلْمُ أَهْل الأَرْض في كفَّة، لَرَجح علمُهُ بعِلْمِهِمْ».

قَالَ وكيعٌ: قَالَ الأعمشُ: فأَنْكرتُ ذَلكَ، فأتيتُ إبراهيمَ فَذَكرتُهُ له، فقَالَ: وما أَنْكرتَ من ذَلكَ! فوالله لقَدْ قَالَ عبدُ الله أَفْضَل من ذَلكَ، قَالَ: «إِنِّي لأَحسبُ تسعَةَ أَعْشَار العِلْمِ ذَهَب يومَ ذَهَب عُمَرُ»، رَوَاه الطَّبَرانيُّ بأَسَانيد(٢). قَالَ الهيثميُّ ورجالُهُ:

---

(١) أخرجه الطبراني (١٢/ ٢٩٣) (١٣١٥٥)، والحاكم (٣/ ٩٢) (٤٤٩٦).

(٢) في «الكبير» (٩/ ١٦٣) (٨٨٢٨).

هَذَا رجالُ الصَّحيح غير أَسَد بن موسىٰ، وهو ثقةٌ.

وقَدْ رَوَاه الحاكمُ في «مُسْتدركه»(١) من طَرِيق الأعْمَش عن أَبي وَائل، عَنْ عَبْد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «لَوْ وُضع علمُ عُمَر في كفَّة ميزانٍ، ووُضع عِلْمُ النَّاس في كفَّة لرَجَح علمُ عُمَر». قَالَ الحاكمُ: عَلَىٰ شَرْط الشَّيْخين، وَوَافقه الذَّهبيُّ فِي «تَلْخيصه».

وقَالَ الحافظُ أَبُو عُمَر بن عبد البرِّ في كتاب «الاسْتيعَاب»(٢): قَالَ ابْنُ مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لَوْ وُضع عِلْمُ أحْيَاء العَرَب في كفَّة ميزَان، ووُضِعَ عِلْمُ عُمَر فِي كفَّة، لرَجَح عِلْمُ عُمَر، ولقَدْ كَانوا يَرَون أَنَّه ذَهَب بتِسْعَة أعْشَار العِلْمِ».

ولمجلسٌ كُنْتُ أجلسُهُ مع عُمَر أوْثَق من عَمَل سنةٍ.

وقَالَ مُحمَّد بن سَعْدٍ في «الطَّبَقات»(٣): أَخْبَرنا أبو مُعَاوية الضَّرير، أَخْبَرنا الأعمشُ عن شَقيق، قَالَ: قَالَ عبدُ الله (يَعْني: ابْنَ مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ): «لَوْ وُضع علمُ أحْيَاء العَرَب في كفَّة، وعلمُ عُمَر في كفَّة، لَرَجح بِهِم عِلْمُ عمرَ».

قَالَ أَبو مُعَاوية: فَقَالَ الأعمشُ: فَحدَّثتُ بهَذَا الحَدِيثِ إبْراهيمَ فَقَالَ: قَالَ عبدُ الله: «إنْ كنَّا لنَحْسبُ عُمَر قَدْ ذَهَب بتِسْعةِ أعْشَار العِلْمِ»، إسنادُهُ صحيحٌ عَلَىٰ شَرْط الشَّيخين.

وعَنْ زيد بن وَهْبٍ قَالَ: قَالَ عَبْدُ الله (يعني: ابْن مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ): «إنَّ عمرَ كَانَ أعْلَمنا بالله، وأَقْرَأنا لكتاب الله، وأَفْقَهنا في دين الله، وكَانَ إذَا سَلَك طريقًا وَجدْناه

(١) (٣/ ٩٢) (٤٤٩٧).
(٢) (٣/ ١١٤٩).
(٣) (٢/ ٢٥٦).

سهلًا، فإِذَا ذُكر الصَّالحون فحَي هلا بعمرَ»، ورَوَاه الطَّبَرَانـيُّ بأَسَانيد(١)، قَالَ الهيثميُّ: ورجالُ أَحَدها رجالُ الصَّحيح.

وقد رَوَاه الحاكمُ فِي «مُسْتدركه»(٢) مختصرًا، ولفظه عَنْ زيد بن وهب عن ابْن مسعودٍ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ: «كَانَ عمرُ أَتْقَانا للرَّبِّ، وأَقْرَأنا لكتاب الله».

وفي روايةٍ عن عَبْد الله بن مسعودٍ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ أَنَّه قَالَ: «إِذَا ذُكر الصَّالحون، فحَيْهلا بعمرَ، إنَّ إسلامَ عمرَ كَانَ نصرًا، وإنَّ إمارتَهُ كانت فتحًا، وايْم الله، إنِّي لأَحْسب بَيْن عَيْنيه ملكًا يُسدِّده»، رَوَاه الطَّبَرَانـيُّ(٣).

وقَالَ حُذَيْفة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ: «كأنَّ عِلْمَ النَّاس كلِّهم قد دسَّ في جحرٍ مع عِلْمِ عمرَ»، ذَكَره ابْنُ عَبْد البَر في «الاسْتيعَاب»، وقَدْ رَوَاه ابْنُ سعدٍ في «الطَّبَقَات»(٤)، فقَالَ: أَخْبَرنا معاويةُ الضَّرير عن الأَعْمش، عن شمرٍ، قَالَ: قَالَ حُذَيْفةُ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ: «لكأَنَّ علمَ النَّاس كَانَ مَدْسوسًا في جحرٍ مع عمرَ»، رجالُهُ كلُّهم ثقاتٌ.

وعَنْ حُذَيْفة أيضًا أَنَّه قَالَ: «إنَّما يُفْتي النَّاسَ ثلاثةُ رجلٍ: إمامٌ، أوْ والٍ، ورجلٌ يَعْلم ناسخَ القرآن من المَنْسوخ -قَالوا: يا حُذَيْفة، ومَنْ ذاك؟ قَالَ: عُمَر بن الخَطَّاب- أوْ أحْمَق مُتكلِّف»، رَوَاه الدَّارميُّ في «سُنَّته»(٥).

---

(١) في «الكبير» (٩/ ١٦٢) (٨٨٢٦).

(٢) (٣/ ٩٢) (٤٤٩٨).

(٣) في «الكبير» (٩/ ١٦٤) (٨٨٣٢).

(٤) (٢/ ٢٥٦).

(٥) (١/ ٢٧٢) (١٧٧) وفي سنده انقطاع، فإن محمد بن سيرين لم يدرك حذيفة.

وعَنْ سَعيد بن المُسيَّب أنَّه قَالَ: ما أَعْلم أحدًا من النَّاس كَانَ أعْلَم بعد رَسُول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من عمرَ بن الخطَّاب. رَوَاه إسْحَاق بن راهويه، وذَكَره الحافظُ ابْنُ حجر في «المَطَالب العالية».

وعَنْ أَبي إسْحَاق، عَنْ عَمْرو بن ميمون قَالَ: ذَهَب عمرُ بثُلُثي العِلْمِ، فذكرَ لإبْرَاهيم، فقَالَ: ذَهَب عمرُ بتِسْعةِ أعْشَار العِلْمِ.. رَوَاه الدَّارميُّ في «سُنَنه»[١].

وقَالَ مُحمَّد بن سعدٍ في «الطَّبقَات»[٢]: أخْبَرنا مُحمَّد بن عُبَيد الطَّنافسيُّ: حَدَّثني هَارُون البَرْبريُّ، عَنْ رجلٍ من أَهْل المَدينَة، قَالَ: دفعتُ إِلَىٰ عمر بن الخَطَّاب، فإِذَا الفُقَهاء عنده مثلَ الصِّبْيان، قَد اسْتَعْلىٰ عليهم في فقهِهِ وعلمِهِ.

ورَوَىٰ ابْنُ سعدٍ أيضًا في «الطَّبقات»[٣] عَن ابْن عمرَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّه سُئل: مَنْ كَانَ يُفْتي النَّاس في زَمَن رَسُول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ فقَالَ: أَبُو بَكْرٍ، وعمرُ، وما أَعْلم غَيْرهما.

وقَدْ تقدَّم قريبًا حَدِيثُ حُذَيْفةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عن النَّبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّه قَالَ: **«ومَا حَدَّثكم ابْنُ مسعودٍ فَاقْبَلوه»**، وفِي روايةٍ: **«فَصدِّقوه»**[٤].

ورَوَىٰ التِّرْمذيُّ عن حُذَيْفةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنَّ رَسُولَ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«ومَا حَدَّثكم حُذَيْفةُ فُصدِّقوه»**[٥].

---

(١) (١/ ٣٦٩) (٣٦٧)، وإسناده ضعيف.

(٢) (٢/ ٢٥٦).

(٣) (٢/ ٢٥٤).

(٤) سبق تخريجه.

(٥) أخرجه الترمذي (٣٨١٢)، وضعفه الألباني في «المشكاة» (٦٢٤١).

قَالَ التِّرمذيُّ: هَذَا حَدِيثٌ حسنٌ، فنَحْن نُصدِّق ابْنَ مسعودٍ وحُذَيْفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فيمَا حَدَّثا به عن عمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من غَزارة العِلْمِ، ورُجْحانه عَلَىٰ عِلْمِ غيره من النَّاس، ونُكذِّب أبا ترابٍ ومَنْ سَلَكَ مَسْلكه الفاسد، وقَالَ بقَوْله البَاطل في الغضِّ من قَدْر أَمير المؤمنين عُمَر بن الخَطَّاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وتَفْضيل بَعْض الصَّحَابة عليه في العِلْمِ.

وأمَّا قَوْل أبي ترابٍ: إنَّ معاذَ بن جبل، وابنَ مسعودٍ، وعليَّ بن أبي طالبٍ كانوا أفْقَه من عمرَ، وهُوَ نَفْسه يَشْهد بذَلكَ، فَجَوابه أن يُقَالَ: هَذِهِ دَعْوىٰ مجرَّدة لا دليلَ عَلَيها. وقَدْ ذَكَرتُ من الأَدلَّة الكَثيرَة ما يَشْهد بكَذب هَذِهِ الدَّعْوىٰ، ويَشْهد برُجْحان عِلْمِ عُمَر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَىٰ عِلْمِ غَيْره من الصَّحَابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ سوَىٰ أَبي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ويَكْفي في رَدِّها ما تَقدَّم عن ابْن مسعودٍ، وحُذَيْفة، وَسَعيد بن المُسيَّب، وعَمْرو بن ميمون، وإبْراهيم النَّخعي أنَّهم شَهدوا لعمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بغَزَارة العِلْمِ، ورُجْحانه عَلَىٰ سَائر النَّاس سوىٰ الصِّدِّيق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قَالَ شَيخُ الإسْلَام أَبو العبَّاس ابْن تيمية -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالىٰ- في «مِنْهَاج السُّنَّة»(١): «قَدْ أَخْبَر عنه النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (أي: عَنْ عمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) من العِلْمِ والدِّين والإلْهَام بما لَمْ يخبر بمثلِهِ لا في حقِّ عثمانَ، وَلَا عليٍّ، ولا طَلْحة، وَلَا الزُّبير».

وسُئِلَ شَيْخ الإسْلَام أَبو العبَّاس أيضًا عن رَجُلين اخْتلَفا، فقَالَ أَحدُهُما: أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيق، وعُمَر بن الخَطَّاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَعْلَمُ وأَفْقَهُ من عليِّ بن أبي طالبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقَالَ الآخرُ: بَلْ عليُّ بن أبي طالبٍ أعلمُ وأفقهُ من أَبي بَكْرٍ وعمرَ، فأَيُّ

---

(١) (٨/ ٦٤).

القَوْلين أصوبُ؟ وإِذَا ادَّعىٰ مُدَّعٍ أَنَّ إجماعَ المُسْلمين عَلَىٰ أَنَّ عليًّا رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أعلمُ وأفقهُ من أَبي بَكْرٍ وعمرَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، يَكُون محقًّا أَوْ مخطئًا.

فَأَجَابَ رَحِمهُ اللهُ تَعَالىٰ: لَمْ يَقُل أحدٌ من عُلَماء المُسْلمين المُعْتَبرين: إنَّ عليًّا أعلمُ وأفقهُ من أَبي بَكْرٍ وعمرَ، بَلْ ولا من أَبي بَكْرٍ وَحْده، ومُدَّعي الإجْمَاع عَلَىٰ ذَلكَ من أجْهَل النَّاس، وأكْذَبهم، بَلْ ذَكَر غيرُ واحدٍ من العُلَماء إجْمَاع العُلَماء عَلَىٰ أَنَّ أبا بكرٍ الصِّدِّيق أعْلَم من عليٍّ، منهم الإمامُ مَنْصور بن عبد الجبَّار السمعاني المروزي أَحَد الأَئمَّة السِّتَّة من أَصْحَاب الشَّافعيِّ، ما ذكر في كتابِهِ «تَقْويم الأدلَّة» إجْمَاع عُلَماء السُّنَّة عَلَىٰ أَنَّ أبا بكرٍ أعلمُ من عليٍّ.

وما علمتُ أحدًا من الأئمَّة المَشْهورين يُنَازع في ذَلكَ، وكيفَ وأَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيق كَانَ بحَضْرة النَّبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يُفْتي، ويأْمر، وينْهىٰ، ويقْضي، ويَخْطب كَمَا كَانَ يفعلُ ذَلكَ إِذَا خرَج هو وأَبُو بَكْرٍ يَدْعو النَّاسَ إِلَىٰ الإسْلَام، ولَمَا هَاجَرا جَميعًا ويَوْم حُنين، وغَيْر ذَلكَ من المَشَاهد، والنَّبيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ سَاكتٌ يقرُّه عَلَىٰ ذَلكَ، ويَرْضىٰ بما يَقُول، ولَمْ تكنْ هَذِهِ المرتبةُ لغَيْره.

وَكَانَ النَّبيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في مُشَاورته لأَهْل العِلْمِ، والفِقْهِ، والرَّأي من أَصْحَابه يُقدِّم في الشُّورىٰ أبا بكرٍ وعُمَر، فهُمَا اللَّذان يَتقدَّمان في الكَلَام والعِلْمِ بحَضْرة الرَّسُول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ عَلَىٰ سَائر أَصْحَابِهِ، وقَدْ رُوِيَ في الحَدِيثِ أَنَّه قَالَ لَهُما: «**إِذَا اتَّفقْتما عَلَىٰ أَمرٍ، لَمْ أُخَالِفْكُما**»(١).

---

(١) لم أقف عليه.

وفي «السُّنن» عنه أنَّه قَالَ: «**اقْتَدوا باللَّذين من بَعْدي: أَبي بَكْرٍ، وعُمَر**»[١]، ولَمْ يجعل هَذَا لغَيْرهما، بَلْ ثبتَ عنه أَنَّه قَالَ: «**عَليكُمْ بسُنَّتي، وسُنَّة الخُلَفاء الرَّاشدين المَهْديِّين من بَعْدي، تَمسَّكوا بها، وعَضُّوا عَلَيها بالنَّواجذ، وإيَّاكم ومُحْدثات الأُمُور، فإنَّ كلَّ بدعةٍ ضلالةٌ**»[٢]، فَأَمَر باتِّباع سُنَّة الخُلَفاء، وهَذَا يتناولُ الأئمَّة الأَرْبَعة، وخصَّ أبا بكرٍ، وعُمَر بالاقْتدَاء بِهِما، ومَرْتبة المُقْتدىٰ به في أفعالِهِ، وَفيمَا سنَّه للمُسْلمينَ فَوْق مَرْتبة المُتَّبع فيمَا سَنَّه فَقَط.

وفي «**صَحيح مُسْلم**»: أنَّ أَصْحَابَ النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانوا مَعَه في سفرٍ، فقَالَ: «**إنْ يُطِعِ القَوْمُ أبا بَكْرٍ وعُمَر يَرْشدوا**»[٣]، وقَدْ ثَبتَ عن ابْن عبَّاس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّه كَانَ يُفْتي عن كتَاب الله، فإنْ لَمْ يجد فبما سَنَّه رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإنْ لَمْ يَجد، أفْتىٰ بقَوْل أَبي بَكْرٍ وعمرَ، ولَمْ يكنْ يَفْعل ذَلكَ بعثمانَ وعليٍّ، وَابْن عبَّاس حَبْر هَذِهِ الأُمَّة، وأَعْلم الصَّحَابة، وأَفْقَههم في زَمَانه، وهُوَ يُفْتي بقَوْل أَبي بَكْرٍ وعُمَر مقدِّمًا لقَوْلهما عَلَىٰ قَوْل غَيْرهما من الصَّحَابة، وقَدْ ثَبتَ عن النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّه قَالَ: «**اللَّهمَّ فَقِّهه في الدِّين، وعَلِّمه التَّأويل**»[٤].

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وابن ماجه (٤٢) من حديث العرباض بن سارية رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٢٧٣٥).

(٣) أخرجه مسلم (٦٨١) من حديث أبي قتادة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، ولفظه: «فَإِنْ يُطِيعُوا أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ يَرْشُدُوا».

(٤) أخرجه أحمد (١/ ٢٦٦) (٢٣٩٧) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٢٥٨٩).

وأيضًا، فأَبُو بَكْرٍ وعُمَر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا كَانَ اختصاصُهما بالنَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَوق اخْتصَاص غَيْرهما، وأَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ أَكْثَر اخْتصَاصًا، فإنَّه كَانَ يَسْمر عندَه عامَّةَ اللَّيل يُحدِّثه في العِلْمِ والدِّين، وَمَصَالح المُسْلمين.

إِلَىٰ أنْ قَالَ: وفِي «الصَّحيحَيْن» عَن ابْن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «وضعَ عُمَر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَىٰ سَريره، فتكنَّفه النَّاسُ يَدْعون، ويُثْنون، ويُصلُّون عليه قبل أنْ يرفعَ، وأنا فيهم، فلَمْ يَرُعني إلَّا رجلٌ قَدْ أَخَذ بمَنْكبي من وَرَائي، فالتفتُّ، فإذَا هو عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فترحَّم عَلَىٰ عمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقَالَ: ما خِلْتُ أحدًا أحب إليَّ أن أَلْقَىٰ الله عَزَّ وَجَلَّ بعلمِهِ منكَ، وَايْم الله، إنْ كنتُ لأظنُّ أنْ يَجْعلك اللهُ مع صَاحبَيك، وذَلكَ أنِّي كنتُ كثيرًا ما أسمع النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «جئتُ أنا وأَبُو بَكْرٍ وعمرُ، وَدَخلتُ أنا وأَبُو بَكْرٍ وعمرُ، وَخَرجتُ أنا وأَبُو بَكْرٍ وعمرُ»، فإنْ كنتُ لأَرْجو أو أظنُّ أن يَجْعلك اللهُ مَعَهما»(١).

وفي «الصَّحيحَيْن» وغَيْرهما أَنَّه لمَّا كَانَ يوم أُحُد، قَالَ أَبو سُفْيان لمَّا أُصيب المُسْلمون: أَفِي القَوْم محمَّدٌ؟ أَفِي القَوْم محمدٌ؟ أَفِي القوم محمَّدٌ؟ فقَالَ النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا تُجيبُوه**»، فقَالَ: أَفِي القَوْم ابْن أبي قُحَافة؟ أَفِي القَوْم ابْن أبي قُحَافة؟ أَفِي القَوْم ابْن قُحَافة؟ فقَالَ النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا تُجيبُوه**»، فقَالَ: أَفِي القَوْم ابْن الخطَّاب؟ أَفِي القَوْم ابْن الخطَّاب؟ أَفِي القَوْم ابْن الخطَّاب؟ فقَالَ النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا تُجيبُوه**»، فقَالَ لأَصْحَابِهِ: أَمَّا هَؤُلَاء، فقَدْ كُفِيتُمُوهم، فلَمْ يَمْلك عمرُ نَفْسه أنْ قَالَ: كذبتَ يا عدوَّ الله، إنَّ الَّذينَ عَدَدت لأحياءٌ، وقد بَقِي لَكَ ما

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٨٥)، ومسلم (٢٣٨٩).

يَسُوؤك... وذَكَر الحَديثَ(١).

فهَذَا أميرُ الكفَّار في تلكَ الحَال إنَّما سأَل عن النَّبيِّ صَلَّاَللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، وأَبي بَكْرٍ وعمرَ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا دون غَيْرهم لعلمِهِ بأنَّهم رءوسُ المُسْلمين؛ النَّبيُّ وَوَزيرَاه، ولهَذَا سأَلَ الرَّشيدُ مالكَ بن أنسٍ عن مَنْزلتهما من النَّبيِّ صَلَّاَللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ في حياتِهِ، فقَالَ: مَنْزلتهما في حياتِهِ كمَنْزلتهما منه بعد مماتِهِ.

قُلْت: وقد تقدَّم عن عليِّ بن الحسين أنَّه أجابَ بنحْو هَذَا الجَوَاب.

وقَدْ ذَكَر شيخُ الإسْلَام أبُو العَبَّاس -رَحمَهُ اللهُ تَعَالىٰ- في جَوَابٍ آخرَ أَنَّ الرَّشيدَ قَالَ لمَالك لمَّا أَجَابه بهَذَا الجَوَاب: شَفَيْتني يا مالكُ.

قَالَ شيخُ الإسْلَام رَحِمهُ اللهُ تَعَالىٰ: وكَثْرة الاخْتصَاص والصُّحبة مع كَمَال المَودَّة والائتلَاف والمحبَّة والمُشَاركة في العِلْمِ والدِّين تَقْتضي أَنَّهما أحقُّ بذَلكَ من غَيْرهما، وهَذَا ظاهرٌ بينٌ لمَنْ له خبرةٌ بأَحْوَال القوم، أمَّا الصِّدِّيق فإنَّه مع قيامِهِ بأُمُور من العِلْمِ والفقه عَجَز عنها عمرُ حَتَّىٰ بَيَّنها لهم، لم يُحْفظ له قولٌ يُخَالف نصًّا، وهَذَا يدلُّ عَلَىٰ غايَة البَرَاعة.

وأيضًا؛ فالصَّحَابةُ في زَمَن أَبي بَكْرٍ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ لم يَكُونوا يَتنازَعون في مسألةٍ إلَّا فَصَلها بَيْنهم أَبُو بَكْرٍ، وارْتَفَعَ بعد النِّزاع بَيْنهم، فلا يُعْرف بَيْنهم في زمانِهِ مسألةٌ واحدةٌ تَنَازَعوا فيها إلَّا ارْتفعَ النِّزاعُ بَيْنهم بسببه كتَنَازعهم في وفاتِهِ صَلَّاَللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، ومَدْفنه، وفِي ميرَاثِهِ، وفي تَجْهيز جَيْش أُسَامة، وَقتَال مَانِعِي الزَّكَاة، وغَيْر ذَلكَ من المَسَائل

---

(١) أخرجه البخاري (٣٠٣٩)، وأبو داود (٢٦٦٢) من حديث البراء رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ، ولم يخرجه مسلم.

الكبار، بل كَانَ خَليفَة رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيهم يُعلِّمهم ويُقوِّمهم ويُبيِّن لهم ما تَزُول معه الشُّبهة، فلم يَكُونوا معه يَخْتَلفون، وهَذَا يدلُّ عَلَىٰ غَايَة العِلْم.

وقَدْ قامَ مقامَ رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأقامَ الإسْلَام فلم يُخلَّ بشيءٍ منه، بَلْ دَخَل النَّاسُ من الباب الَّذي خَرَجوا منه مع كَثْرة المُخَالفين من المرتدِّين وغَيْرهم، وكَثْرة الخَاذِلِين، فَكملَ به من عِلْمِهم ودِينِهِمْ ما لا يُقَاومه فيه أحدٌ حَتَّىٰ قام الدِّينُ كما كَانَ.

إِلَىٰ أنْ قَالَ: وأيضًا فعليُّ بن أبي طالبٍ تَعلَّم من أَبي بَكْرٍ بعضَ المَسَائل بخلاف أَبي بَكْرٍ، فإنَّه لم يَتعلَّم من عليٍّ بن أبي طالبٍ، كما في الحَدِيثِ المَشْهور الَّذي في السُّنن حَديثه صَلَاة التَّوبة عن عليٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: كُنْتُ إِذا سمعتُ من النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حديثًا يَنْفعني اللهُ منه بما شَاءَ أن يَنْفعني، فإِذَا حَدَّثني غيره اسْتَحْلفته، فإِذَا حلفَ لي، صَدَّقته، وحَدَّثني أَبُو بَكْرٍ، وصدق أَبُو بَكْرٍ عن النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّه قَالَ: «**ما مِنْ مُسْلم يُذْنب ذنبًا، ثمَّ يتوضَّأ ويُحْسن الوُضُوء، ويُصلِّي رَكْعَتين، ويَسْتغفر الله إلَّا غفرَ لَه**»(١).

وممَّا يُبيِّن هَذَا أنَّ أئمَّة علماء الكُوفَة الَّذينَ صَحبوا عمرَ وعليًّا رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا كعَلْقَمة والأَسْود وشُرَيح القاضي، وغَيْرهم، كَانوا يُرجِّحون قولَ عُمَر عَلَىٰ قول عليٍّ، وأمَّا تَابعو أَهْل المَدينَة ومكَّة والبصرة، فهَذَا عندهم أظْهَر وأشْهَر من أن يُذْكر، وإنَّما الكوفة ظَهَر فيها فقهُ عليٍّ، وعلمُهُ بحَسَب مقامه فيها مدَّة خلافتِهِ، وكل شيعة

(١) أخرجه أحمد (١/ ٨) (٤٧)، وأبو داود (١٥٢١)، والترمذي (٤٠٦، ٣٠٠٦)، وابن ماجه (١٣٩٥)، وحسنه الألباني في «المشكاة» (١٣٢٤).

عَلَىٰ الَّذينَ صَحبوه لا يُعْرف عن أحدٍ مِنهم أَنَّه قَدَّمه عَلَىٰ أَبي بَكْرٍ وعمرَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، لا في فِقْهٍ، ولا عِلْمٍ، ولا غَيْرهما، بَلْ كَانَ شيعتُهُ الَّذينَ قاتلوا معه عَدُوه كَانوا مَعَ سَائر المُسْلمين يُقدِّمون أبَا بكرٍ وعُمَر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا إلَّا مَنْ كَانَ عليٌّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ يُنْكر عليه ويذمُّه مع قلَّتهم في عهد عليٍّ، وخُمُولهم، وكَانوا ثَلاث طوائفَ: طَائفَة غَلَت فيه كالَّتي ادَّعت فيه الإلهيَّة، وهَؤُلَاء حَرَّقهم عليٌّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ بالنَّار، وَطَائفَة كَانت تسبُّ أبا بكرٍ، وكَانَ رَأْسهم عبد الله بن سبأ، فلَمَّا بلغ عليًّا ذَلكَ، طَلَب قتله فهَرَب، وَطَائفَة كَانَت تُفضِّله عَلَىٰ أَبي بَكْرٍ وعمرَ، قَالَ: لا يَبْلغني عن أحدٍ منكم أَنَّه فَضَّلني عَلَىٰ أَبي بَكْرٍ وعمر إلَّا جَلَدته حدَّ المفتري.

وقَدْ رُوِيَ عن عليٍّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ من نَحْو ثَمَانين وجهًا، وأكثر أَنَّه قَالَ عَلَىٰ مِنبَر الكُوفَة: خَيْرُ هَذِهِ الأُمَّة بعد نَبيِّها أَبُو بَكْرٍ وعُمَر -إِلَىٰ أنْ قَالَ- ورَأْس الفَضَائل العلم، وكلُّ مَنْ كَانَ أفضلَ من غَيْره من الأنْبيَاء والصَّحَابة وغَيْرهم، فإنَّه أَعْلَم منه، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزُّمَر: ٩].

والدَّلائلُ عَلَىٰ ذَلكَ كثيرةٌ، وَكَلام العُلَماء في ذَلكَ كثيرٌ.

ثمَّ قرَّر الشَّيخ -رَحمَهُ اللهُ تَعالَىٰ- أنَّ أبا بكرٍ وعمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا أعْلَم من عليٍّ ومعاذ بن جبلٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا -إِلَىٰ أن قَالَ- ولَمْ يختصَّ عليٌّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ بتبليغ شيءٍ من العِلْم إلَّا وقد اختصَّ غَيْره بما هو أكْثَر منه، فالتَّبليغ العام الحَاصل بالولاية حَصَل لأَبي بَكْرٍ وعمر وعُثْمان منه أكثر ممَّا حَصَل لعليٍّ، وأمَّا الخاصُّ، فابْنُ عبَّاسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا كَانَ أكثر فُتْيا منه، وأَبو هُريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أكثر روايةً منه، وعليٌّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أعْلَم منهما كَمَا أنَّ أبا بكرٍ وعمرَ وعُثْمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ أعْلَم منهما أيضًا، فإنَّ الخُلَفاء الرَّاشدين قاموا من تَبْليغ العِلْم العَام بما كَانَ النَّاس أحْوَج إليه بما بَلَّغه مَنْ بلغ بَعْض

العلم الخاص -إِلَىٰ أن قَالَ- وما يَذْكرانه كَانَ عنده (أي: عند عليٍّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ) عِلْمٌ باطنٌ امتاز به عن أَبي بَكْرٍ وعمر وغَيْرهما، فهَذَا من مَقَالات المَلَاحدة الباطنيَّة ونَحْوهم الَّذينَ فيهم من الكُفْر ما ليس في اليَهُود والنَّصارىٰ.. انْتهَىٰ المقصودُ من كَلَامه ملخصًا، وفيه أبلغُ ردٍّ عَلَىٰ أبي تُراب فيما شذَّ به من تَفْضيل بعض الصَّحَابة في العِلْمِ والفِقْهِ عَلَىٰ أَبي بَكْرٍ وعمرَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، وهَذَا جراءةٌ سيئةٌ من أَبي ترابٍ حَاصلُها الغضُّ من أَبي بَكْرٍ وعمرَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا.

وقَالَ شيخُ الإِسْلَام أبو العبَّاس ابْن تيمية -رَحمَهُ اللهُ تَعَالىٰ- أيضًا في «منهاج السُّنَّة»(١): أَهْلُ السُّنَّة يَقُولون ما اتفق عَلَيه عُلَماؤهم: إنَّ أَعْلم النَّاس بعد رَسُول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: أَبُو بَكْرٍ، ثمَّ عُمَر، وقَدْ ذكرَ غيرُ واحدٍ الإجْمَاع عَلَىٰ أنَّ أبا بكرٍ أعْلَم الصَّحَابة كلِّهم. انْتهَىٰ.

وقَدْ خَرَق أبو تُرابٍ الإجْمَاع، وَخَالف أَهْل السُّنَّة حَيْث فَضَّل أبَا هُرَيرة والبُخَاري عَلَىٰ أَبي بَكْرٍ وعمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا بالعِلْمِ، وفَضَّل عليًّا ومعاذًا، وابن مسعود، وابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ بالعِلْمِ والفِقْهِ.

وأَمَّا قَوْله: وهو نفسُهُ يَشْهد بذلك.

فَجوابُهُ أن يُقَالَ: لم يَثْبت ذَلكَ عن عمرَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وَعَلَىٰ تَقْدير ثُبُوته، فإنَّما ذَلكَ من باب التَّواضع.. ومن هَذَا الباب قصَّته مع المَرْأة حين قَالَ وهو عَلَىٰ المِنْبَر: يا أيُّها النَّاس، لا تُغَالوا في صَدَاق النِّساء، وَنَهاهم أن يَزيدُوا عَلَىٰ أَرْبع مئة درهم، فَقَامت امرأةٌ فَقَالت: إنَّ اللهَ يَقُول: (**وآتيتم إحداهن قنطارًا من ذهب**)، وهي هَكَذا في قرَاءة ابْن

(١) (٧/ ٥٠٠).

مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَرجع عمرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ قَوْله، وقَالَ: كلُّ النَّاس أفْقَه من عمرَ، فهَذَا من باب التَّواضع، وليسَ مَعْناه أنَّ تلكَ المرأة أو غيرها أفْقَه من عمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ علَى الإطلاق كَمَا قَدْ يَفْهمه بعضُ الجَهَلة الأغْبيَاء، وَتَواضع عُمَر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مع المَرْأة وغَيْرها يعدُّ من المَنَاقب لا من المَعَايب.

أمَّا قَوْله: ولكنَّهم لَمْ يَكُونوا أفضل منه:

فَجوابُهُ أن يُقَالَ: لو كَانَ عليٌّ ومعاذٌ وابنُ مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أفْقَه من عمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لَكَانوا أفضلَ منه؛ لأَنَّ العلمَ رَأس الفَضَائل، وأكْمَلها وأَشْرَفها، وَلَكنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَدْ فَاقَهم كُلَّهم في العِلْمِ والفِقْهِ، وفِي غَيْر ذَلكَ من الخِصَالِ الحَميدَة، فلذَلكَ كَانَ أفْضَل منهم.

وأمَّا قَوْله: وليسَ لإنْسَانٍ أن يقرنَ الفَضْل بالعِلْمِ.

فَجوابُهُ: أنْ يُقَالَ: بَلْ ليسَ لإنسانٍ أن يُفرِّق بَيْن الفَضْل وبَيْن العِلْمِ؛ لأَنَّ العلمَ خَصْلةٌ من خصَال الفَضَائل، وهُوَ رَأسها وأكْمَلها وأَشْرَفها، وَلَا يَكُون الإنسانُ فاضلًا إلَّا بالعِلْمِ، وإذَا لم يَتَّصف بالعِلْمِ، فإنَّه لا يَكُون فاضلًا، وإنَّما يَكُون ناقصًا، وكَفَىٰ بالعِلْمِ شَرفًا وفَضيلةً، وَكَفىٰ بالجَهْل نقصًا وَوَضيعةً.

وهَهُنا أمرٌ يَنْبغي التَّنبيه عليه، وهُوَ أَنَّ العلمَ لَا يَكُون فضيلةً في حقِّ كلِّ أحدٍ، وإنَّما يَكُون فضيلةً في حقِّ مَنْ يعمل بعلمِهِ، فيخشىٰ ربَّه، ويُسَارع إِلَىٰ ما يُرْضيه من الأَقوال والأعْمَال، ويَجْتنب ما يُسْخطه منها.

وأمَّا الَّذي يَكُون معه علمٌ وهو لا يَخْشىٰ ربَّه، ولا يَلْتمس رضاه، ولَا يَجْتنب نَهْيه، فهَذَا جاهلٌ في الحَقيقَة، وعلمُهُ لا يَكُون فضيلةً في حقِّه، وإنَّما يَكُون حُجَّةً عَلَيْه،

ووبالًا يَوْم القيَامَة.

وقَدْ قَالَ عَبْدُ الله بن مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كَفَىٰ بخَشْية الله علمًا، وَكَفَىٰ بالاغْتِرَار جهلًا»، رَوَاه عَبْدُ الله بن الإمَام أَحْمَد في كتاب «الزُّهْد»[(١)]، وروَىٰ عَبْد الله أيضًا في كتاب «الزُّهْد»[(٢)] عن ابْن مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّه قَالَ: «ليسَ العِلْمُ بكَثْرة الرِّواية، ولكن العِلْم الخَشْية»، ورَوَىٰ الطَّبْرَانيُّ عن أبي هُرَيرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يرْفَعه: «**أشدُّ النَّاس عذابًا يوم القيَامَة عَالمٌ لا يَنْفعه علمُهُ**»[(٣)]، وما أكثرَ هَذَا الضَّرب الرَّديء في زَمَاننا! لا أكْثَرهم الله.

المَوْضع الثَّالث: زَعَم أبو ترابٍ أنَّ أبا بكرٍ وعمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مَاتَا، ولَمْ يَحْفظا القرآن كلَّه، وقد حفظ أَبُو بَكْرٍ من الأَحَاديث مئةً واثْنَين وأرْبَعين.. وعُمَر خَمْس مئة حَديث، وسَبْعةً وَثَلَاثين، وَلَكن ابنه كَانَ أعْلَم منه، فقَدْ حَفظ أَلْفي حَدِيثٍ، وست مئة وَثَلَاثين.. وغَلَب الجميعَ أبو هُرَيرة، فله خَمْسة آلاف حَدِيثٍ وثَلاث مئة وأرْبَعة أَحَاديث، فهَلْ نقول: إنَّ أبا هُرَيرة كَانَ أفضلَ من أَبي بَكْرٍ؟ كلَّا، فالفضلُ غير العِلْمِ والفِقْهِ والاجْتهَاد والحِفْظِ.

وَالجوابُ: أنْ يُقَالَ: لا يَخْفىٰ ما في هَذَا الكَلَام من الجرْأة والتَّهجُّم عَلَىٰ أَبي بَكْرٍ وعمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وما يَدْري أبا تُرَاب أنَّ أبا بكرٍ وعمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مَاتَا ولَمْ يَحْفظا القرآنَ كلَّه؟! إنَّا نُطَالبه بإقامة الدَّليل عَلَىٰ ذَلكَ.

---

(١) (١/ ١٣٠) (٨٦٤).

(٢) (١/ ١٣١) (٨٦٧).

(٣) أخرجه الطبراني في «الصغير» (١/ ٣٠٥) (٥٠٧)، وقال الألباني في «الضعيفة» (١٦٣٤): ضعيف جدًّا.

وقَدْ ثبتَ عن النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّه قَالَ: «**يؤمُّ القومَ أقْرَؤهم لكِتَابِ الله، فإنْ كَانوا في القرَاءَة سوَاء، فأَعْلَمهم بالسُّنَّة**»، رَوَاه مسلمٌ وغَيْره من حَدِيثِ أبي مَسْعُودٍ الأنصاريِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[١].

وَثبتَ عَنْه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من عدَّة أَوْجه في «الصَّحيحَيْن»[٢] وغيرهما أنَّه أمرَ أبا بكرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن يُصلِّي بالنَّاس في مَرَضه الَّذي مات فيه، وقَدْ تَرْجم البخاريُّ عَلَىٰ ذَلكَ بقولِهِ: (باب أَهْل العِلْم والفَضْل أحقُّ بِالإمَامَةِ).

وفِي «الصَّحيحَيْن»[٣] وغَيْرهما من حَدِيثِ سَهْل بن سعدٍ السَّاعدي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَهَب إِلَىٰ بني عَمْرو بن عوف ليُصْلح بينهم، فَحَانت الصَّلاة، فتقدَّم أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُصلِّي بالنَّاس. الحَدِيث.

وقد أقرَّ النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أبا بكرٍ عَلَىٰ فعلِهِ، وَرَضِيَ بما صَنَع، وعَنْ عَائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا يَنْبغي لقَوْمٍ فِيهم أَبُو بَكْرٍ أن يُؤمَّهم غَيْره**»، رَوَاه التِّرْمذيُّ[٤]. فعُلِمَ مِن هَذَا أن أبا بكرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ أعْلَم الصَّحَابة بالسُّنَّة، وأَقرأَهم لكِتَابِ الله تَعَالىٰ.

وقَدْ ذَكَر ابْنُ عَبْد البَر في «الاسْتيعَاب»[٥] عَنْ عَبْد خير قَالَ: سمعتُ عليًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

---

(١) أخرجه مسلم (٦٧٣)، وأبو داود (٥٨٢)، والترمذي (٢٣٥)، والنسائي (٧٨٠)، وابن ماجه (٩٨٠).

(٢) أخرجه البخاري (٦٦٤)، ومسلم (٤١٨) من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٣) أخرجه البخاري (٦٨٤)، ومسلم (٤٢١).

(٤) أخرجه الترمذي (٣٦٧٣)، وقال الألباني في «الضعيفة» (٤٨٢٠): ضعيف جدًّا.

(٥) (٣/ ٩٧٢).

يَقُول: «رَحِمَ اللهُ أبا بكرٍ، كَانَ أوَّل مَنْ جمعَ بين اللَّوحين».

وقَالَ ابْنُ كثيرٍ في «البدَاية والنِّهاية»(١): والمَقْصودُ أنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدَّم أبا بكرٍ الصِّدِّيق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إمامًا للصَّحابة كلِّهم في الصَّلاة الَّتي هي أَكْبَر أركَانَ الإسْلَام العمليَّة. قَالَ الشَّيخ أبو الحَسَن الأشعريُّ: وتقديمُهُ أمرٌ معلومٌ بالضَّرورة من دين الإسْلَام.

قَالَ: وتقديمُهُ له دليلٌ عَلَىٰ أنَّه أعْلَم الصَّحَابة وأَقْرؤهم لما ثَبتَ في الخبر المُتَّفق عَلَىٰ صحَّته بَيْن العُلماء أنَّ رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**يَؤُمُّ القومَ أقْرَؤهم لكتَاب الله، فإنْ كَانوا في القرَاءة سَوَاء، فأَعْلَمهم بالسُّنَّة، فإنْ كَانوا في السُّنَّة سَوَاء، فأَكْبَرهم سنًّا، فإنْ كَانوا في السِّنِّ سواء، فأَقْدَمهم إسْلَامًا**»(٢).

قَالَ ابْنُ كَثير: وهَذَا من كَلَام الأشعريِّ رَحِمَهُ اللهُ ممَّا يَنْبغي أن يكتبَ بمَاء الذَّهب، ثمَّ قد اجْتَمَعت هَذِهِ الصِّفات كلُّها في الصِّدِّيق، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وأرْضَاه. وَانْتَهَىٰ.

وقَدْ تقدَّم قَوْلُ ابْن مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «إنَّ عمرَ كَانَ أعْلَمنا بالله، وأقْرَأنا لكتَاب الله، وأَفْقَهنا في دين الله»، وفي هَذَا أبْلَغ ردٍّ عَلَىٰ أبي ترابٍ في قَوْله: إنَّ أبا بكرٍ وعمرَ مَاتَا ولم يَحْفظا القرآنَ كلَّه.

وأمَّا قَوْله: وقَدْ حفظ أَبُو بَكْرٍ من الأَحَاديث مئةً واثْنَين وأربعين، وعُمَر خَمْس

---

(١) (٥/ ٢٥٦).

(٢) أخرجه مسلم (٦٧٣) ولفظه: «**يَؤُمُّ القَوْمَ أَقْرَؤُهُمْ لِكِتَابِ اللهِ، فَإِنْ كَانُوا فِي القِرَاءَةِ سَوَاءً، فَأَعْلَمُهُمْ بِالسُّنَّةِ، فَإِنْ كَانُوا فِي السُّنَّةِ سَوَاءً، فَأَقْدَمُهُمْ هِجْرَةً، فَإِنْ كَانُوا فِي الهِجْرَةِ سَوَاءً، فَأَقْدَمُهُمْ سِلْمًا**».

مئة حَدِيثٍ، وسَبْعةً وثَلَاثين.

فَجَوابُهُ: أنْ يُقَالَ: وما يدْري أبا ترابٍ أنَّ أبا بكرٍ وعمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا لَمْ يَحْفظا من الأَحَادِيثِ سوىٰ ما ذَكَره؟! لقَدْ أخطأَ أبو ترابٍ وأبْعَد عن الصَّواب في هَذَا القَوْل الَّذي لم يَتثبَّت فيه، ولَوْ كَانَ الأمرُ عَلَىٰ ما زَعَمه لكَانَ أَبُو بَكْرٍ وعُمَر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا من أقلِّ الصَّحَابة علمًا، وهَذَا مَعْلوم البُطْلان بالضَّرورة.

ويُقَال أيضًا: من المَعْلوم أنَّ أبا بكرٍ الصِّدِّيق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ ملازمًا للنَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُنْذ بَعَثه الله تَعَالىٰ إِلَىٰ أن توفَّاه، وكَانَ لا يُفَارقه في حضرٍ ولا سفرٍ، وكذَلكَ عُمَر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَدْ كَانَ ملازمًا للنَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منذ أنْ أَسْلَم إِلَىٰ أن توفَّىٰ اللهُ نَبيَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكَانَ لهُمَا من الاخْتصَاص بالنَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما ليسَ لغَيْرهما، فيَبْعد كلَّ البُعْد أن تكُونَ رِوَايتُهُما عن النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أقلَّ من رواية مَنْ لم يَصْحب النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلَّا مدَّةً يسيرةً، ولَمْ يكنْ لهُمْ من الاخْتصَاص بالنَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما كَانَ لأَبي بَكْرٍ وعمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فالَّذي لا يشكُّ فيه أنَّ أبا بكرٍ وعمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَدْ حَفظَا عن النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علمًا كثيرًا، ولا يَبْعد أن يَكُون ما حَفظَاه من الحَديثِ أكْثَر ممَّا حفظه بعضُ المُكْثرين من الرِّواية، وممَّا يدلُّ عَلَىٰ ذَلكَ أَنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمرَ أبا بكرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن يُصلِّي بالنَّاس في مرضه الَّذي مات فيه، وأنَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أقرَّه عَلَىٰ الصَّلاة بالنَّاس لما ذَهَب إِلَىٰ بني عَمْرو بن عوف ليُصْلح بينهم.

وقَدْ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحَدِيثِ الصَّحيح: «**يؤمُّ النَّاس أقْرؤهم لكِتَابِ الله، فإنْ كَانوا في القِرَاءَة سَوَاء، فأَعْلَمهم بالسُّنَّة**»(١)، فدلَّ عَلَىٰ أنَّ أبا بكرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أعْلَم

---

(١) سبق تخريجه.

بالسُّنَّة من جَميع الصَّحَابة، رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، وعِلْمه بالسُّنَّة إنَّما تَكُون بكَثْرة الرِّواية والحِفْظ عن رَسُول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، والفَهْم لأَقْوال الرَّسُول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، والعِلْم بأفعالِهِ، يُفْتي ويَأْمر ويَنْهىٰ في حَيَاة النَّبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، ولَمْ يكنْ يَفْعل من ذَلكَ شيئًا إلَّا بعلمِهِ من كِتَابِ الله تعالىٰ، وسُنَّة رسولِهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

وكَانَ الصَّحَابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ في زَمَن ولايةِ أَبي بَكْرٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ يَرْجعون إلَيْه في المَسَائل الَّتي يَتنَازعون فيها، فيَفْصل بَيْنهم، ويَرْتفع النِّزاعُ بَيْنهم بسَبَبه، ولَمْ يكنْ يَرْجع إلَيْهم إلَّا في القَليل النَّادر، وهَذَا يدلُّ عَلَىٰ غَزَارة علمِهِ، وكَثْرة روايتِهِ عن النَّبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وأنَّه كَانَ أكثرَ الصَّحَابة، أو من أكْثَرهم حفظًا لأَقْوَال النَّبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وأفْعَالِهِ، وقَدْ تقدَّم ما رَوَاه ابْنُ سعدٍ في «الطَّبقات»[(١)] عن ابن عُمَر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا أنَّه سئلَ: مَنْ كَانَ يُفْتي النَّاس في زَمَن رَسُول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ؟ فقَالَ: أَبُو بَكْرٍ وعُمَر، ما أَعْلَم غَيْرهما.

وأمَّا قلَّة الرِّواية عن أَبي بَكْرٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، فَلَها أسبابٌ كثيرةٌ؛ مِنْهَا: قِصرُ مُدَّته بعد وفاة النَّبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بحَيْث لَمْ يَتمكَّن النَّاس من إكْثَار الرِّواية عنه.

ومِنْها: أنَّ كبارَ الصَّحَابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ كَانوا مُتوافرين في زَمَن الصِّدِّيق رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، فكَانَ النَّاسُ يَكْتفون بسؤالهم، وأَخْذ الحَدِيث عَنْهم عن الرُّجُوع إلَىٰ الصِّدِّيق رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ؛ لأَنَّه كَانَ مشغولًا بالنَّظر في أُمُور الرَّعيَّة من الجُلُوس للتَّحْديث.

ومِنْهَا: أَنَّ المُسْلمينَ نَفَروا في زَمَانٍ إلَىٰ قتَال المُرتدِّين، ثمَّ إلَىٰ قتال الفُرْس والرُّوم، ولَمْ يبقَ من المُسْلمين في المَدينَة إلَّا القَليل، فكَانَ المُسْلمون في تلكَ الأَقْطَار

(١) (٢/ ٢٥٤).

النَّائية عن المَدينَة يَكْتفون بسُؤال مَن عِنْدهُمْ مِن الصَّحَابة، ويَأْخُذُون عَنْهم الحَدِيث، وَلَا يَذْهبون إِلَىٰ الصِّدِّيق ومَنْ كَانَ معه من الصَّحَابة في المَدينَة.

ومِنْهَا: أَنَّ الكَثيرين من الرِّواية عن النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من صِغَارِ الصَّحَابة إنَّما كَانَ جلُّ روَايَتهم بوَاسطَة كبَار الصَّحَابة؛ كالصِّدِّيق وَعُمَر وغَيْرهما من كبَار الصَّحَابة، وَكَانوا يَكْتفون بنسْبَة الحَدِيث إِلَىٰ النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَا يَذْكُرُون الواسطَةَ بَيْنهم وبَيْنه إلَّا قليلًا لثِقَتِهم بصحَّة ما نقل إِلَيْهم عنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولهَذَا تَجدهُمْ يَقُولون في أكْثَر رِوَايَاتهم: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَا يَذْكرون السَّماع من رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَو الرُّؤية لأفعالِهِ إلَّا قليلًا.

وقَدْ ذَكَرَ الحَافظُ ابْن حجرٍ في كتَاب «الإصَابَة»[1] في تَرْجمة أَبي بَكْرٍ الصِّدِّيق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّه رَوَىٰ عنه عُمَر، وعُثْمان، وعليٌّ، وعبدُ الرَّحمن بن عوفٍ، وابْن مَسْعُود، وَابْن عَمْرو، وَابْن عبَّاس، وحُذَيْفة، وزَيْد بن ثابتٍ، وعُقْبَة بن عَامر، ومَعْقل بن يسار، وَأَبو هُرَيرة، وأَبو أُمَامة، وأَبو بَرْزة، وأَبُو مُوسَىٰ، وَابْنتَاه عَائشَة وأَسْمَاء، وغَيْرهم من الصَّحَابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ.

ورَوَىٰ عَنْه من كبَار التَّابِعين الصُّنابحي، ومُرَّة بن شَرَاحيل الطَّيِّب، وَوَاسط البجلي، وقَيْس بن أبي حازمٍ، وسُوَيد بن غفلة، وآخَرون. انْتَهَىٰ.

ويُسْتفاد بما ذَكره الحافظُ ابْن حجرٍ من روَايَة هَؤُلَاء عن أبي بكرٍ الصِّدِّيق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّه قَدْ حفظَ عن النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحاديثَ كَثيرةً جدًّا روَاها عنه كَثيرٌ من عُلَماء الصَّحَابة، وكبَار التَّابعينَ، وَلَكن الصَّحَابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كَانُوا يَكْتفُونَ بذِكْرِ النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَا يَذْكُرُون

---

(١) (٤/ ١٤٥).

الواسطةَ بَيْنهم وبَيْنه؛ لأنَّهم كلَّهم أَهْل صِدْقٍ وَعَدالةٍ.

قَالَ ابْنُ القيِّم -رَحمَهُ اللهُ تَعالَىٰ- في كتاب «الوَابل الصَّيِّب»(١): «وهَذَا عَبْد الله بن عبَّاس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا حَبْر الأُمَّة وتُرْجمان القُرْآن مِقْدَار ما سَمع مِنَ النَّبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لَمْ يَبْلغ العشرينَ حَديثًا الَّذي يَقُول فيه: سَمعتُ ورَأيتُ، وَسَمع الكَثير من الصَّحَابة، وبُوركَ له في فَهْمه، والاسْتنبَاط منه حَتَّىٰ ملأ الدُّنيا علمًا وفقهًا». انْتهَىٰ.

وقَدْ رَوَىٰ البزَّار(٢) **عن ابْن عباسٍ** رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا **قَالَ**: لَمَّا فتحت المَدَائن أَقْبَل النَّاسُ عَلَىٰ الدُّنيا، وأَقْبَلت عَلَىٰ عُمَر، فكَانَ عامَّة حديثِهِ عن عُمَر. قَالَ الهيثميُّ: رجالُهُ رجالُ الصَّحيح.

ورَوَىٰ الطَّبَرانيُّ في «الكَبير»(٣) عن حميدٍ قَالَ: كنَّا مع أَنَس بن مالكٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، فقَالَ: واللهِ، ما كلُّ ما نُحدِّثكم عن رَسُول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ سَمعناه منه، وَلَكن لَمْ يكنْ يُكذِّب بَعْضنا بعضًا. قَالَ الهيثميُّ: رجالُهُ رجالُ الصَّحيح.

ورَوَىٰ الإمَامُ أَحْمَد(٤) عن البَراء رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: ما كلُّ الحَدِيثِ سَمعنَاه من رَسُول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، كَانَ يُحدِّثنا أَصْحَابُهُ عنه، كَانَت تَشْغلنا عنه رَعيَّة الإِبل.

قَالَ الهَيْثميُّ: رجالُهُ رجالُ الصَّحيح.

وأَمَّا عُمَر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، فإنَّه كَانَ أعلمَ الأُمَّة بعد أَبي بَكْرٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وقَدْ تقدَّم ذِكْر

---

(١) (١/ ٥٨).

(٢) في «مسنده» (١/ ٣١١).

(٣) (١/ ٢٤٦) (٦٩٩).

(٤) في «مسنده» (٤/ ٢٨٣١٨٥١٦)، وقال شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح.

ما وَصَفه به ابْنُ مَسْعُودٍ، وحُذَيْفة، وَسَعيد بن المُسيَّب، وعَمْرو بن مَيْمون، وإبْرَاهيم النَّخعي من غَزَارة العِلْم، وهَذَا العِلْمُ الغزيرُ الَّذي امْتَاز به عُمَرُ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عَلَىٰ سَائر الصَّحَابة إنَّما كَانَ بالفَهْم في كِتَابِ الله تَعَالىٰ، وكَثْرة الرِّواية عن رَسُول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، والفَهْم لأقْوَال الرَّسُول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، والعِلْم بأفعالِهِ.

والأَسْبَاب في قلَّة الرِّواية عن عُمَر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ هي نَفْس الأَسْبَاب المَذْكورة في قلَّة الرِّواية عن أَبي بَكْرٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وَتَزيد عَلَيْها بسببٍ آخرَ، وهُوَ أنَّ عُمَر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ كَانَ يحثُّ النَّاس عَلَىٰ قرَاءَة القُرْآن وحفظِهِ، والتَّفهُّم بما فيه، ويَنْهاهم عن الإكْثَار من الرِّواية خوفًا من التَّزيُّد في الأَحَاديث، وَالكَذب عَلَىٰ رَسُول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وقَدْ كَانَ النَّاسُ يَهَابونه أشدَّ الهَيْبة، فلا يُخَالفون أَمْره، ولا يَرْتكبون نَهْيه، ولا يَتجَاسرون عَلَىٰ سؤالِهِ عمَّا عنده من الأَحَاديث كما يَتجَاسرون عَلَىٰ سؤال غَيْره من الصَّحَابة، فلهَذَا كَانَ المرويُّ عنه من الأَحَاديث قليلًا بالنِّسبة لما يُرْوَىٰ عن المُكْثرين من الحَدِيثِ.

وقَدْ قَالَ مُحمَّد بن سعدٍ في «الطَّبقات»[1]: قَالَ مُحمَّد بن عُمَر الأسلمي (يَعْني: الواقدي): إنَّما قلَّتِ الرِّواية عن الأَكَابر من أَصْحَاب رَسُول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ؛ لأنَّهم هَلَكوا قبل أنْ يحتاجَ إلَيْهم، وإنَّما كَثرَتْ عن عُمَر بن الخَطَّاب، وعليِّ بن أبي طالبٍ؛ لأنَّهما وليَا فَسُئِلَا وَقَضيا بَيْن النَّاس، وكلُّ أَصْحَاب رَسُول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ كانوا أَئمَّةً يُقْتدىٰ بهم، ويُحْفظ عَلَيْهم ما كانوا يَفْعلون، ويُسْتفتون فيُفْتون، وَسَمعوا أَحَاديثَ فأدَّوها، فكَانَ الأكابر من أَصْحَاب رَسُول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أقلَّ حديثًا

---

(١) (٢/ ٢٨٦).

عن غَيْرهم مثل أَبي بَكْرٍ، وعثمانَ، وطَلْحة، والزُّبير، وسَعْد بن أَبي وَقَّاصٍ، وعَبْد الرَّحمن بن عوفٍ، وأَبي عُبَيدة بن الجَرَّاح، وَسَعيد بن زيد بن عمرو بن نُفَيل، وأُبَي بن كعبٍ، وسَعْد بن عبادة، وعبادة بن الصَّامت، وأُسَيد بن الحضير، ومعاذ بن جبل، ونُظَرائهم.

فلَمْ يأتِ عنهم من كَثْرة الحَدِيث مثل ما جاءَ عن الأَحْدَاث من أَصْحَاب رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مثل جَابر بن عَبْد الله، وأَبي سعيدٍ الخدريِّ، وأبي هُرَيرة، وعَبْد الله بن عُمَر بن الخَطَّاب، وعَبْد الله بن عَمْرو بن العاص، وعَبْد الله بن عبَّاسٍ، ورافع بن خَديج، وَأَنس بن مالكٍ، والبَرَاء بن عازبٍ، ونُظَرائهم.

وكلُّ هَؤُلَاء كَانَ يعدُّ من فُقَهاء أَصْحَاب رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَانوا يَلْزمون رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع غَيْرهم من نُظَرائهم، وأَحْدث منهم مثل عقبة بن عامر الجهني، وزَيْد بن خَالد الجُهَني، وَعِمْرَان بن الحُصَين، والنُّعْمان بن بشير، ومُعَاوية بن أبي سُفْيان، وسَهْل بن سعد السَّاعدي، وعَبْد الله بن يزيد الخطمي، ومسلمة بن مخلد الزرقي، وَرَبيعة بن كعبٍ الأَسْلمي، وهند، وأسماء ابني جارية الأَسْلميين، وَكَانا يَخْدمان رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويَلْزَمانه، فكَانَ أَكْثَر الرِّواية، والعِلْم في هَؤُلَاء ونُظَرائهم من أَصْحَاب رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأَنَّهم بَقوا، وَطَالت أعْمَارهم، واحتاجَ النَّاسُ إليهم، وَمَضىٰ كثيرٌ من أَصْحَاب رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْله وبَعْده بعِلْمِهِ لَمْ يُؤْثر عنه بِشَيءٍ، ولَمْ يحتج إلَيْه لكَثْرة أَصْحَاب رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. انْتهىٰ.

وقَالَ ابْنُ القيِّم رحمه الله تَعالَىٰ في «إِعْلَام المُوقِّعين»[1]: إِنَّ ما انْفَردوا به من العِلْمِ عنَّا أَكْثر من أن يُحَاط به، فلَمْ يَرْو كلٌّ منهم كلَّ ما سمع، وأيْنَ ما سمعه الصِّدِّيق والفَارُوق، وغَيْرهما من كبَار الصَّحَابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ إِلَىٰ ما رَوَاه، فلَمْ يَرْو عنه صِدِّيق الأُمَّة مائة حَدِيثٍ، وهو لم يَغِبْ عن النَّبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في شيءٍ من مَشَاهده، بَلْ صَحبَه من حين بُعِثَ إِلَىٰ أن تُوفِّي، وكَانَ أعلمَ الأُمَّة به صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بقَوْلِهِ وفعلِهِ وهديِهِ وسيرتِهِ، وكذَلكَ أجلَّة الصَّحَابة روَايتهم قَليلة جدًّا بالنِّسبة إِلَىٰ ما سَمعُوه من نَبيِّهم، وَشَاهدوه، ولو رَوَوا كلَّ ما سَمعوه وَشَاهدوه لزادَ عَلَىٰ رواية أَبي هُرَيرة أضعافًا مضاعفةً، فإنَّه إنَّما صَحبه نَحْو أربع سنين، وقَدْ رَوَىٰ عن الكثير إِلَىٰ أنْ قَالَ - إِنَّهم كانون يَهَابون الرِّواية عن رَسُول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، ويُعظِّمونها ويُقلِّلونها خَوْف الزِّيادة والنَّقص، ويُحدِّثون بالشَّيء الَّذي سَمعوه من النَّبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ مرارًا، ولا يُصرِّحون بالسَّماع، ولا يَقُولون: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ. انْتهَىٰ.

وأمَّا زَعْم أَبي ترابٍ أنَّ ابْن عُمَر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا كَانَ أعْلمَ من أبيه؛ لأَنَّه حَفظَ أَلْفي حَدِيثٍ، وست مئة وَثَلَاثين، وأن أبا هُرَيرة غلبَ الجميعَ، فله خَمْسة آلاف حَدِيثٍ، وثلاث مئة وأَرْبَعة أَحَاديث:

فَجوابُهُ أَنْ يُقَالَ: لا شكَّ أَنَّ ابْن عُمَر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا كَانَ من عُلَماء الصَّحَابة وحُفَّاظهم، وَلَكنه مَعَ ذَلكَ لا يُماثِل أبَاه في العِلْمِ؛ فضلًا عن أنْ يَكُون أعلمَ منه.

وَكَذَلكَ أَبو هُرَيرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، فإنَّه وإنْ كَانَ من عُلَماء الصَّحَابة وحُفَّاظهم، فليسَ أعْلَم من ابْنِ عُمَر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، فَضْلًا عن أنْ يَكُون أعْلَم من عُمَر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

---

(١) (٤/ ١١٢).

وقَدْ تقدَّم من الأَحاديث الدَّالَّة عَلَىٰ غَزارة عِلْمِ عُمَر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ ما يَكْفي في الرَّدِّ عَلَىٰ أبي تُرَابٍ، وكذَلكَ ما تَقدَّم عن ابْن مَسْعُودٍ، وحُذَيْفة، وَسَعيد بن المُسيَّب، وعَمْرو بن ميمون، وإبْرَاهيم النَّخعي، إنَّهم وَصَفوا عُمَر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ بغَزارة العِلْم، فَفِيهِ أبلغُ ردٍّ عَلَىٰ أبي ترابٍ.

وقَدْ رَوَىٰ الدَّارميُّ في «سننه»[1] عن عَبْد الله بن أَبي يزيدَ، قَالَ: كَانَ ابْن عبَّاس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا إِذَا سُئِلَ عن الأَمْر، فكَانَ في القُرْآن أخبر به، وإنْ لَمْ يكنْ في القُرْآن، وكَانَ رَسُولُ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أخْبَر به، فإنْ لَمْ يكنْ، فَعَن أَبي بَكْرٍ وَعُمَر، فإنْ لَمْ يكنْ، قَالَ فيه برَأْيه.

قَالَ شَيْخ الإِسْلَام أبو العبَّاس ابْن تيمية -رَحِمَهُ اللهُ تَعالَىٰ- في «مِنْهَاج السُّنَّة»[2]: «وَسَعيد بن المُسيَّب كَانَ من أعْلَم التَّابعين باتِّفاق المُسْلمين، وكَانَ عامَّة فقهِهِ قَضَايا عُمَر، وكَانَ ابْنُ عُمَر يَسْأله عَنْها» انْتهَىٰ.

فهَذَا حَبْر الأُمَّة عَبْد الله بن عبَّاس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ كَانَ يُفْتي بقَوْل أَبي بَكْرٍ وَعُمَر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا فيما لَمْ يَجِدْهُ في الكتاب، وَلَا في السُّنَّة، وفِي هَذَا أَوْضَح دَليلٍ عَلَىٰ أَنَّه لَمْ يكنْ في الصَّحَابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ مَنْ يُمَاثل أبا بكرٍ وَعُمَر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا في العِلْمِ فضلًا عَمَّن يَكُون فيهم مَنْ هو أعْلَم منهما، ولَوْ كَانَ الأمرُ عَلَىٰ ما زَعَمه أبو تُرابٍ من أنَّ أبا هريرةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ غَلَب الصَّحَابة كلَّهم بعلمِهِ، وأنَّ عليًّا، ومعاذًا، وابْنَ مَسْعُود كانوا أَفْقَهَ من عُمَر، وأنَّ ابْنَ عُمَر كَانَ أعْلَم من أبيه، لكَانَ ابْنُ عبَّاس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا يأخُذُ بأَقْوال هَؤُلَاء،

---

(١) (١/ ٢٦٥) (١٦٨).

(٢) (٧/ ٥٢٥).

وَيَدع قَوْل أَبي بَكْرٍ وَعُمَر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا.

وفيمَا ذَكَره شيخُ الإِسْلَام أبو العبَّاس ابْن تيمية -رَحمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ- عَن سَعيد بن المُسيَّب -الَّذي اتفقَ المُسْلمون عَلَىٰ أَنَّه أعلمُ التَّابعين- أنَّ عُمْدة فقهه قَضَايا عُمَر، وأنَّ ابْنَ عُمَر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا كَانَ يسأله عنها؛ أبْلَغُ ردٍّ عَلَىٰ أبي تُرابٍ فيما زَعَمه مِن تَفْضيل ابْن عُمَر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا عَلَىٰ أبيه في العِلْمِ.

وَظَاهر كَلَام أبي ترابٍ أَنَّ العِلْمَ مُلَازم الرِّواية والحِفْظ، فَمَنْ كَثُرت روايتُهُ وحفظُهُ للأَحَاديث مثل أَبي هُرَيرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، فهُوَ أعْلَم ممَّن قَلَّتْ روايتُهُ وحفظُهُ، وهَذَا خطأٌ ظاهرٌ، فليسَ العِلْمُ ملازمًا للرِّواية والحِفْظِ، وإنَّما العِلْمُ بالفَهْم لنُصُوص الكتَاب والسُّنَّة، واسْتخرَاج الأَحْكَام منها، وإنْ كَانَ المَوْصوف بذَلكَ قليلَ الرِّواية.

وَقَالَ ابْنُ وَهْب عَنْ مالكٍ: «إنَّ العِلْمَ ليسَ بكَثْرة الرِّواية، وإنَّما العِلْمُ نورٌ يَجْعله اللهُ في القَلْب» انْتهَىٰ.

وقَدْ كَانَت مَرْتبة أَبي بَكْرٍ وَعُمَر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا في فَهْم النُّصُوص واسْتخرَاج الأحْكَام منها فَوْق مَرَاتب سَائر الأُمَّة، فهُمَا أعْلَم الأُمَّة عَلَىٰ الإطْلَاق وقَدْ تقدَّم بيانُ ذَلكَ بالأدلَّة، وأَبو هُرَيرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وإنْ كَانَ من عُلَماء الصَّحَابة وأَكْثَرهم روايةً وحفظًا للأَحَاديث، فلا يُقَاس بعُثْمانَ، وعليٍّ، ومعاذٍ، وابن مَسْعُودٍ، وابْن عبَّاسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ في العِلْمِ، فضلًا عن أن يُقَاس بأَبي بَكْرٍ وَعُمَر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا.

وقَدْ قَالَ ابْنُ القيِّم -رَحمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ- في كتابِهِ «الوَابل الصَّيِّب»[١]: «وأيْنَ تَقع فَتَاوىٰ ابْن عبَّاس، وتَفْسيره، واسْتنبَاطه من فَتَاوىٰ أَبي هُرَيرة وتَفْسيره، وأَبو هُرَيرة

(١) (٥٩/١).

أحْفَظ منه، بَلْ هو حافظُ الأُمَّة عَلَىٰ الإطْلَاق، يُؤدِّي الحَدِيثَ كَمَا سمعَهُ ويَدْرسه باللَّيل درسًا، فكَانت همَّته مَصْروفةً إِلَىٰ الحِفْظِ وتَبْليغ ما حَفظَه كَمَا سَمعَهُ، وهمَّة ابْن عبَّاس مَصْروفة إِلَىٰ التَّفقُّه والاسْتنبَاط، وتَفْجير النُّصُوص، وشقِّ الأنْهَار منها، وَاسْتخرَاج كُنُوزها» انْتهَىٰ.

وأمَّا قَوْل أبي تُرَاب: إنَّ أبا هُرَيرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ غَلَب الجميعَ، أَيْ: غَلَب أبا بكرٍ، وَعُمَر، وابْنَ عُمَر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بالعِلْمِ، مَعَ قَوْله فيما تقدَّم: إنَّ أَبَا هُرَيْرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ غَلَب الصَّحَابةَ كلَّهم بعلمِهِ.

فَجَوابُهُ أَنْ يُقَالَ: هَذَا خطأٌ ظاهرٌ خُصُوصًا تَفْضيل أَبي هُرَيْرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالعِلْمِ عَلَىٰ الخُلَفاء الرَّاشدينَ، فإنَّ هَذَا ليسَ بالأَمْر الهَيِّن، وَكَذَلكَ تَفْضيل عليٍّ، ومُعَاذ، وَابْن مَسْعُود، وَابْن عُمَر عَلَىٰ عُمَر بالعِلْمِ والفقه، فكلُّ هَذَا خطأٌ ظاهرٌ، وليسَ بالأَمْر الهيِّن.

وَقَدْ قَالَ عَبْدُ الله ابْن الإمَام أَحْمَد في كتَاب «السُّنَّة»[1]: حَدَّثني أَبي، حَدَّثنا هُشَيم، حَدَّثنا حُصَين عن عَبْد الرَّحمن بن أبي لَيْلَىٰ، قَالَ: خَطَب عُمَرُ بن الخَطَّاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَحَمد اللهَ، وأثْنَىٰ عَلَيْه، ثمَّ قَالَ: «ألَا إنَّ خيرَ هَذِهِ الأُمَّة بَعْد رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ، فَمَنْ قَالَ سِوَىٰ هَذَا بعد مَقَامي هَذَا، فهو مُفْترٍ، عَلَيْه ما عَلَىٰ المُفْتري»، إسنادُهُ صحيحٌ عَلَىٰ شَرْط الشَّيْخين.

ثمَّ قَالَ عَبْدُ الله: حَدَّثني أَبي، حَدَّثنا مُحمَّد بن جَعْفر، حَدَّثنا شُعْبة بن حُصَين، عن أَبي لَيْلَىٰ، قَالَ: تَدَارؤوا في أَبي بَكْرٍ وَعُمَر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فقَالَ رجلٌ من عطارد: عُمَرُ

---

(١) (٢/ ٥٧٩) (١٣٦٤).

أفضلُ من أَبي بَكْرٍ، فقَالَ الجَارودُ: بَلْ أَبُو بَكْرٍ أفضلُ منه. قَالَ: فَبلَغ ذَلكَ عُمَرَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قَالَ: فَجَعل ضربًا بالدِّرَّة حَتَّىٰ شغرَ، ثمَّ أقبل إِلَىٰ الجَارود، فقَالَ: إليكَ عنِّي، ثمَّ قَالَ عُمَر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «أَبُو بكْرٍ كَانَ خير النَّاس بَعْد رَسُول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فِي كَذَا وكَذَا. ثمَّ قَالَ عُمَرُ: مَنْ قَالَ غيرَ هَذَا، أَقَمنا عَلَيْه ما نُقيم عَلَىٰ المُفْتري»[١]، إسنادُهُ صحيحٌ عَلَىٰ شُرُوط الشَّيْخين.

قَوْله: «حَتَّىٰ شغرَ»، مَعْناه اتَّسع في الضَّرْب، وأكثرَ منه.

وَقَد اخْتلَفت في سَمَاع عبد الرَّحمن بن أبي لَيْلىٰ من عُمَر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، فقَالَ يَحْيىٰ بن مَعين، وأَبو حَاتم، والنَّسائيُّ: إنَّه لم يَسْمع منه. وقَالَ مسلمٌ في مُقدِّمة «صَحيحِهِ»[٢]: إنَّه قَدْ حفظَ عن عُمَر. قَالَ ابْنُ كثيرٍ: وهو الصَّواب إنْ شاء اللهُ.

قلتُ: وفي «مُسْند الإمَام أَحْمد»[٣] ما يدلُّ عَلَىٰ سماعِهِ من عُمَر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، فَفِيهِ بإسنادٍ حَسَنٍ عن عبد الرَّحْمن بن أبي لَيْلىٰ، قَالَ: كنتُ مَعَ عُمَر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، فأَتَاه رجلٌ، فقَالَ: إنِّي رأيتُ الهلالَ... الحديث.

وفِيهِ أيضًا عَنْ عبد الرَّحمن بن أبي لَيْلىٰ، عَنْ عُمَر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: «صَلاةُ السَّفر رَكْعتَان...»[٤] الحَدِيثَ. وفِي آخره: وقَالَ يزيدُ (يَعْني: ابْن هَارُون) ابْن أَبي لَيْلىٰ قَالَ: سَمعتُ عُمَر.

---

(١) «السنة» لعبد الله بن أحمد (٢/ ٥٧٩) (١٣٦٥).

(٢) (١/ ٣٤).

(٣) (١/ ٢٨) (١٩٣)، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده ضعيف.

(٤) «مسند أحمد» (١/ ٣٧) (٢٥٧)، وقال شعيب الأرنؤوط: صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين.

وقَدْ رَوَىٰ البخاريُّ في «التَّاريخ الصَّغير»(١) عَن ابْن أبي لَيْلىٰ قَالَ: ولدتُ لستٍّ سِنِين بَقِين من خلَافة عُمَر.

وَكَذا ذكرَ الخَطيبُ البَغداديُّ في «تَاريخِهِ»(٢) أَنَّه ولدَ لستٍّ بقينَ من خلَافَة عُمَرَ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ، ومثلُ هَذَا السِّنِّ يعقلُ فيه الذَّكيُّ كثيرًا ممَّا يراهُ ويسمعُهُ، بَلْ بَعْض الأذْكيَاء يَحْفظ كثيرًا من الأَشْيَاء لأقلَّ من هَذَا السِّنِّ، وَعَلَىٰ هَذَا فَظاهرُ حَديثي ابْن أَبي لَيْلىٰ عن عُمَر رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ الاتِّصال، ولَمْ يَصْنع شيئًا من نفَىٰ سماعِهِ من أَجْل صغرِهِ، واللهُ أَعْلم.

ورَوَىٰ عَبْدُ الله ابْن الإمَام أَحْمَد أيضًا في كتاب «السُّنَّة»(٣) عن عليٍّ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ أَنَّه قَالَ: «لا يُفضِّلني أحدٌ عَلَىٰ أَبي بَكْرٍ وَعُمَر إلَّا جلدتُهُ حدَّ المُفْتري».

ورَوَىٰ عَبْد الله أيضًا في كتاب «السُّنَّة»(٤) عن عليٍّ رضي الله أَنَّه قَالَ عَلَىٰ المِنبر: «ألَا إنَّه بَلَغني أنَّ قومًا يُفضِّلوني عَلَىٰ أَبي بَكْرٍ وَعُمَر، ولَوْ كنتُ تَقدَّمت في ذَلكَ لعاقبتُ فيه، وَلَكن أَكْرَه العُقُوبة قبلَ التَّقدُّم من ال شيئًا من ذَلكَ، فهُوَ مفترٍ، عَلَيْه ما عَلَىٰ المُفْتري».

قَالَ شيخُ الإِسْلَام أبو العبَّاس ابْن تَيْمية رحمه الله تَعالَىٰ: «رُوِيَ عن عليٍّ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ أَنَّه قَالَ: «لَا أُوتَىٰ بأحدٍ يُفضِّلني عَلَىٰ أَبي بَكْرٍ وَعُمَر إلَّا جلدتُهُ حدَّ

(١) (١/ ٢١٩).

(٢) (١١/ ٤٥٥) (٥٣٠١).

(٣) (٢/ ٥٦٢) (١٣١٢).

(٤) (٢/ ٥٨٨) (١٣٩٤).

المُفْتري»، فمَنْ فَضَّله عَلَىٰ أَبي بَكْرٍ وَعُمَرَ، جلدَ بمُقْتضى قَوْله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ثَمانين سوطًا»(١). انْتهَىٰ.

وَقَالَ شَيْخُ الإِسْلَام -رَحمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ- أيضًا: ورأسُ الفَضَائل العِلْمُ، وكلُّ مَنْ كَانَ أَفْضَل من غَيْره من الأنْبيَاء والصَّحَابة وغَيْرهم، فإنَّه أعلمُ منه، قَالَ تعالىٰ: ﴿هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزُّمَر: ٩]، والدَّلائل عَلَىٰ ذَلكَ كَثيرَةٌ، وَكَلامُ العُلَماء في ذَلكَ كثيرٌ»(٢). انْتهَىٰ.

وقَالَ ابْن القيِّم -رَحمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ- في «إعْلَام المُوقِّعين»(٣): «ومعلومٌ أنَّ فَضيلةَ العِلْمِ، ومَعْرفة الصَّواب أكْمَل الفَضَائل وأشْرَفها». انْتهَىٰ.

وإِذَا عُلِمَ، هَذَا فلا يَخْفىٰ ما فِي هَذَا المقَال السَّيئ من الفِرَىٰ الَّتي يَسْتحقُّ قَائلُها أنْ يجلدَ عَلَىٰ كلِّ واحدةٍ منها حدُّ الفرية؛ ثَمَانين سَوْطًا:

الأُولَىٰ: تَفْضيل أُمَّهات المُؤْمنين عَلَىٰ عُمَر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الثَّانيَة: تَفْضيل أَبي هُرَيْرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَىٰ أَبي بَكْرٍ وَعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بالعِلْمِ.

الثَّالثَة: زَعْمه أنَّ أبَا بَكْرٍ وَعُمَر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مَاتَا ولَمْ يَحْفظا القُرْآنَ كلَّه، وهَذَا يَقْتضي تَفْضيل عددٍ كثيرٍ من الصَّحَابة عَلَيْهما.

الرَّابعَة: تَفْضيل عليٍّ، ومُعَاذٍ، وَابْن مَسْعُودٍ، وَابْن عُمَر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ عَلَىٰ عُمَر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالعِلْمِ والفِقْهِ.

---

(١) «مجموع الفتاوىٰ» (٤/ ٤٢٢).

(٢) «مجموع الفتاوىٰ» (٤/ ٤٠٨).

(٣) (٤/ ١٠٤).

الخَامسة: تَفْضيل مَرْتبة البخاريِّ في العِلْمِ عَلَىٰ مَرْتبة أبي بكرٍ وَعُمَر، وَسَائر الصَّحَابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ.

وأمَّا قَوْل أَبي ترابٍ: فهَلْ نَقُول: إنَّ أَبَا هُرَيْرة كَانَ أَفْضَل من أَبي بَكْرٍ؟ كلَّا:

فَجَوابُهُ أَنْ يُقَالَ: مَنْ زَعَم أنَّ أَبَا هُرَيْرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ غلَب الصَّحَابةَ كلَّهم بعلمِهِ، لَزمَهُ أَنْ يَقُول: إنَّه أَفْضَل مِنْهم كلِّهم؛ لأَنَّ العِلْمَ رَأْس الفَضَائل، وأَكْمَلها، وأَشْرَفها كَمَا قرَّره شيخُ الإِسْلَام أبو العبَّاس ابْن تَيْمية، وَابْن القَيِّم -رَحمَهُما اللهُ تَعالىٰ- في كَلَامهما الَّذي تقدَّم ذِكْره قَريبًا.

قَالَ شَيْخُ الإِسْلَام أَبو العبَّاس: وكلُّ مَنْ كَانَ أفضلَ من غَيْره من الأَنْبيَاء والصَّحَابة وغَيْرهم، فإنَّه أعلمُ منه[1]. انْتهىٰ.

وقَدْ قَالَ اللهُ تَعالىٰ: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١]، وقَالَ تَعالَىٰ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨]، وَثبتَ عن النَّبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أَنَّه قَالَ: «**مَنْ يُرِدِ اللهُ به خيرًا يُفقِّهه في الدِّين**»[2].

وَثبتَ عَنْه صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أَنَّه قَالَ: «**النَّاسُ مَعادن، فَخِيَارهُمْ في الجَاهليَّة، خِيَارهُمْ في الإِسْلَام إِذَا فقهُوا**»[3].

وَثبتَ عَنْه صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أَنَّه قَالَ: «**العُلَماء وَرَثة الأَنْبيَاء، وإنَّ الأَنْبيَاء لَمْ يُورِّثوا دينارًا، وَلَا دِرْهمًا، وإنَّما وَرثُوا العِلْمَ، فمَنْ أَخَذه، أَخَذ بحظٍّ وَافرٍ**»[4]، وَالآيَاتُ

---

(١) «مجموع الفتاوىٰ» (٤/ ٤٠٨).

(٢) أخرجه البخاري (٧١)، ومسلم (١٠٣٧) من حديث معاوية رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٣) أخرجه البخاري (٣٣٥٣)، ومسلم (٢٣٧٨) من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٤) أخرجه أحمد (٥/ ١٩٦) (٢١٧٦٣)، وأبو داود (٣٦٤١)، والترمذي (٢٦٨٢)، وابن ماجه (٢٢٣) =

والأَحَاديثُ فِي فَضْل العِلْمِ كثيرةٌ جدًّا، وليسَ هَذَا مَوْضع ذِكْرِهَا، وإنَّما المَقْصود ههنا التَّنبيه عَلَىٰ خطأ أبي ترابٍ حَيْث فرَّق بَيْن الفَضْل وبَيْن العِلْمِ الَّذي هو رأسُ الفَضَائل، وأكْمَلها، وأشْرَفها.

وقَدْ ذَكَر الحافظُ أبو الحَجَّاج المزيُّ في «تَهْذيب الكمال»(١) عَن الوليد الموقري عَن الزُّهْري قَالَ: قدمتُ عَلَىٰ عَبْد المَلك بن مَرْوان، فقَالَ: من أيْنَ قَدمت يا زُهْريُّ؟ قَالَ: قُلْتُ: من مكَّة. قَالَ: ومَنْ خَلفت يَسدُّها وأَهْلها؟ قُلْت: عَطَاء بن أبي رَبَاح، فقَالَ: فَمن العَرَب أَمْ من المَوَالي؟ قُلْت: من المَوَالي. قَالَ: فبمَ سَادَهم؟ قَالَ: قُلْت: بالدِّيانة والرِّواية. قَالَ: إنَّ أَهْل الدِّيانة والرِّواية ليَنْبغي أن يَسُودوا. قَالَ: فَمَنْ يَسُود أهْلَ اليَمَن؟ قُلْت: طَاوس بن كَيْسان. قَالَ: فَمِنَ العَرَب أمْ من المَوَالي؟ قَالَ: قُلْت: من المَوَالي. قَالَ: فبمَ سَادَهم؟ قُلْت: بما سَادَ به عطاءٌ.. قَالَ: إنَّه ليَنْبغي ذلك.

قَالَ: فمَنْ يَسُود أهلَ مصر؟ قُلْت: يزيدُ بن أبي حبيب. قَالَ: فَمن العَرَب أمْ من المَوَالي؟ قَالَ: قُلْت: من المَوَالي. قَالَ: فمَنْ يَسُود أَهْل الشَّام؟ قُلْت: مكحولٌ. قَالَ: فمنَ العَرَب أمْ من المَوَالي؟ قَالَ: قُلْت: من المَوَالي، عبدٌ نوبيٌّ أعْتَقه امرأة من هُذَيل.. قَالَ: فمَنْ يَسُود أَهْل الجَزيرَة؟ قُلْت: مَيْمون بن مِهْرَان. قَالَ: فِمِنَ العَرَب أمْ من المَوَالي؟ قَالَ: قُلْت: من المَوَالي. قَالَ فمَنْ يَسُود أَهْل خُرَاسان؟ قَالَ: قُلْتُ: الضَّحَّاك بن مزاحم. قَالَ: فمِنَ العَرَب أمْ من المَوَالي؟ قَالَ: قُلْت: من المَوَالي؟ قَالَ: مَنْ يَسُود أَهْل البصرة؟ قَالَ: قُلْت: الحَسَن البصري. قَالَ: مِنَ العَرَب أَمْ من المَوَالي؟

=

من حديث أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٢٩٧).

(١) (٢٠/ ٨١).

قَالَ: قُلْت: من المَوَالي. قَالَ: وَيْلك! ومَنْ يَسُود أَهْل الكُوفَة؟! قَالَ: فمَنْ يَسُود أَهْل الكُوفَة؟ قَالَ: قُلْت: إبْرَاهيم النَّخعي. قَالَ: فمِنَ العَرَب أمْ من المَوَالي؟ قَالَ: قُلْت: من العَرَب. قَالَ: وَيْلك يا زهريُّ! فَرَّجت عنِّي، واللهِ لتسودنَّ المَوَالي عَلَىٰ العَرب حَتَّىٰ يخطبَ لها عَلَىٰ المَنابر، والعَرب تَحْتها. قَالَ: قُلْت: يا أميرَ المُؤْمنين، إنَّما هو دينٌ، مَنْ حفظَه سَادَ، ومَنْ ضَيَّعه سقطَ.

ويُسْتفاد من هَذِهِ القصَّة أَنَّ العِلْمَ رأسُ الفَضَائل، وأَكْمَلها، وأَشْرَفها، وأنَّ مَنْ جمعَ بَيْن العِلْمِ والدِّيانة، نالَ الفضلَ والشَّرفَ، والمنزلةَ العَاليةَ، والسِّيادةَ، وإنْ كَانَ لا نسبَ لَهُ، ولا حَسبَ كَمَا حَصَل لأُولَئك المَوَالي الَّذينَ ذَكَر الزُّهريُّ أَنَّهم سَادوا أَهْل الأمْصَار بالعِلْمِ والدِّيانة، وَكَما حَصَل لغَيْرهم قَديمًا وَحديثًا.

المَوْضع الرَّابع: زَعَم أبُو تُرَابٍ أنَّ مَرْتبةَ البخاريِّ في العِلْمِ تَفُوق مَرَاتب الصَّحَابة فيه؛ لأَنَّه اجْتمَعَ لَه حَديثُهُم وفِقْهُهُم أجْمَع، ولكنَّه لا يَفُوقُهم، وَلَا يُدَانيهم البتَّة في الفَضْل والشَّرف، والمَنْزلة والكَرَامة.

وَالجَوابُ أنْ يُقَالَ: هَذَا من عُجَر أَبي ترابٍ وبُجَره، ولمْ أرَ أحدًا سبقه إِلَىٰ هَذَا القَوْل البَاطل، ولا يَخْفىٰ ما فيه من الجَرْأة عَلَىٰ الصَّحَابة، والغضِّ من قَدْرهم، وقَدْ تقدَّم حَدِيثُ عائشةَ رَضِيَٱللَّهُعَنهَا أنَّ رَسُول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيهِوَسَلَّمَ قَالَ: «**شرارُ أُمَّتي أجْرَؤهم عَلَىٰ صَحَابتي**»، رَوَاه أبُو نُعَيم في «الحِلْيَة»(١).

ويَكْفي في ردِّ هَذَا القَوْل السَّيئ ما تَقدَّم عن ابْن عُمَر رَضِيَٱللَّهُعَنهُمَا أَنَّه قَالَ: «مَنْ كَانَ مستنًّا، فَلْيستنَّ بمَنْ قد ماتَ، أُولَئك أَصْحَابُ مُحمَّدٍ صَلَّىٱللَّهُعَلَيهِوَسَلَّمَ، كَانوا خَير هَذِهِ

(١) سبق تخريجه.

الأُمَّة، وأَبَرها قُلُوبًا، وأعْلمهَا علمًا، وأَقلَّها تكلُّفًا، وقَوْم اخْتَارهم اللهُ لصُحْبة نبيِّه صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، ونَقْل دينه، فتَشبَّهوا بأَخْلَاقهم وَطَرَائقهم، فهُمْ أَصْحَابُ مُحمَّدٍ صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، كَانوا عَلَىٰ الهُدَىٰ المُسْتَقيم واللهِ رَبِّ الكَعْبة»، رَوَاه أَبُو نُعَيمٍ في «الحِلْيَة»(١)، ورَوَىٰ رزينٌ عن عَبْد الله بن مَسْعُودٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ نَحوه.

ورَوَىٰ الإمَام أَحْمَدُ في «مُسْنده»(٢) عَنْ عَبْد الله بن مَسْعُودٍ أيضًا رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنَّه قَالَ: «إنَّ الله نَظَر في قُلُوب العباد، فَوَجد قلبَ مُحمَّدٍ صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ خيرَ قُلُوب العبَاد، فَاصْطَفاه لنَفْسه، فَابْتَعثه برسالتِهِ، ثمَّ نَظَر في قُلُوب العبَاد بَعْد قَلْب مُحمَّدٍ صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فَوَجد قُلُوب أَصْحَابه خيرَ قُلُوب العبَاد، فَجَعلهُمْ وُزَراء نبيِّه، يُقَاتلون عَلَىٰ دينِهِ، فَمَا رَأىٰ المُسْلمون حسنًا فهُوَ عند الله حَسَنٌ، وما رأوا سَيِّئًا فهُوَ عند الله سيئٌ»، ورَوَاه البزَّار(٣)، والطَّبَرانيُّ في «الكَبير»(٤)، قَالَ الهيثميُّ: ورجالُهُ مُوثَّقونَ.

قَالَ ابْنُ القيِّم -رَحمَهُ اللهُ تَعَالىٰ- فِي «إعْلَام المُوقِّعين»(٥) في الثَّناء عَلَىٰ الصَّحَابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ: إنَّهم سَاداتُ الأُمَّة، وقُدْوة الأئمَّة، وأَعْلمُ النَّاس بكتَاب ربِّهم تَعَالىٰ، وسُنَّة نبيِّهم صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وقَدْ شَاهَدُوا التَّنزيلَ، وعَرَفوا التَّأويل، ونِسبةُ مَنْ بَعْدهم في العِلْم إلَيْهم كنِسْبَتهم إلَيْهم في الفَضْل والدِّين».

إِلَىٰ أن قَالَ: «إن ما انْفَردوا به من العِلْمِ عنَّا أكثر من أنَّهم كانوا أبرَّ قلوبًا، وأعْمق

---

(١) (١/ ٣٠٥).

(٢) (١/ ٣٧٩) (٣٦٠٠)، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن.

(٣) في «مسنده» (٥/ ٢١٢) (١٨١٦)، بإسناد حسن.

(٤) (٩/ ١١٢) (٨٦٠٢).

(٥) (٤/ ١١٢).

علمًا، وَأَقل تكلُّفًا إِلَىٰ أَنْ يُوفَّقوا لما لم نُوفَّق له نحن لما خَصَّهم الله به من توقُّد الأذْهَان، وَفَصَاحة اللِّسان، وَسَعة العِلْمِ، وسُهُولة الأَخْذ، وحُسْن الإِدْرَاك وسُرْعته، وقلَّة المُعَارض أو عَدَمه، وحُسْن القَصْد، وتَقْوىٰ الرَّبِّ تَعَالىٰ، فالعربيَّة طَبيعتُهُمْ وَسَليقتُهُمْ، والمَعَاني الصَّحيحة مَرْكوزة في فِطَرِهِمْ وعُقُولهم، وَلَا حَاجةَ بِهِم إِلَىٰ النَّظر في الإِسْنَاد وأَحْوَال الرُّواة، وَعلل الحَدِيث والجَرْح والتَّعْديل، وَلَا إِلَىٰ النَّظر في قَوَاعد الأُصُول، وأَوْضَاع الأُصُوليِّين، بَلْ قد استغنوا عن ذَلكَ كله، فليسَ في حَقِّهم إِلَّا أَمْرَان، قَالَ الله كذا، وقَالَ رسولُهُ كَذَا.. والثَّانِي مَعْناه كَذَا وكَذَا.. وهُمْ أَسْعَد النَّاس بِهَاتَين المُقدِّمتين، وأَحْظَىٰ الأُمَّة بهما، فقُوَاهم مُتوفِّرة مُجْتَمعة عَلَيْها».

إِلَىٰ أن قَالَ: «والمَقْصود أَنَّ الصَّحَابةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ اجْتَمَعت قُوَاهم عَلَىٰ تينك المُقدِّمتين فَقَط.. هَذَا إِلَىٰ ما خُصُّوا به من قُوَىٰ الأَذْهَان وصحَّتها، وقُوَّة إِدْرَاكها وكَمَاله، وكَثْرة المُعَاون، وقلَّة الصَّارف، وقُرْب العَهْد بنور النُّبوَّة، والتَّلقِّي من تلكَ المِشْكَاة النَّبويَّة، قَالَ: كَانَ هَذَا حَالُهُمْ فيما تَميَّزوا به عَلَينا، فكَيْف نكُون أو شُيُوخنا أو شُيُوخهم أو من لقدناه أَسْعَد الصَّواب منهم في مَسْألة من المَسَائل، ومَنْ حَدَّث نَفْسه بهَذَا، فلعزلها من الدِّين والعِلْمِ».

إِلَىٰ أن قَالَ: «وكيفَ يَطيبُ قَلْبُ عالمٍ يقدم عَلَىٰ أَقْوَال مَنْ وافقَ ربَّه تَعَالىٰ في غير حُكْم، فقَالَ وأَفْتَىٰ بحَضْرة رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَنَزل القرآنُ بمُوَافقة ما قَالَ لفظًا ومعنًىٰ، قَوْل مُتأخِّر بعده، ليسَ له هَذِهِ الرُّتبة، ولا يُدَانيها، وكيف يظنُّ أحدٌ أَنَّ الظَّنَّ المُسْتفاد من فَتَاوىٰ السَّابقين الأَوَّلين الَّذينَ شَاهَدوا الوَحْي والتَّنزيل، وعَرَفوا التَّأويلَ، وكَانَ الوحيُ يَنْزل خلال بُيُوتهم، ويَنْزل عَلَىٰ رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهُوَ بَيْن أَظْهُرهم، فمُسْتَندهم في مَعْرفة مُرَاد الرَّبِّ تَعَالىٰ من كَلَامه ما يُشَاهدونه من فِعْلِ

رَسُول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، وهَدْيه الَّذي هو بفَضْل القُرْآن، ويُفسِّره، فكيفَ يَكُون أحدٌ من الأُمَّة بَعْدهم أوْلَىٰ بالصَّواب منهم في شَيءٍ من الأشْيَاء.. هَذَا عَيْنُ المَجَال»(١).

وَقَالَ ابْنُ القيِّم أيضًا في «إعْلَام المُوقِّعين»(٢): «والمَقْصود أنَّ أحدًا ممَّن بَعْدهم (أي: بَعْد الصَّحَابة) لا يُسَاويهم، وكَيْف يُسَاويهم وقَدْ كَانَ أَحدُهُم يَرَىٰ الرَّأي، فيَنْزل القرآنُ بمُوَافقته».

ثمَّ ذَكَر ابْنُ القيِّم -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالىٰ- أمْثلَة من ذَلكَ... إِلَىٰ أنْ قَالَ: «وَحَقيقٌ بمَنْ كَانَت آرَاؤهُمْ بهَذِهِ المَنْزلة أنْ يَكُون رَأْيُهُم لنا خيرًا من رَأْينا لأَنْفسنا، وكيفَ لا وهُوَ الرَّأي الصَّادر من قُلُوبٍ ممتلئةٍ نورًا، وإيمانًا، وحكمةً، وعلمًا، ومعرفةً، وفهمًا عن الله ورَسُوله، وَنَصيحةً للأُمَّة، وقُلُوبهم عَلَىٰ قَلْب نبيِّهم، ولا وَسَاطة بَيْنهم وبَيْنه وهُمْ يَنْقلون العِلْمَ والإيمانَ من مِشْكَاة النُّبوَّة غضًّا طريًّا لَمْ يَشُبْهُ إشْكَالٌ، ولَمْ يَشُبْه خلافٌ، ولَمْ تُدنِّسه مُعَارضةٌ، فقياسُ رَأْي غَيْرهم بآرَائِهِمْ من أفْسَد القيَاس».

وَقَالَ ابْنُ القيِّم أيضًا في «إعْلَام المُوقِّعين»(٣): «فَتَاوىٰ الصَّحَابة أوْلَىٰ أن يُؤخَذَ بها من فَتَاوىٰ التَّابعين، وَفَتَاوىٰ التَّابعين أوْلَىٰ من فَتَاوىٰ تَابعي التَّابِعِين، وهَلمَّ جرًّا. وكُلَّما كَانَ العَهْدُ بالرَّسول أقْرب، كَانَ الصَّوابُ أغْلَب».

إِلَىٰ أنْ قَالَ: التَّفَاوت بَيْن عُلُوم المُتقدِّمين والمُتأخِّرين كالتَّفَاوت الَّذي بَيْنهم في الفَضْل والدِّين.

---

(١) (٤/ ١١٧).

(٢) (١/ ٦٤).

(٣) (٤/ ٩٠).

وَقَالَ ابْنُ القيِّم أيضًا فِي «إعْلَام المُوقِّعين»(١): وأيُّ وَصْمَةٍ أعْظَم من أنْ يَكُونَ الصِّدِّيقُ، أو الفَارُوقُ، أو عُثْمانُ، أو عَلِيٌّ، أو ابْنُ مَسْعُودٍ، أو سَلْمان الفَارسي، أو عُبَادة بن الصَّامت وأحْزَابهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ قَدْ أخبرَ عَنْ حُكْم الله أَنَّه كَيت وَكَيت في مَسَائل كَثيرَةٍ، وأخْطَأ في ذَلكَ، ولَمْ يَشْتمل قَرْنهم عَلَىٰ نَاطقٍ بالصَّواب في تلكَ المَسَائل حَتَّىٰ نبغَ من بَعْدهم، فَعَرَفوا حُكْمَ الله الَّذي جَهلَهُ أُولَئك السَّادة، وأَصَابوا الحقَّ الَّذي أخْطَأ، أُولَئك الأئمَّة.. سُبْحانك هَذَا بهتانٌ عظيمٌ.. انْتَهَىٰ المَقْصود من كَلَامه رَحِمَهُ اللهُ تَعَالىٰ.

وإِذَا علمَ هَذَا، فنقولُ: أيُّ إزْراء الصَّحَابة، وأيُّ وصمةٍ عَلَيْهم أعْظَم من أن يُقَالَ: إنَّ مرتبةَ البخاريِّ في العِلْمِ تَفُوق مَرَاتب الصَّحَابة فيه، سُبْحانك هَذَا بهتانٌ عظيمٌ.

وقَدْ تقدَّم عن عُمَر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَنْ أنكرَ عَلَىٰ مَنْ فَضَّله عَلَىٰ أَبي بَكْر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَضَربه ضربًا شديدًا، وقَالَ: خيرُ هَذِهِ الأُمَّة بعد رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ، فمَنْ قَالَ سِوَىٰ هَذَا، فهو مفترٍ، عَلَيْه ما عَلَىٰ المُفْتري.

وتَقدَّم عن عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **أَنَّه قَالَ:** «لَا يُفضِّلني أحدٌ عَلَىٰ أَبي بَكْرٍ وَعُمَر إلَّا جلدتُهُ حدَّ المُفْتري»(٢).

وإِذَا كَانَ الَّذي يُفضِّل عُمَر عَلَىٰ أَبي بَكْرٍ، أوْ يُفضِّل عليًّا عَلَىٰ أَبي بَكْرٍ وَعُمَر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يُعدُّ مفتريًا، ويُجْلد المُفْتري ثَمَانين سوطًا، فكيفَ بمَنْ فَضَّل البخاريَّ عَلَىٰ

(١) (٤/ ١٠٤).

(٢) سبق تخريجه.

أَبي بَكْرٍ، وَعُمَرَ، وعثمانَ، وَعَلَىٰ سَائر الصَّحَابة في العِلْمِ الَّذي هو رأسُ الفَضَائل، وأَكْمَلها، وأَشْرفها، فهَذَا أَوْلَىٰ أن يُوصَف بالافْتِرَاء، وأنْ يُعَامل مُعَاملة المُفْتري.

ويُقَال أيضًا: إنَّ الصَّحَابةَ رضي الله عَلَيْهم هُمُ الَّذينَ حَفظُوا القُرْآن والسُّنَّة، وَتَبعُوهما إِلَىٰ النَّاس، فكلُّ النَّاس بَعْدهم داعٍ لهُمْ، وعيالٌ عَلَيْهم في عِلْمِ الكتاب والسُّنَّة، وقد كَانَ للصَّحَابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ من البَصيرة النَّافذة في عِلْمِ الكتاب والسُّنَّة ما ليسَ لمَنْ بَعْدهم.

قَالَ ابْنُ القيِّم -رَحمَهُ اللهُ تَعَالىٰ- في «مَدَارج السَّالكين»(١) في الكَلَام عَلَىٰ قَوْله تعالىٰ: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ [يوسف: ١٠٨] قَالَ: يريدُ أنْ يصلَ باسْتدلَالك إِلَىٰ أعْلَىٰ دَرَجات العِلْمِ، وَهِيَ البَصيرة الَّتي تكُون نِسْبَة العُلُوم فيها إِلَىٰ القَلْب كنِسْبَة المَرْئي إِلَىٰ البَصَر، وهَذِهِ الخِصِّيصة الَّتي اختصَّ بها الصَّحَابة عَلَىٰ سَائر الأُمَّة، وهي أعْلَىٰ دَرَجات العُلَماء. انْتهَىٰ.

وإِذَا علمَ هَذَا، فَمَن زَعَم أنَّ مراتبَ غير الصَّحَابة في العِلْمِ تَفُوق مَرَاتب الصَّحَابة، قَدْ تَنَقَّصهم، وغَضَّ من قَدْرهم، وَقَابلهم بغير ما يستحقُّونه من الإجْلَال والاحْتِرَام، ولا شكَّ أنَّ هَذَا من الأذيَّة لهم، وأَذيَّتهم لَيْسَت بالأَمْر الهيِّن.

وقد تقدَّم حَدِيثُ عَبْد الله بن مغفَّل رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**اللهَ اللهَ في أَصْحَابي، لا تَتَّخذوهمْ غرضًا بَعْدي، فمَنْ أحبَّهم فبُحبِّي أحَبَّهم، ومَنْ أَبْغَضهم فببُغْضي أبْغَضَهم، ومَنْ آذَاهُمْ فقَدْ آذَانِي، ومَنْ آذَانِي فقَدْ آذَىٰ**

---

(١) (٢/ ٤٥١).

الله، ومَنْ آذىٰ الله يوشكُ أن يَأْخُذَه»، رَوَاه التِّرمذيُّ(١).

وتَقدَّم أيضًا قَوْلُ مُحمَّد بن سيرين: «مَا أظنُّ رجلًا يَنْتقص أبا بكرٍ وَعُمَر يحبُّ النَّبيَّ صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ»(٢)، رَوَاه التِّرْمذيُّ، وقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ حسنٌ.

وأمَّا قَوْل أَبي ترابٍ: إنَّ البخاريَّ اجتمعَ لَه حَدِيثُ الصَّحَابة وَفِقْهُهُمْ أجْمَع:

فَجَوابُهُ أنْ يُقَالَ: هَذِهِ مُجَازفة يُكذِّبها الواقعُ، وَبَيانُ ذَلكَ من وُجُوهٍ:

أَحَدها: أنْ يُقَالَ: من المُسْتَحيل أن تَجْتمعَ أَحَاديثُ الصَّحَابة وفِقْههم لرَجُلٍ وَاحِدٍ ولَوْ بَلَغ في العِلْمِ والفِقْهِ ما بَلَغ، وهَذِهِ كُتُبُ الحَدِيثِ والآثَار مَوْجودة وليسَ فيها شيءٌ قَدْ جمعَ الأَحَاديث والآثَار كلَّها.

ومِنْ أكْبَر كُتُب الحَدِيثِ وأَوْسَعها: «مُسْند الإمَام أَحْمَد»، وَمَع هَذَا لَمْ تَجْتمع فيه أَحَاديثُ الصَّحَابة كلُّها، وَلَا الآثَار المرويَّة عَنْهم، بَلْ في غيره من كُتُب الصِّحاح، والسُّنن، والمَسَانيد ما ليسَ فِيهِ. وفي كُلٍّ منها ما ليسَ في الآخر. وفِي هَذَا أَكْبَر شَاهِدٍ عَلَىٰ بُطْلان ما زَعَمه أبو ترابٍ.

الوَجْه الثَّانِي: أنَّ كثيرًا من كبَار الصَّحَابة الَّذينَ طَالَت صُحْبتهم لرَسُول الله صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وَكَانوا يَلْزمونه حضرًا وسفرًا، قَدْ ماتَ كثيرٌ منهم بَعْد وَفَاة النَّبيِّ صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بمُدَّةٍ يسيرةٍ، فلَمْ يُؤْخذ عنهم الكثير ممَّا سَمعوه من النَّبيِّ صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وَمَا شَاهَدوه من أفعالِهِ، وهَدْيه، وسيرتِهِ.

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

وقَدْ تقدَّم ما ذَكَره ابْنُ سعدٍ عن مُحمَّد بن عُمَر الأسلميِّ أنَّه قَالَ: إنَّما قلْت الرِّواية عَنِ الأكَابر من أَصْحَاب رَسُول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأنَّهم هَلَكوا قبلَ أن يحتاجَ إلَيْهم.

إِلَىٰ أن قَالَ: ومَضَىٰ كثيرٌ من أَصْحَاب رَسُول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْله وبَعْده بعلمِهِ لم يؤثر بشيءٍ، ولَمْ يحتج إلَيْه لكَثْرة أَصْحَاب رَسُول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وتَقدَّم قَوْل ابْن القيِّم رَحِمَهُ اللهُ تَعَالىٰ: إنَّ ما انفردَ به الصَّحَابة من العِلْمِ عنَّا أكثر من أن يُحَاط به، فلَمْ يَرْو كلٌّ منهم كل ما سمع.

إِلَىٰ أن قَالَ: وكذَلكَ أجلَّة الصَّحَابة رِوَايتهم قَليلة جدًّا بالنِّسبة إِلَىٰ ما سَمعُوا من نَبيِّهم، وَشَاهَدوه. ولَوْ رَوَوا كلَّ ما سَمعوه وَشَاهدوه لزاد عَلَىٰ روَاية أَبي هُرَيْرَة أضعافًا مُضَاعفة. انْتهَىٰ.

وفِي هَذَا أَبْلَغ ردٍّ عَلَىٰ مُجَازفة أبي ترابٍ حَيْث زَعَم أَنَّ البخاريَّ قد اجْتمَعَ له حَدِيثُ الصَّحَابة، وَفِقْههم أجْمَع.

الوَجْه الثَّالث: إنَّ في «صَحيح البخاريِّ»، وغَيْره من كُتُبه أعْظَم ردٍّ عَلَىٰ أبي ترابٍ، وأَكْبر شاهدٍ عَلَىٰ بُطْلان ما زَعَمه عن البخاريِّ أنَّه اجتمعَ له حَدِيثُ الصَّحَابة، وَفِقْههم أجْمَع.. فالَّذي في كُتُب البخاريِّ من أَحَاديث الصَّحَابة وفِقْهِهم لا تَبْلغ عُشْرَ ما روي عنهم من الأَحَاديث والآثار، وَلَا نصفَ العُشْر.

وقَدْ جاءَ في كُتُب الصِّحاح، والسُّنن، والمَسَانيد، والمُسْتخرجات، والمَعَاجم من الأَحَاديث الصَّحيحة الحَسَنة الَّتي لم يُخرِّجها البخاريُّ أكْثَر في «صَحيح البخاريِّ»، وَجَاء فيها من الآثَار عن الصَّحَابة أكْثَر ممَّا جاءَ من كُتُب البخاريِّ، فكيفَ

يُقَال والحَالَة هَذِهِ أَنَّ البخاريَّ اجتمعَ له حَدِيثُ الصَّحَابة، وَفِقْههم أجْمَع، هَذَا كَلامٌ لا يَقُوله مَنْ له أدْنَىٰ مُسْكةٍ من عقلٍ.

الوَجْه الرَّابع: أنْ يُقَالَ: إنَّ في شُيُوخ البخاريِّ ومَنْ قبلهم من أَكَابر العُلَماء مَنْ هُمْ أكثر جمعًا لأَحَاديث الصَّحَابة وفِقْههم من البخاريِّ، ولَاسيَّما الإمَام أَحْمَد، فقَدْ جمعَ من الأَحَاديث وآثَار الصَّحَابة أكْثَر ممَّا جَمَع البخاريُّ بكثيرٍ، وَمَع هَذَا لا يَجُوز أن يُقَالَ فيه، وَلَا في غَيْره من عُلَماء التَّابعين ومَنْ بَعْدهم من أَكَابر العُلَماء: إنَّ مَرَاتبهم في العِلْمِ تَفُوق مَرَاتب الصَّحَابة، بل الصَّحَابة أعْلَىٰ مَرَاتب في العِلْمِ، وفي سَائر الفَضَائل من جَميع الَّذينَ جَاءُوا من بَعْدهم.

الوَجْه الخَامس: أَنَّ البخاريَّ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالىٰ- قَالَ: ما اسْتَصْغَرت نَفْسي عند أحدٍ إلَّا عند عليِّ بن المدينيِّ. وإِذَا كَانَ البخاريُّ قَد اسْتصغر نَفْسه عند عليِّ بن المَدينيِّ الَّذي لا تُقَاس مَرْتبته في العِلْمِ بأَدْنىٰ مَرَاتب عُلَماء الصَّحَابة، فكيفَ يُقَال: إنَّ مرتبةَ البخاريِّ في العِلْمِ تَفُوق مَرَاتب أَبي بَكْرٍ، وَعُمَر، وعُثْمان، وعليٍّ، وَسَائر الصَّحَابة، هَذَا كَلَامٌ لا يَقُوله عاقلٌ، وَلَا يَرْضىٰ به مؤمنٌ، ولَوْ قيل هَذَا القَوْل السَّيِّئ في حَيَاة البخاريِّ لكَانَ حريًّا أن يُجَاهد قائله بكلِّ ما يقدر عَلَيْه.

وأَمَّا قَوْله: وَلَكنه لا يَفُوقهم، ولا يُدَانيهم البتَّة في الفَضْل والشَّرف والمَنْزلة والكَرَامة.

فَجَوابُهُ أَنْ يُقَالَ: إذَا كَانَ البخاريُّ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالىٰ- لا يُدَاني الصَّحَابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ في هَذِهِ الأُمُور، فَبطَريق الأَوْلَىٰ أنْ يُقَالَ: إنَّ مَرَاتبهم في العِلْمِ تَفُوق مَرْتبته ومَرَاتب غَيْره من التَّابعين وَتَابعيهم، ومَنْ جاءَ بَعْد ذَلكَ من كبَار العُلَماء.

وقَدْ تَقدَّم قَوْلُ شَيْخ الإِسْلَام أبي العبَّاس ابْن تَيْمية رَحمَهُ اللهُ تَعَالىٰ: إنَّ العِلْمَ رَأْس الفَضَائل، وكلُّ مَنْ كَانَ أفضل من غَيْره من الأنْبيَاء والصَّحَابة، وغَيْرهم، فَإنَّه أعْلَم منه. وتَقدَّم أيضًا قَوْل ابْن القيِّم رَحمَهُ اللهُ تَعَالىٰ: إنَّ فضيلةَ العِلْمِ، ومَعْرفة الصَّواب أكْمَل الفَضَائل وأشْرفها.

ويُقَال أيضًا لأبي تُرَاب: هَلْ تَقُول: إنَّ العِلْمَ شرفٌ، وفضيلةٌ، ومنزلةٌ عاليةٌ، وَكَرامةٌ في حقِّ مَنْ يعمل بعلمِهِ أم لا؟ فإنْ قَالَ: إنَّه شرفٌ، وفضيلةٌ، ومنزلةٌ عاليةٌ، وكرامةٌ، لَزمه أَحدُ أَمْرين: إمَّا أنْ يقولَ: إنَّ البخاريَّ قَدْ فاقَ جَميعَ الصَّحَابة في الفَضْل والشَّرف والمَنْزلة والكَرَامة. وإمَّا أن يرجعَ عمَّا زَعَمه من رَفْع مَرْتبة البخاريِّ في العِلْمِ عَلَىٰ مَرَاتب الصَّحَابة، ويَعْترف أنَّ مراتبَ الصَّحَابة في العِلْمِ تَفُوق مَرَاتب العُلَماء بَعْدهم، وأنَّهم لا يُقَاس بهم أحدٌ ممَّن كَانَ بَعْدهم كائنًا مَنْ كَانَ.

وإنْ قَالَ: إنَّ العِلْمَ ليسَ بشَرَفٍ، وَلَا فَضيلَةٍ، وَلَا مَنْزلةٍ عاليةٍ، وَلَا كَرامةٍ، كَمَا هُوَ ظَاهرُ كلامِهِ هَهُنا، وفِي قَوْله أيضًا، وَلَيْسَ الإنْسَانُ أنْ يقرنَ الفَضْل بالعِلْمِ، وقَوْله أيضًا: إنَّ الفَضيلةَ شيءٌ، والعِلْمَ شيءٌ آخر.

قيلَ: هَذَا كلامٌ لا يَقُوله إلَّا مَنْ رفعَ عَنْه التَّكْليف، فَلَا يعولُ عَلَيْه.

المَوْضع الخَامس: زَعَم أبو ترابٍ أَنَّ الفُقَهاء يُخَالفون مَذَاهب الصَّحَابة في مئات المَسَائل، وزَعَم أيضًا أَنَّ الفُقَهاء خَالَفوا الصَّحَابة في المَسَائل الاجتهاديَّة الَّتي يُخَالف فيها الصَّحَابة بَعْضهم بعضًا، وَزَعم أيضًا أنَّ أبَا حَنيفَة قَالَ: هُمْ رجالٌ، ونَحْن رجالٌ.

وَالجَوابُ أنْ يقَالَ: ظَاهرُ كَلَام أَبي تُرَابٍ في عِبَارتِهِ الأُولَىٰ أَنَّ الفُقَهاء يُخَالفون

مَذاهب الصَّحَابة حَتَّىٰ في المَسَائل الَّتي أجْمَع عَلَيْها الصَّحَابة رضي الله عَلَيْهم، وهَذَا خطأٌ ظاهرٌ، فإنَّ الفُقَهاء لَمْ يُخَالفوا ما أجْمَع عَلَيْه الصَّحَابةُ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، ولو قُدِّر أنَّ أحدًا من الفُقَهاء خَالَف إجْماعَ الصَّحَابة، فخلافُهُ مَرْدودٌ عَلَيْه؛ لأنَّ إجْماعَ الصَّحَابة حُجَّةٌ قاطعةٌ، وَكَذَلكَ قَوْل الصَّحابي إذَا لم يُخَالفه غَيْره من الصَّحَابة؛ فإنَّه حُجَّةٌ يجبُ المَصير إلَيْه قَالَه الشَّافعي وغَيْره مِنْ أكَابر العُلَماء.

وَلَا أعْلَم أحدًا خَالَف أحدَ الصَّحَابة سوىٰ أبي ترابٍ، فإنَّ الصَّحَابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ أجْمَعوا عَلَىٰ تَفْضيل أَبي بَكْرٍ، ثمَّ عُمَر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا عَلَىٰ سَائر الأُمَّة، ولَمْ يَسْتَثنوا في التَّفْضيل أحدًا من الصَّحَابة، لا أُمَّهات المُؤْمنين، ولا غَيْرهم، ولَمْ يَسْتَثنوا في التَّفضيل شيئًا من خصَال الفَضْل؛ لا العِلْم، وَلَا غَيْره، ولَمْ يُخَالف هَذَا الإجماعَ أحدٌ من التَّابعين، ولا مَنْ بَعْدهم من العُلَمَاء حَتَّىٰ جاءَ أَبو ترابٍ في آخِرِ القَرْن الرَّابع عشرَ من الهجْرَة، فَشذَّ عن أَهْل العِلْمِ، وَخَالف إجْمَاع الصَّحَابة حَيْث فَضَّل أُمَّهات المُؤْمِنين عَلَىٰ عُمَر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وفَضَّل كثيرًا من الصَّحَابة عَلَىٰ أَبي بَكْرٍ وَعُمَرَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا في حِفْظِ القُرْآن، وفي العِلْمِ والفِقْهِ، ولَمْ يكتفِ بذَلكَ، بَلْ فَضَّل البُخَاريَّ في العِلْمِ عَلَىٰ سَائِر الصَّحَابة، وقد قَالَ الشَّاعرُ:

خلافًا لقَوْلي من فيالَة[1] رَأْيه ... كَمَا قيل قبل اليَوْم خَالِفْ لتُذْكر

وهَذَا البَيْتُ مُطَابقٌ لحَال أبي ترابٍ غايَةَ المُطَابقة.

وأمَّا المَسَائل الاجتهاديَّة الَّتي اخْتلَفَت فيها أقْوالُ الصَّحَابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، وَاخْتلف فيهَا الفُقَهاء بَعْدهم بحَسَب اخْتلَافهم، فهَذِهِ لا يُقَال فيها: إنَّ الفُقَهاء قد خَالَفوا

(١) في رأيه فيالَة: أي: ضعف.

الصَّحَابة كَمَا عَبَّر به أبو ترابٍ؛ لأنَّ ظاهرَ عبارتِهِ يَقْتضي أَنَّ الفُقَهاء قد خَالَفوا الصَّحَابة كلَّهم في المَسَائل الاجتهاديَّة.. وهَذَا خطأٌ، فإنَّ الفُقَهاء لم يُخَالفوا جميعَ أقْوَال الصَّحَابة في المَسَائل الاجتهاديَّة، وإنَّما كَانوا يأخُذُون بأقْوَال الصَّحَابة، أو ببَعْضها، ويَخْتلفون بحَسَب اخْتلَاف الصَّحَابة، وإِذَا ظَهَر لهم الدَّليلُ من الكتَاب أو السُّنَّة، أَخَذوا به، وَتَركوا ما سوَاه من الأَقْوَال، هَذَا هو المَعْروف عن المُحقِّقين من العُلَمَاء، وليسَ في فِعْلِهم نقصٌ عَلَىٰ الصَّحَابة، ولا غضٌّ من قَدْرهم.

قَالَ الشَّافعيُّ -رَحمَهُ اللهُ تَعَالىٰ- في «رِسَالتِهِ البغداديَّة» الَّتي رَوَاها عنه الحَسَن بن مُحمَّد الزَّعفراني، وهَذَا لفظُهُ: وقَدْ أثْنَىٰ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عَلَىٰ أَصْحَاب رَسُول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في القُرْآن والتَّوْراة والإنْجيل، وَسَبق لهُمْ عَلَىٰ لسَان رَسُول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الفَضْل ما ليسَ لأحدٍ بَعْدهم، فرَحمَهُمُ الله، وهَنَّأهم بما آتَاهُمْ من ذَلكَ ببُلُوغ أعْلَىٰ مَنَازل الصِّدِّيقين والشُّهَداء والصَّالحين، أَدَّوا إلينا سُنَن رَسُول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَشَاهَدوه والوَحْي يَنْزل عَلَيْه، فَعَلمُوا ما أَرَادَ رَسُولُ الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عامًّا وخاصًّا، وعزمًا وإرشادًا.

وَعَرَفوا من سُنَنه ما عَرَفنا وجَهِلْنا، وهُمْ فَوْقنا في كلِّ علمٍ واجتهادٍ وورعٍ وعقلٍ وأمر أستدرك به عِلْم واسْتنبطَ بِهِ آرَاؤُهُمْ لنَا أحْمَد، وأَوْلَىٰ بنا من رَأْينا عند أَنْفسنا. ومَنْ أَدْركنا ممَّن يَرْضىٰ أو حَكَىٰ لنا عنه ببَلَدنا صَارُوا فيمَا لَمْ يَعْلموا لرَسُول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيه سُنَّة إِلَىٰ قَوْلهم إن اجْتَمَعوا، أَوْ قَوْل بَعْضهم إنْ تفرَّقوا. وَهَكَذا نَقُول ولَمْ نَخْرج عن أَقَاويلِهِم. وإنْ قَالَ أَحدُهُمْ ولَمْ يُخَالفه غَيْره أَخَذنا بقَوْله. انْتهَىٰ.

وقَدْ نَقَله عنه ابْنُ القيِّم -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالىٰ- في «إعْلَام المُوقِّعين»[١]، قَالَ: وقَدْ صرَّح الشَّافعيُّ في الجَديد من رِوَايَة الرَّبيع عَنْه بأنَّ قَوْل الصَّحابيِّ حُجَّة يجبُ المَصيرُ إلَيْه، فقَالَ: المُحْدثاتُ من الأُمُور ضَرْبان؛ أَحدُهُما: ما أُحْدث يُخَالف كتابًا، أوْ سُنَّة، أوْ إجْمَاعًا، أَوْ أثرًا، فهَذِهِ البدْعَةُ الضَّلَالة.

قَالَ ابْن القيِّم: والربيعُ إنَّما أخذَ عَنْه بمصرَ، وقَدْ جعلَ مُخَالفة الأَثَر الَّذي ليسَ بكِتَابٍ، وَلَا سُنَّةٍ، وَلَا إجْمَاعٍ، وَلَا ضَلَالةٍ، وهَذَا فَوْق كَوْنه حُجَّة.

وَقَالَ ابْنُ القيِّم أيضًا في «إعْلَام المُوقِّعين»[٢]: وقَالَ الشَّافعيُّ فِي رِوَاية الربيع عَنْه: والبِدْعةُ ما خَالَف كتابًا، أَوْ سُنَّة، أَوْ أثرًا عَنْ بَعْض أَصْحَاب رَسُول الله صَلَّىٰللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

قَالَ ابْنُ القيِّم: فَجَعل ما خَالَف قَوْل الصَّحابيِّ بِدْعةً. انْتهَىٰ.

وأَمَّا قَوْله: إنَّ أَبَا حَنيفَةَ قَالَ: هُمْ رجالٌ، ونَحْن رجالٌ.

فَجَوابُهُ أَنْ يُقَالَ: لَمْ يَقُل أَبُو حَنيفةَ هَذَا القَوْل في حقِّ الصَّحَابة كَمَا تَوهَّمه أبو تُرابٍ، وإنَّما قَالَه في حقِّ التَّابعين.

قَالَ الحافظُ الذَّهبيُّ في مَنَاقب أَبِي حَنيفَةَ: قَالَ نُعَيم بن حمَّاد: سمعتُ أبَا عصمةَ وهُوَ نوحُ الجامعُ، قَالَ: سمعتُ أبَا حَنيفَة يَقُول: ما جَاءَ عَنْ رَسُول الله صَلَّىٰللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فعَلَىٰ الرَّأس والعَيْن، وَمَا جَاء عن الصَّحَابة اخْتَرْنا، وما كَانَ من غَيْر

---

(١) (٤/ ٩٢).

(٢) (١/ ٦٤).

ذَلك، فهُمْ رجالٌ، ونَحْن رجالٌ[١].

وذَكَر ابْنُ عَبْد البَر في «الانْتقَاء»[٢] عَنْ إبْرَاهيم بن هانئ النَّيسابوري قَالَ: قيلَ لنُعَيم بن حمَّاد: ما أَشَد إزرَاءَهم عَلَىٰ أبي حَنيفَة. قَالَ: إنْ يُنْقم عَلَىٰ أبي حَنيفَة ما حَدَّثنا عنه أَبو عِصْمَةَ، قَالَ: سَمعتُ أَبَا حَنيفَةَ يَقُول: مَا جَاءنا عن رَسُول الله صَلَّىٰللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قَبِلْنَاه عَلَىٰ الرَّأس والعَيْنين، وَمَا جَاءَنا عن أَصْحَابِهِ، اخْتَرْنا منه، ولَمْ نَخْرج عن قَوْلهم، وَمَا جَاءَنا عَن التَّابِعِين، فهُمْ رجالٌ، ونَحْن رجالٌ.

وقَالَ ابْنُ القيِّم -رَحِمهُ اللهُ تَعَالىٰ- في «إعْلَام المُوقِّعين»[٣]: وقَالَ نُعَيم بن حمَّاد: حَدَّثنا ابْنُ المُبَارك، قَالَ: سَمعتُ أَبَا حَنيفَة يَقُول: إِذَا جاء عن النَّبيِّ صَلَّىٰللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فَعَلىٰ الرَّأس والعَيْن، وإِذَا جاء عن الصَّحَابة يخْتَار من قَوْلهم، وإِذَا جَاءَ عن التَّابِعِين زَاحَمْناهم. انْتهَىٰ.

ومُرَاد أَبي حَنيفَة -رَحمَهُ اللهُ تَعَالىٰ- أَنَّه لا يُقلِّد أحدًا من التَّابعين، وإنَّما يأْخُذُ بما جَاءَ عن النَّبيِّ صَلَّىٰللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، ويخْتَار من أقْوَال الصَّحَابة، وَلَا يَخْرج عَنْها، وإِذَا لَمْ يجدْ عن النَّبيِّ صَلَّىٰللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وَلَا عن أَصْحَابِهِ، اجْتَهد رَأْيه، ولَمْ يَأْخذ بآرَاء التَّابِعِين.

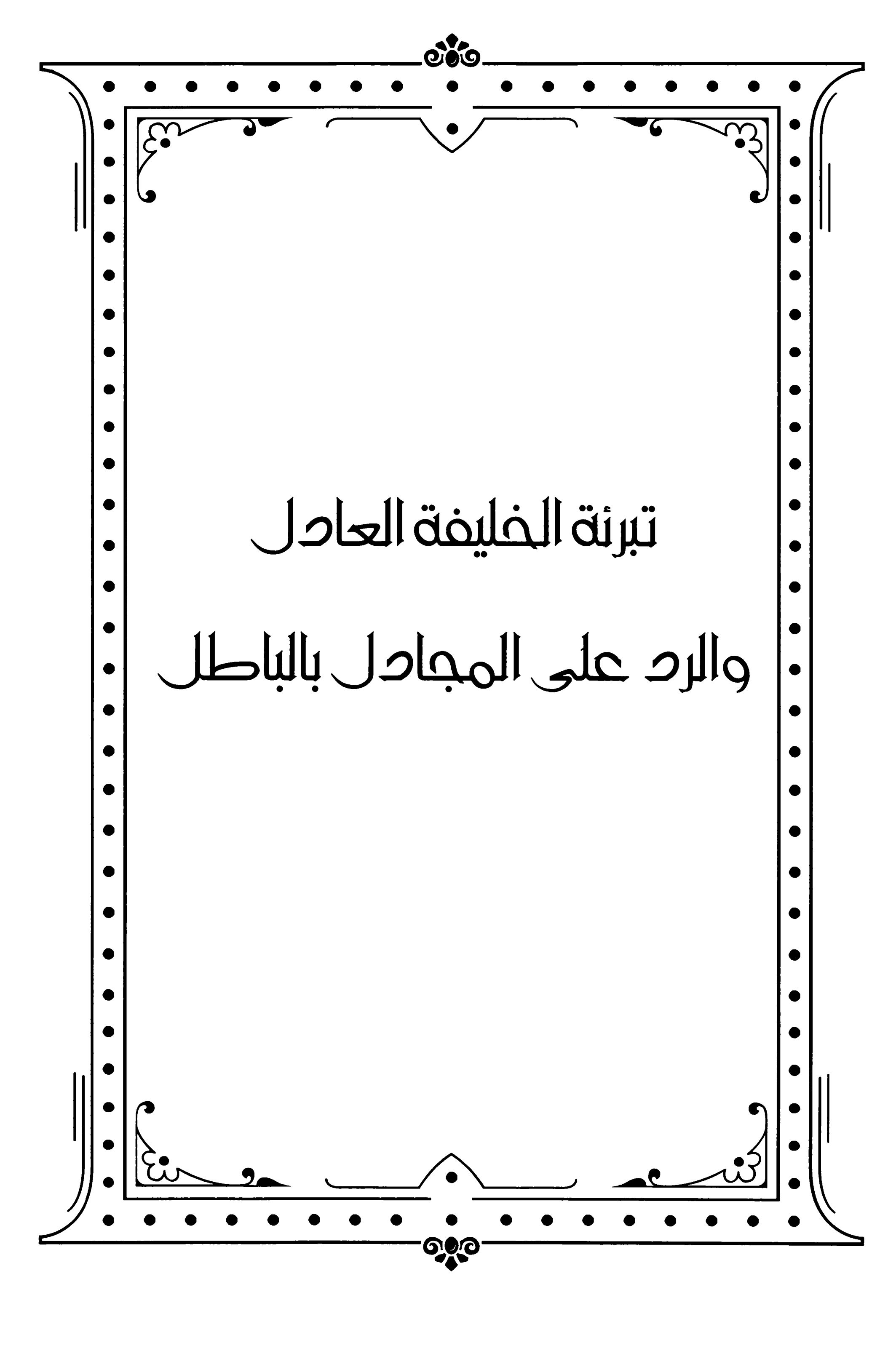
وهَذَا آخرُ ما تَيسَّر إيرادُهُ، والحَمْدُ لله ربِّ العَالَمين، وصلَّىٰ الله عَلَىٰ نَبيِّنا مُحمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِهِ وصَحْبه وَسلَّم تَسْليمًا كثيرًا.

---

(١) «تاريخ الإسلام» للذهبي (٩/ ١٩٦).

(٢) (١/ ١٤٤).

(٣) (٤/ ٩٤).



تبرئة الخليفة العادل

والرد على المجادل بالباطل

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قرأَ عَلَيَّ الشَّيخ الفَاضل/ حِمُود بن عَبْد الله بن حِمُود التويجري - مؤلِّفه هَذَا المُسمَّىٰ «تَبْرئة الخَليفَة العَادل والرَّدُّ عَلَىٰ المُجَادل بالبَاطل»، فَوَجدتُهُ قدْ أدَّىٰ واجبًا من الذَّبِّ عَنْ أَمير المُؤْمنين عُمَر بن عَبْد العَزيز رَحِمَهُ اللَّهُ، وردَّ الافْتِرَاءات عَلَيه من استعمالِهِ الأَغَاني المُحرَّمة.

وقَدْ أَتىٰ المُؤلِّف الشَّيخ حِمود بما يَشْفي ويَكْفي، فَجَزاه الله خيرًا ووَفَّقه.

قَالَه الفقيرُ إِلَىٰ عَفْو الله/ مُحمَّد بن إبْرَاهيم آل الشَّيخ مفتي الدِّيار السُّعوديَّة ورئيس القضاة.

وصلىٰ الله عَلَىٰ نبينا محمد وآله وأصحابه وسلم

١٢/ ٨/ ١٣٨٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحَمْد لله، نَحْمدُهُ، ونَسْتعينُهُ، ونَسْتغفره، وَنَتُوب إِلَيْه، ونَعُوذ بالله من شُرُور أَنْفسنا وسَيِّئات أعْمَالنا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فلا مضلَّ له، ومَنْ يُضْلل فلا هَاديَ لَه، وأَشْهد أنْ لَا إِلَه إِلَّا اللهُ وَحْده لَا شَريكَ لَه، وأَشْهَد أنَّ مُحمَّدًا عبدُهُ ورسولُهُ المَبْعوث رحمةً وهدًىٰ للعَالَمين، والمَأْمور بمَحْق المَعَازف والمَزَامير، وأَوْثَان المُشْركين، صلَّىٰ الله عَلَيه وعَلَىٰ آلِهِ وأصحابِهِ ومَنْ تَبعهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَىٰ يَوْم الدِّين، وسلَّم تسليمًا كثيرًا.

❑ **أمَّا بَعْد:**

فقَدْ رأيتُ نُبذةً بَتْراء فِي تَرْجمة عُمَر بن عَبْد العَزيز -رَحمَهُ اللهُ تَعَالىٰ- جَمَعها أَحْمد زكي صفوت[1]، وقرَّر فيهَا أنَّ عمرَ بن عَبْد العَزيز -رَحمَه اللهُ تَعَالىٰ- كَانَ يُغنِّي قَبْل الخلَافَة، ويَصْنع الأَلْحانَ في الغنَاء، واعْتمَد فِي ذَلكَ عَلَىٰ ما نَقَله صَاحبُ «الأَغَانِي»[2] من الأَكَاذيب فِي ذَلكَ. وقَدْ غَلطَ النَّاقل والمنقولُ عَنْه غلطًا فاحشًا، وأخطأَ كلٌّ منهما خطأً كبيرًا عَلَىٰ أَمير المُؤْمنين عُمَر بن عَبْد العَزيز، حَيْث رَمَياه بمَا هُوَ بريءٌ عَنْه، ومنكرٌ له أشدَّ الإنْكَار.

وقَدْ رأيتُ أَنَّه يَتعيَّن التَّنبيه عَلَىٰ هَذَا القَوْل البَاطل، والذَّب عن أَمير المُؤْمنين عُمَر بن عَبْد العَزيز، وتَبْرئته من هَذَا الإِفْك المبين.

---

(١) أحمد زكي صفوت، ولد في مدينة دمياط، وتوفي في القاهرة، عاش في مصر، تخرج في مدرسة دار العلوم (١٩١٤)، عمل بالتدريس في عدد من المدارس، واختير وكيلًا لكلية دار العلوم (١٩٥٢)، وظل في عمله حتىٰ إحالته إلىٰ التقاعد.

(٢) يعني: أبا الفرج الأصبهاني.

فصل

والَّذي ذكرَ عَنْه المَيْل إِلَىٰ المَعَازف والغناء هُوَ عُمَر بن الوليد بن عبد المَلك بن مَرْوان، لَا عُمَر بن عَبْد العَزيز رَحِمهُ اللهُ تَعالىٰ.

قَالَ النَّسائيُّ في «سُنَنه الصُّغرىٰ»(١): أَخْبَرنا عَمْرو بن يحيىٰ قَالَ: حَدَّثنا مَحْبوب (يعني: ابْن مُوسَىٰ) قَالَ: أَنْبَأنا أَبو إِسْحَاق (وهُوَ الفَزَاري)، عَن الأوزاعيِّ قَالَ: «كَتبَ عُمَر بن عَبْد العَزيز إِلَىٰ عُمَر بن الوَليد كتابًا -فَذَكره وَفِيهِ- وَإِظْهَارك المَعَازف والمِزْمَار بدعةٌ في الإِسْلَام، ولقَدْ هَممتُ أَنْ أَبْعَث إِلَيْك مَنْ يجزُّ جُمَّتك جمَّة السُّوء»، إِسنادُهُ جيدٌ، وقَدْ رَوَاه أَبُو نُعَيم في «الحِلْية»(٢) من طَريق المُسيَّب بن واضحٍ عَنْ أَبي إِسْحَاق الفَزَاري، عَن الأوزاعيِّ، فَذَكره بمثلِهِ.

ورَوَىٰ أيضًا مِنْ طَريق ضَمْرة بن ربيعةَ، عَن ابْن شَوْذب قَالَ: كَتبَ عُمَر بن عَبْد العَزيز إِلَىٰ عُمَر بن الوَليد أَنَّ أظلمَ منِّي وأَخْوَن مَنْ ولَّىٰ قرَّة بن شريكٍ مصرَ أَعْرَابي جلف جَاف أَظْهَر فيها المَعَازف(٣).

وقَدْ ذَكَره أَبُو الفَرَج ابْن الجوزيِّ من حَدِيث سَهْل بن يحيىٰ المروزي قَالَ: أَخْبَرني أَبي عَن عُمَر بن عَبْد العَزيز قَالَ: كَتبَ عُمر بن عَبْد العَزيز إِلَىٰ عُمَر بن الوَليد بن عَبْد المَلك... فَذَكره، وَفِيهِ: وإِنَّ أَظْلَمَ منِّي وأَتْرك لعَهْد الله مَن اسْتَعْمل قرَّة بن شَريك أعْرَابيًّا جافيًا عَلَىٰ مصرَ، أَذِنَ لَه في المَعَازف، واللَّهو، والشُّرب.

---

(١) (٤١٣٥)، وقال الألباني: صحيح الإسناد مقطوع.

(٢) (٥/ ٣٠٩).

(٣) «الحلية» (٥/ ٣٠٩).

وَرَوىٰ ابْن أَبي الدُّنيا، وأَبو الفَرَج ابْن الجَوزي[١] من طريقِهِ عَنْ عُمَر بن عُبَيد الله الأَرْموي قَالَ: كَتبَ عُمَر بن عَبْد العَزيز إِلَىٰ مُؤدِّب ولدِهِ: ليكن أوَّل مَا يَعْتَقدون من أَدَبك بغض المَلَاهي الَّتي بَدْؤها من الشَّيْطان، وَعَاقبتُها سَخطُ الرَّحْمن جلَّ وعزَّ، فإِنَّه بَلَغني عن الثِّقات من حَمَلة العِلْمِ أنَّ حُضُور المَعَازف، واسْتمَاع الأَغَانِي واللَّهج بِهَا يُنْبت النِّفَاقَ في القَلْب كَمَا يُنْبت الماءُ العشبَ، وَلَعَمْري لتَوقِّي ذَلكَ بتَرْك حُضُور تلكَ المَوَاطن أيْسَر عَلَىٰ ذِي الذِّهْن من الثُّبوت عَلَىٰ النِّفاق فِي قَلْبه.

فهَذَا هو الثَّابت عن عُمَر بن عَبْد العَزيز رَحِمهُ اللهُ تَعَالىٰ، أَعْني إنْكَار الغنَاء، والنَّهْي عنه لا ما يَذْكره صاحبُ «الأغَانِي» عمَّن هبَّ ودبَّ ممَّن لا يُوثَق بهم، وَلَا يُعْتَمد عَلَىٰ خبَرهم.

وأيضًا فَصاحبُ «الأغَانِي» غَيْر موثوقٍ به؛ لأَنَّه شيعيٌّ، والشِّيعةُ من أكْذَب النَّاس، وقَدْ رَوَىٰ الخطيبُ البغداديُّ عن الحَسَن بن الحُسَين النُّوبخْتِي، أَنَّه قَالَ: كَانَ أَبو الفَرَج الأصبهانيُّ أَكْذَب النَّاس، كَانَ يَدْخل سُوقَ الوَرَّاقين وَهي عامرةٌ، والدَّكَاكين مَمْلوءة بالكُتُب، فيَشْتري شيئًا كثيرًا من الصُّحُف، ويَحْملها إِلَىٰ بيتِهِ، ثمَّ تكُون رواياتُهُ كلُّها منها[٢].

وقَالَ أَبو الفَتح ابْن أَبي الفَوَارس: خلَط قَبْل موتِهِ.

قَالَ ابْنُ الجوزيِّ: ومثلُهُ لَا يُوثَق به، فإِنَّه يُصرِّح في كُتُبه بمَا يوجبُ العشقَ، ويُهوِّن شُرْبَ الخَمْر، وربَّما حكَىٰ ذَلكَ نَفْسه. ومَنْ تَأَمَّل كتابَ «الأَغَانِي»، رَأَىٰ

---

(١) في «تلبيس إبليس» (١/ ٢٠٩).

(٢) «تاريخ بغداد» للخطيب البغدادي (١١/ ٣٩٨).

فيه كلَّ قبيحٍ ومنكرٍ.

قُلْتُ: وقَدْ ذَكَر عَنْه ياقوتُ الحمويُّ في «مُعْجم الأُدَباء» أشياءَ تدلُّ عَلَىٰ فسقِهِ ومُجُونه، ومَنْ كَانَ كذَلكَ، فهو ساقطُ العَدَالة، مَرْدود الرِّوَاية. وما ذَكَره عن عُمَر بن عَبْد العَزيز -رَحمَهُ اللهُ تَعَالىٰ- من الغنَاء، وصنَاعَة الأَلْحَان، فهُوَ ممَّا يَقْطع كلَّ عاقلٍ نبيهٍ أَنَّه كذبٌ مفترًىٰ، والدَّليلُ عَلَىٰ ذَلكَ ما تقدَّم من الآثَار الَّتي ذَكَرنا، فإنَّها دَالَّةٌ عَلَىٰ أنَّ عمرَ بن عَبْد العزيز -رَحمَه اللهُ تَعَالىٰ- كَانَ شَديدَ الإنْكَار للغنَاء والمَعَازف.

وأيضًا؛ فالمَعْروف عَنْ عُمَر بن عَبْد العَزيز أَنَّه كَانَ ملازمًا للعُلَماء منذ كَانَ صَغيرًا إِلَىٰ أنْ كَبرَ، ولَمْ يُعْرف بمُعَاشرة أحدٍ من المُغنِّين، ولا مُجَالستهم، فَمَا ذكرَ عَنْه من الغنَاء، وصنَاعَة الأَلْحَان باطلٌ لَا أصلَ لَه.

وأيضًا؛ فقَدْ أنكرَ عُمَرُ بن عبد العَزيز -رَحمَه اللهُ تَعَالىٰ- عَلَىٰ عُمَر بن الوَليد إظْهَاره للمَعَازف والمِزْمَار، وَذَكر أَنَّ ذَلكَ بدعةٌ في الإسْلَام، وعَرَّض بأَبيهِ الوَليد بن عَبْد المَلك، وأنْكَر عَلَيه إذْ وَلَّىٰ قرَّة بن شَريك عَلَىٰ مصرَ، وأَذِنَ له في المَعَازف واللَّهْو والشُّرْب.

وَمَا كَانَ عُمَر -رَحمَه اللهُ تَعَالىٰ- لينكر عَلَىٰ النَّاس شيئًا وهُوَ يَفْعل مثلَهُ، لا سيَّما إنْكَاره فعلَ الوَليد بَعْد موتِهِ، فإنَّه لَوْ كَانَ يغنِّي ويَصْنع الأَلْحَان قبلَ الخلَافة، لمَا أنكرَ عَلَىٰ الوَليد وقُرَّة بن شريك شيئًا قَدْ مَضَىٰ منذ سِنِين كَثيرَةٍ.

فقَدْ دلَّ إنْكَارُهُ عَلَيهما عَلَىٰ أنَّ ما قيلَ عَنْه من الغنَاء وصنَاعَة الأَلْحَان في زَمَان إمارتِهِ عَلَىٰ المَدينَة كَذبٌ مُفْترىٰ عَلَيه.

وأيضًا؛ فإنَّ الشُّعَراء لمَّا قَدمُوا عَلَىٰ عُمَر -رَحمَه اللهُ تَعَالىٰ- لمَّا وليَ الخلافةَ،

مَنَعَهم من الدُّخُول عَلَيه، ولمَّا قيلَ له فيهم، ذَكَر لأَكْثَرهم أبياتًا في التَّشْبيب بالنِّسَاء، ومَنَعهم من الدُّخُول عَلَيه من أَجْل ذَلكَ.

وإذَا كَانَ عُمَرُ -رَحمَه اللهُ تَعَالىٰ- شديدَ الإنْكَار للتَّشْبيب بالنِّساء، فكَيْف يُقَال: إنَّه كَانَ يُشبِّب بسُعَاد وسعدىٰ، ويَصْنع الألْحَان فِي ذَلكَ، ويُغنِّي بها؟! هَذَا قولٌ ظاهرُ البُطْلان.

وأيضًا؛ فقَدْ قَالَ الإمامُ أحمدُ رَحِمهُ اللهُ تَعَالىٰ: حَدَّثنا إسْحَاق بن عيسىٰ الطباع قَالَ: سَألتُ مَالكَ بن أنسٍ عمَّا يَترخَّص فيه أَهْل المَدينَة من الغنَاء، فَقَالَ: إنَّما يفعلُهُ عندنَا الفُسَّاقُ. قَالَ الحافظُ ابْن رَجَبٍ: وَكَذا قَالَ إبْرَاهيمُ بن مُنْذر الحزاميُّ، وهُوَ من عُلَماء أَهْل المَدينَة المُعْتَبرين.

قُلْتُ: ويَلْزم عَلَىٰ قَوْل صَاحب «الأَغَاني» وأَحْمد زكي صفوت أنْ يَكُون عُمَرُ بن عَبْد العَزيز من جُمْلة الفُسَّاق قبلَ أنْ يَلي الخلَافَة.. وهَذَا قولٌ باطلٌ مَعْلوم البُطْلان بالضَّرورة عندَ كلِّ عاقلٍ.

ولَوْ كَانَ ما ذَكَره صاحبُ «الأَغَانِي» صَحيحًا لذَكَره أَهْلُ العِلْمِ بالأَخْبَار كابْن جَرير، وَابْن كَثِيرٍ، وغَيْرهما من أَهْل التَّوَاريخ الَّذينَ يُوثَق بنقْلهم، وكذَلكَ مَنْ صنَّف فِي أَخْبَار عُمَر بن عَبْد العَزيز كابْن عَبْد الحَكَم، وأَبي الفَرَج ابْن الجَوزيِّ، وغَيْرهما.

وَقَد اسْتَقْصىٰ ابْنُ الجوزيِّ أَخْبَارَ عُمَر بن عَبْد العَزيز، ولَمْ يَذْكر عنه أَنَّه كَانَ يغنِّي، وَلَا يَصْنع الأَلْحانَ، ولا يُعَاشر المُغنِّين، ولا يُجَالسهم[1]، وكذَلكَ أَبُو نُعَيم

(١) انظر: «تلبيس إبليس» لابن الجوزي.

الأَصْبَهاني، فإنَّه تَرْجم لعُمَر بن عبد العَزيز تَرْجمةً حافلةً في كتَاب «الحِلْيَة»[١]، ولَمْ يَذْكر عنه أنَّه كَانَ يُغنِّي، ولا يَصْنع الأَلْحَان، وَلَا يُعَاشر المُغنِّين، وَلَا يُجَالسهم، فتَبيَّن أنَّه لَا أَصْل لمَا ذَكَره صَاحبُ الأَغَانِي، واللهُ أعْلَم.

فصل

ثمَّ قَالَ صاحبُ «النُّبذة» ما نَصُّهُ: إنَّ أحدًا لا يُمَاري في أنَّ الغناءَ فنٌّ جميلٌ يَتعشَّقه كلُّ إنْسَانٍ بفطرتِهِ، وَتَهيم به كلُّ نفسٍ بطَبيعَتها، يَتُوق إلَيْه الملكُ فِي قَصْره، ويشتاقُهُ الصُّعْلوك في كُوخِهِ، وهُوَ غذاءُ الأَرْوَاح، وسَلْسَبيل القُلُوب، وَصِقَال النُّفُوس، ورَوْضة الأَذْهَان، وهُوَ بَعْدُ متعةٌ مشروعةٌ لا يَأْبَاها الدِّينُ، ولَا تُنْكرها الشَّريعةُ، ما دَامَ لا يكتنفُهُ رفثٌ، وَلَا فُسُوقٌ، وَلَا شرابٌ، دَعْ عنكَ ما يَتشدَّق به المُتزمِّتون من أنَّ الدِّينَ يَحْظره، وأنَّ الشَّرعَ لا يبيحُهُ، وحَسْبنا فِي تَفْنيد زَعْمهم ما وَرَد في الحَديث الشَّريف عَنْ عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنَّها زَفَّت امرأةً إِلَىٰ رجلٍ من الأنْصَار، فقَالَ نبيُّ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يَا عَائشةُ، ما كَانَ معكُمْ لهوٌ، فإنَّ الأَنْصَارَ يُعْجبهم اللَّهو**»[٢].

وفِي روايةٍ: «**فهلَّا بَعَثتم مَعَها جاريةً تَضْرب بالدُّفِّ وتُغنِّي**»[٣].

وقَالَ صَاحبُ «العِقْدِ الفَريد»[٤]: واحْتجُّوا فِي إبَاحة الغنَاء واسْتحسَانه بقَوْل

---

(١) (٥/ ٢٥٣).

(٢) أخرجه البخاري (٥١٦٢).

(٣) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٣/ ٣١٥) (٣٢٦٥) من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وقال الألباني في «الإرواء» (٥١): هذا إسناد مسلسل بالضعفاء.

(٤) وهو ابن عبد ربه الأندلسي (٧/ ٨).

النَّبيِّ صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لعائشةَ: «**أَهْديتُم الفتَاة إِلَىٰ بَعْلها؟**»، قَالتْ: نَعَمْ. قَالَ: «**فَبعثتُمْ مَعَها مَنْ يُغنِّي؟**». قَالَتْ: لَا. قَالَ: «**أَوَ مَا علمتِ أَنَّ الأَنْصَارَ قومٌ يُعْجبهم الغزَلُ، أَلَا بَعثتُمْ معَهَا مَنْ يَقُول:**

أَتينـــاكُمْ أَتينـــاكُمْ فَحيُّونـــا نُحيـــيكمْ
ولَـــوْلَا الحبَّـــة السَّـــمرا ءِ لَـــمْ نَحْلـــل بِـــوَادِيكُمْ»(١)

وَاحْتجُّوا بحَدِيثِ عَبْد الله بن أُوَيس ابْن عمِّ مالكٍ، وكَانَ من أَفْضَل رجَال الزُّهريِّ، قَالَ: مرَّ النَّبيُّ صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بجاريةٍ في ظلٍّ فارعٍ وهِيَ تُغنِّي:

هَـــلْ علـــيَّ وَيْحَكـــم إنْ لَهـــوتُ مـــن حَـــرجْ

فقَالَ النَّبيُّ: «**لَا حَرَج إنْ شَاءَ اللهُ**»(٢).

قَالَ صَاحبُ النُّبذة: «فَلَا حَرج -إذًا- عَلَىٰ عمرَ أَنْ يَهوىٰ الغنَاء، ويَصْبو إِلَيْه، ولا يَغْتمز ذَلكَ فيه، وَلَا ينقصُ ذَلكَ من دينِهِ وفَضْله، وليسَ ببدعٍ أَنْ يَهْفو عمرُ إِلَىٰ الغنَاء، ويَشْرب فؤادُهُ حبَّه، وهُوَ قَدْ نشأَ في بِيئَةٍ غِنَائيَّةٍ فَيَّاضةٍ بالأَلْحَان والإِيقَاع، مُفْعَمة بحُذَّاق المُغنِّين والمُغنِّيات».

إِلَىٰ أَنْ قَالَ: «وَقَد سَبقَت المَدينَة سَائر المَدَائن الإسْلَاميَّة إِلَىٰ الغنَاء، وَشَاع اللَّهْوُ والقَصْفُ بَيْن أَهْلها».

---

(١) أخرجه بنحوه الطبراني في «الأوسط» (٣/ ٣١٥) (٣٢٦٥) من حديث عائشة رَضِيَاللَّهُعَنْهَا، وحسنه الألباني في «الإرواء» (١٩٩٥).

(٢) أخرجه ابن عساكر (١٢/ ٤١٥) من حديث ابن عباس رَضِيَاللَّهُعَنْهُمَا، وقال الألباني في تخريج أحاديث «أداء ما وجب» (١/ ١٥٠): باطل.

ثمَّ ذَكَر جملةً من المُغنِّين والمُغنِّيات، ومَنْ كَانَ يُغنِّي لهُمْ من قريشٍ.. إِلَىٰ أن قَالَ: وهَذِهِ شذرةٌ تُصوِّر لَكَ الحَيَاة الغنائيَّة بالمَدينَة في ذَلكَ العَهْد، وَتُريك أنَّ حياةَ المَرَح، واللَّهو، والطَّرب كَانَت تُسَاير فيهَا حَيَاة الفِقْهِ، والحَدِيثِ، والوَرَع، والتَّقْوىٰ جنبًا لجَنْبٍ.

قَالَ: وَأَكْثَر من ذَلكَ أنَّ بَعْضَ كبَار الأئمَّة في المَدينَة كَانَ له مُشَاركةٌ حسنةٌ في هَذَا الفنِّ الجَميل. وَهَاكَ استمعَ لصَاحب الأَغَانِي يُحدِّثك عن الإمَام مَالك بن أنسٍ صَاحِبِ المَذْهب المَالكي.

قَالَ حُسَين بن دحمان الأشْقَر: كُنْت بالمَدينَة، فَخَلا لي الطَّريقُ وَسط النَّهار، فَجَعلتُ أتغنَّىٰ بصَوْتٍ، فَإذَا خَوْخةٌ قَدْ فتحتْ، وإذَا وجهٌ قَدْ بدَا تتبعه لحيةٌ حَمْراء، فقَالَ: أَسَأت التَّأدية، وَمَنَعت القَائلَة، ثمَّ انْدَفع يغنِّيه، فظَنَنتُ أنْ طُويسًا قَدْ نشرَ بعَيْنه، فقُلْت له: أَصْلَحك اللهُ، من أيْن لَكَ هَذَا الغناء؟ قَالَ: نَشَأت وأنا غلامٌ حدثٌ أَتَّبع المُغنِّين، وآخُذُ عَنْهم، فَقَالتْ لي أُمِّي: يَا بني، إنَّ المُغنِّي إذَا كَانَ قبيحَ الوَجْه، لَمْ يُلْتفت إلىٰ غنائِهِ، فَدَعِ الغناءَ، وَاطْلب الفقهَ، فإنَّه لا يضرُّ مَعَه قبحُ الوَجْه، فَتَركتُ المُغنِّين، وَاتَّبعتُ الفُقَهاء، فَبلَغ اللهُ بي عَزَّوَجَلَّ ما تَرَىٰ، فقُلْتُ لَه: فأعد جُعِلْتُ فدَاءَك. قَالَ: لَا، وَلَا كَرامة، أتريدُ أنْ تَقُول أَخَذته عَنْ مَالك بن أَنَسٍ؟ وإذَا هُوَ مَالك بن أنسٍ، ولَمْ أَعْلم.

قَالَ صَاحبُ «النُّبذة»: وَمِلَاكُ القَوْل أنَّ عُمرَ بن عَبْد العَزيز نَشَأ في ظلَال هَذِهِ الأَريكَة الفنانة، وَسَمع بلَابلهَا المُغرِّدة، وأطْيَارها المَرنة، وَوَهَب اللهُ له حَنْجرةً مُوسيقيَّةً، فَشَدا وَلَحن وتَغنَّىٰ وترَنَّم.

هَذَا حَاصلُ مَا ذَكَره صَاحبُ «النُّبذة».

ونَقُول وبِاللهِ التَّوْفيقُ:

أَمَّا قَوْله: إنَّ أحدًا لا يُمَاري في أنَّ الغناءَ فنٌّ جميلٌ.

فَجَوابُهُ من وُجُوهٍ:

أحَدُها: أنْ يُقَالَ: إنَّ المُعَارضينَ لما ذكره أَكْثر من أنْ يُحْصيهم كتابٌ، وكلُّ مَنْ تَمسَّك بالكتَاب والسُّنَّة منذ عَصْر الصَّحَابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ إلَىٰ زَمَاننا هَذَا، فَإنَّه يُعَارض هَذَا القَوْل المَأْفون بالرَّدِّ والإنْكَار، وإمَام المُعَارضينَ لهَذَا القَوْل البَاطل رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقَدْ ثَبتَ عَنْه أنَّه نَهَىٰ عن المِزْمَار والغنَاء، وسَمَّاه الصَّوت الأَحْمَق الفَاجر، وأَخْبَر أنَّه صوتٌ ملعونٌ في الدُّنيا والآخرَة.

فأمَّا النَّهي عَنْه، وتَسْميته الصَّوت الأَحْمَق الفَاجر، فَرواه وَكيع بن الجَرَّاح عَن ابْن أَبي لَيْلىٰ، عَنْ عَطَاء، عَنْ جَابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَن النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**نهيتُ عَنْ صَوْتين فَاجرَيْن؛ صوتٍ عندَ مُصيبَة، خَمْش وَجْه، وَشَق جُيُوب، وصَوْت عندَ نِعْمَة، لَعب، ولَهْو، وَمَزَامير الشَّيْطان**»، إسنادُهُ حسنٌ.

وقَدْ رَوَاه أَبو دَاوُد الطَّيالسيُّ فِي «مُسْنده»(١)، فَقَالَ: حَدَّثنا أَبو عَوانةَ عَن ابْن أَبي لَيْلىٰ، عَنْ عَطَاء، عَنْ جَابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: خَرَج رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلَىٰ النَّخْل، وَمَعه عَبْد الرَّحمن بن عوف، فَانْتَهَىٰ إلَىٰ ابنِهِ إبْرَاهيم وهُوَ يَجُود بنفْسه، فَوَضع الصَّبيَّ فِي حِجْره، فَبكَت عَائشةُ، فَقَالَ له عَبْد الرَّحمن: أتَنْهَانا عَن البُكَاء؟!

---

(١) (٣/ ٢٦٢) (١٧٨٨).

قَالَ: «**لَمْ أَنْه عَن البُكَاء، إِنَّما نهيتُ عَنْ صَوْتين فَاجرَيْن، صَوْت مِزْمَارٍ عندَ نعمةٍ، مِزْمَار شَيْطان، وَلَعب وصَوْت عندَ رنَّة مُصيبَة شَق الجُيُوب، ورَنَّة شَيْطَان وإِنَّما هَذِهِ رَحْمةٌ**»، إسنادُهُ حسنٌ.

وَرَوَاه التِّرمذيُّ في «جامعِهِ»[١]، فقَالَ: حَدَّثنا عليُّ بن خشرم، أَخْبَرنا عِيسَىٰ بن يُونُس، عَن ابْن أَبي لَيْلَىٰ، عَنْ عَطَاء، عَنْ جَابر بن عَبْد الله رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قَالَ: أَخَذ النَّبيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بيَد عَبْد الرَّحْمَن بن عوفٍ، فَانْطَلَق به إِلَىٰ ابنِهِ إبْرَاهيم، فَوَجَده يَجُود بنفسِهِ، فأَخَذه النَّبيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فَوَضَعه في حِجْره، فَبكَىٰ، فقَالَ له عَبْد الرَّحْمن: أَتبْكي؟! أَوْ لَمْ تكنْ نَهَيت عن البُكَاء؟ قَالَ: «**لَا، وَلَكن نهيتُ عَنْ صَوْتين أَحْمَقين فَاجرَين؛ صَوْت عندَ مُصيبَةٍ، خَمْش وُجُوه، وَشَق جُيُوب، ورَنَّة شَيْطان**»، قَالَ التِّرمذيُّ: هَذَا حَديثٌ حَسنٌ. قَالَ: وفِي الحَدِيثِ كلامٌ أَكْثر من هَذَا.. يشير إِلَىٰ أَنَّه لَمْ يذكر بَاقي الحَديث، وهُوَ ما فِيهِ من ذِكْرِ اللَّهْو، واللَّعب، وَالمَزَامير عندَ النِّعْمَة.

وَقَدْ رَوَاه الحَاكمُ في «مُسْتدركِهِ»[٢] من طَريق إِسْرَائيلَ عَنْ مُحمَّد بن عَبْد الرَّحْمَن ابْن أَبي لَيْلَىٰ، عَنْ عَطَاء، عَنْ جابرٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عَنْ عَبْد الرَّحمن بن عوفٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: أَخَذ النَّبيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بيَدي، فَانْطَلقتُ مَعَه إِلَىٰ إبْرَاهيم ابنِهِ، وهو يَجُود بنفْسِهِ، فأَخَذه النَّبيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فِي حِجْره حَتَّىٰ خَرجَتْ نفسُهُ. قَالَ فَوَضَعه وَبكَىٰ، قَالَ: فقُلْت: تَبْكي يا رَسُولَ الله وأَنْتَ تَنْهىٰ عن البُكَاء. قَالَ: «**إِنِّي لَمْ أَنْه عن البُكَاء، وَلكنِّي نهيتُ عَن صَوْتين أَحْمَقَين فَاجرَين؛ صَوْت عندَ نِعْمَة لهوٍ ولعبٍ**

---

(١) (١٠٠٥)، وحسنه الألباني في «الصحيحة» (٢١٥٧).

(٢) (٤/ ٤٣) (٦٨٢٥).

وَمَزَامير الشَّيْطان، وصَوْت عندَ مُصيبَة لَطْم وُجُوه، وَشَق جُيُوب، وهَذِهِ رَحْمةٌ، ومَنْ لا يَرْحم لا يُرْحَم...» الحَديث.

قَالَ ابْن القيِّم رحمه الله تَعَالىٰ: «فَانْظُر إِلَىٰ هَذَا النَّهي المُؤكَّد بتَسْميته صَوْت الغنَاء صَوتًا أَحْمَق، ولَمْ يَقْتصر عَلَىٰ ذَلكَ حَتَّىٰ وَصَفه بالفُجُور، ولَمْ يَقْتصر عَلَىٰ ذَلكَ حَتَّىٰ سَمَّاه من مَزَامير الشَّيْطان، وقَدْ أقرَّ النَّبيُّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أبَا بكرٍ الصِّدِّيق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَىٰ تَسْمية الغنَاء مَزْمور الشَّيْطان في الحَدِيثِ الصَّحيح، فإِنَّ لَمْ يُسْتفد التَّحْريم من هَذَا، لَمْ نَسْتَفده من نَهْي أبدًا.

قَالَ: وَقَد اختلفَ في قَوْله: «**لَا تَفْعل**»، وقَوْله: «**نَهيت عَنْ كَذَا**»، أَيُّهما أبلغُ في التَّحْريم؛ لأنَّ «**لا تَفْعل**» يحتملُ النَّهي وغَيْره بخلاف الفِعْلِ الصَّريح، فكَيْف يَسْتَجيز العَارف إباحَةَ ما نَهَىٰ عنه رَسُولُ الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وسَمَّاه صوتًا أَحْمقَ فَاجرًا، ومَزْمور الشَّيْطان، وَجعَله والنِّياحة الَّتي لعن فَاعلهَا أَخوين، وأَخْرَج النَّهي عَنْهما مخرجًا وَاحدًا، وَوَصَفَهما بالحُمْق والفُجُور وصفًا وَاحدًا»[(١)]. انْتَهَىٰ.

ورَوَىٰ الإمامُ أَحْمد والبخاريُّ في «تاريخِهِ»[(٢)] بأسانيدَ جيدةٍ عن مُعَاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رَسُول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَىٰ عَنْ تسعٍ، وَذَكر مِنْها الغنَاء.

وأَمَّا لَعْنُ الغنَاء والمِزْمَار، فَرواه البَزَّارُ من حَدِيثِ أَنَس بن مالكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ:

---

(١) «إغاثة اللهفان» (١/ ٢٥٤).

(٢) (٧/ ٢٣٤)، أما رواية أحمد فهي بلفظ: «خطب الناس معاوية بحمص فذكر في خطبته: أن رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حرَّم سبعة أشياء، وأني أبلغكم ذلك وأنهاكم عنه: منهن النوح، والشعر، والتصاوير، والتبرج، وجلود السباع، والذهب، والحرير»، وضعفه الألباني في «الضعيفة» (٤٧٢٥).

قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**صَوْتان مَلْعونان فِي الدُّنيا والآخرة: مِزْمار عندَ نِعْمَة، ورَنَّة عندَ مُصيبةٍ**»(١).

قَالَ المُنْذريُّ والهَيْثميُّ: رواتُهُ ثقاتٌ.

وقَدْ رَوَاه الحافظُ الضِّياء المقدسيُّ في كتابِهِ «المُخْتارة»(٢)، وهو ما اخْتَاره من الأَحَاديث الجِيَادِ الزَّائدة عَلَىٰ ما في «الصَّحيحَيْن».

قَالَ شَيْخُ الإسْلَام أبو العَبَّاس ابْن تَيْمية رحمه الله تَعالَىٰ: «وهو أَعْلَىٰ مَرْتبة من تَصْحيح الحَاكم، وهُوَ قريبٌ من تَصْحيح التِّرمذيِّ وَأَبي حَاتم البستي، ونَحْوهما، فإنَّ الغلطَ فِي هَذَا قليلٌ، ليسَ هُوَ مثل تَصْحيح الحَاكم»(٣). انْتهَىٰ.

قَالَ القُرْطبيُّ وغيرُهُ: فِي هَذَا الحَدِيثِ دِلَالةٌ عَلَىٰ تَحْريم الغنَاء، فإنَّ المزمارَ هُوَ نَفْس صَوْت الإنْسَان، يُسمَّىٰ مِزْمارًا كَمَا في قَوْله: «**لقَدْ أُوتيتَ مزمارًا من مَزَامير آل داود**»(٤).

قُلْتُ: المِزْمارُ يُطْلق ويُرَاد به الصَّوْت الحَسَن كَمَا في قَوْله: «**لقَدْ أُوتيتَ مزمارًا من مَزَامير آل دَاوُد**»، ويُطْلق ويُرَاد به الغنَاء كَمَا في «الصَّحيحَيْن»، وغَيْرهما عَنْ عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: دَخل عليَّ النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعِنْدِي جاريَتان تُغنِّيان بغناءِ بُعَاث، فَاضْطَجع عَلَىٰ الفِرَاشِ، وحَوَّل وَجْهه، وَدَخل أبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَانْتَهرني وقَالَ: مِزْمَار

(١) أخرجه البزار (٧٥١٣)، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣٥٢٧).

(٢) (٦/ ١٨٨) (٢٢٠٠).

(٣) «الرد علىٰ الإخنائي» (١٠٤).

(٤) أخرجه البخاري (٥٠٤٨)، ومسلم (٧٩٣) من حديث أبي موسىٰ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الشَّيْطان عندَ النَّبيِّ صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ... الحَديث(١).

ويُطْلق ويُرَاد به الآلَة الَّتي يزمرُ بِهَا كَمَا سَيَأتي في حَدِيثِ ابْن عُمَر رَضِوَاللَّهُعَنْهُمَا فِي زمارة الرَّاعي. وكذَلكَ كلُّ مَا له نغمةٌ وصوتٌ مطربٌ كالجَرَس؛ لحَدِيثِ أبي هُرَيرة رَضِوَاللَّهُعَنْهُ مَرْفوعًا: «**الجرسُ مَزَامير الشَّيْطان**»(٢)، وكذَلكَ الدُّفُّ وَسَائر آلاتِ اللَّهْو والطَّرب، فكُلُّها من مَزَامير الشَّيْطان، وكَمَا أنَّ اللَّعن يَتناول صَوْتَ آلاتِ اللَّهو، وصَوْتَ الغنَاء، فكذَلكَ التَّحْريمُ شَاملٌ لهُمَا، واللهُ أَعْلَم.

وقَدْ ذَكَرتُ أَقْوالَ الصَّحَابة والتَّابِعِين وَتَابعيهم في ذَمِّ الغنَاء، والمَنْع عنه في كِتَابي «فَصْل الخطَاب في الرَّدِّ عَلَىٰ أَبي تُرَابٍ»، فَلْتُراجع هُنَاك.

وَذَكرتُ أيضًا أقْوَالَ الأَئمَّة الأَرْبعَة: مَالك، وَأَبي حَنيفَة، والشَّافعي، وأَحْمَد في ذَلكَ، وَمَا حَكَاه غيرُ واحدٍ من الإجْمَاع عَلَىٰ تَحْريم الغنَاء، والمَنْع منه، وفِي ذَلكَ ردٌّ لقَوْل صَاحب «النُّبْذة»: إنَّ أحدًا لَا يُمَاري في أنَّ الغناءَ فنٌّ جميلٌ.

الوَجْه الثَّانِي أنْ يُقَالَ: كيفَ يَكُونُ الغناءُ فنًّا جميلًا، والنَّبيُّ صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قَدْ نَهَىٰ عنهن وسَمَّاه الصَّوت الأَحْمَق الفَاجر، وأَخْبر أنَّه صوتٌ ملعونٌ في الدُّنيا والآخرة.

لَا شكَّ أنَّ القولَ بهَذَا مُحَادة لله تَعَالىٰ، ولرَسُولِهِ صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فإنَّ الصَّوتَ الأَحْمَق الفَاجر لا يَكُونُ جَميلًا، وإنَّما يَكُونُ قَبيحًا، وكذَلكَ المَلْعون في الدُّنيا والآخرَة لَا يَكُون جَميلًا، وإنَّما يَكُون من القَبَائح.

---

(١) أخرجه البخاري (٩٤٩)، ومسلم (٨٩٢).

(٢) أخرجه مسلم (٢١١٤).

الوَجْه الثَّالث: أنَّ الغناءَ صوتُ الشَّيْطان ومِزْمَاره، والشَّيْطان أَقْبَح من كلِّ قبيحٍ، وأفعالُهُ أَقْبَح الأفْعَال، فالغناءُ -إذًا- فنٌّ قبيحٌ بلا شكٍّ.

الوَجْه الرَّابع: إنَّ اللهَ تَعَالىٰ قَالَ في صفَة رَسُولِهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، وَقَد ثَبتَ عن النَّبيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّه نَهَىٰ عن الغناء والمَزَامير.

وَأَخْبَر صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّه يَكُون في أُمَّته أَقْوَامٌ يَستحلُّون المعازفَ، والنَّبيُّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إنَّما كَانَ يَنْهىٰ عن مَسَاوئ الأَخْلَاق ومَذامِّها، لَا عن مَحَاسنها، والجَميل مِنْهَا.

وعَلَىٰ هَذَا، فالغناءُ فنٌّ قبيحٌ خبيثٌ؛ لأنَّ النَّبيَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ نَهَىٰ عَنه، وحَرَّمه.

الوَجْه الخَامس: أنَّ اللهَ تَعَالىٰ ذمَّ الغناءَ في آيَاتٍ من كتابِهِ، وما ذَمَّه اللهُ تَعالىٰ، فهُوَ قبيحٌ بلا شكٍّ.

الآيةُ الأُولَىٰ قَوْله تَعَالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ﴾ [لقمان: ٦]، الآية. قَالَ ابْنُ مَسْعودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: هُوَ -واللهِ- الغناءُ.

وفِي رِوَايةٍ عَنْه: هُوَ الغناءُ واللهِ الَّذي لَا إِلَه إلَّا هو. يُردِّدها ثلاثَ مَرَّات. رَوَاه ابْن أَبي شيبةَ وابْن جَريرٍ، والحَاكم بأَسَانيد صَحيحَةٍ(١).

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (٦/ ٣٠٩) (٢١٥٣٧)، وابن جرير (٢٠/ ١٢٧)، والحاكم (٢/ ٤٤٥) (٣٥٤٢).

وكذا قَالَ جَابر بن عَبْد الله، وابْن عبَّاس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، ومُجَاهد وعِكْرمة والحَسَن وسَعيد بن جُبَير وقَتَادة وإبْرَاهيم النَّخَعي وَحَبيب بن أبي ثَابتٍ ومَكْحول وعَمْرو بن شُعَيب، وعليُّ بن بَذِيمَةَ؛ أنَّ لَهْو الحَدِيثِ: هُوَ الغناءُ.

الآيةُ الثَّانية قَوْله تَعَالَىٰ: ﴿وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ﴾ [الإسراء: ٦٤]، قَالَ مجاهدٌ: صَوْته الغنَاء وَالبَاطل.. رَوَاه ابْن أبي حَاتم بإسنادٍ حسنٍ. وفِي روايةٍ عَنْه قَالَ: صوتُهُ هُوَ المَزَامير.. رَوَاه ابْن أَبي حَاتم[1] بِإسنادٍ صحيحٍ. وفِي روايةٍ عَنْه قَالَ: هُوَ الغناءُ والمزاميرُ.. رَوَاه ابْن الجَوزي[2] بإسنادٍ حسنٍ. وعَنْه أنَّه قَالَ: هو اللَّهو والغنَاء.. رَوَاه ابنُ جريرٍ[3] بإسنادٍ حسنٍ.

الآيةُ الثَّالثةُ: قَوْله تَعالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغْوِ مَرُّواْ كِرَامًا﴾ [الفرقان: ٧٢]. قَالَ مُحمَّد بن الحنفيَّة: الزُّور: اللَّهو والغنَاء. وقَالَ مجاهدٌ في قَوْله: ﴿لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ﴾ قَالَ: لا يَسْمَعون الغناءَ. وقَالَ ثَعْلب: الزُّور هنا مَجَالس اللَّهو. وقَالَ الزَّجَّاج: قيلَ: الزُّور ههنا مجالسُ الغنَاء.

ورَوَىٰ ابنُ جَرير وَابن أَبي حَاتمٍ عَنْ إبْرَاهيم بن مَيْسرة أنَّ ابْنَ مَسْعودٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ مَرَّ بلَهْو، فلَمْ يَقِفْ، فقَالَ رَسُولُ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**لقَدْ أصبحَ ابْن مَسْعود، وأَمْسَىٰ كريمًا**»، ثمَّ تَلَا إبْرَاهيم بن مَيْسرة: ﴿وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغْوِ مَرُّواْ كِرَامًا﴾[4].

---

(١) في «تفسيره» (١٣٣٣٥).

(٢) في «تلبيس إبليس» (١/ ٢٠٧).

(٣) في «تفسيره» (١٤/ ٦٥٧).

(٤) رواه الطبري بنحوه في «تفسيره» (١٧/ ٥٢٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٥٤٦٤)، بإسناد ضعيف؛ للانقطاع بين إبراهيم بن ميسرة الطائفي وعبد الله بن مسعود.

الآيَة الرَّابعةُ: قَوْله تَعَالىٰ: ﴿أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ۝٥٩ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ۝٦٠ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ﴾ [النجم: ٥٩ - ٦١].

قَالَ الجوهريُّ: السُّمُود: اللَّهوُ، والسَّامدُ اللَّاهي والمغنِّي. يُقَال للقينَة: أَسْمِدِينا، أي: أَلْهينا بالغنَاء وغَنِّينا.

وقَالَ ابْنُ مَنْظور في «لِسَانِ العَرَب»[1]: سَمَد سُمُودًا: لَهَىٰ، وَسَمده أَلْهَاه، وَسَمد سُمُودًا غنَّىٰ. قَالَ ثعلبٌ: وَهي قليلةٌ. وقَوْله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ﴾ فُسِّر باللَّهو، وفُسِّر بالغنَاء، ويقَال للقينَة: أَسْمدينا أي: أَلْهينا بالغنَاء، انْتهَىٰ.

وَروىٰ ابْنُ أَبي الدُّنيا[2]، وَأَبو الفَرَج ابْن الجَوزيِّ[3] من طَرِيقِهِ عَنْ عِكْرِمَةَ، عَن ابْن عَبَّاسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا ﴿وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ﴾ قَالَ: هو الغنَاء بالحِمْيريَّة. يقَال: أَسْمدي لنا، أي: غَنِّي لنَا. قَالَ أبو الفَرَج، وقَالَ مُجَاهدٌ: هُوَ الغناءُ، يَقُول أَهْلُ اليَمَن: سَمد فلانٌ إذا غنَّىٰ، وَكَذا حَكىٰ أبو العبَّاس القرطبيُّ عَنْ مُجَاهد أَنَّه قَالَ: هو الغناءُ بلُغَة أَهْل اليَمَن.

وقَالَ أَبُو زبيدٍ:

وكأَنَّ العزيفَ[4] فيهَا غنَاء ... للندامىٰ[5] من شارب مسمود

---

(١) (٣/ ٢١٩).

(٢) في «ذم الملاهي» (ص٤٢) رقم (٣٣).

(٣) في «تلبيس إبليس» (١/ ٢٠٧).

(٤) العزيف: يقال: إنه صوت الجن.

(٥) ندامىٰ: جمع؛ من مفرداته: ندمان، وهو: المؤانس في مجلس الشراب.

قَالَ أَبُو عُبَيدة: المَسْمود الَّذي غنِّي لَه. وقَالَ عِكْرِمةُ: كَانوا إذَا سَمعوا القرآنَ، تَغنَّوا فَنزلَتْ هَذِهِ الآية.

وإذَا كَانَ الغناءُ بهَذِهِ المثابة من الذَّمِّ، فهو فنٌّ قبيحٌ، وليسَ بجميلٍ.

الوَجْه السَّادس: أنَّ الغناءَ يُنْبت النفاقَ في القَلْب.. قَالَه ابنُ مَسْعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وإبْرَاهيم النَّخَعي، وعُمَر بن عَبْد العَزيز ومَكْحول والإمَام أَحْمَد. ومَا كَانَ منبتًا للنِّفَاق فهُوَ فنٌّ قبيحٌ.

الوَجْه الثَّامن: أَنَّ الغنَاء مَسْخطة للرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.. قَالَه الضَّحَّاك، كَانَ مفسدًا للقَلْب فهُوَ فنٌّ قبيحٌ.

الوَجْه الثَّانِي من الغنَاء مَسْخطة للرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.. قَالَه الضَّحَّاك وعُمَر بن عَبْد العَزيز، وإنَّما كَانَ مسخطةً للرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ؛ لأنَّه يصدُّ عن ذِكْرِه وطَاعَته، ومَا كَانَ مَسْخطة للرَّبِّ فهُوَ مرضاةٌ للشَّيطان، وذَلكَ قبيحٌ عَلَىٰ كلِّ حالٍ.

الوَجْه التَّاسع: أنَّ الغناءَ رُقْية الزِّنا. وقَدْ ذَكَر القَاضي مُحمَّد بن المظفَّر الشَّامي الشَّافعي عَن ابْن مَسْعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّه قَالَ: الغناءُ خُطْبة الزِّنا.

وَذَكر ابْنُ القيِّم -رَحمَهُ الله تَعالىٰ- عَنْه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **أنَّه قَالَ**: الغناءُ رُقْية الزِّنا[(١)].

وقَالَ ابْنُ أبي الدُّنيا: أَخْبرَنا الحُسَين بن عبد الرَّحمن قَالَ: قَالَ فُضَيل بن عياضٍ: الغناءُ رُقْية الزِّنا[(٢)].

---

(١) «إغاثة اللهفان» (١/ ٢٤٠).

(٢) «ذم الملاهي» (ص٥٥).

وقَالَ ابْنُ أَبِي الدُّنيا أيضًا: أَخْبَرَنِي مُحمَّد بن الفَضْل الأزديّ قَالَ: نَزَلَ الحطيئة برجلٍ من العَرَب ومَعَه ابنتُهُ مُليكةُ، فلَمَّا جنَّه اللَّيلُ سمعَ غناءً فقَالَ لصاحبِ المَنْزل: كفَّ هَذَا عنِّي. فقَالَ: وما تكْره من ذَلكَ؟ فقَالَ: إنَّ الغناءَ رائدٌ من رادة الفُجُور، ولا أحبُّ أنْ تَسْمعه هَذِهِ؛ يَعْني ابْنَته، فإنْ كَفَفته وإلَّا خَرجتُ عَنْك(١).

وقَالَ ابْنُ أَبِي الدُّنيا أيضًا: أَخْبرنا الحُسَين بن عَبْد الرَّحمن قَالَ: قَالَ أَبُو عُبَيدة مَعْمر بن المُثنَّىٰ: جَاوَر الحُطَيْئَة قومًا من بني كلب، فَمَشَىٰ ذُو النُّهي منهم بَعْضهم إِلَىٰ بعضٍ وَقَالوا: يا قومُ، إنَّكم قَدْ رُميتُمْ بداهية هَذَا الرَّجل شَاعر، والشَّاعر يظنُّ فيحقق وَلَا يَسْتأني فيَتثبَّت، وَلا يأخُذُ الفَضْل فيَعْفو فَأْتوه وهُوَ في فناء خبائِهِ، فَقَالوا: يا أبَا مليكة، إنَّه قَدْ عَظم حَقُّك علَينا بتَخطِّيك القَبَائل إلَيْنا وقَد أَتَيْناك لنَسْألك عمَّا تحبُّ فنَأْتيه وعمَّا تكْره فنَزْدجر عَنْه، فقَالَ: جَنِّبوني نَدي مَجْلسكم، وَلَا تُسْمعوني أغَاني شَبيبتِكُمْ، فإنَّ الغناءَ رُقْية الزِّنا(٢).

قَالَ ابْنُ القيِّم رحمه الله تعالىٰ: فإِذَا كَانَ هَذَا الشَّاعر المَفْتون اللِّسان الَّذي هَابَت العَربُ هِجَاءَه خافَ عَاقبةَ الغنَاء، وأنْ تَصلَ رُقْيته إِلَىٰ حُرْمته، فَما الظَّنُّ بغَيْره.

ولَا ريبَ أنَّ كلَّ غيورٍ يجنِّب أَهْله سماعَ الغنَاء كَمَا يُجنِّبهنَّ أَسْبابَ الرِّيب. ومن طَرَّق أَهْله إِلَىٰ سَمَاع رُقْية الزِّنا، فهُوَ أَعْلم بالإثم الَّذي يستحقُّه(٣). انْتهَىٰ.

---

(١) «ذم الملاهي» (ص٥٢).

(٢) «ذم الملاهي» (ص٥٦).

(٣) «إغاثة اللهفان» (١/ ٢٤٦).

وذَكَر ابْن أَبِي الدُّنيا، وأَبُو الفَرَج ابْن الجوزيِّ عَنْ خَالد بن عَبْد الرَّحمن قَالَ: كُنَّا فِي عَسْكر سُلَيمان بن عَبْد المَلك، فَسَمع غناءً من اللَّيل، فأرسلَ إِلَيْهم بكرةً، فَجيء بِهِمْ إلَيْه، فقَالَ: إنَّ الفَرَسَ لَيَصهل فتَسْتودق له الرَّمَكَةُ[١]، وإنَّ الفحلَ لَيَهْدر فَتضبَع لَه النَّاقة، وإنَّ التَّيس لينبَّ فتَسْتحرِمُ لَه العَنَز، وإنَّ الرَّجل ليَتغنَّىٰ فتَشْتاق إلَيْه المَرْأة، ثمَّ قَالَ: اخْصُوهم. فقَالَ عمرُ بن عبد العزيز: هَٰذِهِ المُثْلة، ولا تحلُّ، فخلِّ سَبيلهم. قَالَ: فَخلَّىٰ سَبيلَهم[٢].

وَرَوىٰ أَبُو الفرج أيضًا بإسنادِهِ عَنْ معن بن عبد الرَّحمن بن أَبِي الزِّناد عن أَبِيهِ قَالَ: كَانَ سُلَيمان بن عَبْد المَلك في باديةٍ له، فَسمر ليلةً عَلَىٰ ظهر سَطْح، ثمَّ تَفرَّق عنه جُلَساؤه فَدَعا بوضوءٍ فَجَاءتْ به جاريةٌ له، فبَيْنما هي تصبُّ عَلَيه، إذْ استمدَّها بيدِهِ، وأَشَار إليها فإِذَا هي ساهيةٌ مصغيةٌ بسَمْعها، مائلةٌ بجَسَدها كلِّه إِلَىٰ صوتِ غناء تَسْمعه في نَاحيَة العَسْكر، فأَمَرها فتنحَّت واسْتَمَع هو الصَّوت، فإِذَا صوتُ رجلٍ يغنِّي فأَنْصَت له حَتَّىٰ فَهم ما يُغنِّي به من الشِّعر، ثمَّ دَعَا جاريةً من جَواريه غَيْرها، فتَوضَّأ فلمَّا أَصْبَح أذن للنَّاس إذنًا عامًّا، فلمَّا أَخذوا مَجالسهم، أَجْرىٰ ذِكْر الغنَاء، ومَنْ كَانَ يسمعُهُ، وَلين فِيهِ حَتَّىٰ ظنَّ القَوْم أنَّه يَشْتهيه، فأَفَاضوا فِي التَّليين والتَّحليل والتَّسهيل فقَالَ: هَل بَقي أحدٌ يَسْمع منه، فَقَامَ رجلٌ من القَوْم فقَالَ: يا أَمير المُؤْمنين، عندِي رَجُلان من أَهْل أيْلَة حَاذقَان.

قَالَ: وأيْن مَنْزلك من العَسْكر؟ فأَوْمأ إِلَىٰ النَّاحية الَّتي كَانَ الغناءُ مِنْها، فقَالَ

---

(١) الرَّمَكَة: الفَرَسُ والبِرْذَونة تُتَّخذُ للنَّسل، وَالجمع: رَمَك، وأَرماك.

(٢) «ذم الملاهي» (ص٥٢).

سُلَيمان: يَبْعث إلَيْهما، فَوَجد الرَّسولُ أَحَدهما فأَقْبل به حَتَّىٰ أَدْخَله عَلَىٰ سُلَيمان، فقَالَ له: ما اسْمُك؟ قَالَ: سَميرٌ، فَسَأله عن الغنَاء كيفَ هُوَ فيه، فقَالَ: حاذقٌ محكمٌ. قَالَ: وَمَتىٰ عَهْدك به؟ قَالَ: في لَيْلتي هَذِهِ المَاضية. قَالَ: وفي أيِّ نَوَاحي العَسْكر كنتَ؟ فَذَكر له النَّاحية الَّتي سمعَ مِنْها الصَّوت. قَالَ: فَمَا غنيتَ؟ فَذَكر الشِّعر الَّذي سَمعَه سُلَيمان، فأَقْبل سُلَيمان، فقَالَ: هَدَر الجملُ، فَضَبعَت النَّاقةُ، وَنَب التَّيسُ، فَشَكرت الشَّاةُ، وَهَدل الحَمامُ، فَزَافت الحَمَامة، وغَنَّىٰ الرَّجلُ، فَطَربت المرأَةُ، ثمَّ أمرَ به فَخُصي.

وَسَأل عَن الغنَاء، أين أصلُهُ، وأَكْثر ما يَكُون، قالوا: بالمَدينَة، وهُوَ في المُخَنَّثين، وهُم الحُذَّاق به، والأئمَّة فيه، فكَتَب إلَىٰ عاملِهِ عَلَىٰ المَدينة، وهُوَ أبو بكر بن مُحمَّد بن حزم أنَّ أَخْص مَن قِبلَكَ من المُخنَّثين المُغنِّين[١].

وقَالَ ابْن أَبِي الدُّنيا: حَدَّثني إبْراهيمُ بن مُحمَّد المروزي عن أَبِي عُثْمان اللَّيثي قَالَ: قَالَ يزيدُ بن الوَليد النَّاقص: يا بني أميَّة، إيَّاكم والغنَاء، فإنَّه ينقصُ الحياءَ، ويَزيد في الشَّهوة، ويَهْدم المُرُوءة، وإنَّه لينوبُ عن الخَمْر، ويفْعل ما يَفْعل المُسْكر، فإنْ كُنْتم لا بُدَّ فَاعِلِين، فَجنِّبوه النِّساء، فإنَّ الغناءَ داعيةُ الزِّنا[٢].

قَالَ الحَافظُ أَبو الفَرَج ابْن الجَوزيِّ[٣]: اعْلَم أنَّ سماعَ الغنَاء يَجْمع شَيْئين:

أَحَدُهما: أنَّه يُلْهي القلبَ عَن التَّفكُّر في عَظَمة الله سبحانه، والقيَام بخدمتِهِ.

---

(١) «تلبيس إبليس» (١/ ٢١٠).

(٢) «ذم الملاهي» (٥١).

(٣) في «تلبيس إبليس» (١/ ١٩٨).

والثاني: أَنَّه يميلُهُ إِلَىٰ اللَّذَّات العاجلَة، ويَدْعو إِلَىٰ استيفائها من جَميع الشَّهَوات الحسِّيَّة، ومُعْظمها النِّكاح، وليسَ تَمَام لذَّته إلَّا في المُتجدِّدات، وَلَا سبيلَ إِلَىٰ كَثْرة المُتجدِّدات من الحلِّ، فلذَلكَ يحثُّ عَلَىٰ الزِّنا. فبَيْن الغناءِ والزِّنا تناسبٌ من جِهَةِ أنَّ الغناءَ لَذَّة الرُّوح، والزِّنا أكبر لَذَّات النَّفس، ولهَذَا جاءَ في الحَديث: «**الغنَاءُ رُقْية الزِّنا**»[١].

وَقَالَ ابْنُ القيِّم رَحِمهُ اللهُ تَعَالىٰ: «من الأَمْر المَعْلوم عندَ القَوْم أنَّ المرأةَ إِذَا اسْتَعْصت عَلَىٰ الرَّجل اجْتهَد أنَّ يسمعها صَوْت الغنَاء، فحينئذٍ تُعْطي الليان، وهَذَا لأَنَّ المرأةَ سَريعة الانْفعَال للأَصْوات جدًّا، فإِذَا كَانَ الصَّوت بالغنَاء، صَارَ انْفعالُهَا من وَجْهين؛ مِنْ جهَة الصَّوت، ومن جِهَةِ مَعْناه -إِلَىٰ أنَّ قَالَ- فلَعمر الله، كَمْ من حُرَّة صارَتْ بالغنَاء من البَغَايا. وكَمْ من حرٍّ أَصْبح به عبدًا للصِّبيان أو الصَّبايا. وكَمْ من غيورٍ تبدَّل اسمًا قبيحًا بَيْن البَرايا»[٢].

وقَالَ أيضًا: ليسَ عَلَىٰ النَّاس أضرَّ من سَمَاع المُكَاء والتَّصدية والمَعَازف، ولا أَفْسَد لعُقُولهم وقُلُوبهم وأَدْيَانهم وأَمْوَالهم وأَوْلَادهم وحَريمهم منه.

وقَالَ أيضًا: وقَدْ شَاهد النَّاسُ أَنَّه ما عَانَاه صبيٌّ إلَّا فسدَ، وَلا امرأة إلَّا وبغَت، وَلَا شَاب إلَّا وإِلَّا. ولا شَيْخ إلَّا وإلَّا، والعيان من ذَلكَ يُغْني عن البُرْهان.

وقَالَ شيخُ الإِسْلَام أَبُو العباس ابْن تَيْمية رَحِمهُ اللهُ تَعَالىٰ: الغناءُ رُقْية الزِّنا، وهو

(١) قال الإمام النووي رحمه الله في «شرح مسلم»: «هو من أمثالهم المشهورة»، وعزاه الغزالي في «الإحياء» للفضيل بن عياض.

(٢) «إغاثة اللهفان» (١/ ٢٤٧).

من أعْظَم الأَسْبَاب لوُقُوع الفَوَاحش، ويَكُون الرَّجل والصَّبي والمَرْأة في غايَة العفَّة والحريَّة حَتَّىٰ يَحْضره فَتنْحَل نَفْسه، وتَسْهل عَلَيه الفَاحشةُ، ويَميل لَهَا فَاعلًا، أَوْ مَفْعولًا به، أَو كلَاهُمَا كَمَا يَحْصل بَيْن شَاربي الخَمْر، وأَكْثَر[1]. انْتَهَىٰ.

وممَّا ذَكَرنا يَعْلم أنَّ الغناءَ فنٌّ قبيحٌ؛ لأنَّ الزِّنا من أَقْبح الأشْيَاء، وَمَا كَانَ رُقْية للفُجُور، وَداعيًا إلَيْه، فهُوَ قبيحٌ مثله. ومَنْ قَالَ: إنَّه فنٌّ جميلٌ، فقَدْ عَكَس القضيَّة، وقَلْب الحَقيقَة.

الوَجْه العاشر: أنَّ الغناءَ صِنْو[2] الخَمْر في الصَّدِّ عن ذِكْرِ الله، وعن الصَّلاة. وقَدْ شَاهَدنا وشَاهَد غَيْرنا ثقلَ الصَّلاة عَلَىٰ المَفْتونين بالغِنَاءِ والمَعَازِف، وَتَهاونهم بها، وَلَا سيَّما صَلَاة العشَاء، وَصلاة الفَجْر.

وَمَا كَانَ فيه صدٌّ عن ذِكْرِ الله، وَعَن الصَّلَاة، فهُوَ فنٌّ قبيحٌ عَلَىٰ كلِّ حالٍ.

الوَجْه الحَادي عشر: أَنَّ الغِنَاءَ مجلبةٌ للشَّيَاطين، وَمَا كَانَ كذَلكَ، فهُوَ مَطْردةٌ للمَلَائكة؛ لأَنَّ المَلَائكةَ والشَّياطين ضدَّان فلا يَجْتَمعان.

وقَدْ رَوَىٰ البغويُّ في «تَفْسيره»[3] عَن أَبِي أُمَامة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ مَرْفوعًا: «**ما مِنْ رَجُلٍ يرفع صَوْته بالغِنَاء إلَّا بعثَ اللهُ عَلَيه شَيْطانين، أَحَدهما عَلَىٰ هَذَا المَنْكب، والآخَر عَلَىٰ هَذَا المَنْكب، فَلا يَزَالان يَضْربانه بأَرْجلهما حَتَّىٰ يَكُون هو الَّذي يَسْكت**».

وَرَواه الحافظُ أَبُو الفَرج ابْن الجوزيِّ، ولفظُهُ: «**مَا من رجلٍ يَرْفع عَقيرَة صَوْته**

(١) «مجموع الفتاوىٰ» (١٠/ ٤١٨).

(٢) الصِّنْو: المِثْل.

(٣) (٦/ ٢٨٤)، وفيه علي بن يزيد الألهاني، وهو ضعيف.

بالغِنَاء إلَّا بَعَثَ اللهُ له شَيْطانين يَرْتدفانه، أَعْني هَذَا من ذَا الجَانب، وهَذَا من ذَا الجَانب وَلَا يَزَالان يَضْربَانه بأَرْجلهما فِي صَدْره حَتَّىٰ يَكُون هُوَ الَّذي يَسْكت»(١).

وَرَوَىٰ الطَّبرانيُّ عَن عُقْبة بن عامرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«مَا من رَاكبٍ يَخْلو في مَسيره بالله، وَذِكْرِه، إلَّا رَدفه ملكٌ، وَلَا يَخْلو بشعرٍ ونَحْوه إلَّا كَانَ رَدفه شَيْطان»**(٢).

قَالَ المُنْذريُّ والهيثميُّ: إسْنَادُهُ حسنٌ.

وَذَكر ابْن الجَوزيِّ، وَابْن رَجب عَن ابْن مَسْعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّه قَالَ: «إِذَا ركبَ الإنْسَان الدَّابَّة، ولَمْ يسمِّ ردفه الشَّيْطَان، وقَالَ له: تَغنَّه، فإنْ لَمْ يُحْسن الغِنَاء قَالَ: تمنَّه». وإذَا كَانَ الغِنَاءُ جالبًا للشَّيَاطين، ومُبْعدًا للمَلَائكة، فلا شكَّ أَنَّه فنٌّ قبيحٌ.

الوَجْه الثَّاني عَشَر: أَنَّ الغِنَاءَ سببٌ لأَنْوَاع العُقُوبات في الدُّنيا والآخرة، قَالَ اللهُ تَعَالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝٦ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَـٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [لقمان: ٦، ٧].

وقَدْ تَقدَّم قَوْل ابْن مَسْعود، وَابْن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وَجَماعة من التَّابعين أَنَّ لهوَ الحَديث هو الغِنَاء. وقَدْ حَلف ابنُ مَسْعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَىٰ ذَلكَ، وكَرَّر الحلفَ ثَلَاث مرَّات، وهُوَ الصَّادقُ البارُّ في يمينِهِ، وقَدْ وَرَد الوعيدُ الشَّديدُ لأَهْل الغِنَاء والمَعَازِف في أَكْثَر من عشرينَ حَديثًا ذَكَرتها في كتابِي «فَصْل الخطَاب في الرَّدِّ عَلَىٰ أَبِي تراب»،

---

(١) رواه ابن الجوزي في «تلبيس إبليس» (١/ ٢٠٧)، بإسناد ضعيف.

(٢) أخرجه الطبراني (١٧/ ٣٢٤) (٨٩٥)، وقال الألباني في «الضعيفة» (٦٦٨٨): منكر.

فلتُراجع هُنَاك، وفي أَكْثَرِها الوَعيد لهُمْ، ولشَاربي الخَمْر بالخَسْف والقَذْف والمَسْخ، وما كَانَ الأَمْر فيه هَكَذا، فهُوَ من الفُنُون القَبيحَة.

الوَجْه الثَّالث عَشَر: أنَّ الغِنَاء يُغيِّر العقلَ، ويُنْقص الحياءَ، ويَهْدم المروءةَ، ولهَذَا يَرْقص أهلُهُ كَمَا تَرْقص القرودُ والدبابُ، ويَتمَايلون كَمَا يَتمَايل المَجَانين والسكَارىٰ، ويُصفِّقون كَمَا تُصفِّق النِّساء، ولا يَرون بهَذِهِ الرُّعُونات بأسًا. ومَنْ له أدْنَىٰ عقلٍ لَا يَخْفىٰ عَلَيه قبحُ هَذِهِ الأفْعَال، ومُضَادتها للعَقْل، وللحَيَاء، والمُرُوءة، فالغِنَاءُ إِذًا فنٌّ قبيحٌ.

قَالَ الحافظُ أَبُو الفَرَج ابْن الجوزيِّ رَحِمهُ اللهُ تَعَالىٰ: «الغِنَاءُ يُخْرج الإنْسَان عن الاعْتدَال، ويُغيِّر العَقْل، وبَيَان هَذَا أنَّ الإنْسَان إِذَا طربَ، فعلَ ما يستقبحُهُ في حَال صحتِهِ من غَيْره من تَحْريك رأسِهِ، وتَصْفيق يَدَيه، وَدَق الأَرْض برِجْلَيه إِلَىٰ غَيْر ذَلكَ ممَّا يفعلُهُ أصحابُ العُقُول السَّخيفة، والغنَا يوجبُ ذَلكَ، بَلْ يُقَارب فِعْلُهُ فعلَ الخَمْر في تَغْطية العَقل، فيَنْبغي أن يقعَ المَنْعُ منه»(١). انْتهَىٰ.

الوَجْه الرَّابع عَشَر: أنَّ الغِنَاءَ من لَذَّات الفُسَّاق، كَمَا أنَّ الزِّنا وشُرْب الخَمْر من لَذَّاتهم أيضًا، فهَلْ يَقُول عَاقلٌ: إنَّ الزِّنا فنٌّ جميلٌ؛ لأنَّه لذيذٌ إِلَىٰ النَّفس، أوْ أنَّ شُرْبَ الخَمْر فنٌّ جميلٌ؛ لأنَّه لذيذٌ إِلَىٰ المَفْتونين بِهِ. كَلَّا، لَا يَقُول هَذَا عاقلٌ أبدًا، وكذَلكَ لا يَقُول عاقلٌ: إنَّ الغِنَاءَ فنٌّ جميلٌ من أَجْل الْتذَاذ الفُسَّاق به.

الوَجْه الخَامسَ عَشَر: أنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**إنَّ اللهَ جميلٌ يحبُّ الجَمَال**»، رَوَاه الإمامُ أحمدُ ومسلمٌ والتِّرمذيُّ من حديث عَبْد الله بن مسعودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ،

(١) «تلبيس إبليس» (١/ ٢١٠).

وقَالَ التِّرمذيُّ: هَذَا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ غريبٌ(١).

وهَذَا الحديثُ من أوْضَح الأدلَّة عَلَىٰ أنَّ الغِنَاءَ فنٌّ قبيحٌ؛ لأنَّه مَسْخطةٌ للرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، ومرضاةٌ للشَّيْطان، ولأنَّه صَوْتُ الشَّيْطَان ومزمارُهُ، فهَلْ يَقُول عَاقلٌ: إنَّ اللهَ تَعَالىٰ يحبُّ صَوْتَ الشَّيْطَان ومِزْمَاره، وإنَّه فنٌّ جميلٌ؟!

كَلَّا، لَا يَقُول هَذَا إلَّا مَنْ أعْمَىٰ الله بصيرتَهُ، فَصَار يرىٰ الباطلَ في صُورة الحَقِّ، والقبيحَ في صُورَة الحَسَن، وقَدْ قيلَ:

يُقْضىٰ عَلَىٰ المرء في أيام محنته ... حَتَّىٰ يرىٰ حَسنًا ما ليس بالحَسَن

وأبْلَغ من هَذَا قَوْلُ الله تَعَالىٰ: ﴿وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔاۚ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة: ٤١].

فصل

وأمَّا قَوْله: «يَتعشَّقه كلُّ إنْسَانٍ بفطرتِهِ، وَتَهيم به كلُّ نفسٍ بطبيعَتها».

فَجَوابُهُ من وجوهٍ:

إحداها: أنَّ يقَالَ: إنَّ الغِنَاءَ مزمارُ الشَّيْطَان وصَوْته، فَلَا يَتعشَّقه، وَتَهيم به نفسُهُ إلَّا من استفزَّه الشَّيْطَانُ، وَغلب عَلَيه كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالىٰ: ﴿ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ ﴾ [الإسراء: ٦٤].

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٣٩٩) (٣٧٨٩)، ومسلم (٩١)، والترمذي (١٩٩٩).

وقَدْ ثَبتَ عن مُجاهد أَنّه قَالَ: صوتُهُ هو الغِناءُ والمَزامير.

ومُجَاهد إنَّما تلقَّىٰ التَّفسيرَ عَنْ حَبْر الأمَّة، وتَرْجمان القُرْآن ابْن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، كَمَا قَالَ مُحمَّد بن إسْحَاق: حَدَّثنا أبان بن صَالح عن مُجَاهد قَالَ: عَرَضتُ المُصْحف عَلَىٰ ابْن عبَّاس ثَلَاث عَرضاتٍ، من فاتحتِهِ إِلَىٰ خاتمتِهِ، أوقفُهُ عند كلِّ آيةٍ منه، وأسألُهُ عَنْها[(١)].

وَرَوىٰ ابْن جريرٍ عَن أَبِي مليكَةَ قَالَ: رأيتُ مُجَاهدًا سأَلَ ابْن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنْ تَفْسير القُرْآن، وَمَعه ألواحُهُ، قَالَ: فيَقُول له ابْن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: اكْتُب حَتَّىٰ سَأَله عن التَّفْسير كلِّه[(٢)].

ولهَذَا، قَالَ سُفْيان الثَّوريُّ: إِذَا جَاءَكَ التَّفسيرُ عن مُجَاهد فحَسْبُك به.

الوَجْه الثَّانِي: أَنَّه لا يَتعشَّق الغِنَاءَ ويَسْتبيحه إلَّا الفُسَّاق. قَالَ الإمامُ أَحْمَد رحمه الله تَعالَىٰ: حَدَّثنا إسْحَاق ابْن عيسىٰ الطباع، قَالَ: سألتُ مالكَ بن أنسٍ عمَّا يترخَّص فيه أَهْل المَدينَة من الغِنَاءِ، فقَالَ: إنَّما يفعلُهُ عندنا الفُسَّاق[(٣)].

قَالَ الحَافظُ ابْنُ رَجَبٍ: وَكَذا قَالَ إبْرَاهيم بن المنذر الحزاميُّ، وهو من عُلَماء أَهْل المَدينَة المُعْتَبَرين[(٤)].

الوَجْه الثَّالث: أنَّ أَهْلَ التَّقوىٰ يَنْفرون من سَمَاع الغِنَاءِ والمَزَامير أَشَد النُّفرة،

---

(١) أخرجه الطبري في مقدمة «التفسير» رقم (١٠٨).

(٢) أخرجه الطبري في مقدمة «التفسير» رقم (١٠٧).

(٣) «تلبيس إبليس» لابن الجوزي (٢٠٤).

(٤) «فتح الباري» لابن رجب (٦/ ٨٣).

ويُبْغضونها غَايَة البُغْض، وقَدْ قَالَ اللهُ تَعالىٰ في نَعْتهم: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغْوِ مَرُّواْ كِرَامًا﴾ [الفرقان: ٧٢].

قَالَ مُحمَّد بن الحنفيَّة: الزُّور: اللَّهْو والغِنَاء. وقَالَ مُجَاهدٌ: لا يَسْمعون الغِنَاء. وقَالَ ثَعْلب: الزُّورُ ههنا مَجَالسُ اللَّهو. وقَالَ الزَّجَّاج: قيلَ: الزُّور ههنا مَجَالس الغِنَاءِ.

قَالَ ابْنُ القيِّم رَحِمهُ اللهُ تَعَالىٰ: والمَعْنىٰ لا يَحْضرون مَجَالس البَاطل، وإِذَا مرُّوا بكلِّ ما يُلْغي من قولٍ وعملٍ، أَكْرَموا أَنْفسهم أن يَقفُوا عَلَيه، أو يَميلُوا إِلَيْه، ويَدْخل في هَذَا أَعْيَاد المُشْركين كَمَا فَسَّرها به السَّلفُ، والغِنَاءُ وأَنْوَاع البَاطل كُلُّها. قَالَ: وتَأمَّل كَيْف قَالَ سُبْحانه: ﴿لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ﴾، ولَمْ يَقُل: بالزُّور؛ لأنَّ (يَشْهدون) بمعنىٰ (يَحْضرون)، فَمَدَحهم عَلَىٰ تَرْك حُضُور مَجَالس الزُّور، فكيفَ بالتَّكلُّم به وفِعْله، والغِنَاءُ من أعْظَم الزُّور[1]. انْتَهَىٰ.

وَرَوىٰ ابْنُ جريرٍ، وابْن أَبِي حَاتم عَنْ إبْرَاهيم بن ميْسرةَ أنَّ ابْنَ مَسْعودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مرَّ بلهوٍ، فلَمْ يَقِفْ، فقَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لقَدْ أَصْبَح ابنُ مسعودٍ، وأَمْسَىٰ كريمًا**»، ثمَّ تَلا إبْراهيمُ بن مَيْسرة ﴿وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغْوِ مَرُّواْ كِرَامًا﴾[2].

وقَدْ ثَبتَ عن النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّه سدَّ أُذُنيه لما سمعَ صَوْت الزمارة، وَعَدل رَاحلَته عن الطَّريق. قَالَ الإمامُ أَحْمدُ **رَحِمهُ اللهُ تَعَالىٰ**: حَدَّثنا الوليدُ، حَدَّثنا سَعيد بن

---

(١) «إغاثة اللهفان» (١/ ٢٤١).

(٢) رواه الطبري بنحوه في «تفسيره» (١٧/ ٥٢٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٥٤٦٤)، بإسناد ضعيف؛ للانقطاع بين إبراهيم بن ميسرة الطائفي وعبد الله بن مسعود.

عَبْد العَزيز، عَنْ سُلَيمان بن مُوسَىٰ، عَنْ نَافع مَوْلىٰ ابْن عُمَر أَنَّ ابْنَ عمرَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا سَمعَ صَوْت زمارةِ راعٍ، فَوَضع أُصْبُعيه في أُذُنيه، وَعَدل راحلتَهُ عن الطَّريق وهُوَ يَقُول: يَا نافعُ، أَتَسْمَع؟ فأَقُول: نَعمْ، فيَمْضي حَتَّىٰ قلتُ: لَا، فَوَضع يَدَيه، وأَعَاد راحلتَهُ إِلَىٰ الطَّريق، وقَالَ: رَأيتُ رَسُولَ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وَسَمع صَوْت زمارةِ راعٍ فَصَنع مثلَ هَذَا.. إسنادُهُ صحيحٌ(١).

وقَدْ رَوَاه أَبُو دَاود في «سُنَنه»(٢)، عن أَحْمَد بن عُبَيد الله الغداني، عَن الوَليد بن مُسْلم، فَذَكره بنحْوه، وبَوَّب عَلَيه بقَوْله: «بابُ كَرَاهية الغِنَاءِ والزَّمر»، وقَدْ رَوَاه ابنُ الجوزيِّ من طَرِيق الإِمَام أَحْمَد، ثمَّ قَالَ: إِذَا كَانَ هَذَا فِعْلهم في حقِّ صَوْتٍ لا يخرجُ عَنْ الاعْتدَال، فَكَيف بغِنَاءِ أَهْل الزَّمَان وزمورهم؟!(٣).

قُلْتُ: وأعْظَمُ من ذَلكَ ما فَشا في زَمَاننا من أَلْحَان الغِنَاء، وأَصْوَات المَعَازِف الَّتي تفعلُ في نَفْس مَنْ أَصْغَىٰ إِلَيْها نحوَ ما تفعلُ الخمرُ، فهَذِهِ أولىٰ بأن تسدَّ عَنْها المَسَامع، وأَنْ يبتعدَ عَنْ سَمَاعها غايةَ البُعْد، وما أَصْعَب ذَلكَ في زَمَاننا! فاللهُ المُسْتعان.

فصل

وأَمَّا قَوْله: «يَتُوق إليه الملكُ في قَصْره، ويَشْتاقه الصُّعلوكُ في كُوخِهِ».

فَجَوابُهُ من وَجْهين:

أَحَدُهُما: أَنْ يُقَال: ليسَ كلُّ المُلُوك يَتُوقون إِلَىٰ الغِنَاءِ، وَلَا كلُّ الصَّعَاليك

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٨) (٤٥٣٥)، وقال شعيب الأرنؤوط: حسن.

(٢) (٤٩٢٤)، وصححه الألباني في «تحريم آلات الطرب» (١١٦).

(٣) «تلبيس إبليس» (٢٠٧).

يَشْتَاقون إلَيْه، وإنَّما يَتُوق إلَيْه ويشتاقُهُ مَنْ قلَّ نصيبُهُ من التَّقْوىٰ من ملكٍ وصعلوكٍ، وغَيْرهما من سَائر أَصْنَاف النَّاس.

الوَجْه الثَّانِي: أنْ يُقَال: ليسَ كلُّ ما يَتُوق إلَيْه الملوكُ، ويشتاقُهُ غَيْرهم من النَّاس يَكُون مباحًا، بَلْ منه ما يَكُون مباحًا، ومنه ما يَكُون محرمًا؛ كالغِنَاءِ والمَزَامير، وغَيْرها من المُحرَّمات الَّتي يَشْتاق إلَيْها مَن اسْتَزلَّه الشَّيْطَانُ وأغْوَاه.

ولَيْسَت العِبْرة في حِلِّ الأشْيَاء أَوْ حُرْمتها بأهْوَاء النَّاس وَشَهَواتهم، وإنَّما العبرةُ في ذَلكَ بالكِتَابِ والسُّنَّة، فما شَهِدَا له بالحِلِّ فهُوَ حلالٌ، وما شَهِدَا لَه بالتَّحْريم فهُوَ حرامٌ، ولو تَاقَت إليه أنْفُس المُلُوك أو غَيْرهم من النَّاس. وقَدْ قامَ الدَّليلُ من الكِتَابِ والسُّنَّة عَلَىٰ تَحْريم الغِنَاءِ والمَزَامير، فَلَا يلتفتُ إلَىٰ ما خَالَفه من أهْوَاء النَّاس وَشَهَواتهم.

فصل

وأمَّا قَوْله: «وهُوَ غذاءُ الأَرْوَاح، وسَلْسَبيل القُلُوب، وَصِقَال النُّفُوس، ورَوْضة الأَذْهَان».

فَجَوابُهُ أنْ يُقَالَ: هَذَا مِن قَلْب الحقَائق، فإنَّ هَذِهِ الصِّفَات لا تَنْطبق عَلَىٰ الغِنَاءِ، وإنَّما تَنْطبق عَلَىٰ القُرْآن، فهُوَ غذاءُ أرْوَاح المُؤْمنين، وسَلْسَبيل قُلُوبهم، وَصقَال نُفُوسهمْ، ورَوْضة أذْهَانهمْ، وأمَّا سَماعُ المُكَاء والتَّصْدية، فإنَّه فَسادٌ للأَرْوَاح والقُلُوب والنُّفُوس والأَذْهَان؛ لأنَّه صوتٌ أَحْمَقُ فَاجرٌ ملعونٌ في الدُّنيا والآخرَة، وهُوَ صوتُ الشَّيْطَان، وقرآنُهُ، ورُقْية الزِّنا، ومُنْبت النِّفاق في القُلُوب، وَجَالب الشَّيَاطين، ومُبْعد المَلَائكَة، وصِنْو الخَمْر في الصَّدِّ عن ذِكْرِ الله، وعن الصَّلَاة.. إلَىٰ غير ذَلكَ من صفاتِهِ الذَّميمَة، وَمَا كَانَ كذَلكَ فهُوَ شرٌّ محضٌ.

فصل

وأَمَّا قَوْله: «وهُوَ بَعْدُ مُتْعةٌ مَشْروعة لَا يَأْبَاها الدِّينُ، ولا تُنْكرها الشَّريعة ما دَامَ لا يَكْتنفُهُ رفثٌ، وَلَا فسوقٌ، وَلَا شرابٌ».

فَجوابُهُ من وُجُوهٍ:

إِحْدَاها: أَنَّ ما زَعَمه من كَوْن الغِنَاءِ متعةً مشروعةً قولٌ باطلٌ، معلومُ البُطْلان بالضَّرورة من الدِّين، وكيفَ يَكُون الغِنَاءُ مُتْعةً مَشْروعةً، واللهُ تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ قَدْ ذَمَّه في مَوَاضع من كتابِهِ، وَتَوعَّد مَن اخْتَاره بالعَذَاب المُهين، وكذَلكَ قَدْ نَهَىٰ عَنْه رَسُولُ الله صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وسَمَّاه الصَّوتَ الأَحْمَق الفَاجر، وأَخْبَر أَنَّه صوتٌ ملعونٌ في الدُّنيا والآخرَة.

الوَجْه الثَّانِي: أَنَّ يقَال: إِنَّما يَتمتَّع بالغِنَاء الفُسَّاقُ الَّذينَ لا يُبَالون بارْتكَاب بالمُحرَّمات، وقَدْ تقدَّم قولُ مالكٍ وإِبْرَاهيم بن المُنْذر الحزامي في ذَلكَ.

والَّذي شَرَع هَذِهِ المتعةَ للفُسَّاق هو إِبْليسُ وأَوْليَاؤه. وقَدْ رَوَىٰ ابنُ جريرٍ عَن ابْن عبَّاس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا أَنَّه ذَكَر عن أَهْل الجَاهليَّة الأولىٰ أَنَّ إبليسَ صَنَع مزمارًا فَانْتابَه النَّاس يَسْتمعون إِلَيْه، وَصَار ذَلكَ سببًا لتَبرُّج النِّساء للرِّجال، وظُهُور الفَاحشَة فيهم(١).

وَذَكر ابْنُ جريرٍ أيضًا أَنَّ الَّذي اتَّخذَ المَلَاهي رجلٌ من وَلَد قَابيل يُقَال له: ثوبال، اتخذَ في زَمَانه مهلائيل بن قينان آلاتِ اللَّهْو من المَزَامير والطُّبول والعِيدَان،

---

(١) «تفسير الطبري» (١٩/ ٩٨).

فَانْهَمَكَ ولدُ قَابيل في اللَّهو، وتَنَاهىٰ خَبَرهم إِلَىٰ مَنْ بالجَبل من نَسْل شِيث، فَنزلَ مِنْهم قومٌ، وَفَشَت الفَاحشةُ، وشُرْب الخَمْر.

الوَجْه الثَّالث: أنَّ في كَلَام صَاحب «النُّبذة» كذبًا ظاهرًا عَلَىٰ الدِّين والشَّريعة المُحمَّدية حَيْث زَعَم أنَّ الدِّين لا يَأْبىٰ الغِنَاءَ، وأنَّ الشَّريعةَ لا تُنْكره، وقَدْ تَقدَّم من الآيَات والأَحَاديث ما يَكْفي في ردِّ قَوْله.

وقَدْ وَردت الأدلَّةُ الكثيرةُ من الكتَاب والسُّنَّة بتَحْريم الغِنَاءِ والمَعَازِف. وَجَاء في ذَلكَ آثارٌ كثيرةٌ عن الصَّحَابة والتَّابعين، وَتَابعيهم، وَعَن الأئمَّة الأَرْبَعة، وغَيْرهم من العُلَماء.

وَحَكَىٰ غَيْر واحدٍ الإجْمَاع عَلَىٰ ذَلك، وقَدْ ذَكَرت ذَلكَ مُسْتقصًىٰ في كتَابِي «فَصْل الخطَاب في الرَّدِّ عَلَىٰ أَبِي تُرَاب»، فَلْيُراجع هُنَاك، فَفِيهِ ردٌّ لقَوْل صَاحب «النُّبذة»: إنَّ الغِنَاءَ متعةٌ مشروعةٌ، لَا يَأْباهَا الدِّينُ، وَلَا تُنْكرها الشَّريعة.

ونكْتفي هَهُنا بإيرَاد حَديثَيْن صَحيحَيْن في ذَلكَ:

أَحدُهُما: ما رَوَاه البخاريُّ في «صَحيحِهِ»، والإسْمَاعيلي، والطَّبراني، وَابْن حبَّان، والبَيْهقي، وغَيْرهم عَنْ عَبْد الرَّحمن بن غُنْم الأَشْعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: حَدَّثني أَبُو عَامر، أَوْ أَبُو مالكٍ الأَشْعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، واللهِ ما كَذَبني، سَمعَ النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُول: «**لَيكُونَنَّ من أُمَّتي أَقْوَامٌ يَسْتَحلُّون الحِرَ، وَالحَرِيرَ، والخَمْرَ، والمَعَازِفَ**»[(١)]. وهَذَا الحديثُ وَاضحٌ في تَحْريم الغِنَاءِ؛ لأنَّ الاسْتحلَالَ إنَّما يَكُون للشَّيء المُحرَّم.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٥٩٠)، وأبو داود (٤٠٣٩)، وابن حبان (١٥/ ١٥٤) (٦٧٥٤)، والطبراني (٣/ ٢٨٢) (٣٤١٧)، والبيهقي (٣/ ٢٧٢) (٥٨٩٥).

وقَدْ قرنَ اسْتحلَاله باسْتحلَال الزِّنا، وشُرْب الخَمْر، ولُبْس الحَرير في حَقِّ الذُّكُور، وهَذَا يدلُّ عَلَىٰ غِلَظِ تَحْريمِهِ.

والمَعَازِفُ جَمْع معْزَف، ويُقَال أيضًا: مِعْزَفة بكَسْر المِيم، وفَتْح الزَّاي فِيهِما. قَالَ الجَوهريُّ: المَعَازِفُ: المَلَاهي. والعَازِفُ: اللَّاعبُ بها. والمُغنِّي وقَدْ عزفَ عزفًا. وقَدْ تقدَّم قولُ أَبِي زبيدٍ:

وكَأن العزيف فيها غِنَاء ... للنَّدامىٰ من شاربٍ مسمودِ

قَالَ ابْن حَجَر العَسْقلاني: ويُطْلق عَلَىٰ الغِنَاءِ عزفٌ، وعَلَىٰ كلِّ لَعِبٍ عزفٌ.

الثَّانِي: ما رَوَاه الإمامُ أَحْمدُ، وَابْن أَبِي شَيْبَةَ، والبُخَاري في «التَّاريخ الكَبير»، وَابْن مَاجَه في «سُنَنه»، وَابْن حبَّان في «صَحيحِهِ»، عَنْ عَبْد الرَّحمن بن غَنْم الأَشْعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَيَشْربنَّ ناسٌ من أُمَّتي الخمرَ يُسمُّونها بغَيْر اسْمها، يُعْزف عَلَىٰ رُءوسِهم بالمَعَازِفِ والمُغنِّيات، يَخْسف اللهُ بِهِم الأَرْض، ويَجْعل مِنْهم القِرَدَة والخَنَازير**»[(١)].

وهَذَا الحَديثُ يدلُّ عَلَىٰ تَحْريم الغِنَاءِ، وَاسْتعمَال المَعَازِف، وَالاسْتمَاع إِلَيْها، وأنَّ ذَلكَ من الكَبَائر؛ لشدَّة الوَعِيدِ عَلَيه.

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٤٠٢٠)، والبخاري في «تاريخه» (١/ ٣٠٥)، وابن حبان (٦٧٥٨)، والطبراني (٣/ ٢٨٣) (٣٤١٩)، والبيهقي (٨/ ٢٩٥) و(١٠/ ٢٢١).

وأخرجه مختصرًا بقصة الخمر أحمد (٥/ ٣٤٢) (٢٢٩٥٠) وعنه أبو داود (٣٦٨٨) عن زيد بن الحباب، عن معاوية بن صالح، به، ولفظه: «**ليشربن ناس من أمتي الخمر يسمونها بغير اسمها**»، والحديث صححه الألباني في «الصحيحة» (٩٠).

الوَجْه الرَّابع: أنَّ الغِنَاءَ مُحرَّمٌ لذاتِهِ؛ سَوَاء اكْتنفَه رفثٌ، أوْ فُسُوقٌ، أوْ شَرابٌ، أوْ لَمْ يَكْتنفه، وإِذَا اكْتَنفَه شيءٌ ممَّا ذكرَ، كَانَ أَعْظَم؛ لتَحْريمه لجَمْعه بَيْن أَمْرَين مُحرَّمين.

فصل

وَأَمَّا قَوْله: «دَعْ عَنْكَ ما يتشدَّق به المُتزمِّتون من أنَّ الدِّينَ يَحْظره، وأنَّ الشَّرع لا يبيحُهُ».

فَجَوابُهُ من وَجْهين:

أَحَدُهُما أنْ يقَال: إنَّ الَّذينَ يُحرِّمون الغِنَاءَ لَيسوا بالمُتَشَدِّقين، وَلَا بالمُتَزمِّتين كَمَا رَماهم بذَلكَ صاحبُ النُّبذة بَغيًا وظلمًا، وإنَّما هم مُتَمسِّكون بمَا جَاءَ عن اللهِ ورسولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في ذَلكَ، ومُتَّبعونَ لخيَار هَذِهِ الأُمَّة من الصَّحَابة والتَّابِعِين وأَئمَّة العِلْمِ والهُدَىٰ من بَعْدهم، ومَنْ سَار عَلَىٰ الصِّراط المُسْتقيم فليسَ بمُتشدِّقٍ، ولا مُتزمِّتٍ، وإنَّما المُتَشدِّق مَن اتَّبعَ غَيْر سَبيل المُؤْمنين، وَجَادل بالبَاطل ليُدْحض بِهِ الحقَّ؛ كَصَاحب النُّبذَة وأشْبَاهه.

الوَجْه الثَّانِي: أنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَىٰ عن الغِنَاءِ، وسَمَّاه الصَّوت الأَحْمَق الفَاجر، وَقَرنه بالنِّيَاحَة، وأَخبر أَنَّه ملعونٌ في الدُّنيا والآخرَة، وأَخْبَر أيضًا أنَّ أقوامًا من أُمَّته يَسْتحلُّونه، وأنَّ اللهَ يَخْسف بِهِم الأَرْض، ويَجْعل مِنْهم القِرَدَة والخَنَازير، وَقَرن اسْتحلَاله باسْتِحْلَال الزِّنا والخَمْر، ولُبْس الحَرير للرِّجَال، فهَلْ يَقُول صاحبُ «النُّبذة»: إنَّ هَذَا تَشدُّقٌ وتزمُّتٌ؟! وهَلْ يَقُول أيضًا: إنَّ أقوالَ الصَّحَابة والتَّابِعِين وَتَابعيهم في ذمِّ الغِنَاءِ والمَنْع عنه كلُّها تَشدُّقٌ وتَزمُّتٌ؟! أمْ ماذَا يجيبُ به عن كلامِهِ السَّيِّئ الَّذي لم يُتأمَّل فيه، وَفيمَا يَترتَّب عَلَيه؟

فصل

وأَمَّا قَوْله: «وحَسْبنا فِي تَفْنيد زَعْمهم ما وَرَد في الحَدِيثِ الشَّريف عَنْ عَائشةَ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا أنَّها زَفَّت امرأةً إِلَىٰ رجلٍ من الأنْصَار، فقَالَ نبيُّ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «يَا عَائشةُ، ما كَانَ مَعكُمْ لهوٌ، فإِنَّ الأنْصَار يُعْجبهم اللَّهوُ»[1].

وفِي رِوَايةٍ: «فَهلَّا بَعثتم مَعَها جَاريةً تَضْرب بالدُّفِّ وتُغنِّي»[2].

وقَالَ صاحبُ «العِقْدِ الفَريد»[3]: «وَاحْتجُّوا في إِبَاحَة الغِنَاءِ وَاسْتحسَانه بقَوْل النَّبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ لعَائشةَ: «أَهْدَيتم الفَتَاةَ إِلَىٰ بَعْلها؟»، قَالَت: نَعمْ. قَالَ: «فَبعثتُمْ مَعَها مَنْ يُغنِّي؟»، قَالَت: لَا. قَالَ: «أَوَ مَا عَلِمْتِ أَنَّ الأنْصَارَ قومٌ يُعْجبهم الغزلُ، أَلَا بَعثتُمْ مَعَها مَنْ يَقُولُ:

أَتَيْنـاكُمْ أَتَيْنـاكُمْ فَحيُّونـا نُحيِّـيكمْ
ولَـوْلَا الحبَّـةُ السَّـمَرا ءُ لَـمْ نَحْلـلْ بـوَاديكم»[4]...»

فَجَوابُهُ من وُجُوهٍ:

إِحْداهَا: أنَّ النَّبيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ إنَّما رخَّص للنِّساء في الغِنَاءِ في أَيَّام الأَفْرَاح كالأَعْيَاد والأعْرَاس، كَما دلَّ عَلَيه هَذَا الحديثُ، وَحَديثُ عَائشَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا في غِنَاءِ الجَاريَتَيْن عِنْدَها في يَوْم العِيدِ[5]، ولَمْ يُرخِّص لهُنَّ مطلقًا، وهَذَا يردُّ قَوْل مَن استدلَّ

(١) أخرجه البخاري (٥١٦٢).

(٢) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٣/ ٣١٥) (٣٢٦٥)، وحسنه الألباني في «الإرواء» (١٩٩٥).

(٣) لابن عبد ربه الأندلسي (٧/ ٨).

(٤) سبق تخريجه.

(٥) وقد سبق تخريجه.

به عَلَىٰ جَوَاز الغِنَاءِ عَلَىٰ الإطْلَاق؛ كالصُّوفيَّة، وَابْن حزمٍ، ومَنْ نَحَا نَحْوهم؛ كصَاحب «النُّبذة» وأشْبَاهه ممَّن يَرَىٰ حلَّ الغِنَاءِ المُحرَّم.

قَالَ شَيْخ الإسلام أَبُو العبَّاس ابن تَيْمية رحمه الله تَعَالَىٰ: أَمَّا مَنْ يَصْلح له اللَّعب فيُرخَّص لَه في الأَعْيَاد كَمَا كَانت الجَاريَتان تُغنِّيان، والنَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْمع، فَمَن اسْتدلَّ بجَوَاز الغِنَاء للصِّغَار في يَوْم العيدِ عَلَىٰ أَنَّه مباحٌ للكبَار من الرِّجَال والنِّساء عَلَىٰ الإطْلَاق، فهُوَ مخطئٌ[1]. انْتهَىٰ.

الوَجْه الثَّانِي: أنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إنَّمَا رَخَّص في الغِنَاءِ في أيَّام الأَفْرَاح للنِّساء خَاصَّة، ولَمْ يُرخِّص فيه للرِّجَال.

وقَدْ رَوَىٰ أَبُو نُعَيْمٍ في «الحِلْية»[2] من حَدِيثِ الرَّبيع بن خَيْثم، عَنْ عَبْد الله بن مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ أنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَمعَ رجلًا يَتغنَّىٰ من اللَّيل، فقَالَ: «**لا صَلَاة له حَتَّىٰ يُصلِّي مِثْلها ثَلَاث مَرَّاتٍ**»، وهَذَا الحَديثُ يَدلُّ عَلَىٰ التَّشْديد عَلَىٰ الرِّجَال فِي الغِنَاءِ، وَيَدلُّ عَلَىٰ ذَلكَ أيضًا ما رَوَاه ابْنُ أَبِي الدُّنيا... إلخ.

وَرَوَىٰ ابْنُ أَبِي الدُّنيا من طَرِيق يَحْيىٰ بن سعيدٍ عَنْ عُبَيد الله بن عُمَر قَالَ: حَدَّثني نافعٌ أَنَّ ابنَ عُمَر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مرَّ عَلَىٰ قومٍ مُحْرمين، وَفِيهِم رجلٌ يَتغنَّىٰ، فقَالَ: «**أَلَا لا سَمِعَ اللهُ لكُمْ، أَلَا لا سَمِعَ اللهُ لكُمْ**»[3].

---

(١) «مختصر الفتاوىٰ المصرية» (١/ ٣٥٣).

(٢) (٢/ ١١٨)، وفي إسناده سعيد بن سنان الحنفي، وهو متهم بالوضع.

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في «ذم الملاهي» (١/ ٤٨) (٤٢)، والبيهقي في «الكبرىٰ» (٥/ ٦٨) (٨٩٦١).

الوَجْه الثَّالث: أنَّ الَّذي وَرَدت الرُّخْصة فِيهِ للنِّسَاء فِي أَيَّام الأفْرَاح هُوَ مجرَّد إنْشَاد الأشْعَار مَعَ الضَّرب بالدُّفُوف من غَيْر تَلْحينٍ، وَلَا تَطْريبٍ في الإنْشَاد، وَلَا تَأنُّق في الضَّرْب بالدُّفُوف، ولهَذَا قَالتْ عَائشةُ رَضِيَٱللَّهُعَنهَا في الحَدِيثِ الصَّحيح: «ولَيْستا بمُغنِّيتَيْن»(١).

قَالَ الحَافظُ ابْن حَجَرٍ: فَنفَتْ عَنْهما من طَريق المَعْنىٰ ما أَثْبَتته لهُمَا باللَّفْظ؛ لأنَّ الغِنَاءَ يُطْلق عَلَىٰ رَفْع الصَّوت.

قُلْتُ: وهَذَا أحدُ الوُجُوه الَّتي فُسِّر بها قولُ النَّبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**مَا أَذِنَ الله لشيءٍ مَا أَذِنَ لنبيٍّ حَسَن الصَّوْت يتغنَّىٰ بالقُرْآن يَجْهر به**» مُتَّفقٌ عَلَيه من حَدِيثِ أَبِي هُرَيرة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ(٢).

قَالَ الخَطَّابِي يَجْهر به: زَعَم بَعْضهم أَنَّه تفسيرٌ لقَوْله: «**يَتغنَّىٰ بِهِ**»، قَالَ: وكلُّ مَنْ رَفَع صوتَهُ بشيءٍ مُعلِنًا به، فقَدْ تَغنَّىٰ به.

وقَالَ أَبُو عَاصم: أَخَذَ بيَدي ابْنُ جُرَيج، فَوَقفَني عَلَىٰ أَشْعَب، فقَالَ: غَنِّ ابْن أَخي ما بَلَغ من طَمَعك، فقَالَ: بَلَغ من طَمْعي أَنَّه ما زُفَّت بالمَدينَة جَاريةٌ إلَّا رَشَشت بابِي طمعًا أنْ تُهْدىٰ إلَيَّ.. يُريدُ أَخبِرْه مُعلنًا به غيْرَ مُسرٍّ(٣). انْتهَىٰ.

وَذَكَر ابْنُ منظورٍ في «لسَان العَرَب»(٤) عَن الأصْمعيِّ أَنَّه قَالَ: كلُّ مَنْ رَفَع

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه البخاري (٧٥٤٤)، ومسلم (٧٩٢).

(٣) «معالم السنن» للخطابي (١/ ٢٩٢).

(٤) (١٥/ ١٣٦).

صوتَه ووَالاَه فصوتُهُ عندَ العَرَب غِنَاءٌ.. وكَذَا قَالَ ابْنُ الأَثِيرِ في «النِّهاية»(١).

ثمَّ ذَكَر الحَافظُ ابْن حَجَر أنَّ الغِنَاءَ يُطْلق عَلَىٰ التَّرنُّم الَّذي تُسمِّيه العربُ «النَّصْبَ» بفَتْح النُّون وسُكُون المُهْملة. وعَلَىٰ الحدَاء. قَالَ: ولَا يُسمَّىٰ فاعلُهُ مُغنِّيًا، وإنَّما يُسمَّىٰ بذَلكَ مَنْ يُنْشد بتَمْطيطٍ وتكْسيرٍ وتَهْييجٍ وتَشْويقٍ بما فيه تَعْريضٌ بالفَوَاحش أوْ تَصْريحٌ(٢).

قُلْتُ: ويُطْلق الغِنَاءُ أيضًا عَلَىٰ مُجرَّد الإنْشَاد؛ لمَا رَوَىٰ الزُّبير بن بكَّار من طَريق زَيْد بن أسْلَم عن أَبِيهِ أنَّ عمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ للحُطَيْئة: كأنِّي بك عندَ شابٍّ من قُرَيش قَدْ كَسَر لكَ نمرقةً، وبَسَط لكَ أُخرىٰ، وقَالَ: يَا حُطَيْئة، غَنِّنا، فَانْدَفعت تُغنِّيه بأَعْرَاض النَّاس.

قَالَ أَسْلَم: فَرَأيتُ الحُطَيْئة بَعْد ذَلكَ عندَ عُبَيد الله بن عُمَر، وقَدْ كسرَ لَه نُمْرقة، وبسطَ لَهُ أُخرىٰ وقَالَ: يَا حُطيْئة، غَنِّنا، فَانْدَفع حُطَيْئة يُغنِّي. فقُلْت لَهُ: يَا حُطيْئة، أَتذْكر يومَ عُمَر حينَ قَالَ لَكَ ما قَالَ، فَفزعَ وقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: ذَلكَ المرءُ لَوْ كَانَ حيًّا ما فَعَلنا هَذَا. فقُلْتُ لعُبَيد الله: إنِّي سَمعتُ أبَاكَ يَقُول كَذَا وكَذَا، فكُنْت أنْتَ ذَلكَ الرَّجل.

وإذَا عُلِمَ هَذَا، فَالغِنَاءُ الجَائزُ الَّذي وَرَدت الرُّخصةُ فِيهِ للنِّساء في أيَّام الأَفْرَاح لا يَخْرج عن أَحَد الأَقْسَام الجَائزَة، كَمَا يدلُّ لذَلكَ قَوْل عَائشَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «ولَيْسَتا بمُغنِّيتين». وقَدْ جَزَم الحَافظَان أَبُو الفَرَج ابْن الجوزيِّ، وأَبُو مُوسَىٰ المَديني، وغَيْرهما من أَكَابر العُلَماء، أنَّ غِنَاءَ الجَاريَتَين عندَ عَائشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كَانَ مُجرَّد إنْشَادٍ

(١) (٣/ ٣٩١).

(٢) «فتح الباري» (٢/ ٤٤٢).

لا تَلْحين فيه، وَلَا تَطْريب. وهُوَ ظاهر ما رَوَاه جَعْفر بن مُحمَّد عن الإمَام أَحْمَد - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالىٰ - كَمَا سَيأتِي.

وَقَالَ ابْنُ الأَثِيرِ في «النِّهاية»[1]**، وَابْن مَنْظورٍ في «لسَان العَرَب»**[2]: «وَفِي حَدِيثِ عَائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنهَا: «وَعِنْدِي جاريَتَان تُغنِّيان بغِنَاءِ بُعَاث»، أي: تُنشدَان الأشْعَار الَّتي قِيلَتْ يَوْم بُعَاث، وهُوَ حَرْب كَانَت بَيْن الأنْصَار، ولَمْ تُرِدِ الغِنَاءَ المَعْروف بَيْن أَهْل اللَّهْو واللَّعب، وقَدْ رَخَّص عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ في غِنَاءِ الأَعْرَاب، وهُوَ صوتٌ كالحُدَاء». انْتهَىٰ.

ومَعَ أنَّ غِنَاءَ الجَاريَتَين كَانَ مُجرَّد إنْشَاد، فَقَد اضْطَجع النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَىٰ الفرَاش، وتَسجَّىٰ بثوبِهِ، وحَوَّل وَجْهه. وهَذَا أَوْضحُ دليلٍ عَلَىٰ كَرَاهته لذَلكَ، فإنَّه كَانَ يَكْره الشِّعر. قَالَت عَائشةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنهَا: كَانَ أبْغَض الحَدِيثِ إلَيْه.. رَوَاه الإمَامُ أَحْمَد، وأَبُو دَاود الطَّيَالسي، وَابْن جرير، وَابْن أَبِي حَاتِمٍ[3].

وَرُوي عَنْه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّه قَالَ: «**الشِّعْرُ من مَزَامير إِبْلِيسَ**»، رَوَاه البيهقيُّ، وغَيْره من حَدِيثِ عُقْبة بن عَامرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ[4].

---

(١) (٣/ ٣٩٢).

(٢) (١٥/ ١٣٧).

(٣) أخرجه أحمد (٦/ ١٣٤) (٢٥٠٦٤)، والطيالسي (٣/ ٩٣) (١٥٩٣)، والطبري (١٩/ ٤٨٠)، وابن أبي حاتم (١٨١٠٦)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٣٠٩٥).

(٤) رواه البيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ٢٤١)، بلفظ: «وَالشِّعْرُ مِنْ إِبْلِيسَ»، وضعفه الألباني في «ضعيف الجامع» (١٢٣٩). وقد رواه بلفظ المصنف أبو الشيخ الأصبهاني في «أمثال الحديث» (١/ ٢٩٤) من حديث أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ، وإسناده شديد الضعف، فيه عبيد بن

وقَدْ أَقرَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أبَا بكرٍ الصِّدِّيق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَلَىٰ تَسْمية الشِّعْر مَزَامير الشَّيْطَان كَمَا في حَدِيثِ عَائشةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا المُتَّفق عَلَىٰ صحَّته[١].

وإِذَا كَانَ النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُبْغض الشِّعْر المُجرَّد من الغِنَاءِ، ويُسمِّيه مَزَامير الشَّيْطَان، فكَيْف يظنُّ به أَنَّه كَانَ يقرُّ الغِنَاءَ ويُبيحُهُ؟!

وكذَلكَ لا يَنْبغي أنَّ يظنَّ بأُمِّ المُؤْمنينَ عَائشةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَنَّها كَانَت تَسْتمع إِلَىٰ الغِنَاء المُحرَّم، وإِنَّما كَانَت تَسْتَمع إِلَىٰ ما يَجُوز استماعُهُ من إِنْشَاد الأَشْعَار بدُون تَلْحينٍ وتَطْريبٍ.

وقَدْ ثبتَ عَنْها رَضِيَ اللهُ عَنْهَا إِنْكَارُ الغِنَاءِ، والمَنْع عَنْه، فَروىٰ البخاريُّ في «الأَدَب المُفْرد»، والبيهقيُّ، بإِسْنَاد صَحيح عَنْها رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، أنَّ بنات أَخِيها خفضنَ، فألمنَ من ذَلكَ، فقيلَ لَهَا: يا أُمَّ المُؤْمنين، أَلَا نَدْعو لهنَّ ما يُلْهيهنَّ؟ قَالَت: بَلَىٰ، فأَرْسَلوا إِلَىٰ فُلَان المُغنِّي، فأَتَاهم، فَمرَّتْ به عائشةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا في البَيْت، فَرأته يَتغنَّىٰ ويُحرِّك رَأْسه طَرَبًا، وكَانَ ذَا شعرٍ كثيرٍ، فَقَالتْ: أُف، شَيْطان، أَخرجوه، أَخرجُوه؛ فأَخْرَجُوه[٢].

وهَذَا الحَديثُ يردُّ قَوْل مَنْ زَعَم أنَّ الجَاريَتَين كَانَتا تُغنِّيان بالغِنَاءِ المَعْروف عندَ أَهْل اللَّهو واللَّعب.

وقَدْ قَالَ أَبُو بكرٍ الخَلَّال: أَخْبَرنا مَنْصور بن الوَليد أنَّ جعفرَ بن مُحمَّد حَدَّثهم

=

إسحاق العطار وهو متروك الحديث.

(١) وقد سبق.

(٢) رواه البخاري في «الأدب المفرد» (١/ ٤٢٧) (١٢٤٧)، والبيهقي (١٠/ ٢٢٣) (٢٠٧٩٩)، وحسنه الألباني في «صحيح الأدب المفرد» (٩٥٠).

قَالَ: قُلْتُ لأَبِي عَبْد الله أَحْمد بن حَنْبل: حَديثُ الزُّهْريِّ عَنْ عُرْوة عَنْ عَائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عَن جَوارٍ يُغنِّين أَي شيءٍ هَذَا الغِنَاء، قَالَ: غِنَاءُ الرَّكْب؛ أَتيناكُمْ أَتيناكُمْ[1].

وقَالَ الإِمَامُ أَحْمَد رَحِمهُ اللهُ تَعَالىٰ: حَدَّثنا أَسْود بن عامرٍ، حَدَّثنا أَبُو بكرٍ عَن الأَجْلح عَن أَبِي الزُّبير، عَنْ جَابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعَائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «**أَهْدَيتم الجَارِيَة إِلَىٰ بَيْتها؟**». قَالَت: نَعمْ. قَالَ: «**فهلَّا بَعثتُمْ مَعَها مَنْ يُغنِّيهم يَقُول:**

أَتَينَاكُمْ أَتَينَاكُمْ فَحيُّونَا نُحيِّيكمْ

فَإِنَّ الأَنْصَار قَوْمٌ فِيهِمْ غَزلٌ»[2].

ورَوَىٰ أَبُو بَكرٍ الخَلَّال عَنْ عَائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: كَانَت عِنْدَنا جارِيةٌ يتيمةٌ من الأَنْصَار فَزوَّجْناها رجلًا من الأَنْصَار، فكُنْت فيمَنْ أَهْدَاها إِلَىٰ زَوْجها، فَقَالَ رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يَا عَائشةُ، إِنَّ الأَنْصَار أُناسٌ فِيهِم غزلٌ، فَمَا قُلْت؟**». قَالَت: دَعَوْنا بالبَركَة. قَالَ: «**أَفَلا قُلْتم:**

أَتينَاكُمْ أَتينَاكُمْ فَحيُّونَا نُحيِّيكم

ولَوْلَا الذَّهب الأَحْمَر مَا حلَّت بِوَاديكمْ

ولَوْلا الحبَّة السَّمراء لَمْ تَسْمن عَذَاريكُمْ»[3]

---

(١) رواه الخلال في «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» (١/ ٦٩).

(٢) أخرجه أحمد (٣/ ٣٩١) (١٥٢٤٦)، وقال شعيب الأرنؤوط: حسن لغيره، وهذا إسناد ضعيف.

(٣) رواه الخلال في «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» (١/ ٦٨)، وحسنه الألباني في «تحريم آلات الطرب» (١/ ١٣٣).

وروى ابن مَاجه في «سُننه» بإسْنادٍ صَحِيحٍ عَن أَنس بن مَالِكٍ رَضِيَٱللَّهُعَنهُ أنَّ النَّبيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيهِوَسَلَّمَ مرَّ ببعْض المَدينَة، فإذَا هُوَ بجَوَارٍ يَضْربن بدُفهنَّ، ويتغنِّين، ويقُلْن:

نَحْـنُ جـوارٍ مـن بنـي النَّجَّـار ... يـا حبَّـذا مُحمَّـد مـن جَـار

فقَالَ النَّبيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيهِوَسَلَّمَ: «**اللهُ يَعْلم أنِّي لأحبكنَّ**»(١).

وَروىٰ الإمَام أَحْمدُ، والبخاريُّ، وأَهْل السُّنن إلَّا النَّسَائي، عَنْ خَالد بن ذكْوان قَالَ: قَالَت الرَّبيعُ بنتُ مُعوِّذ بن عَفْراء رَضِيَٱللَّهُعَنهَا: جَاءَ النَّبيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيهِوَسَلَّمَ يَدْخل حينَ بنيَ عَليَّ، فَجلس عَلَىٰ فرَاشي كمَجْلسك منِّي، فَجَعلتْ جُوَيْريات لنَا يَضْربنَ بالدُّفِّ، ويَنْدبن مَنْ قُتل من آبَائي يَوْم بدرٍ، إذْ قَالَت إحْدَاهنَّ: وفينَا نبيٌّ يَعْلم ما في غدٍ، فقَالَ: «**دَعي هَذِهِ، وقُولي بالَّذي كُنْت تقُولينَ**»(٢). قَالَ التِّرمذيُّ: هَذَا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

وزَادَ ابْنُ مَاجه في آخِرِه: «**ما يَعْلم مَا في غَدٍ إلَّا الله**».

وَروىٰ الطَّبرانيُّ في «الأَوْسط»، و«الصَّغير»، عَنْ عَائشَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنهَا أنَّ النَّبيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيهِوَسَلَّمَ مرَّ بنسَاءٍ من الأنْصَار فِي عُرْس لهنَّ، وهُنَّ يُغنِّين:

وَأَهْـدَىٰ لهـا كبْشًـا ... تَبَحْـبح فِـي المربـدِ

وزَوْجـك في النَّـادي ... ويَعْلـم مَـا في غَـدِ

---

(١) أخرجه ابن ماجه (١٨٩٩)، وصححه الألباني في «صحيح ابن ماجه» (١٥٤١).

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ٥٢) (٥١٣٣)، والبخاري (٤٠٠١)، وأبو داود (٤٩٢٢)، والترمذي (١٠٩٠)، وابن ماجه (١٨٩٦).

فَقَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا يَعْلَم مَا في غَد إلَّا اللهُ**»[(١)]. قَالَ الهَيْثميُّ: رجالُهُ رجالُ الصَّحيح. وقَدْ رَوَاه الحَاكمُ في «مُسْتَدركِهِ»[(٢)] بنحْوه، وقَالَ: صحيحٌ عَلَىٰ شَرْط مُسْلم، ولَمْ يُخرِّجاه، وَوَافَقه الذَّهبيُّ في «تَلْخيصه».

وهَذَا الَّذي ذَكَرناه وَمَا أَشْبَهه هو الَّذي كَانَ الصَّحَابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ يَترخَّصون فيه، وَفِي سَمَاعه في أيَّام الأَفْرَاح؛ كالأَعْيَاد والأَعْرَاس، وأما الغِنَاءُ المَعْروف عندَ أَهْل اللَّهو واللَّعب وهُوَ ما يُطْلق عليه اسْم الغِنَاء في زَمَاننا، فَقَدْ كَانوا يَذمُّونه، ويَمْنعون منه. وقَدْ ذَكَرت أَقْوَالهم في ذَلكَ في كِتَابِي «فَصْل الخطَاب في الرَّدِّ عَلَىٰ أَبِي تراب»، فَلْتُرَاجع هُنَاك.

قَالَ الحَافظُ أَبُو الفَرَج ابْنُ الجَوزيِّ: رُوِّينا عَن الشَّافعيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّه قَالَ: أَمَّا اسْتمَاع الحُدَاء، وَنَشيد الأَعْرَاب فَلَا بأسَ بِهِ[(٣)].

قَالَ ابْنُ الجوزيِّ: ومن إِنْشَاد العَرَب: قَوْل أَهْل المَدينَة عندَ قُدُوم رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

طَلَــــع البَــــدْرُ عَلَينـــــا ... مِــــن ثَنِيَّـــــات الــــوَدَاع

وَجَــــب الشُّــــكرُ عَلَينـــــا ... مَـــــا دَعَـــــا لله دَاع

قَالَ: وَمِنْ هَذَا الجِنْسِ كَانوا يُنْشدون أَشْعَارهم بالمَدينَة، ورُبَّما ضَربوا عَليه بالدُّفِّ عندَ إِنْشَاده[(٤)].

---

(١) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٣/ ٣٦٠) (٣٤٠١)، و«الصغير» (١/ ٢١٤) (٣٤٣).

(٢) (٢/ ٢٠١) (٢٧٥٣).

(٣) «تلبيس إبليس» (١/ ٢٠٠).

(٤) «تلبيس إبليس» (١/ ٢٠٠).

ثمَّ ذَكَر أنَّ مِنْ هَذَا الجِنْسِ ما في حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فِي قصَّة الجَارِيَتَين اللَّتين كَانَتا تُغنِّيان عندَها بغِناءِ بُعَاث.

ثمَّ ذَكَر حَديثَ عَائشَةَ، وَحَديث جَابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في إهْدَاء الجَارِيَة إِلَىٰ زَوْجها. ثمَّ قَالَ: فقَدْ بَانَ بمَا ذَكَرنا ما كَانُوا يُغنُّون به، وليسَ ممَّا يُطْرب، وَلَا كَانَت دُفُوفهنَّ عَلَىٰ ما يُعْرف اليَوْم(١). انْتهَىٰ.

وإِذَا عُلِمَ هَذَا، فَمِنَ الخَطإِ الوَاضح قيَاس غِنَاء أَهْل هَذِهِ الأَزْمَان عَلَىٰ ما كَانَ الصَّحَابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يَتَرخَّصون فِيهِ فِي أَيَّام الأَفْرَاح مع عِظَمِ الفَرق بَيْن الجِنْسَين، وكيفَ يُقَاس ما يستفزُّ العُقُول، ويُفْسد القُلُوب، ويُنْبت النِّفَاق فيها، ويصدُّ عن ذِكْرِ الله، وَعَن الصَّلَاة عَلَىٰ ما ليسَ كَذَلك، لقَدْ ضلَّ مَنْ قَالَ بهَذَا القيَاس الفَاسد، وبَعُد عن الصَّواب غَايةَ البُعْد.

الوَجْه الرَّابع: أَنَّه قَدْ ثبَتَ عن النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّه نَهَىٰ عن الغِنَاءِ، وسَمَّاه الصَّوت الأَحْمَق الفَاجر، وَقَرَنه بالنِّيَاحَة، وأَخْبَر أَنَّه مَلْعونٌ في الدُّنيا والآخرَة، وَقَرن اسْتحلَالَه باسْتحلَال الزِّنا، والخَمْر، ولُبْس الحَرير في حقِّ الذُّكُور، وقَدْ تقَدَّمت الأَحَاديثُ بذَلكَ، وإِذَا كَانَ الأمرُ فِي الغِنَاءِ ما ذَكَرنا، فكَيْف يظنُّ بالنَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّه رَخَّص فيه؟! هَذَا تناقضٌ ينزَّه عنه آحَاد العُقَلاء فضلًا عن الشَّارع الحَكيم.

الوَجْه الخَامسُ: أَنْ يُقَالَ: إنَّ ما كَانَ أَحْمقَ فَاجرًا ملعونًا في الدُّنيا والآخرَة، فَإِنَّ الشَّريعةَ لا تَأْتِي بالرُّخصة فيه أبدًا، ومَنْ زَعَم أَنَّ الشَّريعةَ جَاءَت بالرُّخْصة فِيهِ، فقَدْ غَلط عَلَىٰ الشَّريعة.

---

(١) «تلبيس إبليس» (١/ ٢٠١).

الوَجْهُ السَّادس: أنَّ الغِنَاءَ يُطْلق عَلَىٰ خَمْسة أنْوَاع كَمَا تَقدَّم إيضاح ذَلكَ:

الأوَّل: رَفْع الصَّوت ومُوَالاته.

وَالثَّانِي: «النَّصْب» بفَتْح النُّون، وسُكُون الصَّاد المُهْملة، وهُوَ التَرنُّم.

وَالثَّالث: الحُدَاء.

وَالرَّابع: إنْشَاد الأَشْعَار، وهَذِهِ كُلُّها جَائزةٌ.

وَالخَامسُ: مَا يَكُون فِيهِ تَمْطيطٌ، وَتَكْسيرٌ، وتَلْحينٌ، وتطريبٌ، وهَذَا هُوَ الغِنَاءُ المُحرَّم، وهُوَ الصَّوت الأَحْمَق الفَاجر المَلْعون فِي الدُّنيا والآخرَة.

وهَذَا النَّوْع هُوَ المَعْروف عند أَهْل الغِنَاءِ في زَمَاننا، وهُوَ الَّذي يَسْتعملُهُ أَهْل الإِذَاعَات والتَّسْجيل، وغَيْرهم من المَفْتونين بصَوْت الشَّيْطَان ومَزَاميره.

ومَنْ قَاسَ هَذَا النَّوع المَلْعون عَلَىٰ الأنْوَاع الجَائزة، واستدلَّ عَلَىٰ جَوَازه بجَوَازها، فقَدْ أبْعَد النَّجْعة، وَنَادىٰ عَلَىٰ كَثَافة جَهْله، وهُوَ كمَنْ قاسَ المَيتة عَلَىٰ المُذكَّاة، والرِّبا عَلَىٰ البَيع، والتَّحْليل المَلْعون فَاعله عَلَىٰ النِّكاح الصَّحيح، وشَرَاب الخَمْر عَلَىٰ الأَشْربَة المُبَاحة، وغَيْر ذَلكَ من الأَقْيسَة الفَاسدَة الَّتي يَسْتعملها مَنْ قلَّ نَصيبُهُ من العِلْمِ والإِيمَان.

الوَجْه السَّابع: أنَّ غِنَاءَ الجَوَاري في زَمَن النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَوْعان:

أَحَدُهُما: إنْشَاد الأَشْعار من غَيْر تَلْحينٍ، وَلَا تَطْريبٍ، وهَذَا هو الَّذي فَعَلته الجَاريَتان عندَ عَائشةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا في يَوْم العِيدِ، وأَقرَّه النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَالنَّوْع الثَّانِي: رَفْع الصَّوت، ومُوَالاته بقَوْل:

أَتَينَاكُمْ أَتَينَاكُمْ   فَحيُّونَا نُحيِّيكمْ

وهَذَا هو الَّذي أَذِنَ فيه النَّبيُّ صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ للجَوَاري، وسمَّاه غِنَاءً، وليسَ هو مثل غِنَاءِ المُخنَّثين، ومَنْ يَحْذو حَذْوهم في التَّلْحين والتَّطْريب، وإنَّما أُطْلق عَلَيه اسْم الغِنَاءِ من أَجْل رَفْع الصَّوْت ومُوَالاته، وقَدْ تقدَّم عن الأَصْمعيِّ أَنَّه قَالَ: كلُّ مَنْ رَفَع صَوْته وَوَالاه فصوتُهُ عندَ العَرَب غِنَاءٌ.

وإِذَا عُلِمَ هَذَا، فَالاسْتدلَالُ بقَوْل: «**أَتينَاكُمْ أَتينَاكُمْ**»، وما أَشْبَهه ممَّا رُوي عن جَوَاري الصَّحَابة، عَلَىٰ جَوَاز غِنَاءِ أَهْل الإذَاعَات، وَمَا أَشْبَهه من الأَغَانِي، لَا يَقُول به إلَّا مَنْ هُوَ من أَجْهل خَلْق الله، وأَبْعَدهم عَن الصَّوَاب.

فصل

وأَمَّا قَوْله: «وَاحْتجُّوا بحَدِيثِ عَبْد الله بن أُوَيس ابْن عمِّ مالكٍ، قَالَ: مرَ النَّبيُّ صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بجاريةٍ في ظلٍّ فارعٍ وَهِيَ تُغنِّي:

هَلْ علَيَّ وَيْحكم   إنْ لَهوتُ من حَرجْ

فقَالَ النَّبيُّ صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**لَا حَرَج إنْ شَاءَ اللهُ**»[1] ...».

فَجَوَابُهُ من وَجْهَين:

أَحَدُهُما: أنْ يُقَالَ: هَذَا حديثٌ لَا يصحُّ؛ لأنَّه مُنْقطعٌ، والمُنْقطعُ ليس بحُجَّةٍ.

---

(١) أخرجه ابن عساكر (١٢/ ٤١٥) من حديث ابن عباس رَضِحَالِلَّهُعَنْهُمَا، وقال الألباني في تخريج أحاديث «أداء ما وجب» (١/ ١٥٠): باطل.

وأيضًا، فإنَّ المُحْتجِّين به لَمْ يَذْكروا مَنْ خَرَّجه من أَهْل الحَدِيثِ حَتَّىٰ ينظرَ في رُوَاته، فَلَعلَّهم ممَّن لا يُوثَق بهم.

الوَجْه الثَّانِي: لَوْ قَدَّرنا صحَّة هَذَا الحَدِيثِ، فليسَ فِيهِ حُجَّة لأَهْل الغِنَاءِ؛ لأنَّ غِنَاءَ الجَارية ولَهْوها من جِنْسِ ما رخَّص فيه النَّبيُّ ﷺ للجَوَاري، وليسَ هُوَ من جِنْسِ غِنَاءِ المُخنَّثين، ومَنْ يَحْذو حَذْوَهم من أَهْل الإذَاعَات والتَّسْجيل، وَمَا أَشْبَه ذَلكَ من الغِنَاءِ الَّذي يَستفزُّ العُقُولَ، ويُفْسدُ القُلُوبَ، ويُنْبت النِّفَاق فيها، ويصدُّ عن ذِكْرِ الله، وعن الصَّلَاة.

وَلَا يَجُوز قِيَاسُ هَذَا النَّوْع عَلَىٰ ما رخَّص فيه النَّبيُّ ﷺ للجَوَاري، وَلَا الاحْتجَاج بجَوَاز النَّوع المُرخَّص فيه عَلَىٰ جَوَاز هَذَا النَّوْع المُحرَّم؛ لما بَيْن النَّوْعين من التَّباين.

فصل

وأَمَّا قَوْله: «فَلَا حَرَج إِذًا عَلَىٰ عمرَ أَنَّ يَهْوىٰ الغِنَاءَ، ويَصْبو إِلَيْه، وَلَا يَغْتمز ذَلكَ فيه، ولا ينقصُ من دينِهِ وفَضْله».

فَجَوابُهُ من وَجْهين:

أَحَدُهُما: أنْ يُقَالَ: لَوْ أَنَّ عمرَ بن عَبْد العَزيز -رَحمَهُ اللهُ تَعالىٰ- هَوَىٰ الغِنَاءَ، وَصَبا إِلَيْه، لغمزَ ذَلكَ فيه، ونقصَ من دينِهِ وفَضْله، كَمَا غمزَ الغِنَاء في الَّذينَ هَوَوه، وَصَبَوْا إِلَيْه.

وَقَدْ قَدَّمنا عَن الإِمَام مَالِكٍ أَنَّه سئلَ عمَّا يترخَّص فيه أَهْل المَدينَة من الغِنَاءِ

فَقَالَ: إنَّما يفعلُهُ عِنْدنَا الفُسَّاق. وكَذا قَالَ إبْرَاهيمُ بن المُنْذر الحزاميُّ، وهُوَ من عُلَماء أَهْل المَدينَة المُعْتبرين.

وقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ في صِفَةِ عبادِهِ المُتَّقين: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغْوِ مَرُّواْ كِرَامًا﴾. قَالَ مُحمَّد بن الحنفيَّة: الزُّورُ: اللَّهوُ والغِناءُ. وقَالَ مُجَاهِدٌ: لَا يَسْمَعون الغِنَاءَ. وقَالَ ثَعْلَبٌ: الزُّورُ هَهُنا مَجَالسُ اللَّهو. وقَالَ الزَّجَّاجُ: قيلَ: الزُّور هَهُنا مَجَالسُ الغِنَاءِ.

وَفِي هَذِهِ الآيَة الكَرِيمَة دَليلٌ عَلَىٰ أنَّ الغِنَاءَ يغمز في أَصْحَابه، وينقصُ من دِينِهِمْ. وقَدْ ثَبتَ عن النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّه نَهَىٰ عن الغِنَاءِ، وسمَّاه الصَّوت الأَحْمَق الفَاجِر، وأَخْبَر أَنَّه ملعونٌ في الدُّنيا والآخرَة، وفي هَذَا دليلٌ عَلَىٰ أنَّ الغِنَاءَ يغمزُ في أَصْحَابه، وينقصُ من دِينِهِمْ.

الوَجْه الثَّانِي: أَنَّه قَدْ تَقدَّم في أوَّل هَذِهِ النُّبذة ما ثَبتَ عن عُمَرَ بن عبد العَزيز -رَحمَهُ اللهُ تَعَالىٰ- من ذمِّ الغِنَاءِ، وإنْكاره، وفِيهِ ردٌّ لمَا يتوهَّمه مَنْ قلَّ علمُهُ من أنَّ عُمَرَ -رَحمَهُ اللهُ تَعالىٰ- كَانَ يَهْوىٰ الغِنَاءَ، ويَصْبو إلَيْه.

فصل

وأَمَّا قَوْله: «وليسَ ببِدْعٍ أنْ يَهْفو عمرُ إِلَىٰ الغِنَاءِ، ويشْرب فُؤاده حُبَّه، وهُوَ قَدْ نَشَأ في بيئةٍ غِنَائيَّةٍ فيَّاضة بالأَلْحَان والإيقَاع، مُفْعمة بحُذَّاق المُغنِّين والمُغنِّيات».

فَجَوابُهُ من وُجُوهٍ:

أَحَدُها: أنْ يُقَالَ: قَدْ ثبتَ عَنْ عُمَرَ بن عَبْد العَزيز -رَحمَهُ اللهُ تَعالىٰ- أَنَّه كَانَ

يذمُّ الغِنَاءَ، ويُنْكره أشدَّ الإنْكَار، ومَنْ كَانَ كذَلكَ، لا يظنُّ به أَنَّه كَانَ يَهْفو إِلَىٰ الغِنَاءِ؛ فضلًا عن أنْ يشْربَ فُؤاده حُبه، ومَنْ ظنَّ هَذَا بأَمِيرِ المُؤْمنين، فقَدْ ظنَّ به ظنَّ السُّوء.

الوَجْه الثَّانِي: أنَّ عُمرَ -رَحمَهُ اللهُ تَعَالىٰ- قَدْ نَشَأ عند أبِيهِ، ولَمْ يُعْرف عن أَبِيهِ أَنَّه كَانَ يميلُ إِلَىٰ الغِنَاءِ والمُغنِّين. وكَانَ عمُّه عَبْد المَلك شَديدَ الذَّمِّ للغِنَاءِ. قَالَ أَبُو يُوسُف: حَدَّثنا إبْرَاهيمُ بن المُنْذر الحزاميُّ عن أَبِيهِ أنَّ عبدَ المَلك بن مَرْوان قَالَ: قبَّح اللهُ الغِنَاءَ، ما أَوْضعَه للمُرُوءة! وأَجْرَحه للعِرْضِ، وأَهْدَمه للشَّرَف، وأَذْهَبه للبَهَاء.

وإِذَا عُلِمَ هَذَا، فقَوْلُ صَاحب «النُّبذة»: إنَّ عمرَ بن عَبْد العَزيز قَدْ نَشأَ في بِيئَةٍ غِنائيَّةٍ؛ كذبٌ لَا أَصْلَ لَهُ.

الوَجْهُ الثَّالثُ: أنَّ عُمَرَ -رَحمَهُ اللهُ تَعَالىٰ- كَانَ منذ صغرِهِ حَريصًا عَلَىٰ العِلْمِ والأَدَب، وكَانَ قد جَمَع القرآنَ وهُوَ صغيرٌ.

قَالَ الزُّبيرُ بن بكَّار(١): حَدَّثني العتبيُّ قَالَ: إنَّ أَوَّل ما استبين من رُشْد عُمَر بن عَبْد العزيز حرصُهُ عَلَىٰ العِلْمِ، ورغبتُهُ في الأَدَب، وذَلكَ أنَّ أبَاه وَلِيَ مصرَ وهُوَ حَديثُ السِّنِّ يشكُّ في بُلُوغه، فأَرَاد أَبُوه إخْرَاجَه معه إِلَىٰ مصرَ من الشَّام، فقَالَ: يَا أَبَت، أَوَ غَيْر ذَلكَ لعلَّه يَكُون أنْفَع لي ولَكَ. قَالَ: وَما هُوَ؟ قَالَ: ترحلنِي إِلَىٰ المَدينَة، فأَقْعد إِلَىٰ فُقَهائها، وأَتأدَّب بآدَابِهِم، فعندَ ذَلكَ أَرْسَله أبُوه إِلَىٰ المَدينَة، وأَرْسَل مَعَه الخدَّام، فَقَعد مَعَ مَشَايخ قريشٍ، وتَجنَّب شَبَابهم، وَمَا زَالَ ذَلكَ دأبهُ حَتَّىٰ اشتهرَ ذكرُهُ، فلمَّا مَاتَ أَبُوه، أَخَذه عمُّه أميرُ المُؤْمنين عبد المَلك بن مَرْوان، فَخَلطه بوَلَده، وقَدَّمه عَلَىٰ كثيرٍ منهم، وزَوَّجه بابنتِهِ فَاطمَةَ.

---

(١) ورواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٥/ ١٣٧).

قَالَ العتبيُّ: ولَمْ يَكُن حَاسدُ عُمَر بن عَبْد العَزيز يَنْقم عَلَيه شيئًا سوَىٰ التَّنعُّم والاخْتيَال في المِشْيَةِ.

وقَالَ الضَّحَّاك بن عُثْمان الخزاميُّ: كَانَ أبُوه قَدْ جَعَله عندَ صَالح بن كَيْسَان يُؤدِّبه، فلمَّا حجَّ أبُوه، اجْتازَ به في المَدينَة، فَسَأله عَنْه، فقَالَ: ما علمتُ أَحدًا الله أعْظَم في صَدْره من هَذَا الغُلَام.

وَرَوىٰ ابْنُ أَبِي خَيْثمة[1] عَنْ دَاود بن أَبِي هند قَالَ: دَخَل عَلَينا عمرُ بن عَبْد العَزيز من هَذَا البَاب -وأَشَار إِلَىٰ بَابٍ من أبْوَاب مَسْجد النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فقَالَ رجلٌ من القَوْم: بَعَث الفاسقُ لنَا بابنِهِ هَذَا يتعلَّم الفَرَائض والسُّننَ، ويَزْعم أَنَّه لن يموتَ حَتَّىٰ يَكُون خليفةً، وَيَسير سيرةَ عُمَر بن الخَطَّاب.

قَالَ دَاودُ: واللهِ ما ماتَ حَتَّىٰ رَأَيْنا ذَلكَ فيه.

وإذَا كَانَ عُمَرُ بن عَبْد العزيز -رَحمَهُ اللهُ تَعالىٰ- منذُ صِغَرِهِ مقبلًا عَلَىٰ العِلْمِ والأَدَب، ومُجَالسة المَشَايخ، ومُجَانبة الشُّبَّان، فكيفَ يظنُّ به أَنَّه كَانَ يَهفو إِلَىٰ الغِنَاءِ، ويحبُّه حبًّا شديدًا.. هَذَا بهتانٌ عظيمٌ.

فصل

وأَمَّا قَوْله: «وقَدْ سَبقت المَدينةُ سَائرَ المُدُن الإسْلَاميَّة إِلَىٰ الغِنَاءِ، وَشَاع اللَّهوُ والقَصْفُ بَيْن أَهْلها».

فَجَوابُهُ أَنْ يُقَالَ: إنَّما شاعَ اللَّهوُ والقصفُ في فُسَّاق أَهْل المَدينَة، لا في

(١) في «تاريخه» (٢/ ٨٩٣) (٣٧٧٢).

خِيَارهِمْ، كَمَا هو مَعْلومٌ عندَ أَهْل العِلْمِ بالأخْبَار. وقَدْ تقدَّم عن الإِمَام مالكٍ أَنَّه سئلَ عمَّا يترخَّص فيه أَهْلُ المَدينَة من الغِنَاءِ، فقَالَ: إنَّما يفعلُهُ عندَنَا الفُسَّاق. قَالَ الحافظُ ابْنُ رجبٍ، وَكَذا قَالَ إبْرَاهيمُ بن المُنْذر الحزاميُّ، وهو من عُلَماء أَهْل المَدينَة المُعْتَبرين.

فصل

وأَمَّا قَوْله: «وهَذِهِ شذرةٌ تُصوِّر لَكَ الحَيَاة الغنائيَّة بالمَدينَة في ذَلكَ العَهْد، وتُريك أنَّ حياةَ المَرَح واللَّهو والطَّرَب كانَتْ تُسَاير فيها حَيَاة الفِقْهِ والحَدِيثِ والوَرَع والتَّقْوىٰ جنبًا لجنبٍ».

فجَوَابُهُ أَنْ يُقَالَ: إنَّ مُسَايرةَ حَيَاة المَرَح واللَّهو والطَّرب لحَيَاة الفِقْهِ والحَدِيثِ والوَرَع والتَّقوىٰ لَيْسَتْ بحُجَّةٍ عَلَىٰ جَوَاز المَرَح والغِنَاءِ واللَّهو والطَّرب.

ولَمْ يَزَل الفُسَّاقُ من أوَّل الأَمْر يُسَايرون المُتَّقين جنبًا لجنبٍ، ولَمْ يكنْ ذَلكَ دَليلًا عَلَىٰ جَوَاز أفْعَالهم السَّيِّئة، وقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالىٰ: ﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًاۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴾[السجدة: ١٨].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًاۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴾[الإسراء: ٣٧].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾[لقمان: ٦].

وقَدْ فَسَّر ابْنُ مسعودٍ، وابنُ عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وغيرُ واحدٍ من التَّابِعِين لَهْو الحَدِيثِ بالغِنَاءِ[١]، وَحَلف ابْن مَسْعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَىٰ ذَلكَ ثَلاث مَرَّاتٍ[٢].

وثَبتَ عن النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّه نَهَىٰ عن الغِنَاءِ، وسَمَّاه الصَّوت الأَحْمَق الفَاجر، وأَخْبَر أَنَّه ملعونٌ في الدُّنيا والآخرَة، وهَذَا يدلُّ عَلَىٰ تَحْريم الغِنَاءِ، والتَّشْديد فيه، وفي ذَلكَ ردٌّ عَلَىٰ مَنْ رامَ التَّرخيصَ فيه بالشُّبَه البَاطلَة.

فصل

وأمَّا ما ذَكَره عن الإِمَام مَالكٍ أَنَّه غنَّىٰ، وَسَمع ذَلكَ منه حُسَين بن دحمان الأَشْقَر، فهُوَ كذبٌ عَلَىٰ مالكٍ.

وقَدْ قَدَّمنا أَنَّ صَاحبَ «الأَغَانِي» غَيْر مَوْثوقٍ بنقْله؛ لأَنَّه شيعيٌّ ومُتَّهمٌ بالكَذِبِ.

وأيضًا، فحُسَين بن دحمان الأشْقَر مجهولٌ، لا يُدْرىٰ مَنْ هو، فلا يُعْتَمد عَلَىٰ نَقْله، وكذَلكَ من نقلَ ذَلكَ عن حُسَين لا يُدْرىٰ مَنْ هُمْ، فهَذَا خَبرٌ سَاقطٌ مردودٌ.

ويَكْفي في ردِّه ما رَوَاه الإِمَامُ أحمدُ عن إسْحَاق بن عيسىٰ الطباع، قَالَ: سألتُ مَالكَ بن أنسٍ عمَّا يترخَّص فيه أَهْل المَدينَة من الغِنَاءِ، فقَالَ: إنَّما يفعلُهُ عندنا الفُسَّاق[٣].

---

(١) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (١/ ٤٣٢) (١٢٦٥)، وقال الألباني في «صحيح الأدب المفرد» (٩٦٠): صحيح الإسناد موقوفًا.

(٢) أخرجه الحاكم (٢/ ٤٤٥) (٣٥٤٢) وصححه، ووافقه الذهبي.

(٣) رواه ابن الجوزي في «تلبيس إبليس» (٢٠٤).

فصل

وأمَّا قَوْله: «وَمِلَاكَ القَوْل أنَّ عمرَ بن عبد العزيز نَشَأَ في ظلال هَذِهِ الأَريكَة الفَيْنانة، وَسَمع بَلَابلها المُغرِّدة، وأَطْيَارها المَرنة، وَوَهَب اللهُ له حنجرةً مُوسيقيَّةً، فَشَدا وَلَحن، وتَغنَّىٰ وترنَّم».

فَجوابُهُ أَنْ يُقَالَ: هَذَا كذبٌ عَلَىٰ عُمَر بن عَبْد العَزيز رَحِمهُ اللهُ تَعالىٰ؛ لأنَّه قد ثَبتَ عنه ذمُّ الغِنَاءِ، والإنْكَار عَلَىٰ مَنْ يفعلُهُ، وقَدْ تقدَّم بيانُ ذَلكَ في أوَّل هَذِهِ النُّبذة، فَلْيُراجع، واللهُ المُسْتَعان، وهُوَ حَسْبنا ونِعْمَ الوَكيل.

وصلىٰ الله عَلَىٰ نبينا محمد، وعلىٰ آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إِلَىٰ يوم الدين، وسلم تسليمًا كثيرًا.

حرره الفقير إِلَىٰ الله تعالىٰ

حمود بن عبد الله التويجري

في ٢٣/ ١٢/ ١٣٨٥ هـ



الإجابة الجلية
على الأسئلة الكويتية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحَمْدُ لله ربِّ العَالَمين، وصلَّىٰ الله وسلَّم عَلَىٰ نبيِّنا مُحمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِهِ وأصْحَابه ومَنْ تَبعهُمْ بإحسانٍ إِلَىٰ يوم الدِّين.

❑ **أمّا بعد:**

فهَذَا جَوابُ كِتَاب أَرْسَله أحدُ الإخْوَان من سُكَّان الكُوَيت، وَاسْمُهُ عَبْد الله بن إبْراهيم العلي، وقَدْ ذكرَ أقوالًا باطلةً، وأفعالًا سيئةً صَدَرت من رُؤسَاء جَمَاعة يَزْعُمُون أَنَّهم عَلَىٰ عَقيدَةٍ سَليمَةٍ صَحيحَةٍ مُوَافقةٍ للكِتَابِ والسُّنَّة.

ويَطْلب الأخُ عَبْد الله الإفادةَ عن الجَمَاعة المُشَار إلَيْها، هل يُقَال: إنَّ عَقيدَتهم عَلَىٰ الكِتَابِ والسُّنَّة مَعَ ما سَيَأتِي ذكرُهُ عَنْهم من الأَقْوال البَاطلة، والأَفْعَال السَّيِّئة، أم لا؟ ومَنْ قَالَ: إِنَّهمْ عَلَىٰ عَقيدَةٍ صَحيحَةٍ مُوَافقة للكِتَابِ والسُّنَّة، فهَلْ يَكُون محسنًا أَوْ مسيئًا؟ وَمَاذا يُقَال في الَّذينَ انْضمُّوا إلَيْهم، وهُمْ مَعَ ذَلكَ يُخَالفونهم في أَقْوَالهم وأَفْعَالهم، وَلَكنَّهم لَا يَسْتَطيعون المُجَاهرة بالإنْكَار لأَقْوَالهم وأَفْعَالهم خَوْفًا من شَقِّ الصَّفِّ، وتَفْريق الكَلمَة؟ وَمَاذا يُقَال في الَّذي يعتذرُ عن أَقْوَالهم البَاطلَة، وأَفْعَالهم السَّيِّئة، ويَقُول: إِنَّها لا تُخَالف العَقيدَة، وَلَا تَكُون طعنًا فيها، وإنَّما هي مَوَاقفُ، والمَوَاقفُ لا تَدْخل في العَقيدَة؟

وهَذَا مُلَخَّص ما ذَكَره الأخُ عبدُ الله عَنْهم من الأَقْوَال البَاطلَة، والأَفْعَال السَّيِّئة.

الأوَّل: تَجْويزهم طَلَب الاسْتغفَار من النَّبيِّ ﷺ بَعْد موتِهِ، وزَعْمهم أنَّ رَسُول الله ﷺ يَسْتغفر حيًّا وميتًا لمَنْ جاءَه قاصدًا رِحَابه.

والجَوَابُ: أنْ يُقَال: أمَّا طَلَب الاسْتغفَار من النَّبيِّ ﷺ في حَال حياتِهِ، فهو جائزٌ؛ لقَوْل الله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٦٤]؛ ولأَنَّ الله تَعالىٰ قَدْ أمرَ رَسُولَه ﷺ أنْ يَسْتَغفر للمُؤْمنين والمُؤْمنات، فقَالَ تعَالَىٰ: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [محمد: ١٩].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ ۙ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الممتحنة: ١٢].

وقَالَ تعَالىٰ مُخبرًا عن المُنافِقِين: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْاْ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ۝٥ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [المنافقون: ٥، ٦].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٨٠].

وأمَّا طَلَبُ الاسْتغفَار من النَّبيِّ ﷺ بَعْد موتِهِ، فهُوَ من المُحْدَثات الَّتي لَمْ تكنْ في عَهْد الصَّحَابة والتَّابِعين، وقَدْ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَنْ

أحدثَ في أَمْرنا هَذَا ما ليسَ منه، فهُوَ رَدٌّ»، رَوَاه الإِمَامُ أَحْمَدُ، والبُخَاريُّ، ومُسْلمٌ، وأَبُو دَاوُدَ، وَابْن مَاجَه من حَدِيثِ عَائشَة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا(١).

وفِي رِوَايةٍ لأَحْمَد، ومُسْلمٍ، وَالبُخَاريِّ تَعْليقًا مَجْزومًا به: «**مَنْ عَمِلَ عَملًا ليسَ عَلَيه أَمْرنا فهُوَ ردٌّ**»(٢)، الرَّدُّ هو المَرْدود، والمَعْنىٰ فهُوَ باطلٌ غير مُعْتدٍّ به.

ورَوَىٰ الإِمَامُ أَحْمَد أيضًا، وأَهْل السُّنَن، وَابْن حبَّان في «صَحيحِهِ»، وَالحَاكمُ في «مُسْتَدركه» عن العِرْبَاض بن سَارية رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**عَليكُمْ بسُنَّتي وسُنَّة الخُلَفاء الرَّاشدين المَهْديِّين، تَمسَّكوا بها، وعَضُّوا عَلَيها بالنَّوَاجذ، وإيَّاكم ومُحْدثات الأُمُور، فإنَّ كلَّ مُحْدثةٍ بِدْعَةٌ، وكلَّ بِدْعةٍ ضَلالةٌ**»(٣).

قَالَ التِّرْمذيُّ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ. وصَحَّحه والحاكمُ، وَابْن عبد البرِّ، والذَّهبيُّ.

ورَوَىٰ الإِمَامُ أَحْمَدُ أيضًا، ومُسْلمٌ، والنَّسائيُّ عَنْ جَابر بن عَبْد الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**أمَّا بَعْد: فإنَّ خيرَ الحَدِيثِ كِتَابُ الله، وخَيْر الهَدْي هَدْي مُحمَّدٍ، وشَرَّ الأُمُور مُحْدَثاتها، وكلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**»(٤)، زادَ النَّسائيُّ: «**وكلَّ**

---

(١) أخرجه أحمد (٦/ ٢٧٠) (٢٦٣٧٢)، والبخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨)، وأبو داود (٤٦٠٦)، وابن ماجه (١٤).

(٢) أخرجه أحمد (٦/ ١٤٦) (٢٥١٧١)، ومسلم (١٧١٨) والبخاري تعليقًا (٩/ ١٠٧).

(٣) أخرجه أحمد (٤/ ١٢٦) (١٧١٨٤)، وأبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وابن ماجه (٤٢)، والحاكم (١/ ١٧٤) (٣٢٩)، والبيهقي (١٠/ ١١٤) (٢٠١٢٥)، وابن حبان (١/ ١٧٨) (٥)، والدارمي (١/ ٥٧) (٩٥)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٢٧٣٥).

(٤) أخرجه أحمد (٣/ ٣١٠) (١٤٣٧٣)، ومسلم (٨٦٧)، والنسائي (١٥٧٨)، وابن ماجه (٤٥).

ضَلالَةٍ في النَّار»(١).

وفِي هَذِهِ الأَحَاديث أبْلَغ ردٍّ عَلَىٰ مَنْ أجاز سُؤال الاسْتغفَار من النَّبيِّ صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بَعْد موتِهِ؛ لأَنَّ النَّبيَّ صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لَمْ يَأْمر أُمَّته بذلكَ، ولَمْ يكنْ ذَلكَ من سُنَّة الخُلَفاء الرَّاشدين المَهْديين، ولَا من عَمَل غَيْرهم من الصَّحَابة رِضْوَان الله عليهم أجْمَعين، ولَوْ كانَ جَائزًا، لَكَان الصَّحابةُ أَسْبَق إِلَيْه من غَيْرهم، وقَدْ قَالَ الرَّاجزُ، وأحْسَنَ فيما قَالَ:

وكُلُّ خيرٍ في اتِّباع مَنْ سَلَفْ ... وكُلُّ شرٍّ في ابْتدَاع مَنْ خَلَفْ

ومِمَّا يدلُّ عَلَىٰ ردِّ هَذِهِ المُحْدثة أيضًا: ما رَوَاه الإِمَامُ أَحْمَدُ، والبُخَاريُّ، ومُسْلمٌ، والتِّرْمذيُّ، والنَّسائيُّ عَن ابْن عبَّاس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قَالَ: قَامَ فينَا رَسُولُ الله صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ خطيبًا بمَوْعظةٍ -فَذَكر الحَدِيثَ، وَفِيهِ: أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قَالَ: «... **ألا وإنَّه سيُجَاء برجالٍ من أُمَّتي، فيُؤخَذ بِهِم ذَات الشِّمال، فأَقُول: يا ربِّ، أصْحَابي. فيُقَال: إنَّك لا تَدْري ما أَحْدَثوا بَعْدك، فأَقُول كَمَا قَالَ العبدُ الصَّالح: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ﴾** [المائدة: ١١٧]...» الحَدِيث(٢).

وفِي قَوْله: «**إنَّك لا تَدْري ما أَحْدَثوا بَعْدك**»، وقَوْله: ﴿**وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ**﴾ [المائدة: ١١٧]؛ دليلٌ عَلَىٰ أَنَّ النَّبيَّ صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ إِنَّما كَانَ يَعْلم بسؤال الَّذينَ يَسْألونه الاسْتغفَارَ لهم إذ كَانَ حيًّا شهيدًا

---

(١) (١٥٧٨)، وصححه الألباني في «الإرواء» (٦٠٧).

(٢) أخرجه وأحمد (١/ ٢٥٣) (٢٢٨١)، والبخاري (٤٣٤٩)، ومسلم (٢٨٦٠)، والترمذي (٣١٦٧)، والنسائي (٢٠٨٧).

عَلَيهم، وأَنَّه لا يَدْري بما أَحْدَثه الَّذينَ يَسْألونه الاسْتغفَار لهُمْ بَعْد موتِهِ.

ومَا يذكرُ في هَذَا البَاب من الحكَايَات عن بَعْض الجُهَّال الَّذينَ يَسْألون الاسْتغفَارَ من النَّبيِّ صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بَعْد موتِهِ، فَلَا عِبْرَةَ بها؛ لأَنَّها من المُحْدَثات، والمُحْدثاتُ كلُّها مَرْدودةٌ بالأَحَاديث الصَّحِيحةِ الَّتي تَقدَّم ذِكْرها، وقَدْ قَالَ شيخُ الإِسْلَام أبو العبَّاس ابْن تَيْمية في كِتَابِ «التَّوسُّل والوَسيلة»(١): «إِنَّ الَّذينَ يَطْلبون الاسْتغفَارَ من النَّبيِّ صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بَعْد مَوْته قد خَالَفوا إِجْماعَ الصَّحابة والتَّابعين، وَسَائر المُسْلمين». انْتهَىٰ.

الثَّانِي من أَقْوَالهم البَاطلَة: إِبَاحَة الاسْتِنْجَاد بالنَّبيِّ صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بَعْد مَوْته، وزَعْمهم أَنَّه ليسَ بمُسْتنكر من النَّاحية الشَّرعيَّة، وزَعْمهم أَنَّه لا دَاعي للتَّشدُّد في الإِنْكَار عَلَىٰ مَنْ يَعْتقد كَرَامة الأَوْليَاء، واللُّجوء إِلَيْهم في قُبُورهم، والدُّعاء فيهَا عندَ الشَّدَائد.

والجَوابُ أَنْ يُقَالَ: أَمَّا اللُّجوءُ إِلَىٰ أَهْل القُبُور، وَالاسْتنجَاد بِهِم، ودُعَاؤهم عند الشَّدَائد فإِنَّه شركٌ أَكْبَر، وَسَواء في ذَلكَ الاسْتنجَاد بالنَّبيِّ صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، ودُعَاؤه، واللُّجوء إِلَىٰ قَبْره، والاسْتنجَاد بغَيْره من الأَمْوَات، ودُعَاؤهم، واللَّجوء إِلَىٰ قُبُورهم، فكلُّه من الشِّرْك الأَكْبر، وقَدْ قَالَ اللهُ تَعالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨].

وفِي الآيَة الأُخْرَىٰ: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١١٦].

وَقَالَ تَعالَىٰ: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ

---

(١) (ص ٢٤).

وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ۝٥ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ﴾ [الأحقاف: ٥، ٦]، فسَمَّىٰ دُعَاءهم إيَّاهُم عبادةً، وأَخبر أَنَّهم لا يَسْتَجيبون لهم إِلَىٰ يَوْم القيَامَة، وأنَّهم عن دُعَائهم غَافلُون، وأَنَّهم يكُونُون لهم أعْدَاء يَوْم القيَامَة، ويَكْفرون بعِبَادَتهم إيَّاهم.

وأَخْبر في آيةٍ أُخْرىٰ أَنَّهم يَتبرَّءُون منهم، فأيُّ خيرٍ يَحْصل لمَنْ يَدْعو غيرَ الله، ويَلْجأ إِلَىٰ الأَمْوَات، ويَسْتغيث بهم عندَ الشَّدَائد، لقَدْ خابَ وَخسر مَنْ فَعَل ذَلكَ، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ۝١٣ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: ١٣، ١٤]، فسَمَّىٰ دُعَاءهم إيَّاهم شركًا، وأَخْبَر أَنَّهم لا يَسْمعون دعاءَ الَّذينَ يَدْعونهم، وأَنَّهم لَوْ سَمعُوا ما اسْتَجَابوا لهم، فأيُّ خيرٍ يَحْصل لمَنْ يَدْعو غيرَ الله، ويَسْتَغيث بالأَوْليَاء، أَوْ مَنْ تُدَّعىٰ فيهم الولَاية، ويُلْجأ إِلَيْهم، ويُسْتنجد بِهِم عندَ الشَّدَائد والمُلمَّات، ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ﴾ [إبراهيم: ١٨].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾ [الإسراء: ٥٦]، وَمَنْ زَعَم أَنَّ الاستنجادَ بالنَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْد موتِهِ مباحٌ، وأَنَّه ليسَ بمُسْتنكرٍ من النَّاحيَة الشَّرعيَّة، فقَدْ أباحَ الشِّرْك بالله، وَافْترىٰ عَلَىٰ الشَّريعة المُحمَّدية.

وفيمَا ذكرتُهُ من الآيَات أبْلَغ ردٍّ وتَكْذيبٍ لزَعْمه وفِرْيَته.

وقَدْ رَوىٰ الطَّبرانيُّ عن عُبادة بن الصَّامت رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ في زَمَن النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منافقٌ يُؤْذي المُؤْمنين، فقَالَ بَعْضهم: قُومُوا بنا نَسْتغيث برَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من هَذَا المُنَافق. فقَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّه لا يُسْتغَاث بي،**

وإنَّما يُسْتَغاث بالله»(١).

وإذا كَانَ النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ أنكرَ الاسْتغاثَة بِهِ فِي حين حَياته، وَأَخْبَر أَنَّ الاستغاثَةَ لا تَكُون إلَّا بالله، فَمَاذا يُقَال فيمَنْ زَعَم أَنَّ الاسْتنجادَ بالنَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْد موتِهِ مباحٌ، وأَنَّه ليسَ بمُسْتَنكر من النَّاحية الشَّرعيَّة؟

والجوابُ أنْ يُقَالَ: لا شكَّ أنَّ هَذَا عينُ المُحادَّة لله ولرَسُوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَدْ قَالَ اللهُ تَعالَىٰ: ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدًا فِيهَاۚ ذَٰلِكَ ٱلْخِزْىُ ٱلْعَظِيمُ ﴾[التوبة: ٦٣].

الثَّالث من أَقْوَالهم البَاطلَة: زَعْمهم أنَّ قُبُورَ الصَّالحين تَنْزل عَلَيها رَحمةُ الله وبركاتُهُ ونفحاتُهُ، وأَنَّه لابدَّ للمُسْلم أن يَتعرَّض ويَقْترب ويَدْعو في تلكَ الأَمَاكن.

والجَوابُ أنْ يُقَالَ: هَذَا مِمَّا زَيَّنه الشَّيطانُ لكثيرٍ من الجُهَّال ليُضلَّهم عَنْ سَبيل الله، وَيُوقعهم في الشِّرْك بالله، فإنَّ التَّبرُّك بالقُبُور، والدُّعاء عندَها من أعْظَم الأسْبَاب للإشْرَاك بأصْحَابها، وقَدْ نَهَىٰ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن اتِّخاذ قَبْره عيدًا، ونَهْيه عَنْ ذَلكَ يدلُّ بطريق الأَوْلَىٰ عَلَىٰ النَّهي عن اتِّخاذ قُبُور الصَّالحين أعيادًا، والعيدُ اسمٌ لمَا يُعْتاد مَجيئه وقَصْده من زمانٍ ومكانٍ مَأْخوذ من المُعَاودة والاعْتيَاد، وَمنه اعتيادُ المَجيء إِلَىٰ القُبُور للتَّبرُّك بها، والدُّعَاء عندها.

وقَدْ رَوَىٰ الحافظُ الضِّياء في «المُخْتارة»(٢) عَنْ زَيْن العَابِدين عَليِّ بن الحُسَين

---

(١) أخرجه الطبراني كما في «مجمع الزوائد» (١٠/ ١٥٩) وقال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح، غير ابن لهيعة، وهو حسن الحديث.

(٢) (١/ ٢٤٤)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٧٨٥).

أَنَّه رأىٰ رجلًا يَجيء إِلَىٰ فُرْجةٍ كانت عند قَبْر النَّبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فيَدْخل فيها، فيَدْعو، فَنَهاه، وقَالَ: أَلَا أُحدِّثكم حَدِيثًا سمعتُهُ من أَبي، عن جدِّي، عَنْ رَسُول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**لا تَتَّخذوا قَبْري عيدًا، وَلا بُيُوتَكمْ قُبورًا، وصَلُّوا عَليَّ، فإِنَّ تَسْليمَكُمْ يَبْلغني أيْن كُنْتم**».

قَالَ بَعْض العُلَماء: هَذَا يدلُّ عَلَىٰ النَّهي عَنْ قَصْد القُبُور والمَشَاهد لأَجْل الدُّعاء، والصَّلَاة عندهَا؛ لأَنَّ ذَلكَ من اتِّخاذها عيدًا كَمَا فَهمَهُ عليُّ بن الحُسَين من الحَدِيثِ، فَنَهىٰ ذَلكَ الرَّجل عن المَجيء إِلَىٰ قَبْر النَّبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للدُّعاء عنده، فكَيْف بقَبْر غَيْره؟!

وَقَالَ شَيْخُ الإِسْلَام أَبو العبَّاس ابْن تيمية: «كَانَ الصَّحَابة والتَّابعون يَأْتون إِلَىٰ مَسْجده صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فيُصلُّون خَلْف أَبي بَكْرٍ، وعُمَر، وعُثْمان، وعليٍّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، ثمَّ إذَا قَضَوا الصَّلاة فعدوا أو خَرَجوا، ولَمْ يَكُونوا يَأْتون القَبْر للسَّلَام؛ لعِلْمِهم أَنَّ الصَّلاة والسَّلام عَلَيه في الصَّلاة أكْمَل وأفْضَل.

وأمَّا دُخُولهمْ عندَ قَبْره للصَّلاة والسَّلام عَلَيْه هُنَاك، أَوْ للصَّلَاة والدُّعاء، فلَمْ يَشْرعه لهُمْ، بَلْ نَهَاهم عَنْه بقَوْله: «**لَا تَتَّخذوا قَبْري عيدًا، وصلُّوا عليَّ، فإِنَّ صَلاتَكم تَبْلغني**»(١)، فبَيَّن أَنَّ الصَّلاة تَصلُ إِلَيْه من بُعْد، وكذَلكَ السَّلام.

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٣٦٧) (٨٧٩٠)، وأبو داود (٢٠٤٢) من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن، وقال الألباني في «صحيح أبي داود» (١٧٨٠): «إسناده صحيح، وكذا قال الحافظ، وحسنه ابن القيم».

ولَعَن مَن اتَّخذَ قبُور الأنْبيَاء مَسَاجد(١)، وَكَانت الحجرة في زَمَانهم يُدْخل إلَيْها من البَاب إذْ كَانت عائشةُ فيها، وبَعْد ذَلكَ إلَىٰ أنْ بني الحائطُ الآخر وهُمْ مع ذَلكَ التَّمكُّن من الوُصُول إلَىٰ قَبْره لا يَدْخلون إلَيْه لَا للسَّلام، ولا للصَّلاة، ولا للدُّعَاء لأَنْفسهم، ولا لغَيْرهم، وَلَا لسُؤالٍ عن حَدِيثٍ، أو عِلْمٍ، ولا كَانَ الشَّيطان يَطْمع فيهم حتَّىٰ يُسْمعهم كلامًا أوْ سَلامًا، فيَظنُّون أَنَّه هو كَلَّمهم وأفْتَاهم، وبَيَّن لَهُم الأَحَاديثَ، أوْ أَنَّه قَدْ ردَّ عَلَيْهم السَّلام بصوتٍ يُسْمع من خارجٍ كَمَا طَمعَ الشَّيْطانُ في غَيْرهم، فأَضلَّهم عندَ قَبْره، وقَبْر غَيْره حتَّىٰ ظَنُّوا أنَّ صاحبَ القَبْر يأمُرُهم، ويَنْهاهم، ويُفْتيهم، ويُحدِّثهم في الظَّاهر، وأَنَّه يَخرج من القَبْر، وَيَرَونه خارجًا من القَبْر، ويظنُّون أنَّ نفسَ أبْدَان الموتىٰ خَرَجت تُكلِّمهم، وأنَّ رُوحَ المَيِّت تَجسَّدت لهُمْ، فَرَأوها كما رَآهم النَّبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليلةَ المِعْرَاج.

والمَقْصود أَنَّ الصَّحابةَ ما كَانُوا يَعْتادون الصَّلَاة والسَّلَام عَلَيْه عند قَبْره كَمَا يفعلُهُ مَن بَعْدهم مِن الخُلُوف، وإنَّما كَانَ بَعْضهم يأتِي من خَارج، فيُسلِّم عَلَيْه إِذَا قدمَ من سفرٍ كَمَا كَانَ ابْنُ عُمَر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا يفعلُهُ.

قَالَ عُبَيد الله بن عُمَر، عَنْ نافعٍ: كَانَ ابْنُ عُمَر إِذَا قدمَ من سفرٍ، أَتَىٰ قَبر النَّبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقَالَ: السَّلَام عَلَيك يا رَسُول الله، السَّلَام عَلَيك يا أبَا بَكْر، السَّلَام عَلَيك يا أبَتَاه، ثمَّ يَنْصرف. قَالَ عُبَيد الله: ما نَعْلم أحدًا من أَصْحَاب النَّبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فعَل ذَلكَ إلَّا ابْن عُمَر.

---

(١) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (٤٣٥)، ومسلم (٥٣١) من حديث عائشة، وعبد الله بن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، وفيه: «**لَعْنَةُ اللهِ عَلَىٰ اليَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ**» يُحَذِّرُ مَا صَنَعُوا.

وهَذَا يدلُّ عَلَىٰ أَنَّه لا يقف عند القَبْر للدُّعاء إِذَا سلمَ كَمَا يَفْعله كثيرٌ.

قَالَ شَيْخ الإِسْلَام رحمه الله تَعالَىٰ: لأنَّ ذَلكَ لم يُنْقل عن أحدٍ من الصَّحَابَة، فكان بِدْعَةً محضةً»(١). انْتهَىٰ.

وإِذَا كَانَ الوُقُوفُ عند قَبْر النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للدُّعاء بِدْعَةً محضةً، فكيفَ بالوُقُوف للدُّعاء عندَ قُبُور الصَّالحين، أوْ مَنْ يظنُّ صَلَاحهم، فهُوَ أَوْلَىٰ باسْم البِدْعَةِ، وأوْلَىٰ بالمَنْع؛ لأَنَّه من أعْظَم الوَسَائل إِلَىٰ الغلوِّ في القُبُور، والإِشْرَاك بأَصْحَابها.

الرَّابع: زَعْمهم أنَّ سعيدَ بن المُسيِّب كَانَ يَسْمع الأذانَ من القَبْر النَّبويِّ في أيَّام الحرَّة، وقَوْلهم: مَنْ ذا الَّذي كَانَ يُؤذِّن من دَاخل قَبْر رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟

والجوابُ أَنْ يُقَالَ: أمَّا ما ذُكِرَ عَنْ سَعيد بن المُسيِّب أَنَّه كَانَ يسمعُ الأذانَ من قَبْر النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أَيَّام الحرَّة، فهُوَ غير ثابتٍ عَنْه، وقَدْ رَوَاه ابنُ سعدٍ في «الطَّبقات»(٢) بإِسْنَادين ضَعيفَيْن جدًّا:

أمَّا أَحدُهُما: فَفِيهِ عَبْد الحَميد بن سُلَيمان الخزاعي، قَالَ ابْنُ معينٍ في روايةٍ عَنْه: ليسَ بشيءٍ. وقَالَ في روايةٍ أُخرىٰ: ليسَ بثقةٍ.. وَكَذا قَالَ أَبُو دَاوُد والنَّسائيُّ: إنَّه ليسَ بثقةٍ. وقَالَ النَّسائيُّ في موضعٍ آخرَ: إِنَّه ضعيفٌ. وضَعَّفه أيضًا ابْنُ المدينيِّ، وَصَالحُ بن مُحمَّد، والدَّارقطنيُّ، والذَّهبيُّ.

وأمَّا الإِسْنَاد الثَّاني: فَفِيهِ الواقديُّ، وهو متروكٌ، وما كَانَ بهذِهِ المَثَابة فإِنَّه لا يعتدُّ به،

---

(١) (٢٧/ ٣٨٧).

(٢) (٥/ ١٠٠).

وَعَلَىٰ تَقْدير ثُبُوته، فليسَ فيه ما يدلُّ عَلَىٰ جَواز الاسْتنجَاد بالنَّبيِّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا عَلَىٰ جَوَاز اللُّجوء إِلَىٰ قَبْره، والدُّعاء عنده، وَلَا عندَ قُبُور الصَّالِحِين؛ لأَنَّ الاسْتنجَاد بالنَّبيِّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، واللُّجوء إِلَىٰ قَبْره، أَوْ إِلَىٰ قُبُور الصَّالحين شركٌ أَكْبَر.

وأَمَّا الدُّعاء عند قَبْره صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعندَ قُبُور الصَّالحين، فهُوَ من أَعْظَم الوَسَائل إِلَىٰ الشِّرْك، والوَسَائلُ لها حكمُ الغَايَات والمَقاصد، وما كَانَ كذَلكَ فإِنَّه لا يَجُوز فعلُهُ.

وأَمَّا قَوْلهم: مَنْ ذا الَّذي كَانَ يُؤذِّن من دَاخل قَبْر رَسُول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فَجوابُهُ أَنْ يُقَالَ: إنَّ إسنادَ الخَبَر فِي سَمَاع الأَذَان من القَبْر النَّبويِّ ضَعيف جدًّا، وقَدْ تقدَّم بيانُ ذَلكَ، وما لَمْ يَثْبت بإسنادٍ صَحِيحٍ، فإِنَّه لا يعتدُّ به، ولَمْ يُذْكر عَن النَّبيِّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّه أذَّن في حياتِهِ ولا مرةً واحدةً، فكيف يتوهَّم أَنَّه كَانَ يُؤذِّن في قَبْره بعد مَمَاتِهِ وَانْقطَاعِ التَّكَاليف عنه؟! عَلَىٰ تَقْدير ثُبُوت ما ذكرَ عَنْ سَعيد بن المُسيِّب، فإِنَّه مَحْمولٌ عَلَىٰ أَنَّ الأذانَ كَانَ من بَعْض المَلَائكة الَّذينَ كانوا يَحْضرون عند القَبْر الشَّريف، ويُبْلغون رَسُول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أُمَّته السَّلَام، فقَدْ ثَبَتَ عنه صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّه قَالَ: «**إنَّ لله مَلَائكةً سَيَّاحين فِي الأَرْض يُبْلغوني من أُمَّتي السَّلَام**»، رَوَاه الإِمَامُ أَحْمَدُ، والنَّسائيُّ، والدَّراميُّ بأَسَانيدَ صَحِيحةٍ عَلَىٰ شَرْط مُسْلمٍ، وَرَوَاه أيضًا ابْنُ حبَّان في «صَحِيحِهِ»[١].

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٤٤١) (٤٢١٠)، والنسائي (١٢٨٢)، والدارمي (٣/ ١٨٢٦) (٢٨١٦)، وابن حبان (٣/ ١٩٥) (٩١٤) من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٢٨٥٣).

وبالجُمْلة؛ فليسَ في سَمَاع الأَذَان من القَبْر النَّبويِّ ما يتعلَّق به أَهْل الغُلوِّ في القُبُور والإِشْرَاك بأَصْحَابها.

الخَامس قَوْلهم: ما لنَا وللحَمْلة عَلَىٰ أَوْليَاء الله وزُوَّارهم الدَّاعين عندَ قُبُورهم ومَقَاماتهم بَعْد أَنْ قَالَ رَسُولُ الله صَلَّىٰللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فيمَا يَرْويه عن ربِّ العزَّة: «إِنِّي لأَثأَرُ لأَوْليَائي كَمَا يثأَرُ اللَّيثُ الحَرب»(١).

والجوابُ أَنْ يُقَالَ: ليسَ في النَّهي عَن الدُّعاء عندَ قُبور الصَّالحين شيءٌ من الحَمْلة عَلَيْهم، وإنَّما فيه النَّهي عن الغُلوِّ فيهم، وَعَن اتِّخاذ قُبُورهم مَسَاجد وأعيادًا يُعْتاد المجيءُ إِلَيْها للتَّبرك بها، والدُّعَاء عندَها؛ لأنَّ ذَلكَ من أعْظَم أسْبَاب الشِّرك، وقَدْ نَهَىٰ رَسُولُ الله صَلَّىٰللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ عن اتِّخاذ قَبْره عيدًا، وعَن اتِّخَاذ القُبُور مَسَاجد، وَلَعَن الَّذينَ اتَّخذوا قُبُورَ أَنْبيَائهم مَسَاجد، وأَخْبر أَنَّهم من شِرَارِ النَّاس، وأَنَّه قَد اشتدَّ غَضَبُ الله عَلَيْهم، وفي هَذَا أَبْلَغ زَجْر عن الصَّلَاة عند القُبُور، والدُّعَاء عندها.

وَعَلَىٰ هَذَا، فيَنْبغي أن تُشدَّد الحَمْلة عَلَىٰ الزُّوَّار الَّذينَ يَأْتون إِلَىٰ قُبُور الصَّالحين ومَقَاماتهم للتَّبرك بها، والدُّعَاء عندهم، ويُمْنَعون من الغُلوِّ في الأَمْوَات، واتِّخاذ قُبُورهم مَسَاجد وأعيادًا.

وأَمَّا الأَثرُ الَّذي فيه: «إِنِّي لأَثأَرُ لأَوْليَائي كَمَا يثأَرُ اللَّيث الحرب». فلَيْسَ فِيهِ ما يَتعلَّق به المَفْتونون بالدُّعاء عندَ القُبُور، وإِنَّما مَعْناه أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ يَنْصر أَوْليَاءه المُتَّقين، ويَأْخذ لهُمْ بالثَّأر ممَّن يُؤْذيهم ويَظْلمهم، ويَبْغي عَلَيْهم في حَال حَيَاتهم. ورُبَّما عَجَّل العُقُوبة لمَنْ يَسبُّهم، وَيَقع في أعْرَاضهم من بَعْد مَوْتهم كَمَا وَقَع ذَلكَ

(١) لم أقف عليه.

لبَعْض الَّذينَ يَسبُّون الصَّحَابَة ويَتنقَّصونهم، فأمَّا تَحرِّي الدُّعاء عند قُبُور الصَّالحين وَمَقَاماتهم، فهُوَ من أقْرَب الوَسَائل، وأعْظَمُ الأَسْبَاب إِلَىٰ الإشْرَاك بِهِمْ، وقَدْ حَذَّر اللهُ تَعَالَىٰ من الشِّرْك غَايةَ التَّحْذير، وأَخْبَر أَنَّه لا يغفرُ لأهلِهِ، ومَا كَانَ وسيلةً إِلَىٰ الشِّرْك، فإِنَّه لا يَجُوز فعلُهُ، ويجبُ الإنْكَارُ والتَّشديدُ عَلَىٰ مَنْ يفعلُهُ.

السَّادس قَوْلهم: لقَدْ أثبتَ القرآنُ صراحةً لا تلميحًا، وَلَا مجازًا، أَنَّ بَقَايا الصَّالحين وآثَارَهم يُمْكن التَّوسُّل بها في اسْتجلَاب الخَيْر، ودَفْع الضُّرِّ مَهْما تَقَادم بها العهدُ، يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَـٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٨].

وَالجَوابُ أنْ يُقَالَ: إِنَّ الشَّريعةَ المُحمَّديَّة الكَامِلَة قَدْ نَسخت الشَّرائعَ الَّتي كَانَت قَبْلها، فليسَ لأحدٍ أنْ يَعْمل بشيءٍ يُخَالفها، وقَدْ نَهَىٰ رَسُولُ الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الغُلوِّ، وأعْظَمُ الغلوِّ ما كَانَ وسيلةً إِلَىٰ الشِّرْك بالله تَعَالَىٰ، وَمنه التَّبرك ببَقَايا الصَّالِحِين وآثَارهم، والتَّوسُّل بها فِي اسْتجلَاب الخَيْر، وَاسْتدفَاع الضَّرر، وقَدْ قَالَ رَسُولُ الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبلَ أَنْ يَمُوت بخمسٍ: «**أَلَا وإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلكم كَانوا يَتَّخذون قُبُورَ أَنْبيَائهم وَصَالِحِيهم مساجدَ، أَلَا فَلَا تَتَّخذوا القُبُورَ مَسَاجد، إِنِّي أَنْهَاكُمْ عَنْ ذَلكَ**»، رَوَاه مُسْلمٌ من حَدِيثِ جُنْدب بن عَبْد الله البجلي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ[١].

قَالَ النَّوويُّ في «شَرْح مُسْلمٍ»[٢]: قَالَ العلماءُ: إنَّما نَهَىٰ النَّبيُّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

---

(١) أخرجه مسلم (٥٣٢).

(٢) (٥/ ١٣).

عن اتِّخاذ قَبْره وقَبْر غَيْره مسجدًا؛ خوفًا من المُبَالغة في تَعْظيمه، والافْتتَان بِهِ، فرُبَّما أدَّىٰ ذَلكَ إِلَىٰ الكُفْر كَمَا جَرَىٰ لكثيرٍ من الأُمَم الخَالية. انْتهَىٰ.

وفي «الصَّحِيحَيْن»، وغَيْرهما عَنْ عَائشةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا أنَّ رَسُولَ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قَالَ في مَرَضه الَّذي لَمْ يقم منه: «**لَعَنَ اللهُ اليهودَ والنَّصارىٰ، اتَّخَذوا قُبُورَ أنبيَائهم مَسَاجدَ**»[1].

وَفِي «الصَّحِيحَيْن» وغَيْرهما أيضًا عن عَائشةَ، وَابْن عبَّاس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ قَالَا: لمَّا نَزَلَ برَسُول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: طفقَ يَطْرح خميصةً له عَلَىٰ وَجْهه، فَإِذَا اغتمَّ بها كَشَفها عَنْ وَجْهه، فقَالَ وهُوَ كَذَلك: «**لعنةُ اللهِ عَلَىٰ اليَهُود والنَّصارىٰ، اتَّخَذوا قُبُورَ أنْبيَائهم مَسَاجد**»، يُحذِّر مثلَ مَا صَنَعوا[2].

وفِي هَذِهِ الأَحَاديث دَليلٌ عَلَىٰ أَنَّه لا يَجُوز التَّبرك بآثَار الصَّالِحِين، وَلَا الدُّعاء عند قُبُورهم ومَقَاماتهم؛ لأنَّ ذَلكَ وَسيلةٌ إِلَىٰ الغلوِّ فيهم، والإِشْرَاك بِهِم، وَسَد الذَّرائع المُفْضية إِلَىٰ الشِّرْك هو الحكمةُ فِي نَهْيه صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ عن اتِّخاذ قَبْره عيدًا، وَعَن اتِّخاذ قُبُور الأنْبيَاء والصَّالحين مَسَاجد، وَلَعنه الَّذينَ اتَّخذوا قُبُورهم مَسَاجد.

وبالجُمْلة، فليسَ في الآية من سُورَة البَقَرة قَوْله تَعالَىٰ: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ ...﴾ الآيَة، ما يدلُّ عَلَىٰ جَوَاز التَّوسُّل ببَقَايا الصَّالحين وآثَارهم فِي اسْتجلَاب الخَيْر، وَاسْتدفَاع الضَّرر، ومَنْ زَعَم أَنَّ الآيَةَ تدلُّ عَلَىٰ جَوَاز التَّوسُّل ببَقَاياهم وَآثَارهم، فقَدْ جَمَع بَيْن ثَلَاثة أُمُورٍ مُحرَّمة:

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٣٠)، ومسلم (٥٢٩).

(٢) أخرجه البخاري (٤٣٥)، ومسلم (٥٣١).

أَحَدها: الغلوُّ في الصَّالحين، والغلوُّ فِيهِم من أعْظَم الوَسَائل إِلَىٰ الشِّرْك بِهِمْ، وقَدْ نَهَىٰ النَّبيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ عن الغُلوِّ، وتَقدَّم ذِكْرُ الحَدِيث في ذَلكَ.

الثَّانِي: القَوْل في القُرْآن بمجرَّد الرَّأي: وقَدْ ثَبتَ عن النَّبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أَنَّه قَالَ: «**مَنْ قَالَ في القُرْآن بغيرِ عِلْمٍ، فَلْيتبوَّأ مَقْعده من النَّار**»، رَواه الإِمَامُ أَحْمَد، والتِّرْمذيُّ، وابْن جريرٍ، وَالبَغويُّ من حَدِيثِ ابْن عبَّاس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، وقَالَ التِّرْمذيُّ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ[١].

وفِي روايةٍ لَه: «**مَنْ قَالَ في القُرْآن بِرَأْيه، فَلْيتبوَّأ مَقْعده من النَّار**»، قَالَ التِّرْمذيُّ: هَذَا حَدِيثٌ حسنٌ[٢].

قَالَ: وهَكَذا رُوي عن بَعْض أَهْل العِلْمِ من أَصْحَاب النَّبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وغَيْرهم أَنَّهم شَدَّدوا في هَذَا؛ في أن يُفسَّر القُرْآن بغير عِلْمٍ. انْتهَىٰ.

الثَّالث: اتِّباع ما تَشَابه من القُرْآن ابْتغَاء الفتنَة، وتَضْليل الجُهَّال الَّذينَ لا يَعْرفون الفرقَ بَيْن الحقِّ وَالبَاطل، وقَدْ قَالَ اللهُ تَعالَىٰ: ﴿**فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ**﴾ [آل عمران: ٧].

ومنَ الأَدلَّة عَلَىٰ المَنْع من تَتبُّع آثَار الأَنْبيَاء والصَّالِحِين: ما رَواه أبو بكرٍ بن أَبي شَيْبة في «مُصنَّفه»[٣] بإسنادٍ صَحِيحٍ إِلَىٰ نافعٍ مَوْلىٰ ابْن عُمَر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، قَالَ: بَلَغ عُمَر بن

(١) أخرجه أحمد (١/ ٢٣٣) (٢٠٦٩)، والترمذي (٢٩٥٠)، والطبري (١/ ٧٢)، والبغوي (١/ ٤٥)، والنسائي في «الكبرىٰ» (٥/ ٣١) (٨٠٨٥)، وابن أبي شيبة (٦/ ١٣٦) (٣٠١٠١)، وضعفه الألباني في «المشكاة» (٢٣٤).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٩٥١)، وضعفه الألباني في «المشكاة» (٢٣٤).

(٣) (٢/ ١٥٠) (٧٥٤٥).

الخطَّاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ ناسًا يأتون الشَّجرة الَّتي بُويع تَحْتها، قَالَ: فأمَر بها فقُطعَتْ.

ورَوَىٰ ابْن أَبي شَيْبة أيضًا بإسنادٍ صَحِيحٍ، عن المَعْرور بن سُوَيد، قَالَ: خَرَجنا مع عمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في حَجَّةٍ حَجَّها، فقَرأ بنا في الفَجْر: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ﴾ [الفِيل: ١]، وَ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ﴾ [قريش: ١]، فلَمَّا قَضَىٰ حَجَّه، وَرَجع والنَّاس يَبْتدرون، فقَالَ: ما هَذَا؟ فَقَالوا: مسجدٌ صَلَّىٰ فيه رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقَالَ: **«هَكَذا هَلَك أَهْلُ الكِتَابِ، اتَّخذوا آثارَ أنْبيَائهم بِيَعًا، مَنْ عَرضتْ لَه منكُمْ فيه الصَّلَاة فَلْيُصلِّ، ومَنْ لَمْ تَعْرض له منكم فيه الصَّلَاة، فَلَا يُصلِّ»**(١).

فهَذَا فِعْلُ الخَليفَة الرَّاشد في الإنْكَار عَلَىٰ الَّذينَ يُعظِّمون الشَّجَرة الَّتي بُويع تَحْتها رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهَذَا قولُهُ في الإنْكَار عَلَىٰ الَّذينَ يُعظِّمون المكانَ الَّذي قَدْ صلَّىٰ فيه رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولَوْ كَانَ تَعْظيم آثار الأنْبيَاء والصَّالِحِين جائزًا لما قطعَ عُمَر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الشَّجرة الَّتي بُويع النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَحْتها، ولما نهي النَّاس عن تَحرِّي الصَّلَاة في المَسْجد الَّذي قَدْ صلَّىٰ فيه رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وفي فِعْلِ عُمَر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقَوْله أبْلَغ ردٍّ عَلَىٰ مَنْ زَعَم أنَّ بَقَايا الصَّالحين وآثَارهم يُمْكن التَّوسُّل بها في اسْتجلَاب الخَيْر، وَاسْتدفَاع الضَّرر.

وقَدْ ثَبتَ عن النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّه قَالَ: **«إنَّ الله تَعَالَىٰ جَعَل الحقَّ عَلَىٰ لسَان عُمَر وقَلْبه»**، رَوَاه الإمَامُ أَحْمَدُ، والتِّرْمذيُّ، وَابْن حبَّان في «صَحِيحِهِ» من حَدِيثِ ابْنِ عُمَر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وقَالَ التِّرْمذيُّ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غريبٌ(٢). قَالَ: وَفِي

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (٢/ ١٥١) (٧٥٥٠).

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ٥٣) (٥١٤٥)، والترمذي (٣٦٨٢)، وابن حبان (١٥/ ٣١٨) (٦٨٩٥)، =

البَاب عَن الفَضْل بن العبَّاس، وأَبي ذَرٍّ، وأَبي هُرَيرة. انْتهَىٰ.

ولَفْظه عندَ ابْن حبَّان: «إِنَّ اللهَ جَعَل الحقَّ عَلَىٰ لسَان عُمَر يَقُول به»(١).

ورَوَىٰ الإِمَامُ أَحْمَدُ أيضًا، وَابْن حبَّان فِي «صَحِيحِهِ»، عَنْ أَبي هُرَيرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ اللهَ جَعَل الحقَّ عَلَىٰ لسَان عُمَر وقَلْبه**»(٢).

ورَوَىٰ الإِمَام أَحْمَد أيضًا، وأَبُو دَاوُد، وَابْن مَاجه، وَالحَاكم في «مُسْتَدركه»، عَنْ أَبي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سمعتُ رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُول: «**إِنَّ اللهَ وَضَع الحقَّ عَلَىٰ لسَان عُمَر يَقُول بِهِ**»(٣)، قَالَ الحَاكمُ: «صَحِيحٌ عَلَىٰ شَرْط الشَّيْخين». وَقَالَ الذَّهبيُّ في «تَلْخيصِهِ»: «عَلَىٰ شرط مُسْلم».

ورَوَىٰ الإِمَامُ أَحْمَدُ أيضًا، والتِّرْمذيُّ، وَابْن مَاجَه، والبُخَاريُّ في «التَّاريخ»، وَالحَاكمُ فِي «مُسْتَدركه» عَنْ حُذَيفة بن اليَمَان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَن النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّه قَالَ: «**اقْتدَوا باللَّذَيْن من بَعْدي: أَبي بكرٍ وعُمَر**». قَالَ التِّرْمذيُّ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ،

=

وصححه الألباني في «صحيح الترمذي» (٢٩٠٨)، ومعنىٰ «جعل الحق»: أي: أجراه.

(١) هذا اللفظ أخرجه اللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» (٧/ ١٣٩١) (٢٤٩٠)، وأبو نعيم في «الحلية» (٥/ ١٩١)، من حديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. ولفظ ابن حبان: «**إِنَّ اللهَ جَعَلَ الحق علىٰ لسان عمر وقلبه**» من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ٤٠١) (٩٢٠٢)، وابن حبان (١٥/ ٣١٨) (٦٨٩٥)، وصححه الألباني.

(٣) أخرجه أحمد (٥/ ١٦٥) (٢١٤٩٥)، وأبو داود (٢٩٦٢)، وابن ماجه (١٠٨)، وابن أبي شيبة (٦/ ٣٥٣) (٣١٩٦٨)، والبزار (٩/ ٤٤٦) (٤٠٥٩)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٨٣٤).

وصَحَّحه الحَاكمُ والذَّهبيُّ(١).

ورَوَىٰ الإِمَامُ أَحْمَدُ أيضًا، وأَهْل السُّنن، وَابْن حبَّان في «صَحِيحِهِ»، والحَاكمُ في «مُسْتَدركه»، عَن العِرْبَاض بن سَارية رَضِيَٱللَّهُعَنهُ أنَّ رَسُولَ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيهِوَسَلَّمَ قَالَ: **«عَليكُمْ بسُنَّتي وسُنَّة الخُلَفاء الرَّاشِدِين المَهْدِيِّين، تَمسَّكوا بها، وعَضُّوا عَلَيْها بالنَّوَاجذ، وإيَّاكم ومُحْدَثات الأُمُور، فإنَّ كلَّ مُحْدثةٍ بِدْعَةٌ، وكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»**. قَالَ التِّرمذيُّ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، وصَحَّحه أيضًا الحَاكمُ، وابْن عَبْد البرِّ، والذَّهبيُّ(٢).

وفِي هَذِهِ الأَحَاديث أبْلَغ ردٍّ عَلَىٰ الَّذينَ يَتتبَّعون آثَارَ الصَّالِحِين، ويُخَالفون فِعْلَ عُمَر رَضِيَٱللَّهُعَنهُ في قَطْع الشَّجَرة الَّتي بُويعَ النَّبيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيهِوَسَلَّمَ تَحْتها، ويُخَالفون أيضًا نَهْيه عن اتِّخاذ آثَار الأَنْبيَاء بِيَعًا، وقَدْ قَالَ ابْنُ وَضَّاح في كِتَابِ «البدَع والنَّهْي عَنْها»(٣): كَانَ مَالك بن أنسٍ وغَيْره من عُلَماء المَدينَة يَكْرهون إتْيَانَ تلكَ المَسَاجد، وتلكَ الآثَار للنَّبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيهِوَسَلَّمَ ما عَدَا قُباء وأُحُدًا.

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٣٨٢) (٢٣٢٩٣)، والترمذي (٣٦٦٢)، وابن ماجه (٩٧)، والبخاري في «التاريخ الكبير» (٨/ ٢٠٩)، والحاكم (٣/ ٧٩) (٤٤٥٤)، والبزار (٧/ ٢٤٨) (٢٨٢٧)، والطبراني في «الأوسط» (٤/ ١٤٠) (٣٨١٦)، والبيهقي (٥/ ٢١٢) (٩٨٣٦)، وصححه الألباني في «صحيح الترمذي» (٢٨٩٥).

(٢) أخرجه أحمد (٤/ ١٢٦) (١٧١٨٤)، وأبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وابن ماجه (٤٢)، والحاكم (١/ ١٧٤) (٣٢٩)، والبيهقي (١٠/ ١١٤) (٢٠١٢٥)، وابن حبان (١/ ١٧٨) (٥)، والدارمي (١/ ٥٧) (٩٥)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٢٧٣٥).

(٣) (٢/ ٨٨).

قَالَ ابْنُ وَضَّاح: وَسمعتُهُمْ يَذْكرون أنَّ سُفْيانَ الثَّوريَّ دَخَل مَسْجد بَيْت المَقْدس، فَصلَّىٰ فيه، ولَمْ يَتَّبع تلكَ الآثارَ، ولا الصَّلَاة فيها. وكذَلكَ فَعَل غيرُهُ أيضًا ممَّن يُقْتدىٰ به، وَقدم وكيعٌ أيضًا مَسْجد بَيْت المَقْدس، فلَمْ يَعْدُ فِعْلَ سُفْيان. قَالَ ابْن وَضَّاح: فعَلَيكم بالاتِّباع لأئمَّة الهُدَىٰ المَعْروفين. انْتهَىٰ.

وَالسَّابع قَوْل بَعْضهم: إنَّ عَقيدَة أَهْل السُّنَّة والجَمَاعة هيَ عَقيدَةُ الأَشَاعرَة.

والجَوابُ أنْ يُقَالَ: هَذَا خطأٌ وجهلٌ؛ لأَنَّ الأَشَاعرةَ قَدْ سَلَكوا في بَاب الصِّفَات مَسْلك التَّأويل، وصَرْف الأَخْبَار الوَاردَة في ذَلكَ عن ظَاهرها، وهَذَا خلافُ ما كَانَ عَلَيْه الصَّحَابَة والتَّابعون وَتَابعُوهم بإِحْسَانٍ، فإنَّهم كَانوا يُؤْمنون بما وَصَفَ اللهُ به نَفْسه، وبما وَصَفه به رَسُوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويُمرُّون الأَخْبَارَ الَّتي جَاءتْ في الصِّفات كما جَاءَت من غَيْر تحريفٍ، وَلَا تعطيلٍ، ولَا تَكْييفٍ، وَلَا تمثيلٍ، ويُنزِّهون اللهَ تَعَالَىٰ عن مُشَابهة المَخْلوقات: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ: ١١].

وهَؤُلَاء هُمْ أَهْل السُّنَّة والجَمَاعة، وَهُم الفِرْقَة النَّاجية من فِرَقِ هَذِهِ الأُمَّة كَمَا جاءَ ذَلكَ في الحَدِيثِ الَّذي رَوَاه التِّرمذيُّ وغَيْره عَنْ عَبْد الله بن عَمْرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**إنَّ بني إسْرَائيل تفرَّقت عَلَىٰ ثِنْتَين وسَبْعِين ملَّة، وتَفْترق أُمَّتي عَلَىٰ ثَلاثٍ وسَبْعينَ ملَّة، كُلُّهم في النَّار إلَّا ملَّة وَاحدَة**»، قَالُوا: مَنْ هي يا رَسُول الله؟ قَالَ: «**ما أَنَا عَلَيْه وأَصْحَابِي**». قَالَ التِّرمذيُّ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غريبٌ(١).

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٦٤١)، وحسنه الألباني في «الصحيحة» (١٣٤٨).

ورَوَىٰ الطَّبرانيُّ نَحْوه من حَدِيثِ أَنَس بن مَالِكٍ رَضِيَٱللَّهُعَنهُ[١].

وهَذَا الحَدِيثُ هُوَ القَوْل الفَصْل في تَعْيين أَهْل السُّنَّة والجَمَاعة من غَيْرهم من الفِرَقِ، فكلُّ مَن ادَّعىٰ أَنَّه من أَهْل السُّنَّة والجَمَاعة، فإنَّ أعْمالَه وأَقْوالَه في الأُصُول والعَقَائد تُعْرض عَلَىٰ ما كَانَ عَلَيْه رَسُولُ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وأَصْحَابه رَضِيَٱللَّهُعَنهُمْ، فإنْ كَانَ مُوافقًا لمَا كَانوا عَلَيْه، فهُوَ من أَهْل السُّنَّة والجَمَاعَة، وإنْ كَانَ مُخَالفًا لهُمْ، فَدَعْواه باطلةٌ مردودةٌ.

الثَّامن: إطْلَاق بَعْضهم صفَة الجَهْل عَلَىٰ مَنْ ينقدُ الأخْطَاء في عَقيدَة الأَشَاعرة، واتِّهامه بالتَّكْفير لأئمَّة الإِسْلَام.

والجَوابُ أنْ يُقَالَ: إنَّ الأَوْلَىٰ بصفَة الجَهْل مَنْ يَعْترض عَلَىٰ العُلَماء الَّذينَ يَنْقدون الأخطاءَ المَوْجودة في عَقيدَة الأَشَاعرة ويُبيِّنون ما فيها من المُخَالفة لما كَانَ عَلَيْه الصَّحَابَة والتَّابعُون لهُمْ بإحْسانٍ، فإنَّ الصَّحَابَة والتَّابعينَ لهم بإِحْسَانٍ كَانوا يَمرُّون الأَخْبَار الَّتي جَاءَت في الصِّفات كَمَا جَاءتْ، وَلَا يَصْرفونها عن ظَاهرها، وأَمَّا الأَشَاعرةُ فإِنَّهم كَانوا يُؤوِّلونها، ويَصْرفونها عَنْ ظَاهرها، وشتَّان ما بَيْن طَريقَتهم، وَطَريقَة الصَّحَابَة وأتْبَاعهم، وقَدْ تصدَّىٰ لبَيَان الأَخْطَاء المَوْجودة في عَقيدَة الأَشَاعرَة كَثيرٌ مِن كبَار العُلَماء قَديمًا وحَدِيثًا[٢]، فَجَزاهُمُ اللهُ عن بَيَان الحقِّ وتَأْييده خيرَ الجَزَاء.

---

(١) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٥/ ١٣٧) (٤٨٨٦)، و«الصغير» (٢/ ٢٩) (٧٢٤)، وحسنه الألباني في «الصحيحة» (٢٠٤).

(٢) وعلىٰ رأسهم شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُٱللَّهُ، وكذلك تلميذه الإمام ابن القيم رَحِمَهُٱللَّهُ.

وليسَ في نَقْد الأخطَاء المَوْجودة في عَقيدَة الأَشَاعرة وبيَانها تكْفير لأئمَّة الإِسْلَام كَمَا قَدْ توهَّم ذَلكَ مَنْ لا علمَ عندَهُ.

التَّاسع: إنْكَار بَعْضهم تَوْحيد الأَسْمَاء والصِّفات، وإنْكَاره أنْ يكونَ لله يدٌ.

وَالجَوابُ أنْ يُقَالَ: مَنْ أنكرَ تَوْحيد الأَسْمَاء والصِّفات فهُوَ جهميٌّ، وكذَلكَ مَنْ أنْكرَ أنْ يَكُونَ لله يدٌ، أوْ أنْكَر غَيْر ذَلكَ من أسْمَاء اللهِ وصفاتِهِ فهُوَ جهميٌّ، وقَدْ صرَّح كثيرٌ من أكَابر العُلَماء في زَمَان أتْبَاع التَّابعين ومَنْ بَعْدهم بتكْفير الجهميَّة، وأَخْرَجهم بَعْضُ العُلَماء من الثِّنْتين وسَبْعين فرقةً من فِرَقِ هَذِهِ الأمَّة، والكَلامُ في تَكْفيرهم مَذْكورٌ في كِتَابِ «السُّنَّة» لعَبْد الله بن الإمَام أَحْمَد(١)، وغَيْره من كُتُب السُّنَّة، وقَدْ قَالَ ابنُ القيِّم رحمه الله تَعالَىٰ في «الكَافيَة الشَّافيَة»(٢):

ولقَدْ تَقلَّد كُفْرهم خَمْسون فِي ... عَشْرٍ مِن العُلَماء في البُلْدانِ

واللَّالكَائيُّ الإِمَامُ حَكَاه عَنْـ ... ـهُم بَلْ حَكَاه قَبْله الطَّبرانِي

فذَكَر أنَّ خَمْسَ مِئةٍ من العُلَماء تَقلَّدوا القولَ بتكْفير الجهميَّة.

والأدلَّةُ عَلَىٰ تَكْفيرهم مَذْكورةٌ في كُتُب السُّنَّة، وليسَ هَذَا مَوْضع ذِكْرها.

العاشرُ: قَوْل بَعْضهم إنَّ أَحَاديثَ الآحَاد لا يُؤْخذ بها في العَقيدَة.

والجَوابُ أنْ يُقَالَ: قَدْ دلَّ القرآنُ والسُّنَّةُ عَلَىٰ قَبُول أخْبَار الآحَاد من غَيْر تفريقٍ

---

(١) ومن ذلك: ما رواه عن إبراهيم بن طهمان، قال: «الجهمية كفار...»، وعن سلام بن أبي مطيع، قال: «الجهمية كفار، لا يصلىٰ خلفهم»، وكان ابن المبارك يقول: «الجهمية كفار». انظر: «السنة» لعبد الله بن أحمد (١٠٣، ١٠٥، ١٠٩)، «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» للالكائي (٢/ ٣٥٥، وما بعدها).

(٢) (١/ ٤٢).

بَيْن ما يَتعلَّق بالعَقَائد، وَمَا يتعلَّق بالأحْكَام. وهَذَا هو قولُ أَهْل السُّنَّة والجَمَاعة من لَدُن أَصْحَاب رَسُول الله صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ إِلَىٰ يَوْمنا هَذَا(١)، وإنَّما خَالَف فِي ذَلكَ بَعْضُ أَهْل البِدَعِ، وَمَنْ تَبعهُمْ من المُتفقِّهة المُقلِّدين، وغَيْرهم من العَصْريين المُتكلِّفين، فَزَعموا أنَّ أخبارَ الآحَاد لا يُؤْخذ بها في العَقَائد، وهَذَا قولٌ لا دليلَ عَلَيْه، وما ليسَ عَلَيْه دليلٌ، فليسَ عَلَيْه تعويلٌ، والأدلَّة من القُرْآن والسُّنَّة، وأَفْعَال الصَّحَابَة رَضِيَاللَّهُعَنْهُمْ تَقْتضي التَّسوية بَيْن العَقَائد والأحْكَام، وغَيْرها ممَّا يتعلَّق بأُمُور الدِّين.

فأمَّا الأدلَّة من القُرْآن، ففي آياتٍ كثيرةٍ، منْهَا قَوْل اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ﴾ [الحُجُرات: ٦]، فأَمَر تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ بالتَّثبُّت في خَبَر الفَاسق؛ لأنَّه يَحْتمل الصِّدْق وَالكَذب، فَلَا يسَارع إِلَىٰ تَصْديقِهِ خَشْيةَ أنْ يَكُونَ كَاذبًا، ولا يُسَارع إِلَىٰ تكْذيبه خَشْية أنْ يَكُونَ صَادقًا، والتَّثبُّت تَنْجلي حَقيقَةُ خَبَره، ومَفْهومُ الآية دَالٌّ عَلَىٰ قَبُول خَبَر الوَاحد العَدْل من غَيْر تَوقُّفٍ فيه.

الآيةُ الثَّانية: قَوْل اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ١٥٩ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيۡهِمۡ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٥٩، ١٦٠].

قَالَ القرطبيُّ في «تَفْسيره»(٢): «فِيهِ دليلٌ عَلَىٰ وُجُوب العَمَل بقَوْل الوَاحد؛ لأنَّه

---

(١) وانظر: «الحديث حجة بنفسه في العقائد والأحكام» للعلامة الألباني رَحِمَهُٱللَّهُ، و«حجية خبر الآحاد في العقائد والأحكام» للعلامة ربيع المدخلي حفظه الله.

(٢) (٢/ ١٨٥).

لا يجبُ عَلَيْه البيَان إلَّا وقدْ وَجب قَبُول قَوْله، وقَالَ: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَبَيَّنُواْ ﴾، فَحَكم بوُقُوع البَيَان بخَبَرهم». انْتَهَىٰ.

قُلْتُ: ولهَذِهِ الآية نَظَائر من القُرْآن تدلُّ عَلَىٰ ما دَلَّت عَلَيْه من وُجُوب العَمَل بخَبَر الوَاحد.

الآيَةُ الثَّالثة: قَوْل اللهِ تَعالَىٰ: ﴿ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ﴾ [الأحزاب: ٣٤]:

قَالَ القرطبيُّ في «تَفْسيره»(١): «أَمَر اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أنْ يُخْبرنَ بما يَنْزل من القُرْآن في بُيُوتهنَّ، وما يرينَ من أَفْعَال النَّبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويَسْمَعن من أَقْوَالِهِ حَتَّىٰ يبلغنَ ذَلكَ إِلَىٰ النَّاس، فيَعْلموا ويَقْتدوا، وهَذَا يدلُّ عَلَىٰ جَوَاز قَبُول خَبَر الوَاحِدِ من الرِّجال والنِّساء في الدِّين» انْتَهَىٰ.

الآيَة الرَّابعة: قَوْل اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ [التوبة: ١٢٢]:

وهَذِهِ الآيَةُ الكريمةُ دالَّةٌ عَلَىٰ قَبُول خَبَر الوَاحد؛ لأَنَّ الطَّائفة تَقَع عَلَىٰ الوَاحِدِ فَمَا فَوْقه.

قَالَ ابْنُ الأَثِيرِ في «النِّهاية»(٢)، وابْن مَنْظور في «لسَان العَرَب»(٣): «الطَّائفة

(١) (١٤/ ١٨٤).

(٢) (٣/ ١٥٣).

(٣) (٩/ ٢٢٦).

الجَمَاعة من النَّاس، وتَقَع عَلَىٰ الوَاحِدِ».

قُلْتُ: ويدلُّ عَلَىٰ ذَلكَ قَوْلُ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿**وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا**﴾ [الحُجُرات: ٩] الآيَة، قَالَ البُخَارِيُّ في «صَحِيحِهِ»(١): ويُسمَّىٰ الرَّجل طَائفةً؛ لقَوْله تعَالَىٰ: ﴿**وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟**﴾، فَلَو اقْتتَلَ رَجُلان، دَخَلا في مَعْنَىٰ الآية». انْتهَىٰ.

ويدلُّ عَلَىٰ ذَلكَ أيضًا: قَوْلُ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿**وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ**﴾ [النور: ٢].

قَالَ ابْن عبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: الطَّائفةُ: الرَّجلُ فَمَا فَوْقه.

وقَالَ مجاهدٌ وعِكْرمةُ: الطَّائفةُ: الرَّجلُ الوَاحد إِلَىٰ الألْف.

وقَالَ إبْرَاهيمُ النَّخعي: أقلُّه رجلٌ فَمَا فَوْقه.

وقَالَ الإِمَامُ أَحْمَدُ: الطَّائفةُ تَصْدق عَلَىٰ واحدٍ.. ذَكَره ابْنُ كثيرٍ عَنْه(٢).

وأمَّا الأدلَّة من السُّنَّة، فَفي أَحَاديثَ كثيرةٍ، مِنْها:

قَوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**بَلِّغوا عنِّي ولَوْ آيةً**». الحَدِيث رَوَاه الإِمَامُ أَحْمَدُ، والبُخَاريُّ، والدَّارميُّ، والتِّرمذيُّ: مِن حَديثِ عَبدِ اللهِ بن عَمْرو بن العَاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وقال التِّرمِذِي: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ(٣). والأَمْر بالتَّبليغ يعمُّ الواحدَ فَمَا فَوْقه، وهَذَا

---

(١) (٩/ ٨٦).

(٢) انظر: «تفسير ابن كثير» (٦/ ٦).

(٣) أخرجه أحمد (٢/ ١٥٩) (٦٤٨٦)، والبخاري (٣٤٦١)، والدارمي (١/ ١٤٥) (٥٤٢)، والترمذي

يدلُّ عَلَىٰ وُجُوب العَمَل بأَخْبار الآحَاد.

الحَدِيثُ الثَّانِي: قَوْلُهُ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**نَضَّر اللهُ امرأً سَمعَ منَّا شيئًا، فبلَّغه كَمَا سَمعَهُ، فَرُبَّ مُبلَّغٍ أوْعَىٰ من سَامِعٍ**»، رَوَاه الإمَامُ أَحْمَدُ، وأَبُو دَاوُد، والتِّرْمذيُّ، وَابْن حبَّان في «صَحِيحِهِ» بنحْوه، وقَالَ التِّرْمذيُّ: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ[١]. وهَذَا يدلُّ عَلَىٰ قَبُول خَبَر الوَاحد، وقَدْ رُوِيَ نَحْوه عن زَيْد بن ثابتٍ، وَأَنس بن مَالِكٍ، وجُبَير بن مُطْعم، والنُّعْمان بن بَشير، وغَيْرهم رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ.

وقَدْ كَانَ النَّبيُّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَبْعث رُسُله آحادًا، ويُرْسل كُتُبه مَعَ الآحَاد، ولَمْ يكنِ المُرْسَلُ إلَيْهم يَقُولُون: لَا نَقْبل أَخْبَارَهم؛ لأَنَّها أَخْبَارُ آحَادٍ، وكَانَ يَبْعث المُبلِّغين عَنْه، والدَّاعين إِلَىٰ الإِسْلَام جَمَاعاتٍ وآحَادًا، وكَانَتْ وُفُود العَرَب تَقْدم عَلَيْه جَمَاعات وآحادًا، فيأْمر كُلًّا منهم أنْ يبلغَ قَوْمه، ويَدْعوهم إِلَىٰ الإِسْلَام، وقَدْ قبلَ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَبَر تَميم الدَّاري عن الدَّجَّال، ورَوَىٰ ذَلكَ عَنْه عَلَىٰ المِنْبَر كَمَا ثَبتَ ذَلكَ في «صَحِيح مُسْلم»[٢]، وغَيْره من حَدِيثِ فَاطمةَ بنت قَيْس رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.

وقَبِلَ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَبَر ابْن عُمَر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا في رُؤْية هلَال شَهْر رَمَضَان، وَعَمل بِهِ، رَوَاه أَبُو دَاوُد[٣].

=

(٢٦٦٩)، وابن حبان (١٤/ ١٤٩) (٦٢٥٦) من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

(١) أخرجه أحمد (١/ ٤٣٦) (٤١٥٧)، والترمذي (٢٦٥٧)، وابن حبان (١/ ٢٦٨) (٦٦)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢/ ٢٧٤) (١٧٣٨)، والبزار (٥/ ٣٨٢) (٢٠١٤) من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٧٦٤).

(٢) (٢٩٤٢).

(٣) (٢٣٤٢) عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: «تَرَائِىٰ النَّاسُ الهِلَالَ، فَأَخْبَرْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنِّي =

قَالَ الخَطَّابيُّ فِي الكَلَام عَلَىٰ حَدِيثِ ابْن عُمَر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «فِيهِ دَلِيلٌ عَلَىٰ وُجُوب قَبُول أَخْبَار الآحَاد»(١).

وقَبِلَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَبَر أعْرَابيٍّ في رؤية هلال شَهْر رَمَضان، وَعَمل به.. رَوَاه أهلُ السُّنن(٢)، وفيه دليلٌ عَلَىٰ وُجُوب قَبُول أخْبَار الآحَاد.

وأمَّا قَبُول الصَّحَابَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لأَخْبَار الآحَاد، وَعَمَلهم بِهَا، فهُوَ مشهورٌ عَنْهم، وقَدْ جاءَ في ذَلكَ أحاديثُ كثيرةٌ، مِنْهَا ما في «الصَّحِيحَيْن» وغَيْرهما، عن ابْن عُمَر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: بَيْنما النَّاس في صَلَاة الصُّبح بقباء، إذْ جَاءَهم آتٍ، فقَالَ: إنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ أنزلَ عَلَيْه اللَّيلة قرآنٌ، وقَدْ أمرَ أنْ يَسْتقبل الكَعْبة، فَاسْتَقْبلوها، وَكَانَت وُجُوههمْ إِلَىٰ الشَّام، فَاسْتَداروا إِلَىٰ الكَعْبَة(٣).

فهَؤُلَاء أَهْل قبَاء قَبلُوا خَبَر الوَاحد، وَعَملُوا به، وأَقرَّهم النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَىٰ ذَلكَ.

ومِنْهَا ما في «الصَّحِيحَيْن» واللَّفظ للبُخَاريِّ، عن البَرَاء بن عَازبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: لمَّا قَدمَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المَدينةَ، صلَّىٰ نَحْو بَيْت المَقْدس ستَّة عَشَر، أَوْ سَبعة عَشَر شهرًا، وكَانَ يحبُّ أنْ يُوجَّه إِلَىٰ الكَعْبَة، فأَنْزلَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿قَدْ نَرَىٰ

=

رَأَيْتُهُ فَصَامَهُ، وَأَمَرَ النَّاسَ بِصِيَامِهِ»، وصححه الألباني في «صحيح أبي داود» (٢٠٢٨).

(١) «معالم السنن» (٢/ ١٠٢).

(٢) أخرجه أبو داود (٢٣٤٠)، والترمذي (٦٩١)، والنسائي (٢١١٢)، وابن ماجه (١٦٥٢) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وضعفه الألباني في «ضعيف أبي داود» (٤٠٢).

(٣) أخرجه البخاري (٤٠٣)، ومسلم (٥٢٦).

تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا﴾ [البقرة: ١٤٤]، فَوُجِّه نَحْو الكَعْبَة، وَصلَّىٰ مَعَه رجلٌ العَصْرَ، ثمَّ خَرج، فمرَّ عَلَىٰ قومٍ من الأنْصَار، فَقَالَ: هُوَ يَشْهد أَنَّه صلَّىٰ مَعَ النَّبيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأَنَّه قَدْ وُجِّه إِلَىٰ الكَعْبة، فَانْحَرفوا وهُمْ رُكُوعٌ في صَلَاة العَصْر(١).

وقَدْ رَوَاهُ الإِمَامُ أَحْمَدُ، والتِّرْمذيُّ بنحْو روَايَة البُخَاريِّ، وقَالَ التِّرْمذيُّ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ(٢).

وهَؤُلَاء المَذْكورون فِي حَدِيثِ البَرَاء رَضِيَ اللهُ عَنْهُ غَيْر المَذْكورين في حَدِيثِ ابْن عُمَر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، وقَدْ قَبلوا خَبَر الوَاحد، وَعَملوا به، وأَقرَّهم النَّبيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَىٰ ذَلك.

ومِنْهَا ما رَوَاه الإِمَامُ مُسْلمٌ، وأَبُو دَاوُد، عن أنسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُصلِّي نَحْو بَيْت المَقْدس، فَنزلَت: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَاۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ [البقرة: ١٤٤]، فَمرَّ رجلٌ من بني سَلمة وهُمْ رُكُوعٌ في صَلَاة الفَجْر، وقَدْ صَلَّوا ركعةً، فَنَادىٰ: ألا إِنَّ القبلَةَ قَدْ حُوِّلت، فَمَالوا كما هُمْ نَحْو القبلَة(٣).

وهَؤُلَاء المَذْكورون في حَدِيثِ أنسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ غَيْر المَذْكورين فِي حَدِيثي ابْن

---

(١) أخرجه البخاري (٧٢٥٢)، ومسلم (٥٢٥).

(٢) أخرجه أحمد (٤/ ٣٠٤) (١٨٧٢٩)، والترمذي (٣٤٠) من حديث البراء رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وصححه الألباني.

(٣) أخرجه مسلم (٥٢٧)، وأبو داود (٢٠٧).

عُمَر والبَراء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وقَدْ قَبلوا خَبَر الوَاحد، وَعَملوا به، وأَقرَّهم النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَىٰ ذلكَ.

قَالَ الخَطَّابيُّ في الكَلَام عَلَىٰ حَدِيثِ أَنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «فيه دليلٌ عَلَىٰ وُجُوب قَبُول أَخْبَار الآحَاد»[١].

وقَالَ أبو البرَكَات ابْن تَيْمية: هو حُجَّة في قَبُول أَخْبَار الآحَاد.

ومِنْهَا حَدِيثُ تُوَيْلَةَ بنتِ أَسْلَم، وهي من المُبَايِعَات، قَالَتْ: إنَّا لبمَقَامنا نُصلِّي في بني حارثةَ، فقَالَ عبَّاد بن بشر بن قيظي: إنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ استقبلَ البَيْتَ الحرامَ، أو الكعبةَ، فتحوَّل الرِّجالُ مكانَ النِّساء، والنِّساءُ مَكَان الرِّجال، فَصلَّوا السَّجْدَتين البَاقيَتَين نَحو الكَعْبة. رَوَاه الطَّبرانيُّ في «الكَبير»[٢]، قَالَ الهيثميُّ: ورجالُهُ مُوثَّقون[٣].

وهَؤُلَاء المَذْكورون في حَدِيثِ تُوَيْلَةَ غَير المَذْكورين في الأَحَاديث الَّتي قبله، وقَدْ قَبلوا خَبَر الوَاحد، وَعملُوا به، وأَقرَّهم النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَىٰ ذلكَ.

ومِنْهَا ما رَوَاه البُخَاريُّ في «الأَدَب المفرد»[٤] عَنْ أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: إنِّي

---

(١) «معالم السنن» (١/ ٢٤٢).

(٢) (١/ ٢٠٧) (٢٠٥٥١).

(٣) وقال الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ: «وهذا إسناد رجاله ثقات، غير إبراهيم بن جعفر هذا؛ فإني لم أجد من ذكره، وأظن أنه في كتاب «الثقات» لابن حبان؛ فإنه عمدة الهيثمي فيمن يوثقه في «المجمع» ممن لا ذكر لهم في الكتب المشهورة. والله أعلم». «أصل صفة صلاة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» (١/ ٧٦).

(٤) (١/ ٤٢٥) (١٢٤١)، وصححه الألباني في «صحيح الأدب المفرد» (٩٤٦).

لأسقي أَصْحَابَ رَسُول الله صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وهُمْ عند أَبي طَلْحة، مرَّ رجلٌ، فقَالَ: إنَّ الخمرَ قَدْ حُرِّمت، فَمَا قالوا: مَتَىٰ أو حَتَّىٰ نَنْظر، قالوا: يا أنسُ، أَهْرقها... الحَدِيث.

وهُوَ مخرجٌ في «الصَّحِيحَيْن» من طُرُقٍ عن أنسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وفِي بَعْض طُرُقه عندهما قَالَ أنسٌ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: إنِّي لقائمٌ أَسْقيها أبَا طلحة، وَأَبا أَيُّوب، ورجالًا من أَصْحَاب رَسُول الله صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في بَيْتنا، إذْ جاء رجلٌ، فقَالَ: هل بَلَغكم الخبرُ؟ قُلْنا: لا. قَالَ: فإِنَّ الخمرَ قَدْ حُرِّمت، فقَالَ: يا أنسُ، أَرِقْ هَذِهِ القلالَ. قَالَ: فما رَاجَعوها، ولا سَأَلوا عَنْها بعد خَبَر الرَّجل[١].

فهَؤُلَاء قَبِلُوا خبرَ الوَاحد، وَعَملُوا به، وأَقرَّهم النَّبيُّ صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ عَلَىٰ ذَلكَ.

قَالَ النَّوويُّ في الكَلام عَلَىٰ هَذَا الحَدِيثِ: «فِيهِ العملُ بخَبَر الوَاحد، وأنَّ هَذَا كَانَ مَعْروفًا عِنْدهُمْ»[٢]. انْتهَىٰ.

وقَدْ رَوَىٰ الدَّارقطنيُّ حَدِيثَ أنسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ في (بَاب النَّوادر) من آخرَ «سُنَنه»[٣]، عَنْ عُبَيد الله بن عَبْد الصَّمد بن المُهْتدي بالله... وَسَاق بإسنادِهِ إِلَىٰ حُمَيد الطَّويل عَنْ أَنَسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: كَانَ أبو طَلْحةَ، وأُبيُّ بن كعبٍ، وسُهَيل بن بَيْضاء عند أَبي طَلْحة يَشْربون من شَراب تمرٍ، أو بُسْرٍ، أَوْ قَالَ: رُطَب، وأنا أَسْقيهم من الشَّراب حَتَّىٰ كادَ يأخُذَ منهم، فمرَّ رجلٌ من المُسْلمين، فقَالَ: ألَا هَلْ عَلمتم أَنَّ الخمرَ قَدْ حُرِّمت؟ فَقَالوا: يا أنسُ، اكفِ ما في إنَائكَ، وَمَا قالوا حَتَّىٰ نَتبيَّن قَالَ: فكفأْتُهُ.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٤٦٤)، ومسلم (١٩٨٠).

(٢) «شرح صحيح مسلم» للنووي (١٣/ ١٥٠).

(٣) (٥/ ٢٧٣) (٤٣٠٥).

قَالَ الدَّارقطنيُّ: قَالَ أَبو عَبْد الله، وهُوَ عُبَيد الله بن عَبْد الصَّمد بن المُهْتدي بالله: هَذَا يدلُّ عَلَىٰ أَنَّ خبرَ الوَاحد يوجبُ العَملَ. انْتهَىٰ.

وفيمَا ذَكَرته من الآيَات والأَحَاديث أبلغُ ردٍّ عَلَىٰ الَّذينَ لا يَقْبلون أَحَاديث الآحَاد، وَلَا يَرَون العملَ بها.

وقَدْ ذَكَر ابْنُ القيِّم -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ- في كِتَابِ «الصَّواعق المُرْسلة» أَنَّه ذَهَب جماعةٌ من أَصْحَاب أَحْمَد وغَيْرهم إِلَىٰ تَكْفير مَنْ يَجْحد ما ثبتَ بخَبَر الوَاحد العَدْل، قَالَ: والتَّكفيرُ مَذْهب إسْحَاق بن رَاهَويه[(١)]. انْتَهَىٰ.

الحَادي عَشَر: إيجابُ بَعْضهم اتِّباع إِمَامٍ من أئمَّة الفقه تَبْديع مَنْ يُنَادي بالاجْتهَاد وَاتِّباع الدَّليل.

وَالجَوابُ أن يُقَالَ: أَمَّا القَوْل باتِّبَاع إِمَامٍ من أَئمَّة الفِقْهِ، فَفِيهِ تفصيلٌ وتفريقٌ بَيْن مَنْ له علمٌ بالأدلَّة، ومَنْ لا عِلْمَ له بها، فأمَّا مَنْ كَانَ له علمٌ بالأدلَّة، فالوَاجبُ عَلَيْه أن يَعْمل بما قَامَ عَلَيْه الدَّليلُ من الكِتَابِ، أَو السُّنَّة، أو الإجْمَاع، ولَوْ خَالَف مَذْهب إِمَامِهِ، أَوْ غَيْره من المَذَاهب، وأمَّا مَنْ كَانَ جاهلًا بالأدلَّة، فإِنَّ الواجبَ عَلَيْه أن يسأَلَ أَهْل العِلْمِ؛ لقَوْل اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣]، ولقَوْل النَّبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**أَلا سَألوا إذْ لَمْ يَعْلموا؟! فإنَّما شفاءُ العيِّ السُّؤال**»، رَوَاه الإِمَامُ أَحْمَد، وأَبُو دَاوُد، وابن مَاجَه، وَالحَاكمُ من حَدِيثِ ابْن عبَّاس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، وهَذَا لَفْظ أَبي دَاوُد، ورَوَاه البَاقُونَ مُخْتصرًا[(٢)].

---

(١) انظر: «مختصر الصواعق المرسلة» (١/ ٥٥٧).

(٢) أخرجه أحمد (١/ ٣٣٠) (٣٠٥٧)، وأبو داود (٣٣٧)، وابن ماجه (٥٧٢)، والحاكم

وأمَّا تَبْديعُ مَنْ يأمُرُ بالاجْتهَاد، واتِّباع الدَّليل، فَفِيهِ تفصيلٌ: فإنْ كَانَ الأَمْر يأمُرُ به الَّذينَ لهُمْ علمٌ بالأدلَّة، وَاسْتخرَاج الأَحْكَام من الكِتَابِ والسُّنَّة، فَالقَائلُ بتَبْديعه هُوَ المبتدعُ في الحَقيقَة، وإنْ كَانَ يأمُرُ بذَلكَ كلُّ أَحَدٍ من عَالِمٍ بالأَدلَّة، وَجَاهلٍ بها، فقَدْ أخطأَ في أَمْره أَهْل الجَهْل بالاجْتهَاد؛ لأَنَّهم لَيْسوا أهلًا لذَلكَ، وإنَّما الواجبُ في حَقِّهم سُؤال أَهْل العِلم؛ لما تَقدَّم في الآية من سُورَة النَّحل، وَحَديث ابْن عَبَّاسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا.

والثَّانِي عَشَر: قَوْل بَعْضهم: إنَّ الخلافَ بَيْن أَهْل السُّنَّة والشِّيعة خلافٌ في الفُرُوع فقط، وما صَدَر عَلَىٰ هَذَا الأَسَاس من قَادَة الجَمَاعة المُشَار إلَيْها من تَأْييد الثَّورة الرَّافضيَّة، والتَّضامن مَعَهم، وإقَامَة صَلَاة الغَائب عَلَىٰ قَتْلاهم.

والجَوابُ أنْ يُقَالَ: أَمَّا الرَّافضَة فِي زَمَاننا وقَبْله بأزمانٍ طويلةٍ، فإنَّهم أَهْل شركٍ وتأليهٍ لعليِّ بن أَبي طَالبٍ، وأَهْلِ بَيْته، وتَعْظيم للقُبُور، وأَهْل القُبُور، وهَذَا من أَعْظَم المُحادَّة لله تَعالَىٰ ولرَسُوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، وقَدْ قَالَ اللهُ تَعالَىٰ: ﴿ أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدٗا فِيهَاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡخِزۡيُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾ [التوبة: ٦٣]، ومَنْ كانوا بهذِهِ الصِّفة، فإنَّه لا يَجُوز تأْييدُهُمْ، ولا التَّضامن مَعَهم، وَلَا إقَامَة صَلَاة الغَائب عَلَىٰ قَتْلاهم، ومَنْ فَعَل ذَلكَ، فليسَ بمؤمنٍ؛ لقَوْل اللهِ تَعالَىٰ: ﴿لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوۡ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ أَوۡ إِخۡوَٰنَهُمۡ أَوۡ عَشِيرَتَهُمۡ﴾ [المجادلة: ٢٢].

=

(١/ ٢٨٥) (٦٣٠) من حديث ابن عباس رصي الله عنهما، بلفظ: «**قَتَلُوهُ قَتَلَهُمُ اللهُ، أَلَمْ يَكُنْ شِفَاءُ العِيِّ السُّؤَالَ؟!**»، أما اللفظ الذي ذكره المصنف فقد أخرجه أبو داود (٣٣٦) من حديث جابر رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ، وحسنهما الألباني في «صحيح أبي داود».

وأمَّا الخلافُ بَيْن أَهْل السُّنَّة والرَّافضة فهُوَ في الأُصُول أعْظَم منه في الفُرُوع، ومَنْ نَظرَ في الكُتُب الَّتي تُذْكر فيها سَخَافاتهم وأَقْوَالهم البَاطلَة، علمَ ما هُمْ عَلَيْه من الغُلوِّ الشَّديد في عليٍّ وأَهْل بيتِهِ، وما هُمْ عَلَيْه أيضًا من الإشْرَاك بهم في بَعْض خَصَائص الرُّبوبيَّة والأُلُوهيَّة، وما هُمْ عَلَيْه أيضًا من اتِّخاذ القُبُور مَسَاجد وأوثانًا تُعْبد من دون الله، وعَلِمَ أيضًا جَرَاءتهم عَلَىٰ تَحْريف القُرْآن، والزِّيادة فيه، وعَلِمَ أيضًا جَرَاءتهم عَلَىٰ سبِّ الصَّحَابَة، والوَقيعَة فيهم بالكَذِبِ والبُهْتان، ولا سيَّما أبو بكرٍ، وعُثْمان، وَعَائشَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فإنَّهم قَدْ أقْذَعوا[١] في سَبِّهم، والوَقيعَة فيهم، إِلَىٰ غَيْر ذَلكَ من الفَظَائع والشَّنَائع الَّتي ذَكَرها أَهْلُ العِلْمِ عن الرَّافضَة، وأكْثَرها أَوْ كُلُّها منقولٌ من كُتُبهم، ولهَذَا أخْرَجَهم بعضُ العُلَماء المُتقدِّمين من الثِّنْتَين وسَبْعين فرقةً من فِرَقِ هَذِهِ الأُمَّة.

ولهَذَا القَوْل أدلَّةٌ كثيرةٌ، مِنها قَوْل اللهِ تَعالَىٰ: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾ [الفتح: ٢٩].

قَالَ البغويُّ في تَفْسير هَذِهِ الآيَة: «قَالَ مالكُ بن أنسٍ: مَنْ أصْبَح وفي قَلْبه غيظٌ عَلَىٰ أَصْحَاب رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقَدْ أَصَابته هَذِهِ الآيَةُ»[٢].

وقَالَ ابْنُ كثيرٍ في «تَفْسيره»[٣]: «ومِنْ هَذِهِ الآية انتزعَ الإمَام مالكٌ في روَايَة عَنْه

(١) أقذع في كلامه: أفحش.

(٢) «تفسير البغوي» (٧/ ٣٢٨).

(٣) (٧/ ٣٣٨).

بتكْفير الرَّوَافض الَّذينَ يُبْغضون الصَّحَابَة رَضِوَاللَّهُعَنْهُمْ، قَالَ: لأَنَّهم يُغيظُونهم، ومَنْ غَاظَه الصَّحَابَةُ رَضِوَاللَّهُعَنْهُمْ، فهُوَ كافرٌ؛ لهَذِهِ الآيَة، وَوَافقه طائفةٌ من العُلَماء عَلَىٰ ذَلكَ».

ومِنْهَا ما رَوَاه عَبْدُ الله ابن الإِمَام أَحْمَد في كِتَابِ «السُّنَّة»(١) عن عليٍّ رَضِوَاللَّهُعَنْهُ قَالَ: قَالَ لي النَّبيُّ صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**إنَّ قومًا لهُمْ نبزٌ**(٢) **يُقَال لهُم: الرَّافضة، إنْ أدْرَكْتَهم فَاقْتُلْهم، فإِنَّهم مُشْركون**»، قَالَ عليٌّ رَضِوَاللَّهُعَنْهُ: يَنْتحلون حُبَّنَا أَهْلَ البَيْت، ولَيْسوا كذَلكَ، وآيَةُ ذَلكَ أَنَّهم يَشْتمُون أبا بكرٍ وعُمَر.

ورَوَاه ابْن أبي عَاصم في «السُّنَّة»(٣)، وَزَاد: قُلْتُ: يا نبيَّ الله، ما العلَامةُ فِيهِمْ؟ قَالَ: «**يَقْرِّظُونكَ**(٤) **بمَا لَيْسَ فيكَ، ويَطْعنون عَلَىٰ أَصْحَابي ويَشْتمونهم**».

ومِنْهَا ما رَوَاه عَبْدُ الله ابْن الإِمَام أَحْمَد في كِتَاب «السُّنَّة»(٥)، وَفِي «زَوَائد المُسْند»(٦) عن عليٍّ رَضِوَاللَّهُعَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**يَظْهر في أُمَّتي في آخِر الزَّمَان قومٌ يُسمَّون الرَّافضة، يَرْفضونَ الإِسْلَامَ**»، ورَوَاه البُخَاريُّ في «التَّاريخ

---

(١) (٢/ ٥٤٧) (١٢٧٢)، وإسناده ضعيف؛ لجهالة الراوي عن علي بن أبي طالب، وفيه أبو سليمان الهمداني وهو منكر الحديث.

(٢) النَّبَز بالتحريك: اللقب، والجمع الأنباز. والنبْز بالتسكين: المصدر. تقول: نبزه يَنبزُه نَبْزًا، أي: لقبه. وفلان ينبز بالصبيان، أي: يلقبهم، شدِّد للكثرة. وتنابزوا بالألقاب، أي: لقَّب بعضُهم بعضًا. «الصحاح» (٣/ ٨٩٧).

(٣) التَّقريظ: مدح الرَّجُل حيًّا.

(٤) (٢/ ٤٧٤) (٩٧٩)، وضعفه الألباني في «ظلال الجنة» (٩٧٩).

(٥) (٢/ ٥٤٦) (١٢٦٨)، وإسناده ضعيف، فيه ثلاثة من الضعفاء: يحيىٰ بن المتوكل الضرير، وكثير بن إسماعيل التيمي، وإبراهيم بن الحسن الهاشمي.

(٦) (١/ ١٠٣) (٨٠٨)، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده ضعيف جدًّا.

الكَبير»(١)، ولَفْظه: «**يَكُون قومٌ نَبْزُهُم الرَّافضة يَرْفضون الدِّينَ**».

وفي روايةٍ لعَبْد الله ابْن الإِمَام أَحْمَد: «**يَجيءُ قومٌ قَبْل قيامِ السَّاعَة يُسمَّون الرَّافضَة بُرَآء من الإِسْلَام**»(٢).

ومِنهَا ما رَوَاه عبدُ بن حُمَيد، وأبو يَعْلىٰ، والبزَّار، والطَّبرانـيُّ عن ابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عن النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**يَكُونُ في آخِرِ الزَّمَان قومٌ يُسمَّون الرَّافضَة يَرْفضون الإِسْلَام، فإِذَا رَأيْتُمُوهمْ فَاقْتُلُوهمْ، فَإِنَّهم مُشْركُونَ**»(٣).

قَالَ الهيثميُّ: رجالُهُ وُثِّقوا، وفِي بَعْضهم خلافٌ.

وفِي روايةٍ للطَّبرانيِّ عن ابْن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: كنتُ عندَ النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعندَهُ عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقَالَ النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يا عليُّ، سَيَكُون في أُمَّتي قومٌ يَنْتَحلون حبَّ أَهْل البيْت، لهُمْ نَبْزٌ، يُسمَّون الرَّافضة، قَاتِلوهُمْ، فَإِنَّهم مُشْركون**»(٤)، قَالَ الهيثميُّ: إسنادُهُ حسنٌ.

وَمِنْهَا ما رَوَاه اللالكائيُّ عن عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّه قَالَ: «**يَخْرج في آخِرِ الزَّمَان قومٌ**

---

(١) (١/ ٢٧٩) (٨٩٧).

(٢) «السنة» (٢/ ٥٤٧) (١٢٧١)، وإسناده ضعيف، فيه كثير بن إسماعيل التيمي، وإبراهيم بن الحسن الهاشمي، وهما ضعيفان.

(٣) أخرجه عبد بن حميد (١/ ٢٣٢) (٦٩٨)، وأبو يعلىٰ (٤/ ٤٥٩) (٢٥٨٦)، والبزار كما في «كشف الأستار» (٣/ ٢٩٣) (٢٧٧٥)، والطبراني (١٢/ ٢٤٢) (١٢٩٩٨)، وضعفه الألباني في «الظلال» (٩٨١).

(٤) أخرجه الطبراني (١٢/ ٢٤٢) (١٢٩٩٨)، وفي إسناده الحجاج بن تميم الجزري، وهو ضعيف.

لهُمْ نبزٌ، يُقَال لهُمُ الرَّافضة، يُعْرفون به، يَنْتحلون شِيعَتَنا، ولَيْسوا من شِيعَتِنَا، وآيَةُ ذَلكَ أَنَّهم يَشْتُمون أبَا بكرٍ وعُمَر، أيْنَما أدْرَكْتُمُوهم فَاقْتُلُوهم، فإِنَّهم مُشْركون»[١].

والآثَار في تكفِير الرَّافضة والتَّصريح بخُرُوجِهم مِنَ الإِسْلَام كَثيرة مَذكُورة في كُتُب السُّنة.

ومن أوْضَح الأدلَّة عَلَىٰ كُفْر الرَّافضة، وخُرُوجهم مِنَ الإِسْلَام: تَفْضيلهم لأَئمَّتهم عَلَىٰ المَلَائكة المُقرَّبين، والأَنْبيَاء والمُرْسلين، وقَدْ صرَّح بهَذَا طَاغُوت الثَّورة الرَّافضيَّة[٢] في كِتَابِهِ «الحُكُومة الإِسْلَاميَّة»، حَيْث زَعَم أنَّ من ضَرُورات مَذْهبهم أنَّ لأَئمَّتهم مقامًا لا يبلغُهُ مَلَكٌ مقربٌ، ولا نبيٌّ مرسلٌ، وقَدْ نقلَ غيرُ واحدٍ من العُلَماء الإجْمَاعَ عَلَىٰ كفرِ من اعْتقَد هَذَا الاعتقادَ الخبيثَ.

وَزَعَم طاغوتُ الثَّورة الرَّافضيَّة أيضًا أنَّ تَعاليم أئمَّته كتَعاليم القُرْآن، يجبُ تَنْفيذها واتِّباعها، وهَذَا كفرٌ صريحٌ. وأَقْوَالهم الَّتي تدلُّ عَلَىٰ كُفْرهم، وخُرُوجهم من الإِسْلَام كثيرةٌ جدًّا، ومَوْجودةٌ في كُتُب طَاغوت الثَّورة وغَيْره من كُتُبهم الخَبيثَة، وفيما ذكرتُهُ هاهنا كفايةٌ لمَنْ أَرَاد اللهُ هدايتَهُ، ومَنْ أرادَ اللهُ به غَيْر ذَلكَ، فلا هَادِيَ له.

وإِذَا علمَ هَذَا، فَلْيعلم أيضًا أنَّ مَنْ سَعىٰ في تَأْييد الرَّافضة والتَّضامن مَعَهم، وإِقَامَة صَلَاة الغَائب عَلَىٰ قَتْلاهم، فقَدْ رَضِيَ بأعْمَالهم السَّيِّئة، ومَنْ رَضي بأعْمَال قومٍ فهُوَ مِثْلهم؛ لقَوْل اللهِ تَعالَىٰ: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ

---

(١) رواه اللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» (٨/ ١٥٤٣) (٢٨٠٧).

(٢) يعني: الخميني الهالك.

يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٠].

والرَّافضةُ من شرِّ الطَّوائف الَّذينَ يكفرون بآيات الله، ويَسْتَهزئون بها، ولا يَخْفىٰ أَمْرهم إلَّا عَلَىٰ مَنْ أعْمَىٰ اللهُ بصيرتَهُ، وَطبَع عَلَىٰ قلبِهِ، فَلْيَحذر المُسْلم النَّاصحُ لنفسِهِ من الاغْتِرَارِ بهَذِهِ الطَّائفة الضَّالَّة، وَلْيَحذر أيضًا غايةَ الحَذَر من مُوَالاتهم ومُوادَّتهم، وتَأْييدهم والتَّضامن مَعَهم، وإقَامَة صَلَاة الغَائب عَلَىٰ قَتْلاهم، فقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ هَٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [آل عمران: ١١٨ - ١٢٠].

هَذِهِ الآياتُ الثَّلاث مُطَابقةٌ لحَال الرَّافضَة مَعَ أَهْل السُّنَّة غاية المُطَابقة.

وبالجُمْلة؛ فلا يَنْخدعُ بأقْوالهم البَاطلَة، ويَغْتر بدَعاويهم الكَاذبَة إلَّا مَنْ هو مُصَابٌ في دينِهِ وعقلِهِ.

وقَدْ زَعَموا أنَّ ثَوْرَتهم عَلَىٰ مَلِكِهم الأَخير ثَوْرةٌ إسْلَاميَّةٌ، وهي في الحَقيقَة ثَوْرة رَافضيَّة، لَيست من الإسْلَام في شيءٍ، وإنَّما غَايتُها التَّضْليل والتَّلبيس عَلَىٰ ضُعَفاء العُقُول والبَصيرَة، فهُمْ كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ في سَلَفهم من المُنَافِقِين: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ

مَرَضًا﴾ [البقرة: ٩، ١٠] الآيات، إِلَىٰ قَوْله تَعالَىٰ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٦].

وقَدْ حَصَل بسَبَب ثَوْرتهم المَشْئومة من الفِتَنِ، وإرَاقَة الدِّماء ما هُوَ معلومٌ عندَ المُتتبِّعين لأخْبَار الصُّحُف والإذَاعَات، فَهِيَ في الحَقيقَة ثَوْرة بَغْيٍ، وظُلْمٍ، وعُدْوانٍ، وفَسَادٍ في الأَرْض، واللهُ المَسْئول أن يُطهِّر الأرضَ من رِجْسِ هَذِهِ الطَّائفة الضَّالَّة، وأنْجَاسها، وأنْ يُقيِّض لهم مَنْ يُعَاملهم مُعَاملةَ أَبي بكرٍ وعُمَر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا لسَلَفهم من أَهْل الرِّدَّة والمَجُوس، وَمَا ذَلكَ عَلَىٰ الله بعزيزٍ.

وأمَّا السُّؤال عن الجَمَاعة الَّذينَ يَقُولُون بالأَقْوَال الَّتي تَقدَّم ذِكْرُها والجَوابُ عَنْها: هَلْ يُقَال: إنَّ عَقيدَتَهم عَلَىٰ الكِتَابِ والسُّنَّة؟

فَجوابُهُ أن يُقَالَ: بَلْ كلُّ ما ذكرَ عَنْهم من الأَقْوَال والأَفْعَال، فهُوَ مخالفٌ للكِتَابِ والسُّنَّة، وَمَا خَالَف الكِتَابَ والسُّنَّة، فهُوَ من عَقَائد أَهْل البِدَعِ والضَّلَالَة.

وأمَّا السُّؤال عن الَّذينَ يُخَالفون الجَمَاعة الَّذينَ يَقُولُون بالأَقْوَال البَاطلَة وَلكنَّهم لا يَسْتَطيعون الإنْكَار عَلَىٰ أَقْوَالهم خوفًا من شقِّ الصَّفِّ، وتَفْريق الكَلمَة.

فَجَوابُهُ أنْ يُقَالَ: إنَّه يجبُ عَلَىٰ أَهْل الحقِّ أنْ يَنْصحوا أَهْل البَاطل ويَأْمُروهم بالمَعْروف، ويَنْهوهم عن المُنْكر، ويُبيِّنوا لهُمُ الأخْطَاء الَّتي قَدْ وَقَعوا فيها، فإنْ رَجعوا إِلَىٰ الحقِّ، فهُوَ المَطْلوب وإلَّا وَجبتْ مُفَارقتُهُمْ ومُنَابذتُهم، وشقُّ صفِّهم، وتَفْريق كَلمَتهم؛ لأَنَّ اللهَ تَعالَىٰ يَقُول: ﴿لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوۡ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ أَوۡ إِخۡوَٰنَهُمۡ أَوۡ عَشِيرَتَهُمۡ﴾ [المجادلة: ٢٢].

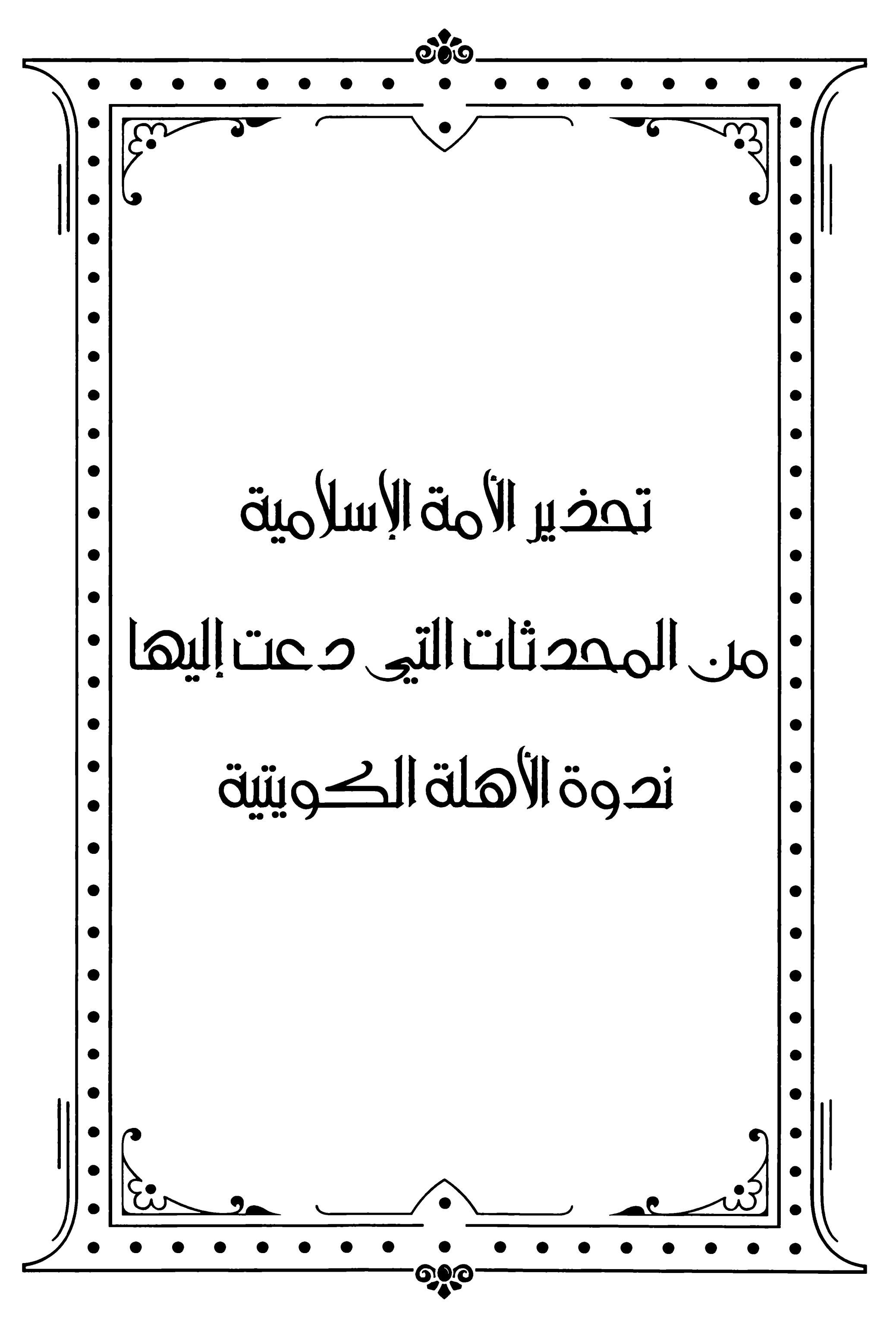
وإِذَا سُئِلَ الرَّجلُ عَنْ عَقيدَة الجَمَاعَة الَّذينَ يَقُولُون بالأَقْوَال البَاطلَة الَّتي تَقدَّم ذِكْرُهَا، فعَلَيْه أنْ يُجيبَ بِأَنَّهم مُخَالفون للكِتَابِ والسُّنَّة، ومَنْ شَهدَ أَنَّهم عَلَىٰ الكِتَابِ والسُّنَّة، وَعَلَىٰ عَقيدَةٍ صَحِيحةٍ مَعَ علمِهِ بمَا هُمْ عَلَيْه من المُخَالفة للكِتَابِ والسُّنَّة، وللعَقيدَة الصَّحِيحةِ، فقَدْ أساءَ غايةَ الإِسَاءَة، وشَهِدَ شَهَادةَ زورٍ، وعَلَيْه أن يتوبَ من شَهَادة الزُّور الَّتي هي مِنْ أَكْبَر الكَبَائر.

وأَمَّا السُّؤال عن الَّذي يعتذرُ عن الأَقْوَال البَاطلَة الَّتي تَقدَّم ذِكْرُهَا، ويَقُولُ: إِنَّها لا تُخَالف العَقيدَةَ، ولا تَكُون طعنًا فيها، وإِنَّما هِيَ مَوَاقفُ، والمَوَاقفُ لا تَدْخل في العَقيدَة.

فَجوابُهُ أنْ يَقُول: إِنَّ الاعتذارَ عن الأَقْوَال البَاطلَة، والدِّفاع عَنْها دليلٌ عَلَىٰ الرِّضا بها، ومَنْ رَضِيَ عَمَلَ قومٍ، فهُوَ مِثْلهم، ولا يَخْلو الَّذي يَعْتذر عن الأَقْوَال البَاطلَة من أَحَدِ أَمْرَين: إِمَّا أنْ يكونَ عَالمًا ببُطْلانها، وهُوَ مَعَ ذَلكَ يُدَافع عَنْها، ويَطْلب لها التَّوْجيهَات المُتكلَّفة، فهَذَا يلحقُ بأَهْل البَاطل، ويُعَامل بمَا يُعَاملون به من المُفَارقة والمُنَابذة حَتَّىٰ يرجعَ عَن المُدَافَعة عن الأَقْوَال البَاطلَة، وإِمَّا أنْ يَكُون جاهلًا بأَنَّها باطلةٌ، فهَذَا يَنْبغي تعليمُهُ، فإِنْ أصرَّ بَعْد العِلْمِ ببُطْلانها، فإِنَّه يلحقُ بأَهْلها، ويُعَامل بما يُعَاملون به من المُفَارقة والمُنَابَذة.

قَالَ ذَلكَ كاتبُهُ الفقيرُ إِلَىٰ الله تَعَالَىٰ حمود بن عبد الله بن حمود التويجري.

وصلىٰ الله وسلم عَلَىٰ نبينا محمد وَعَلَىٰ آله وأَصْحَابه ومن تبعهم بإحسان إِلَىٰ يوم الدين ٢٥/ ١٠/ ١٤٠٤هـ.



تحذير الأمة الإسلامية
من المحدثات التي دعت إليها
ندوة الأهلة الكويتية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمدُ لله ربِّ العالَمِين، وصلَّىٰ اللهُ وسلَّم علىٰ نبيِّنا مُحمَّد وعلىٰ آلِه وأصحابِه ومَن تَبِعهم بإِحسانٍ إلىٰ يوم الدِّين.

أما بعد؛ فإنَّ التَّوصيات والمُقترحات فيما يتعلَّق بإثبات الأهِلَّة -وهي التي دعت إليها ندوةُ الأهلَّة والمَواقيت والتِّقنيات الفلَكِيَّة التي عُقِدت في الكُوَيت خلال الفَترة من (٢١ - ٢٣ رجب ١٤٠٩هـ)- قد جاءت علىٰ خِلاف الأحَادِيث المُتواترة عن النَّبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ أنه أمَر بصِيام رمَضَان لرُؤيَة هِلاله، والفِطْر منه لرُؤية هِلال شوَّال، وأمَر بإتمام العِدَّة ثلاثين يومًا إذا لم يُرَ الهِلالُ.

وقد جاء في بعض هذه الأحَادِيث النصُّ علىٰ نفي الكِتَاب والحِسَاب عن الأمَّة المُحمَّديَّة فيما يتعلَّق بالأهلَّة؛ لاستغنائها عن ذلك بالرُّؤية، أو إتْمام العِدَّة ثلاثين يومًا.

وقد قال رَسُول اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**مَن رَغِبَ عَن سنَّتي؛ فليْسَ مِنِّي**».

رواه الإمام أحمَد، والبخاري، ومسلم، والنَّسائي؛ من حديث أنس بن مالك رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ[1].

وروىٰ الإمام أحمد أيضًا مثلَه من حديث عبد الله بن عَمْرو، ورجلٍ من الأنصار رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمۡ[2].

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٢٤١) (١٣٥٥٨)، والبخاري (٥٠٦٣)، ومسلم (١٤٠١)، والنسائي (٣٢١٧).

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ١٥٨) (٦٤٧٧) من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا، وقال شعيب =

وروىٰ الإمام أحمد، والبخاري، ومسلم، وأبو داود، وابن ماجه؛ عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أن رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَن أحدَث في أمرِنا هذا ما ليس منه؛ فهَو رَدٌّ**»(١).

وفي رواية لأحمد، ومُسلم، والبخاري تعليقًا مَجزومًا به: «**مَن عَمِل عملًا ليس عليه أمْرُنا؛ فهو رَدٌّ**»(٢)؛ أي: مَردود.

ومن هذا الباب الحساب علىٰ الاعتماد في الأَهِلَّة، والعَمل بذلك؛ فهذا من المُحدَثات، والأعمال المَردودة؛ لأنه لم يكن عليه أمرُ النَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ولا يخفىٰ ما في العمل بالحِسَاب من المُعارضة لقول النَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إنَّا أمَّةٌ أُمِّيَّة، لا نكتُب، ولا نَحسبُ، الشَّهرُ هكذا، وهكذا، وهكذا** -وعقد الإبهامَ في الثَّالثة- **والشهر هكذا، وهكذا، وهكذا**»؛ يعني تَمام الثَّلاثين.

رواه الإمام أحمَد، والبُخاري، ومسلم، وأبو داود، والنَّسائي؛ من حديث عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا(٣).

=

الأرنؤوط: إسناده صحيح علىٰ شرط الشيخين. وأخرجه أيضًا (٥/ ٤٠٩) (٢٣٥٢١) من حديث رجل من الأنصار من أصحاب الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح.

(١) أخرجه أحمد (٦/ ٢٧٠) (٢٦٣٧٢)، والبخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨)، وأبو داود (٤٦٠٦)، وابن ماجه (١٤).

(٢) أخرجه أحمد (٦/ ١٤٦) (٢٥١٧١)، ومسلم (١٧١٨) والبخاري تعليقًا (٩/ ١٠٧).

(٣) أخرجه أحمد (٢/ ٤٣) (٥٠١٧)، والبخاري (١٩١٣)، ومسلم (١٠٨٠)، وأبو داود (٢٣١٩)، والنسائي (٢١٤٠).

ولفظه عند البخاري؛ قال: «**إنا أُمَّة أُمِّيَّة، لا نكْتُب، ولا نَحْسب، الشهر هكذا، وهكذا**»؛ يعني: مرة تِسعة وعشرين، ومرة ثلاثين(١).

وقد رواه الشافعي عن مالك، ولفظه: قال: «الشَّهر تسعٌ وعشرون، فلا تَصوموا حتىٰ تَروا الهِلَال، ولا تُفطروا حتىٰ ترَوه، فإن غُمَّ عليكم؛ فأكملوا العِدَّة ثلاثين»(٢).

ورواه البخاري بنحوه(٣).

ورواه البيهقي من طُرق كثيرة، وفي بعضها: أن رَسُول اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ جَعل الأَهِلَّة مواقِيت، فإذا رأيتموه؛ فصُوموا، وإذا رأيتموه؛ فأفطروا، فإن غُمَّ عليكم؛ فاقدروا له، أتمُّوه ثلاثين**».

ورواه ابن خُزيمة، والحاكم، وصحَّحاه، وصحَّحه أيضًا الذهبي(٤).

وفي هذا الحديث أبلغ ردٍّ علىٰ التَّوصيات والمقترحات التي دعت إليها ندوةُ الأَهِلَّة والمواقيت التي عُقدت في الكويت؛ فإن النَّبِي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علَّق العملَ في الأَهِلَّة علىٰ الرُّؤية، لا علىٰ الحِسَاب، بل إنه قد نفىٰ العملَ بالكتاب والحِسَاب وأبطَله، ونصَّ علىٰ أن هذه الأمة لا تَكتبُ ولا تَحسب.

---

(١) أخرجه البخاري (١٩١٣).

(٢) «مسند الشافعي» (٢/ ٩٩) (٦٠٨).

(٣) أخرجه البخاري (١٩٠٧) عَنْ عَبْدِ اللهِ بن عُمَرَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «**الشَّهْرُ تِسْعٌ وَعِشْرُونَ لَيْلَةً، فَلاَ تَصُومُوا حَتَّىٰ تَرَوْهُ، فَإِنْ غُمَّ عَلَيْكُمْ فَأَكْمِلُوا العِدَّةَ ثَلاَثِينَ**».

(٤) أخرجه البيهقي (٤/ ٢٠٥) (٧٧٢٠)، وابن خزيمة (٢/ ٩٢٠) (١٩٠٦)، والحاكم (١/ ٥٨٤) (١٥٣٩) من حديث ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٠٩٣).

وبهذا يُعلم أن الاعتماد على الحِسَاب في الأَهِلَّة، والعمل به مُخالف للشَّريعة المُحمَّدية، ومعارض لها، ويلزم عليه إلغاء ما شَرعه رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأمته في الأَهِلَّة، وما كان بهذه المثابة؛ فإنه يجب إلغاؤه، والتَّحذير من العمل به، ومن الفئة التي تعتني به، وتدعو إليه.

وقد جاء في العِلم بالرُّؤية نحوٌ من سبعة عشَرَ حديثًا من الصِّحاح، فلتُراجع في كتاب «قواطع الأدلَّة في الردِّ علىٰ مَن عوَّل علىٰ الحِسَاب في الأَهِلَّة».

وليراجع أيضًا ما ذُكر في آخر الكتاب من كلام بعض أكابر العلماء فيما يتعلَّق بموضوع الأَهِلَّة، والرَّد علىٰ مَن يعتني بالحِسَاب؛ فإنه مهمٌّ جدًّا، وفيه أبلغ ردٍّ علىٰ ما جاء في التوصيات والمقترحات التي دعت إليها ندوة الأَهِلَّة والمواقيت في الكويت.

ولينظر إلىٰ ما ذكره الحافظ ابنُ حَجر: أن الذين ذهبوا إلىٰ العمل بالتَّسيير هم الرَّوافض، وبئس السَّلف لندوة الأَهِلَّة والمواقيت.

ولينظر أيضًا إلىٰ قول شيخ الإسلام ابن تيميَّة: إنَّ مَن كَتب أو حسب لم يكن من هذه الأمة في هذا الحُكم، بل يكون قد اتَّبع غيرَ سبيل المُؤمنين الذين هم هذه الأمة، فيكون قد فعل ما ليس من دِينها، والخروج عنها مُحرَّم مَنهيٌّ عنه، فيكون الكتابُ والحِسَاب المذكوران محرَّمين منهيًّا عنهما.

ولينظر أيضًا إلىٰ قوله: إن الكتاب والحِسَاب -أي: فيما يتعلَّق بالأَهِلَّة- سيئة وذنب، فمَن دخل فيه؛ فقد خرج عن الأمة الأُمِّيَّة فيما هو من الكمال والفضل السالم عن المفسدة، ودخل في أمرٍ ناقص يؤديه إلىٰ الفساد والاضطراب[١].

---

(١) «مجموع الفتاوىٰ» لشيخ الإسلام ابن تيمية (٢٥/ ١٧٤).

وبالجملة؛ فإن العمل بالحِسَاب في الأَهِلَّة ينافي العملَ بما شرعه اللهُ علىٰ لسان رسولِه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في ذلك، وقد قال الله تعالىٰ: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩].

وقال تعالىٰ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا﴾ [النساء: ٦٥].

فأقسم تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بنفسه علىٰ نفي الإيمان عمَّن لم يحكِّم الرَّسول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويَرْضَ بحُكمه، ولا يجد في نفسه حرجًا مما قضىٰ به، بل يقابل أقواله بالقبول والتسليم.

فلتتأمَّل ندوةُ الأهِلَّة والمَواقيت ما جاء في هذه الآية، والآية التي قبلها حقَّ التأمُّل، وليتقوا الله، وليُطيعوه، ويطيعوا رسولَه إن كانوا مؤمنين، ولا ينسوا قولَ الله تعالىٰ: ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨]. وقوله تعالىٰ: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهۡتَدُواْ﴾ [النور: ٥٤].

وقوله تعالىٰ: ﴿فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣]. وقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡۗ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلٗا مُّبِينٗا﴾ [الأحزاب: ٣٦].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ [الحشر: ٧].

وليتأمَّلوا أيضًا قولَ النَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«عليكم بسُنَّتي وسنَّة الخُلفاء الرَّاشدين المهديِّين، تمسَّكوا بها، وعضُّوا عليها بالنَّواجذ، وإيَّاكم ومُحدَثات الأمور؛ فإنَّ كلَّ مُحدَثة بدعة، وكلَّ بدعة ضلالة»**.

رواه الإمام أحمد، وأهل «السنن» من حديث العِرباضِ بن سارية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصحَّحه التِّرْمِذِي، وابن حبان، والحاكم، وابن عبد البر، والذهبي(١).

وفيه دليلٌ علىٰ أنه لا يجوز العمل بالحِسَاب في الأَهِلَّة؛ لأنه لم يكن من سُنَّة رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا من سنةِ الخلفاء الراشدين، وإنما هو من المحدَثات التي حذَّر النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منها، وأمر بردِّها.

وفيه أيضًا أبلغ ردٍّ علىٰ ما جاء في التوصيات والمقترحات التي دعت إليها ندوة الأَهِلَّة والمَواقيت في الكُويت؛ لأنها مخالفة لسُنَّة رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في إثبات الأَهِلَّة بالرُّؤية، أو إتمام ثلاثين يومًا إذا لم يُرَ الهِلَال.

وأيضًا؛ فإن توصيات الندوة ومقترحاتهم تعتمد علىٰ الحِسَاب في الأَهِلَّة، وقد نفىٰ ذلك رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن أمته، وما نفاه؛ فلا يجوز لأحد أن يعمل به.

والأحَادِيث في الحثِّ علىٰ التمسُّك بالسنَّة، والتحذير من المُحدَثات كثيرة، وفيما ذكرنا كفاية لمن كان حريصًا علىٰ اتِّباع السنة، والبُعد عن البدع.

وأما الذين لا مبالاة عندهم بمخالفة السنة، والاعْتياض عنها بالبدع والآراء التي ما

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ١٢٦) (١٧١٨٤)، وأبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وابن ماجه (٤٢)، والحاكم (١/ ١٧٤) (٣٢٩)، والبيهقي (١٠/ ١١٤) (٢٠١٢٥)، وابن حبان (١/ ١٧٨) (٥)، والدارمي (١/ ٥٧) (٩٥)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٢٧٣٥).

أنزل الله بها من سلطان؛ فإنهم علىٰ خطر عظيم؛ لأن الله تعالىٰ يقول: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص: ٥٠].

فليحذر المؤمن الناصح لنفسه ممَّا جاء في هذه الآية أشدَّ الحذر، ولا يأمن المخالفون للسُّنة فيما يتعلَّق بالأهلة وغيرها أن يكون لهم نَصيبٌ وافرٌ من الضَّلال والظُّلم وحرمان الهداية، ولا يأمنوا أيضًا من تقليب القلوب والأبصار؛ لأن الله تعالىٰ يقول: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الأنعام: ١١٠].

والواجب علىٰ المسلم أن يسمعَ ويطيع لأمر الله تعالىٰ، وأمرِ رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويقدِّم طاعتَهما علىٰ كل شيء، ويقدِّم الحكمَ بما جاء في الكتاب والسنة علىٰ الآراء والتوصيات والمقترحات التي ما أنزل الله بها من سُلطان، وإنما هي من وَحْي الشيطان وتضليله.

وقد مَدح الله المؤمنين علىٰ السَّمع والطاعة لحكمه، وحُكم رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وضَمن لهم الفلاحَ والفوز في الدنيا والآخرة، فقال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [النور: ٥١، ٥٢].

وذم الله تعالىٰ الذين إذا ذُكِّروا لا يَذَّكَّرون، وأخبر أنهم من شرِّ الدَّوابِّ عند الله.

فليحذر المؤمن الناصح لنفسه أن يكون منهم وهو يحسب أنه من المُهتدين.

وقد قال الله تعالىٰ: ﴿مَّنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ [الإسراء: ١٥].

والله المسئول أن يَمنَّ علىٰ ندوة الأَهِلَّة والمَواقيت بالرُّجوع إلىٰ السُّنة، ومقابلتها بالرِّضىٰ والتسليم، وترك البدع، والتحذير منها ومن أهلها؛ إنه وليُّ ذلك والقادر عليه.

فصل

وقد وقع في التَّوصيات والمقترحات فيما يتعلق بإثبات الأَهِلَّة أخطاء كثيرة في مواضع متعددة، وقد رأيت أنه من الواجب التَّنبيه عليها؛ لئلَّا يَغتَرَّ بها مَن قلَّ نصيبُهم من علم الشريعة.

الخطأ الأول: قولهم: «إذا ثَبت رؤية الهِلَال في بَلد؛ وجَب علىٰ المُسلمين الالتزامُ بها، ولا عِبرَةَ باختلاف المَطَالع».

والجواب عن هذا الخطأ من وجهين:

أحدهما: أن يُقال: إن هذا القول باطل؛ لمخالفته للحديث الثَّابت عن النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أنه جعل لكل أهل بلد رؤيتهم.

وهذا الحديث قد رَواه الإمامُ أحمَدُ، ومُسْلِم، وأبو داود، والتِّرْمِذِي، والنسائي؛ عن كُريب مولىٰ ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «أن أم الفضل بنت الحارث بعثته إلىٰ معاوية بالشام. قال: فقَدِمتُ الشامَ، فقضيتُ حاجتَها، واستهلَّ عليَّ رمَضَان، وأنا بالشام، فرأينا الهِلَال ليلة الجمعة، ثم قدمت المدينةَ في آخر الشهر، فسألني عبدُ الله بن عباس، ثم ذكر الهِلَال، فقال: متىٰ رأيتموه؟ فقلت: رأيناه ليلة الجمعة. فقال: أنت رأيته؟ قلت: نعم، ورآه الناس، وصاموا وصام معاوية. فقال: لكنَّا رأيناه ليلة السبت،

فلا نزال نصوم حتىٰ نكمل ثلاثين يومًا أو نراه. فقلت: أَوَلَا تكتفي برؤية معاوية وصيامه؟ فقال: لا؛ هكذا أَمَرنا رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»[١].

قال التِّرْمِذِي: «حديث ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا حديث حسن صحيح غريب، والعمل علىٰ هذا الحديث عند أهل العلم: أن لكل أهل بلد رؤيتهم» انتهىٰ كلام التِّرْمِذِي.

وقد ترجم لهذا الحديث بقوله: «باب ما جاء لكل أهل بلد رؤيتهم».

وترجم له النسائي بقوله: «اختلاف أهل الآفاق في الرُّؤية».

وفي هذا الحديث الصحيح دليل علىٰ اعتبار المَطالع في رؤية الهِلَال، ولاسيما في الأقطار المتباعدة، وأن الرُّؤية إذا ثبتت في بعض الأقطار؛ لم يجب علىٰ غيرهم من أهل الأقطار النائية عنهم الالتزام بالرُّؤية التي وقعت في غير بلادهم.

وقد صرَّح ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا بأن رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمرهم بهذا، وما أمر به رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فليس لأحد أن يُخالِفَه؛ لأنه لا قول لأحد مع رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكل قول خالَف قول النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فإنه يجب اطِّراحه.

وفي الحديث أيضًا أبلغ ردٍّ علىٰ الجملة التي تقدَّم ذكرها، وهي قولهم: «إن رؤية الهِلَال إذا ثبتت في بلد؛ وجب علىٰ المسلمين الالتزام بها، ولا عبرة باختلاف المطالع».

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٣٠٦) (٢٧٩٠)، ومسلم (١٠٨٧)، وأبو داود (٢٣٣٢)، والترمذي (٦٩٣)، والنسائي (٢١١١).

الوجه الثَّاني: أن يقال: إنه يلزم علىٰ هذا القول الباطل إلزامُ كثير من المسلمين في مشارق الأرض بالصيام قبل دخول شهر رمَضَان عندهم، وإلزامهم بالفطر قبل دخول شهر شوال عندهم؛ لأن القمر يكون متقدِّمًا علىٰ الشمس عندهم، ثم يتأخَّر عنها، فيُرىٰ في البلاد التي تقع غربًا عنهم، فيجب الصيام علىٰ أهل تلك البلاد الغربية لرؤية هِلَال شهر رمَضَان عندهم، ويجب عليهم الفطر لرؤية هِلَال شوال عندهم؛ بخلاف أهل البلاد التي تقع شرقًا عنهم؛ فإنهم لا يزالون علىٰ الحكم في بقاء شهر شعبان عندهم، حتىٰ يروا هِلَال شهر رمَضَان، أو يُكملوا عدة شعبان ثلاثين يومًا، وكذلك الحكم في الفطر من رمَضَان.

ومَن جعل حكم البلاد التي في مشارق الأرض، والبلاد التي في المغارب علىٰ حدٍّ سواء في دخول الشهور وخروجها؛ فقد أخطأ خطأً كبيرًا، وخالف المعقول، مع مخالفته للأمر الثَّابت عن النَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو ما تقدَّم ذكره في حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وإذا علم هذا؛ فهل يقول عاقل: إن الهِلَال إذا رُئي في المغرب الأقصىٰ؛ فإنه يُحكم برؤيته في الهند، وإندونيسيا، وما وراء ذلك من بلاد المشرق، ويَحكم علىٰ المسلمين في بلاد المشرق بالالتزام برؤية الهِلَال في بلاد المغرب، ويحكم عليهم بوجوب الصيام من حين رؤية هِلَال رمَضَان في المغرب، وبالفطر من رمَضَان إذا رئي هِلَال شوال في المغرب؟!

كلا؛ لا يقول ذلك مَن له أدنىٰ مُسْكَةٍ[١] مِن عقل.

(١) مُسْكة بالضم، أي: بقية.

ومن المعلوم عند العقلاء، أن القمر يكون سابقًا للشمس بيسير، أو يكون مقارنًا لها في البلاد الحجازية، وما حولها من البلاد، ثم يتأخر عنها قليلًا، فيُرىٰ في بلاد الشام ومصر، فيجب عليهم الصيام لرؤية هِلَال رمَضَان عندهم، ويجب عليهم الفطر لرؤية هِلَال شوال عندهم، ولا يجب الصوم ولا الفطر علىٰ أهل البلاد الحجازية وما حولها برؤية الهِلَال في الشام أو مصر؛ لأنهم لم يزالوا في حكم الشهر الذي هم فيه حتىٰ يُرىٰ الهِلَال عندهم، أو يكملوا ثلاثين يومًا.

فهذا هو المطابق لما جاء في حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا الذي تقدَّم ذكره، فيجب العملُ به، ورَدُّ ما خالفه من أقوال الناس وآرائهم.

الخطأ الثَّاني: قولهم: «إنه يؤخذ بالحِسَابات المُعتمدة في حالة النفي -أي: القطع- باستحالة رؤية الهِلَال، وتكون الحِسَابات الفلكية معتمدة إذا قامت علىٰ التحقيق الدقيق».

والجواب عن هذا الخطأ من وجهين:

أحدهما: أن رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نفىٰ الكتابَ والحِسَاب عن أمته فيما يتعلَّق بدخول الشهور وخروجها، فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إنَّا أُمَّة أميَّة، لا نكتب ولا نحسب، الشهر هكذا، وهكذا، وهكذا** -وعقد الإبهام في الثَّالثة- **والشهر هكذا، وهكذا، وهكذا**»؛ يعني: تمام ثلاثين.

رواه الإمام أحمد، والبخاري، ومسلم، وأبو داود، والنسائي؛ من حديث عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا[١].

---

(١) سبق تخريجه.

ولفظه عند البخاري: قال: «**إنا أمة أميَّة، لا نكتب ولا نحسب، الشهر هكذا، وهكذا**»؛ يعني: مرة تسعة وعشرين، ومرة ثلاثين(١).

قال شيخ الإسلام أبو العباس ابن تيميَّة -رحمه الله تعالىٰ- في الكلام علىٰ قول النَّبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إنا أمَّة أميَّة، لا نكتب ولا نحسب**»: «هو خبرٌ تَضمَّن نهيًا؛ فإنه أخبر أن الأمة التي اتَّبعته هي الأمة الوسط، أمية لا تكتب ولا تحسب، فمَن كتب أو حسب؛ لم يكن من هذه الأمة في هذا الحُكم، بل يكون قد اتَّبع غيرَ سبيل المؤمنين الذين هم هذه الأمة، فيكون قد فعل ما ليس من دينها، والخروج عنها محرَّم منهيٌّ عنه، فيكون الكتاب والحِسَاب المذكوران محرَّمَين منهيًّا عنهما» انتهىٰ، وهو في صفحة (١٦٤ - ١٦٥) من المجلد الخامس والعشرين من «مجموع الفتاوىٰ».

فليتأمل الذين يعتمدون علىٰ الحِسَاب الفلكي في إثبات الأَهِلَّة ما جاء في هذا الحديث الصحيح من نفي الكتاب والحِسَاب عن الأمة المُحمَّدية، ولا ينصبوا أنفسهم لمخالفة أمر النَّبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومعارضة قوله، وإثبات ما نفاه عن أمته من الكتاب والحِسَاب؛ فإن هذه الأمور خطيرة جدًّا؛ لما يلزم عليها من مشاقَّة الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، واتباع غير سبيل المؤمنين.

وقد قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].

فليحذر المصرُّون علىٰ مخالفة أمر الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومعارضة قوله، وإثبات ما نفاه عن أمَّته من الكتاب والحِسَاب في إثبات الأَهِلَّة من هذا الوعيد

---

(١) سبق تخريجه.

الشديد، ولا يأمنوا أن يكون لهم نصيب وافر منه.

وليتأمل الذين يعتمدون علىٰ الحِسَاب الفلكي في إثبات الأَهِلَّة قول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالىٰ في قول النَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إنَّا أمَّة أميَّة، لا نكتب، ولا نحسب**»: إنه خبر تضمَّن نهيًا، وقوله أيضًا: إن الكتاب والحِسَاب محرَّمان منهيٌّ عنهما؛ فإنه صريح في الردِّ عليهم، وبيان أنَّهم قد ارتكبوا ما نهاهم الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عنه من العمل بالكتاب والحِسَاب في الأَهِلَّة.

الوجه الثَّاني: أن رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نهىٰ أمته عن صيام رمَضَان حتىٰ يَروا الهِلَال، أو يُكملوا عدة شعبان ثلاثين يومًا، ونهاهم عن الفطر في رمَضَان حتىٰ يروا الهِلَال، أو يكملوا عدة رمَضَان ثلاثين يومًا، فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا تَصوموا حتىٰ تروا الهِلَالَ، ولا تُفطروا حتىٰ ترَوه، فإن غُمَّ عليكم؛ فاقْدروا له**».

رواه مالك، والشافعي، وأحمد، والبخاري، ومسلم، وأبو داود، والنسائي، وابن ماجه؛ من حديث عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا[(١)].

وفي رواية لمسلم: «فإن أُغْمِيَ عَليكم، فاقْدروا له ثلاثين»[(٢)].

وفي نهيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمته عن صيام رمَضَان، وعن الفطر منه حتىٰ يروا

---

(١) أخرجه مالك (١/ ٢٨٦) (٦٣٠)، والشافعي (١/ ١٨٧) (٩٠٦)، وأحمد (٢/ ٦٣) (٥٢٩٤)، والبخاري (١٩٠٦)، ومسلم (١٠٨٠)، والنسائي (٢١٢١)، والدارمي (٢/ ٦) (١٦٨٤)، وابن حبان (٨/ ٢٢٩) (٣٤٤٥)، والبيهقي (٤/ ٢٠٤) (٧٧١١)، ومن غريب الحديث: «غُمَّ عليكم»: حال بينكم وبينه غيم. «فاقدروا له»: أكملوا عدة شعبان ثلاثين يومًا.

(٢) أخرجه مسلم (١٠٨٠).

الهِلَال، أو يكملوا العدة ثلاثين يومًا إذا لم يروا الهِلَال: دليلٌ علىٰ أنه لا يجوز العمل بالحِسَاب الفلكي في صيام رمَضَان، والفطر منه، وغير ذلك مما يتعلَّق بالأَهِلَّة.

وفيه أيضًا أبلغ ردٍّ علىٰ الذين يعتمدون علىٰ الحِسَاب الفلكي في إثبات الأَهِلَّة، ولا يبالون بمخالفة أمر النَّبِي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وارتكاب نهيه.

الخطأ الثَّالث: قولهم: «إذا شهد الشُّهود برؤية الهِلَال في الحالات التي يتعذَّر فلكيًّا رؤيته فيها؛ تردُّ الشهادة؛ لمناقضتها للواقع، ودخول الريبة فيها».

والجواب: أن يُقال: هذا الخطأ مردود بقول النَّبِي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا تَصوموا حتىٰ تروا الهِلَال، ولا تُفطروا حتىٰ تروه، فإن غُمَّ عليكم؛ فاقدروا له**».

متَّفق عليه من حديث عبد الله بن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، وقد رواه الأئمة: مالك، والشافعي، وأحمد، وأبو داود، والنسائي، وابن ماجه(١).

وفي رواية لمسلم: «فاقدروا له ثلاثين»(٢).

ورواه ابن خزيمة في «صحيحه»، والحاكم، والبيهقي؛ من طرق، وفي بعضها: أن رَسُول اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ جعل الأَهِلَّة مواقيت، فإذا رأيتموه؛ فصوموا، وإذا رأيتموه؛ فأفطروا، فإن غُمَّ عليكم؛ فاقدروا له، أتمُّوه ثلاثين**»(٣).

قال الحاكم: «صحيح علىٰ شرط الشيخين»، ووافقه الذهبي في «تلخيصه».

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه مسلم (١٠٨٠).

(٣) سبق تخريجه.

وفي رواية في «الصحيحين»: أن رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إِنَّا أَمَّةٌ أُمِّيَّة، لا نكتُب، ولا نَحسب، الشهر هكذا وهكذا**»؛ يعني: مرة تسعة وعشرين، ومرة ثلاثين(١). هذا لفظ البخاري.

والأحَادِيث في الأمر بالصِّيام لرؤية هِلَال رمَضَان، أو إتمام شعبان ثلاثين يومًا إذا لم يُرَ الهِلَالُ، وبالفِطر من رمَضَان لرؤية هِلَال شوال، أو إكمال رمَضَان ثلاثين يومًا إذا لم ير الهِلَال، كثيرةٌ ومُتواترة، وفيها أبلغ ردٍّ على الذين يعارِضُون الأمرَ النبوي بالحِسَاب الفلكي في إثبات الأَهِلَّة، ويحاولون ردَّ شهادة الشهود برؤية الهِلَال في الحالات التي يتعذَّر فلكيًّا رؤيته فيها.

وهذه المحاولة خطيرة جدًّا؛ لما فيها من المناقضة لأمر النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقبول شهادة الشهود برؤية الهِلَال، وما فيها أيضًا من المناقضة لنفيه الكتاب والحِسَاب عن أمته فيما يتعلَّق بإثبات الأَهِلَّة، وما ناقض أمر النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فهو مطَّرح ومردود على قائله.

وإذا عُلِم هذا؛ فليعلم أيضًا أنه لا يجوز العمل بالأقوال والآراء المخالفة لأمر النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما يتعلَّق بالأَهِلَّة، وفي غير ذلك من أمور الدِّين؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩].

وقال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا﴾ [النساء: ٦٥].

---

(١) أخرجه البخاري (١٩١٣)، ومسلم (١٠٨٠).

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾[الأحزاب: ٣٦].

والآيات في الأمر بطاعة رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والحث علىٰ اتِّباعه، والنهي عن معصيته ومخالفة أمرِه؛ كثيرة جدًّا.

وقد قال الله تعالىٰ: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾[النساء: ٨٠].

وروىٰ الإمام أحمد، والبخاري، ومسلم، والنسائي، وابن ماجه، عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أن رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَن أطاعني؛ فقد أطاع الله، ومَن عصاني؛ فقد عصىٰ الله**»(١).

وإذا عُلِم هذا، وعُلِم ما ثَبت عن النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من نَفْي الكتابِ والحِسَاب عن أمته في إثبات الأَهِلَّة؛ فليُعلم أيضًا أنه يلزم علىٰ العمل بالحِسَاب الفلكي في إثبات الأَهِلَّة لوازم سيِّئة، ومن أشدها خطرًا ثلاثة أمور:

أحدها: إثبات ما نفاه رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن أمته من العمل بالحِسَاب في إثبات الأَهِلَّة، وهذا ظاهر في معارضة النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وردِّ قوله، وما كان بهذه المثابة؛ فهو صريح في المحادَّة والمشاقَّة لله ولرسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقد ورد الوعيد الشديد علىٰ ذلك في آيات كثيرة من القرآن.

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٢٥٢) (٧٤٢٨)، والبخاري (٧١٣٧)، ومسلم (١٨٣٥)، والنسائي (٤١٩٣)، وابن ماجه (٢/ ٩٥٤) (٢٨٥٩)، وابن أبي شيبة (٦/ ٤١٨) (٣٢٥٢٩).

الثَّاني: الرغبة عن هَدي رَسُول اللهِ صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وسنته في إثبات الأَهِلَّة بالرُّؤية، والاعتياض عن ذلك بهدي الأمم الذين يَضبطون مواقيت الأَهِلَّة بالكتاب، والحِسَاب الفلكي، ومَن رغب عن هدي النَّبِي صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في إثبات الأَهِلَّة بالرُّؤية، وأخذ بهدي غيره؛ فقد خاب وخسر، والدليل علىٰ هذا قول النَّبِي صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**مَن رغب عن سنَّتي؛ فليس مني**»[1]، وقد تقدَّم ذكر هذا الحديث في أول الكتاب؛ فليراجع.

الثَّالث: اتِّباع غير سبيل المؤمنين من الصحابة، والتابعين، وتابعيهم بإحسان، وقد تقدَّم ذكر الوعيد الشديد علىٰ ذلك في أول الجواب عن الخطأ الثَّاني؛ فليراجع.

الخطأ الرابع: قولهم: «إذا شهد الشهود برؤية الهِلَال قبل الوقت المقدَّر له بالحِسَاب الفلكي؛ فلا عبرة بالشهادة علىٰ رؤية الهِلَال».

قالوا: «وهذه الحالة نصَّ عليها عدد من فقهاء المسلمين؛ كابن تيمية، والقَرافي، وابن القيم، وابن رُشْد».

والجواب عن هذا الخطأ من وجوه:

أحدها: أن يُقال: إذا شهد شاهدان ذوا عدلٍ برؤية الهِلَال في قُطر من الأقطار الإسلامية؛ فإنه يجب علىٰ أهل ذلك القُطر أن يعتبروا بشهادتهما، ويعملوا بها؛ في الصيام، والفطر، والنسك، ويجب عليهم اطِّراحُ ما خالفها من أقوال أهل الحِسَاب الفلكي.

---

(١) سبق تخريجه.

وكذلك إذا شهد برؤية هِلَال رمَضَان شاهدٌ عدلٌ؛ فإنه يجب الصوم بشهادته، وردُّ ما خالفها من أقوال أهل الحِسَاب الفلكي.

والدليل علىٰ هذا: ما رواه الإمام أحمد، والنسائي، والدارقطني؛ بأسانيد صحيحة: عن حسين بن الحارث الجدلي قال: خطب عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب في اليوم الذي يشك فيه، فقال: ألا إني جالست أصحابَ رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسألتُهم، ألا وإنَّهم حدَّثوني: أن رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**صُوموا لرُؤيته، وأفطروا لرؤيته، وانْسكوا لها، فإن غُمَّ عليكم؛ فأتموا ثلاثين، وإن شهد شاهدان مُسلمان؛ فصوموا، وأفطروا**»(١).

هذا لفظ أحمد، وفي رواية الدارقطني: «**فإن شهد ذوا عدلٍ؛ فصوموا، وأفطروا، وانسكوا**»(٢).

وروىٰ أبو داود، والدارمي، وابن حبان في «صحيحه»، والدارقطني، والحاكم، والبيهقي؛ عن ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا؛ قال: «تراءىٰ الناسُ الهِلَال، فأخبرتُ رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أني رأيتُه، فصامه وأمر الناسَ بصيامه»(٣).

قال الحاكم: «صحيح علىٰ شرط مسلم»، وأقرَّه الذهبي.

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٣٢١) (١٨٩١٥)، والنسائي (٢١١٦)، وصححه الألباني في «الإرواء» (٩٠٩).

(٢) أخرجه الدارقطني (٣/ ١٢٠) (٢١٩٣)، وصححه الألباني في «الإرواء» (٩٠٩).

(٣) أخرجه أبو داود (٢٣٤٢)، والدارمي (٢/ ١٠٥٢) (١٧٣٣)، وابن حبان (٨/ ٢٣١) (٣٤٤٧)، والدارقطني (٣/ ٩٧) (٢١٤٦)، والحاكم (١/ ٥٨٥) (١٥٤١)، والبيهقي (٤/ ٢١٢) (٧٧٦٧)، وصححه الألباني في «الإرواء» (٩٠٨).

وروىٰ أهل «السنن»، وابن أبي شيبة، والدارمي، وابن خزيمة، وابن حبان في «صحيحيهما»، والدارقطني، والحاكم، والبيهقي؛ عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ قال: جاء أعرابي إلىٰ النَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال: أبصرتُ الهِلَال الليلةَ. قال: «**أتشهد أن لا إله إلا الله، وأنَّ مُحمَّدًا عبدُه ورسُولُه؟**». قال: نعم. قال: «**يا بلال، أذِّنْ في النَّاس فليصوموا غدًا**»(١).

قال الحاكم: «صحيح الإسناد، متداول بين الفقهاء»، ووافقه الذهبي علىٰ تصحيحه.

وثبت عن النَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أحَادِيث كثيرة: أنه أمر أمَّتَه بالصيام لرؤية هِلَال رمَضَان، وأمرهم بالفطر لرؤية هِلَال شوال، ونفىٰ عنهم العملَ بالكتاب والحِسَاب في إثبات الأَهِلَّة.

وقد ذكرتُ الأحَادِيث الواردة في ذلك في كتابي المسمىٰ «قواطع الأدلَّة في الرد علىٰ مَن عوَّل علىٰ الحِسَاب في الأَهِلَّة»؛ فلتراجع في الكتاب المشار إليه؛ ففي كل حديث منها أبلغ رد علىٰ ما جاء في توصيات ندوة الأَهِلَّة الكويتية من التصريح بردِّ الشهادة برؤية الهِلَال، وعدم اعتبارها إذا لم تتَّفق مع ما تحدِّده الحِسَابات الفلكية.

وهذا التصريح صريحٌ في معارضة أمر النَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ باعتبار شهادة العدول

---

(١) أخرجه أبو داود (٢٣٤٠)، والترمذي (٦٩١)، والنسائي (٢١١٣)، وابن ماجه (١٦٥٢)، والدارمي (١٧٣٤)، وابن خزيمة (٢/ ٩٢٧) (١٩٢٣)، وابن حبان (٨/ ٢٢٩) (٣٤٤٦)، والدارقطني (٢/ ١٥٨)، والحاكم (١/ ٤٣٧) (١١٠٤)، والبيهقي (٤/ ١٢١)، وضعفه الألباني في «الإرواء» (٩٠٧).

برؤية الهِلَال، والعمل بها في الصيام، والفطر، والنسك، ونفي الكتاب والحِسَاب عن هذه الأمة في إثبات الأَهِلَّة، وما عارض أمرَ النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فهو مطَّرح ومردود على قائله، كائنًا مَن كان؛ لأنه لا قول لأحد مع رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وإنه ليُخشى على الذين ردُّوا أمرَ النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ باعتبار شهادة الشهود برؤية الأَهِلَّة، وعارضوا سنَّته وهديَه بالآراء والحِسَابات الفلكية: أن يُصابوا بالعقوبة العاجلة في الدنيا، مع ما هو مُعَدٌّ لهم في الآخرة من العذاب الأليم.

فقد قال الله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

فلا يأمن المخالفون لأمر رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في توصياتهم ومقترحاتهم التي أحدثوها في ندوة الأَهِلَّة الكويتية، أن يكون لهم نصيبٌ وافر ممَّا جاء في هذه الآية الكريمة.

وقد قال الإمام أحمد رحمه الله تعالى: «مَن ردَّ حديثَ رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فهو على شَفا هَلَكَة».

رواه القاضي أبو الحسين في «طبقات الحنابلة»[1] من طريق الفضل بن زياد القطان عن أحمد.

وأقوال العلماء في التحذير من رَدِّ الأحَادِيث الثَّابتة عن النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والتشديد في ذلك كثيرة جدًّا، وقد ذكرتُ جملةً منها في أول كتابي المسمَّى بـ«الرد

---

(١) (٢/ ١٥).

القويم على المجرم الأثيم»؛ فلتراجع هناك.

الوجه الثَّاني: في ذكر أقوال الفقهاء الذين ذكر المُقترحون في ندوة الأهِلَّة والمواقيت الكويتية أنهم نصُّوا على عدم اعتبار الشَّهادة برؤية الهِلَال إذا كانت مخالفةً لما تحدِّده الحِسَابات الفلكية، وبيان أن هذا من التقوُّل عليهم؛ لأنهم قد صرَّحوا في كتبهم بخلاف ما ذكره المقترحون عنهم:

* فأما شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: فقد تقدَّم بعض كلامه في رد العمل بالحِسَاب في إثبات الأَهِلَّة، وهو مذكور في الوجه الأول من الجواب عن الخطأ الثَّاني من أخطاء المقترحين في ندوة الأَهِلَّة الكويتية؛ فليراجع؛ ففيه أبلغ ردٍّ على ما نسبه المقترحون إليه.

ومن الجُمَل المهمة في كلامه الذي تقدَّم ذكره:

قوله في الكلام على قول النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إنَّا أمَّة أميَّة، لا نكتب، ولا نحسب**»: «إنه خبر تضمَّن نهيًا»(١).

وقوله: «فمن كتب، أو حسب؛ فقد اتَّبع غير سبيل المؤمنين الذين هم هذه الأمة، فيكون قد فعل ما ليس من دينها، والخروج عنها محرَّم منهيٌّ عنه، فيكون الكتاب والحِسَاب المذكوران محرَّمين منهيًّا عنهما»(٢).

وقد تكلَّم الشَّيخ أيضًا على ما يتعلَّق بصفة الأمية، وما يتعلَّق بمعرفة الكتاب

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٢٥/ ١٦٤ - ١٦٥).

(٢) «مجموع الفتاوى» (٢٥/ ١٦٥).

والحِسَاب، وذكر أن من ذلك ما يكون ممدوحًا، ومنه ما يكون مذمومًا، وأطال الكلام في ذلك، ثم قال:

إذا تبيَّن هذا؛ فكتاب أيام الشَّهر وحِسَابه من هذا الباب؛ فإن كتب مسير الشمس والقمر بحروف (أبجد) ونحوها، وحسب كم مضىٰ من مسيرها، ومتىٰ يلتقيان ليلة الاستسرار(١)، ومتىٰ يتقابلان ليلة الإبدار(٢)، ونحو ذلك؛ فليس في هذا الكتاب والحِسَاب من الفائدة إلا ضبط المواقيت التي يحتاج الناس إليها في تحديد الحوادث والأعمال، ونحو ذلك؛ كما فعل ذلك غيرنا من الأمم، فضبطوا مواقيتهم بالكتاب والحِسَاب؛ كما يفعلونه بالجداول، أو بحروف الجُمل، وكما يحسبون مسير الشمس والقمر، ويُعَدِّلون ذلك، ويُقَوِّمونه بالسير الأوسط، حتي يتبيَّن لهم وقت الاستسرار، والإبدار، وغير ذلك.

فبيَّن النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّا -أيتها الأمَّة الأميَّة- لا نكتب هذا الكتاب، ولا نحسب هذا الحِسَاب، فعاد كلامه إلىٰ نفي الحِسَاب والكتاب فيما يتعلَّق بأيام الشهر الذي يستدلُّ به علىٰ استسرار الهِلَال وطلوعه.

وقد قدَّمنا فيما تقدَّم أن النفي وإن كان علىٰ إطلاقه يكون عامًّا، فإذا كان في سياق الكلام ما يبيِّن المقصود؛ عُلِمَ به المقصود أخاصٌّ هو أم عامٌّ؟

فلما قرن ذلك بقوله: «الشهر ثلاثون»، و«الشهر تسعة وعشرون»؛ بيَّن أن المراد

---

(١) «سَرَارُ الشهر» و«سَرَرُه»: آخر ليلة منه؛ لاستسرار القمر فيه، وربما استسرَّ ليلةً، وربما استسر ليلتين.

(٢) وهي ليلة أربع عشرة.

به أنَّا لا نحتاج في أمر الهِلَال إلىٰ كتاب، ولا حِسَاب، إذ هو تارة كذلك، وتارة كذلك، والفارق بينهما هو الرُّؤية فقط، ليس بينهما فرق آخر من كتاب، ولا حِسَاب؛ فإنَّ أرباب الكتاب والحِسَاب لا يقدرون علىٰ أن يضبطوا الرُّؤية بضبط مستمرٍّ، وإنما يقرِّبون ذلك، فيصيبون تارة، ويخطئون أخرىٰ.

وظهر بذلك أن الأمية المذكورة هنا صفة مدح وكمال من وجوه:

من جهة الاستغناء عن الكتاب والحِسَاب بما هو أبين منه وأظهر، وهو الهِلَال.

ومن جهة أن الكتاب والحِسَاب هنا يدخلهما غلط.

ومن جهة أن فيهما تعبًا كثيرًا بلا فائدة؛ فإن ذلك شغل عن المصالح، إذ هذا مقصود لغيره لا لنفسه.

وإذا كان نفي الكتاب والحِسَاب عنهم للاستغناء عنه بخير منه، وللمفسدة التي فيه؛ كان الكتاب والحِسَاب في ذلك نقصًا وعيبًا، بل سيئة وذنبًا، فَمَن دخل فيه؛ فقد خرج عن الأمة الأمِّيَّة فيما هو من الكمال والفضل السالم عن المفسدة، ودخل في أمر ناقص يؤديه إلىٰ الفساد والاضطراب.

وأيضًا؛ فإنه جعل هذا وصفًا للأمة كما جعلها وسطًا في قوله: ﴿جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣]؛ فالخروج عن ذلك اتباع غير سبيل المؤمنين.

وأيضًا؛ فالشيء إذا كان صفة للأمة؛ لأنه أصلح من غيره، ولأن غيره فيه مفسدة؛ كان ذلك مما يجب مراعاته، ولا يجوز العدول عنه إلىٰ غيره؛ لوجهين: لما فيه من المفسدة، ولأن صفة الكمال التي للأمة يجب حفظها عليها...

إلىٰ أن قال: فالكمالُ والفضل الذي يحصل برؤية الهِلَال دون الحِسَاب يزول بمراعاة الحِسَاب لو لم يكن فيه مفسدة.

انتهىٰ المقصود من كلامه ملخصًا، وهو في آخر صفحة (١٦٤)، وأول صفحة (١٦٥)، ثم في صفحة (١٧٣) إلىٰ أول صفحة (١٧٥)، ثم في آخر صفحة (١٧٦) من المجلد الخامس والعشرين من «مجموع الفتاوىٰ».

وقال شيخ الإسلام أيضًا: «الطريق إلىٰ معرفة طلوع الهِلَال هو الرُّؤية لا غيرها؛ بالسمع والعقل»[١].

وقال أيضًا: «أما كونه يُرىٰ أو لا يُرىٰ؛ فهذا أمر حسيٌّ طبيعي، ليس هو أمرًا حِسَابيًّا رياضيًّا»[٢].

وقال أيضًا: «لو رآه اثنان؛ علَّق الشارع الحكمَ بهما بالإجماع، وإن كان الجمهور لم يروه»[٣] انتهىٰ، وهو في صفحة (١٤٦)، وصفحة (١٨٦) من المجلد الخامس والعشرين من «مجموع الفتاوىٰ».

وفي كل جملة من كلامه أبلغ ردٍّ علىٰ ما نسبه المقترحون في ندوة الأهلة والمواقيت الكويتية إليه، وهو من التقوُّل عليه.

* **وأما القرافي:** فإنه قال في كتابه «الفروق»[٤]: «الفرق الثَّاني والمئة بين قاعدة

---

(١) «مجموع الفتاوىٰ» (٢٥/ ١٤٦).

(٢) «مجموع الفتاوىٰ» (٢٥/ ١٨٦).

(٣) «مجموع الفتاوىٰ» (٢٥/ ١٨٦).

(٤) (٢/ ١٧٨).

أوقات الصلوات: يجوز إثباتها بالحِسَاب والآلات، وكل ما دل عليها، وبين قاعدة الأهلة في الرَّمَضَانات: لا يجوز إثباتها بالحِسَاب، وفيه قولان عندنا، وعند الشافعية، والمشهور في المذهبين عدم اعتبار الحِسَاب، فإذا دلَّ حِسَاب تسيير الكواكب علىٰ خروج الهِلَال من الشعاع من جهة علم الهيئة؛ لا يجب الصوم. قال سند من أصحابنا: فلو كان الإمام يرىٰ الحِسَاب، فأثبت الهِلَال به؛ لم يتَّبع؛ لإجماع السلف علىٰ خلافه».

وقال القرافي أيضًا: «وأما الأهلة؛ فلم ينصب صاحب الشرع خروجها من الشعاع سببًا للصوم، بل رؤية الهِلَال خارجًا من شعاع الشمس هو السبب، فإذا لم تحصل الرُّؤية؛ لم يحصل السبب الشرعي، فلا يثبت الحكم.

ويدل علىٰ أن صاحب الشرع لم ينصب نفس خروج الهِلَال عن شعاع الشمس سببًا للصوم: قوله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**صُوموا لرُؤيته، وأفْطِروا لرُؤيتِه**»، ولم يقل: لخروجه عن شعاع الشمس. ثم قال: «**فإن غُمَّ عليكم**»؛ أي: خَفيت عليكم لرؤيته؛ «**فاقدروا له**»، وفي رواية: «**فأكمِلوا العِدَّةَ ثَلاثِين**»، فنصب رؤية الهِلَال، أو إكمال العدَّة ثلاثين، ولم يتعرَّض لخروج الهِلَال عن الشعاع»(١). انتهىٰ.

وفيه أبلغ ردٍّ علىٰ ما نسبه المقترحون في ندوة الأَهِلَّة والمواقيت الكويتية إليه، وهو من التقوُّل عليه.

ولينظر إلىٰ ما ذكره من إجماع السلف علىٰ خلاف مَن يرىٰ إثبات الهِلَال بالحِسَاب، وأن الإمام إذا كان يرىٰ الحِسَاب، فأثبت الهِلَال به؛ لم يتَّبع؛ ففي هذه الجملة أبلغ ردٍّ علىٰ الذين يرون إثبات الهِلَال بالحِسَاب، ويرون أن الشهادة برؤية

---

(١) «الفروق» للقرافي (٢/ ١٧٩).

الهِلَال قبل الوقت المقدَّر له بالحِسَاب الفلكي لا عبرة بها، وأنها تردُّ.

* **وأما ابن القيم:** فإني لم أرَ في شيء من كتبه أنه نصَّ علىٰ أنه لا عبرة بالشهادة علىٰ رؤية الهِلَال قبل الوقت المقدَّر له بالحِسَاب الفلكي.

وقد قال في كتابه «زاد المعاد»(١) لمَّا ذكر هدْيَ النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الصيام؛ قال: «وكان من هَديه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن لا يدخل في صوم رمَضَان إلا برؤية محقَّقة، أو شهادة شاهد واحد؛ كما صام بشهادة ابن عمر، وصام مرة بشهادة أعرابي، واعتمد علىٰ خبرهما، ولم يكلفهما لفظ الشهادة، فإن لم تكن رؤية، ولا شهادة؛ أكمل عدَّة شعبان ثلاثين يومًا، وكان إذا حال ليلة الثلاثين دون منظره غَيم أو سحاب؛ أكمل عدَّة شعبان ثلاثين يومًا ثم صامه، ولم يكن يصوم يوم الإغمام، ولا أمر به، بل أمر بأن تُكْمَل عدة شعبان ثلاثين يومًا إذا غُمَّ، وكان يفعل كذلك؛ فهذا فعله، وهذا أمره».

انتهىٰ المقصود من كلامه، وفيه كفاية في رد ما نسبه المقترحون في ندوة الأهلة والمواقيت الكويتية إليه، وهو من التقوُّل عليه.

* **وأما ابن رشد:** فإنه ذكر في (كتاب الصيام) من «بداية المجتهد»(٢) أن العلماء أجمعوا علىٰ أن الشهر يكون تسعًا وعشرين، ويكون ثلاثين، وعلىٰ أن الاعتبار في تحديد شهر رمَضَان إنما هو الرُّؤية؛ لقوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**صُوموا لرُؤيته، وأفطرُوا لرُؤيته**»(٣).

---

(١) (٢/ ٣٦).

(٢) (٢/ ٤٦).

(٣) أخرجه البخاري (١٩٠٩)، ومسلم (١٠٨١) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ثم قال: «إذا غُمَّ الهِلَال؛ فإن الجمهور يرون أن الحُكم في ذلك أن تُكْمَلَ العدةُ ثلاثين، فإن كان الذي غُمَّ هِلَال أول الشهر؛ عُدَّ الشهر الذي قبله ثلاثين يومًا، وكان أول رمَضَان الحادي والثلاثين، وإن كان الذي غُمَّ هِلَال آخر الشهر؛ صام الناس ثلاثين يومًا».

انتهىٰ المقصود من كلامه، وفيه أبلغ ردٍّ علىٰ ما نسبه المقترحون في ندوة الأهلة والمواقيت الكويتية إليه، وهو من التقوُّل عليه.

ولينظر إلىٰ ما ذكره من الإجماع علىٰ أن الاعتبار في تحديد شهر رمَضَان إنما هو الرُّؤية؛ ففي هذا أبلغ ردٍّ علىٰ الذين زعموا أنه لا عبرة بشهادة الشهود برؤية الهِلَال قبل الوقت المقدَّر له بالحِسَاب الفلكي.

ومما ذكرته من كلام ابن تيمية، وابن القيم، والقرافي، وابن رشد، يتبيَّن لمَن له أدنىٰ عِلم وفَهم أنَّه ليس في كلام هؤلاء الأربعة ما يتعلَّق به أهل الحِسَاب الفلكي في ردِّ شهادة الشهود برؤية الهِلَال إذا كانت قبل الوقت المحدَّد له بحِسَابهم، وما ذكروه عنهم من النصِّ علىٰ هذه الحالة؛ فهو من التقوُّل عليهم، وليس له وجود ألبتة.

الوجه الثَّالث: أن يُقال علىٰ سبيل الفرض والتقدير: لو أن ما ذكره المقترحون في ندوة الأَهِلَّة والمواقيت الكويتية، عن ابن تيمية، وابن القيم، والقرافي، وابن رشد؛ كان صحيحًا ثابتًا عنهم؛ لكانوا محجوجين بالنصوص الثَّابتة عن النَّبِي ﷺ: أنه أمر أمته باعتبار شهادة الشهود العدول في دخول الشهور وخروجها، وأنه عمل بشهادة شاهدين في الفطر من رمَضَان، وبشهادة واحد في دخول رمَضَان.

ويكونون محجوجين أيضًا بالنصِّ الثَّابت عن النَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أنه نفىٰ عن أمته الكتاب والحِسَاب في إثبات الأَهِلَّة.

ويكونون محجوجين أيضًا بإجماع العلماء علىٰ أن الاعتبار في تحديد شهر رمَضَان إنما هو بالرُّؤية.

ولا شكَّ أن ابن تيمية ومَن ذُكر معه من العلماء منزَّهون عن مخالفة نصوص السنة، وإجماع العلماء، وأن ما ذكره المقترحون في ندوة الأهلة ليس بصحيح، وإنما هو من التقوُّل عليهم.

الوجه الرابع: قال الحافظ ابن حَجر في «فتح الباري»(١) في الكلام علىٰ قول النَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إنَّا أمَّة أميَّة، لا نكتب، ولا نَحسبُ**»: «المراد بالحِسَاب هنا حِسَاب النجوم وتسييرها، ولم يكونوا يعرفون من ذلك إلا النَّزر اليسير، فعلَّق الحكم بالصوم وغيره بالرُّؤية؛ لرفع الحرج عنهم في معاناة حِسَاب التسيير، واستمرَّ الحكم في الصوم، ولو حدث بعدهم مَن يعرف ذلك، بل ظاهر السياق يشعر بنفي تعليق الحكم بالحِسَاب أصلًا، ويوضحه قوله: «**فإن غُمَّ عليكم؛ فأكملوا العدة ثلاثين**»، ولم يقل: فاسألوا أهل الحِسَاب.

والحكمة فيه كون العدد عند الإغماء يستوي فيه المكلَّفون، فيرتفع الاختلاف والنزاع عنهم.

وقد ذهب قوم إلىٰ الرجوع إلىٰ أهل التسيير في ذلك، وهم الروافض، ونُقل عن بعض الفقهاء موافقتهم.

---

(١) (٤/ ١٢٧).

قال الباجي: وإجماع السلف الصالح حجة عليهم.

وقال ابن بَزِيزَةَ: وهو مذهب باطل، فقد نهَتِ الشريعة عن الخوض في علم النجوم؛ لأنها حدسُ وتخمين، ليس فيها قطع، ولا ظنٌّ غالب، مع أنه لو ارتبط الأمر بها؛ لضاق، إذ لا يعرفها إلا القليل.

وقال ابن بطَّال: في الحديث رفع لمراعاة النجوم بقوانين التعديل، وإنما المعوَّل رؤية الأهلة، وقد نُهينا عن التكلُّف، ولا شك أن في مراعاة ما غمض حتىٰ لا يدرك إلا بالظنون غاية التكلف» انتهىٰ.

وقال النووي في «شرح المهذب»[(١)]: «من قال بحِسَاب المنازل؛ فقوله مردود بقوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في «الصحيحين»: «**إنا أمة أميَّة، لا نكتب، ولا نحسب، الشهر هكذا، وهكذا...**» الحديث. قالوا: ولأن الناس لو كُلِّفوا بذلك؛ ضاق عليهم؛ لأنه لا يَعرف الحِسَاب إلا أفرادٌ من الناس في البلدان الكبار، فالصواب ما قاله الجمهور، وما سِواه فاسد مردود بصرائح الأحَادِيث» انتهىٰ.

وفي كلام النووي، وما قبله من كلام ابن حجر، وما ذكره ابن حجر عن الباجي، وابن بَزِيزَةَ، وابن بطال: أبلغ ردٍّ علىٰ الاقتراح الباطل الذي أصدرته ندوة الأَهِلَّة والمواقيت الكويتية، وهو قولهم: «إذا شهد الشهود برؤية الهِلَال قبل الوقت المقدَّر له بالحِسَاب الفلكي؛ فلا عبرة بالشهادة علىٰ رؤية الهِلَال».

وهذا القول الباطل صريحٌ في مخالفة أمر النَّبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهديه، ومخالفة إجماع السلف الصالح، وموافقة مذهب الروافض، ويلزم علىٰ العمل به مشاقة

(١) (٦/ ٢٧٠).

الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، واتباع غير سبيل المؤمنين، وما كان بهذه المثابة؛ فإنه يجب اطِّراحه، والتحذير منه، وممَّن يقول به، ويدعو إليه.

الخطأ الخامس: قولهم: «إذا شهد الشهود برؤية الهِلَال بعد الغروب في اليوم الذي رُئي فيه القمر صباحًا قبل شروق الشمس؛ فلا عبرة بالشهادة علىٰ هذه الرُّؤية».

والجواب عن هذا الخطأ من وجهين:

أحدهما: أن يُقال: إن هذا القول الباطل مخالفٌ لأمر النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهديه؛ لأن النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد أمر أمَّتَه أن يصوموا، ويفطروا إذا شهد شاهدان مسلمان ذوا عدلٍ، ولم يقيِّد ذلك بعدم رؤية القمر قبل طلوع الشمس من ذلك اليوم، فدلَّ علىٰ أنه لا عبرة بهذا التقييد.

وقد صام رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ برؤية عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا لهِلَال رمَضَان، وأمر الناس بالصيام، وكذلك قد صام صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ برؤية أعرابي لهِلَال رمَضَان، وأمر الناس بالصيام، ولم يسأل أصحابه: هل رُئي القمر في صبيحة ذلك اليوم أم لا؟

وكذلك قد أفطر النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من رمَضَان برؤية أعرابيين لهِلَال شوال، وأمر الناس أن يفطروا، ولم يسأل أصحابه: هل رئي القمر في صبيحة ذلك اليوم أم لا؟

فدلَّ علىٰ أن العبرة برؤية الهِلَال بعد غروب الشمس، ولا عبرة برؤية القمر قبل طلوع الشمس، ولا بعدم رؤيته.

وقد أخبرنا الثقة الذي لا نشكُّ في صدقه، أنه رأىٰ القمر متقدِّمًا علىٰ الشمس

قبل طلوعها، ثم رآه بعد غروب الشمس من ذلك اليوم متأخِّرًا عنها، وأخبار الثقات بمثل هذا كثيرة، ومَن أنكرها؛ فقوله هو المنكر المردود.

الوجه الثَّاني: أن يُقال: لا يخفىٰ علىٰ عاقل أن سير الشمس أسرع من سير القمر، وأن القمر يتأخَّر عن الشمس منزلة في كل يوم وليلة.

وعلىٰ هذا؛ فلا يُنكِر عاقل أن يطلع القمرُ قبل الشمس بثُلث منزلة أو أقل منها، ويغرب بعدها بثلث منزلة أو أقل منها، فيراه حديد البصر في أول النهار متقدِّمًا علىٰ الشمس، ويراه بعد الغروب متأخِّرًا عنها.

بل ربما طلع القمرُ قبل الشمس بنصف منزلة في الأيام الطوال، وتأخَّر عنها بعد الغروب بنصف منزلة، فيراه عدد كثير من الناس في أول النهار متقدمًا علىٰ الشمس، وبعد الغروب متأخرًا عنها بكثير.

وهذا يقع كثيرًا، ولا ينكره إلا جاهل.

الخطأ السادس: اقتراح ندوة الأهِلَّة والمَواقيت الكُويتيَّة تَشكيل مجلس إسلامي للرُّؤية الشَّرعية، تمثل فيه كل الدول الإسلامية بعضوين: أحدهما شرعي، والآخر فلكي، ويجتمع هذا المجلس ثلاث مرات في السنة لإثبات كلٍّ من رمَضَان، وشوال، وذي الحجة، والحج، والأعياد، ويستقبل هذا المجلس إشعارات حصول الرُّؤية في البلاد الإسلامية، دون أن يعلن عنها في البلد نفسه أو غيره، ويتداول المجلس في مستند الإثبات أو النفي شرعيًّا وفلكيًّا، ثم يصار إلىٰ إعلان ذلك؛ لتَلْتَزِم به جميع البلاد الإسلامية، كما يقوم هذا المجلس بتبادل وجهات النظر بالطُّرق المتاحة بالنسبة لبقية الشهور، بهدف العمل علىٰ توحيدها؛ لأثر ذلك بالنسبة لشهور

المواسم الدينية، ويحسن أن يرتبط هذا المجلس بمنطقة المؤتمر الإسلامي، وأن يكون مقره في مكة المكرمة.

والجواب أن يقال: هذا الاقتراح خطأ وضلال، وجناية علىٰ الشريعة المُحمَّدية، والكلام في الرد عليه من وجوه:

أحدها: أن يُقال: إن تشكيل مجلس إسلامي لإثبات رؤية الهِلَال من طريق الرُّؤية، ومن طريق الحِسَاب الفلكي بدعة مخالفة للأمر الذي كان عليه رَسُول اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والخلفاء الراشدون، وسائر الصحابة والتابعين لهم بإحسان إلىٰ زماننا.

وذلك لأن رَسُول اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يشكِّل مجلسًا لإثبات الأَهِلَّة من طريق الرُّؤية، فضلًا عن أن يعمل بالحِسَاب الفلكي، ولم يفعل ذلك أحدٌ من الخلفاء الراشدين، ولم يفعله غيرهم من الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، ولم يفعله أحدٌ من التابعين لهم بإحسان إلىٰ زماننا.

ولو كان تشكيل المجلس لإثبات رؤية الهِلَال من الأمور اللازمة؛ لكان رَسُول اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه أسبقَ إليه من ندوة الأهلة والمَواقيت التي عُقدت في الكويت بعد زمان رَسُول اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بألفٍ وأربع مئة سنة.

وقد قال رَسُول اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَن رغِب عن سنَّتي؛ فليس مني**»(١).

وقال صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من أحدَث في أمرنا هذا ما ليس منه؛ فهو ردٌّ**»(٢).

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠٦٣)، ومسلم (١٤٠١) من حديث أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه أحمد (٦/ ٢٧٠) (٢٦٣٧٢)، والبخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨)، وأبو داود

وفي رواية: «**من عَمِل عَملًا ليس عليه أمرُنا؛ فهو ردٌّ**»[(١)]؛ أي: مردود.

وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**عليكم بسنَّتي وسنَّة الخُلفاء الرَّاشدين المهديِّين، تمسَّكوا بها، وعضُّوا عليها بالنَّواجذ، وإيَّاكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل مُحدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة**»[(٢)].

وقد ذكرت هذه الأحَادِيث في أول هذه النبذة؛ فلتراجع؛ ففيها أبلغ ردٍّ علىٰ الذين يريدون أن يغيِّروا الحكم الشرعي في إثبات الأَهِلَّة، ويشكِّلوا له مجلسًا، ويدخلوا فيه العمل بالحِسَاب، ولا يبالون بما يترتَّب علىٰ ذلك من مشاقَّة الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومخالفة أمره، وإثبات ما نفاه عن أمته من العمل بالحِسَاب في إثبات الأهلة.

الوجه الثَّاني: أن يُقال: إن رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إنا أمَّة أميَّة، لا نكتب، ولا نحسب، الشَّهر هكذا، وهكذا، وهكذا -وعقد الإبهام في الثَّالثة- والشهر هكذا، وهكذا، وهكذا**»؛ يعني: تمام ثلاثين.

رواه الإمام أحمد، والبخاري، ومسلم، وأبو داود، والنسائي، وابن ماجه؛ من حديث ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا[(٣)].

=

(٤٦٠٦)، وابن ماجه (١٤) من حديث عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.

(١) أخرجه أحمد (٦/ ١٤٦) (٢٥١٧١)، ومسلم (١٧١٨) والبخاري تعليقًا (٩/ ١٠٧).

(٢) أخرجه أحمد (٤/ ١٢٦) (١٧١٨٤)، وأبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وابن ماجه (٤٢)، والحاكم (١/ ١٧٤) (٣٢٩)، والبيهقي (١٠/ ١١٤) (٢٠١٢٥)، وابن حبان (١/ ١٧٨) (٥)، والدارمي (١/ ٥٧) (٩٥)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٢٧٣٥).

(٣) سبق تخريجه.

وفي هذا الحديث أبلغ ردٍّ علىٰ الندوة التي اقترحت تشكيل مجلس لإثبات الأهِلَّة يكون فيه العمل بالحِسَاب الذي نفاه رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وأبطله.

الوجه الثَّالث: أن يقال: إن توحيد الصوم والأعياد في جميع البلاد الإسلامية، وإلزام المسلمين في بلاد المشرق بحكم رؤية الهِلَال في المغرب الأقصىٰ خطأ كبير، ويلزم عليه لوازم باطلة، وقد تقدَّم ذكرها في الوجه الثَّاني من الجواب عن الخطأ الأول؛ فلتراجع، ومن أعظمها وأشدها خطرًا: مخالفة أمر النَّبِي صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وهو ما تقدَّم ذكره في حديث كريب عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: أنه جعل لكل أهل بلد رؤيتهم.

وما خالف أمر النَّبِي صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ؛ فهو مردودٌ علىٰ قائله، كائنًا مَن كان، وقد جاء عن النَّبِي صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أنه قال: «**لا يؤمِنُ أحدُكم حتىٰ يكونَ هَواه تبعًا لما جئتُ به**». رواه عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، عن النَّبِي صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ(١).

قال النووي في كتاب «الأربعين» له: «حديث صحيح، رويناه في كتاب «الحجة» بإسناد صحيح»(٢).

قال الحافظ ابن رجب في كتابه «جامع العلوم والحكم»(٣): «يريد بـ(صاحب كتاب «الحجة»): الشَّيخ أبا الفتح نصر بن إبراهيم المقدسي الشافعي».

(١) أخرجه الخطيب (٤/ ٣٦٨)، وابن أبي عاصم (١/ ١٢) (١٥)، وضعفه الألباني في «الظلال» (١٥).

(٢) «الأربعين النووية» الحديث الحادي والأربعون.

(٣) (٢/ ٣٩٣).

قال: «وقد خرَّج هذا الحديث الحافظ أبو نعيم في كتاب «الأربعين»، وشرط في أولها أن تكون من صحاح الأخبار، وجياد الآثار، مما أجمع الناقلون على عدالة ناقليه، وخرجته الأئمة في مسانيدهم، ثم خرجه عن الطبراني».

قال: «ورواه الحافظ أبو بكر بن أبي عاصم الأصبهاني» انتهى.

قال النووي في الكلام على هذا الحديث: «يعني أن الشخص يجب عليه أن يعرض عمله على الكتاب والسنة، ويخالف هواه، ويتَّبع ما جاء به صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهذا نظير قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦]؛ فليس لأحد مع الله عَزَّوَجَلَّ، ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمر ولا هوى» انتهى.

وفي هذا الحديث دليلٌ على المَنع من توحيد الصَّوم والأعياد في جميع البلاد الإسلامية؛ لأن ذلك مخالِفٌ لأمرِ النَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حيث إنَّه قد جعل لكل أهل بلد رُؤيتهم، وقد تقدَّم ذلك في حديث كُريب عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ فليراجع.

وفيه أيضًا أبلغ ردٍّ على الذين قالوا بهذا القول الباطل، وأرادوا تغييرَ الحكم الثَّابت عن النَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في اعتبار المطالع.

الوجه الرابع: أن يُقال: إنه يلزم على تشكيل المجلس لإثبات الأهلة، وإدخال الحِسَاب الفلكي فيه؛ تغيير الحكم الشرعي في إثبات الأهِلَّة، وذلك من الشَّرع في الدين بما لم يأذن به الله.

وما أشد الخطر في هذا! لأن الله تعالى يقول: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ اللَّهُ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۗ وَإِنَّ الظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[الشورى: ٢١].

فوصف تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ الذين يشرعون من الدِّينِ ما لم يأذن به صِفة الظُّلم التي هي من أقبح الصفات، وأعظم المحرمات، وتوعَّدهم بالعذاب الأليم.

فليحذر الذين يحاولون العمل بالحِسَاب الفلكي في إثبات الأَهِلَّة، ويحاولون توحيد الصوم والأعياد في جميع البلاد الإسلامية؛ من هذا الوعد الشديد، ولا يأمنوا مع الإصرار علىٰ آرائهم الفاسدة وأقوالهم الباطلة أن يكون لهم نصيب وافر من العذاب الأليم.

والله المسئول أن يُرِيَني وجميعَ المسلمين الحقَّ حقًّا ويرزُقَنا اتِّباعَه، ويرينا الباطل باطلًا ويرزقنا اجتنابَه، ولا يجعله مُلتبسًا علينا فنَضِلَّ.

وصلىٰ اللهُ وسلَّم علىٰ نبيِّنا مُحمَّد، وعلىٰ آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسانٍ إلىٰ يوم الدين.

١٥/ ٨/ ١٤١٠هـ



إعلان النكير
على المَفتونين بالتَّصوير

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحَمْدُ لله، والصَّلاة والسَّلام عَلَىٰ رَسُول الله، وَعَلَىٰ آلِهِ وأصْحَابه ومَنْ وَالَاه.

□ أمّا بعد:

فلَقَد اطَّلعتُ عَلَىٰ هَذِهِ الرِّسَالة المُبَارَكة الَّتي أَلَّفها أَخُونا وَصَاحبنا العَلَّامة الشَّيخ حِمُود بن عَبْد الله التويجري وفقه الله، فِي حُكْم تَصْوير ذَوَات الأَرْوَاح، وَمَا وَرَد في ذَلكَ من النُّصُوص الصَّحيحَة عَنْ رَسُول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وَمن كَلَام أَهْل العِلْمِ في مَعْناها، وشَرْح مُقْتضَاها، فأَلْفيتُهَا رسَالةً قيمةً، غزيرةَ الفَائدَة، قَد اشْتَملت عَلَىٰ إيضَاح الحقِّ بدليلِهِ، وكَشْف الشُّبَه الَّتي قَدْ يَتعلَّق بها المُعَارض، وَإيضَاح كَثيرٍ من الحِكَمِ والأَسْرَار الَّتي من أَجْلها حَرَّم اللهُ التَّصويرَ، وحَذَّر منه رسولُهُ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بأنْوَاع التَّحْذير، وأخْبَر أَنَّ المُصوِّرين أشدُّ النَّاس عَذابًا يَوْم القيَامَة، وأنَّ مَنْ صَوَّر صورةً في الدُّنيا، كُلِّف أن ينفخَ فيها الرُّوحَ، وليسَ بنافخ.

وكلُّ مَنْ تأمَّل الأَحَاديثَ الوَاردَة في هَذَا البَاب، وَمَا أَحْدَثه النَّاسُ اليَوْم من التَّوسُّع في التَّصْوير، وانْتشَاره في كُلِّ مَكَانٍ، والعنَايَة بتَصْوير الزُّعماء والرُّؤسَاء، والنِّسَاء الخَليعَات، وغَيْرهم، عَلمَ الكثيرَ من حِكْمَة الشَّارع فِي النَّهي عن التَّصوير، والتَّحْذير منه، وَعَرَف الكثيرَ من مَفَاسد ذَلكَ،ومَضارِّه عَلَىٰ المُجْتمع في دينِهِ وأخْلَاقِهِ، وفي دُنْياه وسُلُوكه، وفي سَائر أحْوَالِهِ وشئونِهِ.

ولقَدْ غَلطَ غَلطًا فاحشًا مَنْ فرَّق بَيْن التَّصوير الشَّمسيِّ، والتَّصوير النَّحتيِّ، وبعبارةٍ أُخرىٰ بَيْن التَّصْوير الَّذي له ظلٌّ، والَّذي لا ظلَّ له؛ لأَنَّ الأَحَاديثَ الصَّحيحَة الوَاردَة في هَذِهِ المَسْألة تَعمُّ النَّوْعَين، وتَنْظمها انتظامًا واحدًا، ولأَنَّ المضارَّ والمَفَاسدَ الَّتي في التَّصوير النَّحتيِّ، وَمَا له ظلٌّ مثل المَفَاسد والأَضْرار الَّتي في التَّصوير

الشَّمسيِّ، بل التَّصْوير الشَّمْسي أعْظَم ضررًا، وأكْثَر فَسادًا من وُجُوهٍ كَثيرَةٍ، نَسْأل اللهَ أن يمنَّ عَلَينا وَعَلَىٰ المُسْلمينَ بالعَافيَة من النَّوعين جميعًا، وأنْ يُصْلح أحْوَال الأُمَّة وَقَادَتها، وأنْ يَهْدي الجميعَ صراطَهُ المُسْتقيم.

وإنِّي أنصحُ كلَّ مَنْ وَقَعتْ في يده هَذِهِ الرِّسالة أنْ يَقْرأها من أوَّلها إلَىٰ آخرهَا، وأنْ يَتدبَّر ما فيها من الأَحَاديث والفَوَائد، وَكَلَام أَهْل العِلْمِ لعلَّه بذَلكَ يَتَّضح له الحقُّ، ويطمئنُّ قَلْبه إلَىٰ ما دَلَّت عَلَيه النُّصُوص من تَحْريم التَّصْوير، والتَّنْفير منه، فيَنْفَع نَفْسه، ويَنْفع غَيْره، ويَقُومُ بمَا أوْجَب اللهُ عَلَيْه من الدَّعوة إلَىٰ الحقِّ، والتَّحذير من خلافه، وقَدْ قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فُصِّلت: ٣٣].

وَقَالَ عَزَّوَجَلَّ: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥].

وَقَالَ النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعَليِّ بن أَبي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**لأَنْ يَهْدي اللهُ بك رجلًا واحدًا، خَيْرٌ لَكَ من حُمْرُ النَّعَم**»(١).

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ دلَّ عَلَىٰ خيرٍ، فَلَه مثلُ أَجْر فَاعِلِهِ**»(٢)، واللهُ المُوفِّق والهَادي إلَىٰ سَوَاء السَّبيل، وَلَا حَوْلَ، ولَا قوَّة إلَّا بالله العليِّ العَظيم.

وصلَّىٰ الله عَلَىٰ عَبْده ورَسُولِهِ مُحمَّدٍ، وآلِهِ وصَحْبه ومَن اهْتدَىٰ بهُدَاه إلَىٰ يَوْم الدِّين.

نائب رئيس الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة

عبد العزيز بن عبد الله بن باز

---

(١) أخرجه البخاري (٢٩٤٢)، ومسلم (٢٤٠٦) من حديث سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه مسلم (١٨٩٣) من حديث أبي مسعود الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحَمْدُ لله ربِّ العَالَمين، وأَشْهَد أنْ لَا إلَهَ إلَّا الله وليُّ المُتَّقين، وأَشْهَد أنَّ نَبيَّنا مُحمَّدًا عبدُهُ ورسولُهُ، صَلواتُ الله وسلامُهُ عَلَيْه، وَعَلَىٰ إخْوَانِهِ النَّبيِّين، وَرَضي اللهُ عن أتْبَاعهم إلَىٰ يَوْم الدِّين.

❑ وبَعْد:

فَفي تَصْوير الصَّالحين، والوُجَهاء، والنِّسَاء الخَليعَات، والمُمثِّلات ونَحْوهم ما يُفْسد العَقيدَة، أَوْ يُضْعفها، وَمَا يُوجب الفِتْنَة، ويُثير الشَّرَّ مَعَ ما في ذَلكَ عمومًا من المُضَاهاة بخَلْق الله، والتَّشبُّه بالمُشْركين، وأَهْل الزَّيغ والانْحلَال في تَصْويرهم لصَالِحِيهم، وزُعَمَائهم، ونِسَائِهم، ومُسَاعدتهم عَلَىٰ ما قَصَدوا مَعَه غَزْو البلَاد الإسلاميَّة بهَٰذِهِ الصُّور الفَتَّانة إفْسَادًا للأخْلَاق، وإضعافًا للغَيْرة، وإغْراءً لنا بما فُتِنُوا به حَتَّىٰ نُقلِّدهم في صَنِيعِهِمْ، ونَسْلك مَسْلكهُمْ، ونُصَاب في عَقَائدنا بمَا أُصيبُوا به من الشِّرْك، والإلْحَاد، ويَذْهب ما لَدَينا من عَفَافٍ، وَسَلامةٍ في الأخْلَاق، ومُحَافظة عَلَىٰ الأَعْرَاض، ويُهوِّن عَلَينا انْتهَاك الحُرُمات.

من أَجْل هَذَا وغَيْره، وَرَدت النُّصُوصُ عن الرَّسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بتَحْريم التَّصْوير، ولَعْن المُصوِّرين، وتَوعَّدهم بالعَذَاب الأَليم يَوْم القيَامَة ممَّا يدلُّ عَلَىٰ أنَّ ذَلكَ من الكَبَائر، وَعَظيم والجَرَائم كَمَا جاءَ النَّهيُ عن اتِّخَاذها، وتَحْريم تَعْليقها مطلقًا بالمَسَاكن والمُؤسَّسات الثَّقافيَّة، والشَّركَات والنَّوادي والدَّكَاكين، ونَحْوها عَلَىٰ النَّوافذ، أَو الأبْوَاب، أَو الجُدْرَان مُجسَّمة أَوْ غَير مُجسَّمة تَعْظيمًا لها، أو إحْيَاءً لذِكْرَىٰ صَاحبها، أو لغَيْر ذَلكَ من المَقَاصد والأَغْرَاض.

هَذَا، وَقَد اطَّلعتُ عَلَىٰ ما كَتبَه الأخُ الفاضلُ الشَّيخ حمود بن عَبْد الله التويجري، فَوجدتُهُ -والحَمْدُ لله- وافيًا بالمَطْلوب، مُسْتقصيًا لأطْرَاف المَوْضوع، فقَدْ أتىٰ عَلَىٰ الأدلَّة الَّتي تُحرِّم ذَلكَ، وتُحذِّر منه، والَّتي تُصرِّح بفُحْش الجَريمَة، وَسُوء عَاقبَة فَاعِلِها، وَمَصير الأُمَّة الَّتي يَفْشو فيها ذَلكَ دون نكيرٍ مَعَ البَيَان لوَجْه الدِّلَالة من الأَدلَّة، وَالاسْتقصَاء لمَا فيهَا من الفَوَائد، وَذِكْر الطُّرُق المُتعدِّدة للأَحَاديث، وَنَسَبها إِلَىٰ دَوَاوينها، وَتَبيَّن دَرَجتها، وشَرْح الحِكْمَة الَّتي رُوعيَتْ فيما دَلَّت عَلَيْه النُّصُوصُ من الأحْكَام؛ ليَكُونَ أرْجَىٰ لقَبُول العُقُول، وأدْعَىٰ إِلَىٰ اطْمئنَان النُّفُوس لمَا تَضمَّنته الرِّسالةُ، وَذِكْر آرَاء العُلَماء في المَسْألة للاسْتئنَاس، وقَطْعًا لأعْذَار مَنْ يَتعلَّق عَلَىٰ أقْوَال المُجْتهدينَ، ويَتعلَّل بها لهَوَاه.

وبَيَّن كَيْف أَفْضَت صُورُ الصَّالحين قديمًا إِلَىٰ الشِّرْك، وعبَادَة غَيْر الله، وإِلَىٰ الفِتْنَة، وَانْتشَار الفَاحشَة، وَقَضاء الوَطَر في غَيْر ما أحلَّ الله، وأيَّد ذَلكَ بما ذكرَ من الآثَار، والوَقَائع التَّاريخيَّة.

ولقَدْ جَاءَتْ هَذِهِ الرِّسالة المُبَاركة -إِنْ شَاء الله- فِي وقتٍ افْتتَنَ النَّاسُ فيه بالتَّصْوير، وتَعْليق الصُّور في شَتَّىٰ الأَمَاكن مَعَ الارْتيَاح إلَيْها، وَعَدَم المُبَالاة بمُخَالفتها نُصُوص الشَّرعيَّة حَتَّىٰ أَنس الجُمْهورُ بِهَا، زَعَموا أَنَّها مُباحةٌ، أَوْ هَوَّنوا الأمرَ فيها لمَّا شَاهَد وأَمِنَ كَثْرة الصُّوَر في البلَاد الإِسْلَاميَّة عَلَىٰ مَرْأىٰ من المُتعلِّمين، وقلَّة المُنْكرينَ.

ولَوْ علمُوا سُنَّةَ الله في خَلْقه، وأَنَّ الباطلَ لَا حَياةَ لَه مَعَ يَقظَة الحقِّ وأَهْله، وَعنَاية الدُّعَاة إِلَيْه بنشْره وتَأْييدِهِ، وأَنَّ الباطلَ إِنَّما يَصُول ويَجُول حينَمَا يَنْدرسُ العلمُ، ويَذْهب العُلَمَاءُ، أَوْ حينَمَا يَغْفل رجالُ الدِّين عن وَاجِبِهم، أَوْ يُدَاهنوا غَيْرهم،

أَوْ تَضْعف شَوْكتُهُمْ، وَلَا يَجدُون من وَرَائهم مَنْ يُنفِّذ مَقَالَتهم، أَوْ يَنْصرهم في أَمْرهم بالمَعْروف، ونَهْيهم عن المُنْكر.

أقول: لو عَلِموا ذلك ما عَمِيتْ عليهم الحقيقةُ، وما وجد هذا الزَّعم سبيلًا إلىٰ نفوسهم، والله المستعان.

أَسْأَلُ اللهَ أنْ يَنْفع بهَذِهِ الرِّسالَة مَنْ قَرأَها، أَوْ سَمعَهَا، وأنْ يَجْزي مَنْ أَلَّفَها عَن الإسْلَام والمُسْلمينَ خَيْر الجَزَاء، وأنْ يُبصِّر المُسْلمينَ جَميعًا (أَئمَّتهم، ورَعيَّتهم، عُلَمَاءهُمْ، والأُميِّين مِنْهم) بأَمْر دِينِهمْ، ويُوفِّقهمْ للأَخْذ به، والوُقُوف عندَ حُدُوده، فَإِنَّهُ سُبْحَانه القويُّ العَزيزُ، الهَادي إِلَىٰ سَوَاء السَّبيل.

وَصلَّىٰ الله عَلَىٰ نَبيِّنا مُحمَّدٍ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَسلَّم.

حُرِّر في ١٩/ ١/ ١٣٨٢هـ

عبد الرزاق عفيفي

المدرس بكلية الشريعة بالرياض

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحَمْدُ لله المُنْفرد بالخَلْق والتَّدبير، الَّذي أتقنَ كلَّ شيءٍ خَلقَه، وَصَوَّر فأَحْسَن التَّصْوير، تَعَالَىٰ عَنْ أنْ يَكُون لَه شَريكٌ، أَوْ نَظيرٌ، ومَنْ أظْلَم ممَّنْ ذَهَب يَخْلق كخَلْق الله، وهُوَ عَن الإيجَاد عَاجزٌ حَقيرٌ، لَا يَقْدر عَلَىٰ خَلْق ذَرَّةٍ، ولَا بَعُوضة، وَلَا حبَّة من شَعِيرٍ، وهُوَ مَعَ ذَلكَ يُنَازع اللهَ فيما اخْتصَّ به من التَّصْوير، فوَيْلٌ للمُصوِّرين من عَذَاب السَّعير، فكُلُّ مُصوِّرٍ في النَّار كَمَا أخْبَر بذَلكَ البَشيرُ النَّذيرُ.

ومَنْ أَمَر بالتَّصْوير، أَوْ رَضي به، فَهُوَ شَريكٌ لفَاعل هَذَا الذَّنْب الكَبير.

وأَشْهَد أنْ لَا إلَهَ إلَّا الله وَحْده لَا شَريكَ له، وَلَا وَزيرَ، وَلَا ظَهير، وأَشْهَد أنَّ مُحمَّدًا عبدُهُ ورَسُولُهُ الَّذي كَسَر الأصْنَام، ومَحَا التَّصاويرَ، وحَذَّر من صِنَاعَتها واتِّخاذهَا غَايةَ التَّحْذير.

اللَّهمَّ صلِّ عَلَىٰ عَبْدك ورَسُولك مُحمَّدٍ، وَعَلَىٰ آلِهِ وأَصْحَابه نُجُوم الهدَايَة والتَّبْصير، وَعَلَىٰ مَنْ سَلَك سَبيلَهم مِنْ كَبيرٍ وَصَغيرٍ، وَسلَّم تَسْليمًا كثيرًا.

□ **أَمَّا بَعْد:**

فقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٧].

قَالَ عِكْرِمَةُ: نَزلَتْ في المُصوِّرين.. وَذَكَره البغويُّ[(١)]، وَابْنُ كَثيرٍ[(٢)]، وَرَوَاه أبُو

(١) في «تفسيره» (٦/ ٣٧٥).

(٢) في «تفسيره» (٦/ ٤٢٣).

نُعَيم فِي «الحِلْيَةِ»[١].

وَفِي هَذِهِ الآيَة عَلَىٰ هَذَا التَّفسير أبْلَغ تَحْذيرٍ من التَّصْوير، ومثلُ ذَلكَ ما في الأَحَادِيثِ الصَّحيحَة كَمَا سَيأتِي ذِكْرها إنْ شَاءَ الله تَعَالىٰ.

وَقَد عَظُمت البَلْوىٰ بصنَاعَة الصُّور، وبَيْعها، وابْتيَاعها، وَافْتتنَ باقْتنائها وَاقْتناء الجَرَائد والمجلَّات والكُتُب الَّتي فيهَا ذَلكَ كَثيرٌ من المُنْتسِبينَ إِلَىٰ العِلْمِ من مُعلِّمين ومُتَعلِّمين، فضلًا عَنْ غَيْرهم، وَصَار نَصْبها في المَجَالس والدَّكَاكين عَادةً مَأْلوفةً عندَ كَثِيرٍ من النَّاس، ومَنْ أنكرَ ذَلكَ عَلَيْهم، أوْ أنْكَر صِنَاعَتها، فأَقلُّ الأحْوَال أنْ يَسْتَهزئوا به، ويَهْمِزُوهُ، ويَلْمزوهُ، وهَذَا دَليلٌ عَلَىٰ اسْتحكَام غُرْبة الإسْلَام، وظُهُور الجَهْل بمَا بَعثَ اللهُ به رَسُوله محمدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَا أَمَر بِهِ من هَدْم الأَوْثَان، وكَسْر الأَصْنَام والصُّلْبان، وطَمْس الصُّوَر ولَطْخها، فاللهُ المُسْتَعان.

وهَذَا المُنْكر الذَّميم (أَعْني: صنَاعَة الصُّور ونَصْبها في المَجَالس وغَيْرها) مَوْروثٌ عَنْ قَوْم نوحٍ، ثمَّ عَن النَّصَارىٰ، مِنْ بَعْدِهم، وكذَلكَ عَنْ مُشْركي العَرَب، فإِنَّهم كَانُوا يَصْنَعون الصُّوَر ويَنْصبونها كَمَا سَتأتِي الإشَارَة إِلَىٰ ذَلكَ في الأَحَادِيثِ الَّتي سَتَأتِي قريبًا إنْ شَاءَ اللهُ تَعَالىٰ، وَلَكن كَانَ عَملُهَا واتِّخَاذها قَليلًا عندَ مُشْركي العَرَب بالنِّسْبة إِلَىٰ النَّصَارىٰ.

وقَدْ صَوَّر مُشْركو قُرَيش في جَوْف الكَعْبَة صورًا منها صُورَة إبْرَاهيم، وَصُورَة إسْمَاعيل، وَصُورَة مَرْيم في حِجْرها عيسَىٰ عَلَيهم الصَّلَاة والسَّلام، فالمُصوِّرون من هَذِهِ الأُمَّة مُتَشبِّهون بقَوْم نُوحٍ، وبالنَّصَارىٰ، وبمُشْركي العَرَب.

---

(١) (٣/ ٣٣٨).

وقَدْ ثَبتَ عن النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّه قَالَ: «مَنْ تَشبَّه بقَوْمٍ، فهُوَ مِنْهم»، رَوَاه الإِمَامُ أَحْمَد، وَأَبُو دَاوُد، وغَيْرهما مِنْ حَدِيثِ ابْن عُمَر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وصَحَّحه ابْنُ حبَّان(١).

وَقَالَ شَيْخُ الإِسْلَام أَبُو العَبَّاس ابْن تَيْمية رحمه الله تَعالَىٰ: إِسْنَادُهُ جَيِّدٌ.

وقَالَ الحَافظُ ابْن حَجَر العَسْقلانِي: إِسْنَادُهُ حسنٌ.

قَالَ شَيْخُ الإِسْلَام: «وَقَد احْتجَّ الإِمَامُ أَحْمَد وغَيْره بهَذَا الحَدِيثِ. قَالَ: وهَذَا الحَدِيثُ أقلُّ أحْوَاله أَنَّه يَقْتضي تَحْريم التَّشبُّه بِهِمْ، وإِنْ كَانَ ظَاهره يَقْتضي كُفْر المُتَشبِّه بِهِمْ، كَمَا في قَوْله: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٥١]»(٢). انْتَهَىٰ.

وَفِي «جَامع التِّرمذيِّ»، عَنْ عَبْد الله بن عَمْرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَيْس منَّا مَنْ تَشبَّه بغَيْرنا»(٣).

وَفِي هَذَين الحَدِيثَيْن كفايةٌ فِي التَّحْذير من مُشَابَهة قَوْم نوحٍ، والنَّصَارىٰ، ومُشْركي العَرَب، وَطَوَائف الإِفْرنج، وغَيْرهم من امم الكُفْر والضَّلَال في صنَاعَة الصُّوَر واتِّخاذهَا، وَمَن أصرَّ عَلَىٰ مُشَابهتهم، فَلَا يَأْمن أَنْ يُحْشرَ مَعَهم يَوْم القيَامَة، فقَدْ قَالَ الله تَعالَىٰ: ﴿ٱحْشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزْوَٰجَهُمْ﴾ [الصافات: ٢٢].

قَالَ أَميرُ المُؤْمنين عُمَرُ بن الخَطَّاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَزْوَاجُهمْ أَشْباهُهُمْ.. وَكَذا قَالَ

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٥٠) (٥١١٤)، وأبو داود (٤٠٣١)، وصححه الألباني في «الإرواء» (١٢٦٩).

(٢) «اقتضاء الصراط المستقيم» (١/ ٢٧٠).

(٣) أخرجه الترمذي (٢٦٩٥)، وصححه بشواهده الألباني في «الصحيحة» (٢١٩٤).

ابْنُ عبَّاس، والنُّعْمان بن بشيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، يَعْني بأَزْوَاجهم أشْبَاههم وأمْثَالهم.

وقَالَ قَتادَة والكَلبيُّ: كلُّ مَنْ عملَ مثلَ عَمَلهم.

وقَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ [التكوير: ٧]:

قَالَ ابْنُ كثيرٍ: أيْ جَمَع كلَّ شكلٍ إِلَىٰ نَظِيرِه.

وَرَوَىٰ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَن النُّعْمَان بن بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾، قَالَ: «**الضُّرَبَاء كلُّ رَجُلٍ مَعَ كلِّ قومٍ كَانُوا يَعْملونَ عَملَهُ**»(١).

وَرَوَىٰ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ أيضًا عن النُّعْمَان بن بشيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنَّ عُمرَ بن الخَطَّاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خطَب النَّاسَ، فَقرأ: ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾، فقَالَ: «تَزوُّجها أنْ تُؤلَّف كلُّ شيعةٍ إِلَىٰ شِيعَتِهِمْ»(٢).

وَفِي رِوَايَةٍ قَالَ: هُمَا الرَّجُلان يَعْمَلان العَملَ فيَدْخلان بِهِ الجنَّة أَو النَّار.

وقَالَ مُجَاهدٌ: ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾، قَالَ: الأَمْثَالُ من النَّاس جُمِعَ بَيْنهم.

قَالَ ابْنُ كَثيرٍ: وَكَذا قَالَ الرَّبيع بن خَيْثم، وَالحَسنُ وَقَتادةُ، وَاخْتَاره ابْن جَريرٍ، وهُوَ الصَّحيحُ(٣). انْتهَىٰ.

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «التفسير» (١٩١٦٧)، بإسناد فيه الوليد بن أبي ثور الهمداني وهو ضعيف.

(٢) «تفسير ابن أبي حاتم» (١٩١٦١).

(٣) «تفسير ابن كثير» (٨/ ٣٣٢).

وفِي هَذِهِ الآيَة، وَالآيَة قَبْلها، وَعيدٌ شديدٌ لمَن تَشبَّه بأعْدَاء الله تَعالىٰ في صناعَة الصُّوَر، واتِّخَاذها، وَفِي غير ذَلكَ منَ الأُمُور المُحرمَّة.

فصل

وقَدْ كَانَ بَدَأ الشِّركُ في بني آدمَ بسَبَب الصُّور، كَمَا قَالَ ابْنُ جَريرٍ[1]: حَدَّثنا ابْنُ حُمَيدٍ، حَدَّثنا مِهْرَان عَنْ مُوسَىٰ عَنْ مُحمَّد بن قيسٍ فِي قَوْله: ﴿يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسۡرًا﴾ [نوح: ٢٣]، قَالَ: كَانوا قَوْمًا صَالِحِينَ بَيْن آدَمَ ونُوحٍ، وكَانَ لهُمْ أَتْباعٌ يَقْتدُون بِهِم، فلَمَّا مَاتُوا قَالَ أَصْحَابُهُمْ الَّذينَ كَانوا يَقْتَدون بِهِمْ: لَوْ صَوَّرناهم، كَانَ أَشْوَق لنَا إِلَىٰ العِبَادَة إذَا ذَكَرناهُمْ، فَصوروهُمْ، فلَمَّا مَاتُوا وَجَاء آخَرُونَ، دَبَّ إِلَيْهم إِبْليسُ، فَقَالَ: إنَّما كَانوا يَعْبدُونَهم، وبِهِمْ يُسْقَون المَطَر فعَبَدوهُمْ.

وَرَوىٰ ابْنُ أَبي حَاتمٍ بسَنَده عَنْ أَبي المُطهَّر، قَالَ: ذَكَروا عندَ أَبي جَعْفرٍ وهُوَ قائمٌ يُصلِّي يزيدَ بن المهلَّب، قَالَ: فلَمَّا انتقلَ من صلاتِهِ، قَالَ: ذَكَرتمْ يزيدَ بن المهلَّب، أمَا إِنَّه قتلَ في أوَّل أرضٍ عبدَ فيها غَيْر الله. قَالَ: ثمَّ ذَكَروا رجلًا مسلمًا، وكَانَ محببًا في قَوْمه، فلَمَّا ماتَ، اعْتكَفوا حَوْل قَبْره في أَرْض بَابل، وَجَزعوا عَلَيْه، فلَمَّا رَأَىٰ إبليسُ جَزَعهم عَلَيْه، تَشبَّه في صُورَة إنْسَانٍ، ثمَّ قَالَ: إِنِّي أرَىٰ جَزَعكمْ عَلَىٰ هَذَا الرَّجل، فهَلْ لكُمْ أن أُصورِّ لكم مثلَهُ، فيَكُون في نَادِيكُمْ فتَذْكُرُونه؟ قَالوا: نَعمْ، فَصوَّر لهُمْ مثلَه. قَالَ: وَضَعوه في نَادِيهمْ، وَجَعَلوا يَذْكرونه، فلمَّا رَأَىٰ ما بهم من ذِكْرِهِ، قَالَ: هَلْ لكُمْ أنْ أجْعَل في مَنْزل كلِّ رجلٍ منكُمْ تمثالًا فيَكُون لَه في بَيْته فتَذْكُرُونه؟ قَالوا: نَعمْ. قَالَ: فمَثَّل لكلِّ أَهْل بيتٍ تمثالًا مثلَه، فَأقْبَلوا فَجعلوا يَذْكرونه به. قَالَ: وأدْرَك

---

(١) في «تفسيره» (٢٣/ ٣٠٣).

أبْناؤُهمْ، فَجَعلوا يَرَوْن ما يَصْنَعون به. قَالَ: وَتَناسَلوا، ودَرَسَ أَمْرُ ذِكْرِهم إيَّاه حَتَّىٰ اتَّخذوه إلهًا يَعْبدونه من دون الله، أَوْلَاد أَوْلَادهم، فكَانَ أوَّل ما عبدَ من دُون الله وَدٌّ الصَّنم الَّذي سَمَّوه «ودًّا»[١].

وَقَالَ البخاريُّ في «صَحيحِهِ»[٢]: حَدَّثنا إبْراهيمُ بن مُوسَىٰ، أَخْبَرنا هشَام عَن ابْن جُرَيج، وقَالَ عَطاءٌ، عَن ابْن عبَّاس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: صَارَت الأَوْثانُ الَّتي فِي قَوْم نوحٍ في العَرَب بَعْد، أمَّا «ودٌّ» فكَانت لكَلْب بدُومَة الجَنْدل، وأمَّا «سُوَاع» فكَانت لهُذَيل، وأمَّا «يَغُوث»، فكَانت لمُرَاد، ثمَّ لبَني غُطَيف بالجُرْف عندَ سَبَأ، وأمَّا «يَعُوق»، فكَانَتْ لهَمَدَان، وأمَّا «نَسْر» فكَانَتْ لحِمْيَر لآل ذِي الكُلَاع أسْمَاء رجَالٍ صَالِحِين من قَوْم نُوح، فلَمَّا هَلَكوا، أوْحَىٰ الشَّيطانُ إلَىٰ قَوْمهم أَن انْصبُوا إِلَىٰ مَجَالسهم الَّتي كَانُوا يَجْلسُون فيهَا أنْصَابًا، وسَمُّوها بأَسْمَائهم، فَفَعَلوا، فلَمْ تُعْبَد حَتَّىٰ إذَا هَلَك أُولَئك، وتَنَسَّخَ العِلْمُ، عُبِدَتْ.

فهَذَا مَا آلَ إلَيْه أَمْرُ الصُّور في قَوْم نُوحٍ، فمَنْ بَعْدهم منَ المُشْركين.

وأمَّا النَّصارىٰ، فكَانوا يَعْبدُون الصُّور الَّتي لا ظلَّ لها، كَمَا في «الصَّحيحَيْن»، عَنْ عَائشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أنَّ أُمَّ حَبيبَةَ، وأُمَّ سَلَمةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ذَكَرتا كَنيسةً رَأَيْنها بالحَبَشة فيهَا تَصَاويرُ، فَذَكَرتا ذَلكَ للنَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «**إنَّ أُولَئك إذَا كَانَ فِيهِم الرَّجلُ الصَّالحُ، فَمَات، بنوا عَلَىٰ قَبْره مسجدًا، وَصوَّروا فيه تلكَ الصُّوَر، فأُولَئكَ شرارُ الخَلْق عندَ الله يَوْم القيَامَة**»[٣].

---

(١) «تفسير ابن أبي حاتم» (١٨٩٩٨).

(٢) (٤٩٢٠).

(٣) أخرجه البخاري (٤٢٧)، ومسلم (٥٢٨).

قَالَ الحَافظُ ابْن حَجَرٍ في «فَتْح البَاري»(١): إنَّما فعلَ ذَلكَ أَوَائلُهُمْ ليتأنَّسوا برُؤْية تلكَ الصُّور، ويَتذكَّروا أحْوَالَهم الصَّالحَة، فيَجْتَهدوا كَاجْتهَادِهِمْ، ثمَّ خَلَف من بَعْدهم خُلُوفٌ جَهلُوا مُرَادَهم، وَوَسْوسَ لَهُمُ الشَّيطانُ أنَّ أسْلَافكُمْ كَانوا يَعْبدون هَذِهِ الصُّور، ويُعظِّمونها فَاعْبُدُوها، فحَذَّر النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ مِثْلِ ذَلكَ سدًّا للذَّريعَة المُؤدِّية إِلَىٰ ذَلكَ.

وذَكَر الحَافظُ أيضًا أَنَّ النَّصَارىٰ كَانُوا يُصوِّرون صُورَة مَرْيم وَالمَسيح، وغَيْرهما ويَعْبُدُونها.

وقَالَ أيضًا: وكَانَ غَالب كُفْر الأُمَم من جهَة الصُّوَر.

وَذَكر ابْنُ القيِّم -رَحمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ- في كتَاب «الإغَاثَة»(٢) أَمْثلةً كَثيرةً من تَلَاعُب الشَّيْطان بالنَّصَارىٰ، قَالَ فيهَا: وَتَلَاعَب بِهِم في تَصْوير الصُّوَر في الكنَائس، وَعِبَادَتها، فَلَا تَجدُ كَنيسةً من كَنَائسهم تَخْلو من صُورَة مَرْيم وَالمَسيح، وَجِرْجس، وبُطْرس، وغَيْرهم من القِدِّيسِينَ عِنْدهُمْ، والشُّهَداء، وأَكْثَرهم يَسْجُدُون للصُّوَر، ويَدْعُونَها من دُون الله تَعَالَىٰ حَتَّىٰ لقَدْ كَتَبَ بِطْريق الإسْكَندريَّة إِلَىٰ مَلِكِ الرُّوم كتابًا يحتجُّ فيه للسُّجُود للصُّور بأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ أَمَر مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ أنْ يُصوِّر في قبَّة الزَّمَان صُورة السَّاروس، وبأَنَّ سُليمان بن دَاوُد لمَّا عملَ الهَيْكل، عَمل صُورَة السَّاروس من ذَهَبٍ، وَنَصَبها دَاخل الهَيْكل، ثمَّ قَالَ في كتابِهِ: وإنَّما مثَال هَذَا مثَالُ المَلك يَكْتب إِلَىٰ بَعْض عُمَّاله كتابًا، فيأخُذُه العَاملُ، ويُقبِّله، وَيَضعُهُ عَلَىٰ عَيْنيه، ويَقُوم له، لَا تَعْظيمًا

(١) (١/ ٥٢٥).

(٢) «إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان» (٢/ ٢٩٢).

للقِرْطَاس والمِدَادِ، بَلْ تَعْظِيمًا للمَلك، كذَلكَ السُّجُودُ للصُّوَر تَعْظِيمٌ لاسمِ ذَلكَ المُصَور لَا للأصْبَاغ والألْوَان.

قَالَ ابْنُ القيِّم رحمه الله تَعَالىٰ: «وَبهَذَا المثَال بعينِهِ عُبدَت الأصْنَام، وَمَا ذَكَره هَذَا المُشْرك عن مُوسَىٰ وسُلَيمان عَلَيْهِمَا السَّلَامُ لَوْ صحَّ، لَمْ يكنْ فِيهِ دَليلٌ عَلَىٰ السُّجُود للصُّور، وَغَايتُهُ أنْ يَكُونَ بمَثَابة ما يُذْكر عن دَاوُد أَنَّه نَقَش خَطيئتَهُ في كفَّة كَيْ لَا يَنْساهَا.

فأيْنَ هَذَا ممَّا يفعلُهُ هَؤُلَاء المُشْركون من التَّذلُّل، والخُضُوع، والسُّجُود بَيْن يَدَي تلكَ الصُّور، وإنَّما المِثالُ المُطَابق لمَا يَفْعلُهُ هَؤُلَاء المُشْركون مثالُ خَادم مَنْ خُدَّام المَلك، دَخَل عَلَىٰ رجلٍ، فَوثَب الرَّجلُ من مَجْلسه، وَسَجَد له، وَعَبَده، وَفَعَل به ما لَا يَصْلح أنْ يفعلَ إلَّا مَعَ المَلك، وكلُّ عاقلٍ يَسْتجهلُهُ، ويَسْتحمقُهُ في فعلِهِ إذَا قَدْ فَعَل مَعَ عَبْدِ المَلكِ ما كَانَ يَنْبغي له أنْ يخصَّ به المَلكَ دُونَ عَبيدِهِ من الإكْرَام، والخُضُوع، والتَّذلُّل.

ومَعْلومٌ أنَّ هَذَا إِلَىٰ مَقْت المَلك لَه، وسُقُوطه من عَيْنه أقْرَب منه إِلَىٰ إكرامِهِ، ورَفْع مَنْزلته، كذَلكَ حَالُ مَنْ سَجَد لمَخْلوقٍ، أَوْ لصُورَة مَخْلوق؛ لأنَّه عمدَ إِلَىٰ السُّجُود الَّذي هُوَ غَايةُ ما يَتوصَّل به العبدُ إِلَىٰ رضَا الرَّبِّ، وَلَا يصلحُ إلَّا لَه، فَفعَله لصُورة عَبْدٍ من عبيدِهِ، وسَوَّىٰ بَيْن الله وبَيْن عبدِهِ في ذَلكَ، وليسَ وَرَاء هَذَا في القُبْح والظُّلم شَيءٌ، ولهَذَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]»(١). انْتَهَىٰ.

---

(١) «إغاثة اللهفان» (٢/ ٢٩٣).

وقَدْ رَوَىٰ الإِمَامُ أَحْمَدُ في «مُسْنده»، والتِّرمذيُّ في «جَامعِهِ»، وَابْن خُزَيمة في كتَاب «التَّوْحيد» بِإِسْنَادٍ صَحيحٍ عَنْ أَبي هُرَيرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يَجْمعُ اللهُ النَّاسَ يومَ القيَامَة في صَعِيدٍ واحدٍ، ثمَّ يطلعُ عَلَيْهم ربُّ العَالَمينَ، فيَقُول: أَلا يَتْبع كلُّ أُنَاسٍ ما كَانُوا يَعْبدون، فيَمْثل لصَاحِبِ الصَّليب صَليبُهُ، وَلصَاحِبِ التَّصْوير تَصويرُهُ، وَلصَاحِبِ النَّار نارُهُ، فيَتَّبعونَ ما كَانَ يَعْبدون...**» الحَدِيث(١).

قَالَ التِّرمذيُّ: هَذَا حَديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

وفِي «مُسْتدرك الحَاكم» من حَدِيثِ أَبي سَعِيدٍ الخدريِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**إِذَا كَانَ يَوْم القيَامَة، نَادَىٰ مُنَادٍ: أَلا لتَلْحق كلُّ أُمَّةٍ بما كَانَت تَعْبد، فَلَا يَبْقَىٰ أحدٌ كَانَ يَعْبد صنمًا، وَلَا وَثنًا، وَلَا صُورةً إِلَّا ذَهَبوا حَتَّىٰ يَتَسَاقَطوا في النَّار...**» الحَدِيثَ(٢).

قَالَ الحَاكمُ: صَحيحُ الإِسْنَاد، ولَمْ يُخرِّجاه بهَذَا السِّياق.

والغَرضُ من هَذَين الحَدِيثَيْن بَيانُ أَنَّ الصُّورَ كَانَت من مَعْبودات المُشْركينَ، فَمنهُمْ مَنْ كَانَ يَعْبد الصُّور المُجَسَّمة، وَمِنْهُمْ مَنْ كَانَ يعبُدُ الصُّور الَّتي ليسَ لَهَا ظلٌّ.

وَإِذَا عُلِمَ أَنَّ عبادَةَ الأَصْنَام في قَوْم نوحٍ كَانَ سَبَبها تَصْوير الصَّالِحِين، ونَصْب

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ١٦) (١١١٤٣)، والترمذي (٢٥٥٧)، وابن خزيمة في «التوحيد» (١/ ٢١٥)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٨٠٢٥).

(٢) أخرجه الحاكم (٤/ ٦٢٦) (٨٧٣٦) وقال: «هذا حديثٌ صَحيحُ الإسنادِ ولَمْ يُخرجاه بِهذه السِّياقَة»، وحسنه الألباني في «ظلال الجنة» (٦٣٥).

صُوَرهم فِي المَجَالس، وعُلِمَ أيضًا أَنَّ النَّصارىٰ كَانُوا يُصوِّرون صُوَر القِدِّيسين عندهُمْ، ويَسْجُدُون للصُّور، ويَدْعُونَها من دون الله تَعَالَىٰ، فَمَا يُؤَمِّن جُهَّال المُسْلمينَ أن يَكُون فِي أوْلَادهم وأوْلَاد أوْلَادهم مَنْ يَعْبدُ الصُّورَ الَّتي يَنْصبُونَها في مَجَالسهم وَدَكَاكينهم، وَلَا سيَّما صُوَر المُلُوك والوُزَرَاء، ونَحْوهم من الكُبَراء الَّذينَ قَد افْتتنَ السُّفَهاء بتَصْويرهم، ونَصْب صُوَرهم في المَجَالس والدَّكَاكين أكْثَر ممَّا افْتتنُوا بغَيْرهم.

وأَعْظَم من ذَلكَ أَنَّه قَد اتخذَ نَصْب صُوَر بَعْضهم رسميًّا فِي كَثيرٍ من المَجَالس الرَّسميَّة في زَمَاننا، وهَذَا عَيْنُ المُحادَّة لله تَعَالَىٰ، ولرَسُولِهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدًا فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْخِزْىُ ٱلْعَظِيمُ﴾[التوبة: ٦٣].

وَمَا يفعلُهُ هَؤُلَاء العُصَاة من تَصْوير الكُبَراء، ونَصْب صُوَرهم في المَجَالس وغَيْرها، لَا يشكُّ عاقلٌ شمَّ أدْنَىٰ رَائحَة من العِلْمِ النَّافع أَنَّه مثل ما فَعَله قَوْم نُوحٍ من تَصْوير الصَّالِحِين، ونَصْب صُوَرهم فِي المَجَالس سَوَاء بسَوَاء، ومثل ما فعله النَّصارىٰ مِن تَصْوير القِدِّيسين عِندَهم ونَصب صُوَرهم فِي الكَنَائِس والمَجَالس سَوَاء بسَوَاء، وهَذَا مِصْداقُ قَوْله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا تَقُومُ السَّاعة حَتَّىٰ تأخُذَ أُمَّتي بأَخْذ القُرُون قَبْلها شبرًا بشِبْرٍ، وَذراعًا بذِرَاعٍ**»(١).

ومَا وَقَع من قَوْم نُوحٍ والنَّصَارىٰ، وغَيْرهم من الشِّرْك الأكْبَر بسَبَب الصُّور لَا يَبْعد أن يقعَ مثلُهُ في آخر هَذِهِ الأُمَّة، فَالوَاجبُ عَلَىٰ وُلَاة أُمُور المُسْلمينَ أَنْ يَمْنعوا رَعَايَاهم من صنَاعَة التَّصَاوير، وَاتِّخاذهَا، وأَنْ يَطْمسوا ما يُوجَد منها؛ عملًا بقَوْل

---

(١) أخرجه البخاري (٧٣١٩) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

النَّبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ لعَليٍّ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ: «**لا تَدعْ صُورةً إلَّا طَمَسْتها**»(١).

وقَدْ أخْبَر اللهُ تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ عَنْ خليلِهِ إبْرَاهِيم، عَلَيۡهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ، أنَّه قَالَ: ﴿**رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا ٱلۡبَلَدَ ءَامِنٗا وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ**﴾ [إبراهيم: ٣٥].

فَإذَا كَانَ خَليلُ الرَّحْمن إمَامُ الحُنَفاء، وَوَالد مَنْ بَعْده من الأنْبِيَاء قَدْ خَافَ عَلَيْه وَعَلَىٰ بنيهِ من عبادَة الأَصْنَام مَعَ أَنَّه قد كَسَرها بيدِهِ، ومَعَ أَنَّه كَانَ مَعْصومًا عن عِبادَتها، فكَيْف لا يَخَاف عِبادَتَها مَنْ ليسَ بمَعْصومٍ؟!

ولهَذَا، قَالَ إبْرَاهِيمُ التَّيميُّ: ومَنْ يَأْمن البَلَاء بَعْد إبْرَاهِيم.. رَوَاه ابْنُ جَريرٍ، وابْنُ أَبي حَاتِمٍ(٢).

وَمِنْ أعْظَم أسْبَاب البَلَاء: نَصْب الصُّور في المَجَالس والدَّكَاكين، وغَيْرها ممَّا قَد افتتنَ به كَثيرٌ من النَّاس في هَذِهِ الأَزْمَان، والصُّورُ دَاخلةٌ فِي مُسمَّىٰ الأَصْنَام عندَ أَهْل اللُّغة، فتَدْخل فيمَا دَعَا إبْرَاهيمُ ربَّه أنْ يُجنِّبه وَبَنِيهِ عِبادَتها.

قَالَ ابْنُ الأثير: قَدْ تكرَّر ذِكْرُ الصَّنم والأَصْنَام، وهُوَ ما اتُّخذ إلهًا من دُون الله، وَقيلَ: هُوَ مَا كَانَ له جسمٌ، أَوْ صُورَةٌ، فإنْ لَمْ يَكُنْ لَه جسمٌ، أَوْ صُورةٌ، فهُوَ وَثنٌ(٣).

وَقَالَ أيضًا: الفَرْقُ بَيْن الوَثَن والصَّنم: أَنَّ الوثنَ كلُّ مَا له جُثَّةٌ مَعْمولةٌ من جَوَاهر الأَرْض، أَو من الخَشَب والحجَارَة؛ كصُورَة الآدميِّ تُعْمَل وتُنْصب فتُعْبَد، والصَّنمُ الصُّورةُ بلا جُثَّةٍ، ومِنْهم مَنْ لَمْ يُفرِّق بَيْنهما، وأطْلَقَهما عَلَىٰ المَعْنَيين، وقَدْ

---

(١) أخرجه مسلم (٩٦٩).

(٢) رواه الطبري (١٣/ ٦٨٧)، وابن أبي حاتم (١٢٢٨٦).

(٣) «النهاية» لابن الأثير (٣/ ٥٦).

يُطْلق الوثنُ عَلَىٰ غَيْر الصُّورَة.

وَمِنْهُ حَدِيثُ عَديٍّ بن حَاتمٍ: قَدمتُ عَلَىٰ النَّبيِّ ﷺ وَفِي عُنُقي صَليبٌ من ذَهَبٍ، فقَالَ لِي: «**أَلْقِ هَذَا الوَثَنَ عَنْك**»(١).

قُلْتُ: هَذَا الحَدِيثُ رَوَاه البخاريُّ في «التَّاريخ الكَبير»، وَالتِّرمذيِّ، وقَالَ: حَسنٌ غريبٌ(٢).

وَمِنْ إطْلَاق الوَثَن عَلَىٰ الصَّليب قَوْل الأعْشَىٰ(٣):

تَطُوفُ العُفَاةُ بأَبْوابِهِ ... كطَوْف النَّصَارىٰ ببَيْت الوَثَنْ

قَالَ الأَزْهريُّ عَنْ شِمْرٍ: أَرَادَ بالوَثَن الصَّليب.. نَقَله عَنْه ابْنُ منظورٍ فِي «لسَان العَرَب»(٤).

قَالَ الحَافظُ ابْنُ حَجَرٍ: «بَيْن الوَثَن والصَّنم عُمُومٌ وخُصُوص وَجْهي، فإِنْ كَانَ مصورًا، فهُوَ وَثنٌ وَصَنمٌ»(٥). انْتهَىٰ.

وقَدْ جَاءَ عن عَليٍّ رضي الله عنه، عَن النَّبيِّ ﷺ أَنَّه سَمَّىٰ الصُّورةَ صَنمًا، وَسَيأَتي هَذَا الحَدِيثُ فِي آخر الأَحَادِيثِ الَّتي سَتأْتِي قَريبًا إنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَىٰ.

إِذَا تَقرَّر هَذَا، فكَيْف يَسْتَجيزُ المُسْلم صناعَة الصُّور ونَصْبها في مَجْلسِهِ، أَوْ

---

(١) «النهاية» لابن الأثير (٥/ ١٥١).

(٢) أخرجه البخاري في «التاريخ» (٧/ ١٠٦)، والترمذي (٣٠٩٥)، وحسنه الألباني.

(٣) في «ديوانه».

(٤) (١٣/ ٤٤٣).

(٥) «فتح الباري» (٤/ ٤٢٤).

دُكَّانه وَهيَ من الأَصْنَام الَّتي تُعْبد من دُون الله تَعَالَىٰ، وكَيْف يستحلُّ المُسْلم بَيْعَها، وأَكْل ثَمَنها، وذَلكَ حَرامٌ عَلَيْه؛ لمَا فِي «الصَّحيحَيْن»، والمُسْند، والسُّنَن عَنْ جَابر بن عَبْد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّه سَمعَ رَسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ وهُوَ بمكَّة عامَ الفَتْح: «**إنَّ اللهَ ورَسُولَه حَرَّم بيعَ الخَمْر، والمَيتَةِ، والخِنْزيرِ، والأَصْنَام**...» الحَدِيثَ[1].

قَالَ التِّرمذيُّ: حَدِيثٌ حسنٌ صحيحٌ، والعَملُ عَلَىٰ هَذَا عندَ أَهْل العِلْمِ.

وَقَالَ الخطَّابيُّ[2]: في تَحْريمه ثَمَن الأَصْنَام دليلٌ عَلَىٰ تَحْريم بَيْع جَميع الصُّوَر المُتَّخذَة من الطِّين، والخَشَب، وَالحَديد، وَالذَّهَب، والفضَّة، وَمَا أَشْبَه ذَلكَ من اللُّعَب، ونَحْوها.

قُلْتُ: وَكذَلكَ فِيهِ دَليلٌ عَلَىٰ تَحْريم بَيْع الصُّور المَرْقُومَة، والمَأْخوذة بالآلَة الفُوتُوغرافيَّة؛ لأَنَّها من جُمْلة الأَصْنَام.

ومن أَعْظَم الصُّور تحريمًا عَلَىٰ البَائع المُبْتاع، والمُتَّخذ ما يُصْنَع في زَمَاننا من المَطَّاط عَلَىٰ صُوَر النِّساء، فَإذَا نُفخَتْ لَمْ يُفرِّق الرَّائي بَيْنها وبَيْن الآدميَّات في الصُّورة الظَّاهرة، وَكَثيرٌ من الكَفَرة ومن فُسَّاق المُسْلمين يَسْتَعملُونها للجمَاع بَدَل الآدميَّات، وذَلكَ حرامٌ كالزِّنا، وقَدْ فَشَا بَيْعُهَا وابْتياعُهَا في كثيرٍ من البُلْدان الَّتي يَنْتسبُ أَهْلُهَا إِلَىٰ الإِسْلَام من غَيْر نكيرٍ إِلَّا أَنْ يَكُون من أَفْرَادٍ قَلِيلِين مُسْتَضعفينَ لَا يُؤْبه لهُمْ، ولَا يُسْتَمع إِلَىٰ قَوْلهم، فَاللهُ المُسْتَعان.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٢٣٦)، ومسلم (١٥٨١)، وأحمد (٣/ ٣٢٤) (١٤٥١٢)، وأبو داود (٣٤٨٦)، والترمذي (١٢٩٧)، والنسائي (٤٢٥٦)، وابن ماجه (٢١٦٧).

(٢) في «معالم السنن» (٣/ ١٣٣).

وَبَائعُ هَذِهِ الصُّور الفتَّانة قَدْ جَمَع بَيْن إِثْمَين عَظِيمَيْن:

أَحَدُهُما: بَيْعُ الأَصْنَام.

وَالثَّانِي: الإِعَانَة عَلَىٰ فِعْلِ الفَاحشَة، إِذْ قد ثبتَ أَنَّها تُثِيرُ شَهْوةَ الرِّجال كَمَا تُثيرُها الحَسناء من الآدميَّات، وتَدْعو ذَوي القُلُوب المَرِيضَة إِلَىٰ الفُجُور بها، كَمَا تَدْعو إِلَىٰ ذَلكَ الحَسْناء من الآدَميَّات.

وقَدْ نصَّ العُلَماءُ عَلَىٰ أَنَّه لَا يَجُوز بَيْع الأَمْرَدِ ممَّن عُلمَ أَنَّه يُفْجَرُ به، وَلَا بَيْع الأَمَة ممَّن يَطَؤها في الدُّبر، وَهَكَذا يُقَال في بَيْع صُوَر النِّساء والمُرْدان؛ لأَنَّ الغَالبَ عَلَىٰ مُشْتَيرها أَنَّه إِنَّما يَشْتَريها لفِعْلِ الفَاحشَة بها.

وقَدْ حرَّم اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ جماعَ مَا عَدا الزَّوْجَات والسَّرَاري، فَقَالَ تَعَالَىٰ في وَصْف المُؤْمنينَ: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ [المؤمنون: ٥ - ٧].

فَدلَّت الآيةُ الثَّانيةُ بمَفْهومها عَلَىٰ أَنَّ المُجَامِعِين للصُّوَر المَصْنُوعَة مَلُومُون عَلَىٰ جِمَاعِهَا، وَدلَّت الآيةُ الثَّالثةُ بالنَّصِّ عَلَىٰ أَنهمْ عَادُون، وَاللهُ أَعْلَمُ.

فإِنْ قَالَ جَاهلٌ: إِنَّ الصُّور المَصْنوعة من مِلْكِ اليَمين فيَجُوز وَطْؤها.

فَالجَوابُ من وَجْهين:

أَحَدُهُما: أَنَّ الصُّوَر من الأَصْنَام -كَمَا تَقَدَّم بيانُ ذَلكَ قريبًا- وسَوَاء في ذَلكَ المجَسدُ مِنْهَا، وغَيْر المجَسَد، والأَصْنَامُ لَا تَدْخل في مِلْكِ اليَمين أصلًا، لَا بصنَاعَةٍ، وَلَا ابْتيَاعٍ، وَلَا اتِّهَابٍ، وَلَا إِرْثٍ، ولَا غَيْر ذَلكَ من أَسْبَاب التَّملُّك؛ لأَنَّها مُحرَّمةٌ من

جَميع الوُجُوه، فَصنَاعتُهَا حَرامٌ، وبَيْعها حَرامٌ، وَابْتياعُهَا حَرامٌ، واتِّخَاذُهَا حَرامٌ، وَمَتَىٰ وُجدَتْ فَالوَاجبُ إتْلَافُهَا؛ لأَنَّها من أَعْظَم المُنْكَرات.

الثَّانِي: أنَّ مِلْكَ اليَمين الَّذي أَبَاحَهُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في الآيَة الكَريمَة خَاصٌّ بالآدَميَّات، فيَجُوز للمَالِكِ وطؤ إماته، إذَا خلونَ من المَوَانع وما عَدَاهنَّ من مِلْكِ اليَمين، فَهُوَ حَرامٌ؛ كالغِلْمَان والبَهَائم، وَمثل الغِلْمَان في التَّحْريم أدْبَارُ الإمَاء، كَمَا تدلُّ عَلَىٰ ذَلكَ أَحَاديثُ كَثيرَةٌ ليسَ هَذَا مَوْضع ذِكْرِهَا.

فصل

وَمِنَ المُنْكر المُسْتَهجن: تَقْبيلُ الصُّور المَصْنوعة عَلَىٰ صُوَر النِّسَاء، والمُرْدَان الحسَان، كَمَا يُذْكر ذَلكَ عن بَعْض السُّفَهاء، وَكَما أنَّ هَذَا مُسْتقبحٌ عندَ كلِّ عَاقِلٍ، فهُوَ أيضًا من أنْوَاع الزِّنا، كَمَا في حَدِيثِ أَبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**والفَمُ يَزْنِي، فَزنَاهُ القُبَلُ**»، رَوَاه أَبُو دَاوُدَ بإِسْنَادٍ جَيِّدٍ[1]، وأَصْلُهُ في مُسْلم.

فصل

وَمِنْ أَعْظَم المُنْكَرات، وأَقْبَح التَّهوُّكات: مَا يُفْعل في بَعْض الأَقْطَار الَّتي يَنْتسبُ أَهْلُها إِلَىٰ الإِسْلَام مِنْ فَتْح المَدَارس لتَعْليم صنَاعَة التَّصْوير المَلْعون فَاعلُهُ، ويُسمُّون تلكَ المَدَارس: الفُنُون الجَميلَة.

---

(١) أخرجه أبو داود (٢١٥٢)، وضعف الألباني هذه الجملة دون سائر الحديث، فقال في «صحيح أبي داود» (١٨٦٩): «إسناده حسن، ورجاله رجال مسلم؛ وقد أخرجه دون ذكر الفم».

وكلُّ مَنْ في قلبِهِ حَياةٌ، وَله أَدْنَىٰ مَعْرفة بمَا بَعَث اللهُ به رَسُولَهُ مُحمَّدًا صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، لَا يشكُّ أَنَّ فَتْحَ تلكَ المَدَارس، والتَّعْليم والتَّعلُّم فيها هُوَ عَيْنُ المُحادَّة لله تَعالَىٰ، ولرَسُولِهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وقَدْ قَالَ اللهُ تعالَىٰ: ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدًا فِيهَاۚ ذَٰلِكَ ٱلْخِزْىُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [التوبة: ٦٣].

وَمِنَ القَبَائح والفَضَائح الَّتي ذُكرَتْ عن تلكَ المَدَارس المُؤسَّسة عَلَىٰ مَعْصية الله تَعالَىٰ، ومَعْصية رَسُولِهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: أَنَّهم يُصوِّرون فيهَا الفَاجرَاتِ المَاجنَاتِ عَاريَاتٍ عَلَىٰ أَوْضَاعٍ مُخْتلفةٍ؛ قَائمَاتٍ، وَقَاعدَاتٍ، ومُضْطجعَاتٍ، وهَذَا عَيْنُ ما يَفْعلُهُ أَهْلُ الخَلَاعة من دُوَل الإفْرنج وغَيْرهم من أعْدَاء اللهِ تَعالَىٰ، ومَنْ تَشبَّه بقَوْمٍ فهُوَ مِنْهُمْ.

وفِي هَذِهِ الأَفْعَال الشَّنيعَة من التَّرْغيب في الفُجُور والدُّعَاء إِلَىٰ الإباحيَّة مَا لا يَخْفىٰ عَلَىٰ عَاقِلٍ.

وقَدْ رَوَىٰ البخاريُّ في «صَحيحِهِ»، وأَبُو دَاوُد، وَابْن مَاجه في «سُنَنيْهما»، عَن أَبي مَسْعودٍ عُقْبة بن عَمْرو البَدْري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**إِنَّ ممَّا أَدْركَ النَّاسُ من كَلَام النُّبوَّة الأُولَىٰ: إِذَا لَمْ تَسْتحي، فَاصْنَع ما شِئْتَ**»(١).

وتَفْسيرُهُ عَلَىٰ أَحَد الأَقْوَال أَنَّ الَّذي لا يَسْتحيي يَفْعلُ ما شَاءَ من القَبَائح، وَلَا يُبَالي، وَهَكَذا أَهْلُ تلكَ المَدَارس المَلْعونة هِيَ وأَهْلها، لَا يُبَالون بفِعْلِ القَبَائح، إِذْ لَا دينَ يَرْدعُهُمْ عمَّا حَرَّمه اللهُ تَعالَىٰ وَرَسُولُهُ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وَلَا حَيَاء، وَلَا مُرُوءة

---

(١) أخرجه البخاري (٦١٢٠)، وأبو داود (٤٧٩٧)، وابن ماجه (٤١٨٣).

يَمْنَعانهم من تَعَاطي الأُمُور القَبيحَة، وقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾[فاطر: ٨].

وقَالَ تَعالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾[الأعراف: ١٧٩].

فصل

وقَدْ تَواترت الأَدلَّةُ عَلَىٰ تَحْريم التَّصْوير، ومَشْروعيَّة طَمْس الصُّوَر، وَفيهَا الوَعيدُ الشَّديدُ للمُصوِّرين، والإخْبَار بأَنَّ المَلَائكةَ لَا تَدْخلُ بيتًا فِيهِ صُورَةٌ.

وقَدْ تَقدَّم ما رَواه أَبُو نُعيمٍ في «الحِلْيَة»[(١)]، وَذَكَره غيرُ وَاحِدٍ منَ المُفَسِّرين، عَنْ عِكْرمةَ فِي قَوْل الله تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾[الأحزاب: ٥٧]، قَالَ: هُمْ أَصْحَابُ التَّصَاوير.

وأَمَّا الأَحَاديثُ:

فَالأَوَّلُ مِنْهَا: مَا رَوَاه الإِمَامُ أَحْمَدُ، وَالشَّيْخَان، عَنْ أَبي زُرْعة بن عَمْرو بن جَرِيرٍ، قَالَ: دَخلتُ مَعَ أَبي هُرَيرة دَارَ مَرْوان بن الحَكَم، فَرأَىٰ فيهَا تَصَاويرَ وَهيَ تُبْنىٰ، فَقَالَ: سَمعتُ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**يَقُول اللهُ عَزَّوَجَلَّ: وَمَنْ أَظْلم ممَّن ذَهَب يَخْلق خلقًا كخَلْقي، فَلْيَخْلُقوا ذَرَّةً، أَوْ فَلْيَخْلُقُوا حبَّةً، أَوْ ليَخْلُقُوا**

---

(١) (٣/ ٣٣٨).

شَعيرةً»[١]، وهَذَا لَفْظ أَحْمَد، ولَفْظ مُسْلمٍ ونَحْوه.

ولَفْظ البُخَاريِّ قَالَ: دَخَلتُ مَعَ أَبي هُرَيرة دارًا بالمَدينَة، فَرأىٰ في أعْلَاها مُصوِّرًا يُصوِّر، فقَالَ: سَمعتُ رَسُولَ الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**ومَنْ أَظْلَمُ ممَّن ذَهَب يَخلق كخَلْقي، فَلْيَخْلُقُوا حبَّةً، وَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً**»[٢].

وَرَوَىٰ أيضًا المَرْفوع منه في مَوْضعٍ آخَرَ من «صَحِيحِهِ»[٣] بنحْو روَايَة أَحْمَد ومُسْلم.

وَرَوَاه الإِمَامُ أَحْمَدُ أيضًا، من حَدِيثِ أَبي سَلمةَ عَنْ أَبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ومَنْ أَظْلَمُ ممَّن يَخْلق كخَلْقي، فَلْيَخْلُقُوا بَعُوضَةً، أَوْ لِيَخْلُقُوا ذَرَّةً**»[٤].

وَقَالَ الحَافظُ ابْنُ حَجَرٍ في «فَتْح البَاري»[٥]: «قَوْلُهُ: «**كخَلْقي**»: التَّشبيهُ في فِعْلِ الصُّورة وَحْدها، لَا من كُلِّ الوُجُوه».

وقَالَ أَيْضًا: «نَسَب الخَلْقَ إِلَيْهم عَلَىٰ سَبيل الاسْتهزَاء، أَو التَّشْبيه في الصُّورَة فَقَطْ»[٦].

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٢٣٢) (٧١٦٦)، والبخاري (٥٩٥٣)، ومسلم (٢١١١).

(٢) أخرجه البخاري (٥٩٥٣).

(٣) (٧٥٥٩).

(٤) أخرجه أحمد (٢/ ٢٥٩) (٧٥١٣)، وقال شعيب الأرنؤوط: صحيح، وهذا إسناد حسن.

(٥) (١٠/ ٣٨٦).

(٦) (١٣/ ٥٣٤).

قُلْتُ: وَالأَخيرُ أَقْربُ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

وَفِي هَذَا الحَدِيثِ القُدُسيِّ عدَّة فَوَائد؛ إِحْدَاها: تَحْريمُ التَّصْوير؛ لمَا فيه مِنَ المُضَاهَاة بخَلْق الله تَعَالَىٰ، وذَلكَ مِنْ أعْظَم الظُّلْم.

وقَدْ رَوَىٰ مسلمٌ في «صَحِيحِهِ»، والبُخَاريُّ في «الأَدَب المُفْرد»، وأَبُو دَاوُد الطَّيالسيُّ في «مُسْنده» من حَدِيثِ أَبي ذرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَن النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيمَا يَرْوي عَن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أَنَّه قَالَ: «**يَا عبَادي، إِنِّي حَرَّمتُ الظُّلمَ عَلَىٰ نَفْسي، وَجَعلتُهُ بَيْنكم مُحرَّمًا، فلَا تَظَالَموا**»(١).

قَالَ النَّوويُّ رحمه الله تعَالَىٰ: «قَالَ: أَصْحابُنَا وغَيْرهم من العُلَماء: تَصْويرُ صُورَة الحيَوَان حَرامٌ شديدُ التَّحْريم، وهُوَ من الكَبَائر؛ لأَنَّه مُتوعَّدٌ عَلَيْه بهَذَا الوَعِيدِ الشَّديد المَذْكور في الأَحَادِيثِ، وَسَواء صَنَعه بمَا يُمْتَهن، أَوْ بغَيْره، فَصنعتُهُ حَرامٌ بكلِّ حالٍ؛ لأَنَّ فِيهِ مُضَاهاةً لخَلْق الله، وَسَوَاء ما كَانَ في ثَوْبٍ، أَوْ بِسَاطٍ، أَوْ دِرْهمٍ، أَوْ دِينَارٍ، أَوْ فلسٍ، أَوْ إِنَاءٍ، أَوْ حَائِطٍ، أَوْ غَيْرها»(٢).

قَالَ: «وَلَا فَرْق في هَذَا كُلِّه بَيْن مَا لَهُ ظلٌّ، وَمَا لَا ظلَّ له، هَذَا تَخْليصُ مَذْهبنا في المَسْألة، وبمَعْنَاه قَالَ جَماهيرُ العُلَماء من الصَّحَابَة والتَّابِعِين، ومَنْ بَعْدهم، وهُوَ مَذْهبُ الثَّوريِّ، وَمَالِكٍ، وَأَبِي حَنيفَةَ، وغَيْرهم».

وقَالَ بَعْضُ السَّلَف: إنَّما يُنْهىٰ عمَّا كَانَ له ظلٌّ، وَلَا بأسَ بالصُّورَة الَّتي ليسَ لَهَا ظلٌّ، وهَذَا مَذْهبٌ باطلٌ. انْتَهىٰ.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٧٧)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٤٩٠)، والترمذي (٢٤٩٥).

(٢) «شرح صحيح مسلم» (١٤/ ٨١).

وَسَتأتِي تتمَّة كلامِهِ مَعَ الكَلَام عَلَىٰ حَدِيثِ عَائشَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنهَا إنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَىٰ.

الثَّانية: أَنَّ التَّصْويرَ من الكبَائر كَمَا يدلُّ عَلَىٰ ذَلكَ قَوْلُ اللهِ تَعَالَىٰ فِي هَذَا الحَدِيثِ: «**ومَنْ أَظْلمُ ممَّن ذَهَب يَخلق كخَلْقي**»، وغَيْر ذَلكَ من الأَدلَّة الكَثيرَة كَمَا سَأُنبِّه عَلَىٰ كلٍّ منها فِي مَوْضعه إنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَىٰ.

وقَدْ ذَكَر بَعْضُ الفُقَهاء أَنَّ المُصوِّر لَا تُقْبل شهادتُهُ؛ لأَنَّه فَاسقٌ.

الثَّالثَة: التَّنفيرُ مِنَ التَّصْوير.

الرَّابعَة: الحُكْمُ عَلَىٰ المُصوِّرين بأَنَّهمْ مِن أظْلَم الظَّالِمِينَ؛ لأَنَّهم عَمدُوا إِلَىٰ ما اختصَّ بِهِ الرَّبُّ تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ من الخَلْق والتَّصْوير، فَصَنَعوا عَلَىٰ مثالِهِ ليُضَاهئُوا بخَلْق الله، وذَلكَ جَوْرٌ مِنْهم، ومُجَاوزةٌ للحَدِّ، ووَضْعٌ للشَّيء في غَيْر موضعِهِ، وهَذَا هُوَ حَقيقَةُ الظُّلم كَمَا نصَّ عَلَىٰ ذَلكَ أَئمَّة اللُّغَة، وغَيْرهم من العُلَمَاء.

قَالَ الجَوْهريُّ وغَيْره من أَهْل اللُّغَة: الظُّلْمُ وَضعُ الشَّيء في غَيْر موضعِهِ. زَادَ الرَّاغبُ الأَصْفهانيُّ: إمَّا بنقْصانٍ أَوْ بزيَادَةٍ، وإمَّا بعُدُولٍ عن وَقْته، أَوْ مَكَانه، قَالَ: والظُّلمُ في مُجَاوزة الحقِّ.

وَقَالَ الهَرويُّ، وَابْن الأَثير: أَصْلُ الظُّلْم الجَوْرُ، ومُجَاوزةُ الحَدِّ.

قُلْتُ: وهَذَا القَوْلُ يَرْجع إِلَىٰ مَا قَالَه الجَوْهريُّ؛ لأَنَّ الجَوْرَ ومُجَاوزَةَ الحَدِّ من وَضْع الشَّيء في غَيْر موضعِهِ إذَا كَانَ المُعْتدي عَلَىٰ حُقُوق الخَلْق ظَالمًا جائرًا، فالمُصوِّر أَوْلَىٰ بأَنْ يَكُون ظَالمًا جَائرًا؛ لأَنَّه قَدْ تَعاطَىٰ مَا ليسَ لَهُ بحَقٍّ، وَنَازَع الرَّبَّ تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ فِي أفْعَالِهِ وخَصَائصه الَّتي لَا يُشْركه فيهَا أَحدٌ.

الخَامسةُ: أنَّ فِي وَصْف المُصوِّرين بالظُّلْم العَظيم إشْعَارًا بالوَعِيدِ الشَّديد لهُمْ بدَلِيلِ قَوْل اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الشورى:٢١].

وَفِي «صَحيح مُسْلم»، وَ«سُنَني أَبي دَاوُد، وَابْن مَاجَه»، عَنْ أَبي هُرَيرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ: رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: الكِبْرِيَاءُ ردَائي، والعَظَمَةُ إزَاري، فمَنْ نَازَعني وَاحدًا مِنْهَا، قَذفتُهُ في النَّار**»(١).

وَرَوَىٰ مُسْلمٌ أيضًا من حَدِيثِ أَبي سَعِيدٍ، وَأَبي هُرَيرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَن النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَحْوه(٢).

وَرَوَىٰ الطَّبرانيُّ فِي «الصَّغير»(٣) مِنْ حَدِيثِ عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَن النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَحْوه.

وَهَكَذا الأَمْرُ في المُصَوِّرين لمُشَارَكتهم للمُتَكبِّرين والمُتَعظِّمين في الملَّة الَّتي اقْتضَتْ قَذْفهم في النَّار، وَهِيَ مُنَازعتُهُم للرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فِي خَصَائِصِهِ الَّتي لَا يُشْركه فيهَا أَحدٌ.

وَسَيأتِي النَّصُّ الصَّرِيحُ عَلَىٰ أنَّ كلَّ مُصوِّرٍ في النَّار، وأَنَّه يُجْعَل لَه بكُلِّ صُورَةٍ صَوَّرها نفسٌ يُعذِّب بِهَا فِي جَهنَّم، وأَنَّ المُصوِّرينَ من أَشدِّ النَّاس عَذابًا يَوْم القيَامَة.

السَّادسَة: أنَّ فِي قَوْله: «**فَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً، أَوْ حبَّةً، أَوْ شَعيرةً**»، تَبْكيتًا لهُمْ، وتَعْجيزًا.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٢٠)، وأبو داود (٤٠٩٠)، وابن ماجه (٤١٧٤).

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٢٠).

(٣) (١/ ٢٠٧) (٣٣١)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٩٠٨).

قَالَ النَّوويُّ: مَعْناه: فَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً فيهَا رُوحٌ تَتصرَّف بنفْسها كهَذِهِ الذَّرَّة الَّتي هِيَ خَلْقُ الله تَعَالَىٰ، وكذَلكَ فَلْيَخْلُقُوا حبَّة حِنْطَة، أَوْ شَعير، أيْ: ليَخْلقوا حَبَّة فيها طَعْمٌ تُؤكَل وتُزْرع وتَنْبت، ويُوجَد فيها ما يُوجَد في حبَّة الحِنْطَة والشَّعير، ونَحْوهما من الحبِّ الَّذي يَخْلقه اللهُ تَعالَىٰ، وهَذَا أَمْرُ تَعْجيزٍ[1]. انْتهَىٰ.

السَّابعَة: أَنَّه لَا فَرْقَ بَيْن الصُّور المُجسَّدة، وغَيْر المُجسَّدة، فكلٌّ من النَّوْعين صناعتُهُ حَرامٌ، وظلمٌ عظيمٌ، وهَذَا هُوَ الَّذي فَهِمَهُ أَبُو هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

قَالَ ابْن بَطَّال: فَهِمَ أَبُو هُرَيرة أَنَّ التَّصْويرَ يَتناول مَا لَه ظلٌّ، وَمَا لَيْس لَهُ ظلٌّ، فلهَذَا أنْكَر ما ينقشُ في الحِيطَان.

قُلْتُ: والأَدلَّة عَلَىٰ ما فَهمَهُ أَبُو هُرَيرَة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ كَثيرةٌ في الأَحَادِيثِ الآتيَة، وَسَأُنبِّه عَلَيْها إنْ شَاءَ اللهُ تَعالَىٰ.

الثَّامنة: فِيهِ الرَّدُّ عَلَىٰ صَاحب «الأغْلَال»[2] وأضْرَابه من الزَّنادقَة المَارقين من دِينِ الإِسْلَام، فقَدْ زَعَم عدوُّ الله؛ أَنَّ بني آدَمَ قَدْ يَقْدرون عَلَىٰ خَلْق الإنْسَان وغَيْره من الحيوَان.. قَالَ فِي الصَّفْحة السَّابعة والسِّتِّين من «أغْلَالِهِ»: وإنَّا لنَخْشىٰ أَوْ نَرْجو.

وقَدْ تُحقِّق الأيَّام أيَّ الأَمْرين أحْسَن أنْ يَأْتِي الزَّمنُ الَّذي يُقَال فِيهِ: الإنْسَانُ الصِّناعيُّ، وَالحيوَانُ الصِّناعيُّ، وهَذَا مَا لَا يَزَال العِلْمُ أَمَامه حَيْران عاجزًا، وَلَكنَّه لَمْ يَعْتَرف بالعَجْز، ولَمْ يُفكِّر في الاسْتِسْلَام للإخْفَاق، بَلْ مَا فَتئ يُهَاجم ويُنَاضل، يعزم

---

(١) «شرح صحيح مسلم» (١٤/ ٩١).

(٢) وهو عبد الله بن علي القصيمي، مفكر سعودي، داعية لفكر الإلحاد، ولد سنة ١٩٠٧م، وكتابه يسمىٰ «هذي هي الأغلال»، أنكر فيه وجود الله عز وجل. مات سنة ١٩٩٦م.

مَنْ يعلمُ أَنَّه مُنْتصرٌ لَا مَحالةَ.. هَذَا لَفْظُهُ بحُرُوفه.

وَالجَوابُ أنْ يُقَالَ لَه مَا قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ لأَشْباهِهِ وَسَلفِهِ: ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ [الكهف: ٥].

ويُقَال أيضًا: قَدْ دلَّ الكتَابُ والسُّنَّة، وإجْماعُ المُسْلمين عَلَىٰ أنَّ خَلْقَ جَميع الأَشْيَاء، وَإيجَاد الحَيَاة فِي كُلِّ مَخْلوقٍ حَيٍّ من خَصَائص الرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ الَّتي لا يُشَارِكُهُ فيها أَحدٌ، وهَذَا ممَّا لَا يشكُّ فيه مسلمٌ، وَجَميعُ الأَدْيَان السَّماويَّة مُتَّفقةٌ عَلَىٰ هَذَا.

وقَدْ كَانَ المُشْركون الأَوَّلونَ مُقرِّين به كَمَا أَخْبَرَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بذَلك عَنْهم في آيَاتٍ كَثيرَةٍ من كتابِهِ، فهُمْ أَحْسَنُ حَالًا من صَاحب «الأغْلَال»، وأَضْرَابه من الزَّنادقَة الَّذينَ يُدَنْدنون حَوْل تَشْريك المَخْلوقينَ مَعَ الخَالق فِي خَصَائص الرُّبُوبيَّة.

ويُقَال أيضًا لصَاحِبِ «الأغْلَال»: لَا يشكُّ مُسْلمٌ أنَّ ظنَّك كَاذبٌ، وأنَّ رَجَاءَك خَائبٌ، فلَنْ يَأْتِيَ الزَّمنُ الَّذي توهَّمته بعقْلك الفَاسد أبدًا، ولَنْ يَقْدرَ أَعْداءُ الله عَلَىٰ خَلْق ذَرَّةٍ، وَلَا بَعُوضَةٍ، وَلَا حبَّة شَعيرٍ فضلًا عن خَلْق الإنْسَان، وَلَو اجْتَمَعت الإِنْسُ والجنُّ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقُوا ذرَّةً وَاحدةً، أَوْ حبَّةً وَاحدةً، لمَا قَدَروا عَلَىٰ ذَلكَ، وَلَو جَمَعوا جَميعَ قُوَاهم وأَسْبَابهم.

وقَوْلُ الخَبيث: «وهَذَا ما لَا يَزَالُ العِلْمُ أَمَامَه حَيْران...» إِلَىٰ آخِره، يَعْني بذَلكَ عِلْمَ أَهْل الصِّناعات الكيمَاويَّة.

وَجوابُهُ أنْ يُقَالَ: ولَا يَزَالُ عِلْمهُمْ كذَلكَ حَيْران عاجزًا أبَدَ الآبِدِينَ، ومَنْ شكَّ في هَذَا، فَلَيسَ بمُسْلمٍ.

وكَيْف يَكُون مُسْلمًا مَنْ يشكُّ في تفرُّد الرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بخَصَائص الرُّبُوبيَّة أبدًا

كَمَا كَانَ مُتفرِّدًا بذَلك فِي الأَزَل، وَلَا يشكُّ مُسْلمٌ أنَّ مُهَاجمةَ أعْدَاء الله تَعالَىٰ، ومُنَاضَلَتهم في إيجَاد الحَيَاة سَتَذْهبُ سُدًىٰ، وَلَوْ فَعَلوا منَ الرَّسَائل والأَسْبَاب ما فَعَلوا، فَمَآلُهُم إِلَىٰ العَجْز والإخْفَاق، لَا مَحَالةَ، ومَنْ شكَّ فِي عَجْزهم وإخْفَاقهم فِي هَذَا، فقَدْ[1] شكَّ في وَحْدانيَّة الله تَعالَىٰ، وتَفرُّده بخَصَائص الرُّبُوبيَّة، ومَنْ شكَّ فِي وَحْدانيَّة الله تَعالَىٰ وتَفرُّده بالرُّبُوبيَّة، فهُوَ ضالٌّ كافرٌ.

وقَدْ أَقَام عدوُّ الله الظُّنُونَ الكَاذبَة من الكَفَرة الفَجَرة مَقَام العِلْم المُحقَّق الَّذي لا بُدَّ أنْ يَكُون مَعْلومه، وهَذَا من تَهوُّر الخَبيث وَجَرَاءتِهِ عَلَىٰ الله تَعالَىٰ، وجَهْله بعَظَمته، وجَلَاله، وكِبْريائِهِ، وتَفرُّده بالخَلْق والأَمْر، فَلَا شَريكَ لَهُ فِي رُبُوبيَّته، وَلَا فِي أُلُوهيَّته، وَلَا فِي أَسْمائِهِ، وصِفَاتِهِ، وأَفْعَالِهِ.

ومَنْ ظَنَّ أَوْ رَجَا أنْ يَكُون لله شُرَكاء في رُبُوبيَّته، وأَفْعَاله، يَخْلقون أَنَاسيَّ وحَيَوانَات مثْلَ مَخْلُوقَاته، فَمَا قَدَر اللهَ حَقَّ قَدْره، وَمَن اغْترَّ بظُنُون أعْدَاء الله تَعالَىٰ، وَجَعَلَها علمًا مُحقَّقًا لا بُدَّ أنْ يكُون مَعْلومه، فهُوَ من أحْمَق النَّاس، وأَقلِّهم عقلًا، ولَيْس وَرَاء جَهْله وغُرُوره جَهْلٌ وغُرُورٌ، فالحَمْد لله الَّذي عَافَانِي وإخْوَانِي المُسْلمين ممَّا ابْتلَىٰ بِهِ صَاحبَ «الأغْلَال» وأمْثَاله، ونَسْأَلُهُ تَعالَىٰ أَلَّا يُزيغَ قُلُوبنا بَعْد إذْ هَدَانا، وأَنْ يهبَ لَنَا مِنْ لَدُنْه رَحْمةً، إنَّه هُوَ الوَهَّابُ.

الحَدِيثُ الثَّانِي عَنْ عَائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وَلَه أَرْبعُ طُرُقٍ:

الطَّريق الأُولَىٰ: عَن القَاسم بن مُحمَّد، عَنْها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وقَدْ رُوِيَ عَن القَاسم مِنْ خَمْسة أَوْجهٍ:

---

(١) سقط من المطبوع.

الوَجْه الأَوَّل: عَنْ عَبْد الرَّحمن بن القَاسم، عَنْ أَبِيهِ أَنَّه سَمعَ عَائشةَ رَضِيَٱللَّهُعَنهَا تَقُولُ: دَخل عَليَّ رَسُولُ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ وقَدْ سَترتُ سَهْوةً لي بقِرَامٍ فِيهِ تَماثيلُ، فلَمَّا رَآه هَتكَه، وتلوَّن وَجْهُهُ، وَقَالَ: «**يَا عَائشةُ، أَشدُّ النَّاس عَذابًا عندَ الله يَوْم القيَامَة الَّذينَ يُضَاهون بخَلْق الله**». قَالَتْ عَائشةُ رَضِيَٱللَّهُعَنهَا: فَقطَّعناه، فَجَعَلنا منهُ وِسَادةً أَوْ وِسَادَتَين.. رَوَاه الإِمَامُ أَحْمَدُ، والشَّيْخَان، والنَّسَائيُّ، وابْن مَاجَه، وهَذَا لَفْظ مُسْلمٍ(١).

وفِي رِوَايَة النَّسَائيِّ: «بقِرَامٍ فِيهِ تَصَاوير»(٢).

وَفِي رِوَاية ابْن مَاجَه: «بسِتْرٍ فِيهِ تَصَاوير»(٣).

وَفِي رِوَايةٍ لمُسْلم: قَالَتْ: دَخل النَّبيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ عَليَّ وقَدْ سَترتُ نمطًا فِيهِ تَصَاوير، فنحَّاه، فَاتَّخذتُ مِنْهُ وِسَادَتَين(٤).

وَفِي رِوَايةٍ لَهُ: وللنَّسائيِّ أَنَّها نَصَبتْ سترًا فِيهِ تَصَاويرُ، فَدَخل رَسُولُ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، فنزَعَه، قَالَتْ: قَطعتُهُ وِسَادَتين، فَقَالَ رَجلٌ فِي المَجْلس حِينَئذٍ يُقَال لَه: رَبيعَة بن عَطَاء مَوْلىٰ بني زُهْرة: أَفَمَا سَمِعْتَ أَبَا مُحمَّد يَذْكر أَنَّ عَائشَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنهَا

---

(١) أخرجه أحمد (٦/ ٣٦) (٢٤١٢٧)، والبخاري (٥٩٥٤)، ومسلم (٢١٠٧)، والنسائي (٥٣٥٦)، وابن ماجه (٣٦٥٣)، ومن غريب الحديث: «سهوة»: السهوة: النافذة بين الدارين، وقيل: هي الصفة تكون بين يدي البيت، وقيل: هي صفة صغيرة كالمخدع. «بقرام»: القرام: الستر. «يضاهون»: المضاهاة: المشابهة والمماثلة.

(٢) (٥٣٥٦).

(٣) (٣٦٥٣).

(٤) (٢١٠٧).

قَالَتْ: فَكَانَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَرْتفق عَلَيْهما[١].

قَالَ ابْنُ القَاسم: لا قَالَ، لَكنِّي قَدْ سَمعتُهُ يُرِيدُ القَاسمَ بن مُحمَّد.. هَذَا لَفْظ مُسْلم.

وفِي رِوَايةٍ لَه وللنَّسائيِّ: قَالَت: كَانَ في بَيْتي ثَوْبٌ فِيهِ تَصاوير، فَجَعلتُهُ إِلَىٰ سَهْوةٍ فِي البيْت، فكَانَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصلِّي إلَيْه، ثمَّ قَامَ: يَا عَائشةُ، أَخِّريه عنِّي، فَنزَعته فجَعَلته وَسَائدَ[٢].

وَرَوَاه أَبُو دَاوُدَ الطَّيالسيُّ فِي «مُسْنده»[٣] بنحْوه.

الوَجْه الثَّانِي: عَن الزُّهريِّ، عَن القَاسم بن مُحمَّد عَنْ عَائشةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: «دَخَل عَليَّ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأَنَا مُتَستِّرة بقِرَامٍ فيه صُورَةٌ، فتلوَّن وَجْهه، ثمَّ تَناوَل السِّتْر فهتَكَه، ثمَّ قَالَ: «**إنَّ من أَشدِّ النَّاس عَذابًا يَوْم القيَامَة الَّذينَ يُشبِّهون بخَلْق الله**»، رَوَاه مُسْلمٌ، والنَّسَائيُّ، وهَذَا لَفْظ مُسْلمٍ[٤].

الوَجْه الثَّالث: عَنْ نَافع، عَن القَاسم بن مُحمَّد، عَنْ عَائشةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا زَوْج النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّها أخْبَرته أنَّهَا اشْتَرت نُمْرقةً فيها تَصاويرُ، فلَمَّا رَآهَا رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَامَ عَلَىٰ البَاب، فلَمْ يَدْخل، فَعَرفت فِي وَجْهه الكَراهيَة، قَالَتْ: يا رَسُولَ الله، أَتُوبُ إِلَىٰ الله، وإِلَىٰ رَسُولِهِ، مَاذَا أَذْنَبتُ؟ قَالَ: «**مَا بَالُ هَذِهِ النُّمْرقة؟**»،

---

(١) (٥٣٥٥).

(٢) أخرجه مسلم (٢١٠٧)، والنسائي (٥٣٥٤).

(٣) (٣/ ٤٤) (١٥٢٦).

(٤) أخرجه مسلم (٢١٠٧)، والنسائي (٥٣٥٧).

فَقَالتْ: اشْتَريتها لتَقْعد عَلَيْها وَتَوسَّدها، فقَالَ رَسُولُ الله صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**إنَّ أَصْحابَ هَذِهِ الصُّور يُعذَّبون يَوْم القِيَامَة، ويُقَال لهُمْ: أَحْيُوا ما خَلقتُمْ**»، وقَالَ: «**إنَّ البَيْتَ الَّذي فيه الصُّورُ لا تَدْخله المَلائكةُ**»، رَوَاه مَالكٌ، وَالشَّيْخان، وَأَبُو دَاوُد الطَّيالسيُّ في «مُسْنَده»(١).

وَرَوَىٰ النَّسَائيُّ، وَابْن مَاجَه منه قَوْله: «**إنَّ أَصْحابَ الصُّوَر يُعذَّبون يَوْم القِيَامَة، ويُقَال لهُمْ: أَحْيُوا ما خَلَقتُمْ**»(٢).

وفِي رِوَايةٍ للبُخَاريِّ: أَنَّ النَّبيَّ صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لمَّا رَأىٰ التَّماثيلَ قَامَ بَيْن البَابَيْن، وَجَعَل يَتغيَّر وَجْهه(٣).

وفِي رِوَايةٍ لمُسْلم قَالَتْ: فَأَخذتُهُ فَجَعلتُهُ مرفقَتيْن، فكَانَ يَترفَّق بِهِما فِي البَيْت(٤).

الوَجْه الرَّابع: عَنْ سِمَاكٍ عَن القَاسم بن مُحمَّد عَنْ عَائشَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنهَا زَوْج النَّبيِّ صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أَنَّها قَالَتْ: «**إنَّ أَشدَّ النَّاس عذابًا يَوْم القِيَامَة الَّذينَ يُضَاهون الله في خَلْقه**»(٥)، رَوَاه النَّسَائيُّ هَكَذا مَوْقوفًا، وَلَه حُكْم الرَّفع كنَظَائره.

---

(١) أخرجه مالك (٢/ ٩٦٦) (١٧٣٦)، والبخاري (٥١٨١)، ومسلم (٢١٠٧)، وأبو داود الطيالسي (٣/ ٤٥) (١٥٢٨).

(٢) أخرجه النسائي (٥٣٦٢)، وابن ماجه (٢١٥١).

(٣) أخرجه البخاري (٣٢٢٤).

(٤) أخرجه مسلم (٢١٠٧).

(٥) أخرجه النسائي (٥٣٦٣)، وصححه الألباني.

الوَجْه الخَامسُ: عَنْ رَبيعةَ بن عَطَاء مَوْلىٰ بني زُهْرة، عَن القَاسم بن مُحمَّد، عَنْ عَائشَة رَضِيَٱللَّهُعَنهَا، وقَدْ تَقدَّمت هَذِهِ الرِّواية مَعَ الرِّوايَة الثَّالثة من روَايَات عَبْد الرَّحْمن بن القَاسم عَنْ أَبِيهِ.

الطَّرِيق الثَّانية: عَنْ هشَام بن عُرْوة، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائشةَ رَضِيَٱللَّهُعَنهَا قَالَتْ: قَدمَ النَّبيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ من سَفَرٍ، وَعَلَّقتُ دُرْنُوكًا[1] فيه تَمَاثيلُ، فأَمَرني أنْ أَنْزعَه فَنَزعتُهُ.. مُتَّفقٌ عَلَيْه[2]، وهَذَا لَفْظ البُخَاريِّ.

ولَفْظ مُسْلم قَالَتْ: قَدمَ رَسُولُ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ من سَفرٍ، وقَدْ سَترتُ عَلَىٰ بَابي دُرْنوكًا فيه الخَيْلُ ذَوَات الأجْنحَة، فأَمَرنِي فَنزعتُهُ.

وقَدْ رَوَاه النَّسَائيُّ بنحْو رِوَايَة مُسْلمٍ[3].

الطَّرِيقُ الثَّالثة: عَنْ سَعْد بن هشَام، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنهَا قَالَتْ: كَانَ لَنَا سِتْرٌ فِيهِ تمثالُ طائرٌ، وكَانَ الدَّاخلُ إذَا دَخل اسْتَقْبله، فَقَالَ لي رَسُولُ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**حَوِّلي هَذَا، فإنِّي كُلَّما دَخلتُ فَرَأيتُهُ، ذَكَرتُ الدُّنيا**»، رَوَاه مسلمٌ والنَّسَائيُّ[4].

وَرَوَاه التِّرمذيُّ بمَعْناه، وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ حسنٌ صحيحٌ غريبٌ من هَذَا الوَجْه[5].

---

(١) «درنوكًا»: بضم الدال وفتحها، حكاهما القاضي وآخرون، والمشهور ضمها، ويقال فيه: درموك، وهو ستر له خمل، وجمعه درانك.

(٢) أخرجه البخاري (٥٩٥٥)، ومسلم (٢١٠٧).

(٣) أخرجه النسائي (٥٣٥٢).

(٤) أخرجه مسلم (٢١٠٧)، والنسائي (٥٣٥٣).

(٥) أخرجه الترمذي (٢٤٦٨).

الطَّرِيق الرَّابعة: عَنْ زَيْد بن خَالدٍ الجُهَني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ عَائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

وسَتَأتِي هَذِهِ الرِّوايةُ مَعَ حَدِيثِ أَبي طَلْحة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَقَد اشْتَمَل حَدِيثُ عَائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عَلَىٰ فَوائدَ كَثيرَةٍ:

إِحْدَاها: تَحْريم التَّصْوير.

ويُسْتَفاد ذَلكَ من إنْكَار النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لنَصْب السِّتر الَّذي فِيهِ الصُّور، ومِنْ هَتْكه له، وَمِنْ تَلوُّن وَجْهه لمَّا رَآه، وَمِنَ الوَعِيدِ الشَّديد للمُصوِّرين.

الثَّانيةُ: أَنَّه من الكَبَائر؛ لمَا جاءَ فيه من الوَعِيدِ الشَّديد.

الثَّالثةُ: أنَّ علَّة التَّحْريم هي المُضَاهاة بخَلْق الله تَعَالَىٰ، وذَلكَ من أعْظَم الظُّلْم كَمَا تَقدَّم في حَدِيثِ أَبي هُريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

والمُضَاهَاة هيَ المُشَابَهة والمُمَاثلة.

وللتَّحْريم علَّةٌ أُخْرىٰ، وَهِيَ أَنَّ التَّصْويرَ ذَريعةٌ إِلَىٰ عبادَة الصُّور كَمَا وَقَع ذَلكَ لقَوْم نُوحٍ وللنَّصَارىٰ، وغَيْرهم مِنَ المُشْركينَ.

والذَّرائع لهَا حُكْمُ الغَايَات كَمَا هُوَ مُقرَّرٌ عندَ الأُصُوليِّين.

وللتَّحريم أيضًا علَّةٌ ثَالثةٌ، وَهِيَ التَّشبُّه بالنَّصَارىٰ والمُشْركين، وَاتِّبَاع سُنَّتهم، وقَدْ ثَبتَ عن النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّه قَالَ: «**مَنْ تَشبَّه بقومٍ، فهُوَ مِنْهم**»(١).

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٠٣١) من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٦١٤٩).

وكلُّ وَاحِدَةٍ من هَذِهِ العلَل الثَّلاث تَكْفي وَحْدها فِي تَحْريم التَّصْوير، فكَيْف وَقَد اجْتمعَتْ كُلُّها فيه؟! فهَذَا ممَّا يزيدُ التَّحريمَ شدَّةً وتغليظًا، واللهُ أَعْلَمُ.

الرَّابعةُ: أَنَّه لَا فَرْقَ فِي تَحْريم التَّصْوير بَيْن أنْ تكُونَ الصُّور مُجسَّدة، أَوْ غَير مُجسَّدة؛ لأنَّ الَّذي أنْكره النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي هَذَا الحَدِيثِ كَانَ غَيْر مُجسَّدٍ، فَفِيهِ ردٌّ عَلَىٰ مَنْ زَعَم أَنَّ التَّحريمَ خاصٌّ بالصُّوَر المُجسَّدة كَمَا يَقُول كثيرٌ من أَهْل الجَهْل المُركَّب فِي زَمَاننا، وقَدْ قَالَ ذَلكَ أناسٌ قَبْلهم.

قَالَ النَّوويُّ[1]: وهُوَ مَذْهبٌ باطلٌ، فإنَّ السِّترَ الَّذي أنْكرَ النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصُّورَة فيه لَا يشكُّ أَحدٌ أَنَّه مَرْقومٌ، وليسَ لصُورتِهِ ظلٌّ مَعَ بَاقي الأَحَادِيثِ المُطْلقة في كلِّ صورةٍ.

وقَالَ الزُّهريُّ: النَّهيُ في الصُّورة عَلَىٰ العُمُوم، وَكَذَلكَ اسْتعمَال ما هِيَ فِيهِ، ودُخُول البَيْت الَّذي هي فِيهِ؛ سَوَاء كَانَت رقمًا في ثوبٍ، أَوْ غَيْر رقمٍ، وَسَواء كَانَتْ في حَائِطٍ، أَوْ ثَوْبٍ، أَوْ بِسَاطٍ مُمْتهن، أَوْ غَيْر مُمْتهن؛ عَملًا بظَاهِرِ الأَحَادِيثِ لَاسيَّما حَدِيثُ النُّمْرقة[2].

قَالَ: وهَذَا مَذْهبٌ قويٌّ. انْتهَىٰ.

وقَالَ الحَافظُ ابْن حَجَر في الكَلَام عَلَىٰ حَدِيثِ النُّمْرقة: يُسْتَفاد منه أَنَّه لا فَرْق في تَحْريم التَّصْوير بَيْن أن تكُون الصُّورَة لَهَا ظلٌّ، أَوْ لَا، وَلَا بَيْن أَنْ تكُون مَدْهونةً، أَوْ

---

(١) في «شرح صحيح مسلم» (١٤/ ٨٢).

(٢) النمرقة: بضم النون والراء وبكسرهما: الوسَادة.

مَنْقُوشةً، أَوْ مَنْقورةً، أَوْ مَنْسوجةً؛ خلافًا لمَن اسْتَثْنىٰ النَّسجَ، وادَّعىٰ أَنَّه ليسَ بتَصْويرٍ(١). انْتهَىٰ.

الخَامسَة: الغَضبُ، وتَسعُّر الوَجْه عند رُؤْية المُنْكر.

السَّادسةُ: كَرَاهة دُخُول البَيْت الَّذي فيه صورةٌ.

السَّابعةُ: إنْكَار المُنْكر بحَسَب القُدْرة، فمَنْ قَدَر عَلَىٰ التَّغيير بيدِهِ، فذَلكَ هُوَ الواجبُ عَلَيْه، كَمَا فعل النَّبيُّ ﷺ في هَتْك السِّتْر بيدِهِ الكَريمَة، وَلَا يَكْفي الإنْكَارُ باللِّسان لمَنْ قَدَر عَلَىٰ الإنْكَار باليَد، ومَنْ لَمْ يَسْتَطع بيدِهِ فبِلِسَانِهِ، فإنْ لَمْ يَسْتَطع فبِقَلْبه.

الثَّامنةُ: هَتْك الصُّور، وطَمْسها أيْنَما وُجدَت، وَسَواء فِي ذَلكَ الصُّور المُجسَّدة وغَيْر المُجسَّدة.

وقَدْ حُكي الإجْمَاع عَلَىٰ مَنْع المُجسَّدة، ووُجُوب تَغْييرها غَيْر واحدٍ من العُلَماء، وَمِنْهم النَّوويُّ، وابْنُ العربيِّ المالكيُّ.

قَالَ ابْنُ العربيِّ: وَسَواء كَانَت ممَّا يُمْتهن أَمْ لَا.

وقَرَّر الإمَامُ أَبُو العباس ابْن تيمية -رَحمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ- تَغْيير الصُّورة المُجسَّمة وغَيْر المُجسَّمة، قَالَ: «وكلُّ ما كَانَ من العَيْن، أَو التَّأليف المُحرَّم، فإزالتُهُ وتَغْييرُهُ مُتَّفقٌ عَلَيْها بَيْن المُسْلمين، مثلَ إرَاقَة خَمْر المُسْلم، وتَفْكيك آلَات المَلَاهي، وتَغْيير الصُّوَر المُصوَّرة، وإنَّما تَنازَعوا في جَوَاز إتْلَاف مَحلِّها تبعًا للحَال، والصَّوابُ جوازُهُ

---

(١) «فتح الباري» (١٠/ ٣٩٠).

كَمَا دلَّ عَلَيْه الكتَابُ والسُّنَّة، وإجْمَاع السَّلَف، وهُوَ ظَاهرُ مَذْهب مَالِكٍ، وأَحْمَد، وغَيْرهما»[١]. انْتهَىٰ كَلامُهُ رحمه الله تَعالَىٰ.

وعُمُوماتُ الأَحَادِيثِ الَّتي تَقدَّمت، والَّتي سَتَأتي تَقْتضي التَّسوية بَيْن المُجسَّدة وغَيْر المُجسَّدة في المَنْع من صِناعَتها، ووُجُوب تَغْييرها إذَا وُجدَت الأَمَاكن في بِسَاطٍ ونَحْوه ممَّا يُدَاس بالأَرْجل، وكذَلكَ ما يَكُون فيما يُمْتَهن بالاسْتعمَال كالوَسَائد ونَحْوها، فهَذِهِ وإنْ أمْكَن نَقْضها بدون نَقْضٍ يلحقُ ما هي فِيهِ نقضَتْ، والدَّليلُ عَلَىٰ ذَلكَ فِعْلُ النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا سَيأتِي في حَدِيثِ عَائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَكُنْ يَتْرك في بَيْته شيئًا فِيهِ تَصَاليبُ إلَّا نَقَضه[٢].

وفِي رِوَايَةٍ: «تَصَاوير» بَدَل «تَصَاليب».

وإنْ لَمْ يُمْكن نَقْضها، وأمْكَن لَطْخ الرَّأس بخِيَاطَةٍ، أَوْ صبغٍ، أَوْ غَيْره ممَّا يَطْمسه، فإنَّه يلطخُ؛ لأنَّ فِي ذَلكَ تغييرًا للصُّورة، والدَّليلُ عَلَىٰ ذَلكَ أَمْر النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا سَيأتِي في حَدِيثِ عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **«لا تَدعْ صُورةً إلَّا طَمَستها»**[٣].

وفِي رِوَايَةٍ: **«إلَّا لَطَختَها»**[٤].

وإنْ لَمْ يُمْكن نَقْضها، ولَا لَطْخها، تُركَتْ بشَرْط أنْ تُبْتذَل وتُمْتهنَ.

قَالَ النَّوويُّ: وأمَّا اتِّخاذ المُصوِّر فيه صُورةَ حيوَان، فإنْ كَانَ مُعلقًا عَلَىٰ حَائطٍ،

---

(١) «مجموع الفتاوىٰ» (٢٨/ ١١٨).

(٢) أخرجه البخاري (٥٩٥٢).

(٣) أخرجه مسلم (٩٦٩).

(٤) أخرجه أحمد (١/ ٨٧) (٦٥٧)، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده ضعيف.

أَوْ ثوبًا ملبوسًا، أَوْ عمامةً، ونَحْو ذَلكَ ممَّا لا يعدُّ ممتهنًا، فَهُوَ حرامٌ، وإنْ كَانَ في بساطٍ يُدَاس، ومخدَّة ووسَادَة، ونَحْوها ممَّا يُمْتهن، فليسَ بحَرَامٍ.

قُلْتُ: والدَّليلُ عَلَىٰ ذَلكَ رِوَايَةُ رَبيعَة بن عَطَاء عَن القَاسم بن مُحمَّد.

وَمَا رَوَاه مسلمٌ في حَدِيثِ النُّمْرقة، وغَيْر ذَلكَ من الرِّوَايات الَّتي تَقدَّمت في حَدِيثِ عَائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنهَا، وَمَا سَيأتِي في رِوَايَة زَيْد بن خالدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ، عَنْ عَائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنهَا.

وَكذَلكَ حَدِيثُ أَبي هُرَيرة رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ في قصَّة جِبْريلَ، كَمَا سَيأتِي إنْ شاءَ اللهُ تَعَالَىٰ، وَمَا ذَكرتُهُ ههنا فيه جَمْعٌ بَيْن الأَحَادِيثِ، وَاللهُ أَعْلمُ.

التَّاسعَة: جَوازُ القُعُود والاتِّكَاء عَلَىٰ ما فِيهِ صورةٌ إذَا لَمْ يُمْكن طَمْسها؛ لأنَّ فِي وَطْء الصُّورة، والقُعُود والاتِّكاء عَلَيْها ابتذالًا وامتهانًا لَهَا.

العَاشرَة: شدَّة الوَعِيدِ للمُصوِّرين.

الحَاديَة عَشْرة: تكْليفهم بمَا لَا يَقْدرون عَلَيْه من نَفْخ الرُّوح فيمَا صَوَّروه، والقَصْد من ذَلكَ طُول تَعْذيبهم، وإِظْهَار عَجْزهم.

قَالَ النَّوويُّ: «وأمَّا قَوْله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ويُقَال لهُمْ: أَحْيوا ما خَلقتُمْ**»(١)، فهُوَ الَّذي يُسمِّيه الأُصوليُّون: أَمْر تَعْجيزٍ؛ كقَوْله تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ﴾ [هود: ١٣]»(٢) انْتهَىٰ.

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) «شرح صحيح مسلم» (١٤/ ٩٠).

الثَّانية عَشرة: فِيهِ الرَّدُّ عَلَىٰ صَاحب «الأغْلَال» وأَضْرَابه من الزَّنادقَة الَّذينَ يَخْشون أوْ يَرْجون أن يَقْدر المُصوِّرون عَلَىٰ نَفْخ الرُّوح فِي تَصَاويرهم.

الثَّالِثَة عَشْرة: قَالَ الحَافظُ ابْن حَجَرٍ: «إنَّ فِي قَوْله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**إنَّ أصْحَابَ هَذِهِ الصُّور يُعذَّبون يَوْم القيَامَة**» اهْتمَامًا بالزَّجْر عن اتِّخَاذ الصُّور؛ لأَنَّ الوَعيدَ إذَا حَصَل لصَانعها، فَهُوَ حاصلٌ لمُسْتَعملها؛ لأَنَّها لا تُصْنَع إلَّا لتُسْتَعمل، فَالصَّانعُ مُتسبِّبٌ، والمُسْتعملُ مُبَاشرٌ، فيَكُون أوْلَىٰ بالوَعِيدِ»(١) انْتهَىٰ.

الرَّابعَة عَشْرة: امْتنَاع المَلَائكة من دُخُول البَيْت إذَا كَانَ فِيهِ صورةٌ.

ولَا فَرْق في هَذَا بَيْن أن تكُونَ الصُّورةُ مُجسَّمةً، أَوْ غَيْر مُجسَّمةٍ؛ لأنَّ «أَلْ» للاسْتغرَاق، فتَعمُّ كلَّ صُورةٍ مُحرَّمة الصَّنعة والاتِّخَاذ.

وكذَلكَ النَّكرَة في قَوْله: «**لا تَدْخل المَلَائكَةُ بيتًا فيه صُورَةٌ**»، تَقْتضي العُمُوم أيضًا؛ لأنَّها في سيَاق النَّفْي، فتعمُّ كُلَّ صُورَةٍ من صُوَر ذَوَات الأَرْوَاح.

قَالَ الخَطَّابيُّ فِي الكَلَام عَلَىٰ هَذَا الحَدِيثِ: «وأمَّا الصُّورَة، فَهِيَ كُلُّ صُورَة من ذَوَات الأَرْوَاح كَانَت لَهَا أشْخَاص مُنْتصبَة، أَوْ كَانَت مَنْقوشةً فِي سَقْفٍ، أَوْ جِدَارٍ، أَوْ مَصْنوعة في نمطٍ، أَوْ مَنْسُوجَة في ثوبٍ، أوْ ما كَانَ، فإنَّ قَضيَّة العُمُوم تَأْتِي عَلَيْه فَلْيُجْتنب»(٢). انْتهَىٰ.

وقَدْ ذَكَر القُرْطُبيُّ والنَّوويُّ سَببَ امْتنَاع المَلَائكَة من دُخُول البَيْت الَّذي فِيهِ الصُّورَة..

---

(١) «فتح الباري» (١٠/ ٣٩٠).

(٢) «معالم السنن» (١/ ٧٥).

فَأَمَّا القُرْطُبيُّ فقَالَ في «المُفْهم»[(١)]: «إنَّما لَمْ تَدْخل المَلَائكَةُ البيتَ الَّذي فيه الصُّورَة؛ لأنَّ مُتَّخذها قَدْ تَشبَّه بالكُفَّار؛ لأنَّهم يَتَّخذون الصُّور في بُيُوتهم، ويُعظِّمونها، فكَرهت المَلَائكَةُ ذَلكَ، فلَمْ تَدْخل بَيْته هجرًا له لذَلكَ». انْتهَىٰ.

وَأَمَّا النَّوويُّ فَقَالَ في «شَرْح مُسْلم»[(٢)]: «قَالَ العُلَماءُ: سَببُ امْتناعهم من بَيْتٍ فيه صُورَةٌ، كَوْنها مَعْصيَةً فَاحشَةً، وَفيهَا مُضَاهَاة لخَلْق الله تَعَالَىٰ، وبَعْضها في صُورَة ما يُعْبد من دُون الله تَعَالَىٰ، فعُوقِبَ مُتَّخذها بحِرْمانِهِ دُخُول المَلَائكَة بَيْته، وَصَلَاتها فِيهِ، وَاسْتغفَارها لَه، وتَبْريكها عَلَيْه، وَفِي بَيْته، ودَفْعها أَذَىٰ الشَّيْطان». انْتهَىٰ.

الحَدِيثُ الثَّالث: عَنْ أَنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «كَانَ قِرَامٌ لعَائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَدْ سَترت به جَانبَ بَيْتها، فَقَالَ النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«أَمِيطِي عنِّي قِرَامَك هَذَا، فإِنَّه لا تَزالُ تَصَاويرُهُ تَعْرض لي في صَلاتِي»**، رَوَاه الإِمَامُ أَحْمَدُ، والبُخَاريُّ[(٣)].

قَالَ الطِّيبيُّ: «فِيهِ إيذانٌ بأَنَّ للصُّور والأَشْياء الظَّاهرة تأثيرًا في القُلُوب الطَّاهرة، والنُّفُوس الزَّكيَّة»، يَعْني فضلًا عَمَّن دُونَهَا[(٤)].

قُلْتُ: وهَذَا الحَدِيثُ شَبيهٌ بالرِّواية الأَخيرَة عن عَبْد الرَّحمن بن القاسم، عَنْ أَبيه، عَنْ عَائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

---

(١) (٤/ ١١٩).

(٢) (١٤/ ٨٤).

(٣) أخرجه أحمد (٣/ ١٥١) (١٢٥٥٣)، والبخاري (٣٧٤). و«القرام» بكسر القاف وتخفيف الراء: ستر رقيق من صوف ذو ألوان، و«أميطي»: أزيلي؛ وزنًا ومعنىً.

(٤) انظر: «مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٢/ ٤٧٣).

وَشَبيهٌ أيضًا بِرِوَايَة سَعْد بن هشام عَنْها رَضِيَٱللَّهُعَنهَا.

وَظَاهرُ هَذِهِ الرِّوَايات أَنَّ النَّبيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ كَانَ قَدْ أَقرَّها عَلَىٰ نَصْب القرَام في أوَّل الأَمْر، ثمَّ أَمَرها بَعْد ذَلكَ بنزْعه، فَعَلَىٰ هَذَا يَكُون الأمرُ بالنَّزْع ناسخًا للإِقْرَار.

قَالَ النَّوويُّ في الجَوَاب عن إقْرَاره لها: «هَذَا مَحْمولٌ عَلَىٰ أَنَّه كَانَ قَبْل تَحْريم اتِّخاذ ما فِيهِ صُورَةٌ، فلهَذَا كَانَ رَسُولُ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ يَدْخل وَيَراه، ولَا يُنْكره قَبْل هَذِهِ المرَّة الأَخيرَة»(١). انْتهَىٰ.

الحَدِيثُ الرَّابع: عَنْ عَبْد الله بن عُمَر رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قَالَ: «**إِنَّ الَّذينَ يَصْنعون هَذِهِ الصُّور يُعذَّبون يَوْم القيَامَة، يُقَال لهُمْ: أَحْيوا ما خَلقتُمْ**»، رَوَاه الإِمَامُ أَحْمَدُ، والشَّيْخان، والنَّسَائيُّ(٢).

وفِي هَذَا الحَدِيثِ من الفَوَائد: تَحْريم التَّصْوير، وأَنَّه من الكَبَائر، وتَعْذيب المُصوِّرين يَوْم القيَامَة، وتكْليفهم بما يَظْهر به عَجْزهُمْ، والرَّدُّ عَلَىٰ «صَاحب الأغْلَال»، وأَشْبَاهه، وأَنَّه لا فَرْقَ بَيْن الصُّوَر المُجَسَّمة، وغَيْر المُجَسَّمة؛ لأَنَّ «أَلْ» للاسْتغرَاق، فتَعمُّ، كَمَا تَقدَّم التَّنبيه عَلَىٰ ذَلكَ قريبًا.

الحَدِيثُ الخَامسُ: عَنْ أَبِي الضُّحىٰ مُسْلم بن صبيح قَالَ: كنَّا مَعَ مَسْروق في دَار يَسَار بن نُمير، فَرَأىٰ في صُفَّتِهِ تَمَاثيل، فَقَالَ: سَمعتُ عَبْدَ الله رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ قَالَ: سَمعتُ النَّبيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ يَقُول: «**إنَّ أَشدَّ النَّاس عذابًا عندَ الله يَوْم القيَامَة المُصوِّرون**»، رَوَاه الإِمَامُ

(١) «شرح صحيح مسلم» (١٤/ ٨٧).

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ٤) (٤٤٧٥)، والبخاري (٥٩٥١)، ومسلم (٢١٠٨)، والنسائي (٥٣٦١).

أَحْمَدُ، وَالشَّيْخان، والنَّسَائيُّ، وهَذَا لَفْظ البُخَارِيِّ[١].

وفِي رِوَايَةٍ لأَحْمَد ومُسْلم، عَنْ مُسْلم بن صبيح قَالَ: كُنْتُ مَعَ مَسْروق فِي بَيْتٍ فِيهِ تَمَاثيلُ مَرْيمَ، فقَالَ مَسْروقٌ: هَذِهِ تَمَاثيلُ كِسْرَىٰ. فقُلْتُ: لَا، هَذِهِ تَمَاثيلُ مَرْيم. فقَالَ مَسْروقٌ: أمَا إِنِّي سَمعتُ عبدَ الله بن مَسْعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُول: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَشدُّ النَّاس عَذابًا يَوْم القيَامَة المُصوِّرون**»[٢].

وفِي رِوَايَةٍ لهُمَا أيضًا: «إنَّ من أَشدِّ أَهْل النَّار يَوْم القيَامَة عَذابًا المُصوِّرون»[٣].

وَفِي هَذَا الحَدِيثِ من الفَوَائد: تَحْريم التَّصْوير، وأَنَّه من الكَبَائر، وَشدَّة الوَعِيدِ للمُصوِّرين، وأَنَّهمْ من أَشدِّ أَهْل النَّار عَذابًا، وأَنَّه لَا فَرْقَ بَيْن تَصْوير ما له ظلٌّ، وَمَا لَا ظلَّ له.

قَالَ الخَطَّابيُّ: «إنَّما عَظمَتْ عُقُوبةُ المُصوِّر؛ لأَنَّ الصُّور كَانَتْ تُعْبد من دون الله، ولأَنَّ النَّظرَ إِلَيْها يَفْتن، وبَعْض النُّفُوس إِلَيْها تَميلُ».

قَالَ: «والمُرَادُ بالصُّور هنا التَّماثيلُ الَّتي لها رُوحٌ». انْتهَىٰ.

الحَدِيثُ السَّادسُ: عَنْ أَبي وَائلٍ، عَنْ عَبْد الله بن مَسْعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**أَشدُّ النَّاس عَذَابًا يَوْم القيَامَة رجلٌ قَتلَه نبيٌّ، أَوْ قَتلَ نَبيًّا، وإِمَام**

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٣٧٥) (٣٥٥٨)، والبخاري (٥٩٥٠)، ومسلم (٢١٠٩)، والنسائي (٥٣٦٤). «صفته»: هي المكان المظلل والبهو الواسع العالي السقف. «تماثيل»: صور بشر وحيوانات، ولا يشترط أن تكون ذات أبعاد ثلاثة، بل تنطبق علىٰ ما يرسم باليد، أو يثبت شكله وخلقته بواسطة آلة.

(٢) أخرجه أحمد (١/ ٣٧٥) (٣٥٥٨)، ومسلم (٢١٠٩).

(٣) أخرجه أحمد (١/ ٤٢٦) (٤٠٥٠)، ومسلم (٢١٠٩).

ضَلَالةٍ، ومُمثِّل من المُمثِّلين»، رَوَاه الإِمَامُ أَحْمَد[١].

الحَدِيثُ السَّابع: عَن ابْن عَبَّاسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، وقَدْ رُوِيَ عَنْه من ثَلَاثة أَوْجه:

الوَجْه الأَوَّل: عَنْ سَعِيدِ بن أبي الحَسَن قَالَ: كُنْت عندَ ابْن عَبَّاسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، إِذْ أَتَاه رجلٌ، فقَالَ: يا أَبَا عبَّاس، إنِّي إنْسَانٌ إنَّما مَعيشَتي من صَنْعة يَدي، وإنَّما أصنعُ هَذِهِ التَّصَاوير، فقَالَ ابْنُ عبَّاسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: «**لَا أُحدِّثك إلَّا ما سَمعتُ من رَسُول الله** صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، سَمعتُهُ يَقُول: «**مَنْ صَوَّر صُورَةً، فإِنَّ اللهَ مُعذِّبه حَتَّىٰ ينفخَ فيهَا الرُّوح، وَلَيْس بنافخٍ فيها أبدًا**»، فَربَا الرَّجلُ ربوةً شديدةً، واصْفرَّ وَجْهُهُ، فقَالَ: وَيْحك! إنْ أَبَيْتَ إلَّا أنْ تَصْنع، فَعَليك بهَذَا الشَّجَر، وكُلِّ شيءٍ لَيْس فيه رُوحٌ». رَوَاه الإِمَامُ أَحْمَدُ، والشَّيْخان، وهَذَا لَفْظ البُخَاريِّ[٢].

ولَفْظ مُسْلم قَالَ: جَاءَ رَجلٌ إِلَىٰ ابْن عَبَّاسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، فقَالَ: إنِّي رَجلٌ أُصوِّر هَذِهِ الصُّور، فَافْتني فيهَا، فقَالَ له: ادْنُ منِّي، فَدَنا منه، ثمَّ قَالَ: ادْنُ منِّي، فَدَنا حَتَّىٰ وَضَع يَدَه عَلَىٰ رَأْسه، قَالَ: أُنبئكَ بما سَمعتُ من رَسُول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، سَمعتُ رَسُولَ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ يَقُول: «**كُلُّ مُصَوِّرٍ في النَّار يُجْعَل له بكُلِّ صُورَةٍ صَوَّرها نفسٌ فتُعذِّبه في جَهنَّم**».

وقَالَ: إنْ كُنْت لا بدَّ فاعلًا، فَاصْنَع الشَّجر، وَمَا لَا نَفْسَ لَه[٣].

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٤٠٧) (٣٨٦٨)، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن.

(٢) أخرجه أحمد (١/ ٣٦٠) (٣٣٩٤)، والبخاري (٢٢٢٥)، ومسلم (٢١١٠). و«رَبَا»: علا نفسه وضاق صدره، أو ذعر وامتلأ خوفًا.

(٣) أخرجه مسلم (٢١١٠).

الوَجْه الثَّانِي: عَن النَّضر بن أنس بن مالك قَالَ: كُنْت عندَ ابْن عَبَّاسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا وهُوَ يُفْتي النَّاس، لَا يُسْند إِلَىٰ نبيِّ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ شيئًا من فُتْياه حَتَّىٰ جَاءَه رجلٌ من أَهْل العرَاق، فقَالَ: إنِّي رجلٌ من أَهْل العرَاق، وإنِّي أُصوِّر هَذِهِ التَّصاويرَ، فَقَالَ ابْنُ عبَّاسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: «ادْنُه»؛ إمَّا مَرَّتين أَوْ ثلاثًا، فَدنا، فَقَالَ له ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: سَمعتُ رَسُولَ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يَقُولُ: «**مَنْ صَوَّر صُورَةً فِي الدُّنيا، يُكلَّف يَوْم القِيَامَة أن ينفخَ فِيهِ الرُّوح، وليسَ بنافِخٍ**»، رَوَاه الإِمَامُ أَحْمَد، والشَّيْخَان، والنَّسَائيُّ، وهَذَا لَفْظ أَحْمَد[1].

الوَجْه الثَّالث: عَنْ عِكْرمةَ، عَن ابْن عَبَّاسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، عَن النَّبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قَالَ: «**مَنْ صوَّر صُورَةً، عُذِّب وكُلِّف أَنْ ينفخَ فيهَا، ولَيْسَ بنافِخٍ**»، رَوَاه الإِمَامُ أَحْمَدُ، والبُخَاريُّ، والتِّرمذيُّ، والنَّسَائيُّ، وهَذَا لَفْظ البُخَاريِّ[2].

ولَفْظ التِّرمذيِّ: «**مَنْ صَوَّر صُورَةً، عَذَّبه اللهُ حَتَّىٰ ينفخَ فِيهَا** (يَعْني: الرُّوح)، **وليسَ بنافِخٍ فيهَا**»[3]، ثمَّ قَالَ التِّرمذيُّ: حَدِيثٌ حسنٌ صحيحٌ.

الحَدِيثُ الثَّامن: عَنْ أَبي هُريرةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**مَنْ صَوَّر صُورةً، كُلِّف يومَ القيَامَة أَنْ ينفخَ فيهَا الرُّوحَ، وَلَيسَ بنافِخٍ**»، رَوَاه الإِمَامُ أَحْمَدُ، والنَّسَائيُّ[4].

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٢٤١) (٢١٦٢)، والبخاري (٥٩٦٣)، ومسلم (٢١١٠)، والنسائي (٥٣٥٨).

(٢) أخرجه أحمد (١/ ٢٤٦) (٢٢١٣)، والبخاري (٧٠٤٢)، ومسلم (٢١١٠)، والترمذي (١٧٥١)، والنسائي (٥٣٥٩).

(٣) أخرجه الترمذي (١٧٥١)، وصححه الألباني.

(٤) أخرجه أحمد (٢/ ٥٠٤) (١٠٥٥٦)، والنسائي (٥٣٦٠)، وصححه الألباني.

وَفِي هَذَا الحَدِيثِ والَّذي قَبْله من الفَوَائد: تَحْرِيمُ التَّصْوير، وأَنَّه من الكَبَائر للوَعِيدِ عَلَيْه بالنَّار، وأَنَّ التَّحريمَ عامٌّ في كُلِّ صُورَةٍ من صُوَر ذَوَات الأَرْوَاح؛ لأَنَّ قَوْله: «صُورَة»، نكرَة في سيَاق الشَّرْط، فتَعمُّ المُجسَّدة وغَيْر المُجسَّدة، والتَّامَّة والنَّاقصَة إذَا كَانَ فيهَا الرَّأسُ.

ويَدْخُلُ في العُمُوم تَصْويرُ الوَجْه وَحْده لإطْلَاق الصُّورَة عَلَيْه لُغَةً وشَرْعًا، كَمَا سَيأتِي تَقْرِيره إنْ شَاءَ اللهُ تَعالَىٰ.

وَفِيهِما أيضًا تَعْذيبُ المُصوِّرين، وتَعْجيزهم، والرَّدُّ عَلَىٰ صَاحب «الأغْلَال».

وفِي حَدِيثِ ابْن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا جَوازُ تَصْوير الشَّجر ونَحْوه ممَّا لا رُوحَ فِيهِ.

وفِي هَذِهِ المَسْألة خلافٌ بَيْن العُلَماء، وقَوْل المَانِعِين أحْوَط.

ومِنْ أقْوَىٰ ما يحتجُّ لهُمْ به حَدِيثُ أَبي هُرَيرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمعتُ رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**يَقُولُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ومَنْ أَظْلَمُ ممَّن ذَهَب يَخْلق خلقًا كخَلْقي، فَلْيَخْلُقُوا ذرةً، أَوْ ليَخْلُقُوا حبَّةً، أَوْ ليَخْلُقُوا شَعيرةً**»، مُتَّفقٌ عَلَيْه(١).

فقَوْلُهُ في هَذَا الحَدِيثِ: «**يَخْلق خَلقًا كخَلْقي**»، يَعمُّ ذَوَات الأَرْوَاح، والشَّجَر وغَيْره، ويَعمُّ الصُّور التَّامَّة والنَّاقصَة.

ويَدْخل في عُمُومه: تَصْويرُ اليَد وَحْدها، والرِّجْل وَحْدها، وَمَا سِوَاهُمَا من الأعْضَاء؛ لأَنَّ الجميعَ من خَلْق الله تَعالَىٰ.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٩٥٣)، ومسلم (٢١١١).

وفِي قَوْلِهِ: «فَلْيَخلُقُوا حبَّةً، أَوْ ليَخْلُقُوا شَعيرةً»، دَليلٌ أيضًا عَلَىٰ أَنَّه لَا يَجُوز تَصْوِيرُ الشَّجَر.

وممَّا يدلُّ عَلَىٰ المَنْع أيضًا: حَدِيثُ عَائشةَ رَضِيَٱللَّهُعَنهَا أنَّ رَسُولَ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيهِوَسَلَّمَ قَالَ: «أَشَدُّ النَّاس عَذابًا عندَ الله يَوْم القيَامَة الَّذينَ يُضَاهون بخَلْق الله»، مُتَّفقٌ عَلَيْه[1].

وفِي رِوَايَةٍ لمُسْلمٍ والنَّسَائيِّ: «أنَّ من أَشدِّ النَّاس عَذابًا يَوْم القيَامَة الَّذينَ يُشبِّهون بخَلْق الله»[2].

وَظَاهرُ هَذَا الحَدِيثِ يَقْتضي العُمُومَ للحَيَوانات والنَّباتَات، وغَيْرها من مَخْلُوقَات الله تَعَالَىٰ.

وقَدْ وَرَد التَّصريحُ بالمَنْع في حَدِيثٍ ضَعِيفٍ رَوَاه ابْنُ مَاجَه في «سُنَنه»[3]، عَنْ أَبي أُمَامة رَضِيَٱللَّهُعَنهُ أنَّ امْرأةً أَتَت النَّبيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيهِوَسَلَّمَ، فأَخْبَرته أنَّ زَوْجَها في بَعْض المَغَازي، فَاسْتَأْذَنته أَنْ تُصوِّر فِي بَيْتها نخلةً، فَمَنَعها أَوْ نَهَاها.

وَهَذَا الحَدِيثُ ممَّا يُسْتَأنس به.

ويُؤيِّده ما تَقدَّم عن أَبي هُرَيرة، وَعَائشةَ رَضِيَٱللَّهُعَنهُمَا، واللهُ أَعْلمُ.

الحَدِيثُ التَّاسعُ: عَنْ أَبي جُحَيفةَ رَضِيَٱللَّهُعَنهُ أَنَّ النَّبيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيهِوَسَلَّمَ لَعَن

---

(١) أخرجه البخاري (٥٩٥٤)، ومسلم (٢١٠٧).

(٢) أخرجه مسلم (٢١٠٧)، والنسائي (٥٣٥٧).

(٣) (٣٦٥٢)، وضعفه الألباني.

المُصوِّرين.. رَوَاه الإِمَامُ أَحْمَدُ، والبُخَارِيُّ، وأَبُو دَاوُد الطَّيالسيُّ في «مُسْنده»[١].

وَفِي هَذَا الحَدِيثِ من الفَوَائد: تَحْرِيم التَّصْوير، وأَنَّه من الكَبَائر؛ لأَنَّ اللَّعْنَ لا يَكُون إلَّا عَلَىٰ كَبيرَةٍ.

وَفِيهِ شدَّة الوَعيد للمُصوِّرين؛ لأَنَّ اللَّعْنَ هُوَ الطَّرْدُ والإِبْعَادُ من رَحْمة الله تَعَالَىٰ.

وَفِيهِ عُمُومُ التَّحْريم للصُّور المُجسَّدة وغير المُجسَّدة لأَنَّ النَّبيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَطلَق ولم يَسْتَثْنِ، فدَلَّ ذلك علىٰ العُمومِ لكُلِّ ما يُسمَّىٰ صُورَة من صُور ذَوَات الأَرْوَاح، وَاللهُ أَعْلمُ.

الحَدِيثُ العَاشرُ: عَنْ عَائشةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا أَنَّ أُمَّ حَبيبةَ، وأُمَّ سَلَمة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا ذَكَرتا كَنيسةً رَأَيْنها بالحَبَشة فيهَا تَصَاوير، فَذَكرتَا ذَلكَ للنَّبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقَالَ: **«إِنَّ أُولَئكَ إِذَا كَانَ فِيهِم الرَّجلُ الصَّالحُ فَمَات، بنوا عَلَىٰ قَبْره مسجدًا، وصَوَّروا فيه تلكَ الصُّور، فَأُولَئكَ شرارُ الخَلْق عندَ الله يَوْم القيَامَة»**، مُتَّفقٌ عَلَيْه[٢].

وَفِيهِ من الفَوَائد: تَحْرِيم التَّصْوير، وأَنَّه من سُنَن النَّصَارىٰ، وأَنَّ المُصوِّرين من هَذِهِ الأُمَّة مُتشبِّهونَ بِهِمْ.

وفِي قَوْله: **«أُولَئكَ شرارُ الخَلْق عندَ الله يَوْم القيَامَة»** وَعيدٌ شَديدٌ لهُمْ، وَدَليلٌ عَلَىٰ سوء ما لهُمْ في الدَّار الآخرَة، وتَحْذير لهَذِهِ الأُمَّة عن التَّشبُّه بهم.

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٣٠٨) (١٨٧٧٨)، والبخاري (٥٣٤٧)، والطيالسي (٢/ ٣٧٥) (١١٤١).

(٢) أخرجه البخاري (٤٢٧)، ومسلم (٥٢٨).

الحَدِيثُ الحَادي عَشَر: عَنْ أَبي هُرَيرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يَخْرجُ عُنقٌ من النَّار يَوْم القيَامَة لَه عَيْنان تُبْصران، وأُذُنان تَسْمَعان، وَلسانٌ يَنْطق يَقُول: إنِّي وُكِلْتُ بثَلَاثةٍ: بكُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ، وبكُلِّ مَنْ دَعَا مع الله إلهًا آخَرَ، وبالمُصوِّرين**»، رَوَاه التِّرمذيُّ، وقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحيحٌ غَريبٌ(١).

وَفِيهِ من الفَوَائد: تَحْريمُ التَّصْوير، وأَنَّه من الكَبَائر لشدَّة الوَعِيدِ عَلَيْه، وأنَّ مآلَ المُصوِّرين إِلَىٰ النَّار مع الجَبَابرة والمُشْركين.

وَظَاهِرُهُ أَنَّه لا فَرْقَ بَيْن الصُّور المُجسَّمة وغَيْر المُجسَّمة.

الحَدِيثُ الثَّانِي عَشَر: عَنْ عَائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: وَاعدَ رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جِبْريلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي سَاعَةٍ يَأْتيه فيها، فَجَاءتْ تلكَ السَّاعة، ولَمْ يَأْته، وفِي يَدِهِ عَصًا فأَلْقَاها من يدِهِ، وقَالَ: «**مَا يُخْلف اللهُ وَعْده، وَلَا رُسُله**»، ثمَّ الْتفتَ فَإِذَا جَرْو كَلْب(٢) تَحْت سَريره، فَقَالَ: «**يا عَائِشَةُ، مَتَىٰ دَخَل هَذَا الكلبُ هُنَا؟**»، فَقَالتْ: واللهِ، مَا دَريتُ، فأَمَر بِهِ فأُخْرجَ، فَجَاء جبريلُ، فقَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَاعَدْتني فَجَلستُ لَكَ، فلَمْ تَأْتِ**»، فَقَالَ: مَنَعني الكلبُ الَّذي كَانَ فِي بَيْتك، إنَّا لا نَدْخل بيتًا فيه كَلبٌ، وَلَا صُورةٌ.. رَوَاه مسلمٌ(٣).

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٥٧٤)، وصححه الألباني.

(٢) الجرو: بكسر الجيم وضمها وفتحها ثلاث لغات مشهورات، هو الصغير من أولاد الكلب وسائر السباع، والجمع: أجر وجراء، وجمع الجراء أجرية.

(٣) (٢١٠٤).

ورَوَاه ابْن مَاجَه مختصرًا، ولَفْظه: قَالَتْ: وَاعَد رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جبريلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ في ساعةٍ يَأْتيه فيهَا، فَرَاثَ(١) عَلَيْه، فَخَرج النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإذَا هُوَ بجبريلَ قَائمٍ عَلَىٰ البَاب، فَقَالَ: «**مَا مَنعَك أنْ تَدْخلَ؟**». قَالَ: إنَّ فِي البَيْت كلبًا، وإنَّا لَا نَدْخل بيتًا فيه كلبٌ، وَلَا صُورةٌ(٢). إِسْنَادُهُ صَحيحٌ.

الحَدِيثُ الثَّالثَ عَشَر: عَن ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: أَخْبرتني مَيْمونةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أصْبحَ يومًا واجمًا(٣)، فَقَالتْ مَيْمونةُ: يا رَسُولَ الله، لَقَد اسْتَنْكرتُ هَيْئتَك منذُ اليَوْم! قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إنَّ جبريلَ كَانَ وَعَدنِي أنْ يَلْقانِي اللَّيلة، فلَمْ يَلْقني، أَمَا واللهِ مَا أَخْلَفني**».

قَالَ: فَظَلَّ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمه ذَلكَ عَلَىٰ ذَلكَ، ثمَّ وَقَع فِي نَفْسه جِرْو كَلْبٍ تَحْت فُسْطاط لنَا، فَأَمَر بِهِ فَأُخْرِجَ، ثمَّ أَخَذ بيدِهِ ماءً، فَنضَح مَكانه، فلَمَّا أمْسَىٰ لَقيَه جبريلُ، فقَالَ لَه: «**قَدْ كُنْتَ وَعَدْتني أنْ تَلْقانِي البَارحَة! قَالَ: أَجَلْ، ولكنَّا لا نَدْخل بيتًا فِيهِ كَلبٌ، وَلا صُورةٌ**». رَوَاه مسلمٌ، وأَبُو دَاوُدَ، والنَّسَائيُّ، والطَّبرانيُّ(٤).

الحَدِيثُ الرَّابعَ عَشَر: عَن ابْن عُمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: وَعَد النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جبريلُ، فَرَاثَ عَلَيْه حَتَّىٰ اشتدَّ عَلَىٰ النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَخَرج النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،

---

(١) أي: طوَّل عليه الانتظارَ.

(٢) أخرجه ابن ماجه (٣٦٥١)، وصححه الألباني.

(٣) الواجِمُ: المُطرِق المُفكِّر من شدَّة الحُزْن.

(٤) أخرجه مسلم (٢١٠٥)، وأبو داود (٤١٥٧)، والنسائي (٤٢٨٣)، والطبراني (٢٣/ ٤٣١) (١٩٩٩٩).

فَلَقيه فَشكَا إِلَيْه ما وَجد، فقَالَ لَه: «**إِنَّا لا نَدْخل بيتًا فيه صُورَةٌ، وَلَا كلبٌ**». رَوَاه البُخَاريُّ(١).

الحَدِيثُ الخَامس عَشَر: عَنْ أُسَامة بن زيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: دَخَلتُ عَلَىٰ رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعَلَيْه الكَآبَةُ، فَسَأَلتُهُ، فقَالَ: لَمْ يَأْتني جبريلُ منذُ ثَلَاثٍ، فَإِذَا جِرْوُ كَلْبٍ بَيْن يَدَيه، فأَمَر بِهِ فقُتِلَ، فبَدَا له جبريلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَهشَّ إِلَيْه رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «**مَا لَكَ لَمْ تَأْتني؟ فقَالَ: إِنَّا لا نَدْخل بيتًا فيه كَلْبٌ، وَلَا تَصَاويرُ**». رَوَاه الإِمَامُ أَحْمَد، وأَبُو دَاوُد الطَّيالسيُّ(٢).

الحَدِيثُ السَّادسَ عَشَر: عَنْ أَبي هُريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقَدْ رُوِيَ عَنْه من وَجْهين:

أَحَدُهُما: عَنْ سُهَيل بن أبي صَالح، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبي هُرَيرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا تَدْخل المَلَائكَةُ بيتًا فيه تَمَاثيل، أَوْ تَصَاويرُ**»، رَوَاه مسلمٌ(٣).

الوَجْه الثَّانِي: عَنْ مُجَاهدٍ، عَنْ أَبي هُرَيرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَتَانِي جبريلُ، فقَالَ: إِنِّي كُنْت أَتيتُكَ البَارحَة، فلَمْ يَمْنَعني أنْ أَكُونَ دَخَلتُ عَلَيك البيتَ الَّذي كُنْت فيه إِلَّا أَنَّه كَانَ فِي بَاب البَيْت تمثالُ الرِّجال، وكَانَ فِي البَيْت قِرَام ستر فيه تَمَاثيل، وكَانَ في البَيْت كلبٌ، فَأَمَر برأْس التِّمثال الَّذي بالبَاب

---

(١) (٥٩٦٠).

(٢) أخرجه أحمد (٥/ ٢٠٣) (٢١٨٢٠) وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده قوي رجاله ثقات رجال الشيخين غير الحارث، والطيالسي (٢/ ١٩) (٦٦١).

(٣) (٢١١٢).

فَلْيُقْطع، فَيَصير كَهَيْئَة الشَّجرة، وأَمَر بالسِّتْر فَلْيُقْطع، ويُجْعَل منه وِسَادَتَين مُنْتبذَتَين تُوطَآن(١)، وأَمَر بالكَلْب فيُخرج، فَفَعل رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكَانَ ذَلكَ الكلبُ جرْوًا للحُسَين أو للحَسَن تَحْت نضد له، فأَمَر به فأُخْرجَ.. رَوَاه الإِمَام أَحْمَد، وأَهْلُ السُّنن إلَّا ابْن مَاجَه، وهَذَا لَفْظ التِّرمذيِّ، وقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ حسنٌ صحيحٌ، وصَحَّحه أيضًا ابْنُ حبَّان(٢).

وَرِوَايَةُ النَّسَائيِّ مُخْتصرةٌ، وَفيهَا زيادةٌ لَيْست عندَ أَبي دَاوُد والتِّرمذيِّ، ولَفْظه: **«اسْتَأذَنَ جبريلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: ادْخُلْ، فقَالَ: كيفَ أَدْخل وفِي بَيْتك سترٌ فِيهِ تَصَاوير؟! فإمَّا أَنْ تَقْطع رُءوسَها، أَوْ يُجْعَل بِسَاطًا يُوطَأ، فإنَّا مَعْشَرَ المَلَائكَة لا نَدْخل بيتًا فيه تَصَاوير»**(٣).

الحَدِيثُ السَّابعَ عَشَر: عَن عليٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَن النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«لا تَدْخل المَلَائكَةُ بيتًا فيه صُورَةٌ، وَلا كلبٌ، وَلا جُنُبٌ»**، رَوَاه الإِمَام أَحْمَد، وأَبُو دَاوُد الطَّيالسيُّ، وأَهْلُ السُّنن إلَّا التِّرمذيَّ، وصَحَّحه ابْنُ حبَّان، وَالحَاكمُ، وَالذَّهبيُّ(٤).

---

(١) أي: تُهانان بالوطء عليهما والقعود فوقهما والاستناد إليهما.

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ٣٠٥) (٨٠٣٢)، وأبو داود (٤١٥٨)، والترمذي (٢٨٠٦)، والنسائي (٥٣٦٥)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٨).

(٣) أخرجه النسائي (٥٣٦٥)، وصححه الألباني.

(٤) أخرجه أحمد (١/ ٨٣) (٦٣٢)، والطيالسي (١/ ١٠٦) (١١٢)، وأبو داود (٢٢٧)، والنسائي (٤٢٨١)، والحاكم (١/ ٢٧٨) (٦١١)، وابن حبان (٤/ ٥) (١٢٠٥)، وضعفه الألباني في «ضعيف أبي داود» (٣٠)، ثم قال: «وهو في «الصحيحين» وغيرهما من حديث أبي طلحة الأنصاري دون قوله: «ولا جنب»؛ فهي زيادة منكرة».

ورَوَاه الإِمَامُ أَحْمَدُ أيضًا مُطوَّلًا، وفِيهِ أَنَّ النَّبيَّ صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قَالَ: «**سَمعتُ فِي الحُجْرة حَركةً، فقُلْت: مَنْ هَذَا؟ فقَالَ: أَنَا جبريلُ. قُلْتُ: ادْخُلْ. قَالَ: لَا، اخْرُجْ إِليَّ، فلَمَّا خَرَجتُ، قَالَ: إنَّ في بيتك شيئًا لا يَدْخله مَلَكٌ مَا دَام فيه. قُلْتُ: ما أعلمُهُ يَا جبريلُ. قَالَ: اذْهَبْ فَانْظُرْ، فَفَتحتُ البَيْت، فلَمْ أَجِدْ فِيهِ شيئًا غَيْر جِرْوِ كَلْبٍ كَانَ يَلْعب به الحَسنُ. قُلْتُ: ما وَجَدتُ إِلَّا جِرْوًا. قَالَ: إِنَّها ثَلاثٌ لَنْ يَلجَ مَلَكٌ ما دَامَ فيها أبدًا، وَاحدٌ منها كَلْبٌ، أَوْ جَنابةٌ، أَوْ صُورَةُ روحٍ**»[(١)].

الحَدِيثُ الثَّامنَ عَشرَ: عَنْ أَبي طَلْحةَ الأنْصاريِّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وقَدْ رُوِيَ عَنْه من ثَلَاثة أَوْجهٍ:

الوَجْهُ الأَوَّل: عَن ابْن عَبَّاسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قَالَ: سَمعتُ أَبَا طَلْحة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ يَقُولُ: سَمعتُ رَسُولَ الله صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يَقُولُ: «**لَا تَدْخل المَلَائكَةُ بيتًا فيه كَلْبٌ، وَلَا صُورةٌ**»، رَوَاه الإِمَامُ أَحْمَد، والشَّيْخان، وأَبُو دَاوُد الطَّيالسيُّ، وأَهْل السُّنَن إلَّا أبا دَاوُد[(٢)].

الوَجْه الثَّانِي: عَن اللَّيْث بن سَعْدٍ، عَنْ بُكير بن عَبْد الله بن الأشجِّ، عَنْ بُسْر بن سعيدٍ، عَنْ زَيْد بن خَالِدٍ الجهنيِّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، عَنْ أَبي طَلْحة صَاحِبِ رَسُول الله صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أَنَّه قَالَ: إنَّ رَسُولَ الله صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قَالَ: «**إِنَّ المَلَائكَةَ لَا تَدْخل بيتًا فيه صُورَةٌ**».

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٨٥) (٦٤٧)، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده ضعيف.

(٢) أخرجه أحمد (٤/ ٢٨) (١٦٣٩١)، والبخاري (٣٠٥٣)، ومسلم (٢١٠٦)، والطيالسي (٢/ ٥٥٥) (١٣٢٤)، والترمذي (٢٨٠٤) والنسائي في «الكبرىٰ» (٥/ ٥٠٠) (٩٧٧١)، وابن ماجه (٣٦٤٩).

قَالَ بُسْرٌ: ثمَّ اشْتكَىٰ زيدٌ بَعْدُ، فعُدْناه، فإذَا عَلَىٰ بَابه سِتْرٌ فيه صُورَةٌ، فقُلْت لعُبَيد الله الخَوْلانيِّ رَبيبِ مَيْمونةَ زَوْج النَّبيِّ صَلَّىٰللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: أَلَمْ يُخْبرنا زَيْدٌ عن الصُّوَر يَوْمَ الأَوَّل؟ فقَالَ عُبَيد الله: أَلَمْ تَسْمعه حينَ قَالَ: «**إِلَّا رَقْمًا فِي ثَوْبٍ**»، رَوَاه الإِمَامُ أَحْمَدُ، والشَّيْخان، وأَبُو دَاوُد، والنَّسَائيُّ(١).

ورَوَاه الشَّيْخَان أيضًا من حَدِيثِ عَمْرو بن الحَارث، أنَّ بكير بن الأشجِّ حَدَّثه أَنَّ بُسْرَ بن سَعِيدٍ حَدَّثه أَنَّ زيدَ بن خالدٍ الجُهنيَّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ حَدَّثه ومَعَ بُسْر بن سَعِيدٍ عُبَيد الله الخَوْلانيُّ الَّذي كَانَ في حَجْر مَيْمونة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا زَوْج النَّبيِّ صَلَّىٰللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، حَدَّثهما زَيْدُ بن خالدٍ أَنَّ أَبَا طَلْحةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ حَدَّثه أَنَّ النَّبيَّ صَلَّىٰللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قَالَ: «**لا تَدْخل المَلَائكَةُ بيتًا فيه صُورةٌ**».

قَالَ بُسْرٌ: فَمَرض زَيْدُ بن خالدٍ، فعُدْناه، فَإذَا نَحْن في بَيْته بسِتْرٍ فيه تَصَاوير، فقُلْتُ لعُبَيد الله الخَوْلانيِّ: أَلَمْ يُحدِّثنا في التَّصاوير؟ فقَالَ: إنَّه قَالَ: «**إِلَّا رَقْمٌ فِي ثَوْبٍ**» أَلَا سَمعتَهُ؟ قُلْتُ: لَا. قَالَ: بَلَىٰ، قَدْ ذَكَره(٢).

ورَوَاه مسلمٌ أيضًا، وأَبُو دَاوُد من حَدِيثِ سَعِيدِ بن يَسَار، عَنْ زَيْد بن خالدٍ الجُهنيِّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، عَنْ أَبي طَلْحةَ الأنْصَاريِّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: سَمعتُ رَسُولَ الله صَلَّىٰللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يَقُولُ: «**لا تَدْخل المَلَائكَةُ بيتًا فيه كَلْبٌ، وَلَا تمثالٌ**».

وقَالَ: انْطَلِقْ بنا إِلَىٰ أُمِّ المُؤْمنين عَائشةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا نَسْألها عَنْ ذَلكَ، فَانْطَلقنا،

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٢٨) (١٦٣٨٩)، والبخاري (٥٩٥٨)، ومسلم (٢١٠٦)، وأبو داود (٤١٥٥)، والنسائي (٥٣٥٠). والرَّقْم: النقش، وأصله: الكتابة.

(٢) أخرجه البخاري (٣٢٢٦)، ومسلم (٢١٠٦).

فقُلْنا: يَا أُمَّ المُؤمنين، إنَّ أبَا طَلْحةَ حَدَّثنا عن رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بكَذَا وكَذَا، فهَلْ سَمعتِ النَّبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَذْكر ذَلكَ؟ قَالَتْ: لَا، وَلَكن سأُحدِّثكُمْ بمَا رأيتُهُ فَعَل، خَرَج رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَعْض مَغَازيه، وكُنْتُ أتحيَّن قُفُولَه، فأَخذتُ نَمطًا كَانَ لنَا، فَسَترتُهُ عَلَىٰ العَرَض، فلَمَّا جَاءَ، اسْتَقْبلتُهُ، فقُلْتُ: السَّلام عَلَيك يا رَسُول الله ورَحْمة الله وبَركَاته، الحَمْدُ لله الَّذي أعَزَّك وأكْرَمَك، فَنظَر إِلَىٰ البَيْت، فَرَأىٰ النَّمطَ، فلَمْ يردَّ عليَّ شيئًا، وَرَأيتُ الكَرَاهيةَ فِي وَجْهه، فأَتَىٰ النَّمطَ حَتَّىٰ هَتكَه، ثُمَّ قَالَ: «**إِنَّ اللهَ لَمْ يَأْمرنا فيمَا رَزَقنا أَنْ نكْسُوَ الحجَارَةَ واللَّبِنَ**». قَالَتْ: فَقطعتُهُ، وَجَعلتُهُ وِسَادَتين، وحَشَوْتهما ليفًا، فلَمْ يُنْكر ذَلكَ عَليَّ.

هَذِهِ رِوَايَة أَبي دَاوُد، وَهِيَ أَتمُّ من رِوَايَةِ مُسْلمٍ(١).

الوَجْهُ الثَّالث: وهُوَ الحَدِيثُ التَّاسعَ عَشرَ عَنْ عُبَيد الله بن عَبْد الله بن عُتْبة بن مَسْعود أَنَّه دَخل عَلَىٰ أَبي طَلْحةَ الأنْصَاريِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَعُودُه، فَوَجد عندَهُ سَهْل بن حنيفٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: فَدَعَا أَبُو طَلْحةَ إنسانًا يَنْزع نَمطًا تَحْته، فَقَالَ سهلٌ: لِمَ تَنْزعه؟ قَالَ: لأنَّ فيه تَصَاويرَ، وقَالَ فيهَا النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا قَدْ عَلِمْتَ. قَالَ سَهلٌ: أَوَ لَمْ يَقُلْ: «**إِلَّا ما كَانَ رقمًا في ثَوْبٍ؟**». قَالَ: بَلَىٰ، وَلكنَّه أَطْيبُ لنَفْسي.. رَوَاه مَالكٌ، وأَحْمَدُ، والتِّرمذيُّ، والنَّسَائيُّ، وقَالَ التِّرمذيُّ: هَذَا حَدِيثٌ حسنٌ صحيحٌ(٢).

الحَدِيثُ العِشْرُونَ: عَنْ إِسْحَاقَ بن عَبْد الله بن أَبي طَلْحةَ أَنَّ رافعَ بن إِسْحَاق

(١) أخرجه مسلم (٢١٠٦)، وأبو داود (٤١٥٣) واللفظ له.

(٢) أخرجه مالك في «الموطأ» (٥٩٨)، وأحمد (٣/ ٤٨٦) (١٦٠٢٢)، والترمذي (١٧٥٠)، والنسائي (٥٣٤٩)، وصححه الألباني.

مَوْلىٰ الشِّفا، أخْبَره قَالَ: «دَخلتُ أنا وعَبْد الله بن أبي طَلْحة عَلَىٰ أَبي سَعِيدٍ الخدريِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نَعُودُه، فقَالَ أَبُو سَعِيدٍ الخدريُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَخْبَرنا رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ «**المَلَائكَةَ لا تَدْخُلُ بيتًا فيه تَمَاثيل**»، أَوْ: «**تَصَاوير**»، يشكُّ إسْحَاق بن عبد الله، لَا يَدْري أَيَّتهما قَالَ أَبُو سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ». رَوَاه مالكٌ، وأَحْمَدُ، والتِّرمذيُّ، وابْنُ حبَّان فِي «صَحيحِهِ»، وقَالَ التِّرمذيُّ: هَذَا حَدِيثٌ حسنٌ صحيحٌ[(١)].

الحَدِيثُ الحَادي والعِشْرُونَ: عَنْ عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: صَنعتُ طعامًا، فَدَعوتُ رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَجَاء، فَرأىٰ في البَيْت تَصَاويرَ، فَرَجَع.. رَوَاه ابْنُ مَاجه هَكَذا مختصرًا، وإِسْنَادُهُ صَحيحٌ، وبَوَّب عَلَيْه بقَوْله: (بَاب إِذَا رَأىٰ الضَّيفُ منكرًا رَجَع)[(٢)].

ورَوَاه النَّسَائيُّ أتمَّ منه، ولَفْظه: قَالَ: صَنَعتُ طَعامًا، فَدَعوتُ النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَجَاء، فَدَخل، فَرأىٰ سترًا فِيهِ تَصَاويرُ، فَخَرج، وقَالَ: «**إِنَّ المَلَائكَةَ لا تَدْخل بيتًا فيه تَصَاويرُ**»[(٣)].

ورَوَاه أَبُو نُعَيم في «الحِلْيَة»[(٤)] بأَبْسطَ منه، ولَفْظه عَنْ سَعيد بن المُسيِّب، أَنَّ عليًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ صَنَع طَعامًا، فَجَاء النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّىٰ إِذَا نَظَر في البَيْت رَجَع،

---

(١) أخرجه مالك (٢/ ٩٦٥) (١٧٣٤)، وأحمد (٣/ ٩٠) (١١٨٧٦)، والترمذي (٢٨٠٥)، وابن حبان (١٣/ ١٦٠) (٥٨٤٩)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٩٦١).

(٢) أخرجه ابن ماجه (٣٣٥٩)، وصححه الألباني.

(٣) أخرجه النسائي (٥٣٥١)، وصححه الألباني.

(٤) (٦/ ٢٨١)، بإسناد حسن، رجاله ثقات عدا أحمد بن جعفر الأصبهاني، وهو صدوق حسن الحديث.

فقَالَ له عليٌّ: مَا رَجَعك يا رَسُولَ الله! فدَاكَ أَبي وأُمِّي؟ قَالَ: «**إنِّي رَأيتُ فِي بَيْتك سترًا فِيهِ تَصَاوِيرُ، وإِنَّ المَلَائكَةَ لا تَدْخل بيتًا فيه تَصَاويرُ**».

وَفِي هَذَا الحَدِيثِ والأَحَادِيثِ التِّسعة قَبْله عدَّة فَوَائد، نَذْكر منهَا مَا يَتعلَّق بالمَقْصود في هَذَا الفَصْل:

فَالأُولَىٰ مِنْهَا: امْتناعُ المَلَائكَة من دُخُول البَيْت إذَا كَانَ فِيهِ صُورَةٌ من صُوَر ذَوَات الأَرْوَاح.

وقَدْ تَقدَّم تَعْليلُ امْتناعهم فِي فَوَائد الحَدِيثِ الثَّانِي؛ فَلْيُراجع.

قَالَ الخَطَّابيُّ رحمه الله تَعالَىٰ: «وَالصُّورَة الَّتي لا تَدْخل المَلَائكَةُ البَيْتَ الَّذي هي فِيهِ مَا يَحْرم اقْتنَاؤه، وهُوَ ما يَكُون من الصُّوَر الَّتي فيهَا رُوحٌ ممَّا لَمْ يُقْطع رأسُهُ، أَوْ لَمْ يُمْتهَنْ». انْتهَىٰ.

والمُرَادُ بالبَيْت المَكَانُ الَّذي يستقرُّ فيه الشَّخصُ؛ سَواء كَانَ بناءً، أَوْ خَيْمةً، أَوْ غَيْر ذَلكَ.. نَبَّه عَلَىٰ ذَلكَ الحَافظُ ابْنُ حَجَرٍ فِي «فَتْح البَاري»[(١)].

الثَّانيةُ: أَنَّه لَا فَرْقَ بَيْنَ الصُّور المُجسَّدة، وغَيْر المُجسَّدة، فكُلٌّ مِنْهَا مَانعٌ من دُخُول المَلَائكَة كَمَا تَدلُّ عَلَىٰ ذَلكَ عُمُوماتُ الأَحَادِيثِ الَّتي ذَكَرتُ آنفًا.

وحَدِيث أَبي هُرَيرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في قصَّة جبريلَ صَريحٌ في امْتنَاعِهِمْ من دُخُول البَيْت الَّذي فِيهِ الصُّور الَّتي لَيْست بمُجسَّدة.

وَكذَلكَ الحَدِيثُ الأَخيرُ من حَدِيثي عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ صَريحٌ فِي ذَلكَ أيضًا.

---

(١) (١٠/ ٣٨٢).

وإذَا كَانَت الصُّورُ الَّتي لَيْسَت بمُجسَّدة مَانعةً من دُخُول المَلَائكَة، فالصُّورُ المُجسَّدة كذَلكَ، بَلْ أوْلَىٰ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

الثَّالثة: الرَّدُّ عَلَىٰ مَنْ أَجَاز صنَاعةَ الصُّور الَّتي لَيْسَت بمُجسَّدة، ومَنْ أَجَاز اتِّخاذَها فيمَا لَا يُوطَأ ويُمْتَهن كالبسَاط وَالمخدَّة، ونَحْو ذَلكَ.

وَحَدِيثُ أَبي هُرَيرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ صَريحٌ في الرَّدِّ عَلَيْهم، وَكذَلكَ الأَخير من حَدِيثي عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَكذَلكَ حَدِيثُ عَائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فِي النُّمْرقة.

وأَمَّا اسْتثنَاء الرَّقْم في الثَّوب كَمَا في حَدِيثِ زَيْد بن خالدٍ، وَحَدِيثِ عُبَيد الله بن عَبْد الله بن عُتْبة، عَنْ أَبي طَلْحة، وسَهْل بن حُنَيف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فَقَد احتجَّ بِهِ مَنْ أَجازَ اتِّخاذ الثِّياب والسُّتُور الَّتي فيها الصُّور، كَمَا هُوَ مرويٌّ عن زَيْد بن خَالد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قَالَ النَّوويُّ: وهُوَ مَذْهبُ القَاسم بن مُحمَّد.

وقَدْ أَجَاب عَنْ ذَلكَ النَّوويُّ، وابْنُ حَجَرٍ العَسْقلاني:

فَأَمَّا النَّوويُّ، فَقَالَ في «شَرْح مُسْلم»[1]: قَوْله: «**إلَّا رقمًا فِي ثَوْب**»، هَذَا يحتجُّ به مَنْ يَقُول بإبَاحَة ما كَانَ رقمًا مطلقًا، وَجَوَابُنَا وَجَوابُ الجُمْهور عنه أَنَّه مَحْمولٌ عَلَىٰ رقمٍ عَلَىٰ صُورَة الشَّجَر وغَيْره ممَّا ليسَ بحيوَان، وقَدْ قَدَّمنا أَنَّ هَذَا جائزٌ عندَنَا.

وأَمَّا ابْنُ حَجَرٍ، فإِنَّه ذَكَر جَوابَ النَّوويِّ بمَعْناه، ثمَّ قَالَ: ويُحْتمل أَنْ يَكُون ذَلكَ قَبْل النَّهي كَمَا يدلُّ عَلَيْه حَدِيثُ أَبي هُرَيرة الَّذي أَخْرَجه أَصْحَابُ السُّنَن[2].

---

(١) (١٤/ ٨٥).

(٢) «فتح الباري» (١٠/ ٣٩١).

قُلْتُ: هُوَ الحَدِيثُ السَّادسَ عَشرَ ممَّا تَقدَّم ذِكْرُهُ قريبًا، ولَعلَّ زَيْد بن خَالِدٍ، وَالقَاسم بن مُحمَّد، لَمْ يَبْلغهما حَدِيثُ أَبي هُرَيرة، وَحَدِيثُ عليٍّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا فِي المَنْع من تَعْليق السُّتُور الَّتي فيهَا الصُّور، ولَمْ تَبْلغهما أيضًا الأَحَاديثُ الَّتي تَقْتضي عُمُومَ النَّهْي عَن اتِّخاذ ما فِيهِ صُورَةٌ إلَّا ما كَانَ في بِسَاطٍ ومَخدَّةٍ، ونَحْوهما ممَّا يُدَاس ويُمْتهن، واللهُ أَعْلمُ.

الرَّابعةُ: أنَّ قَطْعَ رَأْس الصُّورَة يُزيلُ المَحْذورَ منها، ويَكْفي في التَّغْيير، وأمَّا قَطْع غَيْره، فَلَا يَكْفي عَنْه، ولَوْ قُطعَت الصُّورَة كلُّها سوَىٰ الرَّأس، فالمَحْذورُ بَاقٍ، والتَّغييرُ المَشْروع لَمْ يَحْصل كَمَا سَيأتِي تَقْريره إنْ شاءَ اللهُ تَعالَىٰ.

الخَامسَةُ: جَوازُ الجُلُوس، والاتِّكَاء عَلَىٰ ما فِيهِ صُورَةٌ؛ لأنَّ فِي ذَلكَ امْتهَانًا لَهَا.

وقَدْ رَوَىٰ ابْنُ أَبي شَيْبَةَ من طَريق أيُّوب، عَنْ عِكْرمةَ، قَالَ: كَانُوا يَقُولُون: فِي التَّصَاوير فِي البُسُط والوَسَائد الَّتي تُوطَأ ذلٌّ لَهَا.

وَروىٰ أيضًا من طَريق عَاصِمٍ، عَنْ عِكْرمةَ قَالَ: كَانُوا يَكْرهون ما نُصِبَ من التَّمَاثيل نصبًا، وَلَا يَرَوْن بأسًا بمَا وَطئَتْهُ الأَقْدامُ.

وَروىٰ أيضًا من طَريق ابْن سيرينَ، ومِنْ طَريق سَالم بن عَبْد الله، وَمِنْ طَريق عِكْرمةَ بن خَالِدٍ، وَمِنْ طَريق سَعِيدِ بن جُبَير أنَّهم قَالُوا: لَا بَأْسَ بالصُّورَة إذَا كَانَت تُوطَأ.

وَروىٰ أيضًا من طَريق عُرْوة أَنَّه كَانَ يَتَّكئ عَلَىٰ المَرَافق فيهَا تَمَاثيلُ الطَّير

والرِّجال.. نَقَل هَذِهِ الآثَارَ كُلَّها الحَافظُ ابْنُ حجرٍ فِي «فَتْح البَاري»[(١)].

السَّادسة: أَنَّ المَلَائكةَ لَا تَمْتنع من دُخُول البَيْت إِذَا كَانَتْ فيه صُورَةٌ في بِسَاطٍ، ومَخدَّةٍ، ونَحْوهما ممَّا يُدَاس ويُمْتهنُ، ويدلُّ عَلَىٰ ذَلكَ قَوْلُ جِبْريلَ للنَّبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ومُرْ بالسِّتْر فَلْيُقْطع، ويُجْعَل منه مُنْتبذَتَين تُوطَآن**».

وفِي رِوَايَة النَّسَائيِّ: «**فإمَّا أنْ تقْطعَ رُءوسها، أَوْ يُجْعل بساطًا يُوطَأ**».

ولَوْ كَانَ وُجُودُ الصُّورَة في الوَسَائد والبُسُط الَّتي تُمْتهنُ وتُدَاسُ بالأَرْجل مانعًا من دُخُول المَلَائكَة، لأَمَر جبريلُ بإِتْلَافها، أَوْ إِخْرَاجها من البيْت، كَمَا أَمَر بقَطْع رَأْس التمثَال، وإِخْرَاج الكَلْب، وَاللهُ أَعْلَمُ.

السَّابعة: وُجُوبُ إِنْكَار المُنْكر كَمَا يدلُّ عَلَىٰ ذَلكَ حَدِيثُ أَبي هُرَيرة، وَحَدِيثُ عَائشةَ، وَحَدِيثُ عليٍّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ.

الثَّامنَة: هَجْر مَنْ أظْهَر المنكرَ، فَلَا يُسلَّم عَلَيْه، وَلَا تُجَابُ دَعْوتُهُ.

التَّاسعَة: كَرَاهة دُخُول البَيْت الَّذي فيه تَصَاوير.

وقَدْ نصَّ الإِمَامُ أَحْمَدُ عَلَىٰ هَذَا، وهُوَ قَوْلُ عُمَر وأَبي مَسْعودٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، ورُوِيَ ذَلكَ عَن ابْن مَسْعودٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

قَالَ شَيْخُ الإِسْلَام أَبُو العبَّاس ابْن تيمية رحمه الله تَعالَىٰ: «المَنْصُوصُ عن أَحْمَد، والمَذْهب الَّذي نصَّ عَلَيْه عَامَّةُ الأَصْحَاب: كَرَاهةُ دُخُول الكَنيسَة الَّتي فيهَا التَّصاويرُ»[(٢)]. انْتَهَىٰ.

---

(١) (١٠/ ٣٨٩).

(٢) «الفتاوىٰ الكبرىٰ» (٥/ ٣٢٧).

وَقَالَ البُخَارِيُّ رحمه الله تَعالَىٰ في «**صَحِيحِهِ**»(١): وقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إنَّا لَا نَدْخل كَنَائسكُمْ من أَجْل التَّمَاثيل الَّتي فيهَا الصُّورُ.

قَالَ الحَافظُ ابْنُ حَجَرٍ في «فَتْح البَاري»(٢): هَذَا الأثرُ وَصَله عَبْدُ الرَّزَّاق من طَريق أَسْلَم مَوْلىٰ عُمَر. قَالَ: لمَّا قدمَ عُمَرُ الشَّامَ، صَنعَ لَه رَجلٌ من النَّصَارىٰ طعامًا، وكَانَ مِنْ عُظَمَائهم، وَقَالَ: أحبُّ أَنْ تَجيئَني وتُكْرمني، فَقَالَ له عُمَرُ: إنَّا لا نَدْخلُ كَنَائسكُمْ من أَجْل الصُّوَر الَّتي فيهَا (يَعْني: التَّمَاثيل).

قُلْتُ: وقَدْ رَوَاه البُخَاريُّ مَوْصولًا في «الأَدَب المُفْرد»(٣)، فَقَالَ في (بَاب دَعْوة الذِّمِّي): حَدَّثنا أَحْمَد بن خَالِدٍ، قَالَ: حَدَّثنا مُحمَّد بن إسحاقَ، عَنْ نَافع، عَنْ أَسْلَم مَوْلىٰ عُمَر، قَالَ: لمَّا قَدمنَا مَعَ عُمَر بن الخَطَّاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الشَّامَ، أتَاه الدِّهْقَان، قَالَ: يَا أَميرَ المُؤْمنين، إنِّي قَدْ صَنعتُ لَكَ طعامًا، فأحبُّ أَنْ تَأْتيني بأَشْرَافِ مَنْ مَعَك، فإنَّه أَقْوَىٰ لي في عَمَلي، وأشْرَف لي. قَالَ: إنَّا لَا نَسْتَطيع أَنْ نَدْخلَ كَنَائسكُمْ هَذِهِ مع الصُّوَر الَّتي فيهَا.

وَرَوَىٰ البَيهقيُّ من طَريق عَديِّ بن ثابتٍ، عَنْ خَالد بن سَعِيدٍ، عَنْ أَبي مَسْعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رجلًا صَنَع طعامًا، فَدَعاه، فَقَالَ: أفِي البَيْت صُورةٌ؟ قَالَ: نَعمْ، فَأَبَىٰ أَنْ يَدْخلَ حَتَّىٰ تُكْسرَ الصُّورَةُ(٤).

---

(١) (١/ ٩٤).

(٢) (١/ ٥٣١).

(٣) (١/ ٧٠٩) (١٢٤٨)، وضعفه الألباني في «ضعيف الأدب المفرد» (١٩٧).

(٤) أخرجه البيهقي (٧/ ٤٣٨) (١٤٥٦٥).

قَالَ الحافظُ ابْنُ حَجَر: سندُهُ صَحيحٌ.

قُلْتُ: وقَدْ ذَكَره أَبُو بَكْر المرُّوذيُّ في كتَاب «الوَرَع»[(١)] من حَدِيثِ خَالد بن سَعِيدٍ، قَالَ: دُعِيَ أَبُو مسعودٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ إِلَىٰ طَعَامٍ، فَقَالوا لَه: في البَيْت صُورَةٌ، فأَبَىٰ أَنْ يَأْتيهم حَتَّىٰ ذَهَب إنسانٌ فكَسَرها.

وَقَالَ البُخَاريُّ في «صَحيحِهِ»[(٢)]: وَرَأَىٰ ابْنُ مَسْعودٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ صُورَةً فِي البَيْت فَرَجَع.

العَاشرَة: أَنَّ المَدْعو إذَا لَمْ يَعْلم بمَا في بَيْت الدَّاعي من التَّصَاوير إلَّا بَعْدمَا دَخَل، فالسُّنَّة لَه أَنْ يَخْرجَ؛ كَمَا تفيدُهُ رِوَايَةُ النَّسَائيِّ عَنْ عليٍّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ خَرَج من بيتِهِ لمَّا رَأَىٰ السِّتْر الَّذي فيه التَّصَاوير، وهُوَ ظَاهِرُ مَا ذَكَره البُخَاريُّ عَن ابْن مَسْعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

وقَدْ نصَّ الإِمَامُ أَحْمَد -رَحمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ- عَلَىٰ أَنَّه يَخرج لصُورَة عَلَىٰ الجدَار.

وَإِنْ كَانَ المدعوُّ يَقْدر عَلَىٰ تَغْيير الصُّورَة، فَالواجبُ عَلَيْه أَنْ يُغيِّرها كَمَا فَعَل النَّبيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فِي هَتْك السِّتْر الَّذي نَصَبته عَائشةُ رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا، وَلمَا فِي حَدِيثِ عليٍّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «**لا تَدعْ صُورَةً إلَّا طَمَستها**»[(٣)]، وَسَيأْتِي ذِكْرُهُ قريبًا إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَىٰ.

---

(١) للإمام أحمد (رواية المروذي) (١/ ١٥٢) (٤٥٩).

(٢) (٧/ ٢٥).

(٣) سبق تخريجه.

الحَدِيثُ الثَّانِي والعِشْرُون: عَن ابْن عَبَّاس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، وقَدْ رُوِيَ عَنْه من وُجُوهٍ:

أَحَدُها: عَنْ كريب مَوْلىٰ ابن عبَّاس، عَن ابْن عَبَّاس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قَالَ: دَخَل النَّبيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ البَيْتَ، فَوجَد فيه صُورَة إبْرَاهيم، وصُورَة مَرْيم، فَقَالَ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «أمَا لهُمْ فَقَد سَمعُوا أَنَّ المَلَائكَةَ لَا تَدْخل بيتًا فِيهِ صُورَةٌ، هَذَا إبْرَاهيم مُصوَّرٌ، فَمَا لَه يَسْتَقسم؟!»، رَوَاه الإِمَامُ أَحْمَدُ، والبُخَاريُّ، والنَّسَائيُّ(١).

الوَجْه الثَّانِي: عَنْ عكرمةَ، عَن ابْن عَبَّاس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لمَّا قَدمَ مكَّة، أَبىٰ أنْ يَدْخلَ البَيْت وَفِيهِ الآلهَة، فأَمَر بِهَا فأُخْرجَتْ، فأَخْرجَ صُورَة إبْرَاهيمَ وإسْمَاعيل في أَيْدِيهِما الأَزْلامُ، فقَالَ رَسُولُ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: **«قَاتَلهُمُ اللهُ، أمَّا -وَاللهِ- لَقَد عَلمُوا أَنَّهما ما اقْتسَمَا بها قَطُّ»**، رَوَاهُ الإِمَامُ أَحْمَدُ، والبُخَاريُّ، وأَبُو دَاوُد(٢).

وفِي رِوَايَةٍ لأَحْمَد والبُخَاريِّ: أَنَّ النَّبيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لمَّا رَأَىٰ الصُّورَ في البَيْت (يَعْني: الكَعْبة)، لَمْ يَدْخل، وأَمَر بِهَا فمُحيَتْ، وَرَأىٰ إبْرَاهيمَ وإسْمَاعيلَ عَلَيْهِمَاٱلسَّلَامُ بأَيْديهما الأَزْلامُ، فقَالَ: **«قَاتَلهُمُ اللهُ، وَاللهِ مَا اسْتَقْسَما بالأَزْلَام قطُّ»**(٣).

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٢٧٧) (٢٥٠٨)، والبخاري (٣١٧٣)، والنسائي في «الكبرىٰ» (٥/ ٥٠٠) (٩٧٧٢). والاستقسام: طلب القَسْم، وكان استقسامهم بالأزلام: أنهم كانوا إذا أراد أحدهم سفرًا، أو تزويجًا، أو نحو ذلك، ضرب بالقداح، وكانت قداحًا علىٰ بعضها مكتوب: أمرني ربي، وعلىٰ الآخر: نهاني ربي، وعلىٰ الآخر: غفل. فإن خرج «أمرني ربي» مضىٰ لشأنه، وإن خرج «نهاني ربي» أمسك، وإن خرج «الغفل» عاد فأجَّلها، وضرب بها مرة أخرىٰ، فمعنىٰ الاستقسام،طلب ما قسم له بما لا يقسم.

(٢) أخرجه أحمد (١/ ٣٣٤) (٣٠٩٣)، والبخاري (١٦٠١)، وأبو داود (٢٠٢٧).

(٣) أخرجه أحمد (١/ ٣٦٥) (٣٤٥٥)، والبخاري (٣٣٥٢).

الوَجْه الثَّالثُ: عَن أَبي صَالح، عَن ابْن عبَّاس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قَالَ: «لمَّا فتحَ رَسُولُ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ مَكَّة، دَعَا عُثْمان بن طَلْحة، فلَمَّا أَتَاه قَالَ: أَرِنِي المِفْتاحَ، فأَتَاه بِهِ.. فَذكر الحَدِيثَ إِلَىٰ أنْ قَالَ: وَفَتح بَابَ الكَعْبة، فَوَجد فِي الكَعْبة تمثالَ إِبْرَاهيمَ عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ معَه قِدَاحٌ يَسْتَقْسم بِهَا، فقَالَ رَسُولُ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**مَا للمُشْركينَ -قَاتَلهم اللهُ- وَمَا شَأْن إبْرَاهيم، وَشَأْن القِدَاحِ؟!**»، ثمَّ دَعَا بجَفْنةٍ فيها مَاءٌ، فأَخَذ ماءً، فغَمَسه فِيهِ، ثمَّ غَمَس به تلكَ التَّمَاثيل.. رَوَاه ابْن مَرْدويه[(١)].

الحَدِيثُ الثَّالث والعِشْرُونَ: عَنْ جَابر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: كَانَ فِي الكَعْبة صُوَرٌ، فأَمَر رَسُولُ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أَنْ يَمْحوَها فبَلَّ عُمَرُ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ ثوبًا، ومَحَاها به، فَدَخَلها رَسُولُ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وَمَا فيهَا منها شَيْءٌ.. رَوَاه الإِمَامُ أَحْمَدُ، وأَبُو دَاوُد، وهَذَا لَفْظ أَحْمَد[(٢)].

ولَفْظ أَبي دَاوُد: أَنَّ النَّبيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أَمَر عُمَر بن الخَطَّاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ زَمَن الفَتْح، وهُوَ بالبَطْحَاء أَنْ يَأْتِيَ الكَعْبة، فيَمْحو كُلَّ صُورَةٍ فيهَا، فلَمْ يَدْخلها النَّبيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ حَتَّىٰ مُحيَتْ كُلُّ صُورَةٍ فيهَا.

الحَدِيثُ الرَّابع والعِشْرونَ: عَنْ شَيْبَةَ بن عُثْمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**يَا شَيْبةُ، امْحُ كُلَّ صُورَةٍ فِي البَيْت**»، ذَكَره البُخَاريُّ فِي «تاريخِهِ»[(٣)].

الحَدِيثُ الخَامسُ والعِشْرُونَ: قَالَ ابْنُ جُرَيج: أَخْبَرني عَمْرو بن دينارٍ، أَنَّه بَلَغه

---

(١) ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٢/ ٥٧٠).

(٢) أخرجه أحمد (٣/ ٣٩٦) (١٥٢٩٦)، وأبو داود (٤١٥٦)، وقال الألباني: حسن صحيح.

(٣) (٨/ ٧٠).

أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أَمَر بطَمْس الصُّوَر الَّتي كَانَت في البَيْت.. رَوَاه عمرُ بن شبَّة في «أخْبَار مكَّة»(١).

وقَالَ ابْنُ هشَام: حَدَّثني بَعْضُ أَهْل العِلْمِ أنَّ رَسُولَ الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ دَخَل البَيْتَ يَوْم الفَتْح، فَرَأىٰ فيه صُورَ المَلَائكَة وغَيْرهم، وَرَأىٰ إبْرَاهيمَ مصورًا في يدِهِ الأزْلَام يَسْتَقسمُ بِهَا، فقَالَ: «**قَاتَلهُمُ اللهُ، جَعَلوا شَيْخنا يَسْتَقْسمُ بالأَزْلَام، مَا شَأْن إبْرَاهيم والأَزْلَام؟! ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾** [آل عمران: ٦٧]»، ثمَّ أمرَ بتِلْكَ الصُّوَر كُلِّها فَطُمسَتْ(٢).

الحَدِيثُ السَّادس والعِشْرُونَ: عَنْ أُسَامة بن زيدٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قَالَ: دَخلتُ عَلَىٰ رَسُول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فِي الكَعْبة، وَرَأىٰ صورًا، قَالَ: فَدَعا بدَلْوٍ من ماءٍ، فَأتيتُهُ به، فَجَعَل يَمْحوها ويَقُولُ: «**قَاتَل اللهُ قَوْمًا يُصوِّرون ما لا يَخْلقون**»، رَوَاه أَبُو دَاوُد الطَّيالسيُّ في «مُسْنده» بإسْنَادٍ جيِّدٍ، وعُمَر بن شبَّة فِي «أخْبَار مكَّة»، وَالحَافظ الضِّياء المقدسي فِي «المُخْتارة»(٣).

وفِي مَعْنىٰ قَوْله: «قَاتَلَهم اللهُ» أَقْوالٌ:

أَحَدُهَا: لَعَنهم اللهُ.. قَالَه ابْنُ عبَّاس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، وَاخْتَاره الإِمَامُ البُخَاريُّ رحمه الله تَعالَىٰ.

---

(١) ونقله عنه الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (٨/ ١٧).

(٢) «سيرة ابن هشام» (٢/ ٤١٣).

(٣) أخرجه الطيالسي (ص ٨٧) (٦٢٣)، وابن أبي شيبة (٥/ ٢٠٠) (٢٥٢١٢)، والطحاوي (٤/ ٢٨٣)، والطبراني (١/ ١٦٦) (٤٠٧)، والضياء (٤/ ١٢٥) (١٣٣٦)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٩٩٦).

الثَّانِي: قَتَلهم اللهُ.. قَالَه ابْنُ جُرَيج.

الثَّالث: أَنَّه ليسَ هُوَ عَلَىٰ تَحْقيق المُقَاتلة، وَلَكنَّه بمَعْنىٰ التَّعجُّب.. حَكَاه البغويُّ فِي «تَفْسيره»[١].

قَالَ الرَّاغبُ الأَصْفَهانِيُّ: «والصَّحيحُ أنَّ ذَلكَ هُوَ المُفَاعَلة، والمَعْنىٰ صَارَ بحَيْث يَتصدَّىٰ لمُحَاربة الله، فإنَّ مَنْ قَاتَلَ اللهَ، فمَقْتولٌ، ومَنْ غَالَبه فهُوَ مَغْلوبٌ»[٢]. انْتهَىٰ.

ويَظْهر لي أَنَّ المُرَادَ به هَاهُنَا اللَّعْن المَقْرون بالإنْكَار عَلَىٰ المُصوِّرين، والتَّعجُّب من سُوء صَنِيعِهِمْ، وَجَراءتهم عَلَىٰ المُضَاهَاة بخَلْق الله تَعَالَىٰ مَعَ عَجْزهم عَنْ نَفْخ الرُّوح فيمَا يُصوِّرونه، وَاللهُ أَعْلَمُ.

فَإنْ قيلَ: إنَّ فِي هَذِهِ الأَحَادِيثِ شيئًا من التَّعارُض، فَفي الرِّوَاية الأُولَىٰ عن عِكْرمَةَ أَنَّ النَّبيَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمر بالآلهَة فأُخرجَتْ، وفِي روايتِهِ الأُخْرىٰ أَنَّه أَمر بها فمُحيَتْ، ومثلُهُ مَا في حَدِيثِ جَابر، وَأُسَامة بن زَيْد، وعَمْرو بن دينارٍ.

وَأيضًا فَفِي رِوَايَة كريب عَن ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبيَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَل البيتَ، فَوَجد فِيهِ صُورَة إبْرَاهيمَ، وصُورَة مَريم.

ونَحْوه ما فِي حَدِيثِ أُسَامة بن زَيْد رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، وَمَا ذَكَره ابْنُ هشَام، وهَذَا يُعَارض رِوَايَةَ عِكْرمَة عَن ابْن عبَّاس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبيَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبَىٰ أَنْ يَدْخلَ البَيْتَ وفِيهِ الآلهةُ.

---

(١) (٤/ ٣٨).

(٢) «المفردات في غريب القرآن» (١/ ٦٥٦).

ونَحْوه مَا فِي حَدِيثِ جابر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أَنَّ النَّبيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لَمْ يَدْخل الكَعْبَةَ حَتَّىٰ مُحيَتْ كُلُّ صُورَةٍ فيهَا.

والجَوابُ أنْ يقَال: ليسَ بَيْن هَذِهِ الرِّوايَات تَعارُض بحَمْد الله تَعالَىٰ.

فأَمَّا الَّتي يُفْهم منها التَّعارُض بَيْن المَحْو والإخْرَاج، فوَجْهُ الجَمْع بَيْنها أَنَّه صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أَمَر بمَحْو ما كَانَ مَنْقوشًا في أعْمدَة الكَعْبة، وَحِيطَانِهَا، وأَمَر بإخْرَاج مَا كَانَ مُجسَّدًا ليُكْسرَ خَارجَ الكَعْبة مَعَ الأَصْنَام الَّتي كَانَتْ حَوْلها ليَرَىٰ المُشْرِكُونَ ما يصيبُ آلهَتَهمْ من الإهَانَة والإذْلَال، وَليَعْلموا أَنَّها لا تَنْفع، وَلَا تَضرُّ، وَلَا تَدْفع عن أَنْفسها شيئًا، فضلًا عَنْ عَابِدِيها.

وَعَلَىٰ هَذَا، فمَنْ قَالَ من الرُّواة: «إنَّ النَّبيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أَمَر بالصُّوَر فمُحيَتْ»، فمُرَادُهُ الصُّورُ المَنْقوشةُ، ومَنْ قَالَ: «أَمَر بِهَا فأُخرجَتْ»، فمُرَادُهُ الصُّور المُجسَّدة، وَاللهُ أَعْلمُ.

وأَمَّا الَّتي يُفْهم مِنْهَا التَّعارُض بَيْن دُخُولِهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ الكَعْبَةَ مَعَ وُجُود الصُّوَر فيهَا، وبَيْن امْتناعِهِ من الدُّخول حَتَّىٰ مُحيَت الصُّور كُلُّها، فوَجْهُ الجَمْع بَيْنها أَنَّه صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أَرَادَ دُخُولَ الكَعْبة، فلَمَّا رَأَىٰ ما فيهَا من الصُّور، رَجَع وأَمَر بإخْرَاج ما كَانَ مُجسَّدًا، ومَحْو ما كَانَ منقوشًا في الأَعْمدَة وَالحيطَان، فلَمَّا أَخْبَروه بإزَالَة الصُّور كُلِّها، دَخَل فَوَجد بقيَّةً خفيَتْ عَلَىٰ المَأْمورينَ بالمَحْو والإخْرَاج، فَمِنْهَا حَمَامةٌ من عِيدَانٍ كَسرها بيدِهِ الكَرِيمَة، ثمَّ طَرَحَها، ومِنْهَا صُورٌ مَنْقوشةٌ مَحَاها بالمَاء.

وَعَلَىٰ هَذَا، فمَنْ قَالَ منَ الرُّواة: «إنَّ النَّبيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ دَخَل الكَعْبَةَ وَفِيهَا صُورٌ»، فمُرَادُهُ ما وَجده النَّبيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ممَّا خَفِيَ عَلَىٰ المَأْمُورينَ بإتْلَاف الصُّور.

ومَنْ قَالَ: «إِنَّه لَمْ يَدْخلها حَتَّىٰ مُحيَتْ كُلُّ صُورَةٍ فيهَا»، فعُمْدتُهُ ما أَخْبَر به المَأْمُورُون من مَحْو الصُّور كُلِّها، وَخَفيَ عَلَىٰ الرَّاوي ما خَفِيَ عَلَىٰ المَأْمُورينَ بالإتْلَاف، والله أَعْلَمُ.

الحَدِيثُ السَّابع والعِشْرُونَ: عَنْ جابرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: نَهَىٰ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَن الصُّورَة فِي البَيْت، وَنَهَىٰ أَنْ يُصْنعَ ذَلكَ. رَوَاه التِّرمذيُّ، وقَالَ: حَدِيثٌ حسنٌ صحيحٌ[(١)].

الحَدِيثُ الثَّامن والعِشْرُونَ: عَنْ مُعَاوِيةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَىٰ عن النَّوْح، والشِّعْر، والتَّصَاوير، وجُلُود السِّباع، والتَّبرُّج، وَالغنَاء، والذَّهَب، والخزِّ، وَالحَرير.. رَوَاه الإِمَامُ أَحْمَدُ، والبُخَاريُّ في «تاريخِهِ» بأَسَانيدَ جَيِّدةٍ[(٢)].

الحَدِيثُ التَّاسع والعِشْرُونَ: عَنْ عَائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَكنْ يَتْرك فِي بَيْته شيئًا فيه تَصَاليبُ إِلَّا نَقَضه.. رَوَاه الإِمَامُ أَحْمَدُ، والبُخَاريُّ، وأَبُو دَاوُد، والنَّسَائيُّ، وهَذَا لَفْظ البُخَاريِّ[(٣)].

ولَفْظُ أَحْمَد: «لَمْ يَكنْ يَدَع في بَيْته ثوبًا فِيهِ تَصْلِيب إِلَّا نَقَضَه»[(٤)].

---

(١) أخرجه الترمذي (١٧٤٩)، وصححه الألباني.

(٢) أخرجه أحمد (٤/ ١٠١) (١٦٩٧٧) وقال شعيب الأرنؤوط: «صحيح لغيره وهذا إسناد ضعيف»، والبخاري في «التاريخ الكبير» (٧/ ٢٣٤).

(٣) أخرجه أحمد (٦/ ٥٢) (٢٤٣٠٦)، والبخاري (٥٩٥٢)، وأبو داود (٤١٥١)، والنسائي في «الكبرىٰ» (٨/ ٤٦١) (٩٧٠٦).

(٤) أخرجه أحمد (٦/ ٥٢) (٢٤٣٠٦)، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح.

ولَفْظُ أَبِي دَاوُد: «كَانَ لا يَتْرك في بَيْته شيئًا فِيهِ تَصْلِيب إلَّا قَضَبه»[١].

قَالَ الخَطَّابِيُّ[٢]: مَعْناه قَطَعه، والقَضْبُ القَطْعُ. وَالتَّصليبُ مَا كَانَ عَلَىٰ صُورَة الصَّليب.

وَذَكَر الحَافظُ ابْن حَجَرٍ أَنَّ فِي رِوَايَةِ الكُشْمَيْهَنِي «تَصَاوِير» بَدَل «تَصَاليب»، فلَعلَّ البُخَارِيَّ -رَحمَهُ اللهُ تَعالَىٰ- أَشَار إِلَىٰ هَذِهِ الرِّوايَة حَيْث تَرْجم عَلَىٰ هَذَا الحَدِيثِ بقَوْله: (بَاب نَقْض الصُّور)[٣].

وَقَالَ الحَافظُ ابْنُ حَجَر: «الَّذي يَظْهر أَنَّه اسْتَنْبطَ من نَقْض الصَّليب نَقْض الصُّورَة الَّتي تَشْتَرك مع الصَّليب فِي المَعْنَىٰ، وهُوَ عبادَتها من دُون الله، فيَكُونُ المُرَاد بالصُّور خُصُوصُ ما يَكُون من ذَوَات الأَرْوَاح، بَلْ أخصُّ من ذَلكَ».

ثمَّ نَقَلَ الحَافظُ عَن ابْن بَطَّال أَنَّه قَالَ: «فِي هَذَا الحَدِيثِ دِلَالةٌ عَلَىٰ أَنَّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَنْقض الصُّورَة؛ سَوَاء كَانَت ممَّا له ظلٌّ، أَمْ لَا، وَسَواء كَانَتْ ممَّا تُوطَأ، أَمْ لَا، وَسَوَاء فِي الثِّياب، وَفِي الحِيطَانِ، وَفِي الفَرْش والأَوْرَاق، وغَيْرها»[٤]. انْتَهَىٰ.

الحَدِيثُ الثَّلَاثون: عَنْ أَبِي الهيَّاج الأَسْدي، وَاسْمُهُ حيَّان بن حُصَين، قَالَ: قَالَ لي عليُّ بن أَبِي طالبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَلَا أَبْعَثك عَلَىٰ ما بَعَثني عَلَيْه رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَلَّا تَدعَ تمثالًا إِلَّا طَمَسته، وَلَا قَبْرًا مُشْرفًا إِلَّا سَوَّيته**»، رَوَاه الإِمَامُ

---

(١) أخرجه أبو داود (٤١٥١)، وصححه الألباني.

(٢) في «معالم السنن» (٤/ ٢٠٦).

(٣) «صحيح البخاري» (٧/ ١٦٧).

(٤) «فتح الباري» (١٠/ ٣٨٥).

أَحْمَدُ، ومُسْلمٌ، وأَهْل السُّنَن إلَّا ابْن مَاجَه[١].

وَفِي رِوَايَةٍ لمُسْلمٍ: «**ولا صُورَة إلَّا طَمَستها**»[٢]، ونَحْوه رِوَايَة النَّسَائيِّ.

وَفِي رِوَايَةٍ لأَحْمَد: أنَّ عليًّا رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: أبْعَثك فيمَا بَعَثني رَسُولُ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: أَمَرني أنْ أُسوِّي كُلَّ قَبْرٍ، وأَطْمِسَ كُلَّ صَنَمٍ[٣].

قَالَ ابْنُ القيِّم رحمه الله تَعالَىٰ: «هَذَا يدلُّ عَلَىٰ طَمْس الصُّور في أيِّ شيءٍ كَانَتْ، وهَدْم القُبُور المُشْرفة وإنْ كَانَت مِنْ حِجَارَةٍ، أَوْ آجُرٍّ، أَوْ لَبِنٍ.

قَالَ المروذيُّ: قُلْتُ لأَحْمَدَ: الرَّجلُ يَكْتَري البَيْتَ، فيَرَىٰ فيه تَصَاوِيرَ ترَىٰ أنْ يَحُكَّها؟ قَالَ: نَعمْ.

قَالَ ابْنُ القيِّم رحمه الله تَعالَىٰ: وحُجَّتُهُ هَذَا الحَدِيثُ الصَّحيحُ»[٤]. انْتهَىٰ.

الحَدِيثُ الحَادي والثَّلَاثون: عَنْ أَبي مُحمَّد الهُذَلي، ويُكْنَىٰ أيضًا بأَبي مُورِّع، عَنْ عليٍّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في جِنَازَةٍ، فقَالَ: «**أَيُّكمْ يَنْطلق إلَىٰ المَدينَة، فَلَا يَدعُ بها وثنًا إلَّا كَسَره، وَلَا قَبْرًا إلَّا سَوَّاه، وَلَا صُورَةً إلَّا لَطَّخَها**»، فَقَالَ رجلٌ: أنَا يَا رَسُولَ الله، فَانْطلَق، فَهَاب أَهْلَ المَدينَة، فَرَجَع، فَقَالَ عليٌّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ:

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٩٦) (٧٤١)، ومسلم (٩٦٩)، وأبو داود (٣٢١٨)، والترمذي (١٠٤٩)، والنسائي (٢٠٣١).

(٢) أخرجه مسلم (٩٦٩).

(٣) أخرجه أحمد (١/ ٨٩) (٦٨٣)، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده ضعيف جدًّا، وأصل الحديث صحيح.

(٤) «الطرق الحكمية» (١/ ٢٣٢).

أَنَا أَنْطَلِقُ يا رَسُولَ الله. قَالَ: فَانْطَلِق، فَانْطَلَق ثمَّ رَجَع، فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، لَمْ أَدعْ بِهَا وثنًا إلَّا كَسَرته، وَلَا قبرًا إلَّا سَوَّيته، وَلَا صُورَةً إلَّا لَطَّختها.

ثمَّ قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«مَنْ عَادَ لصَنْعة شَيْءٍ من هَذَا، فقَدْ كَفَر بمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ مُحمَّدٍ** صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»، رَوَاه الإِمَامُ أَحْمَد، وَابنُهُ عَبْد الله فِي زَوَائد «المُسْند»، وأَبُو دَاوُد الطَّيالسيُّ في «مُسْنده»(١).

وَفِي هَذَا الحَدِيثِ وَالأَحَادِيثِ التِّسْعة قَبْله عدَّة فَوَائد:

الأُولَىٰ: مِنْهَا امْتناعُ المَلَائكَة من دُخُول البَيْت إذَا كَانَ فِيهِ صورةٌ.

الثَّانيةُ: أَنَّ تَصْويرَ ذَوَات الأَرْوَاح، واتِّخَاذ الصُّور من أَفْعَال المُشْركينَ وسُنَنهم، فمَنْ صَنعَ الصُّور من هَذِهِ الأُمَّة، أَو اتَّخَذها عندَهُ، فهُوَ مُتشبِّهٌ بِهِمْ، ومَنْ تَشبَّه بقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ.

الثَّالثة: كَرَاهة دُخُول البَيْت الَّذي فِيهِ صُورَةٌ، وقَدْ تَقدَّم ما رُوِيَ عن عُمَر، وَأَبي مَسْعودٍ، وابْن مَسْعودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ فِي ذَلكَ.

الرَّابعة: مَشْروعيَّة تَغْيير الصُّور بالمَحْو ونَحْوه إنْ أَمْكَنَ، وإلَّا فبالتَّلْطيخ بمَا يُغيِّر هَيْئَتَها.

الخَامسة: كَرَاهَة الصَّلاة في المَوْضع الَّذي فِيهِ صورةٌ.

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٨٧) (٦٥٧)، وعبد الله بن أحمد في زوائد «المسند» (١/ ١٣٨) (١١٧٠)، والطيالسي (١/ ١٦) (٩٦)، وأبو يعلىٰ (١/ ٣٩٠) (٥٠٦)، وقال الألباني في «ضعيف الترغيب والترهيب» (١٧٩٥): منكر.

قَالَ ابْنُ القيِّم رحمه الله تعالَىٰ: «وهُوَ أحقُّ بالكَرَاهة من الصَّلَاة في الحَمَّام؛ لأنَّ كَرَاهَة الصَّلاة في الحَمَّام إمَّا لكَوْنه مَظنَّة النَّجَاسة، وإمَّا لكَوْنه بيْت الشَّيْطان، وهُوَ الصَّحيحُ.

وأمَّا مَحلُّ الصُّور، فَمَظنَّة الشِّرْك، وَغَالب شِرْكِ الأُمَم كَانَ من جِهَةِ الصُّور والقُبُور»[1]. انْتهَىٰ.

وَقَالَ البُخَاريُّ في «صَحيحِهِ»[2]: «وَكَانَ ابْن عبَّاس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا يُصلِّي في البيْعة إلَّا بَيْعةً فيهَا تَمَاثيلُ».

قَالَ الحَافظُ ابْن حَجَرٍ في «فَتْح البَاري»[3]: «وَصَله البغويُّ في «الجَعْديَّات»، وَزَاد فِيهِ: فإنْ كَانَ فيها تَمَاثيلُ، خَرَج فَصلَّىٰ فِي المَطَر».

وَقَالَ شَيْخُ الإِسْلَام أَبُو العبَّاس ابْن تَيْمية رحمه الله تَعالَىٰ: «المَنْصوصُ عَنْ أَحْمَد والمَذْهب الَّذي نصَّ عَلَيْه عَامَّة الأَصْحَاب كَرَاهَة دُخُول الكَنيسَة الَّتي فيهَا التَّصَاوير، والصَّلَاة فيها، وَفِي كُلِّ مَكَانٍ فِيهِ تَصَاوير أَشَد كَرَاهة، وهَذَا هُوَ الصَّوابُ الَّذي لا رَيْبَ فيه، وَلَا شكَّ»[4]. انْتهَىٰ.

السَّادسَة: أَنَّه لَا فَرْقَ بَيْن الصُّور المُجسَّدة، وغَيْر المُجسَّدة، فكُلٌّ منَ النَّوْعين يجبُ تَغْييره.

---

(١) «زاد المعاد» (٣/ ٤٠٢).

(٢) (١/ ٩٤).

(٣) (١/ ٥٣٢).

(٤) «الفتاوىٰ الكبرىٰ» (٥/ ٣٢٧).

وَتُكْرَه الصَّلاة في المَوْضع الَّذي هُوَ فِيهِ، وقَدْ نصَّ الإِمَامُ أَحْمَد -رَحمَهُ اللهُ تَعالَىٰ- عَلَىٰ حَكِّ التَّصَاوير الَّتي لَيْسَت بمُجسَّدة، ونُقدِّم قريبًا ما نَقَله المروذيُّ عَنْه في ذَلك.

وقَالَ المَرُّوذي أيضًا: قلتُ لأبي عبدِ الله: فإنْ دخلتُ حمَّامًا فرأيتُ فيه صُورَةً، تَرىٰ أن أحُكَّ الرَّأسَ؟ قَالَ: نَعَم[(١)].

وقَد رُوي عَن الحسَن وعُمر بن عبدِ العزيز نحوُ ذلك:

فأما الحسَنُ البَصري؛ فذكَر المَرُّوذيُّ في كتاب «الوَرَع»[(٢)] عَن عِيسىٰ بن المُنذر الرَّاسبي، قَالَ: سمعتُ الحسنَ وقَالَ له عُقبةُ الرَّاسبي: في مَسجدنا ساجة[(٣)] فيها تصاويرُ، فقَالَ الحسنُ: أَنجِروها.

وأما عمرُ بن عبد العَزيز؛ فذكَر الحافظُ أَبُو الفرج ابْنُ الجَوزي -رَحِمهُ اللهُ تَعالَىٰ- عَن حُسين بن وَردانَ، قَالَ: مرَّ عمرُ بن عبدِ العزيز بحَمَّام عَلَيْه صُورَة، فأمَر بها فطُمست وحُكَّت، ثمَّ قَالَ: لو علمتُ مَن عَمِل هَذَا لأوجعتُه ضَربًا.

ويتخرَّج عَلَىٰ هَذِهِ الرِّواية عَن الإمَام أَحْمَد -رَحِمهُ اللهُ تَعالَىٰ- أن تغييرَ الصُّور المُجسَّدَة مطلوبٌ كغَير المُجسَّدة، بل أَولىٰ.

السَّابعة: إنْكارُ المُنكر باليَد لمَن قَدر عَلَىٰ ذلك.

---

(١) «الورع» للإمام أحمد (رواية المروذي) (١/ ١٥١) (٤٥٦).

(٢) (١/ ١٥٢) (٤٦٠).

(٣) ساجة مفرد ساج: وهو الخشب يجلب من الهند.

الثَّامنة: لَعْن المُصوِّرين والدُّعاء عَلَيْهم.

التَّاسعة: أنَّ مُتَّخذ الصُّورَة شَريكٌ لصَانعها في الوِزْر واللَّعْنة، لأنَّ اتِّخاذَها دليلٌ عَلَىٰ الرِّضَا بصِناعَتها، والرَّاضي بالذَّنْب كفَاعِله.

وقَالَ الحافظُ ابْن حَجر: إنَّ المُتَّخذ أَولىٰ بالوعيد، وتقدَّم كَلَامُه في ذَلكَ مع فوائد الحَدِيث الثَّاني، فيُراجَع.

العاشِرة: التَّصريح بعجْز المُصوِّرين عَن نفْخ الرُّوح فيما يُصوِّرُون.

الحادي عَشرة: الرَّدُّ عَلَىٰ صاحِب «الأغلال» ومَن شاكلَه من الزنادقة الَّذينَ يخشَون أو يَرجون أن يأتي زمنٌ يوجد فيه إنسان صناعي وحيوان صناعي.

الثانية عشرة: الرد عَلَىٰ مَن زعَم أَنَّ المنعَ خاصٌّ بالصُّور المُجسَّدة، فإِنَّ الصُّور الَّتي أمر رَسُول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بمَحْوها ومَحَا هُوَ بنفسِه الكريمَة ما بَقي منها قد كانت مِن غَير المُجسَّدة قَطعًا.

وأما المُجسَّدة فقد كَانَ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَطعنُها بعُودٍ معه، أو يُشير به إليها إشارةً فتَخِرُّ عَلَىٰ وجوهها وأقفائها، كما جاء ذَلكَ في أَحَاديثَ صحيحةٍ عَن ابْن مسعود، وابْن عباس، وابْن عُمر، وأبي هُريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ.

وذكر ابْنُ إسحاق في «السيرة»: أَنَّ النَّبيَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وجد في الكعبة حمامَة مِن عيدان فكسَرها بيده، ثمَّ طرَحها[١]. فقد سوَّىٰ رَسُولُ الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بين الصُّور المُجسَّدة وغير المُجسَّدة في الإنكار والتغيير، فمَن فرَّق بينهما فمنع المجسدة

(١) نقله ابن هشام في «السيرة» (٢/ ٤١١) عن ابن إسحاق.

وأوجب تغييرَها، وأجاز غيرَ المجسدة ولم يرَ تغييرَها؛ فقد فرَّق بين متماثلين، وآمنَ ببَعْض ما جاء عَن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في ذَلكَ وردَّ بَعْضَه.

الثالثة عشرة: النَّهي الصَّريح عَن اتِّخاذ الصُّور في البيوت وعن صِناعتها.

الرَّابعة عشرة: أَنَّ النَّهي يَقتضي التَّحريم، وهَذَا هُوَ الصَّحيح من قَولي العُلماء، وقد نُقل هَذَا عَن مالك والشافعي، وهُوَ قول الجمهور، واختاره البُخَاريُّ رحمه الله تَعالَىٰ، قَالَ في آخر كتاب (الاعتصام) من «صحيحه»[1]: (بَاب: نَهي النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَىٰ التَّحريم إلَّا ما تُعرف إباحتُه).

قَالَ الحافظُ ابْن حَجر في «فتح الباري»[2]: «أَي: بدلالة السِّياق، أو قرينةِ الحال، أو قيام الدليل عَلَىٰ ذَلكَ»، انتهىٰ.

الخامسة عشرة: مَشروعية نقْض الصُّور والتَّصاليب من الثِّياب ونحوها، إذَا أمكن ذَلكَ، فإن لم يُمكن فالواجبُ تَلطيخُها بما يغيِّر هيئتَها.

السَّادسة عشرة: الأمرُ الصَّريح بطَمس الصُّور، وأن لا يُترك منها شَيء. ومِن الوَاجب المُتعيَّن عَلَىٰ وُلاة أُمور المسلمين أن يفعلوا كما فعل رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكما فعَل الخليفةُ الراشد عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فيبعثوا رجالًا يَطمِسون الصورَ الَّتي عند رعاياهم، ولا يَتركوا منها شيئًا، ويجب عَلَيْهم أيضًا أن يَمنعوا من صِناعة التَّصاوير في سائر بلادِ ولايتهم، ومِن جَلْبِها إليهم مِن خارج ولايتهم.

---

(١) (٩/ ١١٢).

(٢) (١٣/ ٣٣٧).

ولو سَلكوا مِنهاج الخَليفة الرَّاشد عُمر بن عبد العزيز -رَحِمهُ اللهُ تَعالَىٰ- في تأديب المُصوِّرين لكَانَ ذَلكَ خيرًا لهم.

وليَعلم أولوا الأمر أنهم مَسئولون يومَ القيامة عَن رعاياهم، فليُعدُّوا للسُّؤال جوابًا.

السَّابعة عشرة: عُمُوم الأَمْر بطَمس الصُّور، فيَدخل في ذَلكَ كُلّ صُورَة من صُورِ ذوات الأَرْوَاح، سواء كَانَ لها ظِلٌّ أو لم يكن، وسواء كانت تامَّةً أو ناقصَة إذَا كَانَ فيها رأس، لأَنَّ النَّكرة في قوله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا تدع صُورَة إلَّا طمستها**»[1] تَقتضي العُمُومَ. ويَدخل في عُمُومها الرَّأسُ المُصوَّر وحده؛ لأن تَصْوير الرَّأس هُوَ أعظم مقصودٍ بالنهي، كما يدل عَلَىٰ ذَلكَ قولُ جبريلَ للنَّبيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مُرْ برَأس التِّمثال فليُقطَع، فيصير كهيئة الشجرة**»[2].

وقد قَالَ **بَعْض الفُقهاء**: إذَا فرَّق بين الرأس والجسد فقد زال المحذور.

وكذَلكَ إذَا قطع من الصُّورَة ما لا يبقىٰ الحيوانُ بعد ذهابه؛ كصَدره أو بطْنه.

وكذَلكَ إذَا كانت الصُّورَة رأسًا بلا بَدن.

وهَذَا القول ليس بشَيء؛ لمُخالفته لحَدِيث أبي هُريرةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في قصَّة جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، ولمخالفته أيضًا لعُمُومات كثيرٍ من الأَحَاديث الَّتي سبق ذِكرُها.

والصَّحيح: أَنَّ المحذور في الصُّورَة الرأس وحده، نص عَلَيْه الإمَام أَحْمَدُ رحمه الله تَعالَىٰ.

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

وروىٰ ذَلكَ عَن ابْن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وعِكْرمة.

قَالَ أَبُو دَاوُد: سمعتُ أَحْمَد -رَحِمهُ اللهُ تَعَالَىٰ- يقول: الصُّورَة الرأس.

وقد تقدم قريبًا ما نقله المَرُّوذي عَن أَحْمَد -رَحِمهُ اللهُ تَعَالَىٰ- مِن حكِّ الرأس وحده.

ثم قَالَ أَبُو دَاوُد: حدثنا محمد بن محبوب قَالَ: حدثنا وُهيب -يعني ابْن خالد الباهلي- عَن خالد -يعني الحذاء- عَن عكرمة، عَن ابْن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «الصُّورَة الرأسُ، فإذَا قُطع الرأس فليس هُوَ صُورَة»، إِسْنَاد صحيح عَلَىٰ شرط البُخَاري[١].

وقَالَ أيضًا: حدثنا أَحْمَد -يعني الإِمَام أَحْمَد بن حنبل- قَالَ: حدثنا إسماعيل -يعني ابْن عُليَّة- عَن خالد، عَن عكرمة؛ نحوَه، لم يذكر ابْن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. إِسْنَاده صحيح عَلَىٰ شرط البُخَاري.

وفي «المُسنَد»[٢] من حَدِيث شعبة بن دينار مولىٰ ابْن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ المِسور بن مَخرمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا دخل عَلَىٰ ابْن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يعوده من وجع، وعَلَيْه بُرد استبرق، فقَالَ: يا أبا عباس، ما هَذَا الثوب؟ قَالَ: ما هُوَ؟ قَالَ: هَذَا الاستبرق؟ قَالَ: والله ما علمتُ به، وما أظن النَّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نهىٰ عَن هَذَا حين نهىٰ عنه إلَّا للتَّجبُّر والتَّكبُّر، ولسنا -بحمد الله- كذَلكَ، قَالَ: فما هَذِهِ التَّصاوير في الكانون؟ قَالَ:

---

(١) وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٩٢١).

(٢) (١/ ٣١٩) (٢٩٣٤)، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده ضعيف.

ألا ترىٰ قد أحرقناها بالنار؟! فلما خرج المِسورُ قَالَ: انزعوا هَذِهِ الثَّوب عني، واقطعوا رءوسَ هَذِهِ التماثيل، قالوا: يا أبا عباس، لو ذهبت بها إِلَىٰ السوق كَانَ أنفق لها مع الرأس، قَالَ: لا، فأمر بقطع رءوسها. وهَذَا حَدِيث حسن، قَالَ أَحْمَد وابْنُ مَعين: شعبة بن دينار لا بأسَ به. وبقية رجاله رجال الصَّحيح.

قَالَ الجَوهريُّ وغيرُه من أهل اللغة: الكانون الموقد، يعني الموضع الَّذي تُوقد فيه النار.

قلت: وهُوَ معروف بهَذَا الاسم إِلَىٰ زماننا، ولكنه لنوع من المواقد، لا لجميعها.

وفي هَذَا الحَدِيث والَّذي قبله دليلٌ عَلَىٰ أن حُكم الصُّورَة متعلِّق بالرأس وحده.

والأصل في هَذَا قولُ جبريل للنبي صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**مُرْ بالرأس فليُقطع، فيصير كهيئة الشجرة**»(١).

فدلَّ عَلَىٰ أَنَّ المحذورَ كلَّه في تَصْوير الرأس.

ودل عَلَىٰ أن قطع غيره لا يقوم مَقامه، ولا يكفي في التغيير، ولو كَانَ المقطوع مما لا تبقىٰ الحياةُ بعد ذهابه؛ كصَدره أو بطنه.

وَعَلَىٰ هَذَا؛ فتحريم التَّصْوير والاتِّخاذ مُتعلِّق بوُجود الرَّأس.

وكذَلكَ وُجوب الطَّمس مُتعلِّق بوجود الرَّأس، واللهُ أعلمُ.

---

(١) سبق تخريجه.

وأما قياسُ قَطع الصَّدر أو البطن عَلَىٰ قطع الرأس، فهُوَ قياسٌ مع وجود الفارق؛ لأَنَّها وإن شاركاه في ذهاب الحَياة بذهابهما فقد اختفىٰ هُوَ دونهما ودون سائر الأعضاء بشيئين:

أحدهما: أَنَّه إذَا قُطع صار باقي الجِسم كهيئة الشَّجرة، وخَرج عَن شَكْل ذَوات الأَرْوَاح.

الثَّاني: أَنَّه مُشتمل عَلَىٰ الوَجه الَّذي هُوَ أشرفُ الأعضاء، ومجمع المَحاسن، وأعظم فارق بين الحيوان وبين غيره من النباتات والجمادات، وبطَمْسه تَذهب بهجة الصُّورَة ورَونقها، وتعود إِلَىٰ مُشابهة النَّباتات والجَمادات، ولهَذَا قَالَ جبريلُ للنَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مُرْ برَأس التِّمثال فليقطع، فيَصير كهيئة الشَّجرة**».

وبهَذَا يُعرف أن غير الرَّأس لا يُساويه، وأن مَن قاسَ شيئًا من الأعضاء عَلَىٰ الرأس فقياسه غير صحيح، فلا يُعتدُّ به، واللهُ أعلمُ.

وقد قَالَ بهَذَا القياس الفاسِد كثيرٌ من فقهاء الحنابلة، فخالفوا نصَّ إمامِهم، مع مخالفتهم لحَدِيث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في قصة جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، ولِما ثبت عَن ابْن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّه قَالَ: «الصُّورَة الرأس، فإذَا قُطع الرأسُ فليس بصُورة». ولعُمُومات الأَحَاديث الَّتي تقدم ذكرها.

وخَليق بهَذَا القول أن يُضرب به الحائط، ولا يُعوَّل عَلَيْه، والله الموفق.

ويدخل في عُمُوم النَّكرة أيضًا: الوجه المُصوَّر وحده؛ لإطلاق لفظ الصُّورَة عَلَيْه في كَلَام النَّبيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكَلَامِ أصحابه رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، وكَلَام أهل اللُّغة.

فأما إطلاق ذَلكَ عَلَيْه في كَلَام النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ففي عدة أَحاديث:

الأول منها: عَن سالم بن عبد الله، عَن أبيه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: نهىٰ رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن تُضرب الصُّور، يعني الوجه. رَوَاه الإِمَام أَحْمَد في «مسنده»[(١)] بإِسْنَاد صحيح عَلَىٰ شرط الشيخين.

وقَالَ البُخَاري -رَحِمهُ اللهُ تَعَالَىٰ- في «صَحيحِه»[(٢)]: (باب الوَسم والعَلم في الصُّورَة): حدثنا عبيد الله بن موسىٰ، عَن حنظلة، عَن سالم، عَن ابْن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّه كره أن تُعلَّم الصُّورَة. وقَالَ ابْن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: نهىٰ النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن تُضرب. تابعه قتيبةُ قَالَ: حدثنا العنقري، عَن حنظلة، وقَالَ: تُضرب الصُّورَة.

قوله: أن تُعلم الصُّورَة، أي: يُجعل في الوجه عَلامة مِن كَيٍّ أو سِمَة.

قَالَ الحافظ ابْنُ حَجر في «فتح الباري»[(٣)]: المراد بالصُّورَة الوجه.

قَالَ: وقد أخرج الإسماعيلي الحَدِيثَ من طريق وكيع عَن حنظلة، بلفظ: أن تُضرب وجوه البهائم.

ومن وجه آخر عنه: أن تضرب الصُّورَة، يعني الوجهَ.

وأخرجه أيضًا من طريق محمد بن بكر البرساني، وإسحاق بن سليمان الرازي، كلاهما عَن حنظلة قَالَ: سمعتُ سالمًا يُسئل عَن العَلَم في الصُّورَة، فقَالَ: كَانَ ابن

---

(١) (٢/ ٢٥) (٤٧٧٩)، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح علىٰ شرط الشيخين.

(٢) (٥٥٤١).

(٣) (٩/ ٦٧١).

عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يكره أن تُعلم الصُّورَة، وبلغنا أَنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نهىٰ أن تُضرب الصُّورَة، يعني بالصُّورَة الوجه.

الحَدِيث الثاني: عَن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَوَّل زُمرة تَلج الجنةَ صُورُهم عَلَىٰ صُورَة القَمر ليلةَ البدر**». الحَدِيث رَواه الإِمَام أَحْمَد، والشيخان، والتِّرْمِذِي، وابْن ماجه(١).

والمراد بالصُّوَر ها هنا: الوجوه خاصَّة؛ لما في «الصَّحيحَين» عَن أبي حازم، عَن سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**لَيدخُلنَّ الجنةَ مِن أمَّتي سبعون أو سبعمائة ألف -لا يَدري أَبُو حازم أيهما قَالَ- مُتماسِكون آخِذٌ بَعْضُهم بَعْضًا، لا يدخل أَوَّلُهم حَتَّىٰ يدخلَ آخرُهم، وجوهُهم عَلَىٰ صُورَة القمر ليلة البدر**»(٢).

وفي «المسند» و«صحيح مسلم»، عَن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أن رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ -فذكر الحَدِيث وفيه-: «**فتَنجُوا أَوَّل زُمرة وجوهُهم كالقمر ليلة البدر، سبعون ألفًا لا يُحاسبون...**» الحَدِيث(٣).

وفي «المُسنَد»(٤) أيضًا من حَدِيث أبي بَكر الصِّدِّيق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أُعطيتُ سَبعين ألفًا يَدخلون الجنة بغير حسَاب، وجوهُهم**

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٣١٦) (٨١٨٣)، والبخاري (٣٢٤٥)، ومسلم (٢٨٣٤)، والترمذي (٢٥٣٧)، وابن ماجه (٤٣٣٣).

(٢) أخرجه البخاري (٦٥٥٤)، ومسلم (٢١٩).

(٣) أخرجه أحمد (٣/ ٣٤٥) (١٤٧٦٣)، ومسلم (١٩١).

(٤) (١/ ٦) (٢٢)، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده ضعيف.

كالقَمر ليلة البدر».

ففي هذه الأحاديث بيان المراد بالصُّوَرِ في حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

الحَدِيث الثالث: عَن أبي سَعيد الخُدري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، عَن النَّبِيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قَالَ: «**أَوَّل زُمرةٍ تَدخلُ الجنةَ عَلَىٰ صُوره القمرِ ليلةَ البَدر**...» الحَدِيث، رَوَاه الإِمَام أَحْمَد، والتِّرْمِذِي وقَالَ: هَذَا حَدِيث حسن صحيح[١].

وفي هَذَا الحَدِيث والَّذي قبله تشبيهُ صور الزُّمرة الأولىٰ من أهل الجنة بصورة القمر.

ومعلوم أَنَّ القمر ليس فيه إلَّا صُورَة الوجه وحده، فدلَّ عَلَىٰ أَنَّ الوجه وحده يسمىٰ صوره عَلَىٰ الحقيقة، فيَحرم تَصْويره مطلقًا، سواء كَانَ معه جسم أو بَعْض جسم، أو كَانَ مفردًا بالتَّصْوير، واللهُ أعلمُ.

الحَدِيث الرَّابع: عَن أبي سعيد الخُدري -أيضًا- رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: سمعتُ رَسُول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يقول وهُوَ يَصِفُ يوسفَ حين رآه في السماء الثالثة قَالَ: «**رأيتُ رجلًا صُورته كصُورة القمر ليلة البدر، فقلتُ: يا جبريلُ، مَن هَذَا؟ قَالَ: هُوَ أخوك يُوسف**». رَوَاه الحاكم في «مُستدركه»[٢].

وفي هَذَا الحَدِيث إطلاق لفظ الصُّورَة عَلَىٰ الوجه وحده، لأَنَّه هُوَ الَّذي يُشبه صُورَة القمر.

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ١٦) (١١١٤٢)، والترمذي (٢٥٢٢)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٧٣٦).

(٢) (٢/ ٦٢٣) (٤٠٨٧)، وإسناده شديد الضعف، فيه أبو هارون العبدي وهو متروك الحديث.

الحَدِيث الخامس: عَن أبي هُريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَن النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**أما يَخشىٰ أحدُكم، أو ألَا يَخشىٰ أحدُكم إذَا رفَع رأسَه قبل الإمَام أن يجعل اللهُ رأسَه رأسَ حمارٍ، ويَجعل اللهُ صُورته صُورَة حِمَار؟**». رَوَاه الإمَام أَحْمَد والشيخان وأهل السنن، وهَذَا لفظ البُخَاري[1]. والمراد بالصُّورَة ههنا: الوجه؛ لما في رِوَايَة لمسلم: «**أن يجعل الله وجهه وجه حمار**»[2].

ففي هَذِهِ الرواية بيان المراد بالصُّورَة في الرواية الأولىٰ، واللهُ أعلمُ.

الحَدِيث السادس: عَن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إذَا سجَد يقول: «**اللَّهمَّ لكَ سَجدتُ، ولكَ أَسلمتُ، وبك آمنتُ، سَجد وجهي للَّذي خلقه وصوَّره فأحسَن صورته، وشقَّ سمعَه وبصرَه، تباركَ اللهُ أحسَن الخَالقين**». رَوَاه الإمَام أَحْمَد ومُسلم وأَبُو دَاوُد والنَّسَائيُّ والدَّارقطني، وهَذَا لفظ النَّسَائيِّ[3].

الحَدِيث السابع: عَن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن ناسًا قَالَوا: يا رَسُول الله، هل نرىٰ ربَّنا يوم القيامة؟ قَالَ رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**نَعم...**» الحَدِيثَ بطوله، وفيه: «**حَتَّىٰ إذَا خَلص المؤمنون من النار فوالَّذي نفسي بيده، ما مِنكم مِن أحَد بأشَد مُناشدة[4] في استِقصاء الحقِّ من المُؤمنين لله يوم القيامة لإخوانهم الَّذينَ في النار،**

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٥٠٤) (١٠٥٥٣)، والبخاري (٦٩١)، ومسلم (٤٢٧)، وأبو داود (٦٢٣)، والترمذي (٥٨٢)، والنسائي (٨٢٨)، وابن ماجه (٩٦١).

(٢) أخرجه مسلم (٤٢٧).

(٣) أخرجه أحمد (١/ ٩٤) (٧٢٩)، ومسلم (٧٧١)، وأبو داود (٧٦٠)، والنسائي (١١٢٦)، والدارقطني (٢/ ٥٥) (١١٣٧).

(٤) سقط من المطبوع.

يقولون: ربنا كانوا يَصومون معنا ويُصلُّون ويَحجُّون، فيقَال لهم: أَخرجوا مَن عَرفتم، فتحرم صُورهم عَلَىٰ النار». الحَدِيث، متفق عَلَيْه، وهَذَا لفظ مسلم[1].

والمراد بالصُّور ههنا: الوُجوه، والدَّليل عَلَىٰ ذَلكَ: ما رَوَاه مسلم من حَدِيث جابر بن عبد الله رَضِيَٱللَّهُعَنهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيهِوَسَلَّمَ: «**يَحترقون فيها إلَّا دارت وجوههم حَتَّىٰ يدخلوا الجنة**»[2].

وأما إطلاق لفظ الصُّورَة عَلَىٰ الوجه في كَلَام الصحابة رضوان الله عَلَيْهم أجمعين: فقد رَوَاه الإِمَام أَحْمَد في «مسنده»[3] من حَدِيث سَالم بن عبد الله، عَن عبد الله بن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنهُمَا، أَنَّه كَانَ يَكره العَلم في الصُّورَة، وقَالَ نهىٰ رَسُول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيهِوَسَلَّمَ عَن ضَرب الوَجْه.

وقد رَوَاه البُخَاري في «صَحيحِه»، والإسماعيلي بنحوه، وتقدم ذكره قريبًا.

وروىٰ مسلم في «صَحيحِه»، والبُخَاري في «الأدب المفرد» من حَدِيث هلال بن يساف، قَالَ: كنا نبيع البَزَّ في دار سُويد بن مقرن، فخرجت جارية فقالت لرجل شيئًا، فلطَمها ذَلكَ الرجلُ، فقَالَ له سويد بن مقرن: لطمتَ وجهَها، لقد رأيتني سابعَ سبعة وما لنا إلَّا خادم، فلطمها بَعْضُنا فأمره النَّبيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيهِوَسَلَّمَ أن يعتِقَها. هَذَا لفظ البُخَاري[4].

---

(١) أخرجه البخاري (٤٥٨١)، ومسلم (١٨٣).

(٢) أخرجه مسلم (١٩١).

(٣) (٢/ ١١٨) (٥٩٩١)، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح علىٰ شرط مسلم.

(٤) أخرجه مسلم (١٦٥٨)، والبخاري في «الأدب المفرد» (١٧٦).

وفي رِوَايَة لمسلم: فقَالَ له سويد بن مقرن: عَجز عليك إلَّا حُرُّ وجهِها[١].

وفي رِوَايَة لهما: عَن محمد بن المنكدر قَالَ: حدثني أبي شعبة العراقي، عَن سويد بن مقرن، أن جارية له لطمها إنسانٌ، فقَالَ له سويد: أما علمتَ أَنَّ الصُّورَة محرَّمة؟![٢]... وذكر تمام الحَدِيث بنحو رِوَايَة هلال بن يساف.

والمراد بالصُّورَة الوجه، كما صرَّح به في الرواية الأولىٰ. وأشار سُويد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بقوله: (أما علمت أَنَّ الصُّورَة مُحرَّمة؟!) إِلَىٰ ما ثبت عَن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّه قَالَ: «**إذا ضربَ أحدُكم فليجتنب الوَجه**»، رَوَاه الإِمَام أَحْمَد، ومسلم في «صَحيحِه»، والبُخَاري في «الأدب المفرد»، وأَبُو دَاوُد، وغيرهم من حَدِيث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[٣].

وأما إطلاقُ لفظ الصُّورَة عَلَىٰ الوجه في كَلَام أهل اللغة: فقَالَ ابْنُ الأثير في «النهاية»[٤] وتَبِعه ابْنُ مَنظور في «لسان العرب»[٥]: وفي حَدِيث ابْن مقرن: (أما علمت أَنَّ الصُّورَة محرمة؟!) أراد بالصُّورَة الوجه، وتحريمها المنع من الضَّرب واللَّطم عَلَىٰ الوجه، ومنه الحَدِيث: (كره أن تعلَّم الصُّورَة) أي: يُحمل في الوجه كي أو سِمَة.

وقَالَ مُرتضىٰ الحسيني في «تاج العروس»[٦]: والصُّورَة الوجه. ثمَّ ذكر ما

---

(١) أخرجه مسلم (١٦٥٨).

(٢) أخرجه مسلم (١٦٥٨)، والبخاري في «الأدب المفرد» (١٧٩).

(٣) أخرجه أحمد (٢/ ٢٥١) (٧٤١٤)، ومسلم (٢٦١٢)، والبخاري في «الأدب المفرد» (١٧٣)، وأبو داود (٤٤٩٣).

(٤) (٣/ ٦٠).

(٥) (٤/ ٤٧٣).

(٦) (١٢/ ٣٦٦).

ذكره ابْن الاثير، وابْن منظور.

ومما ذكرنا يُعلم أن تَصْوير الوجه حرام، سواء كَانَ مفردًا أو غير مفرد، وأن اتخاذ ما فيه صُورَة الوجه حرام إِلَّا فيما يداس ويُمتهن؛ كالبِساط والوِسادة ونحوهما.

ويُعلم أيضًا أَنَّه يجب طمسُ صورته أينما وجدت؛ عملًا بقول النَّبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**لا تدع صُورَة إِلَّا طمستَها**»(١).

الثامنة عشرة من فوائد الأَحَاديث الَّتي تقدَّم ذكرُها: إطلاق اسم الصَّنم عَلَىٰ كُلِّ صُورَة، سواء كانت مجسَّدةً وغير مجسدة، وسواء كانت تامة أو ناقصة إِذَا كَانَ فيها رأس.

التاسعة عشرة: أن صناعة التَّصْوير من الكبائر.

العشرون: تكفير المُصوِّرين:

والمراد به -واللهُ أعلمُ- كفر دون كُفر، إِلَّا في ثلاث صور، فإِنَّه يَكُون كفرًا أكبر:

الأولىٰ: أن يَصنع الصُّور ليعبدها أو يعبدها غيرُه، ومِن عبادتها رجاء جلب النفع أو دفع الضُّر منها. ولقد ذكر لنا أن بَعْضُ السفهاء في بَعْض البلاد المجاورة كانوا يمشون في الأسواق بصورة أحد الفَراعنة في زماننا، يَبيعونها وينادون عَلَيْها: مَن يشتري صُورَة تَحفظه في بيته بثمن قليل، أو كلمة نحوها. وهَذَا هُوَ الشرك الأكبر.

الثانية: مَن يَستحِلُّ صناعتَها مع اعتقاده للتحريم؛ لأن مَن استحلَّ مُحرَّمًا فقد كفَر.

الثالثة: مَن يَصنعها قاصدًا بذَلكَ مضاهاةَ الباري تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ، واللهُ -سبحانه تَعَالَىٰ- أعلم.

---

(١) سبق تخريجه.

فصل

والتَّصْوير من الكبائر، كما تقدم بيان ذَلكَ في مواضعَ متعدِّدةٍ. ومع هَذَا فقد تلاعَبَ الشيطان بكثير من المُسلمين، والمُنتسبين إِلَىٰ الإِسْلَام، وفتَنَهم بصناعة التَّصاوير واتخاذها، فأطاعوه وعصَوا اللهَ ورسُولَهُ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وقد حذَّر اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عبادَهُ من طاعة الشَّيطان بأبلغ التَّحذير، فقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [فاطر: ٦].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [النور: ٢١].

وصناعَة التَّصاوير واتِّخاذها من أعظم المُنكرِ الَّذي يأمر به الشَّيطان ويرضَاهُ.

والآيات في التَّحذير من طاعة الشيطان كثيرةٌ.

وكذَلكَ قد حذَّر تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ من مَعصيته، ومَعصية رسُولِه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأبلغِ التَّحذير، وأخبر أن ذَلكَ ضَلالٌ، عَن طريق الهُدَىٰ، فقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [النساء: ١٤].

والآيات في هَذَا المعنىٰ كثيرة جدًّا.

ومن مَعصية الله ورسُولِهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتعدِّي حدُودَ الله تَعَالَىٰ: صِناعة

التَّصاوير واتِّخاذها. فليحذر المُصوِّرون من الإصرار عَلَىٰ محادَّة الله ورسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقد قَالَ الله تَعالَىٰ: ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدًا فِيهَاۚ ذَٰلِكَ ٱلْخِزْىُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [التوبة: ٦٣].

وقد تقدَّم النَّصُّ عَلَىٰ أَنَّ التَّصْوير مِن أظلم الظُّلم، وقد قَالَ الله تَعالَىٰ: ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾ [الشعراء: ٢٢٧].

وقَالَ تعالَىٰ: ﴿أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴾ [الشورى: ٤٥].

وتقدَّم -أيضًا- النَّصُّ عَلَىٰ أن كُلَّ مُصوِّرٍ في النار، وأَنَّه يُجعل له بكل صُورَة صوَّرها نفسٌ فيُعذَّب بها في جهنم.

وتقدَّم -أيضًا- النَّصُّ عَلَىٰ أَنَّ المُصوِّرين أشدُّ النَّاس عذابًا يوم القيامة.

فاتقوا الله أيها المُضاهون بخَلْقِ الله، ولا تغترُّوا بحِلْمِ الله وإمْهَالِهِ، فإنَّه يُمهل ولا يُهمل، فاحذروا أخذَه وعقوبتَه.

ففي «الصَّحيحَين»، عَن أبي موسىٰ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إنَّ الله ليُمْلِي للظالم حتَّىٰ إذَا أخذَهُ لم يُفلِتْه**» ثمَّ قرأ رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ﴾ [هود: ١٠٢] الآية(١).

فصل

وكما أَنَّ المُصوِّرَ مَلْعونٌ، ومُتوعَّدٌ بالنار في الدار الآخرة؛ فكذَلكَ مَن أمر بالتَّصْوير أو طلبَه أو رضِي به؛ لأَنَّ الآمرَ والطَّالبَ كالمُباشر، والراضِي بالذَّنب كفاعلِهِ.

(١) أخرجه البخاري (٤٦٨٦)، ومسلم (٢٥٨٣).

والدَّليلُ عَلَىٰ هَذَا: قولُ الله تَعَالَىٰ: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٠].

وقد رُوي عَن عُمَرَ بن عبد العزيز -رَحِمهُ اللهُ تَعَالَىٰ- أَنَّه رُفع إليه قومٌ شَربوا خمرًا، فأمَر بجلدهم، فقيل له: إن فيهم صائمًا، فقَالَ: ابدءُوا به، أما سَمِعْتُمُ اللهَ تَعَالَىٰ يقول: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٠].

فاستدل عمرُ بن عبد العزيز -رَحِمهُ اللهُ تَعَالَىٰ- بهَذِهِ الآية الكريمة عَلَىٰ أَنَّ الراضي بالذنب كفاعله، واعتبر الجلوسَ مع العُصَاة رضًا بأعمالهم.

وقد ذَكر عبدُ الله ابْن الإِمَام أَحْمَدَ في «زوائد الزُّهد»[١]، عَن عبد الله بن شُمَيطٍ، عَن أبيه، كَانَ يقول: مَن رضي بالفسق فهُوَ من أهله.

قَالَ شَيْخ الإِسْلَام أَبُو العباسِ ابْن تيميَّةَ رحمه الله تَعالَىٰ: «مَن حضَر المُنكر باختياره ولم يُنكره فقد عصىٰ الله ورسولَه بتركِ ما أمَرَه به مِن بُغْضِ المنكر، وإنكارِه، والنَّهيِ عنه، وإذَا كَانَ كذَلكَ فهَذَا الَّذي يحضر مجالسَ الخمر باختياره مِن غير ضرورة ولا يُنكر المنكَرَ كما أمرَ اللهُ؛ هُوَ شَريكُ الفُسَّاق في فسقِهم، فيُلحق بهم»[٢].

قلتُ: ومِثله من يَحضر مواضعَ التَّصْوير باختياره ولا يُنكر عَلَىٰ المصورين، فهُوَ شريكهم في ظُلْمِهم وإثمهم.

---

(١) (١/ ١٨٦) (١٢٦٩).

(٢) «الفتاوىٰ الكبرىٰ» (٤/ ٤٧٧).

وقد روىٰ أَبُو دَاوُد الطَّيَالسي في «مسنده»، ومسلم في «صَحيحِه»، والبُخَاري في «التاريخ الكبير»، عَن أمِّ سلمةَ رَضِيَٱللَّهُعَنهَا، عَن النَّبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ أَنَّه قَالَ: «**يُستَعمل عليكم أُمرَاءٌ فتَعرفون وتُنكِرون، فمَن كَره فقد برئ، ومَن أنكر فقد سَلِم، ولكِن مَن رضي وتابع**»(١).

وفي هَذَا الحَدِيث دليلٌ عَلَىٰ أَنَّ الرَّاضي بالذَّنْب كفاعِله.

ومما يدلُّ عَلَىٰ ذَلكَ أيضًا: ما أخبر اللهُ به عَن ثمودَ أنهم عَقرُوا الناقةَ، وإنما كَانَ الَّذي عقرها واحدًا منهم، والباقون أقرُّوه ورضوا بفعله، فصاروا شركاءَهُ في الإثم والعقوبة، قَالَ الله تَعالَىٰ: ﴿**كَذَّبَتۡ ثَمُودُ بِطَغۡوَىٰهَآ ١١ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشۡقَىٰهَا ١٢ فَقَالَ لَهُمۡ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقۡيَٰهَا ١٣ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمۡدَمَ عَلَيۡهِمۡ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمۡ فَسَوَّىٰهَا ١٤ وَلَا يَخَافُ عُقۡبَٰهَا**﴾ [الشمس: ١١-١٥].

قَالَ عبد الواحد بن زَيد: قلتُ للحسن: يا أبا سعيد، أخبرني عَن رجل لم يشهد فتنة ابْن المُهلَّبِ، إلَّا أَنَّه رضي بقلبه، قَالَ: يا ابْن أخي، كم يَدٌ عَقرت النَّاقة؟ قَالَ: قلت: يَدٌ واحدة، قَالَ: أليس قد هلَك القوم جميعًا برضاهم وتَمالُئِهم؟! رَواه الإِمَام أَحْمَد في «الزهد»(٢).

إذَا عُلم هَذَا فقد يزعم بَعْضُ النَّاس أَنَّه ممَّن يَكره التَّصْوير ويُنكره، فإذَا أراد سفرًا إِلَىٰ بَعْض البلاد المجاورة، أو ما وراءها من الممالك الأجنبية جاء إِلَىٰ المُصوِّر

---

(١) أخرجه الطيالسي (٣/ ١٧٢) (١٧٠٠)، ومسلم (١٨٥٤)، والبخاري في «التاريخ الكبير» (٤/ ٣٤٢) (٣٠٦١)، وأبو داود (٤٧٦٠).

(٢) (١/ ٢٣٤) (١٦٧١).

طائعًا مختارًا، وطلب منه أن يُصوِّر صورتَه في كتاب جوازه.

وكذَلكَ إذَا عرض لبَعْض النَّاس وظيفة لا تحصل له إلَّا بالتَّصْوير، فإنَّه يأتي إِلَىٰ المُصوِّر طائعًا مختارًا ويَطلب منه أن يصور صورته، وهَذَا ينافي ما يزعمونه من كراهة التَّصْوير وإنكاره. ومن أمكن من تَصْوير نفسه طائعًا مختارًا فقد رضي بالتَّصْوير وتابع عَلَيْه، شاء أم أبىٰ، فيكُون شريكًا للمصور فيما يلحقه من اللعنة والعذاب- عياذًا بالله من موجبات غضبه وأليم عقابه.

ثم إن بَعْض النَّاس يفتي نفسَه، أو يفتيه بَعْض المنتسبين إِلَىٰ العِلْم ممن لا تحقيقَ عندهم بأنَّه لا بأس بطلب التَّصْوير لمَنْ كَانَ سفره، أو توظيفه متوقفًا عَلَىٰ التَّصْوير، ويعللون ذَلكَ بأنَّه في حكم الملجأ إِلَىٰ التَّصْوير، وليس الأمر كما يظنون، ومن طلب التَّصْوير وأفتىٰ نفسَه بهَذِهِ الفتيا فقد جمع بين أمرين عظيمين:

أحدهما: استحلال المُحرَّم بالشُّبه الباطلة.

والثاني: القَول عَلَىٰ الله بغير علم.

ومَن أفتىٰ غيرَه بهَذِهِ الفتيا فقد أحلَّ له ما حرَّمَه الله تَعَالَىٰ عَلَىٰ لسان رسوله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَعَلَىٰ المفتي بذَلكَ إثْم العاملين بفتياه؛ لقول الله تَعَالَىٰ: ﴿ لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴾ [النحل: ٢٥].

وفي «سنني أبي دَاوُد، وابْن ماجه»، و«مستدرك الحاكم»، عَن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ أفتىٰ بغيرِ عِلم كَانَ إثمُه عَلَىٰ من**

أفتاه»(١). هَذَا لفظ أبي دَاوُد. ولفظ ابْن ماجه: «**مَن أفتىٰ بفُتيَا غير ثَبْتٍ، فإنما إثمه عَلَىٰ من أفتاه**»(٢). ورَوَاه الحاكم باللَّفظين جميعًا.

ورَوَاه البُخَاري في «الأدب المفرد»(٣) بنحو رِوَايَة ابْن ماجه، قَالَ الحاكم: صحيح عَلَىٰ شرط الشيخين ولم يخرجاه، ولا أعرف له علَّة، ووافقه الحافظ الذهبي في «تلخيصه».

والقول بأَنَّه في حُكم المُلجأ قول باطلٌ؛ لأَنَّ الملجأ مَن يؤتىٰ به قهرًا ويُوقف للتَّصْوير بغير اختياره. فأما من يأتي بنفسه طائعًا مختارًا طالبًا للتَّصْوير فهَذَا لا شك في رضاه بالتَّصْوير باختياره، ومثله مَنْ يأتي باختياره ويَقف أمام المُصوِّر مُقرًّا له عَلَىٰ تَصْويره، فكل منهما شريك للمصور فيما يلحقه، واللهُ أعلمُ.

وقد روىٰ ابْن بطَّةَ بإِسْنَاد جيد، عَن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، أن رَسُول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قَالَ: «**لا تَرتكبوا ما ارتكبت اليهودُ، فتَستحلُّوا محارمَ الله بأدنىٰ الحِيَل**»(٤).

ويُستثنىٰ مما ذكرنا من يَكُون مَريضًا مرضًا مخوفًا، ولم يوجد له علاج إلَّا في الخارج، فهَذَا قد يُقَال: إنَّه في حُكم الملجأ إِلَىٰ التَّصْوير؛ لأَنَّه يخشىٰ عَلَىٰ نفسه، ويُستثنىٰ من ذَلكَ أيضًا من يَكُون له مالٌ كَثير في الخارج، ولا يتمكَّن مِن أخذه إلَّا

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٦٥٧)، وابن ماجه (٥٣)، والحاكم (١/ ١٨٤) (٣٥٠)، وحسنه الألباني.

(٢) أخرجه ابن ماجه (٥٣)، والحاكم (١/ ١٨٣) (٣٤٩)، وحسنه الألباني.

(٣) (٢٥٩).

(٤) أخرجه ابن بطة في «إبطال الحيل» (١/ ٤٦)، بإسناده حسن رجاله ثقات عدا محمد بن عمرو الليثي وهو صدوق له أوهام.

بالسَّفر، فهَذَا قد يقَال: إِنَّه في حكم الملجأ إِلَىٰ التَّصْوير؛ لأَنَّه يخشىٰ من ضياع ماله الخطير، واللهُ أعلمُ.

فصل

وقد عَظُمتِ البلوىٰ في زماننا بصناعة التَّصاوير، واتِّخاذها، واستحل ذَلكَ كثيرٌ من المسلمين، فضلًا عَن المنتسبين إِلَىٰ الإِسْلَام، وغيرهم من أُمم الكفر والضلال. فلا ترىٰ صَحيفة، ولا مجلَّة إِلَّا وهي مملوءة بالتَّصاوير. وكذَلكَ كثير من الدَّكاكين والمجالس، ولاسيما المجالس الرَّسمية، فقد نُصبت فيها تصاوير الكبراء. ومَنْ أراد سفرَ إِلَىٰ البلاد المجاورة، أو ما وراءها من الممالك الأجنبية، فإِنَّه لا يُمكَّن من السفر إِلَّا بعد أخذ صورته ووضعها في كتاب جوازه.

وكذَلكَ لا يكتب لأحد جنسية إِلَّا بصورته.

وكذَلكَ لا يُمكَّن أحد من العمل عند الشركات الأجنبية إِلَّا بصورته، وكذَلكَ لا يُعطىٰ أحد رخصة القيادة للسيارة إِلَّا بصورته.

والسُّراق وأصحاب الجرائم يصوَّرون.

وغالب الموظفين لا يُوظَّفون إِلَّا بصورة، حَتَّىٰ إن دائرة المعارف -وهي في الحقيقة دائرة المجاهل- يأمرون بتَصْوير المُعلِّمين والمُتعلمين، ويأمرون التلاميذ بالتَّصْوير، ويجعلونه قسمًا من أقسام دروسهم، فلا حول ولا قوة إِلَّا بالله العلي العظيم.

وكل ما يَفعله المسلمون، وغيرهم مما ذكرنا ههنا وما لم نذكره، فإنما هُوَ محضُ التَّشبُّه بأعداء الله تَعَالَىٰ، واتِّباع سُنَنهم حذوَ النَّعل بالنعْلِ.

وقد ثبت عَن النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّه قَالَ: «**مَنْ تشبَّه بقوم فهُوَ منهم**». رَوَاه الإِمَام أَحْمَد وأَبُو دَاوُد من حَدِيث عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وصحَّحه ابْن حبان[1].

وقَالَ شَيْخ الإِسْلَام أَبُو العباس ابْن تيمية رحمه الله تَعالَىٰ: إِسْنَاده جيد.

وفي «جامع التِّرْمِذِي» من حَدِيث عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ليس منَّا مَن تَشبَّه بغَيرنا، لا تشبَّهوا باليهود ولا بالنصارىٰ**»[2].

فصل

ومِن النَّاس مَن يَستحِلُّ صناعةَ التَّصْوير المُحرَّم، واتخاذ الصُّور المحرَّمة بأنواع من الشُّبه الباطلة.

فمن ذَلكَ قول بَعْضهم: إِنَّ التَّصْوير مكروهٌ لا مُحرَّم، وعلَّلوا ذَلكَ بعلة باطلة - سيأتي ذكرها قريبًا إن شاء الله تَعَالَىٰ- وهَذِهِ الشُّبهة قديمة، وقد ذكرها ابْنُ دقيقِ العِيدِ في «شَرح العُمدة»[3]، وبالغ في رَدِّها.

قَالَ في شرح حَدِيث عَائِشَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: إن رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**إن أُولَئكَ إذَا كَانَ فيهم الرجل الصالح فمات بنوا عَلَىٰ قبره مسجدًا، وصوَّروا فيه تلك**

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٩٢) (٥٦٦٤)، وأبو داود (٤٠٢٩)، وصححه الألباني في «الإرواء» (١٢٦٩).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٦٩٥) وقال: إسناده ضعيف، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٤٣٤).

(٣) «إحكام الإحكام شرح عمدة الأحكام» لابن دقيق العيد (١/ ٣٧١).

الصُّور، فأُولَئكَ شِرار الخَلْق عند الله يوم القيامة» متَّفق عَلَيْه(١):

«فيه دليل عَلَىٰ تَحريم مثل هَذَا الفِعْل، وقد تضافرت دلائل الشَّريعة عَلَىٰ المنع من التَّصْوير والصور.

ولقد أبعد غايةَ البُعد من قَالَ: إن ذَلكَ محمول عَلَىٰ الكراهة، وأن هَذَا التشديد كَانَ في ذَلكَ الزمان لقُرب عهد النَّاس بعبادة الأوثان، وهَذَا الزمان حيث انتشر الإِسْلَام وتمهَّدت قواعده لا يُساويه في هَذَا المعنىٰ، فلا يساويه في هَذَا التشديد هَذَا أو معناه، وهَذَا القولُ عندنا باطلٌ قطعًا؛ لأَنَّه قد ورَد في الأَحَاديث الإخبار عَن أمر الآخرة بعذاب المُصوِّرين، وأنهم يقَال لهم: «**أحيوا ما خلقتم**»، وهَذِهِ علَّة مخالفة لما قاله هَذَا القائل، وقد صرَّح بذَلكَ في قوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**المُشبِّهون بخَلْق الله**»، وهَذِهِ علَّة عامَّة مُستقلَّة مناسبة، لا تَخصُّ زمانًا دون زمان، وليس لنا أن نتصرف في النُّصُوص المتظاهرة المتضافرة بمعنًىٰ خيالي يمكن أن يَكُون هُوَ المرادَ مع اقتضاء اللفظ التعليلَ بغيرِه، وهُوَ التَّشبُّه بخَلْق الله»(٢).

قلتُ: وأكثر الأَحَاديث الَّتي تقدم ذكرها تَردُّ هَذِهِ الشبهة أيضًا، وقد ذكرتُ ما فيها من الدلالة عَلَىٰ التحريم في مواضعَ كثيرة، ولله الحمد والمنة، وأذكر ههنا ما لم يذكره ابْن دقيق العيد.

فمِن ذَلكَ: قوله في الحَدِيث القدسي: «**ومن أظلم ممَّن ذهب يخلُق كخلقي**»(٣)، وهَذَا لفظ عام يَقتضي تحريم التَّصْوير في كُلِّ زمان، والعلة فيه المضاهاة بخَلْقِ الله

---

(١) أخرجه البخاري (٤٢٧)، ومسلم (٥٢٨).

(٢) «إحكام الإحكام شرح عمدة الأحكام» (١/ ٣٧١- ٣٧٢).

(٣) سبق تخريجه.

تَعَالَىٰ، وهي علَّة عامَّة مستقلة، لا تخص زمانًا دون زمان.

ووصْفُه تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ للمُصوِّرين بارْتِكاب أعظم الظُّلم يَقتضي العُمُوم لكل مُصوِّر في كُلِّ زمان ومكان.

ومن ذَلكَ: لعنُ المصورين عَلَىٰ الإطلاق، وذَلكَ مما يقتضىٰ تحريمَ التَّصْوير عَلَىٰ العُمُوم في كُلِّ زمان.

ومن ذَلكَ: الأمر بطمس الصُّور عَلَىٰ العُمُوم، وذَلكَ مما يقتضىٰ تحريمَ التَّصْوير في كُلِّ زمان.

ومن ذَلكَ: قوله: «**من عاد إِلَىٰ صنعة شيء من هَذَا فقد كفر بما أُنزل عَلَىٰ محمد** صَلَّىٰللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ»(١)، وهَذَا يَعمُّ كُلَّ زمان من وقتِ هَذَا القول إِلَىٰ قيام الساعة، وفي هَذَا الحَدِيث من التشديد في التَّصْوير وتغليظ تحريمه ما ليس في غيره من الأَحَاديث، واللهُ أعلمُ.

فصل

ومن الشُّبه الباطلة أيضًا: فتيا بَعْض العصريِّين بإباحة حضور السِّينما لرؤية ما يُصوَّر فيها من ساحات القتال، وحجته أن ذَلكَ مما يَبعث عَلَىٰ الشجاعة والإقدام عَلَىٰ القتال. وهَذِهِ حُجَّةٌ داحضة.

والجواب عنها من وجوه:

أحدها: أَنَّ السِّينِمَا من أنواع السحر التخييلي، بل هي أخبث منه؛ لأن كُلَّ ما

---

(١) سبق تخريجه.

يأتيه به أصحاب السحر التخييلي يمكن الإتيان به فيها وزيادة. والسحر لا يجوز تعاطيه ولا الحضور عند مَن يعمله. وهكذا الأمر في السينما، فلا يجوز عملها ولا الحضور عندها؛ لأَنَّ الحضور عندها بدون تغيير دليل عَلَىٰ الرضا بالسحر، والراضي بالذنب كفاعله.

الثاني: أَنَّ الحضور عند السِّينِمَا دليل عَلَىٰ الرضا بما رُكِّب فيها من صور الآدميين والحيوانات، والراضي بالصُّور شريك للمصورين كما تقدَّم تقرير ذلك.

الثَّالث: أَنَّ الإفتاء بجواز حضور السِّينِمَا يتضمن ردَّ الأَحَاديث الدَّالَّة عَلَىٰ تحريم التَّصْوير، والمنع من اتخاذ الصُّور، ومَشروعية طمسها. ومَن أفتىٰ بخلاف الأَحَاديث الثابتة عَن النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فهُوَ إما جاهلٌ ضالٌّ، وإما مُعاند مُشاقٌّ للرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَعَلَىٰ كِلَا التَّقديرين، فعَلَيْه إثم العاملين بفُتياه؛ لقول الله تَعالَىٰ: ﴿ لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴾ [النحل: ٢٥].

ولِما رَوَاه أَبُو دَاوُد وابْن ماجه في «سُنَنيهما»، والبُخَاري في «الأدب المفرد»، والحاكم في «مستدركه»، عَن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَن أَفتىٰ بفُتيا غير ثَبْتٍ، فإنَّما إثمُه عَلَىٰ مَن أفتاه**»، قَالَ الحاكم: صحيح عَلَىٰ شرط الشيخين ولم يخرجاه ولا أعرف له علة، ووافقه الذهبي في «تلخيصه»[1].

الرابع: أَنَّ الحضور عند السِّينِمَا لرؤية ما فيها من الصُّور مخالف لهدي رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وموافق لهَدي النصارىٰ والمشركين.

---

(١) تقدم تخريجه.

فأما هَدْي رَسُول الله ﷺ فقد تقدم أَنَّه لم يَدخل الكعبة حَتَّىٰ مُحيت الصُّورُ منها.

وتقدم أيضًا أَنَّه ﷺ رجَع عَن دُخُول بيت علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما رأىٰ فيه سترًا فيه تصاوير.

وتقدم أيضًا أَنَّه لما رأىٰ نُمْرُقَةَ عَائِشَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وقف بين البابين ولم يدخل.

وتقدم أيضًا ما رُوي عَن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّه امتنع من دُخُول الكنيسة من أجل الصور.

وتقدم أيضًا ما روي عَن ابْن مسعود، وأبي مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في ذلك. وكفىٰ بالخليفة الراشد عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قدوة بعد رَسُول الله ﷺ وبعد أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وقد روىٰ الإِمَام أَحْمَد والتِّرْمِذِي وابْن ماجه من حَدِيث حُذيفة بن اليَمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَن النَّبِيِّ ﷺ أَنَّه قَالَ: «**اقتدوا باللَّذين مِن بعدي: أبي بكر وعمر**»(١). قَالَ التِّرْمِذِي: هَذَا حَدِيث حسن.

وله أيضًا من حَدِيث ابْن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَن النَّبِيِّ ﷺ نحوه.

وأما النصارىٰ والمشركون فقد كانوا مفتونين بصناعة التصاوير، واتخاذها والنظر إليها، كما تقدم بيان ذَلِكَ، وَعَلَىٰ هَذَا فالمتخذون للسينما والحاضرون عندها لرؤية ما فيها من الصُّور، كلهم منحرفون عَن هدي رَسُول الله ﷺ

---

(١) تقدم تخريجه.

ومتشبهون بالنصارىٰ والمشركين، ومن تشبَّه بقوم فهُوَ منهم.

الوجه الخامس: أن يقَال: ليس كُلُّ ما بَعث عَلَىٰ الشجاعة والإقدام يَكُون جائزًا، بل ينظر في الشيء، فإن كَانَ مما لا بأس به فالتدَربُ به عَلَىٰ الشجاعة والإقدام جائز، وقد يَكُون مندوبًا إليه؛ كالمسابقة عَلَىٰ الخيل، وتَعلُّم الرَّمي، وغير ذَلكَ من القوىٰ الحربية الحادثة في هَذِهِ الأزمان.

وإن كَانَ مما به بأس، فالتدريب به غير جائز، وقد يَكُون محرَّمًا شديد التحريم كالخمر، فقد قيل: إنَّهَا تَبعث عَلَىٰ الشجاعة والإقدام، كما قَالَ حسان بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

ونَشْـــربُها فتَتركنـــا ملوكًـــا وأســـدًا مـــا ينهنهنـــا اللقـــاء

ومع هَذَا فشُربها حرام عَلَىٰ كُلِّ حال.

ومن هَذَا الباب حضور السِّينما، فإنَّه حرامٌ عَلَىٰ كُلِّ حال، سواء كَانَ باعثًا عَلَىٰ الشجاعة والإقدام أو لم يكن؛ لأَنَّ الحضور عندها دليل عَلَىٰ الرضا بما فيها من المضاهاة بخلق الله، ودليل عَلَىٰ الرضا بما فيها من السحر، ودليل عَلَىٰ الرضا بما يُمثَّل فيها من أنواع الفسوق والعصيان، وقد ذكرتُ مرارًا أن من رضي بشيء من المعاصي فهُوَ شريك لصاحب المعصية، وذكرتُ الدليل عَلَىٰ ذَلكَ قريبًا، فليراجع.

فصل

و مِن الشُّبَه الباطلة أيضًا: قول بَعْض العصريين: إنَّ المُحرَّم التَّصْويرُ المنقوش باليد، فأما المأخوذ بالآلة الفوتوغرافية فلا. وهَذِهِ الشُّبهة مِن أغرب الشُّبَه، وفيها دليل عَلَىٰ حَماقة قائلها، وكثافة جهله.

ومثلها لا يحتاج إِلَىٰ جواب لظُهور بطلانها لكل عاقل، فضلًا عمن له أدنىٰ علم ومعرفة. ولو قَالَ قائل: إنَّه لا يَحرم من الخمر إلَّا ما اعتصر بالأيدي فقط، فأما ما اعتصر بالآلات المعدَّة للاعتصار فلا يحرم، وإن كَانَ أشد إسكارًا مما اعتصر بالأيدي، لَمَا كَانَ بين قوله وبين قول صاحب هَذِهِ الشُّبهة فرقٌ؛ لأن كلًّا منهما قد حرَّم شيئًا وأباح ما هُوَ أعظم من جنسه، وما هُوَ أولىٰ بالتحريم والمنع مما حرمه.

وقد ذكرتُ قريبًا أن علة تحريم التَّصْوير هي المضاهاة بخلق الله تَعَالَىٰ، كما يدل عَلَىٰ ذَلكَ حَدِيث أبي هريرة، وحَدِيث عَائِشَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وهَذِهِ العلة تشمل كُلّ تَصْوير، سواء كَانَ منقوشًا بالأيدي، أو مأخوذًا بالآلة الفُوتوغرافية.

وكلما كَانَ التَّصْوير أقرب إِلَىٰ مشابهة الحيوانات فهُوَ أشد تحريمًا؛ لما فيه من مزيد المضاهاة بخلق الله تَعَالَىٰ.

ولا يخفىٰ عَلَىٰ عاقل أَنَّ التَّصْوير الفوتوغرافية هُوَ الَّذي يطابق صور الحيوانات غاية المطابقة، بخلاف التَّصْوير المنقوش بالأيدي، فإِنَّه قد لا يطابقها من كُلّ وجه، وَعَلَىٰ هَذَا فيَكُون التَّصْوير بالآلة الفوتوغرافية أشد تحريمًا من التَّصْوير المنقوش بالأيدي، واللهُ أعلمُ.

فصل

ومن الشُّبَه الباطلة أيضًا: قول من قَالَ: إنَّ المُحرَّم تَصْوير ما لَه ظِلٌّ، وهي الصُّور المُجسَّمة، فأما ما لا ظلَّ له؛ كالمَنسوج في الثياب ونحوها، وكالمنقوش في القراطيس والحيطان، والأواني والآلات وغيرها، فهَذَا لا بأس به. وهَذَا قول باطل، وتفريقٌ لا دليل عَلَيْه.

وقد تقدم ردُّه في مواضعَ كثيرة عند ذكر فوائد الأَحَاديث في تحريم التَّصْوير، وذكرتُ هناك كَلَام النَّوويِّ وابْن حجر العسقلاني في رَدِّه.

وذكرتُ أيضًا كَلَام الخطابي، وابْن بطَّالٍ في التسوية بين الصُّور المجسمة وغير المجسمة.

والأدلة عَلَىٰ بطلان هَذِهِ الشُّبهة كثيرة:

منها: حَدِيث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ في قصة امتناع جبريل عَلَيْهِٱلسَّلَامُ من دُخُول بيت النَّبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ مِن أجل الستر الَّذي فيه التصاوير، ثمَّ أمر أن تقطع رءوسها، أو يجعل الستر بساطًا يوطأ ويُمتَهن.

ومنها: إنكار النَّبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ عَلَىٰ عَائِشَة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا نصبَ الستر الَّذي فيه التماثيل، وهتكه إياه بيده الكريمة.

ومنها: إنكارُه صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ عَلَىٰ علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وخروجه من بيته لمَّا رأىٰ فيه سترًا فيه تصاوير.

ومنها: أمره صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بمَحْوِ الصُّور الَّتي في الكعبة، ومَحْوِهِ لبَعْضها بيده الكريمة، وهي صور منقوشة في حيطان الكعبة وأعمدتها، ويدل عَلَىٰ ذَلكَ أنَّه صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ دعا بدلو من ماء فجعل يَبل ثوبًا معه ويضرب به عَلَىٰ الصور.

ومنها: قول عَائِشَة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا: إنَّ النَّبيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لم يكن يَتْرك في بيته شيئًا فيه تَصاليب -وفي بَعْض الروايات: تصاوير- إلَّا نَقَضَه.

ومنها: إنكار أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عَلَىٰ المُصوِّر الَّذي يصور في حيطان دار

مروان بن الحكم، واستدلاله عَلَىٰ المنع بالحَدِيث القدسي.

ومنها: إنكار مسروق للتَّماثيل الَّتي في دار يسار بن نُمَيرٍ، واستدلاله عَلَىٰ التحريم بحَدِيث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ومنها: حَدِيث علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الأمر بطَمْس الصُّور كلها.

وكل هَذِهِ الأَحَاديث قد تقدَّمت -ولله الحمد والمنة- فلتراجع، ففيها كفاية في رد هَذِهِ الشبهة، بل كُلُّ حَدِيث منها يكفي وحده في ردها، والله الموفِّق.

فصل

ومما يتشبث به المفتونون بصناعة التصاوير واتخاذها: ما ذكره كثير من الفقهاء أَنَّه إذَا فرق بين رأس الصُّورَة وجسدها، فقد زال المحذور، وكذَلكَ إذَا قطع من الصُّورَة ما لا يبقىٰ الحيوانُ بعد ذهابه؛ كصدره أو بطنه، وكذَلكَ إذَا كانت الصُّورَة رأسًا بلا جسد.

وقد تقدم ردُّ هَذِهِ الشُّبهة بما أغنىٰ عَن إعادته ههنا، وبيَّنتُ هناك أَنَّ المحذور كله في تَصْوير الرأس، وأَنَّه يجب تغييره، ولا يجوز إبقاؤه مع القُدرة عَلَىٰ إزالته.

فصل

ومن أقوىٰ ما يتعلَّق به المصوِّرون ومَن يُفتيهم: قولُه في حَدِيث أبي طلحة وسهل بن حُنيف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «**إلَّا رَقْمًا في ثوب**»[1].

---

(١) تقدم تخريجه.

والجواب: أن يقَال: ليس في هَذَا الاستثناء ما يدل عَلَىٰ جواز صناعة الصُّور أصلًا. وغاية ما فيه أَنَّه يدل عَلَىٰ جواز اتخاذ الثياب والستور الَّتي فيها الصُّور، وفي هَذَا خلاف تقدم ذكره بعد سياق حَدِيث أبي طلحة وسهل بن حُنيف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وقد بيَّنتُ هناك أن قول المُجيزين مرجوح، وأَنَّ النهيَ عَن اتخاذ التصاوير عام إِلَّا ما كَانَ في بساط ومخدة ونحوهما مما يُداس ويُمتهن، فهَذَا مخصوص من العُمُوم.

كما تدل عَلَىٰ ذَلكَ الأَحَاديث الصحيحةُ عَن عَائِشَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وحَدِيثُ أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في قصة جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وأما تحريم صناعة الصُّور والنهي عَن ذَلكَ والتشديد فيه، فعُمُومه محفوظ، لم يدخله تخصيص أصلًا، واللهُ أعلمُ.

فصل

ومن أقوىٰ ما يتعلَّق به المصورون أيضًا: حَدِيث عَائِشَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «كنتُ ألعبُ بالبنات عند النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكَانَ لي صواحب يلعبن معي، فكَانَ رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا دخل يَتقمَّعنَ منه، فيسر بهن إليَّ، فيلعبنَ معي». رَوَاه الشافعي وأَحْمَد والشيخان وأهل السنن إِلَّا التِّرمِذِي[1].

وفي رِوَايَة لمسلم: «**كُنْتُ أَلْعَبُ بِالْبَنَاتِ فِي بَيْتِهِ، وَهُنَّ اللُّعَبُ**»[2].

---

(١) أخرجه الشافعي (٣/ ٢٥) (١١٠٣)، وأحمد (٦/ ٢٣٤) (٢٦٠١٠)، والبخاري (٦١٣٠)، ومسلم (٢٤٤٠)، وأبو داود (٤٩٣١)، والنسائي (٣٣٧٨)، وابن ماجه (١٩٨٢).

(٢) أخرجه مسلم (٢٤٤٠).

وعنها رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا **قالت:** «قدم رَسُول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ من غزوة تبوك أو خيبر، وفي سهوتها سِتْر، فهبَّت ريحٌ فكشفت ناحيةَ الستر عَن بناتٍ لعَائِشَة لعب، فقَالَ: ما هَذَا يا عَائِشَة؟ قالت: بناتي، ورأىٰ بينهن فرسًا له جناحان من رقاع، فقَالَ: ما هَذَا الَّذي أرىٰ وسطهن؟ قالت: فرس، قَالَ: وما هَذَا الَّذي عَلَيْه؟ قالت: جناحان، قَالَ: فرس له جناحان، قالت: أما سمعت أن لسليمان خيلًا لها أجنحة؟ قالت: فضحك حَتَّىٰ رأيت نواجذه». رَوَاه أَبُو دَاوُد والنَّسَائِيُّ(١).

قَالَ الحافظ ابْن حَجر في «فتح الباري»(٢): استدل بهَذَا الحَدِيث عَلَىٰ جواز اتخاذ صور البنات واللعب من أجل لعب البنات بهن، وخص ذَلكَ من عُمُوم النهي عَن اتخاذ الصُّور، وبه جزم عياض ونقله عَن الجمهور، وأنهم أجازوا بيع اللعب للبنات لتدريبهن من صغرهن عَلَىٰ أمر بيوتهن وأولادهن.

قَالَ: وذهب بَعْضهم إِلَىٰ أنه منسوخ، وإليه مال ابْن بطَّال، وحكىٰ عَن ابْن أبي زيد، عَن مالك أَنَّه كره أن يشتري الرجلُ لابنته الصُّور، ومِن ثَمَّ رجَّح الدَّاوُدي أَنَّه منسوخ، وقَالَ البيهقي بعد تخريجه: ثبت النهي عَن اتخاذ الصُّور، فيحمل عَلَىٰ أَنَّ الرخصة لعَائِشَة في ذَلكَ كَانَ قبل التحريم، وبه جزم ابْن الجوزي، وقَالَ المنذري: إن كانت اللعب كالصُّورَة فهُوَ قبل التحريم، وإلَّا فقد يسمىٰ ما ليس بصورة لعبة، وبهَذَا جزم الحَلِيمِي، فقَالَ: إن كانت صُورَة كالوثن لم يجز، وإلَّا جاز. انتهىٰ المقصود مما ذكره ابْن حجر رحمه الله تَعالَىٰ.

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٩٣٢)، وصححه الألباني.

(٢) (١٠/ ٥٢٧).

وأحسن هَذِهِ الأقوال وأقربها إِلَىٰ الصواب: قول المنذري والحليمي.

وأما ما جزم به عياض وغيره من جواز اتخاذ صور البنات وأن ذَلكَ مخصوص من عُمُوم النهي عَن اتخاذ الصُّور، فإِنَّه قول مردود.

والجواب عنه من وجوه:

أحدها: أَنَّه ليس في حَدِيث عَائِشَة رَضِيَٱللَّهُعَنهَا تصريح بأن لعبها كانت صورًا حقيقة، وبانتفاء التصريح بأَنَّها كانت صورًا حقيقة ينتفي الاستدلال بالحَدِيث عَلَىٰ جواز اتخاذ اللعب من الصُّور الحقيقة.

ومن ادعىٰ أن لعب عَائِشَة رَضِيَٱللَّهُعَنهَا كانت صورًا حقيقة فعلية إقامة الدليل عَلَىٰ ذَلكَ، ولن يجد إِلَىٰ الدليل سبيلًا.

وأما تسمية اللعب بنات كما في حَدِيث عَائِشَة رَضِيَٱللَّهُعَنهَا، فلا يلزم منه إِنَّهَا كانت صورًا حقيقة، كما قد يظن ذَلكَ من قصر فهمُه.

بل الظاهر -واللهُ أعلمُ- أَنَّها كانت عَلَىٰ نحو لعب بنات العرب في زماننا، فإنهن يأخذن عودًا أو قصبة أو خرقة ملفوفة أو نحو ذَلكَ، فيضعن قريبًا من أعلاه عودا معترضًا، ثمَّ يُلبسنه ثيابًا، ويضعن عَلَىٰ أعلاه نحو خمار المرأة، وربما جعلته عَلَىٰ هيئة الصبي في المهد، ثمَّ يلعبن بهَذِهِ اللعب، ويسمينهن بنات لهن، عَلَىٰ وفق ما هُوَ مروي عَن عَائِشَة وصواحباتها رَضِيَٱللَّهُعَنهُنَّ.

وقد رأينا البنات يتوارثن اللعب بهَذِهِ اللعب اللاتي وصفنا زمانًا بعد زمان، ولا يَبعد أن يَكُون هَذَا التوارث قديمًا ومستمرًا في بنات العرب من زمن الجاهلية إِلَىٰ زماننا هَذَا، واللهُ أعلمُ.

وليس كُلُّ بنات العرب في زماننا يلعبن باللعب اللاتي وصفنا، بل كثير منهن يلعبن بالصُّور الحقيقة من صور البنات وغير البنات من أنواع الحيوانات، وهَؤُلَاء هن اللاتي دخلت عَلَيْهن وَعَلَىٰ أهليهن المَدَنِيَّة الإفرنجية، وكثرت مخالطتهم للأعاجم وأشباه الأعاجم.

وأما السالمات من أدناس المَدَنِيَّة الإفرنجية، ومِن مُخالطة نساء الأعاجم وأشباه الأعاجم، فهَؤُلَاء لم يزلن عَلَىٰ طريقة بنات العرب ولعبهن، عَلَىٰ ما وصفنا من قبل. وكما أن بين لعب هَؤُلَاء ولعب أُولَئِكَ بَونًا بعيدًا في الحقيقة والشكل الظاهر، فكذَلكَ الحُكم فيهما مختلف أيضًا.

فأما اللعب اللاتي عَلَىٰ ما وصفنا فلا بأس بعملهن واتخاذهن واللعب بهن؛ لأنهن لسْن بصور حقيقية. وأما اللعب اللاتي عَلَىٰ صور البنات وأنواع الحيوانات فصناعتهن حرام، وبيعهن حرام، وشراؤهن واتخاذهن حرام، والتلهي بهن حرام، وإتلافهن واجب عَلَىٰ من قدر عَلَىٰ ذَلكَ؛ لأنهن من الأَصْنَام، وقد أمر رَسُول الله ﷺ بطمس الأَصْنَام كما تقدم في حَدِيث علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. والقول في الفَرس الَّذي كَانَ مع لعب عَائِشَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كالقول في لعبها سواء. ومن ادعىٰ أَنَّها كانت صُورَة حقيقة لها رأس ووجه فعَلَيْه إقامة الدليل عَلَىٰ ذَلكَ، ولن يجد إليه سبيلًا.

والظاهر -واللهُ أعلمُ- أَنَّها عَلَىٰ نحو لعب صبيان العرب في زماننا، فإنهم يأخذون العَظم ونحوه ويجعلون عَلَيْه شبه الإكاف[1]، ويسمونه حمارًا، وربما فرسًا. ويأخذون أيضًا من كَرَبِ النخل[2] ويغرزون في ظهر كُلِّ واحدة عودين كهيئة

(١) الإكاف من المراكب: شِبْه الرِّحال والأقتاب، والجمع: آكِفة، وأُكُف.

(٢) كَرَبُ النَّخل: أصول السَّعف أمثال الكتف، وهي الكرانيف.

عودي الرحل، ثمَّ يضعون بينهما شبه ما يوضع عَلَىٰ النجائب من الإخراج وغيرها، ويجعلون لها مقودًا يقودنها به، وربما اتخذوا ذَلكَ من خشبة منجورة في أعلاها مثل السنام، وبين يديه ومن خلفه عودان كهيئة عودي الرحل، يوضع بينهما شبه ما يوضع عَلَىٰ النجائب، ومن أمامها عود كهيئة الرقبة يوضع فيه المقود، ولها أربع عجلات تمشي عَلَيْهن، ويسمون هَذِهِ اللعب والَّتي قبلها إبلًا، وليست هَذِهِ اللعب من الصُّور المحرمة في شيء، والنسبة بينها وبين الصُّور الحقيقة بعيدة جدًّا.

ومما يدل عَلَىٰ أَنَّ الفرس كَانَ عَلَىٰ نحو لعب صبيان العرب، ولم يكن صُورَة حقيقة: أَنَّ النَّبيَّ صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لما رآه سأل عَائِشَةَ رَضِيَاللَّهُعَنْهُ: «ما هَذَا؟» فقالت: فرس، ولو كَانَ صُورَة حقيقية لعرفه النَّبيُّ صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ من أول وهلة، ولم يحتج إِلَىٰ سؤال عَائِشَة عنه. وكذَلكَ سؤاله صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ عن اللعب يدلُّ عَلَىٰ أَنَّها لم تكن صورًا حقيقة، ولو كانت صورًا حقيقية لم يَحْتَجْ إِلَىٰ السؤال عنها، واللهُ أعلمُ.

الوجه الثاني: أَنَّ النَّبيَّ صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أنكر عَلَىٰ عَائِشَة رَضِيَاللَّهُعَنْهَا نصْبَ الستر الَّذي فيه الصُّور، وتلَّون وجهُه لما رآه، ثمَّ تناوله بيده الكريمة فهتكه، وقد تقدمت الأَحَاديث بذلك، وهَذَا يدل عَلَىٰ أن لعب عَائِشَة رَضِيَاللَّهُعَنْهَا لم تكُن صورًا حقيقة، ولو كانت صورًا حقيقة لكانت أولىٰ بالتغيير من الصُّور المرقومة في الستر؛ لأَنَّ الصُّور المجسدة أقرب إِلَىٰ مشابهة الحيوانات وأبلغ في المضاهاة بخلق الله تَعَالَىٰ من الصُّور المرقومة، فكانت أشدَّ تحريمًا وأولىٰ بالتغيير من الصُّور المرقومة.

الوجه الثالث: ما تقدم من حَدِيث عَائشَة رَضِيَاللَّهُعَنْهَا أَنَّ النَّبيَّ صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لم يكن يترك في بيته شيئًا فيه تصاليب إلَّا نقضه. وفي رِوَايَة: إلَّا قبضه. وفي رِوَايَة: تصاوير بدل تصاليب. وصيغة هَذَا الحَدِيث تقتضي العُمُومَ؛ لأن شيئًا نكرة في سياق النفي، فتعمُّ كُلَّ

تصليب وصورة، وهَذَا يدل عَلَىٰ أن لعب عَائِشَة رَضِيَٱللَّهُعَنهَا لم تكن صورًا حقيقة، ولو كانت صورًا حقيقة لقضبها النَّبيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيهِوَسَلَّمَ كسائر التصاليب والصور.

الوجه الرابع: أَنَّ النَّبيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيهِوَسَلَّمَ أخبر أَنَّ المَلَائكَة لا تدخل بيتًا فيه كلب ولا صُورَة، وقد تقدمت الأَحَاديث بذَلكَ، وأخبر النَّبيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيهِوَسَلَّمَ أيضًا عَن جبريل عَلَيهِٱلسَّلَامُ أَنَّه أتاه ليلةً فلم يدخل البيتَ من أجل كلبٍ فيه، ومن أجل ما فيه من تمثال الرجال، ثمَّ قَالَ للنبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيهِوَسَلَّمَ: «**مُرْ بقَطْعِ رَأسِ التِّمثالِ وإخْراجِ الكَلْب**»[1]، وهَذَا يدل عَلَىٰ أن لعب عَائِشَة رَضِيَٱللَّهُعَنهَا لم تكن صورًا حقيقة، ولو كانت صورًا حقيقة لمَنعت المَلَائكَة من دُخُول بيتها، وما كَانَ النَّبيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيهِوَسَلَّمَ ليترك في بيته شيئًا يمنع من دُخُول المَلَائكَة فيه، فتعيَّن أن لعب عَائِشَة رَضِيَٱللَّهُعَنهَا لم تكن صورًا حقيقة، وإنما هي عَلَىٰ نحو ما وصفته في الوجه الأول.

الوجه الخامس: ما تقدم من رِوَايَة عكرمة، عَن ابْن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنهُمَا أن رَسُول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيهِوَسَلَّمَ لمَّا قدِم مكة أبىٰ أن يدخل البيتَ وفيه الآلهة، فأمر بها فأخرجت.

وفي رِوَايَة: أَنَّه صَلَّىٱللَّهُعَلَيهِوَسَلَّمَ لمَّا رأىٰ الصُّور في البيت لم يدخل حَتَّىٰ أمر بها فمُحيت، وإذَا كَانَ النَّبيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيهِوَسَلَّمَ قد امتنع من دُخُول الكعبة مرة واحدة من أجل ما فيها من الصُّور، فكيف يُظنُّ به أَنَّه كَانَ يدخل بيتَ عَائِشَة رَضِيَٱللَّهُعَنهَا في اليوم والليلة مرارًا متعددة وفيه الصُّور؟! فتعيَّن أن لعب عَائِشَة رَضِيَٱللَّهُعَنهَا لم تكن صورًا حقيقة، وبهَذَا تجتمع الأَحَاديث وينتفي عنها التعارض.

---

(١) تقدم تخريجه.

والوجه السادس: ما تقدم من حَدِيث أبي الهيَّاج الأسدي، قَالَ: قَالَ لي عَلِيٌّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: ألا أبعثك عَلَىٰ ما بعثني عَلَيْه رَسُول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ؟ أن لا تدعَ تمثالًا إلَّا طمستَه، ولا قَبْرًا مشرفًا إلَّا سويَّتَه. وفي رِوَايَة: ولا صُورَة إلَّا طمستَها(١).

وفي رِوَايَة: أَنَّ النَّبيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أمَر عليًّا رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن يسوي كُلَّ قبر، ويَطمس كُلَّ صَنم(٢). والنَّكِرة فِي هَذَا الحَدِيث من صيغ العُمُوم كما تقدم تقرير ذلك.

ويُستفاد من هَذَا: أن لعب عَائِشَة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا لم تكن صورًا حقيقية، ولو كانت صورًا حقيقة لكانت داخلة فِي عُمُوم ما أمر النَّبيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بطَمْسه. ولم يجئ عَن النَّبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ولا حرف واحد يقتضي استثناءَ لعب عَائِشَة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا من هَذَا العُمُوم، فتعيَّن كونها من غير الصُّور الحقيقة.

الوجه السابع: ما تقدم من حَدِيث علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن رَسُول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قَالَ: «**مَن عادَ لصَنعةِ شَيء مِن هَذَا فقد كفَر بما أُنزل عَلَىٰ مُحمَّد** صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ»(٣)، وفي هَذَا الزَّجر الأكيدِ أوضحُ دليل عَلَىٰ تحريم اتخاذ الصُّور كلها، ولا فرق بين أن تكُون لعبًا أو غير لعب.

وأكثر الأَحَاديث الَّتي تقدم ذكرُها تدل عَلَىٰ ما دل عَلَيْه هَذَا الحَدِيث من عُمُوم تحريم الصنعة، والاتخاذ لكل صُورَة من صور ذوات الأَرْوَاح، وَعَلَىٰ هَذَا فيتعيَّن القولُ بأن لعب عَائِشَة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا لم تكُن صورًا حقيقية.

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه أحمد (١/ ١٣٩) (١١٧٦).

(٣) تقدم تخريجه.

الوجه الثامن: أَنَّ التخصيص نوع من النسخ؛ لكونه رفعًا لبَعْض أفراد الحكم العام بدليل خاص، والنسخ لابد فيه من أمرين:

أحدهما: ثبوت دليل النسخ.

والثاني: تأَخُّر تاريخه عَن تاريخ المنسوخ.

وإِذَا فرضنا إمكَانَ ما زعمه عياض وغيره من تخصيص صور البنات من عُمُوم النهي عَن الصُّور؛ بناءً عَلَىٰ أن لعب عَائِشَة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا كانت صورًا حقيقية، فلابد إِذًا من إقامة الدليل عَلَىٰ أن لعب عَائِشَة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا كانت صورًا حقيقية.

ولابد أيضًا من ثبوت التخصيص بأن يَكُون النَّبِيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ رأىٰ تلك الصُّور عند عَائِشَة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا بعد نهيه العام عَن الصُّور، فأقرها عَلَىٰ الاتخاذ. وإِذَا كَانَ كُلٌّ من الأمرين معدومًا، فلا شكَّ في بطلان ما زعمه عياض ومن قَالَ بقوله.

وقد قَالَ المَرُّوذي في كتاب «الورع»[١]: (باب كراهة شراء اللعب وما فيه الصور): قيل لأبي عبد الله -يعني الإِمَام أَحْمَد بن حنبل-: تَرىٰ للرَّجل الوصي تسأله الصبية أن يشتري لها لعبة، فقَالَ: إن كانت صُورَة فلا، وذكر فيها شيئًا.

قلت: الصُّورَة إِذَا كانت يدًا أو رجلًا، فقَالَ: عِكرمةُ يقول: كُلُّ شيء له رأس فهُوَ صُورَة، قَالَ أَبُو عبد الله: فقد يصيرون لها صدرًا وعينًا وأنفًا وأسنانًا، قلتُ: فأحبُّ إليكَ أن يجتنبَ شراءها؟ قَالَ: نعم.

وقَالَ الإِمَام أَحْمَد أيضًا في رِوَايَة بكر بن محمد، وقد سئل عَن حَدِيث عَائِشَة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا: كنت ألعب بالبنات، قَالَ: لا بأس بلعب اللعب إِذَا لم يكن فيه صُورَة، فإِذَا

---

(١) (١/ ١٥٤) (٤٦٦).

كَانَ فيه صُورَة فلا. وهَذَا نص من أَحْمَد -رِحِمهُ اللهُ تَعَالَىٰ- عَلَىٰ منع اللَّعب باللُّعبة إذَا كانت صورة.

وفي رِوَايَة المَرُّوذي: منع شراء الصُّورَة للصِّبية.

وقد كَانَ أَحْمَد -رَحِمهُ اللهُ تَعَالَىٰ- مِن أتبع النَّاس للسُّنة، ومِن أعلمهم بأَحَاديث رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وقد رَوىٰ في «مسنده»(١) حَدِيثَ عَائِشَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّها كانت تلعب باللُّعب عند النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما تقدم ذكر ذَلكَ، ومع هَذَا فقد أفتىٰ بما ذكر المَرُّوذي وبكر بن محمد عنه.

ولو ثبت عنده أن لعب عَائِشَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كانت صورًا حقيقية، وإنَّها مخصوصة من عُمُوم النهي عَن الصُّور؛ لَمَا أفتىٰ بخلاف ذلك. هَذَا هُوَ المعروف من حاله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وشدَّةِ تَمسُّكه بما ثبت عَن النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعن أصحابه رضوان الله عَلَيْهم أجمعين.

وبما قرَّرته في هَذَا الفصل يزول الإشكالُ عَن لعب عَائِشَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، ويتبين الصَّواب لكل مُنصف مُؤثر لإتباع السنة النبوية.

ويتبين أيضًا: بطلان قول من أجاز اتِّخاذ اللَّعب من الصُّور المُحرَّمة، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أعلمُ.

وهَذَا آخر ما تيسَّر جمعُه، والحمد لله رب العالمين، وصلىٰ الله عَلَىٰ نبينا

---

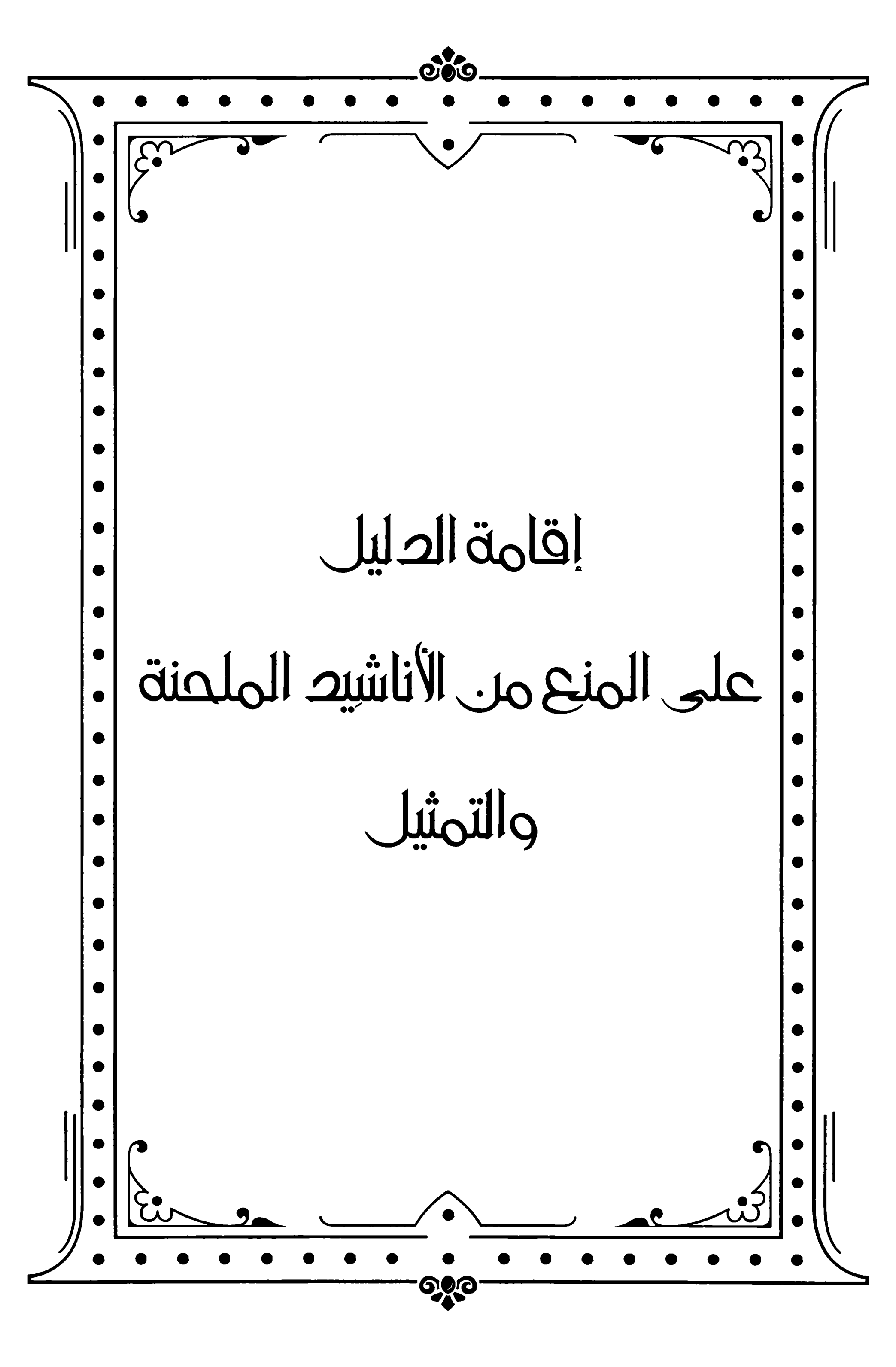
(١) (٦/ ٢٣٣) (٢٦٠٠٣).

محمد وَعَلَىٰ آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إِلَىٰ يوم الدين، وسلَّم تسليمًا كثيرًا.

وقد وقع الفراغ من تسويد هَذِهِ النبذة في يوم الإثنين السادس عشر من شهر جمادىٰ الأولىٰ سنة ١٣٨٢هـ، ثمَّ كَانَ الفراغ من كتابة هَذِهِ النسخة في يوم السبت الخامس والعشرين من شهر رجب سنة ١٣٨٢هـ، عَلَىٰ يد كاتبها وجامعها الفقير إِلَىٰ الله تَعَالَىٰ: حِمُود بن عبد الله التُّويجري غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات.

والحمد لله الَّذي بنعمته تتم الصالحات





إقامة الدليل

على المنع من الأناشيد الملحنة

والتمثيل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ لله نَحمدُه، ونستعينُه، ونَستغفره، ونتوبُ إليه، ونعوذُ بالله من شُرور أنفسنا، وسيِّئات أعمالِنا، مَن يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضللْ فلا هادي له، وأشهد أن لا إلهَ إلا اللهُ وحده لا شريكَ له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسولُه، أرسله اللهُ بالهُدىٰ ودينِ الحقِّ، وعلَّق محبَّته للعباد، ومغفرتَه لذُنوبهم علىٰ اتِّباع رسوله ﷺ، وحذَّرهم مِن مخالفة أمره، وتَوعَّد مَن خالف أمرَه بالفتنة أو العذاب الأليم.

صلىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسانٍ إلىٰ يوم الدين.

أما بعد: فقد سألني بعضُ الإخوان عن حكم الأنَاشِيد المُلحَّنة التي تسمىٰ بالأنَاشِيد الإسْلامية، وعن حُكم التَّمْثِيل الذي قد كثُر فِعلُه في هذا الزَّمان، ويُسمُّونه التَّمْثِيل الإسلامي. وذَكر السائلُ أن التَّمْثِيل قد أُدخل اليوم في الدعوة إلىٰ الله، والتَّوجيه، والإرشاد، وجُعل أسلوبًا جديدًا مِن أساليب الدَّعوة في هذا العَصر.

والجوابُ عن المَسألة الأولىٰ: أن يقال: إن بعض الأنَاشِيد التي يفعلها كثيرٌ من الطلاب في الحفلات، والمراكز الصيفية، ويسمونها الأنَاشِيد الإسلاميَّة، ليست من أمور الإسلام؛ لأنها قد مُزجت بالتَّغنِّي، والتلحين، والتطريب الذي يَستفز المُنشدين والسامعين، ويدعوهم إلىٰ الطَّرب، ويصدُّهم عن ذكر الله، وتلاوةِ القُرآن، وتدبُّر آياته، والتَّذكُّر بما جاء فيه من الوعد، والوعيد، وأخبار الأنبياء مع أممهم، وغير ذلك من العلوم النافعة لمَن تدبرها حقَّ التدبر، وعمِلَ بما جاء فيها من الأوامر، واجتنب ما فيها من المَنهيَّات، وأراد بعِلمه وأعمَاله وجه الله عَزَّوَجَلَّ.

وقَد سمعتُ بعض الأشرطة التي قد سجِّلت فيها بعضُ الأنَاشِيد التي يسمونها الأنَاشِيد الإسلامية، فإذا هي تُشبه الأغاني المُوسيقيَّة. وفي أوَّل سَماعي لمَا هو مسجل في الشريط حسبتُ أنه غناء، فأنكرتُ علىٰ صاحب الشَّريط، فقال: إنه ليس بغِناء، وإنما هو من الأنَاشِيد التي تسمىٰ بالأنَاشِيد الإسْلامِيَّة، فقلتُ: لقد أخطأ المُنشدون لها بألحانِ الغناء، وأخطأ مَن سجَّلها، وأخطأ مَن سمَّاها بالأنَاشِيد الإسْلامِيَّة؛ إذ لا فرق بينها وبين الأغاني المُوسيقيَّة في صفة الأداء، والتلحين، والتطريب الذي يستفز المنشدين والسامعين، وإنه لينطبقُ علىٰ المنشدين للأنَاشِيد بالتغنِّي والتلحين والتطريب قولُ الشاعر في إنكاره علىٰ الذين يستحلون شربَ النَّبيذ المُسْكر، ويقولون: إنه نبيذ، وليس بخَمر، فقال الشَّاعر في الرَّدِّ عليهم:

فَإِنْ لَا يَكُنْهَا أَو تَكُنْهُ فإِنَّهُ ... أَخُوهَا غَذتهُ أُمُّه بِلِبَانِهَا

وهكذا يقالُ في الأنَاشِيد المُلحَّنة بألحان الغناء: إن لا تكن غناءً فإنها أُخته وشقيقته، فيجب اجتنابها كما يجبُ اجتنابُ الغِناء.

ومَن قاس الأنَاشِيد المُلحَّنة بألحان الغِنَاء علىٰ رَجَز الصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ حين كانوا يَبنون المسجدَ النَّبويَّ، وحين كانوا يحفرون الخندقَ، أو قاسَها علىٰ الحِداءِ الذي كان الصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يَستحِثُّون به الإبلَ في السَّفر؛ فقياسُه فاسد؛ لأن الصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لم يكونوا يتغنون بالأشعار، ويستعملون فيها الألحان المُطربة التي تستفز المنشدين والسامعين، كما يفعل ذلك الطُّلَّاب في الحَفلات، والمراكزِ الصيفية، وإنما كان الصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يقتصرون علىٰ مجرَّد الإنشاد للشِّعر مع رفع الصَّوت بذلك، ولم يُذكر عنهم أنهم كانوا يجتمعون علىٰ الإنشاد بصوت واحد، كما يفعله الطلاب في زماننا.

والخيرُ كل الخير في اتِّباع ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم، والشَّرُّ كلُّ الشَّرِّ في مُخالفتهم، والأخذِ بالمُحدَثات التي ليست من هديهم، ولم تكن معروفة في زمانهم، وإنما هي من بدع الصُّوفية الذين اتخذوا دينهم لهوًا ولعبًا، فقد ذُكر عنهم أنهم كانوا يجتمعون علىٰ إنشاد الشعر الملحَّن بألحان الغِنَاء في الغلو والإطراء للنبي ﷺ، ويجتمعون علىٰ مثل ذلك فيما يسمونه بالأذكار، وهو في الحقيقة من الاستهزاء بالله وذكره. ومَن كانت الصُّوفية الضَّالَّةُ سَلفًا لهم وقُدوة فبِئْس ما اختاروا لأنفسهم.

وأما تسميةُ الأَنَاشِيد الجماعيَّة المُلحَّنة بألحان الغِنَاء باسم الأَنَاشِيد الإِسْلامِيَّة؛ فهو خطأ؛ لأن الأَنَاشِيد الجماعية المُلحَّنة بألحان الغِنَاء من المُحدَثات، والمحدثاتُ ليست من الأمور الإِسْلامِيَّة، وإنما هي من الأعمال التي يجب ردُّها والمنعُ منها؛ عملًا بقول النَّبِي ﷺ: «**مَن أحدثَ في أمْرِنا هذا ما ليس مِنه؛ فهو رَدٌّ**»، متَّفق عليه من حديث عائشةَ رضي الله عنها. وقد رواه الإمام أحمدُ بإسناد صحيح علىٰ شرط الشَّيخين[1]. وفي رواية له، ولمسلم، والبخاري تعليقًا مجزومًا به: «**مَن عَمِل عملًا ليس عليه أمرُنا؛ فهو رَدٌّ**»[2] أي: مَردود. وفي رواية لأحمد إسنادها صحيح علىٰ شَرط مُسلم: «**مَن صَنع أمرًا مِن غَير أمرِنا؛ فهو مَردودٌ**»[3].

---

(١) أخرجه أحمد (٦/ ٢٧٠) (٢٦٣٧٢)، والبخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨)، وأبو داود (٤٦٠٦)، وابن ماجه (١٤).

(٢) أخرجه أحمد (٦/ ١٤٦) (٢٥١٧١)، ومسلم (١٧١٨) والبخاري تعليقًا (٩/ ١٠٧).

(٣) أخرجه أحمد (٦/ ٧٣) (٢٤٤٩٤)، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح علىٰ شرط مسلم.

وفي هذه الروايات الصحيحة أبلغ ردٍّ علىٰ المفتونين بالأَنَاشِيد المُلحَّنة بألحان الغِنَاء، وعلىٰ الذين يسمونها أَنَاشِيد إِسْلامِيَّة، وهي من الأمور التي قد صُنعت بغير أمر النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ومن الأدلة علىٰ المنع من هذه البدعة أيضًا: قولُ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**عَليكُم بسُنَّتي وسُنَّةِ الخُلفاء الرَّاشدين المَهديِّين، تمسَّكوا بها، وعَضُّوا عليها بالنَّواجذ، وإياكم ومحدَثاتِ الأمور، فإنَّ كلَّ مُحدَثةٍ بِدعَة، وكلَّ بِدعَة ضَلالَة**»، رواه الإمام أحمد، وأهل السنن، وابن حبان في «صحيحه»، والحاكِم في «المستدرك» من حديث العِرباض بن سارية رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. وقال التِّرْمِذي: هذا حديث حسن صحيح. وصحَّحه أيضًا الحاكم، وابن عبد البر، والذهبي(١).

وفي هذا الحديث أوضح دليل علىٰ المنع من الأَنَاشِيد الجماعيَّة المُلحَّنة؛ لأنها من محدَثات الأمور التي جاء التحذيرُ منها في حديث العِرباض بن سَاريَة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. ومَن زعم أنها من أمور الإسلام فإنه يُخشىٰ عليه أن يكون داخلًا في عموم قول الله تعالىٰ: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاؤُا شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾ [الشورىٰ: ٢١].

وقد أخبر الله تعالىٰ أنه أكمَل الدِّينَ لرسوله محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولأمته، فقال تعالىٰ: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ١٢٦) (١٧١٨٤)، وأبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وابن ماجه (٤٢)، والحاكم (١/ ١٧٤) (٣٢٩)، والبيهقي (١٠/ ١١٤) (٢٠١٢٥)، وابن حبان (١/ ١٧٨) (٥)، والدارمي (١/ ٥٧) (٩٥)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٢٧٣٥).

وفي هذه الآية الكريمة أبلغ ردٍّ علىٰ المفتونين بالأَنَاشِيد الجماعية المُلحَّنة بألحان الغِنَاء، وأبلغ رد علىٰ تسميتها أَنَاشِيد إسْلامِيَّة؛ لأنها ليست من الدين الذي شرعه الله لعباده المؤمنين، وأكمله لهم في آخر حياة النَّبِي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإنما هي من المحدَثات التي أُحدثت في آخر هذه الأمة، ولم تكن معروفة في عهد رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا في زمان الخلفاء الراشدين وغيرهم من الصَّحابة رضوان الله عليهم أجمعين، ولم تكن معروفة في زمن التابعين.

وبعد زمان التابعين وتابعيهم أحدث الزَّنادقةُ التَّغبير، وهو مِن جنس الأَنَاشِيد الجماعية المُلحَّنة.

قال ابن دُرَيد في «جمهرة اللُّغة»[1]: التَّغبير صوتٌ يردَّد بقراءة وغيرها. ونقل مُرتضىٰ الحسيني في «تاج العروس»[2] عن ابن دُرَيد أنه قال: التَّغبير تَهليل أو ترديد صوت يردد بقراءة وغيرها. ونقل أيضًا عن الليث أنه قال: المُغبِرة قوم يغبرون بذِكر الله، أي: يهللون، ويرددون الصوت بالقراءة وغيرها، وقد سَموا ما يطربون فيه من الشعر في ذِكر الله تغبيرًا كأنهم إذا تناشدوها بالألحان طربوا فرقصوا وأرهجوا[3]، فسُمُّوا المغبرة لهذا المعنىٰ.

قال الأزهري: ورُوِّينا عن الشافعي أنه قال: أَرىٰ الزَّنادقةَ وضعوا هذا التغبير ليصدوا عن ذكر الله وقراءة القرآن. انتهىٰ.

---

(١) (١/ ٣٢١).

(٢) (١٣/ ١٩٥).

(٣) أرهجوا: أي: أثاروا الغبار، وهو الرهج.

وعلىٰ النحو الذي ذمَّه الشافعي -رَحِمَه اللهُ تَعالَىٰ- سار الضُّلَّالُ من الصُّوفيَّة، وتوسَّعوا في تلحين الشِّعر وإنشاده علىٰ طريقة الغِنَاء والألحانِ المُوسيقيَّة، وكذلك كانوا يفعلون فيما يسمونه بالأذكار، وهذا من تضليل الشيطان لهم، وتلاعبه بهم.

وفي النشيد الجماعي الملحَّن بألحان الغِنَاء شَبَه قريب مما ذُكر عن الصُّوفيَّة، وما كان بهذه المثابة فإنه يجب اجتنابه، والمنعُ منه.

وليعلم أن تسمية الأَنَاشِيد المُلحَّنة بألحان الغِنَاء باسم الأَنَاشِيد الإسْلامِيَّة يلزم عليها لوازم سيئة جدًّا وخطيرة.

منها: جعل هذه البدعة من أمور الإسلام ومُكمِّلاته، وهذا يتضمن الاستدراكَ علىٰ الشريعة الإسْلامِيَّة، ويتضمن القولَ بأنها لم تكن كاملة في عهد النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ومنها: معارضة قول الله تعالىٰ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾. ففي هذه الآية الكريمة النص علىٰ إكمال الدين لهذه الأمة، والقول بأن الأَنَاشِيد المُلحَّنة أَنَاشِيد إسْلامِيَّة؛ يتضمن معارضةَ هذا النص، وذلك بإضافة الأَنَاشِيد التي ليست من دين الإسلام إلىٰ دين الإسلام، وجعلها جزءًا منه.

ومنها: نسبة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلىٰ التقصير في التبليغ والبيان لأمته؛ حيث لم يأمرهم بالأَنَاشِيد الجماعية المُلحَّنة، ويخبرهم أنها أَنَاشِيد إسْلامِيَّة.

ومنها: نسبة الرَّسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابِه إلىٰ إهمال أمرٍ من أمور الإسلام، وتركِ العمل به.

ومنها: استحسان بدعة الأَنَاشِيد المُلحَّنة بألحان الغِنَاء، وإدخالها في أمور

الإسلام. وقد ذكر الشَّاطِبِيُّ في كتاب «الاعتصام»[(١)] ما رواه ابن حبيب، عن ابن المَاجِشُون قال: سمعتُ مالكًا يقول: «مَن ابتدع في الإسلام بدعةً يراها حسنةً فقد زعم أن محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خان الرِّسالةَ؛ لأن الله يقول: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾، فمَا لم يكن يومئذٍ دِينًا فلا يكون اليومَ دينًا»، وذكره الشاطبي في موضع آخر من كتاب «الاعتصام»[(٢)]، ولفظه قال: «مَن أحدث في هذه الأمة شيئًا لم يكن عليه سلفُها فقد زعم أن رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خان الرِّسالة»، وذكر بقيَّته بمثل ما تقدم. انتهىٰ.

فصل

وأما السؤال عن حُكم التَّمْثيل الذي يُستعمَل في هذا الزمان، فالجواب عنه أن يقال: إن التَّمْثيل معناه مُحاكاةُ الغَيْر في الكلام أو الأفعال أو الحركات أو غير ذلك من أنواع المُحاكاة، وهو من المُنكرَات التي يجب المنعُ منها، والإنكارُ علىٰ مَن فعلها؛ لأن النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كره محاكاةَ الناس، وأعظَمَ ذلك. كما جاء في الحديث الذي رواه الإمام أحمد بإسناد صحيح عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنها حكَت امرأةً، فقال لها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ما أُحبُّ أنِّي حَكيتُ أحدًا، وأنَّ لي كذا وكذا**»، ورواه أبو داود، والتِّرْمِذِي بنحوه. وقال التِّرْمِذِي: هذا حديث حسن صحيح[(٣)].

وفي رواية لأحمد عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: ذهبتُ أَحكي امرأةً أو رجلًا عند

---

(١) (١/ ٦٤- ٦٥).

(٢) (١/ ٤٩٤).

(٣) أخرجه أبو داود (٤٨٧٥)، والترمذي (٢٥٠٢)، وصححه الألباني.

رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ما أُحبُّ حكيتُ أحدًا، وأن لي كذا وكذا**»[١]، أَعظَمَ ذلك. وهذه الرِّواية إسنادها صحيح علىٰ شرط مسلم. وفي هذا الحديث أبلغُ ردٍّ علىٰ من أجاز التَّمْثيل، وعلىٰ من استحسنه.

وأيضًا؛ فإن التَّمْثيل لكلام الغير أو أفعاله أو حركاته مُحدَثٌ في الإسلام، وقد ثبت عن النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**مَن أحدَثَ في أمرِنا هذا ما ليس منه؛ فهو ردٌّ**»، رواه الإمام أحمد، والبخاري، ومسلم من حديث عائشة[٢]. وفي رواية لأحمد، ومسلم: «**من عمل عملًا ليس عليه أمرُنا؛ فهو ردٌّ**»[٣]، وقد ذكره البخاري تعليقًا بصيغة الجزم.

قوله: «رَدٌّ» أي: مَردود. وفي رواية لأحمد إسنادها صحيح علىٰ شرط مسلم: «**مَن صَنع أمرًا من غير أمرنا؛ فهو مردود**»[٤].

وفي هذا الحديث أبلغ رد علىٰ من أجاز التَّمْثيل للماضين أو المعاصرين؛ لأن التَّمْثيل من الأعمال التي ليس عليها أمرُ النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وليست من أفعال الصَّحابة، ولا من أفعال التابعين لهم بإحسان، وإنما هي من المحدثات التي دخلت علىٰ المسلمين من أعداء الإسلام والمسلمين حين ابتُلي المسلمون بمخالطتهم،

---

(١) أخرجه أحمد (٦/ ١٣٦) (٢٥٠٩٤)، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح علىٰ شرط مسلم.

(٢) أخرجه أحمد (٦/ ٢٧٠) (٢٦٣٧٢)، والبخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨)، وأبو داود (٤٦٠٦)، وابن ماجه (١٤).

(٣) أخرجه أحمد (٦/ ١٤٦) (٢٥١٧١)، ومسلم (١٧١٨) والبخاري تعليقًا (٩/ ١٠٧).

(٤) تقدم تخريجه.

واتِّباع سنَنِهم الذَّميمة.

وأيضًا؛ فإن التَّمْثيل من أفعال النصارىٰ في قديم الدهر وحديثه، فإنهم كانوا يمثِّلون المسيحَ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ويمثلون أكابرهم وعظماءهم. والتَّمْثيل عند المسلمين مأخوذ من أفعال النصارىٰ، وهو من التقليد المحرَّم؛ لما فيه من التشبه بأعداء الله، وقد قال النَّبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَن تشبَّه بقوم؛ فهو منهم**»، رواه الإمام أحمد، وأبو داود من حديث عبد الله بن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا[(١)]، وهو حديث حسن، وقد صححه الشَّيخ أحمد محمد شاكر في «تعليقه علىٰ مسند الإمام أحمد»[(٢)].

وقال شيخ الإسلام أبو العباس ابن تيمية في كتابه «اقتضاء الصراط المستقيم»: إسناده جيد. وقال الحافظ ابن حجر: إسناده حسن. قال شيخ الإسلام ابنُ تيميَّة: وقد احتج الإمام أحمد، وغيره بهذا الحديث. قال الشيخ: وهذا الحديث أقل أحواله أنه يقتضي تحريم التشبُّه بهم، وإن كان ظاهره يقتضي كفرَ المتشبه بهم، كما في قوله: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٥١].

وقال شيخ الإسلام أيضًا في موضع آخر: قولُه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَن تشبَّه بقوم؛ فهو منهم**» مُوجب هذا تحريم التَّشبه بهم بعلَّة كونه تشبُّهًا، وقال أيضًا: التشبه بالكفار منهِيٌّ عنه بالإجماع. انتهىٰ.

وروىٰ التِّرْمِذِي عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**ليس منَّا مَن تشبَّه بغيرنا، لا تَشبهوا باليَهود ولا بالنَّصارىٰ**»[(٣)].

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) (٤/ ٥١٥).

(٣) أخرجه الترمذي (٢٦٩٥) وقال: إسناده ضعيف، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٤٣٤).

قال ابن مُفلح في قوله: «ليس منا»: «هذه الصيغة تقتضي عند أصحابنا التَّحريم»(١). انتهىٰ.

وفي هذا الحديث والذي قبله، وما ذكره شيخُ الإسلام ابن تيمية من الإجماع علىٰ النَّهي عن التشبه بالكفار أبلغُ ردٍّ علىٰ من أجاز التَّمْثيل، وعلىٰ من استحسنه؛ لأن التَّمْثيل من أفعال النصارىٰ، والتشبه بهم حرام شديد التحريم، ومنهي عنه بالإجماع.

تنبيه

ليَعلم طالبُ العِلم أن مِن أشد التَّمْثيل تحريمًا تمثيلَ الأنبياء صلواتُ الله وسلامُه عليهم، ويليه في التحريم تمثيلُ أصحاب النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، من رجال ونساء، ومحاكاتهم في أقوالهم وأفعالهم، كما قد حدث ذلك في زماننا من بعض المُجرمين والمجرمات، وهذا في الحقيقة من التنقص للصحابة، والاستخفاف بهم، وإساءة الأدب في حقهم، وإظهار السخرية بهم عند المسلمين وغير المسلمين، وانتهاك حرمتهم بالمحاكاة التي لا يرضىٰ بها أحد من العقلاء لنفسه، ولا يرضىٰ بها مؤمن لأصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ولا شك أن هذا من تلاعب الشيطان بالممثِّلين للصحابة، وتزيينه لهم هذا المنكر الذي تمُجُّه أسماعُ ذوي الإيمان، والعقول السليمة، وتشمئز منه قلوبهم، ولو قدر أن محاكاة الصَّحابة، وتمثيل أقوالهم وأفعالهم وقع مثله بأحد من الذين لهم قدرة علىٰ الانتقام لأوشك أن يبادر إلىٰ الانتقام ممن يمثله ويحكيه في أقواله وأفعاله

(١) «الفروع» (١/ ١٥٢).

وحركاته؛ لأنه لابد أن يُعدَّ ذلك من الاستهزاء، والسخرية، والاستخفاف به.

فالواجب علىٰ وُلاة أمور المسلمين أن يأخذوا علىٰ أيدي المجرمين الذين انتهكوا حُرمةَ الصَّحابة بالمُحاكاة والتَّمْثيل، وجعلوهم غرضًا للاستهزاء، والسخرية، والتنقص. ويجب أيضًا المنع من تسجيل أشرطة هذا المُنكَر، وبيعِها، ويجب أيضًا إتلاف ما وجد منها، وتأديب مَن لم ينته عن تمثيلهم أو عن تسجيل الأشرطة وبيعها.

وقد ورد التحذير من اتخاذ الصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ غرضًا للتنقص وإساءة الأدب، وذلك فيما رواه الإمام أحمد، والتِّرْمِذِي عن عبد الله بن مُغفل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«اللهَ اللهَ في أصحابي، لا تتَّخذوهم غرضًا بعدي، فمَن أحبَّهم فبِحُبِّي أحبَّهم، ومَن أبغضَهم فببُغْضي أبغضَهم، ومَن آذاهم فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذىٰ اللهَ، ومن آذىٰ اللهَ يُوشك أن يأخُذَه»**(١).

وروىٰ أبو نعيم في «الحلية» عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«شِرارُ أُمَّتي أَجرَؤهم علىٰ صَحابتي»**(٢).

فصل

وأما تسمية المحاكاة بالتَّمْثيل الإسلامي؛ فهو من الخطأ الذي يُراد به تزيين الباطل بزُخرف الكذب. وقد تقدم حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا الذي جاء فيه أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَره محاكاةَ الناس، وأعظمها. وفيه أبلغ رد علي من زعم أن

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٨٧) (١٦٨٤٩)، والترمذي (٣٨٦٢)، وضعفه الألباني في «الضعيفة» (٢٩٠١).

(٢) أخرجه أبو نعيم (٢/ ١٨٣)، وقال الألباني في «الضعيفة» (٦٣٦٣): موضوع.

التَّمْثيل من أمور الإسلام. وتقدم أيضًا أن التَّمْثيل محدَث في الإسلام، والمحدثات ليست من أمور الإسلام، وإنما هي من المنهيات المخالفة للإسلام، فيجب المنع منها، والإنكارُ علىٰ مَن جعلها أو جعل شيئًا منها من أمور الإسلام.

وتقدم أيضًا أن التَّمْثيل مأخوذ من أفعال النصارىٰ، وما كان بهذه المثابة؛ فهو حرام، والإسلام بريء منه، وإنه ليخشىٰ علىٰ من نسب التَّمْثيل إلىٰ الإسلام، وجعله داخلًا في مسماه أن يكون له نصيبٌ من قول الله تعالىٰ: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾ [الشورىٰ: ٢١] الآية.

فصل

وأما إدخال التَّمْثيل في الدعوة إلىٰ الله تعالىٰ، والتوجيه، والإرشاد؛ فهو خطأ كبير، وهو من مكايد الشيطان، وتزيينه للباطل، وإظهاره في صورة الحق. والواقع في الحقيقة أن التَّمْثيل بضد الدعوة إلىٰ الله، والتوجيه، والإرشاد؛ لأنه مخالف لما ثبت عن النَّبِي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من كراهة محاكاة الناس، وإعظام ذلك. ومخالف أيضًا لما ثبت عنه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الأمر بردِّ المحدثات، والأعمال التي ليس عليها أمره، ومخالف أيضًا لما ثبت عنه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من التغليظ في التشبه باليهود والنصارىٰ وغيرهم من أعداء الله.

وقد ذَكر اللهُ الطريقَ الشَّرعيَّ الذي يجب سلوكُه في الدعوة إلىٰ الله، والتوجيه، والإرشاد، فقال تعالىٰ: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥].

قال ابنُ كثير في الكلام علىٰ هذه الآية: يقول تعالىٰ آمرًا رسولَه محمَّدًا صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أن يدعو الخلق إلىٰ الله بالحكمة. قال ابن جرير: وهو ما أنزله عليه من الكتاب والسنة: ﴿وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ﴾ أي: بما فيه من الزَّواجر، والوقائع بالناس، وذكرهم بها ليحذروا بأس الله تعالىٰ. انتهىٰ.

فهذه هي الطريقة التي يجب سلوكها في الدعوة إلىٰ الله، والتوجيه، والإرشاد، وما خالفها فهو من البدع التي يجب ردُّها والمنع منها، ومن ذلك محاكاة الناس، وتمثيل أقوالهم وأفعالهم، ولو كانت المحاكاةُ والتَّمْثيل من طرق الدعوة إلىٰ الله، والتوجيه، والإرشاد لكان رسولُ الله صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وأصحابه أولي بذلك، وأسبق إليه ممن جاء بعدهم.

وقد روىٰ الطبراني في «الكبير»(١) عن أبي ذر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، أن رسول الله صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**ما بَقي شيءٌ يُقرِّب من الجنَّة، ويُباعد من النار إلا وقد بُيِّن لكم**». قال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح غير محمد بن عبد الله بن يزيد المقري، وهو ثقة.

وفي هذا الحديث أبلغ رد علىٰ الذين استباحوا التَّمْثيل، وزعموا أنه من طرق الدعوة إلىٰ الله، والتوجيه، والإرشاد، ولو كان الأمر فيه كما يزعمون لبيَّن ذلك النَّبِيُّ صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لأمته، وأرشدهم إليه.

وقد دلَّت الأحاديثُ التي تقدم ذكرها قريبًا عن عائشة، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن عمرو رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، علىٰ أن التَّمْثيل من الأشياء التي تُقرِّب من النار، وتباعد من الجنة، فلتراجع الأحاديث، ففيها أبلغ رد علىٰ المفتونين بالتَّمْثيل.

---

(١) (٢/ ١٥٥) (١٦٤٧)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٨٠٣).

ومن الأحاديث التي يردُّ بها علىٰ الممثلين: قول النَّبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**قد تَركتُكم علىٰ البيضاء ليلُها كنهارها، لا يزيغُ عنها بعدي إلا هالك**»، رواه الإمام أحمد، وابن ماجه، والحاكم من حديث العرباض بن سارية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ(١). ورواه ابن ماجه أيضًا من حديث أبي الدَّرداء رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، ولفظه: «**وايمُ الله، لقد تَركتُكم علىٰ مثل البَيضاء، ليلُها ونهارُها سواء**». قال أبو الدرداء رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: صدق واللهِ رسولُ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، تَركنا واللهِ علىٰ مثل البيضاء، ليلُها ونَهارُها سواء(٢).

وفي هذا الحديث دليل علىٰ المنع من بدعة التَّمْثيل؛ لأنها من المحدثات في الإسلام، وليست من الأمور التي ترك رسولُ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُمَّتَه عليها.

فصل

في ذكر أشياء من التَّمْثيليات السخيفة المستهجنة

فمن ذلك: ما فعله بعض الطُّلَّاب في بعض المراكز الصيفية، حيث جعلوا شيطانًا إنسيًّا يمثل إبليس، ويُمثِّل وسوستَه للناس بترك المأمورات، وفعل المُنكَرات، فجعل الشيطانُ الإنسي يدنو من بعض الحاضرين، ويوسوس لهم بما يترتب عليه غضب الله وعقابه، فيزين لهم الأشياء المحرَّمة، ويأمرهم بفعلها، ويهون عليهم أمر الفرائض والواجبات، ويأمرهم بتركها، وجعل الحاضرون يضحكون من هذا التَّمْثيل بمِلْء أفواههم.

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ١٢٦) (١٧١٨٢)، وابن ماجه (٤٣)، والحاكم (١/ ١٧٥) (٣٣١)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٩٣٧).

(٢) أخرجه ابن ماجه (٥)، وحسنه الألباني.

وهذه القصة السَّخيفة من أقبح القصص التي ذُكرت عن المفتونين بالتَّمْثيل، وهي من تلاعب الشيطان بهم، وسخريته منهم، ومن الحاضرين عندهم.

ومن القصص التَّمْثيلية السَّخيفة جدًّا -بل الشِّركيَّة-: ما أخبرني به مَن أثقُ به مِن أهل العلم، أنه لمَّا كان يدرس في المَعهد حضر عند بعض الطُّلاب، وهم يمثلون شجرةً تُعبد من دون الله، فذكر أن بعضهم قاموا أمامَ الشجرة، ورفعوا أيديهم نحوها يدعونها من دون الله، ويسألونها قضاء حوائجهم، فجاء أحد الحاضرين يُمثِّل نفسَه برجل عابد يريد أن يقطع الشَّجرة التي تُعبد من دون الله، فجاء آخر منهم يُمثل نفسَه بإبليس، فنهىٰ المتمثلَ بالعابد عن قطع الشَّجرة، وصارعه فصَرعه المتمثلُ بالعابد، فقال له المتمثل بإبليس: اترك الشَّجرةَ اليوم، وأنا أعطيك دينارًا، فأخذ المتمثلُ بالعابد الدِّينارَ، وترك قطع الشجرة في ذلك اليوم، ثم جاء في اليوم الثاني ليقطعها؛ فأعطاه المتمثلُ بإبليس دينارًا آخر، فتَركها.

ثم جاء في اليوم الثَّالث فطلب الدينارَ، فأبىٰ المتمثلُ بإبليس أن يعطيَه شيئًا، فصَارعه المتمثلُ بالعابد فصَرعه المتمثلُ بإبليس، وقال له: إنما كنتَ تَغلبني إذ كان عملُك لله، فأما اليوم فقد صار عملُك للدِّينار فغلبتك.

قلت: وهذه التَّمْثيلية السَّخيفة من أقبح التَّمْثيليات التي ذُكرت عن الممثلين، وهي من التَّمْثيل لشجرة العزَّىٰ، ونحوها من الأشجار التي كانت تُعبد من دون الله.

فالطلاب الذين قد مثَّلوا أنفسهم يدعون شجرةً من دون الله، قد جعلوا لله ندًا، وأشركوا به شركًا أكبر. وقد قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨]، وقال تعالىٰ:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾[النساء: ١١٦].

ولا يَخفىٰ علىٰ عاقلٍ ما في فِعلِ الذين يمثلون عبادةَ الشجرة من الشِّرك، مع ما في ذلك أيضًا من السخف والرعونة.

وأما المتمثل بإبليس في هذه القصة، وفي القصة المذكورة قبلها، فهما أسوأ حالًا من الذين أشركوا بالشجرة؛ لأن كلًّا من هذين قد جعل نفسه بمنزلة الشيطان الرَّجيم الذي قد لعنه اللهُ وطرده من الملأ الأعلىٰ، وآيَسه من رحمته، وأمر بني آدم أن يتخذوه عدوًّا، وحذَّرهم من فتنته، ولو كان عند المتمثل بإبليس دينٌ ثابت لمنعه دينُه من التعرض لسخط الله، وأليم عقابه، ولو كان له عقل سليم لمنعه عقله مما يدنس ويُشين عند ذوي العقول السليمة.

وأما الحاضرون عند المتمثل بإبليس، والمتمثلين بعبَّاد الشجر، فلكل واحد من الراضين بالتَّمْثيل نصيب من الإثم والإفك الذي فعله المتمثلون؛ لأن الراضي بالذنب كفاعله، والدليل علىٰ هذا قول الله تعالىٰ: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٠]. والأدلة علىٰ ذلك كثيرة، وقد ذكرتُ طرفًا منها في كتابي المسمىٰ «إعلان النَّكير علىٰ المَفتونين بالتَّصوير»؛ فلتراجع هناك.

وإنه ليُخشىٰ علىٰ اللَّذَين تشبَّهَا بإبليس في القصتين المذكورتين في أول الفصل، أن يكون كلٌّ منهما خارجًا من الإسلام، وكذلك الذين وقفوا أمامَ الشجرة يدعونها من دون الله، ويمثلون أفعالَ الذين يعبدون العُزَّىٰ، وغيرها من الأشجار، ويدعونها

من دون الله. وقد ورد التشديد في الحلف بالبراءة من الإسلام، وهو في حالة الصدق أهون بكثير من التمثل بإبليس، وبعبَّاد الأشجار.

فروىٰ الإمام أحمد، وابن ماجه، والحاكم، عن عبد الله بن بُريدة، عن أبيه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَن قال: إني بريءٌ من الإسلام؛ فإنْ كان كاذبًا؛ فهو كما قَال، وإن كان صادقًا؛ فلن يَرجعَ إلىٰ الإسْلام سالمًا**»(١)، وفي رواية لأحمد: «**مَن حلف أنه بريءٌ من الإسلام؛ فإن كان كاذبًا؛ فهو كما قال، وإن كان صادقًا؛ فلن يَرجع إلىٰ الإسلام سالمًا**»(٢) قال الحاكم: صحيح علىٰ شرط الشيخين، ووافقه الذهبي في «تلخيصه».

فليتأمل المُتمثِّلون بإبليس وبعُبَّاد الأشجار هذا الحديثَ حقَّ التأمل، ولا يأمنوا أن يكون لهم نصيب من البراءة من الإسلام؛ لأن التَّمْثيل الذي قد فعلوه هو صريح الكفر والشرك، وأيُّ كفر أعظم مما كان عليه عدو الله إبليس؟! وأيُّ شرك أعظم من دعاء الأشجار، وجعلها أندادًا من دون الله؟!

وبالجُملة؛ فإن المتمثلين بإبليس، وبالذين يدعون العُزَّىٰ، وغيرها من الأشجار، قد وقعوا في خطر عظيم، وأمر مناقض للإسلام؛ فعلىٰ مَن فعل هذا المنكر الوخيم أن يتدارك نفسَه بالتوبة النصوح، والإنابة إلىٰ الله تعالىٰ، والإكثار من الأعمال الصالحة، فإن الحسنات يُذهبن السيئات. وعلىٰ غيرهم من المؤمنين أن يحذروا من

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٣٥٥) (٢٣٠٥٦)، وابن ماجه (٢١٠٠)، والحاكم (٤/ ٣٣١) (٧٨١٨)، وصححه الألباني.

(٢) أخرجه أحمد (٥/ ٣٥٥) (٢٣٠٥٦)، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده قوي.

الوقوع في مثل هذه الأمور الفظيعة، والزَّلات الشنيعة، والمزالق الخطرة التي وقع فيها الجاهلون بما يناقض الإسلام.

ومن الأحاديث الواردة في التَّشديد بالحَلف بملَّةٍ غير الإسلام: حديث ثابت بن الضَّحاك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَن حَلف بملَّةٍ سوىٰ الإسلام كاذبًا متعمدًا؛ فهو كما قال**»، رواه الإمام أحمد، والبخاري، ومسلم، والتِّرْمِذِي، والنسائي، وابن ماجه، وابن حبان في صحيحه، وقال التِّرْمِذِي: هذا حديث حسن صحيح[١]. وفي رواية لابن حبان: أن النَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَن حَلف بملَّة سوىٰ الإسلام كاذبًا متعمدًا؛ فهو كافر**»[٢].

ومعنىٰ الحَلِف بملة غير الإسلام أن يقول: هو يهودي أو نصراني إن فعل كذا وكذا، وقد جاء النَّصُّ علىٰ ذلك في حديث رواه الحاكم عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَن حَلف علىٰ يَمينٍ؛ فهو كما حَلفَ، إن قال: هو يهودي؛ فهو يهودي، وإن قال: هو نصراني؛ فهو نَصراني، وإن قال: هو بريءٌ من الإسلام؛ فهو بريء من الإسلام**»[٣] صحَّحه الحاكم، وفي إسناده ضعف

وروىٰ ابن ماجه، عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، **قال**: سمع النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رجلًا

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٣٣) (١٦٤٣٢)، والبخاري (١٣٦٣)، ومسلم (١١٠)، وأبو داود (٣٢٥٧)، والترمذي (١٥٤٣)، والنسائي (٣٨١٣)، وابن ماجه (٢٠٩٨)، وابن حبان (١٠/ ٢٠٩) (٤٣٦٧).

(٢) أخرجه ابن حبان (١٠/ ٢٠٨) (٤٣٦٦)، وصححه الألباني.

(٣) أخرجه الحاكم (٤/ ٣٣١) (٧٨١٧)، وصححه لغيره الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٢٩٥٦).

يقول: أنا إذًا لَيَهُودي، فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَجَبت»(١). في إسناده بقية بن الوليد، وقد رواه بالعنعنة، وهو مدلس. ويشهد لهذا الحديث حديث أبي هُريرةَ المذكور قبله ما تقدم قبلهما من حديث بُريدة، وثابت بن الضحاك رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

وإذا عُلم ما جاء في هذه الأحاديث من التشديد في الحلف بالبراءة من الإسلام، والحلف بملة غير الإسلام، كأن يقول: هو يهودي أو نصراني إن فعل كذا وكذا، فليُعلم أن التشبه بإبليس، وبعبَّاد الأشجار أعظم من ذلك بكثير؛ لأن كلًّا من المتشبه بإبليس، وبعباد الأشجار قد جعل نفسَه بمنزلة من تشبَّه به، وذلك يقتضي الكفر.

والتشبه بإبليس يقتضي أيضًا أن يكون المتشبه به من الشياطين، وقد ثبت عن النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «من تشبَّه بقوم؛ فهو منهم»، رواه الإمام أحمد، وأبو داود من حديث ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، وقد تقدم الكلام عليه؛ فليراجع.

ومما تقدم في الكلام عليه قول شيخ الإسلام ابن تيمية: إن ظاهره يقتضي كفر التشبه بهم، كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٥١].

ويجب علىٰ الذين مثَّلوا أنفسهم بإبليس، وبعبَّاد الأشجار، وهم جاهلون بما تشتمل عليه هذه الأفعال الوخيمة من المنافاة لدين الإسلام؛ أن يبادروا إلىٰ محو هذه الزلات بقول: لا إله إلا الله، والإكثار من الاستغفار، والأعمال الصالحة. فقد روىٰ الإمام أحمد، والبخاري، ومسلم، وأبو داود، والتِّرْمِذِي، والنسائي، عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَن حلَف فقال في حَلفه: واللَّات والعُزَّىٰ، فليقل: لا إله إلا الله**»(٢). قال التِّرْمِذِي: هذا حديث حسن صحيح.

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٢٠٩٩)، وقال الألباني: ضعيف جدًّا.

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ٣٠٩) (٨٠٧٣)، والبخاري (٤٨٦٠) ومسلم (١٦٤٧)، وأبو داود (٣٢٤٧)، =

وروى الإمام أحمد، والنسائي، وابن حبان في «صحيحه» عن سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنه حلف باللَّات والعزَّى، فقال له أصحابه: قد قلتَ هُجرًا[1]، فأتي النَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال: إن العهدَ كان قريبًا، وإني حلفت باللات والعزى، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**قل: لا إلهَ إلَّا الله وحدَه؛ ثلاثًا، ثمَّ انفث عن يَسارك ثلاثًا، وتعوَّذ بالله من الشيطان، ولا تَعُدْ**»[2]، ورواه ابن ماجه مختصرًا[3].

وفي رواية للنسائي، عن سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: كنا نَذكر بعضَ الأمر وأنا حديث عهد بالجاهلية، فحلفت باللَّات والعزى، فقال لي أصحابُ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: بئس ما قلتَ. ائتِ رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأخبره، فإنَّا لا نراك إلا قد كفرتَ، فأتيته فأخبرتُه، فقال لي: «**قل: لا إلهَ إلَّا الله وحده لا شريك له؛ ثلاثَ مرَّات، وتعوَّذ من الشيطان ثلاثَ مرات، واتْفلْ عن يَسارك ثلاثَ مرات، ولا تَعُدْ له**»[4]، إسناده صحيح على شرط البخاري.

وإذا عُلم ما في التمثل بإبليس، وبعبَّاد الأشجار من السخف والرعونة، وما يترتب على ذلك من الغفلة عن الله تعالى، والصد عن ذكره ومراقبته، وما يترتب على

=

والترمذي (١٥٤٥)، والنسائي في «الكبرى» (٦/ ٢٤٦) (١٠٨٢٨).

(١) قال الجوهري: الهُجر بالضم هو الإفحاش في المنطق والخنا، وقال ابن منظور في «لسان العرب»: الهجر القبيح من الكلام.

(٢) أخرجه أحمد (١/ ١٨٦) (١٦٢٢)، والنسائي (٣٧٧٦)، وابن حبان (١٠/ ٢٠٦) (٤٣٦٤)، وضعفه الألباني.

(٣) أخرجه ابن ماجه (٢٠٩٧)، وضعفه الألباني.

(٤) أخرجه النسائي (٣٧٧٦)، وضعفه الألباني.

ذلك أيضًا من تضحيك الناس بقبيح الأفعال، ورديء الكلام الذي يشتمل علىٰ الهزل، والمجون، وأنواع السفاهة، والسخافة، والرقاعة، وما تشتمل عليه أفعالهم وأقوالهم في حال تمثلهم بإبليس، وبعباد الأشجار من المنكرات التي تنافي الإسلامَ، فهل يقول مؤمن عاقل: إن ذلك من التَّمْثيل الذي يَدخل في الدعوة إلىٰ الله، والتوجيه، والإرشاد؟!

كلَّا، لا يقول ذلك من له أدنىٰ شيء من العقل والدين، وإنما يقول ذلك مَن هو مصاب في دينه وعقله. وإنه ليُخشىٰ علىٰ المتشبهين بإبليس وبعبَّاد الأشجار، وعلىٰ الراضين بفعلهم أن يصابوا بمصيبة في دينهم، مع ما يُخشىٰ عليهم من العذاب في الآخرة، فقد ثبت عن النَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**وهَل يَكبُّ النَّاسَ في النار علىٰ وجوههم - أو قال: علىٰ مَناخِرهم- إلا حَصائدُ أَلسِنَتِهم؟!**»، رواه الإمام أحمد، والتِّرْمِذِي، وابن ماجه، والحاكم من حديث معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقال التِّرْمِذِي: هذا حديث حسن صحيح، وقال الحاكم: صحيح علىٰ شرط الشيخين، ووافقه الذهبي في «تلخيصه»[1].

وفي «الصحيحين»، وغيرهما، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنه سمع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**إنَّ العبدَ ليَتكلَّم بالكلمة ما يتبيَّن فيها؛ يزلُّ بها في النار أبعَد مما بين المشرق والمغرب**»[2].

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٢٣١) (٢٢٠٦٩)، والترمذي (٢٦١٦)، وابن ماجه (٣٩٧٣)، والحاكم (٢/ ٤٤٧) (٣٥٤٨)، وصححه الألباني بمجموع طرقه في «الصحيحة» (١١٢٢).

(٢) أخرجه البخاري (٦٤٧٧)، ومسلم (٢٩٨٨).

وقوله «**ما يتبيَّن فيها**» معناه: لا يَتدبَّرها ويُفكر في قبحها، ولا يخاف ما يترتب عليها.

وفي رواية البخاري: «**إن العبدَ ليتكلَّم بالكلمة من رضوان الله لا يُلقي لها بالًا؛ يَرفعه اللهُ بها درجات، وإن العبدَ ليتكلم بالكلمةِ مِن سخط الله لا يُلقي لها بالًا؛ يَهوي بها في جهنم**»(١). وقد رواه الإمام أحمد مختصرًا(٢). وفي رواية له: أن رسول الله صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**إن الرَّجلَ ليتكلم بالكَلمة يُضحك بها جُلساءه؛ يَهوي بها مِن أبعَد مِن الثُّريَّا**»(٣)، ورواه البيهقي، ولفظه: «**إن العبدَ ليقول الكلمةَ لا يَقولها إلا ليُضحك بها المجلسَ؛ يَهوي بها أبعد مما بين السماء والأرض، وإن الرجلَ ليزل عن لسانه أشدَّ مما يزل عن قدميه**»(٤).

وروىٰ الإمام أحمد أيضًا، عن أبي سعيد الخدري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ؛ يرفعه: قال: «**إن الرجلَ ليتكلم بالكلِمة لا يريدُ بها بأسًا إلا ليُضحك بها القومَ؛ فإنه ليَقع منها أبعد من السماء**»(٥).

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤٧٨).

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ٣٧٨) (٨٩٠٩)، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح علىٰ شرط الشيخين.

(٣) أخرجه أحمد (٢/ ٤٠٢) (٩٢٠٩)، وقال شعيب الأرنؤوط: حسن لغيره، وهذا إسناد ضعيف لضعف الزبير بن سعيد.

(٤) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٤/ ٢١٣) (٤٨٣٢)، وضعفه الألباني في «ضعيف الترغيب والترهيب» (١٧١٥).

(٥) أخرجه أحمد (٣/ ٣٨) (١١٣٤٩)، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده ضعيف.

وعن بلال بن الحارث المُزني رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، أن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**إن الرجلَ ليتكلمُ بالكلمة من رضوان الله ما كان يظنُّ أن تَبلغ ما بلغت؛ يَكتب اللهُ له بها رضوانَه إلىٰ يوم القيامة، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سَخط الله ما كان يظن أن تبلغَ ما بلغت؛ يكتب اللهُ له بها سخطَه إلىٰ يوم يلقاه**»، رواه مالك، وأحمد، والتِّرْمِذِي، وابن ماجه، وابن حبان في «صحيحه»، والحاكم[1]، وقال التِّرْمِذِي: هذا حديث حسن صحيح، وصححه أيضًا الحاكم، والذهبي. قال التِّرْمِذِي: وفي الباب عن أم حبيبة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا.

وفي رواية للحاكم[2]، عن محمد بن عمرو بن علقمة بن وقاص الليثي قال: كان رجل بطَّال يدخل علىٰ الأمراء فيُضحكهم، فقال له جدِّي: ويْحكَ يا فلان! لِم تدخل علىٰ هؤلاء وتُضحكهم؟ فإني سمعتُ بلال بن الحارث المزني يحدِّث... ثم ذكر حديثَ بلال بن الحارث الذي تقدم ذكرُه.

وروىٰ الإمام أحمد، وأبو داود، والتِّرمِذِي، والدارمي، والحاكم عن بَهْز بن حَكيم، عن أبيه، عن جدِّه رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قال: سمعتُ رسولَ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يقول: «**وَيلٌ للذي يُحدِّث فيَكذب ليضحكَ به القَوم، ويلُ له، ويل له**»[3]. قال التِّرمِذِي:

---

(١) أخرجه مالك (٦٠٩)، وأحمد (٣/ ٤٦٩) (١٥٨٩٠)، والترمذي (٢٣١٩) وابن ماجه (٣٩٦٩)، وابن حبان (١/ ٥١٦) (٢٨١)، والحاكم (١/ ١٠٧) (١٣٨)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٨٨٨).

(٢) في «المستدرك» (١/ ١٠٦) (١٣٦).

(٣) أخرجه أحمد (٥/ ٥) (٢٠٠٥٨)، وأبو داود (٤٩٩٠)، والترمذي (٢٣١٥)، والدارمي (٢/ ٣٨٢) (٢٧٠٢)، والحاكم (١/ ١٠٨) (١٤٢)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٧١٣٦).

هذا حديث حسن. قال: وفي الباب عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وفي هذه الأحاديث أبلغ تحذير من تضحيك الناس برديء الكلام، وما يشتمل على الهزل والمُجون، أو الاستهزاء والسخرية بالناس، ومحاكاتهم في الأقوال والأفعال.

ومن أعظم التَّمْثيل خطرًا، وأشده نكارة الاستهزاءُ بالدين، وأهلِ الدين، والسخرية من المتمسكين بالسُّنَّة، كما قد ذُكر ذلك عن بعض ذوي السَّفاهة والرقاعة الذين لا يُبالون بما يأتونه من منكرات الأفعال، وما يخرج من أفواههم من الأقوال الساقطة، ورديء الكلام.

ومما ذُكر عنهم من الأفعال المنكرة أنهم يجعلون لبعض مُحلقي اللِّحى، أو بعض الصبيان الصغار لحيةً من جلود الضَّأن التي عليها شعر كثير؛ ليمثلوا بذلك أهل اللحى، ويَضحكوا منهم وممن يمثلهم. وهذا صريح في الاستهزاء بالسنة في إعفاء اللحى، والسخرية من الذين يُعفون لحاهم. وما علم الأراذل السُّخفاءُ أن استهزاءهم باللحى يتناول النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإنه هو القدوة والأسوة الحسنةُ للذين يُعفون اللحى.

وقد كان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كثَّ اللحية ضَخمها عظيمها، قد مَلأت نحرَه، وقد أمر أمَّته بإعفاء اللحى وتوفيرها، ونهاهم عن حلقها والتَّمْثيل بها، وما تضمن الاستهزاء بالنَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الأقوال أو الأفعال، أو تضمن الاستهزاء بشيء من هديه وسنته؛ فهو كُفرٌ صريح. وقد جاء النص على ذلك في قول الله تعالى: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٥، ٦٦].

قال البغوي[١]: سبب نزول هذه الآية ما قال الكلبي، ومقاتل، وقتادة: أن النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يسير في غزوة تبوك، وبين يديه ثلاثة نفر من المنافقين: اثنان يستهزئان بالقرآن والرسول، والثَّالث يَضحك، فأطْلع اللهُ نبيَّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على ذلك، فقال: «**احبسُوا عليَّ الرَّكْبَ**»، فدعاهم وقال لهم: «**قُلتم كذا وكذا**»، فقالوا: إنما كنَّا نخوضُ ونَلعب.

وقال ابن كثير: وقوله: ﴿لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ﴾، أي: بهذا المقال الذي استهزأتم به. انتهىٰ.

فليحذر الذين يمثِّلون أهلَ اللحىٰ، ويسخرون منهم من الوقوع في هذه المزالق التي تُخرجهم من الإسلام.

ومن أقبح التَّمْثيل: ما يفعله بعض أشباه الرجال من تمثيل أفعال النساء وكلامهن، حتىٰ إن بعضهم يمثل النساء في الولادة، وهذا شيء في غاية القبح والسخافة. وقد «**لعن رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المُتشبِّهين من الرِّجال بالنِّساء، والمُتشبهاتِ من النِّساء بالرِّجال**»، رواه الإمام أحمد، والبخاري، وأبو داود، والتِّرْمِذِي، وابن ماجه من حديث ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا[٢]، وقال التِّرْمِذِي: هذا حديث حسن صحيح.

ورویٰ الإمام أحمد، وأبو داود، والنسائي، وابن حبان في «صحيحه»،

---

(١) في «تفسيره» (٤/ ٦٩- ٧٠).

(٢) أخرجه أحمد (١/ ٣٣٠) (٣٠٦٠)، والبخاري (٥٨٨٥)، وأبو داود (٤٠٩٧)، والترمذي (٢٧٤٨)، وابن ماجه (١٩٠٤).

والحاكم، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: «**لعَن رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الرَّجلَ يَلبس لبسةَ المرأة، والمرأةَ تلبس لبسةَ الرجل**»(١) قال الحاكم: صحيح علىٰ شرط مسلم، وأقره الذهبي في «تلخيصه». ورواه ابن ماجه بإسناد حسن، ولفظه: أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «**لعَن المرأةَ تتشبَّه بالرجال، والرجلَ يتشبه بالنساء**»(٢)، واللعن هو الطرد، والإبعاد من الله.

وروىٰ الإمام أحمد، والطبراني، عن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: سمعتُ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**ليس منَّا مَن تشبَّه بالرجال من النساء، ولا مَن تشَبَّه بالنساء من الرجال**»(٣).

فليتأمل الممثلون للنساء هذه الأحاديث، وليحذروا من اللَّعن الذي يطردهم عن الله، ويبعدهم من رحمته ومِن كل خير.

فصل

وقد ذُكر عن بعض المفتونين بمُحاكاة الناس، وتمثيل أقوالهم وأفعالهم، أنهم

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٣٢٥) (٨٢٩٢)، وأبو داود (٤٠٩٨)، والنسائي في «الكبرىٰ» (٨/ ٢٩٧) (٩٢٠٩)، وابن حبان (٥٧٥١)، والحاكم (٤/ ٢١٥) (٧٤١٥)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٠٩٥).

(٢) أخرجه ابن ماجه (١٩٠٣)، وقال الألباني: حسن صحيح.

(٣) أخرجه أحمد (٢/ ١٩٩) (٦٨٧٥)، وقال شعيب الأرنؤوط: مرفوعه صحيح. وقال الهيثمي (٨/ ١٠٣): رواه أحمد، والهذلي لم أعرفه، وبقية رجاله ثقات، ورواه الطبرانىٰ باختصار، وأسقط الهذلىٰ المبهم، فعلىٰ هذا رجال الطبرانىٰ كلهم ثقات. وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٤٣٣).

استدلوا علىٰ جواز التَّمْثيل بما جاء في قصة الأبرص، والأقرع، والأعمىٰ، الذين كانوا في بني إسرائيل(١). فقد جاء في قصتهم: أن المَلَكَ جاء إلىٰ كلِّ واحد منهم في صورته

(١) والحديث أخرجه البخاري (٣٤٦٤)، ومسلم (٢٩٦٤) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «إِنَّ ثَلَاثَةً فِي بني إِسْرَائِيلَ: أَبْرَصَ، وَأَقْرَعَ، وَأَعْمَىٰ، فَأَرَادَ اللهُ أَنْ يَبْتَلِيَهُمْ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ مَلَكًا، فَأَتَىٰ الأَبْرَصَ، فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: لَوْنٌ حَسَنٌ، وَجِلْدٌ حَسَنٌ، وَيَذْهَبُ عَنِّي الَّذِي قَدْ قَذِرَنِي النَّاسُ، قَالَ: فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ عَنْهُ قَذَرُهُ، وَأُعْطِيَ لَوْنًا حَسَنًا وَجِلْدًا حَسَنًا، قَالَ: فَأَيُّ المَالِ أَحبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الإِبلُ - أَوْ قَالَ: البَقَرُ، شَكَّ إِسْحَاقُ - إِلَّا أَنَّ الأَبْرَصَ، أَوِ الأَقْرَعَ، قَالَ أَحَدُهُمَا: الإِبِلُ، وَقَالَ الآخَرُ: البَقَرُ، قَالَ: فَأُعْطِيَ نَاقَةً عُشَرَاءَ، فَقَالَ: بَارَكَ اللهُ لَكَ فِيهَا، قَالَ: فَأَتَىٰ الأَقْرَعَ، فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: شَعَرٌ حَسَنٌ وَيَذْهَبُ عَنِّي هَذَا الَّذِي قَدْ قَذِرَنِي النَّاسُ، قَالَ: فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ عَنْهُ، وَأُعْطِيَ شَعَرًا حَسَنًا، قَالَ: فَأَيُّ المَالِ أَحبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: البَقَرُ، فَأُعْطِيَ بَقَرَةً حَامِلًا، فَقَالَ: بَارَكَ اللهُ لَكَ فِيهَا، قَالَ: فَأَتَىٰ الأَعْمَىٰ، فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: أَنْ يَرُدَّ اللهُ إِلَيَّ بَصَرِي، فَأُبْصِرَ بِهِ النَّاسَ، قَالَ: فَمَسَحَهُ فَرَدَّ اللهُ إِلَيْهِ بَصَرَهُ، قَالَ: فَأَيُّ المَالِ أَحبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الغَنَمُ، فَأُعْطِيَ شَاةً وَالِدًا، فَأُنْتِجَ هَذَانِ وَوَلَّدَ هَذَا، قَالَ: فَكَانَ لِهَذَا وَادٍ مِنَ الإِبِلِ، وَلِهَذَا وَادٍ مِنَ البَقَرِ، وَلِهَذَا وَادٍ مِنَ الغَنَمِ، قَالَ: ثُمَّ إِنَّهُ أَتَىٰ الأَبْرَصَ فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ، فَقَالَ: رَجُلٌ مِسْكِينٌ، قَدِ انْقَطَعَتْ بِيَ الحِبَالُ فِي سَفَرِي، فَلَا بَلَاغَ لِي اليَوْمَ إِلَّا بِاللهِ ثُمَّ بِكَ، أَسْأَلُكَ بِالَّذِي أَعْطَاكَ اللَّوْنَ الحَسَنَ، وَالجِلْدَ الحَسَنَ، وَالمَالَ بَعِيرًا، أَتَبَلَّغُ عَلَيْهِ فِي سَفَرِي، فَقَالَ: الحُقُوقُ كَثِيرَةٌ، فَقَالَ لَهُ: كَأَنِّي أَعْرِفُكَ، أَلَمْ تَكُنْ أَبْرَصَ يَقْذَرُكَ النَّاسُ؟ فَقِيرًا فَأَعْطَاكَ اللهُ؟ فَقَالَ: إِنَّمَا وَرِثْتُ هَذَا المَالَ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ، فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا، فَصَيَّرَكَ اللهُ إِلَىٰ مَا كُنْتَ، قَالَ: وَأَتَىٰ الأَقْرَعَ فِي صُورَتِهِ، فَقَالَ لَهُ مِثْلَ مَا قَالَ لِهَذَا، وَرَدَّ عَلَيْهِ مِثْلَ مَا رَدَّ عَلَىٰ هَذَا، فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَصَيَّرَكَ اللهُ إِلَىٰ مَا كُنْتَ، قَالَ: وَأَتَىٰ الأَعْمَىٰ فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ، فَقَالَ: رَجُلٌ مِسْكِينٌ وَابْنُ سَبِيلٍ، انْقَطَعَتْ بِيَ الحِبَالُ فِي سَفَرِي، فَلَا بَلَاغَ لِي اليَوْمَ إِلَّا بِاللهِ، ثُمَّ بِكَ، أَسْأَلُكَ بِالَّذِي رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ، شَاةً أَتَبَلَّغُ بِهَا فِي سَفَرِي، فَقَالَ: قَدْ كُنْتُ أَعْمَىٰ فَرَدَّ اللهُ إِلَيَّ بَصَرِي، فَخُذْ مَا شِئْتَ، وَدَعْ مَا شِئْتَ، فَوَاللهِ لَا أَجْهَدُكَ اليَوْمَ شَيْئًا أَخَذْتَهُ لِلَّهِ، فَقَالَ: أَمْسِكْ مَالَكَ، فَإِنَّمَا ابْتُلِيتُمْ، فَقَدْ رُضِيَ عَنْكَ، وَسُخِطَ عَلَىٰ صَاحِبَيْكَ».

وهيئته. قال المفتونون بالتَّمْثيل: إن مجيء المَلك إلىٰ كل واحد من الثلاثة في صورته، وهيئته يدل علىٰ جواز التَّمْثيل.

والجواب عن هذه الشبهة من وجوه:

أحدها: أن يقال: إن الله تعالىٰ قد أقدر الملائكةَ علىٰ أشياء لا يقدر علىٰ مثلها أحدٌ من البشر، ومن ذلك التَّمَثُّل في غير صورهم التي خلقوا عليها. فقد كانوا يتمثلون في صور شتىٰ من صور بني آدم وغيرهم. وقد جاء بعضهم إلىٰ إبراهيم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في صورة ضيوف من بني آدم، فدخلوا عليه، وسلموا عليه، فنكرهم، وأوجس منهم خيفة، فقالوا: لا تخف، وأخبروه أنهم قد أرسلوا لإهلاك قوم لوط، وبشروه وزوجتَه بإسحاقَ، ومِن وراء إسحاق يعقوب(١).

ثم جاءوا إلىٰ لوط في صور بني آدم، فسِيء بهم، وضاق بهم ذرعًا؛ لأنه خاف عليهم من قومه، فأخبروه أنهم رُسُل ربِّه، وأن قومه لن يصلوا إليه، وأمروه بالإسراء بأهله من الليل، وأخبروه بإهلاك قومه، وأن موعدَ إهلاكهم الصبح(٢).

---

(١) قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوا سَلَامًا ۖ قَالَ سَلَامٌ ۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۚ قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾ [هود: ٦٩-٧١].

(٢) قال تعالىٰ: ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾ وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ ۚ قَالَ يَا قَوْمِ هَٰؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي ۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴿٧٨﴾ قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٧٩﴾ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾ قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوا إِلَيْكَ ۖ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ ۖ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ ۚ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ =

وجاء اثنان منهم إلىٰ داود في صورة خصمين(١).

وجاء جبريل إلىٰ مريم فتمثل لها بشرًا سويًّا، وأخبرها أنه رسول ربها، وأنه سيهب لها غلامًا زكيًّا، ثم نفخ في جيب درعها فحملت بعيسىٰ عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ(٢).

وجاء ملك من الملائكة إلىٰ الثَّلاثة المبتلين من بني إسرائيل، فمسَح علىٰ كل واحد منهم، فذهب عنه ما كان فيه من البلاء، وأَعطىٰ كلَّ واحد منهم ما طلبه من المال. ثم إن الله تعالىٰ أراد أن يبتليهم؛ ليتبين الشاكرُ منهم لنِعمة الله عليه، والجاحدُ المُنكِر للنعمة، فأرسل إليهم الملكَ، فجاء إلىٰ كل واحد منهم في صورته وهيئته التي كان عليها حين كانت العاهة فيه، فسأل كل واحد منهم أن يعطيه ما يتبلَّغ به في سفره، وذكَّره العاهةَ التي كانت فيه، وأن الله شفاه منها، وأعطاه المال الذي كان في يده، فجحد الأبرصُ، والأقرعُ نعمةَ الله عليهما، واعترف الأعمىٰ بنعمة الله عليه، وشَكر اللهَ عليها، فأخبره الملكُ أنهم إنما ابتلوا، وأن الله قد رضي عنه، وسَخِط علىٰ الأبرص، والأقرع.

وكان جبريلُ يأتي إلىٰ النَّبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ في صورة دِحيَةَ الكَلْبي(٣)، وأتىٰ إليه

=

ٱلصُّبۡحُۚ أَلَيۡسَ ٱلصُّبۡحُ بِقَرِيبٖ ﴿٨١﴾﴾ [هود: ٧٧-٨١].

(١) قال تعالىٰ: ﴿وَهَلۡ أَتَىٰكَ نَبَؤُاْ ٱلۡخَصۡمِ إِذۡ تَسَوَّرُواْ ٱلۡمِحۡرَابَ ﴿٢١﴾ إِذۡ دَخَلُواْ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنۡهُمۡۖ قَالُواْ لَا تَخَفۡۖ خَصۡمَانِ بَغَىٰ بَعۡضُنَا عَلَىٰ بَعۡضٖ فَٱحۡكُم بَيۡنَنَا بِٱلۡحَقِّ وَلَا تُشۡطِطۡ وَٱهۡدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ﴾ [ص: ٢١، ٢٢] الآيات.

(٢) قال تعالىٰ: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتۡ مِن دُونِهِمۡ حِجَابٗا فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرٗا سَوِيّٗا﴾ [مريم: ١٦، ١٧] الآيات.

(٣) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (٤٩٨٠)، ومسلم (٢٤٥١) عَنْ أَبِي عُثْمَانَ، قَالَ:
=

مرة في صورة رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، فجلس إلىٰ النَّبي ﷺ، وسأله عن الإسلام، والإيمان، والإحسان، وعن وقت الساعة، وعن أشراطها، وكان ذلك بمحضر من بعض الصَّحابة، فلم يعرفه رسول الله ﷺ حتىٰ ولَّىٰ(١). ورآه رسولُ الله ﷺ في صورته التي خُلق عليها مرَّتين، مرَّة في الأرض، ومرة في السماء السابعة عند سدرة المنتهىٰ، وذلك في ليلة الإسراء(٢).

وروي أنه تمثَّل لأبي جهل في صورة فَحْل عظيم من الإبل، فرعب منه أبو جهل رعبًا شديدًا، ذكر ذلك ابنُ إسحاق في قصتين:

إحداهما: حين حمل أبو جهل حجرًا ليلقيه علىٰ رأس النَّبي ﷺ إذا سجد، فعرض له جبريل في صورة فحل من الإبل، فهَمَّ به أن يأكله، فألقىٰ الحجَرَ من يده، ورجع مُنبهتًا ممْتقعًا لونُه مرعوبًا. قال ابن إسحاق: فذكر لي أن رسول الله ﷺ قال: «**ذلك جِبريلُ، ولو دَنا لأخذه**»(٣).

=

«أُنبِئْتُ أَنَّ جِبْرِيلَ، أَتَىٰ النَّبِيَّ ﷺ وَعِنْدَهُ أُمُّ سَلَمَةَ، فَجَعَلَ يَتَحَدَّثُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِأُمِّ سَلَمَةَ: «مَنْ هَذَا؟» أَوْ كَمَا قَالَ، قَالَتْ: هَذَا دِحْيَةُ، فَلَمَّا قَامَ، قَالَتْ: وَاللهِ مَا حَسِبْتُهُ إِلَّا إِيَّاهُ، حَتَّىٰ سَمِعْتُ خُطْبَةَ النَّبِيِّ ﷺ يُخْبِرُ خَبَرَ جِبْرِيلَ، أَوْ كَمَا قَالَ...».

(١) كما في الحديث الذي أخرجه مسلم (٨) من حديث عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفي آخره قال: «**فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ**».

(٢) كما في الحديث الذي أخرجه مسلم (١٧٧) من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفيه: «**إِنَّمَا هُوَ جِبْرِيلُ، لَمْ أَرَهُ عَلَىٰ صُورَتِهِ الَّتِي خُلِقَ عَلَيْهَا غَيْرَ هَاتَيْنِ الْمَرَّتَيْنِ، رَأَيْتُهُ مُنْهَبِطًا مِنَ السَّمَاءِ سَادًّا عِظَمُ خَلْقِهِ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ إِلَىٰ الْأَرْضِ**».

(٣) «سيرة ابن إسحاق» (١/ ٢٠٠).

القصة الثانية: حين اشترىٰ أبو جهل إبِلًا من رجل من إراش، ومطَلَه بأثمانها، فاستعدىٰ الإراشي عليه رسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فجاء معه، وأمر أبا جهل أن يعطيه حقَّه، فأعطاه إيَّاه في الحال، ولما عُوتب أبو جهل علىٰ فعله ذلك ذكر أنه رأىٰ فوق رأس النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فحلًا من الإبل، قال: ما رأيتُ مثل هامته، ولا قصرته، ولا أنيابه لفحل قطُّ، فوالله لو أبيتُ لأكلني(١).

وفي «الصحيحين»، و«مسند الإمام أحمد»، عن سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: لقد رأيتُ يوم أُحد عن يمين رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعن يساره رجُلَين عليهما ثياب بيض يُقاتلان عنه كأشد القتال، ما رأيتهما قبلُ ولا بعد(٢). زاد مسلم في رواية له: يعني جبريلَ وميكائيل عَلَيْهِمَا السَّلَامُ(٣).

وروىٰ الواقدي في قصة بدر، عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قال: كان المَلَك يتصور في صورة مَن يعرفون من الناس يثبتونهم، فيقول: إني قد دنوتُ منهم فسمعتهم يقولون: لو حملوا علينا ما ثبتنا، فذلك قول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الأنفال: ١٢] الآية(٤). وقد ذكر البيهقي هذا الأثر في «دلائل النبوة»(٥).

وذكر البغوي(٦) عن مقاتل أنه قال: كان المَلَك يمشي أمام الصَّف -يعني يوم

---

(١) «سيرة ابن إسحاق» (١/ ٢٠٠).

(٢) أخرجه البخاري (٤٠٥٤)، ومسلم (٢٣٠٦)، وأحمد (١/ ١٧١) (١٤٦٨).

(٣) أخرجه مسلم (٢٣٠٦).

(٤) «مغازي الواقدي» (١/ ٧٩).

(٥) (٣/ ٦٠).

(٦) في «تفسيره» (٣/ ٣٣٤).

بدر- في صورة الرَّجل، ويقول: أبشِروا؛ فإن اللهَ ناصرُكم.

وروى الواقدي، عن أبي بُردة بن نِيَار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: جئتُ يوم بدر بثلاثة أرؤس، فوضعتهنَّ بين يدي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقلت: أما رأسان فقتلتُهما، وأما الثالث فإني رأيت رجلًا طويلًا قتله فأخذت رأسَه، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ذاك فُلان من المَلائكة**»(١).

وروى الواقدي أيضًا، عن موسى بن محمَّد بن إبراهيم، عن أبيه قال: كان السائبُ بن أبي حُبيش يحدِّث في زمن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يقول: والله ما أَسرني أحدٌ من الناس، فيقال: مَن؟ يقول: لمَّا انهزمَتْ قريشٌ انهزمتُ معها، فأدركني رجل أبيض طويل على فرس أبْلَق، فأوثقني رِباطًا، وجاء عبد الرحمن بن عوف فوجدني مَربوطًا، فنادى في العَسكر: مَن أسر هذا؟ حتى انتهى بي إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال: «**مَن أَسَرك**»؟ قلت: لا أعرفه، وكرهت أن أخبره بالذي رأيتُ، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أسرَك مَلك من المَلائكة، اذهب يا ابن عوف بأَسيرك**»(٢).

وروى الإمام أحمد، عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أثرًا طويلًا في قصة بدر، وقال في آخره: فجاء رجلٌ من الأنصار قصير بالعباس بن عبد المطلب أسيرًا، فقال العباس: يا رسول الله، إن هذا والله ما أسرني، لقد أسرني رجل أجلح من أحسن الناس وجهًا، على فرس أبلق، ما أراه في القوم. فقال الأنصاري: أنا أسرتُه يا رسول الله، فقال: «**اسكُت فقد أيَّدك اللهُ تعالى بمَلَك كريم**»(٣). قال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح

(١) «مغازي الواقدي» (١/ ٧٩).

(٢) «مغازي الواقدي» (١/ ٧٩).

(٣) أخرجه أحمد (١/ ١١٧) (٩٤٨)، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح.

غير حارثة بن مضرب، وهو ثقة.

وروىٰ الإمام أحمد أيضًا، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: كان الذي أسر العباسَ بن عبد المطلب أبو اليَسَر بن عمرو، وهو كعب بن عمرو أحد بني سلمة، فقال له رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كيف أسَرتَه يا أبا اليَسَر؟**» قال: لقد أعانني عليه رجل ما رأيته بعدُ ولا قبل، هيئته كذا، هيئته كذا، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لقد أعانَك عليه ملَكٌ كَريم**»[١]. قال الهيثمي: فيه راو لم يسم، وبقية رجالة ثقات.

وإذا عُلم أن الله تعالىٰ قد أَقدَر الملائكةَ علىٰ التَّمثُّل في صور بني آدم وهيئاتهم بحيث تكون صورة الملَك مثل صورة الآدمي الذي تمثَّل به، فليُعلم أيضًا أن الله تعالىٰ قد أقدر إبليسَ علىٰ التَّمثُّل في صور بني آدم، وأقدر ذريته من الجن علىٰ مثل ذلك، وعلىٰ التَّمثُّل في صور الحمير، والكلاب، والسنانير، والحيات.

فأمَّا إبليس فقد ذُكر عنه التَّمثُّل في صور بني آدم في عدة قصص، منها: ما رواه ابن جرير في تفسير سورة الأحزاب، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، في قول الله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الأحزاب: ٣٣]. فذكر قصةً فيها: أن إبليس جاء إلىٰ رجل من أهل الزمان الذي كان بين نوح وإدريس، أتاه في صورة غلام فآجَرَ نفسَه منه، واتَّخذ شيئًا يزمر فيه، فكان ذلك سببًا لاختلاط الرجال والنساء، وتبرج النساء. هذا ملخص ما جاء في القصة، وهي مبسوطة في «تفسير ابن جرير»[٢].

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٣٥٣) (٣٣١٠)، وقال شعيب الأرنؤوط: حسن، وهذا إسناد ضعيف لإبهام راويه عن عكرمة.

(٢) (١٩/ ٩٨).

ومن القصص في تمثل إبليس في صور بني آدم: ما ذكره ابن إسحاق في «السيرة»[(١)]: أن قريشًا لما أهمَّهم شأنُ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأرادوا أن يتشاوروا في أمره ماذا يفعلون به، اعترضهم إبليسُ في صورة شيخ جليل عليه بتٌّ[(٢)]، فوقف علىٰ باب دار الندوة، فلما رأوه واقفًا علىٰ الباب قالوا: مَن الشَّيخ؟ قال: شيخ من أهل نَجْد سمع بالذي اتَّعدتم له، حضر معكم ليسمع ما تقولون، وعسىٰ أن لا يَعدمكم منه رأيًا ونصحًا. فأدخلوه معهم... فذكر القصة، وما فيها من تفنيده أيضًا لرأي من أشار بإخراجه من بين أظهرهم، ونفيه من بلادهم، وموافقته لأبي جهل علىٰ رأيه أنهم يقتلون النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقال: هذا هو الرأي، ولا رأي غيره.

ومن القصص أيضًا في تمثل إبليس في صور الآدميين: ما رواه ابن إسحاق[(٣)]، عن عروة بن الزبير قال: لما أجمعَت قريش المسيرَ -يعني إلىٰ بدر- ذَكَرت الذي كان بينها وبين بني بكر، فكاد ذلك أن يُثنيهم، فتبَدَّىٰ لهم إبليس في صورة سُراقة بن مالك بن جعشم المدلجي، وكان من أشراف بني كنانة، فقال: أنا لكم جار من أن تأتيكم كنانة من خلفكم بشيء تكرهونه. قال ابن إسحاق: فذكر لي أنهم كانوا يرونه في كل منزل في صورة سُراقة بن مالك بن جعشم، لا ينكرونه، حتىٰ إذا كان يوم بدرٍ، والتقىٰ الجَمعان كان الذي رآه حين نكص الحارثُ بن هشام، أو عمير بن وهب، فقال: أين سُراقة؟ أسلمنا عدوُّ الله وذهب!.

---

(١) نقله عنه ابن هشام في «السيرة» (١/ ٤٨٠).

(٢) قال الجوهري: البت: الطيلسان من خز ونحوه. وذكر ابن منظور في «لسان العرب» عن ابن سيده أنه قال: البت كساء غليظ مهلهل مربع أخضر، وقيل: هو من وبر وصوف.

(٣) ونقله عنه ابن هشام في «السيرة» (٢/ ١٨٦).

وروىٰ الطبراني في «الكَبير»(١)، عن رفاعة بن رافع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: لمَّا رأىٰ إبليسُ ما تفعل الملائكةُ بالمشركين يومَ بدر أشفق أن يخلص القتل إليه، فتشبَّث به الحارثُ بن هشام، وهو يظن أنه سُراقة بن مالك، فوَكز في صدر الحارث فألقاه، ثم خرج هاربًا حتىٰ ألقىٰ نفسَه في البحر، فأقبل أبو جهل بن هشام، فقال: يا معشرَ الناس، لا يهولنكم خذلان سراقة إيَّاكم، فإنه كان علىٰ ميعاد من محمد.

وروىٰ ابن جرير في «تفسيره»(٢)، والبيهقي في «دلائل النبوة»(٣)، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: جاء إبليسُ يوم بدر في جند من الشياطين معه، رأيته في صور رجال من بني مدلج، والشيطان في صورة سراقة بن مالك بن جعشم، فقال الشيطان للمشركين: لا غالبَ لكم اليومَ من الناس، وإني جار لكم. فلما اصطف الناسُ أخذ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبضةً من التراب فرَمىٰ بها في وجوه المشركين، فولوا مدبرين. وأقبل جبريلُ إلىٰ إبليسَ فلما رآه وكانت يده في يدِ رجل من المشركين انتزعَ إبليسُ يدَه فولىٰ مدبرًا هو وشيعتُه، فقال الرجل: يا سراقة، ألم تزعم أنك لنا جار؟! قال: ﴿إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ ۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾[الأنفال: ٤٨]، وذلك حين رأىٰ الملائكة.

وذكر البغوي في «تفسيره»(٤)، عن الكلبي أنه قال: لما التقوا كان إبليس في صف المشركين علىٰ صورة سراقة آخذًا بيد الحارث بن هشام، فنكص علىٰ عقبيه،

---

(١) (٥/ ٤٧) (٤٥٥٠)، قال الهيثمي (٦/ ٧٧): فيه عبد العزيز بن عمران وهو ضعيف.

(٢) (١١/ ٢٢١).

(٣) (٣/ ٧٨).

(٤) (٣/ ٣٦٦).

فقال له الحارث: أفِرارًا مِن غير قتال؟! فجعل يمسكه فدفع في صدره وانطلق، وانهزم الناس. فلما قدموا مكة قالوا: هزم الناسَ سراقةُ، فبلغ ذلك سراقة، فقال: بلغني أنكم تقولون: إني هزمت الناسَ، فوالله ما شعرت بمسيرتكم حتىٰ بلغتني هزيمتكم، فقالوا: ما أتيتنا في يوم كذا؟ فحلف لهم. فلما أسلموا علموا أن ذلك كان الشيطان.

وقد ذكر ابن عطية، وابن الجوزي، وغيرهما من المفسرين نحوَ ما ذكره البغوي، عن ابن الكلبي.

وقد ذكر تعالىٰ قصةَ إبليس مع المشركين في يوم بدر في قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ ۖ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ ۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الأنفال: ٤٨].

فهذه الآية الكريمة تؤيد ما ذكر قبلها من الآثار عن السلف في تصور إبليس لقريش في صورة سراقة بن مالك بن جعشم، وقوله لهم: ﴿لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٨] ثم أسلمهم وذهب عنهم، وقال: ﴿إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ﴾ [الأنفال: ٤٨].

وأما تمثل الجن في صور بني آدم وغيرهم من الحيوانات؛ فهو مشهور عند العرب في الجاهلية والإسلام. وقد ذكر العلماء قصصًا كثيرة مما وقع في زمن الجاهلية، ولا حاجة إلىٰ ذكر شيء من ذلك.

وأما ما وقع في الإسلام؛ فهو كثير. ومنه ما تقدم في الأثر، عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: أن جند إبليس من الشيطان جاءوا يوم بدر في صور رجال من بني مدلج.

ومن ذلك: ما جاء في قصة أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ مع الشيطان الذي جاء يسرق من التمر الذي كان أبو هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ موكَّلًا علىٰ حفظه.

قال البخاري في (كتاب الوكالة) من «صحيحه»: وقال عثمان بن الهيثم أبو عمرو: حدثنا عوف، عن محمد بن سيرين، عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قال: وكَّلني رسولُ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بحِفْظ زكاةِ رمضانَ، فأتاني آتٍ، فجَعل يَحثو من الطعام، فأخذتُه وقلتُ: واللهِ لأَرفعنَّك إلىٰ رسولِ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، قال: إني مُحتاج، وعليَّ عِيال، ولي حاجة شديدة، قال: فخَلَّيتُ عنه، فأصبحتُ، فقال النَّبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**يا أبا هريرة، ما فَعل أسيرُك البارحَة؟**».

قال: قلت: يا رسول الله، شَكا حاجةً شديدة وعيالًا فرَحِمتُه فخلَّيتُ سبيلَه، قال: «**أمَا إنه قد كذَبك، وسَيعود**»، فعرفتُ أنه سيعودُ لقول رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: إنه سيعود، فرصدتُه، فجَعل يَحثو من الطَّعام فأخذته فقلت: لأَرفعنَّك إلىٰ رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، قال: دعني فإني محتاج، وعليَّ عيال، لا عود، فرحمته، فخلَّيت سبيلَه، فأصبحتُ، فقال لي رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**يا أبا هريرة، ما فَعل أسيرُك؟**» قلت: يا رسول الله، شَكَا حاجةً شديدة وعيالًا، فرَحمتُه فخلَّيتُ سَبيله، قال: «**أما إنه قد كذبك، وسَيعود**».

فرصدتُه الثالثةَ، فجعل يَحثو من الطعام، فأخذتُه فقلتُ: لأرفعنَّك إلىٰ رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وهذه آخرُ ثلاث مرَّات إنك تزعم لا تَعود ثم تعود، قال: دَعني أُعَلِّمك كلمات يَنفعك اللهُ بها، قلتُ: ما هنَّ؟ قال: إذا أويتَ إلىٰ فراشك فاقرأ آيةَ الكرسي: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾ [البقرة: ٢٥٥] حتىٰ تختم الآيةَ، فإنك لن يزالَ عليك من الله حافظٌ، ولا يقربنَّك شيطانٌ حتىٰ تُصبح. فخلَّيتُ سبيلَه، فأصبحتُ،

فقال لي رسولُ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ما فعل أسيرُك البارحة؟**»، قلت: يا رسول الله، زعم أنه يُعلِّمني كلمات ينفعني اللهُ بها، فخلَّيت سبيلَه، قال: «**ما هي؟**»، قلتُ: قال لي: إذا أويتَ إلىٰ فراشك فاقرأ آيةَ الكرسي من أولها حتىٰ تختم الآية: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ﴾، وقال لي: لن يزال عليك من الله حافظٌ، ولا يقربك شيطانٌ حتىٰ تصبح، وكانوا أحرصَ شيء علىٰ الخير.

فقال النَّبِيُّ: «**أما إنه قد صَدقك، وهو كَذوب، تَعلمُ مَن تخاطبُ مُذ ثلاث ليال يا أبا هريرة؟**»، قال: لا، قال: «**ذاك شيطان**»(١).

وقد رواه النسائي في كتاب «عمل اليوم والليلة»(٢) بنحوه.

قال الحافظ ابن حجر في شرحه لباب فضل سورة البقرة من «فتح الباري»(٣): الذي تبدَّىٰ لأبي هريرة في حديث الباب كان علىٰ هيئة الآدميين. انتهىٰ.

وقد وقع لمعاذ بن جبل رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قصَّة تُشبه قصةَ أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ مع الذي جاء يسرق من التمر. وفيها: أن معاذًا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: فلما ذهب هَوِيٌّ من اللَّيل(٤) أقبل علىٰ صورة الفيل، فلما انتهىٰ إلىٰ الباب دخل من خَلل الباب علىٰ غير صورته... فذكر القصة، وفي آخرها: أن الشيطان قال له: إني شيطانٌ ذو عيال، وما أتيتك إلا من نصيبين، ولو أصبت شيئًا دونه ما أتيتك، ولقد كان في مدينتكم

---

(١) أخرجه البخاري (٢٣١١).

(٢) (١/ ٥٣٢) (٩٥٩).

(٣) (٩/ ٥٧).

(٤) الهَوِي، بفتح الهاء: طائفةٌ من الليل، تقول: مضىٰ هَوَيٌّ من الليل، أي: هزيع منه.

هذه حتىٰ بعث صاحبكم، فلما نزلت عليه آيتان أنفرتنا منها، فوقعنا بنصيبين، لا تقرآن في بيت إلا لم يَلج فيه الشيطانُ ثلاثًا، فإن خلَّيتَ سبيلي علَّمتكهما، قلت: نعم، قال: آية الكرسي، وآخر سورة البقرة من قوله: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ﴾ [البقرة: ٢٨٥] إلىٰ آخرها. فخليتُ سبيلَه. وذكر بقية القصة بنحو ما تقدم في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. رواه الطبراني في «الكبير»، والحاكم بنحوه، وصححه، ووافقه الذهبي علىٰ تصحيحه[١].

وقد وقع أيضًا لأُبَي بن كعب، وأبي أيوب، وأبي أسيد، وزيد بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ قصصٌ مع الجن الذين يَسرقون من تمرهم.

فأما قصة أُبي بن كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فرواها النسائي في كتاب «عمل اليوم والليلة»[٢]، وابن حبان في «صحيحه»[٣]، والطبراني في «الكبير»[٤]، والحاكم في «المستدرك»[٥]، وصحَّح الحاكمُ إسنادَها، ووافقه الذهبي علىٰ تصحيحه، وقال الهيثمي: رجال الطبراني ثقات.

وأما قصة أبي أيوب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فرواها الإمام أحمد، والتِّرْمِذِي، والحاكم[٦].

---

(١) أخرجه الطبراني (٢٠/ ٥١) (١٦٨٤٦)، والحاكم (١/ ٧٥١) (٢٠٦٨).

(٢) (١/ ٥٣٤) (٩٦١).

(٣) (٣/ ٦٣) (٧٨٤).

(٤) (١/ ٢٠١) (٥٤١).

(٥) (١/ ٧٤٩) (٢٠٦٤).

(٦) أخرجه أحمد (٥/ ٤٢٣) (٢٣٦٤٠)، والترمذي (٢٨٨٠)، والحاكم (٣/ ٥١٩) (٥٩٣٢)، وصححه لغيره الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (١٤٦٩).

وقال التِّرْمِذِي: هذا حديث حسن غريب. وفي رواية الحاكم: أن الغول كانت تجيء في صورة السنور.

وأما قصة أبي أسيد رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، فرواها الطبراني في «الكبير»[1]، قال الهيثمي: ورجاله وثقوا كلهم، وفي بعضهم ضعف.

وأما قصة زيد بن ثابت رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، فرواها ابن أبي الدنيا، ذكر ذلك الحافظ ابن حجر في «فتح الباري»[2].

وروىٰ ابن عساكر في «تاريخ دمشق»[3]، عن أحمد بن أبي الحواري قال: سمعت أبا سليمان يقول: خرج ابن الزبير في ليلة مُقمرة علىٰ راحلة. قال: فنزل يبول، فالتفتَ فإذا علىٰ الراحلة شيخ أبيض الرأس، واللحية، قال: فشدَّ عليه، فتنحىٰ، فركب راحلتَه ومضىٰ. قال: فناداه: والله يا ابن الزبير، لو دخل قلبك منِّي الليلة شعرة لخبلتك. قال: ومنك أنت يا لعينُ يدخل قلبي شيء؟!

قال ابن كثير في «البداية والنهاية»[4]: وقد رُوي لهذه الحكاية شواهد من وجوه أُخر جيدة.

وروىٰ ابن عساكر أيضًا، عن عامر بن عبد الله بن الزبير قال: أقبل عبد الله بن الزبير رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا في ركْبٍ من قريش، فيهم عبد الرحمن بن أبي ربيعة المخزومي،

---

(١) (١٩/ ٢٦٣).

(٢) (٤/ ٤٨٩).

(٣) (٢٨/ ١٨٣).

(٤) (٨/ ٣٧٠).

ورهط من قريش، حتىٰ إذا كانوا بالكديد[١] قال ابنُ الزبير: رأيتُ رجلًا تحت التناضب، يعني شجرًا[٢]، فقال ابنُ الزبير: ألا أتقدم أبغيكم لبنًا، قالوا: بلىٰ، فأقبل ابن الزبير حتىٰ أتاه قال: فسلمت عليه، قال: وعليك السلام. قال ابن الزبير: والله ما أتيت أحدًا إلا رأيت له منِّي هيبة غيره، فلما دنوتُ منه وهو في ظل قد كاد يذهب فلم يتحرك، فضربتُ برجلي وقلت: انقبض إليك، إنك لشحيح بظلك، فانحاز متكارهًا، فجلستُ فأخذت بيده وقلت: مَن أنت؟ قال: رجلٌ من أهل الأرض من الجن. قال: فوالله ما عدا أن قالها فقامت كلُّ شعرة فِيَّ، واجتذبتُه بيدي فقلتُ: إنك من أهل الأرض، وتَبدو لي هكذا، واجتذبته، فإذا ليس له سفلة[٣] فانكسر، فقلت: أَلِي تَبدو وأنتَ من أهل الأرض؟! وانْقَمع منِّي فذهب، فجاءني أصحابي، فقالوا: أين صاحبُك؟ قلت: كان والله رجلًا من الجن فذهب. قال: ما بقي رجل رآه إلا ضرب به الأرض ساقطًا، فأخذت كل رجل منهم فشددتُه علىٰ بعيره حتىٰ أتيت بهم أَمَجَ[٤]، وما يعقلون[٥].

وروىٰ ابنُ عساكر أيضًا، عن سفيان بن عيينة قال: قال ابنُ الزبير: دخلت المسجدَ ذات ليلة، فإذا نسوة يَطفن بالبيت، فأعجبنني، فلما قضيت طوافهن خرجن

---

(١) الكَديد: بفتح أول وكسر ثانيه: موضع بين مكة والمدينة.

(٢) التناضب: شجر ينبت بالحجاز، وهو ينبتُ ضخمًا علىٰ هيئة السرح، وعيدانه بيض ضخمة، وورقة متقبض، ولا تراه إلا كأنه يابس مغبر، وله شوك مثل العوسج، وله جني مثل العنب الصغار، يؤكل وهو أحيمر.

(٣) قال الجوهري: السفِلة؛ بكسر الفاء: قوائم البعير.

(٤) قال ابن منظور: أَمَج؛ بفتحتين وجيم: موضع بين مكة والمدينة.

(٥) «تاريخ دمشق» (٢٨/ ١٨٤- ١٨٥).

مما يلي باب الحذائين، فقلت: لأتبعهن حتىٰ أعرف مواضعهن، فما زلن يمشين حتىٰ أتين العقبة، ثم صعدن من العقبة، وصعدتُ خلفهن، ثم هبطن، وهبطت خلفهن، حتىٰ أتين فجًّا، فدخلن في خربة، فدخلت في أثرهن، فإذا مشيخة جلوس، فقالوا: ما جاء بك يا ابن الزبير، فقلت: ومَن أنتم؟ قالوا: نحن الجن، قلت: إني رأيت نسوة يطفن بالبيت فأعجبنني، فاتبعتهن حتىٰ دخلت هذا الموضع، فقالوا: إن أولئك نساؤنا، تَشتهي يا ابن الزبير ما شئتَ، قلتُ: أشتهي رطبًا، وما بمكة يومئذ من رطبة، فأتوني برطبٍ فأكلتُ، ثم قالوا: احمل ما بقي معك، قال: فحملتُه ورجعتُ وأنا أريد أن أريه أهلَ مكة، حتىٰ دخلت منزلي فوضعته في سفط، ثم وضعت السفط في صندوق، ثم وضعت رأسي، فوالله إني لبين النائم واليقظان؛ إذ سمعتُ جلبة في البيت، فقال بعضهم لبعض: أين وضعه؟ فقال بعضُهم لبعض: افتحوا الصندوق، قال: ففتحوه، فقال بعضهم لبعض: أين هو؟ فقال بعضهم: في السفط، قال: افتحوا السفط، فقالوا: لا نستطيع أن نفتحه، إنه قد ذكر عليه اسم الله عَزَّوَجَلَّ، قال: فاحملوه كما هو، قال: فحملوه فذهبوا، قال ابن الزبير: لم آسف علىٰ شيء أَسَفي كيف لم أَثِب عليهم وهم في البيت؟![1]

فهذا نموذج من القصص التي وقعت في زمن النَّبِي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وما وقع بعده لابن الزبير رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، مما تمثَّل فيه الجن في صور بني آدم، وصورة الفيل، والسنور.

وقد وقع في زماننا عدة قصص مما تمثل فيه الجن في صور بني آدم، وفي صور

---

(١) «تاريخ دمشق» (٢٨/ ١٨٦).

الحمير، والكلاب، والسنانير، والحيات. وقد ذُكر لي بعض القصص عن أناسٍ ثقات لا أشك في صدقهم وصحة أخبارهم، وفيما ذكرتُه من القصص التي وقعت في أول الإسلام كفاية في ثبوت تمثل إبليس وذريته من الجن في صور بني آدم وغيرهم من الحيوانات.

وقد ثبت عن النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**إنَّ الشَّيطانَ لا يتمَثَّل بي**»، رواه الإمام أحمد، والبخاري، وغيرهم من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ(١). وفي رواية للبخاري: «**إن الشَّيطانَ لا يتمثَّلُ في صُورتي**»(٢). وفي رواية لأحمد: «**إن الشَّيطانَ لا يَتصوَّرُ بي -أو قال: لا يَتشبَّه بي-**»(٣). وفي رواية له «**إنَّ الشيطانَ لا يَستطيع أن يتشبَّهَ بي**»(٤).

وفي الباب عن أنس بن مالك، وجابر بن عبد الله، وعبد الله بن مسعود، وأبي قتادة، وأبي سعيد الخدري، وأبي جحيفة، وأبي مالك الأشجعي، عن أبيه، وعبد الله بن عمرو، وابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، نحو ذلك.

فهذه أحاديث متواترة عن عشرة من الصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، بعضُها في «الصحيحين»، وبعضها في غيرهما من السنن، والمسانيد، و«صحيح ابن حبان»، وغيرهما من كتب السنة. وهي من الأحاديث الثابتة عن النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهي

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٤١١) (٩٣١٣)، والبخاري (١١٠)، ومسلم (٢٢٦٦).

(٢) أخرجه البخاري (٦١٩٧).

(٣) أخرجه أحمد (٢/ ٤٦٩) (١٠٠٥٧) وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٤) أخرجه أحمد (٢/ ٤٢٥) (٩٤٨٤) وقال شعيب الأرنؤوط: صحيح وهذا إسناد حسن.

تدل بمفهومها علىٰ أن الشيطان يستطيع أن يتمثل بمن سوىٰ النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من بني آدم وغيرهم.

وقد ذكر البغوي في «شرح السنة»[1]، عن شيخه القاضي حسين بن محمد المروذي شيخ الشافعية في زمانه، أنه قال: جميع الأنبياء والملائكة لا يتمثل الشيطان بشيء منهم. انتهىٰ.

وإذا عُلم أن التَّمثُّل في صور بني آدم ليس هو من خصائص الملائكة؛ لأنه قد وقع مثله من إبليس وذريته، فليُعلم أيضًا أنه لا يصح الاستدلالُ علىٰ جواز التَّمْثيل بما وقع من المَلَك حين جاء إلىٰ كلٍّ من الأبرص، والأقرع، والأعمىٰ متمثلًا في صورته وهيئته؛ لأن الاستدلال بذلك لا ينفكُّ عن مقارنته بتمثل إبليس وذريته في صور بني آدم وهيئاتهم، وما كان بهذه المثابة فإنه لا يجوز الاستدلالُ به علىٰ جواز التَّمْثيل، وإنما يستحسنه ويستدل به علىٰ الجواز من يستحسن التَّأسي بإبليس وذريته، ويرىٰ جواز الاستدلال بما وقع منهم من التَّمثُّل في صور بني آدم وغيرهم، وهذا مما يتنزه عنه كلُّ مؤمن عاقل، ولا يرضىٰ به إلا من هو مصابٌ في دينه وعقله.

الوجه الثاني: أن يقال: إن الله تعالىٰ أمر المؤمنين عند التنازع في الأشياء أن يردوا الحُكمَ فيها إلىٰ الكتاب والسنة، فقال تعالىٰ: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾[النساء: ٥٩].

قال مجاهد وغير واحد من السلف في قوله: ﴿فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾: أي إلىٰ

---

(١) (١٢/ ٢٢٨).

كتاب الله وسنة رسوله. قال البغوي[١]: والرد إلىٰ الكتاب والسنة واجبٌ إن وجد فيهما، فإن لم يوجد فسبيله الاجتهاد. انتهىٰ.

وإذا رددنا حكم التَّمْثيل إلىٰ الكتاب والسنة لم نجد فيهما ما يدل علىٰ جواز ذلك، ووجدنا في السنة أدلة تدل علىٰ المنع منه. وسيأتي ذكرها في الوجه الثالث وما بعده.

الوجه الثالث: أن رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**ما أُحبُّ أني حَكيتُ أحدًا، وأن لي كذا وكذا**»[٢]، وأعظم ذلك. وقد ذكرتُ هذا الحديث في أول الكلام علىٰ التَّمْثيل؛ فليراجع. ولفظ هذا الحديث عامٌّ، فيشمل محاكاةَ الملائكة في أفعالهم، ومحاكاةَ بني آدم وغيرهم، فكل ذلك داخلٌ في عموم ما كرهه رسولُ الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأعظم الأمرَ علىٰ من فعله. وفي هذا أبلغ ردٍّ علىٰ من تشبَّث بقصة الملَك مع الأبرص، والأقرع، والأعمىٰ، وزعم أن فيها دليلًا علىٰ جواز التَّمْثيل.

الوجه الرابع: أن رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حذَّر أمتَه من المُحدَثات، وأمرَهم بردِّها، ورد الأفعال التي ليس عليها أمرُه. وقد ذكرتُ الحديثَ الوارد في ذلك في أول الكلام علىٰ التَّمْثيل؛ فليراجع، ففيه أبلغ ردٍّ علىٰ من تشبَّث بقصة المَلَك مع الأبرص، والأقرع، والأعمىٰ، وزعم أن فيها دليلًا علىٰ جواز التَّمْثيل الذي هو من المحدثات، والأعمال التي ليس عليها أمر النَّبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

الوجه الخامس: أن يقال: إن التَّمْثيل مأخوذ من أفعال النصارىٰ، وقد تقدم بيان

---

(١) في «تفسيره» (٢/ ٢٤٢).

(٢) تقدم تخريجه.

ذلك في أول الكلام علىٰ التَّمْثيل. وقد قال النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَن تشبَّه بقوم؛ فهو منهم»(١). وهذا الحديث يدل علىٰ تحريم التَّمْثيل؛ لأنه مأخوذ من أفعال النصارىٰ، والتشبه بهم حرامٌ شديد التحريم. وفيه أبلغ رد علىٰ من يتشبث بالشبه في الاستدلال علىٰ جواز التَّمْثيل.

وهذا آخر ما تيسَّر إيرادُه، والحمدُ لله ربِّ العالمين، وصلَّىٰ اللهُ وسلَّم علىٰ نبيِّنا مُحمَّد وعلىٰ آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسانٍ إلىٰ يوم الدين.



(١) تقدم.



الرِّسالة البدِيعة

في الرد على

أهل المجلة الخليعة

الرِّسَالَة البَدِيعَة

الحَمْد للهِ سُبْحانَه، لقَد قرأ عليَّ فضيلةُ الشَّيْخ حِمُود بن عبد الله التويجري مُؤلَّفه هذا المسمىٰ «الرِّسَالَة البَدِيعَة في الرَّدِّ علىٰ أهل المجَلَّة الخَلِيعة» فوجَدتُه شافيًا كافيًا في ردِّ شُبهات مُنشئ المجَلَّة، وكشفِ عَوَاره، وإبطال تُرَّهاته بالنُّصوص من الكِتَاب العزيز، والسُّنَّة الصَّحِيحة، وأقوال سَلَف الأُمَّة وأئمَّتها، بل وإجْمَاع أهْل العِلْم إلَّا مَن شذَّ ممَّن لا يُعتَدُّ بقَوله.

كما أَبرَز وَفَّقَه الله في نقْض ما أدلَىٰ به مفتي المجَلَّة من الشُّبهات، وموَّه به من الجَهالات، واحِدة واحدة، بما لا مَزيد عليه مما لا يُبقي لمُبطل أيَّ شُبهة.

فجزاه الله خيرًا، ونفَع المُسلمين بمؤلَّفه هذا، وسائرِ رُدُودِه المُفيدة الدَّامغة رُءوس الخَلاعين، وأرباب الفَساد.

أملاه الفَقير إلىٰ عَفو اللهِ/ مُحمَّد بن إبراهيم مُفتي الدِّيار السُّعودية، ورَئِيس القُضاة.

وصلَّىٰ اللهُ علىٰ نبيِّنا محمَّد، وآله وصَحْبه وسَلَّم

١٣٨٧/٨/٩



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحَمْد للهِ الَّذي هَدىٰ مَن شاء بفَضله ونِعمَته، وأضَلَّ مَن شاء بعدله وحِكمتِه. وأشهدُ أن لا إِله إِلا اللهُ، وَحده لا شريك له في رُبُوبِيَّته وإلهِيَّته، وأشهد أن محمَّدًا عبدُه ورسُولُه وخِيرتُه من بريَّتِه، بعثَه اللهُ رحمةً وهدًىٰ للعالَمِين، وأمَره بمَحقِ المَعازف والمَزامير والأَوْثان التي كلٌّ منها مِن عَمَل الشَّيطان وفِتْنَتِه.

صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلِه وأصحابِه، ومَن سار علىٰ مِنهاجِه وسُنَّتِه، وسلَّم تسليمًا كثيرًا. أما بعدُ:

فقَد وقفتُ علىٰ جَواب في تَحليل الغِناء، والمُوسيقىٰ، والسِّينما، والتلفزيون. نُشر في (عدد ٨٨) من (مجلة العربي) الصادرة في الكويت في (١٠ ذي القعدة سنة ١٣٨٥ هـ) تحت عنوان: (الغناء والموسيقىٰ والسِّينِمَا والتلفزيون لا يقول بتحريمها إِلا الجَهَلةُ والمُتزَمِّتُون).

وقد ضَلَّ المُجيبُ في جوابِه وأضَلَّ، وبعد ذِكْر السُّؤال والجَواب بحُروفِهما أُنبِّهُ علىٰ أخطاء المُجيب إن شاء الله تَعالَىٰ، وبِه الثِّقَة.

السُّؤال:

هل تَعلمون أنَّنا هنا في «سيون» -حَضْرمَوْت- مَحرُومون من أن نتعلم الغِناء والموسيقىٰ، أو أن نستمعَ إِليهما، أو نَشهد السِّينما، أو التِّلفِزْيون كبَقية خَلْق الله؛ لأن علماءنا الأجِلَّاء يُؤكِّدون أن ذلك كله حَرَام شرعًا بإجْمَاع الأئمة الأربعة، فإذا قلنا لهم: وكيف يُبيحه العَالَم الإسلامِيُّ كلُّه، وفيه مَن هو أعلمُ مِنكم، وأكثَر مِنكم تَفقُّهًا

في الدِّين؟ قالوا: بل هم خارِجُون علىٰ الدِّين. لكن ما نَعجَب له هو أنَّهم يُبيحون الاستماع إلىٰ الرَّاديو، ولا يَجِدون في ذلك حرَجًا. فإِذا سألناهم: كيف يُحلِّلون ذلك؟ قالوا: إن ما يَنقله الرَّاديو إنَّما هو مجرَّد صَدىٰ، وليس الاستماع إلىٰ الصَّدىٰ منافيًا للدِّين. فهل في كتاب الله، أو سُنَّة رسولِه ما يُؤيِّد ما يَزعُمون. أنْقِذُونا بربِّكم مِن عَنَت هؤلاء المُتزمِّتين.

سيون - حضرموت - جعفر. س.

الجواب:

ليس في كِتَاب الله، ولا سُنَّة رسولِه ما يُحرِّم مشاهدةَ السِّينِمَا والتِّلفِزْيون؛ لأنه لم يكن في عهد الرَّسول سِينما ولا تِلفِزْيون. وإذا كان علماؤكم الأعلامُ يُحلِّلون الاستماعَ إلىٰ الرَّاديو؛ لأنه مجرَّد صَدًىٰ كما يقولون، فذلك أيضًا يَنطبق علىٰ السِّينِمَا والتِّلفِزْيون؛ لأنهما لا تعرضان أجسامًا حقيقية، وإنَّما تعرضان مجرَّد صور تزول كما يزول الصَّدىٰ، وتختفي كما يختفي الخيال. هذا إذا ما أردنا أن نخاطبهم بلُغتهم، وفي حدود ما يعقلون، أما إذا لجأنا إلىٰ الفِقه، والمَنطق، والواقع فإن في تحليل الغناء والموسيقىٰ، أو تحريمهما أقوالًا كَثيرة. وإن يكن مُعظم ما يحتج به القائلون بالتحريم واهيًا وضعيفًا تنقضه أحاديث نبوية، وحوادث تاريخية، ليس إلىٰ إنكارها سبيل، وقد اتَّفق أكثرُ الفقهاء علىٰ أن الأحَادِيث التي يَستند إليها القائلون بالتحريم -حتىٰ إذا صحت- مقيَّدة بذِكْر المَلاهي، والخمر، والقِيَان، والفسوق، والفجور، ولا يخالف هذا إِلا رجلٌ مأفُون.

ولا يَجرُؤ أحدٌ علىٰ أن يقول: إن حَفَلاتٍ كحفلات السيدة أم كلثوم، أو

الموسيقار محمَّد عبد الوَهَّاب، وأمثالهما من المُطربين، والمُطربات المُحتَشمات، تَمُتُّ إلىٰ شيء من هذه المُحرَّمات. روي عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثمَّ عن كثير من الصحابة، والتابعين، والأئمة، والفقهاء الأجلاء -وهو أجَلُّ وأكثَر وَرَعًا مِن فقهاء هذا الزمان- أنهم كانوا يَستمعون إلىٰ الغِنَاء والمُوسِيقىٰ، ويَحضُرون مجالسَهُما البريئة من المُحرَّم والمُجُون.

ورُوي أنه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سمع بعضَ الجَواري يُغنِّين ويَضربْنَ بالدُّفوف في عُرس الرُّبَيِّع بنت مُعوِّذ، فلما سمع إحداهن تقول: وفِينا نَبِيٌّ يَعلم ما في غَدٍ. لَم يُرضِه هذا المَديح المُسرف الَّذي لا يَليق إلا بالذات الإلهية، فما زاد علىٰ أن قال للمُغنية في هدوء: «دعي هذا الإسراف في المديح، وقُولي بالَّذي تقولين». انظر «القسطلاني» (ج ٥/ ص ٩٥)، و«الإصابة» (ج ٨/ ص ٨).

وعنه أيضًا أنَّه أبصَر نِسوةً وصِبيانًا مُقبِلين من عُرسٍ فيه غِناء، فقال لهم في سُرور وغبْطَة: «اللهم أنتم مِن أحبِّ الناس إليَّ». «القسطلاني» (ج ٨/ ص ٨).

وروىٰ البُخارِي، أن أبا بكر دخلَ علىٰ عائِشَة، وبَين يَديها مُغنيتان تُغنيان وتَلعبان بالدُّفِّ في يوم العِيد، وعلىٰ مَقرُبة منهما رسولُ الله يَستمع، فانتهر أبو بكر عائِشَةَ غاضبًا، فقَال له الرَّسُول: «دعها يا أبا بكر، فأن لكل قوم عيدًا، وهذا عيدنا». «تيسير الوصول» (ج ٣/ ص ٢٨٠).

وكانت لَفتَة جميلة منه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم زَوَّجت عائِشَةُ فتاة يَتيمةً كانت تُربِّيها، فرافقَتها إلىٰ بيت عريسها يوم زفافها، فلما عادَت سألها الرَّسُولُ: «**أَهديتم الفتاةَ إلىٰ بعلها؟**» قالت: نَعم، قال: «**أبَعثتم معها مَن يُغنِّي؟**» قالت: لا، قال: «**أَوَمَا**

عَلمْتِ أن الأنصارَ قومٌ يُعجبهم الغزلُ؟ ألَا بَعثتم معها مَن يقول:

أَتَيْنـــاكم أَتَيْنـــاكم   فحَيُّونـــا نُحَيِّـــيكم»(١)

إِلىٰ آخِر الأبيات الواردة في كل كُتب السِّيرة.

وعلىٰ الرغم من أن النَّبِي أبطل كثيرًا من عادات الجاهلية وتقاليدها، فإنه أبقىٰ علىٰ حفلات الزِّفاف، بل دعا إِليها، وحضَّ عليها، فقَال: «**أعلنوا النِّكاح، واضربوا عليه بالدُّفِّ**»، رواه ابن حنبل(٢).

كما قال: «**فصل ما بين الحلال والحرام الدُّف والصوت**»(٣). يريد بالدُّف المُوسِيقىٰ، وبالصَّوت الغِنَاء، ويوم هاجر صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلىٰ المدينةِ خرج نساؤها وجواريها -فضلًا عن رجالها- لاستقباله في الطُّرقات، وفوق السُّطوح، وهنَّ يُغنين الأنشودةَ الخالدة التي مطلعها:

طَلَــع البَــدرُ علينـــا   مِـــن ثَنِيَّـــاتِ الـــوَداع

وجَـــب الشُّـــكرُ عَلينـــا   مـــا دعـــا لله دَاع

أيُّهـــا المبعـــوثُ فِينـــا   جئـــتَ بـــالأمرِ المُطـــاع

جئـــتَ شـــرَّفت المدينَـــة   مَرحبًـــا يـــا خيـــرَ دَاع

وقد استمع -صلواتُ الله عليه- إلىٰ كعب بن زُهير وهو ينشده قَصيدتَه:

ومــا سُــعادُ غَــداةَ البَـين إذ رَحلــوا   إِلا أَغَــنُّ غَضـيضُ الطَّـرف مَحكـولُ

---

(١) أخرجه ابن ماجه (١٩٠٠)، وضعفه الألباني في «الضعيفة» (٢٩٨١).

(٢) أخرج أحمد شطره الأول فقط (٤/ ٥) (١٦١٧٥)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (١٠٧٢).

(٣) أخرجه الطبراني (١٩/ ٢٤٢) (١٦٢١٢).

تَجلو عَوارض ذي ظلمٍ إذا ابْتَسمت كأنَّه منهلٌ بالرَّاح مَعلولُ

كما استمع إلىٰ حسَّان بن ثابت وهو ينشده قصيدتَه التي مَطلعها:

تبلت فؤادك في المَنام خريدة[1] تسقي الضَّجيع ببارد بسَّام

ولم تقل كُتبُ السيرة: إنه اعترض علىٰ هذا الشِّعر وما فيه من غزل وتشبيب.

والإمام مالك بن أنس طالمَا تغنَّىٰ بالأبيات الآتية:

سُليمىٰ أزمعت بينا فأين تَظنها أينا

وقد قالت لأترابٍ لَها لما تلاقينا

تعَالين فقد طابَ لنا العيش تَعالينا

وإخواننا أرباب الطرق الصُّوفية، ألا تراهم يقيمون حلقات الذِّكر علىٰ صوت المُغنين ونغمات المزمار، وهم الذين يزعمون أنهم أقرب الناس إلىٰ الله، وأحرصهم علىٰ حُرُمات الله؟!

وخلاصَة القَول: إن الأدلة كثيرة علىٰ أن الموسيقىٰ والغناء حلالٌ في حَلال في حلال، ما لم يَصحَبْهما شيء من المُحرَّمات، كما تَفعل بعض المُغنيات المتبذلات بحركاتهن التي تُثير الغرائز، وتَدعو إلىٰ الفُسوق والفجور أكثر مما تَبعث أصواتهن علىٰ الطَّرب والسُّرور والمتعة الرُّوحية البَريئة.

ولستُ أجد ما أختم به هذه الإجابة خيرًا من أن أنقل إلىٰ السيد جعفر، وعلماء بلدته الأعلام، قولَ المغفور له الشَّيْخ حسن العطَّار[2] الَّذي كان شيخًا للأزهر

---

(١) خريدة: امرأة حسناء.

(٢) هو حسن بن محمد بن محمود العطار، أصله من المغرب، ولد سنة ١١٩٠هـ، ومولده ووفاته =

الشَّريف في القرن الماضي، في أحد مؤلفاته المعروفة: «مَن لم يتأثَّر برقيق الأشعار، تُتلىٰ بلسان الأوتار، علىٰ شُطوط الأنهار، في ظلال الأشْجار؛ فهو جلْفُ الطَّبع حِمَار».

انتهىٰ ما ورَد في المجَلَّة.

ولقد اسْتَسْمَن السائلُ ذا وَرَمٍ يَنطبقُ عليه قَوْلُ الشَّاعر:

زَوامِـل للأَسـفار لا عِلـمَ عِنـدهم	**بجِيِـــدها إلا كعِلـــم الأبَـــاعِرِ**
لعَمـرُك مـا يَـدري البَعيـر إذا غَـدا	**بأوْسَـــاقِه أو رَاح مـــا في الغَرائِـــرِ**

والجَواب أوَّلًا عن العُنوان، وهو قول المُجيب: «إن الغِنَاء والمُوسِيقىٰ والسِّينِمَا والتِّلفِزْيون لا يقول بتحْريمها إلا الجَهلة والمتزمِّتُون».

ونَقول: هذا القول خطأ كبير، ومُنكَر ظاهر، وهو مِن قَلْب الحقائق؛ لأن الجاهلَ في الحقيقة هو مَن أفتىٰ بتحليل ما حرَّمه الله تعالَىٰ، ورسولُه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِن المَعازف، والمزامير، وصناعة الصُّور، واستعمالها في السِّينِمَا والتِّلفِزْيون.

وقد قال الله تعالَىٰ: ﴿لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ﴾[النحل: ٢٥].

وروىٰ الإمَام أحمَد، وأبو داود، وابن ماجَهْ، والحاكمُ، عن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،

=

في القاهرة، أقام زمنًا في دمشق، وسكن اشكودرة (بألبانيا)، وعاد إلىٰ مصر، فتولىٰ إنشاء جريدة (الوقائع المصرية) في بدء صدورها، ثم مشيخة الأزهر سنة ١٢٤٦هـ، إلىٰ أن توفي سنة ١٢٥٠هـ. «الأعلام» للزركلي (٢/ ٢٢٠).

قال: قال رَسُول اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**مَن أَفتَىٰ بفُتيَا بغير عِلْم كان إثم ذلك علىٰ مَن أَفتاه**»[1]. هذا لفظ أحمد، ونحوه لفظ أبي داود. ولفظ ابن ماجَهْ: «**مَن أفتىٰ بفُتْيَا غير ثَبت فإنَّما إثْمُه علىٰ مَن أفتاه**»[2]، ورواه البُخارِي في «الأدب المُفْرد»[3] بنحو رواية ابن ماجَهْ، ورواه الحاكِم باللَّفظين جميعًا، وقال: صَحيح علىٰ شرط الشَّيْخين، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي في «تلخيصه».

وروىٰ الإمام أحمدُ أيضًا، والشَّيْخان، والتِّرْمِذِي، وابن ماجَهْ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قال: سمعتُ رَسُول اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يقول: «**إن اللهَ لا يَقبِضُ العِلمَ انْتِزاعًا ينتزعُه من العِبادِ، ولكن يَقبض العلماءَ، حتىٰ إذا لم يُبْقِ عالمًا اتَّخذ الناسُ رُؤساء جُهَّالًا، فسُئلوا فأفتوا بغَير علم، فضَلُّوا وأَضَلُّوا**»[4].

وفي رِوَايَة لأَحْمَد، والشَّيْخين، عنه رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: سمعتُ رَسُول اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يقول: «**إنَّ الله لا يَنزع العلمَ بعد أن أعطاهمُوه انْتزاعًا، لكن يَنتزعه منهم مع قَبْض العُلماء بعِلمهم، فيَبقىٰ ناسٌ جُهَّال، يُستفتون فيُفتون برأيهم، فيَضلُّون ويُضلُّون**»[5].

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٣٢١) (٨٢٤٩)، وأبو داود (٣٦٥٧)، وابن ماجه (٥٣)، والحاكم (١/ ١٨٣) (٣٤٩)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٠٦٩).

(٢) أخرجه ابن ماجه (٥٣).

(٣) (١/ ١٠٠) (٢٥٩)، وصححه الألباني.

(٤) أخرجه أحمد (٢/ ١٦٢) (٦٥١١)، والبخاري (١٠٠)، ومسلم (٢٦٧٣)، والترمذي (٢٦٥٢)، وابن ماجه (٥٢).

(٥) أخرجه أحمد (٢/ ٢٠٣) (٦٨٩٦)، والبخاري (٧٣٠٧)، ومسلم (٢٦٧٣).

وروى الطَّبراني في «الأوسط»(١) من حديث أبي هُريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عن النَّبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ نحوَه.

وروى البزَّارُ(٢) من حديث عائِشَة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، عن النَّبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ نحوَ ذلك أيضًا.

وروى الدَّارِمِيُّ، وابنُ وضَّاح، عن ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنَّه قال: «لا يَأتي عليكم عامٌ إلا وهو شرٌّ مِن الَّذي كان قبله، أما إنِّي لستُ أعني عامًا أخصَبَ من عام، ولا أميرًا خيرًا من أمير، ولكن علماءكم وخياركم يَذهبون، ثم لا تَجدون منهم خلفًا، ويَجيء قوم يقيسون الأمورَ بآرائهم، فيُهدم الإسْلَام ويُثْلَمُ»(٣).

وهذه الأحَادِيث تنطبقُ علىٰ هذا المُجيب الجاهل، وأمثاله من الجُهَّال الَّذين يُفتون الناس بآرائهم الفاسِدَة، فيَضلون ويُضلُّون.

وسيأتي ذِكْر الأَدِلَّة علىٰ تَحريم الغِنَاء، والمُوسِيقىٰ، والسِّينِمَا والتِّلفِزْيون، إنْ شاء اللهُ تَعالَىٰ.

وبما سنذكرُه يتَّضح أن المُجيبَ هو الجاهلُ المُرَكَّب؛ شاء أمْ أبىٰ، وأنه أيضًا من أظلم الظالمين؛ لقول الله تَعالَىٰ ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[الأنعام: ١٤٤].

ويقال أيضًا لهذا المجيب الجاهل: قد ثبت عن النَّبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّه حرَّم

---

(١) (٨/ ٣١٤) (٨٧٣٧).

(٢) في «مسنده» (١٨/ ١٤١) (١٠٣).

(٣) رواه الدارمي (١/ ٢٧٩) (١٩٤)، وابن وضاح في «البدع» (٢/ ٧٠) (٧٨).

الغِنَاءَ والمَعازِفَ، كما سيأتي بيانُه إنْ شاء اللهُ تَعالَىٰ. والمُوسِيقىٰ مِن أَخبَث المَعازِف كما لا يَخفىٰ علىٰ عاقلٍ.

وثبت عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أيضًا: أنَّه حرَّم التَّصاوير، وشدَّد فيها، وأمر بطَمْسها أينما وُجِدت، وأخبر أن «**المَلائكةَ لا تَدخُلُ بَيتًا فيه صُورة**»(١).

ومن المعلوم أن مَدار السِّينِمَا والتِّلِفِزْيون علىٰ صناعة التَّصاوير، وعَرْضِها علىٰ الناس. فهل يقول هذا المُجيب الجاهل: إن النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان مُتزمِّتًا، ويَصفه أيضًا بالكلمة التي أثبتها في عنوانه قبل هذه الكلمة؟! وهل يقول أيضًا: إن الَّذين رُوي عنهم ذمُّ الغِنَاء، والمَعازِف، والتَّصاوير من الصَّحابة، والتَّابعين، وتابعيهم، وأئمة العِلم والهُدىٰ من بعدهم، كلهم جَهَلة ومُتزمِّتُون؟! أم ماذا يُجيب به عن كلامه السَّيِّئ الَّذي لم يتأمَّل فيه، وفيما يتَرتَّب عليه من اللَّوازم الشنيعة؟ وإنه لَيَصدق علىٰ هذا المُجيب الجَاهل قول القائل:

لقَـد كـان في الأَعْـراض سـتْر جَهالَـة ... غدوتُ بها مِن أَشهر النَّاس في البَلَـد

فصل

وأما قوله: «ليس في كِتَاب الله، ولا سُنَّة رسولِه ما يُحرِّم مُشاهدةَ السِّينِمَا والتِّلفِزْيون؛ لأنَّه لم يكن في عهد الرَّسُول سينما، ولا تلفزيون».

فجوابه أن يقال: بل قد دلَّ الكِتَابُ والسُّنَّة علىٰ تحريم الحُضور عند السِّينِمَا والتِّلفِزْيون، ولو لم يكونا في عهد الرَّسُول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبيان ذلك من وجوه:

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٢٤) من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

أحدها: أن مدار السِّينِمَا والتِّلفِزْيون علىٰ صناعة التَّصَاوِير، وعَرْضِها علىٰ الناس. وقد حرَّم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ التَّصويرَ علىٰ لسان رسولِه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كما سيأتي إنْ شاء اللهُ تَعالَىٰ.

وقد قال عِكرِمَةُ في قول الله تعالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٧]: إنَّها نزلت في المُصوِّرين، ذكَرها البَغَوِيُّ، وابنُ كثير، ورواه أبو نُعيم في «الحِلْيَة»(١).

وفي هذه الآية علىٰ هذا التَّفسير أبلغُ تَحذير من صناعة السِّينِمَا والتِّلفِزْيون. وفيها أيضًا دليل علىٰ تحريم الحضور عندهما لمُشاهدة ما فيهما من التَّصَاوِير؛ لأن في ذلك دليلًا علىٰ الرِّضا بما يؤذي اللهَ ورسولَه.

وقد أخبر النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أنَّه قال: «**ومَن أظْلَم ممَّن ذهب يَخلُق كخَلْقي، فليَخلُقوا ذرَّةً، أو فليَخلُقوا حبَّة، أو ليخْلُقوا شعيرَةً**»، رواه الإمَام أحمد، والشَّيْخان من حديث أبي هُرَيرةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ(٢). وقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أشدُّ النَّاس عذابًا عند الله يوم القيامة الَّذين يُضاهون بخَلْق الله**»، رواه الإمَام أحمد، والشَّيْخان، والنَّسائي، وابن ماجَهْ من حديث عائِشَة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا(٣).

وفي رِوَايَة لمُسْلِم، والنَّسَائي: «إنَّ مِن أشَدِّ النَّاس عذابًا يوم القيامة الَّذين

(١) «تفسير البغوي» (٦/ ٣٧٥)، و«تفسير ابن كثير» (٦/ ٤٢٣)، ورواه أبو نعيم (٣/ ٣٣٨).

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ٢٣٢) (٧١٦٦)، والبخاري (٥٩٥٣)، ومسلم (٢١١١).

(٣) أخرجه أحمد (٦/ ٣٦) (٢٤١٢٧)، والبخاري (٥٦١٠)، ومسلم (٢١٠٧)، والنسائي (٥٣٥٦).

يُشبهُون بخَلْق الله»(١)

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كلُّ مُصوِّر في النَّار يجعل له بكل صُورة صوَّرها نفسًا فتُعذِّبُه في جهنم**»، رواه الإمام أحمد، والشَّيْخان من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وهذا لفظ مسلم(٢)

ولعن صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المُصوِّرين، وأخبر أنهم مِن شِرار الخَلْق عند الله يوم القيامة. وأخبر أيضًا أن الملائكة لا تَدخل بيتًا فيه صورة. وأمر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بمَحْو الصُّور وطَمْسها. وقال: «**مَن عاد لصَنْعة شيء من هذا فقد كفَر بما أُنزل علىٰ محمَّد** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»(٣)

والأحَادِيث في ذم التصوير، والتَّحذيرِ منه تزيدُ علىٰ الثَّلاثين.

وقد ذكرتُها في كِتَابي: «إعلان النَّكير علىٰ المَفتونين بالتَّصوير»، فلتُراجَع هناك(٤)

وقد قال الله تعالَىٰ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾[الحشر: ٧]، وقال تعالَىٰ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾[النجم: ٣، ٤].

---

(١) أخرجه مسلم (٢١٠٧)، والنسائي (٥٣٥٧).

(٢) أخرجه أحمد (١/ ٣٠٨) (٢٨١١)، ومسلم (٢١١٠)، ولم أقف عليه عند البخاري.

(٣) أخرجه أحمد (١/ ٨٧) (٦٥٧)، وعبد الله بن أحمد في زوائد «المسند» (١/ ١٣٨) (١١٧٠)، والطيالسي (١/ ١٦) (٩٦)، وأبو يعلىٰ (١/ ٣٩٠) (٥٠٦)، وقال الألباني في «ضعيف الترغيب والترهيب» (١٧٩٥): منكر.

(٤) (ص٥٠٦، وما بعدها من هذا المجموع).

ومما ذكرنا من الآيتين والأحَادِيث يُعلم أن تحريم السِّينِمَا والتِّلفِزْيون ثابتٌ بالكِتَابِ والسُّنَّة، وأنَّ صِناعَتَهما من الكبائر؛ لشِدَّة الوعيد على التَّصوير، وأنَّ الحُضورَ عندهما لمشاهدة ما فيهما من التَّصاوِير لا يجوز؛ لأن ذلك دليل على الرضا بالتصوير، والرَّاضي بالذنب كفاعِله.

والدليل على أن الراضي بالذنب كفاعله قولُ الله تعالَىٰ: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٠].

وقد رُوي عن عُمر بن عبد العزيز -رحمه الله تَعالَىٰ- أنَّه رُفع إليه قومٌ شَربوا خمرًا، فأمر بجَلْدهم، فقيل له: إن فيهم صائمًا، فقَال: ابدءوا به، أمَا سمعتم الله تعالَىٰ يقول: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ﴾؟!

فاستدل عمرُ بن عبد العزيز -رَحِمَه اللهُ تَعالَىٰ- بهذه الآية الكريمة علىٰ أن الرَّاضي بالذَّنب كفاعله، واعتَبر الجلوس مع العُصاة رضًا بأعمالهم السيِّئة.

وقد ذكر عبدُ الله ابن الإمَام أحمد في «زوائد الزُّهْد»[1]، عن عبد الله بن شُمَيط، عن أبيه قال: كان يقولُ: مَن رَضِي بالفِسْق؛ فهُو مِن أَهْلِه.

قال شيخ الإسْلَام أبو العبَّاس ابنُ تيميَّة رحمه الله تَعالَىٰ: «مَن حَضر المُنكَرَ باختياره، ولم يُنكِرْه فقد عصىٰ اللهَ ورسولَه بتَرك ما أُمر به مِن بُغض المُنكَر، وإنكارِه، والنَّهي عنه. وإذَا كان كذلك فهذا الَّذي يَحضر مجالس الخمر باختياره من غير

(١) (١/ ١٨٦) (١٢٦٩).

ضَرورة، ولا يُنكِرِ المُنكرَ كما أمَرَ اللهُ، هو شَريكُ الفُسَّاق في فِسقهم، فيُلحَق بهم»[(١)].

قلت: ومثله مَن يحضر السِّينِمَا، أو التِّلفِزْيون لمُشاهَدَة ما فيهما من التَّصاوِير؛ فهو شريكٌ لأهل السِّينِمَا والتِّلفِزْيون في ظلمهم وإثمهم؛ لأن حضورَه عندهما دليل علىٰ رضاه بأعمالهم السيئة، والرَّاضي بالذَّنب كفاعله.

وقد روىٰ الإمَام أحمد، وأبو داود الطيالسي، ومسلم، والبُخارِي في «تاريخه»، وأبو داود، والتِّرْمِذِي، عن أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، عن النَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّه قال: «**يُستعمل عليكم أمرَاء فتَعرفون وتُنكِرون، فمَن كَره فقد بَرِئَ، ومَن أنْكَر فقد سَلِم، ولكِنْ مَن رَضِي وتَابَع**»[(٢)] قال التِّرْمِذِي: هذا حديث حسَن صحيح.

وفي هذا الحديث دليل علىٰ أن الرَّاضي بالذَّنب كفاعله.

ومما يدل علىٰ ذلك أيضًا: ما أخبر اللهُ به عن ثمود، أنهم عَقروا النَّاقة، وإنَّما كان الَّذي عقرها واحد منهم، والباقون أقرُّوه ورضُوا بفعله، فصاروا شركاءه في الإِثم والعقوبة. قال عبد الواحد بن زيد: قلت للحسن: يا أبا سعيد، أخبرني عن رجل لم يَشهد فِتنَةَ ابن المُهلَّب، إلا أنَّه رضي بقلبه؟ قال: يا ابن أخي، كم يَد عقرَت النَّاقةَ؟ قال: قلت: يَد واحدة، قال: أليس قد هلك القومُ جميعًا برضاهم وتماليهم؟!. رواه الإمَام أحمد في «الزُّهْد»[(٣)].

---

(١) «مجموع الفتاوىٰ» (٢٨/ ٢٢٢).

(٢) أخرجه أحمد (٦/ ٢٩٥) (٢٦٥٧١)، والطيالسي (٣/ ١٧٢) (١٧٠٠)، ومسلم (١٨٥٤)، والبخاري في «التاريخ الكبير» (٤/ ٣٤٢) (٣٠٦١)، وأبو داود (٤٧٦٠)، والترمذي (٢٢٦٥).

(٣) (١/ ٢٣٤) (١٦٧١).

الوجه الثاني: أن الله تَعالَىٰ لعَن بني إسرائيل وذَمَّهم علىٰ ترك الأمر بالمَعروف والنَّهي عن المُنكر، فقَال تعالَىٰ: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ٧٨ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ﴾ [المائدة: ٧٨، ٨٨].

وروىٰ الإمَام أحمدُ، وأهلُ السُّنَن إلا النَّسَائِيَّ، عن عبد الله بن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ، قال: قال رَسُول اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**لمَّا وَقَعت بنو إسرائيل في المعاصي نَهَتْهُم علماؤهم، فلم يَنتهوا، فجَالسوهم في مجالسِهم، وواكلُوهم، وشاربوهم، فضَرب اللهُ قلوبَ بعضهم ببعض، ولعنَهم علىٰ لسان داودَ وعيسىٰ ابن مَريمَ، ذلك بما عَصَوا وكانوا يَعتدون**». وكان رَسُول اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ مُتَّكِئًا فجلَس، فقَال: «**لا والَّذي نفسِي بيده، حتىٰ تَأطُروهم علىٰ الحَقِّ أَطْرًا**»(١)، هذا لفظ أحمد، والتِّرْمِذِي، وقال التِّرْمِذِي: هذا حديث حسن غريب.

ولفظ أبي داود: «**إنَّ أَوَّل ما دخل النَّقص علىٰ بني إسرائيل كان الرَّجل يَلقىٰ الرَّجلَ فيقول له: اتق الله، ودَعْ ما تَصنع؛ فإنه لا يَحِلُّ لك، ثم يَلقاه من الغَدِ فلا يَمنعه ذلك أن يكون أَكيلَه وقعيدَه، فلما فعلوا ذلك ضرب اللهُ علىٰ قلوب بعضهم ببعض، ثم قال**: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَ﴾ **إلىٰ قوله**: ﴿فَٰسِقُونَ﴾، **ثم قال: كلَّا والله، لتَأمُرُنَّ بالمعروف، ولتَنهونَّ عن المُنكر، ولتأخذنَّ علىٰ يدي الظَّالم، ولتأطرنَّه علىٰ الحق أطْرًا، أو لتقصرنه علىٰ**

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٣٩١) (٣٧١٣)، والترمذي (٣٠٤٧)، وضعفه الألباني.

الحقِّ قَصرًا»[(١)]. زاد في رِوَايَة أخرىٰ: «**أو ليضربنَّ الله بقُلوب بعضكم علىٰ بعض، ثم ليَلعنكم كما لعنهم**»[(٢)].

وفيما ذكرنا من الآيتين والحديث دليل علىٰ أنَّه لا يجوز الحضور عند السِّينِمَا والتِّلفِزْيون لمُشَاهَدَة ما فيهما من التَّصَاوِير؛ لأن في ذلك رضًا بالمنكر، وتقريرًا له. وفيه أيضًا مشابهة لبني إسرائيل في ترك الأمر بالمعروف والنَّهي عن المُنكر.

وقد ثبت عن النَّبِي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّه قال: «**مَن تَشبَّه بقَوم؛ فهو مِنْهُم**»، رواه الإمَام أحمد، وأبو داود من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وصحَّحه ابنُ حِبَّان، وغيرُه[(٣)].

وقد ذكرنا أن التَّصوير من الكبائر، وأنَّه لا يجوز إقرار التَّصَاوِير، بل يجب طَمْسُها؛ عملًا بأمر النَّبِي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بذلك، ولقوله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أيضًا: «**مَن رَأىٰ منكم منكرًا فليُغيِّره بيده، فإن لم يَستطع فبلسانه، فإن لم يَستطع فبقَلْبه، وذلك أضعَف الإيمان**»، رواه الإمام أحمد، وأبو داود الطيالسي، ومسلم، وأهل السنن من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[(٤)]، وقال التِّرمِذِي: هذا حديث حسن صحيح.

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٣٣٦)، وضعفه الألباني.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٣٣٧)، وضعفه الألباني.

(٣) أخرجه أحمد (٢/ ٩٢) (٥٦٦٤)، وأبو داود (٤٠٢٩)، وصححه الألباني في «الإرواء» (١٢٦٩).

(٤) أخرجه أحمد (٣/ ٤٩) (١١٤٧٨)، والطيالسي (ص ٢٩٢) (٢١٩٦)، ومسلم (٤٩)، وأبو داود (١١٤٠)، والترمذي (٢١٧٢)، والنسائي (٥٠٠٨)، وابن ماجه (٤٠١٣)، وابن حبان (١/ ٥٤١) (٣٠٧).

وفي رِوَايَة للنسائي: «**مَن رَأىٰ منكُم مُنكرًا فغيَّره بيده فقد بَرِئ، ومَن لم يستطع أن يغيِّره بيده فغيَّره بلسانه فقد برئ، ومَن لم يستطع أن يغيره بلسانه فغيَّره بقلبه فقد برئ، وذلك أضعفُ الإيمَان**»(١).

وروىٰ مسلم أيضًا، عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَا مِن نبيٍّ بعثه الله في أمَّة قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسُنَّته، ويقتدون بأمره، ثم إنَّها تَخلُفُ مِن بعدهم خلُوفٌ يقولون ما لا يَفعلون، ويفعلون ما لا يُؤمَرون؛ فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومَن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقَلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبَّة خَرْدل**»(٢)، ورواه الإمَام أحمد مُختَصرًا(٣).

ومَن حضر عند السِّينِمَا والتِّلفِزْيون لمُشَاهَدَة ما فيهما من التَّصَاوِير؛ فهو تارك لما يجب عليه من تغيير المنكر، حتىٰ الإنكار بالقلب -الَّذي هو أضعف الإيمَان- لم يوجد عنده؛ لأن حضوره لمُشَاهَدَة المُنكر يُنافي إنْكَاره بقلبه.

وقد قال عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «هَلك مَن لم يَعرف قلبُه مَعروفًا، ولم يُنكِر مُنكَرًا»، رواه ابن جرير(٤).

---

(١) أخرجه النسائي (٥٠٠٩)، وصححه الألباني.

(٢) أخرجه مسلم (٥٠).

(٣) أخرجه أحمد (١/ ٤٥٨) (٤٣٧٩)، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح علىٰ شرط مسلم.

(٤) في «تفسيره» (٢٢/ ٤١٠).

وقيل لابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَن مَيِّتُ الأحياء؟ قال: «الَّذي لا يَعرِف مَعروفًا، ولا يُنكِر مُنكرًا».

الوجه الثالث: أن الحضورَ عند السِّينِمَا والتِّلفِزْيون لمُشَاهَدَة ما فيهما من التَّصَاوِير مُخالف لهَدْي رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومُوافق لهَدْي النَّصارىٰ وغيرهم من المشركين. فأما هدي رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فهو تَرْك الدُّخول في المكان الَّذي فيه صُورة. وقد جاء في ذلك عدة أَحَادِيث:

منها حديث عائِشَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أنَّها اشترت نمْرُقَة فيها تصاوير، فلما رآها رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قام علىٰ الباب فلم يَدخُلْ، فعَرفَت في وَجْهه الكراهية، قالت: يا رَسُول اللهِ، أَتُوب إلىٰ الله وإلىٰ رسُولِه، ماذا أَذنبتُ؟ قال: «**مَا بالُ هذه النُّمرقة؟**» فقَالت: اشتريْتُها لتَقْعُدَ عَليها وتَوسَّدها، فقَال رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن أصحابَ هذه الصُّورة يُعذَّبون يومَ القيامة، ويقال لهم: أحْيُوا ما خَلقتم**»، وقال: «**إنَّ البيتَ الَّذي فيه الصُّور لا تدخله الملائكة**»، رواه مالك، وأبو داود الطيالسي، والشَّيْخان[١]. وفي رِوَايَة للبخاري: أن النَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما رأىٰ التماثيل قام بين البابين، وجعل يتغيَّر وجهُه[٢].

ومنها حديث علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قال: صنعتُ طعامًا فدعوتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَجَاءَ فَرَأَىٰ فِي الْبَيْتِ تَصَاوِيرَ، فَرَجَعَ[٣]. رواه ابن ماجَهْ بإسْنَاد صحيح.

---

(١) أخرجه مالك (٢/ ٩٦٦) (١٧٣٦)، وأبو داود الطيالسي (٣/ ٤٥) (١٥٢٨)، والبخاري (٥١٨١)، ومسلم (٢١٠٧).

(٢) أخرجه البخاري (٣٢٢٤).

(٣) أخرجه ابن ماجه (٣٣٥٩)، وصححه الألباني.

ورواه النَّسَائي، ولفظه: قال: صنعتُ طعامًا فدعوتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فجاء، فدخل، فرأىٰ سترًا فيه تصاوير فخرَج، وقال: «**إنَّ المَلائِكَة لا تَدخُل بيتًا فيه تَصاوير**»(١)، ورواه أبو نُعيم في «الحلية»(٢) بنحو رِوَايَة النَّسَائي.

ومنها حديث ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا؛ أن رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لمَّا قَدِم مكَّةَ أبىٰ أن يدْخُلَ البيتَ وفيه الآلهةُ، فأمر بها فأخرجت، فأخرج صُورة إبراهيم وإسماعيل في أيديهما الأَزْلام، فقَال رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**قَاتَلهم اللهُ، أمَا والله لقد عَلِموا أنهما ما اقْتَسَمَا بها قط**»، رواه الإمَام أحمد، والبُخارِي، وأبو داود(٣).

وفي رِوَايَة لأَحْمَد، والبُخارِي: أن النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لمَّا رأىٰ الصور في البيت -يعني الكعبة- لم يدخل، وأمر بها فمُحيت، ورأىٰ إبراهيم وإسماعيل عَلَيْهِمَا السَّلَامُ بأيديهما الأزلام، فقَال: «**قاتَلهم الله، واللهِ ما استقْسَمَا بالأَزْلام قط**»(٤).

ومنها حديث جابر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، **قال:** «كان في الكعبة صُور، فأمر رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عُمَر بن الخطَّاب أن يمحوها، فبَلَّ عُمرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ثوبًا، ومحاها به، فدخلها رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وما فيها منها شيء». رواه الإمام أحمد، وأبو داود(٥)، وهذا لفظ إحدىٰ روايات أحمد. ولفظ أبي داود: «أن النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

---

(١) أخرجه النسائي (٥٣٥١)، وصححه الألباني.

(٢) (٦/ ٢٨١).

(٣) أخرجه أحمد (١/ ٣٣٤) (٣٠٩٣)، والبخاري (١٦٠١)، وأبو داود (٢٠٢٧). والأزلام: القِداح التي كانوا يستقسمون بها.

(٤) أخرجه أحمد (١/ ٣٦٥) (٣٤٥٥)، والبخاري (٣٣٥٢).

(٥) أخرجه أحمد (٣/ ٣٩٦) (١٥٢٩٦) وقال شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح وهذا إسناد =

أَمَرَ عمرَ بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ زمنَ الفَتْح وهو بالبطحاء أن يأتي الكعبةَ، فيمحو كلَّ صورة فيها، فلم يدخلها النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتىٰ مُحِيت كل صورة فيها». وقد رواه الإِمَام أحمد بهذا اللفظ أيضًا[1].

وقد رُوي عن عمر، وابن مسعود، وأبي مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، أنهم امتنعوا من دخول الأماكن التي فيها الصور، وهو مذهب الإِمَام أحمد رحمه الله تَعالَىٰ. قال البُخارِي -رَحِمَه اللهُ تَعالَىٰ- في «صحيحه»[2]: وقال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِنَّا لا ندخل كنائِسَكم من أجل التماثيل التي فيها الصُّور».

قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري»[3]: هذا الأثر وصَله عبدُ الرَّزاق من طريق أسلم مولىٰ عمر، قال: لما قدم عمرُ الشامَ صنع له رجل من النصارىٰ طعامًا، وكان من عظمائهم، وقال: أُحبُّ أن تجيئني وتكرمني، فقَال له عمر: إِنا لا ندخل كنائسكم من أجل الصور التي فيها، يعني التماثيل.

قلت: وقد رواه البُخارِي موصولًا في «الأدب المفرد»[4]، فقَال: حدَّثَنا أحمدُ بن خالد قال: حدَّثَنا محمَّد بن إسحاق، عن نافع، عن أسلم مولىٰ عمر، قال: لما قدمنا مع عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الشام أتاه الدهقان قال: يا أمير المؤمنين، إني

=

حسن. وأبو داود (٤١٥٦).

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٣٨٣) (١٥١٤٩)، وأبو داود (٤١٥٦)، وقال الألباني: حسن صحيح.

(٢) (١/ ٩٤).

(٣) (١/ ٥٣١).

(٤) (١٢٤٨)، وضعفه الألباني في «ضعيف الأدب المفرد» (١٩٧).

قد صنعتُ لك طعامًا، فأحِبُّ أن تأتيني بأشرافٍ من معك، فإنه أقوىٰ لي في عملي، وأشرف لي، قال: إنَّا لا نستطيع أن ندخل كنائسَكم هذه مع الصُّور التي فيها.

وقال البُخارِي في «صحيحه»(١): ورأىٰ ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ صُورة في البيت فرَجَع.

ورَوىٰ البيهقي من طريق عَدي بن ثابت، عن خالد بن سعيد، عن أبي مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رجلًا صنع طعامًا فدعاه، فقَال: أفي البيت صورة؟ قال: نعم، فأبىٰ أن يدخل حتىٰ تُكسر الصُّورة(٢). قال الحافظ ابن حجر: سنده صحيح.

قلت: وقد ذكره أبو بكر المَرُّوذي في كِتَاب «الوَرَع»(٣) من حديث خالد بن سعيد قال: دُعِي أبو مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلىٰ طعام، فقَالوا له: في البيت صورة، فأبىٰ أن يأتيهم حتىٰ ذهب إنسانٌ فكسَرها.

وقد نص الإمَام -رَحِمَه اللهُ تَعالَىٰ- علىٰ أنَّه يَخرُج لصُورة علىٰ الجدار.

وقال شيخ الإسلام أبو العباس ابن تيميَّة رحمه الله تَعالَىٰ: المنصوص عن أحمد، والمذهب الَّذي نصَّ عليه عامة الأصحاب كراهةُ دخول الكنيسة التي فيها التَّصَاوِير(٤). انتهىٰ.

وأما هَدْي النَّصارىٰ وغيرهم من المشركين؛ فهو الافتتان بصناعة التَّصَاوِير،

(١) (٧/ ٢٥).

(٢) أخرجه البيهقي في «الكبرىٰ» (٧/ ٤٣٨) (١٤٥٦٥).

(٣) (١/ ١٥٢) (٤٥٩).

(٤) «الفتاوىٰ الكبرىٰ» (٥/ ٣٢٧).

واتِّخاذُها، والنَّظر إليها. وعلىٰ هذا فالمتخذون للسِّينما والتِّلفِزْيون، والحاضرون عندهما لمُشَاهَدَة ما فيهما من التَّصَاوِير كلهم مُنحَرِفون عن هدي الرَّسُول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومُتشَبِّهون بالنَّصارىٰ وغيرهم من المُشركين.

وقد ثبت عن النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّه قال: «**مَن تشبَّه بقوم؛ فهو منهم**»، رواه الإمَام أحمد، وأبو داود، وغيرهما من حديث ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، وصححه ابن حبان، وغيره(١).

وإِذا عُلم هذا، فالواجب علىٰ المسلم أن يتمسك بهدي الرَّسُول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في ترك الدخول في الأماكن التي فيها التَّصَاوِير، ولاسيما أماكن السِّينِمَا والتِّلفِزْيون؛ عملًا بقول الله تَعالَىٰ: ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨]. ويقول النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**عَليكم بسُنَّتي وسُنَّة الخلفاء الرَّاشدين المَهدِيِّين، تَمسَّكوا بها، وعضُّوا عليها بالنَّواجذ، وإيَّاكم ومُحدَثات الأمور، فإن كلَّ مُحدَثة بدعة، وكلَّ بِدعَة ضلالة**»، رواه الإمَام أحمد، وأهل السنن من حديث العِرباض بن سارية رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وقال التِّرْمِذِي: هذا حديث حسن صحيح، وصححه أيضًا ابن حبان، والحاكم، والذهبي(٢).

---

(١) تقدم.

(٢) أخرجه أحمد (٤/ ١٢٦) (١٧١٨٤)، وأبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وابن ماجه (٤٢)، والحاكم (١/ ١٧٤) (٣٢٩)، والبيهقي (١٠/ ١١٤) (٢٠١٢٥)، وابن حبان (١/ ١٧٨) (٥)، والدارمي (١/ ٥٧) (٩٥)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٢٧٣٥).

وفي «الصَّحِيحين» وغيرهما، عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَن رَغِبَ عَن سُنَّتي فليس منِّي**»(١). وفي «المسند»(٢)، عن حديث عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عن النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مثله.

ويجب علىٰ المسلم أيضًا أن يقتدي بالخليفة الرَّاشد عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في ترك الدخول في الأماكن التي فيها التَّصَاوِير، فكفىٰ بأمير المؤمنين قدوة بعد رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبعد أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وقد روىٰ الإمَام أحمد، والتِّرْمِذِي، وابن ماجَهْ، عن حُذيفة بن اليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عن النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّه قال: «**اقْتَدوا باللَّذين من بعدي: أبي بكر، وعمر**»(٣) قال التِّرْمِذِي: هذا حديث حسن. وله أيضًا من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ نحوَه(٤).

الوجه الرَّابع: أن السِّينِمَا والتِّلِفِزْيون من أعظم الملاهي التي تَصدُّ عن ذكر الله وعن الصَّلاة، وقد حرَّم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ الخمرَ والمَيسِرَ؛ لعِللٍ، منها الصَّدُّ عن ذكر الله وعن الصَّلاة. وهذه العلَّة تقتضي تحريم السِّينِمَا والتِّلِفِزْيون؛ لأنَّهما في هذا الباب

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠٦٣)، ومسلم (١٤٠١).

(٢) (٢/ ١٥٨) (٦٤٧٧)، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح علىٰ شرط الشيخين.

(٣) أخرجه أحمد (٥/ ٣٨٢) (٢٣٢٩٣)، والترمذي (٣٦٦٢)، وابن ماجه (٩٧)، والبخاري في «التاريخ الكبير» (٨/ ٢٠٩)، والحاكم (٣/ ٧٩) (٤٤٥٤)، والبزار (٧/ ٢٤٨) (٢٨٢٧)، والطبراني في «الأوسط» (٤/ ١٤٠) (٣٨١٦)، والبيهقي (٥/ ٢١٢) (٩٨٣٦)، وصححه الألباني في «صحيح الترمذي» (٢٨٩٥).

(٤) أخرجه الترمذي (٣٨٠٥)، وصححه الألباني.

يماثلان الخمر والميسر، أو يفوقان عليهما.

الوجه الخامس: أن النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**كلُّ مَا يَلهو به الرَّجُل المسلم باطل؛ إلا رَميَه بقَوسه، وتأديبَه فَرسَه، ومُلاعبَته أهلَه، فإنَّهنَّ من الحَقِّ**»، رواه الإمَام أحمد، وأهل السنن من حديث عقبة بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقال التِّرمِذِي: هذا حديث حسن، وصححه ابن خزيمة، وابن حبان، والحاكم، ووافقه الذهبي في «تلخيصه»(١).

وفي هذا الحديث دليل علىٰ أن السِّينِمَا والتِّلفِزيون من شُعب الضَّلال، بقول الله تَعالَىٰ: ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ﴾ [يونس: ٣٢]، وهذا من أوضح الأَدِلَّة علىٰ تحريم الحضور عند السِّينِمَا والتِّلفِزيون لمُشَاهَدَة ما فيهما من التَّصَاوِير؛ لأن النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يرخص في شيء من اللهو إلا في هذه الثَّلاثة المذكورة في هذا الحديث. وفي السباحة أيضًا كما جاء ذلك في حديث صحيح، عن جابر بن عبد الله، أو جابر بن عمير(٢)، فيَحرم ما سوىٰ هذه الأربعة من اللهو؛ لأنَّه باطل وضلال.

الوجه السادس: أن في السِّينِمَا والتِّلفِزْيون شَبهًا كبيرًا من السِّحر التَّخيلي، بل

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ١٤٤) (١٧٣٣٨)، وأبو داود (٢٥١٣)، والترمذي (١٦٣٧)، والنسائي (٣٥٧٨)، وابن ماجه (٢٨١١)، والحاكم (٢٤٦٧)، والبيهقي (١٠/ ١٣) (١٩٥١٥)، الطيالسي (ص ١٣٥) (١٠٠٦، ١٠٠٧)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٣١٥) دون قوله: «**فإنَّهنَّ من الحَقِّ**».

(٢) أخرجه النسائي في «الكبرىٰ» (٥/ ٣٠٢) (٨٩٣٨)، والطبراني (٢/ ١٩٣) (١٧٨٥)، قال المنذري (٢/ ١٨٠): بإسناد جيد. والبيهقي (١٠/ ١٥) (١٩٥٢٥)، والطبراني في «الأوسط» (٨/ ١١٨) (٨١٤٧). وقال الهيثمي (٥/ ٢٦٩): رواه الطبراني في «الأوسط» و«الكبير»، والبزار، ورجال الطبراني رجال الصحيح خلا عبد الوهاب بن بخت، وهو ثقة. وقال الحسيني في «البيان والتعريف» (٢/ ١٤٦): قال في «الإصابة»: إسناده صحيح.

هما أخبث منه؛ لأن كل ما يأتي به أصحاب السحر التخييلي يمكن الإتيان به فيهما وزيادة. لقد ذَكر لنا مَن شاهد السِّينِمَا أنَّه رأىٰ فيها ما يدهش النَّاظرين. فمن ذلك أنَّه رأىٰ رجلًا قلع نخلَة طويلة طويلة، وحملها علىٰ عاتقه. ومن ذلك أنَّه رأىٰ رجلًا أخذ صخْرة عظيمة لا تقدر الجماعة الكثيرة علىٰ زحزحتها من موضعها، وحمَلَها علىٰ رأسه... إلىٰ غير ذلك من المَخرقَة والتَّمويه والشَّعوذة الهائلة التي لم يصل إليها سِحْر سَحرة فرعون، ولا غيرهم من السحرة.

ومن ذلك أنهم يمثلون فيها السحاب، والبرق، والرعد، ونزول المطر من السحاب إلىٰ غير ذلك من الأشياء التي تعجز عنها القُدرة البشرية.

وعلىٰ ما قرَّره الرَّازي وأقرَّه ابن كثير علىٰ ذلك - تعد السِّينِمَا والتِّلفِزْيون من أنواع السِّحر، كما سيأتي بيانُه إنْ شاء اللهُ تَعالَىٰ.

ولا خلاف بين العُلَماء في تحريم السِّحر، فكذلك ما أشبَهَه، وقد قال الله تَعالَىٰ عن سحرة فرعون: ﴿فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾ [طه: ٦٦]، فأخبر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أنهم سَحَروا أعيُنَ النَّاس حتىٰ خيَّلوا إليهم أن الحِبالَ والعِصيَّ تسعىٰ باختيارها، وليست كذلك في نفس الأمر. وهكذا السِّينِمَا والتِّلفِزْيون، فإنه يخيل إلىٰ النَّاظرين إليهما أن الصور المرسومة فيهما أجسام تسعىٰ، وتتكلم، وتفعل أنواع الأفعال باختيارها، وليس لذلك حقيقة في نفس الأمر.

فإن قيل: إن السِّينِمَا والتِّلفِزْيون صناعة معروفة ترسم فيها الصور، وأنواع المرئيات، ويسجل فيها الكلام، وأنواع الأصوات، ويدار ذلك بالآلات التي تبرز المرئيات للناظرين، والأصوات للسامعين، وليس ذلك بسحر.

فالجواب: أن يقالَ: إن السِّحر في اللغة عبارة عما لَطُف مَدركه، وخَفِي سببُه. ومن المعلوم أن مدارك السِّينِمَا والتِّلفِزْيون من ألطف المدارك، وأن الآلات التي تديرها خفيفة جدًّا بحيث إن الحاضرين عندهما إنَّما يرون الصور، وأنواع المرئيات تمرُّ عليهم، ويسمعون الكلام، وأنواع الأصوات تطرق أسماعهم، ولا يرون شيئًا يدير ذلك ويأتي بما فيها ويذهب به. ولا ريب أن هذا من ألطف السحر.

وقد عد بعضُ المفسرين في فنون السحر أشياء دون السِّينِمَا والتِّلفِزْيون بكثير.

قال الرَّازي: النوع الخامس من السحر: الأعمال العجيبة التي تظهر من تركيب آلات مركبة علىٰ النسب الهندسية؛ كفارس علىٰ فرس في يده بوق، كلما مَضت ساعة من النهار ضرب بالبُوق من غير أن يسمه أحد. ومنها الصور التي تصورها الروم والهند، حتىٰ لا يفرق النَّاظر بينها وبين الإنسان، حتىٰ يصوروها ضاحكة وباكية...

إلىٰ أن قال: فهذه الوجوه من لطيف أمور التخاييل. قال: وكان سحر سحرة فرعون من هذا القبيل.

قال ابن كثير -يعني ما قاله بعضُ المفسرين-: إنهم عمدوا إلىٰ تلك الحبال والعِصِيِّ فحشوها زئبقًا، فصارت تتلوىٰ بسبب ما فيها من ذلك الزئبق، فيُخيَّل إلىٰ الرَّائي أنها تسعىٰ باختيارها[1]. انتهىٰ.

وهذا النوع الَّذي ذكره الرَّازي في فنون السِّحر، وأقره ابنُ كثير علىٰ ذلك يُعدُّ كَلَا شيءَ بالنِّسبة إلىٰ السِّينِمَا والتِّلفِزْيون.

---

(١) «تفسير ابن كثير» (١/ ٢٥٣).

ولولا أن النَّاس قد عرفوا السِّينِمَا والتِّلفِزْيون حقَّ المعرفة، واعتادوا رؤيتهما لكان رَهَبُهم مما يرون فيها عظيمًا، ولكان شأنهما عندهم فوق جميع فنون السحر.

الوجه السابع: أن من قواعد الشريعة قاعدة: «سَدِّ الذرائع المُفضية إلىٰ الشَّرِّ والفَسَاد». ومن أعظم أسباب الشَّرِّ والفساد: مُشَاهَدَة النِّساء لصُور الشُّبَّان الَّذين يلقون الكلمات في التِّلفِزْيون؛ لأن مشاهدتهن لصور الشبان مما يفتنهن بالرجال، ويرغبهن في فعل الفاحشة.

ولقد ذُكر لنا عن عدد كثير من الرجال أنهم طلقوا نساءهم بسبب التِّلفِزْيون.

وذُكر لنا أن رجلًا اطَّلع علىٰ زوجته وهي عند التِّلفِزْيون، فإذا هي تُقبِّل صورةَ شابٍّ ممن يتكلم فيه، فطلَّقها.

وذُكر لنا أيضًا أن امرأة نظرت إلىٰ صورة شاب جميل يتكلم في التِّلفِزْيون، فافتتنت به، وأرسلت إليه تدعوه إلىٰ نفسها، فكان يأتي إليها حين يَذهب زوجها إلىٰ عمله، فأتىٰ زوجها يومًا إلىٰ بيته في أثناء وقت عمله، فإذا الشاب علىٰ فراشه مع زوجته، فقام الشاب وهرب، وسقط الرَّجُل مغشيًّا عليه، فلما أفاق قالت له زوجته: لا تَلُم إلا نفسك؛ لأنك أنت الَّذي وضعت التِّلفِزْيون عندي، ومكنَّتني من النظر إلىٰ هذا الشابِّ حتىٰ افتتنتُ به.

وذَكر لنا آخرُ، عن ابنٍ له كان خادمًا لبعض نساء الأكابر، وكان عندها سينما، قال: فأخبرني أنَّه رأىٰ في السِّينِمَا رجلًا أخذ بيد امرأة فقبَّلها، ثم وضعها علىٰ الأرض وجامَعها، والنِّساء الحاضرات عند السِّينِمَا ينظرن إلىٰ ذلك الفِعل الشنيع، وقد وضَعت سيدتهن يدها علىٰ رأسها، وهي تقول: اللهم اخْزِهما.

ولا ريب أن النظر إلىٰ مثل هذا الفعل القبيح مما يَفتن الرِّجال والنساء، ويرغبهم في فعل الفاحشة. وما كان سببًا للفتنة، وذريعةً إلىٰ المُحرَّم؛ فهو حرام بلا ريب، واللهُ أعلم.

وبالجملة؛ فلا يَضع التِّلفِزْيون في بيته أو يسمح بوضعه فيه إلَّا مَن هو قليلُ الغَيرة، أو مَعدومها. ومثل ذلك الحضور عند السِّينِمَا؛ فمَن مكَّن أهلَه وبناته ومَن تحت ولايته من الحضور عند السِّينِمَا؛ فهو معدوم الغَيْرة.

وقد جاء في الحديث الصَّحِيح: أن رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إنَّ اللهَ يَغارُ، وإنَّ المُؤمن يَغار**»، رَواه الإمامُ أحمَدُ، ومُسْلِم، والتِّرمِذِي من حديث أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ[(١)].

والغَيرة في اللغة: الحَميَّة والأَنَفة، ومن لوازمها منع مَن يَغارُ عليه من الوقوع في الفاحشة، ومقدِّماتها، وأسبابها، وذرائعها المُوصلة إليها.

والغَيُورُ هو الَّذي يحرص كلَّ الحِرص علىٰ إبعاد أهله وأولاده عن مواضع التُّهَم، وأسباب الفِتن، ويعاقبهم علىٰ المُخالفة.

قال النووي: قال العُلَماء: الغَيرة بفَتح الغين، وأصلها المَنع، والرَّجل غيور علىٰ أهله، أي: يَمنعهم من التعلُّق بأجنبي بنظرٍ، أو حديثٍ، أو غيره. والغَيرة صفةُ كمال[(٢)]. انتهىٰ.

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٥٣٩) (١٠٩٦٣)، والبخاري (٥٢٢٣)، ومسلم (٢٧٦١)، والترمذي (١١٦٨)، وابن حبان (١/ ٥٢٨) (٢٩٣)، وأبو يعلىٰ (١٠/ ٣٩٥) (٥٩٩٨).

(٢) «شرح صحيح مسلم» للنووي (١٠/ ١٣٢).

ولا ريب أن كلَّ غَيور يُجنِّب أهلَه أسبابَ الفتن، ومن ذلك النَّظر إلىٰ الرجال الأجانب، وإلىٰ صورهم التي تظهر في السِّينِمَا والتِّلفِزْيون؛ لأن نظرهُنَّ إلىٰ الرجال الأجانب وإلىٰ صورهم مما يَفتنهن بالرِّجال، ويدعوهن إلىٰ الفاحشة.

وكما أن الرجال مأمورون بغضِّ الطَّرف عن الأجنبيات من النساء خشيةَ الافتتان بهن، فكذلك النساء مأمورات بغض الطرف عن الرجال الأجانب خشيةَ الافتتان بهم. قال الله تَعالَىٰ: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [النور: ٣٠].

فدلَّت هذه الآية الكريمة علىٰ أنَّه لا يجوز للرجال النظر إلىٰ الأجنبيات من النساء، ومثل ذلك النظر إلىٰ صورهن التي تظهر في السِّينِمَا والتِّلفِزْيون.

ثم قال تعالَىٰ: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ [النور: ٣١] الآية، فدلَّت هذه الآية الكريمة علىٰ أنَّه لا يجوز للنساء النظر إلىٰ الرجال الأجانب.

وقد روىٰ الإمَام أحمد، وأبو داود، والتِّرمذِيُّ، عن أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: كنت عند النَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعنده ميمونةُ، فأقبل ابنُ أمِّ مَكتوم، وذلك بعد أن أُمرنا بالحِجاب، فقَال النَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**احْتَجِبَا مِنه**»، فقلنا: يا رَسُول اللهِ، أليس أعمىٰ لا يُبصرنا، ولا يَعرِفُنا؟ فقَال النَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أفعَميَاوانِ أنتُما؟! ألَسْتُما تُبصرانِه؟!**»(١). قال التِّرمِذِي: هذا حديث حسن صحيح، وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني: إسْنَاده قوي.

---

(١) أخرجه أحمد (٦/ ٢٩٦) (٢٦٥٧٩)، وأبو داود (٤١١٢)، والترمذي (٢٧٧٨)، وضعفه الألباني في «الإرواء» (١٨٠٦).

وفي هذا الحديث دليل علىٰ أنَّه لا يجوز للنساء النظر إلىٰ الرجال الأجانب، وعن ذلك النظر إلىٰ صورهم التي تظهر في السِّينِمَا والتِّلفِزيون.

وإذًا علىٰ هذا، فكيف يستجيزُ المسلمُ العاقل أن ينظرَ إلىٰ صور النساء التي تظهر في السِّينِمَا والتِّلفِزيون، وأن يُمكِّن أولادَه ومَن تَحتَ ولايته من النَّظر إلىٰ صورهن، مع أن ذلك من أعظم أسباب الشَّرِّ والفساد؟!

وكيف يستجيز المسلمُ العاقل أن يُمكِّن امرأتَه، وبناته، وأخواته، وغيرهن ممن تحت ولايته من النظر إلىٰ صور الرجال التي تظهر في السِّينِمَا والتِّلفِزْيون، مع أن ذلك من أعظم أسباب الشر والفساد؟!

لا شك أن ذلك من قِلَّة الغَيرة، أو عدمها، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وإذَا عُلم ما ذكرنا في هذا الفصل، فلا يرتاب في تحريم السِّينِمَا والتِّلفِزْيون وتحريم مشاهدتهما إلا جاهلٌ أو مكابرٌ مُتَّبِعٌ للهَوىٰ. ومع هذا فقد تَهاون كثير من المنتسبين إلىٰ العلم بشأن السِّينِمَا والتِّلفِزيون، واستباحوا الحضورَ عندهما، وإلقاء الكلمات في التِّلفِزيون، لما يُعطَوْنه علىٰ ذلك من عَرَضِ الدُّنيا القليل، فصار حضورهم فتنة للجُهَّال، واستباح كثير منهم التِّلفِزْيون بسببهم. وقد قال الله تَعالَىٰ: ﴿لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ﴾[النحل: ٢٥].

وكثير منهم يشترون التِّلفِزْيون لنسائهم وأولادهم، ولا يبالون بما يترتَّب علىٰ ذلك من الشرِّ والفساد، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

فصل

وأما قوله: «أما إذا لجأنا إلىٰ الفقه والمنطق والواقع، فإن في تحليل الغِنَاء والمُوسِيقىٰ أو تحريمهما أقوالًا كثيرة. وإن يكن معظم ما يحتج به القائلون بالتحريم واهيًا وضعيفًا تنقضه أحَادِيث نبوية، وحوادث تاريخية، ليس إلىٰ إنْكَارها سبيل. وقد اتَّفق أكثر الفقهاء علىٰ أن الأحَادِيث التي يستند إليها القائلون بالتحريم، حتىٰ إذا صحت - مقيدة بذكر الملاهي، والخمر، والقِيَان، والفسوق، والفجور. ولا يخالف هذا إلا رجل مأفون».

فجوابه مِن وُجوه:

أحدها: أن يقال: ليس في تحريم الغِنَاء وآلات الملاهي خلاف عمَّن يُعتدُّ به من سلف الأمة وأئمتها، وإنَّما الخلاف في ذلك عن الصوفية، وابن حزم، ومَن تَبعه من الظاهرية، ولا عبرة بخلاف هؤلاء. فإن كان مراد المجيب بقوله: «إن في تحليل الغناء والمُوسِيقىٰ أو تحريمها أقوالًا كثيرة»؛ أن هذه الأقوال عن السلف وأئمة الخلف فذلك غير صحيح. وإن كان مراده أنها عن الصوفية، وابن حزم، وأتباعه، ومَن نحا نحوَهم فذلك صحيح، ولكن لا عبرةَ بأقوال هؤلاء، ولا بخلافهم؛ لأنها أقوال مخالفة للكتاب والسُّنَّة، وما جاء عن الصحابة والتَّابعين وأئمة العلم والهدىٰ من بعدهم. وسيأتي بيان مخالفتها للكتاب والسُّنَّة قريبًا إنْ شاء اللهُ تَعالَىٰ.

وأما أقوال الصحابة والتَّابعين وتابعيهم في ذم الغِنَاء والمَنْعِ منه: فقد ذكرتُها في كِتَابي: «فصْل الخِطاب في الرَّدِّ علىٰ أبي تراب»؛ فلتُراجع هناك. وذكرتُ أيضًا أقوال الأئمة الأربعة: مالك، وأبي حنيفة، والشافعي، وأحمد في ذلك. وما حكاه غير واحد

من الإجْمَاع علىٰ تحريم الغِنَاء وآلات الملاهي. وفي ذلك ردٌّ لما يوهمه كلام مفتي المجَلَّة من كثرة أقوال العُلَماء في تحليل الغِنَاء والمُوسِيقىٰ. وسأذكر ما ذكره من الإجْمَاع قريبًا إنْ شاء اللهُ تَعالَىٰ.

الوجه الثاني: أن القائلين بتحريم الغِنَاء وآلات المَلاهي لم يحتَجُّوا علىٰ ذلك بالواهي والضعيف، كما زعمه المجيبُ، وإنَّما احتجوا بالآيات القرآنية، والأحَادِيث الصَّحِيحة والحسَنة. وأما الأحَادِيث الضعيفة فإنَّما يذكرونها للاستشهاد، لا للاعتماد.

فأما أدلة القرآن علىٰ التحريم ففي عدة آيات:

الأولىٰ: قوله تَعالَىٰ: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٦﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَـٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [لقمان: ٦، ٧].

قال ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في قوله تَعالَىٰ: ﴿لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ﴾: هو واللهِ الغِنَاء. وفي رِوَايَة عنه: هو الغِنَاءُ واللهِ الَّذي لا إِله إِلا هو، يرددها ثلاث مرات. رواه ابن أبي شيبة، وابن جرير، والحاكم بأسانيد صحيحة[1]، وكذا قال جابر بن عبد الله، وابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، ومجاهد، وعكرمة، والحسن، وسعيد بن جبير، وقتادة، وابراهيم النَّخَعي، وحبيب بن أبي ثابت، ومكحول، وعمرو بن شعيب، وعلي بن بذيمة، أن لهو الحديث: هو الغِنَاء[2].

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (٤/ ٣٦٨) (٢١١٣٠)، والطبري (١٨/ ٥٣٤)، والحاكم (٢/ ٤٤٥) (٣٥٤٢) وصححه، ووافقه الذهبي.

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (١/ ٥٣٤ - ٥٣٨).

رواه ابن أبي شيبة، والبُخارِي في «الأدب المُفرد»، وابن أبي الدنيا، بأسانيد صحيحة، عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا(١).

ورواه ابن أبي شيبة، وابن جرير، وابن الجوزي بأسانيد صحيحة، عن مجاهد(٢). ورواه ابن أبي شيبة، وابن الجوزي بإِسناد لا بأس به، عن عكرمة(٣).

وروىٰ وكيع بإِسناد حسن، عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا في هذه الآية. قال: الغِنَاء، وشِراء المُغنية. ورواه ابن جرير، ولفظه: قال: هو الغِنَاء، والاستماعُ له(٤).

وقال الحسن البصري: نزلت هذه الآية: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٍ ﴾ في الغِنَاء والمَزامير. ذكره ابن كثير في «تفسيره»(٥).

قال البغوي: ومعنىٰ قوله: ﴿يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ﴾ أي: يستبدل ويختار الغِنَاء، والمزامير، والمَعَازِف علىٰ القُرآن(٦).

وقال قتادة: قوله: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ

---

(١) رواه ابن أبي شيبة (٤/ ٣٦٨) (٢١١٣٧)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٧٨٦)، وابن أبي الدنيا في «ذم الملاهي» (١/ ٤٠) (٢٧)، وقال الألباني في «صحيح الأدب المفرد» (٩٦٠): صحيح الإسناد موقوفًا.

(٢) رواه ابن أبي شيبة (٦/ ٣٠٩) (٢١٥٣٩)، والطبري (١٨/ ٥٣٦)، وابن الجوزي في «تلبيس إبليس» (١/ ٢٠٦).

(٣) رواه ابن أبي شيبة (٦/ ٣١٠) (٢١٥٤٠)،وابن الجوزي في «تلبيس إبليس» (١/ ٢٠٦).

(٤) رواه الطبري (١/ ٥٣٥).

(٥) (٦/ ٢٩٦).

(٦) «تفسير البغوي» (٦/ ٢٨٤).

بِغَيۡرِ عِلۡمٖ﴾: والله لعله لا ينفق فيه مالًا، ولكن شراؤه استحبابُه، بحَسْب المَرء من الضَّلالة أن يختار حديثَ البَاطل علىٰ حديث الحقِّ، وما يَضرُّ علىٰ ما يَنْفع.

قال القرطبي: إن أولىٰ ما قيل في هذا الباب: هو تفسير ﴿لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ﴾ بالغِنَاء، وهو قول الصحابة والتَّابعين(١).

وقال الواحدي: قال أهل المعاني: ويدخل في هذا كلُّ من اختار اللَّهو، والغِنَاء، والمزامير، والمَعَازِف علىٰ القرآن. وإن كان اللفظ قد ورد بالشراء، فلفظ الشراء يُذكر في الاستبدال والاختيار، وهو كثير في القرآن. قال: وهذه الآية علىٰ هذا التفسير تدل علىٰ تحريم الغِنَاء، ثم ذكر قول الشافعي في ردِّ الشهادة بإعلان الغِنَاء. قال: وأما غناء القينات فذلك أشد ما في الباب، وذلك لكثرة الوعيد الوارد فيه، وهو ما رُوي أن النَّبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَن استَمع إلىٰ قينةٍ صُبَّ في أُذنَيه الآنُك يوم القيامة**»(٢)، الآنُك: الرَّصَاص المُذَاب.

قلت: هذا الحديث رواه محمَّد بن يحيىٰ الهمذاني في «صحيحه»، وابن عساكر في «تاريخه»، عن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ.

الآية الثانية: قوله تَعالَىٰ: ﴿وَٱسۡتَفۡزِزۡ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتَ مِنۡهُم بِصَوۡتِكَ﴾ [الإسراء: ٦٤]. قال مجاهد: صوتُه الغِنَاءُ والباطل. رواه ابن أبي حاتم بإسْنَاد حسن. وفي رِوَايَة عنه قال: صوته هو المزامير. رواه ابن أبي حاتم بإسْنَاد صحيح(٣). وفي رِوَايَة عنه قال:

---

(١) انظر: «فتح القدير» للشوكاني (٤/ ٢٧٠).

(٢) رواه ابن عساكر (٥١/ ٢٦٣) (٦٠٦٥) من حديث أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ، وقال الألباني في «الضعيفة» (٤٥٤٩): باطل.

(٣) «تفسير ابن أبي حاتم» (١٣٣٢٩).

هو الغِنَاء والمزاميرُ. رواه ابن الجوزي بإسناد حسن(١). وعنه أنَّه قال: اللهو والغِنَاء. رواه ابن جرير بإسناد حسن(٢).

الآية الثالثة: قوله تعالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغْوِ مَرُّواْ كِرَامًا﴾ [الفرقان: ٧٢] قال محمَّد بن الحنفية: الزور اللهو والغِنَاء، وقال مجاهد في قوله: ﴿لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ﴾ قال: لا يسمعون الغِنَاء. وقال ثعلب: الزور هنا مجالس اللهو. وقال الزَّجَّاج: قيل: الزور هنا مجالس الغِنَاء.

قال ابن القيم رحمه الله تعالَىٰ: وتأمل كيف قال سُبْحانَه: ﴿لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ﴾، ولم يقل: بالزور؛ لأن ﴿يَشْهَدُونَ﴾ بمعنىٰ يَحضُرون، فمَدحهم علىٰ ترك حضور مجالس الزُّور، فكيف بالتَّكلُّم به وفِعلِه؟! والغِنَاء من أعظم الزُّور(٣). انتهىٰ.

والغِنَاء من اللَّغو الَّذي مدَح الله عبادَه المتقين علىٰ ترك الوقوف عليه.

وقد روىٰ ابن جرير، وابن حاتم، عن إبْراهِيم بن مَيسرة، أن ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ مَرَّ بلَهْوٍ فلم يَقِفْ، فقَال رَسُول اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**لقَد أصْبَح ابنُ مسعود وأمسىٰ كَريمًا**»، ثم تلا إبْراهِيم بن ميسرة: ﴿وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغْوِ مَرُّواْ كِرَامًا﴾(٤).

الآية الرَّابعة: قوله تعالَىٰ: ﴿أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ۝٥٩ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ۝٦٠ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ﴾ [النجم: ٥٩ - ٦١].

---

(١) «تلبيس إبليس» (١/ ٢٠٧).

(٢) «تفسير الطبري» (١٤/ ٦٥٧).

(٣) «إغاثة اللهفان» (١/ ٢٤٢).

(٤) رواه الطبري بنحوه في «تفسيره» (١٧/ ٥٢٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٥٤٦٤)، بإسناد ضعيف؛ للانقطاع بين إبراهيم بن ميسرة الطائفي وعبد الله بن مسعود.

قال الجوهري: السُّمود اللهو، والسامد اللَّاهي والمُغنِّي، يقال للقينة: أسمدينا، أي: ألهينا بالغِنَاء، وغنِّينا.

وقال ابن مَنظور في «لسان العرب»(١): سَمَد سُمُودًا: لَهَا، وسَمَّدَه: أَلْهَاه، وسَمد سُمودًا: غَنَّىٰ، قال ثعلب: وهي قليلة، وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ﴾ فُسِّر باللَّهو، وفُسِّر بالغِنَاء، ويقال للقينة: أسمدينا، أي: ألهينا بالغِنَاء. انتهىٰ.

وروىٰ ابن أبي الدنيا(٢)، وأبو الفرج ابن الجوزي من طريقة(٣)، عن عكرمة، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ﴿وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ﴾ قال: هو الغِنَاء بالحِمْيَرية، يقال: أسمدي لنا، أي: غَنِّي لنا. قال أبو الفرج: وقال مجاهد: هو الغِنَاء، يقول أهل اليمن: سمد فلان، إِذا غنَّىٰ. وكذا حكىٰ أبو العباس القرطبي عن مجاهد أنَّه قال: هو الغِنَاء بلغة أهل اليمن.

وقال أبو زبيد:

وكان العَزيف فيها غِنَاء ... للنَّدامىٰ من شَارب مسمود(٤)

قال أبو عبيدة: المسمود الَّذي غُنِّي له. وقال عكرمة: كانوا إذا سمعوا القرآن تغنَّوا، فنَزلت هذه الآية.

الآية الخامسة: قوله تَعالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ

---

(١) (٣/ ٢١٩).

(٢) في «ذم الملاهي» (ص٤٢) رقم (٣٣).

(٣) في «تلبيس إبليس» (١/ ٢٠٧).

(٤) «العزيف»: صوت الجن. «مسمود»: ملهىٰ.

خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۚ﴾ [النور: ٢١].

قال شيخ الإسْلَام أبو العباس ابن تيميَّة رحمه الله تَعالَىٰ: ومن الفحشاء والمنكر استماع العبد مزاميرَ الشيطان، والمُغنِّي هو مُؤَذِّنه الَّذي يدعو إلىٰ طاعته، فإن الغِنَاء رُقية الزِّنا[1]. انتهىٰ.

فصل

وأمَّا الأَدِلَّة من السُّنَّة علىٰ تَحريم الغِنَاء والمَعَازِف ففي عدة أحَادِيث:

الأول منها: ما رواه البُخارِي في «صحيحه»، والإسماعيلي، والطبراني، وابن حبان، والبيهقي، وغيرهم، عن عبد الرحمن بن غنم الأشعري رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ قال: حدثني أبو عامر، أو أبو مالك الأشعري رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ، والله ما كَذبني، سمع النَّبِيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ يقول: «**لَيَكونَنَّ مِن أمَّتي أقوامٌ يَستحِلُّون الحِرَ، والحَريرَ، والخَمرَ، والمَعَازِف**»[2].

وهذا الحديث الصَّحِيح واضح في تحريم الغِنَاء والمزامير؛ لأن الاستحلالَ إنَّما يكون للشيء المُحرَّم. وقد قرن استحلال المَعَازِف باستحلال الزِّنا، وشرب الخمر، ولبس الحرير في حقِّ الذكور. وهذا يدل علىٰ غِلظ تحريمها.

والمَعَازِف جمع مِعْزَف، ويقال أيضًا: مِعزَفة بكسر المِيم وفتح الزَّاي فيهما. قال الجَوهري: المَعَازِف المَلاهي، والعازف اللاعب بها، والمُغنِّي قد عزف عزفًا.

---

(١) «مجموع الفتاوىٰ» (١٥/ ٣٤٩).

(٢) أخرجه البخاري (٥٥٩٠)، وأبو داود (٤٠٣٩)، وابن حبان (١٥/ ١٥٤) (٦٧٥٤)، والطبراني (٣/ ٢٨٢) (٣٤١٧)، والبيهقي (٣/ ٢٧٢) (٥٨٩٥)، وغيرهم.

وقد تقدم قول أبي زبيد.

وكــان العزيــفُ فيهــا غِنــاء للنَّــدامىٰ مــن شــارب مَسـمود

قال ابن حجر العسقلاني: ويطلق علىٰ الغِنَاء عَزْف، وعلىٰ كل لعب عزف.

وقال مرتضىٰ الحُسيني في «تاج العروس»(١): المَعَازِف الملاهي التي يُضرب بها كالعود، والطنبور، والدُّفِّ، وغيرها. قال: وكل لعب عزف.

الثاني: ما رواه الإمَام أحمد، وابن أبي شيبة، والبُخارِي في «التَّاريخ الكبير»، وابن ماجَهْ في «سننه»، وابن حبان في «صحيحه»، عن عبد الرحمن بن غَنْم الأشعري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، عن أبي مالك الأشعري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قال: قال رَسُول اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: **«ليَشربنَّ ناسٌ من أمَّتي الخمرَ يُسمُّونها بغير اسمها، يُعزف علىٰ رءوسهم بالمَعَازِف والمُغنيات، يخسف اللهُ بهم الأرض، ويَجعل منهم القِردةَ والخنازير»**(٢).

وهذا الحديث الصَّحِيح يدل علىٰ تحريم الغِنَاء، واستعمال المَعَازِف، والاستماع إليها، وأن ذلك من الكبائر؛ لشِدَّة الوعيد عليه.

قال ابن القيم رحمه الله تَعالَىٰ: قد توعَّد مُستحلي المَعَازِف فيه بأن يَخسف اللهُ

---

(١) (٢٤/ ١٥٥).

(٢) أخرجه ابن ماجه (٤٠٢٠)، والبخاري في «تاريخه» (١/ ٣٠٥)، وابن حبان (٦٧٥٨)، والطبراني (٣/ ٢٨٣) (٣٤١٩)، والبيهقي (٨/ ٢٩٥) و(١٠/ ٢٢١).

وأخرجه مختصرًا بقصة الخمر أحمد (٥/ ٣٤٢) (٢٢٩٥٠) وعنه أبو داود (٣٦٨٨) عن زيد بن الحباب، عن معاوية بن صالح، به، ولفظه: «**ليشربن ناس من أمتي الخمر يسمونها بغير اسمها**»، والحديث صححه الألباني في «الصحيحة» (٩٠).

بهم الأرض، ويمسخهم قردةً وخنازير، وإن كان الوعيد علىٰ جميع هذه الأفعال، فلكلٍّ واحدٍ قِسطٌ في الذَّمِّ والوعيد(١). انتهىٰ.

الثَّالث: ما رواه البزَّار، عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**صَوتان ملعونان في الدنيا والآخرة: مِزمار عند نعمة، ورنَّة عند مُصيبة**»(٢). قال المُنذري والهيثمي: رواته ثقات.

وقد رواه الحافظ الضياء المقدسي في كِتَابه «المختارة»(٣)، وهو ما اختاره من الأحَادِيث الجِياد الزائدة علىٰ ما في «الصَّحِيحين».

قال شيخ الإسْلَام أبو العباس ابن تيميَّة رحمه الله تَعالَىٰ: وهو أعلا مرتبة من تصحيح الحاكم، وهو قريب من تصحيح التِّرْمِذِي، وأبي حاتم البُستي، ونحوهما، فإن الغلط في هذا قليل، ليس هو مثل تصحيح الحاكم(٤). انتهىٰ.

قال القرطبي وغيره: في هذا الحديث دلالة علىٰ تحريم الغِنَاء، فإن المزمار هو نفس صوت الإنسان يُسمَّىٰ مِزمارًا، كما في قوله: «**لقد أُوتيتَ مِزمارًا من مزامير آل داود**»(٥).

ويُطلق ويُراد به الغِنَاء، كما في «الصَّحِيحين»، وغيرهما، عن عائِشَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

---

(١) «إغاثة اللهفان» (١/ ٢٦١).

(٢) أخرجه البزار (٧٥١٣)، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣٥٢٧).

(٣) (٦/ ١٨٨) (٢١٩٩).

(٤) «الإخنائية» (١/ ١٠٤).

(٥) أخرجه البخاري (٥٠٤٨)، ومسلم (٧٩٣) من حديث أبي موسىٰ الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قالت: «دخل عليَّ النَّبِيُّ صَلَّىٰللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وعندي جاريتان تغنيان بغِناء بُعَاث، فاضطجع علىٰ الفِراش وحوَّل وجْهَه، ودخل أبو بكر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ فانْتَهرني، وقال: مِزمار الشَّيطان عند النَّبِي صَلَّىٰللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ؟!...» الحديثَ[1].

ويُطلق ويرادُ به الآلة التي يُزْمَر بها، كما سيأتي في حديث ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا في زمارة الرَّاعي.

وكذلك كل ما له نَغَمة وصوت مُطْرب؛ كالجَرس، لحديث أبي هُرَيرةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، أن رَسُول اللهِ صَلَّىٰللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**الجَرَسُ مَزامير الشَّيطان**»[2]. وكذلك الدُّفُّ، وسائر آلات اللَّهو والطَّرَب، فكلها من مزامير الشَّيطان.

وكما أن اللعن يتناول آلات اللهو وصوت الغِنَاء، فكذلك التحريم شامل لهما، والله أعلم.

وقد دلَّ هذا الحديث علىٰ أن الغِنَاء، واستعمالَ المَعَازِف والمزامير كبيرةٌ من الكبائر؛ لأن اللَّعنَ لا يكون إلا علىٰ كبيرة.

ويدل علىٰ ذلك أيضًا: أن النَّبِي صَلَّىٰللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قَرَن استحلالها باستحلال الزنا، وشُربِ الخمر، ولبس الحَرير في حقِّ الذُّكور، كما تقدم ذلك في حديث عبد الرحمن بن غنم الأشعري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

وقرَنَها أيضًا بالنِّياحة، كما في حديث أنس، وحديث جابر الَّذي سيأتي بعد هذا. وهذه

---

(١) أخرجه البخاري (٩٤٩)، ومسلم (٨٩٢).

(٢) أخرجه مسلم (٢١١٤).

الخصال الأربع كلها من الكبائر، فقرن المَعَازِف معها يدل علىٰ أنها مثلها، والله أعلم.

وقد عدَّها ابنُ حَجر الهيثمي من الكبائر، فقَال في كِتَاب «الزواجر عن اقتراف الكبائر»[1] ما نصه:

الكبيرة السادسة، والسابعة، والثامنة، والتَّاسعة والأربعون، والخمسون، والحادية والخمسون بعد الأربعمائة: ضَرب وَتَر، واستماعه، وزمر بمزمار، واستماعه، وضرب بكوبة، واستماعه، ثم استدل علىٰ ذلك بقول الله تَعالَىٰ: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ ﴾ [لقمان: ٦] الآية. وبقوله تَعالَىٰ: ﴿ وَٱسۡتَفۡزِزۡ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتَ مِنۡهُم بِصَوۡتِكَ ﴾[الإسراء: ٦٤].

قلت: وإنَّما كان صوت المزمار عند النِّعمة، وصوت الرَّنَّة عند المصيبة ملعونين في الدنيا والآخرة؛ لأن الأول يُنافي الشكر، والثاني ينافي الصبر.

قال ابن القيم رحمه الله تَعالَىٰ: ومنافاة النوح للصبر، والغِنَاء للشكر أمرٌ معلوم بالضرورة من الدِّين، لا يَمتري فيه إلا أبعد النَّاس من العِلْم والإيمَان، فإن الشكر هو الاشتغال بطاعة الله، لا بالصوت الأحمق الفاجر الَّذي هو للشَّيطان. وكذلك النوح ضد الصَّبر، كما قال عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في النَّائحة، وقد ضرَبها حتىٰ بدَا شَعرها، وقال: لا حرمة لها، إنها تأمر بالجزع، وقد نهىٰ الله عنه، وتنهىٰ عن الصبر، وقد أمر الله به، وتفتن الحي، وتؤذي الميت، وتبيع عبرتها، وتبكي شجو غيرها.

ومعلوم عند الخاصة والعامة أن فتنة سماع الغِنَاء أعظم من فتنة النوح بكثير.

---

(١) (٢/٣٣٦).

والَّذي شاهدناه نحن وغيْرُنا، وعرفناه بالتجارب أنَّه ما ظهرت المَعَازِف، وآلات اللهو في قوم، وفَشَت فيهم، واشتغلوا بها إلا سلَّط اللهُ عليهم العدوَّ، وبُلوا بالقَحْط، والجَدْب، ووُلاةِ السُّوء. والعاقل يتأمل أحوالَ العَالَم وينظر[١]. انتهىٰ كلامه رحمه الله تَعالَىٰ.

الرَّابع: ما رواه وكيع بن الجراح، عن ابن أبي ليلىٰ، عن عطاء، عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**نَهيتُ عن صَوتَين فاجرين: صوت عند مصيبة: خَمش وجه وشق جيوب، وصوت عند نِعمة: لعب ولهو ومزامير الشيطان**»[٢] إسْنَاده حسن.

وقد رواه أبو داود الطيالسي في «مسنده»[٣]، فقَال: حدَّثَنا أبو عَوانَةَ، عن ابن أبي ليلىٰ، عن عطاء، عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: خرج رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلىٰ النَّخل، ومعه عبد الرحمن بن عوف، فانتهىٰ إلىٰ ابنه إبْراهِيم، وهو يَجُود بنفسه، فوضع الصبي في حِجْرِه فبكت عائِشَة، فقَال له عبد الرحمن: أتَنْهانَا عن البكاء؟! قال: «**لَم أَنْهَ عن البكاء، إنَّما نَهيتُ عَن صَوتَين فاجرين: صوت عند نِعمة؛ مزمار شيطان، ولعب، وصوت عند رنَّة مصيبة شق الجيوب، ورنة شيطان، وإنَّما هذه رحمة**»، إسْنَاده حسن.

ورواه التِّرْمِذِي في «جامعه»، فقَال: حدَّثَنا علي بن خَشْرَم، أخبرنا عيسىٰ بن

---

(١) «مدارج السالكين» (١/ ٤٩٥- ٤٩٦).

(٢) وأخرجه بنحوه البيهقي في «شعب الإيمان» (١٢/ ٤٣٠) (٩٦٨٤)، عن جابر ، عن عبد الرحمن بن عوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٣) (٣/ ٢٦٢) (١٧٨٨).

يونس، عن ابن أبي ليلىٰ، عن عطاء، عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: أخذ النَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بيد عبد الرحمن بن عوف فانطلق به إلىٰ ابنه إبْراهِيم، فوجده يجودُ بنفسِه، فأخذه النَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فوضعه في حِجْرِه فبكىٰ، فقَال له عبد الرحمن: أتبكي؟! أوَلَم تكُنْ نهيتَ عن البُكاء؟ قال: «**لا، ولكن نَهيتُ عن صَوتين أحمقين فاجرين: صوت عند مصيبة خمش وجوه، وشَق جيوب، ورنَّة من هذا**»[1].

قال التِّرْمِذِي: هذا حديث حسن. قال: وفي الحديث كلام أكثر من هذا.

يشير إلىٰ أنَّه لم يذكر باقي الحديث، وهو ما فيه من ذكر اللهو، واللعب، والمزامير عند النعمة.

وقد رواه الحاكم في «مستدركه»[2] من طريق إسرائيل، عن محمَّد بن عبد الرحمن بن أبي ليلىٰ، عن عطاء، عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن عبد الرحمن بن عوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: أخذ النَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بيدي، فانطلقتُ معه إلىٰ إبْراهِيم ابنِه وهو يَجودُ بنفْسِه، فأخذه النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حجره حتىٰ خَرجت نفسه، قال: فوضَعه وبكىٰ، قال: فقلتُ: تَبكي يا رَسُول اللهِ وأنت تَنهىٰ عن البكاء؟! قال: «**إنِّي لم أنْهَ عن البُكاء، ولكِنِّي نَهيتُ عن صوتين أحمقين فاجِرَين: صوت عند نعمة؛ لهو، ولعب، ومزامير الشيطان، وصوت عند مصيبة؛ لطم وجوه، وشق جيوب، وهذه رحمة، ومَن لا يَرحَم لا يُرحَم**».

قال ابن القيم رحمه الله تَعالَىٰ: فانْظُر إلىٰ هذا النَّهي المُؤكَّد بتسميته صوت

---

(١) أخرجه الترمذي (١٠٠٥)، وحسنه الألباني.

(٢) (٤/ ٤٣) (٦٨٢٥).

الغِنَاء صوتًا أحمق، ولم يَقتصر علىٰ ذلك حتىٰ وصفه بالفجور، ولم يقتصر علىٰ ذلك حتىٰ سماه من مَزامير الشيطان، وقد أقرَّ النَّبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أبا بكر الصِّدِّيق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ علىٰ تسمية الغِنَاء مَزمورَ الشيطان، في الحديث الصَّحِيح، فإن لم يَستفد التَّحريم من هذا لم نَستفده من نهي أبدًا[١].

قلتُ: والصَّحِيح مِن قَولي العُلَماء: أن نَهي النَّبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ التَّحريم إلا ما عُرفت إباحتُه. وقد نقل هذا عن مالك والشافعي، وهو قول الجمهور، واختاره البُخارِي رحمه الله تَعالَىٰ. قال في آخر كِتَاب الاعتصام من «صحيحه»[٢]: باب نهىٰ النَّبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ التحريم إلا ما تُعرف إباحتُه. قال الحافظ ابن حجر: أي بدلالة السِّياق، أو قرينة الحال، أو قيام الدَّليل علىٰ ذلك[٣]. انتهىٰ.

قال ابن القيم رحمه الله تَعالَىٰ: وقد اختُلف في قوله: «**لا تَفعل**»، وقوله: «**نَهيتُ عن كذا**»، أيهما أبلغ في التحريم؟

والصَّواب بلا ريب: أن صيغة «نَهيت» أبلغ في التَّحريم؛ لأن «لا تفعل» يحتمل النَّهي وغيره، بخلاف الفعل الصَّريح. فكيف يَستجيز العارفُ إباحة ما نهىٰ عنه رَسُول اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وسمَّاه صوتًا أحمقَ فاجِر، أو مَزمور الشيطان، وجعله والنِّياحةَ التي لعَن فاعلَها أخوَيْن، وأخرَج النَّهي عنهما مخرجًا واحدًا، ووصفَهما بالحمق والفجور وصفًا واحدًا[٤]. انتهىٰ.

---

(١) «إغاثة اللهفان» (١/ ٢٥٤).

(٢) (٩/ ١١٢).

(٣) «فتح الباري» (١٣/ ٣٣٧).

(٤) «إغاثة اللهفان» (١/ ٢٥٤- ٢٥٥).

الحديث الخامس: ما رواه الإمام أحمد، والبُخاري في «تاريخه» بإسناد حسَن عن معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنَّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «نَهىٰ عن النَّوح، والشِّعر، والتَّصاوير، وجُلود السِّباع، والتَّبرُّج، والغِناءِ، والذَّهب، والخَزِّ، والحَرِير»[١].

الحديث السادس: ما رواه الإمام أحمد، عن زكريا بن عبيد الله بن عمرو الرَّقِي، عن عبد الكريم الجزري، عن حَبتَر بن قيس، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إنَّ الله حرَّم عليكم الخَمرَ والمَيسرَ والكوبة**» وقال: «**كُلُّ مُسكِرٍ حَرَام**»[٢].

ورواه الإمام أحمد أيضًا، وأبو داود، من طريق سفيان الثوري، عن علي بن بَذِيمَة، حدَّثني قَيس بن حَبتَر، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إنَّ اللهَ حرَّم عليَّ، أو حرَّم الخَمر والمَيسر والكوبة، وكلَّ مُسكر حَرام**». قال سفيان: قلت لعلي بن بذيمة: ما الكوبة؟ قال: الطَّبْل[٣]. أسانيده كلها صحيحة.

وقد روىٰ أبو نُعيم في «الحلية»[٤]، عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنَّه فسَّر الكوبة بالطَّبل.

وقال الإمام أحمدُ -رحِمه اللهُ تَعالىٰ- في رواية حنبل: أَكره الطَّبْل، وهو الكوبة، نهىٰ عنه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ١٠١) (١٦٩٧٧) وقال شعيب الأرنؤوط: صحيح لغيره وهذا إسناد ضعيف. والبخاري في «التاريخ الكبير» (٧/ ٢٣٤)، وضعفه الألباني في «الضعيفة» (٤٧٢٥).

(٢) أخرجه أحمد (١/ ٣٥٠) (٣٢٧٤) وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح.

(٣) أخرجه أحمد (١/ ٢٧٤) (٢٤٧٦)، وأبو داود (٣٦٩٦)، وصححه الألباني.

(٤) (٦/ ٥٢).

وقال الجَوهري: الكوبة الطَّبل الصغير المخصَّر.

وقال الخطَّابي: الكوبة يُفسَّر بالطَّبل، ويقال: هو النَّرد، ويدخل في معناه كل وتر ومزهر في نحو ذلك من المَلاهي والغناء.

وقال ابن مَنظور في «لسان العرب»(١): الكوبة: الشِّطْرَنْجَة، والكوبة: الطَّبل، والنَّرد.

وقال الإمَام أحمد في كِتَاب «الأشربة»(٢): الكوبة كلُّ شَيء يكبُّ عليه. وهذا القول يشمل آلات اللَّهو كلَّها، كما قرَّر ذلك الخطَّابِيُّ.

الحديث السابع: قال الإمَام أحمد رحمه الله تَعالَىٰ: حدَّثَنا أبو عاصم -وهو النَّبِيل- أخبرنا عبد الحَميد بن جعفر، حدَّثَنا يزيد بن أبي حَبيب، عن عمرو بن الوليد، عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: سمعتُ رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**إنَّ الله عَزَّوَجَلَّ حرَّم الخَمرَ، والمَيسرَ، والكُوبة، والغُبَيراء، وكل مُسكِرٍ حَرام**»(٣)، إسْنَاده صحيح.

وقد رواه أبو داود في «سننه»(٤) من طريق محمَّد بن إسحاق، عن يزيد بن أبي حبيب. رواه الإمام أحمد أيضًا من وجه آخر، ولفظه: «**إنَّ اللهَ حرَّم علىٰ أمَّتي الخمرَ،**

---

(١) (١/ ٧٢٩).

(٢) (١/ ٧٦) (٢١٤).

(٣) «مسند أحمد» (٢/ ١٧١) (٦٥٩١)، وقال شعيب الأرنؤوط: «صحيح لغيره وهذا إسناد ضعيف». والغُبيراء: شراب تتخذه الحبشةُ من الذُّرة يُسكِر.

(٤) (٣٦٨٥)، وصححه الألباني.

والمَيسِر، والمِزْرَ، والكُوبة، والقِنِّين»، قال يزيد بن هارون: القنين: البَرابِط، ذكره الإمَام أحمد في «مسنده»(١).

وقال ابن الأعرابي: القنين هو الطنبور بالحَبشيَّة، والتقنين الضرب به.

قلت: والطنبور من المَعَازِف، وقد ذكر أهل اللغة أن معنىٰ الطنبور ألية الحمل؛ لأنَّه يشبهها، وعلىٰ هذا فهو العُود الإفرنجي؛ لأنَّه يشبه ألية الحمل، وقد يكون غيره. وأما البربط، فقَال ابن الأثير: هو ملهاة تشبه العود، وهو فارسي مُعرَّب، وأصله بَرْبتْ؛ لأن الضارب به يضعه علىٰ صدره، واسم الصدر: بَرْ.

وقال ابن منظور: البربط العود أعجمي، ليس من ملاهي العرب، فأعربته حين سمعتْ به. قال في «التهذيب»(٢): البربط من ملاهي العجم شبه بصدر البط، والصدر بالفارسية (بَرْ)، فقيل: بربط. وقال صاحب «القاموس»(٣): البَرْبط كجَعفر: العود؛ مُعرَّب. والظَّاهر من كلام أهل اللغة أن الطنبور والبَربط شيء واحد.

الحديث الثامن: قال الإمَام أحمد في «مسنده»(٤): حدَّثَنا الوليد -يعني ابن مسلم- حدَّثَنا سعيد بن عبد العزيز، عن سليمان بن موسىٰ، عن نافِع مولىٰ ابن عمر، أن ابنَ عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا سمع صوتَ زمارة رَاعٍ، فوَضع أصبعَيه في أُذنَيه، وعدل راحلتَه عن الطريق، وهو يقول: يا نافعُ، أَتسمَع؟ فأقول: نَعم، فيمضي حتىٰ قلتُ: لا، فوضَع

---

(١) «مسند أحمد» (٢/ ١٦٥) (٦٥٤٧) من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده ضعيف.

(٢) «تهذيب اللغة» للأزهري (١٤/ ٤٢).

(٣) (١/ ٦٥٨).

(٤) (٢/ ٨) (٤٥٣٥)، وقال شعيب الأرنؤوط: حسن.

يَديه وأعاد راحلتَه إلىٰ الطَّريق، وقال رأيتُ رَسُول اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وسَمِع صوت زمارة راعٍ فصنَع مثل هذا. إسْنَاده صحيح.

وقد رواه أبو داود في «سننه»[١]، عن أحمد بن عبيد الله الغداني، عن الوليد بن مسلم... فذكره بنحوه، وبوَّب عليه بقوله: «باب كراهية الغِنَاء والزمر». وقد رواه ابن الجوزي من طريق الإمَام أحمد بن حنبل، ثم قال: إذا كان هذا فِعلَهم في حقِّ صَوت لا يَخرج عن الاعتدال، فكيف بغناء أهل الزَّمان وزمورهم؟![٢].

قلت: وأعظم من ذلك ما فشا في زماننا من ألحان الغِنَاء، وأصوات المَعَازِف التي تَفعل في نفس مَن أصغىٰ إليها نحو ما تَفعل الخمر، فهذه أولىٰ بأن تُسدُّ عنها المَسامع، وأن يُبتعد عن سماعها غايةَ البعد. وما أصعبَ ذلك في زماننا! فالله المستعان.

وقد رواه الطبراني في «معجمه الصغير»[٣] من وجه آخر، وإسْنَاده جيد. وذكر شيخ الإسْلَام أبو العباس ابن تيميَّة: أن الخَلَّال رواه من وجوه يُصَوَّبُ بعضُها. وذكر ابن حجر الهَيتميُّ: أن ابن حبان خرَّجه في «صحيحه»، ووافقه الحافظ محمَّد بن نصر السلامي، فإنه سُئل عنه، فقَال: هو حديث صحيح. قال: وهذا من الشَّارع صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ليعرف أمته أن استماع الزمارة، والشَّبابة، وما يقوم مقامها مُحرَّم عليهم استماعه، ورخَّص لابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا؛ لأنَّه حالة ضَرورة، ولا يمكن إلا ذاك، وقد

---

(١) (٤٩٢٤)، وصححه الألباني.

(٢) «تلبيس إبليس» (١/ ٢٠٧).

(٣) (١/ ٢٩) (١١).

تُباح المحظورات للضرورة. قال: ومَن رخَّص في ذلك -أي: فأباح الشبابة- فهو مُخالِف للسُّنَّة. انتهىٰ.

قال ابن حَجر الهيتميُّ: وبهذا الحديث استدل أصحابُنا علىٰ تحريم المزامير، وعليه بنوا التحريم في الشَّبابة التي هي من جُملة المزامير، بل أشدُّها طَربًا. انتهىٰ.

والكلام فيما يتعلق بهذا الحديث قد ذكرتُه مستوفًىٰ في كِتَابي: «فصل الخِطاب في الرد علىٰ أبي تراب»، فليراجع هناك.

الحديث التَّاسع: قال ابن ماجَهْ في «سُننه»[1]: حدَّثَنا محمَّد بن يحيىٰ، حدَّثنا الفريابي، عن ثعلبة بن أبي مالك التَّميمي، عن ليث، عن مجاهد قال: كنتُ مع ابن عُمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فسَمِع صوتَ طَبل، فأدخل أصبعَيه في أُذنَيه، ثم تنحَّىٰ حتىٰ فعل ذلك ثلاثَ مرات، ثم قال: هكذا فعلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. إسْنَاده حسن، وليث بن أبي سُليم وإن كان فيه مقال فقد روىٰ له البُخارِي تعليقًا، وروىٰ له مسلم مقرنًا بغيره، وهذا يقتضي قبول حديثه.

وما في هذا الحديث فهي قضية أخرىٰ غير التي ذكرها نافع، والله أعلم.

الحديث العاشر: قال البُخارِي -رَحِمَه اللهُ تَعالَىٰ- في «الأدب المفرد»[2]: «باب الغِنَاء واللهو»، ثم ساق في الباب أحَادِيث، منها حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لستُ مِن دَدٍ، ولا الدَّدُ مِنِّي بشَيء**»[3]، يعني

---

(١) (١٩٠١)، وقال الألباني: صحيح بلفظ: زمارة راع.

(٢) (١/ ٤٢٠).

(٣) «الأدب المفرد» (٧٨٥)، وضعفه الألباني.

ليس الباطِل منِّي بشَيء. رواه البيهقي في «سُننه»[(١)].

قال الجَوهري، والهَروي: الدَّد اللهو واللعب. وقال أبو عمرو: الدادي المُولع باللهو، الَّذي لا يكاد يبرحه، نقله عنه ابن منظور في «لسان العرب»[(٢)].

وقد استدل القُرطبي بهذا الحديث علىٰ تحريم الغِنَاء؛ لأن النَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تبرَّأ منه، وما تبرَّأ منه؛ فهو حرام. وظاهر صَنيع البُخارِي يوافق هذا الاستدلال، فإنه تَرجَم للغِنَاء واللَّهو، ثم ذكر هذا الحديث وغيره من الأحَادِيث الدالة علىٰ تحريم الغِنَاء والمنع منه.

الحديث الحادي عشر: ما رواه الإمَام أحمد، وأهلُ السُّنن من حديث عقبة بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**كُلُّ ما يَلهو به الرَّجلُ المُسلمُ باطلٌ؛ إلا رَميَه بقَوسه، وتأديبه فرَسَه، ومُلاعبَتَه أهلَه، فإنَّهن من الحَقِّ**» قال التِّرْمِذِي: هذا حديث حسن، وصححه ابن خزيمة، وابن حبان، والحاكم، ووافقه الذهبي في «تلخيصه»[(٣)].

وقد استدل به القُرطبي علىٰ تحريم الغِنَاء؛ لأنَّه لم يرخص في شيء منه إلا في هذه الثَّلاثة، فيحرم ما سواها من اللهو؛ لأنَّه باطل.

---

(١) (١٠/ ٣٦٦) (٢٠٩٦٥).

(٢) (١٤/ ٢٥٤).

(٣) أخرجه أحمد (٤/ ١٤٤) (١٧٣٣٨)، وأبو داود (٢٥١٣)، والترمذي (١٦٣٧)، والنسائي (٣٥٧٨)، وابن ماجه (٢٨١١)، والحاكم (٢٤٦٧)، والبيهقي (١٠/ ١٣) (١٩٥١٥)، الطيالسي (ص ١٣٥) (١٠٠٦، ١٠٠٧)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٣١٥) دون قوله: «**فإنَّهنَّ من الحَقِّ**».

قلت: وفيه دليل علىٰ أن الغِنَاء والمَعَازِف من شُعب الضَّلال، لقول الله تعالَىٰ: ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ﴾ [يونس: ٣٢].

الحديث الثاني عشر: ما رواه الإمَام أحمد من حديث عبيد الله بن زحر، عن علي بن يزيد الألهاني، عن القاسم، عن أبي أُمامة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عن النَّبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إنَّ اللهَ بَعثني رحمَةً وهدًىٰ للعالَمين، وأمرني أن أمْحقَ المَزاميرَ، والكبارات - يعني البرابط- والمَعَازِف، والأوثان التي كانت تُعبد في الجَاهلية**»[1]، عبيد الله بن زُحَر قال فيه أبو زُرعة: صدوق، وقال النَّسَائي: لا بأس به، ووثقه البُخارِي، والتِّرْمِذِي، وابن القيم. قال المُنذري: وحسن التِّرْمِذِي غيرَ ما حديث له، عن علي بن يزيد، عن القاسم.

وأما علي بن يزيد فقد ضعَّفه البُخارِي وغيره، وذكر المُنذري عن الإمَام أحمد، وابن حبان أنَّهما وثَّقاه. وقال فيه أبو مسهر -وهو من أهل بلده، وهو أعلم بأهل بلده من غيرهم- قال فيه: ما أعلم فيه إلَّا خيرًا. وقال ابن عَدي: هو نفسه صالح إلَّا أن يرويَ عن ضعيف، فيُؤتىٰ مِن قِبل ذلك الضَّعيف.

قلتُ: وهذا الحديث قد رواه عن القاسم بن عبد الرحمن الدمشقي، وهو ثقة، وثَّقه ابنُ معين، والبُخارِي، والتِّرْمِذِي، والعِجليُّ، والجُوزجاني، وغيرهم. وقال عبد الرَّحْمن بن يَزيد بن جابر: ما رأيتُ أفضل من القاسم أبي عبد الرَّحْمن. وعلىٰ هذا فهذا الحديث حسَن.

وقد رواه الإمَام أحمد أيضًا، وأبو داود الطيالسي، وسعيد بن منصور،

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٢٥٧) (٢٢٢٧٢)، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده ضعيف جدًّا.

والطبراني من حديث الفَرج بن فضَالَة، عن علي بن يزيد، عن القاسم، عن أبي أُمامة رَضِيَٱللَّهُعَنهُ قال: قال رَسُول اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيهِوَسَلَّمَ: «**إنَّ الله بَعثَني رحمةً للعالمين، وأمرني بمَحق المَعَازِف والمزامير، لا يحلُّ بَيعُهُنَّ، ولا شِراؤهن، ولا تعليمهن، ولا التجارةُ فيهن، وثمنهن حرام**»(١) يعني الضَّوارب.

وقد اختلف في فرج بن فضالة، ووثقه الإمَام أحمد في الشَّاميِّين، وهذا من روايته عن الشاميين، وقال ابن مَعين: ليس به بأس، وفي رِوَايَة عنه قال: صالح الحديث، وقال أبو حاتم: صدوق لا يُحتَجُّ به، وقال التِّرْمِذِي: تكلَّم فيه بعضُ أهل الحَديث، وضعَّفه مِن قِبل حِفظِه، وقد روىٰ عنه وكيع، وغيرُ واحد من الأئمة.

قلت: وقد تابعه علىٰ هذا الحديث عبيدُ الله بن زُحَر، كما تقدم، وعبيدُ الله ثقَّة، كما تقدم بيان ذلك.

ورواه الإمَام أحمد أيضًا، والحميدي، والتِّرْمِذِي، وابن ماجَهْ، وابن جَرير، وابن أبي حاتم، والبَغوي(٢). ولفظ التِّرْمِذِي: «**لا تَبيعوا القينات، ولا تَشتروهنَّ، ولا تعلموهنَّ، ولا خير في تجارة فيهن، وثمنهن حرام، في مثل هذا أُنزلت هذه الآية:** ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [لقمان: ٦] **إلىٰ آخر الآية**»(٣).

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٢٦٨) (٢٢٣٦١)، والطيالسي (ص ١٥٤) (١١٣٤)، والطبراني (٨/ ١٩٦) (٧٨٠٣). قال الهيثمي (٥/ ٦٩): «فيه علي بن يزيد، وهو ضعيف». وضعفه الألباني في «المشكاة» (٣٦٥٤).

(٢) أخرجه أحمد (٥/ ٢٦٤) (٢٢٣٣٤)، والحميدي (٩١٠)، والترمذي (١٢٨٢)، وابن ماجه (٢١٦٨)، والطبري (١٨/ ٥٣٢)، وابن أبي حاتم (١٧٥٢٣)، والبغوي (٦/ ٢٨٤).

(٣) أخرجه الترمذي (١٢٨٢)، وحسنه الألباني.

ولفظ الحميدي: «**لا يحل ثَمنُ المُغنية، ولا بيعها، ولا شراؤها، ولا الاستمَاع إليها**»[١].

ولفظ البغوي: «**لا يحل تعليمُ المغنيات، ولا بَيعهنَّ، وأثمانُهنَّ حَرام**»[٢].

وقد رواه عبد الملك بن حَبِيب[٣]، عَن علي بن معبد، عن موسىٰ بن أيمن، عن القاسم بن عبد الرَّحْمن، عن أبي أُمامة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، أن النَّبِي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**إنَّ الله حرَّم تَعليم المغنيات، وشراءهن، وبَيعهن، وأكل أثمانهن**»[٤]. رجاله كلُّهم ثقات سوىٰ عبد الملك بن حَبِيب، ففيه ضعف.

ورواه ابن ماجَهْ من طريق عبيد الله الإفريقي، عن أبي أُمامة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: نهىٰ رَسُول اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ عن بيع المغنيات، وعن شرائهن، وعن كَسْبهن، وعن أكلِ أثمانهن[٥]. وهذه الرِّوايات يشدُّ بعضها بعضًا.

فصل

إذا عُلم ما ذكرنا من الآيات، والأحَادِيث الصَّحِيحة والحسنة في تحريم الغِنَاء وآلات المَلاهي، فليُعلَم أيضًا أنه قد حكىٰ غيرُ واحد من العُلَماء الإجْمَاعَ علىٰ تحريم الغِنَاء، والمَنْع من استماعه، واستماع آلات اللَّهو كلها. وبعضهم أطلق

(١) «مسند الحميدي» (٩١٠).

(٢) «تفسير البغوي» (٦/ ٢٨٤).

(٣) في المطبوع: (عبد الملك بن جيب) وهو تصحيف.

(٤) وأخرجه أيضًا الطبراني (٨/ ٢١٣) (٧٨٧٧).

(٥) أخرجه ابن ماجه (٢١٦٨)، وحسنه الألباني.

الكراهة، والمراد بها كراهة التَّحريم. وأبلغ من ذلك ما نقله صاحبُ «الفروع»[(١)] عن القاضي عياض، أنَّه ذكر الإجْمَاعَ علىٰ كُفْر مُستحِلِّه -يعني الغِنَاءَ- كما ذكر الإجْمَاع علىٰ كُفْر مَن قال بأن القُرآن مخلوق، ولو لم يكن مع القائلين بتَحريم الغِنَاء، وآلات المَلاهي دليلٌ سوىٰ الإجْمَاع علىٰ ذلك لكان كافيًا، فكيف ومعهم من الآيات القرآنية، والأحَادِيث الصَّحِيحة والحسنة ما لا سبيل لمُبطل إلىٰ رَدِّه؟!

قال الحافظ أبو الفَرَج ابنُ الجَوزي رحمه الله تَعالَىٰ: حدَّثَنا هِبَةُ الله بن أحمد الحريري، عن أبي الطَّيب طاهر بن عبد الله الطبري، قال: أجمع علماءُ الأمصار علىٰ كراهية الغِنَاء، والمنع منه، وإنَّما فارق الجماعة إبْراهِيمُ بن سعد، وعبيد الله العنبري، وقد قال رَسُول اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**عليكم بالسَّواد الأعْظَم، فإنَّه مَن شَذَّ شَذَّ في النَّار**»، وقال: «**مَن فارَق الجَمَاعَة مات مِيتةً جاهِلِيَّة**»[(٢)].

وقد ذَكر الحافظُ ابنُ رَجب -رَحِمَه اللهُ تَعالَىٰ- قولَ القاضي أبي الطَّيِّب بنحو ما ذكره ابن الجَوزي، ثم قال: وهذا الخِلاف الَّذي ذكره في حسنه كحسنه، وقبيحه كقبحه. انتهىٰ.

سماع الغِنَاء المُجرَّد:

فأما سماع آلات اللَّهو فلم يحك في تَحريمه خلافًا، وقال: إن استباحتها فُسوق. قال: وإنَّما يكون الشِّعر غناء أن لُحِّن، وصِيغ صيغةً تُورث الطَّرَب، وتُزعج القَلبَ، وتنشر الشَّهوة الطَّبيعية، فأما الشِّعر من غير تلحين؛ فهو كلام، كما قال

---

(١) (١١/ ٣٤٩).

(٢) «تلبيس إبليس» (١/ ٢٠٥).

الشافعي: الشعر كلامٌ حسَنُه حسَن، وقبيحُه قَبيح.

وقال القاضي أبو الطيب أيضًا: وأما العُود، والطنبور، وسائر الملاهي فحرامٌ، ومستمعه فاسق، واتِّباع الجَمَاعَة أولىٰ من اتِّباع رَجُلين مطعونٍ عليهما. قال ابن القيم رحمه الله تَعالَىٰ: يريد بهما إبْراهِيم بن سعد، وعُبيد الله بن الحسن، فإنَّه قال: وما خالف في الغِنَاء إلا رجلان: إبْراهِيم بن سعد، فإنَّ السَّاجي حكىٰ عنه أنَّه كان لا يَرىٰ به بأسًا. والثاني: عبيد الله بن الحسن العنبري قاضي البصرة، وهو مطعون فيه، وقال ابن رجب رحمه الله تَعالَىٰ: أكثر العُلَماء علىٰ تحريم سماع الغِنَاء، وسماع آلات الملاهي كلها، وكل منها محرَّم بانفراده، وقد حكىٰ أبو بكر الآجُرِّيُّ وغيرُه إجْمَاعَ العُلَماء علىٰ ذلك.

وقال ابن رجب أيضًا: وقد حكىٰ زكريا السَّاجي في كِتَابه «اختلافَ العُلَماء» اتِّفاقَ العُلَماء علىٰ النَّهي عن الغِنَاء، إلا إبْراهِيم بن سعد المدني، وعبيد الله بن الحسن العَنبري قاضي البصرة.

قال ابن رجب: وهذا في الغِنَاء دون سماع آلات الملَاهي، فإنَّه لا يُعرف عن أحد ممن سلف الرُّخصة فيه، وإنَّما يُعرف ذلك عن بعض المتأخرين من الظَّاهرية، والصُّوفية ممن لا يُعتدُّ به، ومَن حكىٰ شيئًا من ذلك عن مالك فقد أَبْطَل.

وقال ابن المُنذر: أجمع كلُّ مَن أَحفظ عنه من أَهْل العِلْم علىٰ إبطَال إجارَة النَّائحة، والمُغنية.

وقال النووي في «شرح مسلم»[1]: قال البَغوي من أصْحَابنا، والقاضي

(١) (١٠/ ٢٣١).

عياض: أجمع المسلمون علىٰ تحريم حلوان الكاهن؛ لأنَّه عِوضٌ عن مُحرَّم، ولأنه أكل للمال بالباطل. وكذلك أجمعوا علىٰ تحريم أُجرة المغنية للغناء، والنَّائحة للنوح. وقال أبو عمر ابن عبد البر في «الكافي»[1]: مِن المَكاسب المُجتمع علىٰ تحريمها الرِّبَا، ومُهور البَغايا، والسُّحت، والرِّشَا، وأخذ الأُجرة علىٰ النياحة والغِنَاء، وعلىٰ الكهَانَة، وادِّعاءِ الغيب وأخبار السماء، وعلىٰ الزَّمر، واللعب، والباطل كلِّه.

قلت: ولو كان الغِنَاء والزَّمر جائز لجاز أخذُ الأُجرة عليهما. وقد قرَنها العُلَماء ههنا بالنِّياحة، والكهانة، وادعاء علم الغيب وأخبار السماء، والرِّبا، والزنا، والسحت، والرِّشا، وكل من هذه الأمور مُحرَّم وكبيرةٌ من الكبائر، فكذلك الغِنَاء، والزَّمر، واستعمال آلات الملاهي، فكل منها حرام، وكبيرة من الكبائر. وقد تقدم أن النَّبِي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَرن اللَّهو والمزامير بالنياحة، وقرن استحلال المَعَازِف باستحلال الزنا والخمر، والحريرِ في حق الذُّكور، وهذا يدل علىٰ تحريم الغِنَاء، والمَعَازِف، وفيه ردٌّ لما يَدَّعيه المُبطِلون من حِلِّها، كما تقدم تقرير ذلك، والله أعلم.

وحكىٰ الشَّيْخ أبو محمَّد المَقدسي في «المُغني»، وابن أبي عُمر في «الشَّرح الكبير» الإجْمَاعَ علىٰ أن الطنبور، والمزمار، والشَّبابة من آلة المعصية.

وحكىٰ أبو عمرو ابن الصَّلاح، وغيرُه من العُلَماء الإجْمَاعَ علىٰ تحريم سماع الغِنَاء في هذه الأزمان علىٰ وجهه المُعتاد، وقال: من نَسب إباحته إلىٰ أحد من العُلَماء يجوز الاقتداءُ به في الدِّين فقد أخطأ. نقل ذلك عنه الحافظ ابنُ رَجب رحمه الله تَعالَىٰ.

---

(١) «الكافي في فقه أهل المدينة» (١/ ٤٤٤).

وقال ابن القَيِّم رحمه الله تَعالَىٰ: وقد حكىٰ أبو عمرو ابنُ الصَّلاح الإجْمَاعَ علىٰ تَحريم السَّماع الَّذي جَمع الدُّفَّ، والشَّبابةَ، والغِنَاء، فقَال في «فتاويه»[1]: وأما إباحةُ هذا السَّماع، وتحليلُه فليُعلم أن الدُّفَّ، والشبابة، والغِنَاء إذا اجتمعت فاستماع ذلك حرامٌ عند أئمة المذاهب، وغيرِهم من علماء المسلمين، ولم يثبت عن أحد ممن يُعتدُّ بقوله في الإجْمَاع والاختلاف أنَّه أباحَ هذا السَّماع. والخلاف المَنقول عن بعض أصحاب الشافعي إنَّما نقل في الشبابة منفردة، والدُّف مُنفردًا؛ فمَن لا يُحصِّل، أو لا يتأمَّل ربَّما اعتقد خلافًا بين الشافعيين في هذا السَّماع الجَامع هذه الملاهي، وذلك وَهْم بيِّن من الصَّائر إليه، تُنادي عليه أدلَّةُ الشَّرع والعقل، مع أنَّه ليس كل خِلاف يستروح إِليه، ويُعتمد عليه، ومَن تَتبع ما اختلَف فيه العُلَماء، وأخَذ بالرُّخص من أقاويلهم تَزنْدَق، أو كاد.

قال: وقولهم في السِّماع المَذكور: إنَّه من القُرُبات والطَّاعات قولٌ مُخالف لإجْمَاع المُسلمين، ومَن خالف إجْمَاعَهم فعليه ما في قوله تَعالَىٰ: ﴿**وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا**﴾[النساء: ١١٥].

قال ابن القيم رحمه الله تَعالَىٰ: وأطال الكلامَ في الرَّدِّ علىٰ هاتَين الطائفتين اللَّتين بلاءُ الإسْلَام منهم: المُحلِّلون لما حرَّم اللهُ، والمُتقرِّبون إلىٰ الله بما يُباعدهم منه.

والشَّافعيُّ وقُدماء أصحابه، والعارفون بمذهبه مِن أغلظ النَّاس قولًا في ذلك.

---

(١) «فتاوىٰ ابن الصلاح» (٢/ ٥٠٠).

وقد تواتر عن الشافعي أنَّه قال: خَلفت ببغداد شيئًا أحدثَته الزَّنادقة يُسمُّونه التَّغبير، يَصدُّون به النَّاسَ عن القُرآن. فإذا كان هذا قوله في التَّغبير، وتعليله أنَّه يصدُّ عن القرآن، وهو شِعر يُزهِّد في الدنيا، يُغنِّي به مُغَنٍّ، فيَضرب بعضُ الحاضرين بقضيب علىٰ نِطْع أو مخدَّة علىٰ توقيع غنائه، فليتَ شِعْري! ما يقول في سماع التَّغبير عنده كتفلة في بَحْر قد اشتمل علىٰ كل مَفسدة، وجمع كلَّ مُحرَّم. فاللهُ بَين دينه وبَين كلِّ مُتعلِّم مَفتون وعابدٍ جَاهل.

قال سفيانُ بن عُيينة: كان يقال: احْذَروا فِتنةَ العالم الفاجِر، والعابد الجَاهل، فإنَّ فِتنَتهما فتنةٌ لكُلِّ مَفتون. ومَن تأمَّل الفسادَ الدَّاخلَ علىٰ هذه الأُمَّة وجَده من هذين المَفتونين[١]. انتهىٰ كلام ابن القيم رحمه الله تَعالَىٰ.

وقال القُرطبي في الكلام علىٰ حديث عائِشَة رَضِيَٱللَّهُعَنهَا في قصَّة الجَاريتين المُغنيتين عندها بغناءِ بُعاث: قَولُها: «لَيْسَتَا بمُغنِّيتين لي»: ليستا ممن يَعرف الغِنَاءَ كما يعرفه المغنياتُ المعروفات بذلك، وهذا منها تَحرُّز عن الغِنَاء المُعتاد عند المُشتهرين به، وهو الَّذي يُحرِّك السَّاكن، ويَبعث الكامِنُ، وهذا النَّوع إذا كان فيه شِعر فيه وصف مَحاسِن النِّساء والخَمْر، وغَيرِها من الأمورِ المُحرَّمة لا يختلف في تَحريمه.

قال: وأما ما ابتدعته الصُّوفيَّةُ في ذلك؛ فمِن قَبيل ما لا يُختلف في تحريمه، لكن النُّفوس الشهوانية غلَبت علىٰ كثير ممن ينسب إلىٰ الخير، حتىٰ لقد ظهرت من كثير عنهم فعلات المَجانين، والصِّبيان، حتىٰ رقصوا بحركات متطابقة، وتقطيعات متلاحقة، وانتهىٰ التَّواقح بقوم منهم إلىٰ أن جعلوها من باب القُرَب وصالحِ

---

(١) «إغاثة اللهفان» (١/ ٢٢٩).

الأعمال، وأن ذلك يُثمر سني الأحوال، وهذا علىٰ التحقيق من آثار الزَّندقة، وقول أهل المخرقة. انتهىٰ كلامه.

ونقَلَه عنه ابن حجَر العَسقلاني في «فتح الباري»(١)، قال: وينبغي أن يعكس مرادهم، ويقرأ: سيِّئ. يعني بياء بدل النُّون، وبهمزة بدل الياء. أي: أن الغِنَاء، والاستماع إليه، والرَّقصَ، ونحو ذلك من اللهو، واللعب، واستماع آلات الملاهي إنَّما تُثمر هذه الأمور سيِّئَ الأحوال، لا سينها. وهذا مما لا يَرتاب فيه عاقل.

وقال ابن حجر الهيثمي في كِتَابه: «كف الرَّعاع عن مُحرَّمات اللَّهو والسَّماع»(٢): القسم الثالث عشر: الأَوتار، والمَعَازِف؛ كالطنبور، والعود، والصنج ذي الأوتار، والرباب(٣)، والجنك(٤)، والكمنجة، والسنطير، والدِّرِّيج(٥)، وغير ذلك من الآلات المَشهورة عند أهل اللهو، والسفاهة، والفسوق، وهذه كلها مُحرَّمة بلا خلاف، ومَن حكىٰ فيها خلافًا فقد غَلط، أو غَلب عليه هواه حتىٰ أَصمَّه وأعماه، وزَلَّ به عن سُنن تقواه.

وممن حكىٰ الإجْمَاعَ علىٰ تحريم ذلك كله الإمَامُ أبو العباس القُرطبي، وهو

---

(١) (٢/ ٤٤٢ - ٤٤٣).

(٢) (١/ ١١٨).

(٣) الرباب: السحاب الأبيض، واحدته ربابة، وآلة وتريَّة شعبيَّة ذات وترٍ واحد. «المعجم الوسيط».

(٤) الجنك: الطُّنبُور، وهو آلةٌ من آلات الطَّرب. «المعجم الوسيط»، وقال الزبيدي في «تاج العروس»: الجَنْك: هو آلَةٌ يُضرَبُ بها كالعُودِ.

(٥) الدِّرِّيجُ: شيءٌ يُضرَب به ذو أوتارٍ كالطَّنبور. «العين» للخليل بن أحمد.

الثقة العدل، فإنه قال -كما نقله عنه أئمَّتُنا وأقرُّوه: أما المزامير، والأوتار، والكوبة فلا يُختلف في تَحريم سماعها، ولم أسمع، عن أحد ممن يُعتبر قوله من السَّلف، وأئمَّة الخَلف مَن يُبيح ذلك، وكيف لا يحرم وهو شِعار أهل الخُمور، والفسوق، ومهيج الشهوات، والفساد، والمُجون، وما كان كذلك لم يشكَّ في تحريمه، ولا في تفسيق فاعله وتَأثيمه.

قال الهَيتمِيُّ: وممَّن نَقَل الإجْمَاعَ علىٰ ذلك أيضًا إمامُ أصحابنا المُتأخِّرين أبو الفَتْح سليم بن أيُّوب الرَّازي، فإنَّه قال في «تقريبه» بعد أن أَوْرد حديثًا في تحريم الكُوبَةِ: وفيه حَدِيث آخَر: «**أنَّ اللهَ يَغفِرُ لكُلِّ مُذنبٍ إلا صاحِب عَرْطَبَة، أو كُوبَة**»(١)، والعَرطَبَة العُود، ومع هذا فإنَّه إجْمَاع.

وقال الحافِظ أبو الفَرج ابنُ الجَوزي: أخبرنا محمَّد بن ناصر، أَخبَرَنا عبد الرَّحْمن بن أبي الحُسين بن يوسف، أَخبرنا محمَّد بن علىٰ العبادي، قال: قال أبو عبد الله ابن بَطَّة العُكْبَرِي: سَألني سائلٌ عن استِماع الغِنَاء، فنَهيتُه عن ذلك، وأعْلمتُه أنَّه مما أنكره العُلَماء، واستحسنه السُّفهاءُ، وإنَّما تفعله طائفة سمُّوا بالصُّوفية، وسمَّاهم المُحقِّقون الجَبْرِيَّة، أَهْل هِمَم دَنيَّة، وشَرائع بِدعيَّة، يُظهِرون الزُّهدَ، وكلُّ أَسبابهم ظلمة، يَدَّعون الشَّوقَ والمَحبَّةَ بإسْقاطِ الخَوْف والرَّجَاء. يَسمعونَه مِن الأَحدَاث، والنِّساء، ويطربون، ويصعقون، ويتغاشون، ويتماوتون، ويزعمون أن ذلك من شدَّةِ حُبِّهم لربِّهم، وشَوقهم إلَيه. تَعالَىٰ الله عما يقوله الجَاهلون علوًّا كبيرًا(٢).

---

(١) أورده ابن حجر الهيتمي في كتابه «الزواجر عن اقتراف الكبائر» (٢/ ٣٣٦) غيرَ مسنَد، ولم أقف علىٰ سند له.

(٢) «تلبيس إبليس» (١/ ٢١١).

قلتُ: ما ذكره العُلَماءُ عن الصُّوفية مِنَ استباحةِ الغِنَاء والمَلاهي، ومُخالفة مع تكرُّر ذِكْره من الإجْمَاع علىٰ تَحريم ذلك، فذلك عن جُمهورهم، وأهل الجهل منهم. وأما أهْل العِلْم من أكابرهم فهم موافقون لأهل السُّنَّة والجَمَاعَة في ذَمِّ الغِنَاء، والمَنعِ من استماعِه، واستماع آلاتِ اللَّهو، قال الحارث المُحاسبي: الغِنَاء حرامٌ كالمَيتة.

وروىٰ أبو الفرج ابنُ الجوزي بإسْنَاده إلىٰ أبي القاسم الدمشقي قال: سئل أبو علي الرُّوذبارِيُّ عمَّن يسمع المَلاهي ويقول: هي لي حلال؛ لأني قد وَصلتُ إلىٰ درجة لا يُؤثِّر في اختلاف الأحْوَال. فقَال: نَعم، قد وصَل لَعمْرِي، ولَكن إلىٰ سَقَر[١].

وروىٰ أيضًا بإسْنَاده إلىٰ عبد الله بن صالح قال: قال لي جُنيد: إذا رَأيتَ المُريدَ يَسمع السماعَ فاعلم أن فيه بقايَا من اللَّعب[٢].

وروىٰ أيضًا بإسْنَاده إلىٰ أحمدَ بن محمَّد البردعي قال: سمعتُ أبا الحُسين النُّوري يقول لأصْحَابه: إذا رأيتَ المُريدَ يسمع القصائدَ، ويميلُ إلىٰ الرَّفاهية؛ فلا تَرْجُ خَيرَه[٣].

وروىٰ أيضًا بإسْنَاده إلىٰ أبي سَعيد الخرَّاز قال: ذُكر عند محمَّد بن منصور أصحابُ القَصائد، فقَال: هؤلاء الفرَّارون من الله عَزَّوَجَلَّ، لو ناصحوا اللهَ ورسولَه، وصَدقُوه؛ لأَفادَهم في سرائرهم ما يشغلهم عن كثرة التَّلاقي[٤].

---

(١) «تلبيس إبليس» (١/ ٢١٨).

(٢) «تلبيس إبليس» (١/ ٢٢٠).

(٣) «تلبيس إبليس» (١/ ٢٢٠).

(٤) «تلبيس إبليس» (١/ ٢١١).

وقال أبو عُبيد الله محمَّد بن خفيف في كِتَابه الَّذي سمَّاه «اعتقاد التوحيد»: ونقول: إن المُستمِعَ إلىٰ الغِنَاء والملاهي، فإن ذلك كما قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**الغِنَاء يُنبتُ النِّفَاقَ في القَلْب**»[1]، وإن لم يكفر؛ فهو فِسْق لا محالةَ. انتهىٰ كلامه، وقد نقلَه عنه شيخ الإسْلَام أبو العباس ابنُ تيميَّة -رَحِمَه اللهُ تَعالَىٰ- في «الرِّسالة الحَمويَّة»[2] وأَقرَّهُ.

وممَّا ذكرنا في هذا الوجه من الآياتِ والأحَادِيث، وإجْمَاع السلف علىٰ تَحريم الغِنَاء، وآلاتِ الملاهي؛ يَعلم كلُّ عاقل مُنْصِف أن مُفتي المجَلَّة قد تَهَوَّر في عُنوانِه الخَاطِئ الَّذي لم يَقُلْه عن عَقْل وعِلْم؛ لأنَّه قد سبَّ فيه النَّبِيَّ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابَه والتَّابعين وتابعيهم بإِحسانٍ، وهو لا يَشعُر.

ويَعلم أيضًا أن مُفتي المجَلَّة لا ينفكُّ من أحد أمرين: أما شدة الغباوة وكثافة الجهل، حيث أفتىٰ بحِلِّ ما دلَّ الكِتَابُ، والسُّنَّةُ، والإجْمَاعُ علىٰ تَحريمِه. وإِما العناد والمُكابرة في مُعارَضة الحقِّ الوَاضِح.

الوجه الثالث: أن الأحَادِيث النبويَّة، والحوادث التَّاريخية التي ذكرها مفتي المجَلَّة لا تَنقض ما ذكرنا من الأحَادِيث، ولا تعارضها؛ لأن ما ذكر فيها كله من النوع الجَائز لا من المُحرَّم، كما سيأتي بيانه إنْ شاء اللهُ تَعالَىٰ. ولا يَقول بأن المَرويَّ عن نساء الصَّحابة يعارض ما ذكرنا من الأحَادِيث إلا جاهلٌ لا يَعرف الفرقَ بين الجَائز والمُحرَّم.

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٩٢٧) من حديث ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وضعفه الألباني.

(٢) (١/ ٤٧٥).

الوجه الرَّابع: أن الأحَادِيث التي ذكرنا قد دلَّت علىٰ تحريم الغِنَاء، وآلاتِ الملاهي علىٰ الاطلاق، وليس فيها تقييد بذِكر الخمر، والفسوق، والفجور، فما ذكره مفتي المجَلَّة من التَّقييد لا أصل له. وكذلك ما ذكَرَه من اتِّفاق أكثر الفقهاء علىٰ ذلك لا أصل له، وإنَّما أتىٰ به مُفتي المجَلَّة مِن كِيسِه.

والصَّواب الَّذي تدل عليه الآياتُ والأحَادِيثُ التي ذكرنا: أن الغِنَاء محرَّم لذاتِه، سواء ذُكر فيه الخمر، والفسوق، والفجور، أو لم يذكر. وإذَا ذكر فيه الخمر، والفسوق، والفجور فذلك زيادة شَرٍّ إلىٰ شرٍّ، فيكون أعظَم لتَحريمه.

الوجه الخامس: أن المأفون في الحقيقة هو مَن تَهَجَّم علىٰ الفتوىٰ بالجَهل، وأضلَّ النَّاسَ بغَير عِلْم، ورمىٰ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابَه والتَّابعين والأئمَّة والفُقهاءَ بما هو أولىٰ به هو وأشباهُه من الجَهَلة المُتهوِّرين. وأفتىٰ بحلِّ ما حرَّمه اللهُ ورسولُه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من التَّصوير، والغِنَاء، وآلاتِ المَلاهي، وزعم أن القولَ بتحريمها جهلٌ وتَزَمُّت. فهذا هو المَأفون؛ شاء أم أبىٰ.

فصل

وأما قوله: «ولا يَجرؤ أحدٌ علىٰ أن يقول: إن حفلات كحفلات السيدة أم كُلثوم، أو الموسيقار محمَّد عبد الوهاب، وأمثالهما من المُطربين، والمطربات المحتشمات؛ تَمُتُّ إلىٰ شَيء من هذه المحرمات».

فجوابه: أن يقال: قد اشتهر عند النَّاس حِذْقُ أم كلثوم، ومحمَّد عبد الوهاب في مَعرفة الغِنَاء. والغِنَاء حرامٌ لا يَفعله إلا فاسِق. وقد تقدَّمت الأدِلَّة علىٰ تَحريمه، وسواء كان مِن رَجُل أو امرأة، وسواء كانت المَرأة مُحتشمة أو غير مُحتشمة.

والاستماع إلىٰ الغِنَاء حرام، كما تقدم النَّصُّ علىٰ ذلك في حديث أبي أُمامة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ. وسَماعه من المرأة الأجنبية أشدُّ تَحريمًا.

قال أبو الطَّيِّب الطَّبَري: وأما سماعه من المرأة التي ليست بحرم له، فإن أصحاب الشافعي قالوا: لا يجوز بحالٍ، سواء كانت مكشوفة، أو من وراء حجاب، وسواء كانت حرَّة، أو مملوكة. وقال ابن عقيل وغيره من أكابر الحنابلة: إن كان المغنِّي امرأة أجنبية فإنَّه يحرم الاستماعُ إليها بلا خلاف بين الحنابلة.

وقد صرح ابن حزم -وهو من المَفتونين بالغِنَاء - بأنه يَحرُم علىٰ المُسلم الالتذاذ بسَماع نَغَمة المَرأة الأجنبية(١).

ومِن المَعلوم أن ما يُنشر في الإذاعات الآن من الأغاني التي تستنفر؛ لتَستفز العقول، وتفسد القلوب، وتدعو إلىٰ الفجور، فغالبُه من غناء النِّساء الأجنبيات المَفتونات الفاتنات للرِّجال والنساء بأصواتهن ونغماتهن المُطربة. فالاستماع إِليهنَّ، والالتذاذ بسماع نغماتهن حرامٌ بلا خلاف. ولا يستمع إليهنَّ، ويلتذُّ بسماع نغماتهن إلا فاسق، أو جاهلٌ بتحريم الغِنَاء.

وكذلك الاستماع إلىٰ آلات اللَّهو كلها، وقد ذكر ابن القيم -رَحِمَه الله تَعالَىٰ- عن أصحاب أبي حنيفة أنهم صرَّحوا بتحريم سماع الملاهي كلها، وصرحوا بأنه معصية يوجب الفسق، وتُردُّ به الشَّهادة. وأبلغ من ذلك أنهم قالوا: إن السماع فِسق، والتلذذ به كفر(٢). انتهىٰ.

---

(١) انظر: «طوق الحمامة» لابن حزم (٢٧١).

(٢) انظر: «إغاثة اللهفان» (١/ ٢٢٧).

وقال الإمَام أحمد رحمه الله تَعالَىٰ: حدَّثَنا إسحاقُ بن عيسىٰ الطباع قال: سألتُ مالك بن أنس عما يَترخص فيه أهل المدينة من الغِنَاء، فقَال: إنَّما يفعله عندنا الفُسَّاق[1]. قال الحافظ ابنُ رَجب: وكذا قال إبْراهِيم بن المُنذر الحزامي، وهو من علماء أهل المدينة المعتبَرِين.

وقد تقدَّم في الفصل الَّذي قبل هذا ما صرح به غير واحد من تفسيق المغنين، ومَن يستمع إلىٰ الغِنَاء وآلات المَلاهي.

والدليل علىٰ فسق المغنين ومَن يستمع إليهم وإلىٰ آلات الملاهي: أن النَّبِي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نهىٰ عن الغِنَاء والمزامير، وشدَّد في ذلك، ومن ارتكب ما نهىٰ عنه الرَّسُول صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فهو فاسق، وإنَّما سُمِّي فاسقًا لخروجه عن الطاعة. وقد قال تعالَىٰ: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾ [النور: ٥٤]، وقال تَعالَىٰ: ﴿مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠]، وقال تعالَىٰ: ﴿وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦]، وقال تَعالَىٰ: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الحشر: ٧]، وقال تعالَىٰ: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

وأيضًا؛ فإن النَّبِي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سمىٰ صوتَ الغِنَاء والمزامير الصَّوتَ الأَحمق الفاجِر، وأخبر أنَّه صوت مَلعون في الدنيا والآخرة. وما كان كذلك فلا يفعله إلا فاسق، ولا يَستمع إليه إلا فاسق، أو جاهل بتحريم الغِنَاء.

وأيضًا؛ فإن النَّبِي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قرن الغِنَاءَ والمزامير بالنياحة، وقرن استحلالَ

---

(١) رواه ابن الجوزي في «تلبيس إبليس» (٢٠٤).

المَعَازِف باستحلال الزنا، والخمر، ولبس الحرير في حقِّ الذكور. وهذه الأشياء كلها من الكبائر، ولا يفعلها إلا فاسق، فكذلك الغِنَاء، واستعمال آلات الملاهي؛ لأنها قد قُرنت بهذه الكبائر، فهي كبائر مثلها. وفاعل ذلك فاسق، والمستمع إليه فاسق.

وإذا عُلم هذا فلا يَجبُن عن تفسيق أمِّ كُلثوم، ومحمَّد عبد الوهاب، وأمثالهما من المُغنين والمغنيات إلا جاهِلٌ غَبِي، أو مُداهِن مَفتُون.

وكذلك لا يَجبُن أن يقول في غناء أم كلثوم، ومحمَّد عبد الوهاب، وأمثالهما من المغنين والمغنيات: إنَّه حرامٌ؛ إلا جاهلٌ غَبي، أو مداهن مفتون.

وأما وصْف مفتي المجَلَّة لأمِّ كلثوم بالسيدة؛ فهو خطأ، وارتكاب لمَا نهىٰ عنه الرَّسُول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كما في حديث بريدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا تَقولُوا للمُنافق: سيِّدنا، فإنَّه أن يَكُ سَيِّدًا فقد أسخطتم ربَّكم عَزَّوَجَلَّ**»، رواه أبو داود، والنَّسائي، والبُخارِي في «الأدب المفرد»، والحاكم وصحَّحه، والبيهقي في «شعب الإيمَان»[(١)]. ولفظ الحاكم: «**إذا قال الرَّجل للمنافق: يا سيِّد؛ فقد أغضَب ربَّه تبَارَكَ وَتَعَالَىٰ**»[(٢)].

ولفظ البيهقي: «**إذا قال الرَّجل للمنافق: يا سيد؛ فقد باء بِغَضَبِ ربِّه**»[(٣)].

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٣٤٦) (٢٢٩٨٩)، وأبو داود (٤٩٧٧)، والنسائي (١٠٠٧٣)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٤٨٨٣)، والبخاري في «الأدب المفرد» (١/ ٢٦٧) (٧٦٠)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٣٧١).

(٢) أخرجه الحاكم (٤/ ٣٤٧) (٧٨٦٥).

(٣) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٤٨٨٣).

وروىٰ ابن أبي الدنيا، وأبو يعلىٰ، والبيهقي في «شعب الإيمَان»، عن أنس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قال: قال رَسُول اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**إذا مُدح الفاسق غَضِب الرَّبُّ، واهتَزَّ لذلك العرش**»(١).

وقد رَأينا صورةَ أمِّ كُلثوم في بعض المجلَّات المصرية وهي سافِرَة مُتبرِّجة متشبهة بنساء الإفرنج، ومُطابقة لزِيِّهن غايةَ المُطابقة. ومَن كانت كذلك فأقلُّ الأحوال أن يقال: إنَّها فاسِقَة مُنافقة؛ لتَشبُّهِها بنساء أعداء الله تَعالَىٰ، وارتكابها لمَا نَهىٰ اللهُ ورسولُه عنه من التَّبَرُّج.

وقد رَوىٰ أبو نعيم في «الحِلْيَة»(٢)، عن عبد الله بن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، عن النَّبِي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أنَّه قال: «**المُختَلعاتُ والمُتبرِّجات هنَّ المُنافقات**».

وروىٰ أبو يعلىٰ، عن أبي هُرَيرةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، عن النَّبِي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ مثلَه(٣).

وروىٰ البيهقي في «سُننه»(٤)، عن ابن أبي أذنية الصَّدفي؛ مُرسلًا، وعن سليمان بن يسار؛ مُرسلًا: «**شَرُّ نِسائكم المُتبرِّجات المُتخيِّلات، وهن المُنافقات، لا يدخل الجنَّةَ منهن إلا مثل الغُراب الأعْصَم**».

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «ذم الغيبة» (ص ١٤٩) (٩١)، وأبو يعلىٰ في «معجمه» (١/ ١٥٦) (١٧١)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٤/ ٢٣٠) (٤٨٨٦)، وقال الألباني في «الضعيفة» (٥٩٥): منكر.

(٢) (٨/ ٣٧٥)، وضعفه الألباني في «ضعيف الجامع» (٥٩١٧).

(٣) «مسند أبي يعلىٰ» (١١/ ١١٠) (٦٢٣٧).

(٤) (٧/ ١٣١) (١٣٤٧٨). و«المتخيلات»: المعجبات، المتكبرات. و«الأعصم»: الأبيض الجناحين أو الرجلين.

وروى الإمَام أحمد، وأبو داود، وغيرهما، عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أن النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَن تَشبَّه بقوم فهو منهم**»(١) صححه ابنُ حبان. وقال شيخ الإسْلَام أبو العباس ابن تيميَّة: إسْنَاده جيد. وقال ابن حجر العسقلاني: إسْنَاده حسن. وقد احتج الإمَام أحمد بهذا الحديث، وذلك يقتضي صحَّته عنده.

قال شيخ الإسْلَام أبو العبَّاس ابن تيميَّة رحمه الله تَعالَىٰ: وهذا الحديث أقلُّ أحواله أنَّه يَقتضي تَحريم التَّشبُّه بهم، وإن كان ظاهره يَقتضي كفرَ المتشبِّه بهم، كما في قوله: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٥١]، انتهىٰ.

وفي «جامع التِّرْمِذِي»(٢)، عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أن رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**ليس مِنَّا مَن تَشبَّه بغيرنا، لا تشبَّهوا باليهود، ولا بالنَّصارىٰ**».

وروىٰ الإمَام أحمد، ومسلم، عن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**صِنفان من أهل النَّار لم أَرَهُما: قومٌ معهم سِياط كأذناب البقَر يضربون بها النَّاس، ونساءٌ كاسِيات عارياتٌ مُميلات مائلات رُءوسهنَّ كأسنمة البُخت المائلة، لا يدخلن الجنَّةَ، ولا يَجِدْن رِيحَهَا، وإنَّ رِيحَها ليوجد من مَسيرةِ كذا وكذا**»(٣).

وروىٰ الإمَام أحمد أيضًا، وابن حبَّان في «صحيحه»، عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: سمعتُ رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**سيكونُ في آخر أمَّتي رجالٌ**

(١) تقدم تخريجه.

(٢) (٢٦٩٥)، وحسنه الألباني.

(٣) أخرجه أحمد (٢/ ٣٥٥) (٨٦٥٠)، ومسلم (٢١٢٨).

يَركبون علىٰ سُروج كأشباه الرِّحال، يَنزلون علىٰ أبواب المَساجد، نساؤهم كاسيات عاريات علىٰ رءوسهم كأسْنِمة البُخْت العجاف، الْعَنُوهُنَّ فإنَّهن مَلعونات، لو كان وراءكم أمَّة من الأمم لخَدمن نساؤكم نساءَهم كما يَخدمنكم نساء الأمم قبلكم»، ورواه الطبراني، والحاكم في «مستدركه» بنحوه(١)، وقال الحاكم: صحيح علىٰ شرط الشَّيْخين، ولم يخرجاه.

وصورة أم كلثوم مُطابقة كلَّ المُطابقَة لما أخبر به رَسُول اللهِ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حديث أبي هُرَيرةَ، وحديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ. ومن كانت من الصِّنف المذموم فلا يجوز أن يقال: إنَّها سَيِّدة.

فصل

وأما قوله: «رُوي عن النَّبِي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثمَّ عن كثير من الصَّحابة، والتَّابعين، والأئمة، والفُقهاء الأجلاء -وهم أجَلُّ وأكثر وَرَعًا من فقهاء هذا الزمان- أنَّهم كانوا يَستمعون إلىٰ الغِنَاء والمُوسِيقىٰ، ويَحضرون مجالِسَهُما البَريئة من المُحرَّم والمُجُون».

فجوابه: أن يقال: هذا كَذِب علىٰ النَّبِي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعلىٰ الصَّحابة، والتَّابعين، والأئمَّة، والفُقهاء الأجِلَّاء. فما كان أحد منهم يَستمع إلىٰ الغِنَاء المُحرَّم

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٢٢٣) (٧٠٨٣)، وابن حبان (١٣/ ٦٤) (٥٧٥٣)، والطبراني في «الأوسط» (٩/ ١٣١) (٩٣٣١)، وفي «الصغير» (٢/ ٢٥٧) (١١٢٥)، قال الهيثمي (٥/ ١٣٧): رجال أحمد رجال الصحيح. والحاكم (٤/ ٤٨٣) (٨٣٤٦) وقال: صحيح علىٰ شرط الشيخين، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٢٦٨٣).

والمُوسِيقىٰ، ولا يَحضر مجالسهما.

وقد تقدمت الأحَادِيثُ عن النَّبِي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في ذَمِّ الغِنَاء والمَعَازِف، وتحريمها. والمُوسِيقىٰ من أخبث المَعَازِف.

وتقدم أيضًا ما حكاه غير واحد من الإجْمَاع علىٰ تحريم الغِنَاء وآلات الملاهي، فليراجع ما تقدَّم، ففيه رَدٌّ لِمَا افتراه مفتي المجَلَّة علىٰ النَّبِي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وعلىٰ الصحابة، والتَّابعين، والأئمَّة، والفقهاء الأجِلَّاء.

وقد جاء في ذم الغِنَاء، وآلات الملاهي آثارٌ كَثيرة عن الصحابة، والتَّابعين، وتابعيهم، وعن الأئمَّة الأربعة، وغيرهم من أكابر العُلَماء. وقد ذكرتُها مستقصاة في كِتَابي «فصل الخطاب في الرد علىٰ أبي تراب»؛ فلتراجع، ففيها ردٌّ لما افتراه مفتي مجلة (العَربي) عليهم.

ويقال أيضًا: قد ثبت عن النَّبِي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أنه سَدَّ أُذنيه لما سمع زمارة الرَّاعي. رواه الإمَام أحمد، وأبو داود، وغيرهما بأسانيد صحيحة من حديث ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا. وهذا يدل علىٰ شدة إنْكاره صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ للمزامير. وما هو أعظم منها من المُوسِيقىٰ، وأنواع المَعَازِف، والمزامير التي يستعملها أهل هذه الأزمان؛ فهو أولىٰ بالإنكار والتشديد.

وفي هذا الحديث ردٌّ لما افتراه مفتي مجلة (العربي) علىٰ النَّبِي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

وأيضًا؛ فقد ثبت عن النَّبِي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أنَّه نهىٰ عن الغِنَاء، وسمىٰ المزمارَ الصوتَ الأحمق الفاجر، وقرنه بالنياحة، وأخبر أنَّه صوت ملعون في الدنيا والآخرة. وأخبر أيضًا أن أقوامًا مِن أُمَّته يستحلون المَعَازِفَ، وأن الله يخسف بهم الأرضَ،

ويجعل منهم القردةَ والخنازير. وقرن استحلالَها باستحلال الزنا، والخمر، ولبس الحرير للرجال. وهذا يدل علىٰ التشديد في الغِنَاء والمُوسِيقىٰ، وغيرها من المَعَازِف. وفي ذلك رَدٌّ لما افتراه مفتي مجلَّة (العربي) علىٰ النَّبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ.

وأما قوله: «ويحضرون مجالسهما البريئة من المحرَّم والمجون».

فجوابه: أن يقال: قد ثبت تحريم الغِنَاء، وآلات الملاهي في عدة آيات من القرآن، وفي أحَادِيث عن النَّبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، وقد تقدم ذكرها. والمُوسِيقىٰ من أخبث الملاهي. وما ثبت تحريمه بالكِتَاب والسُّنَّة لا يقال: إنَّه بريء من المُحرَّم.

ومَن زعم أن مجالس الغِنَاء والمُوسِيقىٰ بريئةٌ من المُحرَّم؛ فهو محادٌّ لله تَعالَىٰ، ولرسوله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ؛ شاء أم أبىٰ.

فصل

وأما قوله: «وروي أنَّه صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ سمع بعضَ الجواري يغنين، ويضربن بالدُّف في عُرس الرُّبيع بنت مُعوِّذ، فلما سمع إحداهن تقول: «وفينا نبي يعلم ما في غد» لم يرضه هذا المديح المسرف الَّذي لا يليق إلا بالذَّات الإلهية، فما زاد علىٰ أن قال للمغنية في هدوء: «دَعي هذه الإسراف في المديح، وقولي بالَّذي تقولين».

وعنه أيضًا أنَّه أبصر نسوة وصبيانًا مُقبلين من عُرس فيه غناء، فقَال لهم في سرور وغبطة: «اللهم أنتم من أحب النَّاس إليَّ».

وروىٰ البُخارِي: أن أبا بكر دخل علىٰ عائِشَة، وبين يديها مغنيتان تغنيان، وتلعبان بالدُّف في يوم العيد، وعلىٰ مقربة منهما رَسُول اللهِ يستمع، فانتهر أبو بكر

عائِشَة غاضبًا، فقَال له الرَّسُول: دعها يا أبا بكر، فإن لكل قوم عيدًا، وهذا عيدنا.

وكانت لَفتة جميلة منه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم زوَّجت عائِشَة فتاةً يتيمة كانت تربيها، فرافقتها إلىٰ بيت عريسها يوم زفافها، فلما عادت سألها الرَّسُول: «**أهديتم الفتاة إلىٰ بعلها؟**» قالت: نعم، قال: «**أبعثتم معها من يغنِّي؟**» قالت: لا، قال: «**أوَمَا علمتِ أن الأنصار قوم يعجبهم الغزل؟ ألا بعثتم معها من يقول:**

أتينـــــاكم أتينـــــاكم ... فحيونـــــا نحيـــــيكم»[١]

إلىٰ آخر الأبيات الواردة في كتب السيرة.

وعلىٰ الرغم من أن النَّبِي أبطل كثيرًا من عادات الجَاهلية وتقاليدها، فإنه أبقىٰ علىٰ حفلات الزفاف، بل دعا إليها، وحض عليها، فقَال: «**أعْلِنوا النِّكاح، واضربوا عليه بالدُّف**». رواه ابن حنبل[٢].

كما قال: «**فصل ما بين الحَلال والحرام الدُّفُّ والصَّوت**»[٣] يريد بالدُّف المُوسِيقىٰ، وبالصوت الغِنَاء. ويوم هاجر صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلىٰ المَدينة خرج نساؤها وجواريها -فضلًا عن رجالها- لاستقباله في الطُّرُقات، وفوق السُّطوح، وهن يغنين الأنشودة الخالدة التي مطلعها:

طَلَـــعَ البَـــدرُ علينـــا ... مِـــن ثَنِيَّـــاتِ الـــوَداع
وجَـــبَ الشُّـــكرُ عَلينـــا ... مـــا دعـــا لله دَاع

---

(١) تقدم.

(٢) تقدم.

(٣) تقدم.

أيُّهـــا المبعـــوثُ فِينـــا جئـــتَ بـــالأمرِ المُطـــاع
جئـــتَ شـــرَّفت المدينَـــة مَرحبًـــا يـــا خيـــرَ دَاع

وقد استمع -صلواتُ الله عليه- إلىٰ كعب بن زُهير وهو ينشده قَصيدتَه:

ومـا سُـعاد غَـداة البَين إذ رَحلـوا إِلا أغن غَضيض الطَّرف مَكحول
تجلو عَوارض ذي ظلم إذا ابتسمت كأنــه منهـل بــالرَّاح معلــول

كما استمع إلىٰ حسَّان بن ثابت وهو ينشده قصيدتَه التي مَطلعها:

تبلــت فــؤادك في المَنــام خريــدة تســقي الضَّــجيع ببــارد بسَّــام

ولم تقل كُتبُ السيرة: إنه اعترض علىٰ هذا الشِّعر وما فيه من غزل وتشبيب.

فجَوابُه من وجوه:

أحدها: أنَّه ليس في شيء من هذه الأحَادِيث التي ذكرها ما يدلُّ علىٰ حِلِّ المُوسِيقىٰ والأغاني التي يستعملها أهل الإذاعات والتَّسجيل، وغيرهم من المَفتونين بمزامير الشيطان، وإنَّما فيها الدَّلالة علىٰ جَواز إنشَاد الأشعار، والاستماع إِليها، وجواز رفع الصَّوت، وموالاته، وضَرب الجواري بالدُّفوف في أيام الأفراح كالأعياد والأعراس.

يوضح ذلك الوجه الثاني: وهو أن الغِنَاء يُطلَق علىٰ خمسة أنواع، أربعة منها جائزة، والخامس محرَّم.

فالأول: رفع الصوت.

قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري»(١): الغِنَاء يطلق علىٰ رفع الصوت.

---

(١) (٢/ ٤٤٢).

قلتُ: وهذا أحد الوجوه التي فسر بها قول النَّبِي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: **«ما أَذِن اللهُ لشيء ما أذِن لنبي حسَن الصَّوت يتغنَّىٰ بالقُرآن يَجهَر به»** متَّفق عليه من حديث أبي هُرَيرةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ[١].

قال الخطابي: «يجهر به»، زعم بعضهم أنَّه تَفسير لقوله: «يتغنىٰ به»، قال: وكل مَن رفع صوته بشيء مُعلنًا به فقد تغنَّىٰ به.

وقال أبو عاصم: أخذ بيدي ابنُ جُريج فوقفني علىٰ أشعب، فقَال: غنِّ ابن أخي ما بلغ من طمعك، فقَال: بلغ من طمعي أنَّه ما زُفَّت بالمدينة جارية إلا رششت بأبي طمعًا أن تهدىٰ إليَّ. يريد أخبره مُعلنًا به غير مُسِرٍّ. انتهىٰ.

وذكر ابن منظور في «لسان العرب»[٢] عن الأصمعي أنَّه قال: كل من رفع صوته ووالاه فصَوته عند العرب غناء. وكذا قال ابن الأثير في «النهاية»[٣].

النوع الثاني: النَّصْب: بفتح النون، وسكون الصاد المهملة، وهو التَّرنُّم.

النوع الثالث: الحداء.

قال الحافظ ابنُ حجر في «فتح الباري»[٤]: ولا يسمىٰ فاعلُه -يعني النَّصْبَ، والحِداءَ- مُغنِّيًا، وإنَّما يسمىٰ بذلك من يُنشد بتَمطيط، وتكسير، وتهييج، وتشويق بما فيه تَعريض بالفواحش، أو تصريح.

---

(١) أخرجه البخاري (٧٥٤٤)، ومسلم (٧٩٢).

(٢) (١٥/ ١٣٦).

(٣) (٣/ ٣٩١).

(٤) (٢/ ٤٤٢).

النوع الرَّابع: إنشاد الأشعار.

وقد روىٰ الزُّبير بن بكَّار من طريق زيد بن أسلم، عن أبيه، أن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال للحُطَيْئة: كأني بكَ عند شابٍّ من قريش قد كسَر لك نمرقة، وبسط لك أخرىٰ، وقال: يا حطيئة، غَنِّنَا، فاندفعتَ تُغنيه بأعراض النَّاس. قال أسلمُ: فرأيت الحُطيئة بعد ذلك عند عبيد الله بن عُمر، وقد كسر له نمرقة، وبسط له أخرىٰ، وقال: يا حطيئة غنِّنا، فاندفع حطيئة يغني، فقلت له: يا حطيئة، أتَذكُر يوم عُمر حين قال لك ما قال؟ ففزع، وقال: رَحِم اللهُ ذلك المَرءَ، ولو كان حيًّا ما فعلنا هذا، فقلت لعُبيد الله: إني سمعتُ أباك يقول كذا وكذا، فكنت أنت ذلك الرَّجُل.

النَّوع الخامس: ما يكون فيه تمطيط، وتكسير، وتلحين، وتطريب، وهذا هو الغِنَاء المُحرَّم، وهو الصوت الأحمق الفاجر المَلعون في الدنيا والآخرة. وهذا النوع هو المعروف عند أهل الغِنَاء في زماننا، بحيث لا يطلقون اسم الغِنَاء علىٰ غيره، وهو الَّذي يستعمله أهل الإذاعات والتسجيل، وغيرهم من المفتونين بصوت الشيطان، ومزاميره. ومَن قاس هذا النوع الملعون علىٰ الأنواع الجَائزة، واستدل علىٰ جوازه بجوازها فقد أبعد النجْعَة، ونادىٰ علىٰ كثافة جَهله، وهو كمَن قاس المَيتة علىٰ المُذكَّاة، والربا علىٰ البيع، والتحليل الملعون فاعلُه علىٰ النكاح الصَّحِيح، وشراب الخمر علىٰ الأشربة المباحة، وغير ذلك من الأقيسة الفاسدة التي يستعملها مَن قلَّ نصيبُه من العِلم والإيمان.

الوجه الثالث: أن النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إنَّما رخَّص في الغِنَاء للنساء خاصَّة في أيام الأفراح كالأعياد والأعراس، لا مطلقًا، كما دلَّ علىٰ ذلك حديث الرُّبيع بنت معوذ، وأحَادِيث عائِشَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، ولم يُرخِّص فيه للرِّجال بحالٍ.

قال شيخُ الإسلام أبو العبَّاس ابنُ تيميَّة رحمه الله تَعالَىٰ: أما مَن يَصلح له اللعب فيرخَّص له في الأعياد، كما كانت الجَاريتان تُغنيان، والنَّبِيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ يسمع. فمن استدل بجواز الغِنَاء للصِّغار في يوم العيد علىٰ أنَّه مباح للكبار من الرجال والنساء علىٰ الإطلاق؛ فهو مُخطئ[1]. انتهىٰ.

وقد روىٰ أبو نعيم في «الحلية»[2] من حديث الربيع بن خيثم، عن عبد الله بن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ، أن النَّبِي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ سمع رجلًا يتغنَّىٰ من اللَّيل، فقَال: «**لا صلاةَ له حتىٰ يُصلِّي مثلها**» ثلاث مرات.

وهذا الحديث يدل علىٰ التشديد علىٰ الرجال في الغِنَاء، ويدل علىٰ ذلك أيضًا: ما رواه ابنُ أبي الدنيا من طريق يحيىٰ بن سعيد، عن عبيد الله بن عمر، قال: حدثني نافع، أن ابنَ عُمر رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا مرَّ علىٰ قَوم مُحرمين، وفيهم رَجُل يتغنَّىٰ، فقَال: ألا لا سَمِع اللهُ لكم، ألا لا سمع الله لكم[3].

الوجه الرَّابع: أن الغِنَاء الَّذي وردت الرُّخصة فيه للنساء في أيام الأفراح نوعان:

أحدهما: مجرد إنشاد الأشعار مع الضرب بالدفوف من غير تلحين، ولا تطريب في الإنشاد، ولا تأنُّق في الضَّرب بالدُّفوف؛ لما في «الصَّحِيحين»، وغيرهما، عن عائِشَة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا قالت: دخل أبو بكر وعندي جاريتان من جواري الأنصار تغنيان بما تقاولت الأنصارُ يوم بُعاث، قالت: وليستا بمغنيتين، فقَال أبو بكر: أمزامير

---

(١) «مختصر الفتاوىٰ المصرية» (١/ ٣٥٣).

(٢) (٢/ ١١٨)، وفي إسناده سعيد بن سنان الحنفي، وهو متهم بالوضع.

(٣) «ذم الملاهي» لابن أبي الدنيا (١/ ٤٨) (٤٢).

الشيطان في بيت رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟! وذلك في يوم عِيد، فقَال رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يا أبا بكر، أن لكلِّ قَوم عيدًا، وهذا عيدُنا**»(١).

وفي رِوَايَة في «الصَّحِيحين» عنها رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: دخل رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعندي جاريتان تغنيان بغِناء بعاث، فاضطجع علىٰ الفِراش، وحوَّل وجهَه، وجاء أبو بكر فانتهرني، وقال: مزمار الشيطان عند رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟! فأقبل عليه رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقَال: «**دَعْهُمَا**»، فلما غفل غمزتهما فخَرجتا(٢).

وفي رِوَايَة لهما عنها رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، أن أبا بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ دخل عليها وعندها جاريتان في أيام مِنًىٰ تُغنيان وتضربان، ورسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُسجىً بثوبه، فانتهرهما أبو بكر، فكشف رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عنه، وقال: «**دَعهُما يا أبا بكر، فإنَّها أيَّام عِيد**»(٣).

فلم ينكر رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ أبي بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ تَسميَةَ الغِنَاء مزامير الشيطان، وأقر الجَاريتين معلِّلًا تركهما بأنها أيام عيد.

وإذَا كان الغِنَاء بأشعار الشجاعة والحروب من مزامير الشيطان، فكيف بأشعار الخَلاعة والمُجون التي هي غالب بضاعة أهل الإذاعات، وأكبر مقاصد الأكثرين من المتخذين للرَّاديو، وجميع المتخذين للبكمات؟!

وإذَا كان أبو بكر الصديق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قد أنكر الغِنَاءَ بأشعار الشجاعة والحروب

---

(١) أخرجه البخاري (٩٥٢)، ومسلم (٨٩٢).

(٢) أخرجه البخاري (٩٤٩)، ومسلم (٨٩٢).

(٣) أخرجه البخاري (٣٥٢٩)، ومسلم (٨٩٢).

من جاريتين ليستا بمغنتين، فكيف لو سمع ما يُذاع الآن في البلاد الإسلامية، فضلًا عن غيرها من البلاد؟!

وقد صرَّحت عائِشَة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا بأن الجَاريتين ليستا بمُغنيتين، فبطل ما يتعلق به المفتونون بمزامير الشيطان من حديثها.

قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري»[1] **علىٰ قولها:** (وليستا بمغنيتين)، فنَفَت عنهما من طريق المعنىٰ ما أثبتته لهما باللَّفظ؛ لأن الغِنَاء يُطلق علىٰ رَفْع الصَّوت.

قلت: ويطلق الغِنَاء أيضًا علىٰ إنشاد الشِّعر، وقد تقدَّم قولُ عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ للحُطيئة: كأني بك عند شاب من قريش قد كسَر لك نمرقة، وبسط لك أخرىٰ، وقال: يا حطيئة، غنِّنا، فاندفعت تغنيه بأعراض النَّاس... إلىٰ آخر القصة.

وقد جزم الحافظ أبو الفرج ابن الجوزي، والحافظ أبو موسىٰ المَديني، وغيرهما من أكابر العُلَماء، أن غناء الجَاريتين عند عائِشَة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا كان مجرَّد إنْشَاد لا تَلحين فيه، ولا تَطريب، وهو ظاهر ما رواه جعفر بن محمَّد، عن الإمَام أحمد -رَحِمَه اللهُ تَعالَىٰ- كما سيأتي.

وقال ابن الأثير في «النهاية»[2]**، وابن منظور في «لسان العرب»**[3]: وفي حديث عائِشَة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا: وعندي جاريتان تغنيان بغِناء بُعاث، أي: تُنشدان الأشعارَ التي قيلت

---

(١) (٢/ ٤٤٢).

(٢) (٣/ ٣٩٢).

(٣) (١٥/ ١٣٧).

يوم بعاث، وهو حرب كانت بين الأنصار، ولم تُرد الغِنَاء المعروف بين أهل اللهو واللعب، وقد رخَّص عمرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في غناء الأعراب، وهو صوت كالحِداء. انتهىٰ.

ومع أن غناء الجَاريتين كان مُجرَّدَ إنْشَاد فقد اضطجع النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ الفراش، وتَسجَّىٰ بثوبه، وحوَّل وجهه. وهذا أوضح دليل علىٰ كراهيته لذلك، فإنَّه كان يكره الشِّعر كما في الحديث الَّذي رواه الإمَام أحمد، وأبو داود الطيالسي من حديث الأسود بن شيبان، عن أبي نوفل قال: سألت عائِشَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: هل كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتسامع عنده الشِّعر؟ فقَالت: كان أبغَض الحديث إليه.

وروىٰ البيهقي، وغيره، عن عقبة بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**الشِّعر من مزامير الشيطان**»(١). وقد أقرَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أبا بكر الصِّديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ علىٰ تسمية الشِّعْر مزامير الشيطان، كما في حديث عائِشَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا الَّذي تقدم ذكرُه.

وإذَا كان النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُبغض الشِّعرَ المُجرَّدَ من الغِنَاء، ويُسمِّيه مزامير الشيطان، فكيف يظن به أنَّه كان يُقرُّ الغِنَاءَ ويُبيحه؟!

وكذلك لا ينبغي أن يُظنَّ بأمِّ المؤمنين عائِشَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنها كانت تستمع إلىٰ الغِنَاء المُحرَّم، وإنَّما كانت تستمع إلىٰ ما يجوز استماعه من إنْشَاد الأشعار بدون تلحين وتَطريب.

---

(١) لم أقف عليه مرفوعًا، وروىٰ الطبري في «تهذيب الآثار» (٢/ ٦٤٩) (٩٦١) قال: حَدَّثَنَا ابْنُ بَشَّارٍ، حَدَّثَنَا يَحْيَىٰ بن سَعِيدٍ، وَقَرَأَهُ عَلَيَّ مِنْ كِتَابِهِ قَالَ: سَمِعْتُ سُفْيَانَ بن سَعِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بن عَابِسٍ، عَنْ نَاسٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بن مَسْعُودٍ، أَنَّهُ قَالَ فِي خُطْبَتِهِ: «الشِّعْرُ مَزَامِيرُ الشَّيْطَانِ».
هكذا رواه موقوفًا علىٰ ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ولا يصح؛ لجهالة من حدَّث عن ابن مسعود.

وقد ثبت عنها إنْكَار الغِنَاء، والمنعُ منه، فروىٰ البُخارِي في «الأدب المفرد»(١)، والبيهقي، بإِسْنَاد صحيح عنها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أن بنات أخيها خفضن، فألمن من ذلك، فقيل لها: يا أم المؤمنين، ألا نَدعو لهن من يلهيهن؟ قالت: بلىٰ، فأرسلوا إلىٰ فُلان المغنِّي، فأتاهم، فمرَّت به عائِشَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في البيت، فرأته يَتغنَّىٰ ويُحرِّك رأسه طربًا، وكان ذا شَعر كثير، فقَالت: أف! شيطان، أخرجوه، أخرجوه، فأخرجوه.

وهذا الحديث يرُدُّ قولَ مَن زعم أن الجَاريتين كانتا تغنيان بالغِنَاء المعروف عند أهل اللهو واللعب.

وروىٰ الإمام أحمد، والبُخارِي، وأهل السنن إلا النَّسَائي، عن خالد بن ذَكْوان قال: قالت الرُّبيع بنتُ مُعَوِّذ بن عَفْراء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: جاء النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدخل حين بنيَ عليَّ، فجلس علىٰ فراشي كمَجلسك منِّي، فجعلَت جويريات لنا يضربن بالدُّف، ويَندُبْن مَن قُتل من آبائي يوم بدر، إذ قالت إحداهن: وفينا نبيٌّ يَعلم ما في غَد، فقَال: «**دعِي هذه، وقولي بالَّذي تَقولين**»(٢)، قال التِّرْمِذِي: هذا حديث حسن صحيح. وزاد ابن ماجَهْ في آخره: «**مَا يَعلم ما في غَد إلا الله**».

وروىٰ الطبراني في «الأوسط»، و«الصغير»، عن عائِشَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أن النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ بنساء من الأنصار في عُرس لهُنَّ، وهُنَّ يُغنِّين:

وأهــدَىٰ لهـــا كبشًـــا ... تبحـــبح في المربــــدِ

---

(١) (١٢٤٧)، وحسنه الألباني في «صحيح الأدب المفرد» (٩٥٠).

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ٥٢) (٥١٣٣)، والبخاري (٤٠٠١)، وأبو داود (٤٩٢٢)، والترمذي (١٠٩٠)، وابن ماجه (١٨٩٦).

وزوجـــك في النَّـــادي ويَعلـــم مـــا في غَـــدِ

فقال رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا يَعلَم ما في غَدٍ إلا اللهُ**»(١). قال الهيثمي: رجاله رجال الصَّحِيح، وقد رواه الحاكم في «مستدركه»(٢) بنحوه، وقال: صحيح علىٰ شرط مسلم، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي في «تلخيصه».

ورویٰ ابن ماجَهْ في «سُننه»(٣) بإسناد صحيح، عن أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أن النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ ببعض المدينة، فإذا هو بجوارٍ يضْرِبن بدُفِّهِنَّ، ويتغنين، ويقلن:

نحـــن جَـــوارٍ مِـــن بنـــي النَّجَّـــار يـــا حبَّـــذا مُحمَّـــدٌ مِـــن جَـــار

فقال النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الله يَعلم إنِّي لأُحبُّكُنَّ**».

النَّوع الثاني: رفع الصَّوت، وموالاته بقول: أتيناكم، ونحوه.

قال أبو بكر الخلَّال: أخبرنا منصور بن الوليد، أن جعفر بن محمَّد حدَّثهم، قال: قلتُ لأبي عبد الله أحمد بن حنبل: حديث الزُّهري، عن عروة، عن عائِشَة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، عن جَوارٍ يُغنين، أيُّ شيء هذا الغِنَاء؟ قال: غناء الرَّكب: أَتيناكم أتيناكم(٤).

وقال الإمَام أحمد رحمه الله تَعالَىٰ: حدَّثَنا أسود بن عامر، حدَّثَنا أبو بكر، عن

---

(١) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٣/ ٣٦٠) (٣٤٠١)، و«الصغير» (١/ ٢١٤) (٣٤٣).

(٢) (٢/ ٢٠١) (٢٧٥٣).

(٣) (١٨٩٩)، وصححه الألباني.

(٤) «تلبيس إبليس» لابن الجوزي (١/ ٢٠٠- ٢٠١).

الأجلح، عن أبي الزبير، عن جابر، عن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعائِشَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «**أهديتم الجَارية إلىٰ بيتها؟**» قالت: نعم، قال: «**فهَلَّا بعثتم معها من يغنيهم، يقول:**

أتينَـــــاكم أتينـــــاكم	**فحيُّونـــــا نُحيِّـــــيكم**

فإِنَّ الأنصارَ قوم فيهم غزل»[1].

وروىٰ أبو بكر الخَلَّال، عن عائِشَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: كانت عندنا جارية يتيمة من الأنصار، فزوجناها رجلًا من الأنصار، فكنت فيمن أهداها إلىٰ زَوجها، فقَال رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يا عائِشَة، إنَّ الأنصارَ أُناس فيهم غزل، فما قلتِ؟**»: قالت: دَعونا بالبَرَكة، قال: «**أفَلا قُلتم:**

أتينــــاكم أتينــــاكم	**فحيونــــا نحيـــيكم**
ولـــولا الـــذهب الأحمـــر	**مـــا حَلــت بـــوَاديكم**
ولـــولا الحبَّـــة السَّـــمرا	**ء لـــم تســمن عَـــذاريكم**»[2]

ورواه الطَّبراني، وعنده: فقَال: «**فهَلَّا بعثتم معها جارية تضرب بالدُّفِّ وتُغنِّي؟**» قلتُ: تقول ماذا؟ قال: «**تقول:**

أتينـــــاكم أتينـــــاكم	**فحيُّونـــــا نحيـــــيكم**

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٣٩١) (١٥٢٤٦) قال الهيثمي (٤/ ٢٨٩): فيه الأجلح الكندي، وثقه ابن معين وغيره، وفيه ضعف، وبقية رجاله ثقات. وقال شعيب الأرنؤوط: حسن لغيره وهذا إسناد ضعيف.

(٢) أخرجه ابن الجوزي في «تلبيس إبليس» (١/ ٢٠١).

ولـــولا الـــذهب الأحمـــر مـــا حلـــت بِـــوَادِيكم
ولـــولا الحبـــة السَّـــمرا ءلـــم تسـمن عـــذاريكم»[١]

فهذا وما أشبهه هو الَّذي كان الصَّحابةُ رَضِيَاللَّهُعَنْهُمْ، ومَن بعدهم مِن السلف يتَرخَّصون فيه وفي سماعه في أيام الأفراح كالأعياد والأعراس.

وأما الغِنَاء المعروف عند أهل اللَّهو واللعب، وهو ما يُطلق عليه اسم الغِنَاء في زماننا، فقد كانوا يذمونه، ويمنعون منه. وقد ذكرتُ أقوالهم في ذلك في كِتَابي «فصل الخطاب في الرد علىٰ أبي تراب»، فلتراجع هناك.

قال الحافظ أبو الفرج ابن الجوزي: روينا عن الشافعي رَضِيَاللَّهُعَنْهُ أنَّه قال: أما استماع الحداء، ونَشيد الأعراب فلا بأس به[٢].

قال ابن الجوزي: ومن إنْشَاد العرب قول أهل المدينة عند قدوم رَسُول اللهِ صَلَّىاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ:

طلَــع البَــدر علينـــا مِـــن ثنيـــات الـــوداع
وجَـــب الشُّـــكر علينـــا مـــا دعـــا للهِ دَاع[٣]

قال: ومن هذا الجنس كانوا ينشدون أشعارهم بالمدينة، وربما ضربوا عليه بالدُّف عند إنْشَاده[٤].

---

(١) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٣/ ٣١٥) (٣٢٦٥)، وحسنه الألباني في «الإرواء» (١٩٩٥).

(٢) «تلبيس إبليس» (١/ ٢٠٠).

(٣) «تلبيس إبليس» (١/ ٢٠٠- ٢٠١).

(٤) «تلبيس إبليس» (١/ ٢٠٠).

ثم ذكر أن من هذا الجنس ما في حديث عائِشَة رَضِيَٱللَّهُعَنهَا في قصة الجَاريتين اللَّتين كنتا تغنيان عندها بغناء بعاث.

ثم ذكر حديث عائِشَة، وحديث جابر رَضِيَٱللَّهُعَنهُمَا في اهداء الجَارية إلىٰ زوجها، وقد تقدم ذكرهما.

ثم قال: فقد بان بما ذكرنا ما كانوا يغنون به، وليس مما يطرب، ولا كانت دفوفهن علىٰ ما يعرف اليوم(١)، انتهىٰ.

الوجه الخامس: أن يقال: من الخطأ الواضح قياس غناء أم كلثوم، ومحمَّد عبد الوهاب، وأمثالهما من المغنين والمغنيات في الإذاعات، وغير الإذاعات، علىٰ إنْشَاد كعب بن زُهير رَضِيَٱللَّهُعَنهُ لقَصيدته المشهورة بحضرة النَّبِي صَلَّىٱللَّهُعَلَيهِوَسَلَّمَ، وعلىٰ إنْشَاد حسان بن ثابت رَضِيَٱللَّهُعَنهُ لشعره الفَصيح الجيد بحضرة النَّبِي صَلَّىٱللَّهُعَلَيهِوَسَلَّمَ، وعلىٰ ما كان الصَّحابة رَضِيَٱللَّهُعَنهُم يترخصون فيه في أيام الأفراح، مع عِظَم الفرق بين النوعين.

وكيف يُقاس ما يستفز العقول، ويفسد القلوب، وينبت النفاق فيها، ويصدُّ عن ذكر الله وعن الصلاة، علىٰ ما ليس كذلك؟! لقد ضَلَّ مَن قال بهذا القياس الفاسد، وبَعُد عن الصواب غايةَ البعد.

ومثل ذلك قياس المُوسِيقىٰ، والمزامير، وأنواع الأوتار، وآلات الملاهي التي يستعملها أهل الإذاعات، وغيرهم من أهل اللهو واللعب في زماننا علىٰ الدُّفِّ، والتي كانت تَضرب بها الجواري في زمن النَّبِي صَلَّىٱللَّهُعَلَيهِوَسَلَّمَ، فقياس تلك علىٰ

---

(١) «تلبيس إبليس» (١/ ٢٠١).

هذه من أفسد القياس؛ لعِظَم الفَرْق بين الجنسين؛ لأن دفوف الصَّحابيات ليست مما يطرب، ويستفز العقول، بخلاف المُوسِيقىٰ، وأنواع المَعَازِف، والمزامير في زماننا، فإنَّها تطرب غاية الإطراب، وتستفز العقولَ، وتفسد القلوب، وتصدُّ عن ذكر الله وعن الصلاة.

وقد تقدم حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قال**: قال رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**صوتان مَلعونان في الدنيا والآخرة: مزمار عند نِعمة، ورنَّة عند مصيبة**»، رواه البزار، ورواته ثقات، والحافظ الضياء في «المختارة».

وتقدم أيضًا حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**نهيتُ عن صوتَين أحمقين فاجرين: صوت عند نِعمة؛ لهو ولعب ومزامير الشيطان، وصوت عند مصيبة؛ لَطْم وُجوه، وشَق جيوب**»، رواه، وكيع، وأبو داود الطيالسي، والتِّرْمِذِي، والحاكم، وقال التِّرْمِذِي: حديث حسن.

وتقدم أيضًا حديث عبد الرَّحْمن بن غَنْم الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: والله ما كذبني سمع النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**ليَكونَنَّ مِن أمَّتي أقوام يستحلون الحِرَ، والحَرير، والخمر، والمَعَازِف**»، رواه البُخارِي في «صحيحه»، والإسماعيلي، والطبراني، وابن حبان، والبيهقي.

وتقدم أيضًا حديث عبد الرَّحْمن بن غَنْم الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن أبي مالك الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ليشربنَّ ناسٌ من أمتي الخمرَ يسمونها بغير اسمها، يُعزف علىٰ رءوسهم بالمَعَازِف والمغنيات، يَخسف اللهُ بهم الأرضَ، ويَجعل منهم القردةَ والخنازير**»، رواه الإمَام أحمد، وابن أبي شيبة،

والبُخارِي في «التَّاريخ الكبير»، وابن ماجَهْ، وابن حبان في «صحيحه».

وتقدم أيضًا حديث ابن عباس، وحديث عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في تحريم الكوبة، وهما حديثان صحيحان، والكوبة الطبل. قال الخطابي: ويدخل في معناه كل وتر ومزهر في نحو ذلك من الملاهي والغِنَاء.

وتقدم أيضًا حديث نافع مولىٰ ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: سمع صوت زمارة راع، فوضع أصبعَه في أذنيه، وعدل راحلته عن الطريق، وهو يقول: يا نافع، أتسمع؟ فأقول: نعم، فيمضي، حتىٰ قلتُ: لا، فوضع يديه، وأعاد راحلتَه إلىٰ الطريق، وقال: رأيت رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسمع صوت زمارة راع فصَنع مثلَ هذا. رواه الإمَام أحمد، وأبو داود، والطَّبراني، وغيرهم، وهو حديث صحيح.

وتقدم أيضًا حديث مجاهد قال: كنت مع ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فسَمع صوتَ طبل، فأدخل أصبعيه في أذنيه، ثم تنحَّىٰ حتىٰ فعل ذلك ثلاث مرات، ثم قال: هكذا فعل رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. رواه ابن ماجَهْ، وإسْنَاده حسن.

إلىٰ غير ذلك من الأحَادِيث التي تقدم ذكرها في تحريم الغِنَاء، وآلات الملاهي، وفيها الرد علىٰ مَن أفتىٰ بحِلِّ الغِنَاء، والمُوسِيقىٰ، وأنواع المَعَازِف التي يستعملها أهل الإذاعات وغيرهم في زماننا، كما فعل ذلك مفتي المجَلَّة، وأمثاله من الَّذين يُضلون النَّاسَ بغير علم.

وفيها أيضًا إبطال لقياسه الغِنَاء المحرم؛ كغناء أم كلثوم، ومحمَّد عبد الوهاب، وأمثالهما، علىٰ إنْشَاد كعب بن زُهير، وحسان بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وعلىٰ غناء الجواري في زمن النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أيام الأفراح، وقولهن: أتيناكم أتيناكم.

وفيها أيضًا إبطال لقياسه المُوسِيقىٰ التي تستفز العقولَ، وتفسد القلوب، وتصد عن ذكر الله وعن الصلاة، علىٰ دُفوف الجواري في زَمن النَّبِي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

الوجه السادس: أن مفتي المجَلَّة قد تصرَّف في الأحَادِيث التي أوردها تصرفًا سيِّئًا. فمن ذلك قوله في حديث الرُّبيع بنت معوذ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: إن النَّبِي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما سمع إحدىٰ الجواري تقول: وفينا نبي يعلم ما في غد. قال: «دعي هذه الإسراف في المديح، وقولي بالَّذي تَقولين»، وقد تصرَّف في لفظ الحديث وزاد فيه: الإسراف في المَديح. وقد تقدم الحديث في الوجه الرَّابع، ولفظه: فقَال: «**دعي هذه، وقولي بالَّذي كنت تقولين**».

وقد تواتر عن النَّبِي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّه قال: «**مَن كَذب عليَّ مُتعمِّدًا فليتبوأ مَقعده من النَّار**»(١)، وفي بعض الرِّوايات أنَّه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَن يَقُلْ عليَّ ما لم أَقُلْ فليتبوَّأ مقعدَه من النَّار**»(٢).

ومن ذلك قوله في **الحديث الثاني:** إنَّه -يعني النَّبِي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أبصر نسوة وصبيانًا مُقبلين من عُرس فيه غناء، فقَال لهم في سرور وغبطة: «**اللهم أنتم من أحبِّ النَّاس إليَّ**».

وهذا الحديث قد رواه الإمَام أحمد، والبُخارِي، ومسلم من حديث أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أن النَّبِي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رأىٰ صبيانًا ونساء مُقبِلين من عُرسٍ، فقام نبيُّ الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُمثلًا، فقَال: «**اللَّهم أنتم من أحبِّ النَّاس إليَّ، اللهم أنتم من أَحبِّ**

(١) أخرجه البخاري (١١٠)، ومسلم (٣) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري (١٠٩) من حديث سلمة بن الأكوع رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

النَّاس إليَّ»[(١)] هذا لفظ مسلم.

وقد زعَم مفتي المجَلَّة أن العُرس المذكور في الحديث كان فيه غناء، وهذه زيادة أتىٰ بها من كِيسه.

وكذلك قوله: (سرور وغبطة) فهي كلمة أتىٰ بها من عنده ولم تَرِدْ في الحديث.

ومن ذلك قوله في الحديث الثالث: إن أبا بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ دخل علىٰ عائِشَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وبين يديها مغنيتان تغنيان، وتلعبان بالدُّف، فانتهر أبو بكر عائِشَة غاضبًا، فقَال له الرَّسُول: دعها يا أبا بكر.

فقوله: مغنيتان. خطأ منه، يَردُّه قولُ عائِشَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في الحديث نفسه: «وليستا بمغنيتين»[(٢)].

وقوله: وتلعبان بالدُّفِّ. خطأ أيضًا. والَّذي في الحديث: «تغنيان وتضربان»[(٣)].

وقوله: فانتهر أبو بكر عائِشَةَ غاضبًا. هذا مما اختلفت فيه الرِّواية، في رِوَايَة: «فانتهرني». وفي رِوَايَة: «فانتهرهما»، يعني الجَاريتين.

وقوله: فقَال له الرَّسُول: دعها يا أبا بكر. خطأ. والَّذي في الحديث: فقَال: **«دعهُما يا أبا بكر، فإنها أيام عيد»**[(٤)].

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ١٧٥) (١٢٨٢٠)، والبخاري (٣٧٨٥)، ومسلم (٢٥٠٨).

(٢) أخرجه البخاري (٩٥٢)، ومسلم (٨٩٢).

(٣) أخرجه مسلم (٨٩٢).

(٤) أخرجه البخاري (٩٨٧)، ومسلم (٨٩٢).

ومن ذلك قوله في **الحديث الرَّابع**: إن الرَّسُول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال لعائِشَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «أَهديتم الفتاةَ إلىٰ بعلها؟» قالت: نعم، قال: «**أبعثتم معها من يغنِّي؟**» قالت: لا، قال: «**أو ما علمتِ أن الأنصار قوم يعجبهم الغزل؟ ألا بعثتم معها من يقول:**

أتينـــاكم أتينـــاكم فحيونـــا نحيـــيكم».

وقد غيَّر مُفتي المجَلَّة لفظ الحديث، وقد تقدم في الوجه الرَّابع، ولفظه: قال رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعائِشَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «**أهديتم الجَارية إلىٰ بيْتِها؟**» قالت: نعم، قال: «**فهَلَّا بعثتم معها مَن يغنيهم يقول:**

أتينـــاكم أتينـــاكم فحيونـــا نحيـــيكم

فإنَّ الأنصار قوم فيهم غزل». رواه الإمَام أحمد من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا[(١)].

ومن ذلك قوله في حديث: «**أعْلِنوا النكاح، واضْربوا عليه بالدُّف**»: إنَّه رواه ابن حنبل. وهذا خطأ، فإن الإمَام أحمد بن حنبل لم يَرْوِ هذا الحديث، وإنَّما رواه التِّرمذي من طريق عيسىٰ بن ميمون، عن القاسم بن محمَّد، عن عائِشَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: قال رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَعْلنوا هذا النكاح، واجعلوه في المساجد، واضربوا عليه بالدُّفوف**»[(٢)] قال التِّرمِذي: هذا حديث حسن غريب، وعيسىٰ بن ميمون يُضعَّف في الحديث.

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٣٩١) (١٥٢٤٦) وقال شعيب الأرنؤوط: حسن لغيره وهذا إسناد ضعيف.

(٢) أخرجه الترمذي (١٠٨٩)، وضعفه الألباني في «الضعيفة» (٩٧٨).

قلت: وقال البُخارِي فيه: منكر الحديث، وقال النَّسَائي: متروك.

وقد رواه ابن ماجَهْ من طريق خالد أبي إلياس، عن ربيعة بن أبي عبد الرَّحْمن، عن القاسم، عن عائِشَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، عن النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**أعلنوا هذا النكاح، واضربوا عليه بالغربال**»(١)، خالد أبي إلياس ضعيفٌ جدًّا، قال أحمد، والبُخارِي: مُنكر الحديث، وقال ابن مَعين: ليس بشيء، وقال النَّسائيُّ: مَتروك.

قلت: وهذا الحديث ضعيف من جميع طرقه.

وقد روىٰ الإمام أحمد، والبزار، والطبراني، وابن حبان، والحاكم من حديث عبد الله بن الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أن رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**أَعلِنوا النكاح**»(٢) قال الحاكم: صحيح الإسْنَاد، ولم يخرجاه، ووافقه الذَّهبي في: «تلخيصه».

فهذا هو الَّذي رواه الإمَام أحمد، لا ما توهَّمه مفتي المجَلَّة.

ومن ذلك تأويله لحديث: «فَصلُ ما بين الحَلال والحرام الدُّف والصوت»(٣) قال مفتي المجَلَّة: يريد بالدُّف المُوسِيقىٰ، وبالصوت الغِنَاء.

قلت: وهذا التأويل خطأ مَردود، فإن الدُّف ليس هو المُوسِيقىٰ كما قد زعمه مفتي المجَلَّة، وإنَّما المُوسِيقىٰ من الأوتار، والمزامير، وهي من أخبثها وأشدها

---

(١) أخرجه ابن ماجه (١٨٩٥)، وقال الألباني: ضعيف دون الشطر الأول فهو حسن.

(٢) أخرجه أحمد (٤/ ٥) (١٦١٧٥)، والبزار (٦/ ١٧١) (٢٢١٤)، والطبراني (١٣/ ٩٨) (٢٣٥)، وابن حبان (٩/ ٣٧٤) (٤٠٦٦)، والحاكم (٢/ ٢٠٠) (٢٧٤٨)، وأبو نعيم (٨/ ٣٢٨)، والبيهقي (٧/ ٢٨٨) (١٤٤٦٣)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (١٠٧٢).

(٣) تقدم.

إطرابًا واستفزازًا للعقول، والأوتار والمزامير شيء، والدُّفُّ شيء آخر.

قال ابن منظور في «لسان العرب»(١): الدُّف بالضَّم: الَّذي يَضرب به النساء. انتهىٰ.

وقد يضرب بالطبول مع العزف بالمُوسِيقىٰ، كما يُفعل في مُوسِيقىٰ الجيش، ويُطلق علىٰ الجميع اسم المُوسِيقىٰ علىٰ سبيل التَّغلب.

ولم تكن المُوسِيقىٰ موجودةً في عهد النَّبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا في عهد الصحابة والتَّابعين.

وأول من اخترعها أبو نصر الفارابي. قال داود الأنطاكي في كِتَابه «النزهة المبهجة»: وقد وقع الإجْمَاع علىٰ أن المخترع لهذا الفَنِّ المُعلم الثاني -يعني الفارابي- وبه سُمِّي مُعلِّمًا. وكذلك قال بعض تلاميذ داود في «ذَيل التَّذْكِرة».

وقد قال العلَّامة ابن القيم -رَحِمَه اللهُ تَعالَىٰ- في «الكافية الشافية»(٢):

أَنَّىٰ يُقاوم ذي العَساكر طمطم ... أو تنكلوشًا أو أخو اليُونانِ

أعني أرسطو عابدَ الأوثان أو ... ذاك الكَفور مُعلِّم الألحَانِ

ذاك المُعلِّم أوَّلًا للحرف والثْـ ... ـثَانِي لصَوتٍ بئست العِلْمان

هذا أساس الفِسق والحرف الَّذي ... وضعوا أساس الكُفر والهَذيانِ

وقد كان الفارابي في أول القرن الرَّابع من الهجرة، وعلىٰ هذا فما زعمه مفتي المجَلَّة من وجود المُوسِيقىٰ في زمن النَّبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ باطلٌ لا أصل له.

(١) (٩/ ١٠٦).

(٢) (١/ ٢٢٤).

ودعوىٰ مفتي المجَلَّة أن استعمال المُوسِيقىٰ جائز دعوىٰ باطلة.

وقد تقدم في أول الكِتَاب حديث عبد الرَّحْمن بن غَنْم الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في تحريم المَعَازِف، وحديثه الآخر في الوعيد الشديد للذين يُعزف علىٰ رءوسهم بالمَعَازِف والمغنيات.

وتقدم أيضًا حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن صوت المزمار ملعون في الدنيا والآخرة.

وتقدم أيضًا حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، **وفيه: أن صوت المزامير صوت أحمق فاجر.**

وتقدم أيضًا حديث ابن عباس، وحديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في تحريم الكوبة، وهي الطبل.

وتقدم أيضًا حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أن النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَدَّ أُذنَيه لما سمع زمارة الرَّاعي، وعدل راحلتَه عن الطريق.

وحديثه الآخر: أنَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **فعل مثل ذلك لما سمع صوت الطَّبل.**

إلىٰ غير ذلك من الأحَادِيث التي تقدم ذكرُها في تحريم المَعَازِف. والمُوسِيقىٰ من أخبث المَعَازِف كما لا يخفىٰ علىٰ ذي عقل سليم. ومع هذا يفتي مفتي المجَلَّة بجواز المُوسِيقىٰ، ويتأوَّل الحديث علىٰ ذلك، وهذا من القول علىٰ الله وعلىٰ رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بغير علم.

وأما تأويله للصوت بالغِنَاء ففي بعض طرق الحديث ما يردُّ ذلك: فقد رواه

الحاكم في «مستدركه»[1] من حديث محمَّد بن حاطب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فصْلُ ما بين الحلال والحرام الصوت بالدف**»، صححه الحاكم، ووافقه الذهبي في «تلخيصه».

وأما على الرواية التي فيها عطف الصوت على الدُّف، فقد قال البيهقي: ذهب بعض النَّاس إلىٰ أن المراد به السماع، وهو خطأ، وإنَّما معناه عندنا إعلان النكاح، واضطراب الصوت به، والذِّكر في النَّاس.

قلت: والصَّحِيح أن المراد بالصوت قول النسوة اللاتي يهدين العروس إلىٰ زوجها:

أتيناكم أتيناكم فحيونا نحييكم

وقد جاء بيان ذلك فيما رواه الطبراني من حديث عائِشَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أن رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**فهلَّا بعثتم معها جارية تضرب بالدُّف وتُغنِّي؟**» قلت: تقول ماذا؟ قال: «**تقول**:

أتيناكم أتيناكم فحيانا وحياكم
ولولا الذهب الأحمر ما حلت بواديكم
ولولا الحبة السَّمراء ما سمنت عذاريكم»[2]

فهذا واضح في بيان المراد بالصوت والغِنَاء في النكاح، وأنَّه قول: أتيناكم أتيناكم. لا ما توهمه مفتي المجَلَّة من جواز غناء أم كلثوم، ومحمَّد عبد الوهاب،

(١) (٢/ ٢٠١) (٢٧٥٠).
(٢) تقدم.

وأمثالهما ممن يغني بالصوت الأحمق الفاجر الَّذي نهىٰ عنه رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأخبر أن أقوامًا من أمته يستحلونه، وأن الله يَخسف بهم الأرض، ويجعل منهم القردة والخنازير.

وأما قوله: «وعلىٰ الرغم من أن النَّبِي أبطل كثيرًا من عادات الجَاهلية وتقاليدها، فإنَّه أبقىٰ علىٰ حفلات الزفاف، بل دعا إليها، وحض عليها، فقَال: «أعلنوا النكاح، واضربوا عليه بالدف»...».

فجوابه: أن يقال: إن الَّذي رخَّص فيه النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِن حَفلات الزفاف هو ما يحصل منه إعلان النكاح؛ كالضَّرب بالدُّف من غير تأنق في الضَّرب، وكقول:

أتينــــــاكم أتينـــــــاكم فحيونـــــــا نحيـــــــيكم

ونحو ذلك من إنْشَاد الأشعار التي لا بأس بها من غير تَلحين، ولا تطريب في الإنْشَاد.

فأما الغِنَاء بالألحان الأنيقة، والنغمات الرقيقة، واستعمال المزامير، والمَعَازِف التي تستفز العقول، وتفسد القلوب، وتنبت النفاق فيها، وتصدُّ عن ذكر الله وعن الصلاة، فهذا لم يُرخصْ في شيء منه بحالٍ. وقد تقدمت الأدلة من الكِتَاب والسُّنَّة علىٰ تحريم الغِنَاء والمَعَازِف، فلتراجع.

وأما قوله: «ولم تقل كتب السيرة: إنَّه اعترض علىٰ هذا الشعر وما فيه من غزل وتشبيب»، يعني بذلك شعر كعب بن زهير، وحسان بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا الَّذي تقدم ذكره.

فجوابه: أن يقال: ليس في شعر كعب وحسان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ما يوجب الاعتراض عليهما، فإنهما لم يشبِّبا بأجنبيات، وإنَّما شبَّب كعب بزوجته، وشبب حسان بطيف

المنام، والمحرَّم التشبيب بالنساء الأجنبيات، وبالمردان.

وليس في إنْشَاد كعب وحسان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا بحضرة النَّبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ما يدل علىٰ إباحة ألحان الغِنَاء والمَعَازِف بوجه من الوجوه، كما لا يخفىٰ علىٰ من له أدنىٰ علم وفهم.

ومَثَل مفتي المجَلَّة في استدلاله بإنْشَاد كعب وحسان علىٰ حِلِّ الغِنَاء والمَعَازِف كمَثَل من يدَّعي حلِّ الخمر، ويستدل علىٰ ذلك بشُرب النَّبِي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ للنَّبيذ الحلال. وأين الغِنَاء بالألحان الأنيقة، والنغمات الرقيقة التي تستفز العقول، وتفسد القلوب، من إنْشَاد كعب وحسان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، ومن قول الصحابيات رَضِيَٱللَّهُعَنْهُنَّ: أتيناكم أتيناكم، ونحو ذلك مما تقدم ذكره عنهن؟! لو كان مفتي المجَلَّة يعقل.

وكذلك أين غناء الفاجرات المستهترات في زماننا، وما ينشر عنهن في الإذاعات من الخلاعات التي تَؤزُّ إلىٰ الفجور أزًّا، كقول بعضهن: «أحطك فوق نهودي». وقول بعضهن: «حبيبي ضمني واضمك»، وقول بعضهن: «الحب دون وصال ليس بحب»، أين هذه المخازي وأمثالها من إنْشَاد كعبٍ وحسَّان، وقول الصحابيات: أتيناكم أتيناكم؟! لو كان مفتي المجَلَّة يعقل.

وهل يقول عاقل في إنْشَاد كعب وحسان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، وقول الصحابيات رَضِيَٱللَّهُعَنْهُنَّ: أتيناكم أتيناكم: إن ذلك يدل علىٰ حِلِّ ما يُنشر الآن في الإذاعات من أنواع الألحان والمَعَازِف، وما يسجل في آلات التسجيل من ذلك؟! كلَّا، لا يقول ذلك عاقل، وإنَّما يقوله جاهل قد ختَم الله علىٰ سمعه وقلبه، وجعل علىٰ بصره غشاوة.

فصل

وأما قوله: «والإمَام مالك بن أنس طالمَا تغنَّىٰ بالأبيات الآتية:

سُليمىٰ أزمعت بينا ... فأين تَظنها أينا

وقد قالت لا تراب ... لَها لما تلاقينا

تعَالين فقد طاب ... لنا العيش تَعالينا»

فجوابه من وجوه:

أحدها: أن يقال: ليس في هذه الأبيات ما يمنع من إنْشَادها، والتَّرنُّم بها، وبأمثالها من الغِنَاء المُحرَّم. ومَن استدل بإِنشادها، والترنُّم بها علىٰ حِلِّ الغِنَاء، والمَعَازِف فقد أبعد النجعة، وأخطأ فيما ذهب إليه.

الوجه الثاني: أن يقال: لم يَثبت أن الإمَام مالكًا كان ينشد هذه الأبيات، ويترنم بها، فضلًا عن كونه يتغنىٰ بها كمثل ما يفعل المغنون. ولو فرضنا أن الإمَام مالكًا تغنىٰ بهذه الأبيات مثلَ ما يفعل المغنون، فليس في فِعله دليل علىٰ حِلِّ الغِنَاء والمَعَازِف؛ لأنَّ الحُجَّة فيما جاء عن الله تَعالَىٰ، ورسولِه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وما أجمع عليه أهْلُ العِلْم، لا فيما سوىٰ ذلك من أقوال النَّاس وأفعالهم.

الوجه الثالث: أنَّه قد ثبت عن الإمَام مالك أنَّه كان يذم الغِنَاء، ويُشدِّد فيه. قال الإمَام أحمد رحمه الله تَعالَىٰ: حدَّثَنا إسحاق بن عيسىٰ الطباع، قال: سألتُ مالك بن أنس عمَّا يترخص فيه أهلُ المدينة من الغِنَاء، فقَال: إنَّما يفعله عندنا الفُسَّاق[1].

---

(١) تقدم.

قال الحافظ ابن رجب: وكذا قال إبْراهِيم بن المنذر الحزامي، وهو من علماء أهل المدينة المعتبرين.

وإذَا كان هذا قول الإمَام مالك، فكيف يُظنُّ به أنه كان يُغنِّي، ويبيح الغِنَاء؟! حاشاه من ذلك، وأبعد الله مَن رماه بما ليس فيه.

فصل

وأما قوله: «وإخواننا أرباب الطُّرق الصوفية، ألا تراهم يقيمون حلقات الذِّكر علىٰ صوت المغنين، ونغمات المزمار، وهم الَّذين يزعمون أنهم أقرب النَّاس إلىٰ الله، وأحرصهم علىٰ حرمات الله؟!».

فجوابه من وجوه:

أحدها: أن يقال: من المعلوم عند علماء أهل السُّنَّة والجَمَاعَة أن الصوفية من أهل البدع. وقد زاد متأخروهم علىٰ ما هم عليه شرًّا عظيمًا، وذلك بالافتتان بالقبور، والعكوف عليها، وتعظيمها بالبناء، والكِتَابة عليها، والتمسُّح بها، واتخاذها مساجد، والغلو فيمن تظن فيهم الولاية من الموتىٰ كالبدوي، والرفاعي، والدسوقي، والتيجاني، وغيرهم ممن يعتقد فيهم الصوفية، وأشباههم من الطغام، ويتخذونهم آلهَة من دون الله، يَفزعون إليهم في قضاء الحاجات، وتفريج الكرُبات، وإغاثة اللَّهفات، حتىٰ أعادوا سيرةَ أهل الجَاهلية الَّذين بُعث إليهم النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بل زادوا عليهم بكثير، كما لا يخفىٰ علىٰ مَن له أدنىٰ علم ومعرفة.

وقد جعلوا لبعض معبوديهم تصرُّفًا في الكون، ولاسيما البدوي، فإنهم يسمونه

قُطبَ الأقطاب، والغَوْث الَّذي يتصرف في الكَون، ويدبر فيه. وهذا شيء لم يصل إِليه شرك مشركي العرب.

ومع ما عليه الصوفية الآن من الشِّرك الوخيم، والبدع، وأنواع المُنكرات، فقد جعلهم مفتي المجَلَّة إخوانًا له، وبئس ما اختار لنفسِه من مواخاة الوثنيين، وأهل البدع.

الوجه الثاني: أن ما تقيمه الصوفية من حلقات الذِّكر علىٰ أصوات المغنين، ونغمات المزامير مُحدَث في الإسْلَام. وقد قال رَسُول اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَن أَحدَث في أمْرِنا هذا ما ليس منه؛ فهو رَدٌّ**»، رواه الإِمام أحمد، والشَّيْخان، وأبو داود، وابن ماجَهْ من حديث عائِشَة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا[1].

وفي رِوَايَة لأَحْمَد، ومُسلم، والبُخارِي تعليقًا مَجزومًا به: «**من عَمِل عملًا ليس عليه أَمرُنا؛ فهو رَدٌّ**»[2].

وروىٰ الإِمام أحمد أيضًا، وأهل السنن، وابن حبان في «صحيحه»، والحاكم في «مستدركه»، عن العرباض بن سارية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أن رَسُول اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**عليكم بسُنَّتي وسُنَّةِ الخلفاء الرَّاشدين المَهديِّين، تمسَّكوا بها، وعَضُّوا عليها بالنَّواجذ، وإِيَّاكم ومُحدَثات الأمور، فإن كلَّ مُحدَثة بِدعَة، وكلَّ بِدعةٍ ضَلالةٌ**» قال التِّرمِذِي: هذا حديث حسن صحيح، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي في «تلخيصه»[3].

---

(١) أخرجه أحمد (٦/ ٢٧٠) (٢٦٣٧٢)، والبخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨)، وأبو داود (٤٦٠٦)، وابن ماجه (١٤).

(٢) أخرجه أحمد (٦/ ١٤٦) (٢٥١٧١)، ومسلم (١٧١٨) والبخاري تعليقًا (٩/ ١٠٧).

(٣) أخرجه أحمد (٤/ ١٢٦) (١٧١٨٤)، وأبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وابن

وقد قال القرطبي: ما ابتدعته الصُّوفية -يعني من الغِنَاء- فمِن قَبيل ما لا يُختلف في تحريمه. ولكن النُّفوس الشَّهوانية غلبت علىٰ كثير ممن يُنسب إلىٰ الخير، حتىٰ لقد ظهرت من كثير منهم فعلات المَجانين والصبيان، حتىٰ رقصوا بحركات متطابقة، وتقطيعات متلاحقة، وانتهىٰ التَّواقح بقوم منهم إلىٰ أَن جعلوها من باب القُرَب وصالح الأعمال، وأن ذلك يُثمر سني الأحوال، وهذا علىٰ التحقيق من آثار الزَّندقة، وقول أهل المَخرقَة. انتهىٰ.

ونقله عنه الحافظ ابنُ حَجر في «فتح الباري»(١)**، قال**: وينبغي أن يُعكس مرادهم، ويقرأ: سَيِّئ، يعني بياء بدل النون، وبهمزة بدل الياء، أي: أن الغِنَاء، والاستماع إليه، والرَّقص، ونحو ذلك من اللهو، واللعب، واستماع آلات الملاهي، وإقامة حلقات الذكر علىٰ أصوات المغنين، ونغمات المزامير، إنَّما تُثمر هذه الأمور سيِّئ الأحوال، لا سنِيَّها، وهذا مما لا ريب فيه؛ لأن الله تَعالَىٰ يقول: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[النور: ٦٣].

وقال الحافظ أبو الفرج ابن الجَوزي: أخبرنا محمَّد بن ناصر، أخبرنا عبد الرَّحْمن بن أبي الحسين بن يوسف، أخبرنا محمَّد بن علي العبادي، قال: قال أبو عبد الله ابن بَطَّة العُكْبَرِيُّ: سألني سائلٌ عن استماع الغِنَاء، فنَهيتُه عن ذلك، وأعلمتُه أنَّه مما أنكره العُلَماءُ، واستحسنه السُّفهاء، وإنَّما تفعله طائفة سموا بالصُّوفية،

=

ماجه (٤٢)، والحاكم (١/ ١٧٤) (٣٢٩)، والبيهقي (١٠/ ١١٤) (٢٠١٢٥)، وابن حبان (١/ ١٧٨) (٥)، والدارمي (١/ ٥٧) (٩٥)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٢٧٣٥).

(١) (٢/ ٤٤٢- ٤٤٣).

وسماهم المحققون الجَبرية، أهل هِمم دَنِيَّة، وشَرائع بدعيَّة، يُظهرون الزُّهد، وكل أسبابهم ظلمة، يدَّعون الشوق والمحبةَ بإِسقاط الخوف والرجاء. يسمعونه من الأحداث والنساء، ويطربون، ويصعقون، ويتغاشون، ويتماوتون، ويزعمون أن ذلك من شدة حبهم لربهم، وشوقهم إليه. تَعالَىٰ الله عما يقول الجَاهلون علوًّا كبيرًا(١).

الوجه الثالث: أن ما تقيمه الصوفية من حلقات الذكر علىٰ أصوات المغنين، ونغمات المزامير ليس بذكر في الحقيقة، وإنَّما هو استهزاء بذكر الله تعالىٰ، كما لا يخفىٰ علىٰ مَن في قلبه أدنىٰ حياة.

الوجه الرَّابع: مِن قَبيح الجهل الاستدلال علىٰ حِلِّ الغِنَاء، والمُوسِيقىٰ بغناء الصُّوفية واستهزائهم بذكر الله تَعالَىٰ. وهذا دليل علىٰ أن مفتي المجَلَّة لا يَعرف المعروف من المُنكر.

الوجه الخامس: أن يقال: مِن أبطل الباطل، وأكذب الكذب زَعم الصوفية أنهم أقرب النَّاس إلىٰ الله تَعالَىٰ، وأحرصهم علىٰ حُرمات الله، وهذا القول منهم شبيه بما أخبر الله به عن إليهود والنصارىٰ أنهم قالوا: ﴿نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾ [المائدة: ١٨]، وقد قال الله تَعالَىٰ: ﴿إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[الأنفال: ٣٤]، وقال تَعالَىٰ: ﴿وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾[الجاثية: ١٩]، وقال تَعالَىٰ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾[يونس: ٦٢، ٦٣].

وحقيقة التَّقوىٰ فِعل الطاعات، واجتناب المَعاصي، ولا يتم ذلك إلا باتِّباع

---

(١) «تلبيس إبليس» (١/ ٢١١).

الرَّسُول صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، والتَّأسِّي به في جميع الأقوال والأفعال. قال اللهُ تعالَىٰ: ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَـٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨]، وقال تعالَىٰ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ﴾ [الأحزاب: ٢١].

ومَن خَالف منهاج الرَّسُول صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ؛ فهو عاصٍ لله تعالَىٰ، ولرسوله صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ؛ شاء أم أبىٰ. وقد قال الله تعالَىٰ: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَـٰلًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦]، وقال تعالَىٰ: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣]، وقال تعالَىٰ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١].

قال البغوي: نزلت في اليهود والنصارىٰ، حيث قالوا: ﴿نَحْنُ أَبْنَـٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّـٰٓؤُهُۥ﴾ [المائدة: ١٨].

وقال ابن كثير: هذه الآية حاكمة علىٰ كلِّ من ادعىٰ محبَّةَ الله وليس هو علىٰ الطريقة المحمَّدية، فإنَّه كاذب في نفس الأمر حتىٰ يتَّبع الشَّرع المحمَّدي، والدِّينَ النبوي في جميع أقوالِه وأفعاله.

قال الحسن البصري وغيره من السلف: زعم قوم أنهم يُحبُّون اللهَ، فابتلاهم الله بهذه الآية، فقال: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١].

وروىٰ التِّرمِذي، ومحمَّد بن وضَّاح، ومحمَّد بن نصر المروزي، والحاكم، والآجري من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَاللَّهُعَنْهُمَا، أن رَسُول اللهِ صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**إنَّ بني إسرائيل تفرَّقت علىٰ ثِنتين وسبعين ملَّة، وتفترق أمَّتي**

علىٰ ثلاثٍ وسبعين ملَّة، كلهم في النَّار إلا مِلَّةً واحدة» قالوا: مَن هي يا رَسُول اللهِ؟ قال: «**ما أنا عَليه وأصْحَابي**»(١) قال التِّرْمِذِي: هذا حديث حسن غريب.

وروىٰ الطبراني من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عن النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نحوَه(٢).

وروىٰ الطبراني أيضًا، والآجري من حديث أبي الدرداء، وأبي أمامة، وواثلة بن الأسقع، وأنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، عن النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نحوَه أيضًا(٣).

ومن نظر إلىٰ ما وقع عليه الصُّوفية الآن من الوثَنيَّة، وأنواع البدع والمُنكرَات، تبيَّن له أنهم مِن أبعد النَّاس عما كان عليه رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأنَّهم من أعظم النَّاس انتهاكًا لحُرمات الله. ومن كانوا كذلك فهُم مِن أبعد النَّاس عن الله تَعالَىٰ، شاءوا أم أبَوا. ولا يخفىٰ أمرُهم وتروج مزاعمهم الكاذبة إلا علىٰ مَن أعمىٰ اللهُ بصيرتَه.

فصل

وأما قوله: «وخُلاصة القول: أن الأدلة كثيرة علىٰ أن المُوسِيقىٰ والغِنَاء حلال في حلال، ما لم يصحبهما شيء من المحرمات، كما تفعل بعض المغنيات المتبذلات بحركاتهن التي تثير الغرائز، وتدعو إلىٰ الفسق والفجور، أكثر مما تبعث

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٦٤١)، وابن وضاح في «البدع» (٢/ ١٦٧) (٢٥٠)، والحاكم (١/ ٢١٨) (٤٤٤)، والآجري (١/ ٣٠٧) (٢٣)، وحسنه الألباني.

(٢) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٥/ ١٣٧) (٤٨٨٦)، و«الصغير» (٢/ ٢٩) (٧٢٤).

(٣) أخرجه الطبراني (٨/ ١٥٢) (٧٦٧٥)، والآجري (١/ ٤٣١) (١١١).

أصواتهن علىٰ الطرب والسرور، والمتعة الروحية البريئة».

فجوابه من وجوه:

أحدها: أن يقال: قد تقدَّمت الأَدِلَّة من الكِتَاب، والسُّنَّة علىٰ تحريم الغِنَاء، والمَعَازِف، وهي المزامير، والمُوسِيقىٰ، وغير ذلك من آلات اللهو والطرب. وفيها ردٌّ لما زعمه مفتي المجَلَّة من حِلِّ ذلك، فلتراجع.

وتقدم أيضًا بيان ما رخص فيه للنساء من الغِنَاء، والضرب بالدُّف في أيام الأفراح، وأن الَّذي وردت الرُّخصة فيه من الغِنَاء ليس هو من النوع الَّذي ورد التشديد فيه، وأن ما يطلق عليه اسم الغِنَاء في هذا الزمان فكله من النوع المحرَّم، فليراجع ما تقدم من التفصيل في ذلك ليعلم ما في كلام مفتي المجَلَّة من التهور، والتلبيس علىٰ من لا بصيرة لهم.

الوجه الثاني: أن في كلام مفتي المجَلَّة محادَّة لله تَعالَىٰ، ولرسوله صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، واتباعًا لغير سبيل المؤمنين، وذلك أن الله تَعالَىٰ ذَمَّ مَن يشتري لهو الحديث، وتوعَّده بأشد الوعيد. وقد فسر ابن مسعود، وابن عباس، وجابر بن عبد الله رَضِيَاللَّهُعَنْهُمْ لهْوَ الحديث بالغِنَاء، وحلف ابن مَسعود رَضِيَاللَّهُعَنْهُ علىٰ ذلك ثلاث مرات. وابن مسعود وابن عباس رَضِيَاللَّهُعَنْهُمْ من أعلم الأمة بتفسير القُرآن.

وفسَّره بذلك أيضًا جمعٌ من أكابر التَّابعين، تقدم ذكرهم في أول الكِتَاب. ومع هذا يزعم مفتي المجَلَّة أن الغِنَاء والمُوسِيقىٰ حلال في حلال.

وأيضًا؛ فإن الله تَعالَىٰ قال لإبليس: ﴿ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ ﴾ [الإسراء: ٦٤]، وقد فسِّر صوته بالغِنَاء والمزامير. ومع هذا يقول مفتي المجَلَّة: إن

الغِنَاء والمُوسِيقىٰ حلال في حلال في حلال.

وأيضًا؛ فإن الله تَعالَىٰ قال في صفة عباده المتقين: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟ كِرَامًا﴾ [الفرقان: ٧٢]، وقد فسِّر الزُّور باللهو والغِنَاء، ومع هذا يقول مفتي المجَلَّة: إن الغِنَاءَ والمُوسِيقىٰ حلال في حلال في حلال.

وأيضًا؛ فإن الله تَعالَىٰ قال: ﴿أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ﴾ [النجم: ٥٩ - ٦١]، والسمود هو الغِنَاء بلغة أهل اليمن. ومع هذا يقول مفتي المجلة: إن الغِنَاء والمُوسِيقىٰ حلال في حلال في حلال.

وأيضًا؛ فقد ثبت عن النَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّه قال: **«ليَكون من أمَّتي أقوام يستحلون الحِرَ، والحرير، والخمر، والمَعَازِف»**(١).

وثبت عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّه قال: **«ليشربن ناسٌ من أمتي الخمرَ، ويسمونها بغير اسمها، يُعزف علىٰ رءوسهم بالمَعَازِف والمغنيات، يَخسف اللهُ بهم الأرض، ويَجعل منهم القردةَ والخنازير»**(٢). وثبت عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّه قال: **«صوتان ملعونان في الدنيا والآخرة: مزمار عند نعمة، ورنة عند مصيبة»**(٣). وثبت عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّه قال: **«نهيتُ عن صوتين أحمقين فاجرين: صوت عند نعمة؛ لهو، ولعب، ومزامير الشيطان، وصوت عند مصيبة؛ لطم وجوه، وشق جيوب»**(٤).

---

(١) تقدم.

(٢) تقدم.

(٣) تقدم.

(٤) تقدم.

وثبت عنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّه نهىٰ عن تِسع، ومنها الغِنَاء. وثبت عنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّه قال: «**إنَّ الله حرَّم عليكم الخمرَ، والميسر، والكوبة**»(١)، والكوبة: الطبل.

وثبت عنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّه سَدَّ أُذنيه، وعدل راحلتَه عن الطريق لما سمع صوت زمارة راع. وأنَّه فعل مثل ذلك لما سمع صوت طبل.

وثبت عنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّه قال: «**كلُّ ما يلهو به الرجلُ المسلم باطل؛ إلا رميَه بقوسه، وتأديبه فرسه، وملاعبته أهله، فإنَّهن من الحق**»(٢)، وقد قال الله تَعالَىٰ: ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ﴾ [يونس: ٣٢].

وروي عنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّه قال: «**إنَّ الله بَعثني رحمةً وهدًىٰ للعالمين، وأمرني أن أَمحقَ المزامير، والكبارات -يعني البرابط- والمَعَازِف، والأوثان التي كانت تُعبد في الجَاهلية**»(٣). وهذه الأحَادِيث قد تقدمت في أول الكِتَاب.

وتقدم أيضًا ذكر الإجماع علىٰ تحريم الغِنَاء، والمنع من استماعه واستماع آلات اللهو كلها. وما ذكره صاحب «الفروع» عن القاضي عياض أنَّه ذكَر الإجْمَاع علىٰ كُفر من استحل الغِنَاء. ومع هذا يقول مفتي المجَلَّة: إن الغِنَاء والمُوسِيقىٰ حلال في حلال. وهذا عين المحادة لله تَعالَىٰ، ولرسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مع اتباعه لغير سبيل المؤمنين.

---

(١) تقدم.

(٢) تقدم.

(٣) تقدم.

وقد قال الله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدًا فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْخِزْىُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ٦٣]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ كُبِتُوا۟ كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [المجادلة: ٥]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ﴾ [المجادلة: ٢٠]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].

الوجه الثالث: أن الآيات والأحَادِيث الدالة علىٰ تحريم الغِنَاء والمَعَازِف مطلقة، وليس فيها تقييد بأن يصحبها شيء من المحرَّمات.

وليس لأحد أن يقيِّد ما أطلقه الله ورسولُه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وعلىٰ هذا فالغِنَاء والمَعَازِف حرام، سواء صحِبَها شيء من المحرمات، أو لم يصحبها شيء. وإذَا صحبهما شيء من المحرمات كان أعظم لتحريمها؛ لأن ما اشتمل علىٰ شيئين محرَّمَين أعظم مما اشتمل علىٰ شيء واحد.

فصل

وأما قوله: «ولستُ أجد ما أختتم به هذه الإجابة خيرًا من أن أنقل إلىٰ السيد جعفر، وعلماء بلدته الأعلام قول المغفور له الشَّيْخ حسن العطار الَّذي كان شيخًا للأزهر الشريف في القرن الماضي في أحد مؤلفاته المعروفة: «من لم يتأثر برقيق الأشعار، تتلىٰ بلسان الأوتار، علىٰ شطوط الأنهار، في ظل الأشجار، فهو جلف الطبع حمار».

فجوابه من وجوه:

أحدها: أن يقال: إن في نَقل مفتي المجَلَّة لهذا القول المُستهجن، ووضعه في صدر الفتيا وآخرها؛ دليلًا علىٰ تهوره وسوء اختياره؛ لما يلزم علىٰ هذا القول الذميم من اللوازم السيئة، كما سيأتي بيانه إنْ شاء اللهُ تَعالَىٰ.

ولو كان مفتي المجَلَّة يعرف الفرقَ بين الطَّيب من القول، والخبيث منه لمَا نقل هذا القول السَّخيف.

وهل يظن أَنَّه باختياره لهذا القول، واعتماده عليه يكون كمَن أدلىٰ بآية مُحكمة، أو حديث ثابت عن النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يمكن أحدًا أن يعارضه؟!

الوجه الثاني: أن هذا القول مردود بما تقدم ذكره من الآيات والأحَادِيث الدالة علىٰ تحريم الغِنَاء، وآلات الملاهي، والعُمدة عليها لا علىٰ أقوال المتهوِّكين.

الوجه الثالث: أن النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه لم يتأثروا بالغِنَاء وضرب الأوتار، وكذلك التَّابعون، وأئمة العلم والهدىٰ من بعدهم، وكذلك كل مؤمن متمسك بما كان عليه رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ.

وقد ثبت عن النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّه نهىٰ عن الغِنَاء والمزامير، وسمىٰ صوتها الصوت الأحمق الفاجر، وأخبر أنه صوت ملعون في الدنيا والآخرة. وقرنه بالنياحة، وقرن استحلاله باستحلال الزِّنا، والخمر، ولبس الحرير في حق الذكور.

وثبت عنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّه سد أذنيه لما سمع زمارة الرَّاعي، وعدل راحلته عن الطريق.

وجاء عن الصحابة والتَّابعين وتابعيهم آثار كثيرة في ذم الغِنَاء والملاهي. وكذلك جاء عن الأئمة الأربعة، وغيرهم من العُلَماء. وقد ذكرتُ ذلك مستقصًىٰ في كِتَابي «فصل الخطاب في الرد علىٰ أبي تراب»، فليراجع.

وعلىٰ هذا، فهل يقول مفتي المجَلَّة: إن ما في آخر كلام العطار ينطبق علىٰ هؤلاء الَّذين أشرنا إليهم، أمْ ماذا يجيب به عن الكلمة السخيفة التي لم يتثبَّت فيها قائلها ولا ناقلُها، ولم ينظر إلىٰ ما يلزم عليها من اللَّوازم السيئة؟!

الوجه الرَّابع: أنَّه لا يتأثر بالغِنَاء وضرب الأوتار إلا فاسق قد استفزه الشيطان بصوته، كما قال الله تَعالَىٰ: ﴿ وَٱسۡتَفۡزِزۡ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتَ مِنۡهُم بِصَوۡتِكَ ﴾ [الإسراء: ٦٤].

وقد تقدم ما رواه الإمام أحمد، عن إسحاق بن عيسىٰ الطباع قال: سألتُ مالك بن أنس عما يترخَّص فيه أهل المدينة من الغِنَاء، فقَال: إنَّما يفعله عندنا الفساق.

قال الحافظ ابن رجب: وكذا قال إبْراهِيم بن المنذر الحزامي، وهو من علماء أهل المدينة المعتبرين.

وتقدم أيضًا في أثناء الكِتَاب ما صرَّح به غير واحد من تفسيق المغنين، ومَن يستمع إلىٰ الغِنَاء، وآلات الملاهي، فليراجع.

وأبلغ من هذا ما نقله صاحب «الفروع» عن القاضي عياض أنَّه ذكر الإجْمَاع علىٰ كُفر مُستحِلِّ الغِنَاء، كما ذكر الإجْمَاع علىٰ كفر من قال بأن القرآن مخلوق.

الوجه الخامس: أن يقال: إن الأولىٰ بالاتِّصاف بما في آخر هذا القول السَّخيف قائلُه ومَن رضي به مثل مفتي المجَلَّة وأشباهه من الأغبياء الَّذين لا

يعرفون المعروف من المُنكر. وقد قال الله تعالَىٰ في ذم اليهود: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [الجمعة: ٥]. وقال تعالَىٰ في ذم المجرمين الَّذين أعرضوا عن القرآن: ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍۭ﴾ [المدثر: ٤٩ - ٥١].

ومَن أفتىٰ بحِلِّ ما حرَّم اللهُ ورسولُه صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ من الغِنَاء، والمَعَازِف، وأعرَض عن الآيات والأحَادِيث الدالة علىٰ تحريمها، فله مِن مثل السُّوء بقدره.

وأما جزم مفتي المجَلَّة أن حسن العطار مغفورٌ له؛ فهو من القَول علىٰ الله بغير علم. وما يدريه أنَّه مغفور له؟ ﴿أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ﴾ [النجم: ٣٥]؟!

والجزم بالمغفرة والرحمة لبعض الأشخاص يستعمله كثير من النَّاس في زماننا، فيقولون: فلان المغفور له، أو فلان المرحوم، وهذا لا يجوز؛ لأنَّه من القول علىٰ الله بغير علم، وذلك من أعظم المُحرَّمات التي يأمر بها الشَّيطان ويُحبُّها، قال الله تعالَىٰ: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَـٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣]، وقال تعالَىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَـٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٦٨، ١٦٩].

والجزم بالمَغفرة والرَّحمة لبعض النَّاس يستلزم القَطعَ له بدخول الجنة، وذلك من أمور الغيب التي لا يعلمها إلا الله تعالَىٰ، أو مَن أظهره اللهُ علىٰ ذلك من الأنبياء.

والدليل علىٰ أن الجزم بالمغفرة والرحمة يستلزم القطع بدخول الجنة: قول الله تعالَىٰ: ﴿وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٩٥، ٩٦]، وقوله تعالَىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [التوبة: ٢٠ - ٢٢]، وقوله تعالَىٰ: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ ۖ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾ [يس: ١١]، وقوله تعالَىٰ: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ﴾ [الجاثية: ٣٠].

إلىٰ غير ذلك من الآيات الدالة علىٰ أن المغفور له، والمرحوم مقطوع له بدخول الجنة.

ومما يدل علىٰ ذلك أيضًا: ما رواه الإمَام أحمد، والشَّيْخان، والتِّرْمِذِي، عن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عن النَّبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّه قال: «**تَحاجَّت الجنَّةُ والنَّارُ، فقالت النَّار: أُوثرت بالمتكبرين والمتجبِّرين، وقالت الجنة: فما لي لا يدخلني إلا ضعفاء النَّاس وسقطهم وعجزهم؟! فقَال الله للجنة: أنتِ رحمتي أرحم بكِ مَن أشاء من عبادي. وقال للنار: أنتِ عَذابي أُعذِّب بكِ مَن أشاء من عبادي، ولكل واحدة منكما ملؤها...**» الحديث(١).

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٣١٤) (٨١٤٩)، والبخاري (٤٨٥٠)، ومسلم (٢٨٤٦).

وروىٰ الإمَام أحمد، ومسلم أيضًا، عن أبي سعيد الخدري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، عن النَّبِي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ نحوه[١].

ومن أصول أهل السُّنَّة والجَمَاعَة: أنهم لا يشهدون بالجنة إلا لمَن شهد له رَسُول اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ؛ كالعَشرة، وغيرهم من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين.

وقد روىٰ الإمَام أحمد، والبُخارِي من حديث خارجة بن زيد بن ثابت، عن أم العلاء، وهي امرأة من نسائهم بايعت رَسُول اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، قالت: طار لنا عثمان بن مظعون في السُّكنىٰ حين اقترعت الأنصار علىٰ سكنىٰ المهاجرين، فاشتكىٰ، فمرضناه حتىٰ تُوفِّي، ثم جعلناه في أثوابه، فدخل علينا رَسُول اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فقلت: رَحمةُ الله عليك أبا السَّائب، فشهادتي عليك لقد أكرمَك اللهُ، قال: «**وما يُدرِيكِ؟**» قلتُ: لا أدري والله، قال: «**أمَّا هو فقد جاءه اليَقين، وإنِّي لأرجو له الخيرَ من الله، والله ما أدري وأنا رَسُولُ اللهِ ما يُفعل بي ولا بِكُم**»، قالت أُمُّ العلاء: فوالله لا أُزَكِّي أحدًا بعده... الحديث، وهذا لفظ البُخارِي في باب التَّعبير من «صحيحه»[٢].

ورواه في كِتَاب الشهادات، وفيه: فقَال رَسُول اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**أما عثمانُ فقد جاءه -واللهِ- اليقينُ، وإنِّي لأرجو له الخيرَ، والله ما أدري وأنا رَسُول اللهِ ما يُفعل به**»[٣].

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٧٩) (١١٧٧١)، ومسلم (٢٨٤٧).

(٢) أخرجه أحمد (٦/ ٤٣٦) (٢٧٤٩٧)، والبخاري (٧٠٠٣).

(٣) أخرجه البخاري (٢٦٨٧).

وإذَا كان رَسُول اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -وهو سيِّد البشر- لا يَدري ماذا يَفعل اللهُ برَجل من السابقين الأوَّلين من المهاجرين بعد موته، فكيف بغيره؟!

وقبل الخِتام؛ فاني أنصح مفتي المجَلَّة، ومَن علىٰ شاكلته، أن لا ينصبوا أنفسَهم للفُتيا بغير عِلم، فإن ذلك عظيمٌ، وعاقبَتُه وخيمة، قال الله تَعالَىٰ: ﴿ لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴾[النحل: ٢٥].

وروىٰ الإمَام أحمد، وأبو داود، وابن ماجَهْ، والحاكم، عن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رَسُول اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَن أَفتىٰ بفتْيَا بغير عِلْم كان إثم ذلك علىٰ مَن أفتاه**». هذا لفظ أحمد، ونحوه لفظ أبي داود(١). ولفظ ابن ماجَهْ: «**مَن أفتىٰ بفتيا غير ثبت فإنَّما إثمُه علىٰ مَن أفتاه**»(٢)، ورواه البُخارِي في «الأدب المفرد»(٣) بنحو رِوَايَة ابن ماجَهْ.

ورواه الحاكم باللَّفظين جميعًا، وقال: صحيح علىٰ شرط الشَّيْخين، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي في «تلخيصه».

ولستُ أجد ما أَختتم به الكِتَابَ خيرًا من قول الله تَعالَىٰ في نَعت عباده المؤمنين: ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغْوِ مَرُّواْ كِرَامًا ﴾[الفرقان: ٧٢]،

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٣٢١) (٨٢٤٩)، وأبو داود (٣٦٥٧)، وابن ماجه (٥٣)، والحاكم (١/ ١٨٣) (٣٤٩)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٠٦٩).

(٢) أخرجه ابن ماجه (٥٣).

(٣) (١/ ١٠٠) (٢٥٩)، وصححه الألباني.

والمراد بالزور في هذه الآية اللهو والغِنَاء، كما تقدم عن محمَّد ابن الحنفية، ومجاهد، وغيرهما.

واللَّغو أيضًا يَشمل الغِنَاءَ والملاهي. وقد تقدم حديث إبْراهِيم بن ميسرةَ، أن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرَّ بلهو فلم يَقِف. فقَال رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لقد أصبَح ابن مسعود وأَمسىٰ كريمًا**»، ثم تلَا إبْراهِيم بن ميسرة: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾(١).

ورویٰ أبو نعيم في «الحلية»(٢) من طريق ابن وهب، أخبرني مالك، عن محمَّد بن المُنكَدر، قال: إن الله تَعالَىٰ يقول يوم القيامة: «**أين الَّذين كانوا يُنزِّهون أنفسَهم وأسمَاعَهم عن اللَّهو ومزامير الشيطان؟ أَدخلوهم في رياض الجنَّة، ثم يقول للمَلائِكَة: أَسمعوهم حَمْدي وثنائي، وأخبروهم أن لا خوف عليهم ولا هم يحزنون**».

وهذا آخر ما تيَسَّر إيرادُه. والحَمْد للهِ ربِّ العالمين. وصلَّىٰ الله علىٰ نبينا محمَّد، وعلىٰ آله وأصحابه ومَن تبعهم بإِحسانٍ إلىٰ يوم الدين، وسلَّم تسليمًا كثيرًا.

وقد وقع الفراغ من تسويد هذه النبذة في يوم السبت الموافق لليوم الثاني من شهر ذي القعدة سنة ١٣٨٦ هـ، علىٰ يد جامعها الفقير إلىٰ الله تَعالَىٰ/ حِمُود بن عبد الله التويجري، غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات.

والحَمْد للهِ الَّذي بنعمته تتم الصالحات

---

(١) تقدم.

(٢) (٣/ ١٥١).



الرد الجميل

على أخطاء ابن عقيل

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمدُ للهِ ربِّ العالَمِين، والعاقِبةُ للمُتَّقِين، ولا عُدوانَ إلَّا علىٰ الظَّالِمين، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلَّا اللهُ وَحده لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ مُحمَّدًا عبدُه ورسُوله، صلىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلِه وأصحابه ومَن تَبِعهم بإِحسانٍ إلىٰ يوم الدِّين، وسلَّم تَسليمًا كثيرًا.

أما بعد: فقَد رأيتُ في عدد (١٨٦٤) من جريدة (الرِّياض) الصَّادرة في يوم الأربعاء (١٤ جُمادىٰ الأولىٰ سنة ١٣٩١هـ) مقالًا لبعض المُتعصِّبين لابن حزم الظَّاهري -وهو المُكنِّي نفسَه أبَا عَبد الرَّحمَن ابن عقيل[(١)]- زعَم فيه أنَّه لا يُعرف مَن قَدح في دِين أبي مُحمَّد وعَدالتِه سوىٰ اثْنين من المُتأخِّرين: أحدهما يُدعىٰ مولوي فضل رسول البدايوني، وثانيهما أحد المعاصرين -يعني صاحب هذا الرَّد- فقد جَرح ابنَ حزم في كتابه «فَصْل الخِطاب في الرَّدِّ علىٰ أبي تُراب»[(٢)]، ثمَّ ذَكر المُتعصِّبُ جُملةً مما في «فَصْل الخِطَاب»، وأشار إلىٰ البَقيَّة.

والجواب عن هذا مِن وُجوه:

أَحَدها: أنْ يُقال: لو كان عند هذا المُتَعَصِّب لابن حَزْم أَدْنىٰ شَيء مِن العَدْل والإنْصَاف؛ لمَا تَعامىٰ عن ذِكر القادحين في أبي مُحمَّد من أهل عَصْره فمَن بَعدهم.

---

(١) أبو عبد الرحمن محمد بن عمر بن عبد الرحمن بن عقيل، المعروف بأبي عبد الرحمن ابن عقيل الظاهري، من مواليد مدينة شقراء في إقليم الوشم بمنطقة نجد من المملكة العربية السعودية عام ١٣٥٧هـ.

(٢) كتاب للشيخ حمود التويجري، رد فيه علىٰ مخالفات لرجل يُدعَىٰ أبا تُراب الظَّاهري.

فقد ذكر مُؤرِّخُ الأنْدَلُس أبو مَرْوانَ ابنُ حيَّانَ أن الفُقهاءَ في عصْر ابن حَزْم تَمالئوا عليه، وأَجْمَعوا علىٰ تَضلِيله، وشَنَّعوا عليه، وحذَّروا أكابرَهم مِن فِتنَتِه، ونَهَوا عوامَّهم عن الاقْترابِ مِنه، فطَفِق المُلوكُ يُقْصونَه، ويُسَيِّرونَه عن بلادهم، إلىٰ أن انتهوا به مُنقطع أثَره. ثم ذكَر أن بعض كتُبِه أُحْرِقت بإشْبِيليَّة، ومُزِّقت عَلانيةً. قال: ولم يكن مع ذلك سالمًا من اضطراب رأيه. انتهىٰ المقصود من كلامه مُلَخَّصًا.

وقد نقله عنه الحافظ الذَّهبي في «تَذكِرة الحُفَّاظ»(١)، وفي «سِيَر أعلام النبلاء»(٢)، ونقله ياقوت الحَمَوي في «مُعجم الأُدَباء»(٣)، ونقله الحافظ ابن حجر العسقلاني في «لسان الميزان»(٤).

وقال القاضي أبو بَكر ابنُ العَربي: ابتَدأ ابنُ حَزْم أوَّلًا فتَعلَّق بمَذهب الشَّافِعي، ثمَّ انتسب إلىٰ داودَ، ثمَّ خَلَع الكُلَّ واستَقلَّ بنفسِه، وزَعم أنَّه إمَام الأئمَّة؛ يَضَع ويَرفع، ويَحكُم ويُشَرِّع، يَنسب إلىٰ دين الله ما ليس منه، ويَقول عن العُلَماء ما لم يَقولوا تَنفيرًا للقُلوب عَنهم، وخَرج عن طَريق المُشبِّهة في ذات الله تعالىٰ وصِفاته، فجاء فيه بطَوامَّ، واتَّفق كونه بين أقوام لا بَصرَ لهم إلَّا بالمَسائل، فإذا طالبَهم بالدَّليل كاعُوا(٥)، فيَتضاحَك مع أصحابِه منهم.

---

(١)(٣/ ٢٣٠).

(٢)(١٣/ ٣٨١).

(٣)(٤/ ١٦٥٥).

(٤)(٤/ ٢٠٠).

(٥)أي: عجزوا.

وذكر بقيَّة الحطِّ عليه في كتاب «القواصم والعَواصم»[١]، وقد نقله عنه الحافِظ الذَّهبِي في «تَذكِرة الحُفَّاظ»[٢]، و«سِيَر أعلام النُّبلاء»[٣]، ونقله الحافِظ ابنُ حَجر العَسقلاني في «لسان الميزان»[٤]، قال الحافِظ ابن حَجَر: وممَّا يُعاب به ابنُ حَزْم وقُوعُه في الأئمَّة الكِبار بأقْبَح عِبارة، وأشنَع رَدٍّ، وقال أبو العباس ابنُ العَريف الصَّالح الزَّاهد: لِسانُ ابنِ حَزم وسَيفُ الحَجَّاج شَقيقان[٥]. انتهىٰ.

وقد ذكر الحافِظ الذَّهبِي قول أبي العباس ابن العريف في «تَذكرة الحُفَّاظ»[٦]، وفي «سير أعلام النبلاء»[٧].

وقال ابنُ خلكَان في «وَفَيات الأَعْيان»[٨]: كان -يعني ابن حَزْم- كثيرَ الوقوع في العُلَماء المُتقدِّمين، لا يكاد يَسلَم أحدٌ مِن لسَانِه، فنَفَرَت عنه القُلوب، واستَهدف أشقياء وقْتِه، فتَمالئوا علىٰ بُغضِه، وردُّوا قولَه، وأَجمَعوا علىٰ تَضليله، وشنَّعوا عليه، وحذَّروا سلاطِينَهم مِن فِتنَتِه، ونَهَوا عوامَّهم من الدُّنُوِّ إلَيه، والأخذِ عَنه، فأَقْصَتْه المُلوكُ، وشَرَّدَتْه عن بلاده، حتىٰ انتهىٰ إلىٰ بادِيَة لبلة، فتُوفِّيَ بها، وفيه قال أبو العباس ابن العريف: كان لسان ابن حزم وسيفُ الحَجَّاج بن يُوسُف الثَّقفي شَقِيقَيْن. وإنَّما

---

(١) (ص٢٤٩، وما بعدها) ط. مكتبة دار التراث، مصر.

(٢) (٣/ ٢٢٨).

(٣) (١٨/ ١٨٩).

(٤) (٤/ ٢٠١).

(٥) «لسان الميزان» (٤/ ٢٠١).

(٦) (٣/ ٢٣١).

(٧) (١٨/ ١٩٩).

(٨) (٣/ ٣٢٧).

قال ذلك لكثْرَة وقُوعه في الأئمَّة. انتهىٰ.

وقال الحَافِظ ابنُ كثير في «البداية والنهاية»[1]: كان ابنُ حَزْم كثيرَ الوقيعة في العُلَماء بلسَانه وقَلَمه، فأورثه ذلك حِقدًا في قلوب أهل زَمانه، ومَا زالوا به حتىٰ بَغَّضوه إلىٰ ملوكهم، فطَردوه عن بلاده، والعجبُ كل العَجب منه أنَّه كان ظاهريًّا حائرًا في الفروع، لا يقول بشيء من القياس؛ لا الجَلِي، ولا غيره، وهذا الَّذي وضعه عند العُلَماء، وأدخل عليه خطأ كبيرًا في نظره وتَصرُّفه، وكان مع هذا من أشد النَّاس تَأويلًا في باب الأصُول، وآياتِ الصِّفات، وأَحادِيث الصِّفات؛ لأنَّه كان أوَّلًا قد تَضلَّع من عِلم المَنطق، ففَسد بذلك حالُه في باب الصِّفات.

قال ابنُ كثير رحمه الله تَعالَىٰ: ورأيتُ في ليلة الإثنين الثَّاني والعِشرين من المُحرَّم سنة ثلاثٍ وستِّين وسبعمائة، الشَّيخَ مُحي الدِّين النَّواوي ﷺ، فقلتُ له: يا سيدي الشيخ، لِمَ لَا أَدْخلتَ في شَرحك «المُهذَّب» شيئًا من مُصنَّفات ابن حَزْم؟ فقال مَا مَعناه: إنَّه لا يُحبُّه، فقلتُ له: أنتَ مَعذور فيه، فإنَّه جَمع بين طَرفي النَّقيضَين في أصوله وفُروعه، أما هو في الفُروع فظاهريٌّ جامِد يابِس، وفي الأُصول تول مَائع قرمطة القَرامطة، وهرس الهرائسة. ورفعتُ بها صوتي حتىٰ سمعتُ وأنا نائم، ثمَّ أشرتُ له إلىٰ أرض خضراء تُشبه النخيل، بل هي أردأ شكلًا منه، لا ينتفع بها في استغلال، ولا رَعْي، فقلت له: هذه أرض ابن حَزْم التي زَرعها، قال: انظر، هل ترىٰ فيها شجرًا مُثمِرًا أَو شيئًا يُنتفع به؟ فقلت: إنَّما تَصلُح للجُلوس عليها في ضَوء القمر، فهذا حاصِل ما رأيتُه ووقَع في خَلَدي أن ابنَ حَزْم كان حاضرنا عندما أشرتُ للشَّيخ محي

---

(١) (١٢/ ١١٣).

الدين إلىٰ الأرض المنسوبة لابن حزم، وهو ساكتٌ لا يَتكلَّم[1]. انتهىٰ.

فهذه أقوالُ العُلَماء في ابنِ حَزْم، وهذا إجْماع فُقهاء عصره علىٰ تَضليله، والتَّشنيعِ عليه، فهل يقولُ المُتَعَصِّب له: إن هذه الأقوال من المَدح له، وليست بقَدح في دينه وعدالته؟! وهل يقول بعد هذا: إنَّه لم يَقدح فيه سوىٰ اثْنين من المُتأخِّرين؟! اللَّهمَّ إنَّا نعوذ بك مِن غَلَبَة الهَوىٰ، ومِن عَمىٰ البَصيرة.

فإن قال المُتَعَصِّب: إنَّه لم يَطَّلع علىٰ هذه الأقوال.

فالجواب: أنْ يُقال: هذا بعيدٌ جدًّا؛ لأنَّ هذه الأقوال سوىٰ قول ابن خلكان قد ذُكرت في «فَصل الخطاب» في أوَّل الوجه الذي نقل منه المُتَعَصِّب ما نقل من الكلام في ابن حزم، فما باله يتحامَل علىٰ المُعاصر، ويتعامىٰ عن المُتقَدِّمين؟!

الوجه الثَّاني: أنَّ ابن حَزْم صرَّح في كتابه «طوق الحمامة» بما يلزم منه القَدح فيه، وذلك في قصَّتين:

إحداهُما: ذَكر أنَّه عَشقَ جاريةً نشأت في دارهم لبعضِ مَن في دارهم من النِّساء، وأنه سعىٰ عامين أَو نحوهما بأبلغ السعي أن تُجيبَه بكلمة، غير ما يَقع في الحديث الظَّاهر إلىٰ كل سامِع، وأنه ما وصل من ذلك إلىٰ شيء، وأنَّه كان يتعرَّض مرَّةً للدُّنُوِّ منها فتَنفِر منه، وتَبعد عن قُربِه، وأنه حضَر غناءها وضَرْبَها بالعُود، قال: فلَعَمْري لكأن المضراب إنَّما يقع علىٰ قَلبي، وما نسيت ذلك، ولا أنساه إلىٰ يوم مُفارقتي للدنيا.

---

(١) «البداية والنهاية» (١٤/ ٣٣٢).

قال: وهذا أكثَر ما وصلتُ إلَيه مِن التَّمكُّن مِن رُؤيتها، وسَماع كلامِها. وفي ذلك أَقُول:

لَا تَلُمْهـا علىٰ النِّفـار ومَنْـع الْـ ـوَصْل مـا هـذا لَهـا بنكِيـر[١]

ثم ذكر أنَّه كانت عِندهم جنازَة، وأنه رأىٰ تلك الفَتاة التي عشقَها، وقد ارْتَفعت الوَاعية -يعني أصوات النَّوائح- قائمةً في المَأتم وسَط النِّساء في جُملة البَواكي والنَّوادب، وأنها جدَّدت أحزانَه، ثمَّ ذكر أنَّه خرج من قُرطبة، وأنه رجَع إلَيْها سنةَ تِسعٍ وأربعمائة، فرَأىٰ تلك الفَتاةَ وقد تَغيَّرت مَحاسِنُها -وذكر كلامًا قال في آخره- وإنِّي لو نِلتُ منها أقل وَصل لخولطت طَربًا، أو لمت فرحًا، ولكن هذا النفار الذي صبَّرني وأسلاني[٢].

قلت: وفي هذا الكلام عدَّة أُمور، كلُّ واحد منها يكفي للقدح في العَدالة:

منها تَعرُّضه للدُّنو من المرأة الأجنبية، وطَلب الوِصال منها.

ومنها استماعه لغنائها وضَربِها بالعود، وهذا مما يقدح في العَدالة عند أكثر العُلَماء.

قال أبو الطَّيب الطبري: وأما سماعه من المرأة التي ليست بمحرم له، فإن أصحاب الشَّافعي قالوا: لا يجوز بحال، سواء كانت مكشوفة أَو من وراء حجاب، وسواء كانت حرة أَو مملوكة، وقال ابن عقيل، وغيرُه من أكابر الحنابلة: إن كان المغنِّي امرأة أجنبية، فإنَّه يحرم الاستماع إلَيْها بلا خلاف بين الحنابلة، وقد صرَّح ابن

---

(١) «طوق الحمامة» (١/ ٢٥١).

(٢) «طوق الحمامة» (١/ ٢٥٢).

حَزْم في كتابه «طوق الحمامة»[١] بأنه يحرم علىٰ المسلم الالتذاذ بسماع نغَمة المرأة الأجنبية، كما سيأتي ذكره قريبًا أن شاء الله تَعالَىٰ.

ومنها إطلاقُ بصَره في النظر إلىٰ المرأة الأجنبية، وذلك حرامٌ، قال النَّووي رحمه الله تَعالَىٰ: وأما نظَر الرَّجُل إلىٰ المرأة فحرامٌ في كلِّ شيء من بدنها، فكذلك يَحرم عليها النظر إلىٰ كل شيء من بدنه، سواء كان نظرُه ونظرُها بشَهوة أم بغيرها، ولا فَرق أيْضًا بين الأَمَة والحُرَّة إذا كانتا أَجنبِيَّتَين. انتهىٰ.

وقال شيخ الإسْلَام أبو العبَّاس ابنُ تَيْميَّةَ رحمه الله تَعالَىٰ: ويَحرم النَّظرُ بشَهوة إلىٰ النِّساء، والمُرْدان، ومَن استحلَه كفَر إجْماعًا، ويحرم النظر مع خوف ثوران الشهوة، وهو منصوصٌ عن الإمَام أحمد، والشَّافعي. قال: وكل قِسم متىٰ كان معه شَهوة كان حرامًا بلا ريب سواء، كانت شهوة تمتُّع بنظر، أَو نظر لشَهوة الوطء[٢]. انتهىٰ.

والأدلَّة علىٰ وُجوب غضِّ البَصر عن المَرأةِ الأَجنبية، وتَحريم النَّظر إلَيْها كثيرةٌ مَعروفة في الكِتَاب والسُّنَّة.

وفي هذه القصَّة أيْضًا حضورُه عند النِّياحة، وإقراره لها، وهذا مما يقدح في العَدالة، وقد روىٰ أبو داود في «سننه»، والبخاري في «التاريخ الكبير» عن أبي سعيد الخُدري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: «لعَن رسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ النَّائحةَ والمُستَمِعَةَ»[٣].

---

(١) (١/ ٢٧١).

(٢) «المستدرك علىٰ مجموع الفتاوىٰ» (٤/ ١٤١).

(٣) أخرجه أحمد (٣/ ٦٥) (١١٦٤٠)، وأبو داود (٣١٢٨)، والبخاري في «التاريخ الكبير»

القصَّة الثَّانية: قال ابن حَزْمٍ: ولقد ضمَّني المَبيت ليلة في بعض الأزمان عند امرأةٍ من بعض مَعارفي مَشهورة بالصَّلاح والخَير والحَزْم، ومعها جارِيَة مِن بَعض قرابَاتِها من اللَّاتي قد ضمَّتها معي النَّشأة في الصِّبا، ثمَّ غِبْتُ عنها أعوامًا كثيرة، وكنتُ تركتُها حين أعصرت، ووجدتُها قد جرىٰ علىٰ وجهها ماء الشَّباب، ففَاض وانْسَاب، وتَفجَّرت عليها ينابيع الملاحة، فترَدَّدْتُ وتَحيَّرْتُ، وطلعت في سماء وجهها نجوم الحُسن فأشرقت وتَوقَّدت، وانبعث في خدَّيها أزاهيرُ الجَمال فتَمَّت وأعتمت...

إلىٰ أن قال: فبتُّ ثلاثَ ليال ولم تحجب عنِّي علىٰ جاري العادة في التَّربية، فلعمري لقد كاد قلبي أن يصبو ويثوب إلَيه مَرفوض الهَوىٰ، ويُعاوِدُه مَنسِي الغَزل، ولقد امتنعتُ بعد ذلك من دخول تلك الدَّار خوفًا علىٰ لُبِّي أن يزدهيه الاستحسان(١). انتهىٰ.

وسياقه لهذه القصَّة قادحٌ في عدالته؛ لكونه قد أطلق بصرَه في النَّظر إلىٰ مَحاسن المَرأة الأجنبية، بل إنَّه قد نَعتَها نَعتَ مَن غَلغَل النَّظَرَ إلَيْها.

وإذا عُلم ما صرَّح به ابنُ حَزْم عن نفسه في هاتين القصتين، فليُعلم أيْضًا أنَّه قال بعد القصة الأولىٰ بسِتِّ ورَقات، وبعد القصة الثَّانية بورقة ما نصه: والصَّالح من الرِّجال لا يُداخل أهل الفُسوق، ولا يتعرَّض إلىٰ المناظر الجالبة للأهواء، ولا يرفع طرفه إلىٰ الصُّور البديعة التَّركيب، والفاسق مَن يُعاشر أهل النَّقص، وينشر بصَره إلىٰ الوجوه بديعةِ الصَّنعة...

إلىٰ أن قال: ولهذا حرُم علىٰ المسلم الالتذاذُ بسَماع نغمة امرأة أجنبية، وقد

=

(١/ ٦٦) (١٥١)، وضعفه الألباني في «المشكاة» (١٧٣٢).

(١) «طوق الحمامة» (١/ ٢٧٣- ٢٧٤).

جُعلت النَّظرةُ الأولىٰ لكَ، والأخرىٰ عليك[١]. انتهىٰ.

وإذا جَمعنا بين ما ذكره ابن حَزْم عن نفسه في القصتين، وبين تعريفه للصالح والفاسق، تَبيَّن لنا أنَّه من جملة مَن قَدح في عدالة نفسه، وحينئذ فيَنبغي للمُتعصِّب له أن يبدأ به في ذكر القادحين فيه، ولا يتَّبع الهوىٰ فيضله عن سبيل الله.

وههنا قصَّة ثالثة، ذكرها المقري عن ابن حَزْم أنَّه قال في «طَوق الحَمامَة»: إنَّه مَرَّ يَومًا هو وأبو عُمر بن عبد البَرِّ بسكَّة الحطَّابين بمدينة إشبيلية، فلقيهما شابٌّ حسَن الوَجه، فقال ابنُ حَزْم: هذه صُورة حسنة، فقال أبو عمر: لم نَرَ إلَّا الوَجه، فلعل ما سَتَرته الثِّياب ليس كذلك، فقال ابن حَزْم ارْتِجَالًا:

وذي عَــذْل فــيمَن ســبَاني حُســنُه ... يُطيــلُ مَلامــي في الهَــوىٰ ويَقُــولُ

أَمِــن أَجْــل وَجْــهٍ لاحَ لَــم تَــرَ غَيــرَه ... ولَــم تَـدر كيف الجِسمُ أنتَ عَلِيلُ

فقلــتُ لــه أسـرفتَ في اللَّــوم فاتَّئِـد ... فعِنـــدي رَدٌّ لَـــو أشـــاءُ طَويـــلُ

أَلَــم تَرَنِــي ظَاهِرِيًّــا وَأَنَّنِــي ... عَلـىٰ مـا بَـدَا حتَّـىٰ يَقـومَ دَليـلُ

وهذه القصة ليسَت في النُّسخة المطبوعة، فلعلها سقطت من بعض النُّسَّاخ، وقد ذكرها الحَافِظ الذَّهَبِي في «سِير أعلام النُّبلاء»[٢]، ونقل ياقوت الحَموي في «معجم الأدباء»[٣] عن صاحب «المطمح» أنه أَورَد لابن حَزْم أشعارًا منها هذه الأبيات، ولم يَذكر ما جرىٰ بينه وبين ابن عبد البَرِّ من الكلام في الشَّاب الحسَن

---

(١) «طوق الحمامة» (١/ ٢٧٠- ٢٧١).

(٢) (١٨/ ٢٠٧).

(٣) (٤/ ١٦٥٣).

الوجه، فلعل صاحب «المطمح» حَذَف ذلك واقْتَصَر علىٰ ذكر الأبيات، واللهُ اعلم.

وقد ذَكر الأبيات أيْضًا ابن خلِّكانَ في كتابه «وفيات الأعيان»[١]، وسياق هذه القصَّة مما يقدح في عدالة ابن حَزْم؛ لكونه أطلق بصره في النظر إلىٰ الأمرد الحسن، ثمَّ أتْبَع ذلك بالتَّشبيب به، وكِلَاهما حرامٌ، وقد ذكر الحَافِظ أبو الفَرج ابن الجَوزي عن سعيد بن المُسيِّب أنَّه قال: إذا رأيتم الرجل يلحُّ النَّظر إلىٰ غلام أمرد فاتَّهِمُوه[٢].

قال النَّووي رحمه الله تَعالَىٰ: يَحرُم علىٰ الرَّجل النَّظر إلىٰ وجْهِ الأمرد إذا كان حسن الصُّورة، سواء كان نظره بشهوة أم لا، وسواء أَمِن الفتنة أم خافَها، هذا هو المذهب الصحيح المختار عند العُلَماء المحقِّقين، نصَّ عليه الشَّافعيُّ وحُذَّاقُ أصحابه، ودليلُه أنَّه في معنىٰ المَرأة، فإنَّه يُشتهىٰ كما تُشتهىٰ، وصورته في الجمال كصورة المرأة، بل ربما كان كثير منهم أحسنَ صورة من كثير من النِّساء، بل هم في التَّحريم أولىٰ لمعنىٰ آخر، وهو أنَّه يتمكن في حقهم من طرق الشر ما لا يتمكن من مثله في حقِّ المرأة[٣]. انتهىٰ.

وقال شيخ الإسْلَام أبو العبَّاس ابن تَيْميَّةَ رحمه الله تَعالَىٰ: ويحرم النظر بشهوة إلىٰ النِّساء والمُردان، ومَن استحله كفَر إجماعًا، ويحرم النظر مع خوف ثوران الشهوة، وهو منصوص عن الإمَام أحمد، والشَّافعي، ومن كرَّر النظر إلىٰ الأمرد ونحوه، وقال: لا أنظر بشهوة كَذَب في دعواه، وقاله ابن عقيل، وكل قسم متىٰ كان

---

(١) (٣/ ٣٢٧).

(٢) «تلبيس إبليس» (١/ ٢٣٧).

(٣) «شرح صحيح مسلم» (٤/ ٣١).

معه شهوة كان حرامًا بلا ريب، سواء كانت شهوة تمتع بنظر، أَو نظر لشهوة الوطء واللمس، كالنظر وأولىٰ(١).

وقال الشَّيْخ أيْضًا في موضع آخر: النظر إلىٰ وجه الأمرد بشَهوة كالنَّظر إلىٰ وجه ذوات المحارم، والمرأة الأجنبية بالشهوة، سواء كانت الشهوة شهوة الوطء، أَو كانت شهوة التَّلذُّذ بالنَّظر كما يتلذَّذ بالنظر إلىٰ وجه المَرأة الأجنبية، وإذا كان معلومًا لكل أحد أن هذا حرام، فكذلك النَّظر إلىٰ وجه الأَمْرد باتِّفاق الأئمَّة.

وذكر الشَّيْخ أيْضًا أن العُلَماء اتَّفقوا علىٰ تحريم النَّظر إلىٰ الأجنبية، وذوات المَحارم بشهوة(٢). انتهىٰ.

وممَّا يَقدح في ابن حَزْم أيْضًا: قوله في كتابه «طَوْق الحَمَامة»(٣):

فقُلتُ إنَّ الَّتي قَلبي بها عَلق ... قبَّلتها قُبلةً يَومًا علىٰ خَطَرِ
فمَا أعد ولو طَالت سِني سوىٰ ... تلك السُّويعة بالتَّحقيق مِن عُمري

وهذا ظاهر في أن التي قبَّلها كانت أجنبية، ولهذا قال: علىٰ خَطَر، ولو كانت حلالًا له لما كان عليه خَطر من تَقبيلها.

ومما يقدح في ابن حَزْم أيْضًا: قوله في كتابه «طَوق الحمامة»(٤):

خَلوتُ بِها والرَّاح ثَالثة لَها ... وجنح ظَلام اللَّيل قد مَدَّ مَا انْبَلَج

---

(١) «المستدرك علىٰ مجموع الفتاوىٰ» (٤/ ١٤٢).

(٢) «مجموع الفتاوىٰ» (١٥/ ٤١٣).

(٣) (١/ ١٨١).

(٤) (١/ ١٠٩- ١١٠).

فتَـــاة عــدمتُ العَــيشَ إلَّا بقُرْبِهـــا ... فهل في ابْتِغاء العَيش ويحك مِن حَرَج
كأنِّي وهي والكَأس والخَمر والدُّجىٰ ... ثـرىٰ وَحيًـا والـدُّر والتِّبـر والسَّـبَج

وإذا حملنا المَخلُوَّ بها علىٰ أحسَن المَحامل بأن تكون زَوجةً له، أَو سريَّة، فالرَّاح لا يدخلها الاحتمال، وهو فيها بين أمرين لا ثالث لهما: إما أنَّه شربها، أَو أنَّه كذب فيما قال، وهذا الأخير هو المظنون به؛ لِقول الله تَعالَىٰ: ﴿ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴾ [الشعراء: ٢٢٦]، وكلٌّ مِن الأمرين قادحٌ في العَدالة لا مَحالة.

وإذا كان المُتَعَصِّب لابن حَزْم غَضبانَ مما ذُكر في «فصل الخطاب» من الكلام في إمَامِه ابن حَزْم، فليغضب علىٰ إمَامه؛ لأنَّه هو الذي أشَاع عن نفسه بما ذكرناه عنه، ثمَّ عرَّف الصَّالح بما يُخالف أفعالَه التي ذكَرَها عن نفسه، وعرَّف الفاسقَ بما يوافق أفعالَه، فهو الذي قدَح في نفسه علىٰ الحقيقة، ومَن لام رجلًا قدح في رجل بكلامه الذي أشاع به عن نفسه، وأثبته في كتابه، فاللَّائم هو المُعتدي والمَلوم علىٰ الحقيقة.

وليَغضب المُتَعَصِّب أيْضًا علىٰ الذين أجمَعوا علىٰ تضليل إمَامه من مُعاصريه، وعلىٰ مَن بعدهم من أكابر العُلَماء الذين تكلَّموا فيه، ونَقلوا مساوي أفعاله.

الوجه الثَّالث: أنْ يُقال: إذا لم يَكن المُتَعَصِّب لابن حَزْم قانعًا بما ذكرنا في «فصل الخطاب» فإنَّا نزيدُه ما هو أشدُّ من ذلك، وهو ما قاله المقري في «نَفح الطِّيب»[1] حينما ذكَر ابنَ حَزْم، فقال: هو نَسيج وحده، لولا ما وُصف به مِن سُوء الاعتقاد، والوُقوع في السَّلف الذي أثار عليه الانتقاد، سامحه الله تَعالَىٰ.

---

(١) (٢/ ٧٨).

قلت: والنعت بسُوء الاعتقاد أعظم في القدح مما نقلته في «فَصْل الخِطَاب» من «طَوق الحَمَامة».

ومن سوء اعتقاده: تأويلُه لآيات الصِّفات، وأَحادِيث الصِّفات، كما تقدمَ فيما ذكره ابنُ كثير عنه، وهذا خلاف ما كان عليه السَّلف الصَّالح رحمة اللهِ عليهم، فإنَّهم كانوا يمرُّون آياتِ الصِّفات، وأَحادِيثَ الصِّفات، ويأمُرون بإمْرارِها كما جاءت من غير تَحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل.

ومِن سوء اعتقاده أيْضًا: كلامه السَّيِّئ في القُرآن، فقد قال في كتابه «الفِصَل في المِلَل والأهواءِ والنِّحَل»[1] ما مُلخَّصُه: ثمَّ نقول: إن قولنا: القرآن، وقولنا: كلام لفظٌ مُشترك يعبَّر به عن خمسة أشياء، فنسمي الصوت المسموع الملفوظ به قرآنًا، ونقول: إنَّه كلام الله تَعالَىٰ علىٰ الحقيقة، ويسمىٰ المفهوم من ذلك الصوت قرآنًا، وكلام الله علىٰ الحقيقة، ويسمىٰ المصحف كله قرآنًا، وكلام الله، ونسمِّي المستقر في الصدور قرآنًا، ونقول: إنَّه كلام الله تَعالَىٰ، ونقول أيْضًا: إن القُرْآن هو كلام الله تَعالَىٰ، وهو عِلمُه...

إلىٰ أن قال: فهذه خَمسة معانٍ يُعبَّر عن كل معنًىٰ منها بأنه قُرآن، وأنه كلامُ الله، ويخبر عن كلِّ واحد منها إخبارًا صحيحًا بأنه القُرْآن، وأنه كلامُ الله بنصِّ القُرْآن والسُّنَّة، ثمَّ قال: إنَّ اسمَ القُرْآن يقع علىٰ خمسة أشياء وُقوعًا مُستويًا صحيحًا، منها أربعة مخلوقة، وواحد غير مخلوق. انتهىٰ المقصود من كلامه.

وزَعمُه أن المَحفوظَ في الصُّدور من القُرْآن، والمُثبَت في المصاحف منه،

---

(١) (٣/ ٥ - ٧).

والمَسموع من تلاوة التَّالين، والمَفهوم من ذلك كله مَخلوق؛ هو من أقوال الجَهميَّة.

وقد قال أبو داود في كتاب «المسائل»: كتبتُ رُقعة وأرسلتُ بها إلىٰ أبي عبد الله، وهو يومئذ مُتوارٍ، فأخرج إليَّ جَوابَه مكتوبًا فيه: قلت: رَجُل يقول: التِّلاوة مَخلُوقة، وألفاظنا بالقُرْآن مخلوقة، والقُرْآن ليس بمخلوق، ما ترىٰ في مجانبته؟ وهل يسمىٰ مبتدعًا؟ وعلىٰ ما يكون عقد القلب في التلاوة والألفاظ؟ وكيف الجواب فيه؟

قال: هذا يُجَانَبُ، وهو فوق المُبتَدِع، وما أَرَاهُ إلَّا جَهمِيًّا، وهذا كلام الجهميَّة، القُرْآن ليس بمخلوق، قالت عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنهَا: تَلَا رسولُ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيهِوَسَلَّمَ: ﴿**هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞ**﴾ [آل عمران: ٧] الآية، قالت: فقال رسولُ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيهِوَسَلَّمَ: «**إذا رَأيتمُ الَّذين يتَّبعون ما تشابَه منه فاحْذَرُوهم، فإنَّهم هم الذين عَنىٰ اللهُ**»(١)، فالقُرْآن ليس بمخلوق. انتهىٰ. ورواه عبدُ الله ابن الإمَام أحمد في كتاب «السُّنَّة» عن أبيه بنحوه.

وقال الإمَام أبو جعفر ابن جَرير الطَّبري في «عقيدته»(٢): أول ما نبدأ بالقول فيه عندنا: القُرْآن أنَّه كلام الله، وتَنزيلُه؛ إذ كان من معاني توحيده، فالصواب من القول في ذلك عندنا: أنَّه كلام الله غير مخلوق كيف كُتب، وكيف تُلِي، وفي أي موضع قُرِئ، في السماء وجد، وفي الأرض حُفظ، في اللوح المحفوظ، أَو في القلب، وباللسان لُفِظ، فمَن قال غيرَ ذلك، أَو ادَّعىٰ أن قرآنًا في الأرض أَو في السَّماء سوىٰ القُرْآن الذي نتلوه بألْسِنَتنا، ونكتبه في مصاحفنا، أَو اعتقد ذلك بقلبه، أَو أضمره في نفسه، أَو قاله بلسانه

---

(١) أخرجه بنحوه البخاري (٤٥٤٧)، ومسلم (٢٦٦٥).

(٢) «صريح السنة» للطبري (ص ١٢).

دَائنًا؛ فهو بالله كافِر، حَلالُ الدَّم والمَال، بَريءٌ من الله، واللهُ منه بريء.

يقول الله تَعالَىٰ: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝٢١ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾ [البروج: ٢١، ٢٢]، وقال تعالَىٰ: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]، فأخبَر أنَّه في اللَّوح المَحفوظ مَكتوب، وأنه مِن لسَان مُحمَّد مَسموع، وكذلك هو في الصدور محفوظ، وبألسن الشيوخ والشُّبَّان مَتلُوٌّ...

إلىٰ أن قال: وأما القول في ألفاظ العِباد بالقُرْآن، فلا أَثر فيه نَعلمُه عن صحابي مضىٰ، ولا عن تابعي قَفىٰ، إلَّا عمن في قوله الغَناء والشِّفاء، وفي اتِّباعه الرشد والهدىٰ، ومن يقوم قوله لدينا مقام قول الأئمَّة الأُولىٰ: الإمَام المُرتضىٰ أحمد بن مُحمَّد بن حنبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاه.

قال أبو جعفر: أخبرنا إسْمَاعيل التِّرْمِذِي، قال: سمعتُ أبا عبد الله أحمَدَ يقول: اللَّفظية جَهمِيَّة، يقول الله: ﴿حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ فمِمَّن يسمع؟!

ثمَّ سمعتُ جماعةً من أصحابنا لا أحفظ أسماءهم يَذكرون عنه -يعني الإمَامَ أحمدَ بن حنبل- أنَّه كان يقول: مَن قال: لَفْظي بالقُرْآن مَخلوق؛ فهو جَهمِي، ومَن قال: غير مخلوق؛ فهو مُبتدع. ولا قول في ذلك كله عندنا يجوز أن نقوله غير قوله؛ إذ لم يكن لنا في ذلك إمَام نأْتَمُّ به سواه، وفيه الكفاية والمَقْنع، هو الإمَام المتبع؛ إذ هو إمَام أهل السنة رحمة الله عليه ورضوانه. انتهىٰ.

وما ذكره عن الإمَام أحمد -رَحِمَه اللهُ تَعالَىٰ- مِن الكلام في اللَّفظية قد رواه عنه أبو داود في كتاب «المسائل» مُختصرًا، ورواه عبد الله ابن الإمَام أحمد في كتاب

«السُّنَّة»[١] عن أبيه بألفاظ كثيرة، ونقله صاحب «طبقات الحنابلة»[٢] بألفاظ كثيرة مِن رواية أحمد بن إبراهيم الدَّوْرَقي، وأحمد بن شاذانَ الهمداني، وإسْمَاعيل بن إسحاق النيسابوري السراج، وبديل بن مُحمَّد بن أسد، وإبراهيم بن سعيد الجوهري، وأبي علي الحسين بن علي، وشاهين بن السميع العبدي، ومُحمَّد بن إسْمَاعيل التِّرْمِذِي، ومُحمَّد بن شدَّاد الصغدي، ومُحمَّد بن يحيىٰ بن مَنْده الأصبهاني.

وقال إبراهيم الحربي: كنتُ جالسًا عند الإمَام أحمد بن حنبل؛ إذ جاءه رجل، فقال: يا أبا عبد الله، إنَّ عندنا قومًا يقولون: إنَّ ألفاظَهم بالقُرْآن مخلوقه، فقال أبو عبد الله: يتوجه العبدُ لله تعالىٰ بالقرآن بخمسة أوجه، وهو فيها غير مخلوق؛ حفظ بقلب، وتلاوة بلسان، وسمع بأُذن، ونظرة ببصر، وخط بيد، فالقلب مَخلوق، والمحفوظ غير مخلوق، والتلاوة مخلوقة، والمتلو غير مخلوق، والسمع مخلوق، والمسموع غير مخلوق، والنظر مخلوق، والمنظور إلَيه غير مخلوق، والكتابة مخلوقة، والمكتوب غير مخلوق.

قال إبراهيم: فمات أحمدُ فرأيتُه في النَّوم وعليه ثياب خُضر وبِيض، وعلىٰ رأسه تاج من الذَّهب مُكلَّل بالجَوهر، وفي رجليه نعلان مِن ذَهَب، فقلتُ له: ما فعل اللهُ بك؟ قال: غَفَر لي، وقرَّبَني، وأدْنَاني، فقال: قد غَفرتُ لك، فقلتُ له: يا ربِّ، بمَاذا؟ قال: بقولك: كلامي غيرُ مخلوق.

قال ابنُ القيم رحمه الله تَعالَىٰ: ففرَّق أحمدُ بين فِعل العَبْد وكَسْبِه وما قام به؛

---

(١) (١/ ١٦٣).

(٢) (١/ ٧٥).

فهو المَخلوق، وبين ما تعلَّق به كسْبُه، وهو غير مخلوق، ومن لم يفرِّق هذا التفريقَ لم يستقر له قَدَم في الحقِّ(١). انتهىٰ.

وقد قامت الأدلَّة من الكِتَاب والسُّنَّة علىٰ الأوجه الخمسة التي نَصَّ عليها الإمَام أحمد رحمه الله تَعالَىٰ:

فأما قوله: حفظ بقلب؛ فدليله قول الله تَعالَىٰ: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَـٰتٌۢ بَيِّنَـٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ [العنكبوت: ٤٩]، وقوله تَعالَىٰ: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ [الشعراء: ١٩٣، ١٩٤]، وقوله تَعالَىٰ: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ﴾ [القيامة: ١٦، ١٧] يعني في صدرك، قاله ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ورواه عنه الإمَام أحمد، والبخاري، ومسلم، وغيرهم، وروىٰ الإمَام أحمد أيضًا عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: قال رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **«إنَّ الرَّجُلَ ليس في جَوفه شيء من القُرْآن كالبَيت الخَرِب»**(٢).

وأَمَّا قوله: وتلاوة بلسان؛ فدليله قول الله تَعالَىٰ: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَـٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [مريم: ٩٧] الآية، وقوله تَعالَىٰ: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾، وقوله تَعالَىٰ: ﴿فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ﴾، وقد استدل الإمَام أحمدُ بهذه

(١) «مختصر الصواعق المرسلة علىٰ الجهمية والمعطلة» (١/ ٥١٥).

(٢) أخرجه أحمد (١/ ٢٢٣) (١٩٤٧)، والترمذي (٢٩١٣)، وابن الضريس في «فضائل القرآن» (ص ١٥٨) (٣٣٧)، والطبراني (١٢/ ١٠٩) (١٢٦١٩)، والحاكم (١/ ٧٤١) (٢٠٣٧)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢/ ٣٢٨) (١٩٤٣)، والضياء (٩/ ٥٣٧) (٥٢٥)، والدارمي (٢/ ٥٢١) (٣٣٠٦)، وضعفه الألباني في «ضعيف الجامع» (١٥٢٤).

الآية، وبقول النَّبي صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**إنَّ قُريشًا مَنعوني أن أُبلِّغ كلامَ ربِّي**»(١)، علىٰ أن اللَّفظيةَ مِن الجَهْمِيَّة.

وقال تَعالَىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ [البقرة: ١٢١]، وقال تعالَىٰ: ﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، وقال تعالَىٰ: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ﴾ [العنكبوت: ٤٨]، وقال تَعالَىٰ: ﴿لِّتَتْلُوَا۟ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ [الرعد: ٣٠] إلىٰ غير ذلك من الآيات.

وأما قوله: وسمع بأذن؛ فدليله قول الله تَعالَىٰ: ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٧٥]، وقوله تَعالَىٰ: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]، وهم إنَّما يسمعونه بتلاوة الآدميين، وقال النَّبي صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لابن مسعودٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «**اقْرأ عليَّ مِن القُرْآن**» قال: فقلتُ: يا رَسُول اللهِ؟ اقرأُ عَليك وعليك أُنزل؟! قال: «**إنِّي أُحِبُّ أنْ أسمعَه مِن غَيْرِي**»، رواه الإمَام أحمد، والشَّيْخان، وأبو داود، والتِّرمِذي، والنسائي(٢).

وأما قوله: ونظرة ببصر؛ فقد ورد في ذلك حديث في إسناده مقالٌ، وهو ما رواه أبو عبيد القاسم بن سلام، والطبراني، وأبو نُعيم، وغيرهم، عن بعض أصحاب النَّبي صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، عن النَّبي صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أنَّه قال: «**فَضْلُ قِراءة القُرْآن نظرًا، علىٰ مَن**

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٧٣٤)، والترمذي (٣١٥٢)، وابن ماجه (٢٠١) من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٩٤٧).

(٢) أخرجه أحمد (١/ ٣٨٠) (٣٦٠٦)، والبخاري (٥٠٤٩)، ومسلم (٨٠٠)، وأبو داود (٣٦٦٨)، والترمذي (٣٠٢٥)، والنسائي في «الكبرىٰ» (٧/ ٢٨١) (٨٠٢١)، والبيهقي (١٠/ ٢٣١) (٢٠٨٤٦).

يقرأه ظَهرًا؛ كفَضل الفَريضة علىٰ النَّافلة»(١).

وأما قوله: وخط بيد؛ فدليله قول الله تَعالَىٰ: ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ﴾ [العنكبوت: ٤٨]، وقوله تعالَىٰ: ﴿وَٱلطُّورِ ۝١ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ۝٢ فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ﴾ [الطور: ١ - ٣]، وقوله تعالَىٰ: ﴿ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝٢١ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ﴾ [البروج: ٢١، ٢٢]، وقوله تَعالَىٰ: ﴿رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُواْ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ۝٢ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ﴾ [البينة: ٢، ٣]، وقوله تَعالَىٰ: ﴿فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ۝١٣ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍۭ﴾ [عبس: ١٣، ١٤]، وقوله تعالَىٰ: ﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ [الأنعام: ٧]، وقوله تعالَىٰ: ﴿تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ﴾ [الأنعام: ٩١] إلىٰ غير ذلك من الآيات.

وأما قول ابن حَزْم: إنَّ اسم القُرْآن يقع علىٰ خمسة أشياء يُعبَّر عن كل معنىٰ منها بأنه قرآن؛ فهو قول باطلٌ لم يَسبقه إليه أحد، والحقُّ أن الكلَّ شَيء واحد، كما سيأتي بيانه في كلام ابن القيم رحمه الله تَعالَىٰ.

ثم إنَّ ابن حَزْم لم يُفرِّق بين صوت القارئ، وتلاوته للقرآن، وبين المتلو المقروء، فجعل الكلَّ شَيئًا واحدًا، وزَعَم أنَّه مخلوق، والحقُّ التَّفريقُ بين فِعل العبد الذي هو صوته وتلاوتُه، وبين المتلو المقروء، ففعلُ العبد مخلوق، والمتلو المقروء غير مخلوق، والحقُّ أن الورقَ والمِداد مخلوقان، وأن المكتوب المثبَت في

---

(١) أخرجه الديلمي (٣/ ١٢٧) (٤٣٤٢)، وعزاه الحافظ في «الفتح» (٩/ ٧٨) (٤٧٤١) لأبي عبيد في «فضائل القرآن» وقال: وإسناده ضعيف. وقال الألباني في «الضعيفة» (٤٠١١): ضعيف جدًّا.

المصحف غير مخلوق، وقد تقدَّم بيانُ ذلك فيما نقله إبراهيم الحَربي عن الإمَام أحمد رحمه الله تَعالَىٰ.

وقد قال ابن القيم -رَحِمَه اللهُ تَعالَىٰ- في «الكافية الشَّافية»(١):

وأتىٰ ابنُ حَزْم بعد ذاك فقال ما ... للنَّاس قُرآنٌ ولا إثْنانِ
بل أربَع كل يسمىٰ بالقُرآ ... نِ وذاك قول بيِّنُ البُطلَانِ
هذا الذي يُتلىٰ وآخَر ثَابت ... في الرَّسم يُدعىٰ المُصحف العُثْماني
والثَّالث المَحفوظ بين صدورنا ... هذي الثَّلاث خلِيقَة الرَّحمنِ
والرَّابع المَعنىٰ القديمُ كعِلمِه ... كلٌّ يُعبَّر عنه بالقُرْآنِ
وأظُنُّه قَدْ رامَ شَيئًا لَم يجد ... عنه عِبارة نَاطق ببيانِ
إن المُعين ذو مراتب أربع ... عقلَت فلا تَخفىٰ علىٰ إنسانِ
في العَين ثمَّ الذِّهن ثمَّ اللَّفظ ثمَّ ... الرَّسم حين تخطُّه ببنانِ
وعلىٰ الجميع الاسم يُطلق لكِنِ الْـ ... ـأَوْلىٰ به المَوجود في الأعيانِ
بخِلاف قولِ ابن الخَطيبِ فإنَّه ... قد قال إنَّ الوَضع للأذهان
فالشَّيء شيءٌ واحِد لا أربع ... فدَهىٰ ابن حَزْم قلَّة الفرقانِ
واللهُ أخبر أنَّه سبحانه ... مُتكلِّم بالوحي والقُرْآن
وكذاك أخبَرنا بأنَّ كلامَه ... بصُدور أهل العِلْم والإيمَانِ
وكَذاك أخبر أنَّه المَكتوبُ في ... صُحف مُطهَّرة من الرَّحمن
وكَذاك أخبَر أنَّه المَتلُوُّ وَالـ ... ـمَقروء عند تلاوةِ الإنسانِ
والكلُّ شَيء واحدٌ لا أنَّه ... هو أربَع وثَلاثةٌ واثْنانِ

---

(١) (١/ ٥٠- ٥٢).

وتِــلاوة القُــرْآن أفعــالٌ لَنــا ... وكــذا الكتابــة فهْــي خَــطُّ بنـانِ
لكِنَّمــا المَتلــوُّ والمَكتــوبُ والــ ... مَحفــوظُ قَــول الوَاحــدِ الــرَّحمن
والعَبــدُ يَقــرأه بصــوتٍ طَيِّــبٍ ... وبضِــدِّه فَهُمــا لــه صَــوتانِ
وكــذاك يَكتبــه بخــطٍّ جَيِّــد ... وبضِــدِّه فَهُمــا لــه خطَّــان
أصــواتُنا ومِــدادُنا وأداتُنــا ... والــرَّقُّ ثــمَّ كتابَــة القُــرْآنِ
ولقَــد أتــىٰ في نظمِــه مَــن قــال قَــو ... لَ الحــقِّ بالفُرقــان غيــرَ جَبــانِ
إن الــذي هــو في المصــاحف مثبت ... بأنامــل الأشــياخ والشــبان
هــو قــولُ ربِّــي آيُــه وحُروفُــه ... ومِــدادنا والــرَّقُّ مَخلوقــان
فشــفَىٰ وفــرَّق بــين مَتلُــوٍّ ومَصْــ ... ـنُوعٍ وذَاك حقيقــةُ العِرفــانِ
الكــلُّ مَخلــوق ولــيس كلامُــه الــ ... ـمَتلوُّ مَخلوقًــا همــا شــيئانِ
فعليــكَ بالتَّفصــيل والتَّمييــز فالــ ... ـإطْلَاقُ والإجمــالُ دُون بَيــانِ
قَــد أفْسَــدَا هَــذا الوُجــودَ وخَبَّطَــا الــ ... ـأذهانَ والآراءَ كــلَّ زَمــانِ
وتِــلاوة القُــرْآن في تَعريفهــا ... بــاللَّام قــد يُعنــىٰ بهــا شــيئانِ
يُعنــىٰ بهــا المَتلــوُّ فَهْــو كَلامُــه ... هُــو غيــرُ مَخلــوق كَــذِي الأكْــوانِ
ويُــراد أفعــالُ العِبــاد كصَــوتهم ... وَأداتهــم وكِلَاهُمــا خَلقــانِ
هــذا الَّــذي نصَّــت عليــه أئمَّــةُ الــ ... إسْــلَام أهــلُ العِلــم والعِرفــانِ
وهُــو الَّــذي قَصَــد البُخــاريُّ الرِّضَــا ... لكــنْ تَقاصَــر قاصِــرُو الأذهــانِ
عَــن فَهمــه كتَقاصُــر الأفهــامِ عَــن ... قَــول الإمَــام الأعظَــم الشَّــيباني
في اللَّفــظ لمَّــا أن نَفــىٰ الضِّــدَّين عنــ ... ــهُ وَاهْتَــدىٰ للنَّفــي ذو عِرفــانِ
فــاللَّفظ يَصلُــح مَصــدرًا هــو فِعلُنــا ... كــتلفُّظٍ بــتِلاوة القُــرْآنِ
وكــذاك يَصلُــح نَفــسَ مَلفــوظٍ بــه ... وهُــو القُــرَآنُ فــذَانِ مُحــتملَانِ

فلـذاك أنكـرَ أحمـدُ الإطـلاقَ في   نَفْـي وإثْبـاتٍ بـلا فرقَـانِ

الوَجه الرابع: مما يقدحُ في ابن حَزْم: استحلالُه لِمَا حرَّمه اللهُ ورسولُه مِن الغِناء والمَعازف، ومُخالَفتُه لإجمَاع مَن يُعتَدُّ بإجماعِهم مِن سلف الأمة وأئمَّتِها، وقد استَوفيتُ الرَّدَّ عليه في «فَصْل الخِطاب في الرَّد علىٰ أبي تُراب».

وقد قال الإمَام أحمد رحمه الله تَعالَىٰ: حدَّثَنا إسْحَاق بن عيسىٰ الطَّبَّاع، قال: سألت مالكَ بن أنسٍ عمَّا يَترَخَّص فيه أهل المَدينة من الغِناء، فقال: إنَّما يَفعلُه عندنا الفُسَّاق(١). قال الحَافِظ ابن رجب: وكذا قال إبراهيم بن المنذر الحزامي، وهو من عُلَماء أهل المدينة المعتبرين. انتهىٰ.

وقال الحَافِظ أبو الفَرج ابن الجوزي: حدَّثَنا هبَةُ الله بن أحمد الحريري، عن أبي الطيب طاهر بن عبد الله الطبري قال: قال الشَّافعي: الغناء لهْوٌ مَكروه يُشبه الباطل، ومَن استكثر منه فهو سَفيهٌ تُردُّ شَهادتُه، قال: وصاحب الجارية إذا جمع النَّاس لسَماعها؛ فهو سفيه تُردُّ شهادتُه، ثمَّ غلَّظ القولَ فيه، وقال: هو دياثَة، قال ابن الجَوزي: وإنَّما جعل صاحبها سَفيهًا فاسقًا؛ لأنَّه دعا النَّاسَ إلىٰ الباطل، ومَن دعا إلىٰ الباطل كان سفيهًا فاسقًا.

قال: وقد نص الشَّافعي في كتاب «أدب القضاء» علىٰ أن الرَّجل إذا داوم علىٰ سماع الغِناء رُدَّت شَهادتُه، وبَطلت عدالته(٢). انتهىٰ.

وقال ابن القيم رحمه الله تَعالَىٰ: مَذهب أبي حنيفة في ذلك من أشدِّ المَذاهب،

---

(١) «تلبيس إبليس» (١/ ٢٠٤).

(٢) «تلبيس إبليس» (١/ ٢٠٥- ٢٠٦).

وقوله فيه أغلظ الأقوال، وقد صرَّح أصحابه بتحريم سماع الملاهي كلها؛ كالمزمار، والدُّفِّ، حتىٰ الضَّرب بالقَضيب، وصرَّحوا بأنَّه مَعصية يُوجب الفِسقَ، وتُردُّ به الشَّهادة[1]. انتهىٰ.

وذكر ابنُ رَجب عن الأوزاعي، أنَّه كان يعدُّ قَولَ مَن يرخِّص في الغِنَاء مِن أهل المَدينة مِن زلَّات العُلَماء التي يُؤمر باجتنابها، ويُنهىٰ عن الاقتداء بها. انتهىٰ.

وقال أبو العبَّاس القُرطبي: أمَّا المزاميرُ، والأوتار، والكوبةُ فلا يُختلف في تحريم سماعها، ولم أسمع عن أحدٍ ممَّن يُعتبَر قَولُه من السَّلفِ وأئمَّة الخَلَف مَن يُبيح ذلك، وكيف لا يُحرَّم وهو شعارُ أهل الخُمور والفُسوق، ومهيج الشَّهوات والفساد والمجون؟! وما كان كذلك لم يشكَّ في تَحريمه، ولا في تَفسيق فاعلِه وتأثيمه. انتهىٰ.

ورویٰ الحَافِظ أبو الفَرج ابنُ الجوزي، عن أبي عَبد الله ابنِ بطَّةَ العُكبَرِيِّ، أنَّه قال: سألني سائلٌ عن استماع الغِنَاء، فنَهيتُه عن ذلك، وأَعلَمْتُه أنَّه مما أنْكَره العُلَماءُ، واستحسنه السفهاءُ[2]. انتهىٰ.

وقال أبو عبد الله مُحمَّد بن خفيف في كتابه الذي سماه «اعتقاد التوحيد»: ونقول: إن المُستَمعَ إلىٰ الغِنَاء والمَلاهي، فإنَّ ذلك كما قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: **«يُنبتُ النِّفاقَ في القَلب»**[3]، وإن لم يكفر؛ فهو فِسق لا محالة. انتهىٰ.

---

(١) «إغاثة اللهفان» (١/ ٢٢٧).

(٢) «تلبيس إبليس» (١/ ٢١١).

(٣) أخرجه أبو داود (٤٩٢٧) من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وضعفه الألباني.

وقد نقله عنه شيخ الإسْلَام أبو العبَّاس ابن تَيْميَّةَ -رَحِمَه اللهُ تَعالَىٰ- في «الرِّسَالة الحَمويَّة»[١].

وأَبلغ مما ذكرنا ههنا مِن أقوال العُلَماء في تَفسيق المُغنين، ومَن يستمع إلىٰ الغِنَاء، ما نقله صاحب «الفروع»[٢] عن القاضي عياض أنَّه ذكَر الإجماعَ علىٰ كفر مُستحلِّ الغِنَاء، كما ذَكر الإجماع علىٰ كُفر مَن قال بأنَّ القُرْآن مخلوق.

الوجه الخامس: مما يَقدح في ابن حَزْم: رَدُّه لبعض الأَحادِيث الصَّحيحة التي تُخالف رأيَه، وحُكمُه عليها بالوَضْع بدون مُستندٍ صَحيح، ومن ذلك ردُّه لِمَا رواه البخاريُّ في «صحيحه» مِن حديث عبد الرَّحْمن بن غَنْم الأشْعَري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: حدثني أبو عامر، أو أبو مالك الأشْعَري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، واللهِ ما كَذبني: سَمِع النَّبيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يقول: «**لَيكونَنَّ مِن أمَّتي أقوامٌ يَستحلون الحِرَ، والحَريرَ، والخَمر، والمَعازف**»[٣].

قال ابنُ حَجر الهيتمي: إنَّ ابن حَزْم حَمَله تعصُّبُه لمَذهبه الفاسد الباطل في إباحة الأوتار وغيرها إلىٰ الحُكم علىٰ هذا الحَديث وكلِّ ما ورَد في المَلاهي بالوَضْع، وقد كَذَب في ذلك، وافترىٰ علىٰ الله، وعلىٰ نبيِّه، وشَريعته. كيف وقد صرَّح الأئمَّة الحُفَّاظُ بتَصحيح كثير من الأَحادِيث الواردة في ذلك؟! ولقد قال بعضُ الأئمَّة الحُفَّاظ: إنَّ ابنَ حَزْم إنَّما صرَّح بذلك تقريرًا لمذهبه الفاسد في إبَاحَة المَلاهي، وأنَّ

---

(١) (١/ ٤٧٥).

(٢) (١١/ ٣٤٩).

(٣) أخرجه البخاري (٥٥٩٠).

تَعصُّبه لمذهبه الباطل أوقعه في المُجازفة والاشتهار، حتىٰ حكَم علىٰ الأَحادِيث الصَّحيحة من غير شكٍّ ولا مِريَة بأَنَّها مَوضوعة، وقد كذَب وافترىٰ، ومِن ثَمَّ قال الأئمَّةُ في الحَطِّ عليه: إنَّ له مُجازفات كثيرة، وأمورًا شنيعة، نشأت مِن غلطه، وجموده علىٰ تلك الظواهر، ومِن ثمَّ قال المُحقِّقون: إنَّه لا يُقامُ له وَزنٌ، ولا يُنظر لكَلامه، ولا يُعوَّل علىٰ خِلافه، فإنَّه ليس مُراعيًا للأدلَّة، بل لِمَا رآه هوَاه، وغلَب عليه من عدم تحَرِّيه وتقواه[(١)]. انتهىٰ.

وهذا الكلام من ابن حجَر الهَيتَمِي في ابن حَزْم يُضاف إلىٰ ما تقدَّم ذِكرُه من أقوال العُلَماء فيه، وبذلك يردُّ علىٰ مَن زَعم أنَّه لم يقدح فيه سوىٰ اثنين من المُتأخِّرين.

الوجه السَّادس: مما يُعاب به ابنُ حَزْم: أنَّه كان يَهجمُ علىٰ القول في التَّعديل والتَّجريح، وتَبيين أسماء الرُّواة، فيقع له من ذلك أوهام شنيعة، قاله الحَافِظ ابن حجر العسقلاني في «لسان الميزان»[(٢)]. قال: وقد تتَبَّع كثيرًا منها الحَافِظ قُطب الدين الحلبي ثم المصري، مِن «المُحلَّىٰ» خاصَّةً، وذكر الحَافِظُ أيْضًا عن الحُميدي أنَّه قال: قد تتبع أغلاطه في الاستدلال والنظر عبدُ الحقِّ بن عبد الله الأنصاري في كتابٍ سماه «الرَّد علىٰ المُحلَّىٰ».

ثم قال الحَافِظ ابنُ حجر: ذِكر نبذة من أغلاطه في وَصْف الرُّواة.

قال في الكلام علىٰ حديث: «لا صلاةَ بعد طلوع الفجر إلَّا ركعتي الفجر»[(٣)]:

---

(١) انظر: «كف الرعاع عن محرمات اللهو والسماع» (١/ ١٣٠).

(٢) (٤/ ١٩٨).

(٣) أخرجه أحمد (٢/ ٢٣) (٤٧٥٦)، والبيهقي (٢/ ٤٦٥) (٤٢٢٩) من حديث ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، =

الرِّواية في هذا الباب ساقطة مَطروحة مكذوبة. فذكر منها طريقَ يَسار مولىٰ ابن عمر، عن كعب بن مرة. قال: ويسار مجهول مُدلِّس، وكَعب لا يُدرىٰ مَن هو. قال القُطب: يَسارٌ قال أبو زُرعة: مدني ثقة.

وقال ابن حَزْم في حديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: **قلت: يا رَسُول اللهِ، قصرت وأتْممت، وصُمت وأفطرت، قال: «أصبتِ يا عائشةُ»[1]: انْفرد به العلاء بن زُهير،** وهو مجهول. قال القطب: أخرج الحديثَ النَّسائيُّ، والدَّارقطني، وروىٰ عن العلاء وكيعٌ، وأبو نُعيم، والفريابي، وغيرهم، وقال ابن مَعين: ثقة.

قال ابن حَزْم في حديث أم سلمة: «كنت ألبس أوضَاحًا من ذهب...»[2] الحديث: عتَّاب مَجهول. قال القطب: أخرج الحديث أبو داود، عن مُحمَّد بن عيسىٰ بن الطباع، عن عتَّاب -وهو ابن بشير- عن ثابت ابن عجلان، عن عطاء، عنها. وعتاب هو ابن بشير الجزري، روىٰ عنه إسْحَاق بن راهوية، ومُحمَّد بن سلام البيكندي، وغيرهما، وأخرج له البخاري، وأخرج الحديثَ المذكور الحاكمُ في «المستدرك»، وقال ابن معين: ثقة.

قال ابن حَزْم في الحديث الذي أخرجه النَّسائي من طريق المرقع بن صيفي، عن جده رباح بن الربيع: كنا مع رَسُول اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال لرجل: **«أدْرِك خالدًا فقل له: لا تَقتُل ذُرِّيَّة، ولا عَسيفًا»[3]**: المرقع مجهول. قال القطب: روىٰ عنه وَلدُه

=

وقال شعيب الأرنؤوط: صحيح بطرقه وشواهده.

(١) أخرجه النسائي (١٤٥٦) بلفظ: «أحسنت يا عائشة»، وقال الألباني: منكر.

(٢) أخرجه أبو داود (١٥٦٤)، وقال الألباني: المرفوع منه حسن.

(٣) أخرجه النسائي في «الكبرىٰ» (٨/ ٢٧) (٨٥٧٢)، وقال الألباني: «حسن صحيح». والعسيف: الأجير.

عُمر، ويحيىٰ بن سعيد الأنصاري، ويونس بن أبي إسْحَاق، وأبو الزناد، وموسىٰ بن عقبة، وذكره ابن حبان في «الثقات»، فليس بمجهول، وله من ذلك شيء كثير. انتهىٰ.

قلت: وقد ذكرتُ في «فصل الخطاب في الرد علىٰ أبي تراب» جُملةً من أغلاطه في وصف الرواة الذين روَوا ما يخالف مذهبَه الباطلَ في استحلال الغِنَاء والمعازف؛ فلتُراجع هناك.

الوجه السابع: مما يعاب به ابن حَزْم: استحلاله لعشق المرأة الأجنبية.

قال ابن القيم -رَحِمَه اللهُ تَعالَىٰ- في «روضة المحبين»[١]: وذهب أبو مُحمَّد ابن حَزْم إلىٰ جواز العِشق للأجنبية من غير ريبة، وأخطأ في ذلك خطأً ظاهرًا، فإنَّ ذَريعة العشق أعظم من ذريعة النظر، وإذا كان الشرع قد حرَّم النظر؛ لِما يؤدي إلَيه من المفاسد، فكيف يجوز تعاطي عشق الرَّجل لمَن لا تحل له؟!

وقال أيْضًا في «روضة المُحِبِّين»[٢]: وأمَّا قصة مُحمَّد بن داود الأصبهاني فغايتُها أن تكون من سعيه المعفو المغفور، لا من عمله المشكور، وسلط النَّاس بذلك علىٰ عرضه، والله يغفر لنا وله، فإنَّه تعرض بالنظر إلىٰ السقم الذي صار به صاحب فراش، وهذا لو كان ممن يباح له لكان نقصًا وعيبًا، فكيف من صبي أجنبي أرضاه الشيطان بحبه والنظر إلَيه عن مواصلته؛ إذ لم يطمع في ذلك منه فنالَ منه ما عرف أن كيده لا يتجاوزه، وجعله قُدوة لمن يأتم به بعده؛ كأبي مُحمَّد ابن حَزْم الظَّاهري وغيره؟!

---

(١) (١/ ٨٨).

(٢) (١/ ١٣٠).

وكيد الشيطان أدقُّ من هذا، وأما أبو مُحمَّد، فإنَّه علىٰ قدر يبسه وقسوته في التمسك بالظَّاهر، وإلغائه للمعاني، والمناسبات، والحِكم، والعِلَل الشَّرعية؛ إنْمَاعَ في باب العِشق، والنظر، وسماع الملاهي المحرَّمة، فوسَّع هذا الباب جدًّا، وضيَّق باب المناسبات، والمعاني، والحِكم الشَّرعية جدًّا، وهو مِن انحرافه في الطَّرفين.

وقال أيْضًا في «زاد المعاد»[١]: وعشق الصور إنَّما تُبتلىٰ به القلوب الفارغة من محبة الله تَعالَىٰ، المُعرِضَة عنه، المُتعوِّضَة بغيره عنه، فإذا امتلأ القلب من محبة الله، والشوق إلىٰ لقائه، دفع ذلك عنه مرض عشق الصور. انتهىٰ.

الوجه الثَّامن مما يعاب به ابن حَزْم: تَوسُّعه في المنطق والفلسفة.

قال الحَافِظ الذَّهَبِي في: «سير أعلام النبلاء»[٢] في ترجمة ابن حَزْمٍ: وقد مهرَ أوَّلًا في الأدب، والأخبار، والشِّعر، وفي المنطق، وأجزاء الفلسفة، فأثَّرت به تأثيرًا ليْتَه سَلِم من ذلك، ولقد وقفتُ له علىٰ تأليف يحضُّ فيه علىٰ الاعتناء بالمنطق، وتقدمه علىٰ العلوم، فتألَّمْتُ له، فإنَّه رأس في علوم الإسْلَام، مُتبَحِّر في النقل، عديم النظير علىٰ يبس فيه، وفَرطِ ظاهرية في الفُروع، لا الأصول. انتهىٰ.

وقال الذَّهَبِي أيْضًا في «تذكرة الحُفَّاظ»[٣]: إن ابن حَزْم أخذ المنطقَ عن مُحمَّد بن الحسن المذحجي، وأمعن فيه، فبقي فيه قسط من نحلة الحكماء. انتهىٰ.

ومراده بالحُكماء الفَلاسِفَة.

---

(١) (٤/ ٢٤٦).

(٢) (١٨/ ١٨٦).

(٣) (٣/ ٢٢٨).

وأما قول المُتَعَصِّب لابن حَزْم: إن لُحومَ العُلَماء مَسمومَة.

فجوابه من وجوه:

أَحَدها: أنْ يُقال: إنَّما هذا في حقِّ المَستورين، فأما مَن ألقىٰ جِلبابَ الحَياء، وحدَّث بمعاصيه، فلا غِيبةَ له.

وقد روىٰ الشَّيْخان، وغيرهما، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**كلُّ أُمَّتي مُعافىٰ إلَّا المُجاهِرين، وإن مِن المُجاهرةِ أن يَعمل الرَّجُلَ عَملًا باللَّيل، ثمَّ يُصبِحُ وقد ستَره اللهُ عليه، فيقول: يا فُلان، عَملتُ البارحةَ كذا وكذا، وقد بات يسْتُره ربُّه، وأصبح يكشفُ سترَ اللهِ عليه**»[1]، وقال بعض السَّلف: مَن ألقىٰ جلبابَ الحياء فلا غيبةَ له.

وروىٰ عبد الله ابنُ الإمَام أحمد في «زوائد الزُّهد»[2]، عن الحسن البصري أنَّه قال: ثلاثة لا غِيبةَ لهم: الإمَام الخائن، وصاحب الهَوىٰ الذي يَدعو إلىٰ هواه، والفَاسق المُعلن فِسقَه.

ونقل حنبلٌ عن الإمَام أحمد -رَحِمَه اللهُ تَعالَىٰ- أنَّه قال: ليس لمَن قارَف شيئًا مِن الفواحش حُرمَةٌ، ولَا وصْلةٌ إذا كان مُعلِنًا.

وقال الخلَّال في كتاب «المُجانبة»: أبو عَبد الله يهجر أهْل المَعاصي، ومَن قارفَ الأعمال الرَّديئة، أَو تعدَّىٰ حديثَ رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأمَّا من سكر، أَو

---

(١) أخرجه البخاري (٦٠٦٩)، ومسلم (٢٩٩٠).

(٢) (١/ ٢٣٤) (١٦٦٦).

شرب، أَو فعل فعلًا من هذه الأشياء المحظورة، ثمَّ لم يكاشف بها، ولم يلق فيها جلباب الحياء، فالكفُّ عن أعراضهم وعن المسلمين، والإمساك عن أعراضهم وعن المسلمين؛ أسْلَم. نقله عنه ابن مُفلح في «الآداب الشرعية»(١).

وقال شيخ الإسْلَام أبو العبَّاس ابن تَيْمِيَّةَ -رَحِمَه اللهُ تَعالَىٰ- في «الفتاوىٰ المصرية»(٢): مَن أظهر المُنكرَ وجب الإنكارُ عليه، وأن يُهجر ويُذمَّ علىٰ ذلك، فهذا معنىٰ قولهم: مَن ألقىٰ جلباب الحياء فلا غيبةَ له، بخلاف مَن كان مستَتِرًا بذنبه مستخفيًا، فإن هذا يُستر عليه، لكن يُنصح سِرًّا، ويَهجره مَن عَرف حالَه حتىٰ يتوبَ، ويَذكر أمرَه علىٰ وجه النَّصيحة.

وقال الشَّيْخ أيْضًا: مَن فعل شيئًا من المنكرات؛ كالفواحش، والخمر، والعدوان، وغير ذلك، فإنَّه يجب الإنكار عليه بحسب القدرة، فإن كان الرجل مستترًا بذلك، وليس معلنًا له أنكر عليه سرًّا، وستر عليه، إلَّا أن يتعدَّىٰ ضَررُه، والمتعدِّي لابُدَّ مِن كَفِّ عُدوانه، وإذا أظهر الرجل المنكرات، وجب الإنكار عليه علانيةً، ولم يبق له غيبة، ووجب أن يعاقب علانية بما يردعه عن ذلك مِن هَجرٍ وغيره، ويَنبغي لأهل الخير والدين أن يهجروه ميِّتًا كما هجروه حيًّا، إذا كان في ذلك كفٌّ لأمثاله من المجرمين، فيَتركون تشييعَ جنازته كما ترك النَّبِيُّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصلاة علىٰ غير واحد من أهل الجرائم. انتهىٰ باختصار.

وقد ذكرتُ ههنا وفي «فصل الخطاب في الرد علىٰ أبي تراب» جُملةً من

---

(١) (١/ ٢٣٣).

(٢) «مختصر الفتاوىٰ المصرية» (١/ ٥٠٣).

المنكرات التي أشاع بها ابن حَزْم عن نفسه، وأثبتها في كتابه «طَوق الحمامة»، فصار بذلك ممن لا غيبةَ لهم.

وأيْضًا؛ فإن ابن حَزْم قد قال في القُرْآن بأقوال باطلة، وافق فيها الجَهْمِيَّةَ، كما تقدم ذِكرُه، ولا غِيبةَ للجَهْمِيَّة، ولا لمَن قال بشيء من أقوالهم الباطلة، وقد تقدم عن الحسن البصري -رَحِمَه اللهُ تَعالَىٰ- أنَّه قال: لا غيبة لصاحب الهوىٰ الذي يدعو إلىٰ هواه.

الوجه الثَّاني: أن القدح في الشخص بأفعاله الذَّميمة للتَّحذير من الاغترار به ليس من الغِيبة المَذمومة، وإنَّما هو من النصيحة المأمور بها شرعًا، ومن هذا الباب كلام أئمَّة الجرح والتعديل في المُحدِّثين، وبيان ما قيل فيهم لتُعرف مراتبهم في الرِّواية. قال النووي: وهذا جائز، بل واجبٌ؛ صَونًا للشريعة. انتهىٰ.

الوجه الثَّالث: قد تقدم قول الحَافِظ ابن حجر: ومما يعاب به ابن حَزْمٍ وقوعُه في الأئمَّة الكِبار بأقبح عبارة، وأشنع رَدٍّ.

وتقدم أيْضًا قول أبي العبَّاس ابن العريف الصَّالح الزاهد: أن لسانَ ابن حَزْمٍ وسيفَ الحَجَّاج شقيقان.

وتقدم أيْضًا قول ابن خلكان: أن ابن حَزْم كان كثير الوقوع في العُلَماء المتقدمين، لا يكاد يَسلم أحد من لسانه.

وتقدم أيْضًا قول ابن كثير: أن ابن حَزْم كان كثير الوقيعة في العُلَماء بلسانه وقلمه.

وتقدم أيْضًا قول المقري: أن ابن حَزْم قد وُصف بالوقوع في السَّلف.

وسيأتي -إن شاء الله تعالىٰ- قول الذَّهبي: أن ابن حَزْم بسَط لسانَه وقلمَه، ولم يتأدَّب مع الأئمَّة في الخِطاب، بل فَحَج العبارةَ، وسَبَّ، وجَدَّعَ.

وقولُه أيضًا: وقد امتُحن لتَطويل لسانه في العُلَماء. ويأتي أيْضًا ما ذكره شيخ الإسْلَام ابن تَيْميَّةَ من وقيعة ابن حَزْم في الأكابر.

وإذا عُلم هذا فنقول: هلَّا أنكر المُتَعَصِّب علىٰ إمَامه ابن حَزْمٍ وقوعَه في الأئمَّة الكبار، وبسط لسانه وقلمه فيهم بغير حقٍّ؟! أم أنَّه يَرىٰ أن لحوم الأئمَّة الكبار حَلال لابن حَزْمٍ، وإن كان كلامه فيهم بغير حقٍّ، ويرىٰ أن لحم ابن حَزْم حرامٌ علىٰ النَّاس ومسمومٌ، وإن كان كلامهم فيه بحَقٍّ، ومِن باب النصيحة المأمور بها شرعًا؟!

اللَّهمَّ إنَّا نَعوذُ بك من غلبة الهوىٰ، ومن عمىٰ البصيرة.

وإنَّه لَيَنطَبِقُ علىٰ المُتعَصِّب المَثلُ السَّائر: (يَرىٰ القَذاةَ في عَين أَخيهِ، ولَا يَرىٰ الجذْعَ المُعترض في عَينه)!.

وأما ما زَعمه المُتَعَصِّب لابن حَزْم من اتِّفاق الأئمَّة علىٰ أن ابن حَزْم دَيِّنٌ وَرِعٌ.

فجَوابُه مِن وُجوه:

أَحَدها: أنْ يُقال: ما زعَمه مِن وُجود الاتِّفاق ههنا ليس بصحيح؛ إذ لا وُجود لهذا الاتِّفاق الذي ذكره.

الوجه الثَّاني: قد ذكرنا ما يعارض هذا الاتِّفاقَ المزعوم، وهو ما ذكره مؤرخ الأنْدَلُس أبو مروان ابن حيَّان مِن إجماع فقهاء عصر ابن حَزْم علىٰ تَضليله، والتَّشنيعِ عليه، وذكرنا أيْضًا قدحَ أبي بكر ابن العربي، وابن العريف، وابن خلكان، وابن القيم،

وابن كثير، والمقري، وابن حجر الهيتمي؛ في ابن حَزْمٍ، ومِن المُقرَّر عند الأصوليين: أن الجرحَ مُقدَّم علىٰ التَّعديل.

الوجه الثَّالث: أن ما ذكره ابن حَزْم عن نفسه في كتابه «طَوق الحمامة» يُناقِضُ الاتِّفاق الذي زعمَه المُتَعَصِّبُ له، وكفىٰ بكلام الرجل شاهد عدل عليه.

الوجه الرابع: أنْ يُقال: لو كان ابن حَزْم ذا وَرَع؛ لَمَا وقَع في الأئمَّة الكبار، وبسَط لسانه وقلمه فيهم، وسبَّ، وجَدَّع.

وأمَّا قول المُتَعَصِّب: وقد تورَّعوا عما لم يتورع منه.

فجوابه: أن أقول: إني لم آتِ شيئًا يُخالف الورعَ؛ لأنِّي لم أقل في ابن حَزْم شيئًا مِن عند نفسي، وإنَّما نقلتُ كلامَ العُلَماء فيه، وما أشاعَ به عن نفسه في كتابه «طَوق الحمامة»، وما قرَّره فيه من صفة الصَّالح والفاسق، فإن كان في ذلك شيء يخالف الوَرعَ فابنُ حزم أولىٰ بذلك من غيره؛ لأنَّه هو الذي جرح نفسَه بنفسه، وبعده الذين أجمعوا علىٰ تضليله، والتشنيع عليه، وكذلك مَن بعدهم مِن أكابر العُلَماء الذين تكلَّموا فيه. فما بالُ المُتَعَصِّب يتعامَىٰ عنهم، ويتحامَل علىٰ المُعاصر؟! فالمُتَعَصِّب هو الذي اعتدىٰ في الحقيقة ولم يَتورَّعْ.

وأمَّا قوله: وعرفوا فضلَ ابن حَزْمٍ.

فجوابه: أنْ يُقال: إنَّهم لم يُخلِصوا الثَّناءَ علىٰ ابن حَزْم، بل ذكروا بجانب الثناء عليه ما يَعِيبُه، كما سيأتي بيانه إن شاء الله تَعالَىٰ.

وأمَّا قوله: فهذا الذَّهَبِي يقول: فيه دِينٌ وَخَيرٌ. «سير أعلام النبلاء» (ص ٢٤).

فجوابه: أن نَقولَ أوَّلًا: كان يَنبغي للمتعصب أن يبيِّن أن صفحة (٢٤) التي نقَل منها ما نقل كانت مِن ترجمة ابن حَزْم التي أُفردت من «سِير أعلام النبلاء». فأما الإشارة إلىٰ الصفحة مع الإطلاق فتَرجع إلىٰ الجُزء الأول من «سير أعلام النبلاء»، وهي في ترجمة طلحة بن عبيد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وبينها وبَين ترجمة ابن حَزْم أجزاء كثيرة.

ونقول ثانيًا: مِن الأمانة أن ينقل المُتَعَصِّب جميعَ كلام الذَّهَبِي في ابن حَزْم؛ حتىٰ يُعرف ما له وما عليه، ولا يَقتصر علىٰ كلمتين يوهم بهما أن الذَّهَبِي قد أخلص الثَّناء علىٰ ابن حَزْمٍ، ولم يتكلم فيه بما يَعيبه، وقد تقدم في الوجه الثَّامن ما نقلناه من كلام الذَّهَبِي في ابن حَزْمٍ، وهو في «سير أعلام النبلاء».

وقال فيه أيضًا: إن ابن حَزْم بسَط لسانَه وقلمَه، ولم يتأدب مع الأئمَّة في الخِطاب، بل فَحج العبارَة، وسبَّ وجدَّع، فكان جزاؤه مِن جنس فِعله، بحيث إنَّه أَعرض عن تصانيفه جماعةٌ من الأئمَّة، وهجَروها، ونفرَّوا منها، وأُحرقت في وقت، واعتنىٰ بها آخرون من العُلَماء، وفتَّشوها انتقادًا، واستفادة، وأخذًا، ومؤاخذةً، ورأوا فيها الدُّرَّ الثَّمينَ مَمزوجًا في الرصف بالخرز المهين، فتارة يطربون، ومرة يعجبون، ومن تفرده يَهزءون، وفي الجملة، فالكمالُ عزيز، وكل أحدٍ يُؤخذ من قوله ويُترك، إلَّا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكان يَنهض بعلوم جمَّة، ويُجيد النَّقلَ، ويُحسن النَّظم والنَّثر، وفيه دِينٌ وخَير، ومقاصدُه جَميلة، ومصنفاته مُفيدة، وقد زَهِد في الرِّياسة، ولزم منزلَه مكبًّا علىٰ العِلم، فلا نغلو فيه، ولا نَجفو عنه، وقد أثنىٰ عليه قبلَنا الكِبار.

وقال أيْضًا في: «سير أعلام النبلاء»[1]: وقد امتُحن لتَطويل لسانه في العُلَماء،

---

(١) (١٨/ ١٩٨).

وشرِّد عن وطنه، وجَرَت له أمور... إلىٰ أن قال: قال أبو العبَّاس ابن العريف: كان لسانُ ابن حَزْمٍ وسَيفُ الحجَّاج شَقيقَين.

قال الذَّهَبِي: ولي أنا مَيل إلىٰ أبي مُحمَّد؛ لمحبَّته في الحديث الصَّحيح، ومعرفته به، وإن كنتُ لا أوافِقه في كثير مما يقوله في الرجال، والعلل، والمسائل البشعة في الأصول والفروع، وأقطعُ بخطئه في غيرِ ما مسألة، ولكن لا أُكفِّرُه، ولا أُضَلِّله، وأرجو له العفو والمسامحة، وللمسلمين، وأخضع لفَرط ذكائه، وسَعةِ عُلومه. انتهىٰ.

وإذا عُلم هذا فلستُ أسلبُ الدِّينَ والخَيرَ عن ابن حَزْم، كما قد يُفهم ذلك من كلام المُتَعَصِّب له، بل أقول: فيه دِينٌ وخَيرٌ، وفيه مع ذلك ما يَعيبُه ويَقدحُ فيه، ولستُ أغلُو فيه كما فَعل أبو تُراب وصاحبُه ابن عقيل، ولستُ أجفو عنه كما فَعل الَّذين أجمعوا علىٰ تَضليله، وقد سبق أن قلتُ في «فصل الخطاب» ما نصه:

«وحاصِلُ القَول في أبي مُحمَّد ابن حَزْم: أنَّه كغَيره من العُلَماء الذين جَمعوا في كتبهم أشياءَ حَسنةً، وأشياءَ سيئة، فيُؤخذ من أقوالهم ما وافق الحقَّ، ويُردُّ ما خالفه، ولا يُثنىٰ عليهم إلَّا بما يَستحقونه مِن غَير إطْرَاء ولا مُجازفة، واللهُ المسئولُ أن يَتقبَّلَ مِنَّا ومِنهم الحَسنات، ويَتجاوزَ عن السَّيِّئات، إنَّه جَوادٌ كَريمٌ» انتهىٰ.

فكَلامي في حقِّ ابن حَزْم قريب من كلام الذَّهَبِي فيه، ومع هذا فقد تحامَل المُتَعَصِّبُ علىٰ المُعاصر ورَماه بالتَّجانُفِ بَغيًا وعُدوانًا، وتعامىٰ عن المتقدِّم، كأنَّه لم يقل شيئًا في حقِّ ابن حَزْمٍ.

وأمَّا قوله: وإذا كان هذا لا يَثِق بعلم أبي مُحمَّد، بالإضافة إلىٰ القَدْح في عدالته؛ فلا نَعبأ بتجانُفه.

فجوابه: أن أقول: أمَّا عِلمُ ابن حَزْم، فإني أثِقُ ببَعضِه، وهو ما وَافق فيه الحقَّ، وأَحمدُه علىٰ ذلك، وادْعُو له، وقد نقلتُ في بعض مؤلفاتي جُملًا من جيِّد كلامه.

وأما البعضُ الآخر، وهو ما خالف فيه الحقَّ؛ فهذا لا أثِقُ به، ولاسيَّما تأويله لآيات الصِّفات، وأَحادِيث الصِّفات، وما وافق فيه الجَهْمِيَّةَ، والمعتزلةَ، والفلاسفة من الأقوال الباطلة.

وكذلك حثُّه علىٰ الاعتناء بالمَنطق، وتقديمه علىٰ العلوم.

وكذلك قوله بجواز عشق المرأة الأجنبية والنظر إليها وإلىٰ الأمرد.

وكذلك قوله بجواز ما حرَّمه اللهُ ورسوله، وأجمع العُلَماءُ علىٰ تحريمه من الغِنَاء، والمعازف.

وكذلك يُبسُه وقَسوتُه في التمسك بالظَّاهر، وإلغائه للمعاني، والمناسبات، والحِكم، والعلل الشَّرعية.

وكذلك أوهامُه في الجَرْح والتَّعديل، ورده لبعض الأَحادِيث الصَّحيحة التي تُخالِف رَأيَه.

إلىٰ غير ذلك من أقواله المُنحرفة عن الحقِّ، فهذا لا أَثِقُ به، ولا أُوافِقُه عليه، ولسْتُ -بحمد الله- ممَّن أصَمَّهم التَّقليدُ وأَعماهم، فانْساقوا خلْفَ ابن حَزْم انسياقَ البهائم خلف النَّاعق لها، وقَبِلوا كلَّ ما في كُتبه مِن غَثٍّ وسَمِين، ولم يُميِّزوا بين الجيِّد

من كلامه، وبين الرَّديء منه.

وإذا عُلم هذا فمَن زعم أن ردَّ الأقوال الباطلة، وعدم الثقة بها، والقدحَ فيمن يسوغ القدحُ فيه؛ مِن التَّجانُف؛ فهو المُتجانف للإثْم علىٰ الحقيقة، وإذا كان المُتَعَصِّب لابن حَزْم يُوافقه علىٰ ما خالف فيه الحقَّ، ويَثق به فيه؛ فذلك من التجانف للإثم أيضًا.

وأما ما نَقله المُتَعَصِّبُ عن شيخ الإسْلَام ابن تَيْمِيَّةَ -رَحِمَه اللهُ تَعالَىٰ- أنَّه قال في حق ابن حَزْم: «لَه مِن الإيمانِ والدِّينِ والعُلوم الواسِعة الكثيرة ما لا يَدفعه إلَّا مُكابِرٌ، ويوجد في كُتبه من كثرة الاطلاع علىٰ الأقوال، والمعرفة بالأحوال، والتعظيم لدعائم الإسْلَام، ولجانب الرِّسالة ما لا يَجتمع مثله لغيره».

فجوابه: أنْ يُقال: مِن الأمانةِ أن يَنقل المُتَعَصِّب جميعَ كلام شيخ الإسْلَام في حقِّ ابن حَزْم، حتىٰ يُعرف ما فيه من المَدح، وما فيه من الذَّمِّ، ولا يَقتصر علىٰ جُملةٍ منه يُوهم بها أن الشَّيْخ قد أخلَص الثَّناءَ علىٰ ابن حَزْمٍ، ولم يتكلم فيه بما يَعيبه، وأنا أنقل ههنا جميعَ كلام الشَّيْخ؛ ليَعرف القرَّاء أن المُتَعَصِّب لابن حَزْم لم يُؤَدِّ الأمانةَ فيما نقلَه عن الشَّيْخ.

قال الشَّيْخ -رَحِمَه اللهُ تَعالَىٰ- في صفحة (١٧ و ١٨) مِن «نَقض المَنطق» ما نصُّه: «وكذلك أبو مُحمَّد ابن حَزْم فيما صنَّفه من المِلَل والنِّحَل؛ إنَّما يُستحمد بمُوافقة السُّنَّة والحَديث، مثل ما ذكره في مسائل القَدَر، والإرجاء، ونحو ذلك، بخلاف ما انْفردَ به من قوله في التَّفضيل بين الصحابة، وكذلك ما ذكره في باب الصِّفات، فإنَّه يُستحمد فيه بموافقة أهل السنة والحديث؛ لكونه يثبت الأَحادِيث

الصحيحةَ، ويُعظِّم السَّلفَ وأئمَّة الحديث، ويقول: إنَّه موافق للإمَام أحمد في مسألة القُرْآن وغيرها، ولا ريب أنَّه موافق له ولهم في بعض ذلك، لكن الأشْعَري ونحوه أعظم موافقة للإمَام أحمد بن حنبل ومَن قبله مِن الأئمَّة في القُرْآن والصِّفات، وإن كان أبو مُحمَّد ابن حَزْم في مسائل الإيمان والقَدَر أقومَ مِن غيره، وأعلمَ بالحديث، وأكثرَ تَعظيمًا له ولأهله من غيره، لكن قد خالط من أقوال الفلاسفة والمعتزلة في مسائل الصِّفات ما صرَفَه عن موافقة أهل الحديث في معاني مذهبهم في ذلك.

فوافق هؤلاء في اللَّفظ، وهؤلاء في المعنىٰ، وبمثل هذا صار يذمُّه مَن يذمه من الفقهاء، والمتكلمين، وعُلَماء الحديث باتِّباعه لظاهرٍ لا باطنَ له، كما نفىٰ المعاني في الأمر، والنهي، والاشتقاق، وكما نفىٰ خَرْق العادات ونحوه من عبادات القلوب، مضمومًا إلىٰ ما في كلامه من الوقيعة في الأكابر، والإسراف في نفي المعاني، ودعوىٰ متابعة الظواهر، وإن كان له من الإيمان، والدِّين، والعلوم الواسعة الكثيرة ما لا يدفعه إلَّا مكابر، ويوجد في كتبه من كثرة الاطِّلاع علىٰ الأقوال، والمعرفة بالأحوال، والتعظيم لدعائم الإسْلَام، ولجانب الرسالة ما لا يجتمع مثله لغيره.

فالمسألة التي يكون فيها حديثٌ يكون جانبه فيها ظاهر الترجيح، وله من التمييز بين الصحيح والضعيف، والمعرفة بأقوال السلف ما لا يكاد يَقع مثله لغيره من الفقهاء» انتهىٰ.

وقد اشتمل كلامُه علىٰ الذَّمِّ في أمورٍ كثيرة، والمَدح في أمور أخرىٰ، كما لا يخفىٰ علىٰ طالب علم، وصِيغة: «وإن كان له من الإيمان...» إلىٰ آخر العبارة، تَدلُّ علىٰ أنَّه قد سبقها شيء من الذَّمِّ، وقد حذف المُتَعَصِّب لابن حَزْم لفظة: «وإن كان» كما حذفَ ما قبلها ليُوهم مَن لا عِلمَ عنده أن شيخ الإسْلَام ابن تَيْمِيَّةَ -رَحِمَه اللهُ

تَعالَىٰ- قد أَخلَصَ الثَّناءَ علىٰ ابن حَزْمٍ، ولم يَجمع بين ذَمِّه ومَدحِه، وهذا مِن التَّصرُّف السَّيِّئ.

وأمَّا قوله: والحقيقة أن أعراض المسلمين أمواتًا كأعراضهم أحياءً.

فقد تقدم الجواب عنه عند قوله: إن لحوم العُلَماء مَسمومة؛ فليراجع.

وأما قوله: إنَّ سَلفَنا الصَّالحَ أرحَبُ منَّا صَدرًا، وأكثر تَسامُحًا.

فجوابه: أنْ يُقال: إنَّما كان تسامحهم في الأمور الجائزة، فأما الأمور المحرَّمة؛ مثل النظر إلىٰ المرأة الأجنبية، وطلب الوصال منها، والسعي في ذلك بأبلغ السعي، والتعرض للدنو منها، والاستماع إلىٰ غنائها، وضربها بالعود، والحضور عند النياحة، والنظر إلىٰ الأمرد الحسن الوجه، والتشبيب به، وتقبيل المرأة الأجنبية، والخلوة بها، وبالخَمْر؛ فحَاشَا وكَلَّا أنْ تَنشَرِحَ لها صُدورُهم، ويَتسامحوا بها.

وقد رَوىٰ الإمَام أحمدُ، وأبو داود الطيالسي، وابن ماجه، وابن حبان في «صحيحه»، عن مُحمَّد بن مَسلمة رَضِيَٱللَّهُعَنهُ قال: خطبتُ امرأةً، فجعلتُ أتَخبَّأُ لها حتىٰ نظرتُ إلَيْها في نَخْل لها، فقيل له: أتفعلُ هذا وأنتَ صاحبُ رَسُول اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيهِوَسَلَّمَ؟! فقال: سمعتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيهِوَسَلَّمَ يقول: «**إذَا أَلقىٰ اللهُ في قَلبِ امرِئٍ خطبةَ امرأة فلا بأس أن يَنظر إلَيْها**»(١).

ورواه الحاكم في «مستدركه»(٢) من حديث سَهل بن أبي حَثمةَ قال: كنتُ

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٢٢٥) (١٨٠٠٥)، والطيالسي (٢/ ٥٠٧) (١٢٨٢)، وابن ماجه (١٨٦٤)، وابن حبان (٩/ ٣٥٠)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٩٨).

(٢) (٣/ ٤٩٢) (٥٨٣٩)، وفي إسناده إبراهيم بن صرمة الأنصاري وهو متروك الحديث.

جالسًا مع مُحمَّد بن مَسلمةَ، فمرَّت ابنةُ الضَّحاك بن خليفة، فجعل يُطاردها ببصره، فقلتُ: سبحان الله! تَفعل هذا وأنتَ صاحبُ رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟! فقال: إنِّي سمعتُ رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول... فذكره.

فلم يَتسامَحوا لمُحمَّد بن مَسلمةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لمَّا نظَر إلىٰ المرأة الأجنبية، ولم تَنشرح صدُورهم لذلك، بل أنكروا عليه، وقَرنوا الإنكار بالتَّسبيح مبالغةً في التَّشديد عليه، فأخبرهم أن النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد رخَّص للخَاطب أن ينظرَ إلىٰ مَخطوبته.

وإذا كان هذا تشديدَهم في النظر إلىٰ المرأة الأجنبية -الذي هو أخفُّ الأمور التي أشاع بها ابن حَزْم عن نفسه- فكيف يُظنُّ بهم أنَّهم يَتسامحون فيما هو أعظم من ذلك مما ذكرناه آنفًا، وتنشرح له صدورهم؟! حاشاهم من ذلك، ومَن ظَنَّ بهم ذلك فقد ظَنَّ بهم ظَنَّ السَّوْء.

وأما قوله: ولابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ولفقهاء المدينة السبعة، ولتصابي الشيوخ ما يَهُون به أمْرُ هذا التهويل.

فجوابُه: أنْ يُقال: أما ما نَسبه لابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، ولفقهاء المدينة السبعة من التَّصابي؛ فهو غيرُ صحيح، وحاشاهم أن يفعلوا شيئًا مما أشاع به إمَامُ المُتعَصِّب عن نفسه في كتابه «طَوق الحمامة»، ومَن ظن بهم ذلك فقد ظنَّ بهم ظَنَّ السَّوء.

والذي يَظهر من كلام المُتعَصِّب ههنا أنَّه لا يرىٰ بأسًا بما ذكرناه عن إمَامه من المُنكرات التي أشاع بها عن نفسه، ويرىٰ أن إنكارَها والقدحَ بها تَهويل يهون أمره لتصابي الشيوخ، وهذا في الحقيقة استهانةٌ بما حرَّمه اللهُ ورسولُه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من النَّظر المُحرَّم، والكلام المحرم، والسعي المحرَّم، والاستماع المحرم، والحضور

المحرم، والتقبيل المحرم، والخلوة المحرمة، ومعارضةٌ لما جاء عن الله ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الأدلَّة الدالة علىٰ المَنع من هذه الأمور بتصابي الشيوخ، ومَن استهان بشيء من الأوامر، أو النَّواهي، وعارضَها بأقوال الشيوخ وأفعالهم فذلك دليلٌ علىٰ انحرافِه وقلَّة إيمانه.

وقد قال الله تَعالَىٰ: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [النور: ٣٠].

وروىٰ الإمَامُ أحمد، والشَّيْخان، وأبو داود، والنسائي، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: ما رأيتُ شيئًا أشبَه باللَّمَم مما قال أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إنَّ اللهَ كتبَ علىٰ ابن آدم حظَّه من الزِّنَا؛ أَدرَكَ ذلك لا محالَة، فزِنَا العينين النظر، وزنا اللِّسان النُّطق، والنَّفسُ تَمنَّىٰ وتَشتهىٰ، والفَرجُ يُصدِّق ذلك أَو يُكذِّبُه**»[1].

وفي رواية لمسلم، وأبي داود، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**كُتب علىٰ ابن آدم نصيبُه من الزنا، مُدرك ذلك لا محالة، فالعينان زناهما النظر، والأذنان زناهما الاستماع، واللسان زناه الكلام، واليَدُ زِناها البطش، والرِّجل زناها الخُطَا، والقَلبُ يهوىٰ ويَتمنَّىٰ، ويُصدِّق ذلك الفَرجُ أَو يُكذِّبه**»[2] هذا لفظ مسلم، ولفظ أبي داود: «**لكل ابن آدَم حظُّه من الزنا، قال: واليدان تزنيان فزناهما البطش، والرجلان تزنيان فزناهما المَشي، والفم يزني فزناه القبل**»، وفي رواية له: «**والأذن زناها**

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٣٧٩) (٨٩١٩)، والبخاري (٦٢٤٣)، ومسلم (٢٦٥٧)، وأبو داود (٢١٥٢)، والنسائي في «الكبرىٰ» (١٠/ ٢٧٨) (١١٤٨٠).

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٥٧)، وأبو داود (٢١٥٣).

الاستماع»(١)، وإنَّما كانت هذه الأشياء من الزنا؛ لأنَّها مِن مُقدِّماته ووسائله، والوسائل لها حُكم الغايات والمَقاصد.

وروىٰ الإمَام أحمد أيضًا، ومسلم، وأهل السنن إلَّا ابنَ ماجَه، عن جرير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «**سألتُ رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن نَظر الفُجاءة، فأمرني أن أصرفَ بَصري**»(٢) قال التِّرْمِذِي: هذا حديث حسن صحيح.

وقد رواه الخطَّابي في «مَعالِم السُّنَن»(٣) بإسْناده عن جرير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سألتُ رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن نظر الفجأة، فقال: «**أطرق بصَرَك**».

قال الخطَّابي: الإطراق أن يُقبل ببصره إلىٰ صدره، والصَّرف أن يُقبل به إلىٰ الشقِّ الآخر، أَو النَّاحية الأخرىٰ.

وقال النووي: الفُجَاءة؛ بضم الفاء، وفتح الجيم، وبالمَدِّ، ويقال: بفتح الفاء، وإسكان الجيم، والقصر، لغتان: هي البَغتَة، ومعنىٰ نظر الفجأة أن يَقع بصرُه علىٰ الأجنبية مِن غير قصد، فلا إثم عليه في أول ذلك، ويجب عليه أن يصرف بصره في الحال، فإن صَرف في الحال فلا إثم عليه، وإن استدامَ النَّظرَ أَثِم؛ لهذا الحَديث، فإنَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمره بأن يصرف بصرَه، مع قوله تَعالَىٰ: ﴿**قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ**﴾. انتهىٰ.

---

(١) أخرجه أبو داود (٢١٥٤)، وقال الألباني: حسن صحيح.

(٢) أخرجه أحمد (٤/ ٣٥٨) (١٩١٨٣)، ومسلم (٢١٥٩)، وأبو داود (٢١٤٨)، والترمذي (٢٧٧٦).

(٣) (٣/ ٢٢٢).

وروىٰ الإمَام أحمدُ أيضًا، عن علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، أن النَّبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال له: «**يا عليُّ، لا تُتبع النَّظرةَ النظرة، فإنَّما لك الأولىٰ، وليست لك الآخرة**»(١)، قال الهيثمي: فيه ابن إسْحَاق، وهو مدلِّس، وبقية رجاله ثقات، وقد رواه البزار، والطبراني في «الأوسط»(٢)، قال الهيثمي: ورجال الطبراني ثقات، ورواه الحاكم في «المستدرك»(٣) وقال: صحيح علىٰ شرط مسلم، ولم يخرجاه، ووافقه الذَّهَبِي في «تلخيصه».

وروىٰ الإمَام أحمد أيضًا، وأبو داود، والتِّرْمِذِي، عن بُريدة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رَسُول اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لعليٍّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «**يا عليُّ، لا تُتبع النظرةَ النظرةَ، فإن لك الأولىٰ، وليست لك الآخرة**»(٤) قال التِّرمِذِي: حديث حسن غريب.

قال الخطَّابي: النظرة الأولىٰ إنَّما تكون له لا عليه إذا كانت فجأةً مِن غير قصد أَو تَعمُّد، وليس له أن يكرر النَّظر ثانية، ولا له أن يتعمَّده بَدءً كان أَو عودًا. انتهىٰ.

وقال المَروُّذي: قلت لأبي عبد الله -يعني أحمد بن حنبل-: رجلٌ تابَ، وقال: لو ضُرب ظهري بالسِّياط ما دخلتُ في معصية؛ غير أنَّه لا يدع النَّظر، قال: أيُّ توبةٍ هذه؟! قال

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ١٥٩) (١٣٧٣) وقال الألباني: حسن لغيره.

(٢) أخرجه البزار (٢/ ٢٨٠) (٧٠١)، والطبراني في «الأوسط» (١/ ٢٠٩) (٦٧٤).

(٣) (٣/ ١٣٣) (٤٦٢٣) وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وصححه الذهبي.

(٤) أخرجه أحمد (٥/ ٣٥٧) (٢٣٠٧١)، وأبو داود (٢١٤٩)، والترمذي (٢٧٧٧)، والحاكم (٢/ ٢١٢) (٢٧٨٨) وقال: هذا حديث صحيح علىٰ شرط مسلم ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. وحسنه لغيره الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (١٩٠٣).

جرير: سألتُ رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن نظر الفجأة، فأمرني أن أصرفَ بَصَري.

وقد تقدَّم قولُ شيخ الإسْلَام أبي العبَّاس ابن تَيْمِيَّةَ رحمه الله تَعالَىٰ: إن العُلَماء اتَّفقوا علىٰ تحريم النظر إلىٰ الأمرد بشهوة، كما اتفقوا علىٰ تحريم النظر إلىٰ الأجنبية وذوات المحارم بشهوة.

وتقدَّم أيضًا قوله: إنَّ النَّظر إلىٰ وجه الأمرد بشهوة كالنظر إلىٰ وجه ذوات المحارم والمرأة الأجنبية بالشهوة، سواء كانت الشهوة شهوة الوطء، أَو كانت شهوة التلذذ بالنظر كما يتلذذ بالنظر إلىٰ وجه المرأة الأجنبية، وإذا كان معلومًا لكل أحد أن هذا حرامٌ فكذلك النظر إلىٰ وجه الأمرد باتِّفاق الأئمَّة.

وتقدَّم أيضًا قوله: ويَحرم النظر بشهوة إلىٰ النِّساء والمُردان، ومَن استحله كفر إجماعًا. انتهىٰ.

وروىٰ البزار من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قال:** قال رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**صَوتان ملعونان في الدنيا والآخرة: مزمار عند نِعمة، ورَنَّة عند مُصيبة**»[(١)]، قال المُنذري والهيثمي: رواته ثقات. وقد رواه الحَافِظ الضياء المقدسي في كتابه «المختارة»[(٢)]، وهو ما اختاره من الأَحادِيث الجياد الزائدة علىٰ ما في «الصحيحين». قال شيخ الإسْلَام أبو العبَّاس ابن تَيْمِيَّةَ رحمه الله تَعالَىٰ: وهو أعلىٰ مرتبةً في تصحيح الحاكم، وهو قريب من تَصحيح التِّرمِذِي، وأبي حاتم البستي، ونحوهما، فإن الغلط في هذا قليل، ليس هو مثل تصحيح الحاكم. انتهىٰ.

---

(١) أخرجه البزار (٧٥١٣)، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣٥٢٧).

(٢) (٦/ ١٨٨) (٢١٩٩).

وروىٰ وكيع بن الجرَّاح بإسْناد حسن، من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، عن النَّبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**نهيتُ عن صَوتَين فاجِرَين: صَوت عند مصيبة؛ خَمْش وَجْه، وشَق جيوب، وصَوت عند نعمة؛ لعِب، ولَهو، ومزامير الشيطان**»[١].

ورواه أبو داود الطيالسي في «مسنده»[٢] بنحوه، وإسْناده حسن، ورواه التِّرْمِذِي بنحوه مختصرًا، وقال فيه: «**نهيتُ عن صوتين أحمقين فاجرين...**» الحديثَ[٣]، قال التِّرْمِذِي: هذا حديث حسن.

ورواه الحاكم في «مستدركه»[٤]، وقال فيه: «**نهيتُ عن صوتين أحمقين فاجرين...**» الحديثَ.

قال ابن القيِّم رحمه الله تَعالَىٰ: فانظُر إلىٰ هذا النَّهي المُؤكَّد بتسميته صوت الغِنَاء صوتًا أحمق، ولم يقتصر علىٰ ذلك حتىٰ وصفه بالفجور، ولم يقتصر علىٰ ذلك حتىٰ سماه من مزامير الشيطان، وقد أقر النَّبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أبا بكر الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ علىٰ تسمية الغِنَاء مزمور الشيطان في الحديث الصحيح، فإن لم يستفد التحريم من هذا لم نستفده من نَهيٍ أبدًا[٥]. انتهىٰ.

وروىٰ أبو داود في «سننه»، والبخاري في «التاريخ الكبير»، عن أبي سعيد

---

(١) وأخرجه بنحوه البيهقي في «شعب الإيمان» (١٢/ ٤٣٠) (٩٦٨٤)، عن جابر ، عن عبد الرحمن بن عوف رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) (٣/ ٢٦٢) (١٧٨٨).

(٣) أخرجه الترمذي (١٠٠٥)، وحسنه الألباني.

(٤) (٤/ ٤٣) (٦٨٢٥).

(٥) «إغاثة اللهفان» (١/ ٢٥٤).

الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: لعن رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّائحةَ والمُستمعةَ[١].

وروىٰ الشَّافعي وأحمد في «مسنديهما»، والبخاري ومسلم في «صحيحيهما»، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: سمعتُ رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يخطب يقول: «**لا يَخلونَّ رجلٌ بامرأةٍ إلَّا ومعها ذو مَحرَم**»[٢].

وروىٰ الإمَامُ أحمد أيضًا، والتِّرمذي، والطبراني، والحاكم، عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**ألَا لا يَخلُونَّ رجلٌ بامرأةٍ إلَّا كان ثالثهما الشَّيطان**» زاد الحاكم: قالها ثلاثًا[٣]. قال التِّرمِذي: هذا حديث حسن صحيح غريب، وقد رُوي من غير وجه عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقال الحاكم: صحيح علىٰ شرط الشَّيْخين، ولم يخرِّجاه، ووافقه الذَّهَبي في «تلخيصه».

وروىٰ الإمَام أحمد أيضًا من حديث عامر بن ربيعة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا يَخلُونَّ رجل بامرأة لا تحِلُّ له، فإن ثالثهما الشَّيطان؛ إلَّا مَحرَم**»[٤].

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٦٥) (١١٦٤٠)، وأبو داود (٣١٢٨)، والبخاري في «التاريخ الكبير» (١/ ٦٦) (١٥١)، وضعفه الألباني في «المشكاة» (١٧٣٢).

(٢) أخرجه الشافعي (٢/ ٢١١) (٨٥٢)، وأحمد (١/ ٢٢٢) (١٩٣٤)، والبخاري (١٨٦٢)، ومسلم (١٣٤١).

(٣) أخرجه أحمد (١/ ١٨) (١١٤)، والترمذي (٤/ ٤٦٥) (٢١٦٥)، والطبراني في «الأوسط» (٣/ ٢٠٤) (٢٩٢٩)، و«الصغير» (١/ ١٥٨) (٢٤٥)، والحاكم (١/ ١٩٧) (٣٨٧)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٥٤٦).

(٤) أخرجه أحمد (٣/ ٤٤٦) (١٥٧٣٤)، وقال شعيب الأرنؤوط: صحيح لغيره.

وروىٰ الإمَام أحمد أيضًا، عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَن كان يؤمنُ بالله واليومِ الآخِر فلا يَخلُونَّ بامرأةٍ ليس معها ذو مَحرَمٍ منها، فإن ثالثهما الشَّيطان**»(١).

وروىٰ الطبراني في «الكبير»(٢)، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عن النَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّه قال: «**مَن كان يؤمنُ بالله واليَوم الآخر فلا يَخلونَّ بامرأة ليس بينه وبينها مَحرم**»، ورواه أيضًا في «الأوسط»(٣)، ولفظه: قال: «**لا يَدخل رجلٌ علىٰ امرأة إلَّا وعندها ذو مَحرَمٍ**». قال الهيثمي: فيه ابن لَهيعة، وحديثه حسَن، وفيه ضَعف، وبقية رجاله ثقات.

وروىٰ الطبراني أيضًا، عن أبي أُمَامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إيَّاك والخلوةَ بالنِّساء، والذي نفسي بيده، ما خلَا رَجلٌ بامرأة إلَّا ودخل الشَّيطانُ بينهما، ولأن يَزحم رجلٌ خنزيرًا مُتلطِّخًا بِطِين، أَو حَمأة؛ خير له من أن يزحمَ منكبه منكبَ امرأةٍ لا تحلُّ له**»(٤).

وروىٰ الإمَام أحمد، والشَّيْخان، والتِّرْمِذِي، عن عقبة بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إياكم والدُّخولَ علىٰ النِّساء**»، فقال رجل من الأنصار: يا رَسُول اللهِ، أَفرأيتَ الحَمْو؟ قال: «**الحَمْوُ المَوتُ**»(٥).

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٣٣٩) (١٤٦٩٢)، وقال شعيب الأرنؤوط: حسن لغيره وبعضه صحيح.

(٢) (١١/ ١٩١) (١١٤٨٦).

(٣) (٨/ ١٩٤) (٨٣٧٨).

(٤) أخرجه الطبراني (٨/ ٢٠٥) (٧٨٤٦).

(٥) أخرجه أحمد (٤/ ١٥٣) (١٧٤٣٤)، والبخاري (٥٢٣٢)، ومسلم (٢١٧٢)، والترمذي (١١٧١).

وقد حكىٰ النَّوويُّ، وابنُ حجر العسقلاني، وغيرهما الإجماعَ علىٰ تحريم الخلوة بالأجنبية.

فهذه بعض الأدلَّة علىٰ تحريم المنكرات التي أشاع بها إمَامُ المُتَعَصِّبِ عن نفسه. فإذا كان المُتَعَصِّبُ يَرىٰ أن الإنكار علىٰ إمَامه، والكلامَ فيه بما أشاع به عن نفسه من المنكرات، تَهويلٌ يَهون أمرُه لتصابي الشيوخ، فلَازم قوله أن يكون ما ذكرنا ههنا من الأدلَّة الدالة علىٰ تحريم تلك المنكرات من التهويل الذي يَهون أمرُه لتصابي الشيوخ، وهذا عينُ المُحادَّة لله ولرسوله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، واتِّباع غير سبيل المؤمنين.

وأما قوله: وهذا خيرُ البشر يسمع من كعب بن زُهير تَغزُّلَه في سُعاد -إلىٰ قوله- فلم يُنكِر عليه الرَّسولُ سُنَّةً جرَت عليها الشُّعراء، ولم يسدَّ أمَامَه مَحامِلَ الخير، وحُسن الظن، كما فعلت يُبوسة هذا مع الإمَام الكَبير.

فجوابه مِن وُجوه:

أَحَدها: أنْ يُقال: إنَّ كعب بن زهير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إنَّما تغزَّل بامرأته، والتَّغزل بالحليلة جائزٌ، بخلاف التَّغزُّل بامرأةٍ أجنبية أو بأمرد، فإنَّه لا يجوز.

قال الرُّوياني في «البحر»: هي امرأته وبنتُ عمِّه، ذكرها في هذه القصيدة لطُول غَيْبتِه عنها؛ لهُروبه من النَّبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. انتهىٰ. ونَقله عنه الزرقاني في «شرح المواهب اللَّدُنِّية»[١]، قال: وبه جزم البُرهانُ.

---

(١) (٤/ ٥٨).

وقال ابن كثير في «البداية والنهاية»(١): وقد رُوي أن رَسُول اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال له لما قال: بانَت سُعادُ: «**ومَنْ سُعاد؟**» قال: زَوجتي يا رَسُول اللهِ، قال: «**لَم تَبِنْ**»، ولكن لم يَصِحَّ ذلك، وكأنه علىٰ ذلك توهَّم أن بإسْلَامه تَبِينُ امرأتُه، والظَّاهر أنَّه إنَّما أراد البَينونةَ الحِسِّيَّة، لا الحُكْميَّة، واللهُ أعلمُ. انتهىٰ.

الوجه الثَّاني: إذا فرضنا أن كعبًا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ تغزَّل بغير زوجته؛ فهو إنَّما تغزَّل بامرأةٍ غيرِ مُعيَّنة، وهذا مما يستعمله كثيرٌ من الشعراء قديمًا وحديثًا، ومنهم من يتغزَّل بامرأةٍ يُسمِّيها ولا وجودَ لها، وإنَّما هو خيالٌ يُقيمه مقامَ الشَّيء الموجود، ومنهم من يتغزَّل طيفَ المَنام يُقيمه مقامَ الحقيقة.

وعلىٰ هذا فسُعادُ إن لم تكن زَوجةً لكَعب فهي امرأةٌ غيرُ مُعيَّنة، وقد أشار البيهقي إلىٰ هذا حيث قال في «سننه»(٢): (باب مَن شبَّب بامرأةٍ لم تُسمَّ، أَو بمَن تَحِلُّ)، ثمَّ ساق قصيدةَ كعب بن زُهير رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

وقال الشَّيْخ إبراهيم البَاجوري في «**الإسعاد علىٰ بانت سعاد**»: فإن قيل: كيف ساغ له أن يتغزَّل بامرأةٍ في قَصيدةٍ أنشدها بين يدي النَّبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مع أن التغزل ممتنع؟

أُجيب بأنه جرىٰ في ذلك علىٰ عادة العرب في أشعارها، مِن ابتدائها بالتغزُّل والتشبيب، مع قُرب عهده بالإسْلَام، وقد نصَّ العُلَماء رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ علىٰ أنَّه إنَّما يمتنع التغزُّل إذا كان بشخص معيَّن؛ رجلًا كان أَو امرأةً أجنبية، بخلاف ما إذا كان بغير

---

(١) (٤/ ٤٢٩).
(٢) (١٠/ ٤١٢).

معيَّن، أَو بحليلتِه، فإنَّه لا يمتنع، ويدل علىٰ جوازه سماعُ النَّبِي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وإقرارُه عليه، فيحتمل أنَّه لم يقصد بذلك امرأةً معينة؛ لمَا جرت به عادة غالب الشعراء من أنهم يفتتحون قصائدَهم بالتغزل في محبوب غير معين، وإن لم يكن حبٌّ بالكُلِّيَّة، يقصدون بذلك تمليح الكلام وتحسينَه؛ لأن طباعهم تميل إلىٰ العشق، والتغزل فيه.

ويحتمل أنَّه قصد امرأةً معيَّنة كانت حليلتَه وبانت عنه، فتغزَّل فيها، فقد قال في «شرح المواهب»: قال الروياني في «البحر»: هي امرأته، طالت غَيبتُه عنها؛ لهروبه من النَّبِي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فذَكرها في هذه القصيدة لذلك، وبه جزم البُرهان.

علىٰ أن محبَّتهم كانت غير مُفضِية إلىٰ القبيح -إلىٰ أن قال- لكن قد يُبعد احتمالَ كونِها زوجتَه السِّياقُ الآتي، حيث وصَفها بإخلافِ الوَعد والتَّلَوُّن، إلىٰ غير ذلك. انتهىٰ.

قلتُ: ما وصَفها به من إخلاف الوَعْد والتَّلوُّن، وغير ذلك، لا يُنافي كونَها زوجتَه؛ لأن بعض النِّساء إذا عَلمت مِن زوجها أنَّه يحبُّها حبًّا شَديدًا جَعلَتْ تتجَنَّىٰ عليه كما تَتجنىٰ المعشوقة علىٰ العاشق، وتُعاملُه بأكثر مما ذكَره كَعبٌ عن سُعاد، ويحتمل أن تكون سعادُ اسمًا لا مُسمىٰ له، واللهُ اعلم.

الوجه الثَّالث: إذا فرَضْنَا أن كعبًا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ تغزَّل بامرأةٍ أجنبية معيَّنة، فالنَّبِي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إنَّما أقرَّه تألُّفًا له علىٰ الإسْلَام. وليس كذلك مَن وُلد بين أبوين مُسلِمَين، وفي بلاد إسْلَامية، ونشأ في الإسْلَام مِن أوَّل عُمره، فمِثل هذا لا يُعذر كما يُعذر مَن كان حديثَ عهد بالإسْلَام.

الوجه الرابع: أن قصيدةَ كعب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ مُشتملةٌ علىٰ مدح النَّبِي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،

ومدح المهاجرين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وهذه المصلحة تَربو علىٰ مفسدةِ التَّغزُّل بالأجنبية، لو كانت سعادُ أَجنبيةً.

وأيضًا؛ فإن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كانوا معروفين ببِرِّ القُلوب، والنَّزاهة، والبُعد عن كل ما يُدنس ويشين، فلا يُقاس بهم غيرهم.

قال ابن القيم -رَحِمَه اللهُ تَعالَىٰ- في «إعلام المُوقِّعين»(١): ومِنه تقريرُهم علىٰ قولِ الشِّعر، وإنْ تغزَّل أحدُهم فيه بمحبوبته، وإن قال فيه ما لو أَقَرَّ به في غيره لأُخذ به؛ كتغزل كعب بن زهير بسُعاد، وتغزُّل حسَّان في شِعره، وقوله فيه:

كأن خَبيئةً مِن بَيت راس يَكون مِزاجها عَسَلٌ ومَاءُ

ثم ذَكر وصْف الشَّراب... إلىٰ أن قال:

ونَشربُها فتَتركنا مُلوكًا وَأُسدًا لا يُنَهْنِهُنَا اللِّقاءُ

فأقرَّهم علىٰ قول ذلك وسماعه لعِلمه ببِرِّ قلوبهم، ونزاهتهم، وبُعدهم عن كل دنس وعيب، وأنَّ هذا إذا وقع مُقدِمةً بين يدي ما يحبه اللهُ ورسولُه من مدح الإسْلَام وأهلِه، وذَمِّ الشِّرك وأهلِه، والتَّحريض علىٰ الجهاد، والكَرم، والشَّجاعة، فمَفسَدتُه مَغمورةٌ جدًّا في جَنْب هذه المَصلَحة، مع ما فيه من مصلحة هزِّ النفوس، واستمالةِ إصغائها، وإقبالها علىٰ المقصود بعده، وعلىٰ هذا جرت عادة الشعراء بالتغزل بين يدي الأغراض التي يريدونها بالقصيد. انتهىٰ.

ومما ذكرنا يُعلم أنَّه لا مُتعلق للمُتعصِّب في تغزل كعب بن زهير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ لأنَّ كعبًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إنَّما تغزَّل بامرأته، أَو بامرأة غير معينة، وعلىٰ تقدير كونها معينة، فقد

(١) (٢/ ٢٨٠).

كان قريب العَهد بالإسْلَام، وقد جعل ذلك مقدمة بين يدي مدح النَّبِي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومدح المهاجرين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ.

وأمَّا ابن حَزْم، فإنَّه إنَّما قال بَيتَين ذكَر فيهما أنَّه قبَّل معشوقته يومًا علىٰ خطر، وأنه لا يَعدُّ من عمره سوىٰ تلك السُّويعة التي قبَّلها فيها.

وقال أيضًا ثَلاثةَ أبيات ذكَر فيها خلوته بالمرأة، وبالخمر، وقد تقدم ذكر هذه الأبيات الخمسة، وليس فيها تغزلٌ نَزيه، وإنَّما فيها تصريح ليس بالنَّزيه، وقياس ما ذَكر فيها علىٰ تغزل كعب بن زهير رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ مِن أفسد القياس، كما لا يخفىٰ علىٰ من له أدنىٰ عِلم ومَعرفة.

وقال ابن حَزْم أيضًا أربعةَ أبيات شبَّب فيها بالشَّاب الحسن الوجه، وقد تقدم ذكرُها، والتشبيبُ بالمردان حرام، ودَنس وعيب، فلا يُقاس علىٰ تغزل كعب بن زهير النزيه البعيد عن الدنس والعيب.

الوجه الخامس: أني لم أسد محاملَ الخير وحُسن الظن أمَام ابن حَزْم فيما يَدخله الاحتمالُ، كما تقدَّم في الكلام علىٰ أبياته التي ذكر فيها أنَّه خَلا بالمرأة، وبالخمر، بخلاف ما لا يدخله الاحتمالُ مما أشاع به عن نفسه من النَّظر المُحرَّم، والكلام المحرم، والسعي المحرم، والاستماع المحرم، والحضور المحرم، والتقبيل المحرم، والتشبيب بالأمرد الحسن الوجه، فهذا مما يؤاخذ به علىٰ كلِّ حالٍ.

الوجه السادس: أن المُتَعَصِّب لابن حَزْم رمَاني باليبُوسَة لمَّا تكلمت في إمَامه بما أشاع به عن نفسه من المُنكرات التي قد قامت الأدلَّة من الكِتَاب والسُّنَّة علىٰ تحريمها.

وجوابي له: قولُ الله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ [القصص: ٥٥] الآية.

وماذا يقول المُتعصِّب في قول الله تعالىٰ: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾[النور: ٣٠]؟

وقول النَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لجرير بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لمَّا سأله عن نظر الفجأة: «**اصْرف بصرَك**»؟

وقوله في الحديث الآخر: «**لا تُتبع النظرةَ النظرة، فإنَّما لك الأولىٰ، وليست لك الآخرة**»؟

وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**العينان زناهما النَّظر، والأذنان زناهما الاستماع، واللسان زناه الكلام، واليد زناها البطش، والرِّجل زناها الخطا**»، وفي رواية: «**والفم يزني فزِناه القبل**»؟

وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**صَوتان ملعونان في الدنيا والآخرة: مِزمار عند نِعمة، ورنَّة عند مصيبة**»؟

وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**نهيتُ عن صوتين أحمقين فاجرين: مزمار عند نعمة، ورنة عند مصيبة**»؟

ولعنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّائحة والمُستمعةَ؟

وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ما خَلَا رجلٌ بامرأة إلَّا كان ثالثهما الشيطان**»[1]؟

---

(١) وكل هذه النصوص قد تقدمت وسبق تخريجها.

وما قاله العُلَماء في تحريم النظر إلىٰ المرأة الأجنبية والأمرد، ولاسيما إذا كان النظر بشهوة، فإن ذلك حرام بالاتفاق، ومن استحله كفر إجماعًا؟

فهذه بعض الأدلَّة علىٰ تَحريم المُنكرات التي أشاع بها إمَامُ المُتَعَصِّب عن نفسه.

فإذا كان المُتَعَصِّب يرىٰ أن الإنكار علىٰ إمَامه، والكلامَ فيه بما أشاع به من المنكرات؛ يُبوسَةٌ، فلَازم قوله أن تكون الأدلَّة الدَّالة علىٰ تحريم تلك المنكرات من اليبُوسة أيضًا، وهذا عين المحادَّة لله ولرسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، واتِّباع غير سبيل المؤمنين.

وأمَّا قول المُتَعَصِّب: ولو أردتُ إحصاءَ تَصابي الشيوخ؛ كعُبيد الله بن عتبه من الفقهاء السبعة، وعبد الرَّحْمن بن أبي عمار الجشمي، ومنذر بن سعيد، والباجي، وابن العربي، وابن عبد البر، وابن قيم الجوزية، ومئات غيرهم من الأئمَّة؛ لجَمعتُ مجلَّدات ضَخمة، وبهذا فلَن يَبقىٰ أمَامنا مَن يُوثق بعدالته.

فجوابه من وجهين:

أحدهما: أنْ يُقال: لم يَثبُت عن أحدٍ من هؤلاء الذين ذكرَهم أنَّه فعل شيئًا من المنكرات التي أشاع بها إمَامُ المُتَعَصِّب عن نفسه، وغايةُ ما يُذكر عن بعضهم أنَّه كان يتغزَّل في شعره بما لا تَصريحَ فيه بإتيان شيء من المُحرَّمات، وهذا لا يضر.

الوجه الثَّاني: لو فَرضنا ثبوتَ ما ذكر عن هؤلاء، أَو غيرهم، فليس ذلك بحجَّة يجبُ المَصيرُ إلَيْها، وإنَّما الحجَّة فيما جاء عن الله تَعالَىٰ، ورسولِه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وما أجمع المسلمون عليه، وقد تقدم ذكرُ الأدلَّة من كتاب الله تَعالَىٰ، وسنة رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإجماع أهل العلم علىٰ تحريم ما أشاع به ابنُ حَزْم عن نفسه، ولا

قولَ لأحد مع ما جاء عن الله تَعالَىٰ، ورسوله صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وما وقع الإجماع عليه.

وأمَّا قوله: لجمعتُ مُجلَّدات ضخْمَة.

فجوابه: أنْ يُقال: هذا من التَّشبُّع، وقد قال النَّبي صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**المُتَشبِّع بما لم يُعطَ كلابس ثوبَيْ زُور**»(١)، ولو أراد المُتَعَصِّب أن يَجمع شيئًا ثابتًا بالأسانيد الصَّحيحة لَمَا قدر أن يجمع نبذةً صغيرة. فأما ما يذكره صاحب «الأغاني» وأمثالُه مِن حُطَّاب اللَّيل الذين يَنقلون عمَّن هَبَّ ودَبَّ؛ فهذا لا عِبرَةَ به، ولا يُعتمد عليه.

وأما قوله: وبهذا فلن يبقىٰ أمَامنا مَن يُوثق بعدالته.

فجوابه: أنْ يُقال: هذا مِن المُجازفة، بل كلُّ المسلمين علىٰ العدالة إلَّا مَن ثَبت عنه ما يَقدح في عَدالته.

وأما قولُه: إن لأبي مُحمَّد أدلَّة إيجابية يستمدها من أقوال السلف الصَّالح. فأبو الدرداء رَضِيَاللَّهُعَنْهُ يقول: أجِمُّوا النفوسَ بشيء من الباطل؛ ليكون عونًا لها علىٰ الحقِّ، ويقول بعض السلف: مَن لم يُحسن يتفتىٰ لم يحسن يتقوىٰ، وفي بعض الأثر: أريحوا النفوس، فإنَّها تصدأ كما يصدأ الحديد.

فجوابه من وجوه:

أَحَدها: أنْ يُقال: إن الأدلَّة التي يُعتمَدُ عليها ويُحتجُّ بها إنَّما تُستمد من الكِتَاب والسُّنَّة، لا مِن أقوال السَّلف، قال اللهُ تَعالَىٰ: ﴿ اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [الأعراف: ٣].

---

(١) أخرجه البخاري (٥٢١٩)، ومسلم (٢١٣٠) من حديث أسماء رَضِيَاللَّهُعَنْهَا.

الوجه الثَّاني: أنَّه يَبعُد كلَّ البُعد أن يأمر أبو الدَّرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بإجمام النفوس بالباطل، وأن يقول: إن الباطل يكون عونًا علىٰ الحق.

يُوضِّح ذلك الوجهُ الثَّالث: وهو أن الباطل من المُنكر، والمُنكَر إنَّما يأمر به المنافقون، قال الله تعالَىٰ: ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ﴾ [التوبة: ٦٧]، وقد كان أبو الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِن أبعد النَّاس من النِّفاق، وكان من أجلَّاء الصحابة، وأكابر علمائهم، فيبعد كلَّ البُعد أن يقول بهذا القول الباطل.

الوجه الرابع: أن الله تَعالَىٰ قال: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ [المائدة: ٢]، والباطل من الإثم والعُدوان، فمَن ظنَّ بأبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّه كان يأمر بشيء من الإثم والعدوان، فقد ظنَّ به ظَنَّ السَّوء.

الوجه الخامس: أن الذي يُعين علىٰ الحقِّ هو لزومُ التَّقوىٰ، وكثرة الالتجاء إلىٰ الله تَعالَىٰ، والاستعانة به، وأمَّا الباطل فإنَّما يُعين علىٰ الباطل.

الوجه السادس: أن الذي جاء في الأثر: أريحوا النُّفوسَ، فإنَّها تَصدأُ كما يصدأ الحديدُ. معناه أن لا يُحمِّل نفسَه من الأعمالِ ما لا تُطيق، فلا يُديم الصِّيامَ، ولا يقوم الليلَ كلَّه، ويترك النومَ؛ فتَمل نفسُه من العِبادة وتَسأم، بل يقومُ ويَنام، ويَصومُ ويُفطر، فيقوم بحقِّ ربِّه، وحقِّ نفسه، وحقِّ أهلِه. ومَن زعم أن معنىٰ الأثر هو العَمل بشيء من الباطل، فقد حمل الأثر علىٰ غير مَحمَله، وتأوَّله علىٰ غير ما يُراد به.

الوجه السابع: أن إراحةَ النفوس، وجلَاءَ صدأ القلوب لا يكون بفِعل المعاصي، وإنَّما يكون بالتَّوبة الصَّادقة، وكثرة تلاوة القُرآن، وكثرة الذِّكر

والاستغفار، ولزوم الطاعة، واجتناب المَعصية، ومَن زعم أن إراحة النفوس تكون بشيء من الباطل، فقد قلَب الحقيقة.

يوضح ذلك الوجهُ الثَّامن: وهو أن النَّبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إنَّ المُؤمنَ إذا أَذنبَ ذَنبًا كانت نُكتَةٌ سَوداء في قلبه، فإن تابَ ونَزع واستعتبَ صَقل قلبُه، وإن زاد زادت حتىٰ تعلُوَ قلبَه، فذلك الرَّان الذي قال الله: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾** [المطفّفين: ١٤]»، رواه التِّرْمِذِي من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وقال: هذا حديث حسن صحيح[١].

فدل هذا الحديثُ علىٰ أن المعاصي هي السَّبب في صدأ القلوب، وفيه ردٌّ علىٰ مَن زعم أن إراحة النفوس تكون بشيء من الباطل.

الوجه التاسع: أن المُتَعَصِّب إنَّما أورد ههنا عن أبي الدرداء رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وغيرِه مَا أوردَ ليُقيمَ العُذرَ لإمَامه فيما استباحه من إطلاق بصره في النظر إلىٰ محاسن المرأة الأجنبية، وتعرضه للدنو منها، وطلب الوصال منها، واستماعه لغنائها، وضربها بالعود، وحضوره عند النياحة، وإطلاق بصره في النظر إلىٰ الشَّاب الحسن الوجه، والتشبيب به. فزَعم المُتَعَصِّب أن له في استباحة هذه الأمور المحرَّمة أدلَّة إيجابية، وأخطأ في ذلك خطأً ظاهرًا، فليس له من الأدلَّة ما يتعلَّق به. بل الأدلَّة قائمَة علىٰ نقيض قصْدِه، وقد تقدم ذكرُ بعضها قريبًا.

وأما قوله: إن قول هذا النَّاقد إمَّا أن يكون ابن حَزْم صادقًا، وإما... إلخ؛ مُغالَطَةٌ

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٣٣٤)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (١٦٧٠).

وتَعميَةٌ؛ لأن أبا مُحمَّد قد قطع باب الاحتمال... إلىٰ آخر ما نقله المُتَعَصِّبُ من كلامِ ابن حَزْمٍ.

فجوابه: أنْ يُقال: ما أشاع به ابن حَزْم عن نفسه من إطلاق بصره في النظر إلىٰ محاسن المرأة الأجنبية لا يدخله الاحتمال أبدًا، وكذلك تعرُّضه للدنو من المرأة الأجنبية، وطلب الوصال منها، واستماعه لغنائها، وضربها بالعود، وحضوره عند النياحة من غير نكير، ونظره إلىٰ الأمرد الحسن الوجه، والتشبيب به، وتقبيله لمعشوقته علىٰ خطر، وخلوته بالمرأة، وبالراح. كل ذلك صريح لا يدخله الاحتمالُ، وليس في نقل ذلك عنه مُغالطة ولا تَعمية كما زعمه المُتَعَصِّب لابن حَزْمٍ.

وغايةُ ما يقال: إنَّ ابن حَزْم صرَّح بخلوته بالمرأة، وبالراح في موضع من كتابه «طَوق الحمامة»[1]، ثمَّ نفىٰ عن نفسه شُرب الرَّاح، وإتيان الفاحشة في موضع آخر من كتابه المذكور، فتعارض إثباتُه ونَفيه، ولو شئنا لقلنا: إن الإثبات مُقدَّم علىٰ النَّفي، كما هو مُقرَّر عند الأصوليين، ولكننا نُنزِّه أبا مُحمَّدٍ عن الخنَّا، وشرب الخمر، ونُصدِّقه فيما نفاه عن نفسه؛ لقول الله تَعالَىٰ في الشعراء: ﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٦]، وهو وإن كان منزَّهًا عندنا من شُرب الرَّاح، واتيان الفاحشة؛ فهو غير مُنزَّه من الكَذب فيما صرَّح أنَّه خلَا به، والكذب حرام، وقبيحٌ من كل أحد، وهو من العُلَماء أقبَح وأقبَح.

وأمَّا زَعمُه أن ما ذكره ابن حَزْم في كتابه «طَوق الحمامة»؛ فهو مِن ذكريات صِباه.

---

(١)(١/ ١٠٩).

فجوابه: أنْ يُقال: إذا كان للرَّجل صَبوة في أوَّل عُمره، فالواجب عليه أن يَستتر بسترِ الله، ولا يُشيعَ ذلك عن نفسه، فيكون من المجاهرين الذين قال فيهم النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كلُّ أمَّتي مُعافىً إلّا المجاهرين، وإن من المُجاهرةِ أن يعملَ الرجلُ عملًا بالليل، ثمَّ يُصبح وقد ستره اللهُ عليه، فيقول: يا فلان، عملت البارحةَ كذا وكذا، وقد بات يَستره ربُّه، وأصبح يكشف سترَ الله عليه**» متفق عليه من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ(١).

وأمَّا قوله: إن النَّائحةَ والجواري في بيت والده لمَّا كان وزَيرًا، وابن حَزْم آنذاكَ شابٌّ أنيق لم يتَّجه للعِلم.

فجوابه: أنْ يُقال: إن ابن حَزْم قد وُلد في سنة أربعٍ وثمانين وثلثمائة، وكان أول سماعه قبل الأربعمائة، ذكره الحُميدي في «جذوة المُقتبس»(٢). فقد تبيَّن مِن هذا أنَّه قد طلب العِلم في أوَّل شَبابه، ولو فرضنا أن حضوره للنِّياحة، وما فعله مع الفتاة التي عشقَها، كان قبل طلبه للعِلم، فلا يَنبغي له أن يَذكُر مَعاصيه ويشيعَها ويثبتَها في كتابه بعد أن صار عَالِمًا يُقتدي به؛ لأنَّه بذلك يكون مِن المُجاهرين الذين تقدَّم ذكرهم في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وأما قوله: وهذا عُمر بن الخطَّاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وغيره مِن كبار الصحابة لم يقدَح في عدالتهم ما فعلوه قبل الإسْلَام، فما بالُك بشابٍّ مُسلم تَصابىٰ في بيت ثَراء ونِعمَةٍ، وحَضارة، وجواري، وخَدَم، فلما بلغ أشدَّه انْسلخ عن كل هذا، وزَهد في الوزارة،

---

(١) أخرجه البخاري (٦٠٦٩)، ومسلم (٢٩٩٠).

(٢) (١/ ٣٠٨).

واتَّجه لربِّه، وتضلَّع في أمور دينه.

فجوابه: أنْ يُقال: قياس ما يَفعله المُسلم في حالِ شَبابه بما يفعله الكافرُ في حال كُفره مِن أفسد القياس؛ لأنَّ المُسلمَ مُخاطب بامتثال الأوامر واجتنابِ النَّواهي مِن حِين يَعقل، وأمَّا الكافرُ، فإنَّه مطلوبٌ منه الدُّخول في الإسْلَام أوَّلًا، وبعد دُخوله في الإسْلَام يكون مُخاطبًا بامْتِثال الأوامر واجتنابِ النَّواهي، والإسْلَام يَجُبُّ ما كان قبله من الشِّرك الذي هو أعظم الذنوب، فما دون ذلك من كبائر الإثم وصغائره.

وأما ما يفعله المسلم في حال شبابه أو حين كبره من كبائر الإثم فإنَّها لا تُكفَّر عنه إلَّا بالتَّوبة النَّصوح، وقد يَغفِرُها اللهُ لمَن يشاء.

وأمَّا الصَّغائرُ، فإنَّها تُكفَّر بالتَّوبة منها، وبالأعمال الصَّالحة، والمصائبِ، والآلام، والهُموم، والغُموم، والأحزان، والمُسلمُ مأمورٌ بالتَّستُّر بستر الله، وترك المجاهرة بما فعله من المعاصي؛ كبائرها وصَغائرها. ومأمورٌ أيضًا بالتَّوبَة والاستغفارِ من جَميع الذُّنوب كبائرها وصَغائرها.

والإصرارُ علىٰ المعاصي من الكبائر؛ لحَديث عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أن رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**وَيلٌ للمُصِرِّين الذين يُصِرُّون علىٰ ما فَعلوا وهم يَعلَمُون**»، رواه الإمَام أحمدُ بإسْنادٍ صَحيح، والبخاري في «الأدب المفرد»، والطبراني[١].

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ١٦٥) (٦٥٤١)، والبخاري في «الأدب المفرد» (١/ ١٣٨) (٣٨٠)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٥/ ٤٤٩) (٧٢٣٦)، والطبراني في «الشاميين» (٢/ ١٣٣) (١٠٥٥)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٤٨٢).

وروىٰ ابنُ جرير، وابن أبي حاتم، عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا أنَّه قال: «لَا كَبيرةَ مع استغفارٍ، ولا صَغيرَة مع إصْرَار»(١).

وليس كون المُسلم في بيت ثَرَاءٍ ونِعمة، وحضارة، ونضَارة، وجوارٍ، وخدَم؛ مما يُعذَر به علىٰ التَّصابي في حال شبابه، كما هو ظاهرُ كلام المُتَعَصِّب، وإنَّما هو مأمورٌ بالتَّقوىٰ من حين يَعقل.

وقبل الخِتام نُكرِّر الدُّعاء لأبي مُحمَّد ابن حَزْم بالعَفْو والمَغفرة، ونَعترف له بالفَضيلة والتَّقدُّم في كلِّ ما وافق فيه الحقَّ، وما أودعَه في مُصنَّفاته من الفوائد الجليلة، ونرجو له المُسامحة عن الزَّلَّات والهَفَوات، وقد قيل: لكُلِّ عاقلٍ هَفْوَة، ولكلِّ جَوادٍ كَبْوَة، ولكُلِّ صَارِمٍ نَبْوَة، وقال الشَّاعرُ -وأحسَن فيما قال-:

وَمَن ذا الَّذي تُرضىٰ سَجايَاه كُلُّها كفَىٰ المَرء نُبلًا أن تُعدَّ مَعائبُه

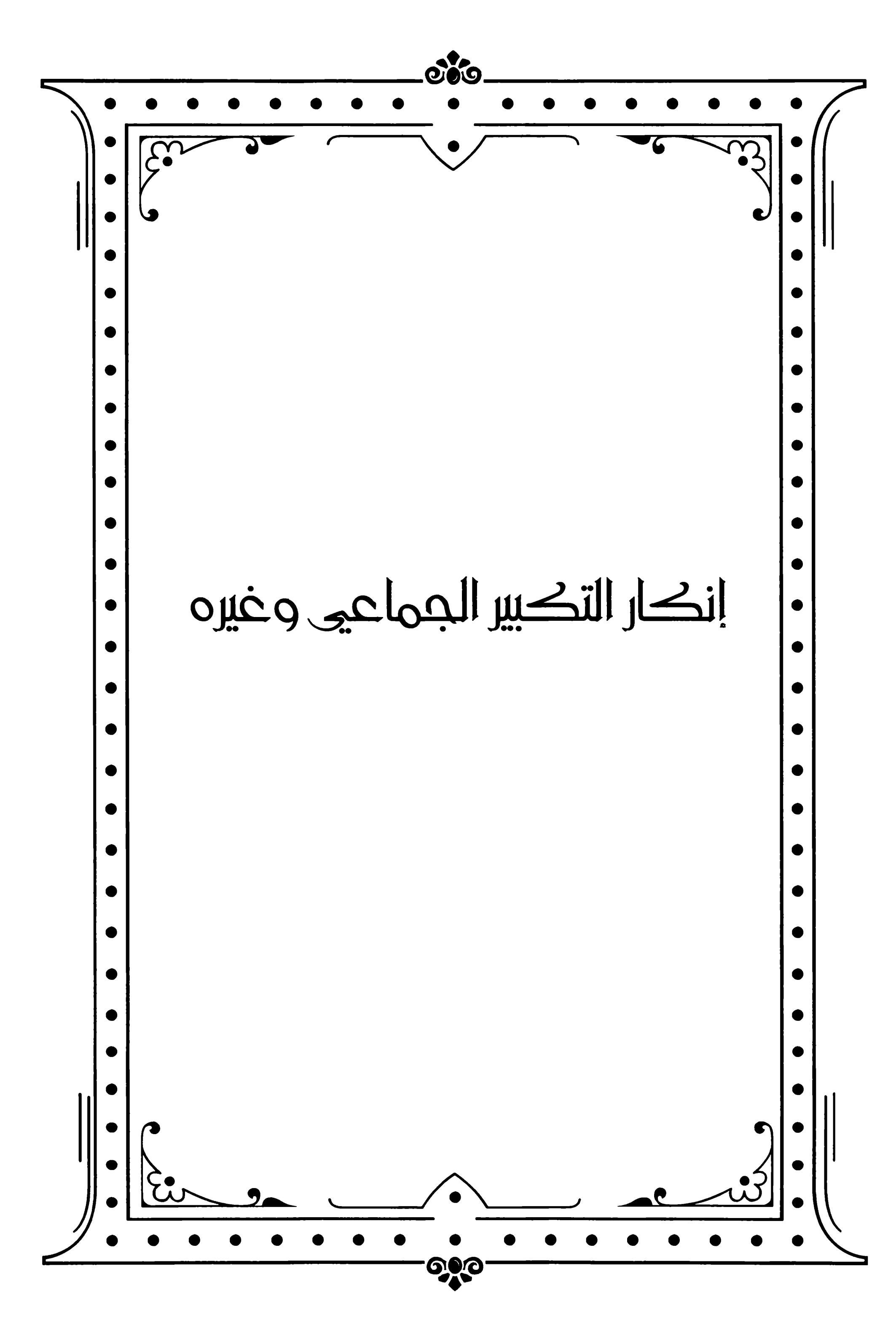
ولم أذكر في «فَصْل الخِطَاب» ما ذكرتُه عن أبي مُحمَّد ابن حَزْمٍ عَن قَصدِ شَيء لا يَليقُ به، وإنَّما القَصدُ مِن ذلك بيانُ الحَقِّ، والتَّحذيرُ من الاغترارِ بمَن اتَّبع زلَّات أبي مُحمَّد، وجعلَه حُجَّة في استحلالِ الغِنَاء والمَعازف.

وهذا آخِرُ ما تَيسَّر إيرادُه، والحمدُ لله ربِّ العالَمين، وصلَّىٰ اللهُ علىٰ نبيِّنا مُحمَّد، وعلىٰ آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان إلىٰ يوم الدِّين، وسَلَّم تَسليمًا كَثيرًا.

٢٦/ ٦/ ١٣٩١هـ

---

(١) رواه الطبري (٦/ ٦٥١)، وابن أبي حاتم (٣/ ٩٣٤) (٥٢١٥).



إنكار التكبير الجماعي وغيره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللهِ، والصَّلاة والسَّلام عَلَىٰ رَسُول الله..

□ **أمَّا بَعْد:**

فَقَدْ قرأتُ ما ذَكَر أَخُونا وَصَاحبُنا الشَّيخ حِمُود بن عبد الله التويجري في هَذِهِ الرِّسَالة من إنْكَار ما يَفْعلُهُ بعضُ النَّاس في المَسْجد الحَرَام صباحَ العِيدِ مِن التَّكْبير الجَمَاعيِّ بصَوْتٍ رَفِيعٍ، ونَغَمةٍ خَاصَّةٍ.

وَلَا شكَّ أنَّ التَّكْبيرَ عَلَىٰ هَذَا الوَجْه بدعةٌ منكرةٌ من حَيْث الكيفيَّة، وأمَّا جنس الذِّكر والتَّكبير عَلَىٰ غَيْر هَذَا الوَجْه، فهُوَ مشروعٌ، ومُرغَّبٌ فيه عند أَهْل العلم، كلُّ إنْسَانٍ يُكبِّر لنَفْسِهِ من غَيْر رَفْع صَوْتٍ يؤذي النَّاس، ولا تشبُّه بالمُغنِّين، وقَدْ أوْضَحَ الكَاتبُ الأَحَاديثَ والآثارَ الدَّالَّة عَلَىٰ إنْكَار هَذِهِ البدْعَة، فأَجَاد وأَفَاد.

وهَكَذا ما ذَكَره الكاتبُ من وُجُوب تَعْديل الأَذَان في المَسْجد الحَرَام، ومَنْع النِّساء ممَّا لا يَليق في حَال الطَّواف وغَيْره، ومَنْع المُطوِّفين من الوُقُوف بالحجَّاج للدُّعاء في المَوَاضع الَّتي تضيقُ عَلَىٰ الطَّائِفين.

وكَذَا ما ذَكَره الكَاتبُ من وُجُوب إزَالَة المُنْكرات الظَّاهرة في المَسْجد الحَرَام وغَيْره، والأَخْذ عَلَىٰ أَيْدِي أَهْلها، وتَوْجيههم إِلَىٰ ما شَرَعه اللهُ لهُمْ، وتَحْذيرهم من أسْبَاب العُقُوبات، وَغَضب فَاطر الأَرْض والسَّموات، كلُّ ذَلكَ حقٌّ يجبُ عَلَىٰ وُلَاة الأُمُور أنْ يُولوه العنَايةَ الكَاملةَ، وأَنْ يَهْتمُّوا بأَمْر الرَّعيَّة، وإرْشَادهم إِلَىٰ ما فِيهِ صَلاحُ أَمْر الدُّنيا والآخرَة. ومَعْلومٌ أنَّ أهمَّ مَقَاصد الولَايَة

هُوَ إِقَامَة أَمْر الله في أرْضِهِ، وإلْزَام النَّاس بالسَّير عَلَىٰ الصِّراط المُسْتقيم، والوُقُوف عند الحُدُود الَّتي حدَّها الشَّرع المطهَّر.

وَفَّق اللهُ ولاةَ الأمر لكلِّ خيرٍ، وحَمَىٰ بِهِم حمَىٰ الشَّريعة، وأصْلَح أحوالَ المُسْلمين أنَّه عَلَىٰ كلِّ شيءٍ قديرٌ، وللمُسَاهمة في التَّوجيه إِلَىٰ الخير والتَّحْريض عَلَىٰ إنْكَار المنكر.

حرر في ١٠ – ٩ سنة ١٣٨٠هـ

قاله الفقير إِلَىٰ عفو ربه

عبد العزيز بن عبد الله بن باز

وصلىٰ الله وسلم عَلَىٰ عبده ورسوله محمد وآله وصحبه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحَمْدُ لله، والصَّلاة والسَّلَام عَلَىٰ رَسُول الله، وعَلَىٰ آله وأصحابِهِ ومَن وَالاه، وبعد:

فقَدْ قرأتُ هَذِهِ النُّبذة المُبَاركة جَمْع الأخِ الشَّيخ حِمُود بن عبد الله التويجري، بَيَّن فيها بدعيَّة التَّكْبير الجماعيِّ المؤدِّي عَلَىٰ هَذِهِ الكيفيَّة المعهودة في المَسْجد الحَرَام؛ وبدعيَّة تأدية الأذان المَسْلوك في تأديتِهِ هَذَا المَسْلك، وفتنة اخْتلَاط الرِّجال بالنِّساء، وَضررها عَلَىٰ المجتمع، فَمَا قاله في هَذَا هُوَ الحقُّ الَّذي يجبُ المصيرُ إلَيْه، ويتعيَّن عَلَىٰ وُلَاة الأُمُور -وَفَّقهم الله- إنْ يَمْنعوا هَذِهِ الأَشْيَاء المُبْتدعَة في الدِّين، والَّتي لم يدلَّ عَلَيها كتابٌ، ولا سُنَّةٌ، ولَمْ تكن معهودةً بِهَذِهِ الكيفيَّة زمن السَّلف رضوان الله عليهم، واللهُ المُوفِّق والهادي إِلَىٰ سَوَاء السَّبيل.

أمْلَاه الفقيرُ إِلَىٰ الله عزَّ شأنُهُ عَبْدُ الله بن حمد بن حميد في اليوم السَّابع والعشرين من شهر رَمَضان المعظم عام ألف وثلاث مئة وثمانين. اهـ.

عبد الله بن محمد بن حميد

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحَمْدُ لله، نَحْمدُهُ، ونَسْتَعينه، ونَسْتغفره، ونَتُوب إلَيْه، ونَعُوذُ بالله من شُرُور أَنْفُسنا وسَيِّئات أعْمَالنا، مَنْ يَهْدي الله فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلل فلا هادي لَه، وأَشْهَد أنْ لَا إلَهَ إلَّا الله وَحْده لا شَريكَ له، وأَشْهَد أنَّ مُحمَّدًا عبدُهُ ورسولُهُ، أرْسَله بالهدىٰ وَدين الحقِّ، وَجعل اتِّباعه سببًا لمحبَّته تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ للعبد، وَهدَايته إيَّاه، ومَغْفرته لذُنُوبه، فقَالَ تَعَالىٰ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

اللَّهمَّ صلِّ وسلِّم عَلَىٰ عَبْدك ورَسُولك نبيِّنا مُحمَّد وعَلَىٰ آلِهِ وأصْحَابه ومَنْ تَبعهم بِإِحْسَانٍ إِلَىٰ يوم الدِّين.

أمَّا بَعْد:

فقَدْ صَلَّيتُ في المَسْجد الحَرَام صَلَاةَ عِيد الفِطْرِ في سنة ١٣٧٧، فسمعتُ مَنْ في أعْلَىٰ زَمْزم، ومَنْ في أعلىٰ المَقَام الحنفي يَتجَاوبون بالتَّكْبير، والتَّهْليل، والتَّحميد، والصَّلاة عَلَىٰ رَسُول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأصواتٍ عاليةٍ مُلحنةٍ يُخْرجونها مَخرجًا واحدًا عَلَىٰ نحو ما يفعلُهُ أَهْل الغنَاء، وكذَلكَ كَانوا يَفْعلون في أعْلَىٰ زمزم في سنة ١٣٧٨ بعدما هَدَم المَقَام الحنفيِّ، وأخْبَرني بَعْضُ الحُجَّاج أنَّهم كانوا يَفْعلون مثل ذَلكَ في عيد الأضْحَىٰ، وقَدْ رأيتُ بعضَ الحَاضرين يطربون لهَذِهِ الأصْوَات كَمَا يطرب المَفْتونون بالغنَاء للغنَاء، وَفعلهم هَذَا من الاسْتهزَاء بذِكْرِ الله تَعَالَىٰ، ومن

البدَع الَّتي يجبُ إنْكَارها.

وقَدْ أنكرَ ابْنُ مسعودٍ وَأبو موسىٰ الأشعري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا ما هُوَ دون ذَلكَ، وَعدَّه ابْنُ مسعودٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ من البدَع، فَروىٰ الطَّبرانـيُّ في «الكَبير» عن عَمْرو بن سَلَمة، قَالَ: «كنَّا قعودًا عَلَىٰ بَاب ابْن مَسْعودٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ بيْن المَغْرب والعشَاء، فأتَىٰ أَبو مُوسَىٰ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، فَقَال: اخْرج إلينا أبَا عبد الرَّحمن، فَخَرج ابْنُ مسعودٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، فَقَال: أبا موسىٰ، ما جَاءَ بك هَذِهِ السَّاعة؟ قَالَ: لَا واللهِ، إلَّا أنِّي رأيتُ أمرًا ذَعَرني، وإنَّه لخيرٌ، ولقَدْ ذَعَرني، وإنَّه لخيرٌ، قومٌ جلوسٌ في المَسْجد، ورجلٌ يَقُول: سبِّحوا كَذَا وكَذَا، احْمدوا كَذَا وكَذَا، قَالَ: فَانْطَلَق عبدُ الله، وانْطَلقنا مَعَهم حتَّىٰ أَتَاهم، فَقَال: ما أَسْرعَ ما ضَللتُمْ، وأَصْحَاب رَسُول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أحْيَاء، وأزْوَاجه ثَوَاب، وثيَابه وأَبْنيته لَمْ تغير، أَحْصوا سَيِّئاتكم فأنَا أضمنُ عَلَىٰ الله أن يُحْصي حَسَناتكم»[1].

وَرَوَىٰ الدَّارميُّ عن عَمْرو بن يحيىٰ، قَالَ: سمعتُ أَبي يحدِّث عن أبيه، قَالَ: «كنَّا نجلس عَلَىٰ باب عَبْد الله بن مَسْعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قبلَ صَلَاة الغَدَاة، فإذا خَرَج، مَشَينا معه إلَىٰ المَسْجد، فَجَاءنا أَبو مُوسَىٰ الأشعريُّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، فَقَال: أَخَرج إليكُمْ أبو عَبْد الرَّحمن بعد؟ قُلْنا: لا، فَجَلس معنا حَتَّىٰ خرجَ، فلمَّا خَرَج قُمْنا إلَيْه جميعًا، فقَال له أَبُو مُوسَىٰ: يا أبا عَبْد الرَّحمن، إنِّي رأيتُ فِي المَسْجد آنفًا أمرًا أنكرتُهُ، ولَمْ أرَ -والحَمْد لله- إلَّا خيرًا، قَالَ: فما هو؟ فَقَالَ: إنْ عِشْت فَستراه. قَالَ: رأيتُ في المَسْجد قومًا حلقًا جلوسًا ينتظرون الصَّلاة، في كلِّ حلقةٍ رجلٌ، وفي أيْدِيهِم حصًىٰ، فيَقُول: كَبِّروا مئةً، فيُكبِّرون مئةً، فيَقُول: هَلِّلوا مئةً،

---

(١) أخرجه الطبراني (٩/ ١٢٧) (٨٦٣٦).

فيُهلِّلون مئةً، ويقول: سبِّحوا مئةً، فيُسبِّحون مئةً. قَالَ: فماذا قلتَ لهم؟ قال: ما قلتُ لهم شيئًا انتظارَ رَأيك، أو انتظار أَمْرك.

قَالَ: أفلا أَمَرتَهمْ أن يعدُّوا سَيِّئاتهم، وَضَمنتَ لهم ألَّا يضيعَ من حَسَناتهم شيءٌ، ثمَّ مَضَىٰ وَمَضَينا معه حَتَّىٰ أتىٰ حلقةً من تلك الحِلَقِ، فَوَقَف عليهم، فَقَال: ما هَذَا الَّذي أراكُمْ تَصْنعون! قالوا: يا أبا عَبْد الرَّحمن، حصًىٰ نعدُّ به التَّكبير، والتَّهليل، والتَّسبيح، قَالَ: فعدُّوا سَيِّئاتكم، فأنَا ضامنٌ ألَّا يضيعَ من حَسَناتكم شيءٌ، وَيْحكم يا أُمَّة محمَّد، ما أسرعَ هَلَكتكُمْ! هَؤُلَاء صحابةُ نَبيِّكمْ صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ مُتَوافرُونَ، وهَذِهِ ثيابُهُ لم تَبْل، وآنيتُهُ لم تُكْسر، والَّذي نفسي بيده إنَّكمْ لعلَىٰ ملَّةٍ هي أهْدَىٰ من ملَّة محمَّد صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، أَوْ مُفْتتحو باب ضَلَالةٍ. قَالوا: واللهِ يا أبا عبد الرَّحمن، ما أردنا إلَّا الخيرَ، قَالَ: وكَمْ من مُريدٍ للخَيْر لنْ يصيبَهُ!»(١).

وَرَوىٰ عبدُ الله ابْن الإمَام أحْمَد في «زَوَائد الزُّهد»، والطبرانيُّ، وأبو نُعَيم في «الحِلْية»، وأبو الفَرَج ابْن الجوزيِّ، واللَّفظ له، عن أبي البَخْتري، قَالَ: أخبر رَجلٌ عَبْدَ الله بن مسعودٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنَّ قومًا يَجْلسون في المَسْجد بعد المَغْرب، فيهم رجلٌ يَقُول: كَبِّروا اللهَ كَذا وكَذَا، وسَبِّحوا اللهَ كَذَا وكَذَا، واحْمَدوا اللهَ كَذَا وَكَذا، قَالَ عبدُ الله: فإذَا رَأيتهُمْ فَعَلوا ذَلكَ، فَأْتني فأَخبرني بمَجْلسهم، فَجَلس، فلمَّا سمعَ ما يَقُولون، قام فأَتَىٰ ابْنَ مسعودٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، فَجاء، وَكَانَ رجلاً حديدًا، فقال: أنا عبدُ الله بن مسعودٍ، والله الَّذي لا إلَهَ غيره، لقَدْ جئتُمْ ببدعةٍ ظلماء، أو لقَدْ فضلتُمْ أَصْحَاب مُحمَّدٍ صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ علمًا. عليكُمْ بالطَّريق فَالْزَموه، وَلئنْ أَخذتُمْ يمينًا وشمالاً

---

(١) أخرجه الدارمي (١/ ٢٨٦) (٢١٠)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٢٠٠٥).

لتضلنَّ ضلالاً بعيدًا(١).

وفي روَايَة الطَّبرانيِّ: «فأَمَرهم أن يَتفرَّقوا»(٢).

ورَوَىٰ محمَّد بن وضَّاح: أنَّ عبدَ الله بن مَسْعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «حُدِّث أنَّ ناسًا يسبِّحون بالحَصَىٰ في المَسْجد، فأَتَاهم وقَدْ كوَّم كلُّ رجلٍ منهم كومةً من حصًىٰ، فلَمْ يَزَل يَحْصِبُهم بالحصىٰ حَتَّىٰ أخْرَجهم من المَسْجد، وهُوَ يَقُول: لقد أحْدَثْتم بدعةً ظُلماء، أو لقَدْ فَضَلْتُمْ أصْحَابَ مُحمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِلْمًا»(٣).

إذا عُلمَ هَذَا، فَصَنيعُ المُتَجَاوبين بالتَّكْبير يومَ العيد ممَّا لا ريب أنَّه من المُنْكَرات، وأَنَّه أعظمُ ممَّا أنْكَره ابْنُ مسعودٍ، وَأَبو موسَىٰ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وأَوْلىٰ بأنْ يُنْكَر عَلَىٰ فاعِلِيه، ويُمْنعوا منه.

وبيَان ذَلكَ من وجوهٍ:

أَحَدُهَا: ما فَعَل المُتَجَاوبون بالتَّكْبير من التَّطْريب به، واجْتمَاع الجَمَاعة عَلَىٰ إخْرَاجه بأصواتٍ عاليةٍ متطابقةٍ كأنَّها من تَطَابقها صوتٌ واحدٌ عَلَىٰ نحو ما يفعلُهُ المُغنُّون، وهَذَا المسلكُ ممَّا يَنْبغي تنزيهُ ذِكْرِ الله، وإجلالُهُ عنه.

الثَّانِي: ما في ذَلكَ من التَّشْويش عَلَىٰ مَنْ في المَسْجد الحَرَام من التَّالين

---

(١) أخرجه عبد الله بن أحمد في «زوائد الزهد» (ص٣٥٨)، والطبراني في «الكبير» (٩/ ١٢٥) (٨٦٤٩)، وأبو نعيم (٤/ ٣٨٠)، وابن الجوزي في «تلبيس إبليس» (ص١٧)، وعبد الرزاق في «المصنف» (٣/ ٢٢١) (٥٤٠٩).

(٢) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٩/ ١٢٥) (٨٦٤٩).

(٣) أخرجه ابن وضاح في «البدع» (ص٣٨) رقم (١٦).

للقُرْآن، والذَّاكرين الله تَعَالىٰ بالتَّكْبير، والتهليل، والتَّسْبيح، والتَّحْميد، وغَيْر ذَلكَ من أنْوَاع الذِّكْر والدُّعَاء، فتَلْتبس القراءةُ عَلَىٰ القَارئ، والذِّكر عَلَىٰ الذَّاكر، والدُّعَاء عَلَىٰ الدَّاعي.

وقَدْ نَهَىٰ النَّبيُّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الجَهْر بالقرآن إذا حَصَل من الجَهْر به تشويشٌ عَلَىٰ الغَيْر كما في «الموطَّأ» عن أَبي حَازم التَّمَّار، عن البَيَاضي، أنَّ رَسُول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَج عَلَىٰ النَّاس وهم يصلُّون، وقد عَلَت أصواتُهُمْ بالقرَاءَة، فقَالَ: **«إنَّ المصلِّي يناجي ربَّه، فَلْيَنظر بما يُنَاجيه به، ولا يَجْهر بعضكُمْ عَلَىٰ بعضٍ بالقُرْآن»**[1].

وَرَوىٰ أَبُو دَاوُد في «سننه»، والحاكمُ في «مُسْتدركه» عَنْ أبي سعيدٍ الخدريِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «اعْتكَفَ رَسُولُ الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المَسْجد، فَسَمعهم يَجْهَرون بالقرَاءَة، فكَشَف السِّتْر، وقَالَ: **«ألا إنَّ كُلَّكم مُنَاجٍ ربَّه، فلا يؤذينَّ بعضُكُمْ بعضًا، ولا يَرْفع بَعْضكم عَلَىٰ بعضٍ في القرَاءَة»**، أو قَالَ: **«في الصَّلاة»**[2].

قَالَ الحَاكمُ: صحيحٌ عَلَىٰ شَرْط الشَّيْخين، ولَمْ يُخرِّجاه، ووَافَقَه الحافظُ الذَّهبيُّ في «تلخيصِهِ».

وقَالَ ابْنُ عبد البرِّ رحمه الله تعالىٰ: «حَديثُ البياضي وأَبي سعيدٍ ثَابتَان صَحيحَان»[3]. انتهىٰ.

---

(١) أخرجه مالك (ص٨٠) رقم (٢٩)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٦٠٣).

(٢) أخرجه أبو داود (١٣٣٢)، والحاكم (١١٦٩)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٦٣٩).

(٣) «التمهيد» (٢٣/ ٣١٩).

وفي «المُسْند» من حَدِيثِ عبد الله بن عُمَر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا «أَنَّ النَّبيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ اعتكفَ، وخَطَب النَّاس، فَقَالَ: «**أَمَا إِنَّ أحدكُمْ إذا قام في الصَّلاة، فإِنَّه يناجي ربَّه، فَلْيَعلم أحدكُمْ ما يناجي ربَّه، ولا يَجْهر بَعْضكُمْ عَلَىٰ بعضٍ بالقراءة في الصَّلاة**»[(١)].

وإِذَا كَانَ المُصلِّي منفردًا، ومثلُهُ التَّالي للقرآن في غَيْر صلاةٍ منهيًّا عن الجَهْر الَّذي يَحْصل منه تشويشٌ عَلَىٰ مَنْ حَوْله من المُصلِّين والتَّالين، فنهي المُتجَاوبين بالتَّكْبير أوْلَىٰ؛ لأنَّ صَنيعهُمْ هَذَا من المُحْدثات مع ما في ذَلكَ من التَّشْويش عَلَىٰ التَّالين، والذَّاكرين، والدَّاعين.

الوَجْه الثَّالث: ما في فِعْلِهِم من مُخَالفة ما أمرَ الله به من خَفْض الصَّوت بالذِّكر والدُّعاء، وارْتكَاب ما نَهَىٰ الله عنه ورسولُهُ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ من رَفْع الصَّوت بذَلكَ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ ﴾ [الأعراف: ٢٠٥].

قَالَ مُجَاهد وابْن جريج: أمر أن يَذْكروه في الصُّدُور، وبالتَّضرُّع إليه في الدُّعاء، والاسْتكانَة دون رَفْع الصَّوت، والصِّياح بالدُّعاء.

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴾ [الإسراء: ١١٠]، قَالَت عائشةُ رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا: أنزلَ ذَلكَ في الدُّعاء.. رَواه البخاريُّ[(٢)].

قَالَ المَرُّوذِيُّ: سمعتُ أبا عبد الله (يَعْني: أحْمَد بن حنبل) يَقُول: يَنْبغي أنْ يسرَّ

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ١٢٩) (٦١٢٧)، وقال شعيب الأرنؤوط: «إسناده صحيح»، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٦٠٣).

(٢) رواه البخاري (٤٧٢٣).

دُعَاءه؛ لقَوْله: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾، قَالَ: هَذَا في الدُّعاء.

قَالَ: وسمعتُ أبَا عَبْد الله يَقُول: وَكَانوا يَكْرهون أنْ يَرْفعوا أصْوَاتَهم بالدُّعاء.

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ [الأعراف: ٥٥].

وقَدْ فُسِّر الاعتداءُ بأُمُورٍ، منها: رَفْع الصَّوت في الدُّعاء.

قَالَ ابْن جُرَيج: من الاعْتدَاء رَفْع الصَّوت، والنِّداء بالدُّعَاء، والصِّياح.. حَكَاه عنه البغويُّ في «تَفْسيره»(١).

وإذا كَانَ رَفْعُ الصَّوْت بالدُّعَاء من الاعْتدَاء، فالتَّطريبُ به، وتَشْبيهه بالغنَاء أوْلَىٰ بأَنْ يَكُونَ من الاعْتدَاء الَّذي لا يحبُّ اللهُ فاعلَهُ، والتَّهْليلُ، والتَّسبيحُ، والتَّحميدُ من أنواع الدُّعَاء المَأْمور بخَفْض الصَّوْت به، وهي أفضلُ أنْوَاع الدُّعَاء كما في «المُوطَّأ» عن طلحةَ بن عُبَيد الله بن كَرِيز أنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**أفْضَلُ الدُّعَاء دعاءُ يَوْم عَرَفة، وأفضلُ ما قُلْتُ أنا والنَّبيُّون من قبلي: لا إله إلَّا اللهُ وَحْده لا شَريكَ له**»(٢).

وفِي «جَامع التِّرمذي» من حَدِيثِ عَمْرو بن شعيبٍ، عَنْ أبيه، عن جَدِّه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**خيرُ الدُّعَاء دعاءُ يَوْم عرفَةَ، وخَيْر ما قُلْتُ أنَا والنَّبيُّون من قَبْلي: لا إلَهَ إلَّا الله وَحْده لا شَريكَ له، لَهُ المُلْك، وَله الحَمْدُ، وهُوَ عَلَىٰ**

---

(١) (٣/ ٢٣٧).

(٢) أخرجه مالك في «موطئه» مرسلًا، برقم (٣٢، ٢٤٦) ط. دار إحياء التراث العربي، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (١١٠٢).

كلِّ شيءٍ قديرٌ». **قَالَ التِّرمذيُّ**: حسنٌ غريبٌ(١).

وَرواه الإمامُ أحمدُ في «مُسْنده» ولَفْظه قَالَ: «كَانَ أكثرُ دُعَاء رَسُول الله صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يوم عَرَفة: «**لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَحْده لا شريكَ له، لَه المُلْك، ولَه الحَمْدُ بيدِهِ الخَيْر وهُوَ عَلَىٰ كلِّ شيءٍ قديرٌ**»(٢).

وَرَوىٰ التِّرمذيُّ، وابْن ماجه، والحاكمُ في «مُسْتدركه» عَنْ جابر بن عبد الله رَضِيَاللَّهُعَنْهُمَا، قَالَ: سَمعتُ رَسُولَ الله صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يَقُول: «**أَفْضَلُ الذِّكر: لا إِلَهَ إِلَّا الله، وأَفْضَل الدُّعَاء: الحَمْد لله**»(٣).

قَالَ التِّرمذيُّ: حَسنٌ غريبٌ. وَقَالَ الحاكمُ: صحيحُ الإسْناد، ولَمْ يُخْرجاه ووَافقَه الذَّهبيُّ في «تلخيصِهِ».

وَرَوىٰ ابْنُ حبَّان، والحاكمُ أيضًا، عن أبي سعيدٍ الخدريِّ رَضِيَاللَّهُعَنْهُ عَنْ رَسُول الله صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قَالَ: «**قَالَ مُوسَىٰ عَلَيْهِالسَّلَامُ: يا ربِّ، علِّمني شيئًا أَذْكرك وأَدْعوك به. قَالَ: يا مُوسَىٰ، قل: لا إِلَهَ إِلَّا الله**»، وَذَكر تَمَام الحَدِيث(٤).

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٥٨٥)، وصححه الألباني في «المشكاة» (٢٥٩٨).

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ٢١٠) (٦٩٦١)، وقال شعيب الأرنؤوط: حسن لغيره، وضعفه الألباني في «الضعيفة» (٤٢٢١).

(٣) أخرجه الترمذي (٣٣٨٣)، والنسائي في «الكبرىٰ» (٦/ ٢٠٨) (١٠٦٦٧)، وابن ماجه (٣٨٠٠)، وابن حبان (٣/ ١٢٦) (٨٤٦)، والحاكم (١/ ٦٧٦) (١٨٣٤) وقال: صحيح، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (١١٠٤).

(٤) أخرجه ابن حبان (١٤/ ١٠٢) (٦٢١٨)، والحاكم (١/ ٧١٠) (١٩٣٦)، وضعفه الألباني في «ضعيف الترغيب والترهيب» (٩٢٣).

قَالَ الحَاكمُ: صحيحُ الإسْناد، ولم يُخرِّجاه، وَوَافقه الذَّهبيُّ في «تلخيصِهِ».

وقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالىٰ مخبراً عن أَهْل الجنَّة: ﴿ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَـٰنَكَ ٱللَّهُمَّ ﴾ [يونس:١٠] الآية.

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَـٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَـٰتِ أَن لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَـٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنبياء: ٨٧، ٨٨].

وفِي «المُسْند»، وَ«جَامع التِّرمذيِّ»، و«مُسْتدرك الحاكم» عَنْ سعد بن أبي وقَّاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: «قَالَ رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**دَعْوة ذي النُّون إذ دَعَا وهُوَ في بطن الحُوت: ﴿ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَـٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾، فإنَّه لَمْ يَدْعُ بها رجلٌ مسلمٌ في شيءٍ قطُّ إلَّا اسْتَجَاب الله له**»(١).

قَالَ الحَاكمُ: صَحيحُ الإسْنَاد، ولَمْ يُخرِّجاه، وَوَافَقه الذَّهبيُّ في «تَلْخيصه».

وفي «جَامع التِّرمذي» أيضًا عن أَبي هُريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إذا أهمَّه الأَمْر، رَفَع رأسه إِلَىٰ السَّماء، فَقَال: «**سُبْحان الله العظيم**»(٢).

وفِي «مُسْتدرك الحاكم» عَنْ سَلَمة بن الأكوع رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: «مَا سَمعتُ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْتفتح دعاءً إلَّا اسْتَفْتحه بـ«**سُبْحان ربِّي العليِّ الأعْلَىٰ الوَهَّاب**»(٣).

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ١٧٠) (١٤٦٢)، والترمذي (٥/ ٥٢٩) (٣٥٠٥)، والنسائي في «الكبرىٰ» (٦/ ١٦٨) (١٠٤٩٢)، والحاكم (١/ ٦٨٤) (١٨٦٢)، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (١٦٤٤).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٤٣٦)، وقال الألباني في «الضعيفة» (٦٣٤٥): ضعيف جدًّا.

(٣) أخرجه أحمد (٤/ ٥٤) (١٦٥٩٦)، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده ضعيف، والحاكم =

قَالَ الحاكمُ: صَحيح الإسْنَاد، ولَمْ يُخرِّجاه، ووَافَقه الذَّهبيُّ في «تلخيصِهِ».

وفي «الصَّحيحَيْن»، و«المُسْند»، و«جَامع التِّرمذي» عن ابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أنَّ نبيَّ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَدْعو بهَذِهِ الدَّعَوات عند الكُرَب: «**لَا إِلَهَ إِلَّا الله العَظيم الحَليم، لا إِلَهَ إِلَّا الله ربُّ العَرْش العَظيم، لا إِلَهَ إِلَّا الله ربُّ السَّمَوات والأرض ربُّ العَرْش الكَريم**»[1].

وَرَوَاه ابن ماجه، ولفظه: كَانَ يَقُول عندَ الكُرَب: «**لَا إِلَهَ إِلَّا الله الحَليم الكَريمُ، سُبْحان الله ربِّ العَرْش العَظيم، سُبْحان الله ربِّ السَّموات السَّبع، وَرَب العَرْش الكَريم**»[2].

وفِي «المُسْند» أيضًا عن عليِّ بن أبي طالبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «عَلَّمني رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا نزلَ بي كربٌ أنْ أقولَ: «**لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ الحليمُ الكريمُ، سُبْحان الله، وتَبارَك الله ربُّ العَرْش العَظيم، والحَمْدُ لله ربِّ العَالَمين**»[3][4].

=

(١/ ٦٧٦) (١٨٣٥)، وضعفه الألباني في «الضعيفة» (١٥٦٦).

(١) أخرجه البخاري (٦٣٤٥)، ومسلم (٢٧٣٠)، وأحمد (١/ ٢٢٨) (٢٠١٢)، والترمذي (٣٤٣٥).

(٢) أخرجه ابن ماجه (٣٨٧٣)، وصححه الألباني في «صحيح ابن ماجه» (٣١٣٣).

(٣) أخرجه أحمد (١/ ٩١) (٧٠١)، وابن حبان (٣/ ١٤٧) (٨٦٥)، والحاكم (١/ ٦٨٨) (١٨٧٣)، وقال شعيب الأرنؤوط: صحيح، وهذا إسناد حسن.

(٤) وسيأتي حديث أبي موسىٰ الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفيه أن أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما رفعوا أصواتهم بالتكبير والتهليل قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ارْبَعوا عَلَىٰ أنفسكم، فإنَّكم لا تَدعُون أصمَّ ولا غائبًا، إنما تَدعُون سَميعًا بَصيرًا**».

والغرضُ من إيراد هَذِهِ الأَحَاديث بيان أَنَّ التَّهْليل، والتَّسْبيح، والتَّحْميد من أنواع الدُّعَاء الَّذي أَمَر اللهُ تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ أن يَكُون بتَضرُّعٍ وخفيةٍ، وأَخْبَر أَنَّه لا يحبُّ المعتدينَ، أي: في الدُّعَاء، ولا في غَيْره.

قَالَ ابنُ القيِّم رحمه الله تعالىٰ: «ومنَ العُدْوان أن يَدْعوه غير متضرعٍ، قَالَ: وفي قَوْله: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ عقب قَوْله: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ [الأعراف: ٥٥]، دليلٌ عَلَىٰ أنَّ مَنْ لم يَدْعه تضرعًا وخفيةً، فهُوَ من المُعْتدين الَّذين لا يحبُّهم، فقَسَّمت الآيةُ النَّاسَ إِلَىٰ قسمين: داعٍ لله تضرعًا وخفيةً، ومعتدٍ بتَرْك ذَلكَ»(١). انتهىٰ.

وَلَا يَخْفىٰ عَلَىٰ مَنْ في قلبه أدنىٰ حياة ما في فِعْلِ المُطْربين بالأذكار يَوْم العيد من مُنَافاة التَّضرُّع والخُفْية، بل ومُنَافاة الخوف من الله تَعَالىٰ، فإنَّهم لو خَافُوه لمَنَعهم خوفُهُ من مُخَالفة أمره، وارْتكَابه نَهْيه، والاستهزاء بذِكْرِهِ، وإيقَاعه بأَفْعَالٍ تُشْبه أفْعَال المُغنِّين، فهُمْ إذًا من المُعْتدين، واللهُ لا يحبُّ المُعْتدين.

وقَدْ تَقدَّم ما ذَكَره الإمامُ أحمدُ -رحمه الله تَعَالىٰ- عن السَّلف أَنَّهم كَانوا يَكْرهون أن يَرْفعوا أَصْوَاتهم بالدُّعَاء.

ورَوَىٰ الخَلَّالُ بإسنادٍ صحيحٍ: عن قَتادَة عن سَعِيد بن المسيَّب أَنَّه قَالَ: «أَحْدَثَ النَّاسُ الصَّوْت عند الدُّعَاء».

وعَنْ سَعيد بن أبي عَرُوبة: أَنَّ مُجالدَ بن سعيدٍ سمعَ قومًا يَعجُّون في دُعَائهم، فَمَشَىٰ إِلَيْهم، فَقَالَ: أَيُّها القومُ، إنْ كنتم أَصبْتم فَضْلًا عَلَىٰ مَنْ كَانَ قَبْلكم، لقَدْ

(١) «بدائع الفوائد» (٣/ ١٤).

ضَللتُمْ. قَالَ: فَجَعَلوا يَتسلَّلون رجلًا رجلاً حَتَّىٰ تَرَكوا بُغْيتهم الَّتي كَانوا فيها[(١)].

العجُّ: رَفْعُ الصَّوْت بالدُّعَاء وغيره.

ورَوَىٰ الخَلَّال أيضًا بإسنادِهِ عن ابن شَوْذَب عن أبي التَّيَّاح قَالَ: قلتُ للحَسَن: إمامُنَا يقصُّ، فيَجْتمع الرِّجالُ والنِّساء فيَرْفعون أصواتهم بالدُّعَاء، فقال الحسنُ: إنَّ رفعَ الصَّوْت بالدُّعَاء لبدعة، وإنَّ اجتماعَ الرِّجال والنِّساء لبدعةٌ.

وقَدْ ثَبتَ عن النَّبيِّ صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أنَّه أنكرَ رَفْعَ الصَّوْت بالذِّكر، وَنَهىٰ عن ذَلكَ كما في «الصَّحيحَيْن»، وغَيْرهما من حَدِيثِ خالدٍ الحذَّاء عن أبي عُثْمان النَّهدي عن أبي موسىٰ الأشعريِّ رَضِيَاللَّهُعَنْهُ، قَالَ: كنَّا مع رَسُول الله صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في غزاةٍ، فَجعلنا لا نَصْعد شرفًا، ولا نَعْلو شرفًا، ولا نَهْبط في وادٍ إلَّا رَفَعنا أصْوَاتنا بالتَّكْبير، قَالَ: فَدَنا منَّا رَسُولُ الله صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فَقَال: «**أيُّها النَّاسُ، ارْبعُوا عَلَىٰ أَنْفسكم، فإنَّكم لا تَدْعون أصمَّ، ولا غائبًا، إنَّما تَدْعون سميعًا بَصيرًا**»، هَذَا لفظ البخاريِّ[(٢)].

وفِي روايةٍ لهُمَا، عن عَاصمٍ الأحول، عَنْ أَبي عُثْمان عن أبي موسىٰ رَضِيَاللَّهُعَنْهُ، قَالَ: لمَّا غزَا رَسُولُ الله صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ خيبر، أو قَالَ: لما تَوجَّه رَسُولُ الله صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أشْرَفوا عَلَىٰ وادٍ، فَرفعوا أصْوَاتهم بالتَّكْبير، الله أكبر، الله أكبر، لا إلَه إلَّا الله، فَقَال رَسُولُ الله صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**ارْبعوا عَلَىٰ أَنْفسكم، إنَّكمْ لا تَدْعون أصمَّ، ولا غائبًا، إنَّكم تَدْعون سميعًا قريبًا، وهُوَ مَعَكم**»، هَذَا لفظُ البخاريِّ[(٣)].

---

(١) «الدر المنثور» للسيوطي (٤/ ٢٤٩).

(٢) أخرجه البخاري (٢٩٩٢)، ومسلم (٢٧٠٤).

(٣) أخرجه البخاري (٤٢٠٥)، ومسلم (٢٧٠٤).

وإذا كَانَ النَّبيُّ صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قد أنكرَ عَلَىٰ الَّذين رَفَعوا أَصْوَاتهم بالتَّكْبير والتَّهليل، وهُمْ في الفَضَاء، فالإنكارُ عَلَىٰ المُتَجَاوبين بذَلكَ بالأَصْوَات العَالية في المَسْجد الحَرَام أَوْلَىٰ؛ لأَنَّهم قَدْ ضَمُّوا إِلَىٰ رَفْع الأَصْوَات به بدعةً، وهي اجتماعُ الجَمَاعة عَلَىٰ إيقاعه بأصواتٍ متطابقةٍ كما يفعلُهُ المغنُّون، وضَمُّوا إِلَىٰ ذَلكَ أيضًا تطريبًا وتشويشًا عَلَىٰ الحَاضرينَ، وكلٌّ من هَذِهِ الأفعال غيرُ جائزٍ.

وَفِي «الصَّحيحَيْن»، و«سُنَن أبي داود» وابن ماجه، عَنْ عائشةَ رَضِيَاللَّهُعَنْهَا قَالَت: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: **«مَنْ أحدثَ في أمْرنا هَذَا ما ليسَ منه، فهُوَ ردٌّ»**(١).

وفي رِوَايةٍ لأحْمَد، ومسلم، والبُخَاري تعليقًا مجزومًا به: **«مَنْ عَمل عملاً ليسَ عَلَيه أَمْرنا، فهُوَ ردٌّ»**(٢)، أي: مَرْدود.

ومنَ الأعْمَال المَرْدودة بلا ريبٍ صنيعُ المُتَجَاوبين بالتَّكْبير بالأَصْوَات العَالَية المُتطَابقة؛ لأَنَّه لم يكنْ من أَمْر رَسُول الله صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، ولا من عَمَل الصَّحَابة رِضْوانُ الله عليهم أجْمَعين، وليسَ هُوَ من عَمَل التَّابِعين، وَتَابِعِيهم بإِحْسَانٍ، وإنَّما هُوَ من مُحْدَثات الأُمُور الَّتي حذَّر منها رَسُولُ الله صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أُمَّته، كَمَا في «المُسْند» و«السُّنن» من حَدِيثِ العِرْبَاض بن ساريةَ رَضِيَاللَّهُعَنْهُ أنَّ رَسُولَ الله صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قَالَ: **«عَليكُمْ بسُنَّتي، وسُنَّة الخُلَفاء الرَّاشدينَ المَهْديين، تَمسَّكوا بها، وعَضُّوا عَلَيها بالنَّواجذ، وإيَّاكمْ ومُحْدثات الأُمُور، فإنَّ كلَّ محدثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ»**(٣).

---

(١) أخرجه البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨)، وأبو داود (٤٦٠٦)، وابن ماجه (١٤).

(٢) أخرجه البخاري تعليقًا (٩/ ١٠٧)، ومسلم (١٧١٨).

(٣) أخرجه أحمد (٤/ ١٢٦) (١٧١٨٤)، وأبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وابن ماجه (٤٢)، =

قَالَ التِّرمذيُّ: هَذَا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ، وصَحَّحه أيضًا ابنُ حبَّان، والحاكمُ، وقَالَ: لَيْسَ له علَّةٌ، ووَافقَه الذَّهبيُّ في «تَلْخيصه».

قَالَ ابْنُ الحاجِّ المالكيُّ في «المدخل»: «قَدْ مَضَت السُّنَّة أَنَّ كلَّ واحدٍ يُكبِّر لنفسه، ولا يَمْشي عَلَىٰ صَوْت غيره، فإنَّ ذَلكَ من البدع، إذْ إنَّه لم يُنقل أَنَّ النَّبيَّ صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فَعله، ولا أحدٌ من الخُلَفاء الرَّاشدينَ بَعْده، وفيه خَرْق حُرْمة المَسْجد والمصلَّىٰ برَفْع الأَصْوَات، والتَّشْويش عَلَىٰ مَنْ به من العَابِدِين، والتَّالين، والذَّاكرين»[1].

وَقَالَ أيضًا: «والسُّنَّة المَاضية أنْ يُكبِّر عند خُرُوجه إِلَىٰ المُصلَّىٰ، وأنْ يَجْهر بالتَّكْبير فيُسْمع نَفْسه ومَنْ يَليه، والزِّيادة عَلَىٰ ذَلكَ من البدع، إذ إنَّه لَمْ يرد عن النَّبيِّ صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ إلَّا ما ذُكر، ورَفْعُ الصَّوْت بذَلكَ يُخْرج عن حدِّ السَّمت والوَقَار، ولا فَرْقَ في ذَلكَ بَيْن الإمام والمُؤذِّن والمَأموم، فإنَّ التَّكْبيرَ مشروعٌ في حَقِّهم أجْمَعين بخلَاف المَشْي عَلَىٰ صوتٍ واحدٍ، فإنَّه بدعةٌ؛ لأَنَّ المشروعَ أن يُكبِّر كلُّ إنسانٍ لنَفْسه، ولا يَمْشي عَلَىٰ صَوْت غيره»[2] انتهىٰ.

فإن احتجَّ أحدٌ من المُبْتدعينَ الَّذين أَشَرنا إليهم، أو احتجَّ لهم غَيْرهم بأنَّ عُمَرَ رَضِيَاللَّهُعَنْهُ كَانَ يُكبِّر في قبَّته بمِنىٰ، فيسْمعه أَهْل المَسْجد فيُكبِّرون، ويُكبِّر أَهْل الأسْوَاق حَتَّىٰ ترتجَّ مِنًىٰ تكبيرًا[3]. وأنَّ ابْنَ عُمَر، وأبا هُرَيرة رَضِيَاللَّهُعَنْهُمَا كَانَا يَخرجان إِلَىٰ

=

وصححه الألباني في «الصحيحة» (٢٧٣٥).

(١) «المدخل» لابن الحاج (٢/ ٢٩٠).

(٢) «المدخل» لابن الحاج (٢/ ٢٨٤).

(٣) رواه البخاري تعليقًا (٢/ ٢٠)، والبيهقي في الكبرىٰ (٣/ ٤٣٧) (٦٢٦٧).

السُّوق في أيَّام العشر يُكبِّران، ويُكبِّر النَّاس بتكْبيرهما(١).

فَالجَوابُ أنْ يُقَالَ: أنَّ سماعَ أَهْل المَسْجد لعُمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لا يدلُّ عَلَىٰ أَنَّه كَانَ يَرْفع صَوْته بالتَّكْبير رفعًا منكرًا كما يفعلُهُ المُتجَاوبون في المَسْجد الحَرَام، وإنَّما كَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جهيرَ الصَّوْت، وكانت قبتُهُ إِلَىٰ جانب المَسْجد، فكَانَ إذا كَبَّر وهُوَ فيها، سَمعَهُ أَهْلُ المَسْجد، فتنبَّهوا من غَفْلتهم، وكَبَّروا، وكذَلكَ أَهْل الأَسْوَاق إذا سَمعوا تَكْبير من في المَسْجد تَنبَّهوا من غَفْلتهم وكَبَّروا.

ومثل ذَلكَ فَعَل ابْنُ عُمَر، وأَبو هُرَيرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فإنَّهما كانا إذا مرَّا في السُّوق كَبَّرا، فتنبَّه أَهْلُ السُّوق من غَفْلتهم، وكَبَّروا بتكْبيرها، ولَمْ يُذْكر عَن عُمَر وابنِهِ، وأَبي هُرَيرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَنَّهمْ كَانوا يُبَالغون في رَفْع أَصْوَاتهم بالتَّكْبير، وَحَاشَاهم أن يُخَالفوا قَوْلَ النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ارْبعُوا عَلَىٰ أنفسكُمْ، فإنَّكم لا تَدْعون أصمَّ، ولا غائبًا**»(٢).

وأيضًا فإنَّ عمرَ وابنَهُ، وأبَا هُرَيرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كَانَ كلُّ منهم يُكبِّر عَلَىٰ حدتِهِ، وكذَلكَ كلُّ مَنْ سَمعهُمْ، فإنَّ كلًّا منهم يُكبِّر عَلَىٰ حدته، ولَمْ يكن في فعلهم تَلْحينٌ وتطريبٌ، ولا اجْتمَعَ اثْنَان منهم فضلاً عن الجَمَاعة عَلَىٰ التَّجَاوب به، وإخْرَاجه بأصواتٍ عاليةٍ متطابقةٍ كما يفعلُهُ المغنُّون، وكَمَا يفعلُهُ المُتجَاوبون في المَسْجد الحَرَام، فعُمَر، وابنُهُ، وأبو هُرَيرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كَانوا عَلَىٰ طَريقَةٍ حسنةٍ بخلاف المُتجَاوبين في المَسْجد الحَرَام، فإنَّهمْ عَلَىٰ طريقةٍ مبتدعةٍ، وكلُّ بدعةٍ ضلالةٌ.

---

(١) رواه البخاري تعليقًا (٢/ ٢٠) في العيدين، باب فضل العمال أيام التشريق، وصححه الألباني في «الإرواء» (٦٥١).

(٢) أخرجه البخاري (٢٩٩٢)، ومسلم (٢٧٠٤) من حديث أبي موسىٰ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وأيضًا ففِعْلُ عمرَ، وابنِهِ، وأَبي هُرَيرة رَضِوَلِللَّهُعَنْهُمْ ليسَ فيه تَشْويشٌ عَلَىٰ النَّاس، وتخليطٌ عَلَيهم، وإنَّما فيه إيقاظُ الغَافِلِين منهم، وبَعْث هِمَمِهِمْ عَلَىٰ ذِكْرِ الله تَعالَىٰ، وهَذَا بخلَاف فِعْلِ المُتَجَاوبين في المَسْجد الحَرَام، فإنَّهم كَانوا يُشوِّشون عَلَىٰ الحَاضرينَ غايةَ التَّشْويش، فتَلْتَبس القراءة عَلَىٰ القَارئينَ، والذِّكْر عَلَىٰ الذَّاكرين، والدُّعَاء عَلَىٰ الدَّاعين في حَال تَجَاوب أُولَئك، وقَدْ نَهَىٰ النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن مثل هَذَا كَمَا تقدَّم في حَدِيثِ البياضي، وأبي سعيدٍ، وابْن عُمَر رَضِوَلِللَّهُعَنْهُمْ.

وقَدْ ذكرَ كثيرٌ من الفُقَهاء أَنَّه يُستحبُّ الجهرُ بالتَّكبير في العيدين، وأيَّام العَشْر. ومُرَادهم بالجَهْر ضدُّ الإِسْرَار لا رَفْع الأصْوَات المُنكَرة به، فإنَّ ذَلكَ لا يَجُوز لما ذَكَرنا من حديث أبي مُوسَىٰ رَضِوَلِللَّهُعَنْهُ. وقَدْ تقدَّم قولُ ابْن الحاج المالكي: أَنَّ الزِّيَادة عَلَىٰ إسْمَاع نَفْسه ومَنْ يليه بدعةٌ، وإذَا ضمَّ إِلَىٰ رَفْع الأصْوَات به التَّلحين، والتَّطْريب، والتَّشْويش عَلَىٰ الغير، وتَشْبيه ذِكْرِ الله بالغنَاء، فذَلكَ زيادةُ منكرٍ إِلَىٰ منكرٍ.

فَالوَاجبُ عَلَىٰ وُلَاة الأُمُور أنْ يأخُذُوا عَلَىٰ أيْدي أُولَئك الجُهَّال، ويَمْنعوهم من التَّجَاوب بذِكْرِ الله تعالىٰ، ورَفْع الأصْوَات المُنْكرة به، ويأمُرُوهم أن يَفْعَلوا كفِعْلِ غَيْرهم ممَّن في المَسْجد الحَرَام، فكلُّ رجلٍ منهم يُكبِّر الله، ويَحْمده، ويُهلِّله، ويُسبِّحه عَلَىٰ حدتِهِ بصوتٍ غير رفيعٍ يُشوِّش عَلَىٰ النَّاس.

ويتعيَّن عَلَىٰ وُلَاة الأُمُور أيضًا مَنْع المُؤذِّنين من التَّطريب بالأَذَان، وتَمْطيطه، والتَّنطُّع في إخْرَاجه حَتَّىٰ يتولَّد من الحرف حرفٌ آخر، أو حَرْفان، أو أَكْثَر من شدَّة التَّمْطيط. وفِي هَذِهِ الأفْعَال المُبْتدعة من الاسْتهزَاء بذِكْرِ الله تَعالَىٰ، والاسْتخفَاف بشَأْن الأَذَان ما لا يَخفَىٰ عَلَىٰ مَنْ في قلبه حياةٌ. وتَسْمية أَهْلها بالمُسْتَهزئين بذِكْرِ الله

تعالىٰ من تَسْميتهم بالمُؤذِّنين.

والواجبُ عَلَىٰ وُلَاة الأُمُور أنْ يَفْعلوا مع المُطْربين بالأذان ونَحْوهم من المُبْتدعينَ فيه مثلَ ما رُوِيَ عن النَّبيِّ صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أَنَّه فَعَله مع سلفهم في هَذِهِ البدعة، وَمَا فَعَله الخليفةُ الرَّاشدُ عمرُ بن عبد العزيز -رحمه الله تَعَالىٰ- أيضًا، ففي «سُنَن الدَّارقطنيِّ» عَن ابْن عبَّاس رَضِيَاللَّهُعَنْهُمَا، قَالَ: كَانَ لرَسُول الله صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ مُؤذِّنٌ يطرب، فقال رَسُولُ الله صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**إنَّ الأذانَ سمحٌ سهلٌ، فإن كَانَ أذانُكَ سهلًا سَمحًا، وإلَّا فلا تُؤذِّنْ**»(١).

وَذَكَر البخاريُّ في «صحيحِهِ»(٢) تعليقًا مجزومًا به، وَوَصَله ابنُ أبي شَيْبة «أنَّ مؤذنًا أذنَ، فطربَ في أذانِهِ، فقال له عمرُ بن عبد العزيز: أَذِّنْ أذانًا سمحًا، وإلَّا فَاعْتَزِلنا»(٣).

وإذا كَانَ النَّبيُّ صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قد أنكرَ عَلَىٰ المُطْرب في الأذان، فالإنكارُ عَلَىٰ الَّذين يَجْعلونه شبيهًا بالغناء، والأَصْوَات المُوسيقيَّة أوْلَىٰ وأحْرَىٰ، وكذَلكَ الَّذين يُمطِّطونه، ويَتنطَّعون فيه. ويَتعيَّن عَلَىٰ وُلَاة الأُمُور أيضًا مَنْع الجَمَاعات الَّذين يَقفُون للدُّعَاء تَحْت باب الكَعْبة وَمَا حَوْله، فيُضيِّقون عَلَىٰ الطَّائفين في أضْيَق مَوْضعٍ في المَطَاف، ويَضطرُّوهم إِلَىٰ التَّزاحم فيما بَيْنهم وبَيْن مَقَام إبْرَاهيم. ووُقُوفهم للدُّعاء في هَذَا المكَان لَمْ يكنْ عَلَيه أمرُ النَّبيِّ صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، ولا عَمَل أصحابِهِ والتَّابعين لهم

(١) رواه الدارقطني (١/ ٤٤٦) (٩١٧)، وقال الألباني في «ضعيف الحامع» (١٤٠٦): ضعيف جدًّا.

(٢) (١/ ١٢٥).

(٣) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (١/ ٢٠٧) (٢٣٧٥).

بِإِحْسَانٍ، وإنَّما هُوَ من مُحْدثات المطوفين، وتَزْيينهم للهمج الرَّعَاع.

وَفِي وُقُوفِهِم هناك مَفْسدةٌ أُخْرَىٰ، وهي اجتماعُ الرِّجال والنِّساء ومُضَاغطة بَعْضهم بعضًا، وهَذَا ممَّا لا يَنْبغي إقرارُهُ، وقد تَقدَّم قَوْلُ الحَسَن البصري رحمه الله تعالىٰ: أنَّ اجْتمَاعَ الرِّجَال والنِّساء بدعةٌ.

وممَّا لا يَنبغي إقرارُهُ أيضًا مُضَاغطة النِّساء للرِّجال الأجانب عند الحَجَر الأَسْوَد والرُّكن اليَمَاني. وقَدْ أنْكَرَت عائشةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عَلَىٰ مَنْ فَعَلت ذَلكَ أشدَّ الإنكار.

قَالَ الإمامُ الشَّافعيُّ -رَحمَهُ اللهُ تَعَالىٰ- في «مُسْنده»[1]: «أَخْبَرنا سَعيد بن سَالم، عَنْ عُمَر بن سعيد ابْن أبي حُسَين، عَنْ مَنْبوذ بن أبي سُلَيمان، عن أُمِّه أنَّها كَانَتْ عندَ عَائشةَ زَوْج النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمِّ المُؤْمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فَدَخلتْ عَلَيها مَوْلاةٌ لها، فقَالت لَهَا: يا أُمَّ المُؤْمنين، طفتُ بالبَيْت سبعًا، واستلمتُ الرُّكْنَ مَرَّتين أوْ ثلاثًا، فَقَالت لها عائشةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: لا آجركِ اللهُ، لا آجركِ اللهُ، تُدَافعين الرِّجالَ، ألَا كَبَّرتِ ومَرَّرتِ؟!».

وَذَكَر الشَّيخ أبُو مُحمَّد المقدسيُّ في «المُغْني»[2] عن عطاء قَالَ: كانت عائشةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تَطُوف حُجْزَةً من الرِّجال لا تُخَالطهم، فقَالت امرأةٌ: انطَلقي نَسْتلم يا أمَّ المُؤْمنين، قالت: انْطَلقي عنكِ، وأبَتْ.

وإذَا كَانَت عَائشةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَدْ أنكرتْ عَلَىٰ مَوْلاتها مُزاحمةَ الرِّجال عَلَىٰ

(١) (٢/ ٢٥٣) (٩٥٥).

(٢) (٣/ ٣٣٩).

الرُّكن، فكَيْف لو رَأَتْ ما يفعلُهُ كثيرٌ من النِّساء في زَمَاننا من مُضَاغطة الرِّجال الأَجَانب عند الرُّكْنين مع كشفهنَّ لمَا يَحْرم عليهنَّ كَشْفه عند الرِّجال الأَجَانب؟! فتَرْتكب إحداهنَّ مَحْظورين أوْ أَكْثَر من أَجْل الاسْتلَام، أَوْ تَقْبيل الحَجَر الأَسْوَد، فهَؤُلَاء أوْلَىٰ بالإنْكَار والمَنْع.

وليسَ الاسْتلامُ والتَّقبيلُ جائزًا لهنَّ والحالةُ هَذِهِ، وإنَّما يَجُوز لهنَّ إذا تَسَتَّرن غايةَ التَّستُّر، ولم يُزَاحمن الرِّجال. قَالَ النَّوويُّ في «شَرْح المهذَّب»[1]: «قَالَ أصْحَابنا: لا يستحبُّ للنِّساء تَقْبيلُ الحَجَر، ولا استلامُهُ إلَّا عند خلوِّ المَطَاف في اللَّيل، أَوْ غَيْره؛ لمَا فِيهِ من ضررهنَّ، وَضَرر الرِّجال بهن».

وقال أيضًا: «وأمَّا الدُّنوُّ من البيت، فمُتَّفق عَلَىٰ استحبابِهِ».

إِلَىٰ أنْ قَالَ: «قَالَ أَصْحابُنَا: وهَذَا الَّذي ذَكَرناه من اسْتحبَاب القُرْب هُوَ في حقِّ الرَّجل، أمَّا المرأة فيستحبُّ لها أَلَّا تَدْنو في حَال طَوَاف الرِّجال؛ بَلْ تكُون في حَاشية المَطَاف بحَيْث لا تُخَالط الرِّجال، ويستحبُّ لها أن تطوفَ في اللَّيل فإنَّه أصْوَن لها ولغَيْرها من المُلَامسة والفتنة، فإنْ كَانَ المطافُ خاليًا من الرِّجال استحبَّ لها القُرْب كالرَّجل» انتهىٰ.

ويَتعيَّن عَلَىٰ وُلَاة الأُمُور أيضًا تَغْيير جَميع المُنْكَرات الظَّاهرة كالغنَاء، وآلات المَلَاهي، وشُرْب المُسْكرات، والمُفتِّرات وبَيْعها، والتَّمثيل باللِّحىٰ، وتَصْوير ذَوَات الأَرْوَاح، وبَيْع الصُّور والجَرَائد والمجلَّات المُصوَّرة، ومُزَاحَمة النِّساء للرِّجَال في المَطَاف مَعَ إمكَان طوافهنَّ عَلَىٰ حدةٍ، وتبرجهنَّ وسُفُورهنَّ بَيْن الرِّجال الأَجَانب،

---

(١) «المجموع شرح المهذب» (٨/ ٣٤).

وتشبههنَّ بنسَاء الإفْرنج في اللِّبَاس، وغَيْر ذَلكَ، فإنِّي قَدْ رأيت في مكَّة -شرَّفها الله تَعَالىٰ- كثيرًا من البنات المُرَاهقات فمَنْ دونهنَّ لابساتٍ يَوْم العيد لباسَ بنات الإفْرنج، وما رأيتُ أحدًا ينكرُ ذَلكَ، فاللهُ المُسْتَعان.

وَلْيَعْلم ولاةُ الأُمُور أنَّهم مَسْئولونَ يَوْم القيامة عمَّا هُوَ منوطٌ بِهِم، ومُتعيَّنٌ عَلَيهم من تَغْيير المُنْكرات الظَّاهرة، وتَطْهير البلاد الإسلاميَّة منها، كَمَا في «الصَّحيحَيْن»، و«مُسْند الإمام أحْمَد»، والسُّنن إلَّا ابن ماجه، عن عَبْد الله بن عُمَر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**ألا كُلُّكم راعٍ، وكُلُّكم مسئولٌ عن رَعيَّته، فالإمامُ الَّذي عَلَىٰ النَّاس راعٍ، وهُوَ مسئولٌ عن رَعيَّته، والرَّجلُ راعٍ عَلَىٰ أَهْل بيتِهِ، وهُوَ مسئولٌ عن رَعيَّته، والمرأةُ راعيةٌ عَلَىٰ أَهْل بيت زَوْجها وَوَلده، وَهي مَسْئولةٌ عَنْهم، وعَبْد الرَّجل راعٍ عَلَىٰ مال سيِّده، وهُوَ مسئولٌ عَنْه، ألَا فكُلُّكم راعٍ، وكُلُّكم مسئولٌ عن رَعيَّته**»(١).

وقَدْ قَالَ الله تَعَالَىٰ: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٥]، قَالَ ابْنُ عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في تَفْسير هَذِهِ الآيَة: «أَمَر اللهُ المؤمنينَ ألَّا يُقرُّوا المُنْكَر بَيْن ظَهْرَانيهم فيَعُمهم الله بالعَذَاب».

قَالَ الحافظُ ابْنُ كثيرٍ رحمه الله تعالىٰ: «وهَذَا تفسيرٌ حسنٌ جدًّا»(٢).

وَفِي «المُسْند» و«السُّنَن» عن قَيْس بن أَبي حازمٍ، قَالَ: قامَ أَبو بكرٍ الصِّدِّيق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَحمد اللهَ، وأثنَىٰ عَلَيه، ثمَّ قَالَ: أيُّها النَّاس، إنَّكم تَقْرءون هَذِهِ الآيَةَ:

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٥) (٤٤٩٥)، والبخاري (٨٩٣)، ومسلم (١٨٢٩)، وأبو داود (٢٩٢٨)، والترمذي (١٧٠٥).

(٢) «تفسير ابن كثير» (٤/ ٣٣).

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡ ﴾ [المائدة: ١٠٥]، وإنَّكم تَضعُونها عَلَىٰ غَيْر مَوْضعها، وإنِّي سَمعتُ رَسُولَ الله صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يقُول: «**إنَّ النَّاسَ إذَا رَأوا المُنْكر، ولَا يُغيِّرونه، أَوْشكَ اللهُ أَنْ يَعمَّهم بعقابِهِ**»(١).

قَالَ التِّرمذيُّ: هَذَا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ. وصَحَّحه أيضًا ابن حبَّان.

وفي «المُسْند» أيضًا من حديث عديٍّ بن عُمَيرة الكِندي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: سمعتُ رَسُولَ الله صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يَقُول: «**إنَّ اللهَ تَعَالىٰ لا يُعذِّب العامَّة بعَمَل الخاصَّة حَتَّىٰ يَرَوا المُنكرَ بَيْن ظَهْرَانيهم، وهُمْ قَادرُونَ عَلَىٰ أن يُنْكروه فَلَا يُنْكرون، فإذا فَعَلوا ذَلكَ، عَذَّب اللهُ الخاصَّة والعامَّة**»(٢).

وفي «المُوطَّأ»(٣) عَنْ إسْمَاعيل بن أبي حكيمٍ أَنَّه سمعَ عُمَر بن عَبْد العَزيز - رَحمَهُ اللهُ تَعَالىٰ- يَقُولُ: «كَانَ يُقَال: إنَّ اللهَ تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ لا يُعذِّب العامَّة بذَنْب الخاصَّة، وَلَكن إذا عُملَ المُنْكَرُ جهارًا استحقُّوا العُقُوبةَ كلُّهم».

وَقَالَ الإمامُ أَحْمدُ -رَحمَهُ اللهُ تَعَالىٰ- في كتابِهِ «الصَّلاة»: جاءَ الحديثُ عن بلَال بن سَعْد «أنَّه قَالَ: الخطيئةُ إذا خَفيَتْ لم تَضرَّ إلَّا صَاحبها، وإذا ظَهرتْ فلَمْ

(١) أخرجه أحمد (١/ ٥) (١٦)، أبو داود (٤٣٣٨)، والترمذي (٢١٦٨)، والنسائي في «السنن الكبرىٰ» (٦/ ٣٣٨) (١١١٥٧)، وابن ماجه (٤٠٠٥)، وابن حبان (١/ ٥٤٠) (٣٠٥)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٥٦٤).

(٢) أخرجه أحمد (٤/ ١٩٢) (١٧٧٥٦)، وقال شعيب الأرنؤوط: حسن لغيره، وهذا إسناد ضعيف لإبهام الراوي عن الصحابي. وضعفه الألباني في «الضعيفة» (٣١١٠).

(٣) (٢/ ٩٩١) (٢٣).

تُغيَّر، ضرَّت العامَّة»(١).

قَالَ أحْمَد رحمه الله تعالىٰ: وإنَّما تضرُّ العامَّة لتَرْكهم لما يجبُ عَلَيهم من الإنْكَار والتَّغْيير عَلَىٰ الَّذي ظَهَرتْ منه الخطيئة.

وَفِي «المُسْند» من حَدِيثِ أمِّ سلمةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: سمعتُ رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقُول: «إذَا ظَهَرت المَعَاصي في أُمَّتي عَمَّهم اللهُ بعذابٍ من عندِهِ»، فقُلْت: يا رَسُول الله، أمَا فِيهِم يومئذٍ أناسٌ صَالحُونَ؟ قَالَ: «بَلَىٰ». قالت: فكَيْف يُصْنع بأُولَئك؟ قَالَ: «يُصيبُهُم ما أَصَاب النَّاس، ثمَّ يَصيرُونَ إِلَىٰ مَغْفرةٍ من الله ورِضْوانٍ»(٢).

وَفِي «المُسْنَد» أيضًا من حَدِيثِ عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا؛ تَبْلغ به النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إذَا ظَهَر السُّوءُ في الأَرْض، أنزلَ اللهُ بأَهْل الأَرْض بَأْسه»، فَقَالتْ: وَفِيهم أَهْل طَاعَة الله، قَالَ: «نَعمْ، ثمَّ يَصيرُون إِلَىٰ رَحْمة الله»(٣).

وفِي «مُسْتَدرك الحَاكم» عن الحَسَن بن مُحمَّد بن عليٍّ عَنْ مولاةٍ لرَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَت: دَخَل النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَىٰ عائشةَ، أو عَلَىٰ بَعْض أزْوَاج

---

(١) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (١٠/ ٨٠) (٧١٩٦).

(٢) أخرجه أحمد (٦/ ٣٠٤) (٢٦٦٣٨)، والطبراني (٢٣/ ٣٢٥) (٧٤٧). قال الهيثمي (٧/ ٢٦٨): رواه أحمد بإسنادين رجال أحدهما رجال الصحيح.

(٣) أخرجه أحمد (٦/ ٤١) (٢٤١٧٩). قال الهيثمي (٧/ ٢٦٨): «فيه امرأة لم تُسمَّ». وأخرجه أيضًا: ابن أبي شيبة (٧/ ٤٥٩) (٣٧٢١٥)، ونعيم بن حماد (٢/ ٦٢١) (١٧٣٣)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٦/ ٩٨) (٧٥٩٩)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٣١٥٦).

النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأنَا عنده، فَقَال: «**إذا ظَهَر السُّوءُ، فلَمْ يَنْهوا عنه، أنزلَ اللهُ بِهِم بأسَهُ**»، فَقَال إنسانٌ: يا نبيَّ الله، وإنْ كَانَ فيهم الصَّالحون؟ قَالَ: «**نَعمْ، يُصيبُهُم ما أَصَابهم، ثمَّ يَصيرُونَ إِلَىٰ مَغْفرة الله وَرَحْمتِهِ**»(١).

والأَحَاديثُ في التَّحْذير من التَّهَاون بالأَمْر بالمَعْروف، والنَّهْي عن المُنْكر، وتَغْيير ما ظَهَر منه كَثيرَة جدًّا. واللهُ المَسْئول أنْ يُوفِّق وُلَاة أُمُور المُسْلمين للأَخْذ عَلَىٰ أَيْدي السُّفَهاء، والسَّير عَلَىٰ مِنْهَاج السَّلَف الصَّالح، فَفي ذَلكَ الخَيْر والصَّلَاح للمُسْلمين، وبَقَاء مُلْكهم وعزَّتهم، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۝٤٠ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ﴾ [الحج: ٤٠، ٤١]، وأَمَّا إرْخَاء الأعنَّة للسُّفَهاء، فذَلكَ من أَسْبَاب عُمُوم الشَّرِّ والفَسَاد، وزَوَال المُلْك والعزَّة، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ﴾ [الرعد: ١١].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيۡهَا ٱلۡقَوۡلُ فَدَمَّرۡنَٰهَا تَدۡمِيرًا﴾ [الإسراء: ١٦].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا قَرۡيَةٗ كَانَتۡ ءَامِنَةٗ مُّطۡمَئِنَّةٗ يَأۡتِيهَا رِزۡقُهَا رَغَدٗا مِّن كُلِّ مَكَانٖ فَكَفَرَتۡ بِأَنۡعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلۡجُوعِ وَٱلۡخَوۡفِ بِمَا

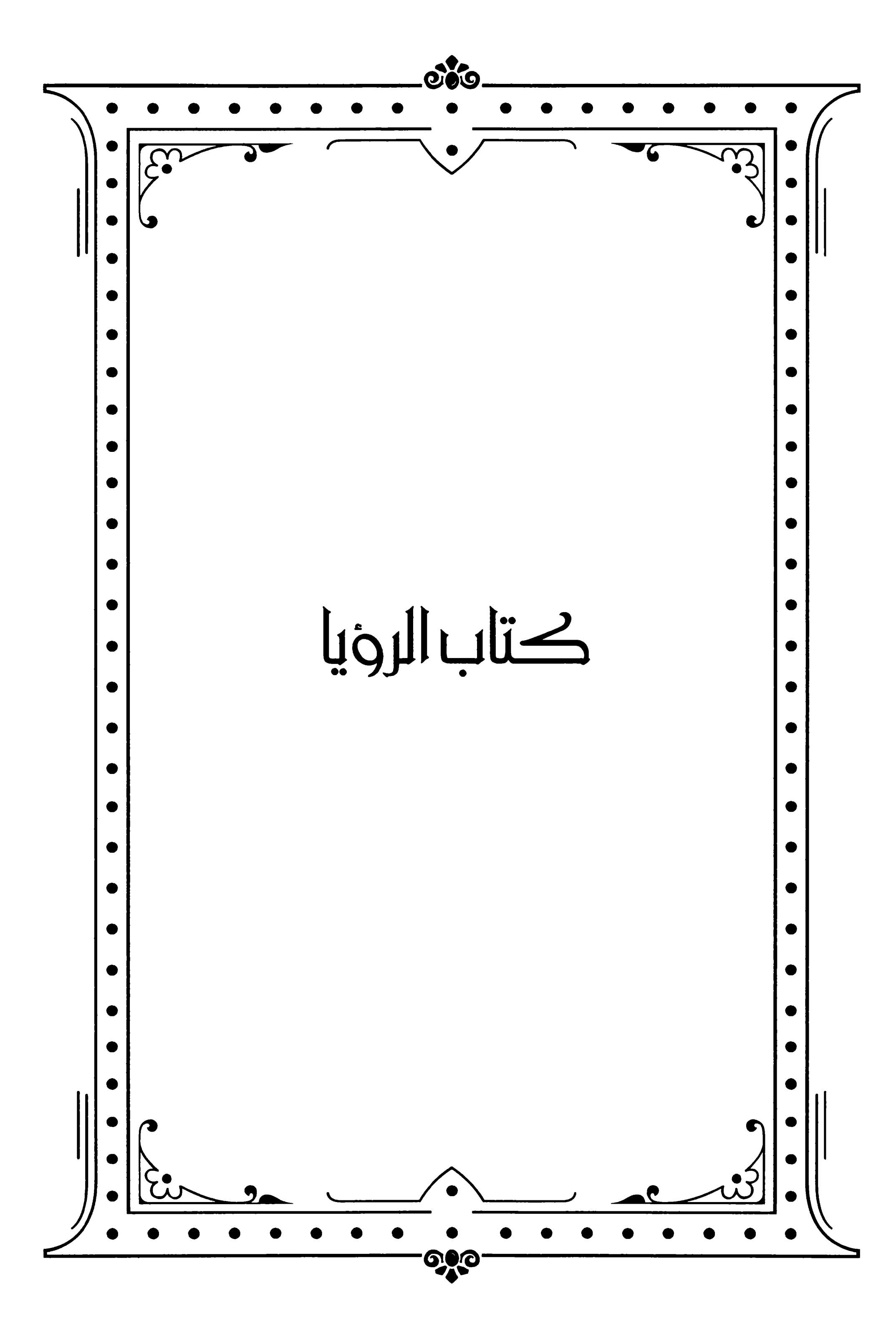
(١) أخرجه الحاكم (٤/ ٥٦٨) (٨٥٩٤) بإسناد حسن لغيره، فيه أبو المُوجِّه محمد بن عمرو المروزي وهو مجهول الحال، وقد رواه نعيم بن حماد في «الفتن» (٢/ ٦١٩) (١٧٢٨) بإسناد رجاله ثقات عدا نعيم بن حماد وهو صدوق يخطئ كثيرًا، ورواه أحمد في «مسنده» (٦/ ٤١٨) (٢٧٣٩١) بإسناد حسن رجاله ثقات عدا شريك بن عبد الله القاضي وهو صدوق سيئ الحفظ يخطئ كثيرًا، وجهالة الصحابي لا تضر.

كَانُواْ يَصْنَعُونَ ﴾ [النحل: ١١٢]، وَفيمَا جَرَىٰ عَلَىٰ بني أُميَّة، وَبَني العبَّاس وغَيْرهم من المَاضين عظةٌ وعِبْرةٌ لمَن اعْتَبر، والسَّعيدُ مَنْ وُعظَ بغَيْره.

قَالَ ذَلكَ كاتبُهُ الفقيرُ إِلَىٰ الله تَعَالَىٰ حِمُود بن عَبْد الله التويجري.

وصلَّىٰ الله عَلَىٰ نبيِّنا محمد، وعلىٰ آله وأصحابه ومَنْ تَبعهم بإِحْسَانٍ إِلَىٰ يَوْم الدِّين وسلم تسليمًا كثيرًا.

٢٨- ٩- ١٣٧٩هـ



كتاب الرؤيا

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إنَّ الحمدَ لله، نحمدُه، ونَستعينُه، ونَستغفِرُه، ونتوبُ إليه، ونعوذُ به مِن شُرورِ أنفُسِنا وسيِّئات أعمالِنا، ومِن نَزَغاتِ الشَّيطان وتَضليلِه، ومِن تَحزينِه في النَّوم وتَهْويلِه.

وأشهدُ أن لا إلهَ إلَّا اللهُ وحدَه لا شَريك له، الَّذي جعلَ البُشرىٰ في الحياةِ الدُّنيا وفي الآخِرة لأوليائه المُؤمنين المُتَّقين، فقَال تَعالَىٰ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾﴾ [يونس: ٦٢-٦٤].

وأَشهدُ أن محمدًا عبدُه ورسولُه خاتمُ الأنبياء والمُرسلين، أرسلَه اللهُ رحمةً للعالمين، فبلَّغ الرِّسالةَ، وأدَّىٰ الأمانةَ، ونَصح الأمَّةَ، ودَلَّهم علىٰ كلِّ خير، وحذَّرهم من كلِّ شَرٍّ، وتَركهم علىٰ البيضاءِ ليلُها كنَهارها لا يَزيغ عنها إلا هالكٌ، وكان مما أخبَرهم به أنه لم يَبقَ مِن مُبشِّرات النُّبوَّة إلا الرُّؤيَا الصَّالحة يَراها المُسلم أو تُرىٰ له، صلَّىٰ اللهُ عَليه وعلىٰ آلِه وأصحابِه ومَن تَبعهم بإحسَانٍ إلىٰ يَوم الدِّين وسلَّم تَسليمًا كثيرًا.

أمَّا بعد، فقَد جاءَ في الرُّؤيا أحاديثُ كَثيرة عَن النَّبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بعضُها في تَعظيم شأنِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَة، وبعضُها في بيان أنْوَاع الرُّؤْيَا وما يَنبغي أن يفعلَه مَن رأىٰ شيئًا منها، وبعضُها في الآدابِ الَّتي تَتعلَّق بتَأويل الرُّؤْيَا، وبعضُها في ذِكْر الرُّؤْيَا الظَّاهرة الَّتي لا تَحتاج إلىٰ تَأويل، وبعضُها في تَأويل الرُّؤْيَا الَّتي تَحتاج إلىٰ التَّأويل،

وسأذْكُر مِن ذلك ما تَيسَّر إن شاء اللهُ تَعالَىٰ، وأذكرُ ما جاء عن بعضِ الصَّحابَة والتَّابِعين في تَأْويل الرُّؤْيَا، وما جاء عمَّن بَعدهم ممَّن اشتُهر بتَأويل الرُّؤْيَا.

والَّذي دعاني إلىٰ الكِتابة في هذا المَوضوع هو ما رأيتُه مِن تَهاوُن الأكْثَرين بشَأن الرُّؤْيَا سَواء كانت صالحةً أو غير صَالحة، وما رأيتُه أيضًا من جهلِهم بالآدابِ الَّتي تتعلَّق بالرُّؤْيَا وتَأويلها، وما يَنبغي ذِكرُه من الرُّؤْيَا وما لا يَنبغي ذكْرُه، وقد رأيتُ كثيرًا من الناس يُسارعون إلىٰ السُّؤال عما يَرونه في المَنام من الرُّؤْيَا المَكروهة، وذلك لعَدم عِلْمهم بأنه لا يُجوز ذِكْرُها ولا السُّؤال عنها؛ لأنَّها مِن تَهويل الشَّيطان وتَحزينِه، وربَّما حمَلَهم حبُّ الاطِّلاع علىٰ ذِكْرِها لبَعض المُتخَرِّصين الَّذين لا عِلمَ لهم بآدابِ الرُّؤْيَا وتَأويلها، فيَعبُرونَها لهم مِن الوَجه المَكروه فيَحصُل لهمُّ الغَمُّ والحُزنُ مِن تَعبيرهم. وربَّما وقع بهم المَكروهُ من الرُّؤْيَا؛ لمَا سَيأتي في حديث أبي رَزين العُقيلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**الرُّؤْيَا علىٰ رِجْلِ طَائرٍ مَا لم تُعبَّر، فإذا عُبِّرت وَقَعت**»[1].

فليَحذَر العاقلُ مِن ذِكْر الرُّؤْيَا لكلِّ أَحَد، ولْيَحذر أيضًا أن يَقُصَّ رُؤياه علىٰ غير ذِي رَأي عالِم بالتَّأويل. والأَوْلىٰ بالعَاقل أن يَكتُمَ ما يَراه في مَنامه مِن المَكروه ولا يَذكُرَه لأحَدٍ مِن النَّاس ولو كَان أقربَ قَريب إليه. وأمَّا ما يَراه مِن الحَسَن الَّذي يُعجبُه فإنَّه يَذكره لمَّن يُحبُّه، كمَا سيأتي بيانُ ذلك في بعض الأحاديثِ الصَّحيحة.

واللهُ المَسئول المَرجُو الإجابَة أن يَجعل عمَلي خالصًا لوجْهِه الكَريم، إنَّه خَير مأمُولٍ وأكْرمُ مَسئول.

---

(١) أخرجه أبو داود (٥٠٢٠)، وابن ماجه (٣٩١٤) واللفظ له، من حديث أبي رَزين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٥٣٥).

فصل

في تعظيم شأن الرُّؤيَا الصَّالِحَة

وقَد جاء في تَعظيمها أحاديثُ كَثيرة تزيدُ علىٰ الثَّلاثين:

الأوَّل منها: عَن أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَال: سمعتُ رسُولَ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يَقولُ: «**لَم يَبقَ مِن النُّبُوَّةِ إِلَّا المُبَشِّرَات**»، قالُوا: وما المُبشِّراتُ؟ قال: «**الرُّؤْيَا الصَّالِحَة**»، رَواه البُخاري(١). وقَد رَواهُ مالكٌ في «المُوطَّأ»(٢) مُختصرًا، ولَفظُه: «لَيسَ يَبقَىٰ بَعدِي مِن النُّبوَّة إلَّا الرُّؤْيَا الصَّالِحَة» ورَواه أحمدُ وأبو داودَ وابنُ حِبَّان في «صحيحه»، والحاكِمُ في «مستدركه» كلُّهم من طَريق مالكٍ، وصحَّحه الحاكِمُ والذَّهبِيُّ(٣).

الحديثُ الثَّاني: رَوىٰ مالكٌ في «المُوطَّأ»(٤) عن زَيد بن أَسلَم، عَن عطاء بن يَسار، أنَّ رسولَ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**لَن يَبقَىٰ بَعدِي مِن النُّبوَّة إلَّا المُبَشِّرَات**(٥)»

---

(١) أخرجه البخاري (٦٩٩٠) واللفظ له، وأخرجه مسلم (٢٢٦٣) بنحوه من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٢) كتاب الرؤيا - باب ما جاء في الرؤيا- ح (٢).

(٣) وأخرجه أيضًا أبو داود (٥٠١٧)، وأحمد (٢/ ٣٢٥)، وابن حبان (٦٠٤٨)، والحاكم (٤/ ٤٩٠-٤٩١)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٤٧٣).

(٤) كتاب الرؤيا - باب ما جاء في الرؤيا- ح (٣)، ورواته ثقات.

قال ابن عبد البر: «لم يختلف علىٰ مالكٍ في إرسال هذا الحديث، ولا أعلمه مسندًا متصلًا في رواية عطاء بن يسارٍ، ومعناه مسند صحيح من حديث ابن عباسٍ وغيره». «الاستذكار» (٨/ ٤٥٧).

(٥) قال الزرقاني: «المبشِّرات -بكسر المعجمة المشددة - جمع مبشرةٍ، اسم فاعلٍ للمؤنث من

فقَالوا: وما المُبَشِّرَاتُ يا رَسُول اللهِ؟ قال: «**الرُّؤْيَا الصَّالِحَة**(١) **يَراها الرَّجلُ الصَّالح تُرىٰ له جُزءٌ مِن سِتَّةٍ وَأَربَعين جُزءًا مِن النُّبُوَّة**» وهذا مُرسلٌ صَحيح الإسْنادِ، ويَشهد له حديثُ أبي هُرَيرَةَ المَذكور قبلَه ومَا سَيأتي بعدَه من الأحَادِيث الصَّحِيحة.

الحَدِيث الثَّالث: عَن ابنِ عبَّاس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا أن رَسُول اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**أيُّها النَّاسُ، إنَّه لَم يَبقَ مِن مُبشِّراتِ النُّبُوَّة إلَّا الرُّؤْيَا الصَّالِحَة يَراها المُسلم أو تُرىٰ له**»، رَواهُ الإمامُ أحمدُ ومُسلمٌ وأبو داودَ والنَّسَائي وابنُ مَاجَه وابنُ حِبَّان في «صَحيحِه» والبَيهقِيُّ في «سُنَنه»(٢).

الحَدِيث الرَّابع: عن أنسِ بن مَالك رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رَسُول اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**إنَّ الرِّسالةَ والنُّبوَّة قد انْقطعَت، فَلا رسُولَ بَعدي ولا نَبِي**»، قال: فشَقَّ ذلك علىٰ النَّاس، فقال: «**ولكِن المُبَشِّرَات**»، قالوا: يا رَسُول اللهِ، وما المُبَشِّرَات؟ قال: «**رُؤيَا الرَّجُلِ المُسلِم، وهي جُزءٌ مِن أَجزَاء النُّبُوَّة**»، رَواهُ الإمامُ أحمدُ والتِّرمِذي

=

البشر، وهو إدخال السرور، والفرح علىٰ المُبشَّر -بالفتح- وليس جمع البشرىٰ؛ لأنها اسم بمعنىٰ البشارة». «شرح الموطأ» (٤/ ٥٦٠).

(١) الرؤيا الصالحة: أي: الحسنة، أو الصادقة المنتظمة الواقعة علىٰ شروطها الصحيحة، وهي ما فيه بشارة، أو تنبيه علىٰ غفلةٍ. قاله الزرقاني- انظر «شرح الموطأ» (٤/ ٥٥٩).

وقال المناوي: «(الرؤيا) بالقصر مصدر كالبشرىٰ مختصة غالبًا بمحبوب يرىٰ منامًا. (الصالحة) أي: الصحيحة، وهي ما فيه بشارة أو تنبيه علىٰ غفلة». «التيسير بشرح الجامع الصغير» (٢/ ٣٨).

(٢) أخرجه أحمد (١/ ٢١٩) (١٩٠٠)، ومسلم (٤٧٩)، أبو داود (٨٧٦)، والنسائي (١٠٤٥)، وابن ماجه (٣٨٩٩)، وابن حبان (١٨٩٦)، والبيهقي (٢/ ٨٧-٨٨، ١١٠).

والحَاكم[١]؛ وقال التِّرْمِذي: هذا حديثٌ حَسَن صَحيح غَريب. وقال الحاكمُ: صحيحُ الإسنادِ علىٰ شَرْط مُسلم، ووافَقه الذَّهبي في «تَلخيصِه»[٢]. وقال التِّرْمِذي: وفي الباب عَن أبي هُرَيرَةَ وحُذيفة بن أَسِيد وابن عبَّاس وأُمِّ كرْزٍ وأبي أسيد.

الحَدِيث الخامِس: عن عَائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن النَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لا يَبقَىٰ بَعدي من النُّبُوَّة شَيءٌ إلا المُبَشِّرَات**»، قالوا: يا رَسُول اللهِ، وما المُبَشِّرَات؟ قال: «**الرُّؤْيَا الصَّالِحَة يَراها الرَّجلُ أو تُرىٰ له**»، رَواهُ الإمامُ أحمدُ وابنُه عبدُ الله بإسنادٍ علىٰ شرط مُسلم[٣]، وقد رَواهُ البَزَّارُ وقال فيه: قالوا: يا رَسُول اللهِ، وما المُبَشِّرَات؟ قال: «**الرُّؤْيَا الصَّالِحَة يَراها الرَّجُل الصَّالِح أو تُرىٰ له**»[٤].

الحَدِيث السَّادسُ: عن أبي الطُّفَيل عَامِر بن وَاثِلَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا نُبوَّةَ بَعدي إلا المُبَشِّرَات**»، قال: قيل: وما المُبَشِّرَات يا رَسُول اللهِ؟ قال: «**الرُّؤْيَا الحَسَنةُ**»، أو قال: «**الرُّؤْيَا الصَّالِحَة**»، رَواهُ الإمام أحمدُ والطَّبراني[٥].

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٢٦٧)، والترمذي (٢٢٧٢)، والحاكم (٤/ ٣٩١)، والضياء في «المختارة» (٢٦٤٥)، من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وساق العلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ قول الحاكم: «صحيح علىٰ شرط مسلم» وموافقةَ الذهبي له وقال: وهو كما قالا. انظر: «الإرواء» (٨/ ١٢٨).

(٢) انظر: «ذيل المستدرك» (٤/ ٣٩١) ط- الهندية.

(٣) أخرجه أحمد في «المسند»، كما أخرجه أيضًا عبد الله في «زوائده» (٦/ ١٢٩)، قال الأرنؤوط: حديث صحيح، وهذا إسناد حسن.

(٤) أخرجه البزار (٢١١٨) -كشف-، وأخرجه أيضًا برقم (٢١١٩) من طريق عصمة بن محمد عن هشام عن ابيه عن عائشة به. قال الذهبي: عصمة... تركوه. «ديوان الضعفاء» (٢٨١٨).

(٥) أخرجه أحمد (٥/ ٤٥٤) (٢٣٨٤٦)، والطبراني (٣/ ١٧٩) (٣٠٥١). قال الألباني: إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين غير الراسبي هذا. «الإرواء» (٨/ ١٣٠).

قال الهَيثَمي: ورجالُه ثِقات.

الحَدِيث السَّابع: عن حُذيفة بن أسيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ذَهَبَت النُّبُوَّةُ، فلا نُبوَّةَ بَعدي إلا المُبَشِّرَات**»، قيل: وما المُبَشِّرات؟ قال: «**الرُّؤيَا الصَّالِحَة يَراها الرَّجلُ أو تُرىٰ له**»، رَواهُ الطَّبراني والبَزَّار[1]. قال الهَيثمي: ورجالُ الطَّبراني ثِقات.

الحَدِيث الثَّامنُ: عَن أمِّ كُرْز الكَعبيَّة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن النَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**ذَهبَتِ النُّبُوَّةُ وبَقِيت المُبَشِّرَات**»، رَواهُ الدَّارمي وابنُ ماجَهْ وابن جَرير وابن حِبَّان في «صَحيحه»[2].

الحَدِيث التَّاسع: عن عُبادة بن الصَّامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سألتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَن قولِه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْآخِرَةِ﴾ [يونس: ٦٤]، قال: «**هي الرُّؤيَا الصَّالِحَة يَراها المُسلمُ أو تُرىٰ له**»، رَواهُ الإمامُ أحمدُ والدَّارمي والتِّرْمِذي وابنُ ماجَهْ وابنُ جَرير والحَاكم[3]. قال التِّرْمِذي: هذا حديثٌ

---

(١) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٣٠٥١)، والبزار في «المسند» (٢٨٠٥)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٤٣٨).

(٢) أخرجه الدارمي (٢١٨٤)، وابن ماجه (٣٨٦٩)، وابن جرير (١٢/ ٢١٩)، وابن حبان (٦٠٤٧)، وصححه الألباني في «الإرواء» (٨/ ١٢٩).

(٣) أخرجه أحمد (٥/ ٣١٥) (٢٢٧٣٩) واللفظ له، والدارمي (٢١٨٢)، والترمذي (٢٢٧٥)، وابن ماجه (٣٨٩٨)، وابن جرير (١٢/ ٢١٥)، والحاكم (٤/ ٣٩١)، وصححه الألباني في «صحيح الترمذي» (٢٢٧٥).

حسَن، وقال الحاكم: صحيحٌ علىٰ شَرط الشَّيخين، ووافَقه الذَّهبي في «تَلخيصِه»(١).

وفي روايةٍ لأحمدَ وابنِ جَرير، عن عُبادة بن الصَّامِت رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنَّه سَأل رَسُول اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فقَال: يا رَسُول اللهِ، أرأيتَ قَولَ الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ: ﴿ **لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْأَخِرَةِ** ﴾، فقال: «**لقَد سَألْتَني عن شَيء ما سَألني عنه أحدٌ مِن أُمَّتي -أو أَحدٌ قَبلَك-**»، قال: «**تِلك الرُّؤْيَا الصَّالِحَة يَراها الرَّجُل الصَّالحُ أو تُرىٰ له**»(٢).

الحَدِيث العاشرُ: عن أبي الدَّرداءِ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: سألتُ رَسُول اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ عن هذه الآية: ﴿ **لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْأَخِرَةِ** ﴾، فقال النَّبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**الرُّؤْيَا الصَّالِحَة يَراها المُؤمنُ أو تُرىٰ له**»، رَواهُ الإمام أحمدُ وابنُ أبي شَيْبة والتِّرْمِذي وابنُ جَرير والحاكمُ، وهذا لفظ ابنِ جَرير في إحدىٰ الرِّوايات عنده، ولأحمدَ نَحوه في إحدىٰ الرِّوايات عنده(٣). وقال التِّرْمِذي: هذا حديثٌ حسَن. زاد أحمدُ وابنُ جَرير في إحدىٰ الروايات عندهما: أن رَسُول اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**وَبُشراه في الآخِرة الجَنَّة**»(٤)، وقد جاءت هذه الزِّيادة في رِواية

---

(١) انظر: «ذيل المستدرك» (٤/ ٣٩١) ط- الهندية.

(٢) أخرجه أحمد (٥/ ٣١٥) (٢٢٧٤٠) واللفظ له، وابن جرير (١٢/ ٢١٨).

(٣) أخرجه أحمد (٦/ ٤٤٥، ٤٤٦، ٤٤٧، ٤٥٢)، وابن أبي شيبة (٦/ ١٧٣)، والترمذي (٢٢٧٣، ٣١٠٦)، وابن جرير (١٢/ ٢١٤، ٢١٦، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢١) واللفظ له، كما أخرجه الحاكم (٤/ ٣٩١)، وانظر: «الصحيحة» (٤/ ٣٩١- ٣٩٢).

(٤) هذه الزيادة أخرجها أحمد (٦/ ٤٥٢)، وابن جرير (١٢/ ٢١٦)، كما أخرجها ابن أبي شيبة (٦/ ١٧٣) مختصرة بلفظ: «**وفي الآخرة الجنة**».

ابنِ أبي شَيبة مُختَصَرة.

الحَدِيث الحادِي عَشر: عن عَبد الله بن عَمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عن رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّه قال: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾، قال: «**الرُّؤْيَا الصَّالِحَة يُبَشَّرُها المُؤمنُ، هي جزءٌ من تِسعةٍ وأربعِين جزءًا من النُّبُوَّة، فمَن رأىٰ ذلك فليُخبِر بها، ومَن رأىٰ سِوىٰ ذلك فإنَّما هو مِن الشَّيطان ليحْزنَه، فليَنفثْ عن يَساره ثلاثًا، ولْيَسكُتْ ولا يُخبِرْ بها أحدًا**»، رَواهُ الإمامُ أحمدُ مِن طَريق ابنِ لَهيعة عن دراج بن أبي السَّمح[1]. قال الهَيثمي: وحديثُهما حسَن وفيهما ضعفٌ، وبَقية رجاله ثِقات.

وقد رَواهُ ابن جَرير بنحوه مُختصرًا، ولَفظُه قال: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ «**الرُّؤْيَا الصَّالِحَة يُبشَّر بها العَبدُ جُزء مِن تِسعة وأَرْبعين جزءًا من النُّبُوَّة**»[2]، وفي رِوايةٍ قال: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾: «**الرُّؤْيَا الصَّالِحَة يُبشَّر بها المؤمنُ جزءٌ من ستَّةٍ وأربعين جزءًا من النُّبُوَّة**»[3].

الحَدِيث الثَّاني عشر: عن أبي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الرُّؤْيَا الحَسنَةُ هي البُشرىٰ يَراها المُسلمُ أو تُرىٰ له**»، رَواهُ ابنُ جَرير[4] وإسنادُه صَحيح.

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٢١٩) قال الأرنؤوط: صحيح لغيره.

(٢) أخرجه ابن جرير (١٢/ ٢١٨).

(٣) أخرجه ابن جرير (١٢/ ٢٢٣)، وبمثله أخرجه البيهقي في «الشعب» (٤٤٣٢)، والواحدي في «الوسيط» (٢/ ٥٥٣)، وزادا: «**فمن رأىٰ ذلك فليخبر بها، ومن رأىٰ سوىٰ ذلك فإنما هي من الشيطان ليحزنه، فلينفث عن يساره ثلاثًا وليسكت، ولا يخبر بها أحدًا**»، وعند البيهقي: «**فليخبر بها وادًّا**».

(٤) (١٢/ ٢١٧) قال الألباني: إسناده جيد. انظر: «الصحيحة» (٤/ ٣٩٢).

وفي روايةٍ له عن أبي هُرَيرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عن النَّبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: ﴿ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ **«الرُّؤْيَا الصَّالِحَة يَراها العبدُ الصَّالح أو تُرىٰ له، وهي في الآخِرة الجنَّة»**(١). وفي روايةٍ له: قال أبو هُرَيرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «الرُّؤْيَا الحَسَنةُ بُشرىٰ مِن الله، وهي المُبَشِّرَات»(٢).

الحَدِيث الثَّالث عَشر: عن هشام -وهو ابنُ حسَّان- عَن مُحمَّد -وهو ابنُ سِيرين- عَن أبي هُرَيرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عن النَّبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: **«إذَا اقْتَربَ الزَّمانُ لَمْ تَكَدْ رُؤْيَا المُسلِم تَكذِب، وأَصدَقُهم رُؤيَا أَصدَقُهم حَديثًا، ورُؤيَا المُسلِم جُزءٌ مِن سِتَّةٍ وأَربعين جُزءًا من النُّبُوَّة»**، قال: وقال: **«الرُّؤْيَا ثَلاثٌ: فالرُّؤْيَا الصَّالِحَة بُشرىٰ من الله** عَزَّوَجَلَّ، **والرُّؤْيَا تَحزينٌ مِن الشَّيطان، والرُّؤْيَا مِن الشَّيء يُحدِّثُ به الإنسانُ نَفسَه، فإذا رأىٰ أحدُكم ما يَكره فلا يُحدِّثه أحدًا وليَقُم فلْيُصَلِّ»**، قال: **«وأَحِبُّ القَيدَ في النَّوم وأكْرَه الغُلَّ، القَيدُ ثَبات في الدِّين»**، رَواهُ الإمام أحمدُ عن يَزيد -وهو ابنُ هَارون- عَن هشامٍ، وإسنادُه صَحيح علىٰ شَرطِ الشَّيخين(٣).

وقد رَواهُ مسلمٌ وأبو داود والتِّرْمِذي من طَريق عبد الوهَّاب الثَّقفي، عن أيُّوبَ السَّخْتِياني، عن مُحمَّد بن سِيرين، عن أبي هُرَيرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عن النَّبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بنحوِه، إلا أنَّه قد جاء في رواية مُسلم: **«ورُؤيا المُسلم جزءٌ مِن خَمسٍ وأربعين جزءًا من النُّبُوَّة»**(٤)، وليسَت هذه الجُملة في رواية أبي داود. وجاء في رواية

---

(١) أخرجه ابن جرير (١٢/ ٢١٨).

(٢) أخرجه ابن جرير (١٢/ ٢١٧).

(٣) أخرجه أحمد (٢/ ٥٠٧) (١٠٥٩٨).

(٤) أخرجه مسلم (٢٢٦٣)، وأبو داود (٥٠١٩)، والترمذي (٢٢٧٠).

مُسلم بعد قوله: قال: «**وأُحبُّ القَيد وأكرَه الغُلَّ، والقيدُ ثَبات في الدِّين**»، فلا أدري هو في الحَدِيث أم قاله ابنُ سِيرين، وقال التِّرْمِذي: هذا حديثٌ حسَن صَحيح.

ورواه التِّرْمِذي أيضًا من طريق قتادةَ، عَن مُحمَّد بن سِيرين، عن أبي هُرَيرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رَسُول اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**الرُّؤْيَا ثَلاثٌ: فرُؤيَا حَقٌّ، ورُؤيَا يُحدِّث بها الرَّجُلُ نَفسَه، ورُؤيا تَحزينٌ من الشَّيطانِ، فمَن رأىٰ ما يَكرَه فليَقُم فليُصَلِّ**»، وكان يَقول: «**يُعجِبُني القيدَ وأَكرَه الغُلَّ، القيدُ ثبات في الدِّين**»، وكان يقول: «**مَن رآني فإنِّي أنا هو، فإنَّه ليس للشَّيطان أنْ يَتمثَّلَ بِي**»، وكان يقول: «**لا تَقصَّ الرُّؤْيَا إلا علىٰ عالِم أو ناصِح**»(١). قال التِّرْمِذي: هذا حديث حسَن صحيح.

قلتُ: ويُستفاد منه أن ذِكرَ القَيد والغُلِّ مَرفوعٌ إلىٰ النَّبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

ورواه ابن ماجه من طريق الأوْزاعِي، عن ابن سِيرين، عن أبي هُرَيرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رَسُول اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**إذا قَرُب الزَّمان لَم تَكد رُؤْيا المُؤمن تكذِب، وأَصدَقُهم رُؤيَا أصْدقُهم حَديثًا، ورُؤيا المُؤمن جُزءٌ من ستَّةٍ وأربَعين جزءًا من النُّبوَّة**»(٢) هكذا رَواهُ مُختصرًا، وإسنادُه صَحيح.

ورَواه عبدُ الرَّزاق في «مُصنَّفه»(٣) عن مَعمَر، عن أيُّوبَ، عن ابنِ سِيرين، عن أبي هُرَيرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، عن النَّبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**في آخِرِ الزَّمان لا تَكادُ رُؤيا المُؤمِن تَكذِبُ، وأَصدَقُهم رُؤيَا أَصدَقُهُم حَديثًا، والرُّؤْيَا ثلاثٌ: الرُّؤيَا الحسَنةُ بُشرىٰ**

(١) أخرجه الترمذي (٢٢٨٠)، وصححه الألباني في «صحيح الترمذي» (٢/ ٥١٣).

(٢) أخرجه ابن ماجه (٣٩١٧)، وصححه الألباني.

(٣) (١١/ ٢١١).

من الله، والرُّؤْيَا يُحدِّث بها الرَّجُلُ نَفسَه، والرُّؤْيَا تَحزِينٌ مِن الشَّيطان، فإذَا رَأىٰ أحدُكم رُؤيَا يَكرَهها فلا يُحدِّث بها أحدًا، وليَقُمْ فليُصَلِّ». قال أبو هُرَيرَةَ: يُعجِبُني القَيدَ وأكرَه الغُلَّ، القَيدُ ثَباتٌ في الدِّين، وقال النَّبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**رُؤيَا المُؤمن جزءٌ مِن ستَّةٍ وأَربعين جزءًا من النُّبُوَّة**»، وقد رَواهُ الإمامُ أحمدُ والتِّرْمِذي والحاكمُ من طريق عبد الرَّزاق[1].

وساق مسلمٌ إسنادَه من طريقِ عبد الرَّزاقِ، وذكَر منه قولَ أبي هُرَيرَةَ: «يُعجِبُني القَيدَ وأكرَه الغُلَّ، والقَيدُ ثباتٌ في الدِّين»، وقال النَّبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**رُؤْيَا المُؤمِنِ جُزءٌ مِن سِتَّةٍ وَأَربِعِينَ جُزءًا من النُّبُوَّة**»[2]. وأما أوَّل الحَدِيث فقد اكتَفىٰ عن ذِكره بما ذَكره قبلَه من روايةِ عبد الوهَّاب الثَّقفي، عن أيُّوب، عن ابنِ سِيرين، عن أبي هُرَيرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

وقد رَواهُ البُخارِي في «باب القَيد في المَنام» من طريق عوفٍ -وهو الأعرابي- قال: حدَّثَنا مُحمَّد بن سِيرين أنه سَمِع أبا هُرَيرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ يقول: قال رَسُول اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**إذَا اقْتربَ الزَّمانُ لَم تَكَد رُؤْيَا المُؤمِن تَكذِب، ورُؤْيَا المُؤمن جزءٌ من ستَّةٍ وأَربعين جزءًا من النُّبُوَّة، وما كانَ مِن النُّبُوَّة فإنه لا يَكذِب**»[3]. قال مُحمَّد: وأنَا أقولُ هذه. قال: وكان يُقال: الرُّؤْيَا ثلاثٌ: حَديثُ النَّفس، وتَخويف الشَّيطان، وبُشرىٰ من الله؛ فمَن رأىٰ شيئًا يَكرَهُه فلا يَقُصَّه علىٰ أحدٍ، وليَقُمْ فليُصَلِّ، قال: وكان يكره الغُل في النَّوم، وكان يُعجبُهم القَيْدُ، ويُقال: القيدُ ثباتٌ في الدِّين. ورَوىٰ قتادةُ ويُونسُ وهِشام وأبو هِلال، عن ابن سِيرين، عن أبي هُرَيرَةَ، عن النَّبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ. وأدرَجه

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٢٦٩)، والترمذي (٢٢٩١)، والحاكم (٤/ ٣٩٠)، وصححه الألباني.

(٢) أخرجه مسلم (٢٢٦٣).

(٣) أخرجه البخاري (٧٠١٧).

بعضُهم كله في الحَدِيث. وحديث عَوف أَبيَن. وقال يونسُ: لا أحسبه إلا عن النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في القَيد.

قلتُ: قد جاء ذِكرُ الغُلِّ والقَيد مرفوعًا وموقوفًا في أحَادِيث صَحيحة، فأما الرَّفع فإنه ظاهرٌ من رواية هشام بن حسَّان عن ابن سِيرين، وصريح في رواية قتادةَ عن ابن سيرين، وصريحٌ أيضًا فيما رَواهُ الدَّارِمي عن مُحمَّد بن عبد الله الرقَاشِي، عن يزيدَ بن زُريع، عن سَعيد، عن قَتادة، عن مُحمَّد بن سِيرين، عن أبي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه كان يَقول: «**أكرَهُ الغُلَّ وأُحِبُّ القَيدَ، القَيدُ ثباتٌ في الدِّين**»(١) إسنادُه صحيحٌ علىٰ شرط الشَّيخين.

وأما الوَقفُ فإنَّه صريحٌ في رِواية أيُّوب عن ابن سيرين، وصريح أيضًا فيما رَواهُ ابنُ أبي شَيبةَ، عن أبي أُسامة، عن هشام -وهو ابنُ حسَّان- عَن مُحمَّد -وهو ابنُ سِيرين- عَن أبي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «أُحِبُّ القَيدَ في المَنام وأكرَه الغُلَّ، القَيدُ ثَباتٌ في الدِّين»(٢) إسْنَاده صَحِيح علىٰ شَرط الشَّيْخَين. وعلىٰ هذا فإنَّه يحتمل أنَّ أبَا هُريرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان يُحدِّث به تارةً مرفوعًا وتارةً يُحدِّث به ولا يَرفعه، وكذلك كان يفعلُ ابنُ سِيرين يُحدِّثُ به تارةً مَرفوعًا وتارةً مَوقوفًا. وأمَّا الرُّواةُ عن ابنِ سِيرين فإنَّ كلًّا منهم يُحدِّثُ بما سَمِعه منه مِن الرَّفع أو الوَقف، وبهذا يَحصُل الجَمعُ بين الرِّوايَتَين، واللهُ أَعلَمُ.

الحَدِيث الرَّابعَ عَشَرَ: عن عَوف بن مَالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إنَّ الرُّؤْيَا ثلاثٌ: منها أهاويلُ مِن الشَّيطان ليحزنَ بها ابنَ آدم،**

---

(١) أخرجه الدارمي (٢٢٠٦).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٦/ ١٨١).

ومنها ما يهمُّ به الرَّجلُ في يَقظَته فيَراه في مَنامه، ومنها جزءٌ مِن ستَّة وأَربَعين جزءًا من النُّبُوَّة»، رَواهُ ابنُ أبي شَيبةَ وابن ماجه وابن حبَّان في «صَحيحه» مِن حَديث أبي عُبيد الله مُسلم بن مِشْكَم، عن عَوف بن مالك[1]. وزاد ابنُ ماجه: قال: قلتُ له: أنتَ سَمعتَ هذا من رَسُول اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ؟ قال: نَعم، أنا سمعتُه من رَسُول اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، أنا سمعتُه من رَسُول اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ. وقد ذكر ابنُ حِبَّان هذه الزيادةَ إلا أنَّه لم يُكرِّر قولَه: أنا سَمعتُه من رَسُول اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ.

الحَدِيث الخامِسَ عَشر: عن يحيىٰ بن سَعيد، عن أبي سَلمة بن عبد الرحمن قال: سمعتُ أبا قتادةَ بن ربعِي يقول: سمعتُ رَسُول اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ يقول: «**الرُّؤْيَا الصَّالِحَة مِن اللهِ، والحُلْم من الشَّيطان، فإذا رأىٰ أحدُكم الشَّيءَ يَكرهُه فلينفُث عن يَساره ثلاثَ مرَّات إذا استيقَظ، وليتعوَّذ بالله مِن شَرِّها، فإنَّها لن تَضُرَّه إن شاءَ الله**». قال أبو سلمةَ: «إن كنتُ لأرىٰ الرُّؤْيَا هي أثقَل عليَّ من الجَبل، فلمَّا سمعتُ هذا الحَدِيث فما كنتُ أُبالِيها». رَواهُ مالكٌ والبُخارِي ومُسلم، وهذا لفظ مالك. ورواه أحمدُ وأبو داود والتِّرمِذي وابنُ ماجه مختصرًا[2]، وقال التِّرمِذي: هذا حديث حسَن صَحِيح. وزاد مسلمٌ في رواية له: «**ولْيتَحوَّل عن جَنبه الَّذي كان عليه**»[3]. وفي رواية

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (٦/ ١٨١)، وابن ماجه (٣٩٠٧)، وابن حبان (٦٠٤٢)، والطبراني في «الكبير» (١١٨)، وفي «الأوسط» (٦٧٤٢)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٨٧٠).

(٢) أخرجه مالك في «الموطأ» كتاب الرؤيا - باب ما جاء في الرؤيا- ح (٤)، كما أخرجه البخاري (٥٧٤٧)، ومسلم (٢٢٦١)، وأحمد (٥/ ٣١٠)، وأبو داود (٥٠٢١)، والترمذي (٢٢٧٧)، وابن ماجه (٣٩٠٩).

(٣) أخرجه مسلم(٢٢٦١).

ابن ماجه قال: «**الرُّؤيَا مِن الله، والحُلم مِن الشَّيطان، فإنْ رأىٰ أحدُكم شيئًا يَكرَهُه فليبصُق عن يَساره ثَلاثًا، وليَستَعِذ بالله مِن الشَّيطان الرَّجيم ثلاثًا، وليَتحوَّل عن جَنْبه الَّذي كان عَليه**»[1] إسْنَاده صَحِيح، وهو أحدُ الأسانيد عِند مُسلم.

ورواه الإمام أحمدُ والبُخارِي ومسلمٌ أيضًا من طَريق الزُّهري، عن أبي سَلمَة قال: كنتُ أَرىٰ الرُّؤيَا أُعْرَىٰ منها[2] غَير أنِّي لا أَزمَّل[3] حتَّىٰ لقيتُ أبا قتادةَ فذكرتُ ذلك له فقال: سمعتُ رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**الرُّؤْيَا مِن اللهِ، والحُلْمُ مِن الشَّيطان، فإذا حَلَم أَحدُكم حُلْمًا يَكرهُه فليَنفث عن يَسارِه ثلاثًا وليَتعوَّذ بالله مِن شَرِّها، فإنَّها لَن تَضُرَّه**»[4] هذا لفظ مُسلم. وفي رواية أحمدَ قال: «**فمَن رأىٰ رُؤيَا يَكرهُها فلا يُخبِر بها، وليَتفل عن يَساره ثلاثًا، وليَستَعِذ بالله مِن شَرِّها، فإنَّها لا تَضرُّه**». قال سفيانُ مرَّة أُخرىٰ: «**فإنَّه لَن يَرىٰ شيئًا يَكرَهُه**»؛ سفيانُ هو ابنُ عُيَيْنة، رَواهُ عن الزُّهري، ورواه عنه أحمدُ. ورواية البُخارِي مُختَصَرة.

ورواه الإمام أحمدُ والبُخارِي ومسلم أيضًا من طريق عَبد ربِّه بن سَعيد، عن أبي سَلمة قال: إن كنتُ لأرىٰ الرُّؤيَا تُمْرِضُني، قال: فلقيتُ أبا قَتادةَ فقال: وأنَا فكنتُ

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٣٩٠٩).

(٢) قوله: أعرىٰ منها، أي: يصيبني البرد والرعدة من الخوف، يقال: عري فهو معرو. قال الجوهري: العرواء قرة الحمىٰ ومسها في أول ما تأخذ بالرعدة، وقد عري الرجل علىٰ ما لم يسم فاعله؛ فهو معرو. وقال النووي في «شرح مسلم»: أُعْرَىٰ -بضم الهمزة وإسكان العين وفتح الراء- أي: أُحم لخوفي من ظاهرها. قال أهل اللغة: يقال: عُرِي الرجل -بضم العين وتخفيف الراء- يعرىٰ، إذا أصابه عُراء -بضم العين وبالمد- وهو نفض الحمىٰ، وقيل: رعدة. انتهىٰ.

(٣) قوله: أزمل، قال النووي: معناه أغطىٰ وأُلف كالمحموم.

(٤) أخرجه أحمد (٥/ ٢٦٩، ٣٠٤)، والبخاري (٧٠٠٥)، ومسلم (٢٢٦١).

لأرىٰ الرُّؤْيَا تُمرضني حتىٰ سمعتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**الرُّؤْيَا الصَّالِحَة مِن الله، فإذا رأَىٰ أحدُكُم ما يُحبُّ فَلا يُحدِّثْ بِها إلَّا مَن يُحبُّ، وإذَا رَأىٰ ما يَكرَه فليَتفل عَن يَسارِه ثَلاثًا، وليَتعوَّذ بالله من الشَّيطان الرَّجيم وشَرِّها، ولا يُحدِّثْ بها أحدًا، فإنَّها لا تَضُرُّه**»[(١)]، ورَواه الدَّارمي بنحوه وزاد: «**فإذا رَأىٰ أحدُكم ما يُحبُّ فليَحمَد اللهَ**»[(٢)].

وفي رِواية لمُسلم قال: «**الرُّؤيَا الصَّالِحَة مِن الله، والرُّؤيَا السُّوء من الشَّيْطَان، فمَن رَأىٰ رُؤْيَا فكَرِه مِنها شيئًا فليَنفثْ عن يَساره وليَتعوَّذ بالله من الشَّيْطَان، لا تَضرُّه، ولا يُخبِرْ بها أحدًا، فإنْ رَأىٰ رُؤْيَا حَسَنة فليبشر ولا يُخبِر إلا من يُحبُّ**»[(٣)].

ورَواه الإمام أحمد والبُخارِي أيضًا من طريق يحيىٰ بن أبي كثير، عن أبي سلمةَ، عن أبي قتادَة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أن رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَن رَأىٰ رُؤْيَا تُعجِبُه فليُحدِّث بها، فإنَّها بُشرىٰ مِن الله عَزَّ وَجَلَّ، ومَن رَأىٰ رُؤْيَا يَكرَهُها فلا يُحدِّث بها، وليَتفل عَن يَساره، ويَتعوَّذ بالله مِن شَرِّها**»[(٤)] هذا لفظُ أحمَد، ولفظ البُخارِي قال: «**الرُّؤيَا الصَّالِحَة مِن اللهِ، والحُلْمُ من الشَّيطَان، فإذا حَلمَ أحدُكم فليعوذ منه، وليَبصقْ عن شِماله، فإنَّها لا تَضرُّه**»[(٥)]، ورواه البُخارِي أيضًا من طريق عُبيد الله بن جعفر، عن أبي سلمةَ، عن أبي قتادة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**الرُّؤيَا**

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٣٠٣)، والبخاري (٧٠٤٤)، ومسلم (٢٢٦١).

(٢) «سنن الدارمي» (٢١٨٨).

(٣) أخرجه مسلم (٢٢٦١).

(٤) أخرجه أحمد (٥/ ٣٠٩) (٢٢٦٨٨).

(٥) أخرجه البخاري (٣٢٩٢).

الصَّالِحَة من الله، والحُلْم من الشَّيْطَان، فمَن رأىٰ شيئًا يكرَهُه فليَنفث عن شِماله ثلاثًا، وليَتعوَّذ من الشَّيْطَان، فإنَّها لا تضرُّه»[١].

ورواه الإمام أحمد والبُخارِي أيضًا من طريق يحيىٰ بن أبي كثير، عن عبد الله بن أبي قتادة، عن أبيه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إن الرُّؤْيَا الصَّالِحَةَ مِن الله، والحُلْمَ من الشَّيْطَان، فإذا حَلَم أحدُكم حُلْمًا يَخافُه فليَبصُق عن شِماله ثلاثَ مرَّات، وليَتعوَّذ بالله من الشَّيْطَان، فإنَّه لا يَضرُّه**»[٢] هذا لفظ أحمَد. وعند البُخارِي قال: «**فليَبصُق عن يَساره، وليَتعوَّذ بالله مِن شَرِّها، فإنَّها لا تَضرُّه**»[٣]، ورَواه الدَّارمي بنحو رِواية أحمد[٤].

الحَدِيث السَّادس عَشر: عن أبي سَعيد الخُدْري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنه سَمِع رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**إذا رَأىٰ أحدُكم الرُّؤْيَا يُحبُّها، فإنَّما هي مِن الله، فلَيحَمدِ اللهَ عَليها وليُحدِّث بها، وإذا رَأىٰ غيرَ ذلك مما يَكرَه فإنما هي من الشَّيْطَان، فلْيَستعِذْ بالله من شرِّها ولا يَذكُرها لأحدٍ، فإنَّها لا تَضرُّه**»، رَواهُ الإمام أحمَد والبُخارِي[٥].

الحَدِيث السَّابع عشَر: عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عن رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**إذا رَأىٰ أحدُكم الرُّؤْيَا يَكرهُها فليَبصُق عن يَساره ثلاثًا، وليستعِذْ بالله من الشَّيْطَان ثلاثًا، وليَتحوَّل عن جَنبِه الَّذي كان عَليه**»، رَواهُ ابنُ أبي

---

(١) أخرجه البخاري (٦٩٩٥).

(٢) أخرجه أحمد (٥/ ٣٠٠) (٢٢٦١٧) واللفظ له، والبخاري (٣٢٩٢).

(٣) أخرجه أحمد (٥/ ٣٠٠) (٢٢٦١٧)، والبخاري (٣٢٩٢) واللفظ له.

(٤) «سنن الدارمي» (٢١٨٧) من حديث أبي قتادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٥) أخرجه أحمد (٣/ ٨)، والبخاري (٦٩٨٥، ٧٠٤٥).

شَيبةَ وأحمدُ ومُسلمٌ وابنُ ماجَه وابن حبَّان(١).

الحَدِيث الثَّامِن عَشر: عَن ابنِ عُمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، أن النَّبِي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قالَ: «**الرُّؤيَا الصَّالِحَة جُزءٌ مِن سَبعين جزءًا من النُّبُوَّة، فمَن رَأىٰ خيرًا فليَحمَد الله عَليه وليَذكُرْه، ومَن رَأىٰ غيرَ ذلك فليَستَعذْ بالله مِن شرِّ رُؤْيَاه ولا يَذكُرها، فإنَّها لا تَضرُّه**»، رَواهُ الإمامُ أحمد والطَّبراني في «الأوسط»(٢). قال الهَيثميُّ: ورجالُه رِجال الصَّحِيح، غيرَ سُليمان بن داود الهاشمي وهو ثِقَة. وقال الشَّيخ أحمَد مُحمَّد شَاكر في «تعليقه علىٰ المُسنَد»(٣): إسْنَاده صَحِيح.

الحَدِيث التَّاسع عَشر: عن أمِّ سَلمةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا قالت: قال رَسُول اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**إذَا رَأىٰ أحدُكم في مَنامِه ما يَكرَه فليَنفثْ عَن يسارِه ثلاثًا، وليَستَعذْ ممَّا رَأىٰ**»، رَواهُ الإمامُ أحمدُ(٤). قال الهيثميُّ: ورجالُه ثِقات.

الحَدِيث العشرون: عن أنس بن مالك رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، أن رجلًا جاء إلىٰ رَسُول اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فقال: يا رَسُول اللهِ، إني أَرىٰ الرُّؤْيَا تُمْرِضُني، فقال رَسُول اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**الرُّؤيَا الحَسنةُ مِن اللهِ، والسَّيِّئةُ من الشَّيْطَان، فإذا رأىٰ أحدُكم ذلك فليَنفث عَن يسارِه ثلاثًا وليَتعوَّذ بالله من شَرِّها، فإنَّها لا تضُرُّه**»، رَواهُ الطبراني في

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (٦/ ١٧٩، ٧٠)، وأحمد (٣/ ٣٥٠)، ومسلم (٢٢٦٢)، وابن ماجه (٣٩٠٨)، وابن حبان (٦٠٦٠).

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ١٣٧)، والطبراني في «الأوسط» (٢١٣٨).

(٣) (٥/ ٤٦٧).

(٤) لم أقف عليه عند أحمد، وأخرجه الطبراني (٢٣/ ٢٦٠) (٥٤٤)، والنسائي في «الكبرىٰ» (٦/ ٢٢٥) (١٠٧٤١).

«الأوسط»(١). قال الهيثميُّ: وفيه كثيرُ بن سليم وهو ضعيف، وقد وثَّقه ابنُ حِبَّان وذكره في «الضُّعفاء».

قلتُ: يَشهد لحديثِه كثيرٌ من الأحَادِيث الصَّحِيحة الَّتي تقدَّم ذِكرُها.

الحَدِيث الحادي والعشرون: عن عبدِ الله بن مَسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الرُّؤيَا الصَّالِحَة بُشرىٰ، وهي جُزء من سَبعين جزءًا من النُّبُوَّة**»، رَواهُ البزَّار والطبراني في «الكبير» و«الصغير»(٢). قال الهيثمي: ورجالُ «الصَّغير» رجَال الصَّحِيح.

الحَدِيث الثاني والعشرون: عن ابنِ عُمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الرُّؤيَا الصَّالِحَة جزءٌ مِن سَبعين جزءًا من النُّبُوَّة**»، رَواهُ الإمام أحمد ومُسلم وابن ماجه(٣).

الحَدِيث الثَّالث والعشرون: عن ابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن النَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**الرُّؤْيَا الصَّالِحَة جزْءٌ مِن سَبعين جزءًا من النُّبُوَّة**»، رَواهُ الإمام أحمد وأبو يعلىٰ والبزار والطبراني(٤). قال الهيثمي: ورجاله رجال الصَّحِيح.

---

(١) (٣/ ٢٨٩) (٣١٨٠).

(٢) أخرجه البزار في «المسند» (٥/ ٢٥٠) (١٨٦٤)، والطبراني في «الكبير» (٩/ ٢١٧)، وفي «الصغير» (٢/ ١٤١) (٩٢٨).

(٣) أخرجه أحمد (٢/ ١٨) (٤٦٧٨)، ومسلم (٢٢٦٥)، وابن ماجه (٣٨٩٧).

(٤) أخرجه أحمد (١/ ٣١٥) (٢٨٩٦)، وأبو يعلىٰ (٤/ ٢٦٦) (٢٥٩٨)، والبزار (١١/ ٦٦) (٤٧٦٧)، والطبراني في «الكبير» (١١/ ٢٧٧) (١١٧٢٧)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٥٢٩).

الحَدِيث الرابع والعشرون: عن أبي هُرَيرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رَسُول اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**رُؤيَا العَبد المُؤمن الصَّادقة الصَّالِحَة جزءٌ من سَبعين جزءًا من النُّبُوَّة**»، رَواهُ الإمام أحمد(١). قال الهيثمي: وفيه كُليب بن شِهاب وهو ثقة وفيه كلامٌ لا يَضرُّ. وقد رَواهُ ابن حبَّان في «صحيحه»(٢) مختصرًا، ولفظه: «**الرُّؤْيَا جُزءٌ مِن سَبعين جزءًا من النُّبُوَّة**».

الحَدِيث الخامس والعشرون: عن أبي سَعيد الخُدْري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عن النَّبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**رُؤْيَا الرَّجُل المُسلم الصَّالح جزءٌ مِن سَبعين جزءًا من النُّبُوَّة**»، رَواهُ ابن أبي شيبة وابن ماجه(٣).

الحَدِيث السَّادس والعشرون: عن أنس بن مالك رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، أن رَسُول اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**الرُّؤْيَا الحَسنَة من الرَّجلِ الصَّالح جزءٌ من سِتَّة وأربعين جزءًا من النُّبُوَّة**»، رَواهُ مالك وأحمد والبُخارِي وابن ماجه وابن حبان في «صحيحه»(٤).

الحَدِيث السابع والعشرون: عن أبي سعيد الخُدري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، أنه سمع رَسُول اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يقول: «**الرُّؤْيَا الصَّالِحَة جزءٌ من ستَّةٍ وأربعين جزءًا من النُّبُوَّة**»، رَواهُ البُخارِي(٥).

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٢٣٢) (٧١٦٨)، وقال الأرنؤوط: إسناده قوي.

(٢) (١٣/ ٤٠٩) (٦٠٤٤).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة «المصنف» (٦/ ١٧٤) (٣٠٤٦٥)، وابن ماجه (٣٨٩٥)، وصححه الألباني.

(٤) أخرجه مالك في «الموطأ» كتاب الرؤيا- باب ما جاء في الرؤيا-ح (١)، وأحمد (٣/ ١٢٦) (١٢٢٩٤)، والبخاري (٦٩٨٣)، وابن ماجه (٣٨٩٣)، وابن حبان (١٣/ ٤٠٨) (٦٠٤٣).

(٥) أخرجه البخاري (٦٩٨٩).

الحَدِيث الثامن والعشرون: عن أبي هُرَيرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن رَسُول اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**رُؤْيَا المُؤْمن جزءٌ من ستَّة وأربعين جزءًا من النُّبُوَّة**»، رَواهُ الإمام أحمد والبُخارِي ومسلم والتِّرْمِذي وابن ماجه(١). وفي رواية لأحمد ومسلم: «**الرُّؤْيَا الصَّالِحَة يراها المسلمُ أو تُرىٰ له جزءٌ من ستَّة وأربعين جزءًا من النُّبُوَّة**»(٢)، ورواه مُسلم ولفظه: «**رُؤْيَا المُسلِم يَراها أو تُرىٰ له**»(٣). وفي حديث ابن مسْهر: «**الرُّؤْيَا الصَّالِحَة جزءٌ من سِتَّةٍ وأربعين جزءًا من النُّبُوَّة**»(٤). وساق مالكٌ في «المُوطَّأ»(٥) إسْنادَه إلىٰ أبي هُرَيرَةَ، وأحال بلفظِه علىٰ حديث أنسٍ الَّذي تقدَّم ذِكرُه.

الحَدِيث التاسع والعشرون: عن عُبادة بن الصَّامت رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رَسُول اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**رُؤْيَا المُؤْمن جزءٌ من ستَّة وأربعين جزءًا من النُّبُوَّة**»، رَواهُ الإمام أحمد والبُخارِي ومسلم وأبو داود والتِّرْمِذي والدَّارمي(٦). وقال التِّرْمِذي: حديث صَحِيح.

الحَدِيث الثلاثون: عن أنس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قال: قال النَّبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**رُؤْيَا المُؤْمن جزءٌ مِن سِتَّةٍ وأَربعين جزءًا من النُّبُوَّة**»، رَواهُ البُخارِي(٧).

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٢٣٣) (٧١٨٣)، والبخاري (٦٩٨٨)، ومسلم (٢٢٦٣)، والترمذي (٢٢٩١)، وابن ماجه (٣٨٩٤).

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ٤٣٣٨) (٩٦٥٤)، ومسلم (٢٢٦٣).

(٣) أخرجه مسلم (٢٢٦٣).

(٤) أخرجه مسلم (٢٢٦٣).

(٥) (٥٩٣).

(٦) أخرجه أحمد (٣/ ١٨٥) (١٢٩٥٣)، والبخاري (٦٩٨٧)، ومسلم (٢٢٦٤)، وأبو داود (٥٠١٨)، والترمذي (٢٢٧١)، والدارمي (٢١٨٣).

(٧) أخرجه البخاري (٦٩٩٤).

الحَدِيث الحادي والثلاثون: عن أبي رَزين -واسمه لَقيط بن عامر العُقيلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قال: قال رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الرُّؤْيَا جزءٌ من سِتَّة وأرْبَعين جزءًا من النُّبُوَّة**»، رَواهُ الإمام أحمد وابنُ أبي شيبة والتِّرْمِذي وابن ماجه وابن حبان والحاكم(١). وقال التِّرْمِذي: هذا حديث حسن صَحِيح، وصحَّحه الحاكمُ والذَّهبي. وفي رواية لأحمد والتِّرْمِذي وابن حبان: «**رُؤْيَا المُؤْمن جزءٌ من أَربعين جزءًا من النُّبُوَّة**»(٢). وفي رواية لأحمد: «**الرُّؤْيَا الصَّالِحَة جزء من أَربعين جزءًا من النُّبُوَّة**»(٣). وفي رواية لابن حبان: «**الرُّؤْيَا جزء من سَبعين جزءًا من النُّبُوَّة**»(٤).

الحَدِيث الثاني والثلاثون: عن عوف بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**رُؤْيَا المُؤْمن جزءٌ من ستة وأربعين جزءًا من النُّبُوَّة**»، رَواهُ البزار(٥).

الحَدِيث الثالث والثلاثون: عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنه سمع رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**رُؤْيَا الرَّجُل المُؤْمن جزءٌ من النُّبُوَّة**»، رَواهُ الإمام أحمد(٦). قال الهيثمي: وفيه ابن لهيعة وحديثه حسَن وفيه ضعف.

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ١٠) (١٦٢٢٧)، وابن أبي شيبة (٦/ ١٧٣) (٣٠٤٤٩)، والترمذي (٢٢٧٩)، وابن ماجه (٣٩١٤)، وابن حبان (١٣/ ٤١٥) (٦٠٥٠)، والحاكم (٤/ ٣٩٠)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٥٣٠).

(٢) أخرجه أحمد (٤/ ١١) (١٦٢٣٦)، والترمذي (٢٢٧٨)، وابن حبان (١٣/ ٤١٣) (٦٠٤٩) من حديث أبي رزين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٤٥٦).

(٣) أخرجه أحمد (٤/ ١٠) (١٦٢٢٨).

(٤) أخرجه ابن حبان (١٣/ ٤٢٠) (٦٠٥٥).

(٥) أخرجه البزار «المسند» (٧/ ١٧٧) (٢٧٤٣).

(٦) أخرجه أحمد (٣/ ٣٤٢) (١٤٧٢٢)، وقال الأرنؤوط: صحيح لغيره.

فصل

في ذكر الآثار عن الصَّحابة والتَّابعين في تعظيم شأن الرُّؤيا الصَّالحة

وقد جاءت عنهم في ذلك آثارٌ كثيرة. منها: ما رَواهُ ابن جَرير عن ابن مَسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: «**ذَهبَت النُّبُوَّة وبقِيَت المُبَشِّرَات**»، قيل: وما المُبَشِّرَات؟ قال: «**الرُّؤْيَا الصَّالِحَة يَراها الرَّجل أو تُرى له**»(١).

ومنها: ما رَواهُ ابنُ جَرير أيضًا، عن ابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في قولِه: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [يونس: ٦٤] قال: «هي الرُّؤْيَا الحسَنة يَراها المُؤْمن أو تُرى له»(٢).

---

(١) أخرجه ابن جرير (١٢/ ٢٢٣)، من طريق هشيم، عن العوام، عن إبراهيم التيمي، أن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال... فذكره، وإسناده ضعيف، هشيم هو ابن بشير مدلس ولم يصرح بالتحديث، والتيمي لم يدرك ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه ابن جرير (١٢/ ٢٢٣)، قال: ثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ به. وإسناده ضعيف، فيه عبد الله وهو ابن صالح كاتب الليث، فيه مقال مشهور، وهو أقرب للضعف، وعلي هو ابن أبي طلحة متكلم فيه، ولم يسمع التفسير من ابن عباس. «جامع التحصيل» (٥٤٢).

وأخرجه ابن جرير أيضًا (١٢/ ٢٢٢)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٦/ ١٧٤) (٣٠٤٦٤) من طريق طلحة القناد، عن جعفر بن أبي المغيرة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس؛ به، وطلحة القناد متكلم فيه، وقد اختلف في اسمه، فقيل: هو ابن عمرو القناد، وقيل: ابن عبد الرحمن، وقيل: ابن يزيد. انظر: «التهذيب» (٥/ ٢٤)، و«اللسان» (٤/ ٣٥٦) (٤٠١٣)، و(٤/ ٣٥٦) (٤٠٠٦)، وانظر أيضًا: «العلل ومعرفة الرجال» (٢/ ٥٢٩) (٣٤٩١)، وفي إسناده أيضًا =

وفي رواية قال: «هي الرُّؤْيَا الحَسَنَة يَراها العبدُ المُسلم لنَفسه أو لبَعض إخوانه»، ورواه ابن أبي شَيبة بنحو هذه الرواية.

ومنها: ما رَواهُ ابن جرير أيضًا، عن أبي هُرَيرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: «الرُّؤْيَا الحَسَنَة بُشرىٰ من اللهِ، وهي المُبَشِّرَات»(١)، ورواه ابنُ أبي شَيبة، ولفظه قال: «الرُّؤْيَا من المُبَشِّرَات، وهي جُزء من سَبعين جزءًا من النُّبُوَّة»(٢).

ومنها: ما رَواهُ ابن جرير أيضًا، عن نافع بن جُبير، عن رجل من أصحاب النَّبِي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في قوله: ﴿ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ قال: «هي الرُّؤْيَا الحَسَنَة يَراها الإنسانُ أو تُرَىٰ له»(٣).

ومنها: ما رَواهُ عبد الرَّزاق وابنُ أبي شيبةَ، عن ابنِ مَسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، أنه قال: «الرُّؤْيَا الصَّالِحَة الصَّادقة جزءٌ من سَبعين جزءًا من النُّبُوَّة» هذا لفظُ ابن أبي شيبة(٤)، ولفظ عبد الرزاق: «رُؤْيَا المُؤْمن جزء من سَبعين جزءًا من النُّبُوَّة»(٥).

=

جعفر بن أبي المغيرة، قال ابن مندة: «ليس بالقوي في سعيد بن جبير» وقال الحافظ في «التقريب»: «صدوق يهم».

(١) «تفسير ابن جرير» (١٢/ ٢١٧).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (٦/ ١٧٣) (٣٠٤٦١) وإسناده جيد.

(٣) أخرجه ابن جرير (١٢/ ٢٢٢)، وإسناده ضعيف، فيه حسين المعروف بسنيد وهو ابن داود المصيصي، ضعف. قاله في «التقريب»، وفيه أيضًا عنعنة ابن جريج.

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة (٦/ ١٧٤) (٣٠٤٥٩).

(٥) أخرجه عبد الرزاق في «المصنف» (١١/ ٢١٣) (٢٠٣٥٧)، وإسناده ضعيف، فيه رواية معمر عن أبي إسحاق السبيعي، ورواية معمر عن العراقيين ضعيفة، والسبيعي كوفي.

ومنها: ما رَواهُ ابن أبي شيبة عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: «رُؤْيَا المُسْلم جزءٌ من ستَّة وأربعين جزءًا من النُّبُوَّة»(١).

ومنها: ما رَواهُ مالك في «المُوطَّأ» عن هشام بن عروة، عن أبيه، أنه كان يقول في هذه الآية: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْأَخِرَةِ﴾ قال: «هي الرُّؤْيَا الصَّالِحَة يَراها الرَّجُل الصَّالحُ أو تُرىٰ له»(٢)، ورواه ابن أبي شيبة وابن جرير بنحوه(٣).

ومنها: ما رَواهُ ابن أبي شَيبة عن مُجاهد: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ قال: «هي الرُّؤْيَا الصَّالِحَة يَراها المُسْلم أو تُرىٰ له»(٤)، ورواه ابن جرير بنحوه(٥).

ومنها: ما رَواهُ ابن جَرير، عن عطاءٍ في قوله: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ قال: «هي رُؤْيَا الرَّجُل المُسْلم يُبشَّر بها في حياتِه»(٦).

ومنها: ما رَواهُ ابنُ جَرير أيضًا، عن إبراهيم قال: كانُوا يَقولون: «الرُّؤْيَا من المُبَشِّرَات»(٧).

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (٦/ ١٧٤) (٣٠٤٦٠).

(٢) أخرجه مالك في «الموطأ» كتاب الرؤيا- باب ما جاء في الرؤيا – ح (٥).

(٣) رواه ابن أبي شيبة (٦/ ١٧٤) (٣٠٤٦٢)، وابن جرير (١٢/ ٢٢٢).

(٤) رواه ابن أبي شيبة (٦/ ١٧٤) (٣٠٤٦٣).

(٥) رواه ابن جرير (١٢/ ٢٢٢) وفيه ليث بن أبي سليم. قال في «التقريب»: «صدوق اختلط جدًّا ولم يتميز حديثه فترك».

(٦) رواه ابن جرير (١٢/ ٢٢٢).

(٧) رواه ابن جرير (١٢/ ٢٢٣).

ومنها: ما رَواهُ ابنُ جَرير أيضًا، عن يَحيىٰ بن أبي كَثير في قَولِه: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ قال: «هي الرُّؤْيَا الصَّالِحَة يراها المُسْلم أو تُرىٰ له»(١).

وهذه الآثار لها حُكم الرَّفع، وقد تقدَّمت بألفاظها في الأحَادِيث المَرفوعة.

فصل
في ذكر فوائد الأحَادِيث الَّتي تقدم ذكرها

وقد اشتملت الأحَادِيث الَّتي تقدَّم ذكرُها علىٰ فوائد كثيرة وأمور مهمة من آداب الرُّؤْيَا، وما يتعلَّق بها من الأحكام.

الأولىٰ: تعظيمُ شَأن الرُّؤْيَا الصَّالِحَة يَراها المُسْلم أو تُرىٰ له، وبيان أنها من المُبَشِّرَات الَّتي يُبشَّر بها المُؤْمن في حياته، كما أخبر الله بذلك في قوله: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْأَخِرَةِ﴾. قال ابنُ العربي المالكي: «معنىٰ صَلاحها استقامتها وانتظامها»(٢). انتهىٰ.

الثانية: أن الرُّؤْيَا الصَّالِحَة جزء من أجزاء النُّبُوَّة، وقد اختلفت الروايات في تحديد هذا الجزء كما تقدم، وكثُرت أقوالُ العلماء في توجيه الروايات بما لا طائلَ تحتَه ولا فائدةَ في ذِكْره.

وقد قال ابنُ العَربي المالكي في «عارِضَة الأحْوَذي»(٣): «القَدر الَّذي أراده

---

(١) رواه ابن جرير (١٢/ ٢٢٢).

(٢) «عارضة الأحوذي» (٩/ ١٢٧).

(٣) (٩/ ١٢٦ - ١٢٧).

النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يُبيِّن أن الرُّؤيَا جزء من النُّبُوَّة في الجُملة لنا لأنه اطِّلاع على الغيب، وذلك قوله: «**لم يَبقَ بَعدي من النُّبُوَّة إلا المُبَشِّرَات**»، وتفصيلُ النِّسبة تَختَصُّ به دَرَجة النُّبُوَّة.

وقال أيضًا: وأنَا مُوعز إليكم أن لا تَتعرَّضوا لأعداد الشَّريعة، فإنها مُمتنعة عن إدراكها في متعلقَاتِها» انتهىٰ.

وقال الخطَّابي في الكلام علىٰ قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**رُؤْيَا المُؤْمن جزءٌ مِن سِتَّة وأرْبَعين جزءًا من النُّبُوَّة**»(١): «معنىٰ هذا الكلام تَحقيق أمر الرُّؤيَا وتأكيده. ونَقل العيني في «عمدة القاري»(٢) عن الزَّجَّاج أنه قال: تَأْويل قوله: «جُزء من ستَّة وأربعين جزءًا من النُّبُوَّة أن الأنبياءَ عليهم السلام يُخبِرون بما سيَكون، والرُّؤيَا تدل علىٰ ما يكون» انتهىٰ.

وذكَر الخطَّابي عن بعض العُلماء أنه قال: «معناه أن الرُّؤيَا تَجيء علىٰ موافقة النُّبُوَّة، لا أنها جزءٌ باق من النُّبُوَّة. وقال آخر: معناه أنها جزءٌ من أجزاء علم النُّبُوَّة باقٍ، والنُّبُوَّة غيرُ بَاقية بعد رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو معنىٰ قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ذهَبَت النُّبُوَّة وبَقِيت المُبَشِّرَات: الرُّؤيَا الصَّالِحَة يَراها المُسْلم أو تُرىٰ له**»...»(٣). انتهىٰ.

الثَّالثة: أن الرُّؤيَا من الله، والحُلْم من الشَّيْطَان. قال ابنُ الأَثير في «النِّهاية في

---

(١) «معالم السنن» (٤/ ١٣٨).

(٢) (٢٤/ ١٣١).

(٣) «معالم السنن» (٤/ ١٣٩).

غريب الحَدِيث»(١): «الرُّؤْيَا والحُلْم عبارة عمَّا يَراه النائم في نومه من الأشياء، لكن غَلبت الرُّؤْيَا علىٰ ما يَراه من الخير والشَّيء الحسَن، وغلَب الحُلْم علىٰ ما يراه من الشَّرِّ والقَبيح. ومنه «أضغاث أحلام» ويُستعمل كل منهما مَوضع الآخر، وتُضم لام الحُلم وتُسكَّن. ومنه الحَدِيث: «**من تَحلَّم كُلِّف أن يَعقِدَ بَين شعيرَتَين**»(٢) أي قال: إنَّه رأىٰ في النَّوم ما لم يَره. يُقال: حَلَم بالفَتح إذا رأىٰ، وتَحَلَّم إذا ادعىٰ الرُّؤْيَا كاذبًا» انتهىٰ.

وقال الجَوهري: «الحُلْم بالضم: ما يَراه النائمُ، تقول منه: حَلَم بالفَتح، واحتَلم، والحِلْم بالكسر: الأناة، تقول منه: حَلُم الرَّجل بالضم، وتَحَلَّم تكلَّف الحِلْم، وتَحالَم: أَرىٰ مِن نفسه ذلك وليس به»(٣). انتهىٰ.

وقال النَّووي: «أما الحُلْم فبضم الحاء وإسكان اللام، والفعل منه حَلَم بفتح اللام»(٤). انتهىٰ.

الرَّابعة: أنه إذا اقْتَرب الزَّمانُ لم تَكَدْ رُؤْيَا المُؤْمن تَكذِب. وقد ذكر الخطَّابي وغيره من العلماء في معنىٰ اقترابِ الزَّمان قولَين:

أحدُهما: أنه قُرْب زمان السَّاعة ودُنُوُّ وقْتِها.

---

(١) (١/ ٤٣٤).

(٢) أخرجه بهذا اللفظ البيهقي في «الشعب» (٦/ ٤٢٨) (٤٤٣٩)، وتتمته: «**وليس بعَاقِدٍ**»، وأخرجه أحمد (١/ ٣٥٩) (٣٣٨٣)، والبخاري (٧٠٤٢) وغيرهما بنحوه من حديث ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا.

(٣) «الصحاح» (٥/ ١٩٠٣).

(٤) «المنهاج» (١٥/ ١٦).

والثَّاني: أن مَعنىٰ اقْتَراب الزَّمان اعتدالُه واستِواء اللَّيل والنهار.

قال الخطَّابي والمُعبِّرون: يزعُمون أن أصدق الرُّؤْيَا ما كان في أيَّام الرَّبيع ووقت اعتدال اللَّيل والنَّهار.

قلتُ: والقَول الأول هو الصَّحِيح، وقد جاء النَّصُّ علىٰ ذلك في رواية أيوب السَّخْتياني، عن ابن سِيرين، عن أبي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**في آخِر الزَّمَان لا تَكاد رُؤْيَا المُؤْمن تَكْذِب**»، وهو حديث صَحِيح، وقد تقدَّم ذِكْرُه في الحَدِيث الثَّالث عشر.

وأما القَول الثاني فباطلٌ مَردود؛ لأنه لا قول لأحد مع قول رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقد قال ابنُ العربي المالكي في «عارضة الأحوذي»(١): «قوله: «اقترب الزمان» هو افتَعل من القُرْب، واختُلف في معناه، فقيل: أراد به اقتربَ من الاعتدال، والثاني إذا اقتربَ من الانتهاء بإقبال السَّاعة. فأما الأوَّل فلا يصح من وجهين:

أحدهما: أن اعتدالَ الليل والنهار ليس له في ذلك أثر ولا يتعلق به معنىٰ، إلا ما قالته الفلاسفة من أن اعتدال الزمان تعتدل به الأخلاط. وهذا مبني علىٰ تعليقها بالطَّبائع، وهو باطل.

الثاني: أنه يُعارضه أن الزمان يعتدل إذا شارَفت الشَّمسُ الميزانَ، وهو مُعارِض لصِناعتهم؛ لأن في ذلك الزمان وإن كان في مقابلة مُشارفة الحَمل تَسقط الأوراق ويَسقط الماء عن الثِّمار عكس المقارن الأول. والرُّؤْيَا عندهم فيه قاصِرة، وقد اغترَّ بعضُ النَّاس بهذا التَّأويل فقال به، والأصحُّ أنه اقتِراب يَوم القيامة، فإنها الحاقَّة الَّتي

---

(١) (٩/ ١٢٤).

تَحقُّ فيها الحقائق، فكلَّما قَرُب منها فهو أخَصُّ بها» انتهىٰ.

ونقل ابنُ حجر في «فتح الباري»[١] عن ابن أبي جَمرة أنه قال: «مَعنىٰ كون رُؤْيَا المُؤْمن في آخر الزمان لا تكاد تكذِبُ أنها تقعُ غالبًا علىٰ الوجه الَّذي لا يَحتاج إلىٰ تعبير، فلا يدخلها الكذب. قال: والحكمةُ في اختصاص ذلك بآخر الزَّمان أن المُؤْمن في ذلك الوَقت يكون غريبًا، فيَقِلُّ أَنيسُ المُؤْمن ومُعِينُه في ذلك الوَقت، فيُكرم بالرُّؤْيَا الصَّادقة» انتهىٰ.

الخامسة: أن أصدق المُؤْمنين حديثًا أصدَقُهم رُؤْيَا.

قال النووي: «ظاهره أنه علىٰ إطلاقه، لأن غير الصَّادق في حديثه يتطرَّق الخَللُ إلىٰ رُؤْيَاه وحكايتِه إيَّاها. وقال القاضي أبو بكر بن العربي المالكي قوله: «أصدقهم رُؤْيَا أصدقهم حديثًا» وذلك لأن الأمثالَ إنما تُضرب له علىٰ مقتضىٰ أحواله من تخليطٍ وتحقيق، وكذِبٍ وصِدق، وهَزل وجدٍّ، ومَعصية وطاعة. قال ابن سيرين: ما احتَلمت في حَرام قط، فقال بعضهم: ليتَ عَقل ابن سيرين في المَنام يكون لي في اليَقظة»[٢]. انتهىٰ.

ونقل الحافظ ابن حَجر في «فتح الباري»[٣] عن المُهلَّب، أنه قال: «النَّاس عَلىٰ ثلاث دَرجات: الأنبياء ورُؤْيَاهم كلها صِدق، وقد يَقع فيها ما يَحتاج إلىٰ تَعبير، والصَّالحون والأغلبُ علىٰ رُؤْيَاهم الصِّدق، وقد يَقع فيها ما لا يحتاج إلىٰ تعبير،

---

(١) (١٢/ ٤٠٦).

(٢) «عارضة الأحوذي» (٩/ ١٢٥).

(٣) (١٢/ ٣٦٢).

ومَن عَداهم يقع في رُؤْيَاهم الصِّدق، والأَضْغاث وهم علىٰ ثَلاثة أقسَام: مَستورون فالغَالب استواء الحال في حقِّهم، وفَسقَة والغالب علىٰ رُؤْيَاهم الأضْغاث ويَقلُّ فيها الصِّدق، وكُفَّار ويَندُر في رُؤْيَاهم الصِّدق جدًّا، ويُشير إلىٰ ذلك قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وأَصدقهم رُؤْيَا أصدقُهم حديثًا**»، وقد وقعت الرُّؤْيَا الصادقةُ من بعض الكُفَّار، كما في رُؤْيَا صَاحبي السِّجن مع يُوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ورُؤْيَا مَلِكِهما، وغير ذلك» انتهىٰ.

وقال القُرطبي: «المُسْلم الصَّادق الصَّالحُ هو الَّذي يُناسب حاله حال الأنبياء، فأكرم بنوع مما أكرم به الأنبياء، وهو الاطلاع علىٰ الغيب، وأما الكافر والفاسق والمُخلِّط فلا، ولو صدقت رُؤْيَاهم أحيانًا فذلك كما قد يصدق الكذوب، وليس كل من حدَّث عن غيب يكون خبره من أجزاء النُّبُوَّة، كالكاهن والمُنجِّم»(١). انتهىٰ.

وقال ابن حجر: «إن الرُّؤْيَا الصَّحِيحة وإن اختصت غالبًا بأهل الصَّلاح فقد تقع لغيرهم»(٢). انتهىٰ.

السادسة: تقسيم الرُّؤْيَا إلىٰ ثلاث:

الأولىٰ: رُؤْيَا حقٌّ، وهي الرُّؤْيَا الصَّالِحَة الَّتي هي بُشرىٰ من الله لمن رآها أو رُؤيت له.

الثانية: رُؤْيَا مما يُحدِّث به الرَّجُلُ نفسَه.

الثالثة: رُؤْيَا أهاويل من الشَّيْطَان ليحزن بها ابنَ آدم.

---

(١) انظر المصدر السابق.

(٢) «فتح الباري» (١٢/ ٣٨١).

قال القاضي أبو بكر بن العربي المالكي: «أما تقسيم الرُّؤْيَا علىٰ ثلاثة أقسام فهي قسمة صَحِيحة مستوفية للمعاني، وهي عند الفلاسفة علىٰ أربعة أقسام بحسب الطبائع الأربع، وقد بيَّنا في كل كتاب، ونادينا علىٰ كل باب، وصرخنا علىٰ الوهاد والأنقاب بأنه لا تأثير للأخلاط ولا فعل، وإنما الصَّحِيح ما قاله النَّبِي صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وهي الرُّؤْيَا البشرىٰ، إما بمحبوب، وإما بمكروه، وإما تحزين من الشَّيْطَان، يضرب به الأمثال المكروهة الكاذبة ليحزنه، وإما خطرات الوساوس وحديث النفوس فتجري علىٰ غير قصد ولا عقد في المنام جريانها في اليقظة»(١). انتهىٰ.

السابعة: الإخبار عن الرُّؤْيَا الَّتي تُعجِب مَن رآها بأنها بُشرىٰ من الله.

الثامنة: أنه ينبغي للمُؤْمن أن يستبشر بالرُّؤْيَا الحَسَنَة؛ لقوله في بعض الروايات، عن أبي قتادة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «**فإن رأىٰ رُؤْيَا حَسَنَة فليبشر**»(٢). قال الإمام أحمد: الرُّؤْيَا تسرُّ المُؤْمنَ ولا تَغرُّه.

التاسعة: الأمر لمن رأىٰ رُؤْيَا يُحبُّها أن يَحمدَ اللهَ عليها ويُحدِّثَ بها.

العاشرة: نَهْي مَن رأىٰ رُؤْيَا حَسَنَة أن يُخبِرَ بها إلا مَن يُحبُّ. وهذا مما يَتساهل فيه كثيرٌ من المَنسوبين إلىٰ العِلم فضلًا عن العامَّة، فتَجد كثيرًا منهم يخبر بالرُّؤْيَا الحَسَنَة مَن يُحبُّ ومَن لا يُحِبُّ.

الحادية عشرة: نَهْيُ مَن رأىٰ رُؤْيَا يَكرَهُها أن يُحدِّثَ بها أحدًا. وهذا أيضًا مما يتساهل فيه كثيرٌ من النَّاس.

---

(١) «عارضة الأحوذي» (٩/ ١٢٧).

(٢) تقدم.

الثانية عشرة: الأمرُ لمَن رأىٰ رُؤْيَا يكرهُها أن يَبصُقَ عن يَساره ثلاثًا إذا استيقظَ، وأن يَستعيذَ بالله من الشَّيْطَان ثلاثًا، وأن يَتحوَّلَ عن جَنْبه الَّذي كان عليه.

الثالثة عشرة: أمْرُه أيضًا أن يَستعيذَ مِن شَرِّ رُؤْيَاه.

الرَّابعة عشرة: الإخبارُ بأن مَن فَعل ما أُمر به إذا رأىٰ الرُّؤْيَا المَكرُوهَةَ واجْتنبَ ما نُهي عنه من التَّحديث بها فإنَّها لا تَضُرُّه. وقد قال ابنُ سِيرين: اتَّقِ اللهَ في اليَقظة، ولا تُبال ما رأيتَ في النَّوم.

الخامسة عشرة: أَمْرُ مَن رأىٰ رُؤْيَا يَكرهُها أن يقومَ فيُصلي.

قال ابنُ العَربي المالكي: «لأنَّ التَّحرُّم بها عِصمَة مِن الأسواء، ونَهْيٌ عن المُنكر والفَحشاء»[١]. انتهىٰ.

السادسة عشرة: أن رُؤيةَ القَيْد في المَنام حسَنٌ مَحمودٌ، وقد تقدَّم النَّصُّ علىٰ أن القيدَ ثباتٌ في الدِّين. قال أبو بكر ابنُ العَربي المَالكي: «إنما جُعل القيدُ ثباتًا في الدِّين لأنَّ المُقيَّد لا يستطيعُ المَشيَ، وقد ضَربه النَّبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ مثلًا للإيمان الَّذي يَمنع عن المَشي إلىٰ الباطل، فجَعله ثباتًا في الدِّين كذلك»[٢]. انتهىٰ.

السابعة عشرة: أن رُؤية الغُلِّ في المنام مكروهٌ؛ لأنه من صِفات أهل النَّار. والغُلُّ بضم المُعجمة وتشديد اللام: واحدُ الأغْلال. قال الفَيومي في «المِصباح المُنير»[٣]: «الغُلُّ بالضَّمِّ: طَوقٌ من حَديد يُجعل في العُنق، والجَمع أغلال، مثل قُفل

---

(١) «عارضة الأحوذي» (٩/ ١٢٩).

(٢) المصدر السابق.

(٣) (٢/ ٤٥١).

وأقفال. وقال ابنُ مَنظور في «لسان العرب»[1]: الغُلُّ جَامِعة تُوضع في العنق أو اليد، والجمع أَغْلال، ويقال: في رَقبته غُلٌّ من حَديد. وقوله تَعالَىٰ وتقدَّس: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِيٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا﴾ [يس: ٨] هي الجَوامع تَجمع أيديهم إلىٰ أعناقهم، وقولُهم في المَرأة السَّيِّئة الخُلُق: «غُلٌّ قَمِلٌ» أصْلُه أن العربَ كانوا إذا أَسروا أسيرًا غلُّوه بغُلٍّ من قِدٍّ وعَليه شَعر، فرُبَّما قَمل في عُنقه إذا قَبَّ ويَبسَ، فتَجتمع عليه مِحنتان: الغُلُّ والقَمِلُ. ضَربه مثلًا للمَرأة السَّيِّئة الخُلق الكثيرة المَهرِ لا يَجِد بَعلُها منها مخلصًا، والعَرب تُكني عن المَرأة بالغُلِّ. وفي الحَدِيث: «وإن مِن النِّساء غُلًّا قَمِلًا يَقذفه الله في عُنق من يشاء، ثم لا يُخرِجه إلَّا هو»[2] ...» انتهىٰ.

قال المُهلَّب: «الغُلُّ يُعبَّر بالمَكروه؛ لأن اللهَ أخبر في كتابه أنه من صفات أهل النَّار، بقوله تَعالَىٰ: ﴿إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِيٓ أَعْنَٰقِهِمْ﴾ [غافر: ٧١] الآية. وقد يدلُّ علىٰ الكُفر، وقد يُعبَّر بامرأة تُؤذي»[3]. انتهىٰ.

وقال ابنُ العربي المالكي: «قوله: «وأُحبُّ القَيد وأَكرَه الغُلَّ» أما حُبُّه القَيدَ

---

(١) (١١/ ٥٠٤)، وانظر «تفسير القرطبي» (١٤/ ٣٠٤).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (٣/ ٥٥٩) (١٧١٤٧)، من طريق شيبان بن عبد الرحمن، وأخرجه ابن شبة في «تاريخ المدينة» (٢/ ٧٧١)، من طريق الثوري، كما أخرجه البيهقي في «الشعب» (١١/ ١٦٧) (٨٣٥١) من طريق أبي عوانة اليشكري؛ ثلاثتهم عن عبد الملك بن عمير، عن زيد بن عقبة، عن سمرة بن جندب، عن عمر بن الخطاب... قوله، وأخرجه ابن أبي الدنيا في «الإشراف في منازل الأشراف» (٢٦٧) وغيره، من طريق عبيد الله بن عمرو، عن عبد الملك بن عمير، عن زيد بن عقبة قال: قال عمر بن الخطاب... قوله، لا يذكرون فيه سمرة، والمتصل أصح، انظر: «علل الدارقطني» (١٦١).

(٣) انظر «الفتح» (١٢/ ٤٠٧).

فلِذِكْر النَّبِي صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ له في قِسم المَحمود، فقال: «قَيَّد الإيمان الفَتْك»[١]، وأما الغُلُّ فذِكْره شَرعًا في المَذموم، كقوله: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ﴾ [الحاقة: ٣٠]، ﴿إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ﴾ [الإسراء: ٢٩]، ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾ [الإسراء: ٢٩] و﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾ [المائدة: ٦٤]»[٢]. انتهىٰ.

وقال النَّووي: قال العُلماء: إنما أَحبَّ القَيدَ لأنه في الرِّجْلَين، وهو كفٌّ عن المعاصي والشُّرور وأنواع الباطل. وأما الغُلُّ فمَوضِعُه العُنُق، وهو صِفة أهل النار. وأما أهل التَّعبير فقالوا: إن القيدَ ثباتٌ في الأمر الَّذي يَراه الرَّائي بحسَب مَن يُرىٰ له ذلك. وقالوا: إذا انضمَّ الغُلُّ إلىٰ القَيد دلَّ علىٰ زيادةِ المَكروه، وإذا جُعل الغلُّ في اليَدَيْن حُمِد، لأَنَّه كفٌّ لهما عن الشَّرِّ. وقد يدلُّ علىٰ البُخل بحسَب الحال، وقالوا أيضًا: إن رأىٰ أن يَديْه مغلولتان فهو بَخيل. وإن رأىٰ أنه قُيِّد وغلَّ فإنه يقع في سجن وشدَّة[٣].

قال الحافظ ابنُ حجر في «فتح الباري»[٤] بعد ذكره لكَلام النَّووي: قلتُ: وقد يكون الغُلُّ في بعض المَرائي محمودًا، كما وقع لأبي بكر الصِّدِّيق رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، فأخرج

---

(١) أخرجه بهذا اللفظ البزار (١٧/ ١٢٩) (٩٧١٣) من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، كما أخرجه أيضًا أبو داود (٢٧٦٩) وغيره بنحوه، وأخرجه عبد الرزاق (٥/ ٢٩٨) (٩٦٧٦) بهذه السياقة من حديث الزبير رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وبنحوه أخرجه أحمد (١/ ١٦٦) (١٤٢٦) وغيره، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٨٠٠).

(٢) «عارضة الأحوذي» (٩/ ١٢٩).

(٣) انظر: «فتح الباري» لابن حجر (١٢/ ٤٠٨).

(٤) (١٢/ ٤٠٨).

أبو بكر بن أبي شَيبة بسند صَحِيح، عن مَسروق قال: «مَرَّ صُهيبٌ بأبي بكر فأعْرض عنه، فسأله فقال: رأيتُ يَدَكَ مَغلولة علىٰ باب أبي الحَشر؛ رَجُل من الأنصار، فقال أبو بكر: جُمع لي ديني إلىٰ يوم الحَشر».

الثامنة عشرة: الأمرُ بأن لا تُقصَّ الرُّؤْيَا إلا علىٰ عالِم أو ناصِح.

وسيأتي ذكرُ الأحَادِيث الواردة في هذا، وكلام العلماء فيما يتعلَّق بهذه الفائدة في فصْلٍ مُستقِلٍّ إن شاء الله تَعالَىٰ.

فصل

في النَّهي عن الإخبار بما يَراه في نومه من المَكروه وتلعُّبِ الشَّيطَان به

فأما النَّهي عن الإخبار بالرُّؤْيَا المَكروهة فقد تقدَّم في خمسة أحَادِيث عن النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

أوَّلُها: الحَدِيث الحادي عشر: عن عبد الله بن عَمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وثانيها: الحَدِيث الثالث عشر: عن أبي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقد جاء ذلك فيه من عدَّة طُرُق.

وثالثها: الحَدِيث الخامس عشر: عن أبي قَتادةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقد جاء ذلك فيه من عدة طُرق.

ورابعها: الحَدِيث السادس عشر: عن أبي سعيد الخُدْري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وخامسها: الحَدِيث الثامن عشر: عن ابنِ عُمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وأما النَّهي عن إخبار الرَّجُل بتَلعُّبِ الشَّيْطَان به في النوم، فقد جاء فيه حديثان صَحِيحان:

أحدهما: عن أبي الزُّبير، عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إذا حَلَم أحدُكم فلا يُخبِر أحدًا بتلعُّبِ الشَّيْطَان به في المَنام**»، رَواهُ الإمام أحمدُ ومُسْلم وابنُ ماجه، وهذا لفظ مُسْلم[1]. وفي رواية لمُسْلم وابن حِبَّان، عن أبي الزُّبير، عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال لأعرابيٍّ جاءه فقال: إنِّي حَلمتُ أن رأسي قُطع فأنا أَتبعه، فزَجره النَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقال: «**لا تُخبِر بتلعُّب الشَّيْطَان بك في المَنام**»[2]، وقد رَواهُ ابنُ أبي شَيبةَ مُختصرًا، ولفظه: جاء رجلٌ إلى النَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: إنِّي رأيتُ كأن عُنقي ضُربت، قال: «**لِمَ يُخبِرُ أحدُكم بلَعِب الشَّيْطَان به؟!**»[3].

ورواه الإمام أحمدُ ومُسْلم أيضًا من حديث أبي سفيان -واسمه طلحة بن نافع- عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: أتىٰ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رجلٌ فقال: يا رَسُول اللهِ، رأيتُ البارحةَ فيما يَرىٰ النائمُ كأنَّ عُنقي ضُربت فسَقط رأسي فاتَّبعتُه فأخذتُه فأعدتُه مكانَه، فقال رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إذا لَعِب الشَّيْطَان بأحَدِكم فلا يُحدِّثنَّ به النَّاسَ**»[4] هذا لفظ أحمد، ورواه ابنُ ماجه بنحوه. وفي رواية مُسْلم: قال: جاء رجلٌ

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٣٥٠) (١٤٨٢١)، ومسلم (٢٢٦٨)، وابن ماجه (٣٩١٢).

(٢) أخرجه مسلم (٢٢٦٨)، وابن حبان (١٣/ ٤٢٠) (٦٠٥٦).

(٣) (٦/ ١٧٥) (٣٠٤٧٣).

(٤) أخرجه أحمد (٣/ ٣١٥) (١٤٤٢٣)، ومسلم (٢٢٦٨)، وابن ماجه (٣٩١٢).

إلىٰ النَّبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فقال: يا رَسُول اللهِ، رأيتُ في المَنام كأنَّ رأسي قُطع، قال: فضَحك النَّبِيُّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وقال: «**إذا لَعِب الشَّيْطَان بأحَدِكم في مَنامه فلا يُحدِّث به النَّاس**»(١) ورواه ابنُ أبي شيبة بنحوه.

وفي رواية لمُسْلم: قال: جاء أعرابيٌّ إلىٰ النَّبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فقال: يا رَسُول اللهِ، رأيتُ في المَنام كأن رأسي ضُرب فتَدحْرَج فاشْتَدَدْتُ علىٰ أثره، فقال رَسُول اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ للأعرابي: «**لا تُحدِّث النَّاسَ بتلعُّبِ الشَّيْطَان بك في مَنامك**»، وقال -أي: جابر-: سمعتُ النَّبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يَخطب فقال: «**لا يُحدِّثَنَّ أحَدُكم بتَلعُّبِ الشَّيْطَان به في مَنامِه**»(٢).

الحَدِيث الثاني: عن أبي هُرَيرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: جاء رجلٌ إلىٰ رَسُول اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فقال: إنِّي رأيتُ رأسِي ضُرب فرأيتُه يَتدَهْدَه، فتبسَّم رَسُول اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ثم قال: «**يَطرق أحدَكم الشَّيْطَانُ فيَتهوَّل له ثمَّ يَغدو يُخبر النَّاسَ**»، رَواهُ الإمام أحمدُ وابن أبي شيبة وابنُ ماجه(٣)، وأسانيدهم صَحِيحة علىٰ شرط

وقد جاء أيضًا حديثان في ضَحِك النَّبِي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ من قول الرَّجل الَّذي أخبره أنه رأىٰ في منامه أن رأسَه قد قُطع فذهب يتبعه، ولكن ليس في الحَدِيثين نهي عن تحديث الرَّجل بتلعب الشَّيْطَان به في المنام، فلذلك لم أذكرْهُما ههنا. وسيأتي ذِكرهما في الفَصْل الَّذي تُذكر فيه الأشياء الَّتي يُستدل بها علىٰ التَّأويل إن شاء الله تَعالَىٰ.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٢٦٨)، وابن ابي شيبة (٦/ ١٧٥) (٣٠٤٧٣).

(٢) أخرجه مسلم (٢٢٦٨).

(٣) أخرجه أحمد (٢/ ٣٦٤) (٨٧٤٨)، وابن أبي شيبة (٦/ ١٧٥) (٣٠٤٧٤)، وابن ماجه (٣٩١٢)، والنسائي في «الكبرىٰ» (٩/ ٣٣٥) (١٠٦٨٣)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٢٤٥٣).

فصل

فيما يقوله مَن رأى في منامه ما يَكرهه

عن إبراهيم النَّخَعي أنه قال: «إذا رأىٰ أحدُكم رُؤْيَا يكرَهُها فليقُلْ: أعوذُ بما عاذَت به ملائكةُ الله ورسلُه من شَرِّ رُؤْيَاي الَّتي رأيتُ اللَّيلةَ، أنْ تَضُرَّني في دِيني ودُنياي يا رَحْمن»، رَواهُ عبد الرَّزاق وابنُ أبي شيبة[(١)]، وإسْنَادُ كلٍّ منهما صَحِيح. وقد تقدَّم في الفَصل الأول عدَّة أحَادِيث أمَر فيها رَسُولُ اللهِ ﷺ بالاستعاذة من شَرِّ الرُّؤْيَا المَكروهة، ومن شَرِّ الشَّيْطَان، وأخبر أن مَن فعل هذا فإن الرُّؤْيَا لا تَضرُّه.

فصل

فيما يقوله من يُروَّع في منامه أو يَجد وَحشةً

روىٰ مالك في «الموطأ»[(٢)] عن يحيىٰ بن سَعيد قال: بَلغني أن خالد بن الوليد قال لرَسُول اللهِ ﷺ: إني أُروَّع في منامي، فقال له رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**قُل: أعوذُ بكَلمات الله التَّامَّة مِن غَضَبه وعِقابِه وشرِّ عِباده، ومِن هَمَزات الشَّياطين وأن يَحضُرُون**»، وروىٰ الإمامُ أحمد بإسْنَاد صَحِيح، عن الوليد بن الوَليد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه قال: يا رَسُول اللهِ، إني أَجِد وَحشةً، قال: «**فإذا أَخذتَ مَضجعَك فقل: أعوذُ بكَلمات**

(١) أخرجه عبد الرزاق (١١/ ٢١٦) (٢٠٣٦٦)، ومن طريقه البيهقي في «الشعب» (٦/ ٤٢٧) (٤٤٣٧)، وابن أبي شيبة (٦/ ٧٠) (٢٩٥٤٦)، من طرق عن ابراهيم؛ به.

(٢) «الموطأ» كتاب الشعر-باب ما يؤمر به من التعوذ- ح (٩).

الله التَّامَّة مِن غَضبه وعِقابه وشَرِّ عِباده، ومِن هَمَزات الشَّياطين وأن يَحضُرون، فإنه لا يَضرُّكَ، وبالحَري أن لا يَقربك»[١].

وعن عَمرو بن شُعيب عن أبيه عن جدِّه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعلِّمُنا كلماتٍ نَقولُهنَّ عند النَّوم مِن الفَزع: «**بسْم اللهِ، أعوذُ بكَلمات الله التَّامَّة من غَضَبه وعقابِه وشَرِّ عِباده، ومِن هَمزاتِ الشَّياطين وأن يَحضُرُون**»، رَواهُ الإمام أحمدُ وأبو داود والتِّرْمِذي[٢]، ولفظه أن رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إذا فَزَع أحدُكم في النَّوم فليَقُل: أعوذُ بكَلماتِ الله التَّامَّات من غضبِه وعقابِه وشرِّ عباده، ومِن هَمزات الشَّياطين وأن يَحضُرون، فإنها لن تَضرَّه**»ثم قال: هذا حديثٌ حَسن غريب، ورواه الحاكم وصحَّحه.

فصل

في النَّهي عن قَصِّ الرُّؤيَا على غير عالِم أو ناصِح

قد تقدَّم في الحَديث الثالث عشر ما رَواهُ التِّرْمِذي من طَريق قتادة، عن مُحمَّد ابن سيرين، عن أبي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يقول: «**لا تَقصَّ**

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٥٧) (١٦٦٢٣)، وابن أبي شيبة (٦/ ٨٠) (٢٩٦١٩) وغيرهما، من طريق محمد بن يحيىٰ بن حبان عن الوليد بن الوليد؛ به. قال الأرنؤوط: «حديث محتمل للتحسين بشواهده، وهذا إسناد ضعيف لانقطاعه، محمد بن حبان لم يدرك الوليد بن الوليد، وبقية رجاله ثقات رجال الشيخين».

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ١٨١) (٦٦٩٦)، وأبو داود (٣٨٩٣)، والترمذي (٣٥٢٨)، والحاكم (١/ ٥٤٨)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٧٠١).

الرُّؤْيَا إلا علىٰ عالِم أو ناصِح»[١]. قال التِّرمِذي: هذا حديثٌ حَسن صَحِيح. وقد رَواهُ الدَّارمي بإسْناد صَحِيح، ولفظه: عن أبي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه كان يقول: «**لا تَقصُّوا الرُّؤْيَا إلا علىٰ عالِم أو ناصِح**»[٢].

وروىٰ الإمامُ أحمد والتِّرمِذي عن أبي رَزين -واسمه لَقيط بن عامر العقيلي- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**الرُّؤْيَا مُعلَّقة برِجْل طائرٍ ما لم يُحدِّث بها صاحبُها، فإذا حدَّث بها وقَعَت، ولا تُحدِّثوا بها إلا عالمًا أو ناصِحًا أو لَبِيبًا**» هذا لفظ إحدىٰ روايات أحمد[٣]. وفي رواية له قال: وأحسبُه قال: «**لا يُحدِّث بها إلا حَبيبًا أو لَبِيبًا**»، ورواه التِّرْمِذي بنحْوه[٤] وقال: هذا حديثٌ حَسن صَحِيح. ورواه الإمام أحمد أيضًا وابنُ أبي شَيبةَ وأبو داود وابن ماجه وابن حبَّان بنحوه، وقالوا فيه: وأحسبه قال: «**ولا تَقصَّها إلا علىٰ وادٍّ أو ذِي رَأي**»[٥]، وقد رَواهُ الدَّارمِي وابن حبَّان في «صَحيحه» والحاكم في «مُستدركه» مختصرًا، وصحَّحه الحاكمُ والذَّهبي.

وروىٰ عبد الرَّزاق في «مُصنَّفه»[٦] عن مَعمر، عن أيوب، عن أبي قِلابة، قال:

---

(١) تقدم.

(٢) تقدم.

(٣) أخرجه أحمد (٤/ ١٢) (١٦٢٤٠، ١٦٢٤٢).

(٤) أخرجه الترمذي (٢٢٧٨).

(٥) أخرجه أحمد (٤/ ١٠) (١٦٢٢٧)، وابن أبي شيبة (٦/ ١٧٣) (٣٠٤٤٩)، وأبو داود (٥٠٢٠)، وابن ماجه (٣٩١٤)، وابن حبان (١٣/ ٤١٥) (٦٠٥٠)، والدارمي (٢١٩٤)، والحاكم (٤/ ٣٩٠)، وانظر: «الصحيحة» (١/ ١١٩).

(٦) (١١/ ٢١٢) (٢٠٣٥٤) مرسلًا، وأخرجه الحاكم (٤/ ٣٩١) موصولًا، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٢٠).

قال رَسُول اللهِ صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**الرُّؤْيَا تَقَعُ علىٰ ما تُعبَّرُ، ومَثَلُ ذلك مَثَلُ رَجُلٍ رفَع رِجْلَه فهو يَنتَظِر متىٰ يَضعها، فإذا رأىٰ أحدُكم رُؤْيَا فلا يُحدِّث بها إلا ناصحًا أو عالمًا**»، هكذا رَواهُ مُرسلًا، ورجاله رجال الصَّحِيح. وقد رَواهُ الحاكمُ مَوصولًا من طريق عبد الرَّزاق، عن مَعمَر، عن أيوبَ، عن أبي قِلابةَ، عن أنسٍ رَضِيَاللَّهُعَنْهُ، عن النَّبِي صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ... فذكَره بمِثله، وصحَّحه، ووافقه الذَّهبي علىٰ تَصحيحه.

قال الخطَّابي في «مَعالِم السُّنَن»[1] في الكَلام علىٰ حديث أبي رزين رَضِيَاللَّهُعَنْهُ: «معنىٰ هذا الكَلام حُسن الارْتياد لمَوضع الرُّؤْيَا واسْتِعبَارها العَالم بها المَوثوق برأيه وأمَانته، وقوله: «علىٰ رِجْل طَائر» مَثَلٌ، ومعناه أنها لا يَستقِرُّ قرارُها ما لم تُعبَّر. وقال أبو إسحاق الزَّجَّاج في قوله: «لا يَقصَّها إلا علىٰ وادٍّ أو ذِي رأي»: الوادُّ لا يُحبُّ أن يَستقبلك في تَفسيرها إلا بما تُحبُّ، وإن لم يَكن عالمًا بالتَّعبير، لم يَعجل لك بما يَغُمُّك. لا أن تَعبيرَه يُزيلها عما جعلَها اللهُ عليه، وأما ذو الرَّأي فمعناه ذو العِلْم بتعبيرها، فهو يُخبرك بحقيقة تفسيرها، أو بأقرب ما يَعلم منها، ولعلَّه أن يكون في تَفسيره موعظة تَردعك عن قَبيحٍ أنت عليه، أو تكون فيها بُشرىٰ فتَشكر اللهَ علىٰ النِّعمة فيها». انتهىٰ.

وقال القاضي أبو بكر ابنُ العَربي: «إن كانت -أي: الرُّؤْيَا- بُشْرىٰ أو شَكَكْتَ فيها فلا تُحدِّث بها إلا عالمًا ناصحًا. العالِمُ يُعبِّرها له علىٰ الخَير إذا أمكنَه، والنَّاصحُ يُرشِدُه إلىٰ ما يَنفعه ويُعينه عليه. ورُوي في آخر: «ولَا تُحدِّث بها إلا حَبيبًا أو لَبيبًا». أما الحبيبُ فإذا عَرف قال، وإن جَهلَ سَكتَ، وأما اللَّبيبُ -وهو العاقِل العَارف بتأويلها- فإنه يُنبئك بما تُعوِّل عليه فيها، وإن ساءته سَكتَ عنك وتَركَها»[2]. انتهىٰ.

---

(١) (٤/ ١٤٠).

(٢) «عارضة الأحوذي» (٩/ ١٢٩).

وذكر البَغوي في «شرح السنة»[١] عن الإمام -وهو شيخه القاضي حسين بن مُحمَّد- أنه قال في قوله: «إذا رَأىٰ أحدُكم ما يَكره فلا يُحدِّث به»، وفي حديث أبي قتادة: «فإذا رأىٰ أحدُكم ما يحبُّ فلا يحَدِّث به إلا من يُحبُّ»: «فيه إرشادُ المُستَعْبِرِ لمَوضع رُؤْيَاه، فإن رأىٰ ما يَكره فلا يُحدِّث به حتىٰ لا يَستقبلَه في تفسيرها ما يزادُ به همًّا، وإن رأىٰ ما يُحبُّه فلا يحدِّث به إلا من يحبُّه، لأنه لا يَأمَن ممن لا يُحبُّه أن يُعبِّره حسدًا علىٰ غير وَجهه فيَغمَّه أو يكيده بأمركما، أخبر اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عن يَعقوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ حين قصَّ عليه يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ رُؤْيَاه: ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا﴾ [يوسف: ٥]» انتهىٰ.

وذكر ابنُ حَجر في «فتح الباري»[٢] في الكلام علىٰ قوله: «فلا يُحدِّث بها إلا مَن يُحِبُّ»: «أن الحِكمةَ فيه أنه إذا حدَّث بالرُّؤْيَا الحَسَنَة مَن لا يحبُّ قد يُفسِّرُها له بما لا يُحبُّ؛ إما بُغضًا، وإما حَسَدًا، فقَد تَقع علىٰ تلك الصِّفة، أو يَتعَجَّل لنَفسه مِن ذلك حُزنًا ونكدًا، فأمر بتَرك تَحديث من لا يُحبُّ بسَبب ذلك» انتهىٰ.

فصل

في ذكر أصدق الرُّؤْيَا

عن أبي سعيدٍ الخُدْري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أصْدقُ الرُّؤْيَا بالأَسْحَار**»، رَواهُ الإمام أحمدُ والتِّرمِذي والدَّارِمي وابنُ حِبَّان في «صحيحه»

---

(١) (١٢/ ٢١٢).

(٢) (١٢/ ٤٣١).

والحاكمُ وصحَّحه، ووافقه الذَّهبيُ علىٰ تَصحيحه(١).

قال القاضي أبو بكر بن العَربي في الكلام علىٰ هذا الحَدِيث: «وذلك لوجهين:

أحدهما: فضلُ الوَقْت بانتشار الرَّحمة فيه.

الثاني: لرَاحة القَلْب والبَدَن بالنَّوم وخُروجهما عن تَعب الخَواطر وتَواتر الشعور والتَّصرُّفات. ومتىٰ كان القلبُ أفرغَ كان الوَعيُ لِما يُلقىٰ إليه»(٢). انتهىٰ.

فصل

في ذكر أقصى المدة الَّتي ينتهي إليها تأويل الرُّؤيا

عن أبي عثمان النَّهدي، عن سَلمان الفارسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كان بين رُؤْيَا يُوسف وتأويلِها أَربعون سنة»، رَواهُ ابن أبي شيبة وابنُ جَرير والحاكمُ في «المستدرك»(٣)، وقال الذهبي في «تلخيصه»(٤): علىٰ شَرط البُخارِي ومُسْلم.

وعن عبد الله بن شَدَّاد، أنه قال: «كان بين رُؤْيَا يُوسفَ وتأويلِها أربعون سنة»، رَواهُ ابنُ أبي شيبة وابن جَرير(٥). وفي رواية لابن جَرير عن عبد الله بن شداد قال:

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٦٨) (١١٦٦٨)، والترمذي (٢٢٧٤)، والدارمي (٢١٩٢)، وابن حبان (١٣/ ٤٠٧) (٦٠٤١)، والحاكم (٤/ ٣٩٢)، وضعفه الألباني في «الضعيفة» (١٧٣٢)..

(٢) «عارضة الأحوذي» (٩/ ١٣٠).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة (٦/ ١٨٣) (٣٠٥٢٧)، وابن جرير (١٣/ ٣٥٧)، والحاكم (٤/ ٣٩٦).

(٤) انظر: «ذيل المستدرك» (٤/ ٣٩٦).

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة (٦/ ١٨٣) (٣٠٥٢٥)، وابن جرير (١٣/ ٣٥٩)، والبيهقي في «الشعب» (٦/ ٤٣٤) (٤٤٤٧).

«وقَعَت رُؤْيَا يوسف بعد أربعين سنة، وإليها يَنتهي أقصىٰ الرُّؤْيَا»[١]. وقال سعيد بن المُسيِّب: آخر الرُّؤْيَا أربعون سنة، يعني في تَأْويلها. رواها ابن سَعد في «الطبقات»[٢].

وقال ابنُ عبد البَرِّ في كتابه «بَهْجة المَجالس»[٣]: «قال الزُّبَير -يعني ابنَ بَكَّار- حدَّثني أبو ضَمْرة أنسُ بن عِياض قال: قيل لجعفر بن مُحمَّد: كم تَتأَخَّر الرُّؤْيَا؟ فقال: «رأىٰ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كأن كلبًا أَبْقَع يَلغ في دمه»[٤] فكان شمر بن ذي الجَوشن قاتل الحُسين رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وكان أَبْرَص، فكان تَأْويل الرُّؤْيَا بعد خَمْسين سَنَة».

فصل

في تَحريم التَّحلُّم بما لم يَرَه في منامه وذكر الوَعيد الشَّديد على ذلك

عن ابنِ عُمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أن رَسُول اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مِن أَفْرَىٰ الفِرَىٰ أن يُرِيَ عَينَه ما لَم تَرَ**»، رَواهُ الإمام أحمدُ والبُخارِي[٥]، وفي رواية لأحمد: قال: «**أَفْرَىٰ الفِرَىٰ مَن ادَّعىٰ إلىٰ غَيْر أَبيه، وأَفْرَىٰ الفِرىٰ مَن أَرىٰ عَينَيه في النَّوم ما لم تَرَيَا، ومَن غَيَّر تُخُومَ الأَرْض**»[٦].

---

(١) «تفسير الطبري» (١٣/ ٣٥٨).

(٢) (٥/ ١٢٥)، وفي إسناده محمد بن عمر الواقدي، متروك مع سعة علمه.

(٣) (٢٠٣).

(٤) أخرجه الزبير بن بكار في «الأخبار الموفقيات» (٨٨).

(٥) أخرجه أحمد (٢/ ٩٦) (٥٧١١)، وأخرجه البخاري (٧٠٤٣).

(٦) أخرجه أحمد (٢/ ١١٨) (٥٩٩٨)، وقال الأرنؤوط: «إسناده صحيح».

وعَن واثلةَ بن الأَسْقع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قال:** قال نَبيُّ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إنَّ مِن أَعظَم الفِرَىٰ أنْ يُدْعَىٰ الرَّجُلُ إلىٰ غَير أبيه، أو يُرِي عَينَيه في المَنام ما لم تَريَا، أو يَقول علىٰ رَسُول اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **ما لم يَقُل**»، رَواهُ الإمام أحمدُ والبُخارِي[(١)]، وهذا لفظ أحمد، وإسْنَاده صَحِيح علىٰ شرط الشَّيْخَين. ورواه أحمدُ أيضًا بإسْنَادين كل منهما علىٰ شَرط مُسْلم، ولفظه في إحدىٰ الرِّوايتَين: «**إنَّ أعظَمَ الفِريَة ثَلاث: أنْ يَفترِيَ الرَّجلُ علىٰ عَينَيه، يَقول: رأيتُ، ولَم يرَ، وأنْ يَفترِيَ عَلىٰ والِدَيْه فيُدعىٰ إلىٰ غير أَبيه، أو يقُول: سَمعتُ، ولَم يَسمَعْ**»[(٢)]. ورواه ابنُ حِبَّان في «صَحيحه»، والحاكمُ في «مستدركه» وقال: صَحِيح علىٰ شرط الشَّيْخَين، ووافقه الذَّهبي في «تلخيصه»[(٣)].

قال ابنُ الأثير في «النِّهاية في غَريب الحَدِيث»[(٤)]: «الفِرىٰ جمعُ فِريَة، وهي الكذبَةُ. وأفْرىٰ أفْعل مِنه للتَّفضيل، أي: مِن أَكذَب الكذبَات أن يَقولَ: رأيتُ في النَّوم كذا وكذا، ولم يكن رأىٰ شيئًا؛ لأنه كَذَب علىٰ الله، فإنه هو الَّذي يُرسل مَلَك الرُّؤْيَا ليُريَه المَنام». انتهىٰ.

وعن أبي شُريح الخُزاعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إنَّ مِن أعْتَىٰ النَّاس علىٰ الله** عَزَّ وَجَلَّ **مَن قَتل غيرَ قاتِله، أو طَلَب بدَم الجَاهلية من أهل الإسلام،**

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ١٠٦) (١٧٠٢١)، والبخاري (٣٥٠٩).

(٢) أخرجه أحمد (٣/ ٤٩١) (١٦٠٥٨)، وابن حبان (١/ ٣١٥) (٣٢)، والحاكم (٤/ ٣٩٨)، قال الأرنؤوط: «إسناده صحيح علىٰ شرط مسلم».

(٣) انظر: «ذيل المستدرك» (٤/ ٣٩٨).

(٤) (٣/ ٤٤٣).

أو بَصَّرَ عَينَيه في النَّوم ما لم تُبْصِر»، رَواهُ أحمد والطَّبراني(١)، قال الهيثمي: ورجاله رجال الصَّحِيح.

وعن ابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عن النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَن تَحلَّم بحُلْم لم يَرَه كُلِّف أن يَعقِد بين شعيرَتَيْن ولَن يَفْعَل**»، رَواهُ الإمام أحمد والبُخارِي وهذا لفظه(٢). ولفظ أحمد: «**ومَن تَحلَّم عُذِّب يوم القيامة حتىٰ يَعقِد شعيرتَيْن وليس عاقدًا**»(٣). وفي رواية له: «**ومَن تَحلَّم كُلِّف يومَ القِيامة أن يَعقِدَ شعيرَتَين، أو قال: بين شعيرَتَين، وعُذِّب، ولن يَعقِدَ بَينهما**»(٤). وفي رواية له أيضًا: «**ومَن تَحلَّم عُذِّب حتىٰ يَعقِد شعيرةً وليس بعاقِد**»(٥)، ورواه أبو داود ولفظه: «**ومَن تَحلَّم كُلِّف أن يَعقد شعيرةً**»(٦)، ورواه التِّرْمِذي ولفظه: «**مَن تَحلَّم كاذبًا كُلِّف يوم القيامة أن يَعقد بين شعرتين ولن يَعقد بينهما**»(٧) ثم قال: هذا حديث حسن صَحِيح. ورواه ابنُ ماجه ولفظه: «**مَن تَحلَّم حُلمًا كاذبًا كُلِّف أن يَعقدَ بين شعيرتين ويُعذَّب علىٰ ذلك**»(٨)،

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٣٢) (١٦٤٢٥)، والطبراني في «الكبير» (٢٢/ ١٩٠) (٤٩٩، ٤٩٨)، والدارقطني في «السنن» (٤/ ٨٧) (٣١٤٨)، قال الأرنؤوط: «إسناده ضعيف، عبد الرحمن بن إسحاق وهو المدني فيه كلام من جهة حفظه».

(٢) تقدم.

(٣) (١/ ١٢٦) (١٨٦٦).

(٤) (١/ ٣٥٩) (٣٣٨٣).

(٥) (١/ ٢٤٦) (٢٢١٣).

(٦) (٥٠٢٤).

(٧) (٢٢٨٣).

(٨) (٣٩١٦).

ورواه ابن حِبَّان في «صحيحه»[١] ولفظه: قال رَسُول اللهِ صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: **«الَّذي يُري عَينَيْه في المَنام ما لم يَرَ يُكلَّف يوم القيامة أن يَعقد بين شعرَتَين»**.

وعن أبي هُرَيرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، عن النَّبي صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: **«ومَن تَحلَّم كاذبًا دُفع إلَيه شعيرَة وعُذِّب حتىٰ يَعقد بين طَرفَيها، وليس بعَاقد»**، رَواهُ الإمام أحمد[٢].

وعن علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عن النَّبي صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: **«مَن كذَب في حُلْمِهِ كُلِّف يومَ القيامةِ عَقْد شُعيرَة»**، رَواهُ الإمامُ أحمدُ والتِّرْمِذي والدَّارِمِي والحاكِمُ[٣]، وقال التِّرْمِذي: هذا حديثٌ حسَن. قال: وفي الباب عن ابن عبَّاس وأبي هُرَيرَةَ وأبي شُريح ووَاثِلَة.

وعن عليٍّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، عن النَّبي صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: **«مَن كَذب في الرُّؤْيَا مُتعمِّدًا فلْيَتبَوَّأ مَقْعدَه مِن النَّار»**، رَواهُ عبدُ الله ابنُ الإمام أحمدَ في «زوائد المُسنَد»[٤].

قال ابنُ الأثير في «النِّهاية في غَريب الحَدِيث»[٥]: «ومنه الحَدِيث: **«مَن تَحلَّم كُلِّف أن يَعقِدَ بَين شُعيرَتَين»** أي: قال: إنَّه رأىٰ في النَّوم ما لم يَرَه. يُقال: حَلَم بالفَتح، إذا رَأىٰ. وتَحلَّم إذا ادَّعىٰ الرُّؤْيَا كاذبًا. فإن قِيل: إن كذِبَ الكاذب في منامه لا يَزيد علىٰ كَذبه في يَقظتِه، فلِمَ زادَت عُقوبتُه ووعِيدُه، وتكليفه عَقد الشُّعيرَتَين؟ قيل: قد

(١) (١٣/ ٤٢١) (٦٠٥٧).

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ٥٠٤) (١٠٥٥٦)، قال الأرنؤوط: «إسناده صحيح علىٰ شرط».

(٣) أخرجه أحمد (١/ ٩١) (٦٩٩)، والترمذي (٢٢٨١)، والدارمي (٢١٩١)، والحاكم (٤/ ٣٩٢)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٢٣٥٩).

(٤) أخرجه عبد الله في «زوائد المسند» (١/ ١٢١) (١٠٨٩)، قال الأرنؤوط: «حسن لغيره، وإسناده ضعيف لضعف عبد الأعلىٰ الثعلبي». وانظر: «الصحيحة» (٥/ ٣٥٨).

(٥) (١/ ٤٣٤).

صحَّ الخَبرُ أن الرُّؤْيَا الصَّادقة جزءٌ من النُّبُوَّة. والنُّبُوَّة لا تكون إلا وحْيًا. والكاذِبُ في رُؤْيَاه يَدَّعي أن الله تَعالَىٰ أراه ما لم يَرَه، وأعطاه جزءًا من النُّبُوَّة لم يُعطه إيَّاه، والكاذبُ علىٰ الله تَعالَىٰ أعظمُ فِريةً ممن كذَب علىٰ الخَلْق أو علىٰ نَفسه» انتهىٰ.

وقال **الخطَّابي**: «معنىٰ عَقد الشُّعيرَة أنه يُكلَّف ما لا يكون ليَطُول عذابُه في النَّار، وذلك أن عَقد ما بين طَرفي الشُّعَيرة غير مُمكِن»[١]. انتهىٰ.

ونقل الحافظُ ابن حجَر في «فتح الباري»[٢] عن الطَّبري أنه قال: «إنَّما اشتدَّ فيه الوعيدُ مع أن الكذِبَ في اليقظة قد يكون أشدَّ مَفسدةً منه، إذ قد تكون شهادةٌ في قتْلٍ أو حَدٍّ أو أخْذ مَال، لأن الكَذب في المَنام كَذِب علىٰ الله أنَّه أراه ما لم يَرَه. والكَذبُ علىٰ الله أشدُّ من الكَذِب علىٰ المَخلُوقِين؛ لقوله تَعالَىٰ: ﴿وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَـٰدُ هَـٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ [هود: ١٨] الآية. وإنَّما كان الكذبُ في المنام كَذِبًا علىٰ الله لحَديث: «**الرُّؤْيَا جزءٌ من النُّبُوَّة**»[٣] وما كان من أجزاء النُّبُوَّة فهو من قِبَل الله تَعالَىٰ» انتهىٰ مُلخَّصًا.

فصل

فيما جاء في رُؤْية الرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في المَنام

قال ابنُ سِيرين: مَن رأىٰ ربَّه في المَنام دخَل الجنَّة، رَواهُ الدَّارِمِي وأبو نُعيم في «الحِلْيَة»[٤].

---

(١) «معالم السنن» (٤/ ١٤٠).

(٢) (١٢/ ٤٢٨).

(٣) انظر ما تقدم من الأحاديث (فصل في تعظيم شأن الرؤيا الصالحة).

(٤) أخرجه الدارمي (٢١٩٦)، وأبو نعيم في «الحلية» (٢/ ٢٧٦)، وفيه يوسف الصباغ وهو

وعن مُعاذ بن جَبَل رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **قال:** احْتبسَ عنا رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذاتَ غَداةٍ عن صلاةِ الصُّبح، حتىٰ كِدْنا نَتراءىٰ عينَ الشَّمس، فخَرج سريعًا فثُوِّب بالصَّلاة فصلَّىٰ رَسُول اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتَجوَّز في صَلاته، فلمَّا سلَّم دعا بصوته فقال لنا: «**علىٰ مَصافِّكُم كما أَنتُم**» ثم انْفتَل إلينا فقال: «أما إني سَأُحَدِّثُكم ما حبَسَني عنكم الغَداة، إني قُمتُ من اللَّيل فتوضَّأتُ وصلَّيتُ ما قُدِّر لي، فنَعستُ في صلاتي حتىٰ استثقلْتُ، فإذا أنا بربِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في أَحسَن صُورة، فقال: يا مُحمَّد، قُلتُ: لبيَّك ربِّ، قال: فِيم يَختَصِمُ المَلأُ الأَعْلىٰ؟ قلتُ: لا أَدري، قالها ثلاثًا، قال: فرَأيتُه وضَع كَفَّه بين كَتِفي حتىٰ وجَدْتُ بَردَ أنامِله بين ثَدييَّ، فتجَلَّىٰ لي كلُّ شَيء وعَرفتُ. فقال: يا مُحمَّد، قلتُ: لبيَّكَ ربِّ، قال: فيمَ يَختَصمُ المَلأ الأعلىٰ؟ قلتُ: في الكفَّارات، قال: ما هُنَّ؟ قلتُ: مَشْي الأقدامِ إلىٰ الجَماعات، والجُلوسُ في المَساجد بعد الصَّلوات، وإسْبَاغ الوُضوء في المَكرُوهات، قال: ثُمَّ فِيمَ؟ قلتُ: إطْعَام الطَّعام، ولِين الكَلام، والصَّلاة باللَّيل والنَّاس نِيَام، قال: سَلْ، قُلتُ: اللَّهمَّ أسألُك فِعلَ الخيراتِ، وتَركَ المُنكرات، وحُبَّ المَساكين، وأن تَغفِرَ لي وتَرحَمَنِي، وإذا أَرَدْتَ فِتنةً في قَوم فتَوفَّني غيرَ مَفتُون، وأَسألُك حُبَّك، وحُبَّ مَن يُحِبُّكَ، وحُبَّ عَمَلٍ يُقَرِّبُ إلىٰ حُبِّكَ»، قال رَسُول اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إنها حَقٌّ، فادْرسُوها ثمَّ تَعلَّموها**»[(١)].

رَواهُ الإمامُ أحمَد والتِّرمِذيُّ وابن خُزيمَة في «كتاب التَّوحيد». وقال التِّرمِذي:

=

ضعيف. «التقريب».

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٢٤٣) (٢٢١٦٢)، والترمذي (٣٢٣٥)، وابن خزيمة في «كتاب التوحيد» (٢/ ٥٤٠) (٥٧)، وصححه الألباني في «المشكاة» (١/ ١٦٤) (٧٤٨).

هذا حديث حسن صَحِيح، سألتُ مُحمَّد بن إسماعيل -يعني البُخارِيَّ- عن هذا الحَدِيث فقال: هذا حديثٌ حسَن صَحِيح. وذكر ابنُ عَدي عن أحمدَ أنه صحَّحه، وقد رَواهُ الحاكم في «المُستدرك»(١) مختصرًا ولم يَتكلَّم عليه.

وعن أبي قِلابة، عَن ابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أن النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**أتاني ربِّي عَزَّ وَجَلَّ اللَّيلةَ في أحسَن صُورَة -أَحْسبه يعني في النَّوم- فقال: يا مُحمَّدُ، هَل تَدرِي فِيمَ يَختَصِم الملأُ الأعْلىٰ؟ قال: قلتُ: لا، قال النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فوَضَع يدَه بين كتِفيَّ حتىٰ وجَدْتُ بَردَهَا بين ثَديَيَّ، أو قال: في نَحْري، فعَلمتُ ما في السَّموات وما في الأَرْض، ثم قال: يا مُحمَّد هل تَدْري فيم يَختَصِم المَلأُ الأعلىٰ؟ قال: قلتُ: نَعم، يَختصمون في الكفَّارات والدَّرجات، قال: وما الكَفَّاراتُ والدَّرجَات؟ قال: المُكثُ في المساجد، والمَشيُ علىٰ الأقدام إلىٰ الجُمُعات، وإبلَاغ الوُضوء في المَكَاره. ومن فعَل ذلك عاش بخَيْر ومات بخَير، وكان مِن خَطيئته كيَوم ولَدتْه أُمُّه. وقل يَا مُحمَّد إذا صلَّيت: اللَّهم أسألُك الخيرَات، وتَرك المُنكرات، وحُبَّ المساكين، وإذا أَردتَ بعِبادك فتنةً أن تَقبضني إليك غيرَ مفتون، قال: والدَّرجات بَذلُ الطَّعام، وإفشاءُ السَّلام، والصَّلاة باللَّيل والنَّاسُ نِيام**»، رَواهُ الإمامُ أحمَد والتِّرمِذي، وهذا لفظ أحمَد(٢).

ورواه التِّرْمِذي أيضًا من طَريق أبي قِلابَةَ، عن خالدِ بن اللَّجلاج، عن ابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عن النَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ... فذَكره بنحوه مُختصرًا. ثم قال: هذا حديثٌ حسَن غَريب من هذا الوَجْه، قال: وفي البَاب عن مُعاذ بن جَبل وعَبد

(١) (١/ ٥٢١).

(٢) أخرجه أحمد (١/ ٣٦٨) (٣٤٨٤)، والترمذي (٣٢٣٣)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٩).

الرَّحمن بن عائش عَن النَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وعن عبد الرَّحمن بن عائش، عَن بعض أصحاب النَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أن رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خرج عليهم ذات غَداةٍ وهو طيِّب النَّفس، مُسفر الوَجه، أو مُشرق الوجه، فقلنا: يا رَسُول اللهِ، إنا نراك طيِّبَ النَّفْس مُسفرَ الوجه أو مُشرقَ الوجْه، فقال: «**وما يَمنعُني وأتاني ربِّي عَزَّوَجَلَّ اللَّيلةَ في أحسَن صُورة، قال: يا مُحمَّد، قلتُ: لبيَّك ربِّي وسَعدَيك، قال: فِيمَ يَختصِم الملأُ الأعْلىٰ؟ قلتُ: لا أدْري أيْ ربِّ، قال ذلك مرَّتين أو ثلاثًا، قال: فوضَع كفَّه بين كتِفي فوجدتُ بَردَها بين ثَديي حتىٰ تجلَّىٰ لي ما في السَّموات وما في الأرض، ثم تلا هذه الآية: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [الأنعام: ٧٥] الآية. قال: يا مُحمَّد، فِيمَ يَختَصِمُ الملأُ الأعلىٰ؟ قال: قلتُ: في الكفَّارات، قال: وما الكفَّاراتُ؟ قلتُ: المَشيُ علىٰ الأقدام إلىٰ الجَماعات، والجُلوس في المَساجد خلاف الصَّلوات، وإبلاغُ الوُضوء في المَكاره، قال: مَن فَعل ذلك عاش بخَير ومات بخَير، وكان مِن خَطيئته كيوم ولدَتْه أُمُّه، ومِن الدَّرجات: طِيبُ الكَلام، وبَذْلُ السَّلام، وإطعامُ الطَّعام، والصَّلاةُ باللَّيل والنَّاسُ نِيَام، فقال: يا مُحمَّد، إذا صلَّيتَ فقُل: اللَّهمَّ إنِّي أسألُك الطَّيِّبات، وتَركَ المُنكَرات، وحبَّ المَساكين، وأن تَتوبَ عليَّ، وإذا أردْتَ فِتنةً في النَّاس فتوفَّني غيرَ مَفتون**»، رَواهُ الإمام أحمدُ(١)، قال الهيثميُّ: ورجاله ثقات.

وعن عبد الرَّحْمَن بن عائش، قال: سمعتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول:

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٦٤) (١٦٦٧٢)، قال الهيثمي في «المجمع» (٧/ ٣٦٦): «رواه أحمد ورجاله ثقات». انظر: «ظلال الجنة» (١/ ١٨٠) (٣٨٨).

«رأيتُ ربِّي في أحسَنِ صُورَة، قال: فِيمَ يَختَصمُ الملأُ الأعلىٰ؟ فقلتُ: أنتَ أعلمُ يا ربِّ، قال: فوَضع كفَّه بين كتِفي، فوَجدتُ بردَها بين ثَديي، فعلمتُ ما في السَّموات والأرض، وتلا: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ﴾ [الأنعام: ٧٥]»، رَواهُ الدَّارِمِي هكذا مختصرًا(١).

وقد رَواهُ الطَّبَراني مطوَّلًا، ولفظه: عن عبد الرَّحْمَن بن عائش، قال: قال رَسُول اللهِ صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «رأيتُ ربِّي في أحسَن صُورة، فقال: يا مُحمَّد، فيمَ يختصمُ الملأُ الأعلىٰ؟ قلتُ: أنت أعلمُ أيْ ربِّ، فوضَع كفَّه بين كتِفي، فوَجدْتُ برْدَها بين ثديَيَّ، فعلمتُ ما في السموات وما في الأرض، ثم تلا: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ﴾ [الأنعام: ٧٥]، ثم قال: فِيمَ يَختصم الملأ الأعلىٰ يا مُحمَّد؟ فقلتُ: في الكفَّارات، قال: وما هنَّ؟ قلتُ: المَشي علىٰ الأقدام إلىٰ الجُمعات، والجُلوس في المساجدِ خلافَ الصَّلوات، وإسباغُ الوُضوء أماكنَه في المَكاره، قال: قال اللهُ عَزَّوَجَلَّ: مَن يَفعل ذلك يَعِش بخَير، ويَمُت بخَير، ويكون مِن ذُنوبه كيوم ولَدته أمُّه، ومِن الدَّرجات: إطعامُ الطَّعام، وبذْلُ السَّلام، وأن تقومَ بالليل والنَّاسُ نيامٌ، ثم قال: يا مُحمَّد، قل: اللهم إني أسألك فعْلَ الطَّيِّبات، وتركَ المُنكرات، وحبَّ المساكين، وأن تغفِرَ لي وتَرحمني وتَتوب عليَّ، وإذا أردْتَ بقَوم فِتنةً فتوفَّني غيرَ مَفتون، فقال النَّبي صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: تعلَّموهن، فوَالَّذي نفسِي بيده إنَّهن لحَقٌّ»(٢).

وفي رواية: أن رَسُول اللهِ صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ غدَا مُستبشرًا علىٰ أصحابه يَعرفون

---

(١) أخرجه الدارمي (٢١٩٥). انظر: «ظلال الجنة» (١/ ١٨٠) (٣٨٨).

(٢) انظر: «مجمع الزوائد» (٧/ ١٧٦-١٧٧).

السُّرورَ في وجهه، فذكر نحوَه وقال فيه: «**وإذا صلَّيتَ يا مُحمَّد فقُل**»، وقال فيه: «**والدَّرجات: الصَّوم، وطِيب الكلام**»(١).

وفي رِواية: عن خَالد بن اللَّجلاج قال: سمعتُ عبد الرَّحْمَن بن عائش يقولُ: خرج علينا رَسُول اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذاتَ غداة، قال... فذَكر نحوَ الَّذي قبل هذه الرواية. قال الهيثمي: «رَواهُ كلُّه الطَّبَراني، ورجال الحَدِيث الَّذي فيه: «خَرج علينا رَسُول اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» ثقات. وكذلك الرِّواية الأولىٰ، وفي الرواية الوسطي معاويةُ بن عِمران الجَرمي، ولم أعرفه، وقد سئل الإمام أحمدُ عن حديث عبد الرَّحْمَن بن عائش عن النَّبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بهذا الحَدِيث، فذكر أنه صواب، هذا معناه»، انتهىٰ كلام الهيثمي.

وقد روىٰ الحاكمُ في «المستدرك»(٢) من طريق عبد الرَّحْمَن بن يزيدَ بن جابر، حدَّثَنا خالد بن اللَّجلاج، حدَّثَنا عبد الرَّحْمَن بن عائش الحضرمي قال: سمعتُ رَسُول اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول... وذكَر الرَّبَّ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فقال: «**قل: اللَّهمَّ إني أسأَلُك الطَّيبات، وتركَ المُنكرات، وحبَّ المساكين، وأن تتوبَ عليَّ وتَغفرَ لي وتَرحمني، وإذا أردتَ فتنةً في قوم فتوَفَّني غيرَ مفتون**»، فقال رَسُول اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**تعلَّموهنَّ، فوالَّذي نفسِي بيده إنَّهنَّ لحَقٌّ**». قال الحاكم: صَحِيح الإسْنَاد ولم

---

(١) انظر: المصدر السابق، وجاءت هذه الألفاظ عند ابن قانع في «معجم الصحابة» (٢/ ١٠٢)، وأبو الشيخ في «طبقات المحدثين» (٣/ ٤٦٥) من طريق معاوية بن عمران، نا أنيس بن سوار الجرمي، نا أيوب، عن أبي قلابة، عن خالد بن اللجلاج، عن عبد الله بن عائش... فذكره. «عبد الله بن عائش» كذا عند الأول، ووقع عند الثاني «عبد الله بن عباس».

(٢) أخرجه الحاكم (١/ ٥١٩-٥٢٠).

يخرجاه، ووافقه الذهبي علىٰ تصحيحه.

وعن ثوبان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: خرج إلينا رَسُول اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بعد صلاةِ الصُّبح فقال: «**إنَّ ربِّي أتاني الليلةَ في أحسَن صورة، فقال: يا مُحمَّد، هل تَدري فيمَ يختصم الملأُ الأعلىٰ؟ قال: قلتُ: لا، قال:... ثم ذكَر شيئًا، قال: فخُيِّل لي ما بين السماء والأرض، قال: قلتُ: نعم، يَختصمون في الكفَّارات والدَّرجات. فأما الدَّرجات: فإطعامُ الطَّعام، وبَذل السَّلام، وقِيام اللَّيل والنَّاسُ نِيام. وأما الكفَّارات: فمَشيٌ علىٰ الأقدام إلىٰ الجَماعات، وإسباغُ الوُضوء في المَكروهات، وجُلوسٌ في المساجد خلفَ الصَّلوات، ثم قال: يا مُحمَّدُ، قُلْ يُسمَعْ، وسَلْ تُعطَه، قال: قلتُ: فعلِّمني، قال: قل: اللَّهمَّ إني أسألُك فِعلَ الخيرات، وتركَ المُنكَرات، وحبَّ المساكين، وأن تغفرَ لي وترحمني، وإذا أردتَ فتنة في قوم فتوفَّني إليك وأنا غيرُ مَفتون، اللَّهمَّ إني أسألُك حبَّك، وحبَّ من يُحبُّك، وحبًّا يُبلِّغني حُبَّك**». رَواهُ البزار من طريق أبي يحيىٰ عن أبي أسماء الرحبي، قال الهيثمي: وأبو يحيىٰ لم أعرفه، وبقية رجاله ثقات، قلت: قد روىٰ ابنُ أبي عاصم في «كتاب السنة»(١) طرفًا من أوله.

---

(١) أخرجه البزار (١٠/ ١١٠) (٤١٧٢)، قال الهيثمي في «المجمع» (٧/ ١٧٧-١٧٨): «رواه البزار من طريق أبي يحيىٰ، عن أبي أسماء الرحبي، وأبو يحيىٰ لم أعرفه، وبقية رجاله ثقات»، وأخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (١/ ٢٠٤) (٤٧٠) من طريق أبي يحيىٰ، عن أبي يزيد، عن أبي سلام الأسود، عن ثوبان؛ به مختصرًا، ومن هذا الطريق أخرجه الروياني في «المسند» (١/ ٤٢٩) (٦٥٦)، والبغوي في «شرح السنة» (٤/ ٣٨) (٩٢٥)، وغيرهما، وأبو يحيىٰ الذي يروي عن أبي يزيد اسمه سليمان أو سليم بن عامر، هكذا عند ابن خزيمة في «التوحيد» (٢/ ٥٤٣) (٥٩)، وفي رواية الطبراني في «الدعاء» (١٤١٧) جزم بكون اسمه سليم.

وعن ابن عُمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، أن رَسُول اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ تلبَّث عن أصحابه في صلاة الصبح، حتىٰ قالوا: طلعَت الشَّمسُ أو تَطلُع، ثم خرج فصلَّىٰ بهم صلاةَ الصبح، فقال: «اثْبُتوا علىٰ مصَافِّكم»، ثم أقبل عليهم فقال لهم: «**هل تَدرُون ما حبسَني عنكم؟**» قالوا: الله ورسولُه أعلَمُ، قال: «**إني صلَّيت في مُصلَّاي فضُرب علىٰ أذني، فجاءني ربِّي** تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ **في أحسَن صُورة، فقال: يا مُحمَّد، فقلتُ: لبيَّك ربِّ وسَعدَيك، قال: فيمَ يَختصم الملأُ الأعلىٰ؟ قلتُ: لا أدري يا ربِّ، فوضَع يدَه بين كتفَيَّ حتىٰ وَجدتُ بردَها بين ثديَيَّ، فعلمتُ ما سألني عنه، ثم قال: يا مُحمَّد، قلتُ: لبيَّك ربِّ وسعدَيك، قال: فيمَ يختصمُ الملأ الأعلىٰ؟ فقلتُ: في الكفَّارات والدَّرجات، قال: وما الكفَّارات والدَّرجات؟ قلتُ: الكفَّاراتُ: إسباغُ الوُضوء عند الكَريهات، ومَشيٌ علىٰ الأقدام إلىٰ الجَماعات، وجُلوسٌ في المَساجد خلف الصَّلوات، وأما الدَّرجات: فإطعامُ الطعام، وطِيبُ الكلام، والسُّجودُ بالليل والنَّاس نيام، فقال لي ربِّي** تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ: **سَلْني يا مُحمَّد، قلتُ: أسألُك فعلَ الخَيرات، وتركَ المُنكرات، وحبَّ المَساكين، وأسألُك أن تَغفِرَ لي وتَرحَمني، وإذا أردتَ بقَوم فتنةً فتَوفَّني غيرَ مفتون، اللَّهمَّ إني أسألُك إيمانًا يُباشِرُ قلبي حتىٰ أعلمَ أن لن يُصيبني إلا ما كتبتَ لي، ورضِّني بما قَضيتَ لي**»، رَواهُ البزار(١).

وعن أبي أمامة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، عن النَّبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**أتاني ربِّي في أحسَن صُورة فقال: يا مُحمَّد، قلتُ: لبيَّك وسَعديك، قال: فيم يختصمُ الملأُ الأعلىٰ؟ قلتُ:**

---

(١) (١٢/ ١٨) (٥٣٨٥)، وإسناده ضعيف جدًّا، فيه سعيد بن سنان الشامي متروك، قاله في «التقريب»، وقال الهيثمي في «المجمع» (٧/ ١٧٨): «رواه البزار، وفيه سعيد بن سنان وهو ضعيف، وقد وثقه بعضهم، ولم يلتفت إليه في ذلك».

لا أدري، فوضَع يده بين ثديَّ، فعلمتُ في مقامي ذلك ما سَألني عنه من أمْر الدنيا والآخرة، فقال: فيمَ يَختصم الملأُ الأعلىٰ؟ قلتُ: في الدَّرجات والكفَّارات، فأما الدَّرجات: فإسباغُ الوضوء من السَّبرات، وانتظارُ الصلاة بعد الصلاة، قال: صدقتَ، من فَعلَ ذلك عاش بخَير، ومات بخير، وكان من خَطيئته كيوم ولدتْهُ أمُّه، وأما الكفَّارات: فإطعامُ الطَّعام، وإفشاءُ السَّلام، وطِيبُ الكَلام، والصَّلاةُ بالليل والنَّاس نيام، ثم قال: اللَّهمَّ إني أسألُك عمَل الحسَنات، وتركَ السيِّئات، وحبَّ المساكين، ومغفرةً، وأن تتوبَ عليَّ، وإذا أردتَ بقَوم فتنةً فنَجِّني غير مَفتون»، رَواهُ الطَّبَراني في «الكبير»[1]. قال الهيثمي: وفيه ليث بن أبي سُليم، وهو حسن الحَدِيث علىٰ ضعفه، وبقية رجاله ثقات، قلتُ: قد رویٰ ابن أبي عاصم في كتاب «السنة» طرفًا من أوله.

وعن جابر بن سَمُرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«إن الله تَعالَىٰ تجلَّىٰ لي في أحسَن صورة، فسألني: فيمَ يَختصم الملأُ الأعلىٰ؟ قال: قلتُ: ربي لا أعلمُ به، قال: فوضَع يده بين كتفَيَّ حتىٰ وجدتُ بردَها بين ثديَّ -أو وضعها بين ثَديَّ حتىٰ وجدت بردَها بين كتفي- فما سألني عن شَيء إلا علمتُه»** رَواهُ ابن أبي عاصم في «كتاب السنة»[2] ورجاله رجال الصَّحِيح.

---

(١) أخرجه الطبراني (٨/ ٢٩٠) (٨١١٧)، وابن أبي عاصم (١/ ١٧٠) (٣٨٩)، و(١/ ٢٠٣) (٤٦٦)، والدارقطني في «الرؤية» (٢٤٨، ٢٥٠)، وغيرهم من طريق ليث عن عبد الرحمن بن سابط، عن أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ به، قال الألباني في «ظلال الجنة»: «حديث صحيح، وإسناده ضعيف، ليث وهو ابن أبي سليم كان اختلط».

(٢) (١/ ٢٠٣) (٤٦٥)، من طريق سماك بن حرب عن جابر بن سمرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ به، قال الألباني في «ظلال الجنة»: «إسناد حسن، رجاله ثقات رجال الشيخين غير سماك بن حرب فهو من

فصل

في بيان أن رُؤْيَا الأنبياء في المنام وحي وحقٌّ

عن ابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**رُؤْيَا الأنبياءِ في المنام وَحْيٌ**»، رَواهُ ابن أبي حاتم(١)، وذكره التِّرْمِذي في مناقب عمر بن الخطاب تعليقًا.

وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، **أنه قال**: «كانت رُؤْيَا الأنبياء وحْيًا»، رَواهُ ابن جرير، وابن أبي عاصم في «كتاب السنة»، والحاكم في «مستدركه»(٢) وقال: صَحِيح علىٰ شرط مُسْلم، وأقَرَّه الذهبي في «تلخيصه».

وعن عُبيد بن عُمير قال: «إن رُؤْيَا الأنبياءِ وَحْيٌ»(٣) ثم قرأ: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي

=

رجال مسلم وحده، وفيه كلام كما تقدم بيانه... والحديث له شاهد من حديث معاذ وغيره».

(١) أخرجه ابن أبي حاتم كما عزاه له ابن كثير في «تفسيره» (٧/ ٢٧-٢٨)، من طريق أبي عبد الملك الكرندي، عن ابن عيينة، عن إسرائيل بن يونس، عن سماك، عن عكرمة، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ به، قال الألباني في «ظلال الجنة» (١/ ٢٠٢): «قلت: ورجاله ثقات غير أبي عبد الملك الكرندي فلم أعرفه ولا عرفت نِسبته»، كما أخرجه أيضًا الترمذي تعليقًا (٦/ ٦١).

(٢) أخرجه ابن جرير (١٣/ ٩)، وابن أبي عاصم (١/ ٢٠٢) (٤٦٣)، والحاكم (٢/ ٤٣١)، والطحاوي في «المشكل» (١٤/ ٤٦٥) (٥٧٦١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢١٠١) (١١٣٢٨)، وغيرهم من طريق سماك بن حرب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا به. قال الألباني في «ظلال الجنة» (١/ ٢٠٢): «إسناده حسن، رجاله كلهم ثقات رجال مسلم، وفي سماك -وهو ابن حرب- كلام يسير، وهو في روايته عن عكرمة خاصة أشد».

(٣) أخرجه البخاري (٨٥٩).

﴿ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ﴾ [الصافات: ١٠٢] رَواهُ البُخارِي.

وعن معاذِ بن جبل رَضِيَٱللَّهُعَنهُ، **موقوفًا**: «أن رَسُول اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ كان ما رَأىٰ في يَقظته أو نومه فهو حَقٌّ»، رَواهُ الإمام أحمد، وابن أبي عاصم في «كتاب السُّنَّة» بأسانيد صَحِيحة[١]. وفي رواية لأحمد: «رُؤْيَا النَّبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ حَقٌّ»[٢].

وإذا عُلم أن رُؤْيَا النَّبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ في المنام وحْيٌ وحَقٌّ، فليُعلم أيضًا أنه يجبُ الإيمانُ بما أخبر به رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ من رُؤيته لربِّه تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ في المنام في أحسَن صُورة، وأنه وضَع كفَّه -وفي رواية: يدَه- بين كَتفي رَسُول اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ حتىٰ وجَد بردَها بين ثَدييه. ويجب أيضًا إمرارُ ما جاء في ذلك الأحَادِيث الَّتي تقدَّم ذكرُها، كما جاء من غير تحريفٍ ولا تَعطيل، ولا تكييف ولا تمثيل، وقد تلقَّاها الصَّحابَة عن النَّبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ وقابَلوها بالقَبول والتَّسليم، وأَمَرُّوها كما جاءت، ثم تلقَّاها من رواها عنهم من التَّابعين وكذلك أتباع التابعين مِن بعدهم، وقابلوها بالقَبول والتسليم، وأمَرُّوها كما جاءت، ثم خرَّجها مَن جاء بعدهم من أكابر المُحدِّثين الَّذين تقدَّم ذكرُهم، وقابلوها بالقَبول والتسليم، وأمَرُّوها كما جاءت.

وهذه الطَّريقة هي طريقةُ السَّلف في آيات الصِّفات وأحَادِيث الصفات، وهي

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٢٤٥) (٢٢١٧٣)، وابن أبي عاصم (٢/ ٥٨٤) (١٢٦٥)، والطبراني في «الكبير» (٢٠/ ١٤٩) (٣٠٨، ٣٠٩)، وغيرهم من طريق مسعر بن كدام، عن عبد الملك بن ميسرة، عن مصعب بن سعد، عن معاذ بن جبل رَضِيَٱللَّهُعَنهُ به، قال الأرنؤوط: «صحيح لغيره وهذا إسناد رجاله ثقات رجال الشيخين غير أنه منقطع».

(٢) أخرجه أحمد (٥/ ٢٣٣) (٢٢٠٨٨).

أسلمُ وأحْكَم من طريقة الخَلَف الَّذين خاضُوا في تَأْويل آيات الصِّفات وأحَادِيثها، وصَرَفوها عن ظاهرها بما سنَح لهم من الاحتمالات والتأويلات الباطلة، حتىٰ آل بهم ذلك إلىٰ التَّعطيل. وقد قال ابنُ عبد البر في كتابه «جامع بيان العلم وفضله»[1]: إنَّ السَّلف رَوَوا أحَادِيث الصِّفات وسكتُوا عنها وهم كانوا أعمَق النَّاس علمًا، وأوسَعهم فَهمًا، وأقلُّهم تكلُّفًا، ولم يَكن سُكوتُهم علىٰ عِيٍّ، فمَن لم يَسْعُه ما وسِعَهُم فقد خاب وخَسِر». انتهىٰ.

وذكر الحافظُ ابن حجر في «فتح الباري»[2] عن القاضي عياض أنه قال: «لم يَختلف العلماءُ في جَواز رؤيةِ الله تَعالَىٰ في المنام». انتهىٰ. وذكَر النووي في «شرح مُسْلم»[3] عن القاضي أنه قال: «اتفق العلماءُ علىٰ جواز رؤيةِ الله تَعالَىٰ في المنام وصِحَّتِها». انتهىٰ المقصود من كلامه.

وذكر البَغوي في كتابه «شرح السنة»[4] عن الإمام -وهو شيخه القاضي حسين بن مُحمَّد بن أحمد أبو علي المَروذي شيخ الشَّافعية في زمانه- أنه قال: «رُؤيةُ الله في المنام جائزةٌ، فإن رآه فوعد له جنَّة أو مَغفرة أو نجاة من النار، فقوله حقٌّ ووعدُه صِدْق. وإن رآه يَنظر إليه فهو رحمَتُه، وإن رآه مُعرضًا عنه فهو تَحذير من الذُّنوب، لقوله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيۡهِمۡ﴾ [آل عمران: ٧٧]. وإن أعطاه شيئًا من مَتاع الدنيا فأخذَه فهو بلاءٌ ومِحن وأسقامٌ

---

(١) (٢/ ٩٤٥).

(٢) (١٢/ ٣٨٧).

(٣) (١٥/ ٢٥).

(٤) (١٢/ ٢٢٧).

تُصيب بدنَه، يَعظُم بها أجرُه، لا يَزال يَضطرب فيها حتىٰ يُؤدِّيَه إلىٰ الرَّحمة وحُسن العاقبة». انتهىٰ.

فصل

فيما جاء في رؤية النَّبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المنام

عن أبي هُرَيرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رَسُول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَن رآني في المَنام فقد رآني، فإن الشَّيْطَان لا يَتمثَّلُ بِي**»، رَواهُ الإمام أحمدُ ومُسْلم وابنُ ماجه بهذا اللفظ(١). وفي لفظ لأحمد: «**مَن رآني في المَنام فقد رآني، إن الشَّيْطَان لا يَتشَبَّه بِي**»(٢)، ورواه البُخارِي ولفظه: «**ومَن رآني في المَنام فقد رآني، فإن الشَّيْطَان لا يتمَثَّلُ في صُورتي**»(٣)، ورواه ابن أبي شَيبة بهذا اللفظ، ورواه الإمام أحمد بنحوه، ولفظه: «**مَن رآني في المَنام فقد رآني، إن الشَّيْطَان لا يَتصَوَّرُ بِي**». قال شعبةُ: أو قال: «**لا يتشبَّهُ بِي**»(٤)، ورواه التِّرْمِذي ولفظه: «**مَن رآني فإني أنا هو، فإنه ليس للشَّيطان أن يتمثَّل بي**»(٥). قال التِّرْمِذي: هذا حديث حسن صَحِيح.

وفي رواية لأحمد وابن حبان: «**مَن رآني في المَنام فقد رأىٰ الحقَّ، إن الشَّيْطَان لا يَتشبَّهُ بِي**»(٦). وفي رواية لأحمد: «**مَن رآني في المنام فقد رآني الحقَّ، إن الشَّيْطَان لا**

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٤١١) (٩٣١٣)، ومسلم (٢٢٦٦)، وابن ماجه (٣٩٠١).

(٢) (٢/ ٤٧٢) (١٠١١٣).

(٣) أخرجه البخاري (١١٠)، وابن أبي شيبة (٦/ ١٧٤) (٣٠٤٦٧).

(٤) (٢/ ٢١٠) (٩٣٠٥).

(٥) (٢٢٨٠).

(٦) أخرجه أحمد (٢/ ٢٦١) (٧٥٤٤)، وابن حبان (١٣/ ٤١٦) (٦٠٥١).

يستَطيعُ أن يَتشبَّه بي»(١) . وفي رواية لأحمد والبُخارِي ومُسْلم وأبي داود: «**مَن رآني في المَنام فسَيراني في اليَقظة، ولا يَتمثَّل الشَّيْطَان بي**»(٢)، هذا لفظ البُخارِي، ولفظ أحمد ومُسْلم وأبي دَاود: «**مَن رآني في المَنام فسَيراني في اليقظة، أو فكأنما رآني في اليَقظة، لا يتمثَّل الشَّيْطَانُ بي**» زاد البُخارِي: قال ابن سِيرين: إذا رآه في صُورَته.

وفي رواية لأحمد: عن عاصِم بن كُلَيب، حدثني أبي أنه سَمع أبا هُرَيرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: قال رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَن رآني في المَنام فقد رآني، فإن الشَّيْطَان لا يتمثَّلُ بي**»(٣) . قال عاصم: فحدَّثنيه ابنُ عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فأخبرتُه أني قد رأيتُه، قال: رأيتَه؟ قلتُ: إي واللهِ لقَد رأيتُه. قال: فذكرتُ الحسَن بن علي، قال: إنِّي والله قد ذكرتُه ونَعتُّه في مِشيَتِه، قال: فقال ابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: إنه كان يُشبهه، وقد رَواهُ التِّرْمِذي في «الشَّمائل» والحاكم بنحوه مختصرًا، وصححه الحاكم والذهبي. وقال الحافظ ابنُ حجر في «فتح الباري»: سندُه جيِّد.

وعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قال:** قال رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَن رآني في المَنام فقَد رآني، فإن الشَّيْطَانَ لا يتمثَّلُ بِي**»، رَواهُ الإمام أحمدُ والبُخارِي(٤) . ورَواه ابنُ أبي شَيبةَ مختصرًا، ولفظه: «**إن الشَّيْطَان لا يتمثَّلُ بي**»، ورواه التِّرمِذي في

---

(١) (٢/ ٤٢٥) (٩٤٨٤).

(٢) أخرجه أحمد (٥/ ٣٠٦) (٢٢٦٥٩)، والبخاري (٦٩٩٣)، ومسلم (٢٢٦٦)، وأبو داود (٥٠٢٣).

(٣) أخرجه أحمد (٢/ ٢٣٢) (٧١٦٨)، والترمذي في «الشمائل» (٤١١)، والحاكم (٤/ ٣٩٣).

(٤) أخرجه أحمد (٣/ ٢٦٩) (١٣٨٧٦)، والبخاري (٦٩٩٤)، وابن أبي شيبة (٦/ ١٧٥) (٣٠٤٧٠)، والترمذي في «الشمائل» (٤١٥).

«الشمائل» بنحو رواية أحمد والبُخارِي.

وعن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أن رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«مَن رآني في النَّوم فقد رآني، إنه لا يَنبغِي للشَّيطان أن يتمَثَّلَ في صُورتي»**، رَواهُ الإمام أحمد ومُسْلم وابن أبي شيبة وابن ماجه(١). وفي رواية لمُسْلم: **«من رآني في النَّوم فقد رآني، فإنه لا ينبغي للشَّيطان أن يتَشبَّهَ بي»**(٢).

وعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، **قال:** قال رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«مَن رآني في المَنام فقد رآني، فإن الشَّيْطَان لا يَنبغي له أن يتمثَّلَ بمثلي»**، رَواهُ الإمام أحمد والدَّارِمِي والتِّرْمِذي وابن ماجه(٣). وقال التِّرْمِذي: هذا حديث حسن صَحِيح.

وعن أبي قتادةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، **قال:** قال رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«من رآني فقد رأى الحقَّ»**، رَواهُ الإمام أحمد والبُخارِي ومُسْلم والدَّارِمِي، وهذا لفظ البُخارِي ومُسْلم(٤). ولفظ أحمد: **«من رآني فقَد رآني الحقَّ»**، ولفظ الدَّارِمِي: **«مَن رآني في المَنام فقد رأى الحقَّ»**. وفي رواية للبخاري: **«وإن الشَّيْطَان لا يَتراءى بي»**(٥).

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٣٥٠) (١٤٨٢١)، ومسلم (٢٢٦٨)، وابن أبي شيبة (٦/ ١٧٤) (٣٠٤٦٩)، وابن ماجه (٣٩٠١).

(٢) (٢٢٦٨).

(٣) أخرجه أحمد (١/ ٣٧٥) (٣٥٥٩)، والدارمي (٢١٨٥)، والترمذي (٢٢٧٦)، وابن ماجه (٣٩٠١)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٦/ ٢٢٨).

(٤) أخرجه أحمد (٥/ ٣٠٦) (٢٢٦٥٩)، والبخاري (٦٩٩٦)، ومسلم (٢٢٦٧)، والدارمي (٢١٨٦).

(٥) (٦٩٩٥).

وعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَن رآني فقد رأىٰ الحقَّ، فإن الشَّيْطَان لا يتكوَّنُني**»، رَواهُ الإمام أحمد والبُخارِي وابن أبي شيبة وابن ماجه، وهذا لفظ البُخارِي(١). ولفظ أحمد: «**مَن رآني فقَد رآني الحقَّ، فإن الشَّيْطَان لا يتكوَّنُ بِي**». ولفظ ابن أبي شيبة وابن ماجه: «**من رآني في المَنام فقد رآني، فإن الشَّيْطَان لا يتمثَّلُ بي**».

قال ابن الأثير في «النهاية في غريب الحَدِيث»(٢): «فيه: «**مَن رآني في المَنام فقد رآني، فإن الشَّيْطَان لا يتكوَّنُني**». وفي رواية: «**لا يتكوَّنُ في صُورتي**» أي: يتشَبَّه بي ويتَصوَّر بصورتي، وحقيقته يصير كائنًا في صُورتي» انتهىٰ.

وقد روىٰ الطَّبَراني في «الصغير» و«الأوسط» حديثَ أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ولفظه: «**مَن رآني في المَنام فقد رآني حقًّا، فإن الشَّيْطَان لا يتمثَّلُ بي، ولا بالكَعْبة**»(٣). قال الهيثمي: فيه مُحمَّد بن أبي السري، وثَّقه ابنُ مَعين وغيرُه، وفيه لِينٌ، وبقيَّة رجالُه رجال الصَّحِيح.

وعن أبي جُحَيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَن رآني في المَنام فكأنَّما رآني في اليَقظة، إن الشَّيْطَان لا يَستطيعُ أن يَتمثَّل بي**»، رَواهُ ابن ماجه وابن حِبَّان في

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٥٥) (١١٥٣٩)، والبخاري (٦٩٩٧)، وابن أبي شيبة (٦/ ١٧٥) (٣٠٤٧١)، وابن ماجه (٣٩٠٣).

(٢) (٤/ ٢١١).

(٣) أخرجه الطبراني في «الصغير» (١/ ١٧٥) (٢٧٧)، و«الأوسط» (٣/ ٢٣٧) (٣٠٢٦)، وإسناده ضعيف «فيه محمد بن أبي السري، وثقه ابن معين وغيره، وفيه لين، وبقية رجاله رجال الصحيح»، قاله في «المجمع» (٧/ ١٨١).

«صحيحه»، وهذا لفظ ابن ماجه[١]، وفي رواية ابن حبَّان: «**فإن الشَّيْطَان لا يَتشَبَّه بي**».

وعن أبي مالك الأشْجَعي، عن أبيه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَن رآني في المَنام فقد رآني**»، رَواهُ الإمام أحمدُ وابن أبي شيبة والبزَّار والطَّبَراني[٢]. قال الهيثمي: رجاله رجال الصَّحِيح. وقد رَواهُ التِّرْمِذي في «الشمائل» ورجاله رجال الصَّحِيح.

وعن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، **قال**: قال رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَن رآني في المَنام فكأنما رآني في اليَقظَة، مَن رآني فقد رأىٰ الحقَّ، فإن الشَّيْطَانَ لا يَتمثَّلُ بِي**»، رَواهُ الطَّبَراني في «الأوسط» و«الكبير»، وهذا لفظه في «الكبير»[٣]، قال الهيثمي: ورجاله ثقات.

وعن ابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، **قال**: قال رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَن رَآني في المنام فإيَّاي رأىٰ، فإنَّ الشَّيْطَان لا يتخَيَّلُ بِي**»، رَواهُ الإمام أحمدُ وابن ماجَهْ[٤]، وهذا

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٣٩٠٣)، وابن حبان (١٣/ ٤١٧) (٦٠٥٣)، وأبو يعلىٰ (٢/ ١٨٤) (٨٨١) وغيرهم، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٠٠٤).

(٢) أخرجه أحمد (٣/ ٤٧٢) (١٥٩٢١)، وابن أبي شيبة (٦/ ١٧٤) (٣٠٤٦٦)، والبزار (٧/ ٢٠١) (٢٧٧٣)، والطبراني (٨/ ٣١٦) (٨١٨٠)، والترمذي في «الشمائل» (٤٠٩)، قال في «المجمع» (٧/ ١٨١): «رواه أحمد، والبزار، والطبراني، ورجاله رجال الصحيح»، قال الأرنؤوط: «حديث صحيح».

(٣) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (١/ ١٩٢) (٦٠٨)، و«الكبير» (١٣/ ٦٣٤) (١٤٥٥٨)، وفي «مسند الشاميين» (٣/ ٣٩٧) (٢٥٤٢)، قال في «المجمع» (٧/ ١٨١): «رجاله ثقات».

(٤) أخرجه أحمد (١/ ٢٧٩) (٢٥٢٥)، وابن ماجه (٣٩٠٥) من طريق جابر الجعفي، عن عمار الدهني، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا به، قال الأرنؤوط: «صحيح لغيره وهذا =

لفظ أحْمَد، ولفظ ابن ماجَهْ: «**مَن رَآني في المنام فقد رآني، فإن الشَّيْطَان لا يتمثَّلُ بي**». وفي إسْنَاد كلٍّ منهما جابرٌ الجُعفي وهو ضعيف، ولكن لحديثه هذا شواهد كثيرة مما ذكر قبله من الصِّحاح.

وعن يَزيد الفارسي قال: رأيتُ رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في النَّوم زمنَ ابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وكان يزيدُ يَكتب المَصاحفَ، قال: فقلتُ لابن عبَّاس: إنِّي رأيتُ رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في النوم، قال ابنُ عبَّاس: فإن رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يقول: «**إن الشَّيْطَان لا يَستطيعُ أن يتشبَّه بي، فمن رَآني في النَّوم فقد رآني**»[(١)]، فهل تستطيعُ أن تَنعتَ لنا هذا الرَّجل الَّذي رأيتَ؟ قال: قلتُ: نَعم، رأيتُ رجلًا بين الرَّجُلين جِسمه ولحْمه، أسمَر إلىٰ البياض، حسَن المَضحك، أكحَل العَينين، جَميل دوائر الوَجه، قد مَلأت لحيته من هذه إلىٰ هذه، حتىٰ كادت تَملأ نحرَه، قال: فقال ابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: لو رأيتَه في اليقظة ما استطعتَ أن تَنعته فوق هذا. رَواهُ الإمامُ أحْمَد. قال الهيثمي: ورجاله ثقات.

وقد رَواهُ التِّرْمِذي في «الشَّمائل» بنحوه، ورواه ابن أبي شيبة مختصرًا، ويشهد للمَرفوع منه ما تقدَّم من الأحَادِيث الصَّحِيحة.

عن عبد الله بن مَسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، **أنه قال:** «كان رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يَخيل علىٰ مَن رَآه»، رَواهُ الطَّبَراني[(٢)]، قال الهيثمِي: ورجاله ثقات.

=

إسناد ضعيف لضعف جابر».

(١) أخرجه أحمد (١/ ٣٦١) (٣٤١٠)، والترمذي في «الشمائل» (٤١٢)، وابن أبي شيبة (٦/ ١٧٤، ٣٢٨) (٣٠٤٦٨، ٣١٨٠٩)، قال الأرنؤوط: «إسناده ضعيف».

(٢) أخرجه الطبراني (١٠/ ٢١٤) (١٠٥١٠)، قال في «المجمع»: «رواه الطبراني، ورجاله ثقات».

وعن المُثنَّىٰ -يعني ابن سعيد- قال: «سمعتُ أنسًا رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ يقول: قَلَّ ليلة تَأْتي عليَّ إلا وأنا أرىٰ فيها خليلي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وأنسٌ يقول ذلك وتَدمع عيناه»، رَواهُ الإمام أحْمَد(١)، قال الهيثمي: ورجاله رجال الصَّحِيح.

فصل

في ذكر أقوال العلماء في رؤية النَّبِي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في المنام

قال القاضي أبو بكر بن العَربي المالكي في كتابه «عارِضَة الأحْوَذي»(٢): «حديث رُؤية النَّبِي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في المنام، قد قيل: إن الرُّؤْيَا لا حقيقةَ لها، وهم القَدريَّة، تَعسًا لهم. وغَلا صالحٌ فيه فقال: كلُّ الرُّؤْيَا والرُّؤية بعَين الرَّأس حقيقة، وهذا حمَاقٌ، وقيل: مُدركة بعينين في قَلبه، وهذه عبارة مَجازية. قال: والصَّحِيح عندي أنها إدراكٌ. فأما رُؤية النَّبِي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فمَن رآه في المنام بصِفة معلومة فهو إدراك الحقيقة، وإن رآه علىٰ غير صِفته فهو إدراك المِثال، وقد جاء الحَدِيث علىٰ أربعة ألفاظ صِحاح:

الأول: «مَن رآني فقد رَآني، فإن الشَّيْطَان لا يتمثَّل بي».

الثاني: قوله: «مَن رآني فقد رَأىٰ الحَقَّ».

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٢١٦) (١٣٢٩٠)، قال الأرنؤوط: «إسناده صحيح علىٰ شرط البخاري، رجاله ثقات»، وانظر: «المجمع» (٧/ ١٨٢).

(٢) (٩/ ١٣٠).

الثالث: «**فسَيراني في اليَقَظة**».

الرابع: «**فكأنَّما رَآني في اليَقظَةِ**».

فأما قولُه: «**مَن رآني فقد رآني**» فقد بيَّناه في وجه إدراكه. وأما قوله: «**فقد رأىٰ الحقَّ**» فتفسيره قَوله: «**إن الشَّيْطَان لا يتمثَّل بي**»، وأما قوله: «**فسَيراني في اليقظة**» فيحتمل أن يكون معناه: فسَيرىٰ تفسيرَ ما رأىٰ؛ لأنه حقٌّ وغَيبٌ ألقاه إليه المَلَك، وقيل: معناه: فسيراني في القِيامة، وهذا لا مَعنىٰ له ولا فائدة في هذا التَّخصيص، وأما قوله: «**فكأنَّما رآني**» فتَشبيهٌ، ووَجهُه أنه لو رَآه في اليقظة لرَآه حقًّا، فكذلك هذا يكون حقًّا، وكان الأول حقًّا وحقيقة، ويكون الثاني حقًّا تَمثيلًا ومَجازًا.

فإن قيل: فإن رَآه علىٰ خلاف صِفةِ ما هو، قلنا: هي أَمثال. فإن رآه حسَن الهَيئة حسَنَ الأقوال والأفعال، مُقبلًا علىٰ الرَّائي كان خيرًا له وفيه. وإن رأىٰ خلافَ ذلك كان شرًّا له وفيه، لا يَلحق النَّبي من ذلك شيء» انتهىٰ.

وقال النَّووي في «**شرح مُسْلم**»(١): اختَلف العلماء في معنىٰ قوله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فقد رَآني**»، فقال ابن الباقِلاني: معناه أن رُؤْيَاه صَحِيحة ليست بأضغاث ولا مِن تَشبيهات الشَّيْطَان، ويؤيد قوله رِواية: «**فقَد رأىٰ الحقَّ**» أي: الرُّؤية الصَّحِيحة، قال: وقد يَراه الرَّائي علىٰ خلاف صفته المعروفة، كمن رآه أبيض اللِّحية، وقد يراه شخصان في زمن واحدٍ أحدُهما في المشرق والآخر في المغرب، ويراه كلٌّ منهما في مكانه.

ثم ذكر النَّووي عن القاضي أنه قال: يحتمل أن يكون قوله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فقد رآني**» أو: «**فقد رأىٰ الحقَّ، فإن الشَّيْطَان لا يتمثَّلُ في صُورتي**» المراد به إذا رآه علىٰ

---

(١) (١٥/ ٢٤).

صِفته المعروفة له في حياته، فإن رأىٰ علىٰ خلافها كانت رُؤْيَا تَأْويل، لا رُؤْيَا حقيقة.

قال النووي: وهذا الَّذي قاله القاضي ضَعيفٌ، بل الصَّحِيح أنه يَراه حقيقة، سواء كان علىٰ صفته المعروفة أو غيرها.

وقد تعقَّب الحافظُ ابنُ حجر(١) كلامَ النَّووي فقال: لم يَظهر لي من كلام القاضي ما يُنافي ذلك، بل ظاهِر قوله أنَّه يَراه حقيقة في الحالين. لكن في الأُولىٰ تكون الرُّؤْيَا مما لا يَحتاج إلىٰ تَعبير، والثَّانية مما يَحتاج إلىٰ التَّعبير.

ثم ذكر ابنُ حَجر عن القُرطبي أنه قال: من المَعلوم أنه يُرىٰ في النوم علىٰ حالةٍ تُخالف حالته في الدنيا من الأحوال اللائقة به، وتقع تلك الرُّؤْيَا حقًّا، ولو تمكَّن الشَّيْطَان من التَّمثيل بشيء مما كان عليه أو يُنسب إليه لعارض عُموم قوله: «**فإن الشَّيْطَان لا يتمثَّلُ بي**»؛ فالأَوْلىٰ أن تُنزَّه رُؤْيَاه وكذا رُؤْيَا شيء منه أو مما يُنسب إليه عن ذلك، فهو أبلَغُ في الحُرْمة وأَليقُ بالعِصمة كما عُصم من الشَّيْطَان في يقظته.

قال: والصَّحِيح في تَأْويل هذا الحَدِيث أن مقصودَه أن رؤيتَه في كل حالةٍ ليست باطلة ولا أضغاثًا، بل هي حق في نفسها، ولو رُؤي علىٰ غير صُورته، فتصور تلك الصُّورة ليس من الشَّيْطَان، بل هو من قِبَل الله. قال: وهذا قول القاضي أبي بَكر بن الطَّيِّب وغيره. ويؤيده قوله: «**فقد رأىٰ الحقَّ**» أي: رأىٰ الحقَّ الَّذي قصد إعلام الرَّائي به، فإن كانت علىٰ ظاهرها وإلا سعىٰ في تَأْويلها، ولا يهمل أمرَها، لأنها إما بُشرىٰ بخير، أو إنذار من شَرٍّ، إما ليُخيف الرَّائي، وإما ليَنزجر عنه، وإما ليُنبِّه علىٰ حُكم يقع له في دينه أو دنياه. انتهىٰ باختصار.

---

(١) في «فتح الباري» (١٢/ ٣٨٤).

وذكر النَّووي عن القاضي أنه قال: «قال بعض العُلماء: خصَّ الله النَّبيَّ صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بأن رؤيةَ النَّاس إياه صَحِيحة وكلها صدق، ومَنع الشَّيْطَان أن يتصوَّر في خلقته؛ لئلا يَكذب علىٰ لسانه في النوم، كما خرق الله تَعالَىٰ العادةَ للأنبياء عليهم السلام بالمُعجزة، وكما استحال أن يتصَوَّر الشَّيْطَان في صورته في اليَقظة، ولو وقع لاشتَبه الحقُّ بالباطل، ولم يوثق بما جاء به مَخافة من هذا التَّصوُّر، فحماها الله من الشَّيْطَان ونَزغه ووسوسته وإلقائه وكيده، قال: وكذا حمىٰ رؤيتهم أنفسهم»[١]. انتهىٰ.

وذكر الحافظ ابنُ حَجَر عن أبي سَعد أحْمَد بن مُحمَّد بن نصر، أنه قال: «من رأىٰ نبيًّا علىٰ حاله وهيئته فذلك دليل علىٰ صلاح الرَّائي وكمال جاهه وظَفره بمن عاداه، ومَن رآه متغيِّر الحال عابسًا مثلًا، فذاك دالٌّ علىٰ سوء حال الرَّائي. وذكر ابن حجر أيضًا عن أبي مُحمَّد بن أبي جَمرة أنه قال: منهم من قال: إن الشَّيْطَان لا يتصَوَّر علىٰ صُورته أصلًا، فمن رآه في صُورة حَسَنَة فذاك حسَن في دين الرائي، وإن كان في جارحة من جَوارحه شَين أو نقص فذاك خلَلٌ في الرَّائي من جهة الدِّين.

قال: وهذا هو الحقُّ، وقد جرِّب ذلك فوجد علىٰ هذا الأسلوب، وبه تَحصُل الفائدة الكبرىٰ في رُؤْيَاه، حتىٰ يتبيَّن للرَّائي هل عنده خَلَل أو لا؟ وكذلك يقال في كلامه صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في النَّوم: إنَّه يُعرض علىٰ سُنَّته، فما وافقها فهو حقٌّ، وما خالفَها فالخَلَلُ في سَمْع الرَّائي، فرُؤْيَا الذَّات الكَريمة حقٌّ، والخلَلُ إنما هو في سَمْع الرَّائي أو بصَرِه، قال: وهذا خيرُ ما سَمِعتُه في ذلك»[٢]. انتهىٰ.

---

(١) (١٥/ ٢٥).

(٢) (١٢/ ٣٨٧).

وأما قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَن رآني في المنام فسَيراني في اليَقظة» فقد تقدَّم قول ابن العربي المالكي: إنه يحتمل أن يكون معناه: فسَيرىٰ تفسيرَ ما رأىٰ؛ لأنه حقٌّ وغَيب ألقاه إليه المَلَكُ. وذكر الحافظ ابنُ حجر عن ابن بطَّال أنه قال: يُريد تصديقَ تلك الرُّؤْيَا في اليَقظة وصحَّتها وخُروجها علىٰ الحقِّ، وليس المراد أنه يَراه في الآخرة، لأنه سيراه يوم القيامة جَميع أمته، مَن رآه في النَّوم ومن لم يَرَه منهم.

وقال المَازري: إن كان المَحفوظ: «**فكأنَّما رآني في اليَقظة**» فمعناه ظاهر، وإن كان المحفوظ: «**فسَيراني في اليقظة**» احتمل أن يكون أراد أهلَ عَصره ممن يُهاجر إليه، فإنه إذا رآه في المَنام جعل ذلك علامة علىٰ أنه سيراه بعد ذلك في اليَقظة. وقال القاضي: وقيل: معناه: سيرىٰ تَأْويل تلك الرُّؤْيَا في اليقظة وصحَّتَها، انتهىٰ المقصود مما ذكره ابنُ حجر عن بعض العلماء في معنىٰ الحَدِيث.

فصل

في رؤية الأنبياء والملائكة في المنام

ذكر البَغويُّ في «شرح السنة»[١] عن الإمام -وهو شيخه القاضي حُسين بن مُحمَّد المَروذي- أنه قال: «رُؤية النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المنام حقٌّ، ولا يَتمثَّل الشَّيْطَان به، وكذلك جميع الأنبياء والملائكة، وكذلك الشَّمس والقمر والنجوم المُضيئة، والسحاب الَّذي فيه الغَيْث، لا يتمثَّل الشَّيطَانُ بشيء منها. ومَن رأىٰ نزولَ الملائكة بمكان فهو نُصرة لأهل ذلك المَكان، وفَرَج إن كانوا في كَرْب، وخَصْب إن

(١) (١٢/ ٢٢٨).

كانوا في ضِيق وقَحْط، وكذلك رُؤية الأنبياء صلوات الله عليهم، ومَن رأىٰ مَلَكًا يُكلِّمُه ببرٍّ أو بعِظَةٍ، أو يُبشِّرُه فهو شَرَفٌ في الدنيا وشهادةٌ في العاقبة.

ورُؤية الأنبياء مثل رُؤية الملائكة إلا في الشهادة، لأن الأنبياءَ كانوا يُخالطون النَّاس، والمَلائكة عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لا يَراهم النَّاس.

ورُؤية النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في مكان سعةٌ لأَهْل ذلك المكان إن كانوا في ضِيق، وفرجٌ إن كانوا في كَرْب، ونصرةٌ إن كانوا في ظُلم، وكذلك رؤية الصَّحابَة والتابعين لهم بإحسان، ورُؤية أهل الدِّين بَرَكة وخَيْر علىٰ قَدْر منازلهم في الدِّين، ومَن رأىٰ النَّبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كثيرًا في المَنام لم يَزَل خَفيفَ الحال، مُقِلًّا في دنياه مِن غَير حاجة فادِحَة ولا خِذْلان مِن الله عَزَّ وَجَلَّ، قال النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن الفَقرَ أَسْرع إلىٰ من يُحبُّني من السَّيل إلىٰ مُنتهاه**»(١)، ورُؤية الإمام إصابَة خَير وشَرف» انتهىٰ.

فصل

في بيان حقيقة الرُّؤْيَا

قال القاضي أبو بكر بن العربي المالكي في كتابه «عارضة الأحوذي»(٢): «قد بيَّنَّا حقيقةَ الرُّؤْيَا وأنها إدراكَات يَخلُقها اللهُ في قَلْب العَبد علىٰ يَدي المَلك أو الشَّيْطَان، إما بأمثالِها، وإما أمثالًا بكُناها، وإما تَخليطًا. ونظير ذلك في اليَقظة الخواطرُ، فإنَّها تأتي علىٰ نسَقٍ في قَصد، وتأتي مُستَرسلة غير مُحصَّلة، فإذا خَلق الله من

---

(١) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٧/ ١٦٠) (٧١٥٧)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٣١٠٣).
(٢) (٩/ ١٢٣).

ذلك في المنام علىٰ يَدي الملَكِ شيئًا كان وحْيًا منظومًا وبُرهانًا مفهومًا» انتهىٰ.

وقد تقدَّم في حديث أبي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«الرُّؤْيَا ثلاثٌ، فرُؤْيَا حقٌّ، ورُؤْيَا يُحدِّثُ بها الرَّجُلُ نفسَه، ورُؤْيَا تَحزينٌ من الشَّيْطَان»**. وتقدم أيضًا في حديث أبي قتادةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«الرُّؤْيَا من اللهِ، والحُلْم من الشَّيْطَان»**. وفي رواية: **«الرُّؤْيَا الصَّالِحَة من الله، والرُّؤْيَا السُّوء من الشَّيْطَان»**.

قال البغوي في «شرح السنة»[(١)]: «قوله: **«الرُّؤْيَا ثلاثة»** فيه بيانٌ أن ليس كلُّ ما يراه الإنسانُ في منامه يكون صَحِيحًا ويَجوز تَعبيرُه، إنما الصَّحِيح منها ما كان مِن الله عَزَّوَجَلَّ يَأتيك به ملَكُ الرُّؤْيَا مِن نُسخة أمِّ الكتاب، وما سوىٰ ذلك أضغاثُ أحْلام، لا تَأْويل لها.

وهي علىٰ أنواع: قد يكون مِن فعل الشَّيْطَان يَلعبُ بالإنسان أو يُريه ما يُحزنُه، وله مَكايد يُحزن بها بني آدم، ومِن لعب الشَّيْطَان به الاحتلام الَّذي يُوجب الغُسل، فلا يكون له تَأْويل. وقد يَكون ذلك من حَديث النَّفْس، كمن يكون في أمْرٍ أو حِرْفَة يرىٰ نفسَه في ذلك الأمر. والعاشق يَرىٰ معشوقَه، ونحو ذلك. وقد يكون ذلك من مزاج الطَّبيعة، كمن غلبَ عليه الدَّم يَرىٰ الفَصْد والحِجامةَ والرُّعاف والحُمرة والرَّياحين والمَزامير والنَّشاط ونحوها، ومن غَلب عليه طَبيعة الصَّفراء يرىٰ النَّار والشَّمعَ والسِّراج والأشياءَ الصُّفر والطَّيران في الهواء وغيرها، ومن غلب عليه السَّوداءُ يرىٰ الظُّلمة والسَّواد والأشياء السُّود وصَيد الوُحوش والأهوال والأَموات

---

(١) (١٢/ ٢١١).

والقُبور والمَواضع الخَرِبَة، وكونه في مَضيقٍ لا مَنفذَ له، أو تحت ثقلٍ، ونحو ذلك، ومَن غَلب عليه البَلغمُ يَرىٰ البياضَ والمياه والأنداءَ والثَّلج والجمدَ والوَحلَ ونحوها، فلا تَأْويل لشيء منها» انتهىٰ.

إذا عُلم هذا فالكلامُ في هذا الفَصْل فيما يَجوزُ تَعبيره من الرُّؤْيَا وهي الرُّؤْيَا الصَّحِيحة الَّتي جاء وصْفُها في حديث أبي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بأنها رُؤْيَا حقٌّ، وجاء وصْفُها في حديث أبي قتادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بأنها الرُّؤْيَا الصَّالِحَة، وأنها مِن الله، وهذه الرُّؤْيَا نوعان:

أحدهما: ما هو ظَاهرٌ لا يَحتاج إلىٰ تَأْويل.

والثاني: ما هو مِن ضَرْب الأمثال للنَّائم، وهذا النوع هو الأكثر والغالب علىٰ الرُّؤْيَا، وهو الَّذي يحتاج فيه إلىٰ التَّأويل.

ومن النَّوع الأول: رُؤْيَا إبراهيم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في المنام أنه يَذبَحُ ابنَه. وقد ذكر اللهُ هذه القِصَّة في قوله تَعالَىٰ: ﴿فَبَشَّرْنَـٰهُ بِغُلَـٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَـٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَـٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَـٰدَيْنَـٰهُ أَن يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَـٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَـٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ [الصافات: ١٠١-١٠٧].

وقد جاء في هذا النَّوع أَحَادِيثُ كثيرةٌ عن النَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وسأذكُر منها ما تيسَّر إن شاء الله تَعالَىٰ، وأذكر بعدها جملةً مما جاء في غير الأَحَادِيث المرفوعة، وهو مما يُستحسن ذكرُه.

فمن ذلك: ما ثبت عن النَّبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه رأىٰ ربَّه في المنام في أحسن صُورة، وأن الله تَعالَىٰ سأله عما يَختَصم فيه الملأ الأعلىٰ، وأنه تعالَىٰ وضع كفَّه -وفي رواية: يده- بين كتِفَي النَّبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتىٰ وجَد بردَها بين ثدييه. وقد ذكرتُ الأحَادِيث الواردةَ في ذلك قريبًا، فلتُراجَع.

ومن ذلك: رُؤيَا النَّبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المنام أنه أُتي بعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فعُرضت عليه وقيل له: هذه زَوجتك. وقد روىٰ الحَدِيث الوَارد في ذلك أحْمَد والبُخارِي من طريق هشام بن عُروة عن أبيه عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: قال لي رَسُول اللهِ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**رَأيتُكِ في المَنام مرَّتين، أَرىٰ رَجلًا يَحمِلُكِ في سَرَقَة حَرير فيَقول: هذه امرأتُك، فأَكْشِفُها فإذا هي أنتِ، فأقول: إن يَكُن هذا من عند الله يُمْضِه**»[1]، وفي رواية للبخاري: قالت: قال لي رَسُول اللهِ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أُريتكِ في المَنام يَجيء بك الملَكُ في سَرَقَة من حَرير فقال لي: هذه امرأتُكَ، فكَشفتُ عن وَجهكِ الثَّوبَ فإذا أنتِ هي، فقلت: إن يَك هذا من عند الله يُمْضِه**»[2].

وفي رواية له أخرىٰ: قالت: قال رَسُول اللهِ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أُريتُكِ قبل أن أتزوَّجَكِ مرَّتين، رأيتُ المَلكَ يَحملُك في سَرَقَةٍ من حَرير، فقلتُ له: اكشِفْ، فكشَف، فإذا هي أنتِ، فقلتُ: إن يَكن هذا من عند الله يُمضه، ثم أُريتك يَحملك في سَرَقَة من حرير، فقلتُ: اكشِف، فكشفت فإذا هي أنتِ، فقلتُ: إن يَكُ هذا من عند الله يُمضه**»[3]، ورواه مُسْلم بنحو الرِّواية الثانية عند البُخارِي، إلا أنه قال في أوله:

---

(١) أخرجه أحمد (٦/ ١٢٨) (٢٥٠١٥)، والبخاري (٥٠٧٨).

(٢) (٥١٢٥).

(٣) أخرجه البخاري (٧٠١٢).

«**أُريتُكِ في المنام ثلاثَ لَيال**»[١]، ورواه ابن حِبَّان في «صحيحه»[٢] بمثل الرِّواية الأولىٰ عند أحْمَد والبُخارِي، ورواه البيهقي بمثل رواية مُسْلم.

ورواه التِّرمِذي من طريق ابن أبي مُليكة، عن عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنهَا: «أن جبريلَ جاء بصُورتها في خرقة حَرير خضراء، إلىٰ النَّبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ فقال: إن هذه زَوجتُك في الدنيا والآخرة»[٣]. قال التِّرمِذي: هذا حديث حسَن غريب، ورواه ابن حِبَّان في «صحيحه»[٤] بنحوه.

قوله: «سَرَقة من حَرير» هي بفتح السين والراء. قال الجَوهري: «السَّرَق شقق الحرير، قال أبو عُبيد: إلا أنها البيضُ منها، الواحدة منها سَرَقة. قال: وأصلها بالفارِسيَّة «سَرَهْ» أي: جيِّد، فعرَّبوه»[٥]. انتهىٰ.

ومن ذلك: رُؤْيَا النَّبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ دارَ الهِجْرة. وقد جاء ذلك في حديثَين عن النَّبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ:

أحدهما: عن أبي موسىٰ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ، عن النَّبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قال: «**رأيتُ في المَنام أني أُهاجر من مكَّة إلىٰ أرضٍ بها نَخْل، فذهب وَهَلي إلىٰ أنها اليَمامة أو هَجَر، فإذا هي**

---

(١) أحرجه مسلم (٢٤٣٨)، والبيهقي في «السنن الكبرىٰ» (٧/ ١٣٧) (١٣٤٩٢).

(٢) (٦١/ ٥) (٧٠٩٣).

(٣) (٣٨٨٠).

(٤) (٦/١٦) (٧٠٩٤).

(٥) انظر: «فتح الباري» (١/ ١٣١)، و«إرشاد الساري» (١٠/ ١٤٢)، و«غريب الحديث» لأبي عبيد (٤/ ٢٤١).

المَدينَة يَثْرِب»، رَواهُ البُخارِي ومُسْلم وابن ماجَهْ وابن حِبَّان في «صحيحه»[(١)].

قوله: «فذهَب وَهَلي» قال النَّووي في «شرح مُسْلم»[(٢)]: «الوَهَل بفتح الهاء، ومعناه وَهمِي واعتقادي. قال: وهَجَر مدينة معروفة وهي قاعدة البَحرين، وأما يثْرِب فهو اسمها في الجاهلية، فسماها الله تَعالَىٰ المدينة، وسماها رَسُول اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَيْبة وطَابة» انتهىٰ.

وقال ابنُ حَجر في «فتح الباري»[(٣)]: يُقال: وَهَل بالفتح، إذا ظن شيئًا فتبيَّن الأمر بخلافه. قال: وهَجَر بفتح الهاء والجيم، بَلد مَعروف من البَحرين، وهي من مساكن عَبْد القَيس.

قلتُ: وهو الَّذي يُسمَّىٰ في زماننا الأحسَاء. ولا يَزال اسم هَجر باقيًا علىٰ هذه البلاد زماننا.

الحَديث الثاني: عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قالت: قال رَسُول اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للمُسْلمين: «**قد رأيتُ دارَ هِجرتكم، أُريتُ سَبخة ذات نَخل بين لابَتين وهما حرَّتَان**»[(٤)] فخرج مَن كان مهاجرًا قِبَل المَدينة حين ذكر ذلك رَسُول اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ورَجع إلىٰ المدينة بعضُ من كان هاجَر إلىٰ أرض الحَبَشة من

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٢٢)، ومسلم (٢٢٧٢)، وابن ماجه (٣٩٢٢)، وابن حبان (١٤/ ١٧٦) (٦٢٧٥).

(٢) (١٥/ ٣١).

(٣) (٧/ ٢٢٨).

(٤) أخرجه أحمد (٦/ ١٩٨) (٢٥٦٦٧)، والبخاري (٣٩٠٥)، وابن حبان (١٤/ ١٧٧) (٦٢٧٧)، والبيهقي في «الكبرىٰ» (٩/ ١٧) (١٧٧٣٧).

المُسْلمين. رَواهُ الإمام أحْمَد والبُخارِي وابن حِبَّان في أثناء حَديث طويل في الهجرة، وهذا لفظ أحْمَد، ونحوه عند ابن حِبَّان، ورواه البَيهقي بمثل رواية أحْمَد.

ومن ذلك: رُؤْيَا الأذان، وقد جاء ذلك في عدَّة أحَادِيث. منها: ما رَواهُ أبو داود والبَيهقي، عن أبي عُمير بن أنس، عن عُمومةٍ له من الأنْصار، قال: اهتَمَّ النَّبِيُّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ للصَّلاة كيف يَجمَع النَّاسَ لها؟ فقيل له: انْصبْ رايةً عند حضور الصلاة، فإذا رأوها آذَنَ بعضُهم بعضًا، فلم يُعجِبْه ذلك. قال: فذُكر له القُنْع -يعني الشَّبُّور- شَبُّور اليهود، فلم يُعجِبْه ذلك، وقال: «**هو مِن أَمْر اليهود**»، قال: فذُكر له النَّاقوس فقال: «**هو مِن أمر النَّصارىٰ**»، فانصرف عبدُ الله بن زَيد وهو مُهتَمٌّ لِهَمِّ رَسُول اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فأُرِي الأَذان في مَنامه، قال: فغَدا علىٰ رَسُول اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فأَخْبَره، فقال: يا رَسُول اللهِ، إني لبَيْن نائمٍ ويَقظان إذ أتَاني آتٍ فأَراني الأذان، قال: وكان عُمرُ بن الخطَّاب قد رآه قَبل ذلك فكَتَمَه عِشرين يومًا، ثم أَخبَر النَّبِي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فقال له: «**ما مَنعَك أن تُخبِرَني؟**» فقال: سبَقني عبدُ الله بن زيد فاستَحيَيْت، فقال رَسُول اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**يا بِلَال، قُمْ فانْظُر ما يَأْمُرك به عبدُ الله بن زَيد، فافْعَلْه**»، قال: فأَذَّن بلال[(١)].

ومنها: ما رَواهُ ابنُ أبي شَيبَةَ بإسْنَاد صَحِيح، عن عبد الرَّحْمَن بن أبي لَيلىٰ، قال: حدَّثَنا أصحابُ رَسُول اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، أن عبدَ الله بن زيد الأنصاري جاء إلىٰ النَّبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فقال: يا رَسُول اللهِ، رأيتُ في المنام كأن رجلًا قام وعليه بُردان

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٩٨)، والبيهقي في «الكبرىٰ» (١/ ٥٧٤) (١٨٣٤)، قال الألباني: «إسناده صحيح»، انظر: «صحيح سنن أبي داود» (٢/ ٤٠٤).

أخضران علىٰ جذمَةِ حائط، فأذَّن مَثْنىٰ وأقام مَثنىٰ وقَعد قعدَةً. قال فسَمع ذلك بلال فقام فأذَّن مثنىٰ وأقام مثنىٰ وقَعد قعدة(١).

ومنها: ما رَواهُ الإمام أحْمَد والدَّارِمِي وأبو داود وابن ماجَهْ وابن حِبَّان والبيهقي، عن مُحمَّد بن عبد الله بن زيد بن عبد ربه، قال: حدَّثني عبدُ الله بن زيد، قال: لمَّا أَمر رَسُول اللهِ صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بالنَّاقوس ليُضرب به للنَّاس في الجَمْع للصَّلاة طاف بي وأنا نائمٌ رجلٌ يَحمل ناقوسًا في يَده، فقلتُ له: يا عبدَ الله، أَتبيعُ النَّاقوس؟ قال: ما تَصنع به؟ قال: فقلتُ: نَدعو به إلىٰ الصَّلاة، قال: أفلا أدُلُّك علىٰ ما هو خَيرٌ مِن ذلك؟ قال: فقلتُ له: بلىٰ، قال: تَقول: اللهُ أكبرُ اللهُ أكْبَر، اللهُ أكبَر اللهُ أكبَر، أشهدُ أن لا إلهَ إلا الله، أشهدُ أن لا إله إلا الله، أشهدُ أن مُحمَّدًا رَسُولُ اللهِ، أشهَدُ أن مُحمَّدًا رَسُول اللهِ، حيَّ علىٰ الصَّلاة، حيَّ علىٰ الصلاة، حَيَّ علىٰ الفَلاح، حَيَّ علىٰ الفَلاح، اللهُ أكبَر اللهُ أكبَر، لا إلهَ إلا الله.

ثم استَأخَر غيرَ بعيد ثم قال: تقولُ إذا أُقيمت الصَّلاة: اللهُ أكْبَر اللهُ أكبَر، أشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ، أشهد أن مُحمَّدًا رَسُول اللهِ، حَيَّ علىٰ الصَّلاة، حَيَّ علىٰ الفَلاح، قد قامَت الصَّلاةُ قد قامَت الصَّلاة، اللهُ أكبَر اللهُ أكبَر، لا إله إلا الله.

فلمَّا أصبَحتُ أَتيتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فأخبرتُه بما رأيتُ، فقال: «**إنها لرُؤْيَا حقٌّ إن شاء الله، فقُم مع بِلال فألقِ عليه ما رأيتَ، فليُؤذِّن به، فإنه أندىٰ صوتًا منك**»، قال: فقمتُ مع بلال فجعلتُ ألقيه عليه ويُؤذِّن به، قال: فسَمع بذلك عُمر بن الخطاب وهو في بَيته، فخَرَج يَجُرُّ رِداءه يقول: والَّذي بعثَك بالحقِّ، لقد رأيتُ مثل

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (١/ ١٨٥) (٢١١٨).

الَّذي أُري، قال: فقال رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فلِلَّه الحَمْد**»(١). هذا لفظ أحْمَد، ورَواه أبو داود والبيهقي بنحوه.

وقد جاء في رواية الدَّارِمِي وابن ماجَهْ وابن حِبَّان، وروايةٍ عند أحْمَد: أنَّ الرَّجُلَ الَّذي طاف بعبد الله بن زيد بن عبد ربِّه وهو نائم كان عليه ثَوبان أخضران. وجاء في رواية الدَّارِمِي أن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لما أَخبر النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه رأىٰ مثلَ ما رأىٰ عبدُ الله بن زيد، قال رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فلله الحَمدُ، فذاك أَثْبَتُ**».

وقد جاء مثل ذلك في رواية التِّرْمِذي، فإنه قد رَوىٰ حديث عَبد الله بن زيد مختصرًا جدًّا، ولفظه عن مُحمَّد بن عبد الله بن زيد عن أبيه قال: لمَّا أصبحنا أَتيْنا رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأَخْبرَتُه بالرُّؤْيَا، فقال: «**إنَّ هذه لرُؤْيَا حقٌّ، فقُم مع بِلال فإنه أَندىٰ وأَمدُّ صوتًا منكَ، فأَلقِ عليه ما قِيل لك وليُنادِ بذلك**»، قال: فلما سمِع عمرُ بن الخطاب نداءَ بلال بالصَّلاة خرج إلىٰ رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو يَجرُّ إزارَه وهو يقول: يا رَسُول اللهِ، والَّذي بعثك بالحقِّ، لقد رأيتُ مثل الَّذي قال، فقال رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فلله الحمدُ، فذلك أَثْبَتُ**»(٢). قال التِّرْمِذي: حديثُ عبد الله بن زيد حديث حسَن صَحِيح. وذكَر في كتاب «العِلل»(٣) أنه سأل مُحمَّد بن إسماعيل

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٤٣) (١٦٥٢٥)، والدارمي (١٢٢٤)، وأبو داود (٤٩٩)، وابن ماجه (٧٠٦)، وابن حبان (٤/ ٥٧٢) (١٦٧٩)، والبيهقي في «الكبرىٰ» (١/ ٥٧٥) (١٨٣٥)، قال الألباني: «إسناده حسن صحيح»، انظر: «صحيح سنن أبي داود» (٢/ ٤٠٧) (٥١٢)، و«الإرواء» (١/ ٢٦٥).

(٢) أخرجه الترمذي (١٨٩)، وحسنه الألباني في «صحيح سنن الترمذي» (١/ ٢٣)، وفي «الإرواء» (١/ ٢٦٥).

(٣) انظر: «السنن الكبرىٰ» للبيهقي (١/ ٥٧٥).

البُخارِي عن هذا الحَدِيث فقال: هو عندي حديث صَحِيح. قال التِّرْمِذي: وفي الباب عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

قلتُ: هذا الحَدِيث رَواهُ ابن ماجَهْ بإسْنَاد فيه مَقال، عن سالم عن أبيه، أن النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ استشار النَّاس لما يُهِمُّهم إلىٰ الصَّلاة، فذكروا البوقَ فكَرِهَه من أجل اليهود، ثم ذكروا الناقوسَ فكرهه من أجل النصارىٰ، فأُري النداء تلك الليلة رجلٌ من الأنصار يقال له: عبد الله بن زيد، وعمر بن الخطاب، فطرق الأنصاري رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليلًا، فأمر رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بلالًا به فأذَّن.

قال الزُّهري: «وزاد بِلالٌ في نداء صَلاة الغداة: الصَّلاة خيرٌ من النَّوم، فأقرَّها رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. قال عُمر: يا رَسُول اللهِ، قد رأيتُ مثل الَّذي رأىٰ، ولكنَّه سَبقَني»[(١)].

وقد رَواهُ ابن سعد في «الطبقات»[(٢)] وقال فيه: «حتىٰ أُري رجلٌ من الأنصار - يقال له: عبد الله بن زيد- الأذانَ، وأُريه عمرُ بن الخطاب تلك الليلة، فأما عمرُ فقال: إذا أصبَحتُ أخبرتُ رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأما الأنصاري فطَرق رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من اللَّيل فأخبرَه، وأمر رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بلالًا فأذَّن بالصلاة. قال: فزاد بلالٌ في الصُّبح: الصَّلاةُ خَيرٌ مِن النَّوم، فأقَرَّها رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وليست فيما أُري الأنصاري».

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٧٠٧)، قال الألباني: «حسن». «الإرواء» (١/ ٢٦٥).

(٢) (١/ ٢٤٧)، وإسناده ضعيف، فيه عبد الرحيم بن عمر متكلم فيه. انظر: «اللسان» (٥/ ١٦٢).

ومن الأحَادِيث في رُؤْيَا الأذان: ما رَواهُ الإمام أحْمَد بإسْنَاد صَحِيح، عن مُعاذ بن جبل رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ قال: جاء رجل من الأنصار إلىٰ النَّبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ فقال: إني رأيتُ في النَّوم كأني مُستيقظ أَرىٰ رجلًا نزَل من السماء عليه بُردان أخضران، نزل علىٰ جذم حائط من المدينة، فأذَّن مَثنىٰ مثْنىٰ، ثم جلس، ثم أقام، فقال مثنىٰ مَثنىٰ، قال: «**نِعْمَ ما رأيتَ، علِّمها بلالًا**»(١)، قال: قال عُمر: قد رأيتُ مثلَ ذلك ولكنَّه سَبَقني.

ومن الرُّؤْيَا الظاهرة أيضًا: رُؤْيَا النَّبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ أنه سيأتي البيتَ هو وأصحابه ويَطوفون به، وكان ذلك قبل عُمرة الحُديبية، فلما صدَّهم المُشركون عن دُخول مكَّة عام الحُديبية وصالَحهُم رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ علىٰ أن يرجعوا عامَهم ذلك، وأن يعتمروا في العام القابِل، قال عمرُ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ للنبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: أو لَيس كنتَ تُحدِّثُنا أنا سنَأتي البيتَ فنطَّوف به؟ قال: «**بلىٰ، فأخبَرتُكَ أنا نأتيه العام**»، قال: قلتُ: لا، قال: «**فإنَّك آتيه ومُطوَّفٌ به**» رَواهُ البُخارِي في حديث طويل في «باب الشُّروط في الجهاد والمُصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط»(٢).

وقد وقَع تصديقُ رُؤْيَا النَّبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ في عُمرة القَضاء حيث جاء هو وأصحابُه إلىٰ البيتِ وطافوا به وهم آمنون لا يَخافون، وقد ذَكر الله هذه الرُّؤْيَا

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٢٣٢) (٢٢٠٨٠)، من طريق أبي بكر بن عياش، عن الأعمش، عن عمرو بن مرة، عن عبد الرحمن بن أبي ليلىٰ، عن معاذ بن جبل رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ به، قال الأرنؤوط: «رجاله ثقات رجال الشيخين غير أبي بكر بن عياش، فقد روىٰ له البخاري ومسلم في مقدمة «صحيحه»، وهو صدوق حسن الحديث، وابن أبي ليلىٰ لم يسمع من معاذ، فهو منقطع، وقد اختلف فيه علىٰ ابن أبي ليلىٰ».

(٢) (٢٧٣١)، من حديث المسور بن مخرمة، ومروان بن الحكم رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا.

الصَّادقة في قوله تعالَىٰ: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ٢٧]، وهذا الفتْح هو الصُّلح الَّذي جرىٰ بين رَسُول اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبين مشركي قريش.

قال الزُّهري: قوله: ﴿فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ يعني صلح الحُديبية، وما فُتح في الإسلام فتحٌ كان أعظمَ منه، إنما كان القِتال حيث التقىٰ النَّاسُ، فلما كانت الهُدنة وضعت الحربُ، وأمَّن النَّاس كلهم بعضهم بعضًا، فالتَقوا فتَفاوضوا في الحَدِيث والمُنازعة، فلم يُكلَّم أحدٌ بالإسلام يَعقل شيئًا إلا دخل فيه، فلقد دخل في تَينك السَّنتين في الإسلام مثلُ مَن كان في الإسلام قبل ذلك وأكثر. رَواهُ ابن جَرير (١).

ومن الرُّؤْيَا الظاهرة أيضًا: رُؤْيَا الأمْر بدَفع السِّواك إلىٰ الأكبر. والحَدِيث بذلك في «الصَّحِيحين» (٢): عن عبدِ الله بن عُمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، أن رَسُول اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**أُراني في المنام أَتسوَّك بسِواكٍ، فجَذبني رجلان أحدُهما أكبرُ من الآخَر، فناولتُ السِّواكَ الأصغرَ منهما، فقيل لي: كَبِّر، فدَفعتُه إلىٰ الأكبَر**».

ومن ذلك: رُؤْيَا عيسىٰ ابن مريم يَطوف بالبيت، ورُؤْيَا الدَّجَّال وراءه، والحَدِيث بذلك رَواهُ مالك وأحْمَد والبُخارِي ومُسْلم، عن عبد الله بن عُمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، قال: قال رَسُول اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**بينا أنا نائمٌ، رَأيْتني أطوفُ**

(١) «تفسير الطبري» (٢٢/ ٢٥٩).

(٢) أخرجه البخاري (٢٤٦) تعليقًا، ومسلم (٢٢٧١، ٣٠٠٣).

بالكعبة، فإذا رجُلٌ آدم سَبط الشَّعر بين رَجُلين يَنطف رأسُه ماء، فقلتُ: مَن هذا؟ قالوا: ابنُ مَريَمَ، فذهبتُ ألتَفتُ فإذا رجلٌ أحمَر جَسيم جَعد الرَّأس، أعور العَين اليُمنىٰ، كأن عَينه عِنبة طَافية، قلتُ: مَن هذا؟ قالوا: هذا الدَّجَّال، أقرب بها شبهًا ابن قَطن»[1] زاد البُخارِي: وابن قطن رجلٌ من بني المُصطلق من خُزاعة، وفي رواية: قال الزهري: رجلٌ من خُزاعة هلَك في الجاهلية، وقد جاءت هذه الزِّيادة في إحدىٰ الروايات عند أحْمَد.

ومن ذلك: رُؤْيَا النَّبِي صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أن بني الحَكم يَنزون علىٰ منبره. والحَدِيث بذلك رَواهُ أبو يَعلىٰ والحاكمُ، عن أبي هُرَيرَةَ رَضِيَاللَّهُعَنْهُ، أن رَسُول اللهِ صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ رأىٰ في منامه كأن بني الحَكَم يَنزون علىٰ منبَره وينزلون، فأصبح كالمُتغيِّظ، فقال: «**ما لي رأيتُ بني الحَكم يَنزون علىٰ مِنبري نزْوَ القِردَة؟!**» قال: فما رُئِي رَسُول اللهِ صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ مُستجمعًا ضاحكًا بعد ذلك حتىٰ مات صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ[2]. قال الهيثمي: رجال أبي يعلىٰ رجال الصَّحِيح، غير مُصعب بن عبد الله بن الزبير وهو ثقة. وقال الحاكم: صَحِيح علىٰ شرط الشَّيْخَين، وقال الذهبي: علىٰ شرط مُسْلم. وقد رَواهُ البيهقي في «دلائل النُّبُوَّة»[3] بنحوه.

---

(١) أخرجه مالك في «الموطأ»، كتاب صفة النبي صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ - باب ما جاء في صفة عيسىٰ ابن مريم عَلَيْهِالسَّلَامُ، والدجال- ح (٢)، وأحمد (٢/ ١٢٢) (٦٠٣٣)، والبخاري (٧٠٢٦)، ومسلم (١٧١).

(٢) أخرجه أبو يعلىٰ (١١/ ٣٤٨) (٦٤٦١)، والحاكم (٤/ ٥٢٧) (٨٤٨١)، وغيرهما، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٣٩٤٠).

(٣) (٦/ ٥١١).

ومن **الرُّؤيا الظاهرة**: ما جاء في حديث سَمُرة بن جُندب الطويل، وقد رَواهُ الإمام أحْمَد والبُخارِي من طريقين:

أحدُهما: عن عوف -وهو الأعرابي- عن أبي رجاء العُطاردي، حدَّثَنا سَمُرة بن جُندب الفَزاري رَضِيَٱللَّهُعَنهُ، قال: كان رَسُول اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيهِوَسَلَّمَ مما يُكثر أن يقول لأصحابه: «**هَل رأىٰ أحدٌ منكم من رُؤْيَا؟**» قال: فيقصُّ عليه ما شاء الله أن يقصَّ، وإنه قال لنا ذات غداة: «**إنه أتاني اللَّيلة آتيان، وإنهما ابتَعثاني، وإنَّهما قالا لي: انطَلِق، وإني انطلقتُ معهما، وإنَّا أَتينا علىٰ رَجُل مُضطجع، وإذا آخَر قائمٌ عليه بصَخرة، وإذا هو يَهوي بالصَّخرة لرَأسه، فيَثلَغُ رأسَه فيَتَدَهْدَهُ الحَجرُ هَهنا، فيَتبع الحَجر فيَأخذه، فلا يَرجع إليه حتىٰ يَصحَّ رأسه كما كان، ثم يَعود عليه فيَفعل به مثلَ ما فعل به المرَّةَ الأولىٰ، قال: قلتُ لهما: سبحان الله! ما هذان؟ قال: قالا لي: انطلق انطَلَقْ.**

فانْطلقْنا، فأتيْنا علىٰ رَجُل مُستَلْقٍ لقَفاه، وإذا آخرُ قائمٌ عليه بكلُّوب من حَديد، وإذا هو يأتي أحدَ شقَّي وجْهه فيُشرشِر شِدقَه إلىٰ قفاه، ومِنخرَه إلىٰ قَفاه، وعَينَه إلىٰ قَفاه، قال: ثم يتحوَّل إلىٰ الجانب الآخر فيَفعل به مثل ما فعل بالجانب الأول، فما يَفرغ من ذلك الجانب حتىٰ يصحَّ ذلك الجانبُ كما كان، ثم يعود عليه فيَفعل مثل ما فعل المرةَ الأولىٰ، قال: قلتُ: سبحان الله! ما هذان؟ قال: قالا لي: انطلق انطلق.

فانطلقنا، فأتَيْنا علىٰ مِثْل التَّنُّور، قال: وأَحسب أنه كان يقول: فإذا فيه لغط وأصْوات، قال: فاطَّلعنا فيه فإذا فيه رجالٌ ونساء عُراة، وإذا هم يأتيهم لَهب من أسفل منهم، فإذا أتاهم ذلك اللَّهبُ ضَوضوا، قال: قلتُ لهما: ما هؤلاء؟ قال: قالا لي: انطلق انطلق.

قال: فانطلقنا، فأتَينا علىٰ نَهر حَسِبتُ أنه كان يقولُ: أحمر مثل الدَّم، وإذا في النَّهر رجلٌ سابحٌ يَسبح، وإذا علىٰ شَطِّ النهر رجلٌ قد جمع عنده حِجارَة كثيرة، وإذا ذلك السَّابح يَسبح ما يَسبح، ثم يَأتي ذلك الَّذي قد جمع عنده الحِجارة، فيَفغَر له فاه فيلقمه حجرًا، فيَنطلق يَسبح ثم يَرجع إليه، كلَّما رَجع إليه فغَرَ له فاه فألقَمه حجرًا، قال: قلتُ لهما: ما هذان؟ قال: قالا لي: انطلق انطلق.

قال: فانْطلقنا، فأتَينا علىٰ رجُل كَريهِ المِرآة، كأكرَه ما أنتَ راءٍ رجلًا مَرآة، وإذا عنده نارٌ يحشها ويَسعىٰ حولها، قال: قلتُ لهما: ما هذا؟ قال: قالا لي: انْطلِقْ انطلِق.

فانطلقنا، فأتَينا علىٰ رَوضة مُعْتَمَّة فيها من كل لَون الرَّبيع، وإذا بين ظَهري الرَّوضة رجلٌ طَويل، لا أكادُ أرىٰ رأسَه طُولًا في السَّماء، وإذا حَول الرَّجل مِن أكثر ولدان رَأيتهم قط، قال: قلتُ لهما: ما هذا؟ ما هؤلاء؟ قال: قالا لي: انطَلق انطلِقْ.

فانطَلقنا، فانْتَهينا إلىٰ رَوضة عَظيمة، لم أَرَ رَوضَة قط أعظَم منها ولا أحسَن، قال: قالا لي: ارْق؛ فارْتقَيت فيها، قال: فارتَقينا فيها، فانتَهينا إلىٰ مدينة مَبنيَّة بلَبِن ذهَب، ولَبِن فِضَّة، فأتينا بابَ المدينة، فاستفتحنا، ففُتح لنا، فدخلناها، فتَلَقانا فيها رجالٌ شَطر من خَلقهم كأحسَن ما أنت راء، وشَطرٌ كأَقبَح ما أنت راءٍ، قال: قالا لهم: اذْهَبوا فقعوا في ذلك النَّهر، قال: وإذا نَهر مُعترض يجري كأنَّ ماءه المَحض من البياض، فذهبوا فوَقعوا فيه ثم رجعوا إلينا قد ذَهب ذلك السُّوءُ عنهم، فصاروا في أحسن صُورة، قال: قالا لي: هذه جنَّة عَدْنٍ، وهذاك مَنزلُك، قال: فسَمَا بصري صُعُدًا فإذا قصرٌ مثل الربَابة البيضاء، قال: قالا لي: هذاك منزلك، قال: قلتُ لهما: بارك الله فيكما، ذراني فأدخُلْه، قالا: أما الآن فلا، وأنت داخلُه، قال: قلتُ لهما: فإني قد رأيتُ منذ الليلة عجبًا، فما هذا الَّذي رأيتُ؟

قال: قالا لي: أما إنَّا سنُخبرك؛ أما الرَّجل الأول الَّذي أَتيتَ عليه يُثْلَغ رأسُه بالحَجر فإنه الرجل يأخذُ القُرآن فيرفضه ويَنام عن الصَّلاة المكتوبة، وأما الرَّجل الَّذي أتيتَ عليه يُشرشر شِدقه إلىٰ قَفاه، ومِنخره إلىٰ قفاه، وعَينَه إلىٰ قفاه، فإنه الرَّجل يَغدو من بيته فيَكذب الكذبةَ تَبلغ الآفاقَ، وأما الرِّجال والنساء العُراة الَّذين في مثل بناء التَّنُّور فهم الزُّناة والزَّواني، وأما الرَّجل الَّذي أتيتَ عليه يَسبح في النَّهر ويُلقم الحَجر فإنه آكلُ الرِّبا، وأما الرَّجلُ الكَريه المِرآة الَّذي عند النار يحشهَا ويَسعىٰ حولها فإنه مالكٌ خازِنُ جهنَّم.

وأما الرَّجل الطَّويل الَّذي في الرَّوضة فإنه إبراهيم صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأما الوُلدان الَّذين حوله فكلُّ مَولود مات علىٰ الفطرة»، قال: فقال بعض المُسْلمين: يا رَسُول اللهِ، وأولاد المُشركين؟ فقال رَسُول اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وأولادُ المُشركين، وأما القَوم الَّذين كانوا شَطر منهم حَسنًا وشطرٌ قبيحًا فإنهم قوم خلَطوا عملًا صالحًا وآخرَ سيئًا تَجاوَزَ اللهُ عنهم»(١) هذا لفظ البُخارِي. وقد رَواهُ ابن شَيبة وابن حِبَّان في «صحيحه» بنحوه.

قوله: «ضَوْضوا»(٢) قال أبو عُبيدة: يعني ضجُّوا وصاحوا. وقال الجَوهري: الضَّوضاة أصواتُ النَّاس وجَلبَتهم، يقال: ضَوضوا بلا هَمز، وضَوضيت، أبدلوا من الواو ياء.

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٨) (٢٠١٠٦)، والبخاري (٧٠٤٧)، وابن أبي شيبة (٦/ ١٧٧) (٣٠٤٨٦)، وابن حبان (٢/ ٤٢٨) (٦٥٥).

(٢) «غريب الحديث» لأبي عبيد (٢/ ٢٦).

وقوله: «**فأَتينا علىٰ رَوضة مُعْتَمَّة فيها من كلِّ لَون الرَّبيع**» كذا جاء في رِواية البُخارِي، وجاء في رواية أحْمَد وابن أبي شيبة: «**فأتينا علىٰ رَوضة مُعشبة فيها من كل نُور الرَّبيع**. قال ابن حجر في «فتح الباري»[(١)]: «قوله: «**فأَتينا علىٰ رَوضة مُعْتِمَة**» بضم المِيم وسكون المهملة وكسر المثناة وتخفيف الميم بعدها هاء تأنيث. ولبعضهم بفتح المثناة وتشديد الميم. قال الدَّاودي: اعتمَّت الأرض: غطَّاها الخَصْب». انتهىٰ المقصود من كلامه.

وقوله: «**فانتهينا إلىٰ رَوضة عظيمة لم أَرَ رَوضةً قطُّ أعظَم منها ولا أحسَن**» هكذا جاء في رواية البُخارِي، وجاء في رواية أحْمَد وابنُ أبي شيبة وابن حبان: «**فانْتَهينا إلىٰ دَوحة عظيمة لم أَرَ دوحةً قط أعظمَ منها ولا أحسَن**». قال الجوهري: «الدوحَة الشَّجرة العظيمة من أيِّ الشَّجَر كان»[(٢)]. انتهىٰ. وسيأتي في رِواية جَرير بن حَازم ما يُؤَيِّدُ روايةَ أحْمَد وابن أبي شيبة وابن حبَّان.

الطريق الثاني: عن جَرير بن حازم قال: سمعتُ أبا رجاء العُطاردي يُحدِّث عن سَمُرة بن جُندب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: كان رَسُول اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ إذا صلَّىٰ صلاةَ الغداة أقبل علينا بوجْهه فقال: «**هل رأىٰ أحدٌ منكم اللَّيلةَ رُؤْيَا؟**» فإن كان أحدٌ رأىٰ تلك الليلةَ رُؤْيَا قصَّها عليه، فيقول فيها ما شاء الله أن يقولَ، فسَألَنا يومًا فقال: «**هلْ رأىٰ منكم اللَّيلة رُؤْيَا؟**»، قال: فقُلنا: لا، قال: «**لكن أنَا رأيتُ رَجُلين أتياني، فأخذا بيَدي، فأخرجاني إلىٰ أرض فضَاء، أو أرض مُستوية، فمرَّا بي علىٰ رجُلٍ ورَجلٌ قائمٌ علىٰ**

---

(١) (١٢/ ٤٤٣).

(٢) «مختار الصحاح» (١٠٩).

رأسِه بيده كلُّوب من حَديد، فيُدخله في شدقِه فيشقُّه حتىٰ يَبلغ قفاه، ثم يُخرجه فيدخلُه في شقه الآخَر، ويَلتئم هذا الشقُّ فهو يَفعل ذلك به، قلتُ: ما هذا؟ قالا: انطَلِق.

فانطلقتُ معهما، فإذا رجلٌ مُستلقٍ علىٰ قَفاه ورجلٌ قائمٌ بيده فهْرٌ أو صَخرة يشدخُ بها رأسَه، فيتدَهده الحَجر، فإذا ذهَب ليأخذه عاد رأسُه كما كان، فيَصنع مثلَ ذلك، فقلتُ: ما هذا؟ قالا لي: انطَلِق.

فانطلقتُ معهما، فإذا بيتٌ مَبنِيٌّ علىٰ بناء التَّنُّور، أَعلاه ضَيِّق وأسفله واسِعٌ، يُوقد تحتَه نار، فإذا فيه رجالٌ ونساء عُراة، فإذا أُوقدت ارتَفعوا حتىٰ يَكادوا أن يَخرجوا، فإذا خَمدت رَجَعوا فيها، فقلتُ: ما هذا؟ قالا لي: انطَلِق، فانْطلقتُ، فإذا نَهر مِن دَم فيه رَجُل، وعلىٰ شَطِّ النَّهر رجلٌ بين يَديه حِجَارة، فيُقبل الرَّجل الَّذي في النَّهر، فإذا دنَا ليَخرج رمىٰ في فيه حَجرًا، فرجع إلىٰ مكانه، فهو يَفعل ذلك به، فقلتُ: ما هذا؟ فقالا: انطلق.

فانطلقتُ، فإذا رَوضةٌ خَضراء، فإذا فيها شجرةٌ عظيمة، وإذا شيخٌ في أصلها حوله صبيان، وإذا رجلٌ قريب منه بين يديه نار فهو يحششُها ويُوقدها، فصَعِدَا بي في الشَّجرة، فأدخلاني دارًا لم أرَ دارًا قط أحسَنَ منها، فإذا فيها رجالٌ شُيوخ وشَباب، وفيها نساء وصبيان، فأخرجاني منها فصعِدَا بي في الشَّجرة، فأدخلاني دارًا هي أحسن وأفضَل منها، فيها شيوخٌ وشباب، فقلتُ لهما: إنَّكما قد طوَّفْتُماني منذ اللَّيلة، فأخبراني عما رأيتُ؟ فقالا: نعم.

أما الرَّجل الأوَّل الَّذي رأيتَ فإنه رجلٌ كذَّاب، يَكذب الكذبةَ فتُحمل عنه في الآفاق، فهو يُصنع به ما رأيتَ إلىٰ يوم القيامة، ثم يَصنع الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ به ما شاء، وأما

الرَّجل الَّذي رأيتَ مُستلقيًا فرجل آتاه اللهُ تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ القرآنَ فنام عنه باللَّيل ولم يعمل بما فيه بالنهار، فهو يُفعل به ما رأيتَ إلىٰ يوم القيامة، وأما الَّذي رأيتَ في التَّنُّور فهم الزُّناة، وأما الَّذي رأيتَ في النهر فذاك آكلُ الرِّبَا.

وأما الشيخُ الَّذي في أصل الشَّجرة فذاك إبراهيمُ عَلَيْهِٱلسَّلَامُ، وأما الصّشبيان الَّذي رأيتَ فأولادُ النَّاس، وأما الرَّجلُ الَّذي رأيتَ يُوقد النار ويحششها فذاك مالك خازِنُ النَّار، وتلك النار، وأما الدَّار الَّتي دخلتَ أولًا فدارُ عامَّة المُؤْمنين، وأما الدَّار الأخرىٰ فدار الشُّهداء، وأنا جبريلُ وهذا ميكائيل. ثم قالا لي: ارْفَع رأسَك، فرفعتُ رأسي فإذا هي كهيئة السَّحاب، فقالا لي: وتلك دارُك، فقلتُ لهما: دعاني أدخل داري، فقالا: إنه قد بَقي لك عمَل لم تَستكمله، فلو استكملتَه دخلتَ دارَك»[١] هذا لفظ أحْمَد، وفي رواية البُخارِي: «**قالا: إنه بَقي لكَ عُمرٌ لم تَستكمله، فلو استكملتَ أتيتَ مَنزلك**».

وقد روىٰ مُسْلم والتِّرمِذي طرفًا من أوله، وهو قوله: كان النَّبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ إذا صلَّىٰ الصُّبحَ أقبل عليهم بوجهه فقال: «**هل رأىٰ أحدٌ مِنكم البَارحةَ رُؤْيَا؟**»[٢] قال التِّرمِذي: «هذا حديث حسن صَحِيح، ويُروىٰ هذا الحَدِيث عن عوف وجرير بن حازم، عن أبي رجاء، عن سمُرة، عن النَّبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في قصة طويلة» انتهىٰ.

ومن الرُّؤْيَا الظَّاهرة: ما رَواهُ الطَّبَراني في «الكبير»[٣] عن أبي أُمامة الباهلي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قال: خرج علينا رَسُول اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بعد صلاةِ الصُّبح فقال: «**إنِّي**

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ١٤) (٢٠١٧٧)، والبخاري (١٣٨٦).

(٢) أخرجه مسلم (٢٢٧٥)، والترمذي (٢٢٩٤).

(٣) (٨/ ١٥٥) (٧٦٦٦).

رأيتُ رُؤْيَا هي حقٌّ فاعْقِلُوها، أتاني رجلٌ فأخذ بيدي فاستَتْبعني حتىٰ أتىٰ بي جبلًا وعرًا طويلًا، فقال لي: إرْقِه، فقلتُ: إني لا أستطيعُ، فقال: إني سأُسهلُه لك، فجعلتُ كلَّما رَقيت قدمي وضعتُها علىٰ درجة حتىٰ استوينا علىٰ سواء الجبل، فانطلقنا، فإذا نحن برجالٍ ونساء مُشقَّقة أشداقهم، فقُلت: مَن هؤلاء؟ قال: هؤلاء الَّذين يَقولون ما لا يَعْلَمون.

ثم انطلقنا، فإذا نحن برجالٍ ونساء مُسمرة أعيُنهم وآذانهم، فقلتُ: ما هؤلاء؟ قال: هؤلاء الَّذي يُرُوْنَ أعينَهم ما لا يَرَوْن، ويُسمعون آذانَهم ما لا يَسمعون. ثم انطلقنا فإذا نحن بنساء مُعلَّقات بعراقيبهن مُصوَّبة رءوسهن، تَنهش ثديانهن الحيَّات، قلتُ: ما هؤلاء؟ قال: هؤلاء الَّذين يَمنعون أولادهن من ألبانهن. ثم انطلقنا فإذا نحن برِجال ونساءٍ مُعلَّقات بعراقيبهن مصوبة رءوسهن، يلحسن من ماء قَليل وحمأ، فقلت: ما هؤلاء؟ قال: هؤلاء الَّذين يَصومون ويفطرون قبل تَحلَّة صومِهم، ثم انطلقنا فإذا نحن برجال ونساء أقبَح شيء منظرًا وأقبحه لبوسًا، وأنتنه ريحًا كأنما ريحُهم المَراحيض، قلت: ما هؤلاء؟ قال: هؤلاء الزَّانون والزُّناة. ثم انطلقنا، فإذا نحن بموتىٰ أشَد شيء انتفاخًا وأنتنه ريحًا، قلتُ: ما هؤلاء؟ قال: هؤلاء موتىٰ الكفار. ثم انطلقنا، وإذا نحن نرىٰ دُخانًا ونسمع عوَاء، قلتُ: ما هذا؟ قال: هذه جهنم، فدعه.

ثم انطلقنا، فإذا نحن برِجال نيام تحت ظِلال الشَّجر، قلتُ: ما هؤلاء؟ قال: هؤلاء موتىٰ المُسْلمين. ثم انطلقنا فإذا نحن بغِلمان وجوارٍ يَعلبون بين نهرين، قلت: ما هؤلاء؟ قال: ذرية المُؤْمنين. ثم انطلقنا، فإذا نحن برِجال أحسَن شيء وجهًا وأحسَنه لبوسًا، وأطيبه ريحًا، كأن وجوههم القَراطيس، قلتُ: ما هؤلاء؟ قال: هؤلاء الصِّدِّيقُون والشهداء والصَّالحون. ثم انطلقنا فإذا نحن بثلاثة نَفر يَشربون خمرًا لهم

ويتغَنَّون، فقلتُ: ما هؤلاء؟ قال: ذلك زيدُ بن حارثة وجعفرٌ وابنُ رَواحة، فمِلْتُ قِبَلَهم فقالوا: قدنا لك قدنا لك، قال: ثم رفعتُ رأسي فإذا ثلاثة نَفر تحت العرش قلت: ما هؤلاء؟ قال: ذاك أبُوك إبراهيم ومُوسىٰ وعيسىٰ، وهم يَنتظرونك، صلىٰ الله عليهم أجمعين»(١).

قال الهيثمي: رجاله رجال الصَّحِيح، وقال الحافظ ابن حَجر: سنده جيِّد، ورواه الطَّبَراني أيضًا بنحوه مختصرًا، وقال فيه: «ثم انطلق بي حتىٰ أشْرفتُ علىٰ غلمانٍ يَلعبون بين نَهرين، قلت: من هؤلاء؟ قال: ذراري المُؤْمنين يَحضنهم إبراهيم». ورواه ابن خزيمة وابن حِبَّان والحاكم في «مستدركه» مختصرًا، ولا سيما رواية الحاكم فإنها مختصرة جدًّا، وأوله عندهم: «بينا أنا نائمٌ إذ أتاني رجلان فأخَذَا بضبعي، فأتيا بي جبلًا وعرًا، فقالا لي: اصْعد، فقلت: إني لا أُطيقه، فقالا: إنا سنسهله لك» الحَدِيث. قال الحاكم: صَحِيح علىٰ شرط مُسْلم، ووافقه الذهبي في «تلخيصه»(٢)، وقد نقله ابن كثير في «البداية والنهاية»(٣) في ذكر فَضيلة أمراء مُؤتة من كتاب «دلائل النُّبُوَّة» لأبي زُرعة الرازي(٤)، وفيه اختصار عما جاء في رواية الطَّبَراني.

---

(١) أخرجه الطبراني (٨/ ١٥٧) (٧٦٦٧) مختصرًا، وأخرجه محتصرًا أيضًا ابن خزيمة (٣/ ٢٣٧) (١٩٨٦)، وابن حبان (١٦/ ٥٣٦) (٧٤٩١)، والحاكم (١/ ٤٢٩) قال الهيثمي: «رجاله رجال الصحيح». «المجمع» (١/ ٧٦-٧٧)، وقد جوَّد الحافظ إسناد الطبراني كما في «الفتح» (١٢/ ٤٤١).

(٢) «ذيل المستدرك» (١/ ٤٢٩).

(٣) (٦/ ٤٦٢) ط-هجر.

(٤) لم أقف عليه.

ومن **الرُّؤْيَا الظَّاهرة**: ما جاء في حديث عبد الرَّحْمَن بن سَمُرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: خرج علينا رَسُول اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يومًا وكنَّا في صُفَّة المَدينة، فقام علينا فقال: «**إني رأيتُ البارحةَ عجبًا، رأيتُ رجلًا من أُمَّتي أتاه مَلكُ الموت ليَقبضَ رُوحَه، فجاءه بِرُّهُ بوالدَيْه فرَدَّ ملكَ المَوت عنه، ورأيت رجلًا من أُمَّتي قد بُسط عليه عذابُ القَبر، فجاءه وُضوءُه فاستنقَذه من ذلك، ورأيتُ رجلًا من أمَّتي قد احتَوشتْهُ الشياطينُ، فجاءه ذِكرُ الله عَزَّوَجَلَّ فطرَد الشَّيْطَانَ عنه، ورأيتُ رجلًا من أمتي قد احتوشَته ملائكةُ العذاب، فجاءته صلاتُه فاستنقذَتْه من أيديهم، ورأيتُ رجلًا من أُمَّتي يَلهث عطشًا، كلَّما دنَا من حَوْض مُنع وطُرد، فجاءه صيامُ شَهر رمضان فسَقاه وأَرْواه، ورأيتُ رجلًا من أمتي ورأيتُ النَّبيين جلوسًا حلقًا حلقًا، كلما دنَا إلىٰ حلقة طُرد، فجاءه غُسله من الجَنابة فأخذ بيده فأقعده إلىٰ جنبي، ورأيتُ رجلًا من أُمَّتي بين يَديه ظُلمة ومِن خَلفه ظُلمة، وعن يَمينه ظُلمة وعن يساره ظلمة، ومن فوقه ظلمة ومن تحته ظُلْمة، وهو مُتحيِّر فيها، فجاءه حجُّه وعُمرتُه فاستخرجاه من الظُّلمة وأدخلاه في النُّور.**

ورأيتُ رجلًا من أمَّتي يتَّقي بيده وَهجَ النَّار وشَررها، فجاءته صَدقتُه فصارَت سُترةً بينه وبين النار، وظلَّلت علىٰ رأسِه، ورأيتُ رجلًا مِن أُمَّتي يُكلِّم المُؤمنين ولا يُكلِّمونه، فجاءته صِلتُه لرَحِمه فقالت: يا مَعشرَ المُسْلمين، إنه كان وَصُولًا لرَحِمِه، فكلِّمُوه، فكَلَّمه المُؤْمنون وصافحُوه وصافَحُهم، ورأيتُ رجلًا من أمتي قد احتَوشته الزَّبانيةُ، فجاءه أمرُه بالمَعروف ونَهيُه عن المُنكَر فاستنقذَه من أيديهم وأدخله في ملائكةِ الرَّحمة، ورأيتُ رجلًا من أمتي جاثيًا علىٰ رُكبتيه، وبَينه وبين الله عَزَّوَجَلَّ حِجاب، فجاءه حُسْن خُلُقه فأَخذ بيده فأدخله علىٰ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، ورأيتُ رجلًا من أمَّتي قد ذهَبت صَحيفته من قِبَل شِماله، فجاءه خوفُه من الله عَزَّوَجَلَّ فأَخذ صحيفتَه فوضعها

في يمَينه، ورأيتُ رجلًا من أمتي خَفَّ ميزانُه فجاءه أَفْراطه فثَقَّلوا ميزانَه، ورأيت رجلًا من أمتي قائمًا علىٰ شَفير جهنم فجاءه رجاؤه من الله عَزَّوَجَلَّ فاستنقَذه من ذلك ومَضىٰ، ورأيت رجلًا من أمتي قد هوىٰ في النَّار فجاءته دَمعته الَّتي بكىٰ من خَشية الله عَزَّوَجَلَّ فاستنقذَته من ذلك، ورأيت رجلًا من أمتي قائمًا علىٰ الصِّراط يَرعدُ كما تَرعد السَّعفةُ في رِيح عاصفٍ فجاءه حُسن ظنِّه بالله عَزَّوَجَلَّ فسَكَّن رِعدتَه ومضىٰ، ورأيتُ رجلًا من أمَّتي يَزحف علىٰ الصِّراط ويَحبو أحيانًا ويتعلَّق أحيانًا، فجاءته صلاتُه عليَّ فأقامته علىٰ قدَميه وأنْقذَته، ورأيت رجلًا من أمتي انتهىٰ إلىٰ أبواب الجنَّة فغُلقت الأبوابُ دونه، فجاءته شهادةُ أن لا إله إلا الله ففَتحت له الأبوابَ وأدخلته الجنة»[١].

رَواهُ الحافظ أبو مُوسىٰ المَديني في كتاب «التَّرغيب في الخصال المُنجية والترهيب من الخلال المُردية»[٢] وقال: هذا حديث حسن جدًّا. ذَكر ذلك ابنُ القَيِّم -رحمه الله تَعالَىٰ- في كتابه «الوَابل الصَّيِّب في الكَلِم الطَّيِّب»[٣]، ووصف هذا الحديثَ قبل سِياقه له بأنه حَديث عظيمٌ شَريف القَدْر، ينبغي لكل مُسْلم أن يَحفَظه. ثم قال: «فنَذكره بطُوله لعُموم فائدته وحاجَة الخَلْق إليه، وبعد أن انتهىٰ من سياقه قال: وكان شيخ الإسلام ابن تيميَّة -قدَّس الله رُوحَه- يُعظِّم شأن هذا الحَدِيث، وبَلغني عنه أنه كان يَقول: شواهد الصِّحة عليه» انتهىٰ.

---

(١) أخرجه ابن شاهين في «الترغيب في فضائل الأعمال» (٥٢٦)، وابن بشران في «الأمالي» (٢٤٩)، والطبراني في «الأحاديث الطوال» (٢٧٣)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٤/ ٤٠٦-٤٠٧)، وغيرهم، وضعفه الألباني في «الضعيفة» (٧١٢٩).

(٢) لم أقف عليه.

(٣) (٨٢).

وقد رَواهُ الطَّبَراني في الأَحَادِيث الطوال، وإسْناده ضعيف.

ومن الرُّؤْيَا الظَّاهرة: ما رآه النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأمِّ سُليم وبلالٍ وعمرَ بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، وقد جاء ذلك في عدة أحَادِيث، منها ما ذُكروا فيه جميعًا، ومنها ما ذُكر فيه اثنان منهم، ومنها ما ذُكر فيه كلٌّ واحد منهم علىٰ انْفراده.

فمن الأَحَادِيث الَّتي ذُكروا فيها جميعًا: حديثُ جابر بن عبد الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قال: قال النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أُريتُني دخلتُ الجنَّةَ فإذا أنا بالرُّمَيْصاء، امرأةِ أبي طَلحة، وسمِعتُ خشفَةً أمامي، قلتُ: مَن هذا يا جبريل؟ قال: هذا بلالٌ، قال: ورأيتُ قَصرًا أبيضَ بفنائه جَارية، فقلتُ: لمَن هذا القَصْر؟ قالوا: لرَجُل من المُسْلمين مِن أمَّة مُحمَّد، قلتُ: فأنا مُحمَّد، لمَن هذا القَصْر؟ قال: هذا لعُمر بن الخطَّاب، فأردتُ أن أدخُله فأنظُر إليه، قال: فذَكرتُ غيرَتَك**»، فقال عمر: «بأبي أنت وأمي يا رَسُول اللهِ، أَو عليكَ أَغار؟!»، رَواهُ الإمام أحْمَد والبُخارِي[1]، وهذا لفظ أحْمَد في إحدىٰ الرِّوايتين عنده. ورواه مُسْلم مختصرًا، ولفظه: أن رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**أُريتُ الجنَّةَ فرأيتُ امرأَةَ أبي طلحة، ثم سَمعت خشخشةً أمامي، فإذا بلالٌ**»[2].

ومن الأَحَادِيث الَّتي ذُكر فيها عُمرُ وبلالٌ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: حديث بُريدَة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: أصبَح رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فدعا بلالًا فقال: «**يا بلالُ، بِمَ سَبقتَني إلىٰ الجنَّة؟ ما دخلتُ الجنَّةَ قطُّ إلا سمعتُ خَشخشتَك أمامي، إني دخلتُ البارحةَ الجنَّةَ فسَمعتُ خَشخشتك، فأتيتُ علىٰ قَصْر من ذَهب مُرتفع مُشرف فقلتُ: لمن هذا**

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٣٨٩) (١٥٢٢٦)، والبخاري (٣٦٧٩).

(٢) أخرجه مسلم (٢٤٥٧).

القَصْر؟ قالوا: لرَجُل من العَرب، قلتُ: أنا عَربي، لمن هذا القصر؟ قالوا: لعُمر بن الخطَّاب». فقال رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَولا غَيرتُك يا عمرُ لدَخلتُ القَصرَ»، فقال: يا رَسُول اللهِ، ما كنتُ لأغار عَليك، قال: وقال لبلال: «بمَ سبقتني إلىٰ الجنَّة»، قال: ما أحدثتُ إلا توضَّأتُ وصَلَّيتُ رَكعَتين، فقال رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بهذا»(١). رَواهُ الإمام أحْمَد والتِّرْمِذي، وهذا لفظ أحْمَد في إحدىٰ الروايتين عنده.

وفي رواية التِّرْمِذي: أن رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «فأتيتُ علىٰ قَصْر مُربَّع مُشرف من ذَهب، فقلتُ: لمَن هذا القصرُ؟ فقالوا: لرَجلٍ من العَرب، فقلت: أنا عربي، لمَن هذا القصْرُ؟ قالوا: لرجُل من قُريش، قلت: أنا قُرشي، لمن هذا القَصر؟ قالوا: لرجلٍ من أمة مُحمَّد، قلت: أنا مُحمَّد، لمَن هذا القصر؟ قالوا: لعُمر بن الخَطَّاب». فقال بلَال: يا رَسُول اللهِ، ما أذَّنْتُ قطُّ إلا صَلَّيْتُ رَكعَتَين، وما أصابني حَدَث قط إلا توضَّأتُ عندها، ورأيتُ أن لله عليَّ ركعَتين، فقال رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بِهِمَا». قال التِّرمِذي: هذا حديث صَحِيح غريب.

قال: وفي الباب عن جَابر ومعاذ وأنس وأبي هُرَيرَةَ، أن النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «رأيتُ في الجنَّةِ قَصرًا مِن ذَهَبٍ، فقلتُ: لمَن هذا؟ فقيل: لعُمر بن الخطَّاب»(٢)، قال: ومعنىٰ هذا الحَدِيث: أني دخلتُ البارحة الجنةَ، يعني رأيتُ في المنام كأني دخلتُ الجنة. هكذا روي في بعض الحَدِيث، ويُروىٰ عن ابن عبَّاس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أنه قال: «رُؤْيَا الأنبياء وَحْيٌ»، انتهىٰ كلام التِّرْمِذي.

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٣٥٤) (٢٣٠٤٦)، والترمذي (٣٦٨٩)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٧٨٩٤).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٦٨٩)، وصححه الألباني.

قلتُ: وقد جاء التَّصريحُ في حديث أبي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الَّذي سيأتي ذِكْرُه -إن شاء الله تَعالَىٰ- أن النَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رأىٰ ذلك في المَنام.

وقد جاء في ذِكر عمر وحْده ثلاثة أحَادِيث:

أحدها: حديث أبي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**بينما أنا نائمٌ رَأيتني في الجنَّة، فإذا امرأةٌ توضَّأ إلىٰ جَنْب قَصْر، فقلتُ: لمَن هذا القَصْر؟ قالوا: لعُمر بن الخطَّاب، فذكرتُ غيرتَك فولَّيْتُ مُدبرًا**» وعمرُ حين يقول ذلك رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جالسٌ عنده مع القَوم، فبَكىٰ عمرُ حين سَمِع ذلك من رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقال: «أَعليك -بأبي أنت وأمي- أغارُ يا رَسُول اللهِ؟!»، رَواهُ الإمام أحْمَد والبُخارِي ومُسْلم وابن ماجَهْ وابن حِبَّان في «صحيحه»[(١)].

الثاني: حديثُ جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عن النَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**دخلتُ الجنَّةَ، أو أُتيتُ الجنَّةَ، فأبصرتُ قصرًا، فقلتُ: لمن هذا؟ قالوا: لعُمر بن الخطاب، فأردتُ أن أدخله فلم يَمنعْني إلا عِلْمي بغيرَتِك**». قال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «يا رَسُول اللهِ، بأبي أنت وأمي يا نبي الله، أوَعليكَ أغار؟!»، رَواهُ الإمام أحْمَد والبُخارِي وابن حِبَّان في «صحيحه»[(٢)]، وهذا لفظ البُخارِي في «باب الغيرة» من «كتاب النكاح»، ورواه في «كتاب التعبير»[(٣)] ولفظه: قال: قال رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**دخلتُ الجنَّةَ، فإذا أنا بقَصْر من**

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٣٣٩) (٨٤٥١)، والبخاري (٣٢٤٢)، ومسلم (٢٣٩٥)، وابن ماجه (١٠٦)، وابن حبان (١٥/ ٣١١) (٦٨٨٨).

(٢) أخرجه أحمد (٣/ ٣٠٩) (١٤٣٦٠)، والبخاري (٥٢٢٦)، وابن حبان (١٥/ ٣٠٩) (٦٨٨٦).

(٣) (٧٠٢٤).

ذَهبٍ، فقلتُ: لمَن هذا؟ فقالوا: لرَجل من قُريش، فما منَعني أن أدخله يا ابن الخطاب إلا ما أَعلمه مِن غَيرتِكَ»، قال: وعَليك أغارُ يا رَسُول اللهِ؟!

وفي رواية ابن حبان: قال رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أُدخلت الجنَّة، فرأيتُ فيها قصرًا من ذهبٍ أو لؤلؤ، فقلتُ: لمَن هذا القَصْر؟ قالوا: لعُمَر بن الخطَّاب**» وذكر بقيَّته بنحوه. وقد بوَّب البُخارِي علىٰ هذا الحَدِيث وحديثِ أبي هُرَيرَةَ المذكور قبله بقوله: «باب القَصر في المَنام».

الثالث: حديث أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: قال رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**دخلتُ الجنَّةَ، فإذا أنا بقَصْر من ذهبٍ، فقلتُ: لمن هذا القصر؟ قالوا: لشَابٍّ من قريش، قلتُ: لمن؟ قالوا: لعُمر بن الخطَّاب، قال: فلولا ما علمتُ مِن غيرَتِك لدَخلتُه**»، فقال عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «عَليك يا رَسُول اللهِ أغار؟!»[(١)] رَواهُ الإمام أحْمَد عن ابن أبي عَدي، عن حُميد، عن أنس، ورواه أيضًا عن يحيىٰ -وهو ابن سَعيد القَطَّان- عن حُميد عن أنس. ورواه أيضًا عن عبد الله بن بكر -وهو السَّهمي- عن حُميد عن أنسٍ، وكل واحد من هذه الأسانيد الثلاثة ثلاثي علىٰ شرط الشَّيْخَين، ورواه أيضًا بإسْنَادين صَحِيحَين سوىٰ هذه الأسانيد الثلاثة، ورواه التِّرمِذي وابن حِبَّان في «صحيحه»، وقال التِّرْمِذي: هذا حديث حسن صَحِيح.

ومما جاء في ذِكر بلالٍ وحده: حديث أبي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: قال نبي الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لبلالٍ عند صَلاة الغداة: «**يا بلالُ، حدِّثني بأرجىٰ عمَلٍ عَملته عندك في**

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٢٦٣، ١٧٩، ١٠٧) (١٢٠٦٥، ١٢٨٥٧، ١٣٨٠١) والترمذي (٣٦٨٨)، وابن حبان (١/ ٢٥٠) (٥٤)، (١٥/ ٣١٠) (٦٨٨٧)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٤٢٣).

الإسلام مَنفعةً، فإني سمعتُ الليلةَ خشفَ نَعليك بين يدي في الجنَّة، قال بلال: ما عمِلتُ عملًا في الإسلام أَرجىٰ عندي مَنفعةً من أني لا أَتطهَّر طهورًا تامًّا في ساعةٍ من ليلٍ أو نهار إلا صلَّيتُ بذلك الطهورِ ما كَتب الله لي أن أصلِّي»، رَواهُ الإمام أحْمَد والبُخارِي ومُسْلم(١). قال الحافظ ابنُ حجر في «فتح الباري»(٢): «قوله: «عند صَلاة الفَجر» فيه إشِارة إلىٰ أن ذلك وقع في المنام، لأن عادتَه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه كان يَقصُّ ما رآه ويُعبِّر ما رآه أصحابُه بعد صلاة الفَجر» انتهىٰ.

ومما جاء في ذكر الرُّمَيصاء وحدَها: حديثُ أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: قال رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**دخلْتُ الجنَّةَ فسَمعتُ خشفةً بين يديَّ فقلتُ: ما هذا؟ قالوا: الغُمَيصَاء بنت ملْحَان أمُّ أنس بن مالك**»، رَواهُ الإمام أحْمَد، عن هُشيم، عن حُميد، عن أنس، ورواه أيضًا عن ابنِ أبي عَدي، عن حُميد، عن أنس، ورواه أيضًا عن يحيىٰ، عن حميد، عن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وكل واحد من هذه الأسانيد الثَّلاثة ثُلاثي علىٰ شرط الشَّيْخَين، ورواه أيضًا بإسْنَادين صَحِيحين من طريق ثابت، عن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، ورواه مُسْلم وابن حِبَّان في «صحيحه» والطَّبَراني في «الكبير»(٣).

ومن الرُّؤْيَا الظَّاهرة: ما رَواهُ الإمام أحْمَد بأسانيد صَحِيحة، عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: قال رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**نِمْتُ فرَأيتُني في الجنَّةِ، فسَمعتُ**

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٤٣٩) (٩٦٧٠)، والبخاري (١١٤٩)، ومسلم (٢٤٥٨).

(٢) (٣/ ٣٤).

(٣) أخرجه أحمد (٣/ ٩٩، ١٠٦، ١٢٥) (١١٩٧٣، ١٢٠٥٤، ١٢٢٧٨)، و(٣/ ٢٣٩) (١٣٥٣٨)، و(٣/ ٢٦٨) (١٣٨٥٦)، وأخرجه مسلم (٢٤٥٦)، وابن حبان (١٦/ ١٦٢) (٧١٩٠)، والطبراني (٢٥/ ١٣٠-١٣١) (٣١٧، ٣١٨).

صَوت قارئ يقرأ فقُلت: من هذا؟ فقالوا: **حارِثَة بن النُّعمان**»، فقال رَسُول اللهِ صَلَّاَللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**كذَلك البِرُّ، كذلك البِرُّ**» وكان أبرَّ النَّاس بأُمِّه، وقد رَواهُ عبد الرزاق، وابن حِبَّان في «صحيحه»، والحاكم، وقال: صَحِيح علىٰ شرط الشَّيْخَين، ووافقه الذهبي في «تلخيصه»[(١)].

ومن الرُّؤْيَا الظَّاهرة: رُؤْيَا النَّبِي صَلَّاَللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ في غَزاة البَحر الَّذين غَزوا قُبْرصَ في زمان عُثمان رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ، والَّذين غزوا الرُّوم في زمان معاوية رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ، وقد جاء في ذلك حديثان:

أحدهما: عن أنس بن مالك رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ. وقد رُوي عنه من ثلاثة طرق:

أحدها: ما رَواهُ مالك في «الموطأ»، عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة، عن أنس بن مالك رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ قال: كان رَسُول اللهِ صَلَّاَللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ إذا ذهبَ إلىٰ قباء يَدخل علىٰ أمِّ حَرام بنت ملحان فتُطعمه، وكانت أمُّ حَرام تحت عُبادة بن الصَّامت، فدخل عليها رَسُول اللهِ صَلَّاَللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ يومًا فأَطعمَتْه، وجلسَت تُفلي رأسَه، فنام رَسُول اللهِ صَلَّاَللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ ثم استيقظَ، وهو يَضحَك، قالت: فقُلتُ: ما يُضحِكُكَ يا رَسُول اللهِ؟ قال: «**ناسٌ مِن أُمَّتي عُرضوا عليَّ غُزاة في سبيل الله يَركبون ثَبَج هذا البَحر، مُلوكًا علىٰ الأَسِرَّة، أو قال: مِثل المُلوك علىٰ الأَسِرَّة**» يشك إسحاقُ - فقلت: يا رَسُول اللهِ، ادْعُ اللهَ أن يَجعلَني منهم، فدعا لها، ثم وَضع رأسَه فنام، ثم استيقظ وهو يَضحَك، فقلتُ: ما يُضحِكُك يا رَسُول اللهِ؟ قال: «**ناسٌ مِن أُمَّتي عُرضوا عليَّ غُزاة في سبيلِ الله، مُلوكًا**

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في «المصنف» (١١/ ١٣٢) (٢٠١١٩)، وابن حبان (١٥/ ٤٧٨) (٧٠١٤)، والحاكم (٤/ ١٥١)، وغيرهم، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٩١٣).

علىٰ الأَسِرَّة، أو مِثل المُلوك علىٰ الأَسِرَّة» كما قال في الأولىٰ، قالت: فقلتُ: يا رَسُول اللهِ، ادعُ الله أن يَجعلني منهم، قال: «**أنتِ مِن الأَوَّلِين**»، قال: فرَكِبتِ البَحرَ في زَمان مُعاوية فصُرعت عن دابَّتِها حين خَرجت من البَحر فهَلكت، وقد رَواهُ البُخارِي، ومُسْلم، وأبو داود، والتِّرْمِذي، والنَّسَائي من طريق مالك، ومن غير طريقه، وقال التِّرْمِذي: «هذا حديث حسن صَحِيح. وأم حَرام بنت ملحان هي أختُ أم سُليم، وهي خالة أنس بن مالك»(١). انتهىٰ.

وقد ترجم البُخارِي لهذا الحَدِيث بقوله: «باب رُؤْيَا النهار»(٢) قال: وقال ابنُ عَون، عن ابن سيرين: رُؤْيَا النهار مثل رُؤْيَا الليل. وذكر الحافظُ ابن حجَر، عن علي بن أبي طالبٍ القَيرواني أنه قال: «لا فَرْق في حُكم العِبارة بين رُؤْيَا اللَّيل والنَّهار، وكذا رُؤْيَا النساء والرجال. وقال المُهلَّب نحوه»(٣). انتهىٰ.

الطريق الثاني: عن مُحمَّد بن يحيىٰ بن حَبَّان، عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن خَالته أمِّ حَرام بنت مِلحان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، رَواهُ الإمام أحْمَد، والبُخارِي، ومُسْلم، وأبو داود، والنَّسَائي، وابن ماجَهْ، والدَّارِمِي بنحو ما تقدم في حَديث إسحاقَ بن عبد الله بن أبي طلحة، عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ(٤).

---

(١) أخرجه مالك في «الموطأ» كتاب الجهاد- باب الترغيب في الجهاد- ح (٣٩)، والبخاري (٢٧٨٨)، ومسلم (١٩١٢)، وأبو داود (٢٤٩٠، ٢٤٩١، ٢٤٩٢)، والترمذي (١٦٤٥)، والنسائي (٣١٧١).

(٢)(٩/ ٣٤).

(٣)«الفتح» (١٢/ ٣٩٢).

(٤) أخرجه أحْمَد (٦/ ٣٦١) (٢٧٠٧٧)، والبُخارِي (٢٧٩٩)، ومُسْلم (١٩١٢)، وأبو داود (٢٤٩٠)، =

الطريق الثالث: عن عبد الله بن عبد الرَّحْمَن بن مَعمر الأنصاري، عن أنس بن مالك رَضِيَٱللَّهُعَنهُ، رَواهُ الإمام أحْمَد، والبُخارِي، ومُسْلم بنحو ما تقدم في حديث إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة، عن أنس رَضِيَٱللَّهُعَنهُ(١).

الحَدِيث الثاني: **عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، أن امرأةً حدَّثته قالت**: نام رَسُول اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيهِوَسَلَّمَ ثم استيقظ وهو يضحك، فقلتُ: تَضحك مِنِّي يا رَسُول اللهِ؟ قال: «**لا، ولكن من قوم من أُمَّتي يَخرُجون غُزاة في البَحر، مَثلهم مَثل المُلوك علىٰ الأسِرَّة**»، قالت: ثم نام ثم استيقظ أيضًا يَضحك، فقلت: تَضحكُ يا رَسُول اللهِ منِّي؟ قال: «**لا، ولكن مِن قَوم من أمَّتي يَخرجون غُزاة في البَحر، فيَرجعون قَليلة غنائمهم مغفورًا لهم**»(٢)، قلتُ: ادعُ الله أن يَجعلني منهم، فدعا لها، قال: فأخبرني عطاء بن يسار قال: فرأيتُها في غَزاة غزاها المُنذر بن الزُّبير إلىٰ أرض الروم، وهي معنا، فماتت بأرض الروم. رَواهُ الإمام أحْمَد، عن عبد الرزاق، عن مَعمر، عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، وإسْنَاده صَحِيح علىٰ شرط الشَّيْخَين، وقد رَواهُ عبد الرَّزاق في «مصنفه»(٣)، وقال فيه عطاء بن يسار: أن امرأةَ حُذيفة قالت.

والظَّاهر: أن قولَه: (امرأة حُذيفة) تَصحيف من بعض النُّسَّاخ أو الطَّابعين، والصَّواب: (أن امرأةً حدَّثته) كما جاء ذلك في رواية الإمام أحْمَد، عن عبد الرزاق.

=

والنَّسَائي (٣١٧٢)، وابن ماجَهْ (٢٧٧٦)، والدَّارِمِي (٢٤٦٥).

(١) أخرجه أحْمَد (٣/ ٢٦٤) (١٣٨١٦)، والبُخارِي (٢٨٧٧)، ومُسْلم (١٩١٢).

(٢) أخرجه أحمد (٦/ ٤٣٥) (٢٧٤٩٤)، وعبد الرزاق (٥/ ٢٨٤) (٩٦٢٩)، وغيرهم، قال الأرنؤوط: «إسناده صحيح علىٰ شرط الشيخين».

(٣) انظر: المصدر السابق.

ويدلُّ لهذا ما رَواهُ أبو داود، عن يحيىٰ بن مَعين، عن هشام بن يوسف، عن معمر، عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن أخت أمِّ سُليم الرُّميصاء قالت: نام النَّبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فاستيقظ، وكانت تَغسل رأسها، فاستيقظ وهو يَضحك، فقالت: يا رَسُول اللهِ، أتَضحك من رأسي؟ قال: «**لا**»، قال أبو داود: «وسَاقَ هذا الخَبَرَ يَزِيدُ ويَنْقُص»(١). انتهىٰ.

وإسْنَاد هذه الرِّواية صَحِيح علىٰ شرط البُخارِي. وفيها بيان أن المرأة الَّتي لم تُسَمَّ في رواية الإمام أحْمَد هي الرُّميصاء أخت أم سُلَيم.

ومن الرُّؤْيَا الظَّاهرة: رُؤْيَا النَّبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في مرضه أن الوَجع الَّذي أصابه كان بسبب السِّحر، وقد جاء في ذلك حديثان: عن عائشة، وابن عبَّاس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ.

فأما حديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: فقد رُوي عنها من طريقين:

أحدهما: عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قالت: سَحَرَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يهوديٌّ من يهود بني زُريق يقال له: لَبيد بن الأعْصَم، قالت: حتىٰ كان رَسُول اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُخيَّل إليه أنه يَفعل الشَّيء، وما يفعله، حتىٰ إذا كان ذات يوم أو ذات ليلةٍ دعا رَسُول اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثم دعا ثم دعا، ثم قال: «**يا عائشةُ، أَشعرتِ أن الله أفتاني فيما استَفتيتُه فيه؟ جاءني رَجلان فقَعد أحدُهما عند رأسي، والآخر عند رِجلي، فقال الَّذي عند رأسي للذي عند رجلي، أو الَّذي عند رِجلي للذي عند رأسي: ما وَجعُ الرَّجُل؟ قال: مَطبُوب، قال: مَن طبَّه؟ قال: لَبيدُ بن الأعصم، قال: في أي شيء؟ قال: في مُشطٍ ومُشاطَة، قال: وَجبِّ طَلعة ذَكَر، قال: فأين**

---

(١) انظر: «سنن أبي داود» (٢٤٩٢)، وقد سبق تخريجه قريبًا.

هو؟ قال: **في بِئر ذي أَروان**»، قالت: فأتاها رَسُول اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ في أناس من أصحابه ثم قال: «**يا عائشة، والله لكأن ماءها نُقاعَة الحِنَّاء، ولكأنَّ نَخلَها رُءوس الشَّياطين**»، قالت: فقلتُ: يا رَسُول اللهِ أفلا أحرَقْتَه؟ قال: «**لا، أَمَّا أَنَا فقد عافاني الله، وكَرهتُ أن أثيرَ علىٰ النَّاس شرًّا، فأمرتُ بها فدُفِنَت**»(١).

رَواهُ الإمام أحْمَد، والبُخارِي، ومُسْلم، وابن ماجَهْ، وابن سعد، وهذا لفظ مُسْلم، ونحوه عند أحْمَد، وابن ماجَهْ، وليس في هذه الرواية، ولا في غيرها من الروايات عند البُخارِي تصريحٌ بأن مجيء الرَّجُلين إلىٰ النَّبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ كان في المنام. وقد جاء التصريح بذلك، وبأن الرَّجلين كانَا من الملائكة في حديثٍ صَحِيح عند الإمام أحْمَد. وجاء أيضًا في حديث عَمرة، عن عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا، كما سيأتي إن شاء الله تَعالَىٰ.

فأما الحَدِيث الَّذي عند أحْمَد: فهو ما رَواهُ عن إبراهيم بن خالد، عن رباح، عن معمر، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا قالت: لَبثَ رَسُول اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ ستَّةَ أشهر يَرىٰ أنه يأتي ولا يَأتي، فأتاه ملكان فجَلس أحدُهما عند رأسه، والآخرُ عند رِجْلَيه، فقال أحدُهما: ما باله؟ قال: مَطبُوب، قال: من طبَّه؟ قال: لبيد بن الأعصم، قال: فِيْمَ؟ قال: في مُشط ومُشاطة في جفِّ طَلعة ذَكَر، في بئر ذروان، تحت رعوفة، فاستيقظ النَّبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ من نومه فقال: «**أيْ عائشةُ، أَلَم تَرين أن اللهَ أفتاني فيما استفتيتُه؟**» فأتىٰ البئرَ فأمرَ به فأُخرج، فقال: «**هذه البِئر الَّتي أُريتها، والله**

(١) أخرجه أحمد (٦/ ٥٧) (٢٤٣٤٥)، والبخاري (٥٧٦٣)، ومسلم (٢١٨٩)، وابن ماجه (٣٥٤٥)، وابن سعد (٢/ ١٩٦).

كأنَّ ماءها نُقاعَة الحنَّاء، وكأنَّ رُءوس نخْلِها رُءوس الشَّياطين»، فقالت عائشة: لو أنَّك، كأنها تعني أن يَتنشر، قال: «**أمَا والله قد عافاني اللهُ، وأنا أكرَه أن أثير علىٰ النَّاس منه شرًّا**»(١).

في إسْناده إبراهيم بن خالد، وهو القرشي الصنعاني المؤذن، ورباح، وهو ابن زيد القرشي مولاهم الصنعاني، وكل منهما ثقة، وبقية رجاله رجال الصَّحِيح.

وأما حديث عمرة، عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، وهو الطريق الثاني من الروايتين عنها، فقد رَواهُ البيهقي في «دلائل النُّبُوَّة»(٢): قالت: كان لرَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غلامٌ يَهودي يخدُمه يُقال له: لَبيد بن أَعصَم، وكان تُعجبه خِدمتُه، فلم تَزل به يَهود حتىٰ سَحر النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكان رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَذوبُ، ولا يدري ما وَجعُه، فبينما رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذات ليلة نائم إذ أتاه ملكان، فجلس أحدُهما عند رأسه، والآخرُ عند رِجلَيه، فقال الَّذي عند رجليه للذي عند رأسه: ما وَجعُه؟ قال الَّذي عند رَأسه: مَطبُوب، قال الَّذي عند رجليه: مَنْ طبَّه؟ قال الَّذي عند رأسه: لَبيد بن أَعصَم، قال الَّذي عند رجليه: بِمَ طبَّه؟ قال الَّذي عند رأسه: بمشط ومُشاطة، وجفِّ طَلعة ذَكَر بذي أروان، وهي تحت راعوفة البئر. فاستيقظ رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فدعا عائشة فقال: «**يا عائشة، أشعرتِ أن الله عَزَّ وَجَلَّ قد أنبأني بوجَعي؟**».

---

(١) أخرجه أحمد (٦/ ٦٣) (٢٤٣٩٢)، قال الأرنؤوط: «إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين».

(٢) (٧/ ٩٢) وفي إسناده ضعف.

فلما أصبح غدا رَسُولُ اللهِ صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وغدا معه أصحابه إلىٰ البئر، فإذا ماؤها كأنه نُقوع الحنَّاء، وإذا نخلها الَّذي يشرب من مائها قد التَوىٰ سعفه كأنه رءوسُ الشَّياطين، قال: فنَزل رجُلٌ فاستخرج جفَّ طَلعة من تحت الرَّاعوفة، فإذا فيها مُشط رَسُول اللهِ صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، ومن مراطة رأسه، وإذا تمثال من شمع تمثال رَسُول اللهِ صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وإذا فيها إبر مَغروزة، وإذا وَتَر فيه إحدىٰ عشْرة عُقدة، فأتاه جبريلُ عَلَيْهِالسَّلَامُ بالمُعوِّذتَين، فقال: يا مُحمَّد: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ [الفلق: ١]، وحل عُقدَة، ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ [الفلق: ٢]، وحل عقدة، حتىٰ فرغ منها، ثم قال: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ [النَّاس: ١]، وحل عقدة حتىٰ فرغ منها، وحل العُقد كلها، وجَعل لا يَنزع إبرة إلا وجَد لها ألمًا، ثم يجد بعد ذلك راحة، فقيل: يا رَسُول اللهِ، لو قَتلت اليَهودي، فقال رَسُول اللهِ صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**قد عافاني الله عَزَّوَجَلَّ، وما وراءه من عَذاب الله أشدُّ**» قال: فأخرجه.

قال البَيهقي: «قد رُوِّينا في هذا، عن الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عبَّاس ببعض معناه، ورويناه في الحَدِيث الصَّحِيح، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا في أبواب دعواته دون ذِكر المعوذتين» انتهىٰ.

وأما حديث ابنِ عبَّاس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: فرواه ابنُ سعد في «الطبقات»(١) من طريق جُويبر -وهو ضعيف-، عن الضَّحَّاك، عن ابن عبَّاس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قال: مرِضَ رَسُول اللهِ صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وأُخِذ عن النساء، وعن الطعام والشَّراب، فَهَبط عليه ملكان، وهو بين النائم واليقظان، فجلس أحدُهما عند رأسه، والآخرُ عند رجليه، ثم قال أحدهما

---

(١) (٢/ ١٩٨) وإسناده ضعيف.

لصاحبه: ما شَكْوُه؟ قال: طُبَّ، يعني سُحِر؛ قال: ومَن فَعله؟ قال: لبيد بن أعصم اليهودي، قال: ففي أيِّ شيء جعله؟ قال: في طلعة، قال: فأين وضعها؟ قال: في بئر ذروان تحت صخرة، قال: فما شِفاؤه؟ قال: تُنزح البِئرُ، وتُرفع الصَّخرة، وتُستخرج الطَّلعة، وارتَفع الملكان.

فبعث نبيُّ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلىٰ علي وعمار رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، فأمرهما أن يأتِيَا الرَّكي فيَفعلا الَّذي سمع، فأتياها وماؤها كأن قد خضب بالحنَّاء، فنزحاها ثم رَفعا الصَّخرة فأخرجا طلعة، فإذا فيها إحدىٰ عشرة عُقْدة، ونزلت هاتان السورتان: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾، و ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ فجعل رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كلَّما قرأ آية انحلت عُقدة، حتىٰ انحلَّت العُقدُ، وانتشر نبي الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للنِّساء والطعام والشراب، وهذا الحَدِيث وإن كان ضعيفَ الإسْنَاد فلبَعضه شاهدٌ مما تقدَّم في حديث عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.

وليُعلم أن السِّحر الَّذي أُصيب به رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومَرض منه ستَّة أشهر إنما كان تَأثيره في جَسَده لا في قَلْبه وعَقله، فإن الله حَمىٰ قلبَه وعَقلَه، وصانَهُما من وصول السِّحر إليهما، وما كان اللهُ ليُسلِّط السَّحرةَ والشياطينَ علىٰ قَلبِ رسُوله، ومَقرِّ وحْيِه وتَنزيلِه، هذا لا يكون أبدًا.

وأما بدنُه فإنه عُرضة للأسقام والآلام كسَائر البَشر، وذلك لا يَحطُّ مِن قَدره، بل يزيدُه أجرًا وثوابًا في الدار الآخرة.

قال القاضي عياض في كتابه «الشفا»(١): «السِّحر مَرضٌ من الأمراض،

(١) (٢/ ٣٣٣).

وعارض من العِلل، يَجوز عليه كأنواع الأمراض مما لا يُنكر ولا يَقدَح في نُبوَّته. وأما ما ورد أنه كان يُخيَّل إليه أنه فَعل الشَّيءَ ولا يفعله، فليس في هذا ما يُدْخل عليه دَاخلة في شيء من تَبليغه أو شَريعته، أو يَقدح في صِدْقه لقيام الدَّليل والإجماع علىٰ عِصْمَته من هذا، وإنَّما هذا فيما يَجوز طُروُّه عليه في أمْر دُنياه الَّتي لم يُبعث بسَببها، ولا فُضِّل من أجلها، وهو فيها عُرضة للآفات كسائر البشر، فغَير بعيد أن يخيَّل إليه من أمورها ما لا حقيقة له ثم ينجلي عنه كما كان -إلىٰ أن قال-: إن السِّحر إنما تسلَّط علىٰ ظاهره وجوارحه، لا علىٰ قلبه واعتقاده وعقله، وأنه إنما أثَّر في بصره، وحبسه عن وطء نسائه، وطعامه، وأضعف جسمه، وأمرضه، ويكون معنىٰ قوله: يُخيَّل إليه أنه يأتي أهله، ولا يأتيهن، أي: يَظهر له من نَشاطه، ومُتقدَّم عادته القُدرة علىٰ النِّساء، فإذا دنَا منهنَّ أخذته أخْذة السِّحر فلم يَقدر علىٰ إتيانهن، كما يَعتري من أُخذ واعترض. وإذا كان هذا لم يَكن فيما ذكر من إصابة السِّحر له، وتأثيره فيه ما يُدخل لَبْسًا، ولا يجد به المُلحِد المُعترِضُ أُنْسًا» انتهىٰ.

ومن الرُّؤْيَا الظَّاهرة: ما رَواهُ الإمام أحْمَد، وابن ماجَهْ، وابن حِبَّان في «صحيحه»، والبيهقي في «دلائل النُّبوَّة»، عن طلحة بن عبيد الله رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، أن رجلين من بلي قَدِمَا علىٰ رَسُول اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وكان إسلامهما جميعًا، فكان أحدهما أشد اجتهادًا من الآخر، فغزا المجتهدُ منهما فاستُشهد، ثم مكَث الآخر بعده سنة ثم تُوُفِّي. قال طلحة: فرأيتُ في المنام بينا أنا عند باب الجنة إذا أنا بهما، فخرج خارجٌ من الجنَّة فأذِنَ للذي تُوفي الآخِر منهما، ثم خرج فأذِن للذي استُشهد، ثم رجع إليَّ فقال: ارجع فإنك لم يَأْنِ لك بعدُ. فأصبح طَلحة يُحدِّث به النَّاس، فعَجبوا لذلك، فبلغ ذلك رَسُولَ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وحدَّثوه الحَدِيثَ، فقال: «**مِن أَيِّ ذلك تَعجَبون؟**» فقالوا: يا

رَسُول اللهِ، هذا كان أشدَّ الرَّجُلين اجتهادًا ثم استُشهد، ودخل هذا الآخر الجنة قَبله، فقال رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَلَيس قد مكث هذا بَعده سَنة؟**» قالوا: بلىٰ، قال: «**وأدْرَك رَمضانَ فصَامه، وصلَّىٰ كذا وكذا مِن سَجدة في السَّنَة؟**» قالوا: بلىٰ، قال رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فلَمَا بينهما أبعَدُ مما بين السَّماء والأرض**»(١).

وروىٰ الإمام أحْمَد، عن طَلحة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قريبًا منه في المعنىٰ، وفي آخره أن رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**ليس أحدٌ أفضَلَ عند الله من مُؤْمن يُعمَّر في الإسلام لتَسبيحه، وتكبيرِه، وتَهليله**»(٢)، ورجال هذه الرواية، والرواية الَّتي قبلها كلُّهم ثقات.

ومن الرُّؤْيَا الظَّاهرة: رُؤْيَا ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أنه كان بيده قِطعة استبرق يَطير بها في الجنة، والحَدِيث بذلك رَواهُ الإمام أحْمَد، والبُخارِي، ومُسْلم، والتِّرْمِذي، عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: رأيتُ في المنام كأن بيدي قطعة استبرق، ولا أُشير بها إلىٰ مكان من الجنة إلا طارت بي إليه، فقصَّتْها حفصةُ علىٰ النَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: «**إن أخَاكِ رَجُل صالِح**» أو: «**إن عبدَ الله رجُل صالح**»(٣). قال التِّرمِذي: هذا حديث حسن صَحِيح.

ومن الرُّؤْيَا الظَّاهرة: رُؤْيَا ابن عُمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنه ذُهب به إلىٰ النار، ثم صُرف عنها. والحَدِيث في ذلك رَواهُ الإمام أحْمَد، والبُخارِي، ومُسْلم، وابن ماجَهْ، عن

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ١٦٣) (١٤٠٣)، وابن ماجه (٣٩٢٥)، وابن حبان (٧/ ٢٤٨) (٢٩٨٢)، والبيهقي في «الدلائل» (٧/ ١٥)، قال الأرنؤوط: «حسن لغيره وهذا إسناد ضعيف».

(٢) (١/ ١٦٣) (١٤٠١).

(٣) أخرجه أحمد (٢/ ٥) (٤٤٩٤)، والبخاري (٧٠١٦)، ومسلم (٢٤٧٨)، والترمذي (٣٨٢٥).

سالم، عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: كان الرجل في حياة رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا رأىٰ رُؤْيَا قصَّها علىٰ النَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: فتمنَّيْتُ أن أرىٰ رُؤْيَا فأقُصَّها علىٰ النَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: وكنتُ غلامًا شابًّا عزبًا، فكنت أنام في المسجد علىٰ عهد رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: فرأيتُ في النَّوم كأنَّ مَلكين أخذاني فذهبَا بي إلىٰ النار، فإذا هي مَطوية كطَي البِئر، وإذا لها قرنان، وإذا فيها ناس قد عرفتُهم، فجعلتُ أقولُ: أعوذُ بالله من النار، أعوذ بالله من النار، فلقيهما ملكٌ آخَر فقال لي: لن تُراع، فقصَصْتُها علىٰ حفصةَ، فقصَّتها حفصةُ علىٰ رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال: «**نِعمَ الرَّجُل عبدُ الله لو كان يُصلِّي من اللَّيل**»(١). قال سالم: فكان عبد الله لا يَنام من الليل إلا قليلًا.

وفي رواية للبخاري: فرأيتُ مَلكين أتياني فانطلقا بي، فلقيهما ملَكٌ آخرُ فقال: لن تُراع، إنك رجل صالح.

وقد رَواهُ البُخارِي أيضًا من حَديث نافع، أن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: إن رجالًا من أصحاب رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كانوا يرَوْن الرُّؤْيَا علىٰ عهد رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيقُصُّونها علىٰ رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فيقول فيها رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما شاء الله، وأنا غلامٌ حَديث السِّنِّ، وبَيتي المَسجدُ قبل أن أَنكح، فقلتُ في نفسي: لو كان فيكَ خيرٌ لرأيتَ مثلَ ما يرىٰ هؤلاء. فلما اضطجعتُ ليلةً قلتُ: اللَّهمَّ إن كنتَ تَعلم فِيَّ خيرًا فأرِني رُؤْيَا، فبينما أنا كذلك إذ جاءني ملكان في يد كل واحد منهما مقْمَعة من حديدٍ، يُقبلان بي إلىٰ جهنَّم، وأنا بينهما أدعو الله،

---

(١) أخرجه أحمد (٢/١٤٦) (٦٣٣٠)، والبخاري (٣٧٣٨)، ومسلم (٢٤٧٩)، وابن ماجه (٣٩١٩).

اللَّهمَّ إني أعوذُ بك من جهنَّم، ثم أُراني لَقيني ملَكٌ في يده مقْمعةٌ من حديدٍ فقال: لن تُراع، نِعم الرَّجل أنت لو تُكثر الصلاة، فانطلقوا بي حتىٰ وقفوا بي علىٰ شَفير جهنم، فإذا هي مَطوية كطَي البِئر، له قُرون كقُرون البئر، بين كل قَرنَين ملَك بيده مقمَعة من حديد، وأرىٰ فيها رجالًا مُعلَّقين بالسَّلاسل، رُءوسهم أسفلهم، عرفتُ فيها رجالًا من قريش، فانصرفوا بي عن ذات اليمين، فقَصصتُها علىٰ حفصةَ، فقصَّتْها حفصةُ علىٰ رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فقال رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن عبدَ الله رجُل صالح**»[1] فقال نافع: لم يزل بعد ذلك يُكثر الصلاة، وقد رَواهُ ابن أبي شيبة مختصرًا.

ومن الرُّؤْيَا الظَّاهرة: ما رَواهُ الإمام أحْمَد بإسْنَادين صَحِيحين، عن أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: كان رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تُعجبه الرُّؤْيَا الحَسَنَة، فرُبما قال: «هل رأىٰ أحدٌ منكم رُؤْيَا؟» فإذا رأىٰ الرَّجل رُؤْيَا سأل عنه، فإن كان ليس به بأس كان أعجب لرُؤْيَاه إليه، قال: فجاءت امرأة فقالت: يا رَسُول اللهِ، رأيتُ كأني دخلتُ الجنةَ فسمعتُ بها وَجبةً ارتجَّت لها الجنةُ، فنظرتُ فإذا قد جيء بفُلان ابن فلان، وفلان ابن فلان، حتىٰ عدَّت اثني عشر رجلًا، وقد بعث رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَرية قبل ذلك، قالت: فجيء بهم عليهم ثِياب طُلس تَشخبُ أوداجُهم، قال: فقيل: اذهبوا بهم إلىٰ نهر السدخ، أو قال: إلىٰ نهر البَيدج؛ قال: فغُمسوا فيه فخرجوا منه وجوههم كالقمر ليلة البدر.

قال: ثم أُتوا بكَراسي من ذهب فقعدوا عليها، وأُتي بصحفة -أو كلمة نحوها-

---

(١) أخرجه البخاري (٧٠٢٨)، وابن أبي شيبة (٦/ ١٨٣) (٣٠٥٢٢).

فيها بسرةٌ، فأكلوا منها، فما يقلبونها لشقٍّ إلا أكلوا من فاكهة ما أرادوا، وأكلتُ معهم، قال: فجاء البَشير من تلك السَّرية فقال: يا رَسُول اللهِ، كان مِن أمرنا كذا وكذا، وأصيب فلان وفلان، حتىٰ عدَّ الاثني عشر الَّذين عدَّتهم المرأة، فقال رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**عَليَّ بالمَرأة**»، فجاءت قال: «**قُصِّ علىٰ هذا رُؤْيَاك**» فقصَّت، قال: هو كما قالت لرَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ورواه ابن حِبَّان في «صحيحه»، والبيهقي في «دلائل النُّبُوَّة»[١] بنحوه.

ومن الرُّؤْيَا الظَّاهرة: رُؤْيَا خُزيمة بن ثابت رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أنه يُقبِّل النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويسجد علىٰ جَبهته. وقد جاء ذلك من طرق:

أحدها: عن أبي جعفر المديني الخَطمي قال: سمعتُ عمارة بن عثمان بن حنيف يحدِّثُ، عن خزيمة بن ثابت، أنه رأىٰ في مَنامه أنه يُقبِّل النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأتىٰ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأخبره بذلك فناولَه النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقبَّل جبهته. رَواهُ الإمام أحْمَد. قال الهيثمي: فيه عمارة بن عثمان، ولم يرو عنه غير أبي جعفر الخطمي، وبقية رجاله ثقات، قلت: قال ابن حجر في «تقريب التهذيب»: «عمارة بن عثمان بن حنيف الأنصاري المدني مقبول»[٢]. انتهىٰ. ويؤيد حديث عمارة ما سيأتي في الطَّريقين بعده.

الطريق الثاني: عن أبي جعفر الخطمي، عن عمارة بن خزيمة بن ثابت، أن أباه

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ١٣٥، ٢٥٧) (١٢٤٠٨، ١٣٧٢٣)، وابن حبان (١٣/ ٤١٨) (٦٠٥٤)، والبيهقي في «الدلائل» (٧/ ٢٦)، وصححه الألباني في «الموارد» (١٨٠٣).

(٢) أخرجه أحمد (٥/ ٢١٤) (٢١٩١٢)، قال الأرنؤوط: «ضعيف لاضطراب إسناده ومتنه».

قال: رأيتُ في المنام أني أسجد علىٰ جبهة رَسُول اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأَخبرتُ بذلك رَسُول اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: «**إن الرُّوح لتَلقىٰ الرُّوح**»، وأقنع النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رأسَه هكذا، فوضع جبهته علىٰ جبهة النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، رَواهُ الإمام أحْمَد، وابن أبي شيبة، والطَّبَراني في «الكبير»[(١)] مختصرًا. قال الهيثمي: رَواهُ أحْمَد بأسانيد أحدها هذا، وهو متصل، ورواه الطَّبَراني، وقال: فقال له النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اجْلِس، واسْجُد، واصنع كما رأيتَ**»، ورجالهما ثقات.

الطريق الثالث: عن الزُّهري، عن ابن خُزيمة بن ثابت الأنصاري صاحب الشهادتين، عن عمه، أن خزيمة بن ثابت الأنصاري رأىٰ في المنام أنه سجد علىٰ جبهة رَسُول اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأَخْبَر النَّبيَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بذلك فاضطجع له رَسُول اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقال: «**صَدِّق بذلك رُؤْيَاك**»[(٢)] فسجد علىٰ جبهة رَسُول اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، رَواهُ الإمام أحْمَد، عن عثمان بن عمر بن فارس، عن يونس، عن الزهري، عن ابن خزيمة بن ثابت، عن عمه. ورجال هذا الإسْنَاد كلهم ثقات، وقد رَواهُ ابن حِبَّان في «صحيحه» بنحوه.

ومن الرُّؤْيَا الظَّاهرة: ما رَواهُ ابن أبي شيبة، عن أبي معاوية، عن الأعمش، عن مُسْلم -وهو ابن صبيح أبو الضحىٰ- قال: أتىٰ رجل إلىٰ النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: يا رَسُول اللهِ، رأيت رجلًا يخرج من الأرض، وعلىٰ رأسه رَجُل في يده مرزبَّة من حديد،

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٢١٤) (٢١٩٢٧)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٦/ ١٨٢) (٣٠٥١٥)، والطبراني في «الكبير» (٤/ ٨٤) (٣٧١٧)، وانظر: «المجمع» (٧/ ١٨٢).

(٢) أخرجه أحمد (٥/ ٢١٥) (٢١٩٣٢)، وابن حبان (١٦/ ٩٨-٩٩) (٧١٤٩)، قال الأرنؤوط: «إسناده ضعيف للاختلاف الذي وقع فيه علىٰ يونس بن يزيد وعلىٰ الزهري».

كلما أخرج رأسه ضرب رأسه، فيدخل في الأرض ثم يخرج من مكان آخر، فيأتيه فيضرب رأسه، قال: «**ذاك أبو جهل بن هشام، لا يَزال يُصنع به ذلك إلىٰ يوم القيامة**»(١) رجاله رجال الصَّحِيح، وهو مُرسل، وقد أورده ابن أبي شيبة فيما أخبر به النَّبِي صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ من الرُّؤْيَا.

ومن الرُّؤْيَا الظَّاهرة: ما رَواهُ ابن أبي شيبة بإسْنَاد صَحِيح، عن عائشة أم المُؤْمنين رَضِيَٱللَّهُعَنهَا، أنها قَتلَت جانًّا، فأُتيت فيما يرىٰ النائم فقيل لها: أَمَا والله لقد قَتلتِ مُسْلمًا، قالت: فلِمَ يَدخل علىٰ أزواج النَّبِي صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ؟ فقيل لها: ما يَدخل عليك إلا وعليك ثيابُك، فأصبحت فَزِعة، وأمرتُ باثني عشر ألفًا في سبيل الله(٢).

ومن الرُّؤْيَا الظَّاهرة: رُؤْيَا عثمان بن عفَّان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، أنه سيُقتل. وقد جاء ذلك في عدة أحَادِيث:

منها: ما رَواهُ ابن أبي شيبة، وابن سعد في «الطبقات»، عن أم هلال بنت وكيع، عن امرأة عثمان قالت: أغفىٰ عثمانُ، فلما استيقظ قال: إن القومَ يَقتلونني، قلتُ: كلا يا أمير المُؤْمنين، قال: رأيت رَسُول اللهِ صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وأبا بكر وعمرَ، قال: قالوا: «**أَفطِرْ عندنا اللَّيلةَ**»، أو قالوا: «**إنَّك تُفطر عندنا الليلةَ**»(٣).

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (٦/ ١٧٥) (٣٠٤٧٨) عن مسلم به مرسلًا، ومسلم هو ابن صبيح، من الرابعة. «التقريب».

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (٦/ ١٨٢) (٣٠٥١٤).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة (٦/ ٣٦٢) (٣٢٠٤٨)، وابن سعد في «الطبقات» (٣/ ٧٥)، وعبد الله ابن الإمام أحمد بن حنبل في «فضائل عثمان بن عفان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ» (١١١)، وغيرهم من طريق داود بن أبي هند، عن زياد بن عبد الله، عن أم هلال ابنة وكيع، عن نائلة بنت الفرافصة، امرأة =

ومنها: ما رَواهُ ابن أبي شيبة، والحاكم، عن نافع، عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أن عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أصبح يُحدِّث النَّاسَ، قال: رأيتُ رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الليلةَ في المنام، فقال: «**يا عثمانُ، أَفطِر عندنا**»(١) فأصبح صائمًا، وقُتل من يَومه. صححه الحاكم، والذهبي. وقد رَواهُ ابن سعد في «الطبقات»(٢)، عن نافع قال: أصبح عثمان بن عفان يوم قُتل يقصُّ رُؤْيَا علىٰ أصحابه رآها، فقال: رأيتُ رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ البارحةَ فقال لي: «**يا عثمانُ، أَفْطِر عندنا**»، قال: فأصبح صائمًا، وقُتل في ذلك اليوم، وقد رَواهُ البيهقي في «دلائل النُّبُوَّة»(٣) مختصرًا.

ومنها: ما رَواهُ أبو يعلىٰ المَوصلي، وعبد الله بن الإمام أحْمَد في زوائد «المُسند»، عن مُسْلم أبي سَعيد مولىٰ عثمان بن عفان، أن عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: رأيتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ البارحةَ في المنام، ورأيتُ أبا بكر وعمرَ، وإنهم قالوا لي: «**اصْبِر، فإنك تُفطر عندنا القابلةَ**»(٤) ثم دعا بمُصحف فنشَره بين يديه، فقُتل وهو بين يديه. قال الهيثمي: رجالهما ثقات. وصحح الشَّيخ أحْمَد مُحمَّد شاكر في

=

عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قالت... فذكرته. قال الأرنؤوط: «إسناده ضعيف، زياد بن عبد الله قال في «تعجيل المنفعة»: فيه نظر، وأم هلال لا تعرف».

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (٦/ ١٨١) (٣٠٥١١)، والحاكم (٣/ ١٠٣).

(٢) (٣/ ٧٤)، ونافع هو مولىٰ ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وروايته عن عثمان مرسلة. انظر: «جامع التحصيل» (٨٢٣).

(٣) (٧/ ٤٨).

(٤) أخرجه أبو يعلىٰ كما في «الإتحاف» للبوصيري (٤/ ٤٨٨) (٣٩٩٥)، وعبد الله في «الزوائد» (١/ ٧٢) (٥٢٦)، قال الأرنؤوط: «إسناده ضعيف».

تعليقه علىٰ «مسند الإمام أحْمَد»(١) إسْنَادَ هذا الحَدِيث.

ومن الرُّؤْيَا الظَّاهرة: رُؤْيَا النَّبِي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وابن عبَّاس، وأم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في قَتل الحُسين بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

فأما رُؤْيَا النَّبِي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لذلك: فهي في حديث رَواهُ الحاكم، عن أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أن رَسُول اللهِ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اضْطَجع ذات ليلة للنَّوم فاستيقظ، وهو حائرٌ ثم اضطجع فرَقد ثم استيقظ، وفي يده تُربة حمراء يُقبِّلها، فقلت: ما هذه التُّربة يا رَسُول اللهِ؟ قال: «**أخبرني جبريلُ أن هذا يُقتل بأرض العِراق**» للحُسين، «**فقلتُ لجبريل: أَرني تُربة الأرض الَّتي يُقتل بها، فهذه تُربتُها**». قال الحاكم: صَحِيح علىٰ شرط الشَّيْخَين، ووافقه الذهبي في «تلخيصه»(٢).

وقد رَواهُ الطَّبَراني في «الكبير»(٣) مختصرًا، ولفظه: أن رَسُول اللهِ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اضطجع ذات يوم فاستيقظ وهو خاثر النَّفس، وفي يده تُربة حمراء يُقلِّبها، فقلت: ما هذه التُّربة يا رَسُول اللهِ؟ فقال: «**أَخبرني جبريلُ** عَلَيْهِ السَّلَامُ **أن هذا يُقتل بأرض العراق**» للحسين، «**فقلت لجبريل: أرني تُربة الأرض الَّتي يُقتل بها، فهذه تُربتُها**». قال ابن الأثير: «خاثر النفس: أي ثَقيل النَّفس غير طَيِّب، ولا نَشيط»(٤). انتهىٰ.

وأما رُؤْيَا ابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: فقد رواها الإمام أحْمَد، والطَّبَراني في «الكبير»،

---

(١) «المسند» (١/ ٣٩٠) (٥٢٦) ط: دار الحديث - القاهرة.

(٢) أخرجه الحاكم (٤/ ٣٩٨)، والطبراني في «الكبير» (٣/ ١٠٩) (٢٨٢١) وغيرهما، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٨٢١).

(٣) انظر: التخريج السابق.

(٤) «النهاية في غريب الحديث» (٢/ ١١).

والحاكم من طريق عمار بن أبي عمار، عن ابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: رأيت النَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المنام بنصف النهار، أشعثَ أغبَر معه قارورة فيها دم يلتقطه، أو يتتبع فيها شيئًا، قال: قلتُ: يا رَسُول اللهِ، ما هذا؟ قال: «**دم الحُسين وأصحابِه، لم أزل أتتبعه منذ اليوم**». قال عمار: فحفظنا ذلك اليوم فوجدناه قُتل ذلك اليوم، هذا لفظ أحْمَد في إحدىٰ الرِّوايتين، وإسْنَاده في كل منهما صَحِيح علىٰ شرط مُسْلم.

وقد رَواهُ البيهقي في «دلائل النُّبُوَّة» بنحوه، وقال الحاكم: صَحِيح علىٰ شرط مُسْلم، ووافقه الذهبي في «تلخيصه»[١].

وأما رُؤْيَا أمِّ سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: فقد رواها التِّرمِذي، والحاكم من طريق رزين -وهو الجهني- قال: حدثتني سلمىٰ -وهي البكرية- قالت: دخلتُ علىٰ أم سلمة وهي تبكي، فقلت: ما يبكيكِ؟ قالت: رأيتُ رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -تعني في المنام- وعلىٰ رأسه ولحيته التُّراب، فقلتُ: ما لكَ يا رَسُول اللهِ؟ قال: «شهدتُ قتل الحُسين آنفًا»[٢]. قال التِّرمِذي: هذا حديث غريب. وفي رواية الحاكم: قالت: رأيتُ رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المنام يَبكي، وعلىٰ رأسه ولحيته التراب... الحَدِيث. وقد رَواهُ البيهقي في «دلائل النُّبُوَّة» من طريق الحاكم.

وقد انتقم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ من قَتلة الحُسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ علىٰ يدِ المُختار بن أبي عُبيد الثَّقفي الكذَّاب، فتتبَّعهم وقَتلهم، وقد رأىٰ الشَّعبي في ذلك رُؤْيَا رواها الطَّبَراني في

(١) أخرجه أحمد (١/ ٢٤٢) (٢١٦٥)، والطبراني (٣/ ١١٠) (٢٨٢٢)، والحاكم (٤/ ٣٩٨)، والبيهقي في «الدلائل» (٦/ ٤٧١)، وغيرهم. قال الأرنؤوط: «إسناده قوي علىٰ شرط مسلم».

(٢) أخرجه الترمذي (٣٧٧١)، والحاكم (٤/ ١٩)، ومن طريقه البيهقي في «الدلائل» (٧/ ٤٨)، وغيرهم، وضعفه الألباني في «المشكاة» (٦١٥٧).

«الكبير»[١]، عن مجالد، عن الشعبي قال: رأيتُ في النوم كأن رجالًا نزلوا من السماء معهم حِراب يتتبَّعون قتلةَ الحُسين رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، فما لَبثت أن نزل المختار فقتلهم. قال الهيثمي: إسْنَاده حسن.

ومن الرُّؤْيَا الظَّاهرة: رُؤْيَا أمِّ حَبيبة بنت أبي سفيان رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا، أن رَسُول اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ سيتزوجها، وقد جاء ذلك في قصة طويلة ذكرها الحاكم في «المستدرك» في «ذِكر أم حبيبة بنت أبي سفيان» من كتاب «مَعرفة الصَّحابَة»، ففيه: أن أمَّ حبيبة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا قالت: أرىٰ في النوم كأن آتيًا يقول لي: يا أمَّ المُؤْمنين، ففَزعت، وأوَّلتها أن رَسُول اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يتزوَّجني، قالت: فما هو إلا أن انقضت عدَّتي فما شعرتُ إلا برسول النَّجاشي علىٰ بابي يَستأذن، فإذا جارية له يُقال لها: أبرهة، كانت تقوم علىٰ ثيابه ودهنه، فدَخلتْ عليَّ فقالت: إن المَلِكَ يقول لك: إن رَسُول اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ كتَب إليَّ أن أزوجَكِ، فقُلت: بَشَّرَكِ اللهُ بخَير، وقالت: يَقول لك المَلِكُ: وكِّلي مَن يُزوِّجُك... وذكَرَت القصة. ورواه ابنُ سعد في «الطبقات»[٢] بنحوه.

ومن الرُّؤْيَا الظَّاهرة: رُؤْيَا المَرأة الَّتي حَلفت أن الله لا يُعذِّبَها، وقد ذَكرها الحاكمُ في «المُستَدْرَك»[٣] بإسْنَاده، عن يحيىٰ بن عبد الرَّحْمَن بن حاطب قال:

---

(١) (٣/ ١١٣) (٢٨٣٣)، قال في «المجمع» (٩/ ١٩٦): «إسناده حسن».

(٢) أخرجه الحاكم (٤/ ٢١)، وابن سعد (٧/ ٩٧)، وإسناده ضعيف جدًّا، فيه محمد بن عمر وهو الواقدي «متروك مع سعة علمه»، قاله في «التقريب»، وشيخه وهو عبد الله بن عمرو بن زهير، مجهول الحال.

(٣) أخرجه الحاكم (٤/ ٣٩٤)، وإسناده ضعيف جدًّا، فيه مسعدة بن اليسع «هالك». «الميزان» (٤/ ٩٨).

اجتَمع نساءٌ من نساء المُؤمنين عند عائشة أم المُؤْمنين رَضِيَٱللَّهُعَنهَا، فقالت امرأة منهن: والله لا يعذبني الله أبدًا، إنما بايعت رَسُول اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ علىٰ أن لا أشرك بالله شيئًا، ولا أسرق، ولا أزني، ولا أقتُلَ ولَدي، ولا آتي ببهتان أفتريه بين يدي ورجلي، ولا أعصيه في معروف، وقد وفيت. قال: فرَجعتْ إلىٰ بيتها فأُتيت في منامها، فقيل لها: أنتِ المُتألِّيَة علىٰ الله تَعالَىٰ أن لا يُعذبك؟! فكيف بقولك فيما لا يَعنيكِ، ومَنعك ما لا يغنيك؟! قال: فرَجعت إلىٰ عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنهَا فقالت لها: إني أُتيت في منامي فقيل لي كذا وكذا، وإني أستغفر الله وأتوب إليه. ورواه البيهقي في «دلائل النُّبُوَّة»(١) مختصرًا.

ومن الرُّؤْيَا الظَّاهرة: قصَّة ثابت بن قيس بن شماس رَضِيَٱللَّهُعَنهُ بعد موته، وقد روىٰ قصته الطَّبَراني في «الكبير»(٢)، عن عطاء الخراساني قال: قدمت المدينة فسألتُ عمَّن يُحدِّثُني بحديث ثابت بن قيس بن شماس، فأرشدوني إلىٰ ابنتِه، فسألتُها... فذكر الحَدِيثَ عنها، وفيه: فلما استنفر أبو بكر رَضِيَٱللَّهُعَنهُ المُسْلمين إلىٰ أهل الرِّدَّة واليمامة، ومُسْيلمة الكذَّاب، سار ثابت بن قيس فيمن سار، فلما لقوا مسيلمة وبني حنيفة هزموا المُسْلمين ثلاث مرات، فقال ثابت، وسالم مولىٰ أبي حذيفة: ما هكذا كنا نُقاتل مع رَسُول اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فجعلا لأنفسهما حُفرة فدخَلَا فيها فقاتلَا حتىٰ قُتِلا، قالت: وأُري رجل من المُسْلمين ثابت بن قيس في منامه فقال: إني لما قُتلت بالأمس مَرَّ بي رجل من المُسْلمين، فانتزع منِّي درعًا نَفيسة، ومنزله في أقصىٰ العَسكر، وعند منزله فَرس يَستنُّ في طِوَله، وقد أكفأ علىٰ الدِّرع بُرمة، وجعل فوق البُرمة رَحْلًا، وائت خالدَ بن الوليد فليَبعث إلىٰ درعي فليأخذها، فإذا قدمتَ علىٰ

(١) (٧/ ٣٠).

(٢) (٢/ ٧٠) (١٣٢٠)، وانظر: «المجمع» (٩/ ٣٢٢).

خليفة رَسُول اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأَعلمه أن علَيّ من الدَّيْن كذا، ولي من المال كذا، وفلان من رقيقي عتيق، وإياك أن تقول: هذا حُلْم فتُضَيِّعَه.

قال: فأتىٰ خالدَ بن الوليد فوجَّه إلىٰ الدِّرع فوجدها كما ذكر، وقدِم علىٰ أبي بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فأخبَره فأنفذ أبو بكْر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وصيَّتَه بعد موته، فلا نَعلم أن أحدًا جازت وصيتُه بعد موته إلا ثابت بن قيس بن شماس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

قال الهيثمي: وبِنت ثابت بن قيس لم أعرفها، وبقية رجاله رجال الصَّحِيح، والظَّاهر أن بنت ثابت بن قيس صحابية، فإنها قالت: سمعت أبي، والله أعلم.

وروىٰ الطَّبَراني أيضًا من طريق ثابت، عن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أن ثابت بن قيس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ جاء يوم اليمامة، وقد تحنَّط، ونَشر أكفانَه، فقال: اللَّهمَّ إني أبرأ إليك مما جاء به هؤلاء، وأعتذر مما صنع هؤلاء، فقُتل، وكانت له درع فسُرقت، فرآه رجلٌ فيما يرىٰ النائم فقال: إن دِرعي في قِدر تحت الكانون في مكان كذا وكذا، وأوصاه بوصايا، فطلبوا الدرع فوجدوها، وأنفذوا الوصايا. قال الهيثمي: رجاله رجال الصَّحِيح.

ومن الرُّؤْيَا الظَّاهرة: ما أُمِر به عبد المطلَّب بن هاشم جدُّ النَّبِي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، من حفر زمزم بعدما اندرَس موضعها، وعفىٰ أثرها. قال ابن إسحاق: حدَّثني يزيد ابن أبي حبيب المصري، عن مرثد بن عبد الله اليَزني، عن عبد الله بن زرير الغافقي، أنه سمع علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يُحدِّث حديثَ زَمزم حين أمر عبد المطلب بحفرها، قال: قال عبد المطلب: إني لنائم في الحجر، إذ أتاني آتٍ، فقال: احفُر طَيبَة، قال: قلتُ: وما طَيبة؟ قال: ثم ذهبَ عنِّي. فلما كان الغد رجعتُ إلىٰ مضجعي فنِمتُ

فيه، فجاءني فقال: احفر برَّة[١]، قال: فقلت: وما برَّة؟ قال: ثم ذهب عني. فلما كان الغد رجعت إلىٰ مضجعي فنمت فيه فجاءني فقال: احفر المضنونة، قال: فقلت: وما المضنونة؟ قال: ثم ذهب عني. فلما كان الغد رجعتُ إلىٰ مضجعي فنمت فيه فجاءني فقال: احفر زمزم، قال: قلت: وما زمزم؟ قال: لا تنزف أبدًا ولا تذم، تسقي الحجيج الأعظم، وهي بين الفرث والدم، عند نقرة الغراب الأعصم، عند قرية النمل.

قال ابن إسحاق: فلما بُيِّن له شأنُها، ودُلَّ علىٰ موضعها، وعَرف أنه قد صُدِق غدا بمِعوله، ومعه ابنه الحارثُ بن عبد المطلب، ليس له يومئذٍ ولد غيره، فحفر، فلما بدا لعبد المطلب الطَّي كبَّر، فعرَفت قريش أنه قد أدرك حاجتَه، فقاموا إليه فقالوا: يا عبد المطلب، إنها بئر أبينا إسماعيل، وإن لنا فيها حقًّا، فأشركنا معك فيها، قال: ما أنا بفاعل، إن هذا الأمر قد خُصِّصت به دونكم، وأُعطيته من بينكم، فقالوا له: فأنصفنا، فإنا غير تاركيك حتىٰ نخاصمك فيها، قال: فاجعلوا بيني وبينكم من شئتم أحاكمكم إليه، قالوا: كاهنة بني سعد بن هذيم؟ قال: نعم، قال: وكانت بأشرافِ الشَّام، فركب عبد المطلب، ومعه نفر من بني أبيه من بني عبد مناف، وركب مِن كل قبيلة من قريش نفر، قال: والأرض إذ ذاك مفاوز، قال: فخرجوا حتىٰ إذا كانوا ببعض تلك المفاوز بين الحجاز والشام، فَنِي ماءُ عبد المطلب وأصحابه، فظمئوا حتىٰ أيقنوا بالهلكة، فاستسقوا مَن معهم مِن قبائل قريش فأبوا عليهم، وقالوا: إنا بمفازة، ونحن نخشىٰ علىٰ أنفسنا مثل ما أصابكم، فلما رأىٰ عبد المطلب ما صنع القوم، وما يتخوف علىٰ نفسه وأصحابه قال: ماذا ترون؟

---

(١) قال ابن الأثير: سماها برة لكثرة منافعها وسعة مائها. قال: والمضنونة التي يضن بها لنفاستها وعزتها.

قالوا: ما رَأْيُنا إلا تَبعٌ لرأيك، فمُرنا بما شِئتَ، قال: فإني أرىٰ أن يَحفر كلُّ رَجل منكم حُفرتَه لنفسه بما بكم الآن من القوَّة، فكلما مات رجل دفعه أصحابُه في حُفرته ثم واروه، حتىٰ يكون آخرُكم رجلًا واحدًا، فضَيْعةُ رَجُل واحد أيْسَر من ضَيعةِ رَكْب جميعًا. قالوا: نِعْمَ ما أَمرت به. فقام كلُّ واحد منهم فحفَر حفرته ثم قعدوا ينتظرون المَوت عطشًا. ثم إن عبد المطلب قال لأصحابه: والله إن إلقاءنا بأيدينا هكذا للموت لا نَضرب في الأرض، ولا نبتغي لأنفسنا لَعَجْزٌ، فعسىٰ الله أن يَرزقنا ماءً ببعض البلاد، ارتَحِلوا، فارْتَحَلُوا، حتىٰ إذا فرَغوا ومن معهم من قبائل قُريش ينظرون إليهم ما هم فاعلون تقدَّم عبد المطلب إلىٰ راحلته فركِبَها، فلما انبعثَت به انفجرَت من تحت خُفِّها عَين ماء عَذْب، فكبَّر عبد المطلب، وكبَّر أصحابُه، ثم نزل فشرب، وشرب أصحابُه، واستقوا حتىٰ ملئوا أسقيتَهم، ثم دعا القبائل من قريش، فقال: هلمَّ إلىٰ الماء، فقد سقانا الله، فاشربوا واستقوا، فجاءوا فشربوا واستقوا، ثم قالوا: قد والله قُضِي لك علينا يا عبد المطلب، والله لا نخاصمك في زمزم أبدًا، إن الَّذي سقاك هذا الماء بهذه الفَلاة لهو الَّذي سقاك زمزمَ، فارجع إلىٰ سقايتك راشدًا، فرجع ورجعوا معه، ولم يصلوا إلىٰ الكاهنة، وخلوا بينه وبينها.

قال ابن إسحاق: فهذا الَّذي بَلغني من حديث علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في زمزم.

قلتُ: رِجال إسْنَاده كلهم ثقات، وقد صرَّح ابن إسحاق بالتَّحديث، فزال ما يُخشىٰ من تدليسه. وقد رَواهُ البيهقي في «دلائل النُّبُوَّة»[١] من طَريق ابن إسحاق، وإسْنَاده حسن.

---

(١) (١/ ٩٣).

ومن الرُّؤْيَا الظَّاهرة: رُؤْيَا رقيقة بنت أبي صَيفي بن هاشم في الجاهلية الأمرَ بالاستسقاء حين أصاب قريشًا القحط، والمحل. وقد روىٰ حديثَها الطَّبَراني في «الكبير»، وفي الأحَادِيث الطوال، والبيهقي في «دلائل النُّبُوَّة»، وابن الأثير في «أُسْد الغابة»[(١)]، عن مَخرمة بن نوفل رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، عن أُمِّه رقيقة بنت أبي صيفي بن هاشم، وكانت لِدَةَ عبد المطلب، قالت: تتابعَتْ علىٰ قُريش سُنون جَدبة، أقحلت الجلد، وأرقت العَظم، قالت: فبينا أنا راقدة الهَم، أو مَهْومة، إذا أنا بِهَاتف صيِّت يَصرخ بصَوت صحل يقول: يا معشر قريش، إن هذا النَّبِي مَبعوث منكم، وهذا إبان مَخرجه، فحيَّ هلًا بالخَير والخصب، ألا فانظروا منكم رجلًا طوالًا عُظامًا أبيض بضًّا، أشم العرنين، له فخر يكظم عليه، وسنة تهدي إليه، ألا فليخلص هو وولده، وليدلف إليه من كل بطن رجل، ألا فليشنوا من الماء، وليمسوا من الطيب، وليستلموا الرُّكن، وليطوفوا بالبيت سبعًا ثم ليرتقوا أبا قُبيس فليستسق الرجل، وليؤمن القوم، ألا وفيهم الطاهر، والطيب لذاته، ألا فغثتم إذًا ما شئتم وعشتم.

قالت: فأصبحتُ -عَلِمَ الله- مفئودة مذعورة قد قفَّ جلدي، ووله عقلي، فاقتصصتُ رُؤْيَاي، فنمَت في شعاب مكَّة. فوَالحُرمة والحَرم، إن بَقِي بها أبطحي إلا قال: هذا شيبة الحمد، هذا شيبة، وتتامت عنده قريش. وانفض إليه من كل بطن رجل فشنوا، وطيبوا، واستلموا، وطافوا، ثم ارتقوا أبا قُبيس، وطَفق القوم يدفون حولَه ما إن يُدرك سعيهم مهله، حتىٰ قرَّ لذروته، فاستكنوا جنابيه، ومعهم رَسُول اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وهو يومئذ غلام قد أيفع أو كَرَبَ. فقام عبد المطلب فقال: اللَّهمَّ سادَّ

(١) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٢٤/ ٢٥٩) (٦٦١)، وفي «الأحاديث الطوال» (٢٦)، والبيهقي في «الدلائل» (٢/ ١٥)، وابن الأثير في «أسد الغابة» (٦/ ٢١٢)، وغيرهم.

الخلَّة، وكاشف الكربة، أنت عالم غير معلَّم، ومسئول غير مبخَّل، وهذه عبداؤك وإماؤك، بعذارت حرمك، يشكون إليك سنتهم الَّتي قد أقحلت الظلف والخف، فاسمعن اللَّهمَّ، وامطرن غيثًا مريعًا مغدقًا، فما راموا حتىٰ انفجرت السماء بمائها، وكظ الوادي بثجيجه.

فلسمعتُ شِيخان قريش، وهي تقول لعبد المطلب: هنيئًا لك أبا البطحاء هنيئًا، أي: بك عاش أهل البطحاء. وفي ذلك تقول رقيقة:

بِشَيبة الحَمد أسْقىٰ اللهُ بَلدتَنا ... وقَد فَقَدنا الحيا واجلوَّذَ المَطرُ

فجَاد بالماء جَوْنِيٌّ له سَبَلٌ ... دانٍ فعاشَت به الأمصارُ والشَّجَرُ

سيلٌ من الله بالمَيمون طائرُه ... وخَير من بُشِّرت يومًا به مُضرُ

مُبارك الأمْر يُستسقىٰ الغمامُ به ... ما في الأنام له عدل ولا خَطرُ

هذه إحدىٰ الرِّوايتين عند البيهقي. وقال ابن الأثير بعد إيراده: «أخرجه أبو نعيم، وأبو موسىٰ، وقال أبو موسىٰ -يعني المديني- هذا حديث حسن عالٍ، وفي هذا الحَدِيث غَريب نشرحه مختصرًا:

قوله: لِدَةُ عبد المطلب، أي: علىٰ سِنِّه. وأَقحلت: أَيبَسَت. وأَرقت العظم، أي: جعلته ضعيفًا من الجهد. والتَّهويم: أول النَّوم. والإبان: الوقتُ. وحيَّ هَلًا: كلمة تعجيل. والحَيا -مقصور- المطر، والخَصب، أي: أتاكم المَطر والخَصبُ عاجلًا. والعُظَام: بضم العين أبلغ من العظيم. والبَضُّ: الرَّقيق البشرة. والأشم: المُرتفع.

وقوله: له فخر يكظم عليه أن يخفيه، ولا يفاخر به. والسُّنة: الطَّريقة. وتهدي إليه، أي: تدلُّ النَّاس عليه. فليشنوا، بالسين والشين، أي: فليصبوا، ومعناه فليَغتسلوا.

فغثتم، أي: أتاكم الغيث والغوث. ونَمَتْ، أي: فشَت، وشَيبة الحمد لقَب عبد المطلب. وتَتَامَّت إليه، أي: جاءوا كلهم. ومَهَلُه: سكونه.

وقوله: كَرَبَ، أي: قرب. والخَلَّة: الحاجة. والعذرات: الأفنية. والسَّنَة: القحط والشدة. ويعني بالظلف والخف الغنم والإبل. والمُغْدق: الكثير. واكتظَّ، أي: ازدحم. والثَّجيج: سيلان كثرة الماء. والشيخان: المشايخ. واجْلَوَّذ، أي: تأخر. والجوني: السحاب الأسود»(١). انتهىٰ.

وفي القِصَّة كلماتٌ لم يَشرحْها ابنُ الأثير، وهي تحتاج إلىٰ الشَّرح. منها قوله: بصَوت صحل، أي: فيه بحوحة. وقوله: رَجلًا طُوالًا، أي: طويل، فإذا أفرط في الطُّول قيل: طُوَّال؛ بالتشديد. وقوله: فليدلف، الدَّليف هو المَشي الرويد، يقال: دَلَف، إذا مشىٰ وقارب الخطو. وقولها: وفيهم الطَّاهر، والطَّيِّب لذاته، تعني به رَسُول اللهِ ﷺ، وقولها: مفئودة، المفئود هو الَّذي أُصيب فؤاده -أي: قلبه- بوجع. والذُّعر بالضم: الخوف والفزع. وقوله: وقَفَّ جلدي، أي: تقبض، وقيل: أرادت قفَّ شعري فقام من الفزع. والوَلَه ذَهابُ العَقل، والتَّحيُّر من شدَّة الوجد.

وقولها: فوالحرمة والحرم، هذا من الحَلف بغير الله، وهو شِرك، وقد وقع ذلك منها في زمن الجاهلية، وهي إذ ذاك مشركة. وقولها: يدفُّون حوله، أي: يسيرون سيرًا لينًا. والميمون طائره، وخير من بُشِّرت به مُضر، هو النَّبي ﷺ، ولا يبعد أن تكون إغاثة قريش بسبب كونه ﷺ مع المستغيثين منهم، والله أعلم.

ومن الرُّؤْيَا الظَّاهرة: رُؤْيَا خالد بن سعيد بن العاص قبل إسلامه ما كان سببًا في

---

(١)(٦/ ١١٣).

إسلامه، وقد روىٰ قصته مُحمَّد بن سعد في «الطبقات»، عن مُحمَّد بن عمر -وهو الواقدي- قال: حدثني جعفر بن مُحمَّد بن خالد بن الزبير، عن مُحمَّد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان قال: كان إسلام خالد بن سعيد قديمًا، وكان أول إخوته أسلم، وكان بدء إسلامه أنه رأىٰ في النوم أنه واقف علىٰ شفير النار، فذكَر من سَعتِها ما الله به أعلم، ويرىٰ في النوم كأن أباه يدفعه فيها، ويرىٰ رَسُول اللهِ ﷺ آخذًا بحقويه لئلا يقع، ففزع من نومه فقال: أحلف بالله إن هذه لرُؤْيَا حقٌّ، فلقي أبا بكر بن قحافة فذكر ذلك له، فقال أبو بكر: أُريد بك خيرٌ، هذا رَسُول اللهِ ﷺ فاتبعه، فإنك ستتبعه وتدخل معه في الإسلام الَّذي يحجزك من أن تقع فيها، وأبوك واقع فيها.

فلقي رَسُولَ اللهِ ﷺ وهو بأجياد فقال: يا مُحمَّد، إلَامَ تَدعو؟ قال: **«أَدعو إلىٰ الله وحده لا شريك له، وأن مُحمَّدًا عبده ورسُولُه، وخَلْعِ ما أنت عليه من عبادة حَجر لا يَسمع ولا يُبصر، ولا يَضرُّ ولا يَنفَع، ولا يدري مَنْ عَبَده ممن لم يعبده»**، قال خالد: فإني أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أنك رَسُول اللهِ؛ فسَّر رَسُولُ اللهِ ﷺ بإسلامه. وتغيَّب خالد، وعلم أبوه بإسلامه، فأرسل في طلبه مَن بَقي من ولده ممن لم يُسلم، ورافعًا مولاه، فوجدوه، فأتوا به إلىٰ أبيه أبي أحيحة، فأنَّبَه، وبَكَّتَهُ، وضَربه بمقرَعةٍ في يده حتىٰ كسرها علىٰ رأسه، ثم قال: اتَّبعت مُحمَّدًا، وأنت ترىٰ خلافَه قومَه، وما جاء به من عَيْب آلهتهم، وعَيْب من مضىٰ من آبائهم؟! فقال خالد: قد صَدَق والله، واتبعته، فغَضِب أبو أحيحة، ونال من ابنه، وشتمه، ثم قال: اذهب يا لُكع حيث شئتَ، فوالله لأمنعنك القوت، فقال خالد: إن منعتني فإن الله يرزقني ما أعيش به. فأخرَجه وقال لبنيه: لا يُكلِّمه أحدٌ منكم إلا صنعتُ به ما صنعتُ

به، فانصرف خالدٌ إلىٰ رَسُول اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فكان يلزمه ويكون معه.

ورواه الحاكم في «المستدرك»، والبيهقي في «دلائل النُّبُوَّة»[1] من طريق الواقدي، ورواية البيهقي مختصرة.

ومن الرُّؤْيَا الظَّاهرة: ما رَواهُ الإمام أحْمَد بإسْنَاد صَحِيح، عن طفيل بن سَخْبرة أخي عائشة لأمها، أنه رأىٰ فيما يرىٰ النائم كأنه مرَّ برهط من اليهود، فقال: من أنتم؟ قالوا: نحن اليهود، قال: إنكم أنتم القوم لولا أنكم تزعمون أن عُزيرًا ابن الله، فقالت اليهود: وأنتم القوم لولا أنكم تقولون: ما شاء اللهُ وشاء مُحمَّد، ثم مرَّ برهط من النصارىٰ فقال: من أنتم؟ قالوا: نحن النصارىٰ، فقال: إنكم أنتم القوم لولا أنكم تقولون: المسيح ابن الله، قالوا: وإنكم أنتم القوم لولا أنكم تقولون: ما شاء الله وما شاء مُحمَّد؛ فلما أصبح أخبر بها من أخبر، ثم أتىٰ النَّبِيَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأخبره، فقال: «**هل أخبَرْتَ بِها أحدًا**» قال: نعم، فلما صلُّوا خطبهم فحمد الله وأثنىٰ عليه، ثم قال: «**إن طفيلًا رأىٰ رُؤْيَا فأَخبَر بها مَن أخْبَرَ منكم، وإنَّكم كُنتم تَقولون كَلمة كان يَمنَعُني الحيَاءُ مِنكم أن أنهاكم عنها، قال: لا تَقولوا: ما شاء اللهُ وما شاء مُحمَّد**».

وقد رَواهُ الطَّبَراني في «الكبير»، والحاكم في «المستدرك»، والبيهقي في «دلائل النُّبُوَّة»[2] بنحوه. وفي رواية للطَّبَراني: أن رَسُول اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**فإذَا قُلتم**

---

(١) أخرجه ابن سعد (٤/ ٩٤)، والحاكم (٣/ ٢٤٨)، والبيهقي في «الدلائل» (٢/ ١٧٢)، وإسناده ضعيف جدًّا، فيه الواقدي، وسبق بيان حاله.

(٢) أخرجه أحمد (٥/ ٧٢) (٢٠٧١٣)، والطبراني (٨/ ٣٢٤) (٨٢١٤)، والحاكم (٣/ ٤٦٣)، والبيهقي في «الدلائل» (٧/ ٢٢)، وغيرهم، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٣٨).

فقُولوا: ما شاء الله وحْدَه»(١)، وفي رواية الحاكم: «**فلا تَقولوا: ما شاء اللهُ وما شاء مُحمَّد، ولكن قُولوا: ما شاء الله وحدَه لا شريكَ له**»(٢).

وقد رَواهُ ابن ماجَهْ بإسْنَاد صَحِيح، عن رِبْعي بن حِرَاش، عن حُذيفة بن اليَمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أن رجلًا من المُسْلمين رأىٰ في النَّوم أنه لقي رجلًا من أهل الكتاب فقال: نِعْم القومُ أنتم لولا أنكم تُشركون، تقولون: ما شاء الله وشاء مُحمَّد، وذكر ذلك للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: «**أما والله إن كنتُ لأَعرفها لكم، قولوا: ما شاء الله ثم شاء مُحمَّد**»(٣)، ثم رَواهُ بإسْنَاد صَحِيح، عن رِبعي بن حِراش، عن الطفيل بن سخبرة أخي عائشة لأمها، عن النَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بنحوه.

ورواه الإمام أحْمَد بإسْنَاد صَحِيح، عن ربعي -وهو ابن حراش- عَن حُذيفة قال: أتىٰ رَجلٌ النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: إني رأيتُ في المنام أنِّي لَقيتُ بعضَ أهل الكتاب، فقال: نِعمَ القَوم أنتم لولا أنكم تقولون: ما شاء الله وشاء مُحمَّد، فقال النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**قد كنتُ أَكرَهُها مِنكم، فقولوا: ما شاءَ اللهُ ثم شاء مُحمَّد**»(٤).

ومن الرُّؤْيَا الظَّاهرة: ما رَواهُ ابن أبي شَيبةَ، وأبو نُعَيم في «الحلية» من طريقه، والبيهقي في «دلائل النُّبُوَّة»، عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: قال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: رأيتُ رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المنام، فرأيتُه لا يَنظر إليَّ، فقلتُ: يا رَسُول اللهِ، ما شأني؟

---

(١) (٨/ ٣٢٥) (٨٢١٥).

(٢) تقدم.

(٣) أخرجه ابن ماجه (٢١١٨)، وأحمد (٥/ ٣٩٣) (٢٣٣٨٧)، وغيرهم، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٣٧).

(٤) انظر: التخريج السابق.

قال: «أَلسْتَ الَّذي تُقبِّل وأنت صائم؟»(١) قلتُ: والَّذي بعثك بالحقِّ، لا أُقبِّل بعدها وأنا صائم.

ومن الرُّؤْيَا الظَّاهرة: ما رَواهُ الخَطيبُ البَغدادي في «تاريخه»(٢)، عن أحْمَد بن سنان قال: سمعتُ يزيد بن هارون يقول: رأيتُ ربَّ العِزَّة في المنام، فقال لي: يا يزيدُ تَكتب عن حَرِيز بن عُثمان؟ فقلت: يا ربِّ ما علمتُ منه إلا خيرًا، فقال لي: يا يَزيدُ، لا تَكتُب منه، فإنه يَسُبُّ عَليًّا.

ومن الرُّؤْيَا الظَّاهرة: ما رَواهُ الخَطيبُ أيضًا، عن سَعيد بن سافري الواسطي قال: كنتُ في مجلس أحْمَد بن حنبل، فقال له رجل: يا أبا عبد الله، رأيتُ يزيدَ بن هارون في النوم فقلتُ له: ما فَعل الله بك؟ قال: غَفر لي، ورَحِمَني، وعاتَبني، فقلت: غفر لك، ورحمك، وعاتبك! قال: نَعم، قال لي: يا يزيد بن هارون، كَتبتَ عن حَرِيز بن عثمان؟ قلت: يا ربَّ العِزَّة، ما علمتُ إلا خيرًا، قال: إنه كان يُبغض أبا الحسن عليَّ بن أبي طالب.

وروىٰ الخطيب أيضًا، عن أبي نافع بن بنت يزيد بن هارون، قال: كنتُ عند أحْمَد بن حنبل، وعنده رجلان -وأحسبه قال: شيخان- فقال أحدهما: يا أبا عبد الله، رأيتُ يزيد بن هارون في المنام فقلتُ له: يا أبا خالد، ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي، وشفعني، وعاتبني، قال: قلت: غفر لك، وشفعك، قد عرفتُ، ففيم عاتبك؟ قال: قال

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (٢/ ٣١٦) (٩٤٢٣)، وأبو نعيم (١/ ٤٥)، والبيهقي (٧/ ٤٦)، وإسناده ضعيف، فيه عمرو بن حمزة وهو ضعيف. انظر: «اللسان» (٦/ ٢٠٢).

(٢) (٩/ ١٨٢).

لي: يا يزيد، أتُحدِّثُ عن حَرِيز بن عثمان؟ قال: قلت: يا ربِّ، ما علمتُ إلا خيرًا، قال: يا يزيدُ، إنه كان يُبغض أبا حسن علي بن أبي طالب.

قال: وقال الآخر: أنا رأيتُ يزيد بن هارون في المنام فقلت له: هل أتاك مُنكر ونكير؟ قال: إي والله، وسألاني مَنْ ربك؟ وما دينك؟ ومَن نبيُّك؟ قال: فقلتُ: ألمثلي يُقال هذا، وأنا كنتُ أعلم النَّاس بهذا في دار الدنيا؟! فقالا لي: صَدَقتَ، فنَم نومة العروس لا بُؤس عليك.

وقال السَّفاريني في كتاب «البحور الزاخرة»(١): أَخرج السِّلَفي في «الطيوريات»، عن سهل بن عمار قال: رأيتُ يزيد بن هارون في المنام بعد موته فقلت: ما فعل الله بك؟ قال: أتاني إلىٰ قبري ملكان فظَّان غليظان فقالا: ما دينك؟ ومن ربك؟ ومن نبيك؟ فأخذتُ بلحيتي البيضاء، وقلتُ: لمِثلي يُقال هذا، وقد علَّمتُ النَّاسَ جوابَكما ثمانين سنة، فقالا: أكتبتَ عن حَرِيز بن عثمان؟ قلت: نعم، قالا: إنه كان يبغض عثمان، فأبغضه الله.

قال السَّفاريني: ورواه اللالكائي بدون زيادة: أَكتبت... إلىٰ آخره، وبدل ثمانين سنة: ستين سنة؛ وزاد: فقال أحدُهما: صدَقَ، نَمْ نومةَ العروس، فلا رَوعة عليك بعد اليوم.

وروىٰ الخطيب في «تاريخه»(٢)، عن وهب بن بيان قال: رأيتُ يزيد بن هارون في المنام فقلت: يا أبا خالد، أليس قد متَّ؟ قال: أنا في قبري، وقبري روضة من رياض الجنة.

---

(١) (١/ ١٧٠).

(٢) (١٦/ ٤٩٣).

ومن الرُّؤْيَا الظَّاهرة: ما رَواهُ ابن الجَوزي في «مناقب الإمام أحْمَد»[١] بإسْنَاده إلىٰ عبد الله بن الإمام أحْمَد قال: سمعتُ أبي يقول: رأيتُ ربَّ العزة عَزَّوَجَلَّ في المنام فقلت: يا ربِّ، ما أفضل ما تقرَّب به المتقربون إليك؟ فقال: كلامي يا أحْمَد، قال: قلتُ: يا ربِّ بفَهمٍ أو بغير فَهْمٍ؟ قال: بفَهمٍ وبغَيْر فَهْمٍ.

ومن الرُّؤْيَا الظَّاهرة: ما رَواهُ القاضي أبو الحسين في «طبقات الحنابلة»[٢]، عن أبي جعفر مُحمَّد بن منصور العابد المعروف بالطوسي قال: سمعتُ أحْمَد بن حنبل يقول: رأيتُ رَسُول اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المنام فقلتُ: يا رَسُول اللهِ، كلُّ ما روىٰ عنك أبو هُرَيرَةَ حقٌّ؟ قال: «**نَعَم**».

ومن الرُّؤْيَا الظَّاهرة: رُؤْيَا الشَّافعي أن أحْمَد سيُمتحن، ويُدعىٰ إلىٰ القول بخَلْق القرآن، وقد روىٰ ذلك ابن الجَوزي في «مناقب الإمام أحْمَد»[٣] بإسْنَاده إلىٰ الربيع بن سليمان، قال: قال لي الشافعي: يا ربيع، خُذْ كتابي، وامض به، وسلِّمْه إلىٰ أبي عبد الله أحْمَد بن حنبل، وأتِني بالجواب، قال الربيع: فدخلت بغداد، ومعي الكتاب، ولقيت أحْمَدَ بن حنبل صلاةَ الصُّبح، فصليتُ معه الفجر، فلما انْفَتَل من المِحراب سلَّمْتُ إليه الكِتاب، وقلتُ له: هذا كتابُ أَخيك الشَّافعي مِن مِصْر، فقال أحْمَد: نظرتَ فيه؟ قلتُ: لا، وكَسر أحْمَد الخاتَمَ، وقرأ الكتابَ، فتَغرغرت عيناه بالدُّموع، فقلتُ له: أيُّ شيء فيه يا أبا عبد الله؟ فقال: يَذكر أنه رأىٰ النَّبِي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المنام، فقال له: اكتُب إلىٰ أبي عبد الله أحْمَد بن حنبل، واقرأ عليه

---

(١) (٥٨٣).

(٢) (١/ ٣١٩).

(٣) (٦٠٩).

منِّي السَّلام، وقل: إنك ستُمتحن، وتُدعىٰ إلىٰ خَلْق القُرْآن، فلا تُجِبْهم، يَرْفع اللهُ لك علمًا إلىٰ يوم القيامة.

قال الربيع: فقلتُ: البِشَارة، فخَلَع قميصَه الَّذي يَلي جلده فدفعه إليَّ، فأخذتُه، وخرجْتُ إلىٰ مِصْر، وأخذتُ جوابَ الكتاب، وسلَّمتُه إلىٰ الشافعي، فقال لي: يا ربيعُ، أيُّ شَيء الَّذي دَفَع إليك؟ قلتُ: القَميص الَّذي يَلي جِلدَه.

فقال لي الشافعي: ليس نَفجَعك به، ولكن بِلَّه، وادفع إلينا الماءَ حتىٰ أشركك فيه.

ورواه أيضًا من طريق آخر، عن الربيع بن سليمان، وقال فيه: إن الشافعي ذكر في كتابه أنه رأىٰ النَّبِي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ في نومه، وهو يقول له: يا ابن إدريس، بَشِّر هذا الفتىٰ أبا عبد الله أحْمَد بن حنبل أنه سيُمتحن في دين الله، ويُدعىٰ إلىٰ أن يقول: القُرآن مخلوق، فلا يفعل، وإنه سيُضرب بالسِّياط، وإن الله عَزَّوَجَلَّ يَنشُر له بذلك علمًا لا يَنطوي إلىٰ يوم القيامة، وذكر بقية القِصَّة بنحو ما تقدَّم.

ومن الرُّؤْيَا الظَّاهرة: ما رَواهُ ابنُ الجَوْزي في «مناقب الإمام أحْمَد»(١)، عن أبي بكر أحْمَد بن مُحمَّد الرَّمْلي قاضي دمشق، قال: دخلتُ العِراقَ فكتَبتُ كُتبَ أهلها، وأهل الحجاز، فمن كثرة خلافهما لم أدْرِ بأيهما آخذ، فلما كان جَوف الليل قُمتُ فتوضأت، وصلَّيت ركعتين، وقلتُ: اللَّهمَّ اهدني إلىٰ ما تحب، ثم أويت إلىٰ فراشي فرأيت النَّبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ فيما يرىٰ النائم، دخل من باب بني شيبة، وأسند ظهره إلىٰ الكعبة، فرأيت الشافعي وأحْمَد بن حنبل علىٰ يمين النَّبِي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، والنَّبي

---

(١) (٥٩٥).

يَتبسَّم إليهما. وبِشْر المريسي من ناحية، فقلت: يا رَسُول اللهِ، من كثرة اختلافهما لا أدري بأيها آخذ، فأومأ إلىٰ الشافعي وأحْمَد، فقال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَ﴾ [الأنعام: ٨٩] ثم أومأ إلىٰ بِشْر فقال: ﴿فَإِن يَكۡفُرۡ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدۡ وَكَّلۡنَا بِهَا قَوۡمٗا لَّيۡسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ٨٩ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡ﴾ [الأنعام: ٨٩-٩٠].

ومن **الرُّؤْيَا الظَّاهرة**: ما رَواهُ ابن الجَوزي أيضًا، عن مُحمَّد بن أبي الورد قال: سمعتُ يحيىٰ الجلاء -أو علي بن الموفق- قال: ناظرت قومًا من الواقفة أيامَ المحنة، فنالوني بما أَكْره، فصِرْتُ إلىٰ منزلي وأنا مَغموم بذلك، فقدَّمت إلي امرأتي عشاء، فقلتُ لها: لستُ آكل، فرفعَتْهُ، ونِمتُ فرأيتُ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في النوم داخل المسجد، وفي المسجد حلقتان، إحداهما فيها أحْمَد بن حنبل وأصحابه، والأخرىٰ فيها ابن أبي دؤاد وأصحابه، فوقف بين الحلقتين، وأشار بيده وقال: ﴿فَإِن يَكۡفُرۡ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ﴾، وأشار إلىٰ حلقة ابن أبي دؤاد، ﴿فَقَدۡ وَكَّلۡنَا بِهَا قَوۡمٗا لَّيۡسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ﴾، وأشار إلىٰ الحلقة الَّتي فيها أحْمَد بن حنبل. وقد رَواهُ الخطيب في «تاريخه»(١) بمثله.

ومن **الرُّؤْيَا الظَّاهرة**: ما رَواهُ ابن الجوزي أيضًا، عن عبد الوهاب الورَّاق قال: رأيت النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أقبل فقال لي: «**ما لي أراك محزونًا؟**» قال: قلتُ: وكيف لا أكون محزونًا وقد حلَّ بأُمَّتِك ما قد ترىٰ؟! قال: فقال لي: «**لَينتَهِينَّ النَّاسُ إلىٰ مذهب أحْمَد بن حنبل، لينتهينَّ النَّاسُ إلىٰ مَذهب أحْمَد بن حنبل**»(٢).

---

(١) انظر: «مناقب الإمام أحمد» (٥٩٦)، وانظر: «تاريخ بغداد» (٥/ ٢٣٣).

(٢) «مناقب الإمام أحمد» (٦٢٦).

ومن **الرُّؤْيَا الظَّاهرة**: ما رَواهُ ابن الجَوزي أيضًا، عن أبي زُرْعة قال: رأيتُ النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في النَّوم، فشَكوتُ ما نَلقىٰ من الجهمية، فقال: «**لا تَحْزَن، فإن أحْمَد بن حنبل قد سدَّ عليهم الأُفُق**»(١).

ومن **الرُّؤْيَا الظَّاهرة**: ما رَواهُ ابن الجَوزي أيضًا، عن أبي عبد الله السِّجستاني قال: رأيتُ رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المَنام فقلتُ: يا رَسُول اللهِ، مَن تَركت لنا في عصرنا هذا من أُمَّتك نقتدي به في ديننا؟ قال: «**عليكم بأحْمَد بن حنبل**»(٢).

وروىٰ ابن الجوزي أيضًا، عن أحْمَد بن نصر الخُزاعي نحوَه، ورواه القاضي أبو الحسين في «طبقات الحنابلة»(٣) بنحوه أيضًا.

ومن **الرُّؤْيَا الظَّاهرة**: ما رَواهُ ابن الجوزي أيضًا، عن بندار مُحمَّد بن بشار العبدي قال: رأيتُ أحْمَد بن حنبل في المنام شبه المُغضَب، فقلت: يا أبا عبد الله، أراك مُغضبًا، فقال: وكيف لا أغضب، وجاءني مُنكر ونكير يسألان مَنْ ربُّك؟ فقلتُ لهما: ولمِثلي يقال: مَنْ ربك؟ فقالا لي: صَدقت يا أبا عبد الله، ولكن بهذا أُمرنا فاعذرنا(٤).

وروىٰ ابن الجوزي أيضًا، عن عبد الله بن الإمام أحْمَد قال: رأيت أبي في المنام فقلتُ: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي، قلت: جاءك منكر ونكير؟ قال: نَعم، قالا لي:

---

(١) المصدر السابق.

(٢) السابق (٦٢٣).

(٣) السابق (٦٢٤)، وانظر: «طبقات الحنابلة» (١/ ٨٠).

(٤) «مناقب الإمام أحمد» (٦٠٦).

من ربُّك؟ قلتُ: سبحان الله! أما تستحيان منِّي؟! فقالا لي: يا أبا عبد الله، اعذرنا، بهذا أُمِرنا(١).

ومن الرُّؤْيَا الظَّاهرة: ما رَواهُ ابن الجَوزي أيضًا، عن ابن خُزيمة قال: لما مات أحْمَد بن حنبل اغتَمَمْتُ غمًّا شديدًا، فبِتُّ مِن ليلتي فرأيتُه في النوم وهو يَتبَخْتَر في مِشيته، فقلتُ: يا أبا عبد الله، ما هذه المِشيةُ؟ قال: مشية الخدَّام في دار السَّلام، فقلتُ له: ما فَعل الله بك؟ قال: غفر لي، وتَوَّجَني، وألبسني نَعلين مِن ذهب، وقال لي: يا أحْمَد، هذا بقولك: القُرآن كلامي، ثم قال لي: يا أحْمَد، لِمَ كتَبت عن حَرِيز بن عثمان؟ فقلت: يا ربِّ، كان ثِقَة، فقال: صَدقت، ولكنه كان يُبغض عليًّا، أَبغضه اللهُ، ثم قال لي: يا أحْمَد، ادْعُني بتلك الدَّعوات الَّتي بلغتك عن سفيان الثوري، كنتَ تَدعو بها في دار الدنيا، فقلتُ: يا ربَّ كلِّ شيء، فقال: هيه، فقلتُ: بقُدرتِك علىٰ كلِّ شَيء، فقال: صَدقت، فقلتُ: لا تسألني عن شيء، واغفر لي كلَّ شيء، فقال: يا أحْمَد، هذه الجنة، فادخل إليها(٢).

ومن الرُّؤْيَا الظَّاهرة: ما رَواهُ الخطيب البَغدادي في «تاريخه»(٣)، عن يحيىٰ بن يوسف الزمي قال: رأيتُ في المنام إبليسَ رجلاه في الأرض، ورأسُه في السماء، أسود مثل الليل، وله عينان في صدره، فلما رأيته قلتُ: مَن أنت؟ قال: هو إبليسُ، فجعلتُ اقرأ آيةَ الكرسي، قال: فقلت له: ما أقدمك هذه البلاد؟ قال: إلىٰ بِشر بن يحيىٰ، رَجُل من الجَهميَّة، قال: قلتُ: من استخلفت بالعراق؟ قال: ما من مدينة ولا قرية إلا ولي

(١) «مناقب الإمام أحمد» (٦٠٦).

(٢) «مناقب الإمام أحمد» (٥٨٨).

(٣) (٧/ ٥٣١).

فيها خليفة، قلت: ومَن خليفَتُك بالعراق؟ فقال: بِشر المريسي، دعا النَّاس إلىٰ أمرٍ عَجزتُ عنه. وفي رواية قال: دعا النَّاس إلىٰ ما عجزتُ عنه، قال: القرآن مخلوق، وقال في هذه الرواية، إن بشر بن يحيىٰ كان بمَرْوَ يرىٰ رَأي المريسي.

ومن الرُّؤْيَا الظَّاهرة: ما رَواهُ الخطيب أيضًا عن أحْمَد بن الدَّورَقي قال: مات رجل من جيراننا شابٌّ، رأيتُه في اللَّيل وقد شَابَ، فقلت: ما قِصَّتُك؟ قال: دُفن بِشْر في مَقبرتنا، زَفرت جهنَّم زَفرةً شابَ منها كلُّ مَن في المَقبرة[١].

ومن الرُّؤْيَا الظَّاهرة: ما رَواهُ الخطيب أيضًا[٢]، وابن الجوزي في «مناقب أحْمَد»[٣]، عن عبد الله بن المبارك الزَّمِن قال: رأيتُ زبيدة في المنام فقلتُ: ما فعل الله بكِ؟ قالت: غَفر لي بأوَّل مِعْول ضرب في طريق مكة، قلت: فما هذه الصفرة في وجهك؟ قالت: دفن بين ظهرانينا رجل يقال له: بِشر المريسي، زَفرت عليه جهنَّم زَفرة فاقشعَرَّ لها جلدي، فهذه الصفرة من تلك الزفرة.

زاد ابن الجوزي: قلت: فما فعل أحْمَد بن حنبل؟ قالت: السَّاعة فارَقني أحْمَد بن حنبل في طبار من درَّة بيضاء، في لجَّة حمراء، يريد زيارة الجبَّار عَزَّوَجَلَّ، قلتُ: بما نال ذلك؟ قلتُ: بقوله: القُرآن كلامُ الله غيرُ مَخلوق.

ومن الرُّؤْيَا الظَّاهرة: ما رَواهُ الخطيب أيضًا، عن سفيان بن وَكِيع قال: رأيت كأن جهنَّم زفرت فخَرج منها اللَّهب، فقلتُ: ما هذا؟ قال: أُعِدَّت لابن أبي دؤاد[٤].

---

(١) «تاريخ بغداد» (٧/ ٥٣١).

(٢) «تاريخ بغداد» (١٦/ ٦١٩).

(٣) (٦٢٧).

(٤) «تاريخ بغداد» (٥/ ٢٣٣).

ومن **الرُّؤْيَا الظَّاهرة**: ما رَواهُ الآجُرِّيُّ في كتاب «الشَّريعة»[١]، عن بقية بن الوليد قال: حدثني أبو غياث قال: بينا أنا أُغسِّل رجلًا من أهل القَدَر قال: فتَفرَّقوا عنِّي، فبقيتُ أنا وحدي، فقلت: ويل للمُكذِّبين بأقدار الله، قال: فانتفض حتىٰ سقط عن دفه، قال: فلما دفناه عند باب الشَّرقي رأيت في ليلتي تلك في منامي كأني مُنصَرِف من المسجد، إذا بجنازة في السوق يحملها حبشيَّان رجلاها بين يديهما، فقلت: ما هذا؟ قالوا: فلان، قلتُ: سبحان الله! أليس قد دفناه عند باب الشرقي، قال: دفنتموه في غير موضعه، فقلت: والله لأتبعنه حتىٰ أنظر ما يُصنع به، فلما أن خرجوا به من باب اليهود مالوا به إلىٰ نَواويس النَّصارىٰ، فأتوا قبْرًا منها فدفنوه فيه، فبدت لي رجلاه، فإذا هو أشد سوادًا من الليل.

ومن **الرُّؤْيَا الظَّاهرة**: ما رَواهُ شيخ الإسلام أبو إسماعيل الهَرَوي بإسْنَاده إلىٰ أبي زيد المَروزي، قال: كنتُ نائمًا بين الرُّكْن والمَقام، فرأيتُ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المنام فقال لي: يا أبا زيد، إلىٰ متىٰ تَدرس كتاب الشافعي ولا تدرس كتابي؟ فقلت: يا رَسُول اللهِ، وما كتابك؟ قال: جامع مُحمَّد بن إسماعيل. ذكر هذه الرُّؤْيَا الحافظ ابن حَجر في آخر مقدمة «فتح الباري»[٢].

ومن **الرُّؤْيَا الظَّاهرة**: ما ذكره ابنُ رَجَب في «ذيل طبقات الحنابلة»[٣]، عن عبد الله البرداني الزاهد، قال: رأيتُ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المنام فقال لي: يا عبد الله، مَن تمسَّك بمذهب أحْمَد في الأصول سامحته فيما اجترح -أو فيما فرَّط- في الفروع.

---

(١) (٥٦٢).

(٢) (١/ ٤٨٩).

(٣) (١/ ٩).

ومن الرُّؤْيَا الظَّاهرة: ما رَواهُ الخَطيبُ في «تاريخه»[١]: قال: حدَّثني علي بن الحسين العُكْبري قال: رأيتُ أبا القاسم هبةَ الله بن الحسن الطبري في المنام، فقلتُ: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي، قلت: بماذا؟ فكأني به قال كلمة خفية، يقول: بالسُّنَّة.

ومن الرُّؤْيَا الظَّاهرة: ما نقله ابن رجب في «ذيل طبقات الحنابلة»[٢]، عن ابن السمعاني: سمعت أبا حفص عمر بن المبارك بن سهلان، سمعت الحُسين بن خسرو البلخي قال: رُئي الشَّيخ أبو منصور الخياط في النوم، فقيل له: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي بتعليمي الصبيان فاتحةَ الكتاب.

ومن الرُّؤْيَا الظَّاهرة: ما نقله ابنُ رجب، عن ابن الجوزي قال: أنبأنا سعد الله بن نصر قال: كنتُ خائفًا من الخليفة لحادث نزل، فأَغفيتُ، فرأيتُ في المنام كأني في غُرفة أكتُبُ شيئًا، فجاء رجل فوقف بإزائي، وقال: اكتُب ما أُملي عليكَ، وأنشد:

ادْفَـع بِصَبْرك حَادِثَ الأَيَّام ... وتَرجَّ لُطفَ الوَاحدِ العَلَّام

لا تيأسَنَّ وإنْ تَضايق كَربُها ... ورَماك رَيبُ صُروفها بسِهَامِ

ولَه تَعالَىٰ بَيْن ذلك فرْجَةٌ ... تَخفىٰ عن الأَبْصار والأوهام

كَم مَن نَجا مِن بين أطْرافِ القنَا ... وفَريسَة سَلِمت مِن الضِّرغَامِ[٣]

ومن الرُّؤْيَا الظَّاهرة: ما ذكره ابنُ رجب، عن ابن النَّجَّار، أنه ذَكر في ترجمة داود بن أحْمَد الضَّرير الظَّاهري، أنه سمعه يقول: سمعتُ يعقوب بن يوسف الحَربي

---

(١) (١٦/ ١٠٨).

(٢) (١/ ٢٢٨).

(٣) «ذيل طبقات الحنابلة» (٢/ ٢١٨).

يقول: رأيتُ عبد المُغيث بن زهير الحربي في المنام بعد موته، فقلت له: ما فعل الله بك؟ فقال:

العِلْـم يُحْيـي أُناسًـا في قُبُـورِهم   والجَهـلُ يُلحِـق أحيـاءً بـأَموَات[1]

ومن الرُّؤْيَا الظَّاهرة: ما ذكره ابن رجب في «ذيل طبقات الحنابلة»[2]: قال: أنباني أبو الربيع علي بن عبد الصَّمد بن أحْمَد بن أبي الجيش، عن أبيه، قال: قال عَفيف الدين مَعتوق القليوبي: رأيتُ فيما يرىٰ النائم قائلًا يقول:

لَعَمْـرُكَ قَـد أَودَىٰ وعطـلَ مِنْبـر   وأَعيـىٰ علـىٰ المُسـتفْهِمين جَـواب

قال: فانتبهت من نَومي فقلت: تُرىٰ أيُّ شيء قد جرىٰ؟ فجاءنا الخبرُ وقتَ العَصْر بمَوت الشَّيخ ابنِ الجَوزي، فقلت:

ولَم يَبق مَن يُرجىٰ لإيضَاح شكلٍ   وأَصبَح ربـعُ العِلـم وهـو خَـراب

ومن الرُّؤْيَا الظَّاهرة: ما ذكره ابنُ رجب، عن ابن النَّجار، أنه ذكر عن علي الفاخراني الضَّرير قال: رأيتُ صَدقةَ النَّاسخ[3] في المَنام فقلتُ له: ما فَعلَ اللهُ بك؟ قال: غفر لي بعد شِدَّة، فسألتُه عن علم الأصول -أي: الكلام- فقال: لا تَشتغل به فما كان شيء أضرَّ عليَّ منه، وما نفعني إلا خمس قُصيبات -أو قال: تُميرات- تَصدَّقت بها علىٰ أَرملة.

---

(١) «ذيل طبقات الحنابلة» (٢/ ٣٥٤).

(٢) (٢/ ٥١٠).

(٣) صدقة الناسخ: اسمه صدقة بن الحسين بن الحسن بن بختيار بن الحداد البغدادي، الشاعر، المتكلم، له ترجمة في «ذيل طبقات الحنابلة» (١/ ٣٣٩- ٣٤٢).

قال ابنُ رجب: «قلت: هذا المنام حقٌّ، وما كانت مُصيبته إلا من علم الكلام، ولقد صَدق القائل، ما ارتَدىٰ أحدٌ بالكلام فأفلح، وبسَبب شُبَه المُتكلِّمين والمُتفلسفة كان يقع له أحيانًا حَيرَة وشَكٌّ، يَذكرها في أشعاره، ويقع له من الكلام والاعتراض ما يقع»(١). انتهىٰ.

ومن الرُّؤْيَا الظَّاهرة: ما رَواهُ الفاكهي في «أخبار مكة»(٢)، عن إبراهيم بن سعيد بن صَيْفي المَخزومي -وكان صديقًا لعُبيد الله بن قثم بن عبَّاس- قال: أَرسل إليَّ عُبيد الله بن قُثم وهو أمير مكة نصفَ النهار، وكان نازلًا ببئر ميمون في دار لُبَابة بنت علي -أي: ابن عبد الله بن عبَّاس- زوجته، وهي معه، فأتيتُه وهو مذعور، فقال: يا أبا إسماعيل، إني رأيتُ واللهِ عَجبًا في قائلتي، خرَج إليَّ وَجهُ إنسان من هذا الجدار فقال:

بَينَمـــا الحَـــيُّ وافِـــرُون بخَيْـــر ... حَمَلُـــوا خَيـــرَهم علـــىٰ الأَعْـــوَاد

أنا واللهِ مَيِّت، قال: قلت: كَلا، هذا والله من الشَّيْطَان، قال: لا والله، قال: قلتُ: فيَنْعي غيرَك، قال: مَنْ؟ قلت: لَعلَّ غيرَك، قال: كأَنَّك تعرِّض بلُبابة بنت علِيٍّ، هي والله خيرٌ مِنِّي، قال: فوالله ما مكثنا إلا شهرًا أو نحوه حتىٰ ماتَت لُبَابة. فقال لي: يا أبا إسماعيل، هو ما قُلْتَ، قال: ثم أقمنا، فأرسل إليَّ في مِثل ذلك الوقت، فأتيتُه فقال: قد والله خرج إلي ذلك الوجه بعَينه فقال:

بَينمـــا الحَـــيُّ وَافِـــرُون بخَيـــر ... حَمَلُـــوا خَيـــرَهم علـــىٰ الأَعْـــوَاد

---

(١) «ذيل طبقات الحنابلة» (٢/ ٣١٠).

(٢) (٤/ ١٢٢).

أنا واللهِ مَيِّت، قال: قلتُ: كلَّا إن شاء الله، قال: ليس ههنا لُبَابة أخرىٰ تُعلِّلني بها. قال: فمكثنا شهرًا أو نحوه ثم مات.

وروىٰ الفاكهي أيضًا، أن عُبيد الله بن قُثَم -وهو يومئذ والي مكة- قال: رأيتُ في منامي أن رجلًا وقف بين يدي فقال:

بَينما الحَيُّ وافِرُون بخَيْر حَمَلُوا خَيرَهم علىٰ الأَعْوادِ

قال: فظنَنتُ أنه يَعنيني بذلك، وقلت: نُعِيَت إليَّ نَفسي، ثم ذكر أن لُبابة بنت علي بن عبَّاس زَوجته، فقلت: إنها خيرٌ مِنِّي، وأنها الَّتي تموت. وأقمتُ شَهرين أو ثلاثة بذلك ثم ماتَت، فأقمتُ بعدها شهرًا أو نحوها فإذا بذاك قد مَثَل بين يدي فقال:

فقُل للَّذي يَبقىٰ خِلَاف الَّذي مَضىٰ تأَهَّب لأُخرىٰ بعدَها فكأن قَدِي

قال: فبَعث حين رأىٰ ذلك إلىٰ إبراهيم بن سعيد بن صَيفي، وإلىٰ زكريا بن الحارث بن أبي مسرَّة، فذَكر ذلك لهما، فتوجَّعا له، وقالا له: يَقيك اللهُ أيُّها الأمير، قال: فلم يَلبث إلا يسيرًا حتىٰ مات.

ومن الرُّؤْيَا الظَّاهرة: ما ذكره ابنُ القَيِّم في كتاب «الرُّوح»(١): أن عُمير بن وهب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أُتي في منامه فقيل له: قُم إلىٰ موضع كذا وكذا من البيت، فاحفُرْه تَجِد مالَ أبيك، وكان أبوه قد دَفن مالًا، ومات ولم يُوصِ به، فقام عُمير من نَومه فاحتفر حيث أَمرَه، فأصاب عشرة آلاف درهم، وتبرًا كثيرًا، فقَضىٰ دَينَه، وحَسُن حَالُه وحالُ أهل بيته، وكان ذلك عَقب إسلامه، فقالت له الصُّغرىٰ من بناته: يا أبتِ، ربنا هذا الَّذي حبانا بدَينه خير من هُبَل والعُزَّىٰ، ولولا أنه كذلك ما ورثك

---

(١) (٣٢).

هذا المال، وإنما عبدته أيامًا قلائل.

قال ابن القيم: قال علي بن أبي طالب القيرواني العابر: وما حَديث عمير هذا، واستخراجه المال بالمنام، بأعجب مما كان عندنا، وشاهدناه في عصرنا بمدينتنا من أبي مُحمَّد عبد الله البغانشي، وكان رجلًا صالحًا مشهورًا برؤية الأموات وسؤالهم عن الغائبات، ونقله ذلك إلىٰ أهلهم وقراباتهم، حتىٰ اشتهر بذلك وكثر منه، فكان المرء يأتيه فيشكو إليه أن حميمه قد مات من غير وصية، وله مال لا يهتدىٰ إلىٰ مكانه، فيَعِدُه خيرًا، ويدعو الله في ليلته فيتراءىٰ له الميت الموصوف، فيسأله عن الأمر فيُخبره به.

فمن نوادره: أن امرأة عجوزًا من الصَّالحات تُوفِّيَت، ولامرأة عندها سبعة دنانير وديعة، فجاءت إليه صاحبة الوديعة، وشكت إليه ما نزل بها، وأخبرته باسمها، واسم الميتة صاحبتها، ثم عادت إليه من الغَدِ، فقال لها: تقول لك فلانة عدِّي مِن سقف بيتي سبع خشبات، تجدي الدنانير في السابعة، في خِرقَة صُوف، ففعلت ذلك فوجدتها كما وصف لها.

قال: وأخبرني رجل لا أظن به كذبًا، قال: استأجرتني امرأة من أهل الدنيا علىٰ هدم دار لها وبنائها بمال معلوم، فلما أخذتُ في الهَدم لزمت الفعلة هي ومن معها، فقلت: ما لك؟ قالت: والله ما لي إلىٰ هدم هذه الدار من حاجة، لكن أبي مات، وكان ذا يسار كثير، فلم نجد له كثير شيء، فخِلْتُ أن ماله مدفون، فعمدتُ إلىٰ هدم الدار لعلِّي أجد شيئًا، فقال لها بعض من حضر: لقد فاتك ما هو أهون عليك من هذا، قالت: وما هو؟ قال: فلان تَمضِين إليه، وتسألينه أن يبيت قصَّتك الليلة، فلعله يرىٰ أباك فيدلك علىٰ مكان ماله بلا تعب ولا كلفة، فذهبت إليه ثم عادت إلينا فزعمت أنه

كتب اسمها، واسم أبيها عنده، فلما كان من الغد بكَّرت إلىٰ العمل، وجاءت المرأة من عند الرجل فقالت: إن الرجل قال لي رأيت أباك، وهو يقول المال في الحنية، قال: فجعلنا نحفر تحت الحنية، وفي جوانبها حتىٰ لاح لي شق، وإذا المال فيه، قال: فأخذنا في التعجب، والمرأة تستخف بما وجدت، وتقول: مال أبي كان أكثر من هذا، ولكني أعود أليه.

فمضَتْ فأعلمته ثم سألته المعاودة، فلما كان من الغد أتت، وقالت: إنه قال لها: إن أباك يقول لك: احفري تحت الجابية المربعة الَّتي في مخزن الزيت، قال: ففتحت المخزن فإذا بجابية مربَّعة في الرُّكن فأزلناها، وحفرنا تحتها فوجدنا كوزًا كبيرًا، فأخذته، ثم دام بها الطَّمعُ في المعاودة، ففعلت فرجعت من عنده، وعليها الكآبة فقالت: زعم أنه رآه، وهو يقول له: قد أَخذَت ما قُدِّر لها، وأما ما بقي فقد جلس عليه عفريت من الجن يحرسه إلىٰ مَن قُدِّر له.

وذكر ابن القيِّم أيضًا عن القيرواني، أنه ذكر في «كتاب البستان»(١)، عن بعض السلف قال: كان لي جار يَشتم أبا بكر وعمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، فلما كان ذات يوم أكثر من شتمهما، فتناولتُه وتَناولني، فانصرفت إلىٰ منزلي وأنا مَغموم حزين، فنِمْتُ، وتَركت العَشاءَ، فرأيتُ رَسُول اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في المنام، فقلتُ: يا رَسُول اللهِ، فلان يَسبُّ أصحابك، قال: «مَن أَصحَابي؟» قلت: أبو بكر وعمر، فقال: «خُذ هذه المُدْيَة فاذبحه بها»، فأَخذتُها فأَضجعته وذَبحتُه، ورأيتُ كأن يدي أصابها من دَمه، فأَلقيتُ المُدية، وأَهويت بيدي إلىٰ الأرض لأَمسحها، فانْتَبهتُ وأنا أَسمع الصُّراخ من نحو

---

(١) «الروح» (١٨٩).

داره، فقلت: ما هذا الصُّراخ؟ قالوا: فلان مات فجأة، فلما أصبَحنا جئتُ فنَظرتُ إليه، فإذا خطٌّ مَوضِعَ الذَّبح.

قال: وقال مُحمَّد بن عبد الله المهلبي: رأيت في المنام كأني في رحْبَة بني فلان، وإذا النَّبِي صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ جالس علىٰ أكمة، ومعه أبو بكر، وعمر واقف قُدَّامَه، فقال له عمر: يا رَسُول اللهِ، إن هذا يَشتمني، ويَشتم أبا بكر، فقال: «جيء به يا أبا حفص»(١)، فأتىٰ برجل فإذا هو العماني، وكان مشهورًا بسبهما، فقال له النَّبِي صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «أَضجعه»، فأضجعه ثم قال: «اذْبَحه» فذبحه، قال: فما نبَّهني إلا صياحُه، فقلتُ: ما لي لا أخبره عسىٰ أن يتوب، فلما تقرَّبت من منزله سَمعت بكاءً شديدًا، فقلت: ما هذا البكاء؟ فقالوا: العماني ذُبح البَارحة علىٰ سَريره، قال: فدَنوت مِن عُنقه فإذا مِن أُذنه إلىٰ أذنه طَريقة حَمراء كالدم المَحصور.

قال: وقال القَيرواني: أخبرني شيخٌ لنا من أهل الفَضْل، قال: أَخبَرني أبو الحسن المُطَّلبي إمام مسجد النَّبِي صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، قال: رأيتُ بالمدينة عجبًا، كان رجل يسبُّ أبا بكر وعمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، فبينا نحن يومًا من الأيام بعد صلاة الصُّبح، إذ أقبل رجلٌ، وقد خَرجت عيناه، وسالتا علىٰ خدَّيه، فسألناه: ما قِصَّتُك؟ فقال: رأيتُ البارحة رَسُول اللهِ صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وعلِيٌّ بين يديه، ومَعه أبو بكرٍ وعُمرَ، فقالا: يا رَسُول اللهِ، هذا الَّذي يُؤذينا ويَسبُّنا، فقال لي رَسُول اللهِ صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «مَن أمَرك بهذا يا أبا قيس؟»(٢) فقلت له: عليٌّ، وأَشرت إليه، فأقبل عليَّ عليٌّ بوَجْهه ويَده، وقد ضَمَّ

---

(١) السابق (١٩٠).

(٢) السابق (١٩١).

أصابعَه، وبسَط السَّبَّابة والوُسطىٰ، وقصد بها إلىٰ عَيني، فقال: إن كنتَ كذبتَ ففَقَأ اللهُ عَينيك، وأدخَل أصبعيه في عيني، فانتبهت مِن نومي وأنا علىٰ هذه الحال، فكان يَبكي يُخْبِرُ النَّاسَ، وأَعلن بالتَّوْبَة.

قال: وفي «كتاب المَنامات»(١) لابن أبي الدُّنيا، عن شَيخ من قريش قال: رأيتُ رَجلًا بالشَّام قد أسوَدَّ نِصفُ وَجْهه، وهو يُغطِّيه، فسَألتُه عن ذلك، فقال: قد جعلتُ لله عليَّ أن لا يسألني أحدٌ عن ذلك إلا أخبرتُه بِه، كنتُ شَديد الوَقيعة في عليٍّ بن أبي طالبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فبَينا أنا ذات ليلة نائم، إذ أتاني آتٍ من منامي، فقال لي: أنتَ صاحب الوَقيعة فِيَّ؟ فضَرب شقَّ وَجْهي، فأَصبحتُ وشِقُّ وَجْهي أَسودُ كما ترىٰ.

قال: وذكر ابن أبي الدنيا، عن أبي حاتم الرازي، عن مُحمَّد بن علي قال: كنا بمكة في المسجد الحرام قعودًا، فقام رجلٌ نِصف وَجهه أَسود، ونصفُه أبيض، فقال: يا أيها النَّاس، اعتبروا بي، فإني كنتُ أَتناول الشَّيْخَين وأَشتمهما، فبَينما أنا ذات ليلة نائم، إذ أتاني آتٍ فرفع يده فلطَم وجهي، وقال لي: يا عدو الله، يا فاسق، ألستَ تَسبُّ أبا بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؟! فأصبحتُ وأنا علىٰ هذه الحالة.

قال: وقال القيرواني: أخبرني شيخ من أهل الفضل قال: أخبرني فقيه قال: كان عندنا رجل يُكثر الصَّوم ويَسرُده، ولكنه كان يُؤخر الفِطر، فرأىٰ في المنام كأن أَسودَين آخذين بضبعيه وثيابه إلىٰ تنُّور مُحمًىٰ ليُلقياه فيه، قال: فقلتُ لهما: علىٰ ماذا؟ فقالا: علىٰ خلافك لسنة رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإنه أَمَر بتَعجيل الفِطْر، وأنت تُؤخِّره، قال: فأصبح وجهه قد اسودَّ من وهج النار، فكان يمشي مُتبَرْقعًا في النَّاس.

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «العقوبات» (٣١٢)، وفي «المنامات» (٢٩٢).

قال: وذكر مسعدة، عن هشام بن حسان، عن واصل مولىٰ أبي عُيينة، عن موسىٰ بن عبيدة، عن صفية بنت شيبة قالت: كنتُ عند عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنهَا، فأَتَتْها امرأة مُشتملة علىٰ يدها، فجعل النِّساء يُولعن بها، فقالت: ما أَتيتُكِ إلا من أجل يدي، إن أبي كان رجلًا سمحًا، وإني رأيت في المنام حياضًا عليها رجال معهم آنية يسقون من أتاهم، فرأيت أبي قلت: أين أمي؟ فقال: انظري، فنظرت فإذا أمي ليس عليها إلا قطعة خرقة، فقال: إنها لم تتصدق قط إلا بتلك الخرقة، وشحمة من بقرة ذبحوها، فتلك الشحمة تذاب وتطرىٰ بها، وهي تقول: واعطشاه، قالت: فأخذت إناء من الآنية فسقيتُها، فنُودِيتُ مِن فوقي: مَنْ سقاها أَيبَسَ اللهُ يدَه، فأصبحت يدي كما ترين.

قال: وذكر الحارث بن أسد المُحاسبي، وأصبغ، وخلف بن القاسم، وجماعة، عن سعيد بن مسْلَمة قال: بينما امرأة عند عائشة إذ قالت: بايَعتُ رَسُول اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ علىٰ أن لا أشرك بالله شيئًا، ولا أسرق، ولا أزني، ولا أَقتل ولدي، ولا آتي ببهتان أفتريه من بين يدي ورجلي، ولا أعصي في معروف، فوفيت لربي، ووفا لي ربي، فوالله لا يعذبني الله، فأتاها في المنام مَلَكٌ فقال لها: كَلَّا، إنك تتبرَّجين، وزِينَتَك تُبدِين، وخَيرك تكندين[1]، وجارَك تُؤذين، وزوجَك تَعصين، ثم وضع أصابعه الخَمس علىٰ وجهها، وقال: خمس بخمس، ولو زدت زدناك، فأصبَحَت وأثر الأصابع في وجهها.

قلت: وقد روىٰ هذه القصة الحاكم في «المستدرك»، والبيهقي في «دلائل النُّبُوَّة»[2] بسياق غير هذا السياق، وتقدم ذكرها، فلتُراجَع.

---

(١) كَنَدَ كُنودًا، أي: كَفَرَ النِعمة، فهو كَنودٌ، وامرأةٌ كَنودٌ أيضًا. «الصحاح» مادة (كند).

(٢) تقدم.

قال ابن القيم: وذكر مسعدة في كتابه في الرُّؤْيَا، عن ربيع بن الرقاشي قال: أتاني رجلان فقعدَا إليَّ، فاغتابا رجلًا، فنهيتهما، فأتاني أحدهما بعدُ، فقال: إني رأيتُ في المنام كأن زِنجِيًّا أتاني بطَبَق عليه جنب خنزير، لم أر لحمًا قط أسمن منه، فقال لي: كُلْ، فقلت: آكل لحمَ خنزير! فتهدَّدني، فأكَلتُ فأصبحتُ وقد تغيَّر فمِي، فلم يزل يَجد الرِّيح في فَمِه شَهرين.

قال: وكان العلاء بن زياد له وقت يقوم فيه، فقال لأهله تلك الليلة: إني أجد فترة، فإذا كان وقت كذا فأيقظوني، فلم يفعلوا، قال: فأتاني آتٍ في منامي فقال: قم يا علاء بن زياد اذْكُر اللهَ يَذكُرك، وأخذ بشَعرات في مقدَّم رأسي، فقامت تلك الشعرات في مقدم رأسي، فلم تزل قائمة حتىٰ مات، قال يحيىٰ بن بسطام: فلقد غسَّلناه يوم مات، وإنهن لقيام في رأسه.

قال: وكان نافع القاري إذا تكلم يُشمُّ مِن فيه رائحة المِسْك، فقيل له: كلما قعدت تطيَّبت، فقال: ما أمسُّ طِيبًا ولا أَقرَبُه، ولكن رأيتُ رَسُول اللهِ ﷺ في المنام، وهو يقرأ في فمِي، فمن ذلك الوقت يُشمُّ مِن فِي هذه الرَّائحة.

قال: وكان سِماك بن حَرْب قد ذهب بصَرُه، فرأىٰ إبراهيم الخَليل في المنام، فمَسح علىٰ عَينيه، وقال: اذْهَب إلىٰ الفُرات، فانْغَمِسْ فيه ثلاثًا، ففَعلَ فأَبْصَر.

قال: وكان إسماعيل بن بلال الحَضرمي قد عَمِي، فأُتي في المنام فقيل له: قل: يا قريبُ يا مجيبُ يا سميعُ الدُّعاء، يا لطيف بمن يَشاء، رُدَّ عليَّ بَصَري، قال الليثُ بن سعد: أنا رأيتُه قد عمي ثم أَبصَر.

وروىٰ الخطيب في «تاريخه»[١]، عن عبد الله بن مُحمَّد بن إسحاق السِّمْسار قال: سمعتُ شيخي يقول: ذَهَبَتْ عَيْنَا مُحمَّد بن إسْماعيل -يعني البُخارِي- في صِغَرِه، فرَأَت والدتُه في المنام إبراهيمَ الخليل عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فقال لها: يا هذه، قد رَدَّ اللهُ علىٰ ابْنكِ بَصرَه لكَثْرة بكائك، أو لكَثْرة دُعائك، قال: فأصبح وقد رَدَّ اللهُ عليه بصَرَه، وقد ذكر هذه القصَّة الحافظ ابنُ حَجر في مقدمة «فتح الباري»[٢] مِن رواية غُنْجار في «تَاريخ بُخارىٰ»، واللالكائي في «شرح السنة» في «باب كرامات الأولياء»[٣].

ومن الرُّؤْيَا الظَّاهرة: ما نقله القلقشندي في كتاب «مآثر الأنافة في معالم الخلافة»[٤]، عن القضاعي، أنه حكىٰ في «خطط مصر» أنه كان للإمام الليث بن سعد دار ببلدة قلقشندة، فهدمها عبد الملك بن رفاعة عنادًا له، فعَمرها الليث فهَدمها عبد الملك، فعَمرها فهدَمها، فلما كان في الثالثة بينما الليث نائم، إذا بهاتف يهتف به: قم يا ليث، ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾ [القصص: ٥] فأصبَح ابن رفاعة وقد أصابه الفالِج، فأوصىٰ إلىٰ الليث، وبقي ثلاثًا ثم مات.

ومن الرُّؤْيَا الظَّاهرة: ما رآه يعقوب بن داود السلمي وزير المهدي، وهو في الحبس، وأوَّله بأنه سيَخرج من الحَبْس. وقد روىٰ ذلك الخطيب البغدادي في

---

(١) (٢/ ٣٢٢).

(٢) (١/ ٤٧٨).

(٣) (٩/ ٢٩٠).

(٤) (١/ ١٥٣).

«تاريخه»[1] من طريق ابن أبي الدنيا: حدثني خالد بن يزيد الأزدي، حدثني عبد الله بن يعقوب بن داود، قال: قال أبي: حبسني المهدي في بئر، وبُنيت عليَّ قُبَّة، فمكثتُ فيها خمسَ عشرة حجَّة، حتىٰ مضىٰ صدْرٌ من خلافة الرشيد، وكان يُدلىٰ إليَّ في كل يوم رغيف، وكوز من ماء، وأُوذن بأوقات الصلاة، فلما كان في رأس ثلاث عشرة حجة أتاني آت في منامي فقال:

حنَا علىٰ يُوسف ربٌّ فأَخرَجَه ... مِن قَعْر جُبٍّ وبيت حَوله غمم

قال: فحمدت الله، وقلت: أتىٰ الفَرَج، قال: فمكثت حولًا لا أرىٰ شيئًا، فلما كان رأس الحول أتاني ذلك الآتي فقال لي:

عسَىٰ فَرَج يَأتي به اللهُ إنَّه ... لَه كلَّ يَوم في خَليقته أَمْر

قال: ثم أقمت حولًا لا أرىٰ شيئًا، ثم أتاني ذلك الآتي بعد الحَول فقال:

عسَىٰ الكَرْب الَّذي أَمسيتَ فيه ... يَكون وراءه فَرَج قَريب

فيأمن خائِف ويفكَّ عَانٍ ... ويَأتي أهله النَّائي الغَريب

قال: فلما أصبحتُ نُوديتُ،فظننتُ أني أُوذِّن بالصَّلاة، فدُلِّي لي حَبلٌ أَسود، وقيل لي: اشْدُد به وسَطَك، ففعلتُ فأخرجوني، فلما قابلت الضَّوء عَشَىٰ بصري، فانطلقوا بي فأُدخلت علىٰ الرَّشيد، فقيل: سَلِّم علىٰ أمير المُؤمنين، فقلتُ: السَّلامُ عَليك أميرَ المُؤْمنين ورَحمةُ الله وبَركاتُه، المَهْدي، قال: لَسْتُ بِه، قلتُ: السَّلام عليك أميرَ المُؤْمنين ورَحمة الله وبركاته، الهادي، قال: لَستُ بِه، قلت: السَّلام عليك أمير المُؤْمنين ورحمة الله وبركاته، قال: الرَّشيد، فقلت: الرَّشيد، فقال: يا يعقوب بن

---

(١)(١٦/ ٣٨٣).

داود، إنه والله ما شفع فيك إليَّ أحد، غيرَ أني حملت الليلة صَبية لي علىٰ عنقي، فذكرتُ حَملَك إيَّاي علىٰ عُنقك، فرثيت لك من المحل الَّذي كنت به، فأخرجتُك، قال: فأكرَمني، وقرَّب مَجلِسي، قال: ثم إن يحيىٰ بن خالد تنكَّر لي، كأنه خاف أن أغلب علىٰ أمير المُؤمنين دونه، فخِفتُه، فاستأذنت للحجِّ فأذن لي، فلم يزل مقيمًا بمكة حتىٰ مات بها.

ومن الرُّؤْيَا الظَّاهرة العَظيمة: ما ذُكر عن المَلك العادل نُور الدين محمود بن زنْكِي بن أقسنقر، أنه رأىٰ رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المنام يَستنجده علىٰ رَجُلين أرادا إخراجه من قبره. وقد ذكر القصَّة في هذه الرُّؤْيَا نُور الدين علي بن أحْمَد السمهودي في كتابه «الوفا بأخبار دار المصطفىٰ»(١)، وذكر أن ذلك كان في سنة سبع وخمسين وخمسمائة، وهذا نص ما ذكره:

«**خاتمة**: فيما نُقل من عَمل نور الدين الشهيد الخندقَ حولَ الحجرة الشريفة مملوءًا بالرصاص، وذكر السبب في ذلك، وما ناسبه.

اعلم أني وقفت علىٰ رسالة قد صنَّفها العلَّامة جمال الدين الأسنوي في المنع من استعمال الولاة للنصارىٰ، وسماها بعضهم بـ«الانتصارات الإسلامية»، ورأيت عليها بخط تلميذه شيخ مشايخنا زينِ الدين المَراغي ما صورته: «نصيحة أُولي الألباب في منع استخدام النصارىٰ كُتَّاب» لشيخنا العلَّامة جمال الدين الأسنوي، ولم يُسمِّه، فسَمَّيتُه بحضرته، فأقرني عليه، انتهىٰ.

فرأيتُه ذكر فيها ما لفظه: وقد دَعتْهُم أنفسُهم -يعني النصارىٰ- في سلطنة

---

(١) (٢/ ١٨٧).

الملك العادل نور الدين الشهيد، إلىٰ أمرٍ عظيم، ظنُّوا أنه يتم لهم، ﴿وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [التوبة: ٣٢].

وذلك أن السلطان المذكور كان له تَهَجُّد يأتي به باللَّيل، وأَوراد يأتي بها، فنام عَقِب تَهَجُّدِه فرأىٰ النَّبِيَّ ﷺ في نومه، وهو يُشير إلىٰ رَجُلين أَشقَرين، ويقول: أَنجِدْني، أَنقِذْني مِن هَذَين، فاستيقظ فزعًا ثم توضأ وصلىٰ ونام، فرأىٰ المنام بعينه، فاستيقظ وصلىٰ، ونام فرآه أيضًا مرة ثالثة، فاستيقظ وقال: لم يبق نَوم، وكان له وزير من الصَّالحين يقال له: جمال الدين الموصلي، فأرسل خلفه ليلًا، وحكىٰ له جميع ما اتَّفق له، فقال له: وما قُعودُك؟! اخْرُج الآن إلىٰ المَدينة النَّبوية، واكْتُم ما رأيتَ، فتَجهَّز في بقية ليلته، وخرج علىٰ رَواحل خفيفة في عشرين نفرًا، وصُحْبَتُه الوَزيرُ المَذكور، ومالٌ كثير، فقَدِم المدينة في ستة عشر يومًا، فاغتَسل خارجها، ودخل فصلىٰ بالرَّوضة، وزار، ثم جلس لا يدري ماذا يَصنع.

فقال الوزير: وقد اجتَمع أهلُ المَدينة في المَسجد: إن السُّلطان قصَد زِيارة النَّبِي ﷺ، وأحضر معه أموالًا للصَّدقة، فاكتبوا مَنْ عندكم، فكَتبوا أهل المدينة كلَّهم، وأمر السلطان بحضورهم، وكل مَن حضَر ليأخذ يتأمَّله ليَجد فيه الصِّفة الَّتي أراها النَّبي ﷺ له، فلا يجد تلك الصِّفة فيُعطيه، ويأمره بالانْصراف، إلىٰ أن انقضىٰ النَّاسُ، فقال السُّلطان: هل بَقي أحدٌ لم يأخذ شيئًا من الصَّدقة، قالوا: لا، فقال: تَفكَّروا، وتَأمَّلوا، فقالوا: لم يَبق أحدٌ إلا رَجُلين مَغرِبِيَّيْن لا يَتناولان من أحدٍ شيئًا، وهما صالحان غنِيَّان، يُكثران الصَّدقة علىٰ المَحاويج، فانشرح صدرُه، وقال: عليَّ بهما؛ فأتي بهما، فرآهما الرَّجلين اللَّذين أشار النَّبِيُّ ﷺ إليهما بقوله: «أَنجدني، أَنقذني مِن هَذَين».

فقال لهما: مِن أين أنتما؟ فقالا: من بلاد المَغرب، جِئْنا حاجَّيْن فاخْترنا المجاورةَ في هذا العام عند رَسُول اللهِ صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فقال: أَصْدقَاني، فصمَّما علىٰ ذلك، فقال: أين مَنزِلُهما؟ فأُخبر بأنهما في رِباطٍ بقُرب الحُجرة، فأَمسَكَهُما، وحضر إلىٰ منزِلِهما، فرأىٰ فيه مالًا كثيرًا، وختْمَتَين، وكتبًا في الرقائق، ولم ير فيه شيئًا غير ذلك، فأثنىٰ عليهما أهلُ المدينة بخيرٍ كثير، وقالوا: إنهما صائمان الدَّهر، مُلازمان الصَّلوات في الرَّوضَة الشَّريفة، وزيارة النَّبِي صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وزيارة البَقيع كلَّ يَوم بُكرة، وزيارة قُباء كلَّ سَبْت، ولا يَرُدَّان سائلًا قطُّ، بحيث سدَّا خلَّة أهل المدينة في هذا العام المُجدب، فقال السُّلطان: سبحان الله! ولم يُظْهِرْ شيئًا مما رآه، وبَقي السُّلطان يطوف في البيت بنفسه، فرفع حَصيرًا في البيت، فرأىٰ سردابًا مَحفورًا يَنتهي إلىٰ صَوب الحُجْرة الشَّريفة، فارْتَاعت النَّاسُ لذلك.

وقال السُّلطان عند ذلك: أصدقاني حالَكُما، وضَربَهُما ضَرْبًا شَديدًا، فاعْتَرفَا بأنهما نصرانيَّان، بَعثهما النصارىٰ في زِيِّ حُجَّاج المَغاربة، وأمالوهما بأموال عظيمة، وأمَروهما بالتَّحيُّل في شيء عَظيم خيَّلتْه لهم أنفسهم، وتوهَّموا أن يُمكِّنَهم اللهُ منه، وهو الوُصول إلىٰ الجَناب الشَّريف، ويفعلوا به ما زَيَّنه لهم إبليسُ في النَّقْل، وما يَترَتَّب عليه، فنزَلا في أَقرب رِبَاط إلىٰ الحُجْرة الشَّريفة، وفعلَا ما تقدَّم، وصارا يَحفران ليلًا، ولكلٍّ منهما محفَظَة جِلد علىٰ زِيِّ المَغاربة، والَّذي يجتمع من التراب يجعله كلٌّ منهما في محفظته، ويخرجان لإظهار زِيارة البَقيع فيُلقيانه بين القُبور، وأقامَا علىٰ ذلك مدَّة، فلمَّا قَرُبَا من الحجرة الشريفة أَرعدت السماءُ وأَبرَقَت، وحصل رجيف عظيم بحيث خيِّل انقلاع تلك الجبال، فقدم السلطان صَبيحة تلك اللَّيلة، واتَّفق إمساكهما واعترافهما، فلما اعترفا، وظهر حالُهما علىٰ يديه، ورأىٰ

تأهيلَ اللهِ له لذلك دون غيره بَكىٰ بُكاءً شديدًا، وأمر بضَرب رقابهما، فقُتلا تحت الشُّبَّاك الَّذي يلي الحُجرة الشَّريفة، وهو مما يلي البقيع، ثم أَمر بإحضار رصاص عظيم، وحَفَر خندقًا عظيمًا إلىٰ الماء حول الحُجرة الشَّريفة كلها، وأُذيب ذلك الرَّصاص، وملأ به الخندق، فصار حول الحجرة الشريفة سورًا رصاصًا إلىٰ الماء، ثم عاد إلىٰ مُلكه، وأمر بإضعاف النَّصارىٰ، وأمر أن لا يُستعمل كافر في عمل من الأعمال، وأمر مع ذلك بقطع المُكوس جميعها». انتهىٰ.

وقد أشار إلىٰ ذلك الجمال المطري باختصار، ولم يَذكر عملَ الخندق حول الحجرة، وسَبْكَ الرَّصاص به. لكن بيَّن السَّنَةَ الَّتي وَقَع فيها ذلك، مع مخالفةٍ لبعض ما تقدَّم، فقال في الكلام علىٰ سُور المدينة المحيط بها اليوم: «وصَل السُّلطان نور الدين مَحمود بن زنكي بن أقسنقر في سنة سبع وخمسين وخمسمائة إلىٰ المدينة الشَّريفة، بسبب رُؤْيَا رآها ذَكرها بعضُ النَّاس، وسَمعتُها من الفقيه عَلَم الدين يعقوب بن أبي بكر المحترق أبوه ليلةَ حَريق المَسجد، عمَّن حدَّثه من أكابر مَن أدرك، أن السلطان محمودًا المذكور رأىٰ النَّبي ﷺ ثلاث مرَّات في ليلةٍ واحدة، وهو يقول في كل واحِدَة: يا مَحمود، أَنقذني من هَذين الشَّخصين الأَشقرين؛ تجَاهَهُ، فاستحضر وزيرَه قبل الصُّبح، فذكر له ذلك، فقال له: هذا أمرٌ حَدث في مدينة النَّبي ﷺ ليس له غيرُك.

فتجَهَّز، وخرج علىٰ عَجَلٍ بمِقدار ألف راحلة، وما يَتبعها مِن خَيل، وغير ذلك، حتىٰ دخل المدينةَ علىٰ حينِ غَفلة مِن أهلها، والوزيرُ معه، وزَار وجَلس في المَسجد لا يَدري ما يَصْنَع، فقال له الوَزير: أَتعرف الشَّخصين إذا رأيتَهُما؟ قال: نَعم، فطَلب النَّاسَ عامَّةً للصَّدقة، وفرَّق عليهم ذهبًا كثيرًا وفِضَّة، وقال: لا يَبقينَّ أحدٌ بالمَدينة إلا

جاء، فلم يَبقَ إلا رجلان مُجاوران من أهل الأندلس، نازلان في الناحية الَّتي قبلة حُجرة النَّبِي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ من خارج المسجد، عند دار آل عمر بن الخطاب، الَّتي تُعرف اليوم بدار العشرة، فطلبهما للصَّدقة فامتَنعا، وقالا: نحن علىٰ كفايةٍ، ما نَقبَلُ شيئًا، فجدَّ في طَلبهما، فجيء بهما، فلما رآهما قال للوزير: هما هذان، فسألهما عن حالهما، وما جاء بهما؟ فقالا: لمُجاورة النَّبِي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فقال: أصدقاني، وتكرَّر السُّؤال حتىٰ أَفضىٰ إلىٰ مُعاقبتهما، فأقَرَّا أنهما من النصارىٰ، وأنهما وصَلا لكي يَنقلا مَن في هذه الحُجرة الشَّريفة باتِّفاقٍ مِن مُلوكهم، ووجدهما قد حفرا نقبًا تحت الأرض من تحت حائط المَسجد القبل، وهما قاصدان إلىٰ جهة الحجرة الشريفة، ويجعلان التراب في بئر عندهما في البيت الَّذي هما فيه، فضرب أعناقَهما عند الشبَّاك الَّذي في شرقي حجرة النَّبِي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ خارج المسجد، ثم أُحرِقَا بالنار آخرَ النهار، ورَكب متوجهًا إلىٰ الشام» انتهىٰ.

وقد وقع في سنة تسعين وثلاثمائة قصَّةٌ قَريبةُ الشَّبَه مِن قصة النَّصرانِيَّيْن اللَّذين أرادَا نقلَ النَّبِي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ من المدينة، وقد ذَكر هذه القصة ابنُ النَّجَّار في «ذيل تاريخ بغداد»، ونقلَها عنه الجَزَريُّ في «تاريخه»، ونَقلها تقيُّ الدين مُحمَّد بن أحْمَد الحسني الفاسي في كتابه «العقد الثَّمين في تاريخ البلد الأمين»، عن الجزري، وذَكرها أيضًا النَّجم عمرُ بن فهد في كتابه «إتحاف الورىٰ بأخبار أم القُرىٰ»، وذكرها أيضًا السَّمهودي في كتابه «وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفىٰ»، وذكر ابن فَهد أن هذه القصة وقعت في سنة تسعين وثلاثمائة.

قال الفاسي: ذكر الجزري في «تاريخه» حكايةً اتَّفقت لأبي الفتوح صاحب مكة بالمدينة، نقلها عن «تاريخ ابن النجار البغدادي»، وقد رأيتُ أن أذْكُرَها لغرابتها:

«أُنبئت عمَّن أَنبأه الحافظُ ابنُ النَّجار -ثم ساق بالإِسْنَاد إلىٰ أبي القاسم عبد الحكيم بن مُحمَّد المقري الزاهد- قال: أشار بعضُ الزَّنادقة علىٰ الحاكِم العُبيدي بنبش قَبْر النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصَاحِبَيه، وحَمْلهم إلىٰ مصر، وقال له: متىٰ تَمَّ هذا الأمرُ شدَّ النَّاسُ رحالهم من أقطار الأرض إلىٰ مصر، فكانت مَنقبة يَعود جمالُها علىٰ مصر وساكنيها، فدخل ذلك عقلُ الحاكم، فنَفَذ إلىٰ أبي الفتوح يأمره بذلك، فسار أبو الفتوح حتىٰ قدم المدينة، وحضر إليه جماعة من أهلها، لأنه كان بلغهم ما قدم بسببه، وكان حضر معهم قارئ يُعرف بالركباني، فقرأ بين يدي أبي الفتوح: ﴿وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمۡ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَنتَهُونَ ﴿١٢﴾ أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوۡمٗا نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ وَهَمُّواْ بِإِخۡرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٍۚ أَتَخۡشَوۡنَهُمۡۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَوۡهُ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٣﴾ قَٰتِلُوهُمۡ﴾ [التوبة: ١٢-١٤].

قال: فمَاج النَّاس، وكادُوا أن يَقتلوا أبا الفتوح ومَن معه من الأجناد، وما منعهم إلا أن البِلاد كانت للحاكم، فلما رأىٰ أبو الفتوح ما النَّاس عليه قال لهم: اللهُ أحَقُّ أن يُخشىٰ، والله لا أَتعرَّض لشَيء من ذلك، وَدَعِ الحاكمَ يفعل فِيَّ ما أراد، ثم استولىٰ عَليه ضِيقُ الصَّدر، وتَقسيمُ الفِكر كيف أجاب، فما غابت الشَّمس في بقية ذلك اليوم حتىٰ أرسل الله تَعالَىٰ من الرِّيح ما كادت الأرض تُزلزَل منه، وتَدحرجت الإبل بأقتابها، والخيل بسُروجها كما تدحرج الكرة علىٰ وجه الأرض، وهلك خلق كثيرون من النَّاس، وانفرج هَمُّ أبي الفُتوح لمَّا أرسل الله تَعالَىٰ تلك الرِّياح الَّتي شاع ذكرها في الآفاق، لتكون له حجة عند الحاكم من الامتناع من نبش القبور الكريمة» انتهىٰ.

ومن الرُّؤْيَا الظَّاهرة: ما جاء في قصَّة طويلة ذكرها اللالكائي في كتابه «شرح

السنة»[1]، عن يوسف بن الحسن بن إبراهيم الخياط، قال: كان في الجانب الشرقي في وَقت أبي الحسن بن بُوَيه رَجلٌ دَيلمي من قوّاده يسمَّىٰ جبنه، مشهور، وَجْهٌ من وجوه عسكره. ويَذكر جماعة من الحاضرين لهذه الحكاية أنه كان رجلًا مشهورًا له مالٌ ونَجدة، وجَمال، قال: بينما هو واقف يومًا في موسم الحاج ببغداد، وقد أخذ النَّاس في الخُروج إلىٰ مكة، إذ عَبر به رجلٌ يُعرف بعلي الدَّقاق -معافري- قال يوسف: هو حدَّثني بهذه القصة، إذ هو صاحبها، والمُبتلىٰ بها، وكنت أَسمع غيره من النَّاس يذكرونها لشُهرتها، إلا أنِّي سَمعتُه يقول:

عَبرت علىٰ جبنه، فقال لي: يا عليُّ، هو ذا تحج هذه السنة؟ قلت: لم تتفق لي حجَّة إلىٰ الآن، وأنا في طلبها، فقال لي جوابًا عن كلامي: أنا أعطيك حجَّة، فقلت له: مِن غير أن يَصحَّ في نفسي كلامه: هاتِها، فقال: يا غلام، مُرَّ إلىٰ عثمان الصَّيرفي، وقل له: يزن لك عشرين دينارًا، فمررت مع غلامه، فوزن لي عثمان عشرين دينارًا، ورجعت إليه، فقال لي: أَصْلِح أمورَك، فإذا عزمتَ علىٰ الرحيل فأَرني وجْهَك لأوصيك بوصية، فانصرفتُ عنه، وهيَّأت أموري، فرجعت إليه، فقال لي أولًا: قد وهبت لك هذه الحجَّة، ولا حاجة لي فيها، ولكن أُحمِّلُك رسالة إلىٰ مُحمَّد، فقلت: ما هي؟ قال: قل له: أنا بريء مِن صاحبيك أبي بكر وعمر اللَّذين هما معك، ثم حلَّفني بالطَّلاق إنك لتقولنَّها، وتُبلغنَّ هذه الرِّسالة إليه.

فورد عليَّ مَورد عظيم، وخرجتُ من عنده مهمومًا حزينًا، وحججتُ، ودخلتُ المدينة، وزُرتُ قبْرَ رَسُول اللهِ ﷺ، وصِرْتُ مترددًا في الرسالة، أُبلِّغُها أم

(١) (٧/ ١٣٣٢) (٢٣٧٣).

لا؟ وفكَّرت في أني إن لم أبلغها طلَّقت امرأتي، وإن بلَّغت عَظمت عليَّ مما أواجه به رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فاستَخرتُ الله تعالَىٰ في القَول، وقلتُ: إن فُلانَ بن فُلان يقول كذا وكذا، وأدَّيت الرِّسالة بعَيْنها، واغتَممتُ غمًّا شَديدًا، وتَنحَّيْتُ ناحيةً، فغَلبتني عيناي، فرَأيتُ النَّبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: «قد سَمعتُ الرِّسالةَ الَّتي أدَّيتَها، فإذا رجعتَ إليه فقل: إنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «أَبشِر يا عدوَّ الله يومَ التاسع والعشرين مِن قُدومك بغَداد بنار جَهنَّم».

وقمتُ وخَرجتُ، ورجعتُ إلىٰ بغدادَ، فلما عَبَرتُ إلىٰ الجانب الشرقي فكَّرتُ، وقلتُ: إن هذا رَجُل سُوء، بلَّغتُ رسالتَه إلىٰ رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أُبلِّغ رسالتَه إليه، وما هو إلا أن أُخبِرَه بها حتىٰ يَأمر بقَتْلي أو يَقتلني بيده، وأخذتُ أُقَدِّم وأُؤخِّر، فقلتُ: لأَقولَنَّها، ولو كان فيها قَتْلي، ولا أكتُم رسالتَه، وأُخالف أمرَه، فدخلتُ عليه قَبل الدُّخول علىٰ أهلي، فما هو إلا أن وَقعَت عينُه عليَّ فقال لي: يا دقَّاق، ما عَملت في الرِّسالة؟ قلتُ: أدَّيتُها إلىٰ رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولكن قد حمَّلني جوابَها، قال: ما هي؟ فقَصصتُ عليه رُؤْيَاي، فنَظر إليَّ وقال: إن قَتلَ مِثلك عليَّ هَيِّن -وسَبَّ وشَتَم، وكان بيَده زَوبين يهزُّه فهزَّه في وجهي- ولكنْ لأَتْرُكَنَّك إلىٰ اليوم الَّذي ذكرْتَه، ولأقتلنك بهذا الزَّوْبين -وأشار إلىٰ الزَّوبين- ولَامَني الحاضِرُون، وقال لغُلامه: احْبِسْه في الاصطبل، وقيِّدْه.

فحُبِستُ، وقُيِّدت، وجاءني أهلي، وبَكَوا عليَّ، ورَثوا لي، ولَامُوني. فقلتُ: قُضي الَّذي كان، ولا مَوت إلا بأَجَل. ولم تَزَل تَمرُّ بي الأيام، والنَّاس يَتفَقَّدوني، ويَرحموني مما أنا فيه، حتىٰ مَضت سَبعةٌ وعشرون يومًا، فلما كانت الليلة الثامنة والعشرون اتَّخذ الدَّيلمي دعوةً عَظيمة، أَحضر فيها عامَّةُ وجوه قوَّاد العَسكر، وجلس

معهم للشُّرب، فلمَّا كان نِصفَ اللَّيل جاءني السَّايس فقال لي: يا دقَّاق، القائد أَخذته حُمَّىٰ عَظيمة، وقد تدثَّر بجميع ما في الدَّار، ووقع عليه الغِلمان فوق الثِّياب، وهو يَنتفض في الثياب نفضًا عظيمًا، وكان علىٰ حالته اليوم الثامن والعشرين، وأتت ليلة التاسع والعشرين، ودخل السَّايس نصف اللَّيل، وقال: يا دقَّاق، مات القائد، وحلَّ عنِّي القَيدَ.

فلمَّا أَصبحنا اجتمع النَّاس مِن كلِّ وَجْه، وجَلس القُوَّادُ للعَزَاء، وأُخرجت أنا، وكانت قصَّتي مشهورة، واستَعادوني فقصَصْتُ عليهم، ورَجع جماعة كثيرة عن مَذاهبهم الرَّديئة.

ومن الرُّؤْيَا الظَّاهرة: ما رَواهُ ابن أبي الدنيا(١)، قال: حدَّثني أحْمَد بن جميل، حدَّثَنا عبد الله بن المبارك، أخبرنا عبد الرَّحْمَن(٢) بن عبد الله بن دينار، عن زيد بن أسلم قال: أُغمي علىٰ المِسْور بن مَخْرَمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ثم أفاق فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن مُحمَّدًا رَسُول اللهِ، أحبُّ إليَّ من الدنيا وما فيها عبد الرَّحْمَن بن عوف في الرَّفيق الأعلىٰ، ﴿مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا﴾ [النساء: ٦٩]، وعبد الملك والحَجَّاج يجرَّان أمعاءهما في النار.

وقد ذكر الحافظ ابنُ حَجر هذه القصَّة في تَرجمة الحجَّاج بن يوسف من «تَهْذيب التَّهذيب»(٣) ثم قال: «هذا إسْنَاد صَحِيح، ولم يكن للحجَّاج حينئذ ذِكْر،

---

(١) في كتاب «المحتضرين» (١/ ٢٣٦) (٣٥٧).

(٢) في كتاب «المحتضرين»: عبد الله، وهو تصحيف.

(٣) (٢/ ٢١١).

ولا كان عبد الملك ولي الخِلافة بَعْدُ؛ لأن المِسْور مات في اليوم الَّذي جاء فيه نَعْي يزيدَ بن معاوية من الشَّام، وذلك في ربيع الأول سنة أربع وستين من الهجرة» انتهىٰ.

ومن الرُّؤْيَا الظَّاهرة: ما رآه عُمرُ بن عبد العزيز حين أُغمي عليه، وقد ذكر هذه القصَّة أبو نُعيم في «الحِلْية»(١)، وابنُ الجَوْزي في «سيرة عمر بن عبد العزيز»، وذكرها غيرهما من المُؤرِّخين، وهي قصة طويلة، وقد جاء فيها: أن عمر بن عبد العزيز حين أُغمي عليه رأىٰ أن القيامة قد قامت، ورأىٰ أنه أُوقف بين يدي الله، وأن الله رَحِمَه، وأمَر به إلىٰ الجنَّة، قال: فبينا أنا مارٌّ مع المَلَكين المُوكَّلَين بي، إذ مرَرْتُ بجِيفةٍ مُلقاة علىٰ رماد، فقلت: ما هذه الجيفة؟ قالوا: ادْنُ مِنه، وسَلْه يُخْبِرك، فدنوتُ منه فوَكزتُه برِجلي، وقلتُ له: مَن أنت؟ فقال لي: مَن أنْتَ؟ قلت: أنا عُمر بن عبد العزيز، قال لي: ما فعل الله بكَ وبأصحابك؟ قلت: أما أربعة فأمر بهم ذات اليمين إلىٰ الجنة، ثم لا أدري ما فعل الله بمن كان بعد عَليٍّ، فقال لي: أنت ما فعل الله بك؟ قلت: تفضَّل عليَّ ربِّي، وتَداركني منه برَحمَةٍ، وقد أَمر بي ذات اليمين إلىٰ الجنة، فقال: أنا كما صِرْت ثلاثًا، قلتُ: أنت من أنت؟ قال: أنا الحجَّاج بن يوسف، قلتُ له: حجَّاج؟ أُردِّدُها عليه ثلاثًا، قلت: ما فعل الله بك، قال: قَدمت علىٰ ربٍّ شَديد العقاب، ذي بطْشَة مُنتقم ممن عصاه، قتلني بكل قتلَة قَتلتُ بها مثلها، ثم ها أنا ذا موقوف بين يدي ربِّي، أَنتظر ما يَنتظر المُوحِّدون من ربِّهم، إما إلىٰ جنَّة، وإما إلىٰ نار.

ومن الرُّؤْيَا الظَّاهرة: ما ذكره ابنُ كثير في «البداية والنهاية»(٢)، عن الأصمعي،

---

(١) (٥/ ٢٩٩).

(٢) (١٢/ ٥٥٢).

عن أبيه قال: رأيتُ الحجَّاجَ في المنام، فقلتُ: ما فعل الله بك؟ فقال: قتلني بكل قتلة قتلتُ بها إنسانًا، قال: ثم رأيته بعد الحَول، فقلت: يا أبا مُحمَّد، ما صنَع اللهُ بك؟ فقال: يا ماصَّ بَظْر أُمِّه! أمَا سَألتَ عن هذا عامَ أوَّل؟!

وقال القَاضي أبو يوسف: كنتُ عند الرَّشيد، فدَخل عليه رجُلٌ فقال: يا أمير المُؤمنين، رأيتُ الحجَّاج البارحةَ في النوم، قال: في أيِّ زِيٍّ رَأيتَه؟ قال: في زِيٍّ قَبيح، فقلت: ما فعل الله بك؟ فقال: ما أنت وذاك يا مَاصَّ بَظْر أُمِّه. فقال هارون: صَدَق والله، أنت رأيتَ الحجَّاجَ حقًّا، ما كان أبو مُحمَّد ليَدع صَرامته حيًّا ومَيِّتًا.

وروىٰ حنبل بن إسحاق بإسْنَاده، عن أشعث الخرَّاز قال: رأيتُ الحجَّاجَ في المنام في حالةٍ سيِّئة، فقلتُ: يا أبا مُحمَّد، ما صنع بك ربُّك؟ قال: ما قَتلتُ أحدًا قتلةً إلا قتَلني بها، قال: ثم أمر بي إلىٰ النار، قلت: ثمَّ مَه، قال: ثم أَرجو ما يرجو أهلُ «لا إله إلا الله».

ومِن الرُّؤْيَا الظَّاهرة: ما رَواهُ ابن أبي الدنيا في كتاب «مَن عاش بعد الموت»[1]، عن أبي مسعود الجريري قال: ذَكر شيخ في مسجد الأشياخ كان يحدِّثُنا عن أبي هريرة، قال: بينما نحن حول مريض لنا، إذ هَدأَ وسَكَن، حتىٰ ما يتحرَّك مِنه عِرْق، فسَجَّيناه، وأغمضناه، وأرسلنا إلىٰ ثيابه وسِدْره وسَريرِه، فلما ذهبنا نحمله لنغُسِّله تحرَّك، فقلنا: سبحان الله! ما كنا نَراك إلا قد متَّ، قال: فإني قد مُتُّ، وذُهب بي إلىٰ قبري، فإذا إنسانٌ حَسَن الوَجْه، طَيِّب الرِّيح، قد وَضَعَني في لَحْدي، وطَواه بالقَراطيس، إذ جاءت إنسانَة سَوداء مُنتنة الرِّيح فقالت: هذا صاحب كذا، وهذا

(١) (١/ ٥٥) (٦٤).

صاحب كذا، أشياء، والله أَستحي منها، كأنما أقلعتُ عنها ساعتئذ.

قال: قلتُ: أَنشُدكِ أن تَدعنِّي، وهذه قالت: انْطَلِق نُخاصِمْك، قال: فانطَلَقنا إلىٰ دارٍ فَيحاءَ واسِعَة، وفيها مصطَبَة كأنها من فِضَّة في ناحيةٍ منها مَسجد، ورَجُل قائم يُصلِّي، فقَرأ سُورةَ النَّحل، فتَردَّد في مكانٍ منها، ففَتَحْتُ عليه فانفَتَل، فقال: السُّورة مَعك؟ قلتُ: نعم، قال: أما إنها سُورة النِّعَم، قال: ورَفع وِسَادة قَريبة منه، فأَخرج صَحيفة فنَظر فيها، فبَدرتْه السَّوداءُ فقالت: فعل كذا، وفعل كذا، قال: وجعل الحَسنُ الوَجه يقول: وفعل كذا، وفعل كذا، يَذكر مَحاسن، قال: فقال الرَّجُل: عَبدٌ ظَالمٌ لنَفْسه، لكنَّ اللهَ تَجاوز عنه، لم يَجئ أجلُ هذا بَعْدُ، أجل هذا يوم الإثنين، قال: فقال لهم: انظروا فإن متُّ يومَ الإثنين فارْجُو لي ما رأيتُ، وإنْ لم أَمُتْ يومَ الإثنين فإنما هو هَذيانُ الوَجَع.

قال: فلمَّا كان يوم الإثنين صحَّ حتىٰ بعد العَصر، ثم أتاه أَجَلُه فمَات، وفي هذا الحَدِيث: فلمَّا خَرَجْنا مِن عند الرَّجُل قلتُ للرَّجُل الحَسَن الوَجْه الطَّيِّبِ الرِّيح: ما أنتَ؟ قال: أنا عَمَلُك الصَّالح، قلتُ: فما الإنسانةُ السَّوداء المُنْتِنةُ الرِّيح؟ قال: ذلك عَمَلُك الخَبيث.

ومن الرُّؤْيَا الظَّاهرة: ما ذكره ابنُ كثير في «البداية والنهاية»[1] في ترجمة الوزير علي بن عيسىٰ بن داود بن الجرَّاح المُتوفَّىٰ في سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة. قال: روىٰ أبو القاسم علي بن المُحسن التنوخي، عن أبيه، عن جماعة، أن عطَّارًا من أهل الكَرْخ كان مشهورًا بالسُّنَّة، رَكِبَه ستمائة دينار دَيْنًا، فأَغلقَ دُكَّانَه، وانكسَر عن كَسْبه،

---

(١) (١٥/ ١٩٠).

ولَزِم مَنزِلَه، وأَقبل علىٰ الدُّعاء والتَّضرُّع والصَّلاةِ ليالِيَ كثيرة، فلما كان في بعض تلك الليالي رأىٰ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المنام، وهو يقول له: «اذْهَب إلىٰ علي بن عيسىٰ الوزير فقد أَمرتُه لك بأَربعمائة دينار»، فلمَّا أصبَح الرَّجُل قصَد بابَ الوزير، فلم يَعرِفْه أحَد، فجَلس لعلَّ أحدًا يَستأذن له علىٰ الوَزير، حتىٰ طالَ عليه المَجلِسُ، وهمَّ بالانصراف، ثم إنه قال لبعض الحَجَبة:

قل للوَزير: إنِّي رَجُل رأيتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المنام، وأنا أُريد أن أقصَّه علىٰ الوَزير، فقال له الحاجِب: وأنت صاحِب الرُّؤْيَا، إنَّ الوَزير قد أنفَذ في طَلبك رُسُلًا مُتعدِّدَة. ثم دخل الحاجب فأَخْبَر الوزيرَ، فقال: أَدخله عليَّ سَريعًا، فدخل عليه فأقبل عليه الوزير يَستعْلِم عن حَاله، واسمِه، وصِفتِه، ومَنزِلِه، فذَكر ذلك له، فقال له الوزير: إنِّي رأيتُ رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو يَأمرني بإعطائك أربعمائة دينار، فأصبحتُ لا أدري من أسألُ عَنكَ، ولا أَعْرِفُكَ، ولا أَعرفُ أينَ أَنتَ، وقد أَرسلتُ في طَلبك إلىٰ الآن عدَّة رُسُل، فجزاك اللهُ خيرًا عَن قَصدِك إيَّاي، ثم أمرَ الوَزير بإحضار ألفِ دِينار، فقَال: هذه أربعمائة دينار لأمرِ رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وستمائة هِبَة مِن عِندي، فقال الرَّجل: لا، والله لا أَزيد علىٰ ما أَمرني به رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإني أَرجو الخَيرَ والبَرَكةَ فيه، ثم أَخَذ منها أربعمائة دينار، فقال الوزير: هذا هو الصِّدْقُ واليَقين.

فخَرج ومعه الأربعمائة دينار، فعَرض علىٰ أرباب الديُون أموالَهم، فقالوا: نحن نَصبِرُ عليك ثلاث سنين، وافتح بهذا الذَّهب دكَّانَك، ودُم علىٰ كَسْبِك، فأبىٰ إلا أن يُعطِيَهم من أموالِهم الثُّلُث، فدَفع إليهم مائتي دِينار، وفَتح حانوتَه بالمائتي دينار البَاقية، فما حالَ عليه الحَولُ حتىٰ رَبحَ ألفَ دِينار. وقد ذكر هذه القصَّة القاضي أبو

عليٍّ التَّنُوخي في الجزء الثاني من كتاب «الفَرَج بعد الشِّدَّة»[١]، وفي الجزء الثاني من كتاب «نشوار المحاضرة»[٢].

ومن الرُّؤْيَا الظَّاهرة: ما ذكَره ابنُ كثير في «البداية والنهاية»[٣]: قال: اجتَمع بالدِّيار المِصريَّة مُحمَّد بن نَصر -يعني: المَروزي- ومُحمَّد بن جَرير الطَّبري، ومُحمَّد بن المُنذر، فجَلسوا في بيت يكتبون الحَدِيث، ولم يكن عندهم في ذلك اليوم شيء يَقتاتونه، فاقْتَرعوا فيما بينهم أَيُّهم يَخرج يَسعىٰ لهم في شيء يَأكلونه، فوقعت القُرعة علىٰ مُحمَّد بن نَصْر، فقام إلىٰ الصَّلاة، فجَعل يُصلِّي ويَدعو اللهَ عَزَّوَجَلَّ، وذلك في وقت القَائلة، فرأىٰ نائبُ مِصر -وهو طُولون، وقيل: أحْمَد بن طُولون- في مَنامه في ذلك الوَقت رَسُولَ اللهِ صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وهو يقول له: «أَدْرِك المُحدِّثِين، فإنهم ليس عندهم ما يَقتاتُونَه»، فانْتَبه مِن سَاعته، فسَأل: مَن هَهنا من المُحدِّثِين؟ فذُكر له هؤلاء الثلاثة، فأَرسل إليهم في السَّاعة الرَّاهنة بألف دينار، فدَخل الرَّسولُ بها عليهم، وأزال اللهُ ضَررَهم، ويَسَّر أمرَهم.

تنبيه: ليَعلَم طالبُ العلم أن باب الأحلام الظَّاهرة واسعٌ جدًّا، وما ذكرتُه في هذا الفَصْل من الأحلام الَّتي ليست في الأحَادِيث المَرفوعة والمَوقوفة، فهو قليلٌ من كثير مما وقفْتُ عليه مما جاء في هذا النوع، ولو ذكرتُ كلَّ ما وقفتُ عليه من ذلك لطال الكِتاب، وفيما ذكرتُه كِفاية إن شاء الله تَعالَىٰ.

---

(١) (٢/ ٢٧٦).

(٢) «نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة» (٢/ ٢٤٣).

(٣) (١٤/ ٧٣٩).

فصل

النوع الثاني من الرُّؤْيَا: ما هو من ضرب الأمثال للنائم يَضربها له المَلَكُ المُوكَّل بالرُّؤْيَا

وهذا النوع هو الأكثر، وهو الَّذي يحتاج فيه إلىٰ التَّأويل، وهو الَّذي نهىٰ رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يقصَّ علىٰ غير عالِم أو ناصِح. وقد ذكرتُ الأحَادِيثَ الوَاردة في ذلك في أوَّل الكتابِ، فلتُراجَع، وليُراجع أيضًا ما ذكرتُه من كلام العلماء في معناها.

ومن هذا النوع: رُؤْيَا يوسف عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ورُؤْيَا كلٍّ من الفَتيين اللَّذين دخلَا السِّجنَ مع يوسف، ورُؤْيَا مَلِكِ مِصرَ.

فأما رُؤْيَا يوسف عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: فقد ذكرَها الله تَعالَىٰ في قوله: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ ۝٤ قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝٥ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝٦﴾ [يوسف: ٤-٦].

وقد وقع تَأْويل هذه الرُّؤْيَا بعد أَربعين سَنَة، وقيل: بعد ثَمانين سنة، والصَّحِيح الأوَّل. وهو قول سَلمان الفارسي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وعبد الله بن شدَّاد، وقد ذكرتُ ذلك في أول الكتاب، وقد أخبر الله تَعالَىٰ عن وقوع تَأْويلها بقوله: ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ۝٩٩ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا﴾ [يوسف: ٩٩-١٠٠].

وأما رُؤْيَا كلٍّ من الفتيين: فقد ذكرهما الله تعالَىٰ في قوله: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعْصِرُ خَمْرًاۖ وَقَالَ ٱلْأٓخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٣٦]، ثم أخبرهما بتأويل رُؤْيَا كلٍّ منهما فقال: ﴿يَٰصَىٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُۥ خَمْرًاۖ وَأَمَّا ٱلْأٓخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦۚ قُضِيَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾ [يوسف: ٤١].

وقد رَوىٰ ابنُ جَرير، والحاكمُ، عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «الفَتيان اللَّذان أَتيَا يوسفَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في الرُّؤْيَا إنما كانا تكاذَبَا، فلما أَوَّلَ رُؤْيَاهما قالا: إنا كنَّا نَلعَبُ، قال يوسف: ﴿قُضِيَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾»(1). قال الحاكم: صَحِيح علىٰ شرط الشَّيْخَين، ووافقه الذهبي في «تلخيصه»، قال ابن كثير: «وكذا فسَّره مُجاهد، وعبد الرَّحْمَن بن زيد بن أسلم، وغيرهم، وحاصله أن من تَحَلَّم بباطل، وفسَّره فإنه يُلزم بتأويله»(2). انتهىٰ.

وأما رُؤْيَا ملك مصر: فقد ذكرها الله تعالَىٰ، وذكر تَأْويلها الَّذي أَوَّلها به يوسفُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فقال تعالَىٰ: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍۖ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُءْيَٰيَ إِن

---

(1) أخرجه ابن جرير (١٣/ ١٦٧)، والحاكم (٤/ ٣٩٦)، وغيرهما، من طريق عمارة بن القعقاع، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبد الله به، وابراهيم هو ابن يزيد النخعي، وقد اختلف عليه، فتارة يقول: عن علقمة عن ابن مسعود، وتارة يقول: عن الأسود عن ابن مسعود، وتارة يرسله عن ابن مسعود لا يذكر فيه علقمة ولا الأسود.

(2) «التفسير» (٤/ ٣٩١).

كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾ قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِى سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ لَّعَلِّىٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِى سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ [يوسف: ٤٣-٤٩].

وقوله تعالىٰ: ﴿قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ﴾ قال ابنُ جرير: «يعنون أنها أخلاط رُؤْيا كاذبة لا حقيقة لها، وهي جَمْع: ضِغْث، والضِّغْثُ أصلُه الحزْمَة من الحشيش، يشبه بها الأحلام المُختلطة الَّتي لا تأْويل لها»(١). انتهىٰ.

وذكر المَاوردي، والقُرطبي، عن أبي عبيدة أنه قال: الأضغاث: ما لا تأْويل له من الرُّؤْيا.

وروىٰ ابن جرير أيضًا عن قتادة في قوله: ﴿أَفْتِنَا فِى سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ﴾ قال: أما السِّمَان فسُنون منها مُخصبَة، وأما السَّبع العِجاف فسُنون مُجدبَة لا تُنبت شيئًا، وقوله: ﴿وَسَبْعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ﴾ أما الخُضر فهُنَّ السُّنون المخاصيب، وأما اليابسات فهن الجدُوب المحول، والعِجاف هي المَهازيل.

وقوله: ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا﴾ الآية. قال القُرطبي: لمَّا أعلمه بالرُّؤْيا جعل يفسِّرُها له، فقال: السَّبع من البقرات السِّمان، والسُّنبلات الخضر: سبع سنين

(١) «التفسير» (١٣/ ١٧٨).

مُخصبات، وأما البقرات العِجاف، والسُّنبلات اليابسات: فسَبع سنين مُجدبَات، فذلك قوله: ﴿تَزۡرَعُونَ سَبۡعَ سِنِينَ دَأَبٗا﴾ أي: مُتوالية متتابعة.

قال القرطبي: «وهذه الآية أصْلٌ في صِحَّة رُؤْيَا الكافر، وأنها تخرج على حَسب ما رَأى»(١). انتهى.

وقوله: ﴿ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَامٞ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعۡصِرُونَ﴾ قال ابن جرير: هذا خَبرٌ من يوسف عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ للقوم عما لم يكن في رُؤْيَا مَلِكِهم، ولكنه من عِلم الغيب الَّذي أتاه الله دلالة على نبوته، وحُجَّة على صِدْقه، ثم روي عن قتادة أنه قال: زاده اللهُ عِلمَ سَنَة لم يَسألوه عنها، فقال: ﴿ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَامٞ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعۡصِرُونَ﴾، ويعني بقوله: ﴿فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ﴾ بالمطر والغَيث.

وروي أيضًا عن ابن جريج، قال: قال ابن عبَّاس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمَا: ﴿ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَامٞ﴾ قال: أخبرهم بشَيء لم يسألوه عنه، وكان اللهُ قد علَّمه إياه: عامٌ فيه يُغاث النَّاس بالمطر.

وذكر القُرطبي، عن قَتادة أنه قال: زادَه اللهُ عِلمَ سَنَةٍ لم يَسألوه عنها؛ إظهارًا لفَضْله، وإعلامًا لمَكانه مِن العِلم وبمَعْرِفَتِه.

فصل

في ذكر ما تُعتبر به الرُّؤْيَا

عن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ، **قال:** قال رَسُول اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: «**للرُّؤْيَا كُنًى، ولها أسماءٌ، فكنُّوها بكُناها، واعْتَبِروها بأسْمائها، والرُّؤْيَا لأوَّل عَابِرٍ**»، رَواهُ ابن أبي شيبة،

(١) «التفسير» (٩/ ٢٠٤).

وابن ماجَهْ[١] من طريق يزيد الرَّقاشي، وهو ضعيف.

وعنه رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: «كان رَسُول اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ يُعبِّر علىٰ الأَسْماء»، رَواهُ البزار[٢]، وقال: يعنىٰ الرُّؤْيَا، قال الهيثمي: فيه من لم أعرفه.

وعن مُحمَّد -وهو ابن سِيرين -عن أبي هُرَيرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: «**أُحبُّ القَيْدَ في المَنام، وأكْرَهُ الغُلَّ، القَيد ثباتٌ في الدِّين**»[٣]، وقال أبو هُرَيرَةَ: «**اللَّبَن في المَنام الفِطْرَة**»، رَواهُ ابنُ أبي شَيبةَ[٤]، وإسْنَاده صَحِيح علىٰ شَرْط الشَّيْخَين. وروىٰ عبدُ الرَّزاق منه قَولُه: «**يُعجِبُني القَيْد، وأَكْرَه الغُلَّ، القَيدُ ثَباتٌ في الدِّين**»[٥]، وإسْنَاده صَحِيح علىٰ شَرْط الشَّيْخَين. وقد رُوي هذا الحَدِيث مَرفوعًا بأسانيد صَحِيحة، وتقدَّم ذِكرُه في الحَدِيث الثَّالث عشر في أول الكتاب، فليُراجع.

وأما قوله: «اللَّبَن في المَنام فِطْرة»[٦] فقد رَواهُ ابن أبي شيبة موقوفًا، ورواه البَزَّارُ مرفوعًا إلىٰ النَّبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، وفي إسْنَاده مُحمَّد بن مَرْوانَ، قال الهيثمي: وهو ثقة، وفيه لِين، قال: وبقية رجاله ثقات.

وعن مُحمَّد بن قَيس قال: حدَّثني بعض أصحاب النَّبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، عن

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (٦/ ١٧٩) (٣٠٤٩٥)، وابن ماجه (٣٩١٥)، وضعفه الألباني.

(٢) أخرجه البزار (١٣/ ٨٠) (٦٤٢٩)، وضعفه الألباني في «الضعيفة» (٥٩٣٤).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة (٦/ ١٨١) (٣٠٥١٢)، وانظر: «الفتح» (١٢/ ٤٠٨، وما بعدها).

(٤) المصدر السابق.

(٥) «مصنف عبد الرزاق» (١١/ ٢١١) (٢٠٣٥٢).

(٦) الرواية المرفوعة أخرجها البزار (١٧/ ٣٠٧) (١٠٠٥٩)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٢٢٠٧).

النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**اللَّبَنُ الفِطْرَةُ، والسَّفِينَةُ نَجاة، والجَمل حزن، والخُضرة الجنَّة، والمَرأة خَيْرٌ**»، رَواهُ الدَّارِمِي(١).

فصل

في ذكر ما رآه النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في منامه وأخبر أصحابه بتأويله

فمِن ذلك تَعبيرُه لبعض ما رآه علىٰ ما تَقتضيه الأسماء الَّتي في الرُّؤْيَا، كما في حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**رأيتُ ذاتَ ليلَةٍ فيما يَرىٰ النائمُ كأَنَّا في دارِ عُقبة بن رافِع، فأُتينا برُطَبٍ مِن رُطَبِ ابنِ طَاب، فأَوَّلتُ الرِّفعَة لنا في الدُّنيا، والعاقِبَة في الآخِرَة، وأنَّ دينَنَا قد طابَ**»، رَواهُ الإمام أحْمَد، ومُسْلم، وأبو داود، وابن أبي شَيبة(٢).

ومن ذلك: رُؤْيَاه لمَا وقع في يَوم أُحُد، وقد جاء ذلك في عدة أحَادِيث:

منها: حديث أبي موسىٰ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**رأيتُ في المَنام أني أُهاجِرُ مِن مَكَّة إلىٰ أرضٍ بها نَخْل، فذَهب وَهَلي إلىٰ أنها اليَمامة أو هَجَر، فإذا هي المَدينة يَثْرب، ورأيتُ في رُؤْيَاي هذه أَنِّي هَزَزتُ سَيفًا فانْقطَع صَدرُه، فإذا هو ما أُصيبَ مِن المُؤْمنين يومَ أُحُد. ثمَّ هَزَزْتُه أُخرىٰ فعاد أحسَن ما كان، فإذا هو ما جاء**

---

(١) (٢٢٠١)، وأخرجه أبو نعيم (٦/ ٣١٦٨) (٧٢٩٠).

(٢) أخرجه أحمد (٣/ ٢٨٦) (١٤٠٨٤)، ومسلم (٢٢٧٠)، وأبو داود (٥٠٢٥)، وابن أبي شيبة (٦/ ١٧٨) (٣٠٤٨٨).

اللهُ به من الفَتْح، واجتماعِ المُؤْمنين، ورأيتُ فيها أيضًا بقرًا، واللهِ خَيرٌ، فإذا هم النَّفَر من المُؤْمنين يَوم أُحُد، وإذا الخَير ما جاء اللهُ به من الخَير بَعْدُ، وثَواب الصِّدْق الَّذي آتَانَا اللهُ بعد يوم بَدْر»، رَواهُ البُخارِي، ومُسْلم، وابن ماجَهْ، والدَّارِمِي، ورواه ابن حِبَّان في «صحيحه» مختصرًا(١).

الحَدِيث الثاني: عن ابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: تَنفَّل رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَيْفَه ذا الفقَارِ يومَ بَدر، وهو الَّذي رأىٰ فيه الرُّؤْيَا يوم أُحُد، فقال: «**رأَيتُ في سَيفي ذا الفقَارِ فَلًّا، فأَوَّلتُه فلًّا يَكون فيكم، ورأيتُ أني مُردِفٌ كَبشًا، فأَوَّلتُه كَبشَ الكَتيبة، ورأيتُ أني في دِرْع حَصينةٍ، فأَوَّلتُها المدينةَ، ورأيتُ بقرًا تُذبح، فبَقَر واللهِ خَيرٌ، فبَقرٌ واللهِ خَيرٌ**» فكان الَّذي قال رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ(٢). رَواهُ الإمام أحْمَد، والبزار، والحاكم، والبيهقي في «دلائل النُّبُوَّة»، وصححه الحاكم والذهبي، وروىٰ التِّرمِذي، وابن ماجَهْ طرفًا من أوَّله، وقال التِّرْمِذي: هذا حديث حسن غريب.

ورواه الطَّبَراني في «الكبير»، و«الأوسط»، ولفظه قال: لمَّا نَزل بالنَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم أُحُد أبو سفيان وأصحابه، قال لأصحابه: «**إني رأيتُ في المنام سَيْفي ذا الفقارِ انْكسَر، وهي مُصيبة، ورأيتُ بقرًا تُذبح، وهي مُصيبة، ورأيتُ عليَّ دِرْعي، وهي مَدينتكم، لا يَصلون إلَيها إن شاء الله**»(٣). قال الهيثمي: فيه أبو شَيبة

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٢٢)، ومسلم (٢٢٧٢)، وابن ماجه (٣٩٢١)، والدارمي (٢٢٠٤)، وابن حبان (١٤/ ١٧٥) (٦٢٧٥).

(٢) أخرجه أحمد (١/ ٢٧١) (٢٤٤٥)، والبزار في «مسنده» (٣/ ٢٦) (٢١٣٢) -كشف-، والحاكم (٢/ ١٢٩)، والبيهقي في «الدلائل» (٣/ ٢٠٤)، كما أخرجه الترمذي (١٥٦١)، وابن ماجه (٢٨٠٨) وغيرهم. قال الأرنؤوط: «إسناده حسن».

(٣) أخرجه الطبراني في «الكبير» (١١/ ٣٩٤) (١٢١٠٤)، و«الأوسط» (٥/ ٢٢٣) (٥٤٣٧)، =

إبراهيم بن عثمان، وهو متروك، قلتُ: لحديثه شاهد مما تقدَّم في الرِّواية قبله، وما سيأتي بعده.

الحَدِيث الثالث: عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أن رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**رأيتُ كأني في دِرْع حَصينَة، ورأيتُ بَقرًا مُنحرَة، فأوَّلتُ أنَّ الدِّرعَ الحَصينةَ المَدينة، وأن البَقر هُو واللهِ خَيرٌ**»، رَواهُ الإمام أحْمَد، والدَّارِمِي، والبزار[1]، وهذا لفظ أحْمَد، ورجاله رجال الصَّحِيح، وكذا رجال الدَّارِمِي، والبزار. وفي رواية الدَّارِمِي: «**وإنَّ البَقرَ نَفرٌ، واللهِ خَيرٌ**»، وفي رواية البَزَّار: «**والبَقر بَقر، واللهِ خَيرٌ**»، والبَقر الشَّقُّ، وهو ما حَصل في المُسْلمين من القتل يوم أُحد.

الحَدِيث الرابع: عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**رأيتُ فيما يرىٰ النائمُ كأني مُردف كَبشًا، وكأن ظُبَةَ سَيفي انكسرت، فأوَّلتُ أني أَقتُل صاحبَ الكَتيبة، وأن رجلًا مِن أهل بيتي يُقتل**»، رَواهُ الإمام أحْمَد، والبزار، والحاكم[2]، وهذا لفظ أحْمَد. وزاد البزار: فقَتل رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَلحةَ بن أبي طَلحة، وكان صاحب لواء المُشركين، وقُتِلَ حَمزة بن عبد المطلب، ونحوه عند الحاكم. قال الهيثمي: فيه علي بن زيد، وهو ثقة سيئ الحفظ، وبقية رجالهما ثقات، وقد رَواهُ

=

وانظر: «المجمع» (٦/ ١٠٧).

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٣٥١) (١٤٨٢٩)، والدارمي (٢٢٠٥) والبزار في «مسنده» (٣/ ١٦) (٢١٣٢) -كشف-، قال الأرنؤوط: «صحيح لغيره».

(٢) أخرجه أحمد (٣/ ٢٦٧) (١٣٨٥٢)، والبزار في «مسنده» (٣/ ١٥) (٢١٣٠) -كشف-، والحاكم (٣/ ١٩٨)، والبيهقي في «الدلائل» (٣/ ٢٠٥) من طريق علي بن زيد، عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ به. قال الأرنؤوط: «إسناده ضعيف لضعف علي بن زيد: وهو ابن جدعان».

البيهقي في «دلائل النُّبُوَّة» بنحو رواية البزار، قال الجَوهري وغيره من أهل اللغة: ظُبَةَ السَّيف: طَرَفُه.

ومِن المَنامات الَّتي رآها رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأوَّلها بنقل الوَباء مِن المدينة إلىٰ الجُحْفة. وقد جاء ذلك في حديث ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: سمعتُ رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**رأيتُ في المَنام امرأةً سَوداء ثائرةَ الشَّعر، تَفِلةً، أُخرجت من المَدينة فأُسكِنَت مَهْيَعَةَ، فأَوَّلتُها في المنام وبَاء المَدينة يَنقله اللهُ تَعالَىٰ إلىٰ مَهْيَعَة**»، رَواهُ الإمام أحْمَد، والبُخارِي، والتِّرْمِذي، وابن ماجَهْ[1]. وهذا لفظ إحدىٰ روايات أحْمَد. وفي غير هذه الرواية عنده، وعند البُخارِي، والتِّرمِذي، وابن ماجَهْ، تَسميةُ مَهْيَعَة بالجُحْفة، قال التِّرْمِذي: هذا حديثٌ حسَن صَحِيح غريب، ورواه الدَّارِمي بنحو رواية أحْمَد.

ومِن ذلك أيضًا: رُؤْيَاه ما ضُرب له ولأمَّتِه من المَثَل، وقد جاء ذلك في حديث ابن عبَّاس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، أن رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أتاه فيما يَرىٰ النائمُ ملكان، فقعد أحدُهما عند رِجلَيه، والآخرُ عند رأسه، فقال الَّذي عند رجليه للذي عند رأسه: اضرب مَثَل هذا، ومَثَلَ أُمَّته، فقال: عَن مَثله ومَثل أُمَّته كمَثل قوم سَفْر، انتهوا إلىٰ رأس مَفازة، فلم يكن معهم من الزاد ما يَقطعون به المَفازة، ولا ما يَرجعون به، فبينما هم كذلك، إذ أتاهم رَجُل في حلَّة حِبَرة، فقال: أَرأيتم إن ورَدتُ بكم رياضًا مُعشبةً، وحياضًا رواء، أَتتَّبِعُوني؟ فقالوا: نَعَم، قال: فانطلَق بهم فأَوردَهم رياضًا معشبة،

(١) أخرجه أحمد (٢/ ١٣٧) (٦٢١٦)، والبخاري (٧٠٣٨)، والترمذي (٢٢٩٣)، وابن ماجه (٣٩٢٥)، والدارمي (٢٢٠٧).

وحياضًا رواء، فأكلوا، وشَربوا، وسَمنُوا، فقال لهم: ألَم أَلْقَكُم علىٰ تلك الحال، فجَعلتم لي إن وردْتُ بكم رياضًا مُعشبة، وحياضًا رواء، أن تتَّبعوني؟ فقالوا: بلىٰ، قال: فإن بين أيديكم رياضًا أَعشب من هذه، وحياضًا هي أَروىٰ من هذه، فاتَّبعوني، قال: فقالت طائفة: صَدَق، واللهِ لنَتَّبعنَّه، وقالت طَائفة: رَضينا بهذا نُقيم عليه.

رَواهُ الإمام أحْمَد، والطَّبَراني، والبزار. قال الهيثمي: وإسْنَاده حسن[١]، وروىٰ الحاكم في «المستدرك» نحوه من حديث سَمُرة بن جندب رَضِيَٱللَّهُعَنهُ[٢]، وقال: صَحِيح علىٰ شرط الشَّيْخَين، ووافقه الذهبي في «تلخيصه».

ومن ذلك أيضًا: رُؤْيَاه أنه ضُرب له مَثَلٌ آخَرُ، وقد جاء ذلك فيما رَواهُ البُخارِي، والبيهقي في «دلائل النُّبُوَّة» من طريق سعيد بن مِينَاء، حدَّثَنا -أو سمعتُ- جابر بن عبد الله رَضِيَٱللَّهُعَنهُمَا يقول: «جاءت ملائكةٌ إلىٰ النَّبِي صَلَّىٱللَّهُعَلَيهِوَسَلَّمَ وهو نائمٌ، فقال بعضُهم: إنه نائم، وقال بعضُهم: إن العينَ نائمة، والقلبَ يَقظان، فقالوا: إن لصَاحبكم هذا مَثَلًا، قال: فاضربوا له مثلًا، فقال بعضهم: إنه نائم، وقال بعضُهم: إن العين نائمة، والقلب يَقظان، فقالوا: مَثلُه كمَثل رجل بنىٰ دارًا، وجعل فيها مَأدُبَة، وبَعث داعيًا، فمَن أجاب الدَّاعيَ دخل الدَّارَ، وأَكَل من المَأدبَة، ومن لم يُجبِ الدَّاعي لم يَدخل الدَّار، ولم يأكل من المَأدبة، فقالوا: أَوِّلُوها له يَفقَهْهَا، فقال بعضُهم: إنه

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٢٦٧) (٢٤٠٢)، والطبراني (١٢/ ٢١٩) (١٢٩٧٣).

(٢) أخرجه الحاكم (٤/ ٣٩٧) بهذا السياق، ورواه غيره عن أبي رجاء عن سمرة رَضِيَٱللَّهُعَنهُ، قال: «كان رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيهِوَسَلَّمَ يقول: «**هل رأىٰ أحد منكم رؤيا؟**» قال: فيقص عليه من شاء...» الحديث، وأخرجه غيره عن أبي رجاء عن سمرة مرفوعًا بنحوٍ من هذا الحرف، غير أنهم ذكروا سياقات أخرىٰ.

نائم، وقال بعضُهم: إن العينَ نائمةٌ، والقَلب يقظَان، فقالوا: فالدَّار الجنَّةُ، والدَّاعي مُحمَّد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فمَن أطاع مُحمَّدًا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقد أطَاع الله، ومَن عَصىٰ مُحمَّدًا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقَد عَصىٰ اللهَ، ومُحمَّد فَرق بين النَّاس»(١).

قال البُخارِي: تابعه قُتيبة، عن ليث، عن خالد، عن سعيد بن أبي هلال، عن جابر، خرج علينا النَّبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قلتُ: قد رَوىٰ هذه المُتابعة التِّرْمِذي، عن قُتيبة، حدَّثَنا الليث، عن خالد بن يزيد، عن سعيد بن أبي هلال، أن جابر بن عبد الله الأنصاري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: خرج علينا رَسُول اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يومًا فقال: «**إني رأيتُ في المنام كأن جبريلَ عند رأسي، وميكائيلَ عند رِجْلي، يقولُ أحدُهما لصاحبه: اضْرِب له مثلًا، فقال: اسْمَع، سمِعَت أُذُنُك، واعْقل، عَقَل قَلبُك، إنما مَثَلُك ومَثلُ أُمَّتك كمثَلِ مَلِكٍ اتَّخذ دارًا، ثم بنىٰ فيها بيتًا، ثم جعل فيها مَأدُبةً، ثم بعث رسُولًا يدعو النَّاسَ إلىٰ طَعامه، فمنهم من أجاب الرَّسول، ومنهم مَن تَركه، فاللهُ هو المَلِكُ، والدَّارُ الإسلامُ، والبيتُ الجنَّةُ، وأنتَ يا مُحمَّد رسولٌ، فمَن أجابك دخل الإسلام، ومن دخَل الإسلام دخل الجنةَ، ومن دخل الجنة أكَل ما فيها**»(٢).

قال التِّرْمِذي: هذا حديثٌ مُرسَل، سعيد بن أبي هلال لم يُدرك جابرَ بن عبد الله. قال: وقد روي هذا الحَدِيث من غير وَجه، عن النَّبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بإسْنَاد أصحَّ من هذا. قال: وفي الباب عن ابن مسعود، انتهىٰ كلامه.

---

(١) أخرجه البخاري (٧٢٨١)، والبيهقي في «الدلائل» (١/ ٣٧٠).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٨٦٠)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٣٥٩٥).

وقد روىٰ هذا الحَدِيث ابنُ سعد في «الطبقات»[1]، عن الحجَّاج بن مُحمَّد الأعور، عن ليث بن سعد، ورواه ابن جرير من طريق الحجاج، عن ليث بن سعد، فذكراه بمثل رواية التِّرْمِذي، ورَواه الحاكم في «المُستدرك»[2] مَوصولًا من طريق عبد الله بن صالح، حدثني الليث، حدثني خالد بن يزيد، عن سعيد بن أبي هلال، قال: سمعتُ أبا جعفر مُحمَّد بن عليِّ بن الحُسَين، وتلا هذه الآية: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [يونس: ٢٥]، فقال: حدَّثني جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: خرج علينا رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يومًا فقال... فذكر الحَدِيث بنحو رواية التِّرْمِذي، ثم قال: هذا حديث صَحِيح الإسْنَاد، ووافقه الذهبي علىٰ تصحيحه. وقد رَواهُ البيهقي في «دلائل النُّبُوَّة»[3] من طريق الحاكم، فذكره بنحو ما تقدم، ورواه أيضًا من طريق سعيد بن أبي هلال، عن عطاء، عن جابر، وصححه، ووافقه الذهبي علىٰ تصحيحه.

وعن ربيعة الجُرشي **قال: أُتي النَّبِيُّ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقيل له: لتَنَمْ عَينُك، ولتَسمَع أُذنُك، وليَعقِل قلبُك، قال: «**فنامَت عَيناي، وسَمعت أُذناي، وعَقل قلبي، قال: فقِيل لي: سَيِّدٌ بنىٰ دارًا، فصَنَع مَأدبَةً، وأَرسل داعيًا، فمن أجاب الدَّاعي دخل الدارَ، وأكلَ من المأدبة، ورَضِي عنه السَّيِّدُ، ومَن لَم يُجب الدَّاعي لم يَدخُل الدَّار، ولَم يَطعَم من المَأدبة، وسَخط عليه السَّيِّدُ. قال: فاللهُ السَّيِّدُ، ومُحمَّدٌ الدَّاعي، والدارُ الإسلام،**

(١) (١/ ١٧٢).

(٢) (٢/ ٣٦٩) (٣٢٩٩).

(٣) (١/ ٣٧٠)، وأما رواية سعيد بن أبي هلال، عن عطاء، عن جابر، فقد أخرجها الحاكم (٤/ ٣٩٣)، وانظر: «الصحيحة» (١٨/ ١٢).

والمَأدبةُ الجنَّةُ»، رَواهُ الدَّارِمِي، والطَّبَراني[1]، قال الهيثمي: وإسْنَاده حسن. وقال الحافظ ابن حجر في (كتاب الاعتصام) من «فتح الباري»: سنده جيِّد.

وعن ابن مَسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قال:** صلَّىٰ رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ العِشاءَ ثم انْصرَف، فأخَذ بيَدِ عَبد الله بن مَسعود حتىٰ خَرَج به إلىٰ بطْحَاء مكَّة، فأجلَسه، ثم خطَّ عليه خطًّا، ثم قال: «**لا تبرَحَنَّ خَطَّكَ، فإنه سَينتَهي إليك رجالٌ، فلا تُكلِّمْهم، فإنَّهم لا يُكلِّمُونَك**»، قال: ثم مضىٰ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حيث أراد، فبَينا أنا جالسٌ في خَطِّي إذ أتاني رجالٌ كأنَّهم الزُّطُّ[2] أَشعارُهم وأجسامُهم، لا أرىٰ عَورة، ولا أرىٰ قِشْرًا[3]، ويَنتهون إليَّ، لا يُجاوِزُون الخَطَّ، ثم يَصدرون إلىٰ رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حتىٰ إذا كان مِن آخِر اللَّيل، لكِنْ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد جاءني وأنا جالسٌ، فقال: «**لقَد أَراني مُنذ اللَّيلة**».

ثم دَخل عليَّ في خَطِّي، فتوسَّد فَخِذي، فَرَقَد، وكان رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا رقَد نَفَخ، فبَينا أنا قاعِد، ورَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُتوسِّد فخِذي، إذا أنا برجَال عليهم ثيابٌ بِيض، اللهُ أعلَمُ ما بِهم مِن الجَمالِ، فانْتَهوا إليَّ، فجلس طائفةٌ مِنهم عند رأس رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وطائفةٌ منهم عند رِجْلَيه، ثم قالوا بينهم: ما رَأينا عبدًا

---

(١) أخرجه الدارمي (١١)، والطبراني (٥/ ٦٥) (٤٥٩٧)، قال في «المجمع» (٨/ ٢٦٠): «رواه الطبراني بإسناد حسن»، وقال الحافظ في «الفتح»: «سنده جيد» (١٣/ ٢٥٦)، وقد ضعفه الألباني في «المشكاة» (١٦١).

(٢) الزط: جنس من السودان والهنود.

(٣) القشر: اللباس. قال ابن الأثير في «النهاية في غريب الحديث»: ومنه حديث ابن مسعود ليلة الجن: «لا أرىٰ عورة ولا قشرًا»، أي: لا أرىٰ منهم عورة منكشفة، ولا أرىٰ عليهم ثيابًا.

قطُّ أُوتي مِثل ما أُوتي هذا النَّبي، إن عَينَيه تَنامان، وقلبُه يَقظان، اضْرِبُوا له مَثَلًا: مَثَل سَيِّد بنىٰ قَصرًا ثم جَعل مأدبةً، فدَعا النَّاسَ إلىٰ طعامه وشرابه، فمَن أجابه أكلَ مِن طعامه، وشَرِب مِن شَرابه، ومن لم يُجِبْه عاقبَه، أو قال عذَّبَه، ثم ارْتَفعُوا، واسْتَيْقَظ رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عند ذلك فقال: «**سَمعتَ ما قال هؤلاء؟ وَهل تَدري مَن هؤلاء؟**»، قلتُ: اللهُ ورسولُه أعلَم.

قال: «**هُم المَلائكة، فتَدري ما المَثَل الَّذي ضَرَبوا؟**» قلتُ: الله ورسولُه أعلم، قال: «**المَثَل الَّذي ضَربوا الرَّحْمَن تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، بنىٰ الجنَّةَ، ودعا إليها عبادَه، فمَن أجابَه دخَل الجَنَّةَ، ومَن لَم يُجِبْه عَاقَبَه أو عذَّبَه**»، رَواهُ الدَّارِمِي باختصار، والتِّرمِذي وهذا لفظه[1]، وقال: هذا حديث حسن صَحِيح غريب.

وذكر الحافظ ابن حَجر في (كتاب الاعتصام) من «فتح الباري»: أنَّ ابنَ خُزيمَة صحَّحَه. وقد رَواهُ الإمام أحْمَد مُطوَّلًا بمعناه، قال الهَيثمي: ورجالُه رجال الصَّحِيح غير عَمرو البَكالي، وذكره العِجْلي في «ثقات التابعين»، وابنُ حِبَّان وغيرُه في «الصَّحابَة»[2].

---

(١) أخرجه الدارمي (١٢)، والترمذي (٢٨٦١)، قال في «الفتح»: «صححه ابن خزيمة» (١٣/ ٢٥٥)، قال الألباني في «صحيح الترمذي» (٣/ ١٤٣): «حسن صحيح».

(٢) أما رواية أحمد فأخرجها في «المسند» (١/ ٣٩٩) (٣٧٨٨)، قال: ثنا عارم وعفان، قالا: ثنا معتمر قال: قال أبي: حدثني أبو تميمة، عن عمرو، لعله أن يكون قد قال: البكالي، يحدثه عمرو، عن عبد الله بن مسعود، قال عمرو: إن عبد الله قال... فذكره. قال في «المجمع» (٨/ ٢٦١): «رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح، غير عمرو البكالي، وذكره العجلي في ثقات التابعين، وابن حبان وغيره في الصحابة» قال الأرنؤوط: «إسناده ضعيف».

وقد تقدَّم في رواية البُخارِي، عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن الملائكة لمَّا ضربوا المَثَلَ للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو نائم «**قالوا: أوِّلُوها له يفقهها**»(١)، قال الحافظ ابنُ حجر في «فتح الباري»(٢): «قيل: يُؤخذ منه حُجَّة لأهل التَّعبير، أن التَّعبير إذا وقع في المنام اعتمد عليه. قال ابن بطَّال: قوله: «أوِّلُوها» يدل علىٰ أن الرُّؤيَا علىٰ ما عُبِّرت في النوم» انتهىٰ.

ومِن الرُّؤيَا الَّتي رآها رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأوَّلها: ما جاء في حديث حَمزةَ بن عبد الله بن عُمر بن الخطَّاب، عن أبيه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعتُ رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**بَيْنا أنا نائمٌ، أُتيتُ بقَدح لَبَن فشَربتُ، حتىٰ إني لأرَىٰ الرِّيَّ يَخرُج في أظفاري، ثم أعطيتُ فَضْلي عمرَ بن الخطَّاب**»، قالوا: فما أوَّلْتَه يا رَسُول اللهِ؟ قال: «**العِلْم**»(٣)، رَواهُ الإمام أحْمَد، والبُخارِي، ومُسْلم، والتِّرمِذي، وابنُ أبي شَيبةَ، والدَّارمِي، وابن حِبَّان، وقال التِّرْمِذي: حديث حسن.

وروىٰ الطَّبَراني في «الكبير» بإسْنَاد صَحِيح، عن أبي بكر بن سالم، عن أبيه، عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أن رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**رأيتُ في النَّوم أني أَعطيتُ عُسًّا(٤) مَملوءًا لبنًا، فشَربتُ منه حتىٰ تَملَّأتُ، حتىٰ رَأيتُه يَجري في عُروقي بين الجِلْد**

---

(١) تقدم.

(٢) (١٣/ ٢٥٥).

(٣) أخرجه أحمد (٢/ ١٣٠) (٦١٤٢)، والبخاري (٨٢)، ومسلم (٢٣٩١)، والترمذي (٢٢٨٤)، وابن أبي شيبة (٦/ ١٧٩) (٣٠٤٩٢)، والدارمي (٢٢٠٠)، وابن حبان (١٥/ ٢٦٩) (٦٨٥٤)، والحاكم (٣/ ٨٥-٨٦).

(٤) العُس بالضم: القدح الكبير.

واللَّحْم، ففَضلَتْ فَضلةٌ، وأعطيْتُها عمرَ بن الخطَّاب، فأَوِّلُوها»، قالوا: يا نبيَّ الله، هذا عِلْمٌ أعطَاك اللهُ، فمَلأك منه، ففَضلت فضلَة، فأعطَيتَها عُمرَ بن الخطَّاب، فقال: «**أَصبْتُم**»(١)، قال الهيثمي: رجالُه رجال الصَّحِيح. وقد رَواهُ الحاكم في «المستدرك»، وقال: صَحِيح علىٰ شرط الشَّيْخَين، ووافقه الذهبي في «تلخيصه».

قلت: ليس بين هذه الرِّواية والرِّواية الَّتي قبلها مُغايرة إلا في تَأْويل الرُّؤْيَا. ففي رواية حمزة، عن أبيه: أن رَسُول اللهِ ﷺ هو الَّذي أَوَّلَ رُؤْيَاه في شُرب اللَّبن، وفي رواية سالم، عن أبيه: أن الصَّحابَة همُ الَّذين أَوَّلُوها حين أمَرَهم النَّبِيُّ ﷺ بتأويلها، فيحتمل أن رَسُول اللهِ ﷺ حدَّث برُؤْيَاه في مَجلِسَين، فأَوَّلها في أحدهما، وأمر أصحابَه بتأويلها في المَجْلس الآخَر، والله أعلم.

وفي هذا الحَدِيث فَضيلةٌ عَظيمة لعُمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لأن رَسُول اللهِ ﷺ أعطاه فضلَ شَرابه في النوم، وشهد له في اليَقظة بالعِلْم، وقد ظَهر أثَرُ هَذه الشَّهادة علىٰ عُمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فكان أعلمَ الأُمَّة بعد أبي بكر الصِّدِّيق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ولَم يَكُن في زمانه، وما بَعد زمانه أحدٌ يُساويه في العِلم، فضلًا عن أن يَكون فيهم مَن يَفُوقُه فيه، وقد ذَكَرتُ الأدلةَ الكثيرةَ علىٰ غَزارة علمه، وتَفوُّقِه علىٰ غيره في أوَّل كتابي المُسمىٰ «تَنزيه الأَصْحاب عن تَنقُّص أبي تُراب»، وذكرتُ أيضًا ما جاء في ذلك عن بعض الصَّحابَة والتَّابعين، فليُراجَع ما ذكرتُه في الكتاب المُشار إليه، فإنه مُهِمٌّ جدًّا.

---

(١) أخرجه الطبراني (١٢/ ٢٩٣) (١٣١٥٥)، والحاكم (٣/ ٩٢) (٤٤٩٦) بنحوه، وانظر: «المجمع» (٩/ ٦٩).

ومِن أهمِّ ما جاء فيه من الآثار قَولُ ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لو أنَّ عِلْم عُمر وُضِع في كفَّة المِيزان، ووُضِع عِلمُ أهل الأرض في كفَّة، لرَجَح عِلمُه بعِلْمِهم»(١)، وقوله أيضًا: «إني لأَحسبُ تِسعةَ أعشار العِلْم ذهب يومَ ذَهب عُمر»(٢) روىٰ ذلك الطَّبَراني، والحاكم بأسانيد صَحِيحة، وروىٰ ابنُ سَعد في «الطَّبقات»(٣) بإسْنَاد صَحِيح، عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنه قال: «لو وُضع عِلمُ أحياء العَرب في كفَّة، وعِلمُ عُمر في كفَّة، لرَجَح بِهِم علْمُ عُمَر. قال: وإنْ كنَّا لنَحسبُ عُمرَ قد ذهب بتِسعَة أعشار العِلْم».

وقال ابنُ عبد البرِّ في «الاستيعاب»(٤): قال ابنُ مَسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لو وُضع عِلمُ أحياء العرب في كفَّةِ مِيزان، ووضِعَ علمُ عُمر في كفَّة، لرَجح علمُ عُمر، ولقد كانوا يَرون أنه ذهب بتِسعة أعشَار العِلْم، ولَمَجلسٌ كنتُ أجلِسُه مع عُمر أَوْثَق مِن عَمَل سَنَة».

ومِن أَهمِّ الآثار الوَاردة في ذلك أيضًا: قَولُ حُذيفَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كأنَّ عِلمَ النَّاس كلِّهم قد دسَّ في جُحْر مع عِلم عُمر»(٥) ذكره ابن عبد البر في «الاستيعاب». ورواه ابنُ سعد في

(١) أخرجه الطبراني (٩/ ١٦٣) (٨٨٠٩)، والبيهقي في «المدخل» (٧٠)، وزهير بن حرب في «العلم» (٦٠)، وغيرهم من طرق عن الأعمش، عن أبي وائل، عن عبد الله به.

(٢) أخرجه الطبراني. انظر: التخريج السابق.

(٣) (٢/ ٣٣٦).

(٤) (٣/ ١١٤٩-١١٥٠).

(٥) ذكره ابن عبد البر في «الاستيعاب» (٣/ ١١٤٩)، وأخرجه ابن سعد (٢/ ٣٣٦) قال: أخبرنا أبو معاوية الضرير، عن الأعمش، عن شمر، قال: قال حذيفة... فذكره، وإسناده منقطع.

«الطبقات» بإسْنَاد رجاله كلهم ثقات، إلا أن فيه انقطاعًا بين شمر بن عطية، وبين حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فإنه لم يدركه. وقال عمرو بن ميمون: «ذهب عمرُ بثُلُثَي العِلْم» فذُكر ذلك لإبراهيم النَّخَعي فقال: «ذَهب عُمر بتِسعَة أعشَار العِلْم»، رَواهُ الدَّارِمِي(١)، وبهذا يُعلم مُطابقة حال عُمر في العِلْم لمَا رآه النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في مَنامه، وما قاله في تَأْويل رُؤْيَاه، وذلك فضلُ اللهِ يُؤتيه مَن يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

ومن الرُّؤْيَا الَّتي رآها رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأَوَّلها: ما جاء في حديث أبي أُمامة بن سهل بن حنيف، أنه سمع أبا سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: قال رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**بَيْنا أنا نائمٌ، رأيتُ النَّاسَ يُعرَضُون عليَّ، وعَليهم قُمُصٌ، منها ما يَبلغ الثُّديَّ، ومنها ما دون ذلك، وعُرِض عليَّ عمرُ بن الخطاب، وعليه قَميصٌ يَجُرُّه**»، قالوا: فما أَوَّلت ذلك يا رَسُول اللهِ؟ قال: «**الدِّين**»(٢)، رَواهُ الإمام أحْمَد، والبُخارِي، ومُسْلم، والتِّرْمِذي، والنَّسَائي، والدَّارِمِي، وابن حبان.

قال الحافظ ابنُ حجر في «فتح الباري»(٣): «قالوا: وَجه تَعبير القميص بالدِّين: أن القَميصَ يَستُر العَورة في الدُّنيا، والدِّين يَستُرها في الآخِرة، ويَحجُبها عن كلِّ مَكروه، والأصل فيه قوله تَعالَىٰ: ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ [الأعراف: ٢٦] الآية.

---

(١) أخرجه الدارمي (٣٦٧) قال: أخبرنا محمد بن حميد، حدثنا مهران، حدثنا أبو سنان، عن أبي إسحاق، عن عمرو بن ميمون، قال: فذكره. وإسناده ضعيف، فيه محمد بن حميد وهو الرازي؛ ضعيف.

(٢) أخرجه أحمد (٣/ ٨٦) (١١٨٣٢)، والبخاري (٢٣)، ومسلم (٢٣٩٠)، والترمذي (٢٢٨٦)، والنسائي (٥٠١١)، والدارمي (٢١٩٧)، وابن حبان (٦٨٩٠).

(٣) (١٢/ ٣٩٦).

والعربُ تُكنِّي عن الفَضْل والعَفاف بالقَميص.

واتَّفق أهلُ التَّعبير علىٰ أن القميص يُعبَّر بالدِّين، وأن طُولَه يدل علىٰ بقاء آثار صاحبه مِن بعده. وفي الحَدِيث: أن أهل الدِّين يَتفاضلون في الدِّين بالقِلَّة والكَثْرة، وبالقُوَّة والضَّعف، وهذا مِن أَمثلة ما يُحمَد في المَنام، ويُذمُّ في اليَقظة، أَعنِي جَرَّ القَميص، لمَا ثَبت من الوعيد في تَطويله. قال: وفيه فَضيلةٌ لِعُمَر» انتهىٰ.

وقال الحافظُ في موضع آخر من «فتح الباري»(١): «وقد استشكل هذا الحَدِيث بأنه يَلزم منه أن عمرَ أفضَل من أبي بكر الصِّدِّيق، والجَواب عنه: تَخصيص أبي بكر من عُموم قوله: «**عُرِض عليَّ النَّاس**»، فلعلَّ الَّذين عُرضوا إذ ذاك لم يَكن فيهم أبو بَكر، وأن كَون عُمر عليه قَميص يجُرُّه لا يَستلزم أن لا يَكون علىٰ أبي بكر قَميص أطْوَل منه وأَسبغ، فلعله كان كذلك، إلا أن المراد كان حينئذ بيان فَضيلة عُمر، فاقتصر عليها، والله أعلم» انتهىٰ كلامه.

ومن الرُّؤيَا الَّتي رآها رَسُول اللهِ ﷺ وأَوَّلَها: ما جاء في حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: خَرج علينا رَسُول اللهِ ﷺ ذات غَداة بعد طُلوع الشَّمس، فقال: «**رأيتُ قُبَيْل الفَجْر كأنِّي أُعطيتُ المَقاليدَ والمَوازين، فأما المَقاليد فهذه المَفاتيح، وأما الموَازين فهي الَّتي تَزنون بها، فوُضعت في كفَّة، ووُضِعت أمَّتي في كفَّة، فُوُزِنتُ بهم فرَجحتُ، ثم جيء بأبي بكر فَوُزِن بهم فوَزَن، ثم جيء بعُمرَ فوُزِن فوَزَن، ثم جيء بعُثمان فُوزِن بهم، ثم رُفِعت**»، رَواهُ الإمام أحْمَد، والطَّبَراني(٢) إلا أنه

---

(١) (٧/ ٥١).

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ٧٦) (٥٤٦٩)، والطبراني (١٣/ ٦٦) (١٣٦٩٥)، قال في «المجمع»

قال: «**فرَجَح بهم**» في الجميع، وقال: «**ثمَّ جيء بعثمان فوُضع في كفَّة، ووُضعَت أُمَّتي في كفَّة، فرَجح بهم، ثم رُفعت**». قال الهيثمي: رجاله ثقات.

وقد رَواهُ ابن أبي شيبة بنحو رواية الطَّبَراني، وزاد: فقال له رَجُل: يا رَسُول اللهِ، فأين نَحن؟ قال: «**حيثُ جَعلتُم أَنفُسَكم**»(١)، وسيأتي تَأْويل ما جاء فيه من الوَزن في حديث أبي بَكْرة، وحديث سَفينة، وأن المراد بذلك خِلافة النُّبُوَّة.

ومن الرُّؤْيَا الَّتي رآها رَسُول اللهِ ﷺ وأَوَّلها: رُؤْيَاه في الغَنم السُّود والبيض. وقد جاء فيها ثلاثة أحَادِيث:

أحدها: عن ابن عُمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: قال النَّبي ﷺ: «**رأيتُ غنمًا كثيرة سوداء دخلت فيها غَنمٌ كَثيرة بيض**»، قالوا: فما أَوَّلته يا رَسُول اللهِ؟ قال: «**العَجم يشركونكم في دِينكم وأَنسابكم**»، رَواهُ الحاكم، وقال: صَحِيح على شرط البُخارِي، ووافقه الذهبي في «تلخيصه»(٢).

الحَدِيث الثاني: عن أبي الطُّفيل -واسمه عامر بن واثلة الكناني- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النَّبي ﷺ قال: «**رأيتُ فيما يَرىٰ النائمُ غنمًا سودًا تَتبعها غنمٌ عفرٌ، فأَوَّلتُ أن الغنمَ السُّود العرب، والعفر العَجم**»، رَواهُ البزار(٣). قال الهيثمي: فيه علي بن

=

(٩/ ٥٨-٥٩): «رجاله ثقات»، قال الأرنؤوط: «إسناده ضعيف».

(١)(٦/ ١٧٦) (٣٠٤٨٤).

(٢)أخرجه الحاكم (٤/ ٣٩٥)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٠١٨).

(٣) أخرجه البزار في «المسند» (٧/ ٢١١) (٢٧٨٥) -بحر-، قال في «المجمع» (٧/ ١٨٣): «فيه علي بن زيد، وهو ثقة سيئ الحفظ، وبقية رجاله رجال الصحيح».

زيد، وهو ثقة سيئ الحفظ، وبقية رجاله رجال الصَّحِيح.

الحَدِيث الثالث: عن أبي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «رأيتُ كأني أسقي غنمًا سودًا، إذ خالطَها غنمٌ عفر، إذ جاء أبو بكر فنزع ذَنوبًا أو ذَنوبَين، وفيه ضَعْف، ويَغفِر اللهُ له، إذ جاء عمرُ فأخذ الدَّلو فاستحالت غَرْبًا[١]، فأَروىٰ النَّاس، وصَدَر الشَّاء، فلم أرَ عَبقريًّا[٢] يفري فريَّ عُمر»، قال رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فأوَّلت أن الغنمَ السُّود العَرب، وأن العفر إخوانُكم من هذه الأعاجم**»، رَواهُ البيهقي في «دلائل النُّبُوَّة»[٣].

ومن الرُّؤْيَا الَّتي رآها رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأوَّلها: رُؤْيَاه في الكذَّابَيْن: مُسيلِمة، والعَنسي، وقد جاء في هذه الرُّؤْيَا عدة أحَادِيث:

---

(١) قال ابن الأثير: «الغرب، بسكون الراء: الدلو العظمة التي تتخذ من جلد ثور، فإذا فتحت الراء فهو الماء السائل بين البئر والحوض. وهذا تمثيل، ومعناه أن عمر لما أخذ الدلو ليستقي عظمتْ في يده، لأن الفتوح كانت في زمنه أكثر منها في زمن أبي بكر. ومعنىٰ استحالت: انقلبت عن الصغر إلىٰ الكبر». «النهاية في غريب الحديث» (٣/ ٣٤٩).

(٢) قال ابن الأثير: «عَبْقَرِيّ القَوْمِ: سَيِّدُهُم وكَبِيرُهُم وقَوِيُّهم». «النهاية» (٣/ ١٧٣).

(٣) أخرجه البيهقي في «الدلائل» (٦/ ٣٤٥)، وأبو نعيم في «تاريخ أصبهان» (١/ ٢٦) من طريق شبابة بن سوار، عن المغيرة بن مسلم، عن مطر الوراق، وهشام بن حسان، عن ابن سيرين، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ... فذكره، وإسناده حسن، وقوله: «إذ جاء أبو بكر فنزع ذنوبًا أو ذنوبين، وفيه ضعف، ويغفر الله له، إذ جاء عمر فأخذ الدلو فاستحالت غربًا، فأروىٰ الناس، وصدر الشاء، فلم أر عبقريًّا يفري فري عمر» أخرجه البخاري (٧٤٧٥) ومسلم (٢٣٩٢) وغيرهما بنحوه من رواية سعيد بن المسيب عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ولهذه الفقرة شاهد أيضًا عند البخاري (٣٦٣٣) ومسلم (٢٣٩٣) من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

أحدها: عن نافع بن جُبير، عن ابن عبَّاس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، قال: قَدم مُسيلِمةُ الكذَّاب علىٰ عهد رَسُول اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فجَعل يقول: إن جَعل لي مُحمَّد الأمرَ من بعده تَبعته، وقدِمَها في بَشَر كَثير من قومه، فأقبل إليه رَسُول اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، ومعه ثابتُ بن قَيس بن شماس -وفي يد رَسُول اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قِطعة جَريد- حتىٰ وقَف علىٰ مُسيلمة في أصحابه، فقال: «**لو سَألتني هذه القِطعة ما أعطيتُكَها، ولَن تَعدُوَ أمْرَ اللهِ فِيك، ولئن أَدبرْتَ ليَعقِرَنَّكَ اللهُ، وإني لأراكَ الَّذي أُريت فيه ما رَأيتُ، وهذا ثابتٌ يُجِيبك عنِّي**» ثم انْصرف عنه. قال ابن عبَّاس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: فسألتُ عن قول رَسُول اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**إنَّك أَرىٰ الَّذي أُريتُ فيه ما أُريتُ**»، فأخبرني أبو هُرَيرَةَ أن رَسُول اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**بَينا أنا نائمٌ رَأيتُ في يَدي سِوَارَين مِن ذَهَب، فأَهمَّني شَأنُهما، فأُوحي إليَّ في المنام أن انفُخْهُما، فنَفخْتُهما فطارَا، فأوَّلتُهما كذَّابَين يَخرجان بعْدي، أحدُهما العَنسي، والآخر مُسيلمة**». رَواهُ البُخارِي، ومُسْلم(١). وروىٰ التِّرمِذي منه رِواية ابن عبَّاس، عن أبي هُرَيرَةَ، وقال: هذا حديث صَحِيح حسن غريب(٢).

الحَدِيث الثاني: عن عُبيد الله بن عبد الله بن عُتبة قال: بلغنا أن مُسيلمةَ الكذَّاب قدم المدينةَ فنزل في دار بنتِ الحارث، وكانت تَحته بنت الحارِث بن كُرَيْز -وهي أمُّ عبد الله بن عامر- فأتاه رَسُول اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، ومعه ثابتُ بن قيس بن شماس - وهو الَّذي يُقال له: خطيبُ رَسُول اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ -، وفي يدِ رَسُول اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قضيبٌ، فوَقف عليه، فكلَّمه، فقال له مسيلمةُ: إن شئتَ خلَّينا بينك وبين الأمر، ثمَّ جعلتَه لنا بعدك، فقال النَّبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**لو سَألتني هذا القضيبَ**

---

(١) أخرجه البخاري (٤٣٧٣)، ومسلم (٢٢٧٣).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٢٩٢).

ما أعطيْتُكَه، وإني لأرَاك الَّذي أُرِيْتُ فيه ما أُرِيْتُ، وهذا ثابتٌ بن قَيس سيُجيبُك عنِّي»، فانصرف النَّبي صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ. قال عبيدُ الله بن عبد الله: سألتُ عبدَ الله بن عبَّاس عن رُؤْيَا رَسُول اللهِ صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ الَّتي ذكر، فقال ابنُ عبَّاس رَضِيَاللَّهُعَنْهُمَا: ذكر لي أن رَسُول اللهِ صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**بَينا أنا نائمٌ أُرِيْتُ أنه وُضِع في يديَّ سوَارَان من ذهَب، ففَظعتهما، وكَرهتهما، فأذن لي فنَفختُهما فطارَا، فأوَّلتُهما كذَّابَين يَخرُجان**»(١). فقال عبيدُ الله: أحدُهما العَنسي الَّذي قتله فَيروز باليَمن، والآخرُ مُسيلمة الكذَّاب. رَواهُ البُخارِي. وروىٰ الإمامُ أحْمَد منه المَرفوع، وقولَ عبيدِ الله في العَنسي، ومُسيلمة، ورواه البُخارِي أيضًا مُختصرًا بنحو رواية أحْمَد.

الحَدِيث الثالث: عن همَّام بن مُنبِّه قال: هذا ما حدَّثَنا أبو هُرَيرَةَ، عن رَسُول اللهِ صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ - فذكر أحَادِيث، منها: وقال رَسُول اللهِ صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**بَينا أنا نائمٌ أُتيت بخَزائن الأرضِ، فوُضع في يديَّ أسوَارين من ذَهب، فكبُرَا عليَّ، وأهمَاني، فأُوحي إليَّ أن أنفُخْهما، فنَفختهما فذَهبَا، فأوَّلتُهما الكذَّابَين اللَّذين أنا بينهما: صاحِب صَنعاء، وصاحب اليَمامة**»، رَواهُ الإمام أحْمَد، والبُخارِي، ومُسْلم(٢). ورواه الإمام أحْمَد أيضًا، وابن أبي شيبة، وابن ماجَهْ من حديث أبي سلمة، عن أبي هُرَيرَةَ رَضِيَاللَّهُعَنْهُ، أن رَسُول اللهِ صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**رأيتُ فيما يرىٰ النائمُ كأن في يديَّ سوَارين من ذهب، فنَفختُهما فرُفعا، فأوَّلتُ أن أحدَهما مُسيلِمة، والآخَر العَنسي**»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري (٤٣٧٨)، وأحمد (٢/ ٣٣٨) (٨٤٤١) مختصرًا.

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ٣١٩) (٨٢٣٢)، والبخاري (٤٣٧٤)، ومسلم (٢٢٧٤).

(٣) أخرجه أحمد (٢/ ٣٣٨) (٨٤٤١)، وابن أبي شيبة (٦/ ١٧٥) (٣٠٤٧٦)، ابن ماجه (٣٩٢٢).

قال ابن القيم في كتابه «زاد المعاد»(١): «هذا الحَدِيث من أكبر فضائل الصِّدِّيق، فإن النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نفخ السوارين فطارًا، وكان الصدِّيقُ هو ذلك الرُّوح الَّذي نفخ مُسيلمة، وأطاره» انتهىٰ.

الحَدِيث الرابع: عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: سمعتُ رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو يخطب النَّاسَ علىٰ منبره، وهو يقول: «**أيها النَّاس، إنِّي قد أريتُ ليلةَ القَدْر ثم أُنسيتُها، ورأيتُ أن في ذراعيَّ سوارين من ذهب، فكَرهتُهما فنَفختهما فطارَا، فأوَّلتهما هذين الكذَّابَين: صاحب اليَمن، وصاحب اليمامة**»، رَواهُ الإمام أحْمَد، والبزار(٢)، قال الهيثمي: ورجالهما ثقات.

ومن المنامات الَّتي رآها رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **وأوَّلَها**: ما رَواهُ الحاكمُ، عن عائشةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، أن رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**رأيتُ في المنام كأنَّ أبا جهلٍ أتاني فبايَعني**»؛ فلما أسلم خالدُ بن الوليد قيل لرَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قد صدَّق اللهُ رُؤْيَاك يا رَسُول اللهِ، هذا كان إسلام خَالد، فقال: «**ليَكونن غيره**» حتىٰ أسلم عِكرمة بن أبي جَهل، وكان ذلك تصديق رُؤْيَاه. قال الحاكم: صَحِيح علىٰ شرط الشَّيْخَين، ووافقه الذهبي في «تلخيصه»(٣). وقد رَواهُ عبد الرزاق، عن الزهري مرسلًا بنحوه.

---

(١) (٣/ ٥٣٦).

(٢) أخرجه أحمد (٣/ ٨٦) (١١٨٣٤)، والبزار (٣/ ١٦) (٢١٣٢) -كشف-، وأبو يعلىٰ (٢/ ٣٢٥) (١٠٦٣) وغيرهم، قال في «المجمع» (٧/ ١٨١): «رواه البزار وأحمد، ورجالهما ثقات»، قال الأرنؤوط: «إسناده حسن».

(٣) أخرجه الحاكم (٣/ ٢٤٢-٢٤٣) قال: أخبرني أبو عبد الله الصنعاني بمكة، ثنا إسحاق بن

فصل

في ذكر ما رآه النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في منامه ولم يُخبر بتأويله

فمن ذلك: رُؤْيَاه في النَّزع من القَليب، وقد جاء ذلك في حديثين:

أحدهما: **عن أبي هُرَيرَة** رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: سمعت النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: **«بينا أنا نائمٌ رأيتُني علىٰ قَليب عليها دلو، فنَزعت منها ما شاء الله، ثم أخذَها ابنُ أبي قُحافة، فنَزع بها ذَنوبًا أو ذَنوبَيْن، وفي نَزْعه ضَعْف، واللهُ يَغفر له ضَعفَه، ثم استحالت غَرْبًا، فأخَذها ابنُ الخطَّاب، فلم أرَ عَبقريًّا من النَّاس يَنزع نزعَ عمرَ، حتىٰ ضَرب النَّاسُ بعَطن»**، رَواهُ الإمام أحْمَد، والبُخارِي، ومُسْلم، وابن حبان(١).

الحَدِيث الثاني: **عن عبد الله بن عمر** رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، أن النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال:

=

إبراهيم بن عباد، ثنا عبد الرزاق، أنا معمر، عن الزهري، عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا به، وإسناده ضعيف، فالصنعاني شيخ الحاكم لم أقف له علىٰ توثيق معتبر. انظر: «رجال الحاكم» (٢/ ١٦٢) للعلامة الوادعي. وقد أخرجه عبد الرزاق في «المصنف» (١١/ ٢١٦) (٢٠٣٦٥) عن معمر عن الزهري به مرسلًا، وخولف عبد الرزاق، خالفه عبد الله بن المبارك فرواه عن معمر، عن الزهري، عن أبي بكر بن عبد الرحمن به مرسلًا أيضًا، وهذه الرواية في «الجهاد» (٥٥) لابن المبارك، ومن طريقه أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤١/ ٦١).

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٣٦٨) (٨٧٩٤)، والبخاري (٣٦٦٤)، ومسلم (٢٣٩٢)، وابن حبان (٦٨٩٨).

«أريتُ في المَنام أني أَنزع بدَلْو بَكرَة علىٰ قَليب، فجاء أبو بكر فنَزع ذَنوبًا أو ذَنوبَين نَزعًا ضَعيفًا، واللهُ يَغفر له، ثم جاء عُمر بن الخطَّاب فاستَحالت غَرْبًا، فلم أَر عَبقريًّا يَفري فَريَه، حتىٰ رُوي النَّاسُ، وضَربوا بعَطن»، رَواهُ الإمام أَحْمَد، والبُخارِي، ومُسْلم، والتِّرْمِذي، وابن أبي شيبة(١)، وقال التِّرْمِذي: صَحِيح غريب.

قال البخاري: قال وهب -أي: ابن جرير، أحد الرُّواة لحديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا-: العَطن مَبْرك الإبل، يقول: حتىٰ رُويت الإبلُ فأَناخت»(٢). انتهىٰ.

وأما العَبْقري فهو الرَّجل القوي. قال الجَوهري: «قالوا: هذا عَبقري قَوم؛ للرَّجل القوي. وفي الحَدِيث: «فلم أرَ عَبقريًّا يَفري فَريَه»(٣)، وقال ابن الأثير في «النهاية في غريب الحَدِيث»(٤): عَبقري القوم سيِّدُهم، وكبيرُهم، وقويُّهم. والأصل في العبقري فيما قيل: أن (عَبقر) قَرية يسكنها الجنُّ فيما يَزعمون، فكلما رأوا شيئًا فائقًا غريبًا مما يصعب عمله ويدقُّ، أو شيئًا عظيمًا في نفسه، نسبوه إليها، فقالوا: عبقري، ثم اتسع فيه حتىٰ سمي به السيد الكبير» انتهىٰ.

وقد ذَكرتُ في الفصل الَّذي قبل هذا الفصل حديثَ أبي هُرَيرَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الَّذي رَواهُ البيهقي في «دلائل النُّبوَّة»(٥)، وفيه: أن رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رأىٰ أنه يَسقي

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٢٧) (٤٨١٤)، والبخاري (٣٦٨٢)، ومسلم (٢٣٩٣)، والترمذي (٢٢٨٩)، وابن أبي شيبة (٦/ ٣٥٣) (٣١٩٦٩).

(٢) (٣٦٧٦).

(٣) «الصحاح» (١٩٩).

(٤) (٣/ ١٧٣).

(٥) تقدم.

غنمًا سودًا وعُفرًا، وأن أبا بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نزع ذنوبًا أو ذنوبَين، وأن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أخذ الدلو فأروىٰ النَّاس، وإنما ذكرته هناك لما فيه من تَأْويل الغنم السود بأنهم العرب، وتأويل الغنم العفر بالأعاجم. وأما ما جاء فيه من النزع بالدلو فلم يأت فيه تَأْويل عن النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكذلك ما ذكرته في هذا الفصل من حديث أبي هُرَيرَةَ، وحديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في النزع بالدلو لم يأت فيه تَأْوِيل عن النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وتأويله ظاهر من قيام النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالدعوة إلىٰ الله تَعالَىٰ، وجهاد المشركين، وبذل النصيحة للأمة، وتعليمهم أمور دينهم، وما ينفعهم في دنياهم، وآخرتهم، وغير ذلك من الأمور العظيمة، والمصالح العامة الَّتي قام بها صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أتم القيام.

ثم قام أبو بكر الصديق بما كان يتولاه رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أمور المُسْلمين أتم القيام، وحارب أهل الردة حتىٰ أدخلهم من الباب الَّذي خرجوا منه، ثم بعث الجيوش إلىٰ الفُرس والروم، وحصل في زمانه عدة انتصارات عليهم، ثم كانت خاتمة أعماله الجليلة أَنْ عهد بالخلافة لعمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فكانت ولاية عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَسَنَة من حسنات أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكانت مدة ولاية أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سنتين وشهرين تقريبًا، فكانت مطابقة لما رآه النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في منامه أنه نزع بالدلو ذنوبًا أو ذنوبين.

ثم قام عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بعده بأمور المُسْلمين أكثر من عشر سنين، ففتح الله له الفتوح الكثيرة بالشام، والعراق، وخراسان، ومصر، وغيرها من الأمصار، وأذل الله به أمم الكفر، ودوَّنَ الدواوين، وقام بتدبير أمور المُسْلمين أتم القيام، وكان مضرب المثل في العدل، والحزم، وحُسن السيرة. فكانت أعماله في ولايته مطابقة لما رآه النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في منامه من قوَّة نزعه للماء، وإرواء النَّاس حتىٰ ضربوا بعطن، وقد روىٰ البيهقي في «دلائل

النُّبُوَّة»[١] بإِسْنَاد صَحِيح، عن الشافعي رحمه الله تَعالَىٰ، أنه قال: رُؤْيَا الأنبياء وحي.
وقوله: «**وفي نزعه ضعف**» قِصر مدته، وعجلة موته، وشغله بالحرب مع أهل الردة عن الافتتاح والتزيد الَّذي بلغه عمر في طول مدته. انتهىٰ.

وقال النووي في «شرح مُسْلم»[٢]: ومعنىٰ «ضرب النَّاس بعطن»، أي: أرووا إبلهم ثم آووها إلىٰ عطنها، وهو الموضع الَّذي تساق إليه بعد السقي لتستريح. قال العلماء: هذا المنام مثال واضح لما جرىٰ لأبي بكر وعمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا في خلافتهما، وحسن سيرتهما، وظهور آثارهما، وانتفاع النَّاس بهما، وكل ذلك مأخوذ من النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومن بركته، وآثار صحبته. فكان النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو صاحب الأمر، فقام به أكمل قيام، وقرَّر قواعد الإسلام، ومَهَّدَ أموره، وأوضح أصوله وفروعه، ودخل النَّاس في دين الله أفواجًا، وأنزل الله تَعالَىٰ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣].

ثم توفي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فخلفه أبو بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ سنتين وأشهرًا. وهو المراد بقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ذَنوبًا أو ذَنوبَين**»، وحصل في خلافته قتال أهل الردة، وقطع دابرهم، واتساع الإسلام، ثم توفي فخلفه عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فاتسع الإسلام في زمنه، وتقرر لهم من أحكامه ما لم يقع مثله، فعبَّر بالقليب عن أمر المُسْلمين؛ لما فيها من الماء الَّذي به حياتهم، وصلاحهم، وشبه أميرهم بالمستقي لهم، وسقيه هو قيامه بمصالحهم، وتدبير أمورهم.

وأما قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أبي بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «**وفي نزعه ضعف**» فليس فيه

---

(١) (٦/ ٣٤٥).

(٢) (١٥/ ١٦١).

حط من فضيلة أبي بكر، ولا إثبات فضيلة لعمر عليه، وإنما هو إخبار عن مدة ولايتهما، وكثرة انتفاع النَّاس في ولاية عمر لطولها، ولاتساع الإسلام وبلاده، والأموال، وغيرها من الغنائم، والفتوحات، ومصَّر الأمصار، ودَوَّن الدواوين.

وأما قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**والله يغفر له**» فليس فيه تنقيص له، ولا إشارة إلىٰ ذنب، وإنما هي كلمة كان المُسْلمون يدعمون بها كلامهم، ونعمت الدعامة، وقد سبق في الحَدِيث في «صَحِيح مُسْلم» أنها كلمة كان المُسْلمون يقولونها: افعل كذا، والله يغفر لك. قال العلماء: وفي كل هذا إعلام بخلافة أبي بكر وعمر، وصحة ولايتهما، وبيان صفتها، وانتفاع المُسْلمين بها.

وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فلم أر عبقريًّا من النَّاس يَفْري فريه**» أما «يَفْرِي»، فبفتح الياء، وإسكان الفاء، وكسر الراء، أما «فريه» فروي بوجهين:

أحدهما: «فَرْيَه» بإسكان الراء، وتخفيف الياء.

والثاني: كسر الراء، وتشديد الياء.

وهما لغتان صَحِيحتان، وأنكر الخليل التشديد، وقال: هو غلط؛ واتفقوا علىٰ أن معناه لم أر سيدًا يعمل عمله، ويقطع قطعه، وأَصْلُ الفَرْي بالإسكان: القَطْع.

وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**حتىٰ ضَرب النَّاس بعطن**» قال القاضي: ظاهره أنه عائد إلىٰ خلافة عمر خاصة، وقيل: يعود إلىٰ خلافة أبي بكر وعمر جميعًا؛ لأن بنظرهما وتدبيرهما وقيامهما بمصالح المُسْلمين تم هذا الأمر، وضرب النَّاس بعطن؛ لأن أبا بكر قمع أهل الردة، وجمع شمل المُسْلمين وأَلَّفَهُم، وابتدأ الفتوح، ومَهَّد الأمور، وتمت ثمرات ذلك، وتكاملت في زمن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. انتهىٰ كلام النووي ملخصًا.

فصل

في ذكر ما رآه النَّبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في منامه وأَوَّلَه أبو بكر الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أو أَوَّلَه غيره من الصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ

فمن ذلك: رُؤْيَاه في اتباع الغنم له، وقد رَواهُ البيهقي في «دلائل النُّبُوَّة»(١) مرسلًا من طريقين:

أحدهما: **عن** عمرو بن شرحبيل، قال: قال رَسُول اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إني رأيتُ اللَّيلةَ كأنما تَتبعني غنمٌ سُود، ثم أردفتها غنمٌ بِيض، حتىٰ لم تُر السُّودُ فيها**» فقصَّها علىٰ أبي بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فقال: يا رَسُول اللهِ، هي العرب تبعتك، ثم أردفتها العجم، حتىٰ لم يروا فيها، قال: «**أجَل، كذلك عَبَرها الملَك سَحَرًا**».

الطريق الثاني: **عن** حصين، عن عبد الرَّحْمَن بن أبي ليلىٰ، عن النَّبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بعض معناه، وقد رَواهُ ابن أبي شيبة، عن عبد الله بن إدريس، عن حصين، عن عبد الرَّحْمَن بن أبي ليلىٰ، قال: قال رَسُول اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إني رأيتني يتبعني غنمٌ سود يَتبعها غنم عفْر**»، فقال أبو بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: يا رَسُول اللهِ، هذه العرب تتبعك تتبعها العجم، قال: قال رَسُول اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كذلك عَبَرها الملَك**». وفي رواية: قال رَسُول اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كذلك عَبَرها الملَك بالسَّحَرِ**»(٢). وقد رَواهُ الحاكم موصولًا من

---

(١) (٦/ ٣٣٦).

(٢) رواه ابن أبي شيبة (٦/ ١٧٦) (٣٠٤٧٩) قال: حدثنا عبد الله بن إدريس، عن حصين، عن =

طريق حصين بن عبد الرَّحْمَن، عن ابن أبي ليلىٰ، عن أبي أيوب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إني رأيتُ في المنام غنمًا سوداء يتبعها غنمٌ عفر، يا أبا بكر، اعبُرها**»، فقال أبو بكر: يا رَسُول اللهِ، هي العرب تتبعك، ثم تتبعها العجم حتىٰ تغمرها، فقال النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**هكذا عبرها الملَكُ بسَحَر**»(١).

ومن ذلك: رُؤْيَاه في عَجْم التَّمر، وقد جاء ذلك فيما رَواهُ الإمام أحْمَد، والحميدي، والدَّارِمِي، من طريق مجالد، عن الشعبي، عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أن رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**رأيت كأني أُتيت بكتلة تَمر، فعَجمتها في فمي، فوجدتُ فيها نواة آذتني، فلفظتُها، ثم أخذت أخرىٰ فعجمتُها، فوجدتُ فيها نواة، فلفظتها، ثم أخذتُ أخرىٰ فعجمتها، فوجدت فيها نواة، فلفظتها**»، فقال أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: دعني فلأعْبُرها، قال: قال: «**اعْبُرها**»، قال: هو جيشك الَّذي بعثت يَسلم ويَغنم، فيلقون رجلًا فينشدهم ذمتك فيَدعونه، ثم يلقون رجلًا فينشدهم ذمتك فيدعونه، ثم يلقون رجلًا فينشدهم ذمتك فيَدعونه، قال: «**كذلك قال الملَك**»(٢).

= عبد الرحمن بن أبي ليلىٰ به مرسلًا، وقد اختلف علىٰ حصين كما سيأتي.

(١) أخرجه الحاكم (٤/ ٣٩٥) من طريق محمد بن فضيل، عن حصين بن عبد الرحمن، عن ابن أبي ليلىٰ، عن أبي أيوب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ به مرفوعًا، وإسناده ضعيف، فيه حصين «ثقة تغير حفظه في الآخر». «التقريب»، وسماع ابن فضيل منه متأخر، وقد روي مرفوعًا من وجه آخر عن ابن أبي ليلىٰ، ولكن لا يُفرح به، فقد أخرجه أبو نعيم في «تاريخ أصبهان» (١/ ٢٧) من طريق محمد بن عمران بن أبي ليلىٰ، ثنا ابن فضيل، عن الأعمش، عن عمرو بن مرة، عن عبد الرحمن بن أبي ليلىٰ، عن أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ به مرفوعًا، وإسناده ضعيف، ابن عمران لم أقف له علىٰ ترجمة، وابن أبي ليلىٰ لم يدرك أبا بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه أحمد (٣/ ٣٩٩) (١٥٣٢٣)، والحميدي (١٣٣٣)، والدارمي (٢٢٠٨)، قال في =

قال الهيثمي: فيه مجالد بن سعيد، وهو ثقة، وفيه كلام. وزاد الدَّارِمِي: أن الراوي عن مجالد قال له: ما ينشد ذمتك؟ قال: يقول: لا إله إلا الله.

ومن ذلك: ما رَواهُ ابن سعد في «الطبقات»[1]، عن ابن شهاب مرسلًا، قال: رأىٰ النَّبِي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رُؤْيَا، فقصَّها علىٰ أبي بكر، فقال: «**يا أبا بكر، رأيتُ كأني استبَقت أنا وأنت درجَة، فسَبقتك بمرْقاتَين ونصف**»، قال: خير يا رَسُول اللهِ، يُبقيك الله حتىٰ ترىٰ ما يَسُرُّك، ويقرُّ عينك، قال: فأعاد عليه مثل ذلك ثلاث مرات، وأعاد عليه مثل ذلك. قال: فقال له في الثالثة: «**يا أبا بكر، رأيت كأني استبقت أنا وأنت درجة، فسبقتك بمرقاتين ونصف**»، قال: يا رَسُول اللهِ، يقبضك الله إلىٰ رحمته ومغفرته، وأعيش بعدك سنتين ونصفًا.

ومن ذلك: رُؤْيَاه أنه قد أُعطي مفاتيح خزائن الأرض، وقد جاء ذلك في حديثين:

أحدهما: **عن عقبة بن عامر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رَسُول اللهِ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خرج يومًا فصلىٰ علىٰ أهل أُحُد صلاتَه علىٰ الميت، ثم انصرف إلىٰ المنبر، فقال: «**إني فَرَط**

=

«المجمع» (٧/ ١٨٠): «رواه أحمد، وفيه مجالد بن سعيد وهو ثقة وفيه كلام». قال الأرنؤوط: «إسناده ضعيف لضعف مجالد».

(١) (٣/ ١٧٧)، وأخرجه أيضًا أحمد في «فضائل الصحابة» (٦٦٣) من طريق أحمد بن عبد الله بن يونس، عن أبي بكر بن عياش، عن مبشر السعدي، عن ابن شهاب به مرسلًا، وإسناده ضعيف، فيه مبشر السعدي ترجمه البخاري في «التاريخ الكبير» (٨/ ١٠) ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلًا، وقد وقع عند أحمد «قيس السعيدي» كذا في المطبوع، ولم أقف له علىٰ ترجمة، ولعله تصحيف، والله أعلم.

لكم، وإني شهيد عليكم، وإني والله لأنظر إلىٰ حَوضي الآن، وإني قد أُعطيت مفاتيحَ خزائن الأرض، أو مفاتيح الأرض، وإني والله ما أخاف عليكم أن تُشركوا بعدي، ولكن أخاف عليكم أن تَتنافسوا فيها»، رَواهُ الإمام أحْمَد، والبُخارِي، ومُسْلم، وابن حبان[(١)].

الحَدِيث الثاني: عن أبي هُرَيرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قال: قال رَسُول اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**نُصرتُ بالرُّعب، وأعطيتُ جوامعَ الكلام، وبينا أنا نائم إذ جيء بمفاتيح خزائن الأرض، فوُضعت في يدي**»[(٢)]، فقال أبو هُرَيرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: لقد ذهب رَسُول اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وأنتم تنْتَثِلُونَها، رَواهُ الإمام أحْمَد، والبُخارِي، ومُسْلم، والنَّسَائي، وابن حبان.

قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري»[(٣)]: «قال أهل التعبير: المِفتاح مالٌ وعِزٌّ وسُلطان، فمن رأىٰ أنه فتح بابًا بمفتاح فإنه يظفر بحاجته بمعونة من له بأس، وإن رأىٰ أن بيده مفاتيح فإنه يصيب سلطانًا عظيمًا. ونقل عن الخطابي أنه قال: المراد بخزائن الأرض ما فتح علىٰ الأمة من الغنائم من ذخائر كسرىٰ وقيصر وغيرهما، ويحتمل معادن الأرض الَّتي فيها الذهب والفضة. وقال غيره: بل يحمل علىٰ أعم من ذلك. قال الحافظ: ومفاتيح خزائن الأرض المراد منها ما يفتح لأمته من بعده من

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ١٩٤) (١٧٣٨٢)، والبخاري (١٣٤٤)، ومسلم (٢٢٩٦)، وابن حبان (٣١٩٨).

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ٢٦٨) (٧٦٢٠)، والبخاري (٢٩٧٧)، ومسلم (٥٢٣)، والنسائي (٣٠٨٩) وابن حبان (٦/ ٨٧) (٢٣١٣).

(٣) (١٢/ ٤٠١).

الفتوح، وقيل: المعادن. قلت: وهذا هو المطابق للواقع في زماننا، كما سيأتي بيانه إن شاء الله تَعالَىٰ. وقال الحافظ في الكلام علىٰ قوله: (وأنتم تنتثلونها) مِن النَّثل بالنون والمثلثة، أي: تَستخرجونها، تقول: نثلت البئر، إذا استخرجت ترابها». انتهىٰ.

وقد ظهر مصداق حديثَيْ عقبة، وأبي هُرَيرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، في زماننا، حيث ظهرت آبار البترول، والماء البعيد في أعماق الأرض، وما ظهر أيضًا من معادن الذهب، وغير ذلك من خزائن الأرض الَّتي لم يتمكن النَّاس من الوصول إليها إلا في هذه الأزمان.

وأما تَأْويل بعض العلماء مفاتيح خزائن الأرض بما فُتح علىٰ أوائل هذه الأمة من خزائن الملوك وكنوزهم، ففيه نظر؛ لأن النَّبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ إنما نصَّ في حديثي عقبة، وأبي هُرَيرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا علىٰ خزائن الأرض، لا علىٰ خزائن الملوك، وخزائن الأرض هي ما أودعه الله فيها من الماء، والمعادن السائلة، والجامدة، وأما خزائن الملوك فقد جاء ذكرها في الأحَادِيث الصَّحِيحة باسم الكنوز، وأضيفت إلىٰ أهلها لا إلىٰ الأرض، كما في حديث أبي هُرَيرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، أن رَسُول اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: **«إذا هَلَك كِسْرىٰ فلا كِسْرىٰ بعده، وإذا هلك قَيصَر فلا قيصرَ بعده، والَّذي نفس مُحمَّد بيده، لتنفقن كنوزهما في سبيل الله»**(١).

وعن جابر بن سمرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، مثله. رواهما الإمام أحْمَد، والبُخارِي، ومُسْلم، وروىٰ الإمام أحْمَد، ومُسْلم أيضًا، وأهل السنن عن ثوبان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، أن

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٢٣٣) (٧١٨٤)، والبخاري (٣١٢٠)، ومسلم (٢٩١٨) من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وأخرجه أحمد (٥/ ٩٢) (٢٠٩٠١)، والبخاري (٣١٢١)، ومسلم (٢٩١٩) من حديث جابر بن سمرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**وأُعطيت الكنزين الأحمَر، والأبيض**»[(١)]، والمراد بهما كنز كسرىٰ، وقيصر.

وعن عدي بن حاتم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أن رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**ولئن طَالت بك حياةٌ لتفتحنَّ كُنوز كسرىٰ**»، رَواهُ البُخارِي[(٢)]. وعن جابر بن سمرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أن رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لتفتحن عصابةٌ من المُسْلمين أو من المُؤْمنين كنز آل كسرىٰ الَّذي في الأبيض**»، رَواهُ الإمام أحْمَد، ومُسْلم[(٣)].

وبالجمع بين هذه الأحَادِيث، وبين حديثي عقبة بن عامر، وأبي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، يتبين أن خزائن الأرض غير كنوز الملك، والله أعلم.

وقد حصل للعرب، وغيرهم من الدول الَّذين ظهرت عندهم خزائن الأرض في زماننا من الثروة العظيمة ما لم يحصل مثله للذين فتحت عليهم خزائن الملوك وكنوزهم في أول الإسلام، وبهذا ظهر مصداق قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إني قد أعطيتُ مفاتيح خزائن الأرض، أو مفاتيح الأرض**».

ومن الرُّؤْيَا الَّتي رآها رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأوَّلها بعضُ الصَّحابَة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ: ما جاء في حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، أن رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**أُري الليلةَ رجلٌ صالِح أن أبا بكر نِيط[(٤)] برَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ونِيط عمرُ بأبي بكر، ونِيط**

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٢٨٤) (٢٢٥٠٥)، ومسلم (٢٨٨٩)، وأبو داود (٤٢٥٢)، والترمذي (٢١٧٦)، وابن ماجه (٣٩٥٢).

(٢) (٣٥٩٥).

(٣) أخرجه أحمد (٥/ ٨٩) (٢٠٨٥٤)، ومسلم (٢٩١٩).

(٤) قوله: نيط، معناه: علق، قاله الخطابي.

عثمانُ بعُمرَ»، قال جابر: فلما قمنا من عند رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قلنا: أما الرجل الصَّالح فرَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأما ما ذكر رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من نوط بعضهم ببعض فهم ولاة هذا الأمر الَّذي بعث الله به نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، رَواهُ الإمام أحْمَد، وأبو داود، وابن حِبَّان في «صَحِيحه»، والحاكم في «المستدرك»، والبيهقي في «دلائل النُّبُوَّة»، وصححه الذهبي في «تلخيص المستدرك»(١).

ومن الرُّؤْيَا الَّتي رآها رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولم يُؤَوِّلْها، وأوَّلها الصحابي بالخلافة: ما جاء في حديث الأسود بن هلال، عن رجل، عن قومه، أنه كان يقول في خلافة عمر بن الخطاب: لا يموت عثمان بن عفان حتىٰ يستخلف، قلنا: من أين تعلم ذلك؟ قال: سمعت رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**رأيتُ الليلة في المنام كأن ثلاثة من أصحابي وُزِنوا، فَوُزِن أبو بكر فَوَزَن، ثم وُزِن عمر فَوَزَن، ثم وُزِنَ عثمان فنقص، وهو صالح**»، رَواهُ الإمام أحْمَد بإسْنَاد صَحِيح علىٰ شرط الشَّيْخَين(٢).

فصل

في ذكر ما رآه بعض الصَّحابَة في المنام وأوَّله رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

فمن ذلك: ما جاء في حديث عبد الرَّحْمَن بن أبي بكرة قال: وفدت مع أبي إلىٰ

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٣٥٥) (١٤٨٦٣)، وأبو داود (٤٦٣٦) وابن حبان (١٥/ ٣٤٣) (٦٩١٣)، والحاكم (٣/ ٧١)، والبيهقي في «الدلائل» (٦/ ٣٤٨)، وضعفه الألباني في «صحيح وضعيف الجامع» (١٧٩٨).

(٢) أخرجه أحمد (٤/ ٦٣) (١٦٦٥٥)، قال الأرنؤوط: «إسناده صحيح».

معاوية بن أبي سفيان، فأدخلنا عليه فقال: يا أبا بكرة، حدثني بشيء سمعتَه من رَسُول اللهِ صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فقال: كان رَسُول اللهِ صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يعجبه الرُّؤْيَا الصَّالِحَة، ويسأل عنها، فقال رَسُول اللهِ صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ذات يوم: «**أيكم رأىٰ رُؤْيَا؟**» فقال رجل: أنا يا رَسُول اللهِ، رأيت كأن ميزانًا دلي من السماء، فوزنت أنت بأبي بكر فرجحت بأبي بكر، ثم وزن أبو بكر بعمر فرجح أبو بكر بعمر، ثم وزن عمر بعثمان فرجح عمر بعثمان، ثم رفع الميزان، فاستاء لها رَسُول اللهِ صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فقال: «**خلافة نبوة، ثم يؤتي اللهُ** تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ **المُلكَ مَن يشاء**»، رَواهُ الإمام أحْمَد، وأبو داود الطيالسي، وابن أبي شيبة(١)، وفيه علي بن زيد، وهو ثقة سيئ الحفظ، وبقية رجاله رجال الصَّحِيح.

قال الخطابي: «قوله: (استاء لها) أي: كرهها حتىٰ تبينت المساءة في وجهه»(٢)، انتهىٰ. وفي بعض الروايات عند أحْمَد: «**فساءه ذلك**».

وقد رَواهُ أبو داود السجستاني، والتِّرْمِذي، والحاكم، والبيهقي من طريق الأشعث بن عبد الملك الحمراني، عن الحسن بن أبي بكرة رَضِحَالِلَّهُعَنْهُ، أن النَّبِي صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال ذات يوم: «**من رأىٰ منكم رُؤْيَا؟**»(٣) فقال رجل: أنا رأيت كأن ميزانًا نزل من السماء فوزنت أنت وأبو بكر فرجحت أنت بأبي بكر، ووزن أبو بكر وعمر فرجح أبو بكر، ووزن عمر وعثمان فرجح عمر، ثم رفع الميزان، فرأينا

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٤٤) (٢٠٤٦٣)، وأبو داود الطيالسي (٩٠٧)، وابن أبي شيبة (٦/ ١٧٦) (٣٠٤٨٢)، وصححه الألباني في «المشكاة» (٦٠٥٧).

(٢) «معالم السنن» (٤/ ٣٠٥).

(٣) أخرجه أبو داود (٤٦٣٤، ٤٦٣٥)، والترمذي (٢٢٨٧)، والحاكم (٣/ ٧٠- ٧١) و(٤/ ٣٩٣-٣٩٤)، والبيهقي في «الدلائل» (٦/ ٣٤٨).

الكراهية في وجه رَسُول اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. قال التِّرْمِذي: هذا حديث حسن صَحِيح، وصححه أيضًا الحاكم، والذهبي. وقال الحاكم في موضع آخر: صَحِيح علىٰ شرط الشَّيْخَين، وتعقبه الذهبي فقال: أشعث هذا ثقة، لكن ما احتجَّا به.

ومن ذلك: ما جاء في حديث سعيد بن جُهْمان، عن سفينة مولىٰ أم سلمة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، قال: كان رَسُول اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا صلىٰ الصبح أقبل علىٰ أصحابه فقال: «**أيكم رأىٰ الليلة رُؤْيَا؟**» قال: فصلىٰ ذات يوم فقال: «**أيكم رأىٰ رُؤْيَا؟**» فقال رجل: أنا رأيت يا رَسُول اللهِ، كأنَّ ميزانًا دلي به من السماء، فوُضعتَ في كفَّة ووضع أبو بكر في كفة أخرىٰ، فرجحتَ بأبي بكر، فرُفعتَ وتُرك أبو بكر مكانه، فجيء بعمر بن الخطاب، فوُضع في الكفَّة الأخرىٰ، فرجح به أبو بكر، فرفع أبو بكر، وجيء بعثمان فوضع في الكفة الأخرىٰ، فرجح عمر بعثمان، ثم رُفع عمر وعثمان، ورفع الميزان، قال: فتغير وجه رَسُول اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثم قال: «**خلافة النُّبُوَّة ثلاثون عامًا ثم تكون ملكًا**»(١).

قال سعيد بن جُهْمان: فقال لي سفينة: أَمْسِك: سنتي أبي بكر، وعشر عمر، وثنتي عشرة عثمان، وست علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، رَواهُ البزار مختصرًا، والحاكم، وهذا لفظه، وفيه مؤمل بن إسماعيل. قال الهيثمي: وثقه ابن معين، وابن حِبَّان، وضعفه البُخارِي، وغيره، وبقية رجاله ثقات. قلت: وحديث أبي بكرة المذكور قبله يشهد له، ويقويه.

---

(١) أخرجه الحاكم (٣/ ٧١)، والبزار (٢/ ٢٢٣) (١٥٦٦) -كشف- مختصرًا، قال في «المجمع» (٥/ ١٧٨): «قال الهيثمي: وثقه ابن معين، وابن حبان، وضعفه البخاري، وغيره، وبقية رجاله ثقات»، وقال الألباني: «مؤمل فيه ضعف، لكنه يتقوىٰ بحديث أبي بكرة المشار إليه آنفًا»، انظر: «ظلال الجنة» (٢/ ٢٩٨).

ومن ذلك: ما رَواهُ أبو داود، عن سمرة بن جندب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رجلًا قال: يا رَسُول اللهِ، إني رأيت كأن دلوًا دلي من السماء، فجاء أبو بكر فأخذ بعراقيها فشرب شربًا ضعيفًا، ثم جاء عمر فأخذ بعراقيها فشرب حتىٰ تضلع، ثم جاء عثمان فأخذ بعراقيها فشرب حتىٰ تضلع، ثم جاء علي فأخذ بعراقيها فانتشطت، وانتضح عليه منها شيء.

ورواه البيهقي في «**دلائل النُّبُوَّة**»[١] من طريق أبي داود، ورواه ابن أبي شيبة مختصرًا لم يذكر فيه غير أبي بكر وعمر، ورواه الإمام أحْمَد من حديث سمرة بن جندب أن رجلًا، قال: قال رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**رأيت كأن دلوًا دليت من السماء**» فذكر الحَدِيث في شرب أبي بكر وعمر، قال: «ثم جاء عثمان فأخذ بعراقيها فشرب فانتشطت منه فانتضح عليه منها شيء»[٢]، ولم يذكر عليًّا.

كذا جاء في رواية أحْمَد، أن الرُّؤْيَا كانت لرَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وجاء في رواية ابن أبي شيبة، وأبي داود أن الرُّؤْيَا كانت لرجل من الصَّحابَة. ومخرج الحَدِيث واحد؛ لأن كلًّا من المذكورين قد رَواهُ من طريق حماد بن سلمة، عن الأشعث ابن عبد الرَّحْمَن الجرمي، عن أبيه، عن سمرة بن جندب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فأما أحْمَد فرواه، عن عبد الصمد، وعفان، عن حماد بن سلمة. وأما ابن أبي شيبة فرواه، عن عفان، عن حماد بن سلمة. وأما أبو داود فرواه، عن مُحمَّد بن المثنىٰ، عن عفان، عن حماد بن سلمة؛ وعلىٰ هذا فلا تخلو إحدىٰ الروايتين من الغلط، ولعل ذلك في رواية أحْمَد، وأنه قد وقع من بعض النساخ، ويكون الصواب: أن

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٣٧)، والبيهقي في «الدلائل» (٦/ ٣٤٩)، وابن أبي شيبة (٦/ ١٧٩) (٣٠٤٩١) مختصرًا، وضعفه الألباني في «الظلال» (١١٤١).

(٢) أخرجه أحمد (٥/ ٢١) (٢٠٢٥٥).

رجلًا قال لرَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: رأيتُ، والله أعلم.

وليس في الحَدِيث تَأْويل للرُّؤْيَا، وتأويلها ينطبق علىٰ الخلافة كما تقدم النص علىٰ ذلك في حديثي أبي بكرة، وسفينة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. وقوله في أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنه شرب شربًا ضعيفًا، إنما هو إشارة إلىٰ قِصَر مدَّة ولايته، قاله الخطابي. قال: «وذلك لأنه لم يعش أيام الخلافة أكثر من سنتين وشيء، وبقي عمر عشر سنين وشيئًا، فذلك معنىٰ تضلعه»(١). انتهىٰ.

وأما قوله: فانتشطت منه، فمعناه نزعت وجذبت. قال الجوهري:نشطت الدلو من البئر، نزعتها بغير بكرة. وقال ابن منظور في «لسان العرب»(٢): «نشط الدلو عن البئر، نزعها وجذبها من البئر صُعُدًا بغير قامة، وهي البكرة، فإذا كان بقامة فهو المتح» انتهىٰ.

ومن المنامات الَّتي أَوَّلَها رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: رُؤْيَا أم العلاء الأنصارية عينًا تجري لعثمان بن مظعون، وقد جاء ذلك فيما رَواهُ الإمام أحْمَد، والبُخارِي، عن خارجة بن زيد بن ثابت، عن أم العلاء -وهي امرأة من نسائهم بايعت رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قالت: طار لنا عثمان بن مظعون في السكنىٰ حين اقترعت الأنصار علىٰ سكنىٰ المهاجرين، فاشتكىٰ، فمرضناه حتىٰ توفي، ثم جعلناه في أثوابه، فدخل علينا رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقلت: رحمة الله عليك أبا السائب، فشهادتي عليك لقد أكرمك الله، قال: **«وما يُدريكِ؟»** قلت: لا أدري والله، قال: **«أما هو فقد جاءه اليقين، إني لأرجو له**

---

(١) «معالم السنن» (٤/ ٣٠٦).

(٢) (٧/ ٤١٣).

الخير من الله، والله ما أدري -وأنا رَسُول اللهِ- ما يُفعل بي ولا بكم»، قالت أم العلاء: فوالله لا أزكِّي أحدًا بعده، قالت: ورأيت لعثمان في النوم عينًا تجري، فجئتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فذكرتُ ذلك له، فقال: «**ذاك عملُه يَجري له**»[1].

قولها: طار لنا عثمان، قال ابن حجر: يعني وقع في سهمنا.

ومن المنامات الَّتي أَوَّلَها رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: رُؤْيَا عبد الله بن سلام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الأخذ بالعروة، والاستمساك بها، وقد روي ذلك عنه من طريقين:

أحدهما: عن قيس بن عُبَاد، قال: كنت بالمدينة في ناس فيهم بعض أصحاب النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فجاء رجل في وجهه أثر من خشوع، فقال بعض القوم: هذا رجل من أهل الجنة، هذا رجل من أهل الجنة، فصلىٰ ركعتين يتجوز فيهما، ثم خرج، فاتبعته، فدخل منزله، ودخلت، فتحدَّثنا، فلما استأنس قلت له: إنك لما دخلت قَبْلُ قال رجل: كذا وكذا، قال: سبحان الله! ما ينبغي لأحد أن يقول ما لا يعلم، وسأحدثك لِمَ ذاك؟ رأيت رُؤْيَا علىٰ عهد رسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقصصتها عليه، رأيتني في روضة - ذكر سعتها، وعشبها، وخضرتها- ووسط الروضة عمود من حديد، أسفله في الأرض، وأعلاه في السماء، في أعلاه عروة، فقيل لي: ارقه، فقلت له: لا أستطيع، فجاءني مِنْصف -قال ابن عون: والمنصف الخادم- فقال: بثيابي من خلفي -وَصَفَ أنه رفعه من خلفه بيده- فرقيتُ، حتىٰ كنتُ في أعلىٰ العمود، فأخذت بالعروة، فقيل لي: استمسك، فلقد استيقظت، وإنها لفي يدي، فقصصتها علىٰ النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: «**تِلكَ الرَّوضَةُ الإسْلَامُ، وذلك العَمودُ عَمودُ الإِسْلَام، وتلك**

---

(١) أخرجه أحمد (٦/ ٤٣٦) (٢٧٤٩٧)، والبخاري (٧٠١٨).

العُرْوَةُ عُروةُ الوُثقَىٰ، وأنت علىٰ الإسلام حتىٰ تَموتَ»، قال: والرَّجل عبد الله بن سَلَام، رَواهُ الإمام أحْمَد، والبُخارِي، ومُسْلم(١).

وفي رواية للبخاري، ومُسْلم، عن قيس بن عُباد قال: كنت في حلقة فيها سعد بن مالك، وابن عمر، فمرَّ عبد الله بن سلام فقالوا: هذا رجل من أهل الجنة، فقمت فقلت له: إنهم قالوا: كذا وكذا، قال: سبحان الله! ما كان ينبغي لهم أن يقولوا ما ليس لهم به علم، إنما رأيت كأن عمودًا وضع في روضة خضراء فنصب فيها، وفي رأسها عروة، وفي أسفلها منصف -والمِنصَفُ الوَصيف- فقيل لي: ارقه، فرقيت حتىٰ أخذت بالعروة، فقصصتها علىٰ رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«يَموتُ عبدُ الله وهو آخذٌ بالعُروة الوُثْقىٰ»**(٢).

الطريق الثاني: عن خَرَشَة بن الحرِّ قال: قدمت المدينة فجلستُ إلىٰ شِيخة في مسجد النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فجاء شيخ يتوكأ علىٰ عصا له، فقال القوم: من سرَّه أن ينظر إلىٰ رجل من أهل الجنة فلينظر إلىٰ هذا، فقام خلف سارية، فصلىٰ ركعتين، فقمت إليه فقلت له: قال بعض القوم: كذا وكذا، فقال: الحمد لله، الجنة لله عَزَّوَجَلَّ يُدخلها من يشاء، وإني رأيت علىٰ عهد النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رُؤْيَا، رأيت كأن رجلًا أتاني فقال: انطلق، فذهبت معه، فسلك بي منهجًا عظيمًا، فعرضت لي طريق عن يساري، فأردت أن أسلكها، فقال: إنك لستَ من أهلها، ثم عرضت لي طريق عن يميني فسلكتها، حتىٰ انتهيت إلىٰ جبل زلق، فأخذ بيدي فزجل بي، فإذا أنا علىٰ

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٤٥٢) (٢٣٨٣٨)، والبخاري (٣٨١٣)، ومسلم (٢٤٨٤).

(٢) أخرجه البخاري (٧٠١٠)، ومسلم (٢٤٨٤).

ذروته، فلم أتقارَّ، ولم أتماسك، فإذا عمود من حديد في ذروته حلقة من ذهب، فأخذ بيدي فزجل بي حتىٰ أخذت بالعروة، فقال: استمسك، فقلت: نعم، فضرب العمود برجله، فاستمسكت بالعروة، فقصصتها علىٰ رَسُول اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: «**رَأيتَ خيرًا، أما المَنهجُ العظيمُ فالمَحشَرُ، وأما الطَّريقُ الَّتي عرَضتْ عن يَسارِك فطريقُ أَهل النَّار، ولستَ من أهْلِها، وأما الطَّريق الَّتي عرضَت عن يمينكِ فطَريقُ أهل الجنَّة، وأما الجبلُ الزَّلق فمَنزلُ الشُّهداء، وأما العُروةُ الَّتي استَمسَكتَ بها فعروَةُ الإسْلام، فاستَمْسِك بها حتىٰ تَموتَ**». قال: فأنا أرجو أن أكون من أهل الجنة. قال: وإذا هو عبد الله بن سلام، رَواهُ الإمام أحْمَد، وابن أبي شيبة، وابن ماجَهْ(١).

وقد رَواهُ مُسْلم بأطول من هذا، ولفظه: عن خَرَشَة بن الحرِّ قال: كنت جالسًا في حلقة في مسجد المدينة، قال: وفيها شيخ حسن الهيئة، وهو عبد الله بن سلام، قال: فجعل يحدثهم حديثًا حسنًا، قال: فلما قام قال القوم: من سرَّه أن ينظر إلىٰ رجل من أهل الجنة فلينظر إلىٰ هذا، قال: فقلت: والله لأتبعنه فلأعلَمن مكان بيته، قال: فتبعته، فانطلق حتىٰ كاد أن يخرج من المدينة، ثم دخل منزله، قال: فاستأذنت عليه فأذن لي، فقال: ما حاجتك يا ابن أخي؟ قال: فقلت له: سمعت القوم يقولون لك لما قمتَ: من سرَّه أن ينظر إلىٰ رجل من أهل الجنة فلينظر إلىٰ هذا، فأعجبني أن أكون معك، قال: الله أعلم بأهل الجنة، وسأحدثك مِمَّ قالوا ذاك:

إني بينما أنا نائم إذ أتاني رجل فقال لي: قم، فأخذ بيدي فانطلقت معه، قال: فإذا

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٤٥٢) (٢٣٨٤١)، وابن أبي شيبة (٦/ ١٧٨) (٣٠٤٨٧)، وابن ماجه (٣٩٢٠)، وحسنه الألباني.

أنا بجواد عن شمالي، قال: فأخذت لآخذ فيها فقال لي: لا تأخذ فيها، فإنها طرق أصحاب الشمال، قال: فإذا جواد منهج علىٰ يميني، فقال لي: خذ ههنا، فأتىٰ بي جبلًا، فقال لي: اصعد، قال: فجعلت إذا أردتَ أن أصعد خررتُ علىٰ استي، قال: حتىٰ فعلتُ ذلك مرارًا، قال: ثم انطلق بي حتىٰ أتىٰ بي عمودًا رأسه في السماء، وأسفله في الأرض، في أعلاه حلقة، فقال لي: اصعد فوق هذا، قال: قلت: كيف أصعد هذا ورأسه في السماء؟ قال: فأخذ بيدي فزجل بي، قال: فإذا أنا متعلق بالحلقة، قال: ثم ضرب العمود فخرَّ.

قال: وبقيتُ متعلقًا بالحلقة حتىٰ أصبحتُ، قال: فأتيتُ النَّبِيَّ ﷺ فقصصتُها عليه، فقال: «**أما الطُّرق الَّتي رأيتَ عن يَسارِك فهي طرقُ أصحابِ الشِّمال، قال: وأما الطُّرق الَّتي رأيتَ عن يَمينكِ فهي طُرق أصحابِ اليَمين، وأما الجبَلُ فهو مَنزلُ الشُّهداء، ولن تَنالَه، وأما العَمودُ فهو عَمودُ الإسلام، وأما العُروةُ فهي عُروةُ الإسْلام، ولن تزالَ مُتمسِّكًا بها حتىٰ تموتَ**»(١).

قوله: (فإذا جواد منهج). قال النووي: «الجوادُّ جمع جادَّة، وهي الطريق البينة المسلوكة، والمشهور فيها «جوادُّ» بتشديد الدال. والنهج: الطريق المستقيم، وطريق منهج: بيِّن واضح. وقوله: زجل بي، أي: رمىٰ بي»(٢). انتهىٰ.

ومن المنامات الَّتي أَوَّلها رَسُول اللهِ ﷺ: رُؤْيَا عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، أنه يلعق سمنًا وعسلًا. وقد روىٰ ذلك الإمام أحْمَد، عن عبد الله بن

---

(١) أخرجه مسلم (٢٤٨٤).

(٢)«شرح صحييح مسلم» (١٦/ ٤٤).

عمرو رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قال: رأيت فيما يرىٰ النائم لكأن في إحدىٰ إصبعي سمنًا، وفي الأخرىٰ عسلًا، فأنا ألعقهما، فلما أصبحت ذكرت ذلك لرَسُول اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فقال: «**تَقرَأ الكِتابَين: التَّوراة والفُرْقان**» فكان يقرأهما(١). فيه ابن لهيعة، وقد حسَّن ابن عدي، وابن كثير، والهيثمي حديثه، وضعفه بعض الأئمة، وبقية رجاله ثقات.

ومن المنامات الَّتي أَوَّلَها رَسُول اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: ما جاء عن العبَّاس بن عبد المطلب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: رأيت في المنام كأن الأرض تنزع إلىٰ السماء بأشطان شداد، فقصصتُ ذلك علىٰ رَسُول اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فقال: «**ذلك وفاةُ ابن أخيك**»، رَواهُ البزار، والطَّبَراني. قال الهيثمي: ورجالهما ثقات(٢). وقد رواه الدَّارِمِي بإسْنَاد رجاله رجال الصَّحِيح، ولفظه: قال: رأيت في المنام كأن شمسًا أو قمرًا في الأرض ترفع إلىٰ السماء بأشطان شداد، فذكر ذلك للنبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فقال: «**ذاك ابن أخيك**» يعني رَسُول اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ نفسه(٣).

ومن المنامات الَّتي أَوَّلَها رَسُول اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: رُؤْيا أم الفضل بنت الحارث زوجة العبَّاس بن عبد المطلب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وعنها، أن في بيتها عضوًا من أعضاء رَسُول اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وقد جاء ذلك من ثلاث طرق عنها رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا:

أحدها: ما رَواهُ الإمام أحْمَد، عن عبد الله بن الحارث، عن أم الفضل رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا قالت: أتيت النَّبِي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فقلت: إني رأيت في منامي في بيتي أو حجرتي عضوًا

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٢٢٢) (٧٠٦٧) وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن، أحاديث قتيبة عن ابن لهيعة حسان، وباقي رجاله ثقات.

(٢) أخرجه البزار (٤/ ١٤١) بإسناد حسن لغيره.

(٣) أخرجه الدارمي (٢/ ١٣٧٧) (٢٢٠٣) بإسناد حسن.

من أعضائك، قال: «**تَلِد فاطمةُ -إن شاء الله- غُلامًا، فتكفُلينَه**»، فولدت فاطمة حسنًا فدفعته إليها، فأرضعته بلبن قُثَم... الحَدِيث، وإسْنَاده صَحِيح علىٰ شرط الشَّيْخَين، وقد جاء في آخره: «**إنَّما يُغسل بولُ الجَارية، ويُصبُّ علىٰ بَوْل الغُلَام**»[١].

الطريق الثاني: عن قابوس بن المخارق، عن أم الفضل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: رأيت كأن في بيتي عضوًا من أعضاء رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قالت: فجزعت من ذلك، فأتيت رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فذكرت ذلك له فقال: «**خيرًا، تلد فاطمةُ غلامًا فتكفلينه بلبن ابنك قُثَم**»، قالت: فولدت حسنًا فأعطيته فأرضعته حتىٰ تحرك أو فطمته... الحَدِيث، رَواهُ الإمام أحْمَد، وابن ماجَهْ، والطَّبَراني في «الكبير»، ورجاله كلهم ثقات. وقد جاء في آخره عند أحْمَد، والطَّبَراني: «**إنما يُغسل بولُ الجَارية، ويُنضَح بولُ الغُلام**»[٢]. وقد قيل: إن فيه انقطاعًا بين قابوس بن المخارق، وبين أم الفضل؛ والصَّحِيح أنه لا انقطاع فيه، فقد ذكر المزي في «تهذيب الكمال»[٣] أن قابوس بن المخارق روىٰ عن أم الفضل، وذكر ذلك غيره أيضًا.

وقد روىٰ أبو داود، وابن ماجَهْ، وابن خزيمة في «صحيحه»، والحاكم في «المستدرك» طرفًا من آخر هذا الحَدِيث في حكم بول الجارية، وبول الغلام، وأنه يغسل من بول الجارية، وينضح من بول الغلام[٤]، وقد رووه كلهم من طريق

---

(١) أخرجه أحمد (٦/ ٣٣٩) (٢٦٩٢١)، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين.

(٢) أخرجه أحمد (٦/ ٣٣٩) (٢٦٩١٧) وقال شعيب الأرنؤوط: «حديث صحيح»، ابن ماجه (١/ ١٧٤) (٥٢٢)، والطبراني (٢٥/ ٢٥) (٣٨).

(٣) (٢٣/ ٣٣٠).

(٤) أخرجه أحمد (٦/ ٣٣٩) (٢٦٩١٧)، وأبو داود (٣٧٥)، وابن ماجه (٥٢٢)، وابن

قابوس بن المخارق، عن لُبابة بنت الحارث -وهي أم الفضل- وصححه الحاكم، والذهبي. ولو كان فيه انقطاع لبيَّنوه، وقد رَواهُ الطَّبَراني في «الكبير»(١) أيضًا من طريق قابوس بن المخارق، عن أبيه، عن أم الفضل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وهذا من المَزِيدِ في مُتَّصِلِ الأسانيد.

الطريق الثالث: عن أبي عمار شداد بن عبد الله، عن أم الفضل بنت الحارث رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أنها دخلت علىٰ رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقالت: يا رَسُول اللهِ، إني رأيتُ حلمًا منكرًا الليلة، قال: «**ومَا هُو؟**» قالت: إنه شديد، قال: «**وَمَا هُوَ؟**» قالت: رأيت كأن قطعة من جسدك قطعت، ووضعت في حجري، فقال رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**رَأيتِ خيرًا، تلِدُ فاطمةُ -إن شاء اللهُ- غُلامًا فيكون في حجْرِكِ**» فولدت فاطمة الحُسين فكان في حجري كما قال رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. رَواهُ الطَّبَراني في «الكبير»، والحاكم(٢)، وقال: صَحِيح علىٰ شرط الشَّيْخَين. وتعقبه الذهبي فقال: بل منقطع، فإن شدادًا لم يدرك أم الفضل، ومُحمَّد بن مصعب ضعيف، قلت: يشهد له ما تقدم قبله من حديث عبد الله بن الحارث، وقابوس بن المخارق.

ومن الرُّؤْيَا الَّتي أَوَّلها رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مرتين أو ثلاثًا فوقعت علىٰ وفق تَأْويله، ثم أَوَّلتها عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بخلاف ما كان رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يئولها عليه فوقعت علىٰ وفق تَأْويل عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا. وقد جاء ذلك فيما رَواهُ سليمان بن

=

خزيمة (١/ ١٧٧) (٢٨٣)، والحاكم (١/ ٢٧١) (٥٨٨)، والبيهقي (٢/ ٤١٤) (٣٩٥٧)، وصححه الألباني.

(١) (٢٥/ ٢٥) (٣٨).

(٢) أخرجه الطبراني (٢٥/ ٢٧) (٢١١٥٧)، والحاكم (٣/ ١٩٤) (٤٨١٨).

يسار، عن عائشة زوج النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: كانت امرأة من أهل المدينة لها زوج تاجر يختلف، فكانت ترىٰ رُؤْيَا كلما غاب عنها زوجها، وقلما يغيب إلا تركها حاملًا، فتأتي رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فتقول: إن زوجي خرج تاجرًا فتركني حاملًا، فرأيت فيما يرىٰ النائم أن سارية بيتي انكسرت، وأني ولدت غلامًا أعور، فقال رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**خَيْرٌ، يَرجع زوجُك عليكِ -إن شاء الله تَعالَىٰ- صالحًا، وتلدين غلامًا برًّا**» فكانت تراها مرتين أو ثلاثًا. كل ذلك تأتي رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيقول ذلك لها، فيرجع زوجها، وتلد غلامًا.

فجاءت يومًا كما كانت تأتيه، ورَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غائب، وقد رأت تلك الرُّؤْيَا، فقلتُ لها: عَمَّ تسألين رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يا أمةَ الله؟ فقالت: رُؤْيَا كنت أراها، فآتي رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأسأله عنها فيقول: «**خيرًا**»، فيكون كما قال، فقلت: فأخبريني ما هي؟ قالت: حتىٰ يأتي رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأعرضها عليه كما كنت أعرض، فوالله ما تركتها حتىٰ أخبرتني، فقلت: والله لئن صدقت رُؤْيَاك ليموتنَّ زوجك، ولتَلِدِين غلامًا فاجرًا، فقعدت تبكي، وقالت: ما لي حين عرضتُ عليكِ رُؤْيَاي؟! فدخل رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهي تبكي، فقال لها: «**ما لها يا عائشةُ؟**» فأخبرته، وما تأوّلت لها، فقال رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَهْ يا عائشة! إذا عبرتم للمُسْلم الرُّؤْيَا فاعبُروها علىٰ خير، فإن الرُّؤْيَا تكون علىٰ ما يعبرها صاحبُها**» فمات -واللهِ- زوجُها، ولا أراها إلا ولدت ولدًا فاجرًا[١].

رَواهُ الدَّارِمِي، وفي إسْنَاده ابن إسحاق، وقد عنعن، وهو مدلس، وبقية رجاله

---

(١) أخرجه الدارمي (٢٢٠٩).

رجال الصَّحِيح. وقد ذكر الحافظ ابن حجر هذا الحَدِيث في «فتح الباري»[1] في الكلام علىٰ «باب من لم ير الرُّؤْيَا لأول عابر إذا لم يصب»، وقال: سنده حسن، وذكر أيضًا نحوه من مرسل عطاء بن أبي رباح عند سعيد بن منصور.

فصل

في ذكر ما أَوَّلَه أبو بكر الصديق رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ من أنواع الرُّؤْيَا

فمن ذلك: ما جاء في حديث ابن عبَّاس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، أن رجلًا أتىٰ رَسُول اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فقال: إني رأيت الليلة في المنام ظُلَّة تنطف السمن والعسل، فأرىٰ النَّاس يتكففون منها، فالمستكثر، والمستقل، وإذا سبب واصل من الأرض إلىٰ السماء، فأراك أخذت به فعلوت، ثم أخذ به رجل من بعدك فعلا، ثم أخذ به رجل آخر فعلا، ثم أخذ به رجل آخر فانقطع به، ثم وصل له فعلا، فقال أبو بكر: يا رَسُول اللهِ، بأبي أنت، والله لتدعنِّي فلأعبرنَّها، قال رَسُول اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**اعبُرْها**»، قال أبو بكر: أما الظُّلَّة فظلة الإسلام، وأما الَّذي ينطف من السمن والعسل فالقرآن حلاوته ولينه، وأما ما يتكفف النَّاس من ذلك فالمستكثر من القرآن والمستقل، وأما السبب الواصل من السماء إلىٰ الأرض فالحق الَّذي أنت عليه تأخذ به فيعليك الله به، ثم يأخذ به رجل من بعدك فيعلو به، ثم يأخذ به رجل آخر فيعلو به، ثم يأخذ به رجل آخر فينقطع به، ثم يوصل له فيعلو به.

---

(١) (١٢/ ٤٣٢).

فأخبرني يا رَسُول اللهِ بأبي أنت، أصبتُ أم أخطأتُ؟ قال رَسُول اللهِ صَلَّاَللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**أصبتَ بعضًا، وأخطأتَ بعضًا**»، قال: فوالله يا رَسُول اللهِ، لتحدثني ما الَّذي أخطأتُ؟ قال: «**لا تقْسِم**»، رَواهُ الإمام أحْمَد، والبُخارِي، ومُسْلم، وأبو داود، والتِّرْمِذي، وابن ماجَهْ، وابن أبي شيبة، والدَّارِمِي، وغيرهم. وقال التِّرْمِذي: هذا حديث حسن صَحِيح[١].

قال النووي في «شرح مُسْلم»[٢]: «هذا الحَدِيث دليل لما قاله العلماء: إن إبرار المقسم المأمور به في الأحَادِيث الصَّحِيحة إنما هو إذا لم تكن في الإبرار مفسدة، ولا مشقة ظاهرة، فإن كان لم يؤمر بالإبرار؛ لأن النَّبِي صَلَّاَللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ لم يَبرَّ قسمَ أبي بكر، لما رأىٰ في إبراره من المفسدة، ولعل المفسدة ما علمه من سبب انقطاع السبب مع عثمان، وهو قتله، وتلك الحروب، والفتن المترتبة عليه، فكره ذكرها مخافةً من شيوعها، أو أن المفسدة لو أنكر عليه مبادرته، ووبخه بين النَّاس، أو أنه أخطأ في ترك تعيين الرجال الَّذين يأخذون بالسبب بعد موت النَّبِي صَلَّاَللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، وكان في بيانه صَلَّاَللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ أعيانهم مفسدة، والله أعلم، قال: وفيه أنه لا يستحب إبرار المقسم إذا كان فيه مفسدة أو مشقة ظاهرة» انتهىٰ.

---

(١) أخرجه أحمد (١٨٩٤)، والبخاري (٧٠٤٦)، ومسلم (٢٢٦٩)، وأبو داود (٤٦٣٣)، والترمذي (٢٢٩٣)، والنسائي في «الكبرىٰ» (٧/ ١١١) (٧٥٩٣)، وابن ماجه (٣٩١٨)، وابن أبي شيبة (٦/ ١٧٦) (٣٠٤٨١)، والدارمي (٢١٦٢). والظلة: كالسحابة، تظل مَن تحتها. تنطف: تقطر. يتكففون: التكفف: مد الأيدي للأخذ، أي: يأخذون بأكفهم. السبب: الحبل، وكل ما يتوصل به إلىٰ ما يتعذر الوصول إليه فهو سبب.

(٢) (١٥/ ٢٩).

ومن ذلك: ما رَواهُ ابن أبي شيبة[١]، عن مسروق قال: مرَّ صهيب بأبي بكر فأعرض عنه، فقال: ما لك أعرضتَ عني، أبَلَغَكَ شيء تكرهه؟ قال: لا والله، إلا لرُؤْيَا رأيتها كرهتها، قال: وما رأيتَ؟ قال: رأيتُ يدك مغلولة إلىٰ عنقك علىٰ باب رجل من الأنصار يقال له: أبو الحشر، فقال أبو بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: نِعمَ ما رأيتَ، جُمع لي ديني إلىٰ يوم الحشر.

ومن ذلك: ما رَواهُ ابن أبي شيبة[٢]، عن أبي قلابة، أن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قالت لأبيها: إني رأيت في النوم كأن قمرًا وقع في حجرتي، حتىٰ ذكرت ذلك ثلاث مرات، فقال أبو بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: إن صدقت رُؤْيَاك دفن في بيتك خير أهل الأرض ثلاثة. رجاله رجال الصَّحِيح، إلا أنَّه مرسل؛ لأن أبا قلابة لم يرو عن عائشة مباشرة.

وروىٰ مالك في «الموطأ»[٣]، عن يحيىٰ بن سعيد، أن عائشة زوج النَّبِي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قالت: رأيت ثلاثة أقمار سقطن في حجْري «حُجرتي»، فقصصتُ رُؤْيَاي علىٰ أبي بكر الصديق، قالت: فلما توفي رَسُول اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ودفن في بيتها، قال لها أبو بكر: هذا أحد أقمارك، وهو خيرها. وهذا فيه انقطاع؛ لأن يحيىٰ بن سعيد لم يدرك عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا.

وقد رَواهُ الحاكم في «المستدرك»[٤] من طريق مالك، عن يحيىٰ بن سعيد الأنصاري، عن عمرة عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قالت: رأيت في المنام كأن ثلاثة أقمار

---

(١) في «مصنفه» (٦/ ١٧٩) (٣٠٤٩٦).

(٢) في «مصنفه» (٦/ ١٧٩) (٣٠٤٩٧).

(٣) (١/ ٢٣٢) (٣٠).

(٤) (٤/ ٤٣٧) (٨١٩٢).

سقطن في حجرتي، فقصصت رُؤْيَاي علىٰ أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فلما دفن النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في بيتي قال أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: هذا أحد أقمارك، وهو خيرها. قال الحاكم: صَحِيح الإِسْنَاد، ووافقه الذهبي علىٰ تصحيحه.

ورواه الطَّبَراني في «الكبير»، والحاكم، والبيهقي في «دلائل النُّبُوَّة» من طريق يحيىٰ بن سعيد، عن سعيد بن المسيب قال: قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: رأيت كأن ثلاثة أقمار سقطن في حجرتي، فسألت أبا بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال: يا عائشة، إن تصدق رُؤْيَاك يُدفن في بيتك خير أهل الأرض ثلاثة، فلما قبض رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ودفن قال لي أبو بكر: يا عائشة، هذا خير أقمارك، وهو أحدها. قال الحاكم: صَحِيح علىٰ شرط الشَّيْخَين، ووافقه الذهبي في «تلخيصه»[١].

ورواه الطَّبَراني أيضًا بإِسْنَاد صَحِيح، عن أيوب، عن نافع، أو مُحمَّد بن سيرين، عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا... فذكره بنحو رواية سعيد بن المسيب، عن عائشة، وزاد في آخره: ودفن في بيتها أبو بكر، وعمر[٢]. قال الهيثمي: رجال «الكبير» رجال الصَّحِيح.

وروىٰ الحاكم تَأْويل هذه الرُّؤْيَا مرفوعًا، من طريق موسىٰ بن عبد الله السلمي، حدَّثَنا عمر بن حماد بن سعيد الأبح، عن ابن أبي عروبة، عن قتادة، عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعجبه الرُّؤْيَا، قال: «**هل رأىٰ منكم رُؤْيَا اليوم؟**» فقالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: رأيت كأن ثلاثة أقمار سقطن في حجرتي، فقال لها

---

(١) أخرجه الطبراني (٢٣/ ٤٧) (١٢٦)، والحاكم (٣/ ٦٢) (٤٤٠٠)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٧/ ٢٦١).

(٢) أخرجه الطبراني (٢٣/ ٤٨) (١٩٠٨١).

النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إنْ صَدقت رُؤْيَاك دُفن في بيتك ثلاثةٌ هُم أَفضَلُ أو خيرُ أَهل الأرْض**»، فلما توفي النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ودفن في بيتها قال لها أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: هذا أحد أقمارك، وهو خيرها، ثم توفي أبو بكر وعمر فدفنا في بيتها[١].

قال الذهبي في «تلخيص المستدرك»: «عمر بن حماد بن سعيد الأبح أحد الضعفاء، تفرد به عنه موسىٰ بن عبد الله السلمي، لا أدري من هو» انتهىٰ.

وقد رَواهُ الطَّبَراني في «الكبير» بالإسْنَاد المذكور في رواية الحاكم، عن قتادة، عن الحسن، عن أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال... فذكره بمعنىٰ ما تقدم في رواية الحاكم، عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[٢]. قال الهيثمي: فيه عمر بن سعيد الأبح، وهو ضعيف.

ومن المنامات الَّتي أَوَّلَها أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ما جاء في رواية مجالد، عن الشعبي قال: قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لأبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إني رأيت في المنام بقرًا ينحرن حولي، قال: إن صدقت رُؤْيَاك قتلت حولك فئة. رَواهُ ابن أبي شيبة، وفيه مجالد، وهو ضعيف[٣].

وروىٰ ابن أبي شيبة أيضًا بإسْنَاد صَحِيح، عن مسروق، عن عائشة قالت: رأيتني علىٰ تلٍّ كأن حولي بقرًا ينحرن. فقال مسروق: إن استطعت أن لا تكوني أنت هي فافعلي، قال: فابتُلِيتْ بذلك رَحِمَهَا اللَّهُ[٤].

---

(١) أخرجه الحاكم (٣/ ٦٣) (٤٤٠١).

(٢) أخرجه الطبراني كما في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٨٥).

(٣) رواه ابن أبي شيبة (٦/ ١٨٠) (٣٠٥٠٠).

(٤) رواه ابن أبي شيبة (٦/ ١٨١) (٣٠٥١٣).

ورواه الحاكم في «المستدرك»[١]، عن مسروق قال: قالت لي عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: إني رأيتني علىٰ تلٍّ، وحولي بقر تنحر، فقلت لها: لئن صدقت رُؤْيَاك لتكونن حولك ملحمة، قالت: أعوذ بالله من شَرِّك، بئس ما قلتَ! فقلتُ لها، فلعله إن كان أمرًا سيسوؤك، فقالت: والله لئن أَخَر من السماء أحبُّ إليَّ من أن أفعل ذلك. قال الحاكم: صَحِيح علىٰ شرط الشَّيْخَين، ووافقه الذهبي في «تليخصه».

ومن ذلك: ما رَواهُ ابن أبي شيبة، عن معتمر، عن أيوب، عن أبي قلابة، أن رجلًا أتىٰ أبا بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال: إني رأيت في النوم كأني أبول دمًا، قال: أراك تأتي امرأتك وهي حائض، قال: نعم، قال: فاتق الله[٢]. وهذا مرسل صَحِيح الإِسْنَاد.

ومن ذلك: ما رَواهُ ابن أبي شيبة، عن مجالد، عن الشعبي قال: أتىٰ رجل أبا بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال: إني رأيت في المنام كأني أجري ثعلبًا، قال: أنت رجل كذوب، فاتق الله، ولا تعد[٣]. وهذا مرسل ضعيف الإِسْنَاد.

ومن ذلك: ما رَواهُ عبد الرزاق، عن معمر، عن أيوب، عن ابن سيرين قال: رأىٰ عبد الله بن بُدَيل رُؤْيَا، فقصَّها علىٰ أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال: إن صدقت رُؤْيَاك فإنك ستقتل في أمر ذي لبس[٤]، فقتل يوم صفين[٥]. وهذا مرسل صَحِيح الإِسْنَاد.

---

(١) (٤/ ١٤) (٦٧٤٤).

(٢) رواه ابن أبي شيبة (٦/ ١٨٠) (٣٠٤٩٨).

(٣) رواه ابن أبي شيبة (٦/ ١٨٠) (٣٠٤٩٩).

(٤) ألبس عليه الأمر: اشتبه واختلط.

(٥) رواه عبد الرزاق (١١/ ٢١٣) (٢٠٣٥٨).

ومن ذلك: ما ذكره الواقدي في قصة إسلام خالد بن الوليد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنه قال: أرى في النوم كأني في بلاد ضيقة مجدبة فخرجت في بلاد خضراء واسعة، فقلت: إن هذه لرُؤْيَا، فلما أن قدمت المدينة قلت: لأذكرنها لأبي بكر، فقال: مخرجك الَّذي هداك الله للإسلام، والضيق الَّذي كنت فيه من الشرك(١).

ومن ذلك: ما رَواهُ ابن أبي شيبة، عن علي بن زيد، وأبي عمران الجوني، أن سمرة بن جندب قال لأبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: رأيت في المنام كأني أفتل شريطًا، وأضعه إلى جنبي، ونفر يأكله، قال: تزوج امرأة ذات ولد يأكل كسبك. قال: ورأيت ثورًا خرج من جُحر فلم يَسْتَطِعْ يَعُودُ فيه، قال: هذه العظيمة تَخرج مِن في الرجل فلا يستطيع أن يردها(٢).

فصل

في ذكر ما رآه عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأَوَّلَه، وما أَوَّلَه له غيره، وما أَوَّلَه لغيره

فمن ذلك: ما رَواهُ الإمام أحْمَد بأسانيد صَحِيحة، عن معدان بن أبي طلحة اليعمري، أن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قام على المنبر يوم الجمعة، فحمد الله، وأثنى عليه، ثم ذكر رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وذكر أبا بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ثم قال: رأيت رُؤْيَا لا أراها إلا لحضور أجلي، رأيت كأن ديكًا نقرني نقرتين. زاد في إحدى الروايات

---

(١) رواه البيهقي في «دلائل النبوة» (٤/ ٣٥٠).

(٢) رواه ابن أبي شيبة (٦/ ١٨٢) (٣٠٥١٦).

قال: وذكر لي أنه ديك أحمر، فقصصتها علىٰ أسماء بنت عُميس امرأة أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فقالت: يقتلك رجل من العجم[١].

وقد رَواهُ ابن أبي شيبة، وابن سعد، بدون الزيادة الَّتي في إحدىٰ روايات أحْمَد[٢]. ورواه الحاكم، ولفظه قال: إني رأيت في المنام كأن ديكًا نقرني ثلاث نقرات، فقلت: أعجمي[٣].

وروىٰ الإمام أحْمَد أيضًا بإسْنَاد صَحِيح، عن جويرية بن قُدامة قال: حَججت فأتيتُ المدينة العام الَّذي أصيب فيه عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: فخطب فقال: إني رأيت كأن ديكًا أحمر نقرني نقرة أو نقرتين، فكان من أمره أنه طعن[٤].

وقد رَواهُ ابن أبي شيبة[٥]، وابن سعد بنحوه، وليس في روايتهما وصف الديك بأنه أحمر، وزاد ابن سعد: فما عاش إلا تلك الجمعة حتىٰ طعن[٦].

وروىٰ ابن أبي شيبة، عن عبد الله بن الحارث الخزاعي، قال: سمعت عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول في خطبته: إني رأيت البارحة ديكًا نقرني، ورأيته يجليه النَّاس عني، فلم يلبث إلا قليلًا حتىٰ قتله عبد المغيرة أبو لؤلؤة[٧].

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ١٥) (٨٩) وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح علىٰ شرط مسلم.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (٧/ ٤٣٧) (٣٧٠٦٢)، وابن سعد (٣/ ٣٣٥).

(٣) رواه الحاكم (٣/ ٩٧) (٤٥١١).

(٤) أخرجه أحمد (١/ ٥١) (٣٦٢) وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح علىٰ شرط البخاري.

(٥) (٦/ ١٨٠) (٣٠٥٠٢).

(٦) رواه ابن سعد (٣/ ٢٥٦).

(٧) رواه ابن أبي شيبة (٦/ ١٨٠) (٣٠٥٠٣).

وروىٰ ابن أبي شيبة أيضًا عن زيد بن أسلم، عن أبيه قال: خطب عمر النَّاس فقال: إني رأيت في منامي ديكًا أحمر نقرني علىٰ معقد إزاري ثلاث نقرات، فاستعبرتها أسماء بنت عميس فقالت: إن صدقت رُؤْيَاك قتلك رجل من العجم(١).

وروىٰ ابن سعد، عن سعيد بن أبي هلال، أنه بلغه أن عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ خطب النَّاس يوم الجمعة فحمد الله، وأثنىٰ عليه بما هو أهله، ثم قال: أما بعد؛ أيها النَّاس، إني رأيت رُؤْيَا لا أراها إلا لحضور أجلي، رأيت أن ديكًا أحمر نقرني نقرتين، فحدثتها أسماء بنت عميس، فحدثتني أنه يقتلني رجل من الأعاجم(٢).

وروىٰ ابن سعد أيضًا، عن أيوب، عن مُحمَّد، قال: قال عمر: رأيت كأن ديكًا نقرني نقرتين، فقلت: يسوق الله إليَّ الشهادة، ويقتلني أعجم أو عجمي(٣).

ومن ذلك: ما رَواهُ ابن أبي شيبة، عن ثابت، عن أنس بن مالك، أن أبا موسىٰ الأشعري أو أنسًا قال: رأيتُ في المنام كأني أخذت جوادًا كثيرة فسلكتها حتىٰ انتهيت إلىٰ جبل، فإذا رَسُول اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فوق الجبل، وأبو بكر إلىٰ جنبه، وجعل يومي بيده إلىٰ عمر، فقلت: إنا لله وإنا إليه راجعون، مات والله عمر، فقلت: ألا تكتب به إلىٰ عمر، فقال: ما كنت أكتب أنعي إلىٰ عمر نفسه(٤). ورواه ابن سعد، عن ثابت البناني، عن أنس بن مالك، عن أبي موسىٰ الأشعري، قال: رأيت كأني أخذت جوادًا كثيرة، فاضمحلت، حتىٰ

---

(١) رواه ابن أبي شيبة (٦/ ١٨٠) (٣٠٥٠٦).

(٢) رواه ابن سعد في «الطبقات الكبرىٰ» (٣/ ٢٥٥).

(٣) رواه ابن سعد (٣/ ٢٥٥).

(٤) رواه ابن أبي شيبة (٦/ ١٨٣) (٣٠٥٢١).

بقِيَت جادة واحدة فسلكتها... ثم ذكر بقيته بنحو ما تقدم[١].

ومن ذلك: ما رَواهُ ابن سعد في «الطبقات»[٢]، عن أبي بردة، عن أبيه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: رأىٰ عوف بن مالك أن النَّاس قد جُمعوا في صعيد واحد، فإذا رجل قد علا النَّاس بثلاثة أذرع، قلت: من هذا؟ قال: عمر بن الخطاب، قلت: بِمَ يعلوهم؟ قال: إن فيه ثلاث خصال، لا يخاف في الله لومة لائم، وإنه شهيد مستشهد، وخليفة مستخلف، فأتىٰ عوف أبا بكر، فحدَّثه، فبعث إلىٰ عمر فبشَّره، فقال أبو بكر: قصَّ رُؤْيَاك، قال: فلما قال: خليفة مستخلف؛ انتهره عمر فأسكته، فلما ولي عمر انطلق إلىٰ الشام، فبينما هو يخطب إذ رأىٰ عوف بن مالك فدعاه فصعد معه المنبر فقال: اقصص رُؤْيَاك، فقصَّها، فقال: أما أني لا أخاف في الله لومة لائم، فأرجو أن يجعلني الله فيهم، وأما خليفة مستخلف فقد استخلفت، فأسأل الله أن يعينني علىٰ ما ولاني، وأما شهيد مستشهد فأنىٰ لي الشهادة، وأنا بين ظهراني جزيرة العرب، لست أغزو النَّاس حولي، ثم قال: ويلي، ويلي[٣] يأتي بها الله إن شاء الله.

وقد رَواهُ ابن عبد البر في «الاستيعاب»[٤] بنحوه.

ومن ذلك: ما رَواهُ ابن أبي شيبة، حدَّثَنا ابن فضيل، عن عطاء بن السائب قال: حدثني غير واحد، أن قاضيًا من قضاة أهل الشام أتىٰ عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال: يا أمير المُؤْمنين، رأيت رُؤْيَا أفظعتني، قال: ما هي؟ قال: رأيت الشمس والقمر

---

(١) رواه ابن سعد (٣/ ٢٥٣).

(٢) (٣/ ٢٥٢).

(٣) قوله: ويلي ويلي، كذا هو في «الطبقات»، وصوابه: بلىٰ، كما قد جاء ذلك في «الاستيعاب».

(٤) (٣/ ١١٥٦).

يقتتلان، والنجوم معهما نصفين، قال: فمع أيهما كنت؟ قال: مع القمر على الشمس، قال عمر: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ [الإسراء: ١٢] قال: فانطلق، فوالله لا تعمل لي عملًا أبدًا(١).

وقد ذكر هذه القصة ابن عبد البر في كتابه «بهجة المجالس»(٢)، وقال في آخرها: فعزله، وقتل مع معاوية بصفين.

ومن ذلك: ما رَواهُ عبد الرزاق، عن معمر، عن قتادة قال: جاء رجل إلى عمر بن الخطاب فقال: إني رأيت كأن الأرض أعشبت، ثم أجدبت، ثم أعشبت، ثم أجدبت. فقال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنت رجل تؤمن، ثم تكفر، ثم تؤمن، ثم تكفر، ثم تموت كافرًا، فقال الرجل: لم أر شيئًا، فقال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ﴿قُضِيَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾ [يوسف: ٤١]، قد قضي لك ما قضي لصاحب يوسف(٣).

فصل

في ذكر منامات متفرقة

فمن ذلك: ما رَواهُ ابن سعد في «الطبقات»(٤)، عن حرام بن عثمان الأنصاري قال: قدم أسعد بن زرارة من الشام تاجرًا في أربعين رجلًا من قومه، فرأى رُؤْيَا أَنَّ آتيًا أتاه فقال: إن نبيًّا يخرج بمكة يا أبا أمامة فاتبعه، وآية ذلك أنكم تنزلون منزلًا فيصاب

---

(١) رواه ابن أبي شيبة (٦/ ١٨٠) (٣٠٥٠٥).

(٢) (١/ ٢٠٢).

(٣) رواه عبد الرزاق (١١/ ٢١٥) (٢٠٣٦٢).

(٤) (١/ ١٣١).

أصحابك فتنجو أنت، وفلان يطعن في عينه، فنزلوا منزلًا، فبيتهم الطاعون فأصيبوا جميعًا غير أبي أمامة، وصاحب له طعن في عينه.

ومن ذلك: ما رَواهُ ابن سعد أيضًا، عن صالح بن كيسان أن خالد بن سعيد قال: رأيت في المنام قبل مبعث النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ظلمةً غشيت مكة حتىٰ ما أرىٰ جبلًا ولا سهلًا، ثم رأيت نورًا يخرج من زمزم مثل ضوء المصباح، كلما ارتفع عظم وسطع، حتىٰ ارتفع، فأضاء لي أول ما أضاء البيت، ثم عظم الضوء حتىٰ ما بقي من سهل ولا جبل إلا وأنا أراه، ثم سطع في السماء، ثم انحدر حتىٰ أضاء في نخل يثرب فيها البسر، وسمعت قائلًا يقول في الضوء: سبحانه سبحانه! تمت الكلمة، وهلك ابن مارد بِهَضَبةِ الحصىٰ بين أذرح والأكمة، سعدت هذه الأمة، جاء نبي الأميين، وبلغ الكتاب أجله، كذبته هذه القرية، تعذب مرتين، تتوب في الثالثة، ثلاث بقيت، ثنتان بالمشرق، وواحدة بالمغرب؛ فقصَّها خالد بن سعيد علىٰ أخيه عمرو بن سعيد فقال: لقد رأيت عجبًا، وإني لأرىٰ هذا أمرًا يكون في بني عبد المطلب، إذ رأيتَ النور خرج من زمزم(١).

ومن ذلك: المنامُ العجيب الَّذي رأته عاتكة بنت عبد المطلب رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قبل وقعة بدر بأيام، ووقع تَأْويله يوم بدر. وقد روي ذلك من طرق:

منها: ما رَواهُ ابن إسحاق، قال: حدثني مُحمَّد بن مُسْلم الزهري، وعاصم بن عمر بن قتادة، وعبد الله بن أبي بكر، ويزيد بن رومان، عن عروة بن الزبير، وغيرهم من علمائنا، عن ابن عبَّاس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، كلٌّ قد حدثني بعض هذا الحَدِيث، فاجتمع

---

(١) «الطبقات الكبرىٰ» (١/ ١٣٢).

حديثهم فيما سقت من حديث بدر، قالوا: لما سمع رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأبي سفيان مقبلًا من الشام ندب المُسْلمين إليهم، وقال: هذه عير قريش فيها أموالهم، فاخرجوا إليها، لعل الله ينفلكموها، فانتدب النَّاس، فخفَّ بعضهم، وثَقُل بعضهم، وذلك أنهم لم يظنوا أن رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يلقىٰ حربًا، وكان أبو سفيان حين دنَا من الحجاز يتحسَّس الأخبار، ويسأل من لقي من الركبان تخوفًا علىٰ أمر النَّاس، حتىٰ أصاب خبرًا من بعض الركبان أن مُحمَّدًا قد استنفر أصحابه لك ولعِيرِكَ، فحذر عند ذلك، فاستأجر ضمضم بن عمرو الغفاري، فبعثه إلىٰ مكة، وأمره أن يأتي قريشًا فيستنفرهم إلىٰ أموالهم، ويخبرهم أن مُحمَّدًا قد عرض لها في أصحابه، فخرج ضمضم بن عمرو سريعًا إلىٰ مكة.

قال ابن إسحاق: فأخبرني من لا أتَّهم، عن عكرمة، عن ابن عبَّاس، ويزيد بن رومان، عن عروة بن الزبير، قالا: وقد رأت عاتكة بنت عبد المطلب قبل قدوم ضمضم مكة بثلاث ليال رُؤْيَا أفزعتها، فبعثت إلىٰ أخيها العبَّاس بن عبد المطلب، فقالت له: يا أخي، والله لقد رأيت الليلة رُؤْيَا أفظعتني، وتخوفت أن يدخل علىٰ قومك منها شر ومصيبة، فاكتم عني ما أحدثك به، فقال لها: وما رأيتِ؟ قالت: رأيت راكبًا أقبل علىٰ بعير له حتىٰ وقف بالأبطح، ثم صرخ بأعلىٰ صوته: ألا انفروا يا آل غُدر لمصارعكم في ثلاث، فأرىٰ النَّاس اجتمعوا إليه، ثم دخل المسجد، والنَّاس يتبعونه، فبينما هم حوله مَثَلَ به بعيره علىٰ ظهر الكعبة، ثم صرخ بمثلها: ألا انفروا يا آل غُدر لمصارعكم في ثلاث، ثم مَثَلَ به بعيره علىٰ رأس أبي قُبيس، فصرخ بمثلها، ثم أخذ صخرة فأرسلها، فأقبلت تهوي حتىٰ إذا كانت بأسفل الجبل ارفضت، فما بقي بيت من بيوت مكة، ولا دار إلا دخلتها منها فلقة.

قال العبَّاس: والله إن هذه لرُؤْيَا، وأنتِ فاكتُميها، ولا تذكريها لأحد. ثم خرج العبَّاس فلقي الوليد بن عتبة بن ربيعة -وكان له صديقًا- فذكرها له، واستكتمه إياها، فذكرها الوليد لأبيه عتبة، ففشا الحَدِيث بمكة حتىٰ تحدَّثت به قريش. قال العبَّاس: فغدوت لأطوف بالبيت، وأبو جهل بن هشام في رهط من قريش قعود يتحدثون برُؤْيَا عاتكة، فلما رآني أبو جهل قال: يا أبا الفضل، إذا فرغت من طوافك فأقبل إلينا، حتىٰ جلست معهم، فقال لي أبو جهل: يا بني عبد المطلب، متىٰ حدثت فيكم هذه النَّبِية؟ قال: قلت: وما ذاك؟ قال: تلك الرُّؤْيَا الَّتي رأت عاتكة، قال: فقلت: وما رأت؟ قال: يا بني عبد المطلب، أما رضيتم أن يتنبأ رجالكم حتىٰ تتنبأ نساؤكم؟! وقد زعمت عاتكة في رُؤْيَاها أنه قال: انفروا في ثلاث، فسنتربص بكم هذه الثلاث، فإن يكن حقًّا ما تقول فسيكون، وإن تمض الثلاث ولم يكن من ذلك شيء نكتب عليكم كتابًا أنكم أكذب أهل بيت في العرب.

قال العبَّاس: فوالله ما كان منِّي إليه كبير شيء إلا أني جحدتُ ذلك، وأنكرتُ أن تكون رأت شيئًا، قال: ثم تفرقنا، فلما أمسيت لم تبق امرأة من بني عبد المطلب إلا أتتني فقالت: أقررتم لهذا الفاسق الخبيث أن يقع في رجالكم، ثم قد تناول النساء، وأنت تسمع، ثم لم يكن عندك غِيَرٌ لشيء مما سمعتَ؟! قال: قلت: قد والله فعلتُ ما كان مني إليه من كبير، وايم الله، لأتعرضن له، فإن عاد لأكفيكنَّه، قال: فغدوتُ في اليوم الثالث من رُؤْيَا عاتكة، وأنا حديد مغضب، أرىٰ أني قد فاتني منه أمر أحبُّ أن أدركَه منه، قال: فدخلت المسجد، فرأيته، فوالله إني لأمشي نحوه أتعرضه ليعود لبعض ما قال فأقع به، وكان رجلًا خفيفًا حديد الوجه، حديد اللسان، حديدَ النظر، قال: إذ خرج نحو باب المسجد يشتد، قال:

فقلت في نفسي: ما له لعنه الله! أكلُّ هذا فَرَقٌ منِّي أن أشاتمه؟!

قال: وإذا هو قد سمع ما لم أسمع، صوت ضمضم بن عمرو الغفاري، وهو يصرخ ببطن الوادي، واقفًا علىٰ بعيره قد جدع بعيره، وحول رحله، وشق قميصه، وهو يقول: يا معشر قريش، اللطيمةَ اللطيمة! أموالكم مع أبي سفيان قد عَرض لها مُحمَّد في أصحابه، لا أرىٰ أن تدركوها، الغوثَ الغَوث! قال: فشغلني عنه، وشغله عني ما جاء من الأمر(١).

وقد رَواهُ الحاكمُ في «مستدركه»(٢)، والبيهقي في «دلائل النُّبُوَّة»(٣) من طريق يونس بن بُكير، عن ابن إسحاق، وزادا بعد قوله: فشغلني عنه، وشغله عني ما جاء من الأمر: فلم يكن إلا الجهاز، حتىٰ خرجنا فأصاب قريشًا ما أصابها يوم بدر من قتل أشرافهم، وأسر خيارهم. فقالت عاتكة بنت عبد المطلب فيما رأت، وما قالت قريش في ذلك:

أَلَــمْ تَكُــن الرُّؤْيَـا بحـقٍّ وجَـاءكم ... بتَصـديقها فَـلٌّ مِـن القَـوم هـارِبُ

فقُلـتم ولـم أَكـذب كـذَبتِ وإنَّمـا ... يُكـذِّبنا بالصِّـدق مَـن هـو كـاذبُ

ورواه الطَّبَراني في «الكبير»(٤) من طريق ابن لَهيعة، عن أبي الأسود، عن عروة مرسلًا. قال الهيثمي: فيه ابن لهيعة، وفيه ضعف، وحديثه حسن. ورواه البيهقي أيضًا من طريق موسىٰ بن عقبة، عن ابن شهاب مرسلًا.

---

(١) انظر: «السيرة النبوية» لابن كثير (٢/ ٣٨١)، و«سيرة ابن هشام» (١/ ٦٠٧).

(٢) (٣/ ٢١) (٤٢٩٧).

(٣) (٣/ ٣١).

(٤) (٢٤/ ٣٤٨) (٢٠٨٨٢).

وذكر ابن إسحاق أن قريشًا لما نزلوا الجحفة رأىٰ جهيم بن الصلت بن مخرمة بن المطلب بن عبد مناف رُؤْيَا، فقال: إني رأيت فيما يرىٰ النائم، وإني لبين النائم واليقظان، إذ نظرت إلىٰ رجل قد أقبل علىٰ فَرس حتىٰ وقف ومعه بعير له، ثم قال: قتل عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وأبو الحكم بن هشام، وأمية بن خلف، وفلان، وفلان، فعدَّد رجالًا ممن قتل يوم بدر من أشراف قريش، ثم رأيته ضرب في لبة بعيره، ثم أرسله في العسكر، فما بقي خباء من أخبية العسكر إلا أصابه نضح من دمه، قال: فبلغت أبا جهل فقال: وهذا أيضًا نبي آخر من بني عبد المطلب، سيعلم غدًا مَن المقتول إنْ نحن التقينا[١].

ورواه البيهقي في «دلائل النُّبُوَّة»[٢] من طريق موسىٰ بن عقبة، عن الزهري مرسلًا، وقال فيه: إن قريشًا ساروا حتىٰ نزلوا الجحفة، نزلوها عشاء يَتَروون من الماء، وفيهم رجل من بني المطلب بن عبد مناف، يقال له: جهيم بن الصَّلت بن مخرمة، فوضع جهيم رأسه فأغفىٰ، ثم فزع فقال لأصحابه: هل رأيتم الفارس الَّذي وقف علي آنفًا؟ فقالوا: لا، فإنك مجنون، فقال: قد وقف علي فارس آنفًا فقال: قتل أبو جهل، وعتبة، وشيبة، وزمعة، وأبو البختري، وأمية بن خلَف، فعدَّ أشرافًا من كفار قريش، فقال له أصحابه: إنما لعِبَ بك الشَّيْطَانُ. ورُفع حديث جُهيم إلىٰ أبي جهل فقال: قد جئتمونا بكذب بني المطلَّب مع كذب بني هاشم، سترون غدًا من يُقتَل.

ومن ذلك: رُؤْيَا سودة بنت زَمعة رَضِيَٱللَّهُعَنهَا، أن رَسُول اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ

---

(١) انظر: «السيرة النبوية» لابن كثير (٢/ ٣٩٩).

(٢) (٣/ ١٠١).

سيتزوجها. وقد روىٰ قصَّتها مُحمَّد بن سعد في «الطبقات»[١]، عن هشام بن حمد بن السائب الكلبي، عن أبيه، عن أبي صالح، عن ابن عبَّاس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قال: كانت سودةُ بنتُ زَمعة عند السَّكران بن عمرو أخي سُهيل بن عَمرو، فرأت في المنام كأن النَّبِي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أقبل يمشي، حتىٰ وطئ علىٰ عنقها، فأخبرت زوجها بذلك فقال: وأبيك لئن صدقت رُؤْيَاك لأموتن، وليتزوجنك رَسُول اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فقالت: حِجْرًا وسِتْرًا -قال هشام: الحجر تنفي عن نفسها ذاك -، ثم رأت في المنام ليلة أخرىٰ أن قمرًا انقضَّ عليها من السماء وهي مضطجعة، فأخبرت زوجها فقال: وأبيك لئن صدقت رُؤْيَاك لم ألبث إلا يسيرًا حتىٰ أموت، وتزوجين من بعدي، فاشتكىٰ السكران من يومه ذلك فلم يلبث إلا قليلًا حتىٰ مات، وتزوجها رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

ومن ذلك: رُؤْيَا جويرية بنت الحارث رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا. وقد روىٰ قصتها الحاكم في «المستدرك»[٢] من طريق الواقدي، قال: حدثني حزام بن هشام، عن أبيه قال: قالت جُويرية بنت الحارث رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا: رأيت قبل قدوم النَّبِي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بثلاث ليال كأن القمر أقبل يسير من يثرب حتىٰ وقع في حجري، فكرهت أن أخبر بها أحدًا من النَّاس حتىٰ قدم رَسُول اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فلما سبينا رجوت الرُّؤْيَا، فلما أعتقني، وتزوجني، والله ما كلمته في قومي حتىٰ كان المُسْلمون هم الَّذين أرسلوهم، وما شعرت إلا بجارية من بنات عمي تخبرني الخبر، فحمدت الله عَزَّوَجَلَّ. وقد رواها البيهقي في «دلائل النُّبُوَّة»[٣] من طريق الحاكم.

---

(١) (٨/ ٤٥).

(٢) (٤/ ٢٨).

(٣) (٤/ ٥٠).

ومن ذلك: رُؤْيَا صفية بنت حيي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا. وقد روىٰ قصتها مُحمَّد بن سعد في «الطبقات»، والطَّبَراني في «الكبير»:

فأما ابن سعد: فروىٰ في ذكر غزوة خيبر، عن عدد من الصَّحابَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، أن رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اصطفىٰ صفية يوم خيبر، وأنه رأىٰ بوجهها أثر خضرة قريبًا من عينها، فقال: «**ما هذا؟**» فقالت: يا رَسُول اللهِ، رأيت في المنام قمرًا أقبل من يثرب حتىٰ وقع في حجري، فذكرت ذلك لزوجي كنانة، فقال: تحبين أن تكوني تحت هذا المَلِك الَّذي يأتي من المدينة؟! فضرب وجهي[١].

وأما الطَّبَراني: فروىٰ عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: كان بعيني صفية خضرة، فقال لها النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَا هَذه الخُضْرة بعَينَيْكِ؟**» فقالت: قلت لزوجي: إني رأيت فيما يرىٰ النائم قمرًا وقع في حجري، فلطمني، وقال: أتريدين مَلِكَ يثرب؟![٢] قال الهيثمي: رجاله رجال الصَّحِيح، قلت: وهو علىٰ شرط مُسْلم.

ومن ذلك: ما رَواهُ ابن أبي شيبة، عن عبد الله بن بكر، عن حميد، عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: رأيت فيما يرىٰ النائم كأن عبد الله بن عمر يأكل تمرًا، فكتبت إليه: إني رأيتك تأكل تمرًا، وهو حلاوة الإيمان إن شاء الله تَعالَىٰ[٣]. إسْنَاده ثلاثي علىٰ شرط الشَّيْخَين.

ومن ذلك: ما رَواهُ الحاكم في «المستدرك»[٤]، عن عمران بن عبد الله قال:

---

(١) «الطبقات الكبرىٰ» (٨/ ٩٦).

(٢) رواه الطبراني (٢٤/ ٦٧) (١٧٧).

(٣) «مصنف ابن أبي شيبة» (٦/ ١٨٢) (٣٠٥١٧).

(٤) (٣/ ١٩٣) (٤٨١٧)، وحذفه الذهبي من «التلخيص» لضعفه.

رأىٰ الحسن بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فيما يرىٰ النائم بين عينيه مكتوبًا: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١] فقصَّها علىٰ سعيد بن المسيب فقال: إن صدقت رُؤْيَاك فقد حضر أجلك، قال: فسُمَّ في تلك السنة، ومات رحمة الله عليه.

ومن ذلك: ما رَواهُ البيهقي في «دلائل النُّبُوَّة»(١)، عن سليم بن عامر قال: جاء رجل إلىٰ أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال: يا أبا أمامة، إني رأيت في منامي أن الملائكة تصلي عليك كلما دخلتَ، وكلما خرجت، وكلما قُمتَ، وكلما جلستَ، قال أبو أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: اللَّهمَّ غفرًا، دعونا عنكم، وأنتم لو شئتم صلَّت عليكم الملائكة، ثم قرأ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤١-٤٣].

ومن ذلك: ما رَواهُ الخطيب البغدادي في «تاريخه»(٢)، عن المزني قال: سمعت الشافعي يقول: رأيتُ علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في النوم فسلم عليَّ، وصافحني، وخلع خاتمه وجعله في إصبعي، وكان لي عمٌّ ففسرها لي، فقال لي: أما مصافحتك لعلي فأمان من العذاب، وأما خلع خاتمه وجعله في إصبعك فسيبلغ اسمك ما بلغ اسم علي في الشرق والغرب. ثم روىٰ الخطيب، عن الربيع بن سليمان أنه قال: والله لقد فشا ذكر الشافعي في النَّاس بالعلم كما فشا ذكر علي بن أبي طالب.

---

(١) (٧/ ٢٥).

(٢) (٢/ ٣٩٢) (٤٠٤).

وذكر ابن عبد البر في كتابه «بهجة المجالس»[١] أن الرشيد رأىٰ رُؤْيَا فهمَّته، فوجَّه إلىٰ الكرماني بريدًا، فلما أتاه ومَثَلَ بين يديه خلا به وقال: بعثت إليك لرُؤْيَا رأيتُها، فقال: وما هي؟ قال: رأيت كلبين ينهشان قُبُلَ جارية من جواريَّ، فقال له الكرماني: ما رأيت إلا خيرًا يا أمير المُؤْمنين، فقال له الرشيد: قُلْ ما تراه، وهات ما عندك؟ فقال له: هذه جارية دعوتها لتجامعها، وكان لا عهد لك معها بذلك، وكانت ذات شعر فكرهت أن تحلق فتجد أثر الموسىٰ، وكرهت أن تبقىٰ علىٰ هيئتها فأخذت جَلَمًا[٢] فحلقت بعض الشعر، وتركت بعضه، فأشار الرشيد إليه بالقعود، وقام فدخل إلىٰ نسائه، ودعا بتلك الجارية، فسارَّها مستفهمًا منها عن ذلك، فأقرت به، وصدقت الكرماني، فخرج إليه الرشيد فقال له: أصبت، وسررتني، وأمر له بصلةٍ سنيَّة، ثم قال له: إياك أن تحدث بها ما كنتُ حيًّا، قال: فوالله ما حدَّثت بها ما دام الرشيد حيًّا.

ومن ذلك: ما ذكره شيخ الإسلام أبو العبَّاس ابن تيمية -رحمه الله تَعالَىٰ- في بعض مؤلفاته: قال: «حدثني الفقيه الفاضل تاج الدين الزنباري، أنه سمع الشَّيخ إبراهيم الجعبري يقول: رأيت في منامي ابن عربي، وابن الفارض، وهما شيخان أعميان يمشيان ويتعثران، ويقولان: كيف الطريق؟ أين الطريق؟» انتهىٰ، وهو في (صفحة ٢٤٦) من المجلد الثاني من «مجموع الفتاوىٰ».

---

(١) (١/ ٢٠٣).

(٢) الجَلَم بفتحتين: هو المقراض، قال ابن الأثير: الجَلَم الذي يجز به الشعر والصوف.

فصل

في ذكر ما أوَّله سعيد بن المسيب من الرُّؤْيَا

قال ابن سعد في «الطبقات»(١) **قال مُحمَّد بن عمر -يعني الواقدي-**: كان سعيد بن المسيب من أَعبَر النَّاس للرُؤْيَا، وكان أخذ ذلك عن أسماء بنت أبي بكر، وأخذته أسماء عن أبيها أبي بكر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

فمن تَأْويله: ما تقدم قريبًا أن الحسن بن علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا رأىٰ رُؤْيَا، وأولها سعيد بن المسيب بحضور أجله.

ومن تَأْويله أيضًا: ما رَواهُ ابن سعد في «الطبقات»(٢)، عن عمر بن حبيب بن قليع قال: كنت جالسًا عند سعيد بن المسيب يومًا، وقد ضاقت عليَّ الأشياء، ورهقني دَين، فجلست إلىٰ ابن المسيب ما أدري أين أذهب، فجاءه رجل فقال: يا أبا مُحمَّد، إني رأيت رُؤْيَا، قال: ما هي؟ قال: رأيت كأني أخذت عبد الملك بن مروان فأضجعته إلىٰ الأرض، ثم بطحته، فأوتدت في ظهره أربعة أوتاد، قال: ما أنت رأيتها، قال: بلىٰ أنا رأيتها، قال: لا أخبرك أو تخبرني، قال: ابن الزبير رآها، وهو بعثني إليك، قال: لئن صدقت رُؤْيَاه قتله عبد الملك بن مروان، وخرج من صلب عبد الملك أربعة كلهم يكون خليفة، قال: فرحلت إلىٰ عبد الملك بالشام فأخبرته بذلك عن سعيد بن المسيب، فسرَّه، وسألني عن سعيد وعن حاله فأخبرته، وأمر لي بقضاء دَيني، وأصبت منه خيرًا.

---

(١) (٥/ ٩٣).

(٢) (٥/ ٩٣).

ومن تَأْويله أيضًا: ما رَواهُ ابن سعد، عن إسماعيل بن أبي حكيم، قال: قال رجل: رأيت كأن عبد الملك بن مروان يبول في قبلة مسجد النَّبِي ﷺ أربع مرار، فذكرت ذلك لسعيد بن المسيب فقال: إن صدقت رُؤْيَاك قام فيه من صلبه أربعة خلفاء(١).

ومن تَأْويله أيضًا: ما رَواهُ ابن سعد، عن شريك بن أبي نمر قال: قلت لابن المسيب: رأيت في النوم كأن أسناني سقطت في يدي، ثم دفنتها، فقال ابن المسيب: إن صدقت رُؤْيَاك دفنت أسنانك من أهل بيتك(٢).

ومن تَأْويله أيضًا: ما رَواهُ ابن سعد، عن مُسْلم الخياط، قال: قال رجل لابن المسيب: إني أراني أبول في يدي، فقال: اتق الله، فإن تحتك ذات محرم، فنظر فإذا امرأة بينها وبينه رضاع.

وجاءه آخر فقال: يا أبا مُحمَّد، إني أرىٰ كأني أبول في أصل زيتونة، قال: انظر من تحتك، تحتك ذات محرم، فنظر فإذا امرأة لا يحل له نكاحها(٣).

ومن تَأْويله: ما رَواهُ ابن سعد، عن مُسْلم الخياط، قال: قال له رجل: إني رأيت حمامة وقعت علىٰ المنارة؛ منارة المسجد، فقال: يتزوج الحجَّاج ابنةَ عبد الله بن جعفر بن أبي طالب(٤).

---

(١) «الطبقات الكبرىٰ» (٥/ ٩٣).

(٢) «الطبقات الكبرىٰ» (٥/ ٩٣).

(٣) «الطبقات الكبرىٰ» (٥/ ٩٣).

(٤) «الطبقات الكبرىٰ» (٥/ ٩٣- ٩٤).

قلت: قد تزوج الحجاج بنت عبد الله بن جعفر، فكتب إليه عبد الملك بن مروان يعزم عليه بطلاقها، فطلقها، ذكر ذلك الحافظ ابن كثير في ترجمة الحجاج، عن «البداية والنهاية»[١].

ومن تَأْويل سعيد بن المسيب أيضًا: ما رَواهُ ابن سعد، عن مُسْلم الخياط قال: جاء رجل إلىٰ ابن المسيب فقال: إني أرىٰ أن تيسًا أقبل يشتد من الثنية، فقال: اذبح اذبح، قال: ذبحت، قال: مات ابن أم صلاء، فما برح حتىٰ جاء الخبر أنه قد مات، قال مُحمَّد بن عمر -يعني الواقدي-: وكان ابن أم صلاء رجلًا من موالي أهل المدينة يسعىٰ بالنَّاس[٢].

ومن تَأْويله أيضًا: ما رَواهُ ابن سعد، عن عبيد الله بن عبد الرَّحْمَن بن السائب -رجل من القارة- قال: قال رجل من فهم لابن المسيب: إنه يرىٰ في النوم كأنه يخوض في النار، فقال: إن صدقت رُؤْيَاك لا تموت حتىٰ تركب البحر، وتموت قتلًا، قال: فركب البحر فأشفىٰ علىٰ الهلكة، وقتل يوم قديد[٣] بالسيف[٤].

ومن تَأْويله أيضًا: ما رَواهُ ابن سعد، عن الحصين بن عبيد الله بن نوفل قال: طلبت الولد فلم يولد لي، فقلت لابن المسيب: إني أرىٰ أنه طرح في حجري بيض، فقال ابن المسيب: الدجاج عجمي، فاطلب سببًا إلىٰ العجم، قال: فتسريت، فولد

---

(١) (٩/ ١٤١).

(٢) «الطبقات الكبرىٰ» (٥/ ٩٤).

(٣) يوم قديد: هو يوم كانت فيه وقعة بين أبي حمزة الخارجي وبين أهل المدينة، قتل فيها من أهل المدينة سبعمائة، ذكر ذلك ابن جرير في حوادث سنة ثلاثين ومائة من «تاريخه».

(٤) «الطبقات الكبرىٰ» (٥/ ٩٤).

لي، وكان لا يولد لي[١].

ومن تَأْويله أيضًا: ما رَواهُ ابن سعد، عن مُسْلم الخياط، قال: قال رجل لابن المسيب: يا أبا مُحمَّد، إني رأيت كأني جالس في الظل فقمت إلىٰ الشمس، فقال ابن المسيب: والله لئن صدقت رُؤْيَاك لتخرجن من الإسلام، قال: يا أبا مُحمَّد، إني أراني أُخرجتُ حتىٰ أُدخلتُ في الشمس فجلست، قال: تُكره علىٰ الكفر، قال: فخرج في زمان عبد الملك بن مروان فأُسِر، فأُكرِه علىٰ الكفر، فرَجع، ثم قدم المدينة، وكان يخبر بهذا[٢].

وروىٰ أبو العرب مُحمَّد بن أحْمَد بن تميم التميمي في كتاب «المحن»[٣] عن غالب العقيلي قال: أتىٰ سعيدَ بن المسيب آتٍ، فقال: يا أبا مُحمَّد، إني رأيت عند وجه السَّحَر كأنَّ موسىٰ قاتل فرعون، فقال له: أيهما الغالب؟ قال: موسىٰ غلب فرعون، قال: فصاح بأعلىٰ صوته: هلك ابن مروان، وربِّ الكعبة -ثلاث مرات- فأعلم صاحب المدينة، فخرج حتىٰ وقف علىٰ رأسه، ثم قال: تتمنىٰ موت أمير المُؤْمنين، إني لأرجو أن يقتلك الله قبله، قال سعيد: ويحك! سيجيئك خبره إلىٰ تسعة أيام، قال: فما مكثوا إلا تسعة أيام حتىٰ أتىٰ راكب بموته، واستخلاف الوليد ابنه.

قلت: الظَّاهر أن سعيد بن المسيب أخذ تحديد مدة إتيان الخبر بموت عبد الملك بن مروان من قول الله تَعالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾ [الإسراء: ١٠١]،

---

(١) «الطبقات الكبرىٰ» (٥/ ٩٤).

(٢) «الطبقات الكبرىٰ» (٥/ ٩٤).

(٣) (١/ ٣١٠).

وقوله تَعالَىٰ: ﴿فِي تِسْعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ﴾ [النمل: ١٢].

وروىٰ ابن سعد، عن مُسْلم الخياط، عن ابن المسيب قال: الكبْل في النوم ثبات في الدين[(١)].

وروىٰ ابن سعد أيضًا، عن شريك بن أبي نمر، عن ابن المسيب قال: التمر في النوم رزق علىٰ كل حال، والرطب في زمانه رزق[(٢)].

وروىٰ ابن سعد أيضًا، عن عثيم بن نسطاس قال: سمعت سعيد بن المسيب يقول للرجل إذا رأىٰ الرُّؤْيَا وقصَّها عليه: خيرًا رأيت[(٣)].

وروىٰ ابن سعد أيضًا، عن صالح بن خوات، عن ابن المسيب قال: آخر الرُّؤْيَا أربعون سنة، يعني في تَأْويلها[(٤)].

قلت: قد تقدم في أول الكتاب أنه قيل لجعفر بن مُحمَّد: كم تتأخر الرُّؤْيَا؟ فقال: «رأىٰ رَسُول اللهِ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كأن كلبًا أبقع يلغ في دمه»، فكان شمر بن ذي الجوشن قاتِل الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكان أبرصَ، فكان تَأْويل الرُّؤْيَا بعد خمسين سنة.

---

(١) «الطبقات الكبرىٰ» (٥/ ٩٤).

(٢) «الطبقات الكبرىٰ» (٥/ ٩٤).

(٣) «الطبقات الكبرىٰ» (٥/ ٩٤).

(٤) «الطبقات الكبرىٰ» (٥/ ٩٤).

فصل

في ذكر ما أوَّله مُحمَّد بن سيرين من الرُّؤيَا

قال الذهبي في كتابه «سير أعلام النبلاء»(١): «قد جاء عن ابن سيرين في التعبير عجائب يطول الكتاب بذكرها، وكان له في ذلك تأييد إلهي» انتهىٰ. وقال الذهبي أيضًا في «تذكرة الحفاظ»(٢): «كان علَّامة في التعبير» انتهىٰ.

فمن تأْويله: ما رَواهُ ابن أبي شيبة، حدَّثَنا عفان قال: حدَّثنا جرير بن حازم قال: قيل لمُحمَّد بن سيرين: إن فلانًا يضحك، قال: ولم لا يضحك؟! فقد ضحك من هو خير منه، حُدِّثتُ أن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: ضحك النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من رُؤْيَا قصَّها عليه رجل ضحكًا ما رأيته ضحِكَ مِن شيء قط أشد منه، قال مُحمَّد: وقد عَلمتُ ما الرُّؤْيَا، وما تَأْويلها، رأىٰ كأن رأسه قطع فذهب يتبعه، فالرأس النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والرجل يريد أن يلحق بعمله عمل رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو لا يدركه(٣). إسْنَاده صَحِيح علىٰ شرط الشَّيْخَين.

وقد روىٰ القاضي أبو بكر ابن العربي المالكي في «شرح التِّرْمِذي» بإسْنَاده إلىٰ أبي مجلز -واسمه لاحق بن حميد السدوسي- قال: جاء رجل إلىٰ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: إني رأيت في المنام أن رأسي قُطع وجعلت أنظر إليه، فضحك رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم قال: «**بأي عينٍ كنتَ تنظرُ إلىٰ رأسِك إذ قطع؟**» فلم

---

(١) (٤/ ٦١٨).

(٢) (١/ ٦٢).

(٣) «مصنف ابن أبي شيبة» (٦/ ١٨٢) (٣٠٥٢٠).

يلبث إلا قليلًا حتىٰ توفي رَسُول اللهِ صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، قال: فأَوَّلوا رأسَه موت رَسُول اللهِ صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، ونظره اتباعه سنته.

قال ابن العربي: «فلعل النَّبِي صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في إخباره بتلعب الشَّيْطَان كان علىٰ رُؤْيَا ذهب بعضها، فأما ما أرىٰ فإنه يحتمل موت رَسُول اللهِ صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، واتباعه لهديه، أو لموته فيموت علىٰ قرب منه أو معه» انتهىٰ.

وقد تقدم في أول الكتاب ما رَواهُ جابر، وأبو هُرَيرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، أن رجلًا قال للنبي صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: رأيت في المنام كأن رأسي قطع، فضحك النَّبِي صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وقال: «**إذا لعب الشَّيْطَان بأحدكم في منامه فلا يحدِّث به النَّاس**» هذا لفظ إحدىٰ روايات مُسْلم، عن جابر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ(١). وقال في حديث أبي هُرَيرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «**يطرق أحَدَكم الشَّيْطَانُ فيتهوَّل له، ثم يغدو يخبر النَّاسَ**»، رَواهُ الإمام أحْمَد، وابن أبي شيبة، وابن ماجَهْ بأسانيد صَحِيحة(٢).

ومن المنامات الَّتي أَوَّلَها ابن سيرين: ما رَواهُ ابن أبي شيبة، حدَّثَنا ابن عُلَيَّة، عن أيوب قال: سأل رجل مُحمَّدًا قال: إني رأيت كأني آكل خبيصًا في الصلاة، فقال: الخبيص حلال، ولا يحل لك الأكل في الصلاة، فقال له: أتُقبِّل امرأتك وأنت صائم؟ قال: نعم، قال: فلا تفعل(٣). إسْنَاده علىٰ شرط الشَّيْخَين.

ومن تَأْويله أيضًا: ما رَواهُ ابن أبي شيبة، حدَّثَنا أسود بن عامر قال: حدَّثَنا

---

(١) تقدم.

(٢) تقدم.

(٣) «مصنف ابن أبي شيبة» (٦/ ١٨٣) (٣٠٥٢٦).

بكير بن أبي السميط قال: سمعت مُحمَّد بن سيرين سئل عن رجل رأىٰ في المنام كأن معه سيفًا مخترطه، فقال: ولد ذكر، قال: اندق السيف، قال: يموت، قال: وسئل ابن سيرين عن الحجارة في النوم، فقال: قسوة، وسئل عن الخشب في النوم، فقال: نفاق(١). إسْنَاده حسن.

ومن تَأْويله أيضًا: ما رَواهُ أبو نعيم في «الحلية»(٢)، عن خالد بن دينار قال: كنت عند ابن سيرين فأتاه رجل فقال: يا أبا بكر، رأيت في المنام كأني أشرب من بلبلة لها مثقبان، فوجدت أحدهما عذبًا، والآخر ملحًا، قال ابن سيرين: اتق الله، لك امرأة وأنت تخالف إلىٰ أختها.

ومن تَأْويله أيضًا: ما رَواهُ أبو نعيم في «الحلية»(٣)، عن أبي جعفر، أن رجلًا رأىٰ في المنام كان في حجره صبيًّا يصيح، فقصَّ رُؤْيَاه علىٰ ابن سيرين، فقال: اتق الله، ولا تضرب العود.

ومن تَأْويله أيضًا: ما رَواهُ أبو نعيم في «الحلية»(٤)، عن سليمان بن حبيب، أن امرأة رأت في المنام أنها تحلب حية، فقُصَّتْ علىٰ ابن سيرين، فقال ابن سيرين: اللبن فطرة، والحية عدو، وليست من الفطرة في شيء، هذه امرأة يدخل عليها أهل الأهواء.

ومن تَأْويله أيضًا: ما رَواهُ أبو نُعيم في «الحلية»(٥)، عن مغيرة بن حفص قال:

---

(١) «مصنف ابن أبي شيبة» (٦/ ١٨٤).

(٢) (٢/ ٢٧٦).

(٣) (٢/ ٢٧٧).

(٤) (٢/ ٢٧٧).

(٥) (٢/ ٢٧٧).

رأىٰ الحجَّاج بن يوسف في منامه رُؤْيَا، كأنَّ حَوْرَاوَيْن[١] أتتاه، فأخذ إحداهما وفاتته الأخرىٰ، فكتب بذلك إلىٰ عبد الملك، فكتب إليه عبد الملك: هنيئًا يا أبا مُحمَّد، فبلغ ذلك ابن سيرين، فقال: أخطأتْ اسْتُهُ الحُفرةَ[٢]، هذه فتنتان: يدرك إحداهما، وتفوته الأخرىٰ، قال: فأدرك الجَماجمَ، وفاتته الأخرىٰ.

قلت: أما الجماجم، فهي الفتنة الَّتي كانت بين الحجاج وابن الأشعث، وكان ابتداؤها في سنة إحدىٰ وثمانين، وانتهت في سنة ثلاث وثمانين. وأما الفتنة الثانية الَّتي فاتت الحجاج ولم يدركها، فهي فتنة يزيد بن المهلب، وكان ابتداؤها في سنة إحدىٰ ومائة، وانتهت في سنة اثنتين ومائة، وكان بين موت الحجاج وبين ابتدائها خمس سنين.

ومن المنامات الَّتي أوَّلها ابن سيرين: ما رَواهُ أبو نعيم في «الحلية»[٣]، عن مغيرة قال: رأىٰ ابن سيرين كأن الجوزاء تقدمت الثريا، فأخذ في وصيته، وقال: يموت الحسن، وأموت بعده، هو أشرف مني.

وقد رَواهُ يعقوب بن سفيان الفسوي في كتابه «المعرفة والتاريخ»[٤]، عن ابن نمير، حدَّثَنا أبو بكر -يعني ابن عياش- عن مغيرة بن حفص قال: سئل ابن سيرين فقال: رأيت كأن الجوزاء تقدمت الثريا، فقال: هذا الحسن يموت قبلي، ثم أتبعه، وهو أرفع مني.

---

(١) مثنىٰ: حوراء، وهي المرأة البيضاء.

(٢) هذا مثَل للعرب تضربه فيمن لم يصب موضع حاجته، والاست: فتحة الدبر.

(٣) (٢/ ٢٧٧).

(٤) (٢/ ٤٦).

وروىٰ ابن عساكر في «تاريخه»[(١)]، عن هشام -وهو ابن حسان- عن ابن سيرين قال: لما مات الحسن بن أبي الحسن رأت امرأته في المنام كأنما لحقت الجوزاء بالثريا، فاجتمع النَّاس ينظرون ويتعجبون، فقال رجل: ما تعجبون من هذا؟! ابعثوا إلىٰ ابن سيرين يعبره لكم، قال: فأصبحت المرأة فأتت ابن سيرين فأخبرته، فبكىٰ ابن سيرين، وقال: جزاكم الله خيرًا، أما الثريا فالحسن، وأما الجوزاء فأنا، فألحق به، فعاش أحدًا وثمانين يومًا بعد الحسن.

ومن الأحلام الَّتي أوَّلها ابن سيرين: ما رَواهُ أبو نعيم في «الحلية»[(٢)]، عن الحارث بن مشقف، قال: قال رجل لابن سيرين: إني رأيت كأني ألعق عسلًا من جام[(٣)] من جوهر، فقال: اتق الله، وعاود القرآن، فإنك رجل قرأت القرآن، ثم نسيتَه. قال: وقال رجل لابن سيرين: رأيت كأني أحرث أرضًا لا تنبت، قال: أنت رجل تعزل عن امرأتك.

ومن تَأْويله أيضًا: ما رَواهُ أبو نعيم في «الحلية»[(٤)]، عن مبارك بن يزيد البصري، قال: قال رجل لابن سيرين: رأيت في المنام كأني أغسل ثوبي، وهو لا ينقىٰ، قال: أنت رجل مصارم لأخيك، قال: وقال رجل لابن سيرين: رأيت كأني أطير بين السماء والأرض، قال: أنت رجل تكثر المُنَىٰ.

---

(١) (٥٣/ ٢٣٣).

(٢) (٢/ ٢٧٨).

(٣) الجام: إناء للشراب من فضَّةٍ أو نحوها.

(٤) (٢/ ٢٧٨).

ومن تَأْويله أيضًا: ما رَواهُ أبو نعيم في «الحلية»(١)، عن هشام بن حسان قال: جاء رجلٌ إلىٰ ابن سيرين، وأنا عنده فقال: إني رأيت كأن علىٰ رأسي تاجًا من ذهب، فقال له ابن سيرين: اتق الله، فإن أباك في أرض غُربة، وقد ذهب بصره، وهو يريد أن تأتيه، قال: فما رادَّه الرجلُ الكلامَ حتىٰ أدخل يده في حجزته فأخرج كتابًا من أبيه يذكر فيه ذهاب بصره، وأنه في أرض غربة، ويأمره بالإتيان إليه.

ومن تَأْويله أيضًا: ما رَواهُ ابن عساكر في «تاريخه»(٢)، عن معمر، قال: جاء رجلٌ إلىٰ ابن سيرين فقال: رأيت في النوم كأنه حمامة التقمت لؤلؤة، فخرجت منها أعظم مما دخلت، ورأيت حمامة أخرىٰ التقمت لؤلؤة، فخرجت منها أصغر مما دخلت، ورأيت حمامة أخرىٰ التقمت لؤلؤة فخرجت كما دخلت سواء؛ فقال له ابن سيرين: أما الَّتي خرجت أعظم مما دخلت، فذلك الحسن يسمع الحَدِيث فيجوده بمنطقه، ثم يصل فيه من مواعظه، وأما الَّتي خرجت أصغر مما دخلت، فذاك مُحمَّد بن سيرين يسمع الحَدِيث فينقُص منه، وأما الَّتي خرجت كما دخلت، فهو قتادة، فهو أحفظ النَّاس.

ومن تَأْويله أيضًا: ما رَواهُ ابن عساكر في «تاريخه»(٣)، عن عبد الله بن المبارك، عن عبد الله بن مُسْلم -وهو رجل من أهل مَرْو- قال: كنت أجالس ابن سيرين، فتركت مجالستَه وجالستُ قومًا من الإباضية، فرأيت فيما يرىٰ النائم كأني مع قوم يحملون جنازة النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأتيت ابن سيرين فذكرت له ذلك، فقال: ما لك

---

(١) (٢/ ٢٧٨).

(٢) (٥٣/ ٢٣١).

(٣) (٥٣/ ٢٣٢).

جالست أقوامًا يريدون أن يدفنوا ما جاء به مُحمَّدٌ صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ؟!

ومن تَأْويله أيضًا: ما رَواهُ ابن عساكر في «تاريخه»(١)، عن هشام -يعني ابن حسان- قال: قصَّ رجل علىٰ ابن سيرين قال: رأيت كأن بيدي قدحًا من زجاج فيه ماء، فانكسر القدح، وبقي الماء، فقال له: اتق الله، فإنك لم تر شيئًا، فقال الرجل: سبحان الله! أقصُّ عليك الرُّؤْيَا، وتقول: إنك لم تر شيئًا؟! فقال له ابن سيرين: إنه من كذب فليس عليَّ من كذبه شيء، إن كنتَ رأيتَ هذا فستلد امرأتُك وتموت، ويبقىٰ ولدها، فلما خرج الرجل قال: والله ما رأيتُ شيئًا. قال هشام: فما لبث الرجل غير كثير حتىٰ ولدت امرأته غلامًا وماتت، وبقي الغلام.

قال: وجاء رجل إلىٰ ابن سيرين فقال: إني رأيت كأني وجارية لي سوداء، نأكل في قصعة من صدر سمكة، قال: فقال ابن سيرين: هل يخفُّ عليك أن تهيئ لي طعامًا، وتدعوني إلىٰ منزلك؟ قال: نعم، قال: فهيَّأ له طعامًا، ودعاه، فلما وضعت المائدة إذا جارية له سوداء ممتشطة، قال: فقال له ابن سيرين: هل أصبت من جاريتك هذه شيئًا؟ قال: لا، قال: فإذا وضعت القصعة فخذ بيدها فأدخلها المخدع، فأخذ بيدها فأدخلها المخدع، فصاح: يا أبا بكر، رجل والله، فقال له ابن سيرين: هذا الَّذي كان يشاركك في أهلك.

وقال ابن عبد البر في كتابه «بهجة المجالس»(٢): قال رجل لابن سيرين: رأيتُ في المنام كأن قردًا يأكل معي علىٰ مائدة، فقال:هذا غلامٌ أمرد، اتخذه بعضُ نسائك.

---

(١) (٥٣/ ٢٣٢- ٢٣٣).

(٢) (١/ ٢٠٢، وما بعدها).

قال: وكان ابن سيرين يعبر الأذان في النوم: عملًا صالحًا فيه شُهرة.

قال: وقال ابن سيرين في جنازة يتبعها النَّاس: هذا قائد له أتباع.

قال: وأتىٰ رجل إلىٰ ابن سيرين فقال: رأيت البارحةَ امرأة من جيراني كأنها ذبحت في بيت من دارها، فقال: هذه امرأة نكحت الليلة في ذلك البيت. فعزَّ علىٰ السائل ما ذكره؛ لأن زوج المرأة كان غائبًا عنها، فلما انصرف قال له أهله: رأيت فلانًا؟ -يعنون الغائب جاره- فقال: وهل أتىٰ، قالوا: نعم، وفي بيته بات البارحة، فقصده، وسأله، فكان كما قال ابن سيرين.

قال: وقال رجل لابن سيرين: رأيت في المنام كأن لحيتي بلغت سرَّتي، وأنا أنظر إليها، فقال له: أنت رجل مؤذِّن تنظر في دُور الجيران.

قال: وكان ابن سيرين يستحب الطِّيب في النوم، يقول: هو ثناء حسن، وكان يعجبه الطيب الأسود؛ كالمسك، والغالية، وشبه ذلك، ويقول: هو عيش وثناء حسن.

قال: وسئل ابن سيرين عن الفيل في النوم، فقال: أمر جسيم قليل المنفعة.

قال: وقال رجل لابن سيرين: ما تقول يا أبا بكر، في امرأة كانت ترىٰ في المنام كأنها تأكل رأس جزور، فقال: تتقي الله، ولا تبغض العرب.

قال: وكان ابن سيرين يستحب الزيت في النوم، ويقول: هو بركة كله، إن أكلته أو أدخلته بيتك أو شربته أو ادهنت به أو تلطخت؛ لأنه من شجرة مباركة.

قال: وكان ابن سيرين يقول: الماء في النوم فتنة وبلاء في الدين، وأمر شديد؛ لأن الله تعالَىٰ يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ﴾ [البقرة: ٢٤٩]، وقال: ﴿مَّآءً غَدَقًا ۝١٦ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ [الجن: ١٦-١٧].

قال: وقال ابن سيرين: ومن عبر نهرًا قطع بلاء وفتنةً ومشقةً، ونجا من ذلك.

قال: وأتىٰ رجل إلىٰ ابن سيرين فقال له: خطبت امرأة فرأيتها في المنام، فقال له ابن سيرين: كيف رأيتها؟ قال: رأيتها سوداء قصيرة مكسورة الفم، فقال ابن سيرين: أما الَّذي رأيت من سوادها فإنها امرأة لها مال، وأما ما رأيت من كسر فمها فإنها امرأة فظيعة اللسان، وأما ما رأيت من قصرها فإنها امرأة قصيرة العمر، وتوشك أن تموت عاجلًا، فذهب فتزوجها.

قال: وكان ابنُ سيرين يعبر الرجل إذا رأىٰ أنه حلَّ إزاره أو انحل، قال: هذا رجل يُرزق امرأة.

قال: وكان ابن سيرين لا يعبر الخاتم في المنام إلا امرأة يستفيدها، وكذلك كان هشام بن حسان لا يعبر الفصَّ في الخاتم إلا أنه يقول: امرأة فيها قسوة.

قال: وقال هشام بن حسان: كان ابن سيرين يُسئل عن مائة رُؤْيَا فلا يجيب فيها بشيء إلا أنه يقول: اتق الله، وأحسن في اليقظة، فإنه لا يضرك ما رأيت في النوم، وكان يجيب في خلال ذلك ويقول: إنما أجيب بالظن، والظنُّ يُخطئ ويُصيب، قال: وقيل لابن سيرين: إنك تستقبل الرجل بما يكره، قال: إنه عِلمٌ أكره كتمانَه. انتهىٰ المقصود مما ذكره ابن عبد البر.

وروىٰ أبو نُعيم في «الحلية»(١)، عن سلام بن مسكين قال: سمعت مُحمَّد بن سيرين يقول: إذا اتقىٰ اللهَ العبدُ في اليقظة لا يضره ما رُئي له في النوم. وروىٰ أيضًا، عن وهب بن جرير قال: حدثني أبي قال: كان الرجل إذا سأل ابن سيرين عن الرُّؤْيَا

---

(١) (٢/ ٢٧٣).

قال: اتق الله في اليقظة، لا يضرك ما رأيت في المنام.

وذكر القاضي أبو الحُسين في «طبقات الحنابلة»(١)، عن ابن سيرين، أنه قال: ما حدَّثك الميتُ بشيء في النوم فهو حق؛ لأنه في دار حق.

وروىٰ الخطيب في «تاريخه»(٢)، عن هشام بن حسان، قال: قال مُحمَّد بن سيرين: ما أتيت امرأة في نوم ولا يقظة إلا أم عبد الله؛ يعني زوجتَه. قال: وقال ابن سيرين: إني أرىٰ المرأةَ في المنام فأعرف أنها لا تحِلُّ لي، فأصرف بصري عنها. وذكر القاضي أبو بكر ابن العربي المالكي في «شرح التِّرْمِذي»، عن ابن سيرين، أنه قال: ما احتلمتُ في حرام قط، قال ابن العربي: فقال بعضُهم: ليت عقل ابن سيرين في المنام يكون لي في اليقظة.

فصل

وقد رأيتُ لابن القيم -رحِمَه اللهُ تَعالَىٰ- كلامًا حسنًا في ذِكر الأصول الَّتي تدل علىٰ تعبير الرُّؤْيَا، ذكَره في أثناء الجزء الأول من كتابه «إعلام المُوقِّعين»(٣)، وكثير منه مأخوذ مما ذكره البغوي في كتابه «شرح السنة» من كلام شيخه القاضي حسين بن مُحمَّد المروزذي، شيخ الشافعية في تعبير الرُّؤْيَا، وسأذكر كلامَ ابن القيم رحمه الله تَعالَىٰ ؛ لِما فيه من الفوائد الكثيرة في بيان أصول التعبير.

قال رحمه الله تَعالَىٰ: «قالوا: وقد ضَرب الله سبحانه الأمثالَ، وصرَّفها قدرًا،

(١) (٢/ ٢٢٠).

(٢) (٣/ ٢٨٣).

(٣) (١/ ١٤٦، وما بعدها).

وشرعًا، ويقظةً، ومنامًا، ودلَّ عبادَه علىٰ الاعتبار بذلك، وعبورهم من الشيء إلىٰ نظيره، واستدلالهم بالنظير علىٰ النظير، بل هذا أصل عبارة الرُّؤْيَا الَّتي هي جزء من أجزاء النُّبُوَّة، ونوع من أنواع الوحي، فإنها مبنية علىٰ القياس، والتمثيل، واعتبار المعقول بالمحسوس. ألا ترىٰ أن الثياب في التأويل تدل علىٰ الدِّين؟! فما كان فيها من طُول، أو قِصَر، أو نظافة، أو دَنَس فهو في الدِّين، كما أوَّل النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ القميصَ بالدِّين والعِلْم.

والقَدْر المشتركُ بينهما: أن كلًّا منهما يَستُر صاحبَه، ويُجمِّله بين النَّاس، فالقميص يستر بدنَه، والعلمُ والدِّين يستُر رُوحه وقلبَه، ويُجمِّله بين النَّاس، ومن هذا تَأْويل اللبن بالفِطرة؛ لما في كل منهما من التغذية الموجبة للحياة، وكمال النشأة، وأن الطفل إذا خُلِّي وفِطرَتَه لم يَعدِل عن اللبن، فهو مفطور علىٰ إيثاره علىٰ ما سواه، وكذلك فطرة الإسلام الَّتي فطر اللهُ عليها النَّاس.

ومن هذا تَأْويل البَقر بأهل الدِّين والخير الَّذين بهم عِمارة الأرض، كما أن البقر كذلك، مع عَدم شرِّها، وكَثرة خَيرها، وحاجة الأرض وأهلِها إليها، ولهذا لما رأىٰ النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقرًا تُنحر كان ذلك نحرًا في أصحابه. ومن ذلك تَأْويل الزَّرع والحَرْث بالعَمل؛ لأن العامل زارعٌ للخير والشَّرِّ، ولا بد أن يَخرج له ما بذره كما يخرج للباذر زرع ما بذره، فالدنيا مَزرعة، والأعمال البذر، ويوم القيامة يوم طلوع الزَّرع وحصاده.

ومن ذلك تَأْويل الخشب المقطوع المتساند بالمنافقين، والجامع بينهما: أن المنافق لا رُوح فيه، ولا ظلَّ، ولا ثمَر، فهو بمنزلة الخشب الَّذي هو كذلك، ولهذا شبَّه الله تَعالَىٰ المنافقين بالخُشب المُسنَّدةِ؛ لأنهم أجسام خالية عن الإيمان والخير.

وفي كونها مُسنَّدة نُكتة أخرىٰ: وهي أن الخشب إذا انتفع به جعل في سقف أو جدار أو غيرهما من مظان الانتفاع. وما دام متروكًا فارغًا غير منتفع به جعل مسندًا بعضه إلىٰ بعض، فشبَّه المنافقين بالخُشب في الحالة الَّتي لا ينتفع فيها بها.

ومن ذلك تَأْويل النار بالفتنة؛ لإفساد كل منهما ما يمر عليه، ويتصل به، فهذه تحرق الأثاث، والمتاع، والأبدان، وهذه تحرق القلوب، والأديان، والإيمان. ومن ذلك تَأْويل النجوم بالعلماء والأشراف؛ لحصول هداية أهل الأرض بكل منهما، ولارتفاع الأشراف بين النَّاس كارتفاع النجوم. ومن ذلك تَأْويل الغيث بالرحمة، والعلم، والقرآن، والحكمة، وصلاح حال النَّاس. ومن ذلك خروج الدم في التأويل يدل علىٰ خروج المال، والقدر المشترك: أن قِوامَ البدن بكلٍّ واحد منهما.

ومن ذلك الحدث في التأويل يدل علىٰ الحدث في الدِّين، فالحدث الأصغر ذنب صغير، والأكبر ذنب كبير. ومن ذلك أن اليهودية والنصرانية في التأويل بدعة في الدين، فاليهودية تدل علىٰ فساد القصد، واتباع غير الحق، والنصرانية تدل علىٰ فساد العلم، والجهل، والضلال. ومن ذلك الحديد في التأويل، وأنواع السلاح يدل علىٰ القوة، والنصر بحسب جوهر ذلك السلاح، ومرتبتة.

ومن ذلك الرائحة الطيبة تدل علىٰ الثناء الحسَن، وطِيب القول والعمل، والرائحة الخبيثة بالعكس، والميزان يدل علىٰ العدل، والجراد يدل علىٰ الجنود، والعساكر، والغوغاء الَّذين يموج بعضهم في بعض، والنحل يدل علىٰ من يأكل طيبًا، ويعمل صالحًا، والدِّيك رجل عالي الهمة بعيد الصيت، والحية عدو أو صاحب بدعة يهلك بسُمِّه، والحشرات أوغاد النَّاس، والخُلْدُ رجل أعمىٰ يتكفف النَّاس بالسؤال، والذئب رجل غشوم ظلوم غادر فاجر، والثعلب رجل غادر مكَّار

محتال مراوغ عن الحق، والكلب عدو ضعيف كثير الصخب والشر في كلامه وسبابه، أو رجل مبتدع متبع هواه مؤثر له علىٰ دينه، والسِّنَّوْر العبد، والخادم الَّذي يطوف علىٰ أهل الدار، والفأرة امرأة سوء فاسقة فاجرة، والأسد رجل قاهر مسلط، والكبش الرجل المنيع المتبوع.

ومن كليات التعبير: أن كل ما كان وعاء للماء فهو دال علىٰ الأثاث. وكل ما كان وعاء للمال -كالصندوق، والكيس، والجراب- فهو دال علىٰ القلب، وكل مدخول بعضه في بعض، وممتزج، ومختلط فدال علىٰ الاشتراك والتعاون، أو النكاح، وكل سقوط وخرور من علو إلىٰ أسفل فمذموم. وكل صعود وارتفاع فمحمود إذا لم يجاوز العادة، وكان ممن يليق به، وكل ما أحرقته النار فجائحة، وليس يرجىٰ صلاحه، ولا حياته. وكذلك ما انكسر من الأوعية الَّتي لا ينشعب مثلها. وكل ما خُطف وسُرق من حيث لا يُرىٰ خاطفه ولا سارقه فإنه ضائع لا يرجىٰ، وما عُرف خاطفُه أو سارقه أو مكانه أو لم يغب عن عين صاحبه فإنه يرجىٰ عوده.

وكل زيادة محمودة في الجسم، والقامة، واللسان، والذكر، واللحية، واليد، والرجل؛ فزيادة خير. وكل زيادة متجاوزة للحد في ذلك مذمومة، وشر، وفضيحة. وكل ما رأىٰ من اللباس في غير موضعه المختص به فمكروه؛ كالعمامة في الرِّجْل، والخفِّ في الرأس، والعقد في الساق. وكل من استقضىٰ أو استخلف أو أمَّر أو استوزر أو خطب ممن لا يليق به ذلك نال بلاء من الدنيا، وشرًّا، وفضيحة، وشُهرة قبيحة. وكل ما كان مكروهًا من الملابس فخَلِقه أهون علىٰ لابسه من جديده.

والجوز مال مكنوز، فإن تفقع كان قبيحًا، وشرًّا. ومن صار له ريش أو جناح صار له مال، فإن طار سافر، وخروج المريض من داره ساكتًا يدل علىٰ موته،

ومتكلمًا يدل علىٰ حياته، والخروج من الأبواب الضيقة يدل علىٰ النجاة والسلامة من شر وضيق هو فيه، وعلىٰ توبة، ولاسيما إن كان الخروج إلىٰ فضاء وسعة فهو خير محض، والسفر والنقلة من مكان إلىٰ مكان انتقال من حال إلىٰ حال بحسب حال المكانين، ومن عاد في المنام إلىٰ حال كان فيها في اليقظة عاد إليه ما فارقه من خير أو شر، وموت الرجل ربما دل علىٰ توبته ورجوعه إلىٰ الله؛ لأن الموت رجوع إلىٰ الله، قال تَعالَىٰ: ﴿ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّ﴾ [الأنعام: ٦٢]، والمرهون مأسور بدين أو بحق عليه لله أو لعبيده، ووداع المريض أهلَه أو توديعُهم له دالٌّ علىٰ موته.

وبالجملة؛ فما تقدم من أمثال القرآن كلها أصول وقواعد لعلم التعبير لمن أحسن الاستدلال بها، وكذلك من فهم القرآن فإنه يعبِّر به الرُّؤْيَا أحسنَ تعبير، وأصول التعبير الصَّحِيحة إنما أخذت من مشكاة القرآن، فالسفينة تعبَّر بالنجاة؛ لقوله تَعالَىٰ: ﴿فَأَنجَيۡنَٰهُ وَأَصۡحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ﴾ [العنكبوت: ١٥]، وتعبَّر بالتجارة. والخشبُ بالمنافقين، والحجارةُ بقساوة القلب، والبيضُ بالنساء، واللباسُ أيضًا بهن، وشرب الماء بالفتنة، وأكل لحم الرجل بغِيبته، والمفاتيح بالكسب والخزائن والأموال، والفتح يعبَّر مرة بالدعاء، ومرة بالنصر.

وكالمَلِك يرىٰ في محلَّة لا عادة له بدخولها يعبَّر بإذلال أهلها، وفسادها، والحبلُ يعبَّر بالعهد والحق والعضد، والنعاس قد يعبَّر بالأمن. والبَقل، والبصل، والثوم، والعدس يعبَّر لمن أخذه بأنه قد استبدل شيئًا أدنىٰ بما هو خير منه من مال أو رزق أو علم أو زوجة أو دار، والمرض يعبَّر بالنفاق، والشك، وشهوة الزنا. والطفل الرضيع يعبَّر بالعدو؛ لقوله تَعالَىٰ: ﴿فَٱلۡتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرۡعَوۡنَ لِيَكُونَ لَهُمۡ عَدُوّٗا وَحَزَنًا﴾ [القصص: ٨]، والنكاح بالبناء، والرماد بالعمل الباطل؛ لقوله تَعالَىٰ: ﴿مَّثَلُ

ﭐلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْۖ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَرَمَادٍ ٱشۡتَدَّتۡ بِهِ ٱلرِّيحُ﴾ [إبراهيم: ١٨]. والنور يعبَّر بالهدىٰ، والظلمة بالضلال.

وقيل لعابر: رأيتُ الشمسَ والقمر دخلَا في جوفي، فقال: تموت، واحتج بقوله تعالَىٰ: ﴿فَإِذَا بَرِقَ ٱلۡبَصَرُ ۝٧ وَخَسَفَ ٱلۡقَمَرُ ۝٨ وَجُمِعَ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ ۝٩ وَجُمِعَ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ ۝٩﴾ [القيامة: ٧-١٠]. وقال رجل لابن سيرين: رأيتُ معي أربعة أرغفة فطلعت الشمس، فقال: تموت إلىٰ أربعة أيام، ثم قرأ: ﴿ثُمَّ جَعَلۡنَا ٱلشَّمۡسَ عَلَيۡهِ دَلِيلٗا ۝٤٥ ثُمَّ قَبَضۡنَٰهُ إِلَيۡنَا قَبۡضٗا يَسِيرٗا﴾ [الفرقان: ٤٥-٤٦]، وأخذ هذا التأويل أنه حمل رزق أربعة أيام. وقال له آخر: رأيتُ كيسي مملوءًا أرَضَة، فقال أنت ميت، ثم قرأ: ﴿فَلَمَّا قَضَيۡنَا عَلَيۡهِ ٱلۡمَوۡتَ مَا دَلَّهُمۡ عَلَىٰ مَوۡتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلۡأَرۡضِ﴾ [سبأ: ١٤].

والنخلة تدل علىٰ الرجل المُسْلم، وعلىٰ الكلمة الطيبة، والحَنظلة تدل علىٰ ضد ذلك، والصنم يدل علىٰ العبد السوء الَّذي لا ينفع، والبستان يدل علىٰ العمل، واحتراقه يدل علىٰ حبوطه، ومن رأىٰ أنه ينقض غزلًا أو ثوبًا ليعيده مرة ثانية فإنه ينقض عهدًا، وينكثه، والمشي سويًّا في طريق مستقيم يدل علىٰ استقامته علىٰ الصراط المستقيم. والأخذ في بنيَّات الطريق يدل علىٰ عدوله عنه إلىٰ ما خالفه، وإذا عرضت له طريقان ذات يمين، وذات شمال، فسلك أحدهما فإنه من أهلها، وظهور عورة الإنسان له ذنب يرتكبه، ويفتضح به، وهروبه وفراره من شيء نجاة وظفر، وغرقه في الماء فتنة في دينه ودنياه، وتعلقه بحبل بين السماء والأرض تَمسُّكه بكتاب الله وعهدِه، واعتصامه بحبلِه، فإن انقطع به فارق العصمة إلا أن يكون ولي أمرًا، فإنه قد يقتل أو يموت.

فالرُّؤْيَا أمثال مضروبة يضربها الملَكُ الَّذي قد وَكَّلَه الله بالرُّؤْيَا ليستدل الرائي

بما ضرب له من المثل على نظيره، ويعبر منه إلىٰ شبهه، ولهذا سمي تَأْويلها تعبيرًا، وهو تفعيل من العبور، كما أن الاتعاظ يسمىٰ اعتبارًا وعِبرة؛ لعبور المتَّعظ من النظير إلىٰ نظيره» انتهىٰ.

وذكر البغوي في «شرح السنة»(١)، عن شيخه القاضي حسين بن مُحمَّد المرُّوذي، أنه قال: «اعلم أن تَأْويل الرُّؤْيَا ينقسم أقسامًا، فقد يكون بدلالة من جهة الكتاب، أو من جهة السنة، أو من الأمثال السائرة بين النَّاس. وقد يقع التأويل علىٰ الأسماء والمعاني، وقد يقع علىٰ الضد والقلب. قال: والتأويل بدلالة الحَدِيث كالغراب يعبَّر بالرجل الفاسق؛ لأن النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سماه فاسقًا، والفأرة تعبَّر بالمرأة الفاسقة؛ لأن النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سماها فويسقة، والضلع يعبر بالمرأة؛ لقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن المرأَةَ خُلقت من ضِلَع أَعوج**»(٢)، والقوارير تعبَّر بالنساء؛ لقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يا أنجشَةُ، رُويدك سَوقًا بالقَوارير**»(٣).

والتأويل بالأمثال كالصَّائغ يعبَّر بالكذاب؛ لقولهم: أكذب النَّاس الصواغون، وحَفر الحفرة يعبَّر بالمَكر؛ لقولهم: مَن حَفر حفرة وقع فيها. والحاطب يعبَّر بالنَّمَّام؛ لقولهم لمَن وشىٰ: إنه يحطب عليه، وفسَّروا قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ﴾ [المسد: ٤] بالنَّميمة، ويعبَّر طُول اليد بصنائع المعروف؛ لقولهم: أطول يدًا من فلان. ويعبَّر الرمي بالحجارة وبالسَّهم بالقذف؛ لقولهم: رمىٰ فلانًا بفاحشة، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ﴾ [النور: ٤]، ويُعبَّر غسلُ اليد باليأس عما يأمل؛

(١) (١٢/ ٢٢٠).

(٢) أخرجه البخاري (٣٣٣١)، ومسلم (١٤٦٨) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه البخاري (٦١٤٩)، ومسلم (٢٣٢٣) من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

لقولهم: غسلتُ يدي عنك.

والتأويل بالأسامي: كمن رأىٰ رجلًا يسمىٰ راشدًا؛ بالرُّشد، وإن كان يسمىٰ سالمًا يعبَّر بالسلامة.

وأما التأويل بالضد والقلب: فكالخوف في النوم يعبَّر بالأمن؛ لقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾ [النور: ٥٥]، والأمن فيه يعبَّر بالخوف، ويعبَّر البكاءُ بالفرح إذا لم يكن رنَّة، ويعبَّر الضحك بالحُزن إلا أن يكون تبسمًا، ويعبَّر الطاعون بالحرب، والحرب بالطاعون، وتعبَّر العجلة في الأمر بالندم، والندم بالعجلة، ويعبَّر العشق بالجنون، والجنون بالعشق، والنكاح بالتجارة، والتجارة بالنكاح، ويعبَّر التحول عن المنزل بالسفر، والسفر بالتحول عن المنزل، والمريض يخرج من منزله ولا يتلكم فهو موته، وإن تكلَّم برأ.

وقد يتغير التأويلُ عن أصله باختلاف حال الرَّائي؛ كالغُلِّ في النوم مكروه، وهو في حق الرجل الصَّالح قبضُ اليد عن الشر، وكان ابن سيرين يقول في الرجل يخطب علىٰ المنبر: يُصيب سلطانًا، فإن لم يكن من أهله يُصلب، وسأل رجل ابن سيرين قال: رأيت في المنام كأني أؤذن، قال: تحجُّ، وسأله آخر، فأوَّل بقطع يدِه في السرقة، فقيل له في التأويلين، فقال: رأيتُ الأول علىٰ سيمَا حَسَنَة فأولت قولَه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ﴾ [الحج: ٢٧]، ولم أرض هيئة الثاني فأوَّلتُ قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ﴾ [يوسف: ٧٠].

وقد يرىٰ الرَّجُل في منامه فيصيبه عينُ ما رأىٰ حقيقة من ولاية أو حج أو قدوم غائب أو خير أو نكبة، فقد رأىٰ النَّبيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ الفتحَ فكان كذلك، قال الله

تعالىٰ: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ﴾ [الفتح: ٢٧]، وقد يُرىٰ الشيءُ في المنام للرَّجل، ويكونُ التأويلُ لولده أو قريبه أو سميِّه، فقد رأىٰ النَّبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في النوم مبايعةَ أبي جهل معه، فكان ذلك لابنه عِكرمة، فلما أسلم قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «هُو هَذا»، ورأىٰ لأَسِيد بن العاص ولايةَ مكَّة، فكان لابنه عتَّاب بن أَسِيد، ولَّاه النَّبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مكَّة» انتهىٰ باختصار.

وليَعلم المُتسرِّعون إلىٰ تَأْويل الرُّؤْيَا أن ما ذكر في هذا الفصل من التأويل ليس هو من التوقيف الَّذي يقطع به في تَأْويل الأشياء الَّتي ذكرت فيه، وإنما هو من باب التقريب الَّذي قد يكون التأويل فيه صوابًا، وقد يكون غيرَ صواب، وقد تقدم ما ذكره ابنُ عبد البر، عن هشام بن حسان، أنه قال: كان ابن سيرين يُسئل عن مائة رُؤْيَا فلا يجيب فيها بشيء إلا أنه يقول: اتق الله، وأحسن في اليقظة، فإنه لا يضرك ما رأيت في النوم، وكان يجيب في خلال ذلك ويقول: إنما أجيب بالظن، والظن يُخطئ ويصيب.

وإذا كان هذا قولَ إمام المُعبِّرين في زمانه وما بعده من الأزمان، فما الظن بغيره؟! فاتقوا الله أيها المتسرعون إلىٰ تعبير الأحلام بغير علم، واعلموا أنكم ستسألون عن تخرُّصاتكم يوم القيامة، ولا يأنف أحدُكم أن يقول: لا أدري، فقد قال غير واحد من العلماء: إن قول: لا أدري؛ نصف العلم.

فصل

وقد أُلِّف في تعبيرِ الأحلام عدَّةُ مؤلَّفات. منها ما يُنسب إلىٰ ابن سيرين. ومنها ما يُنسب إلىٰ غيره، ولا خير في الاشتغال بها وكثرةِ النظر فيها؛ لأن ذلك قد يُشوِّش الفكرَ، وربما حصل منه القلق والتنغيص من رؤية المنامات المكروهة،

وقد يدعو بعض من لا علم لهم إلىٰ تعبير الأحلام علىٰ وفق ما يجدونه في تلك الكتب، ويكون تعبيرهم لها بخلاف تَأْويلها المطابق لها في الحقيقة، فيكونون بذلك من المتخرصين القائلين بغير علم، ولو كان كل ما قيل في تلك الكتب من التعبير صَحِيحًا ومطابقًا لكل ما ذكروه من أنواع الرُّؤْيَا لكان المعبرون للرُّؤْيَا كثيرين جدًّا في كل عصر، ومصر.

وقد عُلم بالاستقراء والتَّتبُّع لأخبار الماضين من هذه الأمة، أن العالِمين بتأويل الرُّؤْيَا قليلون جدًّا، بل إنهم في غاية النُّدرة في العلماء، فضلًا عن غير العلماء.

وذلك لأن تعبير الرُّؤْيَا عِلمٌ من العلوم الَّتي يختص الله بها من يشاء من عباده، كما قال تَعالَىٰ مُخبرًا عن يعقوب عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، أنه قال ليوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ﴾ [يوسف: ٦]، وقال تَعالَىٰ مخبرًا عن يوسف، أنه قال للفتيين اللذين دخلا معه السجن: ﴿ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ ﴾ [يوسف: ٣٧]، وقال تعالَىٰ مخبرًا عن يوسف أيضًا، أنه قال: ﴿ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ﴾ [يوسف: ١٠١].

والمراد بتأويل الأحَادِيث تَعبير الرُّؤْيَا، قاله غير واحد من المفسرين. وقال القرطبي: أجمعوا أن ذلك في تَأْويل الرُّؤْيَا. قال البغوي: وسُمِّي تَأْويلًا لأنه يئول أمرُه إلىٰ ما رأىٰ في منامه، وبنحو هذا قال ابن الجوزي. وقال القرطبي: «عَنَىٰ بالأحَادِيث ما يراه النَّاس في المَنام» وهي معجزة له، فإنه لم يلحقه فيها خطأ. وكان يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أعلَم النَّاس بتأويلها، وكان نبيُّنا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نحوَ ذلك، وكان الصِّدِّيق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ مِن أعبر

النَّاس لها، وحصل لابن سيرين فيها التقدم العظيم، والطبع، والإحسان، ونحوه أو قريب منه كان سعيد بن المسيب فيما ذكروا»[(١)]. انتهىٰ.

فصل

وممن اشتهر بتعبير الرُّؤْيَا، وكان من الراسخين في هذا العلم: أَحْمَد بن عبد الرَّحْمَن بن عبد المُنعم بن نعمة المقدسي النابلسي، شهاب الدين أبو العبَّاس - المعروف بالشهاب العابر- وكان في المائة السابعة من الهجرة، وقد سمع منه خلق من الحفاظ، ومنهم المزي، والبرزالي، والذهبي، وابن القيم، وحدَّث عنه غير واحد.

وقد ترجم له الحافظ ابن رجب في «الذَّيْل علىٰ طبقات الحنابلة»[(٢)]، وقال: «إنه برع في معرفة تعبير الرُّؤْيَا، وانفرد بذلك بحيث لم يُشارَك فيه، ولم يُدرَك شأوه، وكان النَّاس يتحيرون منه إذا عبر الرُّؤْيَا؛ لما يُخبر الرائي بأمور جرت له، وربما أخبره باسمه، وبلده، ومنزله، ويكون من بلد ناءٍ، وله في ذلك حكايات كثيرة غريبة مشهورة، وهي من أعجب العجب. وله مصنف في هذا العلم سماه «النور المنير»..» انتهىٰ.

وقال ابن كثير في ترجمته في «البداية والنهاية»[(٣)]: «كان عجبًا في تفسير المنامات، وله فيه اليد الطُّولىٰ، وله تصنيف فيه ليس كالَّذي يؤثر عنه من الغرائب والعجائب» انتهىٰ.

---

(١) «تفسير القرطبي» (٩/ ١٢٩).

(٢) (٤/ ٢٨٩).

(٣) (١٣/ ٤١٨).

وقال ابن القيم في «زاد المعاد»[1] في الفصل الَّذي ذكر فيه وفد بني حنيفة: «أنبأني أبو العبَّاس أحْمَد بن عبد الرحيم بن عبد المنعم بن نعمة بن سرور المقدسي -المعروف بالشهاب العابر- قال: قال لي رجل: رأيتُ في رجلي خلخالًا، فقلت له: تتخلخل رجلك بألم، فكان كذلك. وقال لي آخر: رأيت كأنَّ في أنفي حلقة ذهب، وفيها حَبٌّ مَليح أحمر، فقلت له: يقع بك رعاف شديد، فجرىٰ كذلك. وقال آخر: رأيتُ كلابندًا معلقًا في شفتي، فقلت: يقع بك ألم يحتاج إلىٰ الفصد في شفتك، فجرىٰ كذلك. وقال لي آخر: رأيت في يدي سوارًا والنَّاسُ يُبصرونه، فقلت له: سوء يبصره النَّاس في يدك. فعن قليل طلع في يده طلوع. ورأىٰ ذلك آخر لم يكن يبصره النَّاس، فقلت: تتزوج أمراة حَسَنَة، وتكون رقيقة.

قال ابن القيم: قلتُ: عَبَّرَ له السوار بالمرأة لمَّا أخفاه وستره عن النَّاس، ووصفها بالحُسن لحسن منظر الذهب وبهجته، وبالرقة لشكل السوار، والحلية للرجل تنصرف علىٰ وجوه، فربما دلَّت علىٰ تزويج العزب لكونها من آلات التزويج، وربما دلت علىٰ الإماء والسراري، وعلىٰ الغنىٰ، وعلىٰ البنات، وعلىٰ الخَدم، وعلىٰ الجهاز، وذلك بحسب حال الرائي، وما يليق به.

قال أبو العبَّاس العابر: وقال لي رجل: رأيتُ كأن في يدي سوارًا منفوخًا لا يراه النَّاس، فقلت له: عندك امرأة بها مرض الاستسقاء.

قال ابن القيم: فتأمل كيف عَبَّر له السوار بالمرأة، ثم حكم عليها بالمرض لصفرة السوار، وأنه مرض الاستسقاء الَّذي ينتفخ معه البطن.

---

(١) (٣/ ٥٣٧).

قال: وقال آخر: رأيت في يدي خلخالًا، وقد أمسكه آخر، وأنا ممسك له، وأصيح عليه، وأقول: اترك خلخالي؛ فتركه، فقلت له: فكان الخلخال في يدك أملس، فقال: بل كان خشنًا تألمت منه مرة بعد مرة، وفيه شراريف، فقلت له: أمُّك وخَالك شريفان، ولست بشريف، واسمك عبد القاهر، وخالك لسانه نجس رديء يتكلم في عرضك، ويأخذ مما في يدك، قال: نعم، قلت: ثم إنه يقع في يد ظالم متعدٍّ، ويحتمي بك فتشد منه، وتقول: خلَّ خالي، فجرىٰ ذلك عن قليل.

قال ابن القيم: «قلت: تأمل أخذه الخال من لفظ الخلخال، ثم عاد إلىٰ اللفظ بتمامه حتىٰ أخذ منه: «خلَّ خالي»، وأخذ شرفه من شرائف الخلخال، ودل علىٰ شرف أمه؛ إذ هي شقيقة خاله، وحكم عليه بأنه ليس بشريف، إذ شرفات الخال الدالة علىٰ الشرف اشتقاقًا هي في أمر خارج عن ذاته، واستدل علىٰ أن لسان خاله لسان رديء يتكلم في عِرضه بالألم الَّذي حصل له بخُشونة الخُلخال مرة بعد مرة، فهي خشونة لسان خاله في حقِّه، واستدل علىٰ أخذ خاله ما في يديه بتأذِّيه به، وبأخذه من يديه في النوم بخشونته، واستدل بإمساك الأجنبي للخلخال، ومجاذبة الرائي عليه علىٰ وقوع الخال في يد ظالم متعدٍّ يَطلب منه ما ليس له، واستدل بصياحه علىٰ المجاذب له، وقوله: «خلَّ خالي» علىٰ أنه يُعين خالَه علىٰ ظالمه، ويشد منه، واستدل علىٰ قهره لذلك المجاذب له، وأنه القاهر يده عليه علىٰ أن اسمه عبد القاهر، وهذه كانت حال شيخنا هذا، ورسوخه في علم التعبير، وسمعت عليه عدة أجزاء، ولم يتفق لي قراءة هذا العلم عليه لصغر السِّن، واخترام المنية له، رحمه الله تَعالَىٰ» انتهىٰ.

فصل

ومِن القصص العجيبة في التعبير: ما ذكره القاضي أبو بكر بن العربي المالكي في أثناء شرحه لأبواب الأدب من «جامع التِّرْمِذي». فقد ذكر في الكلام على الأحَادِيث الَّتي رواها التِّرْمِذي في امتناع الملائكة من دخُول البيت الَّذي فيه صُورة، أنه كان بمصر معبِّرٌ للالكي[1]، وكانت أمُّ المَلِك إذا ركِبَت من مدينتها إلى بركة الحبش للفُرجة تمرُّ به في خدمها وحشمها، فلما حاذوه قالت الجاريةُ لمولاتها: هذا هو المعبِّر، فنسأله، قالت لها: نعم، فقالت له، وقد وقَفْنَ عليه: إن الملكة كانت ترى في المنام أنها تطأ بلالكتها على الكرسي، فقال لها: هات اللَّالكةَ من رِجلِكِ، فرمت بها، وظنت أنه يريد صفعَها بها؛ لعظيم قولها، فأخذها وجعل يفصل باطنها من ظاهرها بالمقذة، ويخرج حشوها، فإذا في الحشو رقعة فيها مكتوب: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥] الآيةَ؛ فناولها إياها، وقال لها: هذا الَّذي كنت تطئين، فأما الَّذي توهمته أو حلمته من عليين فلا سبيل إليه، فأمرت جارية أن تعطيه ما كان على منديلها من نفقة صلة له على ثقابةِ ذهنه، وإصابة فطنته، وكان مالًا كثيرًا.

فصل

ومن الأحلام العجيبة أيضًا: ما أخبرني به أحد الإخوان من أهل البلدة الجنوبية في الزلفى. وهذا الرجل ظاهرُه الخير، والصلاح، والثقة، والعدالة، قال: جلست عند رجل

---

(١) قال ابن الأثير في «اللباب في تهذيب الأنساب»، ومرتضى الحسيني في «تاج العروس»: اللالكائي منسوب إلى بيع اللوالك التي تُلبس في الأرجل.

يبيع الساعات في مدينة الرياض، فجاءت امرأةٌ تُسلومه، وكانت سافرةً بوجهها، فجعلتُ أنظر إليها، ثم ذَهَبَتْ، فلما نِمْتُ في أول ليلة بعد نظري إلى المرأة رأيت في منامي أن رجلًا جاء إليَّ فوقف إلى جانبي الأيسر، ومعه رجال كثيرون جلسوا أمامي، وعن يميني، وعن شمالي، ومعه أيضًا عدة نساء جلسن خلفي، وهن متسترات غاية التَّستُّر، فقرأ الرجل الَّذي قام إلى جانبي قولَ الله تعالَى: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: ٢]، ولما فرغ من قراءة الآية جعل يَضربني على ظهري ضربًا شديدًا بعصًا كانت معه، حتى تألَّمتُ من ظهري من شدَّة ضَربه، فلما فرغ من الضَّرب ذهبَ، وذهب الَّذين كانوا معه، ثم استيقظتُ من نومي وأنا أجد ألم الضَّرب في ظهري، هكذا حدَّثني بهذه الرُّؤْيَا ونحن في المسجد الحرام في (٢٧/ ٩/ ١٣٩٤هـ).

وقد ثبت عن النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**زِنَا العَينين النَّظر**»، رواهُ الإمام أحْمَد، والبُخارِي، ومُسْلم، وأبو داود، والنَّسائي من حديث أبي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ(١). وروى الإمام أحْمَد، عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**العَينان تَزنيان**»(٢). وروى الحاكم، عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في قول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِلَّا ٱللَّمَمَ﴾ [النجم: ٣٢] قال: «**زِنا العَينين النَّظر...**» الحَدِيث(٣). قال الحاكم: صَحِيح على شرط الشَّيْخَين، ووافقه الذهبي في «تلخيصه».

---

(١) أخرجه أحمد (٣٤٣)، والبخاري (٢٦٥٧)، ومسلم (٢٦٥٧)، وأبو داود (٢١٥٢)، والنسائي في «الكبرى» (تحفة الأشراف) (١٣٥٧٣).

(٢) أخرجه أحمد (١/ ٤١٢) (٣٩١٢) وقال شعيب الأرنؤوط: صحيح.

(٣) أخرجه الحاكم (٢/ ٥١٠) (٣٧٥١).

وفي هذين الحَدِيثين دليل علىٰ تحريم النظر إلىٰ الأجنبيات من النساء؛ لأن النظر إليهن نوع من أنواع الزِّنا، والزنا كله حرام، وليس في النظر إلىٰ الأجنبيات من النساء حد مقدَّر، وإنما هو من المعاصي الَّتي يجب اجتنابُها خشيةَ العقوبة عليها. وأما ما وقع لصاحب الرُّؤيَا من الضَّرب في النوم من أجل نظره إلىٰ المرأة الأجنبية فذلك من باب التعزير له؛ لئلَّا يعود إلىٰ النظر إلىٰ الأجنبيات من النساء، والله أعلم.

فصل

ومن الأحلام العجيبة أيضًا: ما حدَّثَنا به غير واحد من الثقات؛ أن رجلًا من أهل الرياض يسمىٰ «عبد العزيز بن يحيَّان» كان إمامًا لبعض المساجد في الرياض، في أثناء النصف الأول من المائة الرابعة عشرة من الهجرة. وكان حافظًا للقرآن، وحَسَنَ الصوت بالقراءة، وكانت آثار الصلاح ظاهرة عليه، فمات؛ فرآه رجل يسمىٰ «حمد السيف» في النوم، فسلم عليه، وعانقه، وكان حمد يأتي إلىٰ المسجد في آخر الليل، ولا يخرج منه إلا بعد طلوع الشمس، فإذا خرج من المسجد ذهب إلىٰ بيته، فتأتيه زوجته بالتمر والقهوة، فلمَّا كانت صبيحة الليلة الَّتي رأىٰ فيها الرُّؤيَا ذهب إلىٰ بيته، وكانت عندهم امرأة تَخدُمهم، فشمَّت منه رائحة الطِّيب، فذهبت إلىٰ زوجته فقالت لها: إن زوجك قد تزوج في هذه الليلة، وآية ذلك أن رائحة الطِّيب تَفوح منه، فصدقتها الزوجة، وصدَّت عن زوجها، ولم تأته بالتمر والقهوة كما كانت تأتيه بهما في كل يوم.

فلما أبطأت عليه ذهَب إليها ليطلب منها أن تأتيه بهما فانتهرته، وقالت له: اذهب إلىٰ زوجتك الجديدة فلتأتك بالَّذي أنت تَطلب، فأنكر أن يكون قد تزوج،

وحَلف لها علىٰ ذلك، فلم تصدقه، وقالت: إن هذا الطِّيب الَّذي قد تطيَّب به لا يكون إلا من زوجة جديدة، فحلف لها عدة أَيمان أنه لم يتزوج، وأخبرها بما رآه في منامه، وأن هذه الرائحة الطيبة قد علقت بيده حين صافح بها عبد العزيز بن يحيَّان في النوم.

قال الَّذين حدَّثوا بهذه القصة: إن الَّذين حدَّثوهم بها أخبروهم أن رائحة الطيب بَقيت في يد حمد السيف مدة أيام، مع أنه كان يغسلها للوضوء، ولغير ذلك مما يسن له غسل الأيدي، وما يستحب له. وقد ذكر بعض الرَّاوين للقصَّة أن رائحة الطيب بقيت في يد حمد السيف نصف شهر، وقال بعضهم: بل إنها بقيت أكثر من ذلك.

قلتُ: ويشهد لهذه القصة ما تقدم نقله من كتاب «الرُّوح»[١] لابن القيم: أن نافعًا القاري كان إذا تكلم يُشمُّ من فيه رائحة المِسك، فقيل له: كلما قعدتَ تطيَّبت، فقال: ما أمسُّ طِيبًا، ولا أقربه، ولكن رأيت رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المنام وهو يقرأ في فَمِي، فمِن ذلك الوقت يشمُّ مِن فِي هذه الرَّائحة.

ويشهد لها أيضًا ما جاء في قصة للخطيب ابن نُباتة -واسمه عبد الرحيم بن مُحمَّد بن إسماعيل بن نُباتة الحُذاقي الفارقي- وقد ذكر هذه القصة ابن خلِّكان في كتابه «وفيات الأعيان»[٢] في ترجمة ابن نباتة، وذكرها ابن كثير في «البداية والنهاية»[٣]، وقد جاء فيها أن ابن نُباتة رأىٰ النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المنام، وأن النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تفل في فيه، وأنه بقي بعد هذا المنام أيامًا لا يأكل الطعام، ولا يشتهيه،

---

(١) (١/ ١٩٠).

(٢) (٣/ ١٥٧).

(٣) (١١/ ٣٤٥).

ويوجد مِن فيه رائحة المسك، ولم يعش بعد ذلك إلا مدة يسيرة.

ويشهد لها أيضًا: ما ذكره الحافظ أبو الفرج ابن الجوزي قال: قرأتُ بخطِّ شيخنا أبي الحسن بن الزَّاغوني قال: كُشف عن قبر أبي مُحمَّد البَرْبهاري، وهو صَحِيح لم يَرِمْ، وظهرت من قبره روائح الطيب حتىٰ ملأت مدينة السلام -يعني بغداد- وقوله: لم يَرِمْ: معناه لم يَبْرح علىٰ الحال الَّتي دُفن عليها.

فصل

وممَّن اشتهر بتعبير الرُّؤْيَا من المتأخرين، وكانت له اليد الطُّولىٰ في هذا العلم الشَّيخ مُحمَّد بن الشَّيخ عبد الرَّحْمَن بن الشَّيخ عبد الله بن الشَّيخ مُحمَّد بن عبد الوهاب رحمهم الله تَعالَىٰ، ويُعرف هذا الشَّيخ عند عشيرته وأهلِ بلده بالمِصري(١). ولم يبلغني من تعبيره للرُّؤْيَا إلا النَّزرُ اليسير. وسأذكر ما

(١) إنما سمِّي الشيخ محمد بن عبد الرحمن بالمصري؛ لأنه قد ولد بمصر ونشأ بها، وقضىٰ فيها زمانًا من عمره، وبعد وفاة والده الشيخ عبد الرحمن انتقل إلىٰ الرياض، وكانت لهجته في الكلام حين قدم إلىٰ الرياض مثل لهجة المصريين، فسمي بالمصري لهذا السبب، وكان جده الشيخ عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمهم الله تعالىٰ، قد نقله المصريون إلىٰ مصر حين استولوا علىٰ الدرعية في سنة ثلاث وثلاثين ومائتين وألف من الهجرة، ونقلوا معه ابنه الشيخ عبد الرحمن والد الشيخ محمد المسمىٰ بالمصري، وهو إذ ذاك مراهق، وقد توفي الشيخ عبد الله بمصر في سنة ثلاث وأربعين ومائتين وألف، وتوفي ابنه الشيخ عبد الرحمن بمصر أيضًا في سنة أربع وسبعين ومائتين وألف، وكان من العلماء الأجلاء، وقد ذكره الشيخ عثمان بن عبد الله بن بشر في كتابه المسمىٰ «عنوان المجد في تاريخ نجد»، فقال: وأما عبد الرحمن فإنه جلا مع أبيه إلىٰ مصر في أول طلبه العلم وهو قريب البلوغ قبل أن يتم له الطلب، وذكر لنا أنه اليوم في رواق الحنابلة يُدَرِّس في الجامع الأزهر، وأن له معرفة ودراية عظيمة. انتهىٰ.
=

بلغني من ذلك إن شاء الله تَعالَىٰ:

فمن ذلك: أن رجلًا -يقال له: الحوطي- كان يخدم الشَّيخ عبد الله بن عبد اللطيف آل الشَّيخ رحمهم الله تَعالَىٰ، رأىٰ رُؤْيَا فقصَّها علىٰ الشَّيخ عبد الله، فقال له: اذهب إلىٰ الشَّيخ مُحمَّد -يعني المصري- فاقصصها عليه، وأخبرني بتعبيره، فذهب إلىٰ المسجد الَّذي كان الشَّيخ مُحمَّد يُصلِّي فيه، وجلس يَنتظره حتىٰ خرَج من المسجد، فقصَّ عليه رُؤْيَاه، قال: إني رأيتُ كأني خرجت مع الشَّيخ عبد الله بن عبد اللطيف من الباب الشرقي للمسجد -أي: مسجد الشَّيخ عبد الله المعروف في حي دخنه، بمدينة الرياض- فلما كنا تحت الساباط الَّذي في طريقنا إذا ذهبنا إلىٰ بيت الشَّيخ عبد الله، إذا نحن برجل نائم تحت الساباط في وسط الطريق، فنظرنا إليه، فإذا هو الإمام تركي بن عبد الله بن مُحمَّد بن سعود، فجلس الشَّيخ عبد الله عنده، وجعل

=

وقال عثمان بن سند الوائلي في تاريخه «مطالع السعود» صفحة (١٠٦) ما نصه: واعلم أنه بقي للوهابية بقية بمصر ظلوا فيها برغبتهم؛ لأنهم صار لهم فيها أولاد وأملاك بمصر، مثل الشيخ عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب النجدي، وله أولاد، منهم أحمد أزجي، وعبد الله كاتب في القلعة، ثم قال: وأما الشيخ عبد الرحمن المذكور فقد أدركته في الجامع الأزهر يُدَرِّس مذهب الحنابلة سنة ثلاث وسبعين ومائتين وألف، برواق الحنابلة، وتوفي سنة أربع وسبعين ومائتين وألف، وكان عالمًا فقيهًا ذا سمعة حسنة، يظهر عليه التقىٰ والصلاح. انتهىٰ.

وأما الشيخ محمد بن عبد الرحمن المسمىٰ بالمصري، فقد ذكر بعض أحفاده أنه ولد بمصر سنة ١٢٥٤هـ وبعد وفاة والده الشيخ عبد الرحمن انتقل إلىٰ الرياض، وذلك في آخر زمان الإمام فيصل بن تركي رحمه الله، وقد توفي في مدينة الرياض سنة ١٣٤٤هـ، وقد بلغ من العمر تسعين سنة رحمه الله تعالىٰ.

يتحدث معه، وأما أنا فأصابتني رِعدة، فجلست إلىٰ جدار البيت الَّذي بجانب الساباط من جهة الجنوب، وأسندتُ ظهري إلىٰ الجدار.

ثم إن الإمام تركي قام فاستقبل جهة المشرق وجعل ينظر إليها، ثم استدار إلىٰ جهة الشمال وجعل ينظر إليها، ثم استدار إلىٰ جهة الجنوب وجعل ينظر إليها، ثم استدار إلىٰ جهة القبلة وجعل ينظر إليها، ثم ذهب يمشي مع السُّوق، ومعه الشَّيخ عبد الله. وأما أنا فلم أزل مسندًا ظهري إلىٰ جدار البيت الَّذي بجانب الساباط، إلىٰ أن انتبهت من نومي، وكانت هذه الرُّؤْيَا في زمان استيلاء آل رشيد علىٰ البلاد النجدية، ولجوء الإمام عبد الرَّحْمَن بن فيصل، وأولاده إلىٰ الكويت.

فقال الشَّيخ مُحمَّد: هذه رُؤْيَا عظيمة، وتأويلها: أن أحد أبناء الإمام عبد الرَّحْمَن بن فيصل بن تركي سيخرج من الكويت، ويستولي علىٰ نجد كما كان جده تركي مستوليًا عليها، ثم يستولي علىٰ الأحساء، والجهة الشرقية، ثم يستولي علىٰ حائل وجهة الشمال، ثم يستولي علىٰ عسير، وتلك الجهة، ثم يستولي علىٰ مكة، والجهة الحجازية، وسيكون للشيخ عبد الله بن عبد اللطيف صِلة قوية بالَّذي سيستولي علىٰ نجد من ذرية الإمام تركي، وأما أنت -يعني الحوطي الَّذي رأىٰ الرُّؤْيَا- فستملك البيت الَّذي أسندت ظهرك إلىٰ جداره، أو يملكه أحد أبنائك.

قال الحوطي: فقلت للشيخ مُحمَّد: إن تَأْويلك لهذه الرُّؤْيَا بعيد جدًّا؛ لأن آل رشيد قد استولوا علىٰ نجد كلها، وليس لهم منازع. وأما الإمام عبد الرَّحْمَن، وأبناؤه فإنهم قد لجئوا إلىٰ الكويت، وليس عندهم مال، ولا رجال، فكيف يستولون علىٰ نجد؛ فضلًا عن الجهات البعيدة عن وسط نجد؟!

فقال الشَّيخ مُحمَّد: إنه لا بد أن يقع تَأْويل هذه الرُّؤْيَا.

قال الحوطي: فلما أن دخل الملك عبد العزيز بلدة الرياض، واستولىٰ عليها، جاء الشَّيخ مُحمَّد إليَّ بعد صلاة الفجر في تلك الليلة، وقال لي: هذا أول تَأْويل رُؤْيَاك قد وقع، وستقع بقيته في المستقبل إن شاء الله تَعالَىٰ.

قلت: وقد وقع تَأْويل هذه الرُّؤْيَا علىٰ وفق ما عبَّرها بها الشَّيخ مُحمَّد، فقد استولىٰ الملك عبد العزيز علىٰ جميع الجهات الَّتي جاء ذكرها في الرُّؤْيَا. وكان للشيخ عبد الله بن عبد اللطيف صلة قوية بالملك عبد العزيز، فكان الشَّيخ موضع ثقة الملك، ومشاورته، وقد زوَّجه الشَّيخ بإحدىٰ بناته، فولدت له الملك فيصل بن عبد العزيز، وأما البيت الَّذي أسند الحوطي ظهره إلىٰ جداره فإنه قد اشتراه أحد أبناء الحوطي، وكان الأمر فيه علىٰ وفق ما عبَّره الشَّيخ مُحمَّد. وهذه الرُّؤْيَا وتأويلها من أعجب العجب، وفي تَأْويل الشَّيخ مُحمَّد لها دليل علىٰ رسوخه في علم التعبير.

ومن تعبير الشَّيخ مُحمَّد أيضًا: أن رجلًا قال له: إنه رأىٰ في منامه أن فرسًا خرجت من جهة القصر المسمىٰ بـ«المصمك» في بلدة الرياض، فجاء حصان يعدو من جهة باب البلد الَّذي يسمىٰ «دروازة الثميري» فنزىٰ علىٰ الفرس، فقال الشيخ: هل رأيته أولج فيها؟ فقال: نعم، فقال: إن صدقت رُؤْيَاك فإن عبد العزيز بن عبد الرَّحْمَن يدخل الرياض، ويستولي عليه.

قلت: وقد وقع تصديق هذه الرُّؤْيَا، فقد دخل الملك عبد العزيز بلدة الرياض، واستولىٰ عليها في سنة تسع عشرة وثلثمائة وألف من الهجرة.

ومن تعبير الشَّيخ مُحمَّد أيضًا: أن الملك عبد العزيز لما أراد أن يغزو

الأحساءَ رأىٰ في منامه كأنه تحت سور رفيع، وكان يحفر تحته، فكان ينهار بسهولة، فقصَّ رُؤْيَاه علىٰ الشَّيخ مُحمَّد، فقال له: إن صدقت رُؤْيَاك فإنك تستولي علىٰ الأحساء بسهولة.

قلت: وقد وقع الأمر علىٰ وفق ما عبَّر به الشَّيخ رُؤْيَا المَلِك.

ومن تعبير الشَّيخ مُحمَّد أيضًا: أن الملك عبد العزيز قال له: إني رأيت في المنام أني أمسكت امرأة وجردتها من ثيابها، وتركتها عريانة، فقال الشيخ: هل فعلتَ بها شيئًا؟ قال: لا، فقال الشيخ: إن صدقت رُؤْيَاك فإنك تستولي علىٰ بلاد حايل.

قلت: وقد وقع الأمر علىٰ وفق ما عبَّر به الشَّيخ رُؤْيَا المَلِك.

ومن الأحلام الَّتي أَوَّلَها الشَّيخ مُحمَّد: أن الملك عبد العزيز رأىٰ في المنام أن الشريف حُسينًا كان جالسًا علىٰ كرسي، فتقدم إليه الملك عبد العزيز، وأنزله علىٰ الكرسي وجلس عليه، فقال له الشَّيخ مُحمَّد: إنك سوف تستولي علىٰ مكة.

قلت: وقد وقع الأمر علىٰ وفق ما عبَّر به الشَّيخ رُؤْيَا الملك.

ومن الأحلام الَّتي أولَّها الشَّيخ مُحمَّد: أن رجلًا يقال له: ابن داود، من أهل بلدة حايل، وكان مع عجلان في الرياض حين كان عجلان أميرًا علىٰ البلاد من قِبَل ابن رشيد، فرأىٰ ابن داود في المنام أنه خرج من قصر المصمك، فإذا حول القصر أبواب موضوعة علىٰ الأرض، وعليها آثار المطر والوحل، فمرَّ في طريقه علىٰ بئر السدرة الَّتي عند مسجد خالد، فغسل رجليه من الطين، ثم ذهب إلىٰ بيت الشَّيخ عبد الله بن عبد اللطيف آل الشيخ، فقصَّ رُؤْيَاه علىٰ الشَّيخ مُحمَّد، فقال الشيخ: أما الأبواب الموضوعة علىٰ الأرض عند باب المصمك فإنهم رجال يقتلون هناك، وأما

أنت فإنك تستجير بالشيخ عبد الله بن عبد اللطيف، وتنجو من القتل.

ومن الأحلام الَّتي أَوَّلَها الشَّيخ مُحمَّد: أن الشَّيخ عبد العزيز بن عبد الله النمر رأىٰ في المنام أنه يمشي في الموضع الَّذي يسمىٰ «الصفاة» في وسط بلدة الرياض، وأن الإمام عبد الرَّحْمَن بن فيصل، والملك عبد العزيز قد تبعاه من ورائه، **فأَوَّلَها الشَّيخ مُحمَّد** بأن أجله قريب، وسوف يمشيان خلف جنازته.

ومن الأحلام الَّتي أَوَّلَها الشَّيخ مُحمَّد: أن تركي بن الملك عبد العزيز رأىٰ في المنام كأنه قريب من ربِّه، وأن أخاه فَهْد قريب منه، فقصَّها تركي علىٰ الشَّيخ مُحمَّد، فقال له: خَيْرٌ إن شاء الله، ولم يخبره بتأويلها، فلما خرج تركي من عند الشَّيخ مُحمَّد قال عبد الحميد بن الشَّيخ لأبيه: قد جاء في هذا الليل يطلب منك أن تخبره بتأويل رُؤْيَاه فلم تفعل، فقال الشيخ: إن رُؤْيَاه تدل علىٰ قُرب أجله، وأجل أخيه من بعده، ولا أحب أن أخبره بذلك، وقد وقع الأمر علىٰ وفق تَأْويل الشَّيخ للرُّؤْيَا، فمات تركي بعد مدة يسيرة في الطاعون الَّذي وقع في شهر صفر سنة سبع وثلاثين وثلثمائة وألف من الهجرة -وتسمي العامة هذه السنة سنة الصخونة، وبعضهم يسميها سنة الرحمة- وهو طاعون عامٌّ مات فيه خلائق لا يحصون، ثم مات فهد بعد أخيه تركي بيسير.

ومن الأحلام الَّتي أَوَّلَها الشَّيخ مُحمَّد: أن تركي بن الملك عبد العزيز رأىٰ أنه راكب علىٰ ناقة، وهي تمشي به، والنَّاس يحفُّون به، وهم مشاة عن يمينه، وعن شماله، ومن أمامه، ومن خلفه، فسأل الشَّيخ عن تَأْويل هذه الرُّؤْيَا، وقيل: إنه أرسل إليه من يسأله عن تَأْويلها، فقال الشيخ: رأىٰ خيرًا، ولم يخبرهم بتأويلها، ولما خرج السائل -أي: تركي أو رسوله- قال الشَّيخ مُحمَّد للذين عنده: إن هذه الرُّؤْيَا تدل علىٰ حضور أجل تركي، وأنه سيركب علىٰ النعش، ويحفُّ النَّاس به، وهم مشاة،

فوقع الأمر علىٰ وفق ما قاله الشَّيخ مُحمَّد.

ومن الأحلام الَّتي عبرها الشَّيخ مُحمَّد: أن رجلًا -يسمىٰ مُحمَّد بن عقيل- رأىٰ عبد العزيز بن متعب بن رشيد في المنام، فقال مُحمَّد بن عقيل لابنته: هذا عبدُ العزيز بن متعب تَعالَي لنَتعاون عليه، فجاءت أم عبد العزيز بن متعب فأخذت بيده، وذهبت به، فقصَّ ابن عقيل رُؤْيَاه علىٰ الشَّيخ مُحمَّد، فقال: هل أمُّ عبد العزيز بن متعب موجودة أم قد ماتت؟ فقيل له: إنها قد ماتت، فقال: إن صدقت رُؤْيَاك فإن عبد العزيز بن متعب سيقتل، وقد وقع الأمر علىٰ وفق ما عَبَّر به الشَّيخ الرُّؤْيَا.

ومن الأحلام الَّتي أَوَّلَها الشَّيخ مُحمَّد: أن الشَّيخ عبد الله بن حَسن بن حُسين رأىٰ في المنام أنه أخذ عصا الشَّيخ عبد الله بن عبد اللطيف، فقصَّ رُؤْيَاه علىٰ الشَّيخ مُحمَّد، فقال: إن صدَقت رُؤْيَاك، فإنه سيحصل لك من الرياسة والجاه مثل ما حصل للشيخ عبد الله بن عبد اللطيف، وقد وقع الأمر علىٰ وفق ما عَبَّر به الشَّيخ الرُّؤْيَا.

ومن الأحلام الَّتي عبرها الشَّيخ مُحمَّد: أن الشَّيخ عبد الله بن حسن رأىٰ في المنام أنه يُصلِّي علىٰ مكان مرتفع، ويقرأ سورة الفتح، فقصَّ رُؤْيَاه علىٰ الشَّيخ فلم يجبه بشيء، فلما خرج من عنده قال الشَّيخ للذين عنده: إن ابن حسين -يعني الشَّيخ عبد الله بن حسن بن حسين آل الشيخ- يتمنىٰ أن تُفتح مكة، وأن يؤم في المسجد الحرام، وإنما قال الشَّيخ مُحمَّد هذه الكلمة لأنه قد استبعد أن تفتح مكة للملك عبد العزيز؛ لأنها كانت تحت ولاية الشريف حسين، وكانت لديه قوة عظيمة من العدد والعُدَّة، ولكنَ الله تَعالَىٰ يسَّر فتحها للملك عبد العزيز في سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة وألف من الهجرة، وكان الشَّيخ عبد الله بن حسن بن حسين آل الشَّيخ من المرافقين للملك عبد العزيز في سفره إلىٰ مكة، ثم حضر معه حصار جدة، وبعد

تسليمها عيَّنه الملك إمامًا وخطيبًا في المسجد الحرام، وبذلك وقع تصديق رُؤْيَاه، وعلم من ذلك صحة تَأْويل الشَّيخ مُحمَّد لرُؤْيَا الشَّيخ عبد الله بن حسن، وإن كان قد ذكر تَأْويلها علىٰ وجه الاستبعاد لوقوع ذلك.

ثم بعد زمن يسير صدر الأمر من الملك عبد العزيز بتعيين الشَّيخ عبد الله بن حسن رئيسًا للمحاكم في الحجاز، والمناطق الجنوبية، والشمالية، والشرقية، ولم يزل رئيسًا لها إلىٰ أن توفي في سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة وألف من الهجرة؛ وبهذا وقع تصديق رُؤْيَا الشَّيخ عبد الله بن حسن أنه قد أخذ عصا الشَّيخ عبد الله بن عبد اللطيف، وعلم من ذلك صحة تَأْويل الشَّيخ مُحمَّد لرُؤْيَا الشَّيخ عبد الله بن حسن بأنه سيحصل له من الرياسة والجاه مثل ما حصل للشيخ عبد الله بن عبد اللطيف.

ومن الأحلام الَّتي أَوَّلَها الشَّيخ مُحمَّد: أن رجلًا من أهل الرياض رأىٰ في المنام أن رجلًا من أهل الرياض أيضًا، أخذ بيده فضرط فيها، ثم جعل يمشي أمامه، ويضرط نحوه، ويتابع الضراط عليه، فقصَّ رُؤْيَاه علىٰ الشَّيخ مُحمَّد فقال: إنه سيكون بينك وبين الرجل الَّذي ضرط في يدك مصاهرة، وسيحصل لك منه أذىٰ، فلما كان بعد أيام قليلة أرسل الَّذي ذكر عنه الضراط إلىٰ صاحب الرُّؤْيَا يخطب أخته، فامتنع من إجابته إلىٰ طلبه خوفًا من الأذىٰ الَّذي ذكره الشَّيخ مُحمَّد في تَأْويله لرُؤْيَاه، فلم يزل الخاطب يرسل إليه، ويلحُّ عليه، وهو مصرٌّ علىٰ الامتناع من إجابته، فلما رأىٰ الخاطب إصراره علىٰ الامتناع من إجابته أرسل إلىٰ أم البنت يخبرها بامتناعه، فقالت الأم: ما لك تمتنع من تزويج فلان بأختك، وهو من الأكفاء الأغنياء الَّذين يرغب النَّاس في تزويجهم؟ فإن أنت لم تُزوجه فإني سوف أذهب إلىٰ القاضي، وأطلب منه أن يزوجها بغير رضاك، فلما رأىٰ إلحاح الأم زوَّج الرجل بأخته، وهو كاره، فكانت

حال أخته مع ذلك الرجل علىٰ أحسن الأحوال، ثم إنها توفيت؛ فحينئذ ابتدأ زوجها بمخاصمة أخيها فيما كان يظن أن لزوجته شَرِكةً معه فيه من المال، وتكررت مخاصمته له، وشكايته، وإحضاره عند القاضي لمخاصمته، وآذاه أذًىٰ كثيرًا، وبهذا وقع تصديق الرُّؤْيَا، وعلم من ذلك صحة تَأْويل الشَّيخ مُحمَّد لهذه الرُّؤْيَا.

ومن الأحلام الَّتي أَوَّلَها الشَّيخ مُحمَّد: أن رجلًا من أهل الرياض -يسمىٰ عبد العزيز الشدِّي- رأىٰ في المنام أن أصابع يديه قد قطعت، فقصَّها علىٰ الشَّيخ مُحمَّد فقال: سيؤخذ منك عشرة أريل، ثم لا ترد إليك، فعند ذلك أخذ صاحب الرُّؤْيَا في الاحتياط والحذر؛ طمعًا منه أن لا يقع شيء مما أخبره به الشَّيخ مُحمَّد من تَأْويل الرُّؤْيَا، ولكن الحذر لا ينفع من القدر، فبعد مدة يسيرة جاء رجل إلىٰ الشدِّي فقال له: إن القِرَب -يعني أوعية الماء- غالية جدًّا في الأحساء، فأعطاه الشدِّي عشرة أريل ليشتري بها قربًا، ويبيعها في الأحساء؛ طمعًا منه في الربح الكثير، فاشترىٰ الرجل القِرَب، وسافر بها معه إلىٰ الأحساء، فقُطع الطريق علىٰ القافلة، وأُخذت القِرَب مع ما كان مع القافلة.

ثم إن بعض الرؤساء أمسك قطَّاع الطريق، وألزمهم برد ما أخذوه من القافلة، فردوا كل شيء أخذوه منهم إلا القرب، فإنها فُقِدَتْ، وبهذا وقع تصديق رُؤْيَا الشدِّي، وعلم من ذلك صحة تَأْويل الشَّيخ مُحمَّد للرُؤْيَا.

ومن الأحلام الَّتي أَوَّلَها الشَّيخ مُحمَّد: أن امرأة رأت في منامها أن علىٰ سور بلدة الرياض ستائر، قالت: فنظرتُ من خلال الستائر إلىٰ خارج البلد، فإذا هناك كلاب كثيرة مختلفة الألوان، فيها الأبيض، والأسود، والأحمر، والأصفر، والأزرق، وقيل: إن الَّذي رأىٰ هذه الرُّؤْيَا رجل، وأنه رأىٰ خارج البلد جرادًا كثيرًا مختلفًا

ألوانه، فسُئل الشَّيخ مُحمَّد عن تَأْويل هذه الرُّؤْيَا فقال: إن صدقت هذه الرُّؤْيَا فإن بلدة الرياض ستكون موضعًا يفد إليه النَّاس من أقطار الأرض علىٰ اختلاف أجناسهم، وألوانهم، ودياناتهم، وأما وضع الستائر علىٰ السور فتأويله أن أهل البلدة سيكونون في ستر ما دامت الستائر علىٰ سور البلد.

قلت: وقد وقع تصديقُ هذه الرُّؤْيَا في آخر عهد الملك عبد العزيز، وما بعده إلىٰ زماننا، حيث كثرت وفادةُ النَّاس من جميع أرجاء الأرض إلىٰ الرياض، وغير الرياض من مدن المملكة العربية السعودية علىٰ اختلاف أجناسهم، وألوانهم، ودياناتهم، وما أكثر أشباه الكلاب من الوافدين إلىٰ المملكة السعودية، بل إن كثيرًا منهم شر من الكلاب، والله المستعان.

فصل

وأختم الكتاب بذكر نموذج من تَأْويل الأحلام الَّتي ذُكرت عن بعض المتقدمين من الملوك والأكابر، وقد ذكرتُ فيما تقدم رُؤْيَا إبراهيم الخليل عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، أنه أُمر بذبح ولده، ورُؤْيَا يوسف الصدِّيق عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، أن أحد عشر كوكبًا، والشمسَ، والقمرَ قد سجدوا له، ورُؤْيَا الفتيين اللذين دخلا السجن مع يوسف، ورُؤْيَا ملك مصر، ورُؤْيَا عبد المطلب بن هاشم أنه أُمر بحفر زمزم، ورُؤْيَا رقيقة بنت أبي صيفي بن هاشم حين أصاب قريشًا القحطُ بأنهم يؤمرون بالاستسقاء؛ فكل هذا قد تقدم ذكره.

فأما رُؤْيَا إبراهيم الخليل عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ورُؤْيَا عبد المطلب بن هاشم، ورُؤْيَا رقيقة بنت أبي صيفي بن هاشم فهي مذكورة مع الأحلام الظَّاهرة الَّتي لا

تحتاج إلىٰ تأويل، وأما رُؤْيَا يوسف الصدِّيق عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ورُؤْيَا الفتيين، ورُؤْيَا ملك مصر فهي مذكورة في أول الأحلام الَّتي تحتاج إلىٰ التأويل، وهي الأحلام الَّتي تكون من باب ضرب الأمثال للنائم، فلتراجع هذه الأحلام في مواضعها.

ومن أحلام الملوك: رُؤْيَا فرعون في منامه ما هَالَه وأفزعه. وقد روىٰ ذلك ابن جرير في «تاريخه»[1] من طريق السُّدِّي، عن أبي مالك، وعن أبي صالح، عن ابن عبَّاس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، وعن مرة الهمداني، عن ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وعن ناس من أصحاب رَسُول اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ: أن فرعون رأىٰ في منامه أن نارًا أقبلت من بيت المقدس حتىٰ اشتملت علىٰ بيوت مصر فأحرقت القبط، وتركت بني إسرائيل، وأخربت بيوت مصر، فدعا السحرة، والكهنة، والقافة، والحازة[2] فسألهم عن رُؤْيَاه فقالوا له: يخرج من هذا البلد الَّذي جاء بنو إسرائيل منه -يعنون بيت المقدس- رجل يكون علىٰ وجهه هلاك مصر، فأمر ببني إسرائيل أن لا يولد لهم غلام إلا ذبحوه، ولا يولد لهم جارية إلا تركت.

ومن أحلام الملوك أيضًا: رُؤْيَا بختنصر. وقد ذكرها ابن كثير في «البداية والنهاية»[3]، عن مُحمَّد بن إسحاق بن يسار، أنه ذكر في كتاب «المبتدأ»، عن سعيد بن بشير، عن قتادة، عن كعب الأحبار. قال ابن كثير: وروىٰ غيره عن وهب بن

---

(١) (١/ ٣٨٨).

(٢) القافة: جمع قائف، وهو الذي يتتبع الآثار ويعرفها، والحازة: جمع حازٍ، وهو الكاهن، قال ابن منظور في «لسان العرب»: «التحزي التكهُّن، قال الليث: الحازي الكاهن، وقال ابن سيده: تحزىٰ تكهن. وفي الحديث: (كان لفرعون حازٍ) أي: كاهن». انتهىٰ.

(٣) (٢/ ٣٩٦).

منبه، أن بختنصر بعد أن خَرَّب بيت المقدس، واستذل بني إسرائيل بسبع سنين، رأىٰ في المنام رُؤْيَا عظيمة هالته، فجمع الكهنةَ، والحزار، وسألهم عن رُؤْيَاه تلك، فقالوا: ليقصها الملك حتىٰ نخبره بتأويلها، فقال: إني نسيتها، وإن لم تخبروني بها إلىٰ ثلاثة أيام قتلتكم عن آخركم، فذهبوا خائفين وجلين من وعيده، فسمع بذلك دانيال عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وهو في سجنه، فقال للسجان: اذهب إليه، فقل له: إن ههنا رجلًا عنده علم رُؤْيَاك وتأويلها، فذهب إليه فأعلمه فطلبه، فلما دخل عليه لم يسجد له، فقال له: ما منعك من السجود لي؟ فقال: إن الله آتاني علمًا، وعلَّمني، وأمرني أن لا أسجدَ لغيره.

فقال له بختنصر: إني أحبُّ الَّذين يوفون لأربابهم بالعهود، فأخبرني عن رُؤْيَاي، قال له دانيال: رأيتَ صنمًا عظيمًا رجلاه في الأرض، ورأسه في السماء، أعلاه من ذهب، ووسطه من فضة، وأسفله من نحاس، وساقاه من حديد، ورجلاه من فخَّار، فبينا أنت تنظر إليه قد أعجبك حسنه، وإحكام صنعته، قذفه الله بحجر من السماء فوقع علىٰ قمة رأسه حتىٰ طحنه، واختلط ذهبه وفضته ونحاسه وحديده، حتىٰ تخيل إليك أنه لو اجتمع الإنس والجن علىٰ أن يميزوا بعضه من بعض لم يقدروا علىٰ ذلك، ونظرتَ إلىٰ الحجر الَّذي قذف به يربو، ويعظم، وينتشر حتىٰ ملأ الأرض كلها، فصرت لا ترىٰ إلا الحجر والسماء، فقال له بختنصر: صدقتَ هذه الرُّؤْيَا الَّتي رأيتُها، فما تَأْويلها؟

فقال دانيال: أما الصنم فأمم مختلفة في أول الزمان، وفي وسطه، وفي آخره، وأما الحجر الَّذي قُذف به الصنم فدين يَقذف الله به هذه الأمم في آخر الزمان، فيظهره عليها، فيبعث الله نبيًّا أميًّا من العرب، فيدوِّخ به الأمم والأديان، كما رأيتَ الحجرَ دوَّخ أصنافَ الصنم، ويظهر علىٰ الأديان والأمم، كما رأيت الحجر ظهر علىٰ

الأرض كلها، فيمحص الله به الحق، ويزهق به الباطل، ويهدي به أهل الضلالة، ويعلم به الأميين، ويقوي به الضعفة، ويعز به الأذلة، وينصر به المستضعفين.

وقد رَواهُ أبو نُعيم الأصبهاني في «دلائل النُّبُوَّة»(١) من طريق إسحاق بن بشر، عن سعيد بن بشير، عن قتادة، عن كعب الأحبار، فذكره بنحوه، وفيه زيادات ليست في رواية ابن إسحاق.

وقد روىٰ ابن جرير هذه القصة في «تاريخه»(٢) في أثناء خبر طويل ذكره، عن وهب بن منبه، وفيه: أن بختنصر رأىٰ رُؤْيَا، فبينما هو قد أعجبه ما رأىٰ، إذ رأىٰ شيئًا أصابه فأنساه الَّذي كان رأىٰ، فدعا دانيال، وحنانيا، وعزاريا، وميشايل من ذراري الأنبياء، فقال: أخبروني عن رُؤْيَا رأيتها، ثم أصابني شيء فأنسانيها، وقد كانت أعجبتني، ما هي؟ قالوا له: أخبرنا بها نخبرك بتأويلها، قال: ما أَذكرها، وإن لم تخبروني بتأويلها لأنزعنَّ أكتافكم، فخرجوا من عنده فدعوا الله، واستغاثوا، وتضرعوا إليه، وسألوه أن يعلمهم إيَّاها، فأعلمهم الَّذي سألهم عنه، فجاءوه فقالوا له: رأيت تمثالًا؟ قال: صدقتم، قالوا: قدماه وساقاه من فخَّار، وركبتاه وفخذاه من نحاس، وبطنه من فضة، وصدره من ذهب، ورأسه وعنقه من حديد؟ قال: صدقتم، قالوا: فبينما أنت تنظر إليه قد أعجبك، فأرسل الله عليه صخرة من السماء فدقَّته، فهي الَّتي أنستكها؟ قال: صدقتم، فما تَأْويلها؟

قالوا: تَأْويلها أنك أُريتَ مُلكَ الملوك، فكان بعضهم ألين ملكًا من بعض،

---

(١) (١/ ٨٣) (٤٤).

(٢) (١/ ٥٥٤).

وبعضهم كان أشد ملكًا من بعض، فكان أول الملك الفخَّار، وهو أضعفه وألينه، ثم كان فوقه النحاس، وهو أفضل منه وأشد، ثم كان فوق النحاس الفضة، وهي أفضل من ذلك وأحسن، ثم كان فوق الفِضَّة الذهب، فهو أحسن من الفضة وأفضل، ثم كان الحديد ملكك، فهو كان أشد الملوك، وأعز مما كان قبله، وكانت الصخرة الَّتي رأيت أرسل الله عليه من السماء فدقته؛ نبيًّا يبعثه الله من السماء، فيدقُّ ذلك أجمع، ويصير الأمرُ إليه.

ورواه ابن جَرير أيضًا في «تفسيره»(١) من طريق أسباط، عن السدي بنحوه، وفيه أن دانيال، وأصحابه قالوا لبختنصر: رأيت كذا وكذا، فقصوها عليه، فقال: صدقتم، قالوا: نحن نعبرها لك: أما الصنم الَّذي رأيتَ رأسَه من ذهب فإنه مُلكك حسن مثل الذهب، وكان قد مَلك الأرضَ كلها، وأما العُنق من الشبه فهو مُلك ابنك بعدك، يملك فيكون ملكه حسنًا، ولا يكون مثل الذهب، وأما صدره الَّذي من حديد فهو ملك أهل فارس، يملكون بعد ابنك فيكون ملكهم شديدًا مثل الحديد، وأما بطنه الأخلاط، فإنه يذهب ملك أهل فارس، ويتنازع النَّاس المُلكَ في كل قرية حتىٰ يكون المَلكُ يملك اليوم، واليومين، والشهر، والشهرين، ثم يُقتل، فلا يكون للناس قِوام علىٰ ذلك، كما لم يكن للصنم قوام علىٰ رِجلين من فخَّار، فبينما هم كذلك إذ بعث الله تَعالَىٰ نبيًّا من أرض العرب، فأظهره علىٰ بقية مُلك أهل فارس، وبقية مُلك ابنك ومُلكك فدمَّره وأهلكه، حتىٰ لا يبقىٰ منه شيء، كما جاءت الصخرة فهدمت الصنم.

---

(١) (١٤/ ٤٧٩).

ورواه أيضًا بإسْنَاده، عن سعيد بن جبير[١]. وفيه: أن بختنصر رأىٰ رُؤْيَا فجلس فنسيها، فعاد فرقد فرآها، فقام فنسيها، ثم عاد فرقد فرآها، فخرج إلىٰ الحجرة فنسيها، فلما أصبح دعا العلماء والكُهَّان، فقال: أخبروني بما رأيتُ البارحةَ، وأَوِّلوا لي رُؤْيَاي، وإلا فليمش كلُّ رجل منكم إلىٰ خشبته موعدكم ثالثة، فقالوا: هذا لو أخبَرَنا برُؤْيَاه، قال: وجعل دانيال كلَّما مرَّ به أحد من قرابته يقول: لو دعاني الملك لأخبرته برُؤْيَاه، ولأَوَّلتها له، قال: فجعلوا يقولون: ما أحمق هذا الغلام الإسرائيلي! إلىٰ أن مرَّ به كَهْلٌ فقال له ذلك، فرجع إليه فأخبره، فدعاه فقالٰ: ماذا رأيتُ؟ قال: رأيتَ تمثالًا، قال: إيه! قال: ورأسه من ذهب؟ قال: إيه! قال: وعنقه من فضة؟ قال: إيه! قال: وصدره من حديد؟ قال: إيه! قال: وبطنه من صفر؟ قال: إيه! قال: ورجلاه من آنُك؟ قال: إيه! قال: وقدماه من فخَّار؟ قال: هذا الَّذي رأيتُ، قال: إيه! قال: فجاءت حصاة فوقعت في رأسه، ثم في عنقه، ثم في صدره، ثم في بطنه، ثم في رجليه، ثم في قدميه، قال: فأهلكته، قال: فما هذا؟

قال: أما الذهب فإنه مُلكُك، وأما الفضة فمُلك ابنك من بعدك، ثم ملك ابن ابنك، قال: وأما الفخار فمُلك النساء، فكساه جبة ترثون، وسوَّره، وطاف به في القرية، وأجاز خاتمه.

ومن أحلام الملوك أيضًا: رُؤْيَا ابن بختنصر. وقد ذكرها ابن جرير في «تفسيره»[٢] في خبر طويل رَواهُ عن سعيد بن جبير، وفيه: أن ابن بختنصر رأىٰ كفًّا

---

(١) «تفسير الطبري» (١٤/ ٤٨٦).

(٢) (١٤/ ٤٨٦).

خرجت بين لوحين، ثم كَتَبت سطرين، فدعا الكهَّانَ والعلماءَ، فلم يجدوا لهم في ذلك علمًا، فقالت له أُمُّه: إنك لو أعدتَ إلىٰ دانيال منزلته الَّتي كانت له من أبيك أخبَرك، وكان قد جفاه، فدعاه فقال: إني مُعيدٌ إليك منزلتَك من أبي، فأخبرني ما هذان السطران؟ فقال: أمَّا تُعيد إليَّ منزلتي من أبيك فلا حاجة لي بها، وأمَّا هذان السطران فإنك تُقتل الليلةَ، فأخرج مَن في القصر أجمعين، وأمَر بقفله، فأُقفلت الأبوابُ عليه، وأَدخل معه آمَنَ أهل القرية في نفسه معه سيف، فقال: مَن جاءك مِن خَلْق الله فاقتله، وإن قال: أنا فلان، وبعث اللهُ عليه البطن، فجعل يمشي حتىٰ كان شطر الليل فرقد، ورقد صاحبُه، ثم نبَّهه البطنُ فذهب يمشي، والآخر نائمٌ، فرجع فاستيقظ به، فقال له: أنا فلان، فضربه بالسيف فقتله.

ومن أحلام الملوك أيضًا: رُؤْيَا ربيعة بن نصر اللَّخمي، أحَد ملوك حِمْيَر التبابعة، قال ابنُ إسحاق: كان ربيعة بن نصر ملك اليمن بين أضعاف ملوك التبابعة، فرأىٰ رُؤْيَا هالته، وفظع بها، فلم يدع كاهنًا، ولا ساحرًا، ولا عائفًا، ولا مُنجِّمًا من أهل مملكته إلا جمعه إليه، فقال لهم: إني قد رأيت رُؤْيَا هالتني، وفظعت بها، فأخبروني بها، وبتأويلها، فقالوا له: اقصصها علينا نخبرك بتأويلها، قال: إني إن أخبرتكم بها لم أطمئن إلىٰ خبركم عن تَأْويلها، فإنه لا يعرف تَأْويلها إلا من عرفها قبل أن أخبره بها، فقال له رجل منهم: فإن كان الملك يريد هذا فليبعث إلىٰ سَطِيح وشِقٍّ[1]، فإنه ليس

---

(١) أما سَطيح: فاسمه ربيع بن ربيعة بن مسعود بن مازن بن ذئب بن عدي بن مازن غسان. قال ابن جرير: وكان يقال له: الذئبي لنسبته إلىٰ ذئب بن عدي، قلت: وهو الذي قال فيه الأعشىٰ في شعره: «كما صدق الذئبي إذ سجعا»، وذكر ابن عساكر في «تاريخه» أنه ولد في زمن سيل العرم، وعاش إلىٰ ملك ذي نواس، قلت: سيأتي في ذكر رؤيا الموبذان أنه عاش إلىٰ أن وُلد النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وروي

أحد أعلم منهما، فهما يخبرانه بما سأل عنه، فبعث إليهما، فقدم عليه سَطِيْح قبل شِقٍّ، فقال له: إني قد رأيتُ رُؤْيَا هالتني، وفظعتُ بها، فأخبرني بها، فإنك إن أصبتها أصبت تَأْويلها.

قال: أفعلُ، رأيتَ حُمَمَة[١]، خرجت من ظلمة، فوقعت بأرض تَهَمَة[٢]، فأكلت منها كل ذات جمجمة، فقال له الملك: ما أخطأت منها شيئًا يا سطيح، فما عندك في تَأْويلها؟ فقال: أحلف بما بين الحرَّتين من حنش[٣] لتَهبطن أرضَكم

=

عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه قال: لم يكن شيء من بني آدم يشبه سطيحًا، إنما كان لحمًا على وضم، ليس فيه عظم ولا عصب، إلا في رأسه وعنقه وكفيه، وكان يُطوىٰ كما يطوىٰ الثوب من رجليه إلىٰ عنقه، ولم يكن فيه شيء يتحرك إلا لسانه، وقيل: إنه كان إذا غضب انتفخ وجلس. وذكر ابن طرار الجريري أنه عاش سبعمائة سنة، وقال غيره: خمسمائة سنة، وقيل: ثلاثمائة سنة. ذكر ذلك ابن كثير في «البداية والنهاية».

وأما شِقٌّ: فهو ابن صعب بن يشكر بن رهم بن أفرك بن نذير بن قيس بن عبقر بن أنمار. قال السهيلي: كان شِقٌّ شِقَّ إنسانٍ -فيما يذكرون- إنما له يد واحدة، ورجل واحدة، وعين واحدة. قال: وذكر أبو الفرج أن خالد بن عبد الله القسري كان من ولد شق هذا. قلت: أبو الفرج هو المعافىٰ بن زكريا بن طرار الجريري.

(١) قال ابن الأثير: الحُمَمة الفحمة. وقال الجوهري: الحمم الرماد والفحم وكل ما احترق من النار، الواحدة حُمَمة.

(٢) قال الجوهري: التَّهم بالتحريك: مصدر من تهامة، وفي «لسان العرب» أن التُّهمة الأرض المتصوبة إلىٰ البحر.

(٣) قال الجوهري: الحنَش بالتحريك: كل ما يصاد من الطير والهوام، والجمع أحناش، وقال ابن منظور في «لسان العرب»: الحنش الحية، وقيل: الأفعىٰ، وقال كُراع: هو كل شيء من الدواب والطير.

الحبشُ، فليملكن ما بين أبين إلىٰ جرش، فقال له الملك: وأبيك يا سطيح، إن هذا لنا لغائظ موجع، فمتىٰ هو كائن؟ أفي زماني هذا أم بعده؟ قال: لا بل بعده بحين، أكثر من ستين أو سبعين، يمضين من السنين، قال: أفيدوم ذلك من ملكهم أم ينقطع؟ قال: لا بل ينقطع لبضع وسبعين من السنين، ثم يقتلون، ويخرجون منها هاربين، قال: ومَن يلي ذلك من قتلهم وإخراجهم؟ قال: يليه إرَمُ بن ذي يَزن، يخرج عليهم من عدن، فلا يترك أحدًا منهم باليمن، قال: أفيدوم ذلك من سلطانه أم ينقطع؟ قال: لا، بل ينقطع، قال: ومن يقطعه؟ قال: نبيٌّ زَكيٌّ، يأتيه الوحيُ من قِبَل العَلي، قال: وممن هذا النَّبِي؟ قال: رجل من ولد غالب بن فهر بن مالك بن النضر، يكون المُلك في قومه إلىٰ آخر الدهر، قال: وهل للدهر من آخر؟ قال: نعم، يوم يُجمع فيه الأولون والآخرون، يَسعد فيه المُحسنون، ويشقىٰ فيه المُسيئون، قال: أحقٌّ ما تُخبرني؟ قال: نعم، والشَّفقِ، والغَسقِ، والفَلقِ إذا اتَّسق، إن ما أنبأتُك به لحقٌّ.

ثم قدم عليه شِقٌّ فقال له كقوله لسطيح، وكتَمه ما قال سطيح، ليَنظر أيتفقان أم يختلفان، فقال: نعم، رأيتَ حُمَمَة، خرجت من ظلمة، فوقعت بين روضة وأكمة[١]، فأكلت منها كل ذات نسمة، قال: فلما قال له ذلك عرف أنهما قد اتَّفقا، فإن قولَهما واحد، إلا أن سطيحًا قال: «وقعت بأرض تَهَمَة، فأكلت منها كل ذات جمجمة»، وقال شِقٌّ: «وقعت بين روضة وأكمة، فأكلت كل ذات نسمة».

فقال الملك: ما أخطأتَ يا شقٌّ منها شيئًا، فما عندك في تَأْويلها؟ قال: أحلف بما بين الحرَّتين من إنسان، لينزلن أرضَكم السُّودان، فليغلبن علىٰ كل

---

(١) قال السهيلي: قوله: (بين روضة وأكمة)، لأنها وقعت بين صنعاء وأحوازها، أي: نواحيها.

طَفْلَة البنان(١)، وليملكن ما بين أبين إلىٰ نجران، فقال له الملك: وأبيك يا شِقُّ إن هذا لنا لغائظ موجع، فمتىٰ هو كائن؟ أفي زماني أم بعده؟ قال: لا، بل بعده بزمان، ثم يستنقذكم منه عظيم ذو شأن، ويذيقهم أشدَّ الهوان، قال: ومَنْ هذا العظيم الشأن؟ قال: غلام ليس بدنِيٍّ، ولا مُدَن(٢)، يَخرج عليهم من بيت ذي يزن، فلا يترك أحدًا منهم باليمن، قال: أفيدوم سلطانه أم ينقطع؟ قال: بل ينقطع برسول مرسل، يأتي بالحق والعدل، بين أهل الدين والفضل، يكون المُلك في قومه إلىٰ يوم الفصل، قال: وما يوم الفصل؟ قال: يوم تُجزي فيه الولاةُ، ويُدعىٰ فيه مِن السماء بدعوات، يَسمع منها الأحياءُ والأموات، ويُجمع فيه النَّاس للميقات، يكون فيه لمن اتَّقىٰ الفوز والخيرات، قال: أحقٌّ ما تقول؟ قال: إي، وربِّ السماء والأرض، وما بينهما من رفع وخفض، إنَّ ما أنبأتُك به لحقٌّ، ما فيه أَمْض(٣).

قال ابن إسحاق: فوقع في نفس ربيعة بن نصر ما قالا، فجهَّز بنيه، وأهل بيته

---

(١) قوله: طَفْلة البنان، قال الجوهري: الطَّفْل بالفتح: الناعم، يقال: جارية طَفْلة، أي: ناعمة، وبنان طَفْل. وقال ابن منظور في «لسان العرب»: الطَّفْل البنان الرَّخص، وفي «المحكم»: الطفل بالفتح: الرَّخْص الناعم، ويقال: جارية طَفْلة، إذا كانت رَخْصة.

(٢) قوله: بغلام لا دَنِي ولا مُدَن. قال السهيلي: الدَّنِيُّ معروف، والمدَنُّ الذي جمع الضعف مع الدناءة، قاله صاحب «العين». انتهىٰ. وقال الجوهري: يقال: إنه ليدَنِّي في الأمور تَدْنيةً، أي: يتتبع صغيرها وخسيسها، والمدني من الرجال الضعيف. وقال ابن منظور في «لسان العرب»: المُدَنِي من الناس الضعيف الذي إذا آواه الليل لم يبرح ضعفًا. ونقل عن اللحياني أنه قال: دَنَّ فلان؛ طلب أمرًا خسيسًا.

(٣) قوله: ما فيه أَمْض، قال ابن هشام: أمض يعني شكًّا بلُغة حِمير، وقال أبو عمرو: أمض، أي: باطل. وقال السهيلي: وقوله: لحق ما فيه أَمْض، أي: ما فيه شكٌّ ولا مُستراب.

إلىٰ العراق بما يصلحهم، وكتب لهم إلىٰ مَلِك من ملوك فارس -يقال له: سابور بن خُرَّزاد- فأسكنهم الحيرة، فمِن بقية ولد ربيعة بن نصر النعمان بن المنذرِ، فهو في نسب اليمن، وعلمهم النعمان بن المنذر بن النعمان بن المنذر بن عمرو بن عدي بن ربيعة بن نصر، ذلك الملك. قال ابن هشام: النعمان بن المنذر بن المنذر فيما أخبرني خلف الأحمر[١].

وقد ذكر هذه القصة ابن هشام في «السيرة»[٢]، وابن جرير في «تاريخه»[٣]، وأبو نعيم الأصبهاني في «دلائل النُّبُوَّة»[٤]، وابن كثير في «البداية والنهاية»[٥]؛ كلهم عن ابن إسحاق. وزاد ابن جرير في رواية له عن ابن إسحاق: قال: ولما قال سَطِيح وشِقٌّ لربيعة بن نصر ذلك، وصنع ربيعة بولده وأهل بيته ما صنع، ذهب ذِكر ذلك في العرب، وتحدثوا به حتىٰ فشا ذِكرُه، وعِلمه فيهم، فلما نزلت الحبشة اليمن، ووقع الأمر الَّذي كانوا يتحدثون به من أمر الكاهنين، قال الأعشىٰ؛ أعشىٰ بني قيس بن ثعلبة البكري في بعض ما يقول، وهو يذكر ما وقع من أمر ذينك الكاهنين؛ سَطيح وشِقٍّ:

مَـا نَظَـرَتْ ذَاتُ أَشْـفارٍ كَنَظْرَتِهَـا حقًّـا كمَـا نطـقَ الـذِّئبيُّ إذ سَـجعَا[٦]

---

(١) انظر: «السيرة النبوية» لابن كثير (١/ ١٥).

(٢) (١/ ١٥).

(٣) (٢/ ١١٢).

(٤) (١/ ١٢٥) (٧٠).

(٥) (١٢/ ١٩٧).

(٦) ذات الأشفار: هي زرقاء اليمامة، وقد نظرت إلىٰ جيش حسان بن تبان أسعد أبي كرب ملك =

وكان سطيح إنما يدعوه العربُ الذِّئبيَّ لأنه مِن ولد ذئب بن عدي. انتهىٰ ما ذكره ابن جرير.

ومن أحلام الأكابر: رُؤْيَا عبد المطلب بن هاشم أنه أُمر بحفر زمزم. وقد تقدم ذكر ذلك فيما رَواهُ ابن إسحاق، عن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ(١)، وقد رَواهُ البيهقي في «دلائل النُّبُوَّة»(٢) بإِسْنَاده، عن الزهري، بسياق غير السياق الَّذي تقدَّم ذِكرُه من رواية ابن إسحاق، وقال فيه: فحفر حتىٰ أنبط الماء فخرقها في القرار، ثم بَحَّرها حتىٰ لا تنزف، ثم بنىٰ عليها حوضًا، فطفق هو وابنه ينزعان، فيملآن ذلك الحوض، فيشرب منه الحاجُّ، فيكسره أناس حَسَدة من قريش بالليل، فيصلحه عبد المطلب حين يصبح، فلما أكثروا إفساده دعا عبد المطلب ربَّه، فأري في المنام فقيل له: قُل: اللَّهمَّ إني لا أحلها لمُغتسل، ولكن هي لشارب حلٌّ وبِلٌّ، ثم كفيتهم؛ فقام عبد المطلب حين اختلف قريش في المسجد، فنادىٰ بالَّذي أُري، ثم انصرف، فلم يكن يفسد حوضه عليه أحد من قريش إلا رمي في جسده بداء حتىٰ تركوا حوضه وسقايته.

ومن أحلام الأكابر أيضًا: ما رَواهُ أبو نُعيم الأصبهاني في «دلائل النُّبُوَّة»(٣)، عن

=

اليمن من مسافة بعيدة، فأنذرت قومها فكذبوها، فصبَّحهم حسان بجيشه واستباحهم، وقوله: «كما نطق»، كذا جاء في «تاريخ ابن جرير» (٢/ ١١٤)، وفي «ديوان الأعشىٰ»: «كما صدق الذئبي إذ سجعا».

(١) تقدم ذكر ذلك.

(٢) (١/ ٩٣).

(٣) (١/ ٩٩) (٥١).

أبي بكر بن عبد الله بن أبي الجهم، عن أبيه، عن جدِّه قال: سمعتُ أبا طالب يُحدِّث، عن عبد المطلب قال: بينا أنا نائم في الحِجر، إذ رأيتُ رُؤْيَا هالتني، ففزعت منها فزعًا شديدًا، فأتيتُ كاهنة قريش عليَّ مطرف خزٍّ، وجُمَّتي تضرب منكبي، فلما نظرت إليَّ عرفت في وجهي التغير، وأنا يومئذ سيد قومي، فقالت: ما بال سيدنا قد أتانا متغيِّرَ اللون؟ هل رأيتَ من حدثان الدَّهر شيئًا؟ فقلت: بلىٰ، وكان لا يكلمها أحد من النَّاس حتىٰ يُقبِّل يدَها اليمنىٰ، ثم يضع يده علىٰ أم رأسها، ثم يذكر حاجته، ولم أفعل لأني كنت كبير قومي، فجلستُ، فقلت: إني رأيتُ اللَّيلةَ، وأنا نائم في الحِجر كأن شجرة نبتت قد نال رأسها السماء، وضربت بأغصانها المشرقَ والمغرب، وما رأيتُ نورًا أزهر منها أعظم من نور الشمس سبعين ضعفًا، ورأيت العرب والعجم ساجدين لها، وهي تزداد كل ساعة عظمًا، ونورًا، وارتفاعًا، ساعة تخفىٰ، وساعة تزهر.

ورأيتُ رهطًا من قريش قد تعلَّقوا بأغصانها، ورأيتُ قومًا من قريش يريدون قطعها، فإذا دنوا منها أَخَّرهم شابٌّ لم أر قطُّ أحسنَ منه وجهًا، ولا أطيبَ منه ريحًا، فيَكسر أضلعهم، ويَقلع أعينهم، فرفعتُ يدي لأتناول منها نصيبًا فمنعني الشابُّ، فقلت: لمَن النصيب؟ فقال: النَّصيب لهؤلاء الَّذين تعلَّقوا بها، وسبقوك إليها، فانتبهتُ مذعورًا فزعًا، فرأيتُ وجهَ الكاهنة قد تغيَّر، ثم قالت: لئن صدقت رُؤْيَاك ليخرجن من صُلبك رجل يملك المشرقَ والمغرب، ويَدين له النَّاس، ثم قال لأبي طالب: لعلك تكون هذا المولود، قال: فكان أبو طالب يحدث بهذا الحَدِيث، والنَّبِي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد خرج، ويقول: كانَت الشَّجرة -واللهُ أعلم- أبا القاسم الأمين، فيقال له: ألا تؤمن به؟ فيقول: السُّبَّة والعَار.

قلتُ: الظَّاهر في تَأْويل هذه الرُّؤْيَا أن الشجرة العظيمة هي الإسلام الَّذي ملأ

نوره ما بين المشرق والمغرب، وعلا فوق جميع الأديان، ودان له العرب والعجم، وأما خفاء الشجرة ساعة، وازدهارها ساعة أخرىٰ، فهو -والله أعلم - ما يطرأ علىٰ الإسلام من القوة، والإقبال في بعض الأحيان، وما يطرأ عليه من الضعف، والإدبار في بعض الأحيان، كما قد جاء ذلك في حديث أبي أمامة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، الَّذي رَواهُ الحارث بن أبي أسامة، والطَّبَراني في ذكر إقبال الدِّين وإدباره، وأما الرَّهط من قريش الَّذين تعلَّقوا بأغصان الشجرة فهم -والله أعلم - الَّذين دخلوا في الإسلام من شيوخ قريش الَّذين كانوا في زمان عبد المطلب، وأدركوا الإسلام فأسلموا، وأما القوم من قريش الَّذين يريدون قطع الشجرة فهم -والله أعلم- صناديد قريش، وكبراؤهم الَّذين حاربوا الإسلام، وأرادوا طمسَه، وإطفاءَ نوره.

وأما الشابُّ الَّذي كان يكسر أضلع الَّذين يريدون قطع الشجرة من قريش، ويقلع أعينهم فهو -والله أعلم- رَسُول اللهِ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإن جهاده لصناديد قريش، وصدعَه بالدعوة إلىٰ الإسلام بين ظهرانيهم كان بمنزلة كسر ضلوعهم، وقلع أعينهم، حتىٰ أظهر الله الإسلام، وهم كارهون، وقطع دابر الكافرين علىٰ يدي رسوله مُحمَّد صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأما منع الشاب لعبد المطلب من تناول النصيب من الشجرة فهو -والله أعلم- لأن عبد المطلب مات قبل الإسلام، فلم يكن له نصيب منه، هذا ما ظهر لي، والعلم عند الله.

ومن أحلام الأكابر أيضًا: رُؤيَا أم النَّبِي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين حملت به أنه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام، وقد جاء ذلك في أحَادِيث كثيرة:

منها: ما رَواهُ ابن إسحاق حيث قال: حدثني ثور بن يزيد، عن خالد بن معدان، عن أصحاب رَسُول اللهِ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنهم قالوا له: أخبرنا عن نفسِك، قال: «**نَعم، أنا**

دعوة أبي إبراهيم، وبُشرىٰ عيسىٰ، ورأتْ أُمِّي حين حملت بي أنه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام»(١). قال ابن كثير في «البداية والنهاية»(٢): هذا إسْنَاد جيد قوي. انتهىٰ.

وقد رَواهُ الحاكم في «مستدركه»(٣) من طريق ابن إسحاق، وصححه، ووافقه الذهبي علىٰ تصحيحه.

ومنها: ما رَواهُ الإمام أحْمَد، عن أبي أُمامة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قلتُ: يا نبيَّ الله، ما كان أول بدء أمرك؟ قال: «**دعوة أبي إبراهيم، وبُشرىٰ عيسىٰ، ورَأت أمي أنه يَخرج منها نور أضاءت منه قُصور الشام**»(٤). قال الهيثمي: إسْنَاده حسن، وله شواهد تقويه. انتهىٰ.

وقد رَواهُ أبو داود الطيالسي بالإسْنَاد الَّذي عند أحْمَد(٥). ورواه مُحمَّد بن سعد في «الطبقات»(٦) مختصرًا، ولفظه: «**رأتْ أُمِّي كأنه خرَج منها نورٌ أضاءتْ منه قُصورُ الشَّام**».

ومنها: ما رَواهُ الإمام أحْمَد، والبزار، والطَّبَراني، وابن حِبَّان في «صحيحه»،

---

(١) أخرجه الحاكم (٢/ ٦٥٦) (٤١٧٤)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٥٤٥).

(٢) (٢/ ٣٣٥).

(٣) (٢/ ٦٥٦) (٤١٧٤).

(٤) أخرجه أحمد (٥/ ٢٦٢) (٢٢٣١٥)، وقال شعيب الأرنؤوط: صحيح لغيره وهذا إسناد ضعيف.

(٥) رواه الطيالسي (ص ١٥٥) (١١٤٠).

(٦) (١/ ٨٢).

والحاكم في «المستدرك»، عن العِرباض بن سارية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعتُ رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**إني عند الله في أمِّ الكتاب لخاتَم النَّبيين، وإن آدم لمُنجدل في طِينَته، وسأنبئكم بتأويل ذلك: دعوة أبي إبراهيم، وبشارة عيسىٰ قومه، ورُؤْيَا أمي الَّتي رأت أنه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام**»(١). قال الهيثمي: أحد أسانيد أحْمَد رجاله رجال الصَّحِيح، غير سعيد بن سويد، وقد وثَّقه ابن حبان. انتهىٰ. وقال الحاكم: صَحِيح الإسْنَاد، شاهد للحديث الأول، وتعقَّبه الذهبي بتضعيف أحد رجال الإسْنَاد، وهو أبو بكر بن أبي مريم الغساني.

ومنها: ما رَواهُ الإمام أحْمَد، والدَّارِمي، عن عُتبة بن عبدِ السُّلمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رجلًا سأل رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: كيف كان أول شأنك يا رَسُول اللهِ؟ قال: «**كانت حاضِنَتي من بني سَعد بن بكر**»(٢)، فذكر الحَدِيثَ في شقِّ بطنه، وغسْلِه بماء الثلج، والبَرد، وذرِّ السَّكينة في قلبه، والختم عليه بخاتم النُّبُوَّة، ووزنه بألف من أمته، وفي آخر الحَدِيث أن أمه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالت: «إني رأيتُ خرج منِّي نورٌ أضاءت منه قُصور الشام». قال الهيثمي: إسْنَاده حسن.

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ١٢٨) (١٧٢٠٣)، والبزار (١٠/ ١٣٥)، والطبراني (١٨/ ٢٥٣) (٦٣١)، وابن حبان (١٤/ ٣١٣)، والحاكم (٢/ ٦٥٦) (٤١٧٥)، وأبو نعيم في «الحلية» (٦/ ٨٩)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢/ ١٣٤) (١٣٨٥)، وفي «الدلائل» (١/ ٨٠)، وضعفه الألباني في «ضعيف الجامع» (٢٠٩١).

(٢) أخرجه أحمد (٤/ ١٨٤) (١٧٦٨٥)، والدارمي (١/ ١٦٣) (١٣)، والحاكم (٢/ ٦٧٣) (٤٢٣٠)، وحسنه الألباني في «الصحيحة» (٣٧٣).

ومنها: ما رَواهُ أبو نُعيم في «دلائل النُّبُوَّة»[1]، عن بُريدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مسترضعًا في بني سعد بن بكر، فقالت أمُّه آمنةُ لمُرضعتِه: انظري ابني هذا، فسلي عنه، فإني رأيتُ كأنه خرج مني شهاب أضاءت له الأرض كلها، حتىٰ رأيتُ قصورَ الشام.

ومن أحلام الأكابر أيضًا: رُؤيَا المُوبَذان[2] أن إبلًا صعابًا تقود خيلًا عرابًا قد قطعت دجلة، وانتشرت في بلاد فارس. وقد روىٰ القصة في ذلك ابن جرير في «تاريخه»[3]، وأبو نعيم في «دلائل النُّبُوَّة»[4]، والبيهقي في «دلائل النُّبُوَّة»[5]، عن مَخزوم بن هانئ المخزومي، عن أبيه -وأتت عليه مائة وخمسون سنة- قال: لما كانت الليلة الَّتي ولد فيها رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ارتجس إيوان كسرىٰ، وسقطت منه أربع عشرة شُرفة، وخَمدت نار فارس، ولم تَخمد قبل ذلك بألف عام، وغاضت بحيرة ساوة، ورأىٰ المُوبَذان إبلًا صعابًا تقود خيلًا عرابًا، وقد قطعت دجلةَ، وانتشرت في بلادها، فلما أصبح كسرىٰ أفزعه ما رأىٰ، فصبر تشجعًا، ثم رأىٰ لا يكتم ذلك عن وزرائه، ومرازبته، فلبس تاجه وقعد علىٰ سريره، وجمعهم إليه، فلما اجتمعوا إليه أخبرهم بالَّذي بعث إليهم فيه ودعاهم، فبينا هم كذلك إذ ورد عليه

---

(١) (١/ ١٣٧) (٧٩).

(٢) المُوبَذان: بضم الميم وفتح الباء. قال السهيلي: معناه القاضي أو المفتي بلغتهم. وقال ابن منظور في «لسان العرب»: الموبذان للمجوس كقاضي القضاة للمسلمين، والموبذ القاضي، وقال صاحب «القاموس»: الموبذان فقيه الفرس وحاكم المجوس.

(٣) (٢/ ١٦٦).

(٤) (١/ ١٣٨) (٨٢).

(٥) (١/ ١٢٦).

كتاب بخمود النار، فازداد غمًّا إلىٰ غمِّه.

فقال المُوبَذانُ: وأنا -أصلح الله المَلكَ- قد رأيتُ في هذه الليلة -وقص عليه الرُّؤْيَا في الإبل- فقال: أي شيء يكون هذا يا موبذان؟ -وكان أعلمهم عند نفسه بذلك- فقال: حادث يكون من عند العَرب، فكتب عند ذلك: مِن كسرىٰ مَلك المُلوك إلىٰ النعمان بن المنذر، أما بعد.. فوجه إليَّ رجلًا عالمًا بما أريد أن أسأله عنه، فوجَّه إليه عبد المسيح بن عمرو بن حِبَّان بن بقيلة الغساني، فلما قدم عليه قال له: أعندك علم بما أريد أن أسألك عنه؟ قال: ليخبرني الملك فإن كان عندي منه علم، وإلا أخبرتُه بمن يعلمه له. فأخبره بما رأىٰ، فقال: علم ذلك عند خالٍ لي يسكن مشارفَ الشام، يقال له: سَطيح، قال: فأته فاسأله عما سألتُك عنه، وأتِني بجوابه.

فركب عبدُ المسيح راحلتَه حتىٰ قدم علىٰ سَطيح، وقد أشفىٰ علىٰ الموت، فسلَّم عليه، وحيَّاه، فلم يُحر سطيح جوابًا، فأنشأ عبد المسيح يقول:

أَصمُّ أمْ يَسمع غطْرِيفُ اليَمَن

وذَكر سبعة أبيات من الشعر.

فلمَّا سَمع سطيحٌ شِعرَه رفع رأسه، وقال: عبد المسيح، علىٰ جَمل يَسيح، إلىٰ سَطيح، وقد أوفىٰ علىٰ الضَّريح، بعثك مَلك بني ساسان، لارتجاس الإيوان، وخمود النِّيران، ورُؤْيَا المُوبذان، رأىٰ إبلًا صعابًا، تقود خيلًا عرابًا، قد قطعت دجلة، وانتشرت في بلادها، يا عبد المسيح، إذ كثرت التِّلاوة، وبعث صاحب الهراوة[1]،

---

(١) قال ابن منظور في «لسان العرب»: الهراوة العصا، وقيل: العصا الضخمة. وقال ابن الأثير وتبعه ابن منظور في «لسان العرب». وفي حديث سطيح: «وخرج صاحب الهراوة» أراد به النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ =

وفاض وادي السماوة، وغاضت بحيرة ساوة، وخمدت نار فارس، فليست الشام لسطيح شامًا، يملك منهم ملوك وملكات، علىٰ عدد الشرفات، وكل ما هو آتٍ آت، ثم قضىٰ سطيح مكانه، فقام عبد المسيح إلىٰ رحله، وهو يقول -وذكر له سبعة أبيات من الشعر- فلما قدم عبد المسيح علىٰ كِسرىٰ أخبره بقول سطيح، فقال: إلىٰ أن يملك منا أربعة عشر ملكًا كانت أمور وأمور، فملك منهم عشرة في أربع سنين، والباقون إلىٰ خلافة عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فصل

ومما يَنبغي التَّنبيهُ عليه، والتَّحذيرُ من التَّصديق به ما يزعمه التَّبليغيون من الأحلام الَّتي يَملئون بها بياناتِهم، ويعمرون بها مجالسَهم، ومجتمعاتِهم في المساجد، وغير المساجد، ويَظهر علىٰ بعضها أنها من تلاعب الشَّيْطَان بهم؛ ليفتنهم بما زيَّنه لهم من البدع،

=

لأنه كان يمسك القضيب بيده كثيرًا، وكان يُمْشَىٰ بالعصا بين يديه وتغرز له فيصلي إليها. انتهىٰ.

قلت: قد وقع تأويل رؤيا الموبذان في خلافة أبي بكر وعمر وعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، حين غزىٰ المسلمون بلاد الفرس وقطعوا دجلة إليهم، وانتشروا في بلادهم يقتلون مقاتلتهم، ويسبون نساءهم وأطفالهم، حتىٰ أثخنوهم وانتزعوا الملك والممالك منهم، ومزقوهم كل ممزق، وكان معظم ذلك في خلافة عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقد دعا عليهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يمزقوا كل ممزق، وذلك حين بلغه أن كسرىٰ مزَّق كتابَه الذي بعثه إليه يدعوه فيه إلىٰ الإسلام. روىٰ ذلك الإمام أحمد والبخاري من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. وروىٰ ابن سعد في «الطبقات» عن عبد الله بن حذافة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما بلغه أن كسرىٰ مزَّق كتابَه قال: «**اللَّهم مزِّق ملكه**»، وقد استجاب الله دعاء رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فمزَّق مُلكَ كسرىٰ كلَّ ممزَّق، ولم تقم لهم دولة بعد ذلك.

والضلالات، والجهالات الَّتي منشؤها من الأخذ بالمذاهب الصوفية المبتدعة، والانحراف عن عقائد أهل السنة والجماعة، ومذاهبهم في الأصول والفروع.

ومن القصص الغريبة من أحلام التَّبليغيين، وتلاعب الشَّيْطَان بهم في اليقظة والمنام: ما ذكره الأستاذ سيف الرَّحْمَن بن أحْمَد الدهلوي في صفحة (٣٩) من كتابه المسمىٰ «نظرة عابرة اعتبارية حول الجماعة التبليغية» حيث قال ما ملخصه: «وإن مِن غَريب مَضارِّ الجهل ما حدَث بالهند وباكستان من بعض أهلِ الدِّين والصَّلاح والتُّقىٰ، حيث رَأوا في المنام أنهم ذَبحوا -أو يَذبحون- بعضَ أولادهم الذُّكور خاصَّة، فلما أصبحوا ظنُّوا منامَهم إلهامًا، وأمرًا، وابتلاءً لهم من الله، فقاموا وأنجزوا ما أُمروا به -في زعمهم- فذبحوا أبناءهم من أصلابهم كما يُذبح الكَبشُ مُطرحًا وهو ينظر، وأحسنوا ذبحتَهم -في زعمهم- واحتسبوهم، وأحسنوا احتسابَهم -في زعمهم- فيا لهول المنظر! ويا لفظاعة الجهل! ولما أُخذوا ونُوقشوا قالوا: لم نأت إمْرًا، ولم نُحدث نكرًا، وإنما أنجزنا ما أُمرنا به، واتَّبعنا فيه سنَّة سيِّدنا إبراهيمَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ!!

ولا يَعلمون أن منامَ الأنبياء وحْيٌ، ومنامَ الصُّلحاء بشائرُ أو أضغاث أحلام، ومجرد رُؤْيَا منام أو إضلال شيطان، والسبب في جهلهم هذا وأمثاله: قيادتهم الدينية، فهي المَسئولة عن جهل الأتباع...

إلىٰ أن قال: ولم نَسمع بمثل هذه الأحداث في البلاد العربية. فيا لكارثة العقول، وزيغ القلوب، ويا لضياع الدين والدنيا معًا!! فإنا لله وإنا إليه راجعون» انتهىٰ.

وإذا كانت هذه الكارثة من أفعال المَوصوفين بالدِّين والصَّلاح والتُّقىٰ من التَّبليغيين؛ فما الظَّنُّ بمَن هو دونهم في هذه الخصال! فليحذر المُؤْمن الناصح لنفسه من الاغترار بالتبليغيين، والانضمام إليهم، فإنهم أهل بدع وضلالات وجهالات، ولا خير فيهم.

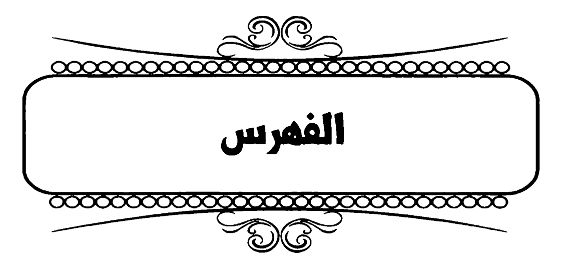
ومن الأحلام الَّتي لا شكَّ أنها من تلاعب الشَّيْطَان بالجُهَّال: ما وقع للفئة الَّتي فارقت الجماعةَ، وألحدت في الحرَم في أول سنة ١٤٠٠هـ، ومَنعتِ النَّاسَ من الصلاة في المسجد الحرام، ومِن الطواف بالكعبة نصفَ شَهر[١]، فقد ذُكر عن غير واحد منهم أنَّهم رأوا في المنام أن صاحبهم الَّذي ادَّعوا فيه المَهديَّة، هو المهدي الَّذي أخبر رَسُولُ اللهِ صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أنه يخرج في آخر الزمان، فكانت النتيجة من هذه الأحلام الشَّيْطَانية أنْ فارقوا الجماعةَ، وفعلوا الأفاعيلَ الشنيعةَ في حرَم الله تَعالَىٰ، إلىٰ أن يسَّر اللهُ القبضَ عليهم، والحُكم عليهم بالإعدام، فغرَّهم الشَّيْطَان بالأحلام الكاذبة، ثم تخلىٰ عنهم وأسلمهم للقتل. نعوذ بالله من مكايد الشَّيْطَان وأضاليلِه.

وهذا آخرُ ما تيسَّر إيرادُه، والحمدُ لله ربِّ العالمين، وصلىٰ الله وسلَّم علىٰ نبينا مُحمَّد، وعلىٰ آله وأصحابه، ومَن تَبعهم بإحسان إلىٰ يوم الدين.



---

(١) يعني أتباع جهيمان، الذي ادعىٰ أنه المهدي المنتظر.



الفهرس